مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق



حلية البشر

في

تاريخ القرن الثالث عشر

تأليف

الشيخ عبد الرزاق البيطار

١٢٥٣ - ١٣٣٥ هـ

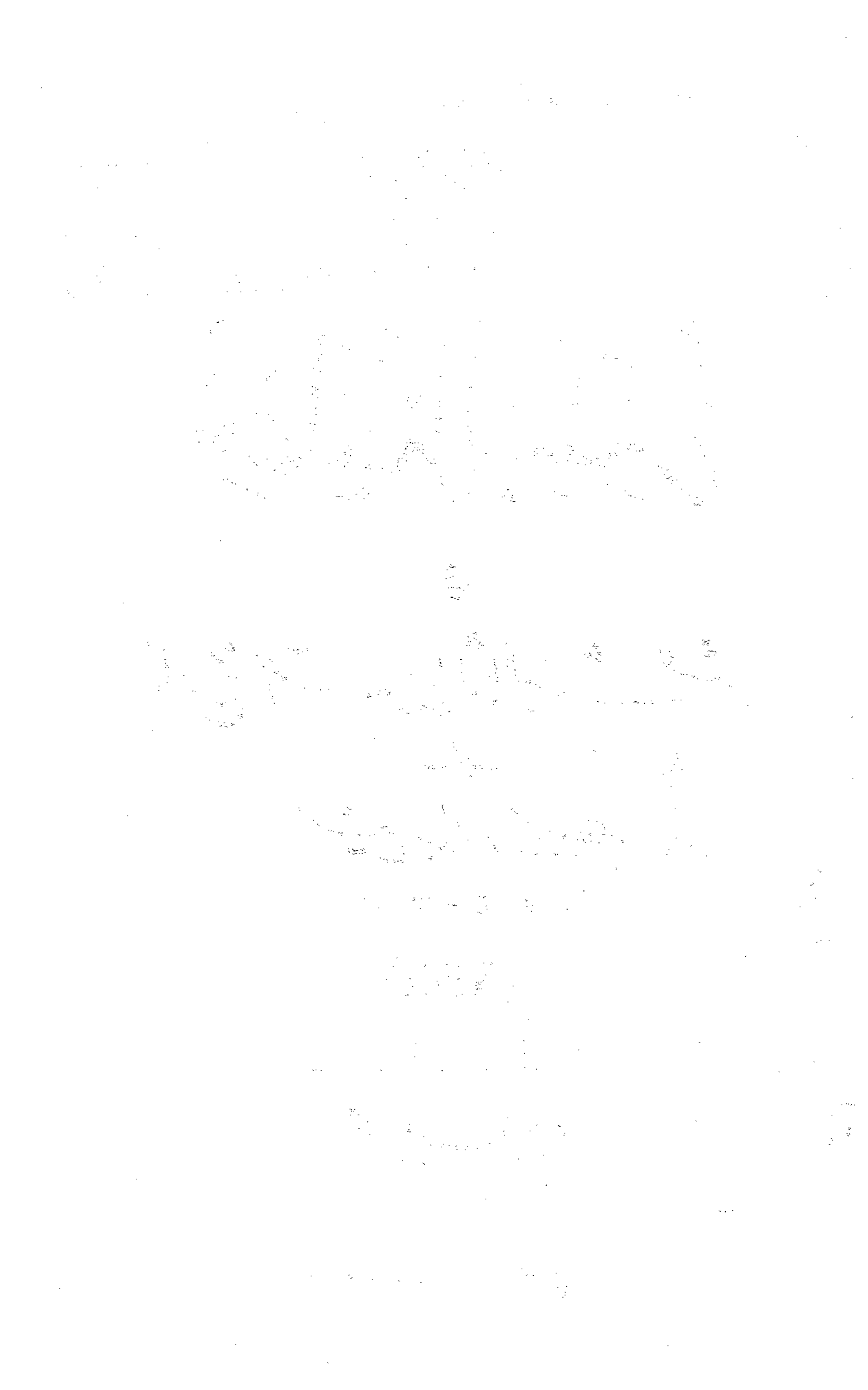
الجزء الأول

حققه ونسقه وعلق عليه حفيده

محمد بهجة البيطار

من أعضاء مجمع اللغة العربية

١٣٨٠ هـ = ١٩٦١ م



بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله وأسبحه عن كل ما لا يليق بكماله ، وأقدسه عما يقصر عن رفيع جلاله وبديع جماله ، وأستمنحه وهو المانح لكل مطلوب ، وأستفتحه وهو الفاتح لمرتجي نعمه أبواب الغيوب ، وأشكره شكر عبد لم يشهد في الوجود سواه ، وأذكره وهو الذاكر والمذكور لا إله إلا إياه ، وأبرأ اليه من كل قوة وحول ، وأستجديه وهو المجدي لكل حبـاء وطول ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المنفرد بالبقاء ، والمتباعد عما حكم به على عباده من الموت والفناء ، وأصلي وأسلم مدى الليالي والأيام ، أكمل صلاة لائقة وأتم سلام ، على من أبدع مبدعُ الوجود إيجادَه على أعلى كمال ، ونظم به عقد الدين بعد الغواية والضلال ، وهو النبي العربي الذي لم ينطق عن الهوى ، ولا ضلّ من اتبعه عن المنهج الصواب ولا غوى ، محمد المبعوث من صفوة العرب المستوين على عرش البلاغة ، والمحتوين من بديع المعاني على ما لم يبلغ أحد بلاغه ، فجاءهم بما ألجأهم الى الاقرار بأنه قطب مدار الإنسان ، ومحور فلك الفصاحة والبلاغة والمعاني والبيان ، فتالله وبالله انه لهو المفحم والمعجز ، الذي أعيا الواصفين سواء المطنب منهم والموجز ، لا برحت نوافح الصلوات تُحَيّي مرقده الشريف كل أوان ، ما لاح برق أو ناح ورق أو تعاقب الملوان ، وأصِلُ ذلك بطلب الرضوان لآله وأصحابه وعلماء أمتـه ، الناهجين منهجه الأسنى ، والمعتصمين بحبل شريعته وسنته ، وأسأله تعالى أن يعم جميع تابعيه بوافر إحسانه ، وأن ينعم عليهم بما يجذبهم لجوده

ورضوانه ، إنه هو المجيب لكل طالب وسائل ، والقريب الذي من دعاه فقد استمسك بأنفع الوسائل .

أما بعد فيقول العبد الفقير ، والضعيف الحقير ، المتبرىء من كل حول وقوة ، والمتبوىء نفسه لخدمة ذوي الفضل والفتوة ، الأسير الفاني ، والكسير الجاني ، المفتقر الى عفو مولاه المحسان الغفار ، عبد الرزاق ابن المرحوم حسن بن ابراهيم البيطار أصلح الله خلل حاله ، ونشله بمنه وكرمه من نكبة أوحاله ، ان أحلى ما يتحلى به جيد الانسان ، وأولى ما يتملى منه الأديب الولهان ، علم يكتسي به ويكتسبه ، وفضل يتزين به وينتخبه ، وفائدة يبيض غابر عمره بتسويدها ، وعائدة يصرف نقد أيامه ولياليه بتقييدها ، ودرة ساقطة من معدن الإطلاق يلتقطها ، أو قلادة من قريحته ينظمها خوف الشرود ويبسطها ، أو سيرة لمن سبق يرقمها ، أو رقيقة من بدائع البداته يحررها ويرسمها :

مِن كل معنى ولفظ كخمرة في زجاجه

يسري النسيم اليه يبغي لديه علاجه

فان الكامل هو الذي يشتغل بما يجله ، لا بما يسقطه في أودية الهوان ويذله ، وقد كنت معروفاً بجمع لآلي أخبار السادة والأعيان ، مشغوفاً بالتقاط آثارهم المزرية بعقود الجمان ، حتى رقمت من أخبارهم أوراقاً شتى ، بيد أنني إذا أردت الوقوع على مراد منها لا أجتمع به حتى وحتى ، فعن لي أن أجمعها في كتاب تعذب مطالعته ، وتقرب على الطالب مراجعته ، وان أقصر الوطر ، على ترجمة أعيان القرن الثالث عشر ، لأن الأمين المحبي رحمه الله ترجم أهل القرن الحادي ، كما أن القرن الثاني قد ترجمه المرادي ، فأردت أن أتطفل عليهما بديوان يكون لكتابيهما ذيلا ، وإن كنت أعلم أني لست لذلك أهيْلا ، ولكن من أغرب الغريب ، وأعجب العجيب ، هو أني رأيت أن بعض الناس قد ضنوا بتراجمهم أن تصاغ في قالب التحوير ، كأنما يطلب منهم

مترجمهم وافر الدراهم والدنانير ، مع أني لا أقصد بذلك سوى إحياء أخبارهم ، ونشر مطوي أوصافهم وجميل آثارهم ، لأنهم وإن كانوا في زمانهم أشهر من نار على علم ، إلا أنهم إذا لم تقيد أسماؤهم في دفاتر المآثر نثرتها الأيام في مطوى العدم :

إذا ما روى الإنسان أخبار من مضى فتحسبه قد عاش من أول الدهر
وتحسبه قد عاش آخر دهـــره الى الحشر إن أبقى الجميل من الذكر
فقد عاش كل الدهر من عاش عالماً كريماً حليماً فاغتنم أطول العمر

فاقتصرت على ذكر من وصلت اليه ، وطويت غالباً ذكر من لم أكن أعلم ما له وعليه ، وحسب الطالب أن يقتصر على من وصلت اليه قوته وحوله ، وأن يعلم أن ما لا يدرك كله لا يترك جله ، ولم أزل أقدم في هذا العزم رجلاً وأؤخر أخرى ، وأتردد في الإقدام والإحجام ولا أدري أيها أحرى ، الى أن تذكرت ما قيل ، من بديع الأقاويل ، إن المرء ابن وقته وساعته ، وكل ينفق على قدر وسعه واستطاعته ، ومن كانت بضاعته مزجاة ، فهو من الملام بمنجاة ، وذيل العفو عليه مسبول ، والكف عن زلله مرجو ومأمول ، وقد قيل :

ألا ليقل من شاء ما شاء انما يلام الفتى فيما استطاع من الأمر

فحققت ما كنت أردت ، وأظهرت من الفكر ما أضمرت ، وشرعت في كتابة هذا الكتاب ، معتمداً في التسهيل على رب الأرباب ، ووسمته وسميته ، بعد ما أتممته وأنهيته : (**حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر**) والأمل ممن نظر فيه ، ورأى ركاكة نثره وقوافيه ، أن يرحم بحسن التأويل جامعه ، أو يصون عن استماع كلامه مسامعه ، والأولى أن يلتمس له عذرا ، ويسبل على ما بدا له منه ستراً ، خصوصاً والفكرة غير مساعدة ، وهي لمكايدة الدهر مكابدة ، ومع إبداء ما ذكرت ، وإظهار ما به

اعتذرت ، فاني كلفت نفسي الصغيرة شيئاً كبيراً ، وأقحمتها في نفس الأمر أمراً عسيراً ، محافظة على إحياء ذكر هؤلاء السادة الأفاضل ، والقادة الحائزين لأعلا الشمائل والفضائل ، وخوفاً من ضياعهم بلا خُبْر ولا خَبَر ، مع أنه يحق لسيرتهم أن تتلى كما تتلى السور ، ورأيت أن أرتبه على حروف المعجم لا على الأعوام ، ليكون قريب المراجعة سهل المرام ، والله أسأل أن يجعله خالصاً من شوائب الملام ، وأن ينعم على جامعه ومطالعــه والمسلمين بحسن الختام .

الشيخ ابراهيم بن حسن بن محمد بن حسن بن ابراهيم البيطار :

الدمشقي الجد الماجد ، والد سيدي الوالد ، فاضل شافعي المذهب ، عالم عامل طراز فضله بالعبادة مذهب ، قد احتوى على مكارم الشمائل والأخلاق ، واستوى على عرش اللطافة وفاق ، له عزة نفس تود النجوم الثوابت نيل علاها ، وعلو همة يتمنى البدر الوصول الى حسن ثنائها وسناها ، وكلام كلآلىء الصدف ، وآداب كالروض الانُف ، ولا ريب أنه

مورق عيدان العلا رطبها   أبلج وجه العرف بسام

مع حكم أرق من نسيم السحر ، وشيم لو أنها للنجم ما غاب ولا استتر ، وأياد روائح غوادي ، كنسيم الروض غبَّ الغوادي ، ولا ريب أنه من القوم الذين سعوا في مناهج التقوى ، ونحوْا نحو الصلاح في السر والنجوى ، أخذ عن جملة من الأفاضل ، وتلقى عن كثير من السادة الأماثل ، وكان ملازماً لأستاذه الفاضل ، وملاذه العالم العامل ، قطب دائرة الأفاضل ، والآتي في تحقيقاته ومعارفه بما لم تستطعه الأوائل ، مولانا الشيخ محمد بن المرحوم العلامة الشيخ عبد الرحمن الكزبري فانه لازمه على الدوام ، وانتفع به فوق المرام ، وكان من جملة خاصته وأحبابه ، المتأدبين بجميل آدابه ، حتى اشتهر بالصلاح والعلم والعبادة ،

وألفته القلوب فوق العادة ، وكان ذا ثروة ومال من تجارته ، غير أن اليد الجزارية[1] قد أساءت في معاملته ، فسلبته جُلّ ما كان ، وأخّرته في الثروة عن الأقران ، عامله الله بأعماله ، وجازاه على ما كان من قبيح أفعاله ، وكان أعلى الله علاه ، وجعل الفردوس مقره ومثواه ، ذا رأي صائب ، وفكر ثاقب ، ليّن الكلام ، حسن المعاشرة ، رفيع المقام ، كثير المواصلة لأرحامه ، مع حبائه لهم وإكرامه ، ولد رضي الله عنه في منتصف رجب سنة ألف ومائة وإحدي وخمسين ، ونشأ في حجر والده الى أن حظي من القراءة والكتابة على التمام ، وحصل له من التفنن في العلوم نصيب وافر واحترام ، ولم يزل مكباً على دروس العلم والطاعة وتلاوة القرآن ، إلى أن نشبت به أظفار المنية ففارق الدنيا من غير توان ، وذلك في غرة ربيع الأول سنة ألف ومائتين وثمان وعشرين ، صب الله على قبره صيب الرحمة في كل وقت وحين ، وجمعنا به في دار الإحسان ، تحت لواء محمد سيد ولد عدنان .

الشيخ ابراهيم بن الشيخ محمد الباجوري قدس الله سره :

وجعل أعلا الجنان مثواه ومقره ، شيخ الوقت والأوان ، المستوي في فضائله على عرش كيْوان ، فهو الذي بهر بإبداعه ، وظهر على ذوي الكمال بسعة اطلاعه ، وعطل العوالي بيراعه ، ومد لتناول المعالي طويل باعه ، وأطلع الكلام رائقا ، وجاء به متناسقا ، فهو العالم العامل ، والجهبذ الكامل ، الجامع بين شرفي العلم والتقوى ، السالك سبيل ذلك

---

(١) بدأ القرن الثالث عشر ، وأهم وزير مسموع الكلمة في الأستانة ـ قوي الشكيمة في ظلم الرعايا بالشام ـ أحمد باشا الجزّار ، تولى دمشق بعد ولاية عكا ، فرفعت الشكاوى عليه من أهل دمشق فعزل ؛ ثم تولى دمشق للمرة الثانية (سنة ١٢٠٥) وإنّ مدة حكم الجزّار بدمشق ـ وهي خمس سنين ـ لم يرتح فيها الناس شهراً واحداً من طلب الأموال ظلماً (خطط الشام ج ٢/٥) .

في السر والنجوى ، قد افتخرت به الفضائل ، حتى قدمته على الاوائل ، وكان لسان شمائله ، يخطب على منبر فضائله :

غنيتَ بحلية حسنها عن لبس أصناف الحلي
وبدت بهيكلها البد يع تقول شاهد واجتلي
تجد المحاسن كلها قد جمعت في هيكلي

ولد رضي الله عنه سنة ألف ومائة وثمان وتسعين ببلدة بيجور ، قرية من قرى مصر المحروسة من الغم والملحوظة بعين السرور ، على مسيرة اثنتي عشرة ساعة من غير استعجال ، بل بسير الوسط والاعتدال ، ونشأ فيها في حجر والده وقرأ عليه القرآن المجيد ، بغاية الإتقان والتجويد ، ثم قدم الى الجامع الأزهر ، ذي القدر السامي الأظهر ، سنة ألف ومائتين واثنتي عشرة[1] هجرية ، لأجل تحصيل الآداب والعلوم الشرعية ، وسنه إذ ذاك أربع عشرة سنة تماماً ، ومكث فيه حتى دخل الفرنساوي سنة ألف ومائتين وثلاثة عشر عاماً ، فخرج وتوجه إلى الجيزه ، وأقام بها مدة وجيزه ، ثم عاد سنة ألف ومائتين وست عشرة ، إلى المكان الأنور ، والجامع الأزهر ، عام خروج الفرنساوي من القطر المصري كما أفاد ذلك بنفسه ، أعلى الله تعالى في فراديس الجنان مقامات قدسه ، فأخذ في الاشتغال بالتعلم والتحصيل ، وقد أدرك الجهابذة الأفاضل ذوي القدر الجليل ، كالشيخ محمد الأمير الكبير ، صاحب المقام السامي الشهير ، والشيخ عبد الله الشرقاوي ، والسيد داود القلعاوي ، ومن كان في عصرهم ، وتلقى عنهم ما تيسر له من العلوم ، الى أن صار عمدة ذوي المنطوق والمفهوم ، ولكن كان أكثر ملازمته وتلقيه ، وأخذه للعلم الشريف الذي كان به ترقيه ، عن الأستاذ الشيخ محمد الفضالي ، والمرحوم الأستاذ الشيخ حسن القويسني ذي القدر العالي ، ولازم الأول بالجد والاجتهاد ، إلى أن توفي ورحل الى دار الفضل والإسعاد ، وفي مدة قريبة لاحت عليه لوائح النجابة ، ولبى السعد نداه بالإقبال وأجابه ، فدرس وألف التآليف

---

(١) في الأصل : واثني عشر ولعله سهو من الناسخ .

العديدة ، الجامعة المانعة المفيدة ، في كل فن من توحيد وأصول ، ومعقول ومنقول ، منها حاشيته على متن الشمائل ، وحاشيته على رسالة شيخه الفضالي في لا إله إلا الله ، وحاشيته على الرسالة المسماة بكفاية العوام ، فيما يجب عليهم من علم الكلام ، لشيخه المذكور ، وكتاب فتح القريب المجيد ، شرح بداية المريد ، للشيخ السباعي ، وحاشيته على مولد المصطفى ﷺ للعلامة ابن حجر الهيثمي ، وحاشية على مختصر السنوسي في فن الميزان ، وحاشية على متن السلم للأخضري في فن الميزان أيضاً وحاشية على متن السمرقندية في فن البيان ، وكتاب فتح الخبير اللطيف ، شرح نظم الترصيف في فن التصريف ، وحاشية على متن السنوسية في التوحيد ، وحاشية على مولد المصطفى ﷺ للشيخ الدردير ، وشرح على منظومة الشيخ العمريطي في النحو ، وحاشية على البردة الشريفة ، وحاشية على بانت سعاد ، وحاشية على متن الجوهرة في التوحيد ، وكتاب منح الفتاح ، على ضوء الصباح ، في أحكام النكاح ، وحاشية على الشنشوري في فن الفرائض ، وكتاب الدرر الحسان على فتح الرحمن ، فيما يحصل به الإسلام والإيمان للزبيدي ، ورسالة صغيرة في فن الكلام ، وحاشية على شرح ابن قاسم لأبي شجاع في فقه مذهب الإمام الشافعي ، قدس الله سره بمجلدين ، وله مؤلفات أخر لم تكمل فلذا أضربنا عن ذكرها صفحاً . وكان ديدنه رحمه الله التعلم والاستفادة ، والتعليم والإفادة ، حتى صار له ذلك سجية وعادة ، فكان عمره رضي الله عنه ما بين افادة واستفادة ، وكان لسانه دائماً رطباً بذكر الله ، وتلاوة القرآن ، وكان متميزاً بذلك على الأمثال والأقران ، وله وله عظيم وحب جسيم لآل بيت النبي الكريم ، ولذلك كان مواظباً على زياراتهم ، ومتردداً على أبواب حضراتهم ، وبالجملة فإنه رضي الله عنه كان صارفاً زمنه في طاعة مولاه ، وشاكراً له على ما أولاه ، فمن جملة نعمه عليه الانتفاع بتآليفه في حياته في كل ناد ، والسعي في طلبها من

أقصى البلاد ، والاجتهاد في تحصيلها من كل حاضر وباد ، والاجتماع بها على كل مرام ومراد ، وقد انتهت اليه رئاسة الجامع الأزهر ، ومحفل الدين الأبهى الأبهر ، وتقلدها في شهر شعبان سنة ثلاث وستين ومائتين وألف ولا غرو أنه ابن بجدتها[١] ، وأبو عذرتها ، وفي أثنائها قرأ كتاب الفخر الرازي في تفسير القرآن ، وحضره أفاضل الجامع الأزهر ذوي الملكة والإتقان ، ولكنه لم يكمل بسبب ضعف اعتراه . وقد امتدحه مهنئاً حضرته حين آلت الرئاسة اليه حضرة المعروف بكل كمال ، السيد محمد شهاب الدين فقال :

أترى الغمام بدره المنثور	وشى رياض الورد والمنثور
أم ذي تباشير الصباح تنفست	وجلت أشعتها دجى الديجور
كبلابل الأفراح أبدت طالعاً	حظي الزمان بحظه الموفور
هو كوكب إيضاح بهجة ضوئه	مغن عن المصباح والتنوير
رفعت لواء العز دولة مجده	وسطت بصارم فضله المشهور
أكرم به حبراً هماماً رحلة	تطوي القفار لعلمه المنشور
أبدى الطوالع في مطالع فخره	ولدى المواقف سار بالتيسير
زفت حواشيه ورقت وازدهت	بمحاسن التحبير والتحرير
هو بر افضال وبحر فضائل	صاف عدته شوائب التكدير
كررت مدح حلاه إذ هو سكر	تقوى الحلاوة فيه بالتكرير
هو روض عرفان تجلى عن جنى	دان وكم ليس بالمزرور
لا غرو إن طاب الزمان بطيبه	وشذاه عم الكون بالتعطير
يا دهر أعط القوس باريها فقد	أفرطت في التقديم والتأخير
هذا مجلّي حلبة السبق الذي	حاز الفخار بسعيه المشكور
هو سيد الأبنّاء سعد أوانه	فخر الزمان ميسر المعسور

(١) المثل : أنا ابن بجدتها : أي أنا عالم بها ، والهاء راجعة إلى الأرض ، وهي من بَجَدَ إذا أقام .

فرحت به الدنيا وأصبح وجهها فيه تلوح بشاشة المسرور
وزهت به العليا وقالت أرخوا أبهى إمام شيخٌ الباجوري ١٢٦٣
يا صاح حدث عن مآثره وقل قد صح نقل حديثي المأثور
طوبى لمن بمقام إبراهيم قد أدى فريضة حجه المبرور
وسعى وطاف بكعبة الطول الذي تمت شعائره بلا تقصير
فليهنه الاقبال وليقض الذي قد فات من مندوبه المنذور
وإليه أهدي بنت فكر تنجلي في خجلة من جفنها المكسور
غايات ما ترجوه فض ختامها حيث انتهت بتكامل التوقير

ثم إنه لما قربت وفاته ، وكادت أن تتناهى حياته ، نزل به مرض الحمام ، ولازمه إلى أن استوفى من عمره التمام ، توفي يوم الخميس ثامن وعشرين من ذي القعدة سنة ألف ومائتين وست وسبعين ودفن بتربة المجاورين .

الشيخ ابراهيم بن محمد بن دهمان الحلبي :

الشافعي القادري برهان الدين الفاضل الذي طوي على الفضل أديمه ، والعالم العامل الذي انتشر به الكمال حديثه وقديمه ، من أشرق في أوج الجمال طالع سعده ، وارتقى على كاهل الكمال بنيان مجده ، واسطة عقد الأفاضل ، وكعبة طواف ذوي الفضائل والفواضل ، الفقيه الورع الزاهد ، والمحدث الصوفي العابد ، ولد بدارة عزة قرية من أعمال حلب سنة خمس وخمسين ومائة وألف ، ودخل أيام شبابه حلب ، واجتمع بخاله الشيخ العارف أبي بكر بن أحمد الهلالي القادري وأخذ عنه الطريقة واعتنى بشأنه ، ثم ارتحل الى مصر سنة ثمان وسبعين ولازم الشيوخ في الأزهر وقرأ عليهم وحضر دروسهم وأكثر من الأخذ والاستفادة والسماع ، فقرأ على أبي داود سليمان بن الجمل وهو أجل من انتفع به ، والشيخ أحمد الفالوجي ، وسيدي محمد بن علي الصباغ ، وسيدي أبي عبد الله محمد الأمير ، والشهاب أحمد بن محمد الدردير ، وأبي الصلاح أحمد بن موسى العمروسي وأبي الحسن علي بن أحمد

الصعيدي المالكي ، وحسن بن غالي الجداوي ، ومحمد بن حسن السمنبودي المنير ، وأبي عبد الله محمد بن احمد بن الحسن الجوهري ، وصفي الدين محمد ابن أحمد البخاري وغيرهم ، فأخذ عنهم ولازمهم وانتفع بهم ، وأخذ الطريقة الخلوتية عن سيدي الشيخ محمود بن يزيد الكوراني الكردي الشافعي خليفة الأستاذ الحفناوي ، وسمع على الكثير وانتفع واشتغل بالعلم والطريقة وتفوق ورأس على أقرانه ، وتقدم عليهم بوافر فضله وحسن بيانه ، ثم قدم الى حلب سنة ثمان وتسعين ومائة وألف فدرس بها ولزمه الناس ، وبعد مجيئه مات ابن خاله الشيخ أبو الضياء هلال بن أبي بكر الحلبي القادري في أواخر سنة ثلاث ومائتين وألف ، فاستقر مكانه شيخاً في زاويتهم الكائنة بمحلة الجلّوم بباب قنسرين ، وأقام مجالس التوحيد والأذكار وأوقات المواعيد على العادة ، ولزم أبناء الطريق واختلى الخلوات المتعددة ، ومع ذلك كان لا ينفك عن الإقراء والتحديث و الإفادة ونقل الشيخ الفاضل العلامة خليل افندي المرادي في بعض تعليقاته أنه دخل حلب سنة خمس ومائتين وألف فاجتمع بالمترجم المرقوم وسمع من فوائده وزاره في زاويته وسمع منه حديث الرحمة المسلسل بالأولية . ومات رحمه الله بعد ذلك لا بكثير .

الشيخ ابراهيم بن الشيخ مصطفى السعدي الجباوي بن الشيخ ابراهيم ابن السيد برهان الدين بن السيد مصطفى بن السيد سعد الدين الأصغر ابن السيد حسين بن السيد حسن بن السيد محمد بن السيد أبي بكر بن السيد علي الأكحل بن السيد سعد الدين الجباوي قدس الله سره :

ولد المترجم المرقوم في دمشق الشام في المحلة المعروفة بالميدان وذلك سنة ألف ومائتين وسبع عشرة ونشأ في حجر والده وحينما بلغ سن التمييز ، تعلم القرآن العزيز ، ثم اجتهد في طلب العلوم على والدي إلى أن صار له ملكة عظيمة ، ومعرفة جسيمة ، ثم أخذ الطريق ، عن والده ذي المعرفة والتحقيق ،

ولم يزل يجتهد في السلوك والطاعة ، ويحفظ أوقاته عن البطالة والإضاعة ، إلى أن انتقل والده إلى الدار الآخرة العلية ، فآلت إليه مشيخة السجادة السعدية ، وكانت لا تليق إلا إليه ، ولا تعول إلا عليه ، فرفع منارها ، وأقام أذكارها ، وأدب طلابها ، وأتقن بناها واعرابها ، وشيد أركانها ، ورفع عنوانها ، وكان لي تردد إليه ، واعتماد عليه ، حيث انه حميد السيرة ، حسن السريرة ، واسع الصدر ، رفيع القدر ، وفي سنة اثنتين وثمانين بعد المائتين والألف تزوجت بكريمته البرة التقية ، والصالحة النقية ، السيدة رقية ، فرزقت منها أولاداً لم يبق لي منهم سوى الولد الصالح ، والشهم الفالح ، السيد محمد سعد الدين (١) جعله الله من أهل العرفان ، وفتح عليه فتوح السادة الأعيان ، وحفظه من كل عيب ، وصانه من كل شائبة وريب ، ولم يزل المترجم ملازماً لعبادته ، ناهجاً منهج سيادته وسعادته ، إلى أن دعاه داعي المنية ، إلى الدار الآخرة العلية ، فلبى الداعي من غير تأخير ، ومات فجأة وتعجل في المسير ، وذلك أواخر رجب الفرد سنة اثنتين وثمانين ومايتين وألف ودفن بمدفن السادة السعدية في تربة باب الله وقبره ظاهر .

تتمـــة : طالما تطلبت ترجمة جده الشهم الهمام ، والسيد العارف الإمام ، مجمع الفضائل ، وقطب الأفاضل ، السيد سعد الدين الجباوي فلم أقف لها على خبر ، ولم أقع لها على أثر ، إلى أن رأيت روضة الناظرين ، وخلاصة مناقب الصالحين ، للامام الكبير العلامة ، والهمام النحرير الفهامة ، العارف بالله الشيخ أحمد بن محمد الوتري قدس الله روحه ، ونور مرقده وضريحه ، فإنه قد ترجمها ترجمة لطيفة ، مفصحة عن مرتبته المنيفة ، فأحببت أن أذكرها بتمامها بدون زيادة ولا نقصان ، لندرة وجودها في تراجم السادة

(١) توفي قبل أبيه بأكثر من عشر سنين ، كما أن أخاه الأكبر لأبيه الشيخ أحمد توفي قبل والده بنحو سنة ، رحم الله الجميع .

الأعيان ، فقال ما نصه : ومنهم العارف بالله ، المستغرق في محبة مولاه الولي الجليل الشيخ سعد الدين أبو محمد الشيباني الجباوي قدس الله سره ، ورضي الله عنه . كان في بدايته مولعاً في حب الكر والفر والفروسية وانتهى إلى قطع الطريق مع جماعة من أهل حوران ، وكان جده الشيخ يونس الشيباني الكبير قدس الله روحه بدمشق يدعو الله إذا خلا مع ربـه بإصلاح سعد الدين أو بقبضه إليه ففي ليلة من الليالي والشيخ سعد الدين مع رفقائه وإذا بأحد عشر فارساً على خيل بيض على طريقهم فكر عليهم سعد الدين بجماعته فلما قرب من الأول نظره شزراً وقال « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله »فسقط الشيخ سعدالدين إلى الأرض مغشياً عليه ، وجماعته أيضاً كل صعق وغشي عليهم أجمعين . ثم بعد برهة يسيرة أفاق فقال الفارس الأول : يا سعد الدين أنا نبيك محمد ﷺ وهؤلاء الصحابة العشرة ، وأعطاه من يده المباركة تينتين نفخ عليهما فأكلهما فانكشفت له العوالم[١] وثبت في قلبه خوف الله تعالى فصار ببركته عليه الصلاة والسلام من العارفين ، ثم انه ترك ما كان عليه وانحدر إلى دمشق ولبس الخرقة [٢] من والده الشيخ مزيد الشيباني وانتشرت به الخرقة السعدية وعمر رواقاً في قرية جبا من أعمال دمشق وأرشد بها السالكين ، وانتفع به أمة وظهر واشتهر وجرت على يديه الخوارق ؛ أخذ الطريقة ولَبِس الخرقة من والده الشيخ مزيد الشيباني ، وللشيخ مزيد طريقان في الخرقة ، الأول عن أبيه الشيخ يونس الكبير الشيباني ، وسيأتي ذكر سنده . والثاني عن الشيخ الإمام القطب الشريف السيد أحمد الكبير الرفاعي رضي الله عنه أخذ عنه الطريقة وتشرف ببيعته سنة خمس وخمسين وخمسماية ، السنة التي مدت بها للسيد المشار إليه يد جده [٣] ﷺ وقد نفخ في فمه وقال يا مزيد لك ما لنا وعليك ما علينا وأنت منا ولنا . وسند السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه في الخرقة شهير في محله ، وأما سند الشيخ يونس الشيباني فإنه عن الشيخ أبي مدين عن الشيخ سعيد الأندلسي عن الشيخ أبي البركات

---

(١) قد تكون هذه القصة من باب التخييل أو التمثيل ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .
(٢) هو شعار صوفي ، والاستاذ المؤلف هو ناقل كما ستراه في آخر القصة .
(٣) اشتهرت هذه الحـكاية على الألسنة

عن الشيخ أبي البقاء عن الشيخ أبي بكر تاج العارفين عن الشيخ أبي بكر الشهير بالمقبول الشيباني قدس الله سره عن الشيخ أبي القاسم الكركاني عن الشيخ أبي عثمان المغربي عن الشيخ أبي علي الكاظمي عن الشيخ علي الكاتب عن الشيخ العارف بالله أبي بكر الشبلي عن شيخ الطائفة العارف بالله جنيد البغدادي عن السري السقطي عن معروف الكرخي عن داود الطائي عن حبيب العجمي عن الشيخ الحسن البصري عن الإمام علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه عن النبي ﷺ[١] . مات الشيخ سعد الدين رضي الله عنه سنة إحدى وعشرين وستماية ودفن في رواقه بجبا[٢] . ومرقده مشهور يزار ويتبرك به وله ذرية بدمشق وحوران معروفون كلهم على حال حسن وسيرة مرضية بارك الله بهم . انتهى كلام الروضة .

ابراهيم باشا بن محمد علي باشا خديوي مصر والقاهرة

غشوم ظالم ، وظلوم غاشم ، خليفة الحجاج في أفعاله ، وناهج منهجه في أقواله وأحواله ، محتو على الفساد ، منطو على الإنكاد ، مجبول على الغلظة والقساوة ، مجعول من الفظاظة معدوم من اللطافة والطلاوة ، ممتلىء منه البذا ، متضلع من الأذى ، لم يخلق الله تعالى في قلبه شيئاً من الرحمة فينتزع ، ولم يودع الله لسانه لفظاً من الخير فيستمع ، سفاك لدماء المسلمين ، نباذ لطاعة أمير المؤمنين ، كان يعتقد أن ذلك ليس أمراً ذميماً ، ولا يهوله قوله تعالى : « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً » . فإن هذا المترجم لما اشتد أزره ، وقوي أمره ، تولى قيادة العساكر المصرية ، وصارت له الإمرة الجندية ، ثم بعد ذلك وجهه والده إلى الأراضي الشامية ، ليضمها إلى الحكومة المصرية ، فلم يزل يسير بعساكره ، متقلداً لسيف طغيانه ومناكره ، حتى حل حي عكة ، وكان الوالي بها عبد الله باشا من طرف الدولة العثمانية

---

(١) هذا سندٌ صوفي لادليل شرعي .

(٢) قرية من قرى دمشق الشام في جهة الجيدور ، تبعد عن الشام مقدار ثماني عشرة ساعة .

فدكها دكا أي دك ، وسبب ذلك أن عبد الله باشا وقعت بينه وبين محمد علي باشا عداوة كلية ، بسبب أنه خابره بتسليمه بلاد الشام فلم يجبه إلى هذه الأمنية ، وكانت وقعة الشام مع سليم باشا آنفة الوقوع ، والأفكار تحكم بأن الجزاء مقطوع به لا ممنوع ، فلما سمع السلطان بعداوة عبد الله باشا مع محمد علي باشا أشفق من اتحاد الشام مع الخديوي المرقوم ، فأرسل للعفو عن الشام أجلّ مرسوم ، ووجه والياً يسمى علي باشا إلى الشام ، لمداركة الأمر بغاية الاهتمام ، فأرسل محمد علي باشا إلى السلطان شكاية على عبد الله باشا تطعن بعظيم شانه لعله يعزله ويجعله في مكانه ، فيصل إلى مطلوبه ، ويحصل من غير ضرر على مرغوبه ، غير أن السلطان لم يجبه إلي مراده ، ولم يوصله إلى ما تأمله في اجتهاده ، فجمع ابراهيم باشا الجموع الكثيرة ، وتغلب على غالب البلاد الشامية الشهيرة التي تحت ولاية عبد الله باشا كغزة والرملة والقدس والخليل ونابلس وبلاد الساحل ، وحصّن قلعة طرابلس وساعده أمير جبل الدروز الأمير بشير ورؤساء جبل نابلس ، لكون عبد الله باشا في العام الماضي حاصر قلعة سينور وهدمها وحصل منه ضرر لأهل نابلس وكان ذلك من أسباب الغلاء الذي وقع في البلاد الشامية ، فأرسل حضرة السلطان إلى والي مصر يأمره برفع عساكره عن عكا ، فامتنع ، فأمر السلطان بجمع العساكر العثمانية وأمر والي حلب بالتوجه إلى مساعدة عبد الله باشا ، واستمر العسكر المصري يضارب عكة بحرب لم يسمع بمثله ، وقد ورد كتاب من والي عكة إلى بعض أعيان دمشق يقول فيه : إن نارهم بالمدافع والقنابر لا تفتر دقيقة واحدة وإنهم يضربون اثنين وعشرين مدفعاً بفتيل واحد ، وإنهم في سادس شوال اقتحموا على عكة ودخلوا من الجهات التي خربوها من السور فخرج إليهم عسكر عكة وضاربوهم بالسيوف ومن فوق السور بالمدافع والقنابر حتى أهلكوا غالب من اقتحم وامتلأ وجه الأرض من قتلاهم فانهزموا خائبين ؛

وبسبب هذه الفتنة تعطلت الأموال الأميرية المعينة على نابلس وطرابلس وتلك الجهات لأجل ركب الحاج الشريف، فورد الأمر السلطاني في خامس عشر شوال بأن لايخرج الحاج في ذلك العام وأمر والي الشام بأن يتوافق مع أهل البلد ويحافظ الشام، وفي ثالث وعشرين من شوال سافرت الصرة وأعيان الحج الموظفون إلى الاستانة، وجاء في هذا الشهر عباس باشا بن محمد علي باشا إلى أرض البقاع العزيز وحصن بعض القلاع هناك ليقطع الطريق على العساكر العثمانية الواردة لقتالهم، وافترق أهل جبل الدروز وتلك النواحي فرقتين فالنصارى منهم تابعوا الأمير بشير المتوافق مع ابراهيم باشا، وخالفهم الدروز وأظهروا الإطاعة للسلطان، وفي ذي القعدة توجه عثمان باشا الذي ولاه السلطان على طرابلس الشام بكل همة وجمع هناك عساكر كثيرة وحاصر طرابلس، فوصل الخبر إلى ابراهيم باشا فتوجه من عكة بجمع من عساكره المحاصرين عكة إلى طرابلس، فلما سمع به عثمان باشا خرج من طرابلس الشام لاقتضاء المقام ذلك، وتفرقت جموعه، ثم بعد أيام توجه ابراهيم باشا إلى حمص فدخلها في حادي وعشرين من ذي القعدة بلا قتال، وكان في حماه جمع من العساكر العثمانية ومعهم ثلاثة من الباشوات القواد، فلما سمعوا بوصول العسكر المصري إلى حمص ساروا إليهم، فخرج ابراهيم باشا من حمص ولحقه بعض العساكر العثمانية خارج حمص عند البحيرة، فرشقهم بالمدافع فرجعوا عند ذلك إلى حمص وأقاموا بها، ولم يعينوا عبد الله باشا، ولم يحصل منهم في هذه المدة سوى تثبيت البلاد، وتوجه ابراهيم باشا إلى بعلبك وجاءه المدد من العساكر والذخائر، وقام بإعانته أهل الجبل من النصارى والدروز وكان قبل ذلك قد قاتل بعض الدروز بعض النصارى، فرجع إليهم ابراهيم باشا وكسر شوكتهم فأطاعوه، وخرج حسين باشا سردار من الاستانة بعساكر عظيمة، وولاه حضرة السلطان على مصر وما يليها، وفي هذه المدة كلها يظهر محمد علي باشا الطاعة للسلطان

ولم يصرح السلطان بخروجه عن الطاعة بل وقع التصريح بخروج ابراهيم باشا وعباس باشا طمعاً في رجوعهما عن هـــذا الأمر ، فلما رأت الحضرة الشاهانية أن محمد علي باشا مصِرٌ على قتال عكة أرسل إلى البلاد يعلن بأن محمد علي باشا معزول من المناصب ، وأمر أهل البلاد بقتاله وورد الأمر إلى دمشق في نصف ذي الحجة بذلك وبتحصين البلد ، فحينئذ اشتد حصار ابراهيم باشا لعكة لعلمه بقرب مجيء حسين باشا ، فلما كانت ليلة الاثنين السابع والعشرين من ذي الحجة الحرام اقتحم العسكر على عكة ودخلوا إلى الأبراج على السلالم واستولوا عليها ، وقبض على عبد الله باشا ووقع من القتل والنهب والسلب ما لا يحمد ولا يحصر ، ولا يقال ولا يذكر ، وذكر بعضهم أن جملة من قتل من عسكر ابراهيم باشا اثنا عشر ألفا ومن عساكر عكة نحو خمسة آلاف ، وكان ابتداء حصاره لها في سابع وعشرين من جمادى الثانية فكانت مدة الحصار ستة أشهر ، ثم أرسل ابراهيم باشا عبدالله باشامن جهة البحر إلى الإسكندرية فلما علم محمد علي باشا بوصوله أرسل إليه يؤمنه ثم أرسل إليه أنواع الإكرام ، وأحسن له المعاملة والانعام ، ووصله بالهدايا السنية ، وأنزله منزلة علية ، ثم وجهه إلى الاستانة المحمية ، فعقب وصوله وجهت عليه الدولة رئاسة الحرم الشريف في المدينة المحمدية ، وكان عالماً مطيعاً صالحاً محباً لذوي العبادة والصلاح ، وفي ثالث محرم الحرام سنة ألف ومايتين وثمان وأربعين أرسل ابراهيم باشا إلى دمشق يطلب منهم أن يمكنوه من الدخول إليها فلم يرسلوا إليه جواباً ، ثم طلب ثانياً فأرسلوا إليه أنا لا نمكنك من الدخول أصلاً ، وفي ثامن المحرم جاء الخبر أن عسكره وصل إلى جسر بنات يعقوب فاستعـــد أهل دمشق لقتاله ، واجتمع رؤساؤهم وتعاقدوا وتحالفوا على أنهم يد واحدة بعد ما كان بعضهم يميل إلى إبراهيم باشا خوفاً من انتقام الدولة من الشام بسبب قضية سليم باشا الآتية في ترجمته في حرف السين ؛ وحصل لأهل البلد والقرى

انزعاج شديد ، وشرع أهل القرى والأطراف في نقل الأمتعة لداخل السور ، وكتب وزير الشام إلى الباشوات الذين في حمص ومعهم وزير حلب أن يعينوا أهل الشام بعساكر من عندهم ، وأرسل ابراهيم باشا إلى بعض أعيان دمشق كتاباً مؤرخاً في تاسع المحرم يهددهم فيه ، وفي آخره أن بلاد عربستان قد ملكناها بسيفنا ولا يأخذها أحد منا ما دمنا في قيد الحياة . وفي رابع عشر المحرم وصل بعض جيوشه إلى قريب من قرية داريا قرية من قرى الشام بينهما نحو ثلاثة أميال ، فخرج إلى لقائهم خلق كثير من أهل دمشق فقاتلوهم قتالاً يسيراً ، ولم يقصد كل من رؤساء الفريقين اضرار الآخر ، وقتل من كل فريق رجل أو رجلان ، ثم رجع أهل الشام مظهرين الانكسار ، ولم يبق من أهل الشام رجل خارج البلد ، وبات أهل البلد تلك الليلة في كرب شديد وكل أهل محلة يحفظون محلتهم ، وفي ليلة الخميس خامس عشر المحرم نصف الليل هرب علي باشا وزير الشام وعسكره والقاضي والمفتي المرادي والنقيب العجلاني ومحمد جوربجي الداراني ، وجميع أبناء الترك الموظفين ، وغالب وجوه الشام ،وأصبحت البلدة نهار الخميس خالية من رؤسائها وأعيانها ولم يبق أحد ممن يعتمد عليه ، فأرسل ابراهيم باشا إلى أحمد بيك الدالاتي ربيب يوسف باشا الكنج فأقام متسلماً في البلد ، وأمر منادياً ينادي بالأمان ، وفي ضحوة النهار دخل العسكر إلى السرايا والمرجة ، ثم دخل ابراهيم باشا قبيل الظهر وطلب أن يتسلم القلعة من رئيسها علي آغا ءرمان فأجابه بالامتثال وفتح الباب ، فأدخل ذخيرته إليها وعسكره وقت العصر ، وجاءه في ذلك النهار أمراء الدروز ومعهم خلق كثير من نصارى ودروز ، وقد لطف المولى سبحانه وتعالى كما هي عادته برفع القتال وبالإذعان والتسليم من دون ضرب ولا طعن ولا سفك دماء ، ثم كتب إلى الهاربين أن يرجعوا إلى أوطانهم ، فالذين ذهبوا إلى حمص وهم الباشا والقاضي والداراني ورؤساء المغاربة والأكراد أبوا الرجوع واستقاموا مع بشاوات العساكر السلطانية ،

وأما الذين ذهبوا إلى القريتين وهم المفتي والنقيب ورشيد آغا وكيلا راميني فإنهم رجعوا إلى دمشق ، ثم عزم ابراهيم باشا على قتال الذين في حمص فشرع في جمع الذخائر والعساكر ، وورد إليه من مصر عسكر كثير من النظام والأعراب وغيرهم ، واجتمع عند عباس باشا أيضاً في بعلبك جموع كثيرة ، ثم خرج ابراهيم باشا من دمشق في ثالث صفر وأخرج معه رؤساء المحلات كالرهينة ، وأقام مقامه أحمد بك الدالاتي ونصب القلالق في المحلات ، ثم جاء الخبر يوم الثلاثاء في ثاني عشر صفر أنه حصل بينه وبين العسكر السلطاني في حمص قتال نهار السبت تاسع صفر ، وأنه قتل منهم نحو خمسة آلاف وأسر نحو أربعة آلاف وفر باقي العسكر والباشوات وكانوا نحو ثلاثين ألفاً ، وأخذ مدافعهم وذخائرهم وخيامهم وسائر موجوداتهم ، وكان في قلعة حمص جماعة منهم فطلبوا منه الأمان فأمنهم وأنزلهم من القلعة وتسلمها منهم ، وبعث إلى متسلم الشام بأن يعلن بالنصر فأمر أهلها بالزينة ثلاثة أيام ثم توجه نهار الثلاثاء ثاني عشر صفر إلى جهة حماه وهرب متسلمها ، فأقام فيها متسلماً رشيد آغا الشمّلي ثم بلغه الخبر أن حسين باشا سردار وصل إلى حلب وأن الباشوات الهاربين من حمص ذهبوا إلى حلب أيضاً مع عساكرهم ، فلحقهم ابراهيم باشا ونزل قبيل حلب بنحو أربع ساعات ، فطلب حسين باشا من أهل حلب أن يخرجوا معه لقتال ابراهيم باشا فقالوا له نحن لا نقاتل معك ولا معه بل نحن رعية لمن غلب فإنا نخاف على أنفسنا وعيالنا ، فخرج حسين باشا من حلب هارباً هو وبقية العساكر والباشوات وترك بعض العسكر الذي جاء به وذخائره ، فخرج أعيان حلب إلى ابراهيم باشا يستقبلونه وينالون أمانه ، فدخلها ليلة الثلاثاء تاسع عشر صفر بلا قتال أصلاً ، ثم خرج منها يوم الأربعاء السابع والعشرين من صفر إلى أنطاكية وعينتاب واللاذقية ، وورد الخبر نهار السبت سابع ربيع الأول أنه استولى على حصن اسكندرونة وعلى حصن بانياس وبيلان ، وكان فيه حسين باشا وحصلت مقتلة عظيمة ، ثم

هرب حسين باشا ومن معه من الوزراء والعساكر الكثيرة ، وقد شاع أنها مائة وخمسون ألفاً ، وترك جميع مهماته ومدافعه وذخائره ، ثم سار ابراهيم باشا بعد ذلك إلى ادنه وقد دخلها من غير قتال في غرة ربيع الثاني وأقام بها شهراً ، ثم حاصر (بوكله) ومن فيها من العساكر السلطانية ودخلها في غرة جمادى الأولى بعد قتال رشيد باشا ، وفي آخر جمادى الثانية قدم إلى دمشق رشيد بك أميراً عليها من قبل محمد علي باشا ،وفوض إليه النظر في أمر بلاد الساحل والقدس وغزة والشام وحلب ، ثم جاء الخبر في خامس رجب أن ابراهيم باشا دخل إلى قونية وكان فيها أربعة عشر وزيراً ، فلما سمعوا بوصوله هربوا ودخلها بلا حرب ولا قتال ، وجاء الأمر إلى دمشق بالزينة وضرب المدافع ثلاثة أيام في كل يوم ستين مدفعاً ، ثم جاء الخبر في آخر شعبان أن الوزير الأعظم جاء إلى قريب من قونية ، فخرج إليه ابراهيم باشا وأسره وفرق جمعه وأسر من عساكره نحو سبعة آلاف ، وأرسل إلى مركز سورية دمشق الشام بعمل الزينة ثلاثة أيام ليلاً ونهاراً مع ضرب المدافع وإظهار دواعي السرور والحبور ، وقد نظم أمين أفندي الجندي الشاعر هذه القصيدة مادحاً ابراهيم باشا ومتعرضاً بها لهذه الوقائع التي تقدم ذكرها ، وكان بنظمها كما قيل : مكره أخاك لا بطل .

نحن الأسود الكاسره   نحن السيوف الباتره
من أرض مصر القاهره   سرنا وقد نلنا المنا
بارودنا شراره   تشوي الوجوه ناره
وعزمنا بتاره   من العدا أمكننا
نحن بنو الحرب فلا   نخشى غبارا إن علا
ولم نضق عند البلا   صدراً إذا الموت دنا
بالروح جدنا كي نقيل   لمصرنا الفخر الجميل
ونبتغي الفضل الجزيل   فهلا يعز الوطنا

عاداتنا أخذ الرجال   بالبيض والسمر العوال
ونارنا بالاشتعـــال   لهيبها يبدي السنا
جهادنا لا ينكر   في كل قطر يذكر
وسيفنا إذ يشهر   للنصر يبدي معلنا
اما العلا تقديمهـــا   مستوجباً تعظيمهـــا
الشاه ابراهيمهـــا   أدامـه المولى لنـا
أبو خليل في الحروب   لا زال كشاف الكروب
وحينَ يدعى للركوب   بالبيض يغزو والقنا
لمـــا غزونا عكة   بالطوب دكت دكنا
وللأعـــادي بكتا   هجومنـــا واخذنا
صبحاً علونا سورها   وقـد هدمنا دورها
أما ترى قصورها   قد حلها هدم البنا
فزنا بفتح الطائلي   للقـــدس والسواحل
والشام ياذا الـكاملي   والله قـــد أعزنا
ويوم حمص لو ترى   على العداة ما جرى
وقد علا فوق الثرى   صرعى يقاسون الضنا
هناك أضحوا هالكين   وفي دماهم غارقين
وانحل عقـد الظالين   وحل للباغي العنـــا
ولحماة مع حلب   سرنا وجدينا الطلب
ولم نجد من هرب   إلا طريحاً بالضنا
وعند بيلان سمت   وقائـــع قد عظمت
وللبغـــاز اقتحمت   فرسانـنـــا وأسدنا
لما بهم غنى الحمـــام   خلوا المهمات الجسام
وكل ماتحوي الخيام   غنيمة أضحت لنـــا

في جفن حاز قد سما ... حر الوغى محتكما
وجيشهم قد هزما ... بالويل يشكو الوهنا
أمام قونه قد بدا ... حرب مبيد للعدا
وحل بالضد الردى ... لما استخفوا بطشنا
وقد أطلنا قهرهم ... لما أمرنا صدرهم
ومذ ولينا أمرهم ... بالذل مالوا نحونا
هذا وهذا كله ... عزيز مصر أصله
وليس يخفى فضله ... دوماً على أهل الثنا
فنسأل الله المعين ... بحرمة الهادي الأمين
يديمه للمسلمين ... مولى مغيثاً محسناً

ولما قرئت هذه المنظومة المزدوجة على ابراهيم باشا وأنشدت بين يديه أمر للشيخ أمين ناظمها بمائة دينار ، فدفعت له في الحال ، ثم ان ابراهيم باشا أراد أن يتجاوز حدوده ، وأن يبلغ مراده ومقصوده ، وذلك أنه في خامس شعبان صدر الأمر من والي الشام شريف بك بجمع أعيان البلدة وعلمائها ورؤسائها ، وغب اجتماعهم أخرج كتابة من محمد علي باشا مضمونها أن السلطان محمود خرج عن طور أسلافه وأنه زاد في الظلم والبغي وأنه أمر بتغيير زي الناس وملبوسهم ومساواة النصارى مع المسلمين في الزي ، وأن سبب ذلك سوء رأيه ولذلك تغلب عليه أعداؤه من الفرنج حتى ملكوا معظم بلاد الإسلام ، وأنه لم يبق له عند الملوك احترام ولا اعتبار ولا عند رعيته ، وأنه بسبب ذلك صارت المصلحة في عزله من السلطنة وتولية ابنه محله لأجل نظام الملك وإقامة أحكام الشريعة ، لأنه لو بقي في السلطنة يزيد الضرر على المسلمين ، وطلب إخراج فتوى بجواز ذلك وأن يكتب عليها المفتي وعلماء البلدة من جميع المذاهب ، فكتبوا له ما أراد ، وسايروا هذا الباغي الذي لربوع الطغيان شاد .

إذا لم تكن إلا الأسنة مركباً   فما حيلة المضطر إلا ركوبها

وأفتوه بأنه يجوز خلع الإمام ، إذا جار ونهج منهج اللئام ، ولزم من ابقاءه ضرر ، ولم يلزم من خلعه فتنة هي أكبر وأضر ، وأدهى وأمر ، وادعى كذلك هذا الباغي على حضرة المرحوم السلطان محمود ، ان الذي وقع من عماله في أيامه لم يسمع بمثله من اختلال نظام البلاد ، وأحوال العباد ، حتى خربت بلاد الروم والأناضول من أخذ رجالهم للحرب وسلب أموالهم واستيلاء الإفرنج عليهم ، وكذا غيرها من البلاد ، وما وضع من الأعشار والمكوس والمصادرات وزوال الأمن عن أهل المدن في بيوتهم فضلاً عن البراري ، فاستولت الأعراب على القرى وعلى الأغلال وارتفعت الأسعار وانتهبت القوافل ، وفي غرة رمضان أمر والي الشام وهو شريف بك بجمع المفتي والنقيب وغيرهما ، فاجتمعوا عنده ليلة شهر رمضان ، فقال : إن أفندينا محمد علي باشا كتب إلى البلاد من شهرين بأن من أراد الحج فليقدم إلى الشام ، فما حضر إلا نادر من الأفراد فلذلك لم يخرج الحاج . ثم ان ابراهيم باشا لما ازداد في سموه وزاد في عتوه منعته الأجانب ، وتعصبت الإنكليز إلى الدولة في الظاهر لتوطيد أركانها ، وفي الباطن خشية من انتشار قوة إسلامية شابة ذات سلطة ومركزها مصر ، فتخشى أن تمتد من هناك إلى الهند الذي هو روح قوة الإنكليز لاسيما إذا عاضدته إحدى الدول الأوروباوية مثل فرانسا ، فلذلك حاربته مع الدولة العثمانية التي هي إذ ذاك على تعب شديـــد من حرب الروسيا والثورات الداخلية واستقلال اليونان وغير ذلك فقهروا محمد علي باشا ، ولكن لإتمام مقاصد الإنكليز لم تسمح للدولة بالاستيلاء التام على مصر لمراعاة المقاصد المشار إليها أيضاً ، فكان الأوفق لها إبقاء مصر على شبه استقلال ليضعف كل من الجهتين ، وبقي محمد علي باشا والياً على مصر على شروط معلومة في ترجمته ، وجاء خبر الصلح على ذلك إلى الشام تاسع عشر ذي الحجة سنة ثمان وأربعين ومايتين وألف ،

وكان قد تمكن ابراهيم باشا من البلاد الشامية وقهر الناس واستباح الحرام، وفعل جميع الموبقات والآثام، فلم يبق شي من القبائح في زمنه إلا وقد فعل بدون إنكار ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وكان قد وضع بعد إحصاء أهل المدن والقرى في دفتر على كل فرد من البالغين منهم مالاً أقله خمسة عشر قرشاً وأكثره خمسماية قرش، تؤخذ منه في كل سنة، كما وضع ذلك من قبل على أهل مصر واستولى العسكر على أكثر المساجد والمدارس والتكايا، ومنعوا المصلين من دخولها وجعلوها لسكناهم ولدوابهم، وذلك سنة تسع وأربعين، فكان ذلك سبباً لضياع أوقافها وخرابها، وقدم العيسوية على المحمدية، وأذل أهل الشرف والعلم وذوي الاحترام، وأعز الأسافل والطغاة على الإسلام، ثم بعد رجوعه من البلاد الرومية، لا زال يدور في البلاد الشامية، حتى وصل في أواخر سنة تسع وأربعين إلى القدس الشريف في أيام الموسم، فوقعت هناك فتنة بين العيسوية تلف منها خلق كثير، وفي سنة ألف ومايتين وخمسين اشتغل بإدخال من وقع في أيديهم من الناس في العسكرية، فهرب الناس وتشتت أمرهم وكثر البكاء والنحيب وتوقفت الأشغال والمصالح، وطلب من جبل نابلس إجراء ذلك عليهم، فخرجوا عن الطاعة وحصروا ابراهيم باشا في القدس، واجتمع منهم خلق كثير ولا زالوا محاصرين له نحو شهرين، وكان رئيسهم الشيخ قاسم الأحمد، فلما ضاق به الحصار وأيقن بالهلاك والدمار أرسل إلى قاسم الأحمد كتابة تلطيف مصحوبة بمال جسيم، ووعده بالالتفات والتقديم، وأنه لا يأخذ منهم عسكراً ولا مالاً، وأنه يوسعهم نعمة ونوالاً، فرضي قاسم الأحمد لقلة عقله وسوء رأيه وجهله، وفك عقدة الحصار والضيق، وتفرق الناس متمسكين بما جرى من العهود والمواثيق، فخرج ابراهيم باشا حتى وصل إلى يافا فوجد العساكر قد وصلت لنجدته، وتخليصه من نكبته، فنكص على عقبه في الحال، واشتغل بالقتل والنهب والحرق وسلب الأموال، فهرب

قاسم الأحمد إلى الخليل ، فلحقه ابراهيم باشا بعساكره واشتغل بالنهب والسلب والقتل حتى لم يبق منهم إلا القليل ، ثم دار على الساحل ، ففعل بأهله هذه الرذائل ، ولم يزل يتتبع آثار قاسم الأحمد حتى قبض عليه ، وقتله بدمشق هو والبرقاوي ونكث العهد الذي عهد به إليه ، وأمر بجمع السلاح من سائر البلدان ، التي تحت أمر هذا الشيطان ، ولم يزل في ظلم وعناد ، وقبح وفساد ، وسفك وسلب ، وقتل وضرب ، إلى أن دخلت سنة ثلاث وخمسين هجرية ، فطلب من جبل الدروز الشرقي مائة وثمانين نفراً للعسكرية ، فحضر مشايخ الدروز وطلبوا استبدال ذلك بالمال ، فلم يرض إلا بإحضار الرجال ، فأجابوه بأنهم يبادرون إلى الإحضار ، من غير تأخير ولا اعتذار ، وقصدهم التخلص من هذا الظالم ؛ والعاتي الغاشم ، فلما وصلوا إلى الأوطان ، أزمعوا على عدم الطاعة والإذعان ، وغب وصول الخبر ، توجهت إليهم العساكر كالجراد إذا انتشر ، وكان أمير الجيوش علي آغا البصيلي وهو كبير طائفة الهوارة والصعايدة ومعه عبد القادر آغا أبو جيب من أهل الشام من ميدان الحصى ، فعقدوا هناك مع كبراء الدروز مجلساً للمشاورة في هذا الأمر ، فامتنع الدروز من دفع الأنفار ، وقالوا ندفع من المال ما يزيد عن البدلات ، فقال البصيلي اني أرسل مراسلة أستشير بها أفندينا وعلى ذلك قر القرار ، ففي تلك الليلة كبست الدروز العساكر ، وأذاقتهم كؤوس المنية حتى لم يبق منهم إلا النادر ، ومن جملة من قتل عبد القادر آغا أبو جيب ، وكان المتسلم في جبل حوران والدروز ، وآلت جميع أمتعة العساكر وآلات حروبها إلى الدروز ، ولم يسلم من القتل سوى علي آغا البصيلي ومعه خمسة عشر نفراً ، فوصل الخبر إلى ابراهيم باشا فصعب عليه الأمر ، وصار بصره يتوقد كالجمر ، وابتدر بجمع العساكر ، واستعد فوق العادة من المهمات والذخائر ، ووجههم للقتال ، وأوصاهم بالاستئصال ، فحين علم الدروز جمعوا جميع متاعهم ودخلوا اللجاه ، ولا ريب أنه محل

الأمن والنجاة ، لأنها حصن حصين ، وملجأ رصين ، فعب وصول المعسكر قامت الحرب على ساق ، وكان الفناء على العساكر الإبراهيمية قد ركب جواده وساق ، وأول من قتل من رؤساء العساكر العظام ، محمد باشا القائد العام ، وتبعه يعقوب بك فقتلا أقبح قتلة ، وامتد القتل إلى البقية من غير مهلة ، فكانت الدروز على هذا الباغي سيف الانتقام والهوان ، وبعد مدة تحرك للعصيان جبل الدروز الغربي تحت رئاسة الشيخ شبلي العريان ، ولم تزل بعد ذلك يد الصغار تستطيل عليه ، وتتوجه جيوش التأخير إليه ، وفي سنة خمس وخمسين توفى السلطان محمود ، وتولى إمارة المؤمنين السلطان عبد المجيد خان ، لا زالت دولتهم محفوظة إلى آخر الدوران ، وفي تاريخه أمر ابراهيم باشا بأمر والده بقتل علي آغا بن محمد آغا خزنه كاتبي ، وبعد مدة أمر السلطان عبد المجيد خان بخروج ابراهيم باشا بعساكره من الأرض الشامية ، إلى الأقطار المصرية ، فأجاب الأمر بالسمع والطاعة ، وجمع عساكره وذخائره ومتاعه ، وفرق ذلك بالشام ، على المساجد والجوامع وبيوت الأرامل والأيتام ، ثم بعد شهرين من مجيء الأمر بخروجه خرج من باب الله بعساكره ونزل بسهل القدم ، بعد أن جعل الشام وأهلها من كل نعمة في عدم ، وذلك في اليوم السادس من ذي القعدة الحرام ، سنة ست وخمسين ومايتين وألف من هجرة سيد الأنام ، وكان يوم خروجه يوماً شديد الثلج والبرد ، والهواء والشرد ، وكان يحث عساكره على العجلة والسرعة ، ومن تأخر ولو لتعب كان قبره موضعه ، وأخذ معه جميع الحبوب والمواشي ، من غير خوف ولا تحاشي ، ولما وصل مصر امتدحه مهنئاً له الشاعر الأديب ، والماهر الأريب ، محمد شهاب الدين صاحب الديوان بقوله ، وإن كان مدحه في غير محله :

سمهري يثني أم غصن بان ... أم قوام دونه صبري بان

صال بالعسال مغسول اللما ... وتهادى هادماً ما أنا بان

يا مليك الحسن رفقاً بشج كلما حاول كتم الشجو بان
مرج البحرين فيضاً دمعه إذ رأى جفنيه لا يلتقيان
جاء لما جار سلطان الهوى طالباً من عادل القد الأمان
رُبّ ساق وهو قاس قلبه عطفه منذ أدار الكأس لان
أهيف إن ماس تيهاً ورنا رحت منه بين سيف وسنان
كسر القلب وما كان التقى فيه من حين هواه ساكنان
يا له ثاني عطف قد غدا واحداً في الحسن فرداً دون ثان
من رآه وهو يسعى بالطلا قال ما أسعد ذياك القران
هو بدر أشرقت أنواره وضياء البدر يبدو حيث كان
وهو شمس بسناها احتجبت لكليم الطرف قالت لن تران
فاسقنيها أيها الساقي على عارض الآس وثغر الاقحوان
في رياض رقصت أغصانها حيت غنتها من الطير قيان
حدق النرجس فيها عينه إذ رأى المنثور يومي بالبنان
إن بكى الطل على أفنانها بسم الزهر وعن در ابان
بينما الراووق يهمي دمعه في رباها قهقهت منه القنان
لمدير الكاس في أدواحها لم تلح شمس سوى شمس الدنان
يا نديمي قم وبادرها وطب هذه الجنة والحور الحسان
وأدر لي بنت كرم عتقت نورها الباهر يحكي البهرمان
زوجت بالماء بكراً فأتت إذ علاها بذراري من جمان
بالنهى قد فعلت كاساتها فعل ابراهيم سلطان الزمان
أسد الهيجاء ضرغام الوغى قاصم الأعداء من قاص ودان
فهو كالشمس سمت آفاقها وسناها كان في كل مكان
فرع أصل قد تسامى في العلا وعلا شأناً على رغم لشان
سره أن كان صرّ عسكره ورمى القرن فنادى يا رمان

سطوات بأسها حامي الحمى ... واكف كم بها كف افتتان
كم له في السلم من مرحمة ... وكأين من حنو وحنان
يمم اليم ورد ما تشتهي ... وعلى المورد يأصاح الضمان
لم يكن في كل بحر لؤلؤ ... انما اللؤلؤ في بحر عمان
حلمه الروض جناه يجتنى ... ويوجّي العفو فيه كل جان
همم فوق السموات سمت ... ومعال دونهن الصعب هان
وحلى جلت وجلت غاية ... أيجارى من له سبق الرهان
ياعزيزا لايضاهى ابداً ... عزه يكسو العدا ثوب الهوان
كم حروب كشفت عن ساقها ... خاضها طرفك مطواع العنان
بجيوش شمرت عن ساعد ... ماله يوم نزال من توان
هاك مني بنت فكر تنجلي ... في حلي من بديع وبيان
قد اعيذت بشهاب ثاقب ... صانها عن كل شيطان وجان
وبدت من خدرها قائلة ... ان وصلي للحبيب الآن آن
وبودي لو الاقي حظوة ... منه تكسوني جلابيب امتنان
فَدُنُوّي منه غايات المنى ... وقبولي منتهى كل الأمان

وكانت وفاة المترجم المرقوم ختام ذي الحجة الحرام سنة اربع وستين ومائتين والف من هجرة سيد الأنام ، وكان ذلك في حياة والده لأن والده توفي أول ليلة من شهر رمضان المبارك سنة خمس وستين ومائتين والف ، ودفن في جامعه الذي أنشأه في قلعة الجبل .

الشيخ ابراهيم ابن الشيخ عبد الله الحنبلي الدمشقي

كان عالماً بارعاً ، وزاهداً عابداً ورعاً ، فقيهاً في مذهب سيدنا الإمام أحمد بن حنبل ، ولا ريب أنه ذو مقام كامل اكمل ولم اطلع له على

شيء من الشعر ، ولا من السجع والنثر ، توفي رحمه الله سنة اثنتين وستين ومائتين والف ودفن في مقبرة العارف بالله الشيخ رسلان ، قدس الله سره وجعل الفردوس مقره .

الشيخ ابراهيم الزهيري الشافعي المصري

مفرد لأشتات العلوم جامع ، وأديب ضوء أدبه لامع ، تقنع بقناع الزهد والكفاف ، وارتدى برداء الصون والعفاف ، قد نبذ الدنيا وراء ظهره ، ورضي منها بكفايته من غير زيادة مدى عمره ، توفي رضي الله عنه سنة اربعين ومائتين والف من الهجرة ، ودفن في مقبرة باب الصغير رحمة الله عليه .

الشيخ ابراهيم السقا الشافعي المصري الازهري

العالم العامل ، والعلامة الفاضل ، خاتمة الفقهاء الشافعية بالديارين الشامية والمصرية ، فلا غرو أنه الشيخ الإمام ، والأوحد الهمام ، له همة في العلوم عالية ، وكمالات سنية سامية ، وطلاقة وجه وضي ، وطلاوة خلق رضي ، وسجايا تزدري بالرياض النواضر ، ومزايا تحار فيها الأعين النواظر قد تأهل لمشيخة الإسلام في الأزهر بشهادة العلماء الأعلام ، غير أن الحظ بعد موت العلامة الباجوري قدم غيره عليه ، وجعل أمر مشيخة الأزهر إلى غيره لا إليه ، وله مؤلفات عديدة (١) ، وتقريرات مفيدة ، وكان خطيب الجامع الأزهر ، والمكان الأنور ، وله ديوان بديع يخطب

---

(١) منها « غاية الأمنية في الخطب المنبرية ـ ط » و « حاشية على شرح البيجوري لعقيدة السباعي ـ خ » في مجلدين ، ورسالة في مناسك الحج « وحاشية على تفسير أبي السعود » ، لم يتمها ، و « التحفة السنية في العقائد السنية ـ خ » الأعلام (ج ١ / ٤٨) .

فيه من إنشائه ، يعرب عن فضله ورفعة قدره بين أمثاله وقرنائه ، قد اجتمعت به في الأزهر سنة ثمانين ومائتين والف فدعا لي وأجازني بما تجوز له روايته عن مشـايخه ، غير اني لم أجتمع به مرة ثانية ، لأنه كان منحرف المزاج ، ومشتغلًا في أغلب الأوقات بأخذ العلاج ، وكان الأزهر الشريف فارغاً من الناس فلذلك كان خروجه إلى الجامع قليلًا ، لأن الطلبة وأكثر العلماء كانوا في مولد السيد البدوي والدروس في الأزهر مرفوعة ، وكان الناس يومئذ في كرب شديد وهم عظيم ، بسبب وقوع الريح الأصفر عندهم ، ومما كتبه المترجم المرقوم إلى السيد عبد الهادي بن السيد رضوان نجا الأبياري من مصر حينما كان المومى اليه مسافراً منها ، وغائباً عنها فقال :

لقد كمل الرحمن وصفك بالعـلا وما شين شيء من كمالك بالنقص
ومن جمع الآفاق في العين قادر على جمع أشتات الفضائل في شخص

حلت منّا أحرف المحبة محل الزلال من الصادي ، وفوضنا الأمر في تمتعنا قريباً بعودة العبد الجليل لربه الهادي ، وقد اتحفنا من حضرة أمير الكلام بدر منثور ، وأشرقت منه المودة في ليالي السطور ، فسبحـان من أودعك سرّاً أنت به العلم المفـرد بين الملا ، تحدث بأعذب منطق « ماودعك ربك وما قلى » :

ويشهد الله وحسبي به اني إلى مجدك مشتـاق

فلله مزاياك التي لاتبعث إلا على مزيد الاشتياق، ومكارمك التي قضت لك بالتفوق على الأقران بالاتفاق ، ولقد شق علينا بُعْدُك مشقة كبرى ، وحرماننا من أنسك الذي يقوم مقام الراح للأرواح سكراً ، وإني لأعجب بمن جهل عظيم قدرك فعاداك ، ونقل عنك مـالم تتفوه به قط فاك ، فإنه حسد ومثلك من يحسد ، والحسد لاتهمد ناره ولا تخمد ، انما أعجب من

كونه ظلم نفسه وانطوى على البغي الشنيع ، وانه لايرقب في مؤمن إلّاً ولا ذمة وان الله لسميع ، تحلّى وتروّج بالكذب والتمويه ، وتخلى عن كل مافيه على كرم النفس دلالة وتنويه ، ولكن على جنابك حسن التفويض والتسليم لأمر مولاك ، فلا بد ان شاء الله أن يريك بسرعة العود لمصر ماتقر به عيناك ، وبالصبر تجتني ثمرات الآمال ، والله تعالى يحسن لنا ولكم الحال والمال ، آمين .

وله رحمه الله كتابات بديعة وانشاآت رفيعة ، ورسائل لاتبارى وعوارف في ميدان البلاغة والفصاحة لاتجارى ، توفي رضي الله عنه سنة الف ومائتين وثمان وتسعين .

الشيخ ابراهيم بن الشيخ محمد درويش الشهير بالخلاصي الحلبي الأصل

الدمشقي المنشأ والموطن الحاذق الطبيب ، والحكيم النجيب ، قد انتهت اليه رئاسة الطب في عصره ، وكان الخاص والعام معترفاً بعلومه وقدره ، ينتهي أمر المشكلات في الطب اليه ، ولا يعول في زمنه إلاّ عليه ، وقد انفرد بمعرفة الداء من النبض والقارورة ، وللناس عنه حكايات تدل على كماله معروفة مشهورة ، وله مشاركة في بعض العلوم ، وشعر في سلك اللطافة منظوم ، وكان بمجرد القبض على النبض ، ورؤية القارورة يعرف حقيقة الداء ، ويعالجه بأحسن الدواء ، فلا ريب أنه جالينوس الزمان ، وبطليموس الوقت والأوان ، توفي اليوم السادس من شهر شوال سنة خمس وخمسين ومائتين والف ودفن في مقبرة باب الصغير بالقرب من مقام السيدة سكينة .

الشيخ ابراهيم ابو اسحق برهان الدين الدمشقي

القطب الشهير ، والفرد الذي أطبق على ولايته الجم الغفير ، صاحب الكشف والكرامات ، والاخبارات عن المغيبات ، كان بركة الديار

الشامية ، ومقصد الدعـاء في المدينة الدمشقية ، وكرامـــاته ظاهرة ، وواقعاته باهرة ، وكان عفيفاً زاهداً ، وصالحاً عابداً ، ذا تقوى واقبال على مولاه ، واعتماد عليه في سره ونجواه ، ولد رضي الله عنه سنة ... ومات رحمه الله بعد سنة المائتين والألف ودفن بالمغارة المعروفة بمغـارة الشيخ ابراهيم في سفح جبل قاسيون في صـالحية دمشق ، يزار ويتبرك به ، والمشهور أن الدعاء عند قبره مستجاب ، ولأهل دمشق اعتقاد بزيارته [١] ومحله بغاية الحسن والنزاهة لأنه مطل على سائر دمشق ونواحيها .

الشيخ ابراهيم بن محمد الزمزمي

المكي المولد والدار ، العلي المنصب والمقدار ، علامة الزمـــان ، وفهامة الوقت والأوان ، تصدى في أم القرى للافتاء والتدريس ، وكان يقري ويفيد ، ويخفض جنـاحه للمستفيد ، ويبذل كل علم نفيس ، ويتكلم في سائر العلوم ، ويجيد في بيان المنطوق والمفهوم ،

صفاته في العلوم إن ذكرت ... يغار منها النسيب والغزل

تعرف من عينيه حقائقها ... كأنه بالعلوم مكتحل

فائدة لاذهاب الصداع

ومن فوائده التي أفاد بها سنة ثلاث وعشرين ومائتين والف أن من حصل له صداع فقال ويده على رأسه لا إله إلا الله مائة وخمساً وستين مرة زال عنه الصداع [١] والحكمة في ذلك أن هذا العدد موافق لعدد الصداع وعدد لا إله إلا الله ، فاحرص عليها فانها من عزيز الفوائد والمجربات العوائد ، ومن قال بعد العطـاس وبعد أن يحمد الله اللهم ارزقني مـالاً يكفيني ، وبيتاً طيباً واسعـــاً يؤويني ، واحفظ علي ديني ، واكفني شر مايؤذيني ، أعطاه الله ذلك بمحض فضله ومنه وكرمه . ولهذا المترجم شمائل

---

(١) كم للعقيدة من تأثير على المعتقد وغيره .

تدل على علو مقامه ، وسمو فضله واحترامه ، ولم أقف على تاريخ وفاته رحمه الله تعالى .

الشيخ ابراهيم بن احمد الزمزمي

الإمام العالم الفاضل ، والهمام الكامل العامل ، نادرة الزمـــان ، ونخبة الوقت والأوان ، وهو من أهل بيتٍ لهم فضل ومقام ، ورفعة بين ذوي الفضائل واحترام ، وإنه من العلماء الذين علمهم لاينكر ، وفضلهم في الأنام على الدوام يذكر ، وله مؤلفـــات كثيرة ، وأشعـار غزيرة ، إلا أنه لم يتيسر لي الوقوع على شيء منها مع أنني أكثرت من السؤال عنها ، وكان له ميل إلى العمل بالدليل ولا يعول نحو التقليد ولا يميل ، نظم متن الدرر البهية للبدر اليماني العلامة الشوكاني ، في فقه الحديث . توفي رحمه الله بمدينة أبي عريش سنة الف ومائتين وثلاث وستين .

الشيخ ابراهيم بن محمد بن الامير الصنعاني اليمني ثم المكي

عالم الحجـــاز ، في الحقيقة والمجاز ، فاضل عصره وزمـــانه ، وفريد أهل مصره في أوانه ، ذو العلوم البديعة ، والمعارف الرفيعـة ، والزهـادة الحقية ، والعبادة النقية ، المتحلي بالفضـائل ، والمتخلي عن أنواع الرذائل ، ولد سنة الف ومائة وأربعين تقريباً ونشـأ في العلم والصلاح ، والتقوى والفلاح ، واستفاد وأفاد ، ونال من القبول أتم مراد . (١) مات رضي الله عنه سنة ثلاث عشرة ومائتين والف ودفن في مقبرة المَعْلى .

---

(١) من تآليفه : « مفاتيح الرضوان في تفسير القرآن بالقرآن » و « فتح المتعال ، الفارق بين أهل الهدى والضلال » و « مجموع » ذكر فيه مؤلفات والده وشيوخه وتلاميذه ، وتراجم بعض معاصريه . كما في : « نيل الوطر ، والبدر الطالع ».

الشيخ ابراهيم بن اسماعيل بن الاستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي الحنفي

هو عالم زمانه ، وجهبذ أوانه ، ولد سنة الف ومائة وثمان وثلاثين في شهر رجب ونشأ في حجر والده ، وكان شهماً صالحاً ، وإماماً في العلوم راجحاً ، ورعاً زاهداً ، ومتقشفاً عابداً ، توفي في شعبان سنة الف ومائتين واثنتين وعشرين ودفن في مقبرة أسلافه .

ابراهيم بن الشيخ محمد الدمشقي العمادي

من الأعيان الأفاضل ، وذوي الشأن والفضائل ، تولى إمامة محراب الحنفية ، مع الخطابة في جامع بني أمية ، وكان فاضلاً صالحاً ، عابداً زاهداً ناجحاً ، ناسكا لطيفاً ، لين الجانب عفيفاً ، مات نهار الأحد في الحادي والعشرين من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين والف .

الشيخ ابراهيم بن مصطفى أبو الصلاح الرحيباني ثم الحوراني ثم الدمشقي الشافعي

الخطيب والمدرس والإمام بجامع الدقاق بميدان الحصى ، ولد سنة أربعين ومائة والف وبعد أن بلغ رشده وملك أشده ، وقرأ في دمشق الشام ، على بعض العلماء الأعلام ، تشوقت نفسه إلى الانقطاع ، ليكون له تمام الانتفاع ، فسافر الى الديار المصرية ، ليجاور في البقعة الشريفة الأزهرية ، فقرأ في الأزهر على السادة الكرام وأخذ عن العلماء الأفاضل الأعلام ، وأجازوه بجميع ماتجوز لهم روايته ، وتنسب اليهم درايته ، منهم السيد احمد بن عبد الفتاح بن يوسف بن عمر ابن بجير الدين الملوي الشافعي ، والسيد محمد بن سالم الحفني ، والسيد عبد الله بن ابراهيم الشرقاوي الشافعي ، والسيد محمد الصبان الشافعي ، والعلامة محمد بن الامير المالكي القاهري ، والعلامة الشيخ سليمان الجمل ، والعلامة

الشيخ سليمان بن عمر بن محمد البجيري ، والعلامة أحمد بن موسى بن داوود العروسي الأزهري ، ومحمد ثعيلب بن سالم الفشني الشافعي الأزهري ، والعلامة علي بن أحمد الصعيدي المالكي ، واحمد بن عبد المنعم بن صام الشافعي ، وشيخ الدمـاشقة الأخبار ، الشيخ أحمد بن عبيد الله بن عسكر الشافعي الشهير بالعطار ، والشيخ محمد الكزبري ، والشيخ حسين بن طعمة ابن محمد الشافعي البيتاني الأصل الدمشقي الميداني القادري ، والشيخ أبي المواهب الحنبلي ، والشيخ محمد الكاملي ، والشيخ عثمان الشمعة ، وغيرهم من العلماء العاملين والفضلاء الصالحين ، وكان هذا المترجم من أهل العزلة والانفراد عن الناس متقشفاً متنبهاً لآخرته ، وفي آخر عمره غلب عليه الجذب ، مات رحمه الله يوم الجمعة وقت الزوال سادس عشر شوال سنة أربع وثلاثين ومائتين والف ، ودفن في مقبرة باب الله قرب قبر والدي وقبر الشيخ تقي الدين الحصني رحمهم الله تعالى .

الشيخ ابراهيم بن عبد الله السويدي

ولد سنة الف ومائة وست وأربعين وبلـغ من العلم والعمل ، فوق ماتعلق به الرجا والأمل ، وصار من السادة الأفراد ، والقادة العبّاد ، وأخذ عن أبيه وعن غيره ، وصار في زمانه ممن نهج مناهج الفضل في سيره ، مات سنة ست ومائتين والف .

الشيخ ابراهيم أبو عبد اللطيف بن أخت الشيخ أبي بكر الخلوتي الدوغراني ثم الدمشقي الخلوتي الحلبي الشافعي القادري

الإمام الفقيه ، النبيه ، النحوي اللغوي الصرفي الصوفي المحدث الكبير ، والعالم الشهير ، البركة القدوة الصالح العابد ، المرشد الزاهد ، الخاشع الناسك الأوحد المتفنن بقية السلف الصالح .ولد بدمشق سنة اثنتين وخمسين ومائة والف ، وأخذ عن العلامة عطية

الأجهوري ، والعلامة سليمان الجمل ، والفاضل الشيخ محمد الصبان ، والعلامة الشيخ محمد الجوهري ، والعلامة أحمد الفالوجي ، والعلامة الشيخ علي الصعيدي ، والأوحد الشيخ محمد الأمير ، والشيخ محمد عباده ، والشيخ السوسي ، والشيخ الدردير ، والشيخ أحمد البيلي ، والشيخ محمود الكردي ، والشيخ محمد الحفني ، والشيخ عبد الكريم السمان ، وغيرهم . وأخذ عن العلامة الكزبري الكبير ، والشيخ أسعد المنير البعلي ، ثم الدمشقي ، مات يوم السبت تاسع ربيع الأنور سنة ثمان وثلاثين ومائتين والف ، ودفن في مقبرة باب الصغير رحمه الله تعالى .

السيد ابراهيم بن احمد بن يوسف بن مصطفى بن محمد أمين الدين بن علي سعد الدين بن محمد أمين الدين الحسني الشافعي المعروف بقلفه الشهر

النجيب الذي أبدع فيما أبدى ، وطرز من نسيج فكره للآداب والفضائل حللاً وبرداً ، تأبى غير اكتساب المعارف همته ، ولا تميل إلاّ لانتسابه إلى المعالي بغيته ، وله فطنة قضت له بالحظ الأوفر الأوفى ، وقريحة لم تستق إلاّ من المنهل العذب الأصفى ، وقد اشتهر في زمانه اشتهار الشمس في رائعة النهار ، وافتخر به مصره على باقي الأمصار ، ومن جملة من ترجمه الإمام الجبرتي بقوله : الجناب الأوحد ، والنجيب المفرد ، والفصيح اللبيب ، والنادرة الأريب ، تفقه على شيخ والده السيد عبد الرحمن الشيخوني ، إذ كان إمام والده وتدرج في معرفة الأقلام والكتابة ، فلما توفي والده تولى مكانه أخوه الاكبر يوسف في كتابة قلم الشهر ، فلما شاخ وكبر ، سلمه إلى أخيه المترجم فسار فيه أحسن سير واقتنى كتباً نفيسة ، وتمهر في غرائب الفنون ، وأخذ طريق الشاذلية والأحزاب والاذكار على الشيخ محمد كشك ، وكان يبره ويلاحظه بمراعاته ، وانتسب اليه وحضر

الصحيح وغيره على شيخنا السيد المرتضى الزبيدي ، وسمع عليه كثيراً من الأجزاء الحديثية في منزله بالركبيين وبالأزبكيـة في مواسم النيل ، وكان مهيباً وجيهاً ذا شهامة ومروءة وكرم مفرط ، وتجمل فاخر ، مَمَالُه فوق ماسمته مهمته ، سَمُوحاً بالعطاء متوكلا ، توفي صبح يوم الاربعاء غاية شهر شعبان سنة اثنتين ومائتين والف بعـد أن تعالّ سبعة أيام ، وجهز وصُلّيَ عليه بمصلى شيخون ، ودفن على والده قرب السيدة نفيسة رضي الله عنها .

ابراهيم جلبي بن أحمد آغا البارودي الشافعي المصري

الفريد الذي أبدى المحاسن وأبدع ، والوحيد الذي من سلسال حياض النباهة تضلع ، واللبيب الذي سلك مسالك المعارف ، والنجيب الذي ملك منها كل تليد وطارف ، والكامل الذي انتقى أحسن الخصال ، وترقى على درج الجد والاجتهاد إلى أن بلغ رتبة الكمال ، وهو من رجال الجبرتي القائل فيه : الصنو الفريد ، والعقد النضيـد ، الذكي النبيه ، من ليس له في الفضل شبيه ، ولد في مصر ونشـأ في حِجر والده إلى أن توفي والده المرقوم سنة اثنتين وثمانين ومائة والف فعانى المترجم تحصيل الفضـائل ، وطلب العلم ولازم حضور الدروس في الأزهر في كل يوم ، وتقيد بحضور الفقه على السيد أحمد الطحطاوي والشيخ احمد الخانيونسي ، وفي المعقول على الشيخ محمد الحفني [١] والشيخ علي الطحـان ، حتى أدرك من ذلك الحظ الأوفر ، وصار له ملكة يقتدر بها على استحضار مايحتاج اليه من المسائل النقلية والعقلية ، وترونق بالفضائل ، وتحلى بالفواضل ، إلى أن اقتنصهُ في ليل شبابه صيّاد المنيه ، وضرب سورٌ بينه وبين الأمنية ، وذلك سنة خمس ومائتين والف .

---

(١) في تاريخ الجبرتي : الحشني

الشيخ ابراهيم بن الشيخ محمود الحريرى الحنفى الأزهرى مفتي السادات الحنفية بمصر

الماجد الذي ابتهجت به وجوه المعالى ، وتبسمت له ثغور المكارم الباسمة باللآلىء ، وقد ساعده وقته بالاقبال ، وصدّره في مصادر الرفعة والإجلال ، فأبدى من خزانة فكره عقود الفضائل ، وأنشأ من معدن قريحته فرائد الفواضل ، واستوى على عرش الرفعة والكمال ، واحتوى على مايثبت له كل فضيلة واجلال ، كيف لا وهو مفتي الأنام ، ومرجع الخاص والعام ، وقد أحسن الجبرتي الهمام ، قائلًا في ترجمة هذا الإمام : العلامة المفيد ، والنحرير الفريد ، والإمام الفقيه ، والهمام النبيه ، تفقه على والده الرفيع الشأن ، وحضر في المعقولات على أشياخ الوقت كالبيلي والدردير والصبان ، وأنجب وتمهر في العلوم العقلية والنقلية ، وصارت فيه ملكة جيدة واستحضار للأصول والفروع الفقهية ، ولما مات والده في رجب سنة الف ومائتين وعشرين ، تولى منصب والده في الإفتاء وإفادة المسلمين ، وكان لها أهلًا مع التحري والمراجعة في المسائل ، والعفة والصيانة والديانة والتباعد عن الرذائل ، مواظباً على وظائفه ودروسه وما يثبت جميل المآثر ، ملازماً لداره إلاّ عمّا دعته الضرورة اليه من المواساة وحضور المجالس مع الأكابر ، وكان مبتلى بآخرته بضعف البصر ، واعتراه داء الباسور فقاسي منه غاية الضرر ، وانقطع بسببه عن الخروج من داره ، ولم يزل ملازماً له حتى نزل بدار قراره ، توفي رحمه الله يوم الاثنين تاسع عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وعشرين ومائتين والف وصلي عليه في الأزهر ، ودفن بمدرسة الشعبانية بحارة الدويداري ظاهر حارة كتامه المعروفة الآن بالعينية بالقرب من الجامع الأزهر رحمه الله تعالى .

الشيخ ابراهيم البيسوني البجيرمي الشافعي الأزهري رحمه الله تعالى

الأوحد الذي علمه الله تأويل العلوم ، والأمجد الذي ملكه من مختومه خزائن الفهوم ، فأضحى في مصر المعارف ، قائلاً في ظل وارف ، مواظباً على الاعتكاف في محراب الإفادة ، والطالبون قد لازموا حرم كعبته للاستفادة ، كيف لا وهو العالم الذي يشار اليه بالبنان ، والعامل الذي أذعنت لكماله الأفاضل والأعيان ، والبحر العذب الطامي ، والغيث الهاطل الهامي ، ذو التآليف العديدة ، والتصانيف المفيدة ، ولد سنة ست وخمسين ومائة والف تقريباً ، ونشأ من أول عمره منشأ غريباً ، فكان كل من رآه يعلم بالفراسة أنه سيكون له عز وجاه ، وقد ترجمه الجبرتي المفضال رحمه الله فقال : علامة زمانه ، وفهامة عصره وأوانه ، الفاضل الفقيه ، والكامل النبيه ، هو ابن أخت الشيخ موسى البجيرمي الشيخ الصالح ، والورع الزاهد الفالح حضر على الأشياخ المتقدمين ، وهو في عداد الطبقة الأولى من المدرسين وكان متواضعاً لين الجانب ذا انس وايناس ، وأفاد وانتفع به الطلبة بل غالب الناس ، كان ملازماً للتقوى والعبادة ، ومحالفاً للقناعة والزهادة ، مستحضراً للفروع الفقهية ، والمناسبات المعقولة والشواهد النحوية والشعرية والمحاضرات الأدبية ، والمفاكهات العذبة الندية ، جيد المحافظة لا تمل مجالسته ولا تمل موانسته ، ولم يزل على حالته وافادته ، وزهده وعفته وعبادته ، حتى خطبته المنية ، ودعته إلى منازلها العلية ، توفي يوم السبت نصف المحرم الحرام سنة إحدى وثلاثين ومائتين والف عن نحو خمس وسبعين سنة .

السيد الشيخ ابراهيم بن الشيخ صالح بن الشيخ عبد الرحمن ابن محمد بن عبد الرحمن الوشيد

الأستاذ المحقق الرباني ، والملاذ المدقق الصمداني ، المرشد الكامل المقصود

والمستمد من معارفه ذوو الكشف والشهود ، كاشف أستار الحقائق ، وراشف كؤوس العرفان من بحر الدقائق ، شيخ الطريقة الإدريسية ، المستمدة من فيوضات الحقيقة الشاذلية . أصل آبائه وأجـداده من البلاد السودانية ، ولهم بها قدر ورفعة سنية ، ولهم نسبة نبوية ، وسلسلة علية، ولد المترجم في نصف شهر المحرم الحرام سنة ثمـان وعشرين ومائتين والف ، ومن صغره اشتغل بحفظ القرآن ، وتعلم الضروريات من العلم وما لا بد منه للانسان ، ومن بداءة أمره لوائح السعادة عليه لائحة ، وروائح الطاعة منه نافحة فائحة . تفقه على حضرة والده ، في اقليمه وبلده ، ثم أخذ الطريق من سيدي أحمد بن إدريس ، واشتغل به متجنبـاً كل أمر خسيس ، لاتباعه للطريق الذي هو أنفس نفيس ، ثم بعد وفاة شيخه اتفق الجميع ، بانه لايليق لغيره أن يجلس في مكان شيخه ذي المقام الرفيع ، فرحل بعد ذلك إلى صعيد مصر سنة ثلاث وستين ومائتين والف ، فنشر بها الطريقه الأحمـدية وأقبل عليه الناس من كل فج عميق ، وحصل له كرامات ظاهرة ، وخوارق باهرة ، ثم سافر إلى السودان ، ومعه جملة كبرى من المريدين والاخوان ، ثم عاد إلى الصعيد ثانياً وأقام بها مدة ، ثم سافر إلى الحرمين الشريفين ، فاشتد الإنكار عليه ، وتوجهت جيوش الملام إليه ، ودام أمره على ذلك مدة من الزمـان ، وتجلد على تحمل الشدائد وصبر على الهوان ، إلى أن لاحظته عين العناية ؛ فعامله الجميع بالتعظيم والرعاية واشتهر اشتهار الشمس في رائعة النهار ، وأقبل عليه الكبار والصغار ، ثم لازم الرحاب المكية ، والبلدة المشتملة على المسجد الحرام والشعـائر الدينية ، فما زال بها يقيم الأذكار ، في الليل والنهار ، ويرشد السالكين ؛ للوصول إلى مقام التمكين ، إلى ان تمكن منه المرض الداعي للرحيل ،

إلى جوار الملك الجليل ؛ فأجاب طلبه من غير إمهال ، وذلك في يوم الأحد بعد العصر تاسع شعبان سنة إحدى وتسعين ومائتين والف من هجرة سيد ذوي الكمال ، وصلي عليه في المسجد الحرام ، ودفن في تربة المعلا عليه رحمة الملك السلام ، وبَنىَ بعض المحبين مزاراً واسعاً عليه ، وهو في أول المعلا على يمين الذاهب اليه .

وقدرثاه بعض مريديه بقصيدة أولها :

ذروني أبكي بعد شيخي ومرشدي	لأحدث عهداً في بقية معهدي
وما شاقني برق بأبرق رامة	ولا نغمات من حمام مغرّد
بلى شاقني وجه الرشيد الذي به	تشعشع نور الحق في كل مشهد
إذا مارأت عيناك بهجة نوره	رأت بدر تم في منازل أسعد
وإن لثمت يمناك يمناه فالتزم	بركن سوى ركن من البيت أسود
سما بشعار الصالحين وهديهم	وأعلى منار الدين بعد محمد
أمد علينا الله من بركاته	وأوردنا من بره خير مورد
إذا ماذكرت الأكرمين فإنه	هو الكوثر الفياض والعارض الندي
ومهما مدحنا الصالحين فمدحه	به نختم الذكر الجميل ونبتدي

الشيخ ابراهيم بن الشيخ السيد محمد الميدوي البغدادي الشافعي

العالم الذي رقى معراج الفضائل ، واستقى من بحر معارفه السادة الأفاضل ، وجمع من الفنون ماتفرق عند غيره ، وسار بسيرة ذوي السر المصون فلم يلحقه أحد من معاصريه في سيره ، له اليد الطولى في المعقول والمنقول ، والفكرة القادحة في معرفة الفروع والأصول ، وليس من يجاريه في ميدان العلوم الرياضية ، ولا من يباريه في الأبحاث الجدلية والعقلية ، وله كتاب في المناظرة ، قد فاق مزاولة أهل المحاضرة ، شرح فيه نظم

رسالة الولدية ، وعند تمامه قد قرض له حضرة الجهبذ الذي هو بكل كمال حري ، عبد الباقي أفندي العمري ، فكتب عليه مايشهد بفضل مؤلفه ، وعلو فهم مصنفه ، وقد أحببت أن أذكره بتمامه ، وفاء بحق مقامه ، وها هو ذا :
لا نُسلّم لمن علمته نفسه غاية الكر ونهاية الإقدام ، من أهل الخلاف بدار الخلافة مدينة السلام ، ولو كان وهيهات أن يكون نفس عصام ، معارَضةَ مابرهن عليه هذا الغلام ، الشارح لهذا النظم البديع الانتظام بالبرهان القاطع بالمدية الاسماعيلية ، وشفرة الدلائل القطعية الخليلية ، جادةَ الجدال ومادةَ الخصام ، ومناقضة مادوّن وبيّن فيه من آداب البحث في مناظرة أرباب النظراء الأعلام ، بالتبيان الساطع بصحة نقله الاستقرائي المؤدي بعد الإلزام ، للتضمن والالتزام ، فياله من شب شبّ من توقد نار قريحته الضرام ، فأجج في كانون أفئدة ذوي المعارضة بالقلب فحمةَ الإفحام ، وقدح زند فكرته بمرخ المشاجرة وعفار المكابرة ، فأبرزت ناره ترمي بشرر كالقصر فقلنا يانار كوني برداً وسلام ، هذا وقد أوتي الرسالة الولدية قبل أن يدرك الحلم ، بل قبل أن يبلغ الفطام ، فيالله دره لقد كاد أن يكيد أساطين الحكماء ، والفلاسفة القدماء ، بقوة احتجاجه ومنعة سلوك منهاجه ، وشدة إحكامه لهذه الأحكام ، كما كاد حضرة سميه ابراهيم ، عليه الصلاة والتسليم ، وفاء بالإقسام ؛ اولئك الأصنام ؛ وقد غادرهم ابن الأصفياء أفلاذا ، كما جعلهم أبو الأنبياء جذاذاً ، وقال « بل فعله كبيرهم هذا ، فاسألوهم إن كانوا ينطقون » بكلام ، فأبوا الفتح لأبواب آداب البحث لذوي الملكة من الطلاب ، طاب ثراه لقد ملأ الوطاب ، واستوفى المرام ، وإبراهيم الذي وفى بل زاد وأحسن في الإتمام ، حيث تمطى لمناضلة ، وامتطى غارب المجادلة ؛ واقتحم هذا الاقتحام ؛ كيف لا

وقد صح له وثبت لسلفه العظام ؛ القبول التام ، لدى الخاص والعام ، واقتسام الأموال من وقت سام ؛ واقتحام الأهوال من وقت حام ، على أنه الشبل الذي قد ترعرع في بحبوحة الغابة الحيدرية ، ونشأ في أحضان البرأة الصفوية ، فربض ربضة الضرغام ، وتشعشع كالبدر التام ، وكبت الخصم الألد ؛ بما منع وردع ودفع ورد ؛ ونقض وأبرم ، وقوض وهد ؛ وفتق ورتق وحل وشد ؛ أحزم حزام ، وكتب ما أثبت به حقية مدعاه ببطلان دليل الغاصب ، من مخلفات آبائه ذوي الأبوة ، وأولي الفتوة ، أشرف المناصب ، كأنه اتخذ من أظفاره التي لم تقلم لمحابره الأقلام ، فملأ الأقاليم السبع بزئيره ؛ والجهات الست بهمهمته في الآجام ، وأملى فأبلى سرائر سر تثبت الأقانيم الثلاث ، من غير لثاث ، ذلك اليراع بصريفه وصريره فأسمعت كلمات باريه الصم الدعـاء للاستسلام ، وغسلت ذئاب المعارضين عن الإقعاء بفناء أجمة هـذا الباسل المقدام ، وراغت ثعالب المناقضين عن جلسة القرفصاء بباب غاب هذا الغشمشم القمقام ، فمتى شاء قال للسعد أو أشار للفخر على ساق العبودية ، وقدم الرقية ، بساحة أعتابنا الصفوية ، الفسيحة المساحة ، وباحة أبوابنا الحيدرية الغير مباحة ، قم قام ، وقانا الله تعالى وإياه هـول المطلع ورزقنا وإياه حسن الختام ، وكان المترجم على حالة صالحة ، وسيرة راجحـة ، إلى أن خطبته المنية لدار السلام ، سنة الف ومائتين و[١] . . .

السيد ابراهيم فصيح بن السيد صبغة الله المشهور بحيدري زاده البغدادي

عالم عصره ، وفريد مصره ، ونخبة زمانه ، وعمدة أهل وقته وأوانه ، الحسيب العلوي ، والنسيب النبوي ، ذو المقام الفاخر ، والاحترام الباهر ، والصفات الحميدة ، والشمائل المجيدة ، والسيرة الحسنة ، والسريرة المستحسنة ،

---

(١) لم أقف على تاريخ وفاته .

ولد سنة(١) . . . . ونشأ في العلم والعبادة ، والطاعة والزهادة إلى أن بلغ مبلغ الكمال ، ونبغ في العلم وجال فيه كل مجال ، وترقى وساد ، واستفاد وأفاد ، واشتهر بين الخاص والعام ، واعتمد عليه العلماء الأعلام ، وقد الف كتابا سماه « المجد التالد في مناقب الشيخ خالد »(١) ، فأجاد في تأليفه ، وأفاد في توصيفه ، وأخذ الطريقة العلية ، عن قادة النقشبندية ، ذي القدر الباهي الباهر ، والصدر الزاهي الزاهر ، مولانا الشيخ خالد صاحب المقام التالد ، والمجد الموروث عن جد ووالد ، فلازم الذكر والتقوى ، في السر والنجوى ، وكان صاحب مجاهدة كلية ومشاهدة قلبية ، وأحوال عجيبة ، وأطوار غريبة ، وأخلاق حسنة ، وصفات مستحسنة ، ومذاكرات أنيقة ، فيما يتعلق بالشريعة والحقيقة ، ولم يزل إلى أن آن ارتحاله ، وحان انتقاله ، سنة الف وثلاثماية ونيف(٢) .

الشيخ ابراهيم العراقي البياري الشافعي الاشعري

كنز الفضائل وتحفة الأفاضل ، من اشتهر علمه وفاق ، وسَما قدرُه في الآفاق ، كيف لا وهو حلال المشكلات بفكره ، ومعطّر الدروس بنفثات صدره ، ناشر برود التحرير ، ومظهر شموس التحبير في التقرير ،

---

(١) ١٢٣٥ - ١٢٩٩ أديب بغدادي المولد والمنشأ والوفاة ، كردي الأصل ، تولى نيابة القضاء ببغداد ، والف كتبا ، منها : (عنوان المجـد ، في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجـد - خ) و (أصول الخيل ، والإبل الجيدة والرديئة) و (أعلى الرتبة ، في شرح النخبة) في الحديث ، و (إمداد القاصد ، في شرح المقاصد) للنووي . و (إمعان الطلاب ، في الاسطرلاب) وفي هدية العارفين (١ : ١٤٢) أسماء كتب أخرى من تأليفه . الأعـلام للزركلي (ج ١ / ٣٧) .

(٢) في الأعلام ومعجم المؤلفين : سنة ١٢٩٩ هـ .

ومنهاج الإمداد ، وإرشاد الإسعاد ، تحفة المحتاج ، وكعبة المنهاج ، فهو الهمام الذي يشم أرج التدقيق من أنفاسه ، والإمام الذي يشام برق التحقيق من أدلته وقياسه ، وقد أفاد من الفوائد ، ماهو على رسوخ قدمه في المعارف شاهد ، ونظمه عثمان بن سند في كتابه أصفى الموارد فقال :

علم سما للعلم أعلى ذروة شمخت على الأعلام والأطواد
مغني اللبيب يفيد كل مطوّل تلخيصه في جمع الايراد
مفتاح إيضاح لمعنى مرتج مصباح مفتقر إلى الإمداد
من عابه في الدرس قال مقرراً يحيى الدروس بذهنه الوقاد
هو روضة لكن كمائم روضه لم يخلها يوماً من الأوراد
ذكر الربيع فقال يا أم اشكري مني ربيعاً للبويطي الهادي
فأنا الذي أحييت من يحيى الذي أبقى من الآثار بالأسناد
وجعلت للأحياء تدريسي شذى يسري إلى الأرواح والأكباد
كابدت أبحاثاً إذا أنصفتني أيقنت أني مسك هذا النادي
ولقد سلكت من البحوث سباسبا وملاجئاً أعيت على الرواد

ولم يزل المترجم ينتشر كماله ، ويشتهر بين الأنام حاله ، إلى أن خطبته المنية ، ودعته إلى المقامات السنية ، فرحل من هذه الدار إلى دار القرار وذلك في سنة الف ومائتين ونيف وعشرين [١] ، عليه رحمه رب العالمين .

الشيخ ابراهيم بن المرحوم الحاج علي الأحدب الطرابلسي ثم البيروتي

العالم الذي طاول الثريا علمه ، والناظم الذي سحر الألباب نثره ونظمه ، والإمام الذي شاد ربوع الشعر والخطابة ، والهمام الذي لزم الأدبُ جنابه ولثم أعتابه ، والفصيح الذي بسقت في ناديه أدواح الفصاحة ، والمليح الذي مازل قدمه يوماً عن مناهج الفلاحة ، تقدم في

(١) لعلّ الأصل : وتسعين .

بيروت حتى صار إمام محرابها ، وخطيب منبر معارفها وآدابها ، ومنحة خزانة نبهائها ، ونفحة ريحانة ألبائهـــا ، فلا ريب أنه مرجع السادة الأفاضل ، ومجمع القادة ذوي المكارم والفضائل ، ولد أعلى الله مقامه ، وجعل الفردوس مسكنه ومُقامه ، في طرابلس الشـام ، ذات اللطف الباهر والثغر البسام ، سنة الف ومائتين وأربعين ، من هجرة السيد الأمين ، وانه لعمري من عائلة عرفت بالتقى والصلاح ، والعبادة والصيانة والنجاح ، وبعد أن قرأ القرآن ، وأتقن تجويده أي اتقان ، سلك منهج العلم بهمة لاتعرف الملل ، واجتهاد دل على أن فضله لابد وان يستوي على عرش الأمل ، فقرأ على جملة من الأفراد ، والسادة القادة الأمجاد ، منهم الشيخ عرابي أفندي الذي هو بكل كمال حري ، والشيخ عبد الغني أفندي الرافعي العمري ، ونال من الفضـــائل والعرفان ، ماقدمه على الأمثال والأقران ، ثم أخذ بالتدريس ونفع البرية ، وبث مافتح عليه به من المواهب اللدنية ، ولقد زار دار السعادة العثمانية ، ومقر الخلافة الإسلامية ، أيام سلطنة ساكن فراديس الجنان ، الإمام الأعظم والخليفة الأفخم السلطان عبد المجيد خان ؛ فاجتمع بعظمائها ، وانتفع بأكابر علمائها ، وبعد عوده من دار السعـــادة ، ورجوعه إلى ماكان عليه من الإفادة والاستفادة ، استدعاه سعيد بك جنبلاط حاكم مقاطعة الشوفين وقتئذ إلى المختارة من جبل لبنان ، واتخذه مستشاراً في الأمور الشرعية المستنبطة من السنة والقرآن ، وذلك سنــة الف ومائتين وسبع وستين ، ولم يزل بإعزاز وإكرام ومقام مكين ، إلى أن بدأ الخلاف بين الدروز والنصارى في جبل لبنان ، سنة ست وسبعين ، فرحل إلى وطنه طرابلس في الوقت والأوان ، وفي سنة سبع وسبعين طلب إلى بيروت وعين نائباً في المحكمة

الشرعية ، وحينما حضر النائب الموظف من الدار العلية ، جعله باش كاتب [١] في المحكمة المرقومة واستمر بهذه المأمورية ، وكان مع ذلك مشتغلاً بنشر العلوم ونثر لآلىء الآداب ، متمسكا للقيام بواجبها بأعظم الأسباب ، وفي سنة الف ومائتين وتسع وثمانين زار القطر المصري واجتمع بعلمائه الأعلام وأمرائه وأعيانه الفخام ، وكان رحمه الله إماماً في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان ، رفع الله مقامه وأسكنه أعلى فراديس الجنان ، وكانت محاكم جبل لبنان تعتمد على فتاويه وقوله ، لما عرفته من تدقيقه وصحة نقله ، فكان لدى عروض المشكلات مرجعاً ، وكل عويصات المسائل مقصداً ومطمعاً ، وكان قليل الكلام بما لايفيد ، وبحراً زاخراً لكل مستميح مستزيد ، مع طبع هني وأخلاق مرضية ، وفكر صائب وأوصاف علية ، وذهن متوقد وحاضرة جيدة ، فكان ينظم ماينوف عن سبعين بيتاً بجلسة واحدة بدون تكلف ولا طول مدة ، وكثيراً ماتكون المبيضة عين المسودة ، وبالإجمال إنه كان رحمه الله فرداً فريداً ، وكاتباً بليغاً وشاعراً مجيداً ، وقد تولى رياسة جريدة ثمرات الفنون ، ثم أقام على تصحيحها المصون ، وله فيها المقالات الأدبية ، والفصول الحكمية والطرائف العربية ، والنصائح العالية ، والمواعظ السامية التي لو جمعت لبلغت عدة أسفار ، واشتهر قدرها وطار ، وعند تشكيل ولاية بيروت انتخب عضواً في مجلس معارفها ، فزاد قدرها به لدى ناعتها وواصفها ، وقد نسخ بخطه كتباً كثيرة ، وألف مؤلفات عديدة شهيرة ، ونال من الرتب العلمية ، من ابتداء خارج بحسب الطريق إلى رتبة مدرس السليمانية ، وهي من رتب كبار المدرسين ، وفي سنة ألف ومائتين وثمان وثمانين ، نال النيشان [٢] المجيدي من الرتبة الرابعة ، وتفرس الناس فيه الأهلية للمراتب الجامعة ، وفي سنة تسع وثمانين

---

(١) رئيس الكتاب . (٢) الوسام .

وجهت عليه بموجب براءة سلطانية خدمة الفراشة الشريفة في الحرم الحرام على ساكنه أفضل الصلاة وأتم السلام ، ومن مؤلفاته رحمه الله ، ورضي عنه وأرضاه ، فرائد اللآل « في مجمع الأمثال » وهو عبارة عن الأمثال التي جمعها الميداني وغيره نظمها بنحو ستة آلاف بيت وكتاب « مهذب التهذيب » في علم المنطق نظماً وعلق عليه شرحاً ، ونظم مولدين شريفين مطولاً ومختصراً ، وكتاب « نفحة الأرواح على مراح الأرواح » ، في علم التصريف وكتاب « كشف الأرب عن سر الأدب » وديوان النفح المسكي في الشعر البيروتي . وله ديوان آخر جمعه في بلده طرابلس الشام ، وديوان آخر تضمن من القصائد والمقاطيع والرسائل البليغة ماينوف عن خمسين كراسة وذلك لسنة الف ومائتين وخمس وتسعين ، وما نظمه بعد ذلك محفوظ في مسوداته .

وله شرح فرائد اللآل في مجمع الامثال ، شرحه بمجلدين وكتاب « إبداع الإبداء ، لفتح أبواب البناء » ، في علم التصريف وكتاب « نشوة الصهباء ، في صناعة الإنشاء » ، « وكتاب تفصيل اللؤلؤ والمرجان ، في فصول الحكم والبيان » وكتاب « فرائد الأطواق ، في أجياد محاسن الأخلاق » وهو مائة مقالة نثراً ونظماً جارى بها مقالات العلامة جار الله الزمخشري ، وكتاب « عقود المناظرة في بدائع المغايرة » ، وهو جزآن يحتويان على خمس وعشرين مغايرة أدبية في المناظرة بين السيف والقلم وما شاكل ذلك ، وكتاب « ذيل ثمرات الأوراق» وكتاب « الوسائل الأدبية في الرسائل الأحدبية » وهي الرسائل التي كانت بين المترجم وبين عبد الهادي أفندي نجا الابياري في مصر إلاّ أن جمعها كان للأبياري لا للمترجم ، وله مقامات جعلها على لسان أبي عمر الدمشقي وأسند روايتها الى أبي المحاسن حسان الطرابلسي وهي عبارة عن تسعين مقامة جارى في إبداعها العلامة الحريري وله كتاب « كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان»

وهو آخر مؤلفاته ، وله رحمه الله من الروايات عشرون رواية وكانت وفاته رحمه الله في شعبان سنة ألف وثلاثمائة وثمان .

ومن قصائده الأنيقة ، وأشعاره الرقيقة ، قوله مادحاً حضرة السيد الأمير عبد القادر الجزائري الحسني قدس الله روحه ، ونور مرقده وضريحه .

عقود ودادي نظمها ليس يفسخ ... وشرح غرامي محكم ليس ينسخ
نشأت بخمر الحب نشوان فهو لي ... إذا شئت ترب يا أبا الفضل أو أخ
أذل لمن أهوى وكم ذل عاشق ... أشم له أنف إلى المجد أشمخ
تمد خدود الغيد قلبي بنارها ... فمنها جرى دمعي فلا يتبوّخ
ولم تكتحل عيني بميل من الكرى ... وكم بين من أهوى وبيني فرسخ
أروح قلبي بالمنى وهي قد قضت ... فهل بوفا بدري بها الروح تنفخ
يجر فؤادي للعنا هدب شادن ... ترض به الأحشاء منا وترضخ
وأبدى محياه لعيني نسخة ... بها راح ينسى كل حسن وينسخ
وأطلع حول الورد ريحان عارض ... به دون وردي جنة الخد برزخ
ويسكر دون الرشف خمر رضا به ... لما أنها بالنار للخد تطبخ
وبي زائر بالزور قد زار مضجعي ... سرى وجناح الليل أقتم افتخ
أطار الكرى من وكر جفني طيفه ... فأمسى به طير السهاد يفرخ
فرحت به أنشى المعاني وانتشى ... بذكراه والأجفان بالدم تنضخ
رسخت بأوصاف الجميل وإنني ... بمدح ابن محيي الدين ذي المجد أرسخ
فتى الفضل عبد القادر السيد الذي ... يجيب ندى من أمه وهو يصرخ
وذو النسب السامي الذي نشر طيبه ... هو المسك مع طول المدى ليس ينسخ
محط رحال المعدمين وقصدهم ... فنجب الرجا في باب علياه نوخ
تضم به العلياء طود مهابة ... بطلعته الغراء تسمو وتشمخ
إمام بأفق الشام للحق منشيء ... تلاشى به من كان في البطل يملخ

من الغرب وافى الشرق فازدان بهجة ... وأمست به عين الني تتنضخ
وحل به العز الذي ليس ينقضي ... فكان به مبدا المعالي يؤرخ
رسا فوق هام النجم سامى مقامه ... فأضحى له بالفضل مرمى ومرسخ
من القوم كل المجد يعزى لعزهم ... كرام لمن قد ضل بالسيف دوخوا
مناقبه تتلى بها سور الثنا ... وليس لها في محكم المجد منسخ
حمى الدين والدنيا بعز شهامة ... تضيق بها الارض الفضا وهي سربخ
شمائل ما للمسك في الشم طيبها ... بأنفاسها برد الشمال مضمخ
له الكلم اللاتي بها السمع يزدهي ... وتعنو لها شم العلى وهي شمخ
لقد أنطقت بالحق من كان أخرسا ... وأسمع من سمع بها عاد أصلخ
أقل نداه دونه كل وابل ... فيرضى المرجى بالغنى حين يرضخ
عوادي الحيا تهمي حياء لطله ... وقد أغرقتها أعين منه نضخ
فطوبى لأرض الشام إذ حل شامة ... بها فهي فوق النجم بالتيه تزمخ
درى بعض ما فيه من العلم والتقى ... وحسن الحجا من كان في العلم يرسخ
لقد سار مثل البدر في فلك العلا ... بطول دراري الأفق عزاً ويبذخ
وأرج أرجاء الممالك بالثنا ... فكل بطيب الفضل منه يضمخ
فلا ملك إلا وأصفاه وده ... وإن تجر ذكراه لديهم يبخبخوا
صفا باطناً لله مع حسن ظاهر ... به تمدح العلياء والمجد يمدخ
فما شأنه وهو النقي من الخنا ... مقالة ذي عرض به يتطلخ
فيا من به الدين ارتدى برد عزه ... فعاد بسامي فضله وهو أبلخ
تنبه شعري في معاليك للعلا ... وأمسى به صعب المعاني يدوخ
فأنشأت أبكاراً تجلت شموسها ... إذا كان يمسي الغير للشعر يسلخ
وأبدعت بالأفكار إنشاء صورة ... يشوه بها وجه المعادي ويمسخ
وأرسلتها مع رقة اللفظ صخرة ... بها هام من يشنا معاليك يشدخ

يهون ابن هاني حين يتلى نظامها ... ويغدو على ما كان منه يوبخ
أتت وهي تشدو في معانيك بالوفا ... عقود ودادي نظمها ليس يفسخ

وقال رحمه الله

بحبة الخال قلبي صاده رشأ ... إذ ضمخت خده بالمسك تضميخا
أبان لي غرة من تحت طرته ... كانت لبدء غرامي فيه تاريخا

وقال رحمه الله

أسر القلب غــزال فاتن ... سلب العشاق طيب الوسن
وجهه والطبع منه واسمــه ... حسن في حسن في حسن

وقال رحمه الله وأحسن مقره ومثواه

ومهفهف دبت عقارب صدغه ... تحمي رياض شقائق النعمان
وعلى كثيب الردف يسعى أرقم ... من شعره قد حار فيه جناني
حاولت قربي من حماه فصدني ... وأباحني الخد الشهي القاني
فأجبته مابي مخـالفة لمـا ... قالوه في الأمثال منذ زمان
لاتقربن أبداً مواطن عقرب ... وافرش ونم بمواطن الثعبان

وقال طيب الله ثراه

أبصرت مروحة بكف مهفهف ... تطفي ببرد هوائها نار الجوى
قد كنت خلوا قبل ترويح بها ... نحوي فجاءتني بأسباب الهوى

وقال

بليت بقاسي القلب مارق للذي ... يؤمل بعد البعد منه وصالا
ألان به دمعي الصفا سائلًا له ... وقد ماس عجباً بالدلال ومالا

وقال متغزلاً

يا غزالاً قد نسجت الغزلا ... بحلى جفن له قد عزلا
من منحت القرب حولاً كاملًا ... لست تبغي عن لقاه حولا

عدم القوة من بعـــد النوى | والجفا منك فلا حول ولا
ويح من يصبو لأحداق الظبا | ويرى دوماً بها مشتغلا
افتــدي ألعَسَ لايمنحــني | من مجاني الثغر منه العسلا
قد شوى قلبي على نار الغضا | إذ قلاه بالتجــافي وسلا
جفنه والعطف في حرب الهوى | قد نضا السيف وهز الأسلا
خاله المسكي حبات الحشـــا | قد غدت للحسن منه خولا
مل من قربي إذ أترع لي | في الهوى كأس صدود وملا
لايرى التسهيل في وصل إذا | جئت أبدي شرح حالي جملا
فصل المشتـــاق عنه حينما | أحرق القلب بهجر وصلا
خبري بالخـــد والردف له | ملأً السهل به والجبـــلا
عـــامل اللحظ بقلبي فاعل | فهو مكسور بما قد فعلا
من ضمير الصبر قد فرغه | حينما أظهــر فيه عمـــلا
إن أتاه الدمع يومـــاً سائلا | ردّه نهراً بمـــا قد سألا
أفلا يسعدني بدري الذي | نجم سعدي في هواه أفلا
وبواو العطف من صـــدغ له | يجعل الوصل لهجر بدلا
يا خليلًا فاتحا عذلي به | ان تجد عيباً فسد الخللا
واطّرح عذلي فمن أجفانه | سبق السيف بعشقي العذلا
واعذر الصب الذي تيمه | بعذار فاتن من عذلا
لام تعليل بدت في خده | أثبتت للوجد فيه عللا
حجة العشق به واضحة | للذي في الشعر يبدي جدلا
أيها الحاكم فيها حسنه | جائراً وهو به قد عدلا
جانس الحسن بإحسان فما | كان ملك الحسن الا دولا
وأرى الدنيا كظل زائل | لا يطيل المرء فيه أملا

من أتى ينقل أخباراً بها ... للذي يأتي كما قد نقلا
والبقا الكامل وصف ثابت ... لإله ماكه قد كملا

وقال عفي عنه

من لي بعطار أراني شامة ... سوداء فوق الوجنة الحمراء
أمسى يبيع ويشتري أهل الهوى ... في سوقه بالحبة السوداء

وقال رحمه الله

يا ظبية في جفنها سحر به ... جنت دموع العين وهي دماء
الشمس انت فليس من عجب إذا ... أمن ازديارك في الدجى الرقباء

وقال رحمه الله

اني أحمل انفاس النسيم الى ... حماكم نفحات نشرها عطر
ولا أحملها شوقي لعلمي ما ... فيها من الضعف ان وافى بها السحر
لكن بها من ثنائي روضة أنف ... بها تفتح من ذكراكم زهر
فان سرت وعرفتم طيب نفحتها ... فثم نشر الثنا منكم له خبر
وذكركم من حديث النفس منية مَن ... ثناؤكم في لياليه له سمر

وقال عفي عنه

كلفت بفاتن عذب الثنايا ... فؤادي في محبته تعذبْ
جميع جوارحي تصبو إليه ... لذلك مدمعي فيه تصببْ

وقال

نشرت برقعاً على ورد خد ... منع الصب في الهوى نيل مأرب
وهولي مُبغض اذا رمت لثما ... اذ غدا قلبه لقلبي عقرب

وقال

هيفاء قد حجبت بشد عصابة ... عني الجبين وما رثت لنحيبي
فاعجب لمحجوب لها في حكمها ... قد ورثوه الحسن بالتعصيب

وقال

ومهاة في جيدها شهب عقدٍ   رمت أني من خدها أتقرب
فأجابت : لتنيلك الشهب لمساً   هو من لثم بدر خدي أقرب

وقال

عليك للنفس حق أن تطيب بها   اذا سئمت لطول الجد باللعب
وان تسرح طرفاً في الرياض لدى   خلٍّ براحته ترتاح من تعب

وقال

زرد العذار حمى الورود فلم يكن   للطرف أن يدنو من الوجنات
وإذا محب مدّ عينا نحوها   يبغي جناها كُفَّ باللامات

وقال

بعيني غزال البان هاروت ماكث   فلا تعجبوا والجفن بالسحر نافث
عجول بقتل العاشقين اذا رنا   وهيهات لحظ ينفث السحر رائث
لأسد الشرى غاب بأهداب جفنه   لذاك لها في القلب أمسى مضابث
من الترك سام قد حمى برد ثغره   فياحسن حام قد سما فيه يافث
هلال جمال بالمثاني معوذ   ودون سماع اللفظ منه المثالث
رشا لا يُرى ثانٍ لفرد قده   كما وجهه للبدر والشمس ثالث
به في الهوى قلبي الشقي جد جدّه   على أنه بالهائم الصب عابث
يشق على العاني شقيق بخده   لحبة قلبي خاله المسك وارث
رعيت قديم الورد غضا جناؤه   ولا عارض فيه يعارض حادث
حريري جسم في المقامات قد حكى   محاسن عنه تسلب اللب حارث
لعهدي أمسى ناكثاً بدلاله   وأي مليحٍ لايرى وهو ناكث
له قد صفا ودي ولا كان عاشق   بماذق من يهوى وفي الحب غالث

تنزهت عما ليس يرضي أخا العلا ... وما عاشق طابت سجاياه رافث

حليف صبابات اغوت في الهوى ... وليس سوى غيث من الدمع غائث

لقد حاول السلوان عنه مفندي ... وما ذو صبابات عن الحتف باحث

تحمل عبءا بالذي في الهوى نوى ... فأصبح ينوي وهو عاو ولاهث

دعوا من وشى عني يحدث بالذي ... يشاء فدمعي للصبابة نابث

ومن لي بأن استكتم الدمع صبوتي ... وعنها بتلوين المدامع بائث

زناد الأسى وارٍ لبعد معذبي ... كما زند أفراحي بلقياه غالث

عقدت يمين العهد يوم مددتها ... لتوديعه لا كان في الحب حانث

نهار أراني هوله يوم موقفي ... وجفني بقاني الدمع للخد مائث

دعينا لتوديع فلما تجمعت ... قلوب بها ناب النوائب ضابث

لبثنا بوادي الجزع في موقف النوى ... يبدد منا لؤلؤ الدمع لابث

وما فضل جمع جره لوعة الأسى ... وللشهد مر وهو للحتف باعث

لئن حل عهداً قد عقدناه ذو هوى ... فاني على عهد الأحبة ماكث

وقال موشحاً

في سما الأفراح بدر السعد لاح ... فاجل شمس الراح واترك قول لاح

قد وفى وصل الصفا فصلُ الربيع

شاكراً فضل الأيادي للربيع

وغدا يبدي مقامات البديع

عندليب في فروع الدمع صاح ... داعياً سكران حب غير صاح

وزهت بالحسن للورد خدود

قد حلا فيها لعشاق ورود

والحيا قد حاك للروض برود

نسجها قد كان من غزل الرياح   فلذا تكسو الفتى ثوب ارتياح

وبدا غصن عيون النرجس

بقدود في رياض السندس

كالعذارى برزت في الأطلس

وحلا مبتسماً ثغر الأقاح   بثنايا الغادة الخود الرداح

وجلا الريحان آيات العذار

لرشا يحلو به خلع العذار

وانجلى عن جل ناري الجلنار

حين أبدى وجنة الغيد الصباح   رمقتها أعين منا وقاح

حبذا العيش بأيام الصبا

وزمان فيه قلبي قد صبا

حيث تروي لي نسيمات الصبا

خبر الإسعاد عن ذات الوشاح   من لها قلبي حماه مستباح

غادة تنشيء من غمز الجفون

كل عشق إن تقل كن فيكون

كم أفاضت من عيون بعيون

صافحت أهل التصابي بالصفاح   وعليهم شرعت سمر الرماح

نشرت فرعاً غدا أصل الغرام

فوق جيد فكسا الصبح ظلام

وغدت ترسل للصب سهام

من جفون أثخنت قلبي جراح   لاترى في قتل مضناها جناح

جعل الصب لعينيها النسيب
بمعان دونها يعنو حبيب
وأتى يبدع أسلوباً عجيب
بلآل جوهريات صحاح لزفاف في سما الإقبال لاح

وهو طويل قد جعله تهنئة بزفاف لبعض أحبابه رحمه الله .

وقال أيضاً هذا الموشح الآتي داخلاً به على أعجاز نونية الوزير ابن زيدون التي كتب بها لولادة بنت المستكفي وقد كتب بها للقاضي الشريف

أجرى مآقينا بعد المحبينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا
ياطيب أوقاتي بسفح نعمان
إذ نلت لذاتي بوصل نعمان
يدير كاساتي روحي وريحاني
فالآن لما بان يزرى غصون البان أضحى التنائي بديلا من تدانينا
ياجيرة البان جرتم ودمعي جار
هجرت أوطاني ولم أنل أوطار
والبعد أشجاني وطير أنسي طار
ومارقت أجفان ، بعدالحمى والبان شوقاً اليكم ولا جفت مآقينا
أحبابنا عودوا لذلك الحب
كي يورق العود بالأنس والقرب
وباللقا عودوا مروع القلب
واسقوا غصون الود، بالعطف بعدالصد فنحن روض وأيديكم سواقينا
يا طالما أبدى لي المنى الخل
وأسعدت سعدي وأجملت جمل

وراق لي وردي — يوم اللقا الوصل
حيث المنا واف ، وظله ضاف — ومورد اللهو صاف من تصافينا
أيام عيشي راق — بقرب ذات الخال
وقرطها الخفاق — يدنو من الخلخال
ولي بكشف الساق — قد ساقت الآمال
فبعدها قد كاد ، بما لنا قد كاد — يقضي علينا الأمى لولا تآسينا
خود وفت وعدي — باللطف والإيناس
وأسعدت جدي — بعطفها المياس
وخدها الوردي — ببوسه لاباس
أنعم به خداً ، لصبه أهدى — ورداً جناه الصبا غضا ونسرينا
قد زاد وسواسي — بالحلي في الصدر
وهمت للكاس — من ثغرها الدر
وليس لي آسي — سواه من ضر
لذا رجا قلبي ، من ورده العذب — شربا وان كان يروينا فيظمينا
يا بانة الوادي — هل عائد أنسي
وعهد إسعادي — بالبدر والشمس
وأنجم النادي — يسعون بالكاس
ومنية العشاق ، أدار وهو الساق — فينا الشمول وغنانا مغنينا
ذكرت أيامي — بقرب ذي المجد
شريف السامي — بدر العلا رشدي
مولى بإلهامي — يعيد مايبدي

من أن وصفناه ، بما مدحناه فحسبنا الوصف ايضاحا وتبيينا

منهم لنا أولى عـــوائد البر
ولم يزل أولىَ بالحمد والشكر
وزادني طـولى برفعـة القدر

وأغصن المن ، أدنى لمن يجني قطوفها فجنينا منه ماشينـا

مع بعده وفـّى عهـدي وأولاني
والود لي أصفى فضـلًا ووالاني
وزادني عرفـا من بعد نكران

فان يكن قد دان، قلبي لذا الإحسان فالحر من دان انصافا كما دينا

مـولى أياديه جيد العلى حلت
كما مساعيه عقد الأمى حلت
ومن يوافيه له المنى حلت

لقد خطرنا بما أسدى لنا كرما في وشى نعمى سحبنا ذيله حينا

حيث الصفا حيا بما نرجيــه
وقد غدا حيا ميت الرجا فيه
وكم دعا هيـا داعي أمانيـه

لذاك قد نلنا منه بما منّا منى ضروباً ولذات أفانينا

واشوقي البادي لطيب ناديه
إذ بالمنى نادي لمن ينـاديه
من بعد ابعادي عن ورد صافيه

بدلت بالبلوى عن جنة المأوى والكوثر العذب زقوماً وغسلينا

يامن علي الشعري به علا شعري
وبالوفا أجرى لطفاً بلا أجر
وللعلى أسري بي مطلقاً أسري

هيهات أن ننسى من بعدكم درساً بيض الأيادي التي مازلت تولينا

أوقات شربي صاف من وردك الحالي

وبدر أنس طاف بكأس آمالي

وغاظ بالأتحاف مرآك عـذالي

لذا دعوا جهراً بمهجـة حرا بأن نغص وقال الدهر آمينـا

فحالت الأحوال عن ذلك العهد

وقطعت آمال معـذب الصد

وعز لمع الآل ظمآن للورد

واوجه القصد عادت من البعد سودا وكانت بـكم بيضا ليالينا

وقال من قصيدة

خطرت لأعطـاف المحاسن ثانيه هيفـاء للشمس المنـيرة ثانيه

ورمت سهاماً عن قسي حواجب منعت مراميهـا بلوغ مراميه

وهوت معاطفها تميل مع الهوى واحر أحشائي بنـار الهـاويه

السيد الشيخ ابراهيم البرزنجي الكردي

بقية ابناء البتول ، ونهاية القصد والسول ، المحرر لمعاني المعقول ، والمحبر لمبـاني المنقول ، من صرف همته فيما تحمد عقبـاه ، وعرف الحق فاتبعه واجتباه ، وان هذا المترجم يكفيه شرفاً انه على نسق أبيه ، وان أباه معلوم بأنه سيد شريف عالم عامل فاضل نبيه ، وانها من بيت العز والشرف ، الذي ينحط لعـلوه البدر وهو في الشرف ، فـلا ريب انه توطد في وهاد الفخار ، وغرد صادح فضله مهيمناً بما تحلى به من الفضل والمقدار ، فحَسَبُه أظهر من عمود الصبح نوراً ، ونسبه أشهر من الشمس ظهوراً ، وأهله أهل جود وكرم ، وأصله ممن نسب اليهم سمو الهمم ، كلهم ذوو فصاحة وبراعة وبلاغة وبداعة .

من أناس سموا على ذروة النجـــم فخـاراً بأحمـد وعـلي
ورثوا المصطفى فخاراً فهل من شرف مثـل مـا سموه عـلي

روى عنه من ابناء العصر الجم و كمل به فن المعقول والمنقول وتم ، وما زال مهابا معظما موقرا مكرما ، مقصودا لكل اشكال معدوداً من أعيان ذوي الكمال ، في كل يوم يسمو مقـامـه ، وينمو احترامه ، الى ان دعاه داعي السعود ، الى الاجـابة لدار الخـلود ، وذلك سنة الف ومائتين ونيف وثلاثين من هجرة النبي الامين ﷺ .

السيد ابراهيم مفتي البصرة بن السيد بدر الدين بن السيد مبارك ابن السيد صالح بن السيد رجب بن السيد شعبان بن السيد محمد درويش ابن السيد صالح بن السيد عبد الله بن السيد عبد الرحمن بن السيد حسن ابن السيد حسين بن السيد يوسف بن السيد رجب بن السيد القطب الجليل شمس الدين محمد سبط الحضرة الرفاعية رضي الله عنهم .

ان هذا المترجم من رجال تنوير الابصار ، في طبقـات السادة الرفاعية الأخيار .

فقال في ترجمته ، واظهـار منقبته : ولد بالبصرة ونشأ ببيت أبيه وسيده ومربيه ، ورضع ثدي الكمال ، وتلقى العلم عن فحول الرجال ، واتقن علوم الشريعة وعده ارباب العرفان من حسنات الزمان ، لبس الخرقة الرفاعية من أبيه ، السيد بدر الدين الرفاعي وانتشرت على يديه ، أخذ عنه الافاضل ، وولي نقابة الاشراف بالبصرة برهة يسيرة ثم وجهت عليه خدمة الافتاء بها وبقي مفتياً حتى مات بها . وقد كان معتقدا مبجـلا محترما ذا شأن كبير ، وقدر خطير ، وله تصانيف وتآليف جليلة أشار اليها المرحوم شاعر العراق السيد عبد الغفـار الاخرس في بعض قصائده التي امتدحه بهـا وقد أكـثر من مـدائحه ، وأشار الى ما أحسن الله

اليه به من منائحه ، منه ما قاله ـ من قصيدة فيه لازالت سحب الرحمة توافيه :

قريب من رسول الله يدعى بأزكى العالمين ابا وأما
نماه الانجبون وكل قرم الى خير الورى يعزى وينمى
تخلق من سنا نور مبين فكان الجوهر النبوي جسما

ومنها

تأمل في عظيم من قريش تجد أسد الشرى والبدر تما
عليه من رسول الله نور به يمحو الظلام المدلهما
إذا الأمر المهم دها كفانا بدعوته لنا ماقد أهما

وله فيه من قصيدة أخرى

ولي في البصرة الفيحاء قوم أصول بهم على الخطب الجسيم
جرى من صدر ابراهيم فيها على الدنيا ينابيع العلوم

ومنها

إذا عدت قروم بني معد فأول من يعد من القروم
عماد الدين قام اليوم فينا بأمر الله والدين القويم
وفرع من رسول الله دلت أطايبه على طيب الاروم

ومنها

لقد كرمت له خيم وجلت وخيم الأكرمين أجل خيم
وهل في السادة الأنجاب الا كريم قد تفرع من كريم

ومدائحه كثيرة ومناقبه شهيرة ، وقد كان من أكابر القوم أهل الباطن والظاهر ، ومن أشراف السادة الأحمدية الذين توارثوا مكارم أبي العلمين كابرا عن كابر ، توفي المترجم المرقوم بعد الخمسين والمائتين والألف بالبصرة ودفن بها وقبره معروف . انتهى ولعمري ان فقده مصيبة عظيمة وداهية جسيمة فهو كما قيل :

من بعده تلك الدروس تعطلت ... يبكي لهـا قلبي ويبكي المنبر
قد كان فخرا للانام ومفتيا ... يفتي بحـق الله هـذا الانور
فالصبر منا قد تمزق ثوبه ... من أين للصب المعنى يصبر
غدر الزمان بنا بابراهيمنا ... هذى على كل المصائب تكبر

ابراهيم الداغستاني

كان من مشاهير العلمـاء ، وأفاضل السادة الفضلاء ، نشـأ على العلم والتقوى ، والإخلاص في السر وفى النجوى ، والعبادة والصلاح ، والسير على نهـج الاستقامة والنجاح ، ولم تزل الايام تمنحه مطلوبه ، وتحبوه مراده ومرغوبه ، الى أن أجلسته يد العناية ، وأقعدته سواعد الرعاية ، على مرتبة التدريس في جامع السلطان محمد الفاتح ذي المقام النفيس ، فكان يبذل مجهوده في إبداء اللطائف . ونشر العلوم والمعارف ، ثم تولى القضـاء في حلب والشام ، ثم بعد ذلك تولى قضاء البيت الحرام ، ولما طعن في السن وضعف بصره لزم داره ، وجعل العبادة مراده ومداره ، وفي شهر محرم سنة الف ومائتين وتسع هجرية ، وجهت اليه رتبة صدارة « روم ايلي » التي هي أعلى رتبة علمية ، وفي ثمانية عشر جمادى الآخرة سنة الف ومائتين وعشر توفي الى رحمة الله ، أعلى الله مقـامه وأولاه مناه آمين .

السيد ابراهيم بن قاسم بن محمد بن محمد بن علي الحسني الرويدي المكنى بأبي الفتح

اديب كامل ، قد اشتهر بين الأفاضل بالفضائل ، وحسن بين الناس ذكره ، وعلا مقامه وقدره ، قال الامام الجبرتي : ولد بمصر كما أخبر هو عن نفسه سنة سبـع وعشرين ومائة والف ، وكان فريداً بالأدب والجمال والكمال والظرف واللطف ، حفظ القرآن المجيد ، وأتقنه على أتم تجويد ، ومهر بحسن الكتابة والخط ، حتى كاد أن يقال لايوجد من يساويه في مصره قط ، وكتب بخطه الفائق الحسن الخالي عن المماثل ، كثيراً من المصاحف

والأحزاب والأدعية والقطع والدلائل ، وكان إنسانا حسنا يحفظ كثيراً من نوادر الأشعار ، وغرائب الحكايات والأخبار ، وعجائب المناسبات على أتم مطلوب ، وروايتها على أحسن أسلوب مرغوب ، والحاصل أنه كان فريدا ، وفي كماله وحيدا ، توفي سنة إحدى عشرة ومائتين والف .

الشيخ ابراهيم بن الشيخ محمود بن الشهاب أحمد العطار الدمشقي الشافعي

عالم جليل ، وفاضل نبيل ، شهير الذكر ، كبير القدر ، من بقية المشايخ الأقدمين ، الناهجين على طراز كُمّل الصالحين ، له محاضرة لطيفة ، ومذاكرة ظريفة ، وتواضع بين ، وجانب ليّن ، ولد بدمشق عام اثنين وثلاثين ومائتين وألف تقريباً ونشأ بها ، وقرأ على مشاهير مشايخها ، منهم عمه الشيخ حامد العطار والشيخ عبد الرحمن الكزبري والشيخ سعيد الحلبي والشيخ عبد الرحمن الطيبي والعلامة عمر أفندي الآمدي وملا بكر الكردي وغيرهم ، وأخبرني رحمه الله أنه قرأ على والدي المرحوم الأربعين حديثاً النواوية دراية في مجالس متعددة واستجازه بما تجوز له روايته عن مشايخه فأجازه وكتب له بخطه ، وكان ناسوته يشهد بكماله ، ولا التفات لما نسبه اليه بعض حساده ، وأعدائه وأضداده ، وقد تصدر للاقراء والإفادة في جامع بني أمية ، وعكف عليه من الطلبة كثيرون ، وكان ينظم الشعر أحياناً ، ويؤثر الانزواء عن غير محافل الفضلاء ، ولم يزل على حالة حسنة وصفة مستحسنة ، إلى أن توفي سلخ شعبان سنة أربع عشرة وثلاثمائة وألف ودفن في مقبرة الدحداح رحمه الله تعالى .

السيد ابراهيم بن السيد محمد بن السيد عبد الله ابن الولي الكبير السيد أحمد الراوي الرفاعي

قد ترجمه أحمد عزت باشا بن محمود أفندي بن سليمان أفندي الفاروقي رحمه الله فقال : هو الشاب التقي النقي اللوذعي ، ولد براوه بعد السبعين ومائتين

وألف ، ونشأ في حجر أبيه وتلقى عنه العلوم وتفقه في مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه ورحل لطلب العلم إلى الموصل وإلى بغداد ، وأحرز سهماً من الكمال . إلى آخر ماترجمه به وقد ذكر له قصيدة مدح بها الشهم الأوحد والقطب الغوث المفرد السيد أحمد الرفاعي قدس الله سره وأعلى قدره وجعل في الجنان مقره فقال :

يا أخا السير إن أردت وصالا ووصولا إلي العلا واتصالا
بفسيح الوادي المقدس فاترك زمرة الحائرين واخلع نعالا
وتذلل واسلك طريق الرفاعي من كساه الرسول قالا وحالا
ولديه الوفود كم قد أقالت عـثرات وخففت اثقالا
وهومأوى القفول في كل عصر كم جلا عن قلوبها أقفالا
وهو ليث الوغى وغيث البرايا منـه تسقى قلوبها الآمالا
وهو السيل إن أردت علوماً وهو السيف إن أردت قتالا
وهو باب النبي لاثم يمنـا ه جهاراً وقد تجلى تعالى
حين أبدى محمد معجزات معجزات لأحمد اجلالا
كيف لا وهو شبله وكذا الآ باء تعلو ان انجبت أشبالا
وكذا الآل بالفضائل تسمو هكذا هكذا وإلا فلا لا
يا ابن بنت الرسول يا ابن علي من بعزم صم القلوب أسالا
يوم بدر وخيبر وحنين وتبوك كم للضلال ازالا
يا رفيع المقام يابن الرفاعي طبت نهجاً وبهجة وجمـالا
رضي الله عنك يا سيد القو م الذي جل هيبة وجـلالا
يا حمي الأولياء يا مقتداهم يا مجير الجاني إذا الذنب صالا
جد لعان بنظرة وتلطف لعبيد ما عنكمو قط مالا
بحماكم قد لاذ راوي أحاديـــث علاكم مفصلات طوالا
كم لـكم من مآثر وصفات قد تجلت للنـاس سحراً حلالا

لو أردنا ايرادها بمقـــال لرأينا تفصيلها اجمالا
آل طه لا زال في الكون منكم كل آن يرى الزمان رجالا
علماء أئمـــة أمراء أوليـــاء وسادة أبطالا
شكر الله سيركم والمساعي ومقالا وسيرة وفعالا

الشيخ ابراهيم ابو اسحاق بن عبد القادر الرياحي المغربي التونسي
شيخ الاسلام وعمدة العلماء الأعلام بمدينة تونس

عالم الغرب ومفتيه ، وشاعره المتقدم على المتنبي وابن النبيه ، فهو علامة الدهر وفاضله ، وفهامته الذي تعالت شمائله ، قد شهد بفضله عدول السند وروى عن علمه كل عالم معتقد ، ونشرت صحف نداه فطويت صحف حاتم طي ، ورفعت رايات علاه فأذكرتنا بمعالي أبيّ ، فلله ما أبدع بيانه ، وارفع قدره في الأنام وشأنه ، وأعذب نظامه ونثره وأطرب سجعه وشعره ، ومن جملة شعره قصيدته التي قدمها تهنئة لحضرة السلطان عبد الرحمن بن هشام حينما جلس على تخت السلطنة في فاس بوصية من عمه السلطان سليمان فقال :

نصر من الرحمن جل لعبده أيروم خلق نقض مبرم وعده
وعدت به الاقدار وهي نوافذ في الشاكرين له سوابغ رفده
فليبتسم ثغر الهنـا مستبشراً فالوقت ينطق عن سعادة جده
إن يمض مولانا سليمان الرضى وعليه تبكي الباكيات لفقده
العلم والتقوى وكل فضيلة منشورة طويت به في لحده
فلقد أقام لنا أبا زيد هدى نوراً مبيناً يستضاء برشده
لو لم يكن كفؤاً لما أوصى به وبنوه ترفل في ملابس مجده
سعدت به الأيام ثم أراد أن تبقى السعادة للورى من بعده
أعظم به نصراً يدوم سروره للخافقين مرى تضوع زنده
اهدى الى الأعداء أقتل غصة والأوليا متنعمون بشهده
فاستبشروا باليمن من مرضاته واستمطروا نيل المنى من وده

ما هو إلا ابن الرسول وهل فتى ... في الناس يعدل عن مكارم جده
وتناسقت أسلافه كرماً كما ... راق النواظر اؤلؤ في عقده
لا غرو ان جمع المحاسن كلها ... منهم بإرث الجمع حق لفرده
لا يأفك الخراص حيث يقول قد ... ذهب الزمان بعَمره وبزيده
فبسيف ما ننسخ يُقد أديه ... حتى ولو وفى العيان بورده
فلكم وكم من آخر زمناً له ... فضل عظيم لا يحاط بسرده
يا أهل فاس والمغارب كلها ... والشرق من مصر لغاية حده
يهنيكم هـذا الزمان فإن في ... أيامه للدين مطلع سعده
والعلم والتقوى وكل معظم ... عند الشريعة فهو بالغ قصده
النور أوقد منهمُ أتراهم ... يرضون إلا باستدامة وقده
الله يبقي نوره متوقـدا ... يفنى الزمان ولا فنـاء لخلده
ويخص مولانا الأمير بنعمة ... لاتنقضي وعناية من عنـده
ويـديه ظلا ظليلا كلما ... حمي الورى هرعوا لجنة برده
وحسام فتح كلما نهضت به ... عزماته فالنصر شـاهد حده
وتمام بدر كلما اقتعد السرى ... لم يسر الا في منازل سعده
وعليه تسليم تأرج نـده ... لكنه في الفضل عادم نده
ثم الصلاة عـلى النبي وآله ... والحمد في بدء الكلام وعوده

وللمترجم أشعار كثيرة وآثار غزيرة وتحقيقات شريفة (١) وتدقيقات منيفة ، ولم يزل يصعد على سلم السمو ويترقى على معراج العلو إلى أن دعاه داعي المنية الى الآخرة العلية وذلك سنة الف ومائتين وثلاث وستين (٢) .

---

(١) له رسائل وخطب جمعها حفيده عمر الرياحي في كتاب سُمي : « تعطير النواحي ، بترجمة الشيخ سيدي ابراهيم الرياحي ـ ط » ومن كتبه « ديوان خطب منبرية » وحاشية على شرح الفاكهي « لقطر الندى » في النحو وغيرها .

(٢) في الأعلام ، ومعجم المطبوعات ، ومعجم المؤلفين وغيرها : سنة ١٣٦٦ هـ .

ابو المواهب بن حسين بن سليم بن سلامة الدجاني مفتي يافا

عالم قد زان علمه العمل ، وناظم قرّت بحسن نظمه المقل ، حديثه أعذب من الماء الزلال ، ونثره ألذ من الوصال بعد الدلال ، قد قرأ في الجامع الأزهر الى أن حصل له الحظ الأوفر ، واجازه شيوخه بما تجوز لهم روايته ، وتنسب إليهم درايته ، من حديث وتفسير وفقه وتوحيد وأصول ، وغير ذلك من نحو وصرف ومعقول ومنقول ، ثم بعد حصوله على غاية سؤله ، رجع الى بلده وأهله ، ونزل في دار العالم الفاضل والمرشد الكامل بغية الأماني الشيخ أبي رباح الدجاني ، ولما قصدت زيارة بيت المقدس سنة ألف ومائتين وتسعين نزلنا في دار الشيخ أبي رباح ، واجتمعنا بالمترجم المذكور فأدخل علينا غاية البشر والانشراح ، وكان يقرط آذاننا بلآلىء كلامه ودرر نثره ونظامه ، وأسمعنا قصيدته التي مدح بها حضرة أبي رباح المومى إليه وهي هذه :

إلامَ بربة الخلخال صاح — فؤادك في المحبة غير صاح
وتنثر عقد دمعك ذا انتظام — أكان الطل أم زهر الأقاح
وتخلع في العذارى ثوب نسك — أليس عليك في ذا من جناح
بروحي غادة رشفات فيها — ودر حديثها نقلي وراحي
تميل بعادل الأعطاف تيها — فتهزأ بالغصون وبالرماح
كست جسمي السقام وما كفاها — إلى أن أوسعته من الجراح
بطيف خيالها ضنت فجادت — كرائم أدمعي بعد الشحاح
رأت حل الوصال بها حراما — وسفك دم المحب من المباح
لأسمر قدها هزت وصالت — ببيض لحاظها المرضى الصحاح
فدعني عاذلي واعذر محبـاً — وحق الحب لا يصغي للاح
يخوض معارك الظلماء فرداً — يسامر ساهر النجم اللياح
ومن عشق الصباح عليه هانت — مراقبة النجوم إلى الصباح

يميناً بالهوى العذرى لعذري ... بها بين البرية ذو اتضاح
فقد كملت صفات الحسن فيها ... كما كملت صفات أبي رباح
امام قد سما هام الثريا ... ونال من العلا أعلى القداح
الى قصب المكارم حاز سبقاً ... وجارى الغيث في بذل السماح
وبحر نهل مورده فرات ... جرت بعبابه سفن النجاح
بروض المجد قد غرست يداه ... غصون الفضل بادية الصلاح
يراع يمينه في الخطب أمضى ... إذا ماخط من بيض الصفاح
وركن الملة البيضاء أعلى ... بنور هداه في كل النواحي
حمى بسنان همته حماها ... فليس حريمها بالمستباح
وليس لحاسد يبغي مداه ... بمعراج المكارم من طماح
لحي حله يمم لتحظى ... بما أملته حسب اقتراح
فيا لله من حي تسامى ... ينادي الوفد حي على الفلاح
فيامولى المعارف كل مولى ... تراه لديك مخفوض الجناح
اليك الفكر قد أهدى عروساً ... ممت بنطاقها ذات الوشاح
لها المهر القبول وليت شعري ... أهل يرجى لذلك من نجاح
فمعذرة لمن أمسى غريباً ... يكاد يغص بالماء القراح
إذا ابتسمت بروق الشام يوماً ... فيملأ أرض مصر بالنواح
مقيم جسمه فيها ولكن ... له قلب بهاتيك البطاح
بقيت بأوج مجدك ماتغنت ... بروض الشكر أطيار امتداح

وله نظم كثير رقيق ونثر بكل مدح حقيق ، وتأليفات لطيفة وتحقيقات شريفة ، ومفاكهات حسنة وادراكات مستحسنة ، وبعد موت أخيه الكبير آل الإفتاء منه اليه وإنه لايليق أن يكون مستنداً في استحقاقه إلا عليه ، ولم يزل ذا سيرة حميدة وشهرة بديعة فريدة .

الشيخ أبو رباح السيد عبد القادر الدجاني اليافي الدردير

عالم في علمه لايجارى ، وعامل في عمله لايبارى ، معروف بالفضل والكرم وموصوف بين الاكارم بالوصف الأتم ، بيته لكل قاصد معروض واطعام الوافدين وإكرامهم كأنه عليه مفروض ، لايرد وارداً ولا يمنع من الزائرين قاصداً ، كأن ابا تمام قال بحقه هذه الأبيات العظام :

هو البحر من أي النواحي أتيته ... فلجته المعروف والجود ساحله
جواد إذا ماجئت للجود طالباً ... حباك بما تحوي عليه أنامله
ولو لم يكن في كفه غير روحه ... لجاد بها فليتق الله سائله

مع عفة وديانة وعبادة وصيانة وصيام وقيام وطاعة على كمال الانتظام ؟ واذا رأيته رأيت شهماً ذا هيبة ووقار وهيئة حسنة قد جللتهـا الأنوار ، تهابه النفوس قبل أن تعرفه وتصفه بالكمال قبل أن تستوصفه ، فلا ريب أنه في زمنه فريد مصره بل فريد أوانه وعصره ، وكل من عرفه أقر له بذلك واعترف ، وعلمه أنه من خلاصة ذوي المجد والنسب والشرف ، وقد جاور في أول أمره في الجامع الأزهر والمحل الأعلى الأنور ، وأخذ عن السادة الأفاضل ذوي الشمائل والفضائل كالشيخ الباجوري والشيخ السقا والشيخ الأشموني والشيخ الخضري والشيـخ عليش وغيرهم ، وقد أخذ عن الشيخ حسين الدجاني مفتي يافا وعن الجسر شيخ سجادة الطريقة الصاوية . وله كرامات عجيبة وخوارق غريبة . وكنت زرته ونزلت في داره حينما توجهت لزيارة بيت المقدس ، فرأيت رجلًا رجله في الثرى وهامة همته في الثريا ، ذا أوصاف علية وأخلاق نبوية ، وكأن لسان حاله مخاطب من حل لديه : ليس للشيخ منة عليك بل منتك عليه ، وفي يوم من الايام بعد صلاة الفجر رأيته يريد الذهاب على خلاف عادته ، فسألته عن ذلك فقال اني في

هذه الليلة رأيت القطب عبد القادر الجيلاني فسلم علي ورحب بي ، ثم قال استقبل ضيوفي فإنهم في الصباح يردون عليك من صبحه ، فأنا خارج لاستقبالهم وانصرف ثم عند الزوال جاء الوابور ومعه جماعة من الهنديين القادريين فجاء بهم جميعاً الى داره ، وقال لي قد وصل بحمد الله ضيوف الأستاذ وكان يقوم بخدمتهم بنفسه ماوكلهم إلى أحد من خدمه ، وكان يقدم لكل واحد منهم مايشتهيه من طعام وشراب ودواء على حسب حاجتهم ، وهذا أمر نادر لايقدر عليه في الناس إلا السادة الأكابر ، ومع ذلك هو مقصود للسؤال والجواب ، وإقراء الطلاب ، ولم يزل مقامه يعلو واحترامه يسمو ، الى أن دعاه داعي المنية ، وذلك سنة الف ومائتين ونيف وتسعين .

الشريف السيد الاستاذ ابوالهدى بن السيد حسن وادي بن السيد خزام ابن السيد علي الخزام بن السيد حسين برهان الدين الرفاعي الخالدي الصيادي قطب مدار الفضائل ، ومجمع أسنى الشمائل ، مصباح ذوي العرفان ، ومفتاح غيب كعبة الوجدان ، الحسيب الذي علا حسبه ذروة العلا ، والنسيب الذي اشتهر نسبه بين الملا ، من سراة لهم السر الأعلى ، وحماة لهم القدر الأجلى ، وأفاضل استوى فضلهم على عرش الكمال ، وأماثل قد طار ذكرهم في الآفاق وجال كل مجال ، وطاول شرفهم الحمل والميزان ، وحاول الترقي الى ذروة اليمن والإيمان ، وهو ممن تأثل مجده في بحبوحة ذلك الشرف ، وتبوأ من السيادة أسنى الغرف ، مرتوية أفياؤه بماء النبوة ، متأرجة أرجاؤه بعبير الفتوة ، مع مهارة في العلوم ، ومحاضرة فاض فيضها من فضل سيبه الموسوم ، وأخلاق تألق جمالها الوضّاح ، وأوصاف تأنق عبير روضها الفواح ، وأدب تردى بالبراعة وتوشح ، وشعر ترنح للقبول وترشح ، وحسن تلاعب بأطراف الكلام ، وتناسب فيما تنشره ألسنة الأقلام ، وجمال ألبسه الكمال إهابه ، وجلال لوراه الغضنفر الكاسر في غابه هابه .

فطن له علم يفيض ومنسب ... من ضرعه در النبوة يرشح
فرع زكا من دوحة الشرف التي ... من فوقها ورق السيادة تصدح
هذا ملخص نسخة السادات من ... يثني عليه كأنما هو يقدح
انظر جميع خصاله وفعاله ... فجميعها عبر ان يتصفح
عجباً لقوم يكفرون بها ولو ... عقلوا وماعقلوا الصواب لسبحوا

يحق لعصره به الفخار، ولمصره ان يتيه به على سائر الأمصار، فهو إمام الكل في الكل، لو حاول اللسان حصر أوصافه لعجز وكل، كيف لا وهو إمام وابن إمام، وهمام وابن همام، وهلم جرا لا تقف عند حد، حتى تنتهي الى أشرف جد، فليس في نسبهِ إلاّ ذو فضل وحلم، حتى تقف على باب مدينة العلم، وهذا فرع طابق أصله، ومتأخر ولكن فاق من قبله، طلع في جبهة الدهر غرة، فكان للعيون مسرة وقرة، وما قارن هلاله ابداره، حتى أحاطت به العلا داره، فلا غرو إن ألقت إليه الرياسة قيادها، وجعلت إليه السيادة استنادها، فأصبح ومرتبته العليا، وعبده الزمان وأمته الدنيا، ولله دره من عالم بهرت حجته، وبحر زخرت لجته، فقذف لؤلؤا ودرا، وعم الأنام إحسانا وبرا، وناهيك به من ذي منطق فصل، وفضل قد تأثل في الزيادة والوصل، ولما ضاع أرج ذكره نشرا، وتهلل محيا الوجود بسناه بشرا، وانتشر صيته انتشار الصباح، وتعطرت بعبير ثناه الفيافي والبطاح، وعشقت أوصافه الأسماع، وأسرع اليه طلاب المعالي للأخذ والسماع، دعاه مولانا السلطان، الغازي عبد الحميد خان، إلى حضرته العالية الشريفة، واستبقاه في بحبوحة نعمته المنيفة، ونظر إليه بعين عنايته، وأسبل عليه ستر رعايته، فهناك امتد في الدنيا باعه، وعمرت بكمال الإقبال عليه رباعه، وقصده الغادي والرائح، وخدمته القرائح بالمدائح :

هذا الهمام ابن الهمام أبو الهدى ... كنز الندى نجل النبي المجتبى
هذا وحيد الدهر قطب أولي العلا ... شمس الملا شرقاً بدت أو مغربا

ألف الندى ورأى السخاء فريضة ... فاعتاد بذل المال من زمن الصبا
ان تدن آمل بره ونواله ... لاقاك بالوجه البشوش ورحبا
ذا البحر ان يممته تظفر بما ... أملته جرب ترى صدق النبا
قد قر في عرش الكمال سموه ... فلذا تراه على البرية كوكبا
من آل بيت قد علت أركانه ... وله العلا قد قال أهلا مرحبا
أبقاه ربي للأنام مدى المدى ... ما أشرقت شمس وما هبت صبا

هذا وإني بحمد الله قد اجتمعت بهذا المترجم الفريد ، حينما تشرفت به دمشق الشام وكان قد قصدها على قدم السياحة والتجريد ، مريدا بعد زيارة ساداتها زيارة أقربائه بني الصياد ، فحصل لي بالاجتماع بحضرته غاية المنى والإسعاد ، غير ان الحصة كانت قصيرة ، وكانت المذاكرة بيننا يسيرة ، فلم تحصل المعرفة المقتضية للتذكار ، وعلى كل حال فاني اعدّها من النعم الكبار ، وقد وعيت من بديع محاضرته ما أدهش ، ورويت من أحاديث شعره ما أطرب وأنعش ، وكان كثيراً ما ترد عليه احوال ، دالة على استشرافه على مقام الكمال ، وإني لأرجو من واهب العطيه ، ان يمتع بصري برؤية حضرته على احسن حال قبل حلول المنيه ، انه كريم وهاب ، اذا دعاه العبد أجاب ، ثم انني أيام رقمي لهذا التاريخ طلبت من حضرة المترجم ترجمته بالمراسله ، لتكون لكتابي حلية لطيفة ولذاتي من جملة المواصله ، فأرسل لي حفظه الله من تأليفاته الشريفة جملة ومنها كتابه المسمى « بقلائد الزبرجد ، على حكم مولانا الغوث[1]

---

(١) إن لفظ الغوث — في الكتاب والسنة وكلام العرب ، كالاستغاثة — إنما هو مستعمل بمعنى الطلب من المستغاث به ، وأكثر ما يقال : يا غياث المستغيثين ، ومعناه : المدرك عباده من الشدائد إذا دعوه ، ولا يجوز الاستغاثة بغير الله ، فيما لا يقدر عليه إلا الله . وأما قوله تعالى — في سورة القصص — « فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه » فهي استغاثة عادية ، داخلة في دائرة الأسباب والمسببات .

الشريف الرفاعي أحمد » ، مذيلا هذا الكتاب بترجمة هذا الاستاذ ، والعمدة الشهم الملاذ ، وهذه الترجمة من إنشاء العالم الفاضل ، والجهبذ السميدع الكامل ، السيد محمد بن السيد عمر الحريري الرفاعي شيخ السجادة الرفاعية ، في مدينة حماة المحمية ، فنقلتها بحروفها من غير تغيير ولا تبديل ، كما هي مرقومة لتكون نسبتها الى حضرة منشيها باقية ومعلومه ، فقال بعد خطبة دخل بها على المرام ، وقد حذفتها لاقتضاء المقام ، هو العالم المحقق والفاضل المدقق ، شيخ الطريقه ، وكشاف كل حقيقه ، فرع الزاوية الهاشميه ، ويتيمة قلادة السادة الأحمدية ، مجدد طريقة جده أبي العلمين ، وناشر أعلام فضله في المغربين والمشرقين ، المالك زمام الفضائل والمعالي في كل نادي ، صاحب السماحة والسيادة السيد الشيخ محمد ابو الهدى افندي ابن شيخ المقام العالي الصيادي ، العارف الكبير ، الهمام الشهير السيد الشيخ حسن وادي ، بن السيد علي بن السيد خزام ، بن السيد الشيخ علي الخزام ، دفين حيش الولي المقدام ، ابن الولي العارف العالم المرشد الكامل السيد الشيخ حسين برهان الدين ، بن السيد عبد العلام ، بن السيد عبد الله شهاب الدين المبارك الزبيدي البصري الرفاعي ، بن السيد محمد الصوفي ، ابن السيد محمد برهان ، بن السيد حسن الغواص ، بن السيد الحاج محمد شاه ، بن السيد محمد خزام دفين الموصل ، بن السيد نور الدين ، بن السيد عبد الواحد ، بن السيد محمود الاسمر ، بن السيد حسين العراقي ، ابن السيد ابراهيم العربي ، بن السيد محمود ، بن السيد عبد الرحمن شمس الدين ابن السيد عبد الله قاسم نجم الدين المبارك ، بن السيد محمد خزام السليم ، ابن السيد شمس الدين عبد الكريم ، بن السيد صالح عبد الرزاق ، بن السيد شمس الدين محمد ، بن السيد صدر الدين علي ، بن القطب الجواد السيد عز الدين احمد الصياد ، بن السيد مهد الدولة والدين عبد الرحيم الرفاعي ، بن الإمام ولي الرحمن السيد عثمان ، بن السيد حسن ، بن السيد

عسله ، بن السيد الحازم ، بن السيد احمد ، بن السيد علي مكي ، بن السيد رفاعه ، ويقال له الحسن نزيل المغرب ، بن السيد المهدي ، بن السيد أبي القاسم محمد ، بن السيد الحسن ، بن السيد الحسين ، بن السيد أحمد ، بن السيد موسى الثاني ، بن السيد ابراهيم المرتضى ، بن الإمام موسى الكاظم ، ابن الإمام جعفر الصادق ، بن الإمام محمد الباقر ، بن الإمام زين العابدين علي الأصغر السجاد ، بن الإمام الهمام علم الإسلام عين أئمة الأعلام ، سبط الرسول عليه الصلاة والسلام ، الذي امتحن بأنواع البلاء أمير المؤمنين مولانا أبي عبد الله الحسين الشهيد بكربلا ، إبن إمام الأئمة وأمير نحل هذه الأمة سيد الأولياء ، وقائد أزمة الأصفياء ، أمير المؤمنين مولانا الإمام علي رزقه من زوجته فاطمة سيدة نساء العالمين بنت سيد المخلوقين عليه أفضل صلوات رب العالمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

ولد حفظه الله وحماه سنة الف ومائتين وست وستين لثلاثة أيام خلت من شهر رمضان المبارك بشيخون من أعمال معرة النعمان ، وقرأ القرآن وهو ابن سبع سنين ، ثم شرع في الكتاب فمهر ، وأخذ يتلقى العلوم العقلية والنقلية عن أفاضل الرجال الأعيان فأتقن وأحسن ، ثم تشرف بلبس الخرقة والخلافة الرفاعية من يد والده المتقدم ذكره صاحب الأنفاس الزكية ، وله إجازتان أيضاً بطريقتهم العلية الرفاعية الصيادية ، الأولى من شيخه وابن عمه أحد مشاهير أولياء الله السيد الشيخ علي خير الله الرفاعي الصيادي شيخ المشايخ بحلب الشهباء ، لبس منه الخرقة الرفاعية باذن والده ، وأقام عنده بحلب مدة ولا زال بعدها يتردد لزيارته في أغلب أوقاته ، مستمداً فيوضات نفحاته ، وصالح دعواته ، حتى حاز بحمد الله منه على تمام رضاه ، وآذنه بما لديه ففاز به محفوظاً بعناية الله ، والثانية من حضرة شيخه الأجل الولي الأكمل ، غوث[١] زمانه وشيخ أهل عصره وأوانه ، طاهر الأنفاس

---

(١) قدمنا ما في لفظ (الغوث) في ذيل (ص ٧٤) فتأمل .

المستأنس بربه المستوحش من الناس ، مولانا السيد الشيخ محمد بهاء الدين مهدي الشيوخي الصيادي الرواس ، لبس منه الخرقة عام تشريفه بغداد دار السلام ، وتمم السلوك على يديه ، وأخـذ عنه العلوم الشرعية والتصوفية ، وحفظ جميع كلامه المنظوم بعد الوقوف على كنوز حقائقه الدرية ، ورموز معاني دقائقه الخفية ، ولما استوفى سلوكه في الطريقة ، وملك زمام الكشف عن مضمرات كل حقيقة ، آذنه بالرجوع لوطنه ودياره لنشر الطريق المبارك وقال له يوم وداعه :

دخلت لحاننا فاشطح وغني ... فأنت وحقنا عنـا تنوب

فعاد مصحوبا بالسلامة للديار الحلبية ، وعمتها بسببه بركة الحضرة الرفاعية وبعد رجوعه ببرهة يسيرة ، خطر دار السعادة مركز الخلافة الإسلامية ، فنشر بها علم الطريقة العلية ، وانتسب له أفاضل الناس ، لعلمهم أن طريقه المبارك قام على أساس من العرفان والشرع وأي أساس ، وعاد منها بنقابة أشراف جسر الشغور من أعمال حلب ، فانعطفت له الأنظار والقلوب بحسن الطلب ، ثم بعد برهة يسيرة ولي نقابة الأشراف بحلب الشهباء ، وأقبل على تعظيمه واحترامه بها الفقهاء والفقراء ، وفي هذه الأثناء لازال يخطر اسلامبول المحروسة ، ذات الأطلال المأنوسـة ، ويترقى في المراتب العلمية ، ويعظم اشتهاره لدى رجال الدولة العلية ، حتى بلغ أمره الخليفة المعظم ظل الله في العالم [1] ، وارث سرير خلافة سيد المخلوقين نبينا وسيدنا محمـد ﷺ ، ناصر الشريعة الغراء ، وناشر ألوية الطريقة السمحاء ، خادم الحرمين الشريفين امام المشرقين والمغربين ، السلطان ابن السلطان السلطان الغازي عبد الحميد خان ،

---

(١) هذا الوصف وأمثاله للخليفة ، هو الذي كان متعارفا في ذلك العهد ، وكان لابد من اثباته في أي كتاب مخطوطـا كان أم مطبوعا . وقد رأى المجمع العلمي بدمشق طبع هذا الأصل كما هو ، ليكون مرآة لذلك العصر .

ابن السلطان الغازي عبد المجيد خان ، خلد الله خلافته بالتوفيق الى آخر الدوران ، آمين .

فأحضره لديه ، وعطف بكليته عليه ، وقلده مشيخة المشايخ في دار الخلافة العلية ، وألحقه الى رتبة قضاء العسكر التي هي منتهى المراتب العلمية ، ومع كل هذا مابرح منعكفاً على خدمة الطريق الشريف ، مشتغلاً بفضل الله بإعلاء منار الشرع العالي بالتصنيف والتأليف ، حتى ألف الكتب الجليلة الكثيرة ، والرسائل الظريفة الوفيرة ، وقد حرر اكثرها الطبع ، بأحسن شكل وأجمل وضع ، وهاهي بحمد الله بأيدي المسلمين ينتفع بها العوام والخواص من الموحدين ، لأنها مشحونة بالأصل الديني المتين ، محفوظة مصونة من شبه أرباب الغلو في الدين ، مرفوعة القواعد على اساس الكتاب والسنة السنية ، رافعة أعلام المجد والمفخرة لعامة الملة الاسلامية ، ولخاصة الفرقة الزكية الرفاعية ، منها كتاب ضوء الشمس في قوله ﷺ بني الاسلام على خمس ، وقلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر ، وسلسلة الإسعاد في تاريخ بني الصياد ، وداعي الرشاد الى سبيل الاتحاد ، وهداية الساعي في سلوك طريقة الغوث الرفاعي ، ورسالة في التواتر والفجر المنير ، فيما ورد على لسان الغوث الرفاعي الكبير ، والصباح المنير في ورد شيخ الاولياء السيد أحمد الرفاعي الكبير ، وديوانه الفيض المحمدي والمدد الاحمدي ، وكتاب الصراط المستقيم في تفسير بسم الله الرحمن الرحيم ، والحقيقة المحمدية في شأن سيد البرية ، والمدد النبوي في بيان حكم العهد العلوي ، وروح الحكمة فيما يجب من الاخلاق على هذه الأمة ، والمدنية الاسلامية في الحكمة الشرعية ، وتطبيق حكم الطريقة العلية على احكام الشريعة النبوية ، وسياحة القلم في الحكم ، والواعظ المعرب عن حقيقة المسلم المتأدب ، والسهم الصائب لكبد من آذى أبا طالب ، وتاريخ الخلفا ورّاث النبي المصطفى ، والكوكب الزاهر في مناقب الغوث عبد القادر ، والعناية الربانية في ملخص الطريقة

الرفاعية ، وديوانه الثاني الجامع لأشتات درر غرر المعاني ، وحضرة الاطلاق في مكارم الأخلاق ، وقرة العين في مدح الإمام أبي العلمين ، وطريق الصواب في الصلاة على النبي الأواب ، وغير ذلك من المآثر التي سارت بها الركبان ، وملأ شعاع فضلها النواحي والبلدان .

وقد امتدحه البلغاء وأثنى عليه فضلاء الشعراء لما من الله به عليه من الأخلاق ، الشاهدة له بصحة النسب المحمدي وطهارة الأعراق ، منها :

ياساري البرق بل ياسائق السحب	حي المنازل بين البان فالكثب
انخ هناك مطايا الغيث مثقلة	من كل منهمر بالقطر منسكب
وقف على الدار وسط الحي منتسباً	لثغر ساكنها وافخر بذا النسب
قرب لها خبري يابرق محتسباً	فذاك والله عندي افضل القرب
واستعمل الرفق في التبليغ ان لها	بقصتي طربا ناهيك من طرب
ماالدار يابرق في المعنى سوى صدف	ودرة الخدر فيها منتهى أربي
موهت بالدار والمعني ربتها	كذكرنا الكأس والقصد ابنة العنب
فاذكر لها عجباً من أمر مدنفها	دان على البعد لم يحضر ولم يغب
زفيره من أواز الوجد في صعد	ودمعه من مجاري الخد في صبب
عدمت من عذلوني في الهوى سفها	وحاربوني أو ناديت وا حربي
ولو رأوا مارأت عيني وكان لهم	قلبي ولاموا لكان اللوم اجدر بي
لكن أخالهم خشباً مسندة	وهل يؤثر داعي الحب بالخشب
عاشوا خليين من عشق يؤرقهم	فطاب عيشهم وهما ولم يطب
ياعاذلي خل عذلي مشفقاً فلقد	أخطأت والله في عذلي ولم تصب
جسمي بدار اغترابي لايفيق ولي	قلب شج عن دياري غير منقلب
يالهف قلبي على تلك الديار ويا	شوقي إليها وياوجدي وياوصبي
علمت أني إن لازمت تربتها	لم أبرح الدهر في هم وفي ترب
فاخترت فرقتها لاعن كراهتها	ولا غراماً بسير الأينق النجب

لكننا الهمم العليا روت خبراً ... العز مرتبط بالوجد والخبب
فكان ذاك علينا موجباً سفراً ... لولا الأماني لم يندب ولم يجب
لم أنس ماوجدت بالبيد اينقنا ... من الوجى ونفاد الماء والعشب
والركب في سكرة هزته سورتها ... لا سكرة الراح لكن سكرة التعب
في مهمه طامس الأعلام مشتبه ... سهل خلي من الحصباء والحصب
يرى الدليل به حربا لناظره ... لايستغيث بغير الويل والحرب
والليل ملقٍ خياما من غياهبه ... قامت بلا عمد فيها ولاطنب
حتى إذا احتبكت في الأرض ظلمته ... وأنجم الأفق في حجب من السحب
حرنا فلما هتفنا باسم سيدنا ... أبي الهدى ضاء نور السبعة الشهب
محمد خلف الصياد صفوته ... الهاشمي الرفاعي الفتى العربي
أبو السراج أخو النورين حيدرة ... أجل عصبة طه وابنه العصبي
الطاهر النسب ابن الطاهر النسب ابن الطاهر النسبين الطاهر النسب
هادي الخليقة مهدي الطريقة كشاف الحقيقة جالي ظلمة الريب
مجدد لربوع الفضل حين حكت ... نهى أعاديه من واه ومن خرب
انى ومن كل علمٍ حزنُ ثاكلة ... فما استراح الى ان قال وا طربي
ذو فكرة فعلت بالمشكلات على ... جهابذ الدهر فعل النار بالحطب
آراؤه انجم في الخطب مشرقة ... وعقله لرحى التدبير كالقطب
ترى بصيرته الأزمان حاضرة ... ما كان مقتربا أو غير مقترب
وتشهد الكرة الأرضية اجتمعت ... كأنها وضعت للهو واللعب
يا دولة اتخذت منه لها ولدا ... يهنيك خير اخ يهنيك خير أب
يهنيك ذو الحزم والتدبير والأدب المطبوع والنسب المرفوع والحسب
يهنيك مولى على الأعداء فكرته ... أشد من حملات الجحفل اللجب
عقل ينوب عن الكشف الجلي وندى ... لله ما فعلت جدواه بالنوب
أحرزت يا دولة الإسلام منه فتى ... ساد الورى وهو حاشاه الصغار صبي

ماجد حاز همة إن ترنها　　بعظيم الجبال ينحط عنها

كم فقير نال الغنى من لدنها　　ولـكم من مواهب رد منها

عارض المزن وانقضى الانسجام

بهداه أحيا القلوب وانعش　　وبساط المنى لراجيه يفرش

وهو في دولة اذا الخطب ادهش　　اسد من عصابة كللتها الش

هب في ضوئها وصح النظام

جل بين الأنام أمرا ونهيا　　وبفعل الخيرات احسن سعيا

المعيّ به الفضائل تحيا　　وفتى من عشيرة عرش عليا

هم رفيع وعبدهم لا يضام

ضيفه يستقر في خير منزل　　وصروف الزمان عنه بمعزل

سيد ملجأ لكل مؤمل　　وكريم به تفاخر في سل

ك التدلي اهل كرام عظام

عارف قد اتى بأوثق حزم　　كان من بعضه علوم ابن حزم

ضيغم لم يزل بصحة جزم　　يقرع الحادث المهم بعزم

حيدري في طيه إقدام

وهو ما زال للبرية غوثا　　من يديه يستمطر الجود غيثا

وذراع دعا الأعادي حوثا (١)　　وتراه في حومة الحرب ليثا

بارزا ما التوت له أقدام

لعروس الكمال اصبح بعلا　　ولها دون غيره كان أهلا

فيصل لا يزال قولا وفعلا　　بالغا من مراتب العز اعلى

رتبة في أساسها الأحكام

---

(١) في القاموس : وتركهم حَوْثَ بَوْثَ ، وحَيْثَ بَيْثَ وحِيثِ بِيثِ اذا فرّقهم وبدّدهم اهـ .

ذكرها يطرب النفوس ويرقص فعليها يا دهر حافظ أواحرص
يا لها رتبة الى خير مخلص نظمتها من الشريعة ايدي الص
دق واستحكمت بها الأحكام

صبح هدي عن الهداية اسفر وبه باطن المريد تنور
علَم عيلم همام غضنفر كيف لا وهو صاحب القدم الفر
د الرفاعي ابو الهدى المقدام

كم بنشر العلوم احسن صنعا وأفاد العموم خيرا ونفعا
هاشمي قد طاب اصلا وفرعا من حسين بقية النسب العا
لي المباني وعضبه الصمصام

ذو يراع جواده ليس يسقط في مداه ولا بعشواء يخبط
وبما شاء لا يريد التوسط وارث المرتضى وقرة عين الط
هر والغوث ان عدا الأخصام

تاج هام العلا وجوهر نصل احمدي نضته اشرف أهل
عين آل الصياد اطيب نسل شبل اهل العبا ذوآبة أصل
بعـلاهم تشيـد الإسلام

بجلي رفده العفاة تحلوا وبوجه السرور منه تمـلوا
حاتمي ماقال ليتٌ ولا لو وابن آل فيهم اضاء سما الكو
ن بهدي وزاح عنه الظلام

كوكب في ذرى العلا يتوقد وعلى فضله الخناصر تعقد
وهو للسالكين اعظم فرقد وسليل الغوث الرفاعي من قد
رفعت عزة له الأعلام

لذ بأعتابه الشريفة وادخل لحمـاه وارو المحامد وانقل
وبأفعـاله وأقواله قل اعظم الأولياء قدرا وشيخ الـ
كل ان شد في الخطوب حزام

من يساويه سؤدداً وفخاراً   وعلوا ورفعة واقتدارا
أي غوث سواه كان نهاراً   لاثماً راحة الرسول جهاراً
بعد عصر والأربعون قيام

فبروحي دون الورى أفديه   من وليّ بَنَى جدار بنيه
فهو في الأوليا وحق أبيه   كنز سر تطلسم البأس فيه
وثوى في وحيده الضرغام

ماسواه يوم الشدائد يرجى   بعد طه الرسول حصنا وملجا
كم وقعنا بالمهلكات فأنجى   ولنا بابنه إبي الهدى لِلنّجا
هل ذاك الدليل والالزام (١)

حجة القوم شيخهم في الأنام   مرشد الوقت بهجة الأيام
قطبه الهاشمي شبل ضرام   فرخه حافظ الوراثة حامي
ركنها ان تجز حماه اللئام

للمريدين في الحقيقة منجد   ولهم في منازل القرب مسعد
ومن الكشف حين فاز بمقصد   اخمرته من السراج سراج الد
ين كأس مدامه الإلهام

فتراءى في عالم النشر والطي   فجر صدق يمحو الضلالة والغي
وتبدى في هيكل مفرد الزي   وعليه من مجد سيدنا الصيّـ
ـادِ درع طرازه الاحترام

(١) إن الخوف نوعان خوف عادة كالخوف من عدوّ أو سبع مثلاً ، وهذا خوف طبيعي لامحذور فيه ، وخوف عبادة كالخوف من تصرّف حيّ أو غائب أو ميت بعباد الله ، كتصرف الله تعالى بمخلوقاته ، وهذا فيه كل المحذور ، لأنه يتضمن اعتقاد أنّ لبعض المخلوقات قدرةً على التصرف بأنفس الأحياء وأموالهم ، كقدرة الله تعالى ، وهذا يناقض الحسّ والواقع ، ويخالف عقيدة التوحيد بأفعال الله تعالى .

بشذا رشده الزمان تعطر فروى للأنام عنه وأخبر
وبدا ينجلي بأحسن مظهر وله نسبة حسينية الطر
ز جلاها شيخ العراق خزام

آل بيت مقدس قد كساهم خلع المجد ربهم واصطفاهم
وهداهم بفضله واجتباهم رضي الله عنهم وحباهم
صولة ينجلي عليها الدوام

ومقاما من الكواكب أعلى واحتراما بين الأنام وفضلا
وحماهم من كل ماساء فعلا وعليهم أزكى التحيات من اللّـ
ـه تعالى مدى المدى والسلام

ومن نظم صاحب الترجمة الذي فاق نظم الدرر قصيدته التي تخلص بها لمدح جده النبي المفتخر وهي :

هل منقذ لأخي النوى ممـا به قطعته أيدي الحظ عن أحبابه
كالظل أضحى قائماً شبحاً بلا جرم يلجلج في رسيس ثيابه
مـا فيه إلا الروح تخبر أنه حي ولا رسم بطي نقـابه
كمد تلهب ناره ودموعه كالغيث لا ينفك وبل سحابه
فالوجد هدّ وجوده بزفيره والصد حارب قلبه بحرابه
يا للرجـال لحائر أسبابه قطعت وأين الوصل من أسبابه
أوزاره قد أثقلته وعوقت أسفـاره الآثام عن آرابه
وطغت عليه الحادثات وما له الا الذي لاذ الورى بجنابه[1]
محبوب رب العـالمين نبيه ورسوله وأمين سر كتابه
سيف الرسالة صاحب الحكم الذي أحيا رسوم العدل فصل خطابه
مصباح فرقان المثاني من بدت حكم الكتاب تضيء في محرابه

(١) انظر الصفحة التي بعدها .

ومنه قوله يمدح سلطان الرجال وكعبة أهل الوجد والحال جده الامام الرفاعي الكبير لازال رمسه الأعطر مهبط مدد الخالق القدير .

قلب المحب بحبه مشغـــول ... وله عليه تلهف وعـــويل
لازال يطويه الهيام على لظى ... وجد وينشره ضنى وذبول
يالائمي واللوم ليس بنافع ... أيصد عن طلب الحبيب عذول
دع لوم أهل العشق واطرح عذلهم ... إن العذول بشـأنه مخجول
ولقد تزيا بالغـــرام وأهـله ... ذو ريبـــة في زيه مخذول
ردته بينة المحبـــة خاسئا ... وشهود أحكام الغرام عدول
ذو الصدق في سوح المحبة ثابت ... وأخو الرياء من الظلال يميل
يلهو إذا خشع المحب وإنمـا ... يجلى الخشوع على الفؤاد دليل
متن الهوى تحت الضلوع وشرحه ... بشروط حال العارفين طويل
قد يدعي الحب الملح كواذب ... والعاشقون الصادقون قليل
ولكم تباكى المدعون وما بكوا ... ودموع أصحاب الولوع سيول
ولربما سكت المحب لفكرة ... فيمن يحب وعقله مـذهول
يامن ولعت بهم وطبت لذكرهم ... رفقـــا فقلبي للصدود عليل
اوزال رضوى وانتحى عن أرضه ... حاشاي عنكم ياكرام أحول
ماقلت أصحو من سلافة حبكم ... الا اعتراني سكرة وخبول
لكم التحكم في القلوب ولم تزل ... تسري اليـكم أنفس وعقول
قد حرت في تعريفكم لجلالكم ... لم أدر يال الحي كيف أقول
أيطول فهمي سر رفعة قدركم ... ومقامكم هام الفخار يطول
ولـكم بصف العاشقين مشاهد ... غرر لها بين الورى وحجول
وغداة كل قبيلة بإمامها ... تدعى ويبدو المضمر المجهول
ويرى هناك الحق والدعوى ويظـــــهر ... للعيان فضيلة وفضول
فأمامكم ياأهل أم عبيدة ... علم الرجال السيد المقبول

شمس الحمى الغوث الرفاعي الذي ... في الفضل صح حديثه المنقول
سلطان أقطاب الرجال وشيخهم ... وشجاعهم حيث القلوب تزول
ذو السيرة النبوية العليا التي ... فيها انطوى المنقول والمعقول
شبل الحسين سليل اصحاب العبا ... سيف الرسول الصارم المسلول
كم مرة نصر الضعيف بنظرة ... وعلا وعز بومشتيه ذليل
غوث إذا لجأ الكسير لبابه ... طرف الزمان يراه وهو كليل
توراة عنوان الزبور نصوصه ... وبسره الفرقان والإنجيل (١)
ناب النبي فعلمه من علمه ... وطريقه بطريقه موصول
ذو همة برهانها متواتر ... كالفجر لكن ما اعتراه أفول
وكفاه أن مد النبي يمينه ... لجنابه والحي فيه قفول
خرجت من القبر الشريف كأنها ... عضب من النور الجلي صقيل (٢)
سارت بها الركبان تنقل نصها ... مسكا بأقطار الوجود يجول
هذا أبو العلمين ذو الكف الذي ... من راحه بحر الفيوض يسيل
أخذ الخضوع كشأن طه مذهباً ... فطريقه للمكرمات سبيل
انقال عن دعوى قوول شاطح ... سكرا فهذا بالخشوع فعول
لله خارقة بطي وجوده ... معها كثير الخارقات قليل
خشعت لديه الأولياء وكلهم ... سامي المهابة عارف وجليل
وكأنه دون الجميع لعقله ... طود من العلم الصحيح ثقيل
لا يستفز بوارد عن شأنه ... وبربه عن غيره مشغول
يجري له الإحسان بحر الامتنا ... ن وذيله من دمعه مبلول

---

(١) حين ينشد المنشد هذا البيت يذكر السامع بقول القائل :

ليس على الله بمستنكر ... أن يجمع العالم في واحد ! !

(٢) قدمنا في هذه الترجمة مافي هذا الغلوّ من مخالفة لنصوص كتاب الله تعالى .

هذا هو الفحل المكين بطوره ... الله ما كل الرجـال فحول

وقفت رجال الله تحت لوائه ... ونواله لصروفهم مبذول

وسرى على أثر الرسول وماله ... في السائرين بمـاثل وعديل

شيخ بتولي المقـام وسيد ... حمل الضعـاف ببابه محمول

مأوى صنوف العاجزين رحابه ... ماخاب في ذاك الرحاب نزيل

هو كعبة يحمي الطريح بركنها الـ ... ـعالي ويأمن خائف ودخيل (١)

نفحات فضل الله في ذاك الحمى ... فياضهـا متواصل وهطول

ولشيخ ذياك الرحاب عوارف ... حزب العفاة بمنحها مشمول

من لاذ فيه بصدق قلب خالص ... مافاته المسؤول والمأمول (١)

لازال أصحـاب القبول ببابه ... ولهم تدق من الفتوح طبول

فعليه لا برحت ميازيب السلا ... م تسح ماذكر الخليل خليل

أو قام منه على سرير صفاته ... ملك عليه من الرضا اكليل

أو ثبت القلب الخفوق بحبه ... صبر من الود القديم جميل

ومنه قوله يمدح شيخه القطب الاعظم السيد محمد مهدي الصيادي الرفاعي الرواس قدس الله سره ونفعنا به آمين

لربي مني الشكر شيخي ومرشدي ... إمام الزمان الغوث قطب رحى المجد

غدا وحده ركن المعالي وانني ... عرفت به مابين أهل الحمى وحدي

ومن شعره في النسيب والغزل لازال محط رحال أهل الأمل

تندب الأطـلال روحي كلما ... هب في الأرجاء ريح السحر

ويفيض الدمع من عيني دما ... ركب قوم سار سير القمر

واختباط البرق من نحو الحمى ... يخطف القلب لجيران التلال

---

(١) قدمنا في هذه الترجمة مافي هذا الغلو من مخالفة لنصوص كتاب الله تعالى .

فعلام كل هــذا ولمــا هــام مروا كلمح البصر
يارعى الله أويقات غضاض قنّعَ البشرُ بها هامَ السرور
مع خلان مضت بين الرياض وبنا دنيا رحى الوصل تدور
راح هذا وكأن الدهر مــا أغمض العين ولا نلنا الوصال
فاقض يادهر بنا ما أنت قاض قد رضينا باختيار القدر
آه لو عادت ليالينا القدام دور لشفينــا غلة تحت الضلوع
ورويناً من أحاديث الغرام مرسلات من أساطير الدموع
ووصلنا في الهوى ما انصرما ورأينا ماتعــاناه الخيال
لكن الأمر خيال والسلام خطرات من قبيل السمر
قسما بالعهد والود القديم دور كل آن وجدهم عندي جديد
هم سروا والوجد في سري مقيم يفعل الله تعالى مايريد
مازهى الروض أو الودق همى غدوة إلا ومني الدمع سال
وعلى نهج الصراط المستقيم ثابت في الحب طول العمر
كلما العتم انجلى قلبي يطير دور والى أنوارهم آهي يطول
واذا ما الشمس جدت بالمسير ذكرت نفسي لهم تلك القفول
واذا موج الظلام التطما خلته من شعرهم بعض الحبال
وعلى كل قليل وكثير شكلهم منطبع في نظري
يا نسيم الصبح خذ قلبي لمن دور اقلقوه يوم بانوا بالفراق
واذا ما عدت بالذكر الحسن هات ما عندك من طيب التلاق
وأعد روحا بها البين رمى لجج الحين وألقاها وشال
وارحمنها فهي خنساء الحزن وافتقاد الإلف طبع البشر
ليت خلاني بذياك اللاوى دور ذكروا خلاً لهم خلوه ليت
ذا حنين من تباريح النوى صار لا درّ النوى حيا كميت

نظم الشعـــر لهم اذ نظما   وطوى أحشاءه ضمن المقال
وعلى عرش الإشارات استوى   فكره ثم أتى بالدرر
هذه ياحسرتي قصـــة من   دور مسه الضر وأفناه الجزع
دنف مذ أزمع القوم وهن   واصل الحزن وللحزن انقطع
كم يناجي الطيف فيهم كلما   رام أن يبدي لهم قصة حال
قائلًا بالله ياطيف الوسن   عَطَفُوا أم قلبهم من حجر
وعبير فاح من تلك الخيام   دور يوم زمت عيسهم قبل الصباح
أنا مفتون بهم حتى القيـــام   ولهذا طـــال ندبي والصياح
أسأل البرق إذا ما اضطرما   عنهم يالهف قلبي والغزال
فعلى أرجائهم مسك الختام   ينشر الدهـــر فتيت العنبر

وقال أطال بقاه وأعلى مرتقاه

أي غصين الياسمين انتبه   واتركن بالله ما أنت به
هزك الريح فقلدت لذا   خصر ريم مـــاله من شبه
حدك القطع لهذا فاعتذر   علَّ أن تدرأه بالشبه

وقـــال

لي بالأبيرق فتية خلفتهم   وطرحت بين خيامهم أحشائي
منهم لظى ناري وماء مدامعي   يا لوعتي من نارهم والمـــاء

وقـــال

لي في العراق أحبة ملكتهم   قلباً عليهم يوم بانوا ذابا
ذاق العذيب بقربهم لكنه   لما أطالوا البعد ذاق عذابا

وقـــال

والذاريات من الدموع تلهفا   يوم النوى والمرسلات سيولا
ماكنت أعلم أن غزلان الحمى   يصلتن من ريش الجفون نصولا

وقـــال

ايهـــا البرق الذي تلوى به ... قادحـــات من زناد الولع
مارأيت العيس لما أزمعت ... وتوارت عن زوايا لعلع
عجباً تلويك أخبار اللوى ... لظبا روض النقا والأجرع
انني المضنى الذي فارقتهم ... كيف يابارق لو كنت معي
أنت حينـــاً تتلوى وأنا ... زفرتي ماعشت لم تنقطع

ومن لطائف شعره قوله

ألا فرج من حضرة الله محكم ... يؤيد ايماناً تحكم في السر
فيانفحة البشرى من الله سرعة ... ويا غارة الجبار من حيث لاندري

وهذه النبذة من ترجمة هذا الامام مغنية عن الاكثار

توفي رحمه الله تعـــالى في الآستانة في العشر الأول من شهر ربيع الأول سنة الف وثلاثمـائة وسبع وعشرين والحمد لله والصلاة على رسوله في البدء والختام .

الشيخ أبو السعود بن الشيخ محمد جلال بن الشيخ محمـد افندي المكنى بأبي المكارم بن السيدعبدالمنعم بن السيد محمدأبي السرور البكري الصديقي المصري

بقية السلف الصالح ، ونخبـــة الخلف الناجح ، تولى خلافة السجادة البكرية في سنة سبع عشرة ومائتين والف عندمـــا عزل ابن عمه السيد خليل البكري ، ولم تكن الخلافة في فرعهم ، بل كانت في أولاد الشيخ أحمد بن عبد المنعم وآخرهم السيد خليل المذكور ، فلمـــا حضرت الدولة العثمانية إلى مصر واستقر في ولايتها محمد باشا خسرو ، سعى في السيد خليل الكارهون له ورموه بالقبائح ، ومنها تداخله في الفرنسيس وامتزاجه بهم ، وعزلوه من نقابة الاشراف ، وردت للسيد عمر مكرم ، ولم يكتفوا بذلك

بل ذكروا أنه لايصلح لخلافة البكرية ، فقال الباشا : وهل موجود في أولادهم خلافه ، قالوا نعم وذكروا المترجم فيمن ذكروه ، وانه قد طعن في السن ولكنه فقير من المال ، فقال الباشا الفقر لاينفي النسب ، وأمر له بفرس وسرج وعباءة كعادة مركوبهم ، ولبس التاج والفرجية والفروة السمور خلعة من الباشا ، وأنعم عليه بخمسة أكياس ، وجعل له مرتباً معلوماً ، فراج أمره واشتهر ذكره ، وسار بسيرة حسنة مقرونة بكل كمال ، وكانت تتحاكم لديه أرباب الطرائق فيقضي بينهم بلا ميل لأحد بل بما يظهر له من الحق والصواب ، ولم يزل على حالته وطريقته مع خضوعه ولين جانبه وحكمه على نفسه إلى أن ضعفت قواه ولازمه المرض وأقعده في الفراش ، فعند ذلك طلب سادات مشايخ الأزهر نزوله عن خلافته لولده السيد محمد الكامل الرشيد ، فعرضوا القصة على الوالي فحولها لولده المرقوم في حياة والده وطلبه لذلك ، وتوفي المترجم في أواخر شهر شوال سنة سبع وعشرين بعد المائتين والألف وصلي عليه في الأزهر ودفن في القرافه بمشهد أسلافه رضي الله عنهم أجمعين .

الشيخ أبو الفتح ابن الشيخ عبد الستار افندي ابن الشيخ ابراهيم افندي الاتاسي الحمصي

عالم مصره ونخبة أهل أوانه وعصره ، ولد سنة ست عشرة بعد المائتين والالف ، وأخذ العلوم عن والده المومى اليه ، وكان جل اعتماده في الأخذ عليه ، وكان رحمه الله له خلق جميل ، وقلب عن الكمالات لايزيغ ولا يميل ، ولطافة مشهورة ، وملاحظة لعواقب الأمور مأخوذة عنه ومأثوره ، تولى منصب الإفتاء بحمص بعد عزل أخيه الأكبر الشيخ محمد سعيد افندي وكان له وظيفة التدريس في جامع سيدنا خالد بن الوليد الصحابي الجليل ، مع كونه غزير العلم جيد الفهم ، يغلب عليه الصواب

في السؤال والجواب ، توفي رحمه الله تعالى سنة ثلاثمائة والف ودفن في مقبرة حمص وقبره معلوم مشهور يزار ويتبرك به .

الشيخ أبو الفتح ابن الشيخ عبد القادر ابن الشيخ صالح الخطيب الشافعي الدمشقي

ولد بدمشق ونشأ بها وتخرج بأبيه وأقرأ في رسائل نحوية وفقهية في مدرسة الخياطين ، وله حلقة تدريس بجامع بني أمية بين العشائين ، وتولى خطابة الأحمدية ، وإمامة مسجد برأس سوق الخياطين ومحافظة المكتبة بالمدرسة الظاهرية ، وكان فقيراً قانعاً شرح الاجروميه والعوامل ، واختصر بعض أجزاء من تاريخ ابن عساكر من النسخة الموجوده في المكتبة الظاهرية على تحريفها (١) وكانت وفاته في تاسع المحرم سنة خمس عشرة وثلاثمائة والف .

أبو عبد الله محمد بن ادريس وزير السلطان عبد الرحمن بن هشام سلطان فاس وكانت توليته في ربيع الأول سنة الف ومائتين وثمان وثلاثين

الوزير الوحيد ، والشاعر المجيد ، والعالم الفاضل ، والعامل الكامل ، من انتهت اليه الفضائل ، وانتظمت به عقود الشمائل ، لقد أدى الوزارة حقها ، واستأثر المحامد واسترقها ، وكان شاعر مدينة فاس وفاضلها ، وأديبها وعالمها وكاملها ، ومن نظمه مهنئاً السلطان عبد الرحمن حينما جلس على تخت السلطنة بفاس سنة الف ومائتين وثمان وثلاثين كما تقدم :

---

(١) تعاقب على اختصار أجزاء من هذا التاريخ الكبير بعض الفضلاء الدمشقيين ، وطبع بضعة أجزاء منه ، ثم رأى المجمع العلمي بدمشق أن يطبع الأصل ، فطبع جزءين منه بتحقيق بعض الفضلاء .

مولاي بشراك بالتأييد بشراكا ... قد اكمل الله بالتوفيق مسراكا
الفتح والنصر قد وافاك جيشهما ... والسعد واليمن قد حيا محياكا
الله البسك الإقبال تكرمة ... وبالتقى والنهى والعلم حلاكا
فراسة الملك المرحوم قد صدقت ... لما تفرس فيك حين ولاّكا
أعدت للدين والدنيا جمالهما ... فأصبحا في حلى من حسن معناكا
وزادك الغيث غوثاً في سحائبه ... فجاد بالقطر قطراً فيه مأواكا

وله قصائد كثيرة ، ومدائح شهيرة ، ومناقب سنية ، ومفاخر عليّه ، ولم يزل على حاله بالغاً من الترقي جل آماله ، إلى ان توفي هـذا الوزير المذكور والفرد العلم المشهور سنة الف ومائتين وأربع وستين رحمه الله تعالى .

أبو الأنوار شمس الدين محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن عارفين سبط بني الوفا ، وخليفة السادات الحنفا ، وشيخ سجادتها ومحط رحال سيادتها

الاستاذ الشهير ، والجهبذ النحرير ، والرئيس المفضل ، والفريد المبجل ، نادرة عصره ، ووحيد دهره ، من شهرته غنية عن مزيد الإفصاح ، ومناقبه أظهر من أن يتعلق بها البيان والإيضاح ، وأمه السيدة صفية بنت الاستاذ جمال الدين يوسف أبي الارشـاد بن وفاء .

ولد المترجم وتربى في حجر السيادة والصيانة ، والحشمة والديانة ، وقرأ القرآن ، والتفت بجده واجتهاده لطلب العلم على ذوي الشان ، وتلقى طريقة أسلافه وأورادهم وأحزابهم عن خاله الاستاذ شمس الدين محمد أبي الاشراق بن وفا ، عن عمه الشيخ عبد الخالق ، عن ابيه الشيخ يوسف أبي الارشاد ، عن والده ابي التخصيص عبد الوهاب ، الى آخر السند المنتهي الى الاستاذ ابي الحسن الشاذلي ، ولازم العلامة القدوة الشيخ موسى البجيرمي فحضر عليه عدة من الكتب في فنون متعددة ، وهو اول اشياخه ، ثم لازم الشيخ خليل المغربي ،

والشيخ احمد الميجري الملوى شيخ الشيوخ في وقته ، واجازه بمروياته ومؤلفاته الاجازة العامة ، وكذلك الشيخ احمد الجوهري الشافعي اجازة عامة ، واجازة خاصة بطريقة المولى عبد الله الشريف ، وحضر دروس الاستاذ الحفني ، والشيخ عمر الطحلاوي المالكي ، والشيخ مصطفى السندوبي الشافعي ، والشيخ محمد الناري ، والشيخ احمد القوصي ، وسمع المسلسل بالأولية من عالم اهل المغرب الشيخ محمد بن سودة التاودي الفاسي المالكي عند وروده مصر في سنة اثنتين وثمانين ومائة والف بقصد الحج ، وكتب له اجازة بخطه مع سنده ايضا ، واجازة بدلائل الخيرات واحزاب الشاذلي ، وكذلك تلقى الإجازة من الأستاذ المسلك عبد الوهاب بن عبد السلام العفيفي المرزوقي ، وكذلك من إمام الحرم المكي الشيخ ابراهيم بن الرئيس محمد الزمزمي ، واجازه بالمسبعات وبما لأسلافه من الاحزاب ، وكناه بأبي الفوز ، وذلك في سنة تسع وسبعين ومائة والف بمكة سنة حجة المترجم .

وتوفي يوم الأحد ثامن عشر ربيع الأول سنة ثمان وعشرين ومائتين والف وصلى عليه في الأزهر ، ودفن بالقرافة في مشهد اسلافه في التربة التي اعدها لنفسه .

ابو السعود بن ضيف الله مراد

الشاب الأديب ، والناجح الأريب ، من صاغ من فرائد درره عقدا ، وجدد للأدب بعد الاندراس عهدا ، فهو الإمام الذي يقتدى في النظام به ، والهمام الذي اثمرت رياض الجمال بآدابه ، تتطاول له اعناق السرور حينما يمد لها سماط المنظوم والمنثور ، ومن شعره البديع المتحلي بأنواع المعاني والبديع قصيدته وهي :

أبدور مشرقات أم غرر | في ليال داجيات أم طرر
وغصون تنثني يا عجبا | أم قوام ماس عجبا وخطر

وعيون ناعسات دعج ترشق العشاق نبلا أم وتر
وبروق أومضت في الأفق أم ثغر حبي افتر عن عقد درر
بدر حسن حرق القلب هوا ه وقد قرح جفني بالسهر
سحر الألباب لما حسر الحجب عن حسن محياه سحر
اسر العشاق في عضب لوا حظه عمدا وجهرا ما أسر
صبت الروح اليه ولقد صبت الأجفان دمعا كالمطر
أهيف إن بان يثني عطفه يزدري بالبان والقلب حجر
في اللمى والثغر والطرف لقد حل شهد ولآل وحور
قده مع وجنتيه ومحياه رمح وشقيق وقمر
بت ولهان به في خطر هائما في حبه لما خطر
وهن العظم به واشتعل الرأس شيباً مذ تناءى وهجر
اسمح الخل صد واصل منيتي وبما تهوى تحكم يغتفر
عاذلي مال عن الإنصاف مذ لام في عذل به عين الضرر
قال ذره قلت كلا انني عبده افعل دوما ما أمر
وهو ريم يوسفي حسنه لو رأى البدر سناه لاستتر

وهي قصيدة طويلة ، وله من الشعر قصائد جميله .

الشيخ ابو السعود الشهير بالسباعي الدردير الحنفي العدوي

مالك اعنة المحاسن وناهج طريقها ، العارف بترصيعها وتنميقها ، الناظم لعقودها ، والراقم ابرودها ، المجيد لارهافها ، والعالم بجلائها وزفافها ، تصرف في فنون الإبداع كيف شاء ، وأبلغ دلوه من الإجادة الرشاء ، فطاب نشره ، وطار في الأقطار ذكره ، شمائله تتضاءل لها قطع الرياض ، ويبادر به الظن الى شريف الأغراض . قد التفت الى طلب العلوم التفات المشغوف ، وسقط على تطلبه سقوط المشوق الملهوف ، الى ان بلغ منه

مبلغ الكمال ، ونبغ به ونال منه أعلى منال ، وحضر دروس شيوخ عصره ، الى ان صار مرجعا في مصره ، وأقبل الناس عليه من كل جانب ، للاستفادة والحصول على الرغائب . توفي رحمه الله في حدود الألف والمائتين وسبع وثلاثين .

أبو السعود بن احمد افندي بن علي المعروف بالحسيبي الدمشقي

من ذوات الشام وكبرائها ، وافاخمها وعظمائها ، له تولع بجمع نوادر الكتب النفيسة ، وله مذاكرة لطيفة انيسة ، واقبال على قاصديه جميل ، ولطف بوارديه جزيل ، وفي سنة الف وثلاثماية وخمس عشرة توفي احمد افندي بن أمين افندي منجك نقيب دمشق الشام ، فكتب مفتي الشام محمد افندي المنيني سلسلة موصلة للمترجم المرقوم للذات الطاهرة ، وختمها له ذوات الشام وشيوخها ، ثم ارسلت الى النقابة في الدار العلية ، وبعد مدة توجهت النقابة على المترجم المرقوم وقام بها بسيرة حسنة ، وصفات مستحسنة ، مع عفة عالية وشهامة وافية ، وبيت مفتوح ، وطعام ممنوح وغنىً وافر ، وجاه موروث كابرا عن كابر ، أحسن الله اليه آمين .

الشيخ ابو النصر بن المرحوم الشيخ عبد القادر بن الشيخ صالح بن الشيخ عبد الرحيم الخطيب

طلب العلم على أبيه ، وعلى غيره من كل عالم نبيه ، الى ان سما مقامه ، وفشا في الناس احترامه ، وقد انتقل بعياله الى حرستا قرية تبعد عن الشام مقدار ساعتين ، وسار بأهلها سيرة حسنة ، يصلي بهم ويخطب لهم ويعظهم ويعلمهم ما يحتاجون اليه ، ثم بعد ذلك أخذ الطريقة الشاذلية عن الشيخ علي اليشرطي المستقيم بعكه ثم ذهب الى الاستانة المعمورة ودخل في سلك النيابات ولا زال ينتقل من مكان إلى مكان في النيابات الى عام الف وثلاثمائة وستة عشر .

حضر الى الشام وصادف انه بعد حضوره بمدة توفي في شهر رجب مفتي دمشق الشام محمد افندي المنيني فتعرض لها المترجم ، وكتب عرض

فحضر وختم له كثير من الناس ، وكذلك غيره تعرض لها ولكن صادف القدر ، وتوجهت الإرادة الأزلية للشيخ صالح افندي قطنا ، فتوجه الإفتاء عليه من شيخ الاسلام جمال الدين افندي . وعلى كل حال فهو شهم شجاع جميل المعاشرة ، يغلب عليه الميل الى الطاعة والمروءة والحماسة والتباعد عن الرذائل ، ولم يشتهر عنه انه في مدة نياباته ارتشى من أحد أحسن الله حالنا وحاله .

ثم في ثالث ربيع الثاني خطب يوم الجمعة في جامع بني أمية وقرأ فيه الدرس العام بعد العصر ، وخرج الى قرية تل منين لحضور عرس دعي اليه ، وكان يوم السبت ، وبعد صلاة العشاء أصابه وجع قلب ولم يمض عليه ساعة حتى مات ، فأحضروه في الصباح الى الشام وجهزوه وصلوا عليه في جامع بني أميه ثم دفنوه في مدفن أسلافه في مقبرة الدحداح ، وذلك رابع ربيع الثاني سنة الف وثلاثمائة واربع وعشرين [١]

الشيخ العلامة المتفنن الباحث المتقن ابو العباس المغربي المالكي

صاحب العلم الباهر ، والفضل السامي الظاهر ، والشهرة العامة ، والشمائل الكاملة التامة ، وهو من رجال الجبرتي ، أخبر رضي الله عنه أن أصله من الصحراء من عمالة الجزائر ، دخل مصر صغيراً فحضر دروس الشيخ علي الصعيدي وتفقه عليه ولازمه ، ومهر في الآلات والفنون ، وأذن له في التدريس فصار يقرىء الطلبة في رواقهم ، وراج أمره لفصاحته وجودة حفظه ، وتميز في الفضائل ، وحج سنة اثنتين وثمانين ومائة

(١) في « المنتخبات » ان المترجم رحل الى لأستانة مراراً ، وتعرف بعلمائها ووزرائها . كان فقيهاً شجاعاً جسوراً ، متكلماً يصدع بقول الحق ، ولد سنة ١٢٥٣ هـ ومات سنة ١٣٢٤ ودفن بالدحداح جانب أخويه ، ومن أولاده السيد سيف الدين أحد شهداء الواجب ، الذي قتل في بيروت مع شبان العرب الغُيُر على بلادهم واستقلالهم .

والف وجاور بالحرمين سنة واجتمع بالشيخ ابي الحسن السندي ولازمه في دروسه وبأحثه ، وعاد الى مصر ، وكان يحسن الثناء على المشار اليه واشتهر أمره وصارت له في الرواق كلمة ، واحترمه علماء مذهبه لفضله وسلاطة لسانه ،وبعد موت شيخه عظم أمره حتى أشير له بالمشيخة في الرواق ، وتعصب له جماعة فلم يتم له الأمر ، ونزل له السيد عمر افندي الاسيوطي عن نظر الجوهرية ، فقطع معاليم المستحقين ، وكان حجاجاً سلط اللسان يتقى شره . توفي ليلة الاربعاء حادي عشرين شعبان سنة الف ومائتين وسنتين غفر الله لنا وله ، وجعل في دار النعيم مستقره .

الشيخ أبو بكر بن علي البطاح الاهدل

العلم الأمثل ، والطود الأفضل ، إمام المحققين ، ونخبة المدققين ، سراج الإسلام ، وكعبة الأئمة الأعلام ، قد ساد بفنون العلوم ، وتدقيق المنطوق والمفهوم ، فهو غرة في جبين الدهر زاهرة ، وشامة في صفحة العصر ظاهرة ، يحق له أن يقال فيه ، وأن يصفه الدهر بملء فيه .

وأرى الخلق مجمعين على فضـلك من كل سيد ومسود
عرف العارفون فضلك بالعلـم وقال الجهـال بالتقليد

جد واجتهد في المعالي ، الى أن صار حسنة الايام والليالي ، أخذ العلوم من عدة مشايخ منهم السيد سليمان الأهدل ، وتميز بالكمال في الملكات الثلاث ملكة الاستحصال ، وملكة الحصول ، وملكة الاستنباط ، وكان عمدة في التفسير والحديث والفقه والتصوف والآلات والأصول . وخلاصة الكلام ، إنه من السادة الأعلام ، ومما كان ينشده :

إن رمت إدراك العلوم بسرعة فعليك بالنحو القويم ومنطق
هذا لميزان العقول مقوم والنحو تقويم اللسان المنطق

مات رحمه الله سنة الف ومائتين ونيف .

الشيخ الملا ابو بكر الكردي الشافعي الدمشقي

أحد العلماء الأعلام ، المتقدمين في العلوم بدمشق الشام ، كان مجاورا في جامع الورد في سوق صاروجا ، وكان ملازما للإفادة العلميه ، والآداب العمليه ، مع التقوى والعبادة ، والعفة والزهادة ، كثير السكوت عن فضول الكلام ، لا يتكلم إلاّ في ذكر أو قرآن او اقراء درس او افادة حكم من الأحكام ، قرأ عليه الأجلاء من العلماء ، والكثير من الفضلاء ، وكان له مشاركة قوية ، في العلوم العقلية والنقلية ،وقد اخذ عن المرشد الكامل اوحد الزمان ، وقطب العصر والأوان ، مولانا خالد النقشبندي مجدد القرن الثالث عشر ، وعن غيره ممن عرف بالفضل واشتهر ، وله تأليفات كثيرة ، ورسائل شهيرة ، وله تفسير على القرآن المجيد اخترمته المنية قبل إتمامه ،قد اجاد فيه وافاد ، واعتنى به فوق المراد ، وكان معدوداً من ذوي النهايه ، معروفا بالكشوفات والولايه ، وقد حضرت بعض مجالسه ، واستفدت من بعض نفائسه،وكان كثيرا ما يذاكرني مع صغر سني في المسائل العلمية ، والنوادر الأدبية ، مات رضي الله عنه سنة تسع وستين ومائتين والف ، ودفن بتربة سوق صاروجا .

الشيخ ابو بكر الكردي الجزاري الدمشقي

العالم الامام ، والأوحد الهمام ، نزيل دمشق الشام ، اخذ العلوم عن افاضلها ، وارتفعت رتبته في المعارف بين ذوي فضائلها ، حتى صار عمدة مقبولا ، معروفا في الكمال لا مجهولا ، مرفوع المقام ، يتبرك به الخاص والعام ، مات يوم الاثنين عاشر ذي الحجة الحرام الذي هو من شهور سنة ثلاث واربعين ومائتين والف ودفن في الدحداح .

ابو بكر باشا الطرابلسي والي مصر من طرف الدولة العثمانية وكانت ولايته من سنة احدى عشرة ومائتين والف

كان وزيرا عاقلا الا انه لم تساعده يد الاقبال ، ولم تلاحظه عين العناية في تسديد الأقوال والأفعال ، وذلك لاستطالة المماليك على الاراضي المصريه ، ونفوذ كلمتهم بها على كلمة الوزارة العثمانيه ، فكان ما كان من خروجه ودخول الاجانب ، وتسلطها على بلاد مصر وايقاعها في المعاطب ، وبيان ذلك مع التفصيل ، المقتضي عدم التطويل ، قال في الفتوحات الاسلامية ، المنسوبة للحضرة الاحمدية الدحلانية : كانت مصر قبـــل ان تتملكها الدولة العثمانية بيد ملوك الجراكسة ، وكان لهم كثير من المماليك الذين هم ايضا من الجراكسة ومن غيرهم من الترك ، فلما تملكت الدولة العثمانيه مصر لم تزل المماليك باقين وفي كل وقت يزدادون حتى بلغوا غاية الكثرة ، وكان منهم امراء ورؤساء ، فصارت لهم عصبية قوية ، فتغلبوا على الاملاك والاراضي والاطيان والمحصولات والخراجات والجمارك ، وكانوا اذا جاء الباشا المتولي على مصر من الدولة العلية ينقادون له في الظاهر وفي الباطن هم متغلبون ، فكانوا يبقونه اذا ارادوا ويعزلونه اذا ارادوا ، ولا يصل الى الدولة من محصولات مصر الا القليل والباقي بأيديهم ، وكان لهم رؤساء ، وعلى الجميع امير كبير تحت أمر الوزير المتولي من السلطنة صورة وظاهرا فقط ، فلما تغلبوا هذا التغلب كثر منهم الظلم والعدوان على المسلمين وغيرهم من طوائف النصارى واليهود ، فيتعدون كثيرا عليهم لا سيما على تجارهم ، وكانت الدولة العلية مشتغلة عنهم بكثرة الحرب مع النصارى ، فطمع الفرنسيس في تملك مصر وابعاد هؤلاء المماليك المتغلبين ، واوهموا على المسلمين انهم انما يريدون تخليص مصر منهم وبقاء الحكم فيها للدولة العلية ، فجهز الفرنسيس عليها جيوشه بالسر والكتمان من غير اطلاع

احد على ذلك وجاءوهم بغتة فتملكها على الوجه الآتي ذكره ، وكان ذلك في شهر المحرم سنة ثلاث عشرة ومائتين والف ، وكان الوزير المتولي على مصر من السلطنة العلية في تلك السنة هو المترجم المرقوم ابو بكر باشا الطرابلسي ، وكانت ولايته من سنة احدى عشرة ومائتين والف ، وكان للماليك المتغلبين على مصر اميران رئيسان على جميعهم وهما ابراهيم بك ومراد بك ، كان تحت طوعهما جميع الصناجق والعساكر ، فلما شاعت الاخبار بقدوم الفرنسيس للاستيلاء على مصر خرج الوزير المتولي من السلطنة العلية وهو ابو بكر باشا المتقدم ذكره من مصر وتوجه الى غزة ، ثم منها الى دار السلطنة ، وكان توجهه من مصر يوم السبت سابع شهر صفر من السنة المذكورة ، وبقيت مصر بيد ابراهيم بك ومراد بك وصناجقهما والأمراء والعساكر التي تحت ايديهما ، وكان اهل مصر عند خروج ابي بكر باشا من مصر وقبل خروجه بايام يسمعون اشاعات عن مسير الفرنسيس الى تملك مصر ، ولم يقفوا على حقيقتها ، فلما كان العشرون من المحرم من سنة ثلاث عشرة ومائتين والف وصلت مراكب الفرنسيس مشحونة بالعساكر وآلات الحرب ، فتقاتل من كان فيها من العساكر مع أهل الاسكندرية ، ولم يكن اهل الاسكندرية مستعدين لقتالهم فلم يقدروا على دفعهم ، لا سيما وقد جاءوهم بغتة فقاتلوهم قليلا ثم طلبوا الأمان منهم ، فأمنوهم ودخلوا الاسكندرية وملكوها ، فلما جاء الخبر الى مصر اخذ ابراهيم بك ومراد بك بالاستعداد لهم ، وابرزا جيشا من العسكر الى موضع يقال له الجسر الاسود ، واخرجوا المدافع وآلات الحرب واضطربت الناس في مصر ، وكثر الهرج والمرج ، وتقطعت الطرق وارتفع السعر وكثر السراق ، ثم جاءهم مكتوب من الفرنسيس فيه **بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله لا ولد له ولا شريك له في ملكه** (١) ، وبعد ذلك كلام كثير من جملته : اني

(١) هذه كلمة توحيد خالص .

اعبد الله واحترم نبيه والقرآن العظيم وانهم مسلمون (يعنون انفسهم) مخلصون ، واثبات ذلك انهم نزلوا في رومية الكبرى وخربوا فيها كوسي البابا الذي كان دائما يحث النصارى على محاربة اهل الاسلام ، ثم قصدوا مدينة مالطة وطردوا منها الذين كانوا يزعمون ان الله تعالى يطلب منهم مقاتلة أهل الاسلام ، وكل ذلك من الكلام الذي يوهمون به على أهل الاسلام انهم موحدون لله تعالى ، وانهم يحبون اهل الاسلام ويحبون سلطانهم ، وانهم انما جاءوا لنصرة سلطان الاسلام ، وابعاد المماليك المتغلبين على ممالكه ، ودفع ظلمهم عن الرعية ، ومن جملة ما في ذلك الكتاب خطابا للمسلمين : وما جئتكم لإزالة دينكم ، وانما قدمت اليكم لأخلص حقكم من يد الظالمين الصناجق المماليك الذين يتسلطون في البلاد المصرية ، ويعاملون الملة الفرنساوية بالذل والصغار ، ويظلمون تجارهم ويؤذونهم بانواع الايذاء والتعدي ، ويأخذون اموالهم ويفسدون في الاقليم الحسن الأحسن الذي لا يوجد في كرة الارض كلها مثله ، فأما رب العالمين القادر على كل شيء فانه قد حكم بانقضاء دولتهم ، واني اعبد الله سبحانه اكثر من المماليك ، واحترم نبيه والقرآن العظيم ، وقولوا لهم ان جميع الناس متساوون عند الله تعالى ، وان الشيء الذي يفرقهم عن بعضهم [1] هو العقل والفضائل والعلوم فقط ، وبين المماليك والعقل والفضائل تضارب ، فماذا يميزهم عن غيرهم حتى يستوجبوا أن يتملكوا مصر وحدهم ويختصوا بأحسن ما فيها من الجواري الحسان والخيل العتاق والمساكن المفرحة ، فان كانت الأرض المصرية التزاما للمماليك فليرونا الحجة التي كتبها الله لهم ولكن رب العالمين رؤوف وعادل وحليم ، ولكن بعونه تعالى من الآن فصاعدا لا ييأس أحد من اهالي مصر عن الدخول في المناصب السامية ، وعن اكتساب المراتب العلية ، فالعلماء والفضلاء والعقلاء منهم سيديرون

(١) الصواب : بعضهم عن بعض .

الأمور ، وبذلك يصلح حال الامة كلها ، وسابقا كان في الاراضي المصرية المدن العظيمة والخلجان الواسعة والمتجر المتكاثر ، وما ازال ذلك كله الا الظلم والطمع من المماليك .

أيها المشايخ والقضاة والأئمة وأعيان البلد ، قولوا لأمتكم أن الفرنساوية هم أيضاً مسلمون مخلصون ، ومع ذلك فالفرنساوية في كل وقت من الأوقات صاروا محبين مخلصين لحضرة السلطان العثماني ، وأعداء أعدائه أدام الله ملكه ، ومع ذلك ان المماليك امتنعوا من إطاعة السلطان غير ممتثلين لأمره فما أطاعوا أصلاً إلا لطمع أنفسهم ، طوبى ثم طوبى لأهالي مصر الذين يتفقون معنا بلا تأخير ، فيصلح حالهم وتعلو مراتبهم ، طوبى أيضاً للذين يقعدون في مساكنهم غير مائلين لأحد الفريقين المتحاربين ، فاذا عرفونا بالأكثر تسارعوا إلينا بكل قلب ، لكن الويل ثم الويل للذين يعتمدون على المماليك في محاربتنا ، فلا يجدون بعد ذلك طريقاً الى الخلاص ولا يبقى منهم أثر ، وإن جميع القرى الواقعة في دائرة قريبة بثلاث ساعات عن المواضع التي يمر بها عسكر الفرنساوية ، فواجب عليها أن ترسل (للسرعسكر) من عندها وكلاء كيما يعرف المشار اليه أنهم أطاعوا ، وأنهم نصبوا علم الفرنساوية الذي هو أبيض واكحل وأحمر ، وأن كل قرية تقوم على العسكر الفرنساوي تحرق بالنار ، وأن كل قرية تطيع العسكر الفرنساوي أيضا تنصب صناجق السلطان العثماني محبنا دام بقاؤه ، والواجب على المشايخ والعلماء والقضاة والأئمة أنهم يلازمون وظائفهم ، وعلى كل أحد من أهالي البلدان أن يبقى في مسكنه مطمئنا ، وتكون الصلاة قائمة في الجوامع على العادة ، والمصريون بأجمعهم ينبغي أن يشكروا الله تعالى على انقضاء دولة المماليك قائلين بصوت عال أدام الله إجلال السلطان العثماني ، أدام الله جلال العسكر الفرنساوي ، لعن الله المماليك وأصلح حال الامة المصرية ، وعلى المشايخ في كل بلد يختموا حالاً على جميع الأرزاق والبيوت والأملاك التي للمماليك ، وعليهم الاجتهاد التام أن لا يضيعوا أدنى شيء منها .

وفي التاسع والعشرين من المحرم قدموا الى مصر فاستقبلهم عسكر مصر عند الرحمانية وهزموا الى الجيزة ، والتقوا عند بشقيل وحصلت مقتلة عظيمة ، وقدر الله أن المسلمين هزموا ففر مراد بك ومن معه الى الصعيد ، وفر ابراهيم بك ومن معه في البر الشرقي الى الشام ، وقيل لم يقع قتال كثير وانما هي مناوشة من طلائع العساكر بحيث لم يقتل إلا القليل من الفريقين ، وكانت مراكب في البحر لمراد بك فاحترقت بما فيهـا من الجبخانه والآلات الحربية ، واحترق بها رئيس الطبجية ، واحترق من فيها من المحاربين ، فلما عاين ذلك مراد بك دخله الرعب وولى منهزماً ، وترك الاثقال والمدافع التي في البر ، وتبعته العساكر ، وركب ابراهيم بك الى ساحل بولاق طرف البر الشرقي ، ورجع الناس منهزمين طالبين مصر ، فاجتمع الباشا والعلماء ورؤوس الناس يتشاورون في هذا الحادث العظيم ، فاتفق رأيهم على عمل متاريس من بولاق الى شبرا ، ويتولى الاقامة ببولاق ابراهيم بك وكشافه ومماليكه ، وقد كانت العلماء عند ابتداء هذا الحادث تجتمع بالأزهر كل يوم ويقرؤون البخاري وغيره من الدعوات ، وكذلك مشايخ الطرائق وأتباعهم ، وكذا أطفال المكاتب ، ويذكرون الاسم اللطيف وغيره من الاسماء . ويوم الاثنين حضر مراد بك الى بر امبابه وشرع في عمل متاريس هناك ممتدة الى بشقيل ، وتولى ذلك هو وصناجقه وأمراؤه ، وكان معه في ذلك علي باشا الطرابلسي ونصوح باشا ، وأحضروا المراكب الكبار والغلايين التي أنشأها بالجيزة وأوقفها على ساحل أمبابه ، وشحنها بالعساكر والمدافع والمتاريس والخيـالة والمشاة ، ومع ذلك فقلوب الامراء لم تطمئن بذلك ، فانهم من وصول الخبر الاول لهم من الاسكندرية شرعوا في نقـل أمتعتهم من البيوت الكبار المشهورة المعروفة ، الى البيوت الصغار التي لا يعرفها أحد ، واستمروا طول الليالي ينقلون الامتعة ويوزعونها عند معارفهم وثقاتهم ، وأرسلوا البعض منها لبلاد الارياف ، وأخـذوا أيضاً في تشهيل الأحمال واستحضار دواب للشيل

وأسباب الارتحال ، فلما رأى اهل البلد منهم ذلك داخلهم الخوف الكثير والفزع ، واستعد الاغنياء وأهل المقدرة للهرب ، ولولا أن الأمراء منعوهم من ذلك لما بقي بمصر منهم أحد ، وفي يوم الثلاثاء نادوا بالنفير العام وخروج الناس للمتاريس ، فأغلق الناس الدكاكين والأسواق ، وخرج الجميع لبولاق ، فكانت كل طائفة من طوائف أهل الصناعات يجمعون الدراهم من بعضهم وينصبون لهم خياماً ويجلسون في مكان خراب أو مسجد ، ويرتبون أمرهم فيمن يصرف لهم مايحتاجون اليه من الدراهم التي جمعوها ، ويجعلون عليهم قيّما يباشر ذلك ، وبعض الناس يتطوع على بعض في الانفاق ، ومن الناس من يجهز جماعة من المغاربه والشوام بالسلاح والأكل وغير ذلك ، بحيث أن جميع الناس بذلوا وسعهم وفعلوا مافي قوتهم وطاقتهم ، وسمحت نفوسهم بانفاق أموالهم فلم يشح أحد في ذلك الوقت بشيء يملكه ، ولكن لم يسعفهم الدهر ، وخرجت الفقراء وأرباب الأشائر بالطبول والزمر والأعلام والكاسات ، وهم يضجون ويصيحون بأذكار مختلفة ، وصعد السيد عمر مكرم نقيب الاشراف إلى القلعة فأخرج بيرقاً كبيراً سمّته العامة بيرق النبي صلى الله عليه وسلم ، فنشره بين يديه من القلعة إلى بولاق وأمامه وحوله ألوف من العامة بالنبابيت والعصي يهللون ويكبرون ويكثرون من الصياح ومعهم الطبول والزمور ، وغيرذلك وأما مصر فانها صارت خالية الطرق لاتجد بها سوى النساء في البيوت ، وضعفاء الرجال الذين لايقدرون على الحركة ، وغلا سعر البارود والرصاص جداً بحيث بيع الرطل البارود بستين نصفاً ، والرصاص بتسعين نصفاً ، وغلا جنس أنواع السلاح وقل وجوده ، وخرج معظم الرعايا بالنبابيت والعصي والمساوق ، وجلس مشايخ العلماء بزاوية علي بيك ببولاق يدعون ويبتهلون إلى الله تعالى بالنصر ، وأقام غيرهم من الرعايا بالبيوت والزوايا والخيام . ومحصل الامر أن جميع من بمصر من الرجال تحول إلى بولاق ،

وأقام بها من حين نصب ابراهيم بيك العرضي هناك إلى وقت الهزيمة ، سوى القليل من الناس الذين لايجدون لهم مكانا ولا مأوى فيرجعون إلى بيوتهم يبيتون بها ثم يصبحون إلى بولاق ، وأرسل ابراهيم بيك إلى العربان المجاورة لمصر ورسم لهم أن يكونوا من المقدمة بنواحي شبرا وما والاها ، وكذلك اجتمع عند مراد بيك الكثير من عرب البحيرة والجيزة والصعيد والخبيرية والقبعان وأولاد علي والقناوبة وغيرهم ، وفي كل يوم يتزايد الجمع ويعظم الهول ، ويضيق الحال بالفقراء الذين يحصلون أقواتهم يوما فيوما لتعطل الأسباب واجتماع الناس كلهم في صعيد واحد ، وانقطعت الطرق وتعدي الناس بعضهم على بعض لعدم التفات الحكام واشتغالهم بما دهمهم ، وكذلك العرب أغارت على الاطراف والنواحي ، وقامت الارياف على ساق يقتل بعضهم بعضا وينهب بعضهم بعضا ، وصار قطر مصر من أوله إلى آخره في قتل ونهب واخافة طريق وقيام شر وغارة على الأموال وافساد المزارع وغير ذلك من أنواع الفساد الذي لايحصى ، وطلب أمراء مصر تجار الافرنج الذين بمصر وحبسوهم في القلعة ، وفي بعض أماكن غير القلعة من بيوت الأمراء ، وصاروا يفتشون في الافرنج على الاسلحة وغيرها ، وكذلك بيوت النصارى الشوام والأقباط والأروام والكنائس على الاسلحة ، والعامة لاترضى إلا أن يقتلوا النصارى واليهود فيمنعهم الحكام عنهم ، ولولا ذلك المنع لقتلهم العامة وقت هذه الفتنة ، ثم في كل يوم تكثر الاشاعة بقرب الفرنسيس الى مصر ، وتختلف الناس في الجهة التي يجيئون منها ، فمنهم من يقول أنهم واصلون من البر الغربي ، ومنهم يقول من الشرقي ، ومنهم من يقول بل يأتون من الجهتين ، وليس لاحد من الامراء همة أن يبعث جاسوسا أو طليعة تناوشهم القتال قبل قربهم ووصولهم الى فناء مصر ، بل كل من ابراهيم بيك ومراد بيك جمع عساكره ومكث في مكانه لا ينتقل عنه ينتظر ما يفعل بهم ، وليس هناك قلعة ولا حصن ولا معقل ، وهذا من سوء التدبير واهمال أمر العدو.

ولما كان يوم الجمعة سادس شهر صفر وصل الفرنسيس الى الجسر الأسود ، وأصبح يوم السبت فوصل أم دينار ، فعندها اجتمع العالم العظيم من الجند والرعايا والفلاحين والمجاورة بلادهم ، ولكن الاجناد متنافرة قلوبهم ، منحلة عزائمهم ، مختلفة آراؤهم ، حريصون على حياتهم وتنعمهم ورفاهيتهم ، مختالون في ريشهم مغترون بجمعهم ، محتقرون شأن عدوهم ، مرتبكون في رؤيتهم مغمورون في غفلتهم ، وهذا كله من أسباب ما وقع من خذلانهم وهزيمتهم . وقد كان الظن بالفرنسيس أن يأتوا من البرين بل أشيع ذلك ، فلم يأتوا إلا من البر الغربي ، ولما كان وقت القيلولة ركب جماعة من العساكر التي بالبر الغربي ، وتقدموا الى ناحية بشتيل بلد مجاورة لأنبابه ، فتلاقوا مع مقدمة الفرنسيس فكروا عليهم بالخيول ، فضربهم الفرنسيس ببنادقهم المتتابعة الرمي وأبلى الفريقان ، وقتل أيوب بيك الدفتردار وكثير من كشاف محمد بيك الالفي ومماليكهم ، وتبعهم طابور من الافرنج نحو السنة الاف ، وكان رئيسهم الكبير بوناپارته لكنه لم يشهد الوقعة ، بل حضر بعد الهزيمة ، وكان بعيداً عن هؤلاء بكثير ، ولما قرب طابور الفرنسيس من متاريس مراد بيك ترامى الفريقان بالمدافع ، وكذلك العسكر المحاربون البحرية ، وحضر عدة وافرة من عساكر الأرناؤوط من دمياط ، وطلعوا إلى أنبابه وانضموا الى المشاة وقاتلوا معهم في المتاريس ، فلما عاين وسمع عسكر البر الشرقي في القتال ضج العامة والغوغاء من الرعية وأخلاط الناس بالصياح ، ورفعوا الاصوات بقولهم يارب يالطيف ، ويا رجال الله[1] ونحو ذلك وكأنهم يقاتلون ويحاربون بصياحهم ، فكان العقلاء من الناس يأمرونهم بترك ذلك ، ويقولون لهم إن الرسول والصحابة والمجاهدين انما كانوا يقاتلون بالسيف والحراب وضرب الرقاب ، لا برفع الصوت والصراخ

---

(١) قال تعالى : « فلا تدعوا مع الله أحداً » وقال سبحانه وتعالى : « أم مَن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء » ؟

والنباح ، فلا يستمعون ولا يرجعون عما هم فيه ، ومن يقرأ ومن يسمع ؟ وركب طائفة كبيرة من الامراء والاجناد من العرضي الشرقي ومعهم ابراهيم بيك الوالي ، وشرعوا في التعدية الى البر الغربي في المراكب ، فتزاحموا على المّعادي لكون التعدية من محل واحد والمراكب قليلة جداً ، فلم يصلوا الى البر الآخر حتى وقعت الهزيمة على المحاربين ، هذا والريح العاصفة قد اشتد هبوبها وأمواج البحر في قوة اضطرابها والرمال يعلو غبارها وتنسفها الريح في وجوه المصريين ، فلا يقدر أحد أن يفتح عينيه مع شدة الغبار وكون الريح من ناحية العدو ، وذلك من أعظم أسباب الهزيمة كما هو منصوص عليه .

ثم ان الطابور الذي تقدم لقتال مراد بك انقسم على تراتيب معلومة عندهم في الحرب وتقارب من المتاريس ، بحيث صار محيطاً بالعسكر من خلفه وأمامه ، ودق طبوله وأرسل بنادقه المتابعة والمدافع ترمي ، واشتد هبوب الريح وانعقد الغبار ، وأظلمت الدنيا من دخان البارود وغبار الريح ، وصمت الاسماع من توالي الضرب ، بحيث خيل للناس أن الأرض تزلزت والسماء عليها سقطت ، واستمر الحرب والقتال نحو ثلثي ساعة ثم كانت الهزيمة على العسكر الغربي ، فغرق الكثير من الخيالة في البحر لإحاطة العدو بهم وظلام الدنيا ، والبعض وقع أسيراً في يد الفرنسيس وملكوا المتاريس ، وفر مراد بك ومن معه الى الجيزة فصعد الى قصره وقضى بعض أشغاله في نحو ربع ساعة ، ثم ركب وذهب الى الجهة القبلية ، وبقيت القتلى والثياب والامتعة والاسلحة والفرش ملقاة على الارض بين أنيابه ، والقى كثير نفسه في البحر ، ولما انهزم العسكر الغربي تحول الفرنسيس بالمدافع والبنادق على البر الشرقي وضربوها وتحقق أهل البر الآخر الهزيمة ، فقامت فيهم ضجة عظيمة ، وركب في الحال ابراهيم بك والأمراء والعسكر والرعايا وتركوا جميع الاثقال والخيام كما هي لم يأخذوا منها شيئاً ،

فأما ابراهيم بك والأمراء فساروا إلى جهة العادلية ، وأما الرعايا فهاجوا وماجوا ذاهبين جهة المدينة ودخلوها أفواجا أفواجا ، وهم جميعاً في غاية الخوف والفزع وترقب الهلاك ، وهم يضجون بالعويل والنحيب ، ويبتهلون الى الله تعالى من شر هذا اليوم الوصيب ، والنساء يصرخن بأعلى أصواتهن من البيوت ، وقد كان ذلك قبل الغروب ، فلما استقر ابراهيم بيك بالعادلية أرسل يأخذ حريمه ، وكذلك من معه من الأمراء ، فأركبوا النساء على الخيول والبغال والحمير والجمال ، والبعض ماش كالجواري والخدم ، واستمر معظم الناس طول الليل خارجين من مصر ، البعض بحريمه والبعض ينجو بنفسه ولا يسأل أحد عن أحد ، بل كل واحد مشغول بنفسه عن أبيه وابنه ، فخرج تلك الليلة معظم أهل مصر ، البعض لبلاد الصعيد والبعض لجهة الشرق وهم الاكثر ، وأقام بمصر كل مخاطر بنفسه لا يقدر على الحركة ممتثلا للقضاء متوقعاً المكروه ، وذلك لعدم قدرته وقلة ذات يده وما ينفقه على حمل عياله وأطفاله ويصرفه عليهم في الغربة ، فاستسلم للمقدور ولله عاقبة الأمور ، والذي أزعج قلوب الناس بالاكثر ان في عشاء تلك الليلة شاع في الناس ان الافرنج عدوا الى بولاق واحرقوها ، وكذلك الجيزة ، وان اولهم وصل الى باب الحديد يحرقون ويقتلون ويفجرون بالنساء ، وكان السبب في هذه الاشاعه ان بعض عسكر مراد بيك الذين كانوا في الغليون لمرسى انبابة لما تحقق الكسرة اضرم النار في الغليون الذي هو فيه ، وكذلك مراد بيك لما رحل من الجيزة امر بانجرار الغليون الكبير من قبالة قصره ليصحبه معه الى الجهة القبلية ، فمشوا به قليلا فوقف في الطين لقلة الماء وكان به عدة وافرة من آلات الحرب والجبخانه فأمر بحرقه ايضا ، فلما صعد لهيب النار من جهة الجيزة وبولاق ظنوا بل ايقنوا انهم احرقوا البلدين ، فماجوا واضطربوا زيادة عما هم فيه من الفزع والروع والجزع ، وخرج اعيان الناس وافندية الوجاقات واكابرهم ونقيب الاشراف

وبعض المشايخ القادرين ، فلما عاين العامة والرعية ذلك اشتد ضجرهم وخوفهم وتحركت عزائمهم للهرب واللحاق بهم ، والحال ان الجميع لا يدرون اي جهة يسلكون وأي طريق يذهبون وأيّ محل يستقرون ، فتلاحقوا وتسابقوا وخرجوا من كل حدب ينسلون ، وبيع الحمار الأعرج والبغل الضعيف بأضعاف ثمنه ، وخرج اكثرهم ماشيا او حاملا متاعه على رأسه وزوجته حاملة طفلها ، ومن قدر على مركوب اركب زوجته او ابنته ومشى هو على اقدامه ، وخرج غالب النساء ماشيات حاسرات واطفالهن على اكتافهن يبكين في ظلمة الليل ، واستمروا على ذلك بطول ليلة الأحد وصبحها ، واخذ كل انسان ما قدر على حمله من مال ومتاع ، فلما خرجوا من باب البلد وتوسطوا الفلاة تلقتهم العربان والفلاحون ، فأخذوا متاعهم ولباسهم واحمالهم بحيث لم يتركوا لمن صادفوه ما يستر به عورته او يسد جوعته ، فكان ما اخذته العرب شيئاً كثيرا يفوق الحصر بحيث ان الاموال والذخائر التي خرجت من مصر في تلك الليلة اضعاف ما بقي فيها بلا شك ، لأن معظم الاموال عند الامراء والاعيان وحريمهم ، وقد اخذوه صحبتهم ، وغالب مساتير الناس واهل المقدرة اخرجوا ايضا ما عندهم ، والذي اقعده العجز وكان عنده ما يعجز عليه حمله من مال او مصاغ اعطاه لجاره او صديقه الراحل ، ومثل ذلك امانات وودائع الحجاج من المغاربة والمسافرين ، فذهب ذلك جميعه ، وربما قتلوا من قدروا على قتله او دافع عن نفسه ومتاعه ، وسلبوا ثياب النساء وفضحوهن وهتكوهن وفيهم الخوندات والأعيان ، فمنهم من رجع عن قريب وهم الذين تأخروا في الخروج وبلغهم ما حصل للسابقين ، ومنهم من جاز متكلا على كثرته وعزوته وخفارته فسلم او عطب ، وكانت ليلة وصباحها في غاية الشناعة ، جرى فيها ما لم يتفق مثله في مصر ، ولا سمعنا بما شابه بعضه في تواريخ المتقدمين ، قال الشاهد فما راء كمن سمع ، ولما اصبح يوم الأحد المذكور

والمقيمون لا يدرون ما يفعل بهم ومتوقعون حلول الفرنسيس ووقوع المكروه ، ورجع الكثير من الفارين وهم في اسوأ حال من العري والفزع ، فتبين ان الافرنج لم يعدوا الى البرّ الشرقي وان الحريق كان في المواكب المتقدم ذكرها ، فاجتمع في الازهر بعض العلماء والمشايخ وتشاوروا فاتفق رأيهم على ان يرسلوا مراسلة الى الافرنج وينتظروا ما يكون من جوابهم ، ففعلوا ذلك ، وارسلوا صحبة شخص مغربي لا يعرف لغتهم وآخر صحبته ، فغابا وعادا واخبرا انهما قابلا كبير القوم واعطياه الرسالة فقرأها عليه ترجمانه ومضمونها الاستفهام عن قصدهم ، فقال على لسان الترجمان : واين عظماؤكم ومشايخكم لم تأخروا عن الحضور لدينا لنرتب لهم ما يكون فيه الراحة ؟ وطمنهم وبش في وجوههم . فقالا : نريد امانا منكم ، فقال : قد أرسلنا لكم سابقا ، يعنون الكتاب المذكور فيما تقدم ، فقالا : وايضا نريد امانا لاجل اطمئنان الناس ، فكتبوا لهم ورقة اخرى مضمونها اننا ارسلنا لكم في السابق كتابا فيه الكفاية ، وذكرنا لكم اننا ما حضرنا الا بقصد ازالة المماليك الذين يستعملون الفرنساوية بالذل والاحتقار ، واخذ مال التجار ومال السلطان ، ولما حضرنا الى البرّ الغربي خرجوا الينا فقابلناهم بما يستحقونه ، وقتلنا بعضهم واسرنا بعضهم ونحن في طلبهم حتى لم يبق منهم احد بالقطر المصري ، واما العلماء والمشايخ واصحاب المرتبات والرعية فيكونون مطمئنين وفي مساكنهم مرتاحين ونحو ذلك من الكلام ، ثم قال لهم لا بد ان المشايخ والشربجية يأتون الينا لنرتب لهم ديوانا ننتخبه من سبعة اشخاص عقلاء يدبرون الأمور . ولما رجع الجواب بذلك اطمأن الناس ، وركب الشيخ مصطفى الصاوي والشيخ سليمان الفيومي وآخرون الى الجيزة ، فتلقاهم وضحك لهم ، وقال انتم المشايخ الكبار ، فأعلموه ان المشايخ الكبار خافوا وهربوا ، فقال لأي شيء يهربون اكتبوا لهم بالحضور ونعمل لكم ديوانا لاجل راحتكم وراحة الرعية واجراء الشريعة

فكتبوا لهم عدة مكاتيب بالحضور والأمان ، ثم انفصلوا من معسكرهم بعد العشاء وحضروا الى مصر ، واطمأن بوجوعهم الناس ، وكانوا في وجل وخوف على غيابهم ، واصبحوا فأرسلوا الأمان الى المشايخ ، فحضر شيخ السادات والشيخ الشرقاوي والمشايخ ومن انضم اليهم من الناس الفارين من ناحية المطرية ، وأما عمر افندي نقيب الأشراف فانه لم يطمئن ولم يحضر ، وكذلك الروزنامجي والافندية . وفي ذلك اليوم اجتمعت الجعيدية وأوباش الناس ونهبوا بيت ابراهيم بيك ومراد بيك وحرقوهما ، ونهبوا ايضا عدة بيوت من بيوت الامراء واخذوا ما فيها من فرش ونحاس وامتعة وغير ذلك وباعوه بابخس الاثمان . وفي يوم الثلاثاء دخلت الفرنساوية الى مصر وسكن بونابارته بيت محمد بيك الألفي بالازبكية الذي انشأه الأمير المذكور في السنة الماضية ، وزخرفه وصرف عليه اموالا عظيمة وفرشه بالفرش الفاخرة ، وعند تمامه وسكناه حصلت هذه الحادثة ، فما دخلوه بل تركوه بما فيه فكأنه انما كان يبنيه لأمير الفرنسيس ، وكذلك حصل في بيت حسن كاشف بالناصرية . ولما دخل كبيرهم وسكن بالأزبكية كما ذكر استمر غالبهم بالبر الآخر ولم يدخل المدينة الا القليل منهم ، ومشوا في الاسواق من غير سلاح ولا تعد ، بل صاروا ايضا يحاكون الناس ويشترون ما يحتاجون اليه باغلى ثمن ، فيأخذ احدهم الدجاجة ويعطي صاحبها في ثمنها ريالاً (فرانسي) ، ويأخذ البيضة بنصف فضة قياسا على اسعار بلادهم واثمان بضائعهم ، فلما رأى منهم العامة ذلك انسوا بهم واطمأنوا لهم ، وخرجوا اليهم بالكعك وانواع الفطير والخبز والبيض والدجاج وانواع المأكولات ، وغير ذلك مثل السكر والصابون والدخان واللبن ، وصاروا يبيعون اليهم بما احبوا من الاسعار ، وفتح غالب السوقة الحوانيت والقهاوي ، واطمأن الناس لذلك وهدأت الخواطر وطابت الافكار ، وغلب الأمان على الخوف وراج امر البيع والشراء . وفي يوم الخميس

ثالث عشر شهر صفر أرسلوا يطلبون المشايخ والوجاقلية عند قائم مقام سر عسكر ، فلما حضروا تشاور معهم في تعيين عشرة انفار من المشايخ للديوان وفصل الحكومات ، فوقع الاتفاق على الشيخ عبد الله الشرقاوي والشيخ خليل البكري والشيخ مصطفى الصاوي والشيخ سليمان الفيومي والشيخ محمد المهدي والشيخ موسى السرسي والشيخ مصطفى الدمنهوري والشيخ احمد العريشي والشيخ يوسف الشبرخيتي والشيخ محمد الدواخلي ، وحضر ذلك المجلس ايضا مصطفى كتخدا والقاضي ، وقلدوا محمد آغا السلماني اغاة مستحفظات ، وعلي آغا الشعراوي والي الشرط وحسن آغا امين احتساب ، وذلك باشارة ارباب الديوان فانهم كانوا ممتنعين من تقليد المناصب لجنس المماليك ، فعرّفوهم أن سوقة مصر لا يخافون الا من الاتراك ، ولا يحكمهم سواهم ، وهؤلاء المذكورون من بقايا البيوت القديمة الذين لا يتجاسرون على الظلم كغيرهم ، وقلدوا ذا الفقار كتخدا بيك كتخدا بونابارته ، وسأل أرباب الديوان المذكورين عما وقع من النهب للبيوت ، فقالوا هذا فعل الجعيديه واوباش الناس ، فقال لأي شيء يفعلون ذلك وقد اوصيناكم بحفظ البيوت والختم عليها ، فقالوا هذا امر لا قدرة لنا على منعه ، وانما ذلك وظيفة الحكام ، ثم امروا بالنداء بالأمان وفتح الدكاكين والاسواق والمنع من النهب ، فلم يسمعوا ولم ينتهوا واستمر غالب الاسواق والدكاكين معطلة ، والناس غير مطمئنين . وفتح الفرنسيس بعض البيوت المغلقة التي للأمراء ودخلوها ، واخذوا منها اشياء وخرجوا منها وتركوها مفتوحة ، فعندما يخرجون منهـــا يدخلها طائفة الجعيديه يستأصلون ما فيها ، ثم ان معسكرهم صارت تدخل المدينة شيئا فشيئا حتى امتلأت منها الطرقات ، وسكنوا في البيوت ولم يشوشوا على الناس ، ويأخذون المشتروات بزيادة عن ثمنها ، وبعد ايام طلبوا سلفة خمسماية الف ريال من التجار ، فأخذوا في تحصيلها بعد مراجعتهم في تخفيفها فلم يفعلوا

ونادوا بالأمان لنساء الامراء ، وأمروا كل من عندها شيء من متاع زوجها تأتي به ، وصالحت زوجة مراد بيك عن نفسها وأتباعها من نساء الامراء بماية وعشرين ألف ريال ، واستخرجوا من الخبايا شيئاً كثيراً ، ثم طلبوا من أهل الحرف والاسواق مبلغاً من المال يعجزون عنه ، فاستغاثوا بالمشايخ فتشفعوا عندهم فلطفوها لهم . ولما جاء وقت مولد النبي ﷺ أمروا بصنعه على المعتاد وأعطوا من عندهم اعانة على ذلك ثلاثمائة ريال ، وصنعوا شنكا ليلة المولد ، وجاءت مراكب الانكليز وحاربت مراكب الفرنسيس ، وأحرقوا لهم مركبا كبيرا ، واستمر اياما ثم ذهبوا ، واما ابراهيم بيك ومراد بيك فذهبوا الى غزة ثم رجعوا الى جهة الفيوم . وفي شهر ربيع الثاني طلبوا من الناس حجج املاكهم وقيدوها عندهم ، ووضعوا عليها قدرا معلوما من الدراهم ، وأمروا المشايخ أن يكتبوا للسلطان كتاباً مضمونه الثناء عليهم وحسن سيرتهم ، وأنهم من المحبين للسلطان ، وأنهم محترمون للقرآن والإسلام ففعلوا ، وفي عاشر جمادي الاولى جمعوا الناس وقرروا على الأملاك أموالاً زيادة عما كان قبل ذلك ، وهاج عامة الناس ونادوا بالجهاد ، ووقع قتال قتل فيه خلق كثير ، ثم صار النداء بالأمان ، ثم تتبعوا كثيراً ممن كان قائماً في تلك الفتنة فقتلوه . وأما كيفية مجالسهم وبقية الترتيب في نظامات دولتهم فهو طويل لا حاجة لذكره ، وكذا ما كان يجري من الحوادث . ولما جاءت أخبار دخول الفرنسيس مصر إلى الحجاز قام شيخ عالم مغربي بمكة يقال له محمد الجيلاني واستنفر الناس للجهاد ، فاجتمع معه خلق كثير ووصلوا الى الصعيد وقاتلوا من وجدوه من الفرنسيس ، ولم يقدروا على استخلاص الأقطار المصرية منهم ، فقاتلوا حتى قتل أكثرهم ورجع القليل منهم .

ثم جهز الفرنسيس جيشاً لمحاربة أحمد باشا الجزار في عكا ، فملكوا كثيراً من قرى الشام وحاصروا أحمد باشا في عكا ثم عجزوا عن أخذها ، فارتحلوا عنها . وأجروا ما يعتاده أهل مصر من مولد السيد أحمد البدوي وغيره على حسب المعتاد ، وكذا اخراج المحمل والحج ، وحصل بينهم

وبين أهل الأرياف محاربات كثيرة حتى ملكوهم كلهم ، وصاروا يتبعون الامراء من المماليك ويقتلون من ظفروا به ، وحضرت مراكب إلى السويس فيها أموال وبضائع للشريف غالب ، فسمحوا عن عشورها وحصل بينه وبينهم مكاتبات ومهاداة بهدايا عندهم ، ووضعوا الشيخ العريشي قاضيا للمسلمين يحكم بالشرع ، وتوجه بانوبارته إلى بلاد الفرنسيس سنة أربع عشرة وجعل ساري عسكرهم نائبا عنه بمصر ، ثم ترقى بانوبارته حتى صار ملكا على كافة الفرنسيس . وفي شهر رجب من سنة أربع عشرة جاء جيش من السلطان سليم يقوده يوسف باشا ومعه نصوح باشا جعلوه والياً على مصر ، وهو الذي يقال له أيضاً ناصف باشا ، وسار من جهة الشام حتى وصلوا إلى العريش ، فاستعد الفرنسيس . لقتالهم وخرج بجنوده إلى الصالحية ، ثم توسط الانكليز بالصلح على شروط كثيرة ، منها أن الفرنسيس يتنحّى عن الديار المصرية بعد ثلاثة أشهر ، ففي تلك المدة صار الناس يحتقرونهم ويسخرون بهم ، ويقول بعضهم لبعض سنة مباركة ويوم سعيد بذهاب الكلاب الكفرة ، كل ذلك بمشاهدة الفرنسيس وهم يحقدون ذلك عليهم ، وكشف همج الناس نقاب الحياء معهم بالكلية ، وتطاولوا عليهم بالسب واللعن والسخرية ولم يفكروا في عواقب الأمور ، حتى إن فقهاء الأطفال كانوا يجمعون الأطفال ويمشون فرقاً وطوائف وهم يجهرون ويقولون كلاما مقفى بأعلى أصواتهم بلعن النصارى وأعوانهم وأفراد رؤسائهم ، كقولهم ينصر الله السلطان ويهلك فرط الرمان . ولم يملكوا لأنفسهم صبراً ، حتى تنقضي الأيام المشروطة ، على أن ذلك لم يثمر إلا الحقد والعداوة التي تأسّسَت في قلوب الفرنسيس ، وأخذ الفرنساوية في أهبة الرحيل ، وشرعوا في بيع أمتعتهم وما فضل من سلاحهم ودوابهم ، وسلموا غالب الثغور والقلاع كالصالحية وبلبيس ودمياط والسويس . ثم إن العثمانيين تدرجوا في دخول مصر وصار كل يوم يدخل منهم جماعة

بعد جماعة ، ووصل الوزير يوسف باشا إلى بلبيس والتقى بالامراء المصريين وأخلى الفرنساوية قلعة الجبل وباقي القلاع التي أحدثوها ونزلوا منها ، فلم يطلع اليها أحد من العثمانيين ، وطلع كثير من العلماء والتجار للسلام على الوزير في مدينة بلبيس في رمضان ، فقابلوه وقابلوا والي مصر نصوح باشا وخلع عليهم خلعا وانصرفوا .

ثم في شهر شوال وقعت حادثة كانت سببا للنقض ، وذلك أن جماعة من عسكر العثمانيين تشاجروا مع جماعة من عسكر الفرنسيس فقتل بينهم شخص فرنساوي ، فثار من ذلك فتنة ، ثم قتلوا ستة أنفار كانوا سبب الفتنة فسكنت ، لكن لم تطب نفوس الفرنسيس ، ثم إن الفرنساوية طلبوا ثمانية أيام مهلة زيادة على المهلة السابقة لما قرب تمامها ، فأعطوهم الثمانية أيام ونصبوا وجاق عسكرهم وخيامهم بساحل البحر متصلاً باطراف مصر ممتداً إلى شبرا وترددوا إلى القلاع وهي لم يكن بها أحد ، وشرعوا باجتهاد في رد الجبخانة والذخيرة وآلات الحرب والبارود والقلل والمدافع ، واجتهدوا في ذلك ليلاً ونهاراً والناس يتعجبون من ذلك ، وأشيع أن الوزير اتفق مع الانكليز على الإحاطة بالفرنساوية إذا صاروا بظاهر البحر ، وكان الفرنساوية عندما تراسلوا وترددوا إلى جهة العرضي تفرسوا في عرضي العثمانيين وعسكرهم وأوضاعهم ، وتحققوا حالهم فعلموا ضعفهم عن مقاومتهم ، فلما حصل ماذكر تأهبوا للمقاومة ونقض الصلح والمحاربة ، وردوا آلاتهم إلى القلاع ، فلما تموا أمر ذلك وحصنوا الجهات وأبقوا من أبقوه بها من عساكرهم ، خرجوا باجمعهم إلى ظاهر المدينة جهة قبة النصر ، وانتشروا في النواحي ولم يبق في المدينة إلا من كان داخل القلاع .

فلما كان اليوم الثالث والعشرون من شوال ركب السر عسكر الفرنساوي بعدده وعدده صباحا ومال على العساكر المصرية من كل جانب

فشتت شملهم وفرق جمعهم ، ولم تزل العساكر المصرية فارة من عدوها حتى دخلت مصر ، مع وقت العصر ، ولما دخل نصوح باشا صار يقول للعامة اقتلوا النصارى وجاهدوا فيهم فعج الناس وهاجوا ، وخرجوا من عقولهم وماجوا ، ومروا مسرعين يقتلون من يصادفونه من نصارى القبط والشام وساروا إلى حارات النصارى يقتلون وينهبون [١] ويأسرون فتحزبت النصارى ولا يزالون يتقاتلون إلى آخر النهار ، وبات الناس في هذه الليلة خلف المتاريس ، فلما أظلم الليل أطلق الفرنساوية المدافع والكرات على البلد من القلاع ، ووقع للناس في هذه الليلة من الكرب والمشقة والخوف مالا يوصف ، وأحاط الفرنساويون بالبلد احاطة السوار بالمعصم ، وأكثروا من الرمي بالمدافع على البيوت من القلاع ، وعدمت الأقوات ، وانسدت عن الجلب الطرقات ، وهلكت البهائم ، وليس للناس من مجير ولا راحم ، ثم هجموا في ليلة شاتية على البلد من كل ناحية ، فقتلوا الرجال ، وسبوا الحريم ونهبوا الأموال ، وأحرقوا البلاد ، واذاقوا الناس كؤوس الإهانة فوق المراد ، ووضعوا أيديهم على البيوت والحوانيت وسائر الأموال ، وملكوا النساء والصبيان والرجال .

وفي أوائل ذي الحجة سنة خمس عشرة ومائتين والف خرج العثمانيون من مصر ، واستولى الفرنساويون على سائر آلاتهم ومدافعهم وعددهم وتم لهم أمر الاستيلاء على مصر ، وأمنوا الناس ، ثم انه قرر على أهل مصر يدفعون عاجلًا تأديباً لهم زيادة على ما وقع منه عشرة آلاف ألف ألف فرنك ، وسافر السر عسكر وأقام مكانه يعقوب القبطي يفعل بالمسلمين ما يشاء ، ودارت العساكر للتحصيل ، فباعت الناس أمتعتها الجليل منها

---

(١) القاعدة الشرعية توجب علينا قتال المعتدين ومن يعاونهم ، واخراجهم من أرضنا وأما أهل ذمتنا فتجب علينا المحافظة عليهم كأهل ملتنا .

والقليل ، إلى أن انفقد المشترى ولو بأبخس الأثمان ، وذل في ذلك الوقت كل عزيز وهان ، ولم يزل ذلك الظلم يتفاقم ويزكو ويتعاظم ، والناس يتمنون المنية ، في كل بكرة وعشية ، إلى آخر شوال سنة خمس عشرة ومائتين وألف برز الأمر من مولانا السلطان سليم بالتجهيز إلى مصر براً وبحراً ، فعساكر البر بمعية يوسف باشا وعساكر البحر بمعية الانكليز ، وفي أوائل ذي القعدة وردت مراكب الإنكليز إلى ثغر الاسكندرية ، وجاءت الأخبار إلى الفرنساويين بأن يوسف باشا وعساكره وصلوا إلى العريش ، ثم وقع الحرب بين الانكليز والفرنساوي براً في الإسكندرية ، وكانت الهزيمة على الفرنساويين ، وقتل منهم كثير ، ثم وقع قتال آخر بينهما فقتل من الفرنسيس خمسة عشر ألفا . وفي هذه السنة وقع في مصر طاعون مات فيه خلق كثير ، وفي خامس المحرم عام ستة عشر ومائتين وألف تحصن الفرنساويون وأكثروا من نقل الماء والدقيق والأقوات إلى القلعة بمصر ، وكذلك البارود والكبريت والقلل والقنابر وغير ذلك ، ووضعوا المتاريس خارج البلد وحفروا الخنادق ، وشاعت الأخبار بأن العثمانيين والانكليز تقدموا وتملكوا رشيد ودمياط .

وفي ثالث صفر وقع الحرب بين العثمانيين والفرنساويين وكان النصر للعثمانيين ، ثم انعقد الصلح على خروج الفرنسيس من مصر ، وتسليمها للدولة العثمانية ، فخرجوا في أواخر صفر ، ودخل الوزير يوسف باشا مصر في التاسع والعشرين من شهر صفر بموكب حافل ، وكانت مدة تملك الفرنساويين مصر ثلاث سنين وشهراً . وهذا مجمل ذلك ولو فصلناه لطال المسير على السالك .

الشيخ أبو بكر بن عمر بن عبد الواحد الحلبي الشافعي الفقيه المقرىء

احد القراء والمشايخ بحلب ولد بها سنة أربع وخمسين ومائة والف ، وقرأ القرآن العظيم وحفظه على حيدر بن محمد المقري ، وأخذ القراءات عن

المتقن الكبير أبي محمد عمر بن شاهين ، ومحمد بن مصطفى البصري الحلبي ، وأتقن الحفظ والتجويد والترتيل ورغب فيه الناس ، وقرأ الفقه على أبي محمد عبد القادر بن عبد الكريم الديري الشافعي الحلبي ، ومصلح الدين مصطفى بن ابراهيم الحموي العلواني لما قدم حلب ، وما زال معتنى به مقصوداً للتلقي عنه والاخذ منه ، إلى أن توفي سنة الف ومايتين وبضع عشرة رحمه الله تعالى .

الشيخ الملا أبو بكر البغدادى امام حضرة شيخ الحضرة مولانا خالد قدس سره

العالم العامـــل ، صاحب الآثار والشمائل ، والمعارف والفضائل ، والبراهين والدلائل ، إمام حضرة العمدة الأستاذ ، والصفوة الملاذ ، مولانا المجـد التالد ، سيدنا الشيخ خالد ، قدس الله سره فإنه امامه في الحضر والسفر ، مـع تجرده عن العوائق القاطعة الموقعة له في الخطر ، المتحلي بمحاسن الأفعال ، وجميل الأحوال ، المتخلي عن كل مايطعن في المقام، وينافي الاحترام ، الفقيه العابد ، والورع الزاهد ، السياح في قفار التوحيد والتجريد ، حافظ كلام الله تعالى المجيد ، الصادح في المحراب بالسبع المثاني والـكارع من كؤوس العرفان زلال الاماني ، إذا سمعته حينا يجودالقرآن في اقبـاله على المعبود ، قلت هـذا ملك اعطي مزماراً من مزامير آل داوود ، صاحب المقام الصفي الانيس ، ذو التسبيح والتقديس ، قـد لازم حضرة مرشد الزمان مولانا خالد واستجلب رضاه وفاز بأنظاره الاكسيرية وكان خليفة عنه في اعطاء الطريق ، وارشاد الناس الى العهد الوثيق ، ولم ينفك عنه الى أن توفي في دمشق الشام ، ودفن في جنب حضرة مولانا خالد في جبل قاسيون من جهة حارة الاكراد مع الشيخ اسماعيل والشيخ

عبد الله الهراتي وصي الشيخ وكانت وفاة المترجم المرقوم سنة الف ومائتين ونيف وخمسين رحمه الله تعالى .

السيد الكامل أبو بكر الصيادي الزيتاوي بن السيد محمد بن السيد سليمان بن السيد محمد بن السيد علي بن السيد محمد بن السيد خير الله الثاني بن السيد محمد بن السيد خير الله بن السيد ابي بكر بن السيد محمد بن السيد ابي بكر بن السيد محمد بن السيد ابي بكر بن السيد عبد السميع بن السيد المطيع بن السيد شريف بن السيد عبد السميع بن السيدشمس الدين احمد الاصغر بن السيد القطب صدر الدين علي بن الغوث الاكبر السيد عز الدين احمد الصياد سبط النفس النفيسة الرفاعية رضي الله عنهم

قال صاحب تنوير الأبصار في طبقات السادةالرفاعية الأخيار : كان كآبائه بكفرزيتا ، وكان من أهل العلم والكمال ، وتزوج واعقب السيد حسين ، والسيد حسين اعقب السيد محمد الزيتاوي نزيل حماه الشيخ العابد الصالح الورع والمترجم، وذريته كلهم بحمد الله ذوو تقوى وعبادة ، وصلاح وزهادة ، توفي المترجم في حدود الأربعين ومايتين وألف .

السيد ابو بكر بن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن عبد الله بن عيدروس بن علي بن محمد بن شهاب الدين العلوى الحسيني الحضرموتي

امام فاضل ، وزاهد عابد عـــالم عامل ، من بيت علت أركانه ، وَسمَا قدرُهُ وشأنه ، ولدَ بحضرموت ، ونشأ ببيت السيادة والأدب ، وتربى بربوع الرفعة على مهاد الرتب ، وقرأ العلم على أفاضل بلاده ، وطاف الأقطار الى أن قدم الحجاز ، واجتمع بالأفاضل ذوي القدر والامتياز ، وذهب الى الهند واجتمع بعلمائها وأذعن له أفراد فضلائها ، ثم ذهب الى

دار السعادة اسلانبول المحمية ، وكان قدومه اليهـا سنة اثنتين وثلاثمائة وألف هجرية ، فاجتمع بساداتها الأفاضل ، وتحلى بها بما رامه من أنواع الفضائل ، ثم رحل الى مصر ، ومنها الى حضرموت ؛ ولبيته في تلك الناحية شهرة جليلة ، وله تآليف مفيدة ، منها كتاب « رشفة الصادي من بحر فضائل بنى النبي الهادي » ، وله شعر عذب رشيق ، يتنوع برياض أساليبه كل معنى أنيق ، وكانت ولادته في حدود الخمسين والمائتين والألف ، تقريباً ، أحياه الله الحياة الطيبة ، وأحسن اليه بكل طـاعة من جنابه الشريف مقربة ، ومن نظمه مشطراً قصيدة الاستاذ ابن بنت الميلق الشاذلي[١] مادحا حضرة الغوث الرفاعي قدس سره ، وهي قصيدة صوفية طويلة جداً ، أولها :

من ذاق طعم شراب القوم يدريه ... ولم يروق رحيقـاً غير صافيه[٢]

ومنهـا :

ان المريد مراد والمحب هـو ... المبدوء بالحب من ذي العرش هاديه
فهـو المراد المهنى في الحقيقة والمـحبوب ... فاستمل هذا من اماليه
ان كان يرضاك عبداً انت تعبده ... ملاحظاً نفي تمثيـل وتشبيه
وان اقامك في حال فقف ادباً ... وان دعاك مـع التمكين تأتيه
فيفتح الباب اكراماً على عجل ... باب المواهب بشرى من يوافيه
تضحي وتمسي عزيزاً في ضيافته ... ويرفـع الحجب كشفاً عن تنائيه
وثم تعرف ماقـد كنت تجهله ... ويصطفيك لأمر لا ترجيـه

---

(١) هو محمد بن عبد الدائم المتوفى سنة ٧٩٧ هـ .

(٢) شرح هذه القصيدة ابن علان المكي المتوفى سنة ١٠٣٣ هـ . وقد طبع هذا الشرح مع شرح ابن علان أيضا لقصيدة أبي مدين التي مطلعها : ما لذة العيش إلا صحبة الفقرا — بمطبعة عبد الرزاق سنة ١٣٠٥ انظر معجم المطبوعات لسركيس (ص ١٨٩) .

يوليك ماليس يدري الفهم غايته ... ويعجز الحصر قد جلت معانيه
وترتوي من شراب الانس صافية ... في مقعد الصدق والمحبوب ساقيه
من ذاقها لم يخف من بعدها ضرراً ... يا سعد من بات مملوا بصافيه
وصل يارب ماغنت مطوقة ... يسلو الخلي بها والصب تشجيه
وما تمايلت الاغصان من طرب ... على النبي صلاة منك ترضيه
والآل والصحب والاتباع ماتليت ... من ذاق طعم شراب القوم يدريه

وله قصائد كثيرة وموشحات شهيرة اطال الله بقاه وأعلى مرتقاه[١]

السيد أبو الخير الخطيب بن المرحوم الشيخ عبد القادر بن الشيخ صالح بن عبد الرحيم

فاضل لم يطلق في غير الفضائل لسانه ، ولم يتخذ غير مأثور الشمائل عنوانه ، حاز معالي الآداب بحسن الهمة ، وترقى على درج الكمال الى أن لحق العلماء الأئمة ، وهو الثاني من أكبر اخوته ، والمنتخب من بينهم من حين نشأته ، وانهم أربعة وكل منهم قد نشأ على العلم والكمال ، والتحلي بالمعارف والتخلي من الاوحال ، غير ان المترجم قد تقلد بأعلى الفرائد ، وليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد ، تخرج على يديه الكثير من ذوي الطلب ، ونالوا من بيانه بديع المرام والأرب ، مع ورع وزهادة ، وتقوى وعبادة ، نشأ في حجر والده وعليه تكمل ، وبه قد حاز على ما رجا وامّل ، وكان مواظبا على تدريس العلوم ، للخاص والعام ، في جامع بني امية في دمشق الشام ، وكان يقرأ بعض دروسه في مدرسته أمام سوق الحرير ، وكان هو الساعي بعمارتها وارجاعها من المملوكية الى التحرير ، وكان له نوبة خطابة في جامع بني أمية المومى اليه ، وهو قد سعى بها لنفسه الى ان وجهت عليه ، وكان محبوباً بين الناس ، لم تسمع يوما من يذكره بباس ، توفي مساء الخميس

(١) لم أقف على تاريخ وفاته .

ثالث ربيع الأول سنة ثمان وثلاثمائة وألف من هجرة النبي الأمين (١) وقد ناهز من العمر نيفا وستين ، ودفن بجبانة الدحداح شمالي دمشق ختم الله لنا وله بخـاتمة أهل السنة ، وحشره في زمرة سيد المرسلين وأسكنه الفردوس في الجنة .

أحمد باشا الجزار البشناقي والي عـكا

ولد في بوسنة سنة خمس وثلاثين ومائة والف ، ولما بلغ من العمر ست عشرة سنة ، خـان أخاه بامرأته ، فما أقبحه وما ألعنه ، وذلك لما كان مطبوعاً عليه من فساد الطبيعة ، ومخالفة الملة والشريعة ، فاضطره الأمر إلى الهرب من بلاده إلى القسطنطينية ، فقضى بهـا مدة بالذل والشقاء والفاقة القوية ، فأوجبت عليه ضرورة الهوان والتنكيد ، إلى أن باع نفسه لأحد تجـار العبيد ، فآل به الأمر إلى أن بيع بمصر ، فدخل في سلك المماليك المصرية ، وجعل الزمان يساعده على المرام والأمنية ، فارتقى من منصب إلى أعلى ، حتى صار والي البحيرة في مصر السفلى ، وتولى قيادة جيش محاربة العرب الخارجين على الدولة ، فظفر بهم وغدر برؤسائهم وصال عليهم أي صولة ، ومن ثم لقب بالجزار ، عليه مايستحقه من المنتقم الجبـار ، وكان قاتله الله مجبولاً على الفظاظة ، والقسوة والغلاظة ، قليل الرحمة عديم الإسلام ، مطبوعاً

---

(١) وقد نعى الناعي أمس ـ الأحد في ٨ / ١١ / ١٣٨٠ هـ ٢٤ / ٤ / ١٩٦١ م) ولده الصديق العزيز الأستاذ زكي بك الخطيب ، بعد مرض طويل ، وكان رحمه الله ذا ايمان صادق بدينه وعروبته ، وجرأة نادرة بصراحته في وطنيته ، وقد حصل العلوم العالية في الحقوق والادارة والسياسة والاقتصاد في المدرسة الملكية في الأستانة ، وتقلد وزارة العدل بدمشق ، والنيابة في المجلس النيابي السوري ، وساهم في تأسيس جمعيات النهضة العربية ، والنهضة الأدبية ، وله مقالات كثيرة في الصحف المنتشرة وترجم كتاب الاقتصاد السياسي لشارل جيد . ولد عام ١٨٨٧ بدمشق ، وصلينا عليه بعد ظهر الاثنين في جامع بني أمية ، ودفن في مقبرة الدحداح تغمده المولى برضوانه .

على الفسوق والآثام ، قد اتخذ هواه من دون الله هاديا ونصيرا ، واستكبر في نفسه وعتا عتواً كبيراً ، وكان سفاكاً للدماء ، لايتقيد بشرع بل كان يفعل مايشاء ، فأكرمه على قتل العرب حضرة علي بيك حاكم مصر ، ولقبه بلقب بيك جزاء ذلك النصر ، غير أنه بعد ذلك ساءت سيرته فركن إلى الفرار ، ومكث في قسطنطينية أياماً ثم هرب إلى سورية بقصد الاستتار ، فدخل دير القمر ملتجئاً إلى الأمير يوسف الشهابي الوالي حينئذ على جبل لبنان ، سنة خمس وثمانين ومائة والف من هجرة سيد ولد عدنان ، فرحب به الأمير وأكرمه ، وأبقاه عنده واحترمه ، ثم بعد أيام أرسله إلى بيروت ، وعامله معاملة الأكارم من ذوي البيوت ، ورتب له شيئاً من الرسومات وافيا بالمرام ، فأقام أياماً ثم سار إلى دمشق وخدم عند عثمان باشا والي الشام ، وفي سنة سبع وثمانين ومائة والف جعله الأمير يوسف متسلماً من قبله على بيروت وجعل معه طائفة من المغاربة ، ثم انها لم تطل المدة حتى خان ورام أن يبلغ مآربه ، فصمم على مبارزة الأمير وشرع في ترميم الأسوار ، وجعل يهيء الميرة وآلات الحرب للحصار ، ويمنع أهل البلاد من الدخول إلى المدينة ، ولا يدع شيئاً يخرج منها بهمة مكينة ، ثم لما دخل بيروت ثانية وفعل مافعل ، استغاث الأمير يوسف بحسن باشا وأخبره بما حصل ، وكان قد سافر إلى قبرص قاصداً القسطنطينية ، فعاد حسن باشا من قبرص بهمة قوية ، وأخرج الجزار من بيروت ، وهو مقهور ممقوت ، ووعد الأمير انه سيعزله وعاد إلى القسطنطينية ، وسار الجزار بعسكره براً إلى صيدا وعساكره ستمائة من الشجعان اللاونديه ، فأرسل الأمير النكديه يكمنون لهم في الطريق ، ولما التقى العسكران قتل أصحابُ الجزار أكثر النكديه وضيقوا عليهم أشد التضييق ، وقبض على بعض أعيانهم ، وجعل الموت نصب عيانهم ، فجعل الأمير يعتذر للجزار ، ويستشفع في إطلاق جماعته على مائة الف قرش وتخليصهم من الدمار ، ولما طلب الأمير المال

من الجبل أبى الامراء الدفع ، فطلب الامير من قائد عسكر الجزار أن يتلف اشجار بيروت وأن يستأصلها بالقطع ، ففعل وقتل جماعة من رجالهم معتصما بجبل الظلم والعدوان ، ثم دهم الشويفات فرجــع عنها بالخزي والخسران ، ثم سار إلى صيدا ثم إلى بعلبك وعظم أمره في تلك الاقطار ، وحينئذ خرجت بيروت من يد الامير يوسف ودخلت في حكومة الجزار ، فأمر الجزار قائده أن يضبط ما للأمير واللبنانيين في البقاع ، عوضاً عمّا أتلفه من الرجال والاشجار والمتاع ، فلما بلغ الأمير ذلك اصطلح مــع أمراء الجبل وجمع عسكراً لمقاتلة الجزار المذكور ، فانهزم في عدة مواقع وهو مكسور ، ثم بعد ذلك وقــع الصلح بين الأمير يوسف والجزار ، فصار يساعده ويوادّه وهو عنده بمنزلة المستشار ، ثم ان الجزار بعد أن أنعم عليه الامير ظاهر العمر وقلده قيادة جيشه وعدده ومــدده ، جحد معروفه وخانه وقتله بيده ، وحيث كان ظاهر العمر عدوا للدولة أنعمت على الجزار مكافأة على ذلك بولاية عكا وصيدا معاً ، فبقي عليهما إلى حين أن أوقعته المنية في أودية المهالك ، ثم بعد تلقيب السلطـان له بالوزارة ولاه على دمشق زيادة على توليته ، وذلك عام الف ومائتين وثمانية عشر فزاد في الطغيان على عادته ، من قتل الأنفس وسلب الأموال ، حــتى قتل من أعيــان دمشق خلقاً كثيراً من ذوي الكمال ، من أجلهم وأفضلهم السيد عبد الرحمن أفندي المرادي مفتي الحنفية وأسعد أفندي المحاسني مفتي الحنفية أيضاً ، واصطنع للناس أنواع العذاب بآلات اخترعها له طائفة من الاكراد ، وأعانوه على ظلمه للعباد ، حتى أكثروا في البلاد الفساد ، وأقروه على دعواه أنه مجدد الوقت ، بل باء هو وإياهم بالطرد والمقت ، وكان رئيسهم رجلا يدعي التصوف ، ويقول ان الشيــخ الاكبر في فتوحاته المكية أخبر عنه ، وادعوا أن قتل الانفس وسلب الاموال ، وجميع مايفعله ليس حراماً عليه بل حلال ، هكذا شـاع عنهم حتى أكفروا علماء العصر بإنكارهم عليهم ،

وألف بعض المتهورين ممن أضله الله على علم في ذلك كتابا وادعى فيه أنه المجدد ، وكان من أعوانه ، وكان من جملة أعوانه أيضاً رجل اسمه عبد الوهاب ، له اطلاع في بعض العلوم ، أرسله إلى دمشق مع طائفة من المعذبين والعساكر وكان رئيسهم وإليه المشورة في أمورهم ، فما زال يتغالى في قباحته ، ويتعالى في مَضرّته وإساءته ، ويتلذذ بقتل الرجال ، وسلب الاموال ، حتى كادت تخافه الاطفال ، وترتج لسطوته الجبال ، وكان قد اجتمع هذا الضال يوماً مع الفاضل العلامة السيد شاكر العقاد في دار المولى حمزة أفندي العجلاني مفتي السادة الحنفية ، فشرع الخبيث يطنب في مدح الجزار ، وأقسم بالله العظيم أنه ليس بظالم وأنه عادل وكرر ذلك مراراً : ثم أقسم أنه على الكتاب والسنة ، ثم التفت مخاطباً السيد شاكر المرقوم وقال له ياشيخنا أما تقول انه عادل ؟ فحاوله الشيخ المرقوم رحمه الله تعالى وقال له ان له على الناس فضلاً عظيماً حيث دفع عنهم شر الفرنج لما حاصروه في عكا وبذل جهده في ذلك ، فقال له لاأسألك عن هذا ، فقال له أنا أقول ان ذنوبنا كثيرة والله تعالى أرسله الينا لينتقم منا به . فعرض بذلك إلى أن الظالم ينتقم الله تعالى به ثم ينتقم منه : قال السيد شاكر رضي الله عنه وفهم الخبيث مني ذلك حتى رأيت شعر شاربيه كالمسلات واقفاً من شدة الغيظ ، ثم قام الشيخ وانقضى المجلس على ذلك ، فرحم الله تعالى روحه ونور مرقده وضريحه ، ماأصلبه في دينه ، حيث لم يور في كلامه بأنه عادل عن الحق ويرضيه بذلك لخوف ضرره ، وقد كفاه الله تعالى شر هذا الخبيث .

ثم انه لازال هذا الضال يتغالى في الظلم في البلاد الشامية ، إلى أن قدمت الناس على مجاورته الموت وشراب كؤوس المنيه ، فتحركت الدولة الفرنساوية على الاتيان اليها لإنقاذها من يد هذا الظالم المجبول على الضرر ، وذلك عام الف ومائتين وأربعة عشر ، فحاصر عكا وضيق عليها المسالك ،

فالتمس الجزار من الامير بشير الوالي حينئذ المساعدة ، فاعتذر بأن الأهالي لاتوافقه على ذلك . ثم قدمت مراكب الانكليز لعكا لرد الفرنساويين ، فلم تطل المدة حتى رجع بونابرت بعساكره ، وصفا الوقت للجزار عمدة الظالمين ، فاشتغل بتعذيب الناس وظلمهم بالقطع والقتل ، والجدع والسمل ، إلى غير ذلك من الأفعال الفظيعة ، والأحوال الشنيعة ، حتى صار جوره وعدوانه مثلاً سائراً ، ولم يزل إلى أن هلك قبحه الله في عكا سنة الف ومائتين وتسع عشرة ودفن بها في الجامع المنسوب اليه ، وقد أرخه بعضهم بقوله :

هلك الجزار ولا عجب ومضى بالخزي وبالاثم
وبميتته الباري عنا أرخ قد كف يد الظلم

وعند موت الجزار كان في سجنه اسماعيل باشا فأخرجه الشيخ طه الكردي الظالم وأجلسه عوضاً عن الجزار مدعياً بأن الجزار بايعه بالولاية قبل موته ، وكتب اسماعيل باشا للولايات يبشرهم بولايته ، أما نائب الجزار في دمشق فلم يقبل أن يعترف باسماعيل باشا والياً ، فكتب للأمير بشير يطلب منه محافظة الطرقات وأن يمده برأيه ، فأجابه الأمير اني فعلت كل شيء قبل ورود رسالتك ، وأما اسماعيل باشا فلا يكون لان الدولة لم تجعله في هذا المنصب ، وبعد برهة أتى ابراهيم باشا والياً على دمشق فسار مع عساكر الامير بشير وقتل اسماعيل باشا والي عكا ، ووضع عوضا عنه سليمان باشا ، فرجعت دمشق ايالة على حدتها وكان ذلك سنة الف ومائتين وعشرين . وبعد موت أحمد باشا الجزار ، تسلط الناس على عزوته ، وذوي شوكته ، فأذاقوهم كؤوس العذاب ، وفتحوا عليهم للهون والذل كل باب ، وقرؤوا كلام من الامر منه واليه ، « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه » ، خصوصا وقد كانوا يعتقدون في الجزار وجماعته ماأخرجهم ظاهراً من الدين ، وأدخلهم في عداد الطاغين المعتدين ، فمال الناس عليهم ميلة الاستئصال ،

وأذاقوهم كؤوس العذاب والنكال ، إلى أن أبادوهم أجمعين ، وسيوقفهم الله بين يديه فالحمد لله رب العالمين .

الشيخ أحمد بن الشيخ محمد الدسوقي الاصل الدمشقي المنشأ والولادة الشافعي

كان رضي الله عنه في دمشق الشام . من افراد ذوي الفضل التام ، يعتمد في الصواب عليه ، ويشار لدى تحقيق الجواب إليه ، ومع ذلك كان عالماً عاملاً ، وأديباً في السنة كاملاً ، ذا شمائل حسنة ، وفضائل مستحسنة ، له دأب على العبادة ، والقناعة والزهادة ، ذا كمال وأدب ، ومجد يدعوه للترقي على أوج الرتب ، اذا حل بناد تهلل بالبشر والسرور ، وتحلى بأنواع الجمال والحبور ، وترنمت بوسيم شمائله اطياره ، وتفتحت بنسيم خلقه أنواره ، توفي رضى الله عنه بالمدينة المنورة ، والبلدة المقدسة المطهرة ، سنة سبع واربعين ومائتين وألف ودفن في البقيع ، تحت ظل السيد الشفيع ، رضي الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة متقلبه ومثواه .

الشيخ أحمد بن السيد عبد الغني الاصبحي المشهور بكشوره الدمشقي الميداني الشافعي القادري

علم العلماء الاعلام ، وتاج الفضلاء الفخام ، عمدة الافاضل ، وبحر الفواضل والفضائل ، علامة عصره ، ونخبة أوانه وفريد دهره ، صاحب الصفات العالية ، والشمائل السامية ، قرأ رحمه الله على والدي مدة حياته ، ولم يزل دائبا على الطلب من تمييزه الى مماته ، وكان له مشاركة والمام في الفنون العربية [١] ، وقدم راسخة في العلوم الشرعية ، رحل رضي

---

(١) كيف يكون علامة عصره وفريد دهره ، من تكون له مشاركة والمام فقط في الفنون العربية ؟ ولكن السجع قد انسجم مع الطبع ، في ذلك العصر ، عصر المشاركة في العلوم والفنون ، دون التخصص .

الله عنه سنة ثلاث وستين ومائتين والف الى القدس الشريف بقصد الزيارة والعبادة ، التي هي في ذلك المحل تضاعف فوق العادة ، فتوفي هناك في سبعة وعشرين خلت من شهر رمضان في السنة المرقومة ، وكان له هناك شهرة عالية موسومة ، فأمر الوالي الذي كان هناك وهو الحاج حسن بيك ابن موسى باشا الشهير بالكحالة بتجهيزه ، مع توقيره وتعظيمه وتمييزه ، وكانت له جنازة حافلة ، وأثنية عالية ممن شيّعه وغيرهم هي بحسن حاله ضامنة وكافلة .

الشيخ أحمد بن الشيخ اسماعيل العجلوني بيبرس الدمشقي الشافعي

العالم النحرير ، والشافعي الصغير ، له آثار مرفوعة على أكف الثنا ، وسيرة محمودة محمولة على هام المرام والمنى ، أحيا دروس العلم بعد الاندراس ، وفصل مجملها غب وقوعها في مهاوي الالتباس ، واتخذ الفضل عنوانه ، وقصر على رغائب السنة لسانه ، وقد أقر له الخاص والعام ، بأنه فرد الأفاضل الأعلام ، وكنز الأرب وأسّس مبناه ، ومحط رحال العرفان والتقدم والجاه ، تسامت في زمن شيوخه رتبته ، وعمت في قلوب الناس طراً محبته ، برع في المعقول والمنقول ، وتبحر في معرفة الفروع والاصول ، وكانت له اليد العلية ، ودرس في أول أمره في المدرسة الفتحية ، في محلة القيمرية ، ثم بعد وفاة الشيخ ياسين العجلوني امام جامع منجك الكائن في ميدان الحصى تواقع عبد الغني آغا الشمري ، على الشيخ المرقوم بأن يشرف الى الميدان ، وأن يجعلها محلاً لإقامة ذاته العلية الشأن ، ويتعاطى وظائف الجامع المذكور والح عليه ، فأجابه بعد الاستخارة الواردة الى ما دعاه اليه ، وكان بينه وبين والدي محبّة فوق المأمول ، وكان كل منهما ملازماً للآخر ملازمة الصلة للموصول ، ولم يكن لهما اجتماع الا على المذاكرة والمطالعة من كل ما يفيد ، من فقه

وحديث وتفسير وتوحيد ، ولهما في كل جمعة أوقات ، يتذاكران بها بعض الفنون والآلات . ولم يزل في الجامع المذكور الى أن دعاه داعي المنون ، الى الدار العالية والمقام المصون . توفي رضي الله عنه ليلة السبت قبيل اذان المغرب خامس عشر شهر شوال سنة سبع واربعين ومائتين والف ودفن في مقبرة باب الله خلف ضريح الاستاذ العارف بالله تقي الدين الحصني ، وكان لجنازته مشهد حافل ، وجمع برفعة القدر والشأن كافل .

أحمد حمدي باشا والي ولاية سورية بن يحيى بك ابن الوزير ملك أحمد باشا

كان والده من المتازين بين رجال أمير المؤمنين السلطان محمود العثماني ، وأما جده فكان الوزير الأعظم عند السلطان الأعظم محمد المشهور بلقب (اوجي) . ولد في القسطنطينية في العشر الأخير من ذي الحجة عام الف ومائتين واثنين وأربعين ، وقرأ على بعض المشايخ مايلزمه من العلوم الدينية والدنيوية كالصرف والنحو والمنطق والمعاني والبيان والعلوم الرياضية ولمعا من الحكمة الطبيعية ، وأتقن فن الإنشاء علماً وعملاً ، ونبغ في التركية والعربية والفارسية ، ثم انتظم في سمط كتبة النظارة الداخلية في الباب العالي ، ثم انتقل إلى ديوان كتاب الصدارة العظمى متمماً ماتعلمه على مشايخه من الإنشاء . وفي سنة الف ومائتين وثلاث وستين للهجرة تفرس فيه رؤساء الكتبة النجابة فأعطيت له الرتبة الرابعة ، ونقل إلى باب (سر عسكر) فكان مأمور الكتابة في شورى الأمور العسكرية ، ثم رقي إلى الرتبة الثالثة وجعل معاوناً للكاتب الأول في الشورى المذكورة ، ثم رقي الى الرتبة الثانية في ديوان رئيس الجيوش (السر عسكرية) . وفي سنة الف ومائتين وخمس وسبعين رقي إلى رئاسة كتاب شورى العسكرية ، وبعد قليل جعل عضواً في الشورى المذكورة فضلاً عن رئاسة الكتاب المنوه عنها ثم أنعم عليه المغفور له السلطان عبد المجيد بالرتبة المتمايزة ، ثم الرتبة الأولى من الصنف الثاني ، ثم

الأولى من الصنف الأول ، وأدار أعمال هذا المنصب سبع سنين ، وأحسن اليه بالوسام المجيدي من الطبقة الثالثة . ولما كانت سنة الف ومائتين وأربع وثمانين للهجرة فوضت اليه رئاسة وكالة دائرة الحقوق من ديوان الاحكام العدلية نحوا من شهرين ، ثم صار من الوزراء وكلاء السلطنة بتوجيه نظارة الاوقاف عموماً اليه ، وبعد ثمانية أشهر عين مستشاراً للسر عسكرية الجليلة مع ضم المخصصات لعهدته ، وعلى أثر ذلك أحرز الوسام العثماني من الطبقة الثانية ، وفي ربيع الآخر سنة الف ومائتين وثمان وثمانين رقي إلى درجة الوزارة السامية وعين ناظراً للمالية ، وبعد ذلك بمائة يوم أحيلت اليه ولاية آيدين على أثر التبديلات العظيمة التي طرأت على الوكلاء بعد وفاة المرحوم عالي باشا الوزير الاعظم ، وفي أثناء ولايته هذه وقع بين روم ازمير واسرائيليها نزاع ازعج العالم المتمدن وخيف من تغير السياسة العامة فتوفق بدرايته وعلو همته إلى تسكين جاش القوم ، وقطع دابر المفسدين فلم يدع لتغييرها سبيلاً ، فأحسن اليه السلطان عبد العزيز مكافأة بالوسام المجيدي من الرتبة الاولى ، ونال من الدول الاجنبية وساما من الرتبة الاولى . وسنة الف ومائتين وتسع وثمانين وجهت اليه ولاية الطونة ، فلبث بها احد عشر شهراً يسدد احكامها ويوطد دعائم العدل والامن ، ونال حينئذ من الدولة الروسية وسام القديسة حنة من الطبقة الاولى ، وفي صفر سنة الف ومائتين وتسعين تبوأ ثانية منصب نظارة ألمانيا ، وأحسن اليه بالوسام العثماني الأول ، وأحرز وسام مشير خرشيد الايراني من الرتبة نفسها ، وفي محرم سنة الف ومائتين وإحدى وتسعين انيطت به مرة ثانية ولاية آيدين فأدارها نحوا من أحد عشر شهراً ، بسياسة جمعت بين الرضا العالي والمنفعة العامة ، ثم وجهت اليه ولاية سورية في إحدى وعشرين ذي الحجة سنة الف ومائتين وإحدى وتسعين ، فقام بما يستغنى عن بيانه ، ولكن انحراف صحته جعله يستقيل

وذهب بقلوب الناس إلى قاعدة السلطنة ، وصار فيها رئيسا للجنة القوائم ، وبعد أقل من عشرين يوما صار رئيسا للدائرة الملكية في شورى الدولة ، وكان ذلك في ثلاثة وعشرين من شهر رجب سنة الف ومائتين وثلاث وتسعين ، ثم بعد ثلاثة عشر يوما عين ناظراً للخزينة الخاصة ، وبعد ستة عشر شهراً صار ناظراً للداخلية ، وفي خمسة من المحرم سنة الف ومائتين وخمس وتسعين رقي إلى الصدارة العظمى ، فبلغ مابلغه جده المشار اليه ، وفي ثاني صفر من السنة المذكورة عين مرة ثالثة واليا على آيدين ، وبعد سنة أي في محرم سنة الف ومائتين وست وتسعين وجهت اليه ولاية بغداد ، ولكن بعد ثلاثة أيام صدرت إرادة سنية ببقائه في مركزه اجابة لالتماس الاهلين أجمع في ولاية آيدين ، فأقام فيها ثلاثين شهراً ونال الوسام الالماني المعروف بالتاج من الصنف الاول ، وفي شهر رمضان سنة الف ومائتين وسبع وتسعين انيطت به ثانية ولاية سورية ، ومكافأة لخدمته المبرورة وآثاره المشكورة في هذه الولاية نال من عواطف الحضرة الشاهانية الوسام العثماني مرصعاً ، بعد أن أهداه امبراطور النمسا نيشـــان ليوبولد الاول ، بما يثبت ماله من استقامة المسلك وحسن التدبير وصدق الخدمة .

والحاصل أنه منذ انتظامه في سلك كتبة الباب العالي حتى الآن أي منذ اثنتين وأربعين سنة لم يبق بلا منصب سوى ثلاثين يومـــاً على أثر استقالته المرة الاولى من ولاية سورية ، وتسنى له مع اختلاف الأطوار ، وتضارب الأوطار ، وتقلب الاحوال وتغاير السياسات ، أن يكتسب في جميع المناصب الخطيرة رضى الدولة وثقتها ، وثنا الأمة ومحبتهـا ، في عصر تعدد فيه السلاطين العظام ، الذين كانوا بجملتهم يرمقونه بعين العناية والالتفاف جزاء لمآثره المشهورة وصداقته ، وهو مع سكونه بعيد الهمة نبيل القصد عفيف معتدل الرأي خالي الغرض ، يتغلب على المصاعب بالثبات والصبر

والحلم ، والاجتهاد في الإصلاح بالحمية والغيرة لنفع الوطن وتشييد عماده ، وثناء أهل الدين عليه دليل أعماله الخطيرة ، ومساعيه المشكورة ، في سبيل عمران تلك الولاية وإنماء ثروتها وتوطيد راحتها ، واستئصال اللصوص من انحائها وضواحيها .

ولما كانت ولايته الحالية مشمولة بعناية خصوصية من لدن حضرة صاحب الشوكة والاقتدار مولانا السلطان عبد الحميد خان المعظم وكان حضرة المترجم المشار اليه منصبًا على تنفيذ نواياه الخيرية ، لاسعاد التبعة والرعية ، جاء بآثار جليلة ، وأعمال جميلة ، أكثرت في الولاية السورية أسباب العمران والنجاح ، وفي الولاية السورية عدد ليس بقليل مابرح سائبا في فيافي البدوية مغلولا بأصفاد اليبوسة لسلب الراحة مكدراً لصفاء الامن بالاعتداء على أبناء السبيل متعوداً التمرد مكابراً للاصلاح ، وطالما كان هذا الفريق موضوعاً لاهتمام أسلاف أبهته من الولاة العظام ، دون أن يترتب على ذلك الاثر المطلوب لأن بعضهم كان يأخذه بالعنف ويقابل خشونته بالقسوة والجفا فيعاقبه تارة بالضرب وطوراً بالتنكيل ، وآونة بالحرب والتدمير ، فكان يزداد تمادياً في البغي وتطاولاً في العتو ، لأن ذلك كان عبارة عن مقابلة الخشونة بما يشاكلها ، فكان أولئك القوم كالنقطة السوداء في صفحة محيا سورية البيضاء ، وأما المترجم المومى اليه فأخذ يلين قسوتهم بالحلم والرفق والحكمة ، داخلا البيوت من أبوابها ، فتسنى له المطلوب دون أن يريق قطرة من الدم أو يسلب لأحد مقدار ذرة ، فإن السواد الأعظم منهم دخل ربقة الطاعة ، وذاق حلاوة السكون والتمتع بتركات الوطن تحت ظلال الأمن والراحة ، وأوشك أن يعرف فضل العلم فتمسك بأسبابه ، وتعلق بأهدابه ، فترى المدارس تنشأ في أعالي الجبال وأعماق الأودية لتثقيف العقول وتهذيب الاخلاق ، والاراضي المهملة تصلح

وتفلح بأيد لم تتعود إلا هز السيوف وتشريع العوامل ، وطرقـات تمهد وتسلك بعد أن كانت وعورا لايكاد يسمع منهـا سوى عويل المسلوبين وأنين الجرحى من أبناء السبيل ، ومعاقل تبنى وتشاد لقيام قوات من الجند يتكفل وجودها بارهاب العتاة واخافتهم ، وغل أيديهم عن السلب والنهب .

ومن تأمل في حالة النصيرية ودروز حوران وأهلها وعرب البادية واللجاه من قبل ، ورآها الآن ، يرى الفرق بينها ، وأعظم التدابير التي تمت بهذه النتيجة الحسنة انشاء المنازل العسكرية في جبل الدروز ، ثلاثة حصون متينة أولها في قرية عرى ، والثاني في المزرعة ، والثالث على مقربة من بصر الحريري ، ثم أنشأ حصناً آخر في حاصبيا ، ومثله في قرية ضمير ، وهي تبعد ست ساعـات شرقاً عن دمشق ، حيثما يأتي اليها أهل البادية للاستقاء منها وهذا خير رادع للبغاة أعداء الامن ، لانه مامن عات متمرد إلا ويضطر إلى المرور بتلك البقعة ، فاذا أتاها أوقعت عليه حامية الحصن مايكفه عن طغيانه ، وردته عن عدوانه ، وبنى معقلاً عظيماً في منتصف جبال النصيرية ، قرب قرية تعرف بدير شميل ، لاتبعد عن مصياف نقطة قوة النصيرية ومنتدى جمهورهم أكثر من نصف فرسخ ، فكان مجموع هذه المعاقل ستة ، واحد منها كاف لثلاث فرق (طوابير) ، وثلاثة يكفي كل منها لفرقة ، واثنان لنصف فرقة ، ومن الابنية التي شادها دون أن يثقل على الخزينة السلطانية دائرة حكومة في حاصبيا ، وموقف حراس كبير في ضمير ، وموقفان للحراسة في بيروت ، ومحل لطـابور العساكر ، ودائرة في جبال النصيرية ، ودائرة حكومة في مرج عيون ، وأخرى في جنين ، وغيرها في بانيـــاس وفي النبطية وفي طرابلس وفي بيروت ، ومدرستان للصبيان في حوران ، ودائرة للعدلية في الشام . ومن آثاره النـافعة إصلاح طريق عجلات من طرابلس إلى حماه ، وتأليف شركة وطنية لإدارتها ، ثم إكمال

الطريق الواقعة بين الشتورا وبعلبك ، وجعل العجلات تسير عليها دفعتين في الاسبوع ، والسعي بتمهيد طريق حوران وقد مهد نصفها ويتم النصف الآخر بعد برهة وجيزة ان شاء الله ، والحصول على امتياز لإنشاء طريق حديدية من عكا إلى جسر المجامع ، واتخاذ التدابير لإيصالها بدمشق مـــارة بحوران ، ومن المقرر أن هذا المشروع عبارة عن فتح باب لإخصاب أراضي سورية وإغزارها محصولاً . هذا المذكور بقطع النظر عن طرق كثيرة مهدت بمساعي دولته ، دون أن تحمل الخزينة نفقاتها ، ومنهـا مد الاسلاك البرقية إلى جميع الاقضية التي لم يكن فيها سلك برقي ، كراشيا والقنيطرة والناصرة وطبرية وصفد وغيرها ، وإنشاء كثير من المكاتب الابتدائية للذكور والإناث في دمشق وبيروت وطرابلس واللاذقية وحماه وحوران والبلقـا وسائر أنحاء سورية وفلسطين ، وإيجاد أموال مستقلة تضارع نفقاتها ، وتشييد المدرسة الداخلية في بيروت على نسق المدارس العالية المنتظمة في السلطنة ، وتجديد دائرة للحكومة في بيروت ، وأخرى في طرابلس كافية لأموري الحكومة والمحاكم العدلية ، وقد بنيت على الاصول الهندسية المختارة حديثاً في الممالك المتمدنة ، هذا فضلاً عن عدة دوائر للحكومة ، ومراكز للتلغراف أنشأها في كثير من الاقضية والنواحي ، وعـدد ليس بقليل من الجسور والمعابر أقامها على الانهار الكبيرة خارج دمشق ، وذلك دون أن تحمل الخزينة شيئاً ، ولا يزال يبذل قصارى الجهد لاستحصال امتيازات بإنشاء المرافيء لدفع نوائب النو في بيروت وغيرها من الثغور ، مثل عكا واللاذقية وطرابلس ، وهو سائر على تأليف القلوب ، وبث العدل واجتهاده مااستطاع بإزالة شائبتي الظـــلم والاستبداد ، وتخويله كل فرد من أفراد الأمة حقه المشروع ، إلى غير ذلك مما يضيق المقام دون تبيينه ، وتم له ذلك أجمع في مدة لاتزيد عن ثلاث سنين ، ولا زال يتوالى إحسانه ، ويتواصل امتنانه ،

الذي من جملته فرش البلاط من السنانية إلى باب الله في دمشق المحمية، إلى أن جرعته المنية كأس الحمام، وفجعت به على الخصوص قطر الشام سنة الف وثلاثمائة وثلاث في مدينة بيروت، ودفن بها في حي الباشورة، وقد أمرت الذات الشاهانية جلالة السلطان عبد الحميد خان، بتعمير زاوية لمدفنه يصرف عليها من مال السلطان المرقوم أربعة وستون الفا صاغا [١]

الشيخ أحمد بن حسن بن علي رحمه الله تعالى المعروف بالعرشي

العلامة الأديب النحوي، الأصولي الفقيه المناظر المعروف بالعرشي، قال صاحب التاج: نشأ في موطنه وقرأ وروى وحدّث وبرع في الفنون كلها جملة وتفصيلاً، وكان يتوقد ذكاء وفطنة وشجاعة وسيادة وفخامة، طاف البلاد ولقي العلماء، وصحب المشايخ وأخذ عنهم العلوم، وألف في رد التقليد رسائل ومسائل باللسان العربي المبين، وأتى فيها بالعجب العجاب، وأفحم المقلدين وأدخل عليهم العجز من كل باب. جاهد في الله جهادا، وارتحل في آخر عمره إلى الحرمين الشريفين فتوفي رحمه الله في الطريق في بلدة برودة من اضلاع كجرات، وقبره هناك، قال تعالى [٢] «ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله» وقال النبي ﷺ (موت الغربة شهادة) وكانت وفاته سنة الف ومائتين وسبع وسبعين. له اليد الطولى في الشعر العربي والفارسي، وكان ينظم في ساعة قصيدة طويلة نحو مائة بيت فصيحة المبنى، بليغة المعنى، قل من يقدر على إنشاء مثلها في اسبوع بل في شهر كامل، كتب الى علماء عصره، وأدباء مصره كتبا ورسائل لم يجمعها.

---

(١) الصدقة الجارية، ليست بتعمير الزاوية، وهذا المبلغ المرقوم، يكفي لتعليم عشرات من الطلاب، كثيراً من العلوم والفنون والآداب.

(٢) سورة النساء الآية ٩٩.

ولقد كان والله عديم النظير، وفقيد المثيل في أقرانه وأمثاله، بارعاً متقنا في جميع أقواله وأفعاله وأحواله، بل كان تاجا على رأس الزمن، وكاسمه أحمد وحسن، لم يلتفت إلى كتب الفروع والرأي وأهلها قط، ولم يعمل في خاصة نفسه إلا بالدليل من الكتاب والسنة، وكان له همة سامية في ذلك، وحمية نامية فيما هنالك، رحمه الله رحمة واسعة .

اقول ان الاجتهاد ليس له زمن ينقضي بانقضائه بل الزمن كله زمن له على خلاف في ذلك، وان هذه المسألة محلها كتب الأصول والفروع فلا حاجة لذكرها هنا، غير أن الاجتهاد له شروط لا يجوز بدونها فمن وصل إليها اجتهد، والله يعلم الصادق وغيره والله أعلم .

شيخ الاسلام أحمد عارف حكمت بك بن السيد إبراهيم عصمت بك بن اسماعيل رائف باشا الحسيني الحنفي .

بدر أشرقت به سماء عروج العلماء، وأضاءت به أفلاك بروج الفضلاء، رضع ثدي المعالي منذ كان طفلا، وبرع في تحصيل الأمالي فكان في المكان الأرقى الأعلى، واشتهر بين أهل الفضل بأنه آية الاعجاز، وبهر في جمع العلوم فكان المشار اليه ببنان الحقيقة والمجاز، فهو الفرد الذي لايبارى، ولا يلحق في ميدان التقدم ولا يجارى .

ولد في ليلة الأحد الخامس والعشرين من شهر محرم الحرام عام الف ومائتين وواحد، وكانت يد الاسعاد تحوطه من كل ماكر وحاسد، وغب تمييزه قرأ القرآن واشتغل في الطلب على العلماء ذوي الاتقان، وفي سنة الف ومائتين وإحدى عشرة دخل التدريس، وفي غرة رمضان سنة الف ومائتين وإحدى وثلاثين دخل في سلك موالي قضاء القدس، وفي سنة الف ومائتين وست وثلاثين أحرز مولوية مصر القاهرة، وفي الف ومائتين وتسع وثلاثين نال مولوية طيبة الطاهرة، وفي اثنتين وأربعين حاز بابة

استانبول ، وفي خمس وأربعين تعين من جانب السلطنة السنية مأموراً لتحرير النفوس (الروملي) ، وبعد رجوعه من المأمورية المذكورة أي في سنة ست وأربعين تشرف بمنصب نقابة السادة الكرام ، ومن حين وفاة والده الماجد الى مضي نحو خمس وعشرين سنة كانت إقامته في البيت المنتقل اليه من جده الأمجد مع كمال الاعتدال والراحة ، وكان محله هذا مورداً لأصحاب الفضل ، ومقصداً لذوي المروءة والعدل ، وبعده انتقل لبيته الكائن بأسكدار الواقع بجدار حمام العتيق ، فجعله محل انقطاعه وخلوته ، فما لبث أن صار لقضاء حاجات الواردين على بحر حضرته ، ومورداً لذوي الرشد والهدى ، ومقصداً لطلاب الجود والندى ، وفي رأس الف ومائتين وتسع وأربعين أحرز رتبة (باية الأناطولي) ، وفي خلال الف ومائتين وخمسين استعفى من مسند النقابة الآنفة الذكر ، وفي سنة اثنتين وخمسين وجهت لعهدته باية الروملي الجليلة ، وفي سنة خمس وخمسين يعني أوائل عصر السلطان عبد المجيد خان أرسل لجانب الروملي بكمال الاعزاز والاكرام لأجل تفتيش أحوال البلاد والعباد مع مأمورية رئاسة مجلس أحكام العدلية ، وبعد العود جعل عضواً لدائرة الشورى العسكرية ، وقد أبرز من المساعي المشكورة ما يخلد له الذكر الجميل ، والثناء الجليل ، واشتغل بفصل المواد المهمة الجسيمة المتعلقة بالسلطنة السنية ، فاجتهد بما قدمه على سواه ، وقضى برفعته وارتقاه ، إلى أن نال مسند مشيخة الإسلام العالي في يوم السبت الواقع في اثنين من شهر ذي الحجة عام الف ومائتين واثنين وستين ، وبعد أن استمر في هذا المسند لحل مشكلات المسائل سبع سنين وستة أشهر وتسعة عشر يوماً جرى انفصاله يوم الثلاثاء الواقع في حادي وعشرين جمادى الآخرة سنة الف ومائتين وسبعين ، وبعدها سكن في بيت الشرف الذي تملكه من إحسان الذات الشاهانية بوقت مشيخته الكائن بحصار الروملي ، واشتغل بالعبادات

والطاعات ، وتتبع الكتب والمجلات ، في دائم الأوقات ، وخصص الأوقاف الجسيمة من المسقفات والمستغلات ، وبعدها انشأ مكان مكتبة في المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام ، ورتب لها حفظة وخدمة ووقف بها سائر كتبه المتجاوزة خمسة آلاف كتاب من الكتب النفيسة [١] ، وارسلها الى ذلك المكان ، وبعد اكمال ذلك عزم هو أيضاً على أن يهاجر الى خير البقاع ، وفي نيته ان يختم بقية عمره بتلك البقعة المباركة نظراً لشدة محبته لخير الأنام ، ورسول الملك السلام ، عليه أفضل الصلاة وأتم السلام ، ولكن المرء يسعى والمنية تضحك حيث ان أنفاس الحياة المعدودة وصلت الى النهاية فتوفي رحمه الله تعالى ليلة الأحد لستٍّ عشرة خلت من شهر شعبان المعظم سنة الف ومائتين وخمس وسبعين ودفن في قبره المخصوص الكائن في اسكدار عند محل بئر نوح .

هذا وان المترجم الكبير ، والناقد البصير ، قد حضر مجالس العلم ، بالاستحقاق والفهم ، على سادات عظام ، وجهابذة قادة أعلام ، من اجلهم الفرد الكامل ، والعالم العامل ، والقطب الشهير السيد محمد الأمير الكبير ، وقد كانت له الشهرة الكافية ، والمعارف الوافية .

وفي سنة ثلاث وستين حينما توجه والدي للدار العثمانية ، والدعوة السامية السلطانية ، في أيام أمير المؤمنين السلطان عبد المجيد ، لختان ولديه السلطان مراد والسلطان عبد الحميد ، قد كثر بين والدي وبين المترجم الوداد ، ولم يكن لواحد منهما في غير مذاكرة الآخر مراد ، وقد استجاز كل منهما صاحبه ، وعامله لمعرفة قدره بالمعاملة الواجبة [٢] ،

---

(١) زرت هذه المكتبة بعد انقضاء الحرب بين الأتراك والأشراف ، وكذا مكتبة الطائف ، فرأينا الأيدي قد تناهبت كثيراً من كتبها ، ولا قوة إلا بالله .

(٢) تجد تفصيلاً أوسع وأمتع ، في ترجمة الأستاذ المؤلف لوالده الشيخ حسن ومقابلاته لشيخ الإسلام ، على الجميع من الله تعالى الرحمة والرضوان .

وبالجملة والتفصيل ، ان هذا المترجم كاد ان يقال ليس له مثيل ، له ذهن يكشف الغامض الذي يخفى ، وفكر لحل المشكلات أروق من الزلال وأصفى ، يبصر الخفيات بفهمه ، ويقصر فكها على خاطره ووهمه ، فجاء بالنادر الذي أعجز ، مع تبديل التطويل بالمختصر الموجز ، ونظم عقود اللآلي في لبة القريض ، ونثر درر المعالي على هام مادحيه فكانوا يفدون عليه وفود البحر الطويل العريض ، وكان بعاصمة الروم سراً للاحسان وحاكياً جود زياد وشعر حسان ، وقد نظم ونثر ، ما يزدرى رقة بنسيم السحر ، فمن ذلك قوله رحمه الله وجعل الجنة مأواه ومثواه .

إلهي قد فرضت صيام شهر ... علينا محسنا اوفى الجزاء
فنلنا فرحة في وقت فطر ... ونرجو مثلها عند اللقاء

وقال

إن الزمان يعادي من له شرف ... قواه عند اولي الانظار برهان
فللشموس زوال حينما ارتفعت ... وللبدور اذا يكملن نقصان

وقال

ألا ان أهنا العيش باكورة الصبا ... وإن الفتى في روضه يانع الغصن
وأصعبه ما جاور الشيب حينما ... حكى البدنُ المنفوشَ من ناعم العهن

ومن جملة توسلاته :

يامن اليه الملتجا ... فيما يخاف ويرتجى
أنت المجيب لكل من ... يدعوك في غسق الدجى
ولكم كشفت غياهباً ... من بعد ما انقطع الرجا
أنت المغيث لكل ملـ ... ـهوف حشاه تأججا
قد أقلق المهج الضعا ... ف أذى الزمان وازعجا
يتلجلج النطق الفصيح ... لدى الرجاء تلجلجا

ولقد أضاق علي من كل الجهات المخرجا
بين الجوانح والحشا حر الهموم تأججا
بحياة خيرتك الذي للخير أوضح منهجا
أزكى الصلاة مع السلا م عليه ماداعٍ نجا

ومنهـــا :

إصبر إذا بابَ المنى سدت عليكَ يدُ الحرج
تُمنح فتوح مهيمن فالصبر مفتاح الفرج[١]

ومن جملة تقريظاته ماكتبه على الأحكام المرعية :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي وضع الأرض للانام ، فيهـــا فاكهة والنخل ذات الأكمام ، والحب ذو العصف والريحـــان ، فسبحانه من متفضل جزيل الاحسان ، والصلاة والسلام على من طـابت ببركته الثمار ، واخضرت من بقية وضوئه الاشجـــار ، وعلى آله وصحبه الذين أحيوا اموات قلوبنا بهواطل الروايات ، فنلنا من مزارع فضائلهم حصائد الخيرات والبركات ـ وبعد فان خليفتنا الأعظم وسلطـــاننا الأفخم ، ولي نعمة العالم ، المتحمل أعبـــاء الخلافة من نوع بني آدم ، خـــاقان البرين والبحرين ، خـادم الحرمين الشريفين ، ظل الله سبحـــانه في أرضه ، مالك الربع المعمور في طوله وعرضه ، المتخلق بخلق (الراحمون يرحمهم الرحمن) ، المتمثل لقوله سبحانه « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » السلطـــان ابن السلطان ابن السلطان ، السلطان عبد المجيد خان بن السلطان الغازي محمود خان

(١) قال في الأعلام : له نظم باللغات العربية والفارسية والتركية ، وكتاب بالعربية سماه « الاحكام المرعية في الأراضي الأميرية » و « مجموعة تراجم لعلماء القرن الثالث عشر » لعلها بالعربية . اقتبس منها صاحب « هدية العارفين » وللشهاب محمود الألوسي كتاب في ترجمته سماه « شهي النغم في ترجمة عارف الحكم » ـ خ

ابن السلطان الغازي عبد الحميد خان ، خلد الله ملكه ، وجعل الدنيا بأسرها ملكه ، ولا زالت أيام دولته كالشمس وضحاها ، ولا برحت ليالي سلطنته كالقمر اذا تلاها ، وعساكره منصورة في غدوها ومسراها ، ومواهبه شاملة للبرية أقصاها وادناها ، ما تبرج ظهر الأرض رافلا بالخلع الخضراء من وشي الربيع ، وتبسمت ثغور الروض من محاسن الصنع البديع ، لما اقتعد غارب سرير الخلافة ، بسط بساط الانصاف فائقاً أسلافه الكرام وأخلافه ، وتيقظ في ازالة ظلم المظالم حتى ان انام الأنام في أمان ، وبهرت ايامه كالشامة في غرة وجه الزمان ، وبالغ في الأمر وأمره مطاع ، بقلع شقة الجور والاعتساف من البلاد والضياع ، ومد على البرايا جناح الرأفة والشفقة ، وعمهم بجزيل الإحسان والصدقة ، فمن بدائع عواطفه البهية ، وصنائع عوارفه السنية ، صدور امره الشريف بتوسيع الحقوق في الأراضي ، وكان ذلك قاصراً في القانون الماضي ، كما يطلع عليه من يطالع الصور المكللة المكملة ، في بطون هذه المجلة المجلة ، رحمة للضعفاء وفقراء رعيته ، ورغبة للثواب الجزيل ومضاعفته ، فأيد اللهم هذا السلطان الرحيم الحليم الأفخم ، والملك الكريم السليم الأكرم ، بالفتح المبين ، والنصر على الأعداء والمشركين ، بجاه سيد المرسلين ، وخاتم النبيين ، عليه وعلى آله وصحبه أفضل صلاة وأكمل تسليم ، الى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين . كتبه الفقير ، المستمنح آلاء ربه القدير ، أحمد عارف حكمت بن ابراهيم عصمت الحسيني عوملا بعفو مولاهما الغني آمين .

الشيخ أحمد مسلم بن الشيخ عبد الرحمن الكزبري الشافعي الدمشقي

من أهل بيت قد عمر بالعلم ربوعه ، وزين بالفضل أصوله وفروعه ، ورفعت العبادة مقامه ، ونشرت على هام السيادة أعلامه ، ولقد زاد

هذا البيت كمالاً وقدراً ، وعلا منقبة وذكراً ، ولا ريب أن هذا المترجم كان على طريقة آبائه الكرام ، واصوله السادة العلماء الأعلام ، ولد سنة الف ومايتين وست وثلاثين ، وحضر دروس والده وغيره من العلماء الافاضل ، وقرأ على والدي الشيخ حسن البيطار مدة في الحديث وغيره من الوسائل ، واستجازه به وببقية العلوم فأجازه إجازة عامة ، وكان له من والدي المحبة والرعاية التامة ، حيث انه تلميذه وابن استاذه ، ونجل شيخه وعمدته وملاذه ، وكان للمترجم عز وجاه ، وصولة قد رفعت بين الناس رتبته وعلاه ، الى ان صار مقصوداً في الحوائج ، معدوداً للمهمات من أعظم المناهج ، قد أحبه الولاة والحكام ، ورفعوا قدره على كاهل الاحترام ، وأقبل الناس من كل جانب عليه ، حتى كادوا لا يجنحون إلا اليه ، ولذلك كان جاهه لعلمه ساترا ، ولتقدمه على اضداده ناصراً ، لأن دائرة اشتهاره كانت أوسع من دائرة علمه ، ودائرة قاصديه وأنصاره قد زادت على دائرة فهمه ، وبعد موت أخيه الشيخ عبد الله سنة خمس وستين ومائتين والف جلس مكان أخيه تحت قبة النسر ، لقراءة صحيح البخاري كل يوم بعد العصر ، واستمرت فيه هذه العادة الى الآن في شهر رجب وشعبان ورمضان . ذكر المحبي [١] في خلال ترجمة الامام المحاسني أحد مدرسي هذه البقعة ان هذا الدرس وظيفة حادثة بعد الخمسين والف رتبها بهرام آغا كتخدا [٢] والدة السلطان ابراهيم ؛ وبنى السوق الجديد والخان قرب باب الجابية لأجلها ، وعين للمدرس ستين قرشاً وللمعيد ثلاثين ، ولقارىء العشر عشرة قروش اه . اقول لعل هذا الخان هو الخان المسمى بالمرادانية ، الذي خرقه الوزير مدحت باشا من جانبيه الشرقي

---

(١) خلاصة الأثر (ج ٣ ص ٤٠٨)

(٢) كلمة فارسية : أي وكيل نفقتها

والغربي وخرق أيضاً بجانبه حماماً يقال له حمام المرادنية ، ووصلها بالسوق الجديد الذي بناه امام جامع السباهيه ، وأحكمه بان يكون على خريطة متناسبة من باب الجابية الى مأذنة الشحم ، وهكذا الى حارة النصارى ، وذلك سنة سبع وتسعين ومائتين والف . والآن تغيرت معالم الخان والحمام وانمحت آثارهما أصلا لأنهما صارا دكاكين ، ولم يبق من الخان إلا بابه ، حتى ان الحادث الذي لايعرفهما لايظهر له إلا أنه سوق لاغير ، والله أعلم .

ولا يتوهم أن ابتداء الدرس في هذا المحل من حين الوظيفة لأن الشمس الميداني الآتي ذكره درس قبل ترتيب الكتخدا بنيف وأربعين سنة كما سنذكره مفصلاً ان شاء الله تعالى . وقد اشتهر بين الخاص والعام أن وظيفة هذا الدرس مشروطة لأعلم علماء الشام .

ذكر أول من جلس للتحديث تحت قبة النسر بعد العصر في الأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان (١)

---

(١) نشرت في مجلة المجمع العلمي بدمشق ذيلاً ضافياً لهذا الموضوع تحت عنوان : المدرسون تحت قبة النسر (ج ١ ص ٤٩ – ٧٢) و (ج ٢ / ٢٢٢ – ٢٣٣ م ٢٤) ذكرت فيه خلاصة لتاريخ المسجد الأموي ، ومحدثي دار الحديث الأشرفية ، وقبة النسر ، ناقلاً نبذاً يسيرة من تراجم هؤلاء الأجلاء – علاوة على ماذكره الأستاذ الجد عنهم – من تاريخ المحبي المتوفى سنة [١١١١] الف ومائة وإحدى عشرة ، والمرادي م [١٢٢٢] الف ومائتين واثنتين وعشرين . ونثبت في هذا التاريخ مانشرناه في مجلة المجمع مع حذف المقدمة : —

(خلاصة تاريخ المسجد الأموي)

ذكر مؤرخ الشام الحافظ الكبير علي بن الحسن بن عساكر المتوفى سنة ٤٩٩ في باب ماذكر في بناء المسجد واختيار بانيه موضعه على سائر المواضع ، ناقلاً عن عبد الرحمن بن ابراهيم أن الوليد بنى كل مـا كان داخل حيطان المسجد ، وزاد في سمك الحيطان ، وبنى قبة المسجد ، فلمـا استقلت وتمت ، وقعت فشق ذلك عليه ، إلى آخر ماجـاء في قصة بناء المسجد وقبة النسر (انظر ج ١ ص ٢٠٣ من تاريخـه طبع دمشق سنة ١٣٢٩ هـ) .

وقال النعيمي [المتوفى سنة ٩٢٧] : ويشتمل هذا الجامع في وقتنا على تسعة ائمة ، وثلاثة وسبعين متصـدراً لإقراء القرآن ، وعشرين سبعاً ، وإحدى عشرة حلقة للاشتغال بالعلم ، والصرف عليها من مال المصالح ، وثلاث حلق للاشتغال بالحديث . وذكر النعيمي أيضاً في تحفة الطـالب وإرشاد الدارس خلاصة تاريخ الجامع الأموي ، وما عرض له من الحرائق والتجديد حتى عصره .

وأما الأستاذ بدران [المتوفى سنة ١٣٤٦ هـ] فقد بسط الكلام على الجامع الأموي في كتابه « منادمة الأطلال ومسامرة الخيال » وقد طبع سنة ١٣٧٩ هـ ونقل عمن تقدمه من المؤرخين خلاصات في وصفه وتاريخه ، وخرابه وتجديده ، وقال : ثم في أيامنا [سنة ١٣١١] احترق الجامع ، ولم يبق فيه شيء من الآثار القديمة ، وأعيد بناؤه على الحالة الحاضرة اليوم ، جعله الله عامراً مدى الأيام ا هـ .

وأقول : إن العالم السيد علي الألوسي كان نظم قصيدة اثر حـادثة ـــ

— الحريق سنة ١٣١١ هـ قبل تعميره وإعادته ، وكتب إليّ كتاباً من بغداد [مؤرخاً في ١٠ رجب سنة ١٣٣٣] بعد عودته من دمشق صحبة علامة العراق ابن عمه السيد محمود شكري [رحمهما الله تعالى] يقول في ختامه: فرأيت أن أقدم اليكم صورتها [أي القصيدة] إذ يكون لها مساس لمن يشتغل بالتاريخ ومن أبياتها :

الله من نوب الزمان فكم لها   من فاجعات أعظمت وقعاتها
بالجامع الاموي قف متفكراً   في حادث عم الورى بجهاتها
نار تطاير بالقلوب شرارها   وتصاعد الزفرات من زفراتها
ياجامعاً جمع المحاسن إذ غدا   للشام شامتها وعين حياتها
قد كنت مجتمع الفضائل والتقى   في المسلمين لدرسها وصلاتها
ولطالما قصدت اليك أولو النهى   تبغي الأسانيد العلا برواتها

ثم ختمها بهذا البيت الواعظ :

وكذا الزمانُ مسرّة ومساءة   هذي الحياة وهذه حالاتها

(محدثو دار الحديث الأشرفية وقبة النسر)

عرفت الشام من الصدر الأول بأنها بلد السنة ، فمسند الشاميين — أي الصحابة الذين نزلوا الشام — هو جزء كبير من مسند الإمام احمد المطبوع بمصر ومعه منتخب كنز العمال سنة ١٣١٣ هـ . ويجده المطالع في الجزء الرابع منه ، وبالأسانيد المتصلة بهؤلاء الشاميين وغيرهم من الصحابة الذين تفرقوا في الأمصار ، اخرج الأئمة الحفاظ احاديثهم كالبخاري (المتوفى سنة

— ٢٥٦) و مسلم (٢٦١) واصحاب السنن والمسانيد والمعاجم والجوامع ، وعنهم أخذ أئمة الرواية والدراية مدرسو دار الحديث الأشرفية بدمشق كابن الصلاح (المتوفى سنة ٦٤٣) وابن شامة (٦٦٥) والنواوي (٦٧٦) وابن الوكيل (٧١٦) وابن الزملكاني (٧٢٧) والحافظ المزي (٧٤٢) وعلم الدين البرزالي (٧٣٩) والحافظ الذهبي (٧٤٨) والتقي السبكي (٧٥٦) والحافظ ابن كثير (٧٧٤) وابن جماعة (٧٣٣) اولئك الذين كانوا من مفاخر الدنيا في عصورهم .

وروى بالسند عن هؤلاء الأئمة الحفاظ طائفة من محدثي قبة النسر الأعلام، ومن أكبر الأسر التي تسلسل فيها العلم في ديار الشام. وقد كان من شروط قبة النسر ان يقوم على درس الحديث فيها ، أعلم علماء دمشق ، فآل امرها بالاستحقاق والكفاءة إلى وارث علوم اولئك الأئمة خليفتهم وخاتمتهم شيخنا الشيخ بدر الدين الحسني المتوفى سنة ١٣٥٤ﻫ ولم يأت بعده من يخلفه في علمه وعمله على ما سيأتي في ترجمته ، رحم الله اولئك الأبرار ، وعوض الأمة عنهم خيراً .

(الدخول في الموضوع)

بعد هذه المقدمات الموجزة نأثر عن العلامة البيطار ما أورده في تاريخه للقرن (الثالث عشر) من سلسلة المحدثين في جامع بني أمية تحت قبة النسر ، ناقلا نبذاً يسيرة من تراجم هؤلاء الأجلاء — علاوة على ما ذكره الأستاذ الجد عنهم من تاريخ المحبي المتوفى سنة ١١١١ والمرادي المتوفى سنة ١٢٢٢ ، وقد تقدم ذكرهما ، ومن تاريخ الجد نفسه ايضاً جاعلا في أعلى الصفحات ما قاله في حلية البشر ، مذيلا بما لخصته من تراجمهم ،

أولهم هو العالم العلامة ، والحبر الفهامة الشمس محمد الميداني[1] أناله الله في جنته الأماني ، قال المحبي في أثناء ترجمته : لما مات الشمس الداودي (٢)

---

(١) هو محمد بن محمد بن يوسف بن أحمد بن محمد الملقب شمس الدين ، الحموي الأصل ، الدمشقي المولد ، الميـــداني ، الشافعي ، عالم الشام ومحدثها ، وصدر علمائها ، الحافظ المتقن . قال المحبي : وبلغ به سطوع الشأن الى مرتبة قل من يضاهيه فيها ، حتى ان الحكام كانوا لا يستطيعون الظلم خوفاً منه ، ويحترمونه أقوى احترام ، مع عدم تردده اليهم ، وقلة اكتراثه بهم وحطه عليهم ، وأكثر الناس من الأخذ عنه والقراءة عليه (ثم قال) وأكثر الناس فيـه من المراثي والتواريخ ، فمن ذلك تاريخ الاديب ابراهيم الاكرمي الصالحي ، وهو قوله :

شيخُ دمشق وشمسُ دينِ (م) الإله فيهـا قضى وماتا
فقلت واحسرتاه أرخ أشافعي الزمان ماتا ؟

وقال فيه أبو بكر العمري شيخ الأدب :

مغاني العلم قد درست وقد أقوت معالمها
فقل إن شئت أو أرخ دمشق مات عالمها

(٢) محمد بن داود المنعوت شمس الدين بن صلاح الدين الداودي القدسي الدمشقي ، الشافعي المحدث الفقيه ، علم العلماء الاعلام ، والمفتي المدرس الهمام ،... وكان يعظ يوم الاحد من كل جهة في الاشهر الثلاثه رجب وشعبان ورمضان عن ظهر قلب ، وكان الوعاظ غيره يعظون الناس من الكراريس .

أي سنة ست وألف فقد الناس مجلسه للحديث فقامت الطلبة على الشمس الميداني بعقد مجلس في الحديث بعد موته بسنتين أو أكثر ، فأقرأ في صحيح البخاري بعد صلاة العصر ، واختار أن يكون جلوسه تحت قبة النسر ، وكان الداودي يجلس تجاه المحراب الذي للشافعية بعد وفاة البدر الغزي واستمر الميداني إلى أن توفي بالقولنج في وقت الضحى يوم الاثنين ثالث عشر ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين والف وصلي عليه قبل صلاة العصر ، ودفن بمقبرة باب الصغير عند قبر والده ، ولما انزل في قبره عمل المؤذنون بدعته التي ابتدعها مدة سنوات بدمشق من افادته إياهم ان الأذان عند دفن الميت سنّة وهو قول ضعيف ذهب إليه بعض المتأخرين ورده ابن حجر في العباب وغيره فأذنوا على قبره ا هـ . ومدة تدريسه على ما ذكر اما اربع أو خمس وعشرون سنة لا سبع وعشرون كما وهم .

ثم تولاه بعده العلامة الامام ، والحبر الهمام الشيخ نجم الدين محمد الغزي[١]

واستمر إلى أن توفي يوم الاربعاء ثامن عشر جمادى الآخرة سنة احدى وستين والف عن ثلاث وثمانين سنة وعشرة أشهر وأربعة أيام ، ودفن بمقبرة

---

(١) محمد بن محمد بن محمد بن محمد ، محدث الشام ومسندها ، الشيخ الامام نجم الدين أبو المكارم وأبو السعود ، ابن بدر الدين رضي الدين الغزي العامري الدمشقي الشافعي ، شيخ الاسلام ، ملحق الأحفاد بالأجداد ، المتفرد بعلوا لاسناد .

ترجم نفسه في كتابه بلغة الواجد ، في ترجمة والده البدر ، فقال : مولدي كما رأيته بخط شيخ الاسلام : يوم الاربعاء حادي عشر شعبان المكرم سنة ٩٧٧ (ا هـ) وعدّ له الامين المحبي نحو ثلاثين كتاباً من تآليفه ، أعظمها —

الشيخ رسلان رضي الله عنه ، ومن غريب ما اتفق له في درسه تحت القبة ان الشمس الداودي كان وصل في قراءة البخاري إلى باب كان ﷺ إذا صلى لا يكف شعراً ولا ثوباً ، ودرس بعده الشمس الميداني من ذلك الباب إلى باب مناقب عمار بن ياسر وتوفي ، ودرس من بعده النجم الغزي إلى أن أكمله في ثلاث سنوات ، ثم افتتحه وختمه وأعاد قراءته إلى أن وصل البكاء على الميت ، وكانت مدة تدريسه سبعاً وعشرين سنة اهـ . والظاهر ان الكتخدا المقدم ذكره رتبه في مدة النجم كما يعلم مما سلف والله أعلم .

ثم تولاه بعده ولده الفاضل الكامل الشيخ سعودي الغزي (١)

وابتدأ من محل انتهى اليه درس والده في صحيح البخاري ، واستمر إلى

ـــ (الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة) ثم قال : وجلس مكان الميداني تحت القبة في الجامع الاموي ، لإقراء صحيح البخاري في الاشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان ، ورأس الرئاسة التامة ، ولم يبق من أقرانه الشافعية أحد ، وهرعت اليه الناس والطلبة ، وعظم قدره وبعد صيته ، وكان جلوسه تحت قبة النسر سبعاً وعشرين سنة ، وهو قدر مدة الميداني ، وهو من غرائب الاتفاق اهـ ، (ص ٢٠٠ ج ٤ من خلاصة الأثر) .

(١) سعود بن محمد بن محمد بن محمد الغزي العامري ، الدمشقي الشافعي ، مفتي الشافعية بدمشق ، وابن مفتيها ، وابن ابن مفتيها ، رؤساء العلم بالشام وكبراؤه ، وشهرة بيتهم لا تحتاج الى بيان ، وكان سعودي هذا فاضلاً وجيهاً رقيق الطبع ، اخذ الفقه والحديث عن جده لأمه الشهاب احمد العيثاوي ، وعن والده النجم ، وسافر في خدمته الى الحج في سنة ١٠١٤ والى الروم سنة ٢٣ ولما حج والده في سنة ٤٧ اقامه مُقامه في خدمة فتوى الشافعية فباشرها ، وظهرت كفايته ، وحمدت سيرته ، ثم مات ابوه في سنة ٦٠ ، فاستقل بها ، وأعطي عنه المدرسة الشامية البرانية ودرس الحديث تحت قبة النسر من جامع بني امية ، واستمر مدة يفتي ويدرس وكانت ولادته سنة ٩٩٨ — ١٠٧١ .

أن توفي في أوسط ذي القعدة سنة إحدي وسبعين وألف ودفن بمقبرة آبائه تربة الشيخ رسلان قدس الله سره العزيز ، وكانت مدة قراءته عشر سنوات ثم طلب التدريس العالم الجليل الشيخ محمد الاسطواني [1] من قاضي القضاة واجتمع هو والشيخ محمد تاج الدين المحاسني في مجلس القاضي وكان الآخر طالباً لها ، فوقع بينهما مقاولة ومخاصمة وقيل انهما تشاتما بألفاظ قبيحة .

---

(١) محمد بن احمد بن محمد بن حسين بن سليمان المعروف بالاسطواني الدمشقي الحنفي ، الفقيه الواعظ الاخباري ، كان احد اعاجيب الدنيا في حلاوة المنطق ، وحسن التأدية ، ومعرفة أساليب الكلام ، لا يمل حديثه بحال ، وكلما طال طاب ، كان في الاصل على مذهب اسلافه حنبلياً ، ثم انتقل الى مذهب الشافعي ، ثم تحنف وصار اماماً بجامع السلطان احمد ، ثم واعظاً بجامع السلطان ابي الفتح محمد خان (في دار الخلافة العثمانية) واشتهر بحسن الوعظ ولطافة التعبير ، ثم امر بالمسير الى دمشق فوردها في سنة ١٠٦٧ واقام بها ولزم الدرس تحت قبة النسر بالجامع الاموي بين العشاءين وبعد الظهر ، ونشر علم القراءات والمواعظ ، وأقرأ شرح الهمزية ، ورغب الناس في حضور دروسه من علماء وعوام لحسن تقريره ، وعذوبة تفهيمه ، ولطافة مناسباته ، قال المحبي في ترجمته (ج ٤ ص ٣٨٧ :) وسمعت والدي رحمه الله تعالى يقول : إن درسه كان يرحل اليه من بلد الى بلد ، وانه قرر أشياء لم يسمعها من اهالي دمشق احد ، وفيه يقول الامير المنجكي :

إن سمع العقول يصغي لقول الاسطواني والقلوب لديـه

جمع الفضل والمكارم حتى كل حسنى تعزى وتنمى اليه

رجل جاء في الزمان أخيراً يحسد الأول الاخير عليه

وكان بدمشق بعض مناكر ، فتقيد بإزالتها او تخفيفها ، ومن جملتها لبس السواد خلف الميت ، ورفع الصوت بالولولة .

ثم وجهت البقعة للمحاسني (١)

ومرض الاسطواني من يومه وبعد اسبوعين توفي قبل الظهر من يوم الاربعاء سادس وعشرين المحرم عام اثنين وسبعين وألف ودفن بمقبرة باب الفراديس ، قال المحبي : ولم تطل مدة المحاسني أي لأنه درس شهراً واحداً ثم مات في غرة شعبان عشية الاربعاء عام اثنين وسبعين وألف ودفن بمقبرة باب الفراديس بالقرب من جده الامير الحسن البوريني .

---

(١) هو محمد بن تاج الدين بن احمد المحاسني الدمشقي الحنفي الخطيب بجامع دمشق ، كان فاضلاً أديباً جامعاً لمحاسن الاخلاق ، حسن الصوت ، نشأ في نعمة وافرة ، وكان ابوه ذا ثروة عظيمة ، فكان يصله بكل ما يحتاج اليه من مال ومتاع (قال المحبي) ولما توفي الشيخ سعودي الغزي ، وُجّه إليه درس الحديث تحت قبة النسر من جامع دمشق كما أسلفته في ترجمة محمد بن احمد الاسطواني قريباً ، وانتفع به خلق من علماء دمشق ، وله شعر حسن مطبوع ، فمنه قوله من قصيدة :

يا سقاها مرابعاً للتلاقي كلّ سارٍ من الحيا غيداق

ومنها : يا حداة المطيّ رفقاً بقلبي إن طعم الفراق مر المذاق

ليت شعري متى تعيد الليالي ما أتاحت من صفو عيش التلاقي

ومن جيد شعره قوله :

وتنفسي الصعداء ليس شكاية مما قضته سوابق الاقدار

لكنْ بقلبي جملة تفصيلها صعب لدى العقلاء والاحرار

فجعلت موضع كل ذلك أنة ضمنت مرادي من عطاء الباري

ومن شعر المترجم قوله :

أودعكم وأودعكم جناني وأنثر أدمعي مثل الجمان

ولو نعطي الخيار لما افترقنا ولكن لا خيار مع الزمان

ثم وجهت البقعة للاستاذ الكبير محمد بن يحيى الخباز البصير المعروف بالبطنيني[١]

ودرس الى ان توفي في سنة خمس وسبعين والف ، وكان مدة تدريسه ثلاث سنين .

ثم وجهت البقعة للامام الجليل الحنفي الشيخ علاء الدين الحصكفي[٢]

ودرس مدة ، ثم سعى بعض حساده في عزله ، وأرسلوا في ذلك كتباً الى جانب الدولة ، فاستقر ذلك في عقول أصحاب الحل والعقد فعزل .

---

(١) محمد بن يحيى بن أحمد بن علي الخباز المعروف بالبطنيني ، الدمشقي الشافعي ، المحدث الفقيه الورع الصالح الناسك ، كان غاية في الورع ذا صلابة في دينه ، ينكر المنكر ولا يخاف في الله لومة لائم ، وكان متواضعاً خلوقاً ، عليه سكينة ووقار ، وكان في بداية أمره خبازاً في دمشق ، فارتحل الى مصر ، وجاور بجامع الأزهر سنين ، وفتح الله تعالى عليه بعد رجوعه ، وكان يدرس في فنون ، ويملي من حفظه ما يطالعه بحسن تقرير ، ثم عرض له عمى فزاد حفظه واشتهر ، وانتفع به جماعة من الفضلاء ، وله تآليف منها كتابه : « فتح رب البرية بالجواب عن اسئلة الزيدية » ثم درس تحت قبة النسر البخاري بعد موت الشيخ محمد المحاسني الخطيب ، وانتهت اليه الرئاسة عند الشافعية والتحديث . وكانت وفاته في سنة ١٠٧٥ . والبطنيني نسبة الى قرية من قرى دمشق .

(٢) محمد بن علي بن محمد الملقب علاء الدين ، الحصني الأصل الدمشقي المعروف بالحصكفي ، مفتي الحنفية بدمشق ، وصاحب التصانيف الفائقة في الفقه وغيره ، منها شرح تنوير الأبصار المسمى بالدر المختار ، وله شرح ملتقى الأبحر ، وشرح المنار في الأصول وغيرها . وكان عالماً محدثاً فقيهاً

ثم وجهت البقعة للشمس محمد بن محمد العيثاوي [1]

قـال المحبي : وبقي العلاء على هـذا نحو سنة ثم سـافر الى الروم

ـــ نحوياً ، كثير الحفظ والمرويات ، طلق اللسان ، فصيح العبـارة ، جيد التقرير والتحرير . قال المحبي : إلا أن علمه أكثر من عقله (ج ٤ ص ٦٣) ولد بدمشق وقرأ على والده ، وعلى الإمام محمد المحاسني ، خطيب دمشق المقدم ذكره ، ولازمه وانتفع به ، وبلغت محبته له الى أن صيره معيد درسه في البخاري (ثم قال المحبي) : ولما توفي الشيخ محمد بن يحيى الخباز الشهير بالبطنيني ، انحلت عنه بقعة التحديث بجامع دمشق فوجهت اليه ، ودرس بها ، وعلا صيته ، واشتهر أمره ، وبقي يفيد ويدرس الى ان مات سنة ١٠٨٨

(١) محمد بن أحمد العيثاوي الدمشقي ، كان قوالاً بالحق ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، ومما اتفق له أنه دخل مرة على محافظ الشام في مصلحة متعلقة بالخانقاة السميساطية وطعامها ، فتشاغل الباشا عنه بأوراق ، فمسك الباشا من طوقه وجذبه ، وقال له : انظر في أمر هولاء الفقراء ، واقض مصالحهم . فالتفت اليه وقضى له ما جاء فيه . ودخل مرة أخرى على حاكم آخر بسبب معاليم الجامع الأموي ، وكان سنان باشا المتولي عليه كتب بها دفتراً وأراد قطع شيء منها ، فوجد الباشا ينظر في دفتر المتولي ويتأمله ، فجذبه أيضاً من طوقه وقال له : لا تلتفت إلى ما كتبه هذا الظالم ـ وكان حاضراً في المجلس ـ وانظر الى عباد الله بنور الله ، فعمل على مراده وترك ما أراد المتولي . وله من هذا القبيل أشياء أُخَر ، وله تحريرات على التفسير وغيره ، لكنهـا لم تجمع وذهبت . وولي آخر أمره تدريس البخاري في الأشهر الثلاثة تحت قبة النسر بجامع بني أمية ، ودرّس ، وكان يقرر تقريراً جيداً ، وكانت وفاته سنة ١٠٨٠ هـ .

واجتمع بشيخ الإسلام يحيى المنقاري [١] وشكا إليه حاله فأعاد عليه بقعة التحديث ، وبقي إلى أن توفي يوم الاثنين عاشر شوال سنة ثمان وثمانين وألف عن ثلاث وستين سنة ، ودفن بمقبرة باب الصغير ، وأما العيثاوي فإنه توفي ليلة الخميس رابع يوم شهر ربيع الأول سنة ثمانين وألف بداء الاستسقاء ودفن بتربة باب الصغير اه وانظر هل أعيدت للحصكفي بعد وفاة العيثاوي أو قبله ؟ والظاهر الأول ، لأن المحبي لما ترجم العيثاوي قال وولي آخر أمره تدريس البخارى في الأشهر الثلاثة تحت قبة النسر بجامع بني أمية ثم ذكر وفاته ولم يذكر انه عزل عن الدرس والله أعلم .

ثم وجهت البقعة عن الشيخ علاء الدين الحصكفي المفتي إلى العلامة المحقق والفهامة المدقق الشيخ يونس المصري [٢]

سنة تسع وثمانين فدرس بها إلى حين وفاته ، وسافر في هذه المدة مرتين

---

(١) يحيى بن عمر المنقـاري الرومي شيخ الإسلام ، صاحب التقرير والتحرير ، أخذ بالروم فنون العلم عن أكابر علمائها، ودرس بمدارس قسطنطينية ، وولي المناصب العلية ، منها قضاء مصر ، وليها في سنة ١٠٦٤ ، وأعيد إليها مرة ثانية ، وعقد بها درساً بمجلس الحكم في تفسير البيضاوي ، وحضره أكابر علمائها ، وأذعنوا له بالتحقيق الذي ليس له فيه مساوٍ . وألف تآليف عديدة في فنون شتى (قال المحبي) : وانتهت إليه الرئاسة في عصره بالعلوم ، وحظي حظوة لم يحظها أحد مثله عند ملك الروم ، وكانت وفاته سنة ١٠٨٨ ودفن باسكدار في مكان عينه في وصيته ، وأوصى أن يعمر عنده مدرسة ، فنفذ ابنه وصيته بعد موته رحمه الله تعالى .

(٢) ابن أحمد المحلي الأزهري الكفراوي الشافعي ، نزيل دمشق ومدرس الحديث بها ، (قال المرادي) : ترجمه الشمس محمد بن عبد الرحمن الغزي العامري في ثبته المسمى لطائف المنة ، فقال : ولد كما أخبرنا به من لفظه في ذي الحجة ١٠٢٩ بالمحلة الكبرى من اقليم مصر ، ونشأ بها ، وأخذ علم —

إلى الديار الرومية ، وكان ينوب عنه في غيبته في التدريس المرقوم الشمس محمد بن علي الكاملي (١) وكانت وفاة الشيخ يونس في ذي الحجة سنة عشرين ومائة وألف ، وكانت مدة تدريسه ثلاثاً وثلاثين سنة ما عدا سنتين درس بها الكاملي ، وأما الكاملي فإنه توفي سنة احدى وثلاثين ومائة وألف كما في تاريخ المرادي .

ثم وجهت البقعة للعلامة الشهير الشيخ اسماعيل العجلوني (٢)

قال المرادي : وذلك أنه ارتحل إلى الروم سنة تسع عشرة ومائة

— التفسير والحديث والفقه عن جماعة من علماء بلده ، ثم ارتحل المترجم إلى مصر ، وأقبل على الاشتغال بالعلوم ، وحضور دروس علماء الجامع الأزهر ، ثم ارتحل إلى دمشق سنة ١٠٧٠ وأخذ عن جماعة من علمائها .

وولي بدمشق تدريس بقعــة الحديث ، بالجامع الشريف الأموي [تحت قبته] عن الشيخ علاء الدين الحصكفي المفتي ، سنة ٨٩ فدرس بها إلى حين موته . وكانت وفاته في ذي الحجة سنة ١١٢٠ .

(١) هو محمد بن علي بن محمد المعروف بالكاملي الشافعي الدمشقي ، كان فقيها واعظاً بركة الشام ، علامة رحالة محققاً ، وسيما منوّراً ، عليه أبهة العلم ورونقه ، وكان خَلقه سوياً وخُلقه رضيا وشكله بهيا ، ودروسه من محاسن الدروس ، أخذ عنه الكثير من الأطراف والبلاد . ولد بدمشق سنة ١٠٤٤ وحضر دروس المحدث النجم الغزي ولازمه ، وكانت وفاته سنة ١١٣١ رحمه الله تعالى .

(٢) اسماعيل بن محمد بن عبد الهادي بن عبد الغني الشهير بالجراحي الشافعي ، العجلوني المولد ، الدمشقي المنشأ والوفاة ، الشيخ الإمام ، الحجة الرحالة ، العمدة الورع . ولد بعجلون سنة ١٠٨٧ تقريباً ، وحفظ القرآن في بلده ، ثم ارتحل الى دمشق لطلب العلم سنة ١١٠٠ هـ واشتغل على جماعة أجلاء بالفقه والحديث والتفسير والعربية ، قال المرادي : ومشايخه كثيرون ، —

والف ، فلما كان بها انحل تدريس البقعة عن شيخه الشيخ يونس المصري بموته فأخذه هو ، وجاء به إلى دمشق ، وكان والي دمشق إذ ذاك الوزير يوسف باشا القبطان عارضاً به إلى شيخه الشيخ محمد الكاملي شيخ الشيخ اسماعيل المذكور ، وألزم القاضي بعرض على موجب عرضه ، وانه يعطي ماصرفه شيخه الشيخ أحمد الغزي مفتي الشافعية بن الشيخ عبد الكريم بن الشيخ سعودي المقدم ذكره للقاضي ، وكان مُرادُ الغزي أوّلاً التدريس ، فحين وصول العرض إلى دار الخلافة (قسطنطينية) للدولة العلية ، ما وجهوا التدريس لشيخه الكاملي ، بل وجهوه للشيخ اسماعيل العجلوني ، واستقام بهذا التدريس إلى أن مات ، ومدة إقامته من سنة ابتداء إحدى وعشرين إلى أن مات إحدى وأربعون سنة ، وكانت وفاته بدمشق في

_ والكتب التي قرأها لا تعد لكثرتها ، وقد ألف ثبتاً سماه « حلية أهل الفضل والكمال ، باتصال الأسانيد بكمل الرجال » وترجم مشايخه به ، وعد المؤرخ المرادي من أجلائهم قريباً من ثلاثين (ثم قال) : وارتحل إلى الروم في سنة ١١١٩ هـ فلما كان بها انحل تدريس قبة النسر بالجامع الأموي ، عن شيخه الشيخ يونس المصري بموته ، فأخذه صاحب الترجمة ، وجاء به إلى دمشق ، إلى آخر ما جاء في (حلية البشر) أخذاً عن (سلك الدرر) . « وفي السلك » : وألف المؤلفات الباهرة المفيدة ، منها (كشف الخفاء ومزيل الالباس ، عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس) (وهو مطبوع بمصر) وعدّ له عشرة تآليف كاملة وسبعة لم تكمل ، وجلها في التفسير والحديث والتاريخ (ثم قال) : وكان صاحب الترجمة حليما سليم الصدر ، سالماً من الغش والمقت ، صابراً على الفاقة والفقر ، وملازماً للعبادات والتهجد ، والاشتغال بالدروس العامة والخاصة ، كافاً لسانه عما لايعنيه ، مع وجاهة نيرة .(المرادي) : ترجمه بقوله : والجراحي : نسبة إلى أبي عبيدة بن الجراح ، أحد الصحابة المبشرين بالجنة .

محرم الحرام افتتاح سنة اثنتين وستين ومائة والف ، ودفن بتربة الشيخ أرسلان رضي الله عنه . وغلط من قال ان مدة درسه ثلاث وأربعون سنة ، وأما الشيخ أحمد الغزي فكانت وفاته في يوم الجمعة ثاني شعبان سنة ثلاث وأربعين ومائة والف .

ثم وجه تدريس البقعة للعلامة الشيخ صالح الجينيني الحنفي (١)

فدرس إلى أن مات ، وذلك يوم الأحد بعد العصر سادس عشر شهر ذي القعدة سنة سبعين ومائة والف ، ودفن في باب الصغير وكان مدة تدريسه تسع سنين

ثم وجه تدريس البقعة للامام الكبير والجهبذ الشهير الشهاب أحمد المنيني (٢)

واستمر إلى أن توفي يوم السبت تاسع عشر جمادى الثانية سنة اثنتين وسبعين ومائة والف ، وكانت مدة تدريسه سنة واحدة

---

(١) ابن ابراهيم بن سليمان بن عبد العزيز الحنفي ، الجينيني الأصل ، الدمشقي المولد ، النعمان الثاني ، وشيخ الحديث ، العمدة الرحلة ، ولد بدمشق سنة ١٠٩٤ ونشأ بها ، وأخذ عن جماعة كثيرين ، وشرع في إلقاء الدروس بالجامع الأموي وغيره ، وتزاحمت عليه الطلاب وكثر نفعه . ولما توفي الشيخ اسماعيل العجلوني مدرس الحديث تحت (قبة النسر) في الجامع الأموي ، وجه التدريس المذكور عليه ، واستقام به إلى أن مات .

(٢) أحمد بن علي بن عمر بن صالح بن أحمد بن سليمان بن إدريس ابن اسماعيل بن يوسف بن ابراهيم الحنفي الطرابلسي الأصل ، المنيني المولد ، الدمشقي المنشأ . كان ألمعياً ، لغوياً نحوياً ، أديباً حاذقاً ، لطيف الطبع ، حسن الخلال ، عشوراً ، متضلعاً متطلعاً ، متمكناً خصوصاً في الأدب وفنونه ، وحسن النظم والنثر ، ولد بقرية منين سنة ١٠٨٩ ولما بلغ سن التمييز قرأ القرآن . ثم قدم إلى دمشق فقرأ على سادات أجلاء ذكرهم في ثبته . —

ثم وجه التدريس للعلامة والحبر الفهامة علي افندي الداغستاني (١) فدرس إلى ان اصابه داء الفالـج في صفر سنة ست وتسعين ، فأناب

ـــ ودرس بالجامع الأموي بأمرٍ من شيخه الشيخ أبي المواهب مفتي الحنابلة ، لما توفي ولده الشيخ عبد الجليل ، فاستقام إلى أن توفي الشيخ أبو المواهب . فبعد وفاته درّس بحجرته داخل المدرسة السميساطية ، إلى أن توجه عليه تدريس العادلية الكبرى ، فانتقل اليها ودرّس بها ، وأقام على الإفادة في المدرسة المذكورة والجامع الأموي ، مدة عمره ، فدرس بالجامع المذكور في يوم الأربعاء في البيضاوي ، وفي يوم الجمعة بعد صلاتها صحيح البخاري ، وبين العشاءين في بعض العلوم ؛ وانتفع منه خلق كثير ، وللمترجم :

على السر لاتطلع صديقاً ودعه في ... ضميرك عن كل الأنام مصونا

فإنّ ضمير الفرد مستتر وإنْ ... تثنى تبدّى للعيـان مبينا

وكانت وفاته في يوم السبت تاسع عشر جمادى الثانية سنة اثنتين وسبعين ومائة والف ، ودفن بتربة مرج الدحداح . قال المؤرخ المرادي : والمنيني : نسبة إلى قرية منين من قرى دمشق ، ولد بها هو ونشأ ، وأصله من بوفائيل قرية من أعمال طرابلس الشام . كان والده ولد في بوفـائيل المذكورة في سنة ١٠٢٨ ثم ارتحل وسنه إحدى عشرة سنة إلى دمشق الشام ، وتوطن بصالحيتها ، واشتغل بطلب العلم على جماعة منهم العلامة الشيخ محمد البلباني الصالحي ، والشيـخ علي القبردي الصالحي ، وتفقه عـلى مذهب الإمام الشافعي ، ثم ارتحل إلى قرية (منين) المذكورة في سنة ١٠٤٦ وكان مرجعـاً لأهل تلك القرية وغيرها بالفرائض ، وتوفي بالقرية المذكورة سنة ١١٠٨ ودفن بها .

(١) ابن صـادق بن محمد بن ابراهيم بن محب الله حسين بن محمد الحنفي ، الداغستاني الأصل والمولد ، نزيل دمشق ، ومدرس الحديث بها تحت قبة النسر ، ولد في حدود سنة ١١٢٥ ، وقرأ على جملة من علماء ـــ

الجهبذ النحرير الشمس محمد الكزبري فدرس بالنيابة عنه اربع سنوات ، إلى ان توفي الداغستاني ليلة الخميس ثالث عشر ذي الحجة سنة تسع وتسعين ومائة والف ودفن بسفح قاسيون

ثم وجه التدريس إلى السيد محمد العطار (١)

ولم يدرس بل اناب الشيخ الشمس الكزبري فبقي مدرساً إلى ان توفي السيد محمد العطار سنة تسع بعد المائتين والف

ثم تولاه العالم العلامة ، والمحدث الفهامة ، الشمس محمد الكزبري (٢)

من غير تعرض له واستمر إلى ان توفي سنة إحدى وعشرين ومائتين

ـ بلادهم ، ثم قدم دمشق وتوطنها وذلك سنة ١١٥٠ ، ولما توفي الشهاب أحمد المنيني المدرس تحت القبة ، توجه له عنه التدريس المذكور ، وبقي عليه إلى وفاته ، وتصدر في دمشق ، وكان يرجع اليه في مهات الأمور ، ونزل به الفالج في آخر أمره ، في صفر سنة ٩٦ وبقي في داره منقطعاً إلى أن توفي سنة ١١٩٩ رحمه الله تعالى .

(١) جدّ بني الحسيبي ، قد أجمع الناس على طيب أصله ، ولد سنة الف ومائة ونيف وثلاثين ، واشتغل في العلم والعبادة ، إلى ان برع وفاق ، واشتهر في الآفاق ، تولى القضاء بمدينة غزة هاشم ، وكان في احكامه تقياً بعيداً عن المحارم ، وكان السيد محمد التافلاني مفتي القدس الشريف ، فوقع بينهما في مسألة من المسائل اغبرار ، فكتب السيد محمد التافلاني رسالة في تعنيفه وارسلها إليه ، فغب وصولها شرحها وردّها من غير مهلة عليه . مات المترجم في الآستانة سنة تسع ومائتين والف .

(٢) قال السيد محمد عابدين : مدرس الحديث الشريف تحت قبة النسر في جامع بني أمية في دمشق المحمية ، ولد في سنة ١١٤٠ ونشأ في حجر والده ، وتفقه عليه وعلى خال والده الشهير ، بالشافعي الصغير ، الشيخ علي ابن احمد الكزبري ، وأخذ الحديث عنهما ، وكان والده قد أذن له بإفادة ـ

والف ليلة الجمعة لتسع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ، ودفن في باب الصغير ، وكانت مدة تدريسه إحدى عشرة سنة .

ثم تولاه بعده ولده العالم العامل ، والقدوة الكامل ، ذو الوجه الأنوري الشيخ عبد الرحمن الكزبري (١)

- الطالبين في حياته ، وجلس مكانه بين العشاءين في الأموي سنة ١١٨٥ بعد وفاته ، وفي سنة عشر ، جاءته قبة النسر تسعى من غير طلب ، فشرع بقراءة الجامع الصحيح ، وهو في الثلاثة أشهر رجب وشعبان ورمضان من كل عام ، وقد أشرت إلى ذلك في ضمن موشحة كنت تطفلت بها على مدح جنابه حيث قلت :

مَن به قبة ذاك الجامع ... لم تزل في كل عام تسعَدُ
حين يروي في الصحيح الجامع ... لحديث المصطفى أو يُسنِدُ
ياله من خير درس جامع ... ولأهل العلم فيه مشهد
فكأن الوجه منه حينما ... ينثر الدر على المتميس
قمرٌ عن جانبيه العلما ... كنجوم أشرقت في الغلس

توفي رضي الله تعالى عنه سنة ١٢٢١ هـ .

(١) الشافعي الدمشقي ، محدث الديار الشامية ، ولد يوم عيد الفطر سنة ١١٨٤ في دمشق الشام ، ونشأ وتربى في حجر والده الشمس إلى أن أتقن وتفنن وفاق ، وطار صيته في الأمصار والآفاق ، وعدّ له الأستاذ الجدّ في (حلية البشر) أساتذة كثيرين من عرب وعجم ، (ثم قال) : وقد أخذ عنه علماء الشام ، وغيرهم من العرب والأعجام . وبعد موت والده وجّه عليه تدريس البخاري الشريف تحت قبة النسر ، في شهر رجب وشعبان ورمضان بعد العصر كل يوم ، وعامة العلماء تحضره للأخذ عنه . وفي سنة ١٢٦٢ توجه المترجم إلى الحجاز بقصد النسك ، وبعد العود من الوقوف رابع يوم من عيد الأضحى توفي إلى رحمة الله ، وصلي عليه في الحرم الشريف ، ودفن في مقبرة المعلا .

فدرس إلى ان توفي في البلد الحرام ختام عام اثنين وستين ومائتين والف وكانت مدة تدريسه اثنتين واربعين سنة .

ثم تولاه بعده ولده العالم الفاضل ، والنحرير الكامل ،
الشيخ عبد الله الكزبري (١)

فدرس إلى أن توفي ، سادس وعشرين شهر ربيع الثاني سنة خمس وستين ومائتين والف ، وكانت مدة تدريسه سنتين .

ثم تولاه بعده أخوه العالم الجليل والفاضل النبيل الشيخ أحمد (٢) المترجم المذكور ، ذو المقام المشهور ، فجلس مكان أخيه تحت قبة النسر في جامع بني أمية المصون ، وابتدأ من محل ماوصل اليه أخوه من الصحيح الشريف ذي الشأن ، وفي سنة ثمان وسبعين ومائتين والف وجهت عليه نقابة أشراف الشام ، وفي سنة خمس وثمانين فصلت عنه ووجهت إلى أحمد أفندي بن

---

(١) ولد سنة ١٢٢١ ، ونشأ من أول عمره على الطاعة والدين ، ناهجاً منهج والده ، إلى أن صار معدوداً من أفراد العلماء الأعلام . وبعد وفاة والده جلس في مكانه تحت قبة النسر ، يقرأ صحيح الإمام البخاري في شهر رجب وشعبان ورمضان كل يوم بعد العصر ، ولم يزل مثابراً على ذلك إلى أن سقته المنية كأس الحمام ، وذلك سنة ١٢٦٥ هـ رحمه الله .

(٢) قال في الحلية : ولد سنة ١٢٣٦ وحضر دروس والده وغيره من العلماء الأفاضل ، وقرأ على والدي الشيخ حسن البيطار ، واستجازه فأجازه ، ثم قال : قد أحبه الولاة والحكام ، وكان جاهه لعلمه ساتراً ، ولتقدمه على أضداده ناصراً ، لأن دائرة اشتهاره كانت أوسع من دائرة علمه . وبعد موت أخيه الشيخ عبد الله سنة ١٢٦٥ جلس مكان أخيه تحت قبة النسر ، لقراءة صحيح البخاري كل يوم بعد العصر في شهر رجب وشعبان ورمضان ، إلى أن توفي سنة ١٢٩٩ وصلى عليه في الجامع الأموي أكثر أهل الشام رحمه الله تعالى .

المرحوم أمين أفندي منجك الصالح الهمام ، وفي السنة المذكورة وجهت عليه مشيخة الصمادية القادرية الكائنة في محلة الشاغور ، في قرب دار المترجم المذكور ، ولم يزل مواظباً علي الدروس والأذكار ، مع تردد الناس اليه آناء الليل وأطراف النهار ، إلى أن جذبته يد المنية ، إلى الدار الباقية العلية ، ليلة الحادي والعشرين من المحرم الحرام ، سنة الف ومائتين وتسع وتسعين وصلى عليه أكثر أهل دمشق الشام ، في جامع بني أمية ، ثم دفن في مقبرة باب الصغير رحمه الله تعالى .

الشيخ أحمد بن محمد أبو الفتح بن محمد العجلوني الازهري ابن خليل بن عبد الغني العجلوني الجعفري الشاذلي

العالم الشهير ، والشهم اللوذعي الخطير ، المولى المفضال ، المتسربل برداء السيادة والكمال ، صاحب الفضائل والأدب ، والسامي بمعارفه ذروة الرتب ، فلله دره من إمام ، حاز كل مرتبة ومقام ، تليت آيات أحاديثه في طروس ذوي الفضائل والإمداد ، فسما في سماء السيادة والإرشاد . وقد أخذ عن الشيخ أحمد بن عبيد العطار ، وعن الشيخ علي السليمي وعن الشيخ خليل الكاملي ، وله تأليفات شهيرة ، وكتابات كثيرة ، تدل على فضله وعلمه ، وغزير ذكائه وفهمه . وأخذ الطريقة الشاذلية عن والده ، ولقد أقرأ وأفاد ، وعظم قدره وساد ، وكان حسن الشمائل ، بديع الفضائل ، بريء الذمة ، عالي الهمة ، جميل السيرة ، صافي السريرة ، ولد بدمشق سنة سبعين ومائة والف ولم يزل مواظباً على الإفادة والاستفادة في العلوم ، مع إتقان المنطوق منها والمفهوم ، والعمل بالتقوى ، في السر والنجوى ، إلى أن جاءه الطلب ، إلى الفوز بالأرب ، فمات سنة اثنتين وخمسين ومائتين والف ودفن في تربة باب الصغير ، رحمة الله عليه .

الشيخ أحمد أفندي بن سعيد بن حمزة بن علي الدمشقي الحنفي الحسيني الشهير بابن عجلان

نقيب السادة الأشراف في دمشق الشام وابن نقيبها ، وأديب القادة ذوي الانصاف وابن أديبها ، فهو أحد صدور الشام ، وقمر سماء أولي المجد والاحترام ، وشمس أفق الكمال ، وبدر فلك الجمال ، إكليل الأدب الزاهر ، وزهرة غصن الفضل الناضر ، من سما في سماء المعارف والأدب ، ورقي بمحاسن كمالاته أسنى الرتب ، ولما توفي والده أحيلت نقابة الاشراف اليه ، وألقت الرئاسة زمامها لديه ، وكان له في الكرم كف ، لاتعرف القبض والكف ، ولا زال يتقلب على فرش الهنا ، محفوظاً من كل كرب وعنا ، إلى أن وقعت حادثة النصاري نهار الاثنين سادس عشر ذي الحجة الحرام سنة ست وسبعين ومائتين والف ، فاختل أمر البلد ، وأحسَّ ذوو العقل بالشرور والنكد ، فما مضى برهة أيام ، إلا وقد حضر الوزير المعظم حضرة فؤاد باشا إلى الشام ، مرخصاً بما يريد مما عز وهان ، من غير مراجعة ولا استئذان ، فبعد أيام جمع الأعيان والصدور ، وقر قراره بنفي المترجم المذكور ، ومعه الشيخ عبد الله الحلبي ، وطاهر افندي مفتي دمشق الشام ، وعمر افندي الغزي مفتي السادة الشافعية بدمشق ، وأحمد افندي الحسيبي ، وعبد الله بك بن العظم وولده علي بك ، وعبد الله بك بن نصوح باشا ، ومحمد بك العظمة ، وهؤلاء هم أهل مجلس دمشق الشام وأعضاؤه ، فنفاهم جميعاً إلى قبرص ، ووضعوا جميعاً في قلعة الماغوصة ، وكانت وفاة المترجم المذكور في شهر رمضان المبارك سنة سبع وسبعين ومائتين والف ودفن هناك في تكة الأستاذ مراد ومات عقيما ، غريباً مظلوما ، وان آل البيت أكثر الناس ابتلاء رضي الله عنه وأرضاه .

أحمد بن يوسف الشنواني المصري الشافعي المكني بأبي العز

العالم المحسوب من أفراد علماء ذلك الزمان ، والمنسوب لمن دامت مآثر

ذكرهم وان غابوا عن العيان ، فلا ريب أن شمائله في جبهة الليالي غرة ، وفضائله في جيد الأيام درة ، مع ما له من حسن الخط وجودة الإنشاء ، وجميل السيرة بين الأفاضل والعلماء ، أخذ عن الشهابين الملوي والجوهري ، وعن الشمس الحفني ، والشيخ حسن المدابغي ، ومحمد بن النعمان الطائي ، وحضر على السيد مرتضى صحيح الإمام البخاري بطرفيه(١) وصحيح الإمام مسلم بطرفيه (١) وسنن أبي داود إلى نحو ثلثيه ، وغالب الشمائل للترمذي ، وثلاثيات البخاري ، وثلاثيات الدارمي ، والحلية لأبي نعيم من أوله إلى مناقب العشرة ، وأجزاء كثيرة بحدودها في ضمن إجازته بأسانيدها . قال الشيخ الجبرتي : كان نعم الرجل صحبة وديانة وحفظاً للنوادر من الأشعار والحكايات ، فمن ذلك ما سمعته من لفظه ، قال أنشدني رجل من المغاربة بمكة وقد نسيت اسمه ، للتقي السبكي يمدح الإمام الغزالي وكتابه الإحياء :

لمحمد بن محمد بن محمـــد ... فضل على العلماء بالتمكين
أحيا علوم الدين بعد مماتها ... بكتابه إحيـــا علوم الدين

وأنشدني أيضاً للامام الغزالي يمدح الإمام الشافعي رضي الله عنهما :

ان المذاهب خيرها وأجلها ... ما قاله الحبر الإمام الشافعي
فاخترت مذهبه وقلت بقوله ... ورجوته يوم القيامة شافعي

وأصيب المترجم في آخر عمره بكريمتيه عوضه الله عنهما الجنة ونعيمها. توفي سابع وعشرين من جمادى الأولى سنة سبع ومائتين وألف .

الشيخ احمد بن محمد بن جاد الله بن محمد الختاني المالكي البرهاني

الإمام العلامة ، والوجيه الفهامة ، يعرف بأبي شوشة ، قال العلامة الجبرتي : وله مقام يزار بأم ختان بالجيزة ، نشأ في طلب العلم ، وحضر

(١) أي رواية ودراية .

أشياخ الوقت ، ولازم السيد البليدي ، وصار معيداً لدروسه بالأزهر والأشرفية ، وانتفع بملازمته له انتفاعاً كلياً ، وانتسب إليه وأجازه إجازة مطولة بخطه ، ونوه بشأنه ، فلما توفى شيخه المذكور تصدر لإقراء الحديث مكانه بالمشهد الحسيني ، واجتمع عليه الناس وحضر من كان ملازماً لحضور شيخه من تجار المغاربة وغيرهم ، واعتقدوا صلاحه ، وتحبب إليهم وواسوه بالصلات والزكوات والنذور ، وواظب الإقراء بالأزهر أيضاً ، وزيارة مشاهد الأولياء وإحياء لياليها بقراءة القرآن والذكر ، ويقوم دائماً من الثلث الأخير من الليل ويذهب إلى المشهد الحسيني ويصلي الصبح بغلس في جماعة ، وزاد اعتقاد الناس فيه واتسعت دنياه مع المداومة على استجلابها وامساكها ، وبآخره اشترى داراً عظيمة بحارة كتامة ، المعروفة الآن بالعينية بالقرب من الأزهر ، وانتقل إليها وسكنها . وكان يخرج لزيارة قبور المجاورين في كل يوم جمعة قبل الشمس ، فقصدته العرب قطاع الطريق ، فأراد الهروب وكان جسيما فسقط من على بغلته فانكسر زره وحمل إلى داره وعالج نفسه شهوراً ، حتى عوفي قليلاً ولم يزل تعاوده الأمراض حتى توفي رحمه الله تعالى سنة سبع ومائتين وألف .

الشيخ احمد بن سالم النفراوى المالكي المصرى

الإمام المفضل ، والهمام المبجل ، نشأ في حجر والده في رفاهية ، ونعمة وافية ، ورياسة وكمال ، ورفعة وجمال ، حافظاً أوقاته بالاجتهاد في الطلب ، متمسكاً للوصول إلى المعالي بأقوى سبب ، إلى أن جاءته الأماني ملقية إليه مقاليدها ، ومنيلة له طريفها وتليدها ، ولما مات والده المرقوم تعصب له الشيخ عبد الله الشبراوي حتى وجه عليه سائر وظائف والده وتعلقاته ، وأجلسه للدرس في مكان أبيه وأمر جماعة أبيه بالحضور عليه ، وكان الشيخ علي الصعيدي من أكبر طلبة أبيه فتطلع للجلوس في محله ، وكان

أهلا لذلك فعارضه الشيخ الشبراوي وأقصاه ، وصدر المترجم المذكور مع قلة بضاعته بالنسبة للشيخ علي المرقوم ولثغة في لسانــه ، فحقد الشيخ الصعيدي في نفسه عليه سنين ، وكان المترجم ذا دهاء ومكر فتصدى للقضايا والدعاوى واتخذ له أعوانا ، واشتهر ذكره ، وعلا قدره ، وعد من الكبار وترددت عليه الأمراء والأعيان . ولم يزل الصعيدي ينتهز فرصة لتأخير حاله ، والقائه في أوحاله ، الى أن أمكنته الفرصة من ذلك ، فألقاه في أودية المهالك ، ولا زال قرين الذل والهوان ، وزمانه يعاكسه فيما جل وهان ، إلى أن توفي سنة سبع ومائتين وألف ، نسأله تعالى الحفظ واللطف ، إنه رؤوف رحيم ، وقد ذكر الإمام الجبرتي بعض ذلك .

الشيخ أحمد بن موسى بن داود أبو الصلاح العروسي الشافعي المصرى الأزهرى

علامة العلوم والمعارف ، وروضة الآداب الوريقة وظلها الوارف ، جامع المزايا والمناقب ، شهاب الفضل الثاقب ، ولد سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف ، وقدم الأزهر فسمع على الشيخ أحمد الملوي الصحيح بالمشهد الحسيني ، وعلى الشيخ عبد الله الشبراوي الصحيح والبيضاوي والجلالين ، وعلى السيد البليدي البيضاوي في الأشرفية ، وعلى الشمس الحفني الصحيح مع شرحه للقسطلاني ، ومختصر ابن أبي جمرة ، والشمائل ، وابن حجر على الأربعين ، والجامع الصغير ، وتفقه على كل من الشبراوي والعزيزي والحفني والشيخ علي قايتبـاي الأطفيحي والشيخ حسن المدابغي والشيخ سابق والشيخ عيسى البراوي والشيخ عطية الأجهوري ، وتلقى بقيــة الفنون عن الشيخ علي الصعيدي لازمه السنين العديدة ، وكان معيداً لدروسه ، وسمع عليه الصحيح بجامع مرزه ببولاق ، وسمع من الشيخ أبي طالب الشمائل لما ورد مصر متوجهـاً إلى الروم ، وحضر دروس الشيخ يوسف الحفني والشيخ ابراهيم الحلبي وابراهيم بن محمد الدلجي ،

ولازم الشيخ حسن الجبرتي وأخذ عنه وقرأ عليه في الرياضيات والجبر والمقابلة وكتاب الرقايق للسبط وقولي زاده على المجيب وكفاية الفنوع والهداية وقاضي زاده وغير ذلك ، وتلقن الذكر والطريقة عن السيد مصطفى البكري ولازمه كثيراً ، واجتمع بعد ذلك على ولي عصره الشيخ أحمد العريان ، فأحبه ولازمه واعتنى به الشيخ وزوجه إحدى بناته وبشره بأنه سيسود ويكون شيخ الجامع الأزهر ، فظهر ذلك بعد وفاته بمدة لما توفى شيخنا الشيخ أحمد الدمنهوري ، واختلفوا في تعيين الشيخ فوقعت الاشارة عليه ، واجتمعوا بمقام الامام الشافعي رضي الله عنه واختاروه لهذه الخطة العظيمة فكان كذلك ، واستمر شيخ الجامع على الاطلاق ، ورئيسهم بالاتفاق ، يدرس ويعيد ، ويملي ويفيد ، وقال الجبرتي : وكان يرعى حق الصحبة القديمة والمحبة الأكيدة ، وسمعت من فوائده كثيراً ، ولازمت دروسه في المغني لابن هشام بتمامه ، وشرح جمع الجوامع للجلال المحلي والمطول وعصام على السمرقندية وشرح رسالة الوضع وشرح الورقات وغير ذلك ، وكان رقيق الطباع ، مليح الأوضاع ، لطيفا مهذبا إذا تحدث نفث الدر ، وإذا لقيته لقيت من لطفه ما ينعش ويسر ، وقد مدحه شعراء عصره بقصائد طنانة .

ومن كلامه ما كتبه مقرظا على رياض الصفا لشيخنا السيد العيدروس هذان البيتان :

أخي طالعن في رياض الصفا — وكن وارداً في مياه الوفا
وقل يا إلهي سلم لنا — وجيها حباه كمال اصطفا

وكتب على تنميق السفر له مضمنا ما نصه :

كتاب على السحر البيان قد انطوى — وحكمة شعر منه تبدو فضائله
وتنميق أسفار لحضرة سيد — هو البحر علما وافر العقل كامله

إذا رمت أسرار البلاغة فهو في قصائده الحسنى التي لاتماثله

عرائس أفراح وعقد جمانها بمختصر المدح المطول قائله

« وإني وإن كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه أوائله »

وكتب على النفحة مانصه :

نفحة المولى الوجيه العيدروس نشرها يحيا به موت النفوس

عطرها باهي وذاك عرفه ذكر الأرواح عهداً قد تنوسي

جمعت من غرر العرفان ما فاق أبهى درر العقد النفيس

وله أيضاً وقد كتب على تنميق الأسفار له :

ألاح ضوء المنى عن برق أسفار أم أشرق الكون من تنميق أسفار

أم اليواقيت قد جاءت منظمة في عقد در بدا في بعض أسفار ؟

اني لأقسم بالرحمن مدحي عبـده الذي سره بين الورى ساري

العيدروسي ذو الفضل الجليل وذو المجد العلي وسر الخالق الباري

إن الذي صاغه من نور تكرمة من جوهر عز لا من نظم أشعار

وله أيضاً عليه :

أسر لائح ساري سرى في نوره الساري

ونور باهر باه به زند الهوى واري

وبدر سره زاه بدا في حسن أسفار

وعقد الجوهر المكنو ن أم تنميق أسفار

كتاب بل عباب فيه فلك الهوى جاري

ومن كلامه يمدح الأستاذ عبد الخالق بن وفا :

شموس لها أفق السعادة مطلع أبت في سوى برج السعادة تطلع

معارج فضل ليس يرقى سنامها سوى مفرد في عزه ليس يشفع

سما أفقها السامي أولو المجد والوفا وصد سواهم عن سناها وصدعوا

كواكب هدي قد أضاء بنورهم سبيل لمن يبغي الرشاد ومهيع
هم السادة الأمجاد والقادة الألى بكل كمال جاببوا وتدرعوا
هم الشاربو راح التقرب والصفا وكأسهم الأصفى مدى الدهر مترع

وهي طويلة ، ولم تزل كؤوس فضله على الطلبة مجلوة ، حتى ورد موارد الموت فبدلت بالكدر صفوه ، وأيّ صفاء لايكدره الدهر ، ولم يرشقه بسهام فصم العمر ، فدعاه الله تعالى إلى الجنان ، وتلقاه جيش الرحمة والرضوان ، وذلك في حادي وعشرين من شعبان سنة ثمان ومائتين والف ودفن بمدفن عمه الشيخ العريان ، تغمدهما الله بالرحمة والرضوان . ومن تآليفه شرح على نظم التنوير ، في إسقاط التدبير للشيخ الملوي ، وحاشية على الملوي على السمرقندية وغير ذلك . ورثاه الشيخ اسماعيل الخشاب بقوله :

تغير وجه الدهر وازورّ جانبه وجاءت باشراط المعاد عجائبه
وكدر صفو العيش وقع خطوبه وقد كان ورداً صافيات مشاربه
فما لي لا أذري المدامع حسرة وافق سماء المجد تهوي كواكبه
وما لي لاأبكي على فقد ذاهب موصلة لله كانت مذاهبه
امام هدى للهدى كان انتدابه فلا كان يوم فيه قامت نوادبه
أغرُّ سنى شمس الضحى دون وجهه وفوق مناط الفرقدين مراتبه
حليف ندى كالسيل سيب يمينه وكالبحر تجري للعفاة مواهبه
أخو ثقة بالله في كل موطن على أنه ما انفك خوفاً يراقبه
له عفو ذي حلم ورأي أخي نهى يضيء لدى محلولك الخطب ثاقبه
على نهج أهل الرشد عاش وقد مضى مطهـــرة أردانه وجلابيه
فمن ذا الذي ندعو لكل ملمة ونرجو إذا ما الأمر خيف عواقبه
ومن ذا لإيضاح المسائل بعده وحل عرى ماقبل أعيت مطالبه
لقد هد ركن الدين حادث فقده وشابت له من كل طفل ذوائبه

وصدع أركان العلا وتقوضت ... لذاك عروش الغير ثم جوانبه
وغادر ضوء الصبح أسود حالكا ... كأن الدجى ليست تزول غياهبه
ألم تر أن الأرض مادت بأهلها ... وإن الفرات العذب قد غص شاربه
سطت نوب الأيام بالعلم الذي ... تزال به عن كل شخص نوائبه
عجبت لهم أنى اقلوا سريره ... وقد ضم طوداً أي طود يقاربه
وكيف ثوى البحر الخضم بحفرة ... وضاق بجدواه الفضا وسباسبه
خليلي قوما فابكيا لمصابه ... بمنهل دمع ليس ترقا سواكبه
لقد آد إذ أودى وأعقب مذ مضى ... اسى يجعل الاحشا جذاذا تعاقبه
وأي شهاب ليس يخبو ضياؤه ... وأي حسام لاتفل مضاربه
وأي فتى أيدي المنية أفلتت ... وأي فتى وافته يوماً مآربه
وماذا عسى تبغي من الدهر بعدما ... اصمت وأصمت كل قلب مصائبه
يعز علينا أن نراه ببرزخ ... تمازج ترب الأرض فيه ترائبه
سقى قبره الغيث الملث وأمطرت ... عليه من الرضوان سحاً سحائبه
وحل بفردوس الجنان منعماً ... ولاقته فيه حوره وكواعبه

الشيخ أحمد شهاب الدين بن محمد بن عبد الوهاب السمنودي المحلي الشافعي

الإمام العلامة ، والرحلة الفهامة ، بقية المحققين ، وعمدة المدققين ، من بيت أهل العلم والصلاح ، والرشد والفلاح ، وأصلهم من سمنود . ولد هو بالمحلة وقدم الجامع الأزهر ، وحضر على الشمس السجيني والعزيزي والملوي والشبراوي وتكمل في الفنون العربية ، وتلقى عن السيد علي الضرير والشيخ محمد الغلاني الكشناوي مشاركا للشيخ حسن الجبرتي وللشيخ ابراهيم الحلبي ، وعاد إلى المحلة فدرس في الجامع الكبير مدة ثم أتى إلى مصر بأهله وعياله ومكث بها وأقرأ بالجامع الأزهر درساً وتردد إلى الأكابر والأمراء وأجلّوه ، وقرأ في المحمدية بعد موت الشنويهي

في المنهج ، وانضم إلى الشيخ أبي الأنوار السادات ، ويأتي اليه في كل يوم ، وكان انسانا حسنا بهي الشكل لطيف الطباع ، عليه رونق وجـلالة ، جميل المحادثة حسن الهيئة ، توفي بعد أن تمرض دون شهر عن مـائة وست عشرة سنة » مع كونه كامل الحواس ، اذا نهض نهوض الشباب ، وكانت وفاته سنة تسع ومائتين وألف ودفن ببستان المجاورين . وكان يتكتم مدة عمره كما نقل ذلك الجبرتي .

الشيخ أحمد بن يونس الخليفي الشافعي الأزهري المصري

الإمام العلامة ، واللوذعي الفهامة ، رئيس المحققين ، وعمدة المدققين ، النحوي المنطقي الجدلي الاصولي ، قال العلامة الجبرتي : ولد المترجم سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف كما سمع من لفظه ، وقرأ القرآن وحفظ المتون وحضر على كل من الشبراوي والحفني وأخيه الشيخ يوسف والسيد البليدي والشيخ محمد الدفري والدمنهوري وسالم النفراوي والطحلاوي والصعيدي ، وسمع الحديث على الشهابين الملوي والجوهري ، ودرس وأفـاد بالجامع الأزهر ، وتقلد وظيفة الإفتاء بالمحمدية عندما انحرف يوسف بك عـلى الشيخ حسن الكفراوي ، فاتخذ الشيخ أحمد أبا سلامة أميناً على فتاويه لجودة استحضاره في الفروع الفقهية ، وله مؤلفات ، منها حاشية على شرح شيخ الاسلام على متن السمرقندية في آداب البحث ، وأخرى على شرح الملوي في الاستعارات ، وأخرى على شرح المذكور على السلم في المنطق ، وأخرى على شرح شيخ الإسلام على آداب البحث ، وأخرى عـلى شرح الشمسية في المنطق ، وأخرى على متن الياسمينية في الجبر والمقابلة ، وشرح على أسماء التراجم ، ورسالة في قولهم واحد لا من قلة ، وموجود لا من علة ، ورسالة متعلقة بالأبحاث الخمسة التي ردها الشيخ الدمنهوري ، ولازم الشيخ حسن الجبرتي مدة وتلقى عنه بعض العلوم الغريبة ، وكملهـا بعد وفاته على تلميذه محمود أفندي النيشي ، وكان جيد التقرير ويميل بطبعه

لذوي الوسامة والوجوه الحسان من الأولاد والشبان ، فإذا رجع من درسه خلع زي العلماء ولبس زي العامة وجلس بالأسواق ، وخالط الرفاق ، ويمشي كثيراً بين المغرب والعشاء بالتخفيفة . مات في أوائل رجب سنة تسع ومائتين والف .

الشيخ أحمد بن أحمد السماليجي الشافعي الأحمدي
المدرس بالمقام الاحمدي بطندتا

الفقيه العلامة الصالح الصوفي ، قال الشيخ الجبرتي : ولد ببلدة سماليج بالمنوفية ، وحفظ القرآن ، ثم جاء إلى مصر وحضر على الشيخ عطيــة الأجهوري والشيخ عيسى البراوي والشيخ محمد الحشني والشيخ أحمد الدردير ، ورجع إلى طندتا فاتخذها سكنا وأقام بها يقرىء دروساً ويفيد الطلبـة ويفتي على مذهبه ، ويقضي بين المتنازعين من البلاد ، فراج أمره واشتهر ذكره بتلك النواحي ، ووثقوا بفتياه . وقوله ، وأتوه أفواجاً بمكانـه المسمى بالصف فوق باب المسجد المواجه لبيت الخليفـة ، وتزوج بامرأة جميلة الصورة من بلد الفرعونية وولد له منها ولد سماه أحمد كأنما أفرغ في قالب الجمال ، وأودع بعينيه السحر الحلال ، فلما ترعرع حفظ القرآن ، والمتون ، وحضر على أبيه في الفقه والفنون ، وكان نجيباً جيد الحافظة يحفظ كل شيء سمعه من مرة واحدة ، ونظم الشعر من غير قراءة شيء في علم العروض .

أول ما رأيته في سنة تسع وثمانين ومائة والف في أيام زيارة سيدي أحمد البدوي فحضر إلي وسلم علي وآنسني بحفظ ألفاظه ، وجذبني بسحر الحاظه ، وطلب مني تميمة فوعدته بارسالها وأبطأت عليه فكتب إليّ أبياتاً في ضمن مكتوب وهي :

يا أيها المولى الهمـــا م ومن رقى رتب العلا

يامفرداً في عصره ومفضلا بين الملا
يايوسف العصر الذي عنه فوآدي ماسلا
ياعبد رحمن الورى ياذا المحاسن والحلا
يا ابن الجبرتي الذي اعطيت ذكرا اجملا
مني اليك تحية ماحن مشتاق الى
جمالك الفرد الذي به المعنى اشتغلا
او لاح نجم في الدجى او سار ركب في الفلا
هذا وقد واعدتني بتميمة تسمو على
حرز الأماني التي ما مثلها حرز حلا
فاسمح وجد ياسيدي وانعم بها وتفضلا
ولا تطع في صبك المضى الشجي العذلا
وامنن برد جوا به فالجسم منه انتحلا
والطرف امسى ساهراً والصبر عنه ارتحلا
والبعد قد أورثه سقما فلا حول ولا

ولما بلغ ، زوجه والده بزوجتين في سنة واحدة ، ولم يزل يجتهد ويشتغل حتى مهر وانجب ودرس لجماعة من الطلبة ، وحضر الى مصر مع والده مرارا . وفي ايام شبابه نشبت به اظفار المنية ، وحالت بينه وبين الأمنية ، وذلك في سنة ثلاث ومائتين والف ، وخلف ولدا صغيرا استأنس به جده المترجم ، وصبر على فقد ابنه وترحم ، وتوفي هو أيضاً سنة تسع ومائتين والف رحمهم الله تعالى امين .

الشيخ احمد بن موسى بن احمد بن محمد البيلي العدوي المالكي الازهري

الإمام العمدة الفقيه ، والهمام الصفوة النبيه ، المتقن العلامة ، المتفنن الفهامة ، عين أعيان الفضلاء ، ونخبة افراد العلماء ، ولد ببني عدي كما ذكره الإمام الجبرتي سنة احدى واربعين ومائة والف وبها نشأ فقرأ القرآن ، وقدم الجامع الأزهر ولازم الشيخ علي الصعيدي ملازمة كلية حتى مهر في العلوم ، وبهر فضله في

الخصوص والعموم ، وكان له قريحة جيدة ، وحافظة غريبة ، يملي في تقريره خلاصة ماذكر أرباب الحواشي ، مع حسن سبك ، والطلبة يكتبون ذلك بين يديه . وقد جمع من تقاريره على عدة كتب كان يقرؤها حتى صارت مجلدات ، وانتفع بها الطلبة انتفاعا عاماً ؛ ودرس في حياة شيخه سنين عديدة ، واشتهر بالفتوح ، وكان الشيخ علي الصعيدي يأمر الطلبة بحضوره وملازمته ، وكان فيه انصاف زائد وتؤدة ومروءة ، وتوجه الى الحق ، ولديه أسرار ومعارف وفوائد وتمائم وعلم بتنزيل الأوفاق والوفق المثيني العددى وطرائق تنزيله بالتطويق والمربعات وغير ذلك ، ولما توفي الشيخ احمد الدردير ولي مشيخة رواق الصعايدة وله مؤلفات منها مسائل كل صلاة بطلت على الامام ، وغير ذلك .

ولم يزل على حالته وافادته وملازمة دروسه ومحافظته على الجماعة حتى توفي سنة اربع عشرة ومائتين والف ودفن في تربة المجاورين رحمه الله .

الشيخ احمدبن ابراهيم الشرقاوى الشافعي الازهري

العلامة الفاضل ، والشيخ العمدة الكامل ، قرأ على والده وتفقه وانجب ، ولم يزل ملازما لدروسه حتى توفي والده فتصدر للتدريس في محله واجتمعت عليه طلبة أبيه وغيرهم ، ولازم مكانه بالازهر طول النهار يملي ويفيد ويفتي على مذهبه ويأتي اليه الفلاحون من جيرة بلاده بقضاياهم وخصوماتهم وانكحتهم فيقضي بينهم ويكتب لهم الفتاوي في الدعاوي التي يحتاجون فيها الى المرافعة عند القاضي ، وربما زجر المعاند منهم وضربه وشتمه ، ويستمعون لقوله ويمتثلون لأحكامه ، وربما اتوه بهدايا ودراهم ، واشتهر ذكره . وكان جسيما عظيم اللحية فصيح اللسان ولم يزل على حالته حتى اتهم في فتنة الفرنسيس المتقدمة في ترجمة ابي بكر باشا الطرابلسي ، ومات مع من قتل بيد الفرنساوية بالقلعة ، ولم يعلم له قبر ، وكان ذلك سنة اربع عشرة ومائتين والف رحمه الله .

الشيخ احمد بن رمضان بن مسعود الطرابلسي المقرىء الازهرى المعروف بالشيخ شامل

العمدة الفاضل ، والنبيه الكامل ، والوجيه العالم العامل ، حضر من بلده طرابلس الغرب الى مصر في سنة احدى وتسعين وجاور في الأزهر وكان فيه استعداد ، وحضر دروس الشيخ احمد الدردير والبيلي والشيخ ابي الحسن الغلقي وسمع على شيخنا السيد مرتضى المسلسل بالأولية وغير المسلسل أيضاً ، وأخذ منه الاجازة في سنة اثنتين وتسعين ، ولما مات الخواجا حسن البناني من تجار المغاربة ، فتوصل الى ان تزوج بزوجته بنت الغرباني وسكن بدارها الواسعة بالكعكيين ، وتجمل بالملابس وتودد للناس بحسن المعاشرة ومكارم الاخلاق ، وكان سموح النفس جداً دمث الطباع والاخلاق جميل العشرة ، ولما عزل السيد عبد الرحمن السفاقسي الضرير من مشيخة رواقهم كان المترجم هو المتعين لذلك دون غيره ،فتولى مشيخة الرواق بشهامة وكرم ، ونوه بذكره وزادت شهرته . وكان وجيها طويل القامة بهي الطلعة بشوشاً ، ولما تولى مشيخة الرواق امتدحه الشيخ حسن العطار بقصيدة اشار في مطلعها اشارة خفية لحالته مع المترجم المتولي والسيد عبد الرحمن المعزول ، لصداقة بينه وبين المتولي بخلاف المعزول ، واول القصيدة :

انهض فقد ولت جيوش الظلام	وأقبل الصبح سفير اللثام
وغنت الورق على ايكها	تنبه الشرب لشرب المدام
والزهر اضحى في الربا باسماً	لما بكت بالطل عين الغمام
والغصن قد ماس بأزهاره	لما غدت كالدر في الانتظام
وعطر الروض مرور الصبا	على الرياحين فأبرا السقام
كأنما الورد على غصنه	تيجان ابريز على حسن هام
كأنها الغدران خلجان	اغصان النقا والنهر مثل الحسام

كأن منظوم الزراجين يا قوت غدا من نظمه في انسجام

كأنما الآس عـذار على وجنته وقد علاها ضرام

كأنما الورقاء لما شدت تتلو علينا فضل هذا الامام

ثم استمر في مدحه وهي طويلة مسطرة في ديوان الناظم المذكور يقول في آخرها .

بشراك مولانا على منصب كان له فيك مزيد الهيام

وافاك اقبال به دائما وعشت مسعودا بطول الدوام

فقد رأينا فيك مانرتجي لا زلت فينا سالما والسلام

ولما حصلت واقعة الفرنسيس خرج تلك الليلة مع الفارين وذهب الى بيت المقدس وتوفي هناك سنة اربع عشرة ومائتين والف .

السيد احمد بن احمد الشهير بالمحروقي الحريرى

كان من صدور مصر واعيانها وامرائها وكانت له يد طولى وكلمة نافذة وشهرة وافية ، وسطوة كافية ، وكان رجلا صالحاً نير الطلعة معروفا بصدق اللهجة ، وافر الامانة ، حسن الديانة ، وكان والده ملازما للدعاء له في صلاته ، وسائر حركاته وسكناته ، فاستجاب الله دعاءه فيه فتقدم على اقرانه ، وانفرد في عصره واوانه ، فكان الحكام لايشيرون الا اليه ، ولم يزل يعلو مكانه ويسمو مقامه الى ان تعلقت به اظفار المنية سنة تسع عشرة ومائتين والف .

السيد احمد بن السيد زيني دحلان المكي مفتي الشافعية بمكة المحمية

فريد العصر والأوان ، عليّ الهمة عظيم الشان ، علم العلماء الاعلام ، وملجأ السادة الكرام ، عمدة الافاضل ، ونخبة ذوي الشمائل ، من طار ذكره في الاقطار ، واشتهر فضله وقدره في النواحي والأمصار ، واعترف له ذوو الإجلال ، بانه قد استوى على ذروة الكمال ، ولي إفتاء الشافعية ،

بمكة عاصمة البلاد الحجازية ، فازداد حبه لدى الخاص والعام ، وعظمته قلوب الأهالي والحكام ، وكان لطيف المعاشرة ، حسن المسايرة ، سارفي منهج العلم والأدب من صغره ، واعتاد قطف ثمرات الرفعة من ابتداء عمره ، وحضر دروس الافاضل ، الى أن جلس معهم على مائدة الفضائل ثم لا زال يترقى مقامه ، ويخضع له مطلوبه ومرامه ، الى أن انفرد في جلالته ، وانجبلت القلوب على مهابته ، وله كتابات حسنة ، وتأليفات مستحسنة ، من جملتها الفتوحات الإسلامية ، بعد مضي الفتوحات النبوية ، وهو كتاب مفيد ، لكل طالب ومستفيد ، ولما تم بدر اشراق جمعه وعم الانام حسن طبعه ، ارخه الهمام المحفوظ من حاسد وشاني ، عبد الحميد ابن محمد فردوس المكي الأفغاني ، فقال :

قف بي على تلك الربا ثم سل … عن ربع سعدى والجناب الرحيب
وانشر حديث الوجد في حيهم … كي يرحموا الصب المعنى الكئيب
واذكر لهم عهداً مضى بالهنا … في غفلة الواشي وقرب الحبيب
واشرح لهم حال معنًّى بهم … ما مال عنهم طرفة للرقيب
احبابنا ان واصلوا أو نأوا … لاحول لي عنهم ولا لي مجيب
حتى م هذا العذل ياعاذلي … كم ذا يقاسي القلب عذل المريب
رفقا بمن اضناه سقم الجوى … والدمع فوق الخد يبدو صبيب
اضحى مقيما بين أهل وصحب … لم يداروه وغاب الطبيب
والنفع لم يحصل له سوى … فيض كتاب نافع للاديب
حاوي المغازي والفتوحات قد … فاق التواريخ بوضع عجيب
تأليف مولانا امام الهدى … الكامل الفرد الحسيب النسيب
اعني رئيس العلم في مكة … مفتي الانام اللوذعي الاريب
يارب فاحفظه لنا دائما … مرتقيا في رغد عيش خصيب
فالطبع لما تم تاريخه … نصر من الله وفتح قريب

وكان رئيس علماء الحجاز ، ومقدمهم في الحقيقة والمجـاز ، وكانت الامارة الحجازية تنظر اليه بعين الرعاية ، وتضمه اليها ضم العناية ، ولم يزل مقامه يعلو ، وقدره يسمو ، الى ان اختارته الآخرة ، للمراتب الفاخرة ، توفي رحمه الله تعالى في المحرم سنة اربع وثلاثمائة والف ودفن في البلد الحرام ، في مقبرة المعلى ذات المقام أعلى الله مقامه ، وبلغه مرامه .

الشيخ احمد بن عبد القادر بن احمد بن محمد الاعزازي الحنفي المكتبي وكنيته ابو العباس

الفقيه البركة الصالح الفالح الناجح . مولده بعزاز قصبة قرب كليس سنة خمس واربعين ومائة والف ، وقرأ القرآن العظيم وحفظه وجوده وتفقه على ابي محمد عبد الغني المفتي وعلى ابى عبد الله محمد المؤذن واخذ عنهم ، وقرأ على غيرهم واستقام بحلب مدة عمره ، وكان يقرىء الاطفال القرآن العظيم مستقيما على وظائف العبادة والطاعات قائما بها ، كثير الديانة والتقوى ، واعتقده الناس واحبوه ، واشتهر صلاحه وورعه بين العموم ، واخذ عنه محمد خليل افندي المرادي واستجازه . وما زال على تقواه واستقامته الى ان توفي عام الف ومائتين وخمسة عشر تقريباً .

الشيخ احمد بن عبد الله بن منصور الحلبي البابلي الشافعي الاشعري

الفقيه الصوفي العالم العامل ؛ الورع الزاهد العابد الفاضل الكامل ، ولد سنة احدى وثلاثين ومائة والف ونشأ في طلب العلم ، وكان جيد القريحة سريع الفهم ، اخذ الفضائل عن جملة من الافاضل ، منهم ابو محمد عبد القادر الخلي ومحمد بن حسين الزمـار والبدر حسن السرميني والنور على الآلتونجي وصالح بن رجب المواهبي وولده محمد وأبو الثناء محمود بن شعبان البزستاني وقاسم بن محمد البكرجي وأبو اليمن محمد

العقاد وعلي بن ابراهيم العطار وأبو السعادات طه بن مهنا الجبريني وابن الطيب المغربي المالكي وقاسم بن محمد النجار وأبو محمد عبد الكريم بن أحمد الشراباتي ومصطفى بن عبد القادر الملقي ولازمه إحدى عشرة سنة وانتفع به. وسمع على الجميـــع وحضر مجالس التحديث والاستماع، ولازم دروسهم ووعظهم وأذكارهم وأحسن في معاملتهم وتباعد عن مخالفتهم إلى أن ألفته الطباع، وانعقد على فضله الإجماع، وكان حسن الأخلاق، متحملاً في أمور الناس من تلطيفهم وحسن معاشرتهم مالا يطاق، مرضي الأفعال، كثير التودد مع البشر والكمال، وقد انتقل إلى قريته بابلي، فيزورونه مع قيامه بإكرامهم وتقديم مايحتاجونه من واجب المعروف اليهم.

وما زال على حاله، مع ازدياد في كماله وجماله، ينتفع الناس بعلومه ودعائه، ويقصدونه لمشاورته في الحوادث وأخذ آرائه، إلى أن دعته المنية إلى الدار الأخروية فلبى وأجاب، متزوداً لآخرته من كل مالذ وطاب، وذلك سنة الف ومائتين ودون العشرين.

الشيخ أحمد بن الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله الخاني الخالدي النقشبندي الحنفي الدمشقي

أحد العلماء الاعلام، وأوحد الجهابذة الفخام، الفاضل التقي، والكامل النقي، مولده في دمشق سنة الف ومائتين واثنتين وخمسين. نشأ في حجر والده المرقوم وقرأ القرآن وأتقنه، واجتهد في الطلب على والده، وكان يحضر معنا في غالب دروس شيخنا العلامة الشيخ محمد الطنطاوي، وطلب على أخيه الشيخ محمد أفندي فحضر الصحيحين وبعض كتب التصوف، وأخذ عن والده الطريق النقشي واشتغل به كثيراً حتى حصل له روحانية عظيمة، مع تواضع وحسن خلق ورقة طبع ومعاشرة لطيفة وجود وكرم.

وكان شافعي المذهب، إلا أنه لما تولى القضاء في بعض الأمكنة للضرورة

الداعية لذلك ألزمته ظروف الأحوال للانتقال لمذهب سيدنا الإمام أبي حنيفة النعمان قدس الله تعالى سره ، وبقي مدة في النيابة تارة في بعض المحاكم الشرعية الدمشقية ، وتارة في بعض البلاد وخارج الشام مع عفة وصيانة وديانه ، وحكم بالحق ، مع التروي والوقوف على حدود الشرع ، مستنداً إلى النقل والتثبت في الأحكام ، ثم ترك القضاء تعففاً وجنح إلى التكسب بالفلاحة والزراعة ، ومالت نفسه إلى العزلة والتباعد عن الاختلاط إلا فيا فيه أمر شرعي كزيارة صديق وعيادة مريض وتشييع جنازة وإصلاح بين خصمين وحضور مجلس علم وأمثال ذلك ، وله حسن هيئة ومحبة في قلوب الناس وهيبة وجاه وقبول كلام لإخلاصه وعدم غايته في شيء ، غير أن الدنيا لم يكن بينها وبينه امتزاج فكانت تعاكسه كما هو عادتها مع كل من لا يصونها عن الصرف ، فانها تألف من يضن بها حتى على نفسه وهو على خلاف ذلك ، فإنه يهوى الجود والكرم وإطعام الطعام ، وبذل الموجود والاكرام ، مع إظهار أن المنة لغيره عليه ، ولذلك عاد إلى تولي النيابات عن إحتياج ، وداء الاحتياج ليس له من علاج ، فهو الداعي إلى تعاطي مالا يراد ، وليس للعبد خروج فيا قضى الله وأراد ، وبالجملة فهو فرد نادر ، ويحق له أن يذكر بأنواع المفاخر ، أحسن الله الينا واليه ، ومن بالإحسان علينا وعليه آمين .

توفي رحمه الله تعالى غب داء أعيا الأطباء يوم الأحد صباحاً في الخامس والعشرين من ذي القعدة الحرام سنة الف وثلاثمائة وسبع عشرة ودفن في مقبرة شيخ الحضرة في جبل قاسيون رحمه الله تعالى .

الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي حامد العدوي المالكي الازهري الخلوتي الشهير بالدردير

العالم العلامة أوحد وقته في الفنون العقلية والنقلية ، شيخ أهل

الإسلام ، وبركة الأنام ، له كلمات حسنة العبارة ، وبديعة الحقيقة والاستعارة ، كأنما هي بواكير الأثمار ، أو يانع الأزهار ، تدل على أنه قطب الفضائل ، وفرد الأفاضل ، وهو من رجال تاريخ الإمام المؤرخ الشيخ عبد الرحمن الجبرتي المسمى عجائب الآثار ، في التراجم والأخبار ، فقال في ترجمته ، أسبغ الله علينا وعليها سجال رحمته ، ولد ببني عدي كما أخبر عن نفسه سنة سبع وعشرين ومائة والف ؛ وحفظ القرآن وجوده وحبب اليه طلب العلم فورد الجامع الأزهر وحضر دروس العلماء وسمع دروس الشيخ محمد الدفري ، والحديث على كل من الشيخ أحمد الصباغ وشمس الدين الحفني وبه تخرج في طريق القوم ، وتفقه على الشيخ علي الصعيدي ولازمه في جل دروسه حتى انجب ، وتلقن الذكر وطريق الخلوتية من الشيخ الحفني وصار من أكبر خلفائه كما تقدم ، وأفتى في حياة شيوخه مع كمال الصيانة ، والزهد والعفة والديانة ، وحضر بعض دروس الشيخين الملوي والجوهري وغيرهما ولكن جل اعتماده وانتسابه على الشيخين الحفني والصعيدي ، وكان سليم الباطن مهذب النفس كريم الأخلاق ، وذكر لنا عن لقبه أن قبيلة من العرب نزلت بيلده وكبيرهم يدعى بهذا اللقب فولد جده عند ذلك فلقب بلقبه تفاؤلاً لشهرته ، وله مؤلفات ، منها شرح مختصر خليل أورد فيه خلاصة ماذكره الأجهوري والزرقاني واقتصر فيه على الراجح من الأقوال ، ومتن في فقه المذهب ، سماه أقرب المسالك لمذهب مالك ، ورسالة في متشابهات القرآن ، ونظم الخريدة السنية في التوحيد وشرحها ، وتحفة الاخوان في آداب أهل العرفان في التصوف ، وله شرح على ورد الشيخ كريم الدين الخلوتي ، وشرح مقدمة نظم التوحيد للسيد محمد كمال الدين البكري ، ورسالة في المعاني والبيان ، ورسالة أفرد فيها طريقة حفص ، ورسالة في المولد الشريف ، ورسالة في شرح قول الوفائية يامولاي ياواحد يامولاي يادائم ،

يا علي يا حكم ، وشرح على مسائل كل صلاة بطلت على الإمام والأصل للشيخ البيلي ، وشرح على رسالة في التوحيد من كلام دمرداش ، ورسالة في الاستعارات الثلاث ، وشرح على آداب البحث ، ورسالة في شرح صلاة السيد أحمد البدوي ، وشرح على الشمائل لم يكمل ، ورسالة في صلوات شريفة اسمها المورد البارق في الصلاة على أفضل الخلائق ، والتوجه الأسنى بنظم الأسماء الحسنى ، ومجموع ذكر فيه أسانيد الشيوخ ، ورسالة جعلها شرحاً على رسالة قاضي مصر عبد الله أفندي المعروف بططر زاده في قوله تعالى « يوم يأتي بعض آيات ربك » الآية . وله غير ذلك ، ومما سمعت من إنشاده :

من عاشر الأنام فليلتزم سماحة النفس وذكر [١] اللجاج
وليحفظ المعوج من خلقهم أي طريق ليس فيها اعوجاج

ولما توفي الشيخ علي الصعيدي تعين المترجم شيخاً على المالكية ، ومفتياً وناظراً على وقف الصعايده ، وشيخاً على طائفة الرواق ، بل شيخاً على أهل مصر بأسرها في وقته حساً ومعنى ، فإنه كان رحمه الله يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويصدع بالحق ولا تأخذه في الله لومة لائم ، وله في السعي على الخير يد بيضاء .

تعلّل أياماً ولزم الفراش مدة ، حتى توفي في سادس شهر ربيع الأول من سنة إحدى ومائتين وألف وصلي عليه بالأزهر بمشهد عظيم حافل ، ودفن بزاويته التي أنشأها بخط الكعكيين بجوار ضريح سيدي يحيى بن عقب ، وعندما أسسها أرسل إليّ وطلب مني أن أحرر له حائط المحراب على القبلة ، فكان كذلك ، وسبب إنشائه للزاوية أن مولاي محمد سلطان المغرب كان له صلات يوصلها لعلماء الأزهر ، وخدمة الأضرحة ، وأهل الحرمين في بعض السنين ، وتكرر منه ذلك ، وأرسل على عادته في سنة

---

(١) لعل الصحيح : وترك .

ثمان وتسعين مبلغا ، وللشيخ المترجم قدراً معيناً له صورة ، وكان لمولاي محمد ولد تخلف بعد الحج وأقام بمصر مدة ، حتى نفد ماعنده من النفقة ، فلما وصلت تلك الصلة أراد أخذها ممن هي في يده ، فامتنع عليه وشاع خبر ذلك في الناس وأرباب الصلات ، وذهبوا إلى الشيخ بحصته فسأل عن قضية ابن السلطان فأخبروه عنها وعن قصده وانه لم يتمكن من ذلك ، فقال والله هذا لايجوز وكيف أننا نتفكه في مال الرجل ونحن أجانب ، وولده يتلظى من العدم ؟ هو أولى مني وأحق ، أعطوه قسمي فأعطاه ذلك ، ولما رجع رسول أبيه أخبر السلطان والده بما فعل الشيخ الدردير فشكره على فعله وأثنى عليه واعتقد صلاحه ، وأرسل له في ثاني عام عشرة أمثال الصلة المتقدمة مجازاة للحسنة ، فقبلها الأستاذ وحج منها ، ولما رجع من الحج بنى هذه الزاوية مما بقي ودفن بها رحمه الله ولم يخلف بعده مثله .

الشيخ أحمد بن أحمد بن محمد السحيمي الحنفي القلعاوي المصري

الإمام العلامة ، والفاضل الفهامة ، صفوة النبلاء ، ونتيجة الفضلاء ، وكعبة الفقهاء ، ونخبة الكرماء ، من طلعت محاسنه طلوع النجوم الزواهر ، وسعدت الأيام والليالي بآداب علومه المعجبة البواهر ، فهو الوحيد في إلقاء رغائبه ، والفريد بكثرة عجائبه وغرائبه ، تستوعب محفوظاته المقروء والمسموع ، وتجمع معلوماته ماهو في الحقيقة منتهى المجموع ، لقد برع في جميع العلوم خصوصاً في التوحيد ، فكان له فيه اليد الطولى والفهم السديد ، وهو من رجال عجائب الآثار ، في التراجم والأخبار ، فترجمه بقوله ، منبهاً على بعض فضله : تفقه على والده وعلى الشيخ أحمد الحماقي وحضر على الشيخ مصطفى الطائي الهداية والمجب ، ودرس في فقه المذهب ، وحضر عليه أيضاً المعقول وعلى غيره إلى أن صار عمدة في الفروع والأصول ، وسما قدره ، ونما ذكره ، كل ذلك مع الحشمة والديانة ، ومكارم الأخلاق والصيانة ، توفي سادس عشر شوال سنة الف ومائتين وستة ، ودفن عند والده بباب الوزير .

الشيخ أحمد بن عبد القادر بن بكري العجيلي الحجازي

عالم الحجاز ، على الحقيقة لا المجاز ، سارت الركبان بمحاسن ذكره ، وطابت الأقطار بعبير نشره ، لم يزل مجتهداً في نيل المعالي ، وكم سهر في طلبها الليالي ، حتى فاز من ذلك بالقدح المعلى ، وتجمل بملابس الفنون وتكمل بالعمل المصون وتحلى ، ولد قريباً من الألف ومائة وثلاثين وأخذ العلوم عن آبائه الكرام ، وعن غيرهم من السادات العظام ، ومن أجل مشايخه الشيخ عبد الخالق المزجاجي وقد أجازه بالاجازة العامـــة والبسه خرقة الطريق ، وأخذ أيضاً عن السيد ابراهيم بن محمد الأمير والسيد سليمان بن يحيى ، وله مؤلفات كثيرة ، هي بالقبول حقيقة وجديرة ، خصوصاً في التصوف والتوحيد والقصائد الإلهية ، والمعارف المتعلقة بالذات المحمدية ولقد شاع طيب شعره وذاع ، واطرب وشنف الاسماع ، ومن قصائده القصيدة المشهورة المسماة بعقد الجواهر اللآل ، في مدح الآل ، وقـــد شرحها شرحاً عظيماً وقرظ عليه عـدة من العلماء منهم السيد الجليل علي ابن محمد المـكي شيخ الشيوخ في مكة المشرفة وذلك سنة الف ومائتين وثلاث ولم يزل مثابراً على الترقي في العلوم ، والتوقي عن كل مذموم ، الى أن اختار الآخرة ونعمتها الباقية ، على الدنيا ولذتها الفانية ، وكان ذلك في شهر المحرم سنة الف ومائتين وواحدة .

الشيخ أحمد بن حسن الموقوي الهندي

الشيخ الولي الكبير ، والعالم المدقق النحرير ، كان من العلماء العاملين والفضلاء السالكين ، الى طريق رب العالمين ، لايراه أحـد متكلما بمباح الا لضرورة أو حاجة ، وكان يغلب عليه الحال مع اللطف وعدم السماجة :

توجـــه للاله بـــلا التفات وأبقى الغير في شغل الخيال

وكان اليف المسجد حليف المنزل ، وعن جميع الأنام بمعزل ، ومن نظمه الشريف رحمه الله تعالى قوله :

هل لي اليك وسيلة ... ألقى بها كشف الغطا
مالي اليك وسيلة ... إلا نوالك والعطا
لما نظرت حقيقتي ... فإذا أنا عين الخطا

توفي رحمه الله تعالى سنة الف ومائتين وسنة واحدة .

الشيخ أحمد بن ناصر الكبسي

كان من أئمة العلم والعمل ، بعيداً عن التقصير والقصور والكسل ، عالماً بما ينفعه متبعاً له ، متباعداً عما يضره كاسياً ثوب الوله ، ولد سنة الف ومائتين وتسع ، كان من أكبر تلامذة البدر العلامة الشوكاني . قال صاحب الديباج الخسرواني : قد اطلت في ترجمته في حدائق الزهر وتوفي رضي الله عنه سنة الف ومائتين واحدى وسبعين وفي هذه السنة كانت وفاة السيد العلامة عبد الله بن عبد الباري الأهدل في قرية مراوعة ، وكان فيه انصاف في المراجعة لايتعصب ولا يكابر ، وفيها وفاة القاضي عبد الرحمن بن محمد بمدينة زبيد ومولده سنة الف ومائة واثنتي عشرة ببلد صمدا رحمهم الله تعالى .

الشيخ أحمد اللحام اليونسي المعروف بالعريشي الحنفي

الفقيه العلامة ، والنحرير الفهامة ، وهو من رجال عجائب الآثار ، في التراجم والأخبار ، فقال في ترجمته ، منوها بفضله ورفعته : حضر من بلدته خان يونس في سنة ثمان وسبعين ومائة والف وحضر اشياخ الوقت واكب على حضور الدروس وأخذ المعقول على مثل الشيخ أحمد البيلي والشيخ محمد الجناجي والصبان والفرماوي وغيرهم ، وتفقه على الشيخ عبد الرحمن العريشي ولازمه وبه تخرج وحضر على الشيخ الوالد في الدر المختار من أول كتاب البيوع الى كتاب الاجارة بقراءته وذلك سنة اثنتين وثمانين ومائة والف ، ولم يزل ملازماً للشيخ عبد الرحمن العريشي ملازمة

كلية ، وسافر صحبته الى اسلامبول في سنة تسعين لبعض المقتضيات ، وقرأ هناك الشفاء والحكم بقراءة المترجم عليه ، وعاد صحبته الى مصر ولم يزل ملازماً له حتى حصل للعريشي ماحصل ودنت وفاته ، فأوصى اليه بجميع كتبه ، واستقر عوضه في مشيخة رواق الشوام ، وقرأ الدروس في محله ، وكان فصيحاً مستحضراً متضلعاً من المعقولات والمنقولات ، وقصدته الناس في الإفتاء واعتمدوا اجوبته ، وتداخل في القضايا والدعاوي واشتهر ذكره ، واشترى داراً واسعة بسوق الزلط بحارة المقس خارج باب الشعرية ، وتجمل بالملابس وركب البغال وصار له أتباع وخدم ، وهرعت الناس والعامة والخاصة في دعاويهم وقضاياهم وشكاويهم اليه ، وتقلد نيابة القضاء لبعض قضاة العساكر أشهراً .

ولما حضرت الفرنساوية الى مصر وهرب القاضي الرومي بصحبة كتخدا الباشا كما تقدم تعين المترجم للقضاء بالمحكمة الكبيرة ، والبسه كلهبر ساري عسكر الفرنساوية خلعة مثمنة وركب بصحبته قائمقام في موكب الى المحكمة وفوضوا اليه امر النواب بالأقاليم ، ولما قتل كلهبر انحرف عليه الفرنساوية لكون القاتل ظهر من رواق الشوام وعزلوه ثم تبينت براءته من ذلك ، الى أن رتبوا الديوان في آخر مدتهم ، ورسم عبد الله جاك منو بأن يتخيروا عدة أشخاص كلهم لائقون للقضاء ومنهم المترجم ثم يعملوا قرعة ، فعملوها كما أمرهم فلم تقم الا على المترجم فتولاه أيضاً وخلعوا عليه وركب مثل الأول الى المحكمة ، واستمر بها الى أن حضرت العثمانيون وقاضيهم فانفصل عن ذلك ولازم بيته مع مخالطة فصل الخصومات والحكومات والافتاء ، ثم قصد الحج في هذه السنة سنة الف ومائتين وثماني عشرة فخرج مع الركب وتمرض في حال رجوعه وتوفي ودفن بينبع رحمه الله .

الشيخ أحمد افندي بن عمر بن أحمد الدمشقي الحنفي الشهير بالاسلامبولي

ولد بدمشق ونشأ بها ، وكان من أعظم نبهائها وطلابها ، وقرأ على فضلائها ، الى أن صار معدوداً من علمائها ، فكان عالماً فاضلاً ، صالحاً عابداً عاملاً ، غير أنه كان فيه حدة وقساوة في الأمور وشدة ، اذا قال قولاً يصعب رجوعه عنه ، واذا فهم أمراً يعسر الانتصاف منه ، وله مؤلفات منها شرح الهداية ، (١) ومن جملة خيرياته التي تعاطاها بنفسه انه لما توفي السلطان عبد المجيد خان سنة سبع وسبعين ومائتين والف وتولى الخلافة بعده أخوه السلطان عبد العزيز ذهب المترجم الى الاستانة دار الخلافة واستحصل على نيف وسبعين براءة لخطابة بقية الجوامع في دمشق التي لم يكن لها براءات وفرقها على الخطباء بدون أن يتكلف أحد لشيء من الدراهم . مات رحمه الله سنة الف ومائتين ونيف وسبعين .

الشيخ أحمد بن محمد شمس الدين بن حسن بن يوسف الدمشقي الحنفي الخلوتي المعروف بالطباخ

الشيخ الصالح الزاهد العابد الصوفي الخلوتي المتأصل في الطريقة عن آبائه وأجداده الكرام ، والسادة العظام ، وكان شيخ الطريقة الخلوتية بعد والده . مات رحمه الله في الحادي والعشرين من ربيع الآخر سنة احدى وتسعين ومائتين والف ودفن عند قبر والده في مرج الدحداح .

الشيخ أحمد المخللاتي الدمشقي الفرضي

أحد أقاربنا العظام ، وأسلافنا السادة الكرام ، لقد برع وفاق ،

(١) وشرح الدرر في الفقه الحنفي ، وله أيضاً مناسك مختصرة ومطولة طبع أحدها في دمشق سنة ١٣٠٣ هـ وله غير ذلك ، وكان للمترجم مكتبة ثمينة بيعت في تركته ، أخذ عنه جماعة وانتفعوا به ، منهم الشيخ راغب السادات وراغب افندي الاسطواني ، والجد الشيخ عبد السلام الشطي ، والشيخ سليم المسوتي ، والشيخ صالح العش وغيرهم اهـ ملخصاً من روض البشر لصديقنا الشيخ محمد جميل الشطي رحمه الله ، وذكر ان وفاة المترجم كانت سنة ١٢٨١ هـ .

وملأت شهرته في العلوم الآفاق ، وشهدت له السادة الأفاضل ، وذوو الكمال والفضائل ، بأنه الألمعي الوحيد بقوة ادراكه ، والفريد المخصوص ببعض العلوم مع اشتراكه ، بلسان أقطع من السيف إذا تجرد من القراب ، وفكر إذا حكاه البحر في غوره وقع في الاضطراب ، ولد بدمشق في جمادى الأولى سنة ست وسبعين ومائة والف ، وكان شيخ أهل زمانه ، وإمام عصره وأوانه ، قرأ على المشايخ إلى أن برع ، وطلع بدره في أفق المعارف ولمع ، وسار على صراط التقوى والعبادة ، وتزود من الطاعة فوق العادة ، وكان مع مشاركته في العلوم ، وتحقيقه في طرفي المنطوق والمفهوم ، قد انفرد في علمي الفرائض والحساب ، وصار عمدة السادة الأنجاب ، مات رحمه الله سنة سبع وأربعين ومائتين والف ودفن في مقبرة باب الصغير .

الشيخ أحمد البقاعي الدمشقي الشافعي

أخذ عن سيدي الوالد وعن العلامة الشيخ عبد الرحمن الكزبري وعن الشيخ حامد العطار ، واشتهر صيته وطار ، وملأ النواحي والأقطار ، وكان كثير الورع زاهداً في الدنيا مقبلًا على الآخرة ، معتزلاً عن الناس راضياً بالقليل ، ليس له كلام إلا بما يتعلق بالوعظ والترغيب في التقوى والعبادة ، وكان كلامه خفيفاً على النفوس مقبولا . توفي بدمشق سنة ثمان وستين ومائتين والف ودفن في مقبرة باب الصغير .

الشيخ الإمام العالم الأديب أحمد بن علي اليافي

فاضل لايباري ، وعالم في ميدان الفضائل لايجارى ، قد عكف من صغره على العلم والعمل ، وحاز منهما على البغية والأمل ، وله من النثر والنظام ، ماتستعذب الاسماع تلاوته على مرور الليالي والأيام ، ومن ذلك ماقدمه للتهنية لخليل أفندي المرادي حين ولي إفتاء دمشق الشام فقال رحمه الله : بسم الله الرحمن الرحيم . هذه مقامة يافوية ، لمن حفه الله بكل فضل

ومزية ، حكى عبد الله بن مسلم فقال مازلت مذنيط على الإزار ، وبلغت خمسة أشبار ، مقبلاً على الأعلام والعلوم ، وراغباً في تحصيلهـا بالحدود والرسوم ، راغباً عن الأعلام والرسوم ، فسايرت العلماء ، وسامرت الأدباء ، حتى صار لي ذلك شنشنه ، وذكرت به في جميع الألسنة ، فبينما أنا راتع في تلك الرياض ، ووارد عذب تلك الحياض ، أجتني من تلك الأثمـار ، وأقطف من هاتيك الأزهار ، إذ هتف بي هاتف ، وأنا في خلال أشجارها طائف ، فراعني كمال الارتياع ، وقرع مني صماخ الاسماع ، وقال لي أين أنت عما نقل من الإجمـاع ، قلت ماذا وعلى ماذا الإجماع ، قال على وجوب معرفة الله ، عز وتعالى عن الاشباه ، وعلى معرفة صفات الإكرام والجمال ، ومعرفة صفات التنزيه والجلال ، فتأملت الهاتف بحقيقة النظر ، فإذا هو علامة البشر ، والعقل الحادي عشر ، فقلت أرشدني إلى من يفهمني ذلك ، ويخرجني من ربقة المهالك ، فقال اقصد علامة الأنام ، ومفتي الخاص والعام ، القـاطن بمحمية دمشق الشام ، فلعمر الله إنه فاضل مجيد ، يرشدك إلى معرفة التوحيد ، ففوضت عنان السفر ، ورحلت لأنظر حقيقة الأمر ، فما زلت كأني تائه ، أجوب الربا والمهامه ، وأجد السير والسرى ، وأتصفح وجوه البلاد والقرى ، أسمعُ الثغام [١] والبغام [٢] ، وأقد [٣] ظهران النعام ، حتى توسمت ربى مدينته ، ولاحت لي أنوار طلعته ، بعثت رائدي وسفيري ، كما هو دأبي في مسيري ليتحقق لي الخبر ، وأميط عني وعثاء السفر ، فمكثت هنيهة ، وأنا على أحسن هيئة ، فحضر وقال أنا لك البشير ، فقد استشرفت على العالم النحرير ، هذا سيبويه النحو والرضى ، وابن هاني في شعره وبيانهِ المضي ، إلى أن قال : فلما رأيته تبسم ، وكان قد تلثم ، تأمله ناظري ، وتوسمه خاطري ، فإذا هو البحرالغطمطم الزخار ، والحبر الذي لايشق له غبار ، سلالة الأطهار ، ونتيجة الأخيار ، غصن الدوحة النبوية ، وفرع العترة الهاشمية ، منجا كل صادي ، وملجأ كل حاضر وبادي ، العلامة الفهامة ، سيّدي وأستـاذي ، وقدوتي

(١،٢) صوت الشاة والظبية .

(٣) قد المسافر المسافة : قطعها ، والظهران (بضم الظاء) جمع ظهر ، والنعام : جمع نعامة ، وهي الحيوان المعروف .

وملاذي ، محمد خليل المرادي ، فقلت له يامولى الخلق على العموم ، عهدي بك في بلاد الروم ، ولقد بلغنا المنى والمرام ، لما رجعت لحمية الشـــام . جزاك الله عن المسلمين جزيل المرام . وبلغك والمؤمنين حسن الختام . ثم ذكر هذه القصيدة :

بدا بدر شام بالمحيا أبي البشر ... لإعلاء أمر الله ذي الطي بالنشر

وكاد حنيف الدين يجنح للخفا ... بغيبة هذا البدر بالعجب والكبر

فأشرق من أفق المرادي مؤيداً ... بتقرير أحكام من النقل والفكر

فهاك من الشطرين خدمة قاصر ... اليك بتاريخين من بعد ذا السطر

فأحيا حياء الأكرمين خليلنا ... بمنصب افتاء وقد حاز للنصر

فلا زال والمجد المؤثل مجده ... لإعلاء دين الله بالنهى والأمر

ليهنك قد وافى المرادي دمشقنا ... بيوم منى إذ كان في جمعة النحر

فخير قدوم سر قلب أولى التقى ... وعمهم إذ طاب باليمن والشكر

أيا ابن الذين استأثروا صهوة العلا ... ودانت لهم أهل الفضائل بالقسر

سلالة آل البيت من نسل ماجد ... فمن ذا يباهي قدركم من ذوي القدر

لك العذر يامن لج في كنه وصفه ... ويامن تسامى الشام فيك على مصر

وشرق وغرب والجنوب وشمال ... لعمرك فضل الكل فيك بلا فخر

فبالشمس والليل البهيم وبالضحى ... وبالبلد المأمون أقسم والفجر

وياسين والأحزاب فاطر مع سبا ... وبالكهف والإسرا والنحل والحجر

وبالنجم والأنعام رحمن واقعه ... وأولى حديد ثم خاتمة الحشر

بأنك هادينا إلى الله بالتقى ... وتنفيذ حكم الله رغم أولى النكر

وأنت الذي نرجوك فينا مجددا ... لأحكام دين الله في غابر الدهر

أياديك بيض في الندى موسوية ... ولكنها تسعى على قدم الخضر

فلا زلت للوراد كعبة قصدهم ... تطوف وتسعى فيك بالبيض والصفر

بجاه النبي المختار والآل ذي التقى عليهم صلاة الله ماغرد القمري
وما أحمد اليافي يجني مؤرخا بدا بدر شام بالمحيا ابي البشر

توفي رحمه الله تعالى سنة إحدى وعشرين ومائتين والف .

الشيخ أحمد بن محمد بن سلامه الشافعي الأزهري المعروف بأبي سلامة

الإمام العلامة ، الثقة الهمام الفهـامة ، المحقق النحرير ، الذي ليس له في فضله نظير ، قال صاحب عجـائب الآثار في التراجم والأخبـار : اشتغل بالعلم وحضر العلوم النقلية والنحوية والمنطقية وتفقه على كثير من علمـاء الطبقة الأولى كالشيخ علي قايتباي والحفني والبراوي والملوي وغيرهم ، وتبحر في الأصول والفروع وكان مستحضراً للفروع الفقهية والمسائل الغامضة في المذاهب الأربعة ، ويغوص بذهنه وقياسه في الأصول الغريبة ، ومطالعة كتب الأصول القديمة التي أهملها المتأخرون .

وكان الفضلاء يرجعون في ذلك اليه ، ويعتمدون قوله ، ويعولون في الدقائق عليه ، إلا أن الدهر لم يصافه على عادته وعاش في خمول وضيق عيش وخشونة ملبس وفقد رفـاهية بحيث أن من يراه لايعرفه لرثاثة ثيابه كأنما الدهر يناديه على لسان شانيه ومعاديه :

ذو العلم يشقى في النعيم بعلمه وأخو الجهالة في الشقاء منعم
لو كنت أجهل ماعلمت لسرني جهلي كما قـد ساءني ما أعلم
كالصعو [1] يرتع في الرياض وإنما حبس الهزار لأنـه يتكلم

وكان مهذبا حسن المعاشرة ، جميل الخلق والنادرة ، مطبوعـاً فيه الصلاح والتواضع ونزل مؤقتاً في مسجد عبد الرحمن كتخدا الذي أنشأه تجاه باب الفتوح بمعلوم قدره ثمانية أنصاف يتعيش بها مع مايرد عليه من بعض الفقهاء والعامة الذين يحتاجون اليه في مراجعة المسائل والفتاوى ، فلما خرب المسجد المذكور في حادثة الفرنسيس وجهـات أوقافه انقطع عليه ذلك المعلوم ، وكان ذا عائلة ، ومع ذلك لايسأل شيئاً ولا يظهر فـاقة . توفي يوم الأحد حادي عشر جمادى الآخرة سنة خمس عشرة ومائتين والف عن خمس وسبعين سنة تقريباً رحمه الله تعالى .

---

(١) عصفور صغير ، جمعه : صِعاء وصِعوات .

الشيخ أحمد الطظقلي الحنفي النقشبندي الخالدي نزيل حمص البهية

شيخ الطريقة ، ومعدن السلوك والحقيقة ، مرشد السالكين ، ومربي المريدين ، ذو الكمال والعرفان ، والذوق والوجدان ، من حاز على القبول التام ، وشاع حسن حاله بين الخاص والعام ، واشتهر بصدق الانكباب على العبادة والتقوى ، والتمسك بالطريق الأقوى في السر والنجوى ، أخذ الطريقة النقشبندية عن خاتمة الأفاضل ، وصفوة ذوي الفضائل ، الشيخ خالد شيخ الحضرة العثماني ، أنالنا الله وإياه الآمال والأماني ، وصحبه برحلته إلى بيت المقدس ، وكان رحمه الله آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر كثير الصلاة والصيام والذكر في خلواته وجلواته ، عالماً عاملاً زاهداً عابداً ، وقد أذن له في إعطاء الطريق والإرشاد شيخه الشيخ محمد الحافظ الأورفلي أحد خلفاء الشيخ خالد المذكور أعلاه . ولد المترجم سنة خمس وتسعين بعد المائة والألف وتوفي سنة الأربع والثمانين بعد المائتين والألف رحمه الله تعالى ونفعنا جميعاً في الدنيا والآخرة آمين .

الشيخ أحمد بن علي بن محمد بن عبد الرحمن بن علاء الدين البرماوي الشافعي الذهبي الأزهري

الشيخ العلامة ، والفاضل الفهامة ، بقية العلماء ، ونخبة الفضلاء ، وزبدة الصالحين ، وصفوة الأفراد الناجحين ، محرر المذهب ، ومقرر مايؤلف ويرغب ، ذو التصانيف المحبوبة ، والتآليف المرغوبة ، والآثار الحسنة ، والشمائل المستحسنة ، ولد ببلدة برما بالمنوفية سنة ثمان وثلاثين ومائة والف ، ونشأ بها وحفظ القرآن والمتون على الشيخ الماصري ، ثم انتقل إلى مصر فجاور في المدرسة الشيخونية بالصليبة وتخرج في الحديث على الشيخ أحمد البرماوي وحضر دروس مشايخ الأزهر كالشيخ محمد فارس والشيخ علي قايتباي والشيخ الدفري والشيخ سليمان الزيات والشيخ الملوي والشيخ المدابغي والشيخ الغنيمي والشيخ محمد الحفني وأخيه الشيخ يوسف والشيخ عبد الكريم

الزيات والشيخ عمر الطحلاوي والشيخ سالم النفراوي والشيخ عمر الشنواني والشيخ أحمد رزه والشيخ سليمان البسوسي والشيخ على الصعيدي وأقرأ الدروس وأفاد الطلبة ولازم الاقراء.

وكان منجمعاً عن الناس قانعاً راضياً بما قسم له، لايزاحم على الدنيا ولا يتداخل في أمورها، وأخبر ولده العلامة الفاضل الشيخ مصطفى أن والده المترجم ولد بصيراً فأصابه الجدري فطمس بصره في صغره فأخذه عم أبيه الشيخ صالح الذهبي ودعا له فقال في دعائه: اللهم كما أعميت بصره نور بصيرته فاستجاب الله دعاءه. وكان قوي الإدراك ويمشي وحده من غير قائد؛ ويركب من غير خادم، ويذهب في حوائجه المسافة البعيدة، ويأتي إلى الأزهر ولا يخطىء الطريق، ويتنحى عما عساه يصيبه من راكب أو جمل أو حمار مقبل عليه أو شيء معترض في طريقه، أقوى من ذي بصر، فكان يضرب به المثل في ذلك مع شدة التعجب كما قال القائل:

ماعمى العيون مثل عمى القلب فهذا هو العمى والبلاء
فعماء العيون تغميض عين وعماء القلوب فهو الشقاء

ولم يزل ملازماً على حالته من الانجماع والاشتغال بالعلم والعمل به وتلاوة القرآن وقيام الليل، فكان يقرأ كل ليلة نصف القرآن. إلى أن توفي يوم الثلاثاء حادي عشر ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين ومائتين والف وصلي عليه بجامع ابن طولون ودفن بجوار المشهد المعلوم بالسيدة سكينة رضي الله عنها بجانب الشيخ البرماوي.

أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن أحمد بن سالم ابن إدريس الشاري المالكي

المتقن البارع، والمقبل على الله والمسارع، وحيد دهره، وفريد عصره، ولد بعد الستين والمائة والألف ببلدة سناداكبر بلاد الفنج [1] والتكرور، وقرأ بها مقدمات العربية والفقه على جماعة من أهلها كأبي عبد الله محمد

(١) (الفنج بالفاء لا بالغين) كذا في الأصل.

نوري صبر والشهاب أحمد بن عيسى الأنصاري وعبد الكريم الفلاني وأبي الحسن على بقادى ، ثم رحل إلى سواكن واستقام بها مدة ، ثم انتقل منها إلى صنعاء اليمن واجتمع بالشيخ العلامة أبي محمد عبد الله الجوهري وقرأ عليه شرح السلم في المنطق والأربعين النووية وسمع منه وأجاز له بخطه ، ثم ارتحل إلى مكة المكرمة وقرأ بها على أبي مروان عبد الملك بن عبد المنعم بن محمد تاج الدين القلعي مفتي الحنفية وأبي محمد عبد الغني بن سنبل مفتي الشافعية ومحب الله الهندي الحنفي وأبي محمد عبد اللطيف بن عبد الغفور المكي وأبي محمد عبد الرحمن الفاسي المغربي المعروف بالسمان المالكي وأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن التلمساني وغيرهم ، واستقام بها ست سنوات ، وسمع الكثير من الأحاديث والمسلسلات وأجازه مشايخه المذكورون بخطوطهم . ثم عزم على زيارة النبي الأكرم ، والبقيع المعظم ، بطيبة الطيبة ، فدخلها ولازم الاشتغال بها والتحصيل ، وقرأ على زين العابدين مصطفى بن محمد بن رحمة الله الدمشقي الحنفي الأيوبي الأنصاري وفخر الدين عثمان بن محمد المصري الشهير بالشامي وأبي إسحق إبراهيم بن عبد الله السندي وأبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الفاسي نزيل المدينة المنورة ، واستقام بها سنتين ، وسمع أيضاً الكثير من الأشياخ وتوجه منها إلى مصر ولازم أبا عبد الله محمد بن الشهاب أحمد بن الحسن الجوهري وأبا الصلاح الشهاب أحمد بن موسى العروسي وأبا عبد الله محمد الأمير والنور علي الخياط ومحب الدين محمد المرتضى بن محمد الزبيدي وأجازوه وأباحوا له مروياتهم ، ودخل قسطنطينية واجتمع بأكثر علمائها وقرأ على البعض منهم واستقام بها مدة وتكرر دخوله اليها ، ودخل حلب في أوائل ذي القعدة سنة خمس ومائتين والف وقرأ رسالة أبي حامد محمد بن محمد البديري الدمياطي المسماة بالجواهر الغوالي ، في الأسانيد العوالي ، على أبي جعفر منصور بن مصطفى بن منصور السرميني الحلبي وأجازه بها وبما تجوز له روايته لها ، وقرأ بهــا على شيخه ومرشده أبي المكارم محمد

نجم الدين بن سالم بن أحمد الحفناوي الشافعي المصري بسماعه لها وروايتها عن أبي حامد البديري ، وحضر مجلس السيد محمد خليل أفندي المرادي بحلب ، وسمع منه حديث الرحمة المسلسل بالأولية ، وهو أول حديث سمعه من لفظه بشرطه وأجازه به وبما تجوز له روايته عن شيوخه ، وذلك سنة خمس ومائتين والف ولم أقف على تاريخ موته رحمه الله .

الشيخ أحمد بن أسعد بن عبد القادر الحلبي الحنفي الشهير بالضحاك

العالم الفقيه ، والإمام النبيه ، الديّن التقي والصالح النقي ، مولده أواخر رمضان سنة اثنتين وثلاثين ومائة والف . قرأ القرآن العظيم وحفظه وقرأ القراءات وحفظ الشاطبية وانتفع بشيخ القراء أبي عبد اللطيف محمد ابن مصطفى البصيري التلحاصدى الحلبي ولازمه مدة أربعين سنة وجل أخذه عنه ، وقرأ بعض العلوم على البدر حسن بن شعبان السرميني ولازمه وحضر دروسه وسمع عليه ، وقرأ على أبي عبد الفتاح محمد بن الحسين الزخار وسمع عليه صحيح الإمام البخاري بطرفيه [١] وأجاز له مروياته وكتب له بخطه على مشيخته بعد أن قرأها عليه ، وسمع على أبي عبد الله محمد بن أحمد عقيلة المكي مع والده وحضره في مجالس تسميعه والقائه الحديث لما قدم حلب عام أربعة وأربعين ومائة والف ، وأخذ الفقه عن أبي العدل قاسم بن محمد النجار وسمع عليه صحيح البخاري بطرفيه ، ولما قدم حلب أبو عبد الله محمد بن محمد الطيب الفاسي المغربي المالكي سمع عليه البخاري وغيره من الكتب الصحاح والآثار ، ورافقه لما حج تلك السنة سنة سبع وستين ومائة والف من حلب الى مكة ، ودخل دمشق واجتمع بعلمائها ، وبالشيخ أبي سليمان صالح بن إبراهيم بن سليمان الجينيني الحنفي ، والشيخ أبي إسحق إبراهيم بن عباس شيخ القراء ، وبالشيخ أبي البركات

---

(١) أي رواية ودراية (لفظاً ومعنى)

ديب بن خليل بن المعلا المقري ، وأبي العباس أحمد بن إبراهيم الحلبي المقري نزيل دمشق وآخرين . وأخذ عن البعض ، ولما قدم حلب سنة أربع وثمانين ومائة والف غرس الدين خليل بن عبد القادر الكدك المدني نزل داره وعقد بها مجلس التحديث والسماع ، وسمع منه حديث الرحمة المسلسل بالأولية جماعة من العلماء ، وأقرأ صحيح الإمام البخاري بطرفيه ، وحضروه من الابتداء إلى الانتهاء وأجاز لهم روايته ، ورواية ماتجوز له روايته ، وأحال أسانيده وذكر شيوخه وكان من جملتهم صاحب الدار المترجم السراج أحمد الضحاك فإنه شابكه وصافحه وأسمعه حديث المصافحة والمشابكة ومسلسل سورة الصف والمسلسل بسورة الفاتحة وغيرهما من المسلسلات وأجاز له الباقي ، وكتب له إجازة بخطه حافلة أطنب عليه بها وأسهب ، وذكر البعض من أسانيده بها منها سماعه للأولية وأنه سمعه من جمع وهم من أبي سالم عبد الله بن سالم البصري المكي ، ومنها روايته للقراءات وغيرها عن أبي عبد الله شمس الدين المصري نزيل المدينة المنورة عن أبي السماح أحمد البقري وأبي عبد الله محمد بن قاسم البقري الكبير وعن أبي عبد الله محمد القلعي عن أحمد البنا الدمياطي وأحمد الإسقاطي والأول معلوم ، والثاني عن أبي النور الدمياطي عن سيف الدين الدمياطي عن سلطان بن أحمد المزاحي المصري . وأكب المترجم على قراءة القرآن العظيم والإقراء والإفادة والاستفادة ، وكان صالحاً ديناً تقياً نقياً متعبداً قليل الاختلاط بالناس . وقد أخذ عنه وسمع منه حديث الرحمة المسلسل بالأولية خليل أفندي المرادي مفتي دمشق كما رأيته بخطه سنة خمس ومائتين والف ومات في حدود الألف ومائتين وعشرة .

السيد الشيخ أحمد الحياتي الحنفي الماتريدي قاضي بغداد دار السلام

العالم الذي تولى القضاء فأحسنه ، وتطابقت على محبته القلوب وعلى الثناء عليه الألسنة ، والفاضل الذي يفزع في حل المشكلات اليه ، ويعتمد

في التحسين والتصحيح عليه ، والفاطمي الذى فطم النفس ، والعلوي الذي هو في عصره الشمس ، عمدة التدريس ، وتحفة الأنيس ، قال الشيخ عثمان سند لما أتى المترجم إلى بغداد قاضياً من اسلانبول : أحيا فيها علم المعقول والمنقول ، ودرس الحديث في جامع العادلية ، وأبان من التقارير اللائق بطلعته السنية ، وحضر درسه أجلة من العلماء ، وجملة من الفضلاء ، وذلك في أواخر سنة الف ومائتين وسبع وعشرين . وعند دخول الثامنة عزل فزاد منه الحنين وعاد إلى دار السلطنة إسلانبول ، ليبلغ بالوصول اليها نهاية المسئول ، وكتب له الشيخ عثمان المرقوم رسالة معربة عن فضله فقال :

فاسألوا عنه غامضات المعاني ... هل لها غير ذهنه من كناس[1]

واسألوا عنه كل فن غريب ... هل لايضاح فكره من دماس

كاتب ضمّن السطور شطورا ... من قوافيه زينت بالجناس

ووجوه في حلقة الدرس أبدى ... مسفرات الصباح والنبراس

وبفن التدريس وشى كتابا ... لحياة العلوم مثل الأساس

ذا بحوث قد أسفرت فأرتنا ... أوجه الحق دون مرط التباس

ياحياتي أنت لي كحياتي ... لست اسلوك أو تزول الرواسي

ماترى في تنائف[2] أبعدتنى ... وحظوظ قضين لي بانعكاسي

أتراني أسلوك ابن أناس ... صوروا في عيون الدهر الأناسي

هاشميين أنجبتهم ظهور ... من بطون عودن طيب الغراس

يوردون الرقاق ترعش حتى ... يُصْدِرُوهُنّ قانئات اللباس

ورماح قد أوردوها نجيعا ... من كلى كل بهنس[3] عباس

وقد مدحه بقصائد متعددة وأرسلها من السليمانية اليه فلم تصله حيث انه بعد عزله بقليل توجه إلى إسلانبول ولم يطل الأمر حتى جاء خبر موته وذلك سنة الف ومائتين وثمان وعشرين ، وقد رثاه الشيخ عثمان المرقوم بقصيدة أولها :

---

(١) أي من محل .

(٢) مفردها : تنفة وتنوفية ، وهي البرية ، لا ماء فيها ولا أنيس .

(٣) من تبهنس ، إذا تبختر .

القلب والطرف خفاق ومنهمر لمّا هوى للثرى من برجه القمر

إلى أن قال :

مولاي أحمد ذو الفضل الذي ابتسمت به الليالي وصفى عرقه مضر

قاضي القضاة طويل الباع في حكم في ذهن أقرانه عن فهمها قصر

لما قضى قدموه للرضى والى حور كواعب عرب زانها الخفر

سقى ثراه من الرضوان سارية مالاح للمرء في أيامه عِبَرُ

السيد أحمد الراوي بن السيد رجب بن السيد حسن بن السيد حسان بن السيد يحيى بن السيد حسون بن السيد محمد بن السيد علي بن السيد أحمد بن السيد نجم الدين بن السيد علي أبي الفتح بن السيد قطب الدين محمد بن السيد محي الدين إبراهيم بن السيد نجم الدين أحمد رضي الله عنه سبط الحضرة الجليلة الرفاعية

ترجمه السيد أبو الهدى أفندي في كتابه تنوير الأبصار في طبقات السادة الرفاعية الأخيار فقال : نشأ السيد أحمد المترجم براوة بلدة من أعمال بغداد ، واشتهر وظهر وتربى بتربية والده ولبس عنه الخرقة ، ووالده لبس الخرقة الرفاعية من السيد مهدي الرفاعي نقيب البصرة ، ثم بعد وفاة والده التحق بخدمة الشيخ العارف الكبير القطب الأعظم السيد نور الدين حبيب الله الحديثي الرفاعي وسلك على يديه وانتفع بصحبته ، وهو أحد أصحاب الإمام السيد حسين برهان الدين الصيادي آل خزام وقد أظهر الله شأن السيد أحمد ، وأعلى قدره ، وجرت على يديه الخوارق التي لاتعد ولا تحد ، وانتشرت به الطريقة الرفاعية ، مر ببلدة الكبيسة بالشرقية فشكا اليه أهلها قلة الماء العذب وان ماء أرضهم كله مالح وانهم في ضنك ، فخرج بهم خارج البلدة وأمرهم أن يحفروا بمحل هناك ، ونام وقال لا توقظوني حتى يظهر الماء ويجري إن شاء الله تعالى ، فلما باشروا الحفر ما كان

غير يسير حتى ظهر لهم الماء كالسيل أعذب مايكون من الماء ، ففرحوا به وما صبروا فأيقظوا السيد أحمد وذكروا له الحال ، فقال بارك الله بكم لو صبرتم لجرى على وجه الأرض كما قلت لكم ولكن هذا قسم في الأزل ، وهذا البئر المذكور باق إلى الآن في الكبيسة ولا نظير له بين مياه تلك الديار ، ولو صرفنا عنان القلم لتعداد خوارق صاحب الترجمة لطال المجال ، إذا مر منها مفخر جاء مفخر ، بيته معمور ، وذكره منشور ، وشأنه مشهور ، والولاية تتسلسل بذريته إلى آننا هذا انتهى .

توفي صاحب الترجمة سنة خمس وعشرين ومائتين والف ، ودفن بزاويته بعانة ، وقبته مزار الخواص والعوام وذريته المباركة براوة وعانة وكلهم أعلام أفاضل وكراماتهم شهيرة وسيرتهم الحسنة في بلادهم وغيرها معروفة قدس الله اسرارهم أجمعين .

الشيخ أحمد بن الشيخ عبد الجواد بن الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ حسين بن الشيخ عطية بن الشيخ عبد الجواد القاياتي يتصل نسبه بسيدنا أبي هريرة رضي الله عنه

دوحة فضل ثمرها يانع ، وسماء مجد كوكب عنقها لامع ، وحديقة جمال قد احتفت بالجداول ، وحقيقة كمال قام لإثباتها واضحات الدلائل ، من بمدحه تحلى أجياد الطروس العاطلة ، وبنتائج فضله تدحض الحجج الباطلة ، كيف لا وهو من صدور الأعيان الأعاظم ، الحائزين قصب السبق بشهادة كل ناثر وناظم ، ولد في الحادي والعشرين من ربيع الآخر سنة سبع وخمسين بعد المائتين والألف ونشأ في حجر والده إلى أن حفظ القرآن وبعض المتون ، ثم أرسله والده إلى الأزهر للطلب وإتقان الفنون ، وأوصى به تلميذ أبيه الشيخ خليفة السفطي فأنزله منزلة الولد وكان له في سائر أموره سنداً وأي سند ، إلى أن علا ذكره وفاق ، وانعقد على تقدمه

الاتفاق ، ولما توفي الشيخ خليفة السفطي وضع في مكانه شيخ رواق السادة الفشنية لما ناله من الكمال ، وبلغ به مبلغ القادة من الرجال ، وذلك في شهر محرم الحرام سنة ثلاث وتسعين بعد المائتين والألف ، وذلك بعد أن أجازه شيخ الإسلام الشيخ مصطفى العروسي شيخ الأزهر ، وأجازه بقية العلماء بما تجوز لهم روايته عن مشايخهم ذوي المقام الابهر ، وقد نظم رسالة اليونسي في البيان ، وَشَرَحَ منظومة الحميدي ، وله منظومة في النحو على نسق منظومة الشبراوي وله رسائل كثيرة ، وتقريرات شهيرة ، ولما حصلت الوقعة العرابيه ، مع الدولة الانكليزيه ، واستولى الانكليز على مصر ، ووقع باعيانها وعلمائها كل ضيق وعسر ، كان من جملة من انتفى منها المترجم واخوه الشيخ محمد الى بيروت ومدة نفيها اربع سنوات ، وفي سنة ثلاث وثلاثمائة والف حضرا الى الشام وزارهما الشاعر الاديب الشيخ محمد الهلالي فخاطبه المترجم في الحال ، على طريق الارتجال بقوله :

في آخر الشهر جئنا دمشق ذات الجمال
فكان امر عجيب وذاك رؤيا الهلال

وفي هذه السنة بعينها اجتمعت بهما في مدينة بيروت وانعقدت بيننا محبة عظيمة ، ومودة جسيمة ، وكان درسهما في الصباح يشهد لهما بعلو المقام ، وسمو المعرفة ، الا أن الأخ الكبير الشيخ محمد كان يغلب عليه حال الطريق مع كماله في العلم ، وأما المترجم فانه يغلب عليه العلم وان كان متمكناً في الطريق ، وبالجملة فانهما فرع شجرة زكيه ، وصفوة لسادة أهل رتبة علية ، ما منهم إلا كامل وأكمل ، وفاضل وأفضل ، وللناس بهم اعتقاد كامل ، فيجعلونهم لحل مشكلاتهم من أعظم الوسائل ، توفي رحمه الله وأعلى في دار الرضوان مرتقاه ، في شهر جمادى سنة ألف وثلاثمائة وثمانية ودفن في بلد ابيه وجده في القايات ؟

الشيخ احمد بن بكري البغال الشافعي الدمشقي

العالم الصالح ، والعامل الناجح ، والورع الزاهد ، والناسك العابد ، ولد بدمشق سنة الف ومائتين وتسعين ونشأ بها وأخذ عن علمائها منهم المحدث الكبير الشيخ عبدالرحمن الكزبري ومنهم الشيخ صالح الفلاني والشيخ عبدالله الكردي وعن كثير من السادات الكرام والا كابر العظام ، وقد اذن له شيخه الشيخ عبد الرحمن المذكور بالتدريس في جامع سنان باشا واخذ فيه يفيد الخواص والعوام ، الى ان شرب كاس الحمام ، في شهر ربيع الاول سنة سبعين ومائتين وألف ودُفن في مقبرة باب الصغير قرب مقام الصحابي الجليل سيدنا بلال الحبشي رضي الله تعالى عنه .

السيد الشيخ الامام احمد بن ادريس المغربي الحسني نسباً الادريسي

من ذرية الإمام ادريس بن عبد الله ، قال العلامة السيد حسن بن احمد البهكلي في الديباج الخسرواني : هو شيخنا امام المفسرين ، ومقدام المحدثين ، جعل الكتاب والسنة اماميه ، وجعلها الدليل الذي لا يعتمد في عبادته الا عليه ، فليس له مذهب يقلده ، أو منهج يقويه ويشيده ، سوى السنة والكتاب ، فيعمل بها بلا شك ولا ارتياب ، وكان يكافح أهل التقليد ، بالملام والانكار الشديد ، ويعلن لهم بان قصر الحق على هذه المذاهب المعروفة من البدع ، وان الجزم بتعذر الحكم من دليله لا مستند له ، وانه من باب تضييق الواسع لأن فضل الله غير مقصور على شخص دون شخص ، والفهم الذي هو شرط التكليف قد منحه الله تعالى كل احد ولو كان مختصا به احد دون أحد أو زمان دون زمان ، لما قامت الحجة على العباد بكتاب الله العزيز والسنة البيضاء ، وهذا لا يرتضيه احد ، وهذا الصنيع من كفران النعمة ، وقد تكلم في هذه المسألة جماعة من أهل العلم وافردها الشيخ صالح الفلاني بمؤلف ، وأجاد في الكلام على هذه المسألة الامام الحافظ

محمد بن ابراهيم الوزير في عواصمه ، نعم انحرف عنه علماء مكة لهذا السبب ولله در القائل :

الا قل لمن بات لي حاسدا   اتدري على من اسأت الأدب
اسأت على الله في فعـله   لأنك لم ترض لي ما وهب

ومع هذا فهم اذا اشكلت عليهم مسألة دسوا اليه من يسأله فيجليها لهم ؛ وقد نشر الله تعالى له من الصيت وحسن الذكر ما ملأ الآفاق ، وما ضره حسدهم ولا تمالؤهم على غمط فضائله والاتفاق ، على انه طاهر السريرة صافي القلب من داء الحسد ، والحقد وكان عند ملوك مكة هو العين الناظرة ، منزولا عندهم في ارفع المنازل ، ملحوظا بعين الاجلال في جميع المحافل ، وفي آخر مدته خرج من مكة الى اليمن وكان وصوله الى زبيد سنة الف ومأتين وثلاث واربعين ، وتلقاه شيخنا الحافظ السيد عبد الرحمن بن سليمان الأهدل وجعل نفسه له مقام التلميذ واجله غاية الإجلال ، ثم ترجح له المسير نحو الشام وأنشد لسان حالهم قول بعض الأنام :

ايها السائر عنا عجلا   انما سرت فما عنك خلف
انما انت سحاب هاطل   حيثما صرفه الله انصرف
ليت شعري أي قوم اجدبوا   فأغيثوا بك من بعد التلف

وكانت ولادة المترجم سنة عشر ومأتين وألف .

وقد ذكر صاحب النفس اليماني لصاحب الترجمة ، ترجمة حافلة قد ذكرت حاصلها وهو : شيخنا السيد العلامة الامام ذو المعارف الربانية ، والمواهب الرحمانية ، صفي الإسلام احمد المغربي الحسيني ، وفد الى مدينة زبيد سنة الف ومائتين واربع واربعين ناشرا فيها ما منحه الله من علوم أسرار الكتاب والسنة ، وكاشفا عن اشارتها الباهرة ، ولطائفها الزاهرة ، بعبارته الجلية المشرق عليها نور الاذن الرباني ، واللائح عليها أثر القبول الرحماني ، كما قال ابن عطا : من اذن له في التعبير ، فهمت في مسامع الخلق عبارته ،

وجليت اليهم اشارته ، ولقد املى من تلك الدقائق والحقائق ما استنارت به قلوب سليمة ، وتداوت من جراحات غفلاتها افئدة أليمة ، وازدحم الخاص والعام على الاستفادة من تلك العلوم ، والاقتباس من نور مشكاة تلك الفهوم .

جميع العلم في القرآن لكن تقاصر عنه افهام الرجال

وتلقى كل احد من تلك المعاني واللطائف على قدر الاستعداد ، وعلى ما قدره الله من مسوق فيض الامداد .

على قدرك الصهباء تعطيك نشوة ولست على قدر السلاف تصاب

قال ابن قيم الجوزيه رحمه الله تعالى في شرح منازل السائرين : القوم يسمون اخبارهم عن المعارف والمطلوب اشارة ، لأن المعروف والمطلوب اجل من ان يفصح عنه بعبارة تطابقه وشأنه فوق ذلك ، فالكامل اشارته الى الغاية ، ولا يكون ذلك الا لمن فني عن اسمه وهواه وحظه ، وبقي بربه ، وكل احد فاشارته بحسب معرفته وهمته ، ومعارف القوم وهممهم تؤخذ بإشاراتهم انتهى وهذا السيد الجليل طريقته السالك بها والداعي اليها الاقبال بالكلية على تدبر معاني كتاب الله ، وإطالة التفكر في استجلاب أسرار معانيه ، ولقد ذكر لي أنه مكث عدة سنين لاشغل له الا تلاوة كتاب الله والتعرض لنفحات اسرار علومه ، ولطائف رقائقه وفهومه ، حتى منح الله بما منح وفتح بما فتح ، وهذه الطريقه هي التي أشار اليها الإمام بن القيم في شرح منازل السائرين حيث قال مانصه : والطريقة المختصرة القريبة السهلة الموصلة الى الرفيق الأعلى التي لايلحق سالكها خوف ولا عطب ، ولا فيها آفة من آفات سائر الطرق البتة ، وعليه من الله حارس وحافظ يحرسه ويحفظه ويحميه ، ويدفع عنه كل أذى ، هي أن تنقل قلبك من وطن الدنيا إلى وطن الآخرة ، ثم وأنت بهذا الموطن لاتجعل له التفاتاً إلا إلى معاني القرآن واستجلائها وتدبرها

وفهم مايراد به وما نزل لأجله ، وأخذ نصيبك وحظك من كل آية من آياته وتنزيلها على ادواء قلبك ، ولا يعرف قدر هذه الطريقة الا من عرف طرق الناس وغوائلها وقطاعها والله المستعان انتهى كلامه قال ونزل السيد المذكور على العبد الحقير ، وكان نزوله كنزول العافية على السقيم والشفاء للجرح الأليم ، والحمد لله على ذلك ، ونسأله التوفيق لدوام الشكر على ماهنالك . ثم بدا له التوجه الى جهة بندرالمخا ثم جهة موزع ، فلما وصل الى تلك الجهات ازدحم عليه الخاص والعام وانتفعوا به في أمر دينهم انتفاعاً عظيما ، لأن السيد هديه في عباداته وعاداته الهدي النبوي لاسيما الصلاة فانه نفع الله به يقيمها ويحسنها على الوجه التام ، الذي وردت به الأحاديث الصحاح والحسان ، عن معلم الشريعة ﷺ ، لايلتزم في اقامتها ولا إقامة غيرها مذهباً من المذاهب ، بل مذهبه ماصح به الحديث كما هي طريقة خلائق من العلماء الأعلام .

ومذهبي كل ماصح الحديث به ولا أبالي بلاح فيه أوزاري

وله كلام منظوم رائق عذب . ثم عاد بعد اقامته في تلك الجهات الى زبيد ، والعود كما يقال (في المثل السائر) احمد ، ولم تزل الأيام والليالي زاهرة رياضها بلطائف علومه ، ورقائق فهومه ، معمورة أوقاتها بعباداته ، والاقلام تكتب من املاء السيد من الفوائد العوائد ، النوادر والشوارد ، ماملئت منه الدفاتر [١] وفي هذه المدة وقعت اجازات منه لكل من طلب ذلك ، بل اجاز أهل زبيد خصوصاً وأهل اليمن عموماً ، كما وقع نظير ذلك للحافظ ابن حجر العسقلاني عند قدومه زبيد فإني رأيت بخط الفقيه

---

(١) قال في الأعلام ومعجم المؤلفين ومعجم المطبوعات وغيرها : « له العقد النفيس ـ ط » في التصوف ، و « مجموعة الأحزاب والأوراد ـ ط » و « السلوك ـ ط » و « روح السنة » و « كيمياء اليقين » و « شرح حديث صلى صلاة مودع » .

الولي الكبير العلامة المحدث عبد النور بن عبد الواحد الهاثلي مانصه : رأيت بخط غير خط الإمام شهاب الدين بن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى: اجزت لأهل زبيد خصوصاً ولأهل اليمن كافة عموماً ان يرووا عني هذه الكتب صحيح البخاري وصحيح مسلم والجمع بين الصحيحين للحميدي ، وكتاب السنن لأبي داوود ، وكتاب السنن للحافظ النسائي وهو المختار من السنن الكبرى ، وكتاب الجامع للامام أبي عيسى الترمذي وكتاب العلل له أيضاً ، وكتاب الموطأ للامام مالك بن انس الاصبحي ، وكتاب التجريد للقاضي عبد الرحمن البارزي بأسانيدي التي ذكرتها اجازة معين لمعين ، وكذلك مايصح عندهم من مر ويأتي من الأجزاء الحديثية والكتب المسندة ، وما لي من قول ونظم ونثر على اختلاف جميع ذلك وتباين أنواعه وأجناسه ، اجازة تامة بشرطه المعتبر عند أهل الأثر ، قاله وكتبه احمد ابن علي بن محمد العسقلاني الشهير بابن حجر انتهى قال : وهو باق الى هذا العام سنة الف ومائتين وثمان وأربعين يذكر الله ويذكر بآلائه ، ويملى من علوم السنة والكتاب مايفيد ذوي العقول والالباب انتهى أقول : وقد توفي المترجم المرقوم نفعنا الله ببركاته وأعاد علينا وعلى المسلمين من صالح دعواته سنة الف ومائتين وثلاث وخمسين هجرية .

الشريف السيد أحمد أسعد المدني الحسيني ابن السيد محمد اسعد ابن السيد أحمد الحنفي الماتريدي مفتي المدينة المنورة النبوية المحمدية

بدر كمال بدا من أفق النبوة والرسالة ، وروض جمال غدا مثمرا يانع الفتوة والبسالة ، وتاج فضل قد ارتفع علاه على هام النسب ، ومنهاج سؤل قد ارتضع من لبان المجد والحسب ، وكوكب علم قد ارتقى مداره على أوج العلو ، ومطلب حلم قد انتقى ذروة الرفعة والسمو ، وغصن شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، وحصن نجاة ما طاف به طائف

إلا وقد علا وسما ، قد انتسب لأشرف ذات وألطف انسان ، واقترب ممن انتُخِبَ لأعلى مِلّة وأولى لسان :

فهو من دوحة العلا فرع عز ليس يحتاج مجتنيه لهز
قد تسامى انتسابه لنبي حار فيه الأنام حيرة عجز

فأما نسبه الشريف الأجل الأعلى ، الذي هو من أعلى الأنساب المذكورة في الانام وأولى ، فهو السيد أحمد أسعد بن السيد محمد أسعد بن السيد أحمد أسعد بن السيد محمد أسعد بن السيد عبد الله أسعد بن السيد أسعد مفتي السادة الحنفية ، في مدينة الذات النبوية ، وهو أول من جلس في هذه العائلة على مهاد الافتاء ، وكان من أعلم العلماء وأفضل الفضلاء ، وهو ابن السيد أبي بكر ، ابن السيد عبد الرحمن ، ابن السيد أحمد ، ابن السيد أيوب ، ابن السيد زين العابدين القيسراني ، ابن السيد أحمد بن السيد محمد ، ابن السيد عبد الرحمن ، ابن السيد عبد الكبير ، ابن السيد محمود ، ابن السيد صدر الدين علي ، ابن السيد هاشم الأحمدي ، ابن السيد أبي السعود سعد ، ابن السيد سلامة ، ابن السيد أحمد عبيد ، ابن السيد عبد الله المدني الإشبيلي ، ابن السيد حازم الإشبيلي ، ابن السيد أحمد ، ابن السيد علي ، ابن السيد الكبير رفاعة الحسن المكي ثم الإشبيلي ، ابن السيد المهدي ، ابن السيد أبي القاسم محمد ، ابن السيد الحسن ، ابن السيد الحسين ، ابن السيد أحمد الأكبر ، ابن السيد موسى الثاني ، ابن الأمير ابراهيم المرتضى ، ابن الإمام موسى الكاظم ، ابن الإمام جعفر الصادق ، ابن الإمام محمد الباقر ، ابن الإمام زين العابدين علي ، ابن الإمام الشهيد السعيد السبط سيدنا الحسين ، ابن الإمام أمير المؤمنين صهر النبي الأمين ، أسد الله الغالب ، سيدنا علي بن أبي طالب من زوجته السيدة فاطمة البتول الطاهرة الزهراء ، كريمة أشرف المرسلين وسيد الانبياء ، صلى الله تعالى وسلم عليه ، وعلى آله وصحبه ومن ينتمي اليه .

هذا وإن بحر الشعر قد صفا من أكداره وغينه ، أكي يحمل هذا النسب الشريف على أجفانه وعينه ، فنظمه نظم العقد الثمين ، وتلاه علينا تلاوة الامين الذي لايمين .

فقال متوسلاً بهذه السلسلة الشريفة وقد أجاد ، ووفى بالمرام والمراد :

من عودكم باللطف كان تعودي ... ان استغيث بكم[1] انجح المقصد
وتعوذي بملاذ كعبة[1] عزكم ... أجلو به خطب الزمان المعتدي
ياجيرة العلمين تهيامي بكم ... روحي وريحاني وجنة موردي
وحياتكم ما زال رق هواكم ... رقي وان رغمت أنوف الحسد
لي في الفؤاد تشوف وتشوق ... نيرانه بسوى اللقا لم تبرد
وإذا ذكرتكم أميس ترنما ... من ذكركم مثل الغصون الميد
قلبي المحير أمه ركب النوى ... بحصاره يال الحسين المنجد
فصبا بنجد والحجاز وبات من ... وجد مع العشاق صب ترصد
يا من بأوج العزفي قرارهم ... هل من جواب العطف للمستنجد
يا سادتي منوا بجبر متيم ... خلع السوى وفنى بذاك المشهد
يروي العقيق حيا عقيق جفونه ... حتى يرى منه لباس زمرد
ماذا على من هام في آل العبا ... او من سبى شغفاً بآل محمد
لله نجب ما اعدت ثناءهم ... إلا ولذ لمهجتي ان ابتدي
يا آل طه من يزغ عن حبكم ... لاذاق من طيب الهناء الارغد
يا سادتي وسعادتي دنيا وفي ... دار المقر وعدتي في الموعد[2]
انتم كما صح الحديث اماننا ... وبفضلكم كم من صحيح مسند
قدستم بطهارة ونزاهة ... عن كل رجس بالكمال الاحمدي
فودادكم فرض على كل الملا ... وبذا اتى القرآن للمسترشد
ما ان رجا راج عواطف سركم ... الا نجا وعن الحمى لم يردد

---

(١) انظر تعليقنا على لفظ (الغوث) ص ٧٤ .
(٢) انظر تعليقنا على مثل هذا في ص ٨٧ و ٨٨ .

انهلتم هـذا الوجود بجودكم ... فبمدحكم حمدا يروح ويغتدي
اكرم بباب مدينة العلم الذي ... هو منبع العرفان صنو محمد
لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى ... إلا عليّ قـاهر المتمرد
صهر النبي خزينة النسب الذي ... في صلبه عقد الكمال المفرد
لله أصل هاشمي ازهرت ... منه فروع اثمرت بالسيد
عين الحياة ومجمع البحرين اذ ... من صدره بحر وبحر من يد
فرع الكرام الطاهرين اولي الرضى ... السيد المدعو باحمد اسعد
وهو ابن مولانا محمد اسعد ... نجل المني المفضال احمد اسعد
وهو ابن مولانا محمـد اسعد ... وهو ابن عبد الله اسعد من هدي
وهو ابن مولانا المكرم اسعد ... هامي اليدين فديته من اسعد
وهو ابن مولانا ابي بكر الذي ... للعبد للرحمن ابهى مولد
وهو ابن احمد نجل ايوب الذي ... هو نجل زين العابدين السجد
القيسراني السليل لأحمـد ... حياه نجلا للهمام محمد
وهو ابن مولانا البهي عبد الى الر ... حمان مصباح البيان المهتدي
وهو ابن مولانا الاجل المجتبى ... عبد الكبير الألمعي الأزهد
وهو ابن محمود لحسن شمائل ... نجل اصدر الدين قدوة مقتد
هذا علي وهو بضعة هاشم ... السيد الشهم النبيل الاحمدي
وهو ابن سعد من كني بأبي السعو ... د ابن النضير سلامة المتعبـد
وهو ابن احمد ذا عبيد زاهر ... نجل لعبد الله ابهى امجـد
لا غرو بالمدني والاشبيلي انتمى ... وهو ابن الاشبيلي الامام الاوحد
ذا حازم وهو ابن احمد من غدا ... بسوى عبادة ربه لم يجهد
وهو ابن مولانا علي نجل من ... دان الاله بطاعة وتهجـد
نجل الكبير السيد الحسن الذي ... بوفاعة يدعى لرفعة محتد

مكي اصل ثم اشبيلي غـدا نجلا الى المهدي جميل تودد
وهو ابن مولانا أَبِيٌّ القاسم البحر الخضم اللوذعي محمد
نجل الى الحسن الذي هو نجل من يدعى الحسين وذا سلالة احمد
الأكبر المولود للثاني الذي يدعى بموسى ذي المقام الاجود
نجل الامير المرتضى المدعو بأبـ راهيم احظى من حظى بتأيد
وهو ابن موسى الـكاظم الغيظ الذي قد ضم شمل الفضل بعد تبدد
وهو ابن جعفر صادق بوعوده ذي العلم والعرفان والجود الندي
نجل الامام الباقر الغوث الهمي السيد الأسد الكمي محمد
هـذا ابن زين العابدين عليهم نجل الحسين السبط روح الأكبد
وهو ابن سيدنا الذي لكماله قد فاز بالزهراء بضعة احمد
هو والد الحسنين صهر المصطفى اعلى عَلِيٍ ساد اعظم سؤدد
اكرم به نسباً تألق عقـده بالمصطفى لا بالحلى والعسجد
نظم البهـاء فروعه بأصوله نظما يريك حلاوة بتردد
كل من الأنساب مقطوع سوى نسب النبي فوصله لم ينفد
فالدهر منـه متوج بمفاخر تزهو بحسن سنائها المتوقد
يا خاتم الرسل الكرام ومن سما بعروجه اسمى سماء الفرقد
يا عين أعيان الوجود ومن هو ا لأ صل المد لكل فرد موجد
هذا الفقير بباب جودك سائل يرجوك سائل جودك المتجدد
فانظر له نظر القبول تكرما واعطف وجد واشمل وصل بتعهد
صلى عليك الله يا كنز الحيا اوفى صَلاة مع صِلات تسرمد
وحباك يا روح الكيان تحية من حضرة الاطلاق دون تقيد
والآل والأصحاب والأتباع ما فاحت بمسك ختامها المنشِد
وامر من تاريخ نسبة احمـد أنس يروح أريجه الندي الندي
٥١٢ ٥٣ ١١١ ٢٢٤ ٢١٩ ٩٥ ٩٥

ولد في المدينة المشرفة المنورة ، والبلدة التي هي بسور العناية مسورة ، سنة ألف ومائتين وخمس وأربعين من هجرة جده سيد المرسلين ، وفي ثاني سنة من ولادته رحل والده المرحوم لدار آخرته ، ثم قام بتربيته أخوه الأوحد ، وشقيقه الماهر الأمجـد الشريف السيد أسعد ، فأفرغ جهده في تأديبه ، وحسن تربيته وتدريبه ، فقرأ القرآن وأتقنه ، ثم حفظه وجوده حتى أتم تجويده وأحسنه ، فعندها أخذ في طلب العلم على السادة الأفاضل حتى صار معدودا من ذوي الفضائل ، منهم الشيخ يوسف الصاوي والشيخ عبد الغني الدمياطي والشيخ احمد الطنطاوي والشيخ حبيب المغربي وغيرهم ممن رقى في العلم مقامه ، وخفقت راياته وأعلامه ، ولم يزل يترقى على معراج السمو ، ويتدرج في الفضل على مدارج العلو ، الى أن تحلى من كل جميل بما هو أجمل ، وتولى على خزانة الكمال والأكمل ، وهو من آل بيت في المدينة أهل فضل وتقوى ، وعلم وعبادة وفتوى ، وقد دام فيهم افتاء المدينة المنورة تسعين سنة ، وهم على أكمل الصفات العالية والنعوت المستحسنة ، وفي سنة أربع وثمانين تشرف بخدمة وكالة الفراشة عن مولانا أمير المؤمنين السلطان عبد العزيز خان أسكن الله روحه فراديس الجنان ، وغب انتقاله الى الآخرة ، والدار الباقية الفاخرة ، تشرف بوكالة الفراشة عن مولانا أمير المؤمنين السلطان عبد الحميد خان ، أدام الله حياته على مدى الأزمان ، وفي سنة تسع وتسعين وجه عليه باية استنبول ، وبعد أيام قليلة أحسن اليه ببابة اناطول ، مع النيشان البرنجي المجيدي وبعده بالوسام البرنجي العثماني ، ثم بنيشان الصداقة ، ثم ببابة قاضي عسكر روميلي التي هي نهاية المراتب ، ولم يزل يسمو مقامه فوق الواجب ، وقدره يتعالى ، ونعيمه يتجدد ويتوالى ، الى أن حصل له في آخر أمره جذبة إلاهية ، أذهلته عن ادراك أموره العادية ، وفي سابع رمضان عام الف وثلاثمائة وأربعة عشر اخترمته المنية في الاستانة العلية رحمة الله عليه .

الشيخ أحمد افندي بن المرحوم الشيخ عقيل افندي الزويتيني

مفتي حلب الشهباء وعالمها، وحامل لواء الشريعة بها وخادمها، قد صرف نقد عمره من صغره في العلم والعمل، وعكف على مايرفع شريف قدره إلى أوج برج الحمل، ولم يزل يرضع لبان المعارف، ويتحلى بحلية العوارف، لدى كل عالم وعارف، إلى أن أضحى ببراعته برد البلاغة موشى، وبفصاحته ثوب النباغة مطرزاً ومغشى، فلا ريب أنه جنة ثمرات الفنون، ولا عيب فيه سوى انه عن نسبة العيب اليه مصون، فيـاله من جهبذ قد لبس سوار الفضـائل في معصم الكمال، واقتبس من مشكاة الدلائل نور الوقوف على أصح الاقوال وأرجـح الافعال. ولد تقريباً سنة الف ومائتين وأربعين، ومن حين تمييزه جلس من حدائق الطلب على مهـاد التمكن والتمكين، ولم يزل يفيد ويستفيد، ويزيد في الاجتهاد لـكي يزداد مما يريد، إلى أن خطبه الإفتاء الشريف لهامته تاجاً، والترقيه إلى سمـاء الفضائل معراجا، ولم ينقل عنه ميـل عن جادة الصواب، ولا فعل يوجب له نسبة شك في كماله او ارتياب، بل حالته الخوف من الله والتقوى، والاستقامة في السر والنجوى، إلى أن فارق دنياه، وأجاب دعوة من اليه دعاه، ليلة السبت من أواخر شعبان المكرم سنة الف وثلاثمائة وست عشرة واحتفل بتشييعه الكبير والصغير، والغني والفقير، ودفنوه في مقبرة الصالحين اسكن الله روحه في عليين.

الشيخ أحمد افندي بن الشيخ عبد الكريم افندي الترمنيني الحلبي

عالم حلب وإمامها، وقدوتها في كل فضيلة وهمامها، بدر الهداية لكل رشاد وصلاح، وفجر العناية الموصلة لكل رفعة وفلاح، صاحب المكارم التي أشرق بدرها في سماء الإسعاد، والعزائم التي أبرق نورها فأرشد إلى نوال كل مراد، فلا ريب أنه البحر الذي لم يعرف الواردون ساحله،

والحبر الذي جعل الكتاب والسنة وسائطه إلى الله ووسائله ، دأب على تحصيل العلوم منذ كان طفلاً ، واعتصم بحبل التقوى والعبادة قولا وفعلا ، وزهد في الدنيا فكانت تأباه ويأباها ، وأقبل بجده واجتهاده على أعمال الآخرة إلى أن صارت تهواه ويهواها ، واعتزل عن الناس وألف الانفراد ، وواصل السهاد وطلق الرقاد ، واعتكف في حجرته ليله ونهاره ، وقصر على العمل والعلم أطواره وأوطاره ، وكان إذا جلس في حجرته قفل بابه ، وإذا أراد أحد منه مسألة وقف أمام شباك حجرته فإذا سأله أجابه ، ثم رجع إلى ما كان عليه في الحال ، واشتغل بما ينفعه من غير إمهال ، وللناس به اعتقاد قد بلغ ذروة الكمال ، واعتماد يتأملون به الوصول من المرغوب إلى نقطة الاعتدال ، وقد رحل في أيام طلبه إلى مصر القاهرة ، وجاور في أزهرها ذي المنقبة الفاخرة ، وحضر دروس السادة الأفاضل ، إلى أن صار معدوداً من الأوائل ، ثم رجع إلى بلده بعد بلوغ آماله ، ونجاح مقاصده وأعماله ، ولم يزل مستقيما على حالته ، مستزيداً من طاعته وعبادته ، إلى أن دعاه داعي الآخرة ، إلى الجنة العالية الفاخرة ، وذلك سنة ألف ومائتين ونيف وثمانين .

الشيخ أحمد أبو العباس شهاب الدين البربير الشامي البيروتي

سهم الأغراض والأماني ، وكنانة البيان والمعاني ، ذو الأدب الباهي الباهر ، والأرب الزاهي الزاهر ، والنفس الزكية والأخلاق المرضية ، من تستعذب النفوس نثره ، وتستطيب نظمه وشعره ، فلا ريب أنه العمدة الإمام ، والنخبة القطب الهمام ، الذي ما رأى أحد مثله في مصر وشام ، وكان مولده رحمه الله في ثغر دمياط سنة ستين ومائة والف حيث كان والده بها يتعاطى التجارة ، ولما بلغ رشده ، وملك أشده ، قرأ على أفاضل عصره العلوم النقلية ، والعقلية ، غب أن حفظ القرآن المجيد وجملة من

الأحـاديث النبوية ، ونظم الشعر وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، وحضر إلى بيروت وطنه الأصلي في سنة ثلاث وثمانين ومائة والف ، ثم توجه إلى دمشق الشام ، ثم عاد إلى بيروت ، فأكرهه الأمير يوسف الشهابي على تولية القضاء بها ، فقام بأعبائه ، ثم استعفى منه لورعه وتقواه ، ثم عاد إلى دمشق سنة خمس وتسعين ومائة والف وسكن في الصـالحية ، وأقبل على الترقي بهمة قوية ، إلى أن صار فرداً يشار اليه ، وعمدة في المشكلات يعتمد عليه ، وشهد له مشائخه بالفضل ، وإنه لما يثنى عليه [به] مستحق وأهل ، وقد أخذ عن العلامة الشيخ مصطفى الصلاحي ، وشرح له شيخه المرقوم بديعيته المشهورة ، وله كتب في كل فن ورسائل ، هي لوصول مطالعها إلى المقصود طرق ووسائل ، منها الشرح الجلي على بيتي الموصلي ، [1] ومنها كتاب في اقتباس آي القرآن ، ومنها مؤلف بإسم سليمان ، وشرح قصيدة سيدي الشيخ محي الدين العربي ، وله مقامة تشهد بعلاه ، وتقضي لمطالعها بأن يعترف لمنشئهـا بأنه قد جمع ما تفرق من الفضل وحواه ، وقد أحببت أن أثبتها في هذا المـكان ، لتكون للواقف على تلاوتها جالبة للسرور ومذهبة للأحزان ، وليعلم الإنسان فضل منشئها وفضل ممدوحه عبـد الرحمن أفندي العمادي المرادي العلامة الإمـام ، والفهامة الهمام ، فأقول ذاكراً لها بتمامها ، بنثرها ونظامها .

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن خلق العناصر ، وجعل لكل منها فضلًا تعقد عليه الخناصر ، وصلاة وسلاماً على الجوهر الفرد الذي منه عرض العـالم ، ومن هو في

---

(١) مما قوله من قصيدة :

إنْ مَرّ والمرآة يوماً في يدي ... مِن خلقِه ذو اللطف أسمى من سما
دارت تمـاثيل الزجاج ولم تزل ... تقفوه عدواً حيث سار ويمما

والقصيدة مطبوعة مع شرح الأستاذ البربير عليها .

الدارين سيد بني آدم . وعلى آله وصحبه . ومن تعلق بحبه . ما اكتحلت عيون الطروس بمراود الأقلام . وقلدت نحور الدروس بعقود ألفاظ العلماء الأعلام . وبعد فإن الفكر والخيال . دخلا بي إلى رياض ضاع زهرها فنم عليه النسيم ودار عليه الماء الزلال . أكلها دائم وظلها . كأنما قابلت مرآتها جنة النعيم فانطبع فيها مثالها وشكلها . فتلقتنا عوديات طيورها بالصدح . ومجامر كمائم ورودها بالنفح . وزهرها بثغر باسم ونهرها بقلب صافي . وأدواحها ببسط بساط البسط من ظلها الضافي . وقامت لنا الأشجار على سوقها . وسفرت لنا عرائس الورود على لثام غبوقها . وأدارت علينا سلاف طلها كؤوس الزهور . قبل أن ترشفه شمس البكور . وحيتنا راحة الراحة والسرور . بأصابع المنثور . وغنت لنا مطوقات شواديها على العيدان . وأعربت وهي عجماء بفنون تمايلت لها قدود الأفنان . حتى لو سمعها ركب العشاق . على النوى لنسي الحجاز والعراق . وتمنى الدخول لذلك البستان . ورقصت بين أيدينا جواري الماء . وظهرت مع وجود شمولنا وبدورنا نجوم النبات حتى ظنناها نجوم السماء . ولاح لنا عارض الغيث وشارب الآس فاذكر العيش السالف . وطاف النسيم بكعبة صفانا طواف القدوم فما كان ألطف ذلك الطائف . غير أننا كنا نسمع محاورة . ضمنها منافرة ومحاضرة . فسألنا الرياض عن جلية الأثر . فقالت سلوا النسيم فقد أصبح عند النسيم الخبر . فوجهنا وجه السؤال الوسيم . إلى قبلة النسيم . فتدلى وتدلل . وما ألطف النسيم إذا تعلل ، ثم مر بنا مقبلا ومقبلا ، وكلما مر حلا ، وقال يا أهل الفراسة والسياسة ، والفتوة والمروءة والحماسة ، انها منافسة بين الماء والهواء أوجبها حب انفراد كل منهما عن صاحبه بالرياسة ، فهل تنعمون بحضورهما لديكم ، ومثولهما بين يديكم ، ليعرض كل ماله من حسن الأوصاف ، وتحكموا بينهما بالعدل والإنصاف ، فقلنا لا نكره ذلك ولا نأباه ، فهلم بهما الينا

لترفع ما بينهما من الاشتباه ، فشمس الحق لا يحجبها حجاب الباطل ، وهيهات تكتم في الظلام مشاعل ، فلم يزل الحق ابلج ، والباطل لجلج ، وحسبك قول خالق الخلائق ، « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق »[١] ، فعند ذلك مرى النسيم اليهما مسرى النوم في الأجفان ، والروح في الأبدان ، والراح في الندمان ، فأتى بهما وهو يتبسم ويتنسم ويتسنم ، فحيا[٢] كل منهما وبيّا[٣] وسلم ، فقلنا : وانتما حييتما ما عطس الفجر ودب الظلام ، فانكما أعظم دعائم الجماد والنبات والحيوان والانسان ، وأنتما الشقيقان اللذان لم يوجد لهما ثالث في عالم الامكان ، فهل ولج بينكما ذو نفاق ، حتى صدر منكما هذا الشقاق ، أو ذلك من دسائس النفس الأمارة ، ووساوس تلك العدوة الغدارة الغرارة ، التي لا تأمر الا بالشر ولا تصبو إلاّ الى الضر ، كيف لا وهي عروس ابليس ، ومصدر أفعال التدليس والتلبيس ، اعدي العدى ، وسبب الردى ، قال لها الحق اقبلي فأدبرت ، واعرضت عن جانبه واستكبرت ، حتى ألقاها في الجوع ، والجأها به الى الذل والخضوع ، فالشر في إهمالها ، والخير في إعمالهـا وإذلالها ، فمن أطاعها ندم ، ومن عصاها سلم ، ومن قهرها بالجهاد فهو بطل ، ومن ملكها من مدينة جسمه خَرِب نظام انسانيته وبطل ، فالرأي للعاقل أن يحذر مكرها ، ويخالف أمرها ، لا سيما ان أمرته بقطع رحم القرابة والأرب ، أو رحم الصحبة أو الحرفة التي كل منهـا لحمة كلحمة النسب . والمرء قليل بنفسه كثير بالإخوان ، والرحم مشتقة من الرحمن ، ولهذا يصل من وصلها ، ويفصل من فصلها ، وخير الناس من جنح إلى الصلح ، ولم يداو جرحاً بجرح ، كما قال الشاعر :

---

(١) سورة الأنبياء الآية ١٨ .

(٢) يقال : حياه الله ، أي أطال عمره وأبقاه .

(٣) وبياه بمعنى بوأه ، أي ملكه ، أو رفع مقامه .

داوى جوى[١] بجوى وليس بحازم   من يستكف النار بالحلفاء[٢]

وقال آخر :

من يشف من داء بآخر مثله   اشرت[٣] جوانحه من الأدواء

وقال الآخر :

وما كنت إلا مثل قاطع كفه   بكف له أخري فأصبح أجذما

والجزم فيما قاله الشاعر :

قومي هم قتلوا أميم أخي   فإذا رميت أصابني سهمي

على أن الدنيا دار زوال ، ومنزلة ارتحال ، ولا يليق بالعاقل أن ينافس فيما يزول ، ويوجه وجه آماله ما للفناء يؤول ، كما قيل :

منافسة الفتى فيما يزول   على نقصان همته دليل
ومختار القليل أقل منه   وكل فوائد الدنيا قليل

ولا يغتر الفتى بقول الشاعر :

وكل أخ مفارقه أخوه   لعمر أبيك إلا الفرقدان

بل يتأمل قول الآخر :

قلت للفرقدين والليل ملق   سود أكنافه على الآفاق
ابقيا ما استطعتما فسيرمى   بين شخصيكما بسهم فراق

ولقد استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم من جار السوء في دار المقامة ، إشارة إلى أن جار الدنيا يتحول عنك أو تتحول عنه ، وإنه لا يليق الضجر منه ولا السآمة ، ومن المعلوم أن الدنيا ان بقيت لها لم تبق لك ، فطوبى لمن جعلها قنطرة لآخرته فمر بها على هذا القصد وسلك ، وويل لمن اغتر بسكونها وهي تمر مع السكون كالظل مر السحاب ، وظنها

(١) الجوى : شدة الوجد من حزن أو عشق ، وداء في الصدر .
(٢) الحلفاء : نبت أطرافه محددة كأنها سعف النخل .
(٣) أشر : إذا مضى في غلوائه .

شراباً ولو اختبروها لم يجدها غير آل وسراب ، ويا سعـــادة من أقصر ، عندما أبصر ، واعتبر لما اختبر ، فالدهر افصح مؤذن بالزوال ، وأنصح مؤذن بالارتحال ، فلما سمع الماء ماقلناه من الكلام ، وتأمل مافيـه من منثور النثر وقلائد النظام ، تموج وتأود ، ورغا وأزبد ، وجرى واضطرب، وعبس بعد القهقهة وقطب ، وقال يا معشر الأكابر ، أما بلغكم قول الشاعر :

إذا لم تكن إلا الأسنة مركبا فلا رأي للمضطر إلا ركوبها

وقول الآخر :

ولم تزل قلة الإنصاف قاطعة بين الرجال وإن كانوا ذوي رحم

وقول الآخر :

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند

وقول السفاح وهو أول من وطد الخلافة العباسية
حين قتل بنو عمه بني أمية

نُفلق هاما من رجال أعزة علينا وإن كانوا أعق والأما

أما عرفتم ان الأخ المعاند ، كالعضو الزائد ، يشين الذات ، ويمنع اللذات ، فقطعه من الرشد ، وإن آلم الجسد ، هـذا ولا يَغرُّ الهواء صفائي فكم تكدرت ، ولا يثق بسلاستي فكم انعقـدت واستحجرت ، والذي جمعت في صفاتي الأضداد ، كما قال الشاعر وأجاد :

أنا كالورد فيـه راحة قوم ثم فيـــه لآخرين زكام

وحسبك ماقاله الشاعر : «كالماء فيه الحياة والغرقُ» ، فإن زعم الهواء ان له عليّ فضيلة ، فليعرضها على اسماعكم غير متعلل بعـلة ولا متحيل بحيلة ، فقلنـا نعوذ بالله من اجتماع النفس والهوا ، فمن رام منكما ان يتكلم فليجعل منبر الفخر له مستوى ، فعند ذلك ثار الهواء وله غبار ، وصعد منبر الفخار ، وقال الحمد لله الذي رفع فلك الهواء ، على عنصر التراب والماء ، ونفخ في آدم من روحه وعلمه جميع الأسماء ، أما بعـد

فمن عرفني فقد اكتفى ، ومن جهلني فـأبدو له بعد الخفا ، أنا الهواء الذي أؤلف بين السحاب ، وأنقل ريح الأحباب ، وأهب تارة بالرحمـة وأخرى بالعذاب ، نصر الله بي محمداً وصحبه الأمجاد ، وأهلك الله بي قوم عاد ، وأنا الذي تم بي ملك سليمان ، وأجرى المـاء في خدمتي بكل مكان ، وسير بي الفلك في البحر كما تسير العيس في البطاح ، وأطار بي في الجو كل ذات جناح ، وأنا الذي العب بالطرر فـوق الغرر ، كما العب بلحى الجبابرة من البشر ، وأنا الذي يضطرب مني المـاء اضطراب الأنابيب في القناة والثعبان في الشعبان[1] ، وأنا الذي اميل قامات الاغصان ، وأدني عارض الغيث وعذار الآس من خـد الشقيق وشارب الريحـان ، إذا صفوت صفا العالم وكان له نضرة وزهو ، وإذا تكدرت انكدرت النجوم وتكدر الجو ، لا اتلون مثل الماء ، المتلون بلون الاناء ، لولاي لما عاش كل ذي نفس ، ولولاي لما طلب الجو من بخار الارض الخارج منها بعد ما احتبس ، ولولاي لما تكلم آدمي ولا صوّت حيوان ، ولا غرد طائر على غصن بان ، ولولاي ماسمع قرآن ولا حديث ، ولا عرف طيب المسموع والمشموم من الخبيث ، فكيف يفاخر بي الماء الذي يشبه الله به الدنيا البغيضة ، التي لاتعدل عنده جناح بعوضة ، وانا الذي اطير بلا جناح إلى جميع الجهات ، وهو الذي يخر على وجهه ويمشي على بطنه كالحيات ، وحسبي وحسبه هذا التفاوت العظيم « افمن يمشي مكباً على وجهـه اهدى أم من يمشي سوياً على صراط مستقيم »[2] ، وحسب الماء ذمًّا خلوه من الحرارة المشتقة منها الحرية ، وكون الرطوبة فيـه طبيعية غريزية ، وانـا الذي سلم قلبي من القلب وان كان من أحرف العلة ، وهو الذي قلب الله قلبه ، لتحركه وانفتاح ماقبله ، وانا الذي جعلني الله نشراً بين يدي رحمته ، وجعل مني طوفاناً استأصل به ماتركه

---

(١) موضعه .
(٢) الملك / ٢٢

آدم من ذريته ، هذا وما خصني الله به من المزايا يعجز عنه فم الدواة ولسان القلم وصدر الرقيم ، وفوق كل ذي علم عليم ، وأما أنت فحسبك عيباً قول بعض الأدباء ، فلان كالقابض على الماء ، وبالله قل لي أي فخر لمن يعز مفقودا ، ويهون موجودا ، ومن إذا طال مكثه ، ظهر خبثه ، وإذا سكن متنه ، تحرك نتنه ، ومن نبع من الصخور ، ومر مذاقه في البحور ، وشرق به شاربه ، وغرق فيه مجاوره ومصاحبه ، وعلت فوقه الجيف ، وانحطت عنده اللآلىء في الصدف ، وقد بان الصحيح من السقيم ، والمنتج من العقيم ، أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم . ثم انحدر من منبره ، ووعينا ما سرده من مفخره ، وقال للماء ، هات يا أبا الدأماء ، فملا الماء بموجه ، حتى صعد إلى ما انحط عنه الهواء من أوجه ، ولولا الأرض تملكه لسال ، لكنه تجلد وأقبل علينا وقال ، الحمد لله الذي خلق كل شيء ، وجعل من الماء كل شيء حي ، اما بعد فقد سمعت جعجعة [1] ووعوعة [2] ظننتها صرير باب ، أو طنين ذباب ، باطل في صورة حق ، وسراب إذا تأملته زال وامحق ، فاسمع أيها الهواء ما أتلوه من آيات فخري الشامل ، وما أجلوه عليك من عقد فضلي الذي أنت منه عاطل ، « وقل جاء الحق وزهق الباطل » [3] ، اعلم اولاً ان الدعوى قبيحة ، وإن كانت صحيحة ، كما قيل :

وما أعجبتني قط دعوى عريضة ولو قام في تصديقها ألف شاهد

فكيف إذا كانت بالزخارف مموهه ، فهي أقبح من الخلقة المشوهه ، ولعمري لا يروج الدرهم المغشوش ، وإن احكموا فيه انواع النقوش ، لاسيا إذا كان الناقد بصير [4] ، ولا ينبؤك مثل خبير ، هذا وقد سردت

---

(١) الجعجعة : صوت الرحى : أسمع جعجعة ولا أرى طحناً .

(٢) وعوع القوم وعوعة : ضجوا .

(٣) الإسراء / ٨١ .

(٤) كذا وردت في الأصل .

مازعمته فيك من الخصوصيات على سبيل المفاخرة والمباهاة ، وانا أقول ما منّ الله به عليّ على سبيل التحدث بنعمة الله ، فأقول انا مخلوق ولا فخر ، وأنا لذة الدنيا والآخرة ويوم الحشر ، وأنا الجوهر الشفاف ، المشبه بالسيف إذا سل من الغلاف ، وقد خلق الله مني جميع الجواهر حتى اللآلىء في الأصداف ، أحيي الارض بعد مماتها ، وأخرج منها للعالم جميع أقواتها ، واكسو عرائس الرياض انواع الحلل ، وانثر عليها لآلىء الوبل والطل ، حتى يضرب بها في الحسن المثل ، كما قيل :

ان السماء إذا لم تبك مقلتها لم تضحك الأرض عن شيء من الزهر

وانا الذي اقتل العجوز ، وأذهب حرارة آب وتموز ، وقد أفتاني الأفاضل ، ان من دخل علي من باب المفاخرة انه لايجوز ، فكيف ينكر فضلي من دب او درج ، وانا البحر فرعي وفي المثل حدث ولا حرج ، وأما انت ايها الهواء فكم ذهبت فيك نصائح النصاح ، كما قال ابن هرمة : وبعض القول يذهب في الرياح

ولعمري انه لايفي قبولك بدبورك ، ولا تقوم جنتك بسعيرك ، وطالما أهلكت امماً بسمومك وزمهريرك ، فكم تواتر عنك حديث تشمئز منه النفس وتمجه الاذن ، وحسبك من العناد أنك تجري بما لا تشتهي السفن ، وانت المولع برقص الجواري كفعل الفساق ، وانت الذي تهيج التراب وتغري النار بالإحراق ، كما قال فيك ابن الرومي :

لاتطفئن جوى بيوم انــه كالريح يغري النار بالإحراق

ومن عيوبك انك لا تسكن ولا يقر لك قرار ، ولم تفهم الإشارة في قوله تعالى « وله ما سكن في الليل والنهار »[1] ، وقد ضربت العرب بعدم استقامتك الأمثال ، كما نقله عنهم اصحاب القصص فمن ذلك قولهم :

ان ابن آوي لشديد المقتنص وهو إذا ماصيد ريح في قفص

---

(١) الأنعام / ١٣ .

وأما قولك لولاي لما عاش انسان ، ولا بقي على ارض حيوان ، فجوابه لو شاء الله لعاش العالم بلا هواء ، كما عاش عالم الماء في الماء ، ولم لا قلت ان غالب هلاك كل ذي روح من الوباء ، وانه لولا الرطوبة التي اكتسبتها انت مني بالمجاورة ، لاحترقت انت فضلا عن العالم لمجاورتك لطبيعة النار الحارة ، فعلم بهذا ان حرارتك عرضية ، لا انها فيك طبيعية ، ولو شئت لافتخرت عليك بالحرارة التي تعرض لي من النار والارتماض[1] ، ولكن لا يليق بالعاقل ان يفتخر بالاعراض ، لان العرض لا يبقى زمانين ، كما برهن على أنه لا ينتقل الى مكانين ، وما الافتخار بشيء سريع الزوال ، او بعرض ليس لطبيعة الشخص عليه انجبال ، قال الشاعر :

واحق مـن نكسته بالذل من درجاتـه
من مجـده من غيره وسفاله مـن ذاتـه

ولذلك قيل :

لسنا وان احسابنا كرمت يوماً على الاحساب نتكل
نبني كما كانت اوائلنا تبني ونفعل مثل مافعلوا

واما قولك ان طبيعتي الرطوبة فذلك اعظم فخري ، لأن الرطوبة مادة الحياة التي في الاجسام تسري ، اذ الحرارة بمنزلة النار في الأبدان ، والرطوبة لها بمنزلة الأدهان ، وإذا خلص الدهن انطفأ السراج ، وزال مافيه من النور الوهاج ، واما تعييرك لي بأني متلون ، فالتلون صفة عارف الزمان ، المتخلق بقوله تعالى « كل يوم هو في شان »[2] ، واما قولك قلبي قد انقلب ، فالحمد لله الذي قلبه لأعلى الرتب ، لأنه كان آخر الحروف فصار اولها ، وكان مفضولها فصار أفضلها ، إذ الألف تدل على الذات الأحدية ، والباء تشير للحقيقة المحمدية ، فكل الأحرف من الباء ،

---

(١) ارتمض من الحزن : احترق .

(٢) الرحمن / ٢٩ .

والباء إذا فنيت صورتها ، وتعينها ونقطتهـــا ، كانت عين الألف بلا مراء ، وأما قولـك ان في حرف علة ، وإنني منسوب بوجوده فيّ الى الذلة ، فلا يليق ان تعيبني في شيء اوجد الله فيك مثله ، وهب انك خلوت منه فهل تخلو من قول الاطبـاء فيك انك أساس كل علة . وأما قولك ان الله شبه بي الدنيا فقد شبه فيك أفئدة الكفار ، وجعل زمهريرك سعيراً في النار ، فأنت المذموم مقصوراً وممدوداً ، ان مددت كنت جبـاراً عنيداً ، وإن قصرت كنت إلهـا معبوداً ، وأنا الذي لا أتغير بالمد ولا بالجزر ، وكيف يتغير من هو مادة البحر ، وأما افتخارك برفعة المنازل ، وعدك ذلك من أعظم الفضائل ، فلا فضيلة للشخص بالمكان ولا بالزمان كما قال الشاعر الملسان :

ولو كان المكان له علو لطار الجيش وانحط القتام [١]

وقال الطغرائي :

وإن علاني من دوني فلا عجب لي اسوة بانحطاط الشمس عن زحل

هذا وأنشدك الله اينا كان عليه عرش الرحمن قبل خلق العالمين ، وأينا الذي جعل منه كل شيء حي وذكره بذلك في كتابه المبين ، وأينا الذي بعث فيه ابن عباس إلى ملك الروم في قارورة كان أرسلها اليه مع بعض الجنود ، وطلب منه أن يضع له فيها كل شيء والشيء عندنا هو الموجود ، أما كفاك شهادة الله لي بالطهورية في قوله تعالى : « وأنزلنا من السماء ماء طهوراً ، لنحيي به بلدة ميتاً ونسقيه مما خلقنا انعاماً وأناسي كثيرا» [٢] ، اما بلغك شهادة الله ببركتي وحسبي بهـا فخراً في طول البلاد والعرض ، حيث قال في كتابه العزيز : وأنزلنا من السماء ماء مباركا فأسكنـاه في

---

(١) القتام : غبار الحرب .

(٢) الفرقان / ٤٨

الأرض (١) ، اما رايت ماحباني الله به من عظيم المنة ، حيث جعلني الله نهراً من أنهار الجنة ، أما علمت أن مني حوض من كان إذا مشى في الشمس تظله الغمامة ، اما تيقنت انني نبعت من بين أصابعه فكنت له معجزة كما أكون لوارثي مقامه الرفيع كرامة ، أما عرفت أني ارفع الأحداث ، وأطهر الأخباث ، وأجلو النظر ، وأكون للمؤمنين في الآخرة نوراً في محل التحجيل والغرر ، اما رأيت الناس إذا غبت عنهم يتضرعون إلى الله بالصوم والصلاة والصدقة والدعاء ، ويسألونه تعالى إرسالي من قبل السماء ، واعلم أنني مانلت هذا المقام الذي ارتفعت به على أبناء جنسي ، إلا بانحطاطي الذي عيرتني به وتواضعي وهضم نفسي ، وأنا لا أحب المعالي ، وأنا سلم للمحل المنخفض ، وحرب المحل العالي ، لا اتجاوز حد العبيد ، ولا أنازع فيما أختص به من الصفات التي لاتغني ولا تبيد ، بل أخشى دائماً بطشه ، واستحضر قوله تعالى : « إن بطش ربك لشديد » (٢) ، فلذلك باعدني الله من النار ، وجعلك حجابا بيني وبينها اتقي بك ماتطاير منها من الشرار ، وقد علم كل عالم أن فضائلي تجل عن الحصر ، وأني سيد العناصر ولافخر ، أقول قولي هذا وأستغفر الله من لغو الكلام ، وأسأله لي ولأحبابي حسن الختام . ثم نزل والتمس منا أن نحكم له بالفضل على الفور ، وأن نجانب في حكمنا الميل والجور ، فقلنا له بأن كلا منكما أدلى إلى الفضل بحجة ، وسلك من الدلائل العقلية والنقلية اوضح محجة ، غير ان تكافؤ الأدلة ، غادر منا الأفكار مضمحلة ، وقد عجزت عن ترجيح فضلكما الأفكار ، كما عجز القاضي الأفعى (٣) عن الحكم لأبناء نزار ، وليس لهذه المعضلة ، والحادثة

---

(١) نصّ الآية الكريمة : « وأنزلنا من السماء ماءً بقدر ، فأسكناه في الأرض » المؤمنون / ١٨ والآية الثانية : « ونزلنا من السماء ماءً مباركا ، فأنبتنا به جنات وحب الحصيد » سورة ق / ٩

(٢) البروج / ١٢

(٣) الأفعى الجرهمي : حكيم جاهلي قديم ، كان منزله بنجران ، تقصده العرب في قضاياهم فيحكم ولا يرد حكمه ، وقصته مع أبناء نزار في ابن الأثير ٢/ ١١ .

العظيمة المشكلة ، إلا الكبار لا الهمج الرعاع ، كما قيل : إن الكبار اطب للأوجاع ، قال بعضهم :

إن العظيم يحمل العظيما   كما الجسيم يحمل الجسيما

ولعمري ليس لها غير إمام عصرنا ، وعزة شامنا ومصرنا ، المجتهد الذي قلد بيره أعناقنا تقليدا ، وأخجل لطفه غض الزهر فتستر بأكمامه حتى رأينا في خدوده توريدا ، اعظم الموالي قدرا ، وأعلاهم نجرا ، وأرحبهم صدرا ، وأكثرهم برا ، وأنفذهم نهياً وأمرا ، وأعدلهم نحيزة ، وألينهم شنشنة وغريزة ، ذو اليدين ، الذي كأنه ذو الخلال او ذو النورين ، من لو رآه ذو الجناحين لطار لفضله ، او ذو البطين المال لبذله ، او ذو الأذنين لروى أحاديث شمائله الملاح ، او ذو الهلالين لقال انه الشمس وغرة الصباح ، صاحب الطالع السعيد ، الجاري سيب كفه على الصعيد جري السعيد ، الجواد المذهب غلة الجواد ، من برز في ميدان الفضل وأبرز ، وحوى قصبات الرهان وأحرز ، وزركش تاج المجد وطرز ، المحسود ، المحشود ، رشيد الموالي وعين امينها ، وأبو عذرة المروءة وابن مدينها ، والمتقلد من فرائد المحامد بثمينها ، خلاصة العبّاد من العباد ، وثمرة دوحة روض الحقائق من آل مراد ، من فضله الجوهر الفرد عند كل منصف وعندي ، جناب مولانا وسيدنا عين اعيان الموالي الكرام السيد عبد الرحمن افندي ، لا زال وهو البر بحر الجود ، ونجم الهدى والسعود ، موطىء العقب والاكناف ، حامي الذمار والاطراف ، منيفاً على آل عبد منـــاف ، ملحوظاً بعين العناية والألطاف ، فإنه عذيق الشام المرجّب (١) ، وروضها المشذب المهذب ، ومعشوقها المحبب ، وروحها الذي بها قوامها ، وسلكها الذي لايتم إلا به نظامها ، فكل من لم يثن إلى قصده العنان كان اشد ندماً من الكُسَعى (٢) ، وأخسر صفقة من

---

(١) رجبه : هابه وعظمه . رجب النخلة : وضع حولها الشوك لكيلا يصل إليها أحد ، ومنه : « أنا عذيقها المرجب » أي المهيب المعظم .

(٢) تراجع قصته في « فرائد اللآل ، في مجمع الأمثال » للأحدب ج ٢/٣١١ طبعة بيروت سنة ١٣١٢ هـ

أبي غبشان (١) ، لأنه لا يصرف الهمة ، لدني الهمة ، ولا تبصر منه إلا رُؤبا (٢) كالنجم في الدآدىء (٣) المدلهمة عنـــده الحُجنة (٤) ، اعظم هجنة ، وخلف الوعد ، خلق الوغد ، وعـــدم الجود بالموجود ، من سوء الظن بالمعبود ، له توكل الطير ، وعنده لامرف في الخير ، يحب المحاسنة ، ويكره المخـــاشنة ، ويحاشي مجلسه من المحاشنة (٥) ، فياله من جواد واسع المجَسَّة (٦) ، لا يرتاع من المحسة ، ونجيب لايقعقع له بالشنان (٧) ولا ينبه بطرق الحصى (٨) وهل ينبه اليقظان ، وإن تأملت عزمه ولحظـــه ، تحققت انه اسد بيشة (٩) ولحظه فمن باراه فقد ماقس (١٠) حوتا وصارع ضرغاماً ، وقاوم بالهراوة عضبـــاً حساماً ، ونضح بقرنه المقطم ، ورام ان يحـكي بسرابه البحر الغطمطم (١١) ، ولم يعلم ان بيت القدس ، غير بيت الغدس (١٢) ، وان بقيـــع الغرقد (١٣) ، غير رقيع الفرقد (١٤) ، وان شجر المرخ (١٥) ، غير شجر الورخ (١٦) ، وان الزنبور

---

(١) انظر (ج ١/١٨١) من « الفرائد » .
(٢) الرؤبة : ماتسد به الثلمة .
(٣) الدآدىء من الليالي : الشديدة المظلمة .
(٤) الحجنة : الاعوجاج ، أو ماخصصت به نفسك .
(٥) حاشنه : شاتمه وسابه .
(٦) أي رحب الصدر ، ويقال فلان ضيق المجس والمجسة ، أي غير رحب الصدر .
(٧) أي لايتضعضع لحوادث الدهر ، ولا يروعه مالا حقيقة له .
(٨) طرق الحصى : عمل من أعمال الكهانة في السحر .
(٩) في معجم ما استعجم للبكري : بيشة : وادٍ من أودية تهامة ، وبيشة أخرى وهي بيشة السماوة ، وهي مأسدة . ج ١/٢٩٣ طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .
(١٠) ماقسه مماقسة : غامسه وغالبه في الغوص ، ويقال : « هو يماقس حوتا » إذا خاصم أقوى منه .
(١١) الغطمطم : البحر العظيم .
(١٢) العنكبوت
(١٣) بقيع الغرقد : مقبرة المدينة على ساكنها الصلاة والسلام .
(١٤) الفرقد من الأرض : المستوى الصلب .
(١٥) المرخ : شجر رقيق ، سريع الوري ، يقتدح به .
(١٦) ورخ يورخ ورخاً : العجين ، كثر ماؤه والمسترخي . ومكان ورخ : ملتف العشب .

غير البازي وان شاركه في الخفق والطيران ، وان ورد السلم[١] غير ورد البستان ، ولله در من قال :

قد يبعد الشيء من شيء يشابهه ... ان السماء شبيه البحر في الزرق

ومن قال :

وقد يتقارب الوصفان جدا ... وموصوفاهما متباعدان

فإن يفق الأنام وذاك منهم ... فإن المسك بعض دم الغزال

كما قلت فيه :

لا غرو لابن المرادي ... وذاك شمس المواكب

إن فاق كل الموالي ... فالشمس بعض الكواكب

فهلم للوفود عليه ، والمثول بين يديه ، فهو الذي يستنبط المسائل ويرضى بفضله وبذله كل مسائل ، وإن لم يكن غير مكارمه اليه وسائل . فلما سمع الماء والهواء بمعروف ذلك الحبيب السري ، والإمام الهمام العبقري[٢] ، تعشقاه على السماع ، وطلبا منا المبادرة إلى جنابه ليبلغا منه حظ الاجتماع ، فسرنا بهما إلى جنابه ، حتى بلغنا فسيح رحابه ، وكحلنا الجفون بإثمد اعتابه ، فصادف دخولنا خروج كعبة ذاته من حرم الحرم فكأنما خرج الورد من الأكمام والليث من الأجم ، فنهضنا له على الأقدام ، وحيانا بألطف سلام ، وتسلم سلم قصره الفريد ، وأشار الينا أن نتبعه في الصعود الى ذلك القصر المشيد ، فرأينا قصراً ينسب الخورنق[٣] للقصور ، ويغمد غمدان[٤] كما تغمد في أجفانها الذكور[٥] ، وما بالك

---

(١) السلم : شجر من العضاه يدبغ به ، ومنه سمي ذو سلم ، والعضاه : كل شجر يعظم وله شوك ، واحدته : عضاهة وعضة .

(٢) العبقري : كل مايتعجب من كماله وقوته وحذقه .

(٣) قصر في العراق عمره نعمان اللخمي لبني ساسان ، ثم وسعه العباسيون .

(٤) قصر في صنعاء اليمن ، كان يعتبر من عجائب الدنيا .

(٥) أي كما تغمد في أغمادها السيوف .

بقصر شهدت فضلاء الأكياس ، بأنه جمع محاسن الدنيا كما جمع صاحبه محاسن الناس ، فكنا كما قال القاضي الفاضل :

فمتعت آمالي بمولى هو الورى ودار هي الدنيا ويوم هو الدهر

ثم أمر لنا بالجلوس ، هذا وعطف كل منا من الطرب ينوس [١] ، فأقبلت علينا ذات الدولة وبنت الوجاق ، التي كلما مرت حلت ، وكلما ثقلت خفت ، على كل من رشف منها وذاق ، السمراء المعشوقة ، المقبولة مشروبة ومرئية ومنشوقة ، بنت اليمَن واليمْنِ ، ذات الجمال والحسن،

كسواد العيون تظهر للنا س سواداً وفي الحقيقة نور

التي أرخصت الغالية [٢] وكانت ندها ، وملكت عنبر الطيب فأصبح يقول لاتدعني إلا بياعبدها ، وغارت بكر السلاف حتى اصفرت من غيرتها ، وأصبحت عجوزاً شمطاء ما رآها راء الا وقد طاب وجهه من قباحة صفرتها ، وأين بنت الحرام من بنت الحلال ، وأين جونة [٣] المسك من قوارير الأبوال ، فأخذنا تلك البنية بالنية الصافية ، وشربناها فقامت بها دعائم العافية ، ولم نزل نرشف منها ذوب المسك ومحلول السَّبَج [٤] ، حتى جاءتنا قصبات السبق للسرور تنادي ما على من أحرز قصبات السبق وتاه من حرج ، فيالها قصبات تدهش الأبصار ، كأنها أغصان بان في طرف كل غصن زهرة من جلنار [٥] ، وقد اشتمل مجلسنا على كل نديم له صورة الدمية [٦] ونفحة الريحانة ، ونشوة السلافة ولطافة الدرة اليتيمة والجمانة [٧] ،

---

(١) يتحرك .

(٢) أخلاط من الطيب ، جمعه : غوال .

(٣) الجونة : الخابية المطلية .

(٤) السبج : الخرز الأسود .

(٥) الجلنار : زهر الرمان .

(٦) الدمية : الصورة المزينة ، فيها حمرة الدم .

(٧) الجمانة : اللؤلؤة .

أديب المعي ، كأنه الأصمعي [١] تراه الكامل في الأدب ، والعمدة في كل مطلب ، يأتيك من البديع بما يخجل ربيع الزهر وزهر الربيع ، يثمر المسامرة ويحضر المحاضرة ، ويتقن المحاورة ، ويحسن المجاورة ، يبادهك بما رق وراق ، ويجلب لك الغصن من أزهار الافكار وثمرات الأوراق ، يجود على السمع بما يطلب القلب من الافتراح ، ويجلو عليك من راح ملحه مايوجب لك الراحة والارتياح ، كما قيل في أمثالهم :

لنا جلساء لايمل حديثهم ... البّاء مأمونون غيباً ومشهداً

إذا ما خلونا كان حسن حديثهم ... معيناً على نفي الهموم ومسعداً

يفيدوننا من علمهم علم من مضي ... وعقلا وتهذيباً ورأيا مسدداً

ولا غيبة نخشى ولا سوء عشرة ... ولا نتقي منهم لسانا ولا يداً

وما زلنا نقتطف منهم زهور الآداب ، ونخترف [٢] ثمار الألباب ، وهم يمزجون جدهم بالمفاكهة والمداعبة والمباسطة ، ويزهو كالعقد وصاحب المنزل لهم كالواسطة ، ومجلسه يحتفل بالوافدين ، ويغص بالواردين ، وهو يخاطب كلا على حسب قدره وعقله ، ويتحف كل من له وطر بقضاء وطره ، ولا يتعلل كغيره بشغله ، حتى أقبل ملك الليل بسواده الأعظم ، ونثر على الافلاك جواهر النجوم التي كأنها العقد المنظم . هذا ونحن في فلك السعود ، كواكبنا وسماؤنا دخان العنبر والعود ، وقد أشرق بدر تلك المنازل بالنور والكمال ، وأشرف علينا بجبين لطيف رأينا عليه الهلال ، وشنف بدر منطقه منا الأسماع ، حتى خيل لكل منا أنه جليس القعقاع [٣] ، وما زلنا في ليلنا نجمع عقود السرور كأنها فذلك [٤] ، ونتمتع بنعيم لو

---

(١) عبد الملك ، من مشاهير لغويي العرب ، حفظ لغة البدو ولهجاتها ، وعهد اليه هارون الرشيد بتعليم الأمين (مات سنة ٢١٦هـ) .

(٢) قوله : نخترف أي نجتني

(٣) شاعر مجاهد ، فتح دمشق تحت قيادة خالد بن الوليد ، رضي الله عنهما .

(٤) فذلك الحساب : فرغ منه ، والفذلكة : مجمل أو خلاصة ما فصل أولاً

مثلنا عن أنفس أعمارنا فذلك ، حتى نبذ الله الكرى في هامة منا وراس ، فأسكرتنا سنة النوم والنعاس ، وهجم علينا ملك الكرى ، وقد كاد أن يشيب عارض الليل بما سال من دمع الشمع وجرى ، وعند ذلك طوينا من المنادمة بساطها ، وتفرقنا تطلب كل نفس منا راحتها وانبساطها ، ثم اضطجعنا على الوساد للرقاد ، وأعطينا الجفون حقها من الإغفاء بعد السهاد ، ولم نزل في ضيافة المنام ، تقربنـــا أياديه السرور في الأحلام ، حتى لفظ الشرق من لهواته ياقوتة سهيل ، ودب مشيب الفجر في عـــارض الليل ، فنهضنا للصلاة ، وجلس كل منا بعدها في مصلاه ، حتى طلعت شمس صاحبنا الفائق ، على الصاحب ابن عبَّاد[1] ، فنفذ شعاعها من ظواهرنا إلى كل قلب منا وفؤاد ، ثم دخلنا عليه وسلمنا ودعونا له بطول البقاء ، فأجاب وأجاد وأجاز وتلقانا أحسن اللقاء ، ثم جاءت القهوة التي طابت منظرا ، ومخبراً وذوقاً وشما ، ثم جيء بقصبات التبغ فارتضعنا منها كل ثدي يلذ دَرّه ريحاً ولونا وطعما ، فلما استوفينا أوفر حظ ، وخلا مجلسنـــا من كل بارد ثقيل فظ ، وشرب ذلك البحر المحيط بالفضل غليونه ، وأراد أن يلقي عليّ لكوني من الساحل بعض درره الثمينة ، بادرته بالدعاء ، وعرضت عليه مفاخرة الماء والهواء ، وسألته فصل الخطاب ، والإنعام بالجواب ، فالتفت عند ذلك للماء وأخيه ، وقال : إن كلا منكما محق فيما يدعيه ، فما أشبهكما بالسماء بالفرقدين ، وفي الارض بالعينين ، ففضلكما معجز ، لا يكاد يميز أحدكما عن أخيه مميز . وقد نفع الله بكما العالم على تباين أنواعه وأشكاله . وقد ورد ان الخلق عيال الله وان أحبهم اليه انفعهم لعياله ، فلا تشتغلا بالمفاخرة عن شكر هذه النعمة ، واعلما ان حب الفخار اهبط ابليس إلى حضيض اللعنة من أوج شرف الرحمة ، فلا تجعلاه لكما اماماً ، فمن يفعل ذلك يلق اثاماً ، واعلما ان الفخر في الدنيا بالمال ، وفي الآخرة بالاعمـــال ، وأحسن

---

(١) وزير غلب عليه الأدب (م سنة ٣٨٥)

الافتخار الافتقار ، وظهور الذل والانكسار ، فقد قال من سال بين أصابعه الماء المنهمر ، الفقر فخري وبه أفتخر ، فمن كان عبداً لله كان له به الافتخار ، لا من كان النفس أو الهوى أو الدرهم أو الدينار ، فمن مناجاة علي كرم الله وجهه وزاده منه قربا : سيدي كفانا شرفاً أن نكون لك عبيداً ، وكفانا عزاً أن تكون لنا ربا ، وللقاضي عياض [1]

وممــا زادني شرفاً وتيهــاً   وكدت بأخمصي اطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي   وأن صيرت أحمد لي نبياً

على أن مرآة الحق أرتني فضيلة تفضل بها أيها الماء أخاك الهواء ، وحققت لي انكما لستما في الفضل سواء ، وهي ان الله خلق آدم من المــاء وخلق منك إبليس ، فاعترف لأخيك بالفضل عليك ، ودع عنك زخارف التلبيس ، فأكبر من الحق من قبله ، وأصغر من الباطل من عمله ، والتذلل للحق اقرب من التعزز بالباطل ، وأعظم الزلات زلة العاقل ، فعند ذلك عدل الهواء عن هوجه واعوجاجه ، ومخاصمته وعلاجه ، واقبل يقبل ذيل الماء ويعتذر اليه ، من استطالته عليه ، وأقبل كل منهما على صاحب المنزل يؤدي بالدعاء له حقوقه ، حيث سلك بكل منهما مجاز الطريقة والحقيقة ، وسألاني أن أمدح جنابه عنهما بطريق النيابة ففتح الله لي من النظم بابه ، فأنشأت أقول :

عارضت قوماً عن ودادك اعرضوا   وتركتهم ان صرحوا اوأعرضوا
من كل ذي ملق له ان جئته   نفس مذبذبة ورأس منغض (٢)
يلقاك منه عند أول رؤية   جسم صحيح فيه قلب ممرض
يحكي ثعالة وهو في روغانه   والحية الرقطاء حين تنضنض

---

(١) عالم المغرب ، محدث وفقيه وأديب ، (م سنة ٥٤٤ هـ)

(٢) قال في الأصل : أي محرك رأسه تعجبا ومنه قوله تعالى : « فسينغضون اليك رؤوسهم » .

قد طنب الأندال في ساحاته ... بل اطنبوا وبنو المكارم قوضوا

ويقيم منه على ودادك حجة ... ويظن جهلا انها لاتنقض

يا أيها الراجي لحلب بوقه ... خذ بالأصول ودع عوارض تعرض

فلقد رجوت من التيوس حلوبة ... ومخضت ماء مثله لا يمخض

تالله لو أني فرغت لثلبهم ... بالفكر واستنهضت مايستنهض

لسللت سيف الهجر حتى انني ... لم يبق في كفي إلا المقبض

لكن أبى طبعي الطهور لأنه ... يوماً بوجس صفاتهم يتمضمض

وشغلت من هجوي بمدحة سيد ... لمديحه يلغى المهم ويرفض

من بات للرحمن عبداً كله ... وسواه عبد في العبيد مبغض

نجم ادارته السعود على ذرى ... قطب تراه عن العلا لايقرض

شيخ الحقائق بل مراد المنا ... من خلقه الناهض المستنهض

فلأمدحن جنابه بجوارحي ... وجوانحي[1] سخط الحواسد أورضوا

وبظاهري وبباطني وبكل منـ ... ـبت شعرة وبكل عرق ينبض

فالمدح يكره للفتى في كل ذي ... بخل وأما في علاه فيفرض

فهو المحبب للقلوب وغيره ... أبداً وان راق العيون مبغض

شهم إذا أبطأت عنه جاءني ... من فيض راحته نوال مفوض

من لم يرش بالجود منه جناحه ... كرماً فذاك إلى العلا لاينهض

ما ساءني دهري بوجه أسود ... إلا بدا لي منه وجه أبيض

برٌّ يريك خضم بحر زاخر ... فالحلم منه كالندى يتفضفض

ان لم زاد على الملام كأنما ... هو بالملام على النوال يحرض

عجباً لقوم ابصروه شمسهم ... فتطاولوا لمناله وتعرضوا

ورأوه ملء صدورهم وعيونهم ... كالليث في صدر المجالس يربض

فتحوا لأقوال الوشاة عيونهم ... جهلًا وعن بادي المزايا غمضوا

---

(١) الجوانح: الأضلاع تحت الترائب مما يلي الصدر.

فليكفهم ذلاً وخزياً انه　　بحر وإن هم في نداه خوضوا
ندب فأمـــا عرضه فموفر　　أبداً وأما ماله فمعوض
لله فوض أمر دنيــاه وهل　　يلقى العنا عبد اليه مفوض
ياوابلا كل الأنام رياضه　　فمذهب هذا وذاك مفضض
أصبحت نفعاً للأنام وبعضهم　　لأذى البرية والبري مقيض
فلغير ذاتك لاتــتم فضيلة　　ولغير مدحك لايشد المغرض
لازلت في العز الذي لاينقضي　　ومشيد المجد الذي لاينقض
ما أحمد البربير عاش بمدحكم　　طربا ومات به العدو المبغض

ثم رجعت بعد انشادي من عالم الخيال إلى عالم الإحساس ، فلم أر أحدا ممن رأيته من تلك الأنواع والأجناس ، فعلمت أن الدنيا كلهـــا خيال ، وبرق خلب وآل ، والناس كلهم نيام ، وما يرونه في الدنيا اضغاث أحلام [١] ، فسألت الله أن ينبهني وأحبابي من نوم الغفلة قبل هجوم الحمام ، وأن يمتعنا بوجهه الكريم في دار النعيم والسلام ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والحمد لله على التمام .

وله تأليفات كثيرة ، عديدة شهيرة ، وله ديوان شعر ، رفيـــع القدر ، توفي بدمشق عقيا ليلة الخميس لثماني عشرة ليلة من ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائتين والف ودفن بسفح قاسيون في مدفن بني الزكي في جوار الشيخ الأكبر .

ومن قوله أيضاً :

سلبت فؤادي بالبها حبشية　　أبهى من الدينار عند الرائي
انغبت من وجدي أقول لصاحبي　　غلبت علي حرارة الصفراء

(١) أي أحلام مختلطة ملتبسة ، لا يصح تأويلها لاختلاطها .

وقال :

لنا طبيب جـاهل تحكي القرود سحنته
إذا رأى قارورة الـمـريض هز لحيتـه

وقال :

زرقة النيل في يدي من سباني بقوام يفوق سمر الرمـاح
مثل فيروزج السماء تبدى بسنا الفجر في عمود الصباح

وقال وقد أجاد :

مـالاح ريحان العذا ر وآسه من فوق ورده
بل ذاك مخضر السما ء يلوح في مرآة خـده

الشيخ أحمد بن اسماعيل بن الشهاب أحمد المنيني بن علي ابن عمر بن صالح بن احمد بن محمد بن سليمان ابن ادريس بن اسماعيل بن يوسف بن ابراهيم الطرابلسي الحنفي الدمشقي الشهير بالمنيني ·

اللوذعي الإمام ، والألمعي الهمام ، المحقق الفاضل ، والمدقق العالم العامل ، ولد في النصف الثاني من جمادى الآخرة سنة ست وسبعين ومائة والف، واشتغل في طلب العلوم ، على فضلاء دمشق ، حتى برع في منطوقها والمفهوم، ومن جملة من قرأ عليه ، وحصل له مطلوبه لديه ، الشيـخ نجيب القلعي المعروف بأبي حنيفة الصغير ، والشيخ محمد بن عمر المنيني ، وغيرهم من السادات العظام ، والفضلاء الكرام ، وكان ذا همة عليه ، وسخاوة حاتمية ، فصيح المقال ، مستقيم الأحوال ، قد تبسم في دمشق ثغر اقباله ، وانقشع ديجور الإدبار عن مشرق سعده وإجلاله ، وخطبته المناصب ، وأجلسته على منصة المراتب ؛ ولما توفي ابن عمه الشيخ محمد المنيني وانحلت عنه وظيفة التدريس تحت

قبة النسر في جامع بني أمية في شهر رجب وشعبان ورمضان كل يوم جمعة بعد صلاة الجمعة ، وجهت على صاحب الترجمة الأهلية لتلك الوظيفة ، فباشرها بنفسه مرة واحدة ، ثم وكل عنه علامة الزمان الشيخ سعيد الحلبي لعدم اقتداره على القيام بها من مرض أصابه في معدته منعه من ذلك . ولما مات الشيخ سعيد الحلبي جلس في مكانه الشيخ عبد الله بن الشيخ سعيد الحلبي المذكور ، ولا زال قائماً بها إلى أن نفي الشيخ عبد الله المذكور إلى المغوصة سنة الف ومائتين وثمان وسبعين ، بسبب حادثة النصاري في الشام ، فرجعت الوظيفة إلى ولد المترجم الشيخ محمد افندي بن أحمد افندي المنيني مفتي دمشق الشام ، فقام بها في نفسه . مات صاحب الترجمة في الحادي والعشرين من شهر المحرم الحرام سنة ست وخمسين ومائتين والف ، ودفن في مرج الدحداح وقبره ظاهر معروف مشهور .

الشيخ أحمد بن عبيد الله بن عسكر بن أحمد الحمصي الأصل الدمشقي المولد الشافعي الشهير بالعطار

الإمام الصالح العابد ، والهمام الجهبذ الزاهد ، بقية السلف ، ونخبة الخلف ، بركة أهل الشام ، وعمدة العلماء الأعلام ، محدث العصر وفقيهه ، وفطن الدهر ونبيهه ، الذي شاع صيته في القرى والأمصار ، واشتهر قدره كالشمس في رابعة النهار ، إمام الشافعية في جامع بني أمية . ولد بدمشق سنة الف ومائة وثمان وثلاثين ، وقرأ القرآن ، قراءة إتقان ، وتجويد وإحسان ، على مقري الديار الشامية الشريف السيد ديب بن خليل تلميذ سيدي أبي المواهب الحنبلي . وقرأه أيضاً وتلقاه بالأوجه السبعة إلى أثناء سورة الاحزاب على الشيخ العلامة علي بن أحمد الكزبري ، وتفقه عليه وعلى الإمام السند الشيخ اسماعيل بن محمد العجلوني ، والعلامة الشيخ عبد الرحمن الصناديقي ، والمولى

الإمام الملا عباس الكردي ، والشيخ محمد الديري ، والعلامة أحمد البعلي الحنبلي ، والشيخ عواد الكردي ، والشيخ محمد التدمري ، والشيخ محمد سعيد الجعفري ، والشيخ محمد بن سليمان الكردي ، والعلامة التافلاني مفتي القدس ، والعلامة جعفر البرزنجي المدني ، والعلامة عبد الرحمن الطائفي المكي ، والشيخ الجوهري والملوي والحفنى ، والشيخ عطية الاجهوري ، والسيد مرتضى الزبيدي ، والشيخ صالح الجينيني الحنفي ، والعلامة الشهاب أحمد بن علي المنيني وغيرهم كالشيخ موسى المحاسني ، وجعفر البوزنجي ، والشيخ عبد الرحمن الكردي ، وأبي المعالي الغزي ، وعبد الله البصروي . فأدرك من العلوم حظا ، وكاد يستوعب السنن والآثار حفظاً ، إذا تكلم في التفسير فهو حامل رايته ، أوأفتى في الفقه فهو مدرك غايته ، أو ذاكر بالحديث فهو صاحب علمه وذو روايته ، أو حاضر بالنحل والملل لم تر أوسع من نحلته فى ذلك ولا أرفع من حاضرته . فاق في كل فن على أبناء جنسه ، ولم تر عين من رآه مثله ، ولا رأت عينه مثل نفسه : كان يتكلم في التفسير فيحضر مجلسه الجم الغفير ، ويرتوون من بحر علمه العذب النمير ، ويرتعون من ربيع فضله في روضة وغدير ، وقرأ بين العشاءين في الجامع الأموي كتباً عديدة ، منها الجامع الصغير للأسيوطي والجامع الصحيح للامام البخاري [١] وإحياء العلوم للغزالي مرتين ، وشرع في الثالثة ، وقرأ الدر المنثور للسيوطي بعد

---

(١) تفرد في الحديث والتفسير ، وانتفع به خلق كثير ، وهو مؤسس المجد لهذه الأسرة المباركة . وقد مدحه الجندي بقوله :

يا أيها الحبر الذي هو لم يزل　　في الكون بحر فوائد وعوائد

ورثاه العلاّمة ابن عابدين صاحب الحاشية ، بمرثية طويلة قال فيها :

وذاك خاتمة القوم الكرام وَمَن　　تزهو دمشق به كالكوكب السحر

مَن فاق أقرانه طرّا بأربعة　　العلم والحلم والتوفيق والظفر

الظهر في محراب الشافعية ، وغير ذلك ، ووجهت عليه وظيفة تدريس السليمانية ، وقرأ فيها في صحيح البخاري ، وكان مثابراً على أنواع الطاعات والعبادات ، وأفعال البر والخيرات ، وحج أربع مرات ، وارتحل إلى بلاد الروم ومصر ، وكان غالب جلوسه في الجامع الأموي ، وقل ما رئي إلا وهو يدرس أو يقرأ القرآن أو يصلي أو يسبح ، وكان أماراً بالمعروف نهاء عن المنكر ، صواماً قواماً قضاء لحوائج الناس ، ولما تغلب الفرنج على مصر ومشوا على الساحل ووصلوا إلى صفد وبلاد نابلس عامَ الف ومائتين وأربعة عشر شمر عن ساق الاجتهاد ، ودعا الناس الى الجهاد ، وحرضهم عليه وخرج مع عسكر من دمشق مجاهداً بنفسه وماله وأولاده حتى التقى الجمعان ، وكان هو في الصفوف مقابلًا للعدو وهو يحرض الناس على القتال ويبين مالهم من الثواب والأجر ، ولم يزل على طاعته ، وحسن عبادته ، إلى أن توفي في اليوم التاسع من ربيع الآخر سنة ثماني عشرة ومائتين والف وعاش ثمانين سنة ودفن في مرج الدحداح رحمه الله تعالى .

الشيخ أحمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن محمد بن زين الدين ابن عبد الكريم الدمشقي

الشافعي الشهير بالكزبري ، الإمام الشهير ، والهمام النحرير ، ولد سنة الف ومائة وثمانٍ وتسعين ، ونشأ بها يتيما ، وكفله عمه شقيق والده العلامة الشيخ محمد الكزبري ، وأخذ عنه وعن الشهاب أحمد العطار ، مات سنة ثمان وأربعين ومائتين والف ودفن في مرج الدحداح .

أحمد افندي بن علي الدمشقي الحنفي المعروف بالحسيبي

أحد أعيان الشام ، وأوحد الأماجد الأشراف العظام ، نبعة المفاخر ، وعمدة الاكابر ، ونخبة ذوي المآثر ، وحاوي المجد والتقدم كابراً عن

كابر ، ولد بدمشق سنة ألف ومائتين وست ونشأ بها ، وأخذ عن علمائها ، ثم ترقى في المناصب ، ورقي درج المراتب ، إلى أن صار عضواً في مجلس شوري الشام ، وكان مهابا ، مطاعاً مجابا ، وفي ثمان وسبعين ومائتين وألف قد نفي بسبب حادثة النصارى الى قلعة الماغوصة مع من نفي من علماء الشام وأعيانها ، وفي يوم ذهابهم اشتد كرب الناس ، وقوي الهم والباس ، ونادى لسان الحال بفصيح المقال :

خطب كما شاء الإله جليل ذهلت لديه بصائر وعقول
ومصيبة كسفت لها شمس الضحى وهفا ببدر المكرمات أفول
وكبازناد المجد وانفصمت عرى الـ ـعلياء واغتال الفضائل غول
وتنكرت سبل المعارف واغتدت غفلًا وأقفل ربعها المأهول
ومضت بشاشة كل شيء وانقضت فالوقت قبض والزمان عليل
وعلا ملاحات الوجوه سماجة وخفيف تلك الكائنات ثقيل
والروض غبر والمياه أواجن ومعاطف الأغصان ليس تميل
والشمع والألحان لا نور ولا طرب وليس على الشمول قبول
خطب ألم بكل قطر نعيه كادت له شم الجبال تزول
فعلى المعالي والعلوم كآبة وعلى الحقائق ذلة وخمول
والسالكون سطت عليهم حيرة وغوى لهم نهج وضل سبيل
والعارفون تنكرت أحوالهم فحجاب عين قلوبهم مسدول
ودنان خمر الحب قد ختمت وبا ب الحان مهجور الفنا مملول
ما كنت أعلم والحوادث جمة والناس فيهم عالم وجهول
ان الدجى لبس الحداد توقعاً لمصابه قدماً وذاك قليل
أو ان صوب المزن حين هما على عفر الثرى دمع عليه يسيل
أو ان صوت الرعد حنة فاقد فقد العلا فله عليه عويل
أو ان قلب الرعد يخفق روعة لسماع ناع دمعه مسبول

ثم إنه بعد مدة رجع المترجم الى الشام ، وفي سنة ثلاث وتسعين ومائتين وألف توجه الى الحجاز ، فتوفي في الذهاب حين وصوله الى المدائن في السنة المذكورة ، ودفن عند القلعة وقبره ظاهر مشهور ، وقد كتب على قبره ما نظمه له أمين افندي الجندي مفتي دمشق الشام :

حل في ذا الضريح عبد تقي   وحسيب من آل بيت محمد
عاش دهراً ومات قاصد حج   فعلى الله أجره قد تأكد
هاتف الغيب قال بالبشر أرخ   قدست روح ساكن الرمس أحمد

وكتب على الوجه الآخر من بلاطة القبر ما نظمه عبد المجيد افندي الخاني :

أيا ركب الحجاز إذا نزلتم   على ماء المـــدائن للورود
قفوا عند الطلول بنا قليلاً   نحيي أهل هاتيك العهود
هنالك أحمد الشهم الحسيبي   سليل المصطفى فخر الوجود
أهل ملبيـــاً بالحج لكن   أتتـــه دعوة الرب الودود
فقال له البشير اليوم أرخ   لعمرك قد كتبت مع الوفود

أحمد افندي بن سليمان بن يوسف بن محمد بن شمس الدين محمد ابن يحيى بن أحمد الدمشقي الحنفي المشهور كأسلافه بالمالكي

المغربي الأصل ، الدمشقي المولد صدر الشـــام ، وعين أعيانها الفخام ، ولد بدمشق سنة عشر ومائتين والف ، ونشأ في حجر والده ، واشتغل في طلب العلم مدة ثم دخل في جملة الكتاب في محكمة البـــاب ، ثم ولي بعض النيابات في بقية المحاكم الدمشقية ، ثم ترقى وتولى نظارة أوقاف الشام ، ونظارة النفوس وغير ذلك ، ثم عين عضواً في مجلس شورى الشام الكبير ، وتصدر به على غيره . وكان له عند الولاة القبول الزائد ، ومهر في أمور المجلس وبرع ، وكلما مرت عليه الأيام ، يزداد في القدر والاحترام ، وكثر ماله وازدادت أملاكه ، ثم سنة حضور الوزير إبراهيم باشـــا المصري إلى

الشام واستيلائه عليها صار مقبول الكلمة لديه ، يعتمد في مهماته عليه ، وقربه وأولاه ، ومنحه التفاته وأعلى علاه ، وكان المترجم صاحب مروءة يحب قضاء حوائج الناس وكان مرعي الحرمة مقبول الرجاء ، يعرف كيف سلك سبيل مراده ، توفي في اليوم الحادي والعشرين من ربيع الآخر سنة إحدى وسبعين ومائتين والف ودفن في الذهبية من مرج الدحداح .

شهاب الدين أحمد بن محمد نجيب الأيوبي الأنصاري الحنفي الدمشقي

هو الدهر حسنة تكفر ماجنى ، وللزهر خميلة فيهـــا طل وجنى ، توقد في العلوم ذهنه ، وتوحد في الآداب وانفرد بين الأنام حسنه ، وعلا مقامه وارتفع ، وأخذ عنه العام والخاص وبه انتفع ، إلى أن طلع في سماء السيادة بدرا ، وعرف الناس له جلالة وقدرا ، ولد في سنة اثنتين وثلاثين ومائة والف ، وأخذ عن الشيخ اسماعيل العجلوني ، والأستاذ الشيـــخ اسماعيل النابلسي ، والشيخ محمد الغزي ، والشيخ عبد الله البصروي ، والفاضل محمد افندي قولاقز ، والعلامة الشهاب أحمد المنيني ، والشيخ محمد الديري ، والشيخ الداوُدي ، والشيخ أسعد المجلد ، والشيخ أبي المواهب الحنبلي ، والشيـــخ عبد القادر التغلبي المجلد ، والشيخ محمد التافلاتي مفتي القدس الشريف ، والشيخ عبد الرحمن الكفرسوسي ، والشيخ علي الكزبري ، والشيخ سعيد الحلبي ، والشيخ أحمد الحنبلي ، والشيخ أحمد البقاعي ، والشيخ موسى المحاسني خطيب جامع بني أمية ، وعن حامد افندي العمادي مفتي دمشق الشام ، وعن الملا علي التركماني أمين الفتوى ، والشيـــخ محمد التدمري ، والشيخ صالح الجينيني ، وأعاد له الدرس ، وغيرهم من السادات العظام والمشايخ الكرام . مات رحمه الله سنة أربع عشرة ومائتين والف ودفن في تربة باب الصغير .

أحمد بن محمد هلال بن أسعد الشيباني الدمشقي
إمام الحنابلة في دمشق

فرد السادة الحنابلة في دمشق الشام ، وأوحد العلماء العظام ، الإمام المحقق، والهمام المدقق ، اعجوبة الرفاق ، ونادرة الوقت والأوان المتضلع في العلوم ، والمترفع عن كل قبيح ومذموم ، صاحب الاستحضار العجيب ، والذكاء الغريب ، والفضل الذي لايملك عنانه ، والذهن الذي لايشق ميدانه ، وهو أحد فضلاء دمشق وإمام الحديث بها وبدر سمائها المشرق على أفق مشارقها ومغاربها ، ولد بدمشق سنة أربع وستين ومائة والف ، وأخذ الفقه الحنبلي عن العلامة الفاضل الشيخ مصطفى الاسيوطي الحنبلي مفتي الحنابلة بدمشق ومتولي جامع بني أمية . ولد سنة خمس وستين ومائة والف ، وتوفي ليلة الجمعة مع طلوع الفجر ثالث ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين ومائتين والف، وهو عن الشيخ أحمد البعلي الحنبلي مفتي الحنابلة بدمشق ، ولد سنة ثمان ومائة وألف وتوفي سنة تسع وثمانين ومائة والف عن علامة الوجود أبي المواهب الحنبلي مفتي الحنابلة بدمشق ولد سنة أربع وأربعين والف وتوفي سنة ست وعشرين ومائة والف ، عن والده إمام العلماء الشيخ عبد الباقي الحنبلي مفتى الحنابلة بدمشق . ولد سنة خمس والف وتوفي سنة اثنتين وسبعين والف ، عن الشهاب أحمد بن علي الوفائي الحنبلي ، ولد سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة ، وتوفي سنة اثنتين وسبعين والف ، عن القاضي برهان الدين بن مفلح الحنبلي ، ولد سنة ثلاث وتسعمائة ، وتوفي سنة تسع وستين وتسعمائة ، عن والده نجم الدين بن مفلح ، ولد سنة ثمان وأربعين وثمانمائة ، وتوفي سنة تسع عشرة وتسعمائة ، عن جده القاضي برهان الدين صاحب الفروع ، ولد سنة ست عشرة وسبعمائة ، وتوفي سنة ثلاث وستين وسبعمائة عن ابن تيمية الحنبلي ، ولد سنة إحدى وستين وستمائة ، وتوفي سنة ثمان وعشرين وسبعمائة ودفن في مقبرة الصوفية في البرامكة .

عن الفخر علي بن البخاري ولد سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، وتوفي سنة تسعين وستمائة ، عن حنبل بن عبد الله الرصافي ، ولد سنة أربع عشرة وخمسمائة ، وعاش تسعين سنة وتوفي سنة أربع وستمائة ، عن أبي علي الحسن بن علي بن محمد التميمي المعروف بابن المذهب ، ولد سنة خمس وخمسين وثلاثمائة ، وتوفي سنة أربع وأربعين وأربعمائة ، عن أحمد بن جعفر ابن حمدان بن مالك بن شبيب بن عبد الله القطيعي ، ولد سنة أربع وسبعين ومائتين وتوفي سنة سبع وستين وثلاثمائة ، عن عبد الله بن الإمام أحمد ، ولد سنة ثلاث ومائتين وتوفي سنة تسعين ومائتين ، عن الإمام الجليل أحمد بن حنبل ، ولد سنة أربع وستين ومائة ، وتوفي في ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائتين ، ودفن في بغداد دار السلام ، عن سفيان ابن عيينة ، ولد سنة سبع ومائة وتوفي سنة ثمان وتسعين ومائة ، عن عمرو بن دينار ، ولد سنة ثلاث وأربعين وتوفي سنة ثلاث وعشرين ومائة ، عن ابن عباس ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وتوفي سنة ست وثمانين ، عن رسول الله ﷺ . وتوفي المترجم المرقوم في ربيع الأول سنة أربع عشرة ومائتين وألف رحمه الله تعالى .

الشيخ أحمد بن الشيخ عبد الله بن الشيخ سعيد الحلبي ثم الدمشقي الحنفي

عالم صالح زاهد ، وإمام فالح عابد ، ولد سنة اثنتين وخمسين ومائتين وألف ، وتربى في حجر والده وتفقه عليه وتفنن ، وقرأ على غيره حتى برع وفاق وتمكن ، ومن مشايخه الشيخ محمد الطنطاوي ، والشيخ محمد الجوخدار ، والشيخ محمد السكري ، ووالدي المرحوم الشيخ حسن البيطار ، وغيرهم من العلماء الأعلام ، وكان جلوسه في حجرة والده في الرواق الشمالي من جامع بني أمية ، يقريء دروس العلم للطالبين من فنون متعددة ،

وكان محبوباً بين الناس مقصوداً في فصل الخصومات ، عالي الهمة ، حسن العبارة والمعاملة ، شريف النفس . وقد ولي بعد فصل اسماعيل افندي الغزي نظارة جامع بني أمية فانتفع به الجامع غاية النفع ، وفي زمنه غيّر بلاط الجامع والبسيط الذي في منارة العروس بحساب ورسم شيخنا الشيخ محمد الطنطاوي على نسق بسيطة ابن الشاطر التي كانت في موضع البسيطة الآن ، وكان تبديلها لاختلالها بمرور الزمان عليها ، ولم يزل المترجم ينمو قدره ويحسن ذكره ، ويتزايد نفع الجامع به ، إلى أن قصد البيت الحرام للنسك في شهر ذي القعدة الحرام سنة أربع وثلاثمائة وألف ، من طريق البحر ، فعقب إتمام حجه ونزوله إلى مكة تمرض وتوفي في مكة سابع عشر ذي الحجة الحرام من السنة المذكورة ، ودفن في تربة المعلى بجوار قبر الشيخ عبد الرحمن الكزبري بعد أن صلى عليه في الحرم ألوف من الناس رحمه الله تعالى .

الحافظ أحمد افندي مدرس السليمانية

عالم فاضل ، وهمام كامل ، قد ارتقى في العلوم ، وفاق من فاق من ذوي المنطوق والمفهوم ، وأخذ عن الأفاضل ، إلى أن صار من ذوي الفضائل والفواضل ، وكان عابداً ناسكا ، وزاهداً في الدنيا ولحطامها تاركا ، مواظباً على التقوى في السر والنجوى ، قد أخذ عنه أهل عصره ، وأقر له بالفضل علماء مصره ، ومن جملة من أخذ عنه داود باشا والي بغداد . ولم يزل على حاله ، مرتدياً برداء كماله إلى أن خطبته المنيـة سنة ألف ومائتين وتسع وعشرين رحمة الله تعالى عليه .

الشيخ أحمد الاكربوزي النقشبندي الخالدي

العالم الفاضل العامل ، والمرشد الناصح الكامل ، ذو الأنفاس القدسية ، والمعاني الأنسية ، والبوارق اللامعة ، واللوامع البارقة ، طلب العلم من صباه ، ولم يزل مواظباً عليه إلى أن بلغ أوج مرتقاه ، ثم لازم خدمة حضرة مولانا خالد النقشبندي ، فسلكه وأحسن تربيته ، ثم خلفه خلافة مطلقة وأذن له بالإرشاد ، وأقام في بغداد مدة طويلة ، ثم رحل إلى بلاد الروم ، وأقام في إزمير ، وأحسن الإرشاد ، وكانت له الهمة العلية ، والأنفاس الانسية ، وله مقـــام التمكين ، والوصول إلى عين اليقين ، وكان من المقربين في خدمة حضرة الأستاذ ، والعمدة الملاذ ، ومن الفائزين بحسن أنظاره ، وله كثير من المريدين والخلفاء . توفي سنة الف ومائتين ونيف وخمسين .

السيد أحمد السركلوي البرزنجي النقشبندي الخالدي

الفاضل العابد ، والمرشد الشريف الزاهد ، الولي النبوي ، كان من الأولياء الكاملين . نشأ من صغره في التقوى والعبادة ، والعلم والزهادة ، والاستفادة والافادة ، والاقبال عـلى الله فوق العادة ، ثم أخذ عن المرشد الكامل ، والمسلك الفاضل حضرة مولانا خالد ، فاجتهد في خدمته وبذل نفسه في طاعته ، وتوجه بكليته لقبول تربيته ، ثم لما حصلت الإشارة الربانية بتخليفه ، خلفه خلافة مطلقة ، وأذن له بالارشاد ، وكان من أكابر الخلفاء المقدمين المقربين . وله أحوال عجيبة . وكان حضرة الأستاذ مولانا خالد يعبر عنه بأخينا أحمد لما له عنده من الفضل والقدر والجلالة ، وانتفع على يده جماعة كثيرون من الناس ، وأقبل عليه المريدون من كل جانب ، وكان يحصل لهم منه التأثيرات العجيبة ، والمشاهدات الغريبة ، والأحوال العـــالية ، والأطوار السامية . توفي رحمه الله سنة الف ومائتين وزيادة على الخمسين رحمه الله تعالى .

الشيخ أحمد الخطيب الأربيلي النقشبندي الخالدي

عالم قد علا قدره ، وإمام قد سما ذكره ، خطيب قدر في منبر الكمال ، بعد أن تحلى بأثواب الجمال ، قد نفع الناس بعلومه ، وأفادهم من تحرير منطوقه ومفهومه ، ثم أخذ الطريقة النقشبندية ، عن صاحب الرتبة العلية ، مولانا خالد شيخ الحضرة ، ثم بعد كماله جعله خليفة ، فأرشد وأفاد ، وتعدى نفعه إلى البلاد ، وخدم الطريق بالصدق والجد والاجتهاد ، وكان سلوكه سلوك الصواب والسداد . ولم يزل يسعى في أشرف مسعى إلى أن تم الأجل ، وإلى مولاه ارتحل ، سنة الف ومائتين وزائد على الخمسين .

الشيخ أحمد الكاملي الغربي المراكشي المالكي البصير

أبو العلا زمانه ، وابن جلا عصره وأوانه ، هو في ميدان البيان أوحد في بيانه ، وكأنما حشر عالم الفصاحة بين فكره ولسانه ، فلا ريب أنه انسان طرف الأدب ومقلة مآقيه ، وفارع هضبة الأرب وراقي مراقيه ، زرت على المعارف أطواقه ، وما اهتاجت إلا للعوارف أشواقه ، وهو من لطف الطبع أرق من الصهباء في رونق الصبا ، ماذاق انسان طعم مفاكهته إلا مال اليه وصبا ، ذو مذاكرة يتسلى بها المهموم ، ومحادثة يجعلها النديم عوض المشروب والمشموم ، وشعر يشعر بأنه ابن النظم والنثر ، ونثر يزدري بنثر اللآلي والدر ، غير أنه مكفوف البصر ، دميم الخلقة لايحسن اليه النظر ، أنقر الوجه كثير السِّمن ، قصير القامة تارك للفريضة والسنن . حضر إلى الشام في سنة تسعين ، ورؤيته تحكم بأنه لم يتجاوز من العمر الخمسة والثلاثين ، فقصده للزيارة الصدور والأعيان ، وكان لايدخل عليه أحد قبل الاستئذان ، وكان مظهراً للعظمة والاجلال ، والانفراد بالأدب والعلم والمال ، فكثرت في الناس شهرته ، ودارت بين الأهلين سيرته ، ونظر اليه العموم بعين الاجلال ، واختلفت فيه آراء أولي الكمال ، وتمنعت عنهم معرفة حقيقته ، لعدم تمكنهم من الاجتماع به إلا بعد إرادته :

ومهما تكن عند امرىء من خليقة　　وان خالها تخفى على الناس تعلم

فكان يكلم كل إنسان ، بما كلمه به بأفصح بيان ، فكل من ذاكره بفن من الفنون ، يظن أنه فرد ذلك الفن المصون ، وكان يحفظ من القصص والحديث ، مايوهم أنه لم يترك شيئـاً من قديم وحديث ، وكان كثيراً ما يتكلم بلسان العرفان ، ويتمايل عند كلامه تمايل النشوان ، ويذكر بديع عباراتهم ، ورفيع إشاراتهم ، فيخاله من له بهذا الفن بعض إلمام ، انه الشيخ الأكبر [١] أو شيخ بسطام [٢] ، وكنت أنا وبعض أحباب لي من الأدباء نجتمع به في غالب الأيام ، ولم نقصده مرة إلا وقيل لنا ادخلوا بسلام ، فيحدثنا ببديع الغرائب ، وأعجب العجائب ، ومما اتفق له في رحلته ، من حين خروجه من بلدته ، مما يدهش العقول ، ولم يوقف له على تأييد منقول ، فيقول بأنه رحل الى الهنـد والصين ، وبلاد الترك والعجم والممالك الأوروبية ، ومكث مدة سنين حتى تعلم ألسنة الجميع ، ونظم في كل لسان ونثر من كل نثر بديع ، وكان يسرد لنا من قصائده بكل لسان لا نفهمه ، ولا ندريه ولا نعلمه ، ويحكي لنا ما اتفق له في هذه الممالك من غريب الخبر ، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . غير أن لوائح المين عليه لائحة ، ونوافح الوضع عليه نافحة ، ثم انه من أعجب العجاب ، انه له قوة وفصاحة تدعو السامع إلى الإصغاء له كالاصغاء الى الصواب ، وكاننا يقول عند الخروج انه ليس له عن الباطل خروج .

لي حيلة　فيمن ينمّـ　م وليس في الكذاب حيلة
من كان يخلق مايقو　ل فحيلتي فيه قليلة

لكنه بين العموم مستور ، وحقيق أمره عند غيرنا ليس بمشهور ، وكان يصرف من المال صرف الأعيان ، وكل منـا في معرفة ذلك مدهوش

---

(١) محمد بن علي الحاتمي الطائي الأندلسي الملقب بالشيخ الأكبر ، ولد في مرسية بالأندلس واستقر أخيراً في دمشق (م ٦٣٨ هـ) .

(٢) بسطام (بلدة بين خراسان والعراق) والبسطامي : طيفور بن عيسى أبو يزيد ، زاهد مشهور (م ٢٦١ هـ) .

وحيوان ، ثم بعد أن ارتفع بيننا الحجاب ، وصارت حالتنا معه حالة الإخوان والأحباب ، جعل في بعض الأحيان يتحدث بالغلمان والشراب ، ويتواجد لهم تواجداً موقعاً في الارتياب ، فدلنا صريح مقاله ، على حقيقة حاله ، ولم نقدر على ترك مجالسته ، لما عنده من ذكائه وحفظه وفصاحته ، ثم انه استخدم غلاماً يزري بالقمر ، في ليلة أربعة عشر ، فأكثر الناس عليه القيل والقال ، وأخرجوه عن دائرة الاعتدال ، وعرفوا ما أكنه وأمرّه ، وسلبوه مـــا كان عنده من الفرح والمسرّة ، وأسمعوه ما كدر صفوه ، وأخرجوه من دائرة المروءة والنخوة ، وعلموا حاله ، واستقذروا أوحاله ، فلما عرف ذلك أخذ غلامه وسافر إلى سنوس ، وهو من تزكية النـــاس له مأيوس ، فغاب مدة طويلة ثم حضر ، فلم يجد من الإقبال الذي كان له من أثر ، فمكث مدة ثم ذهب بغلامه إلى الاسكندرية ، فلم تمض مدة طويلة إلا وقد بلغنا عنه أخبار دنية ، وهو أنه كان من أهالي الاسكندرية رجل يقال له الأحمدين ، وقد اشتهر في التجارة والغنى اشتهار الفرقدين ، فاجتمع بالمترجم المذكور ، وسمـــع من كلامه المزدري بعقود النحور ، من وعظ ورغائب ، ودعوى وصول إلى أعلى المراتب ، وكان الرجل من أهل الصلاح ، والطاعة والنجاح ، فتعلق به تعلق الأرواح بالأشباح ، ولازمه ملازمة النور للمصباح ، ولم يزل يسحره ببديـــع كلامه ، ويعده بالوصول إلى مرغوبه ومرامه ، وانه سيرى سيد الأنام ، في اليقظة لا في المنام ، فيسأل له المطلوب ، ويوصله لكل مرغوب ، فصدق الرجل قوله ، وأضاف إليه قوته وحوله ، وانقاد إليه أشد الانقياد ، وقدمه على الأهل والمال والأولاد ، فلما عرف المترجم منه زيادة حبه ، وانه استولى على عرش لبه وقلبه ، صار يقول له ان رسول الله صلى الله عليه يريد أن يريك ذاته الشريفة غير بعيد ، ولكن يأمرك أن تعطيني من المال كذا وكذا لأعطيه لمن أريد ، ولا زال يأخذ منه من المال ، ويعده ببلوغ الآمال ، إلى أن قال له ان تصدي

أن أزور الشام وآتيك بعد مدة من الأيام ، فكتب الرجل لبعض أحبابه أن يتلقوه بالاكرام ويبذلوا الهمة في إكرام جنابه ، فكان يصرف من مال الأحمدين ، والناس يستغربون ولا يعلمون هذا المال من أين ، إلى أن ذهب هذه المرة إلى الاسكندرية ، وصارت أكاذيبه على الأحمدين غير خفية ، تعلق به تعلق الدائن بالمدبون ، وقال له لقد أخذت مالي بالأكاذيب والمجون ، واشتكى عليه لحاكم البلد ، فأحضره وسأله فانكسر ذلك وجحد ، فأثبت ذلك عليه ، وحجز على ثيابه ومتاعه ، فلم يجد شيئاً من المال لديه ، فلما عرف الحاكم بذلك . أضمر له الايقاع في المهالك ، فأعلم بذلك أمير مصر القاهرة ، وأرسل اليه تفصيل هذه القضية الباهرة ، فأمر بنفيه إلى فاس ، ونفي غلامه إلى طنجة ، بعد ذاك البهاء والبهجة ، وبعد ذلك لم نقع لهما على خبر ، ولم نقف لهم على نقل أثر ، ومن كلامه وبديع نظامه :

قدس الله عالماً جئت منه ... وسقته سحائب الأنوار
طالما جبت فيه بين أملا ... ك كرام ضحاضح الأسرار
ثم أهبطك المليك كما أهـ ... ـبطني لمنازل الأغيار
ليتم مراده فله الحـ ... ـكم علينا سبحانه من باري
فاصبري وتجلدي واحمدي اللـ ... ـه ولا تجزعي من الأكدار
واعلمي أن كلنا قاسا ماسو ... ف تقاسين من خطوب ضواري
في وعاء من التراب كثيف ... ذي ظلام مضيق من هار
كل مانحن فيه يسهل لولا ... أن نار الحجاب ذات استعار
غيرت بهجتي فانطبعت الطـ ... ـين فصار الجميع كالأحجار
وإلى الله أشتكي من حجاب ... عاقني عن مناهل الأبرار

ومن كلامه :

ياكريم لقد فعلت كما تعـــلم كل صغيرة وكبيرة
عالماً انهـا ذنوب واني مستحق من العذاب سعيره
غير أن الكريم بشر قلبي بنعيم فلا عدمت بشيره

توفي حدود الألف والثلاثمائة .

الشيخ السيد احمد بن السيد على بن السيد محمد الشهير بالحلواني

هو الشيخ الإمام ، والحبر الهمام ، معتقد الخاص والعـام ، وشيخ القراء في دمشق الشام ، ورأيت في ترجمته لبعض تلامذته ناقلًا عنه بانه يتصل نسبه بالسيد سليمان السبسبي المنسوب لسيدنا العارف بالله السيد احمد الرفاعي . ولد المترجم في دمشق سنة الف ومائتين وثمان وعشرين ونشأ في حجر والده ، وغب تمييزه حفظ القرآن الشريف عن ظهـر قلب من طريق حفص على الشيخ راضي ، ثم أقبل على طلب العلم فأخذ في دمشق الشام ، عن أفاضلها الكرام ، وأكابرها السادة الأعلام ، كالشيخ عبد الرحمن ابن الشيخ محمد الكزبري ، فانه حضره في البخاري مراراً ، وكذا في صحيح مسلم وسمع منه الأربعين العجلونية وكتب له بهـا اجازة بخطه وختمه ، ومنهم الشيخ حامد العطار ، فقد حضره أيضاً في الحديث وغيره ومنهم الشيخ سعيد الحلبي ، فقد حضره في كتب النحو الى أن قرأ المغني ، ومنهم الشيخ عبد الرحمن الطيبي فقد حضره في عدة كتب من فقه سيدنا الإمام الشافعي ، ومنهم الشيخ عبد اللطيف مفتي بيروت فقد حضر عليه جملة من الصرف والبيان ، ثم في سنة ثلاث وخمسين ومائتين والف ذهب إلى مكة المشرفة ، فأخذ عن شيخ القراء بها الشيخ احمد المصري المرزوقي

البصير المكي الدار والوفاة ، فقرأ عليه ختمة مجودة من طريق حفص ، ثم حفظ عليه الشاطبية ، وقرأ القراءات السبع من طريقها ، ثم حفظ الدرة ، وأتم القراءات العشر من طريق الشاطبية والدرة ، ثم حفظ الطيبة لشيخ هذا الفن الشيخ محمد بن الجزري ، وقرأ عليه ختمة من طريقها للقراء العشرة ، ثم أجازه الشيخ بالقراءات العشر وما تجوز له روايته ، وأقام هناك أربع سنوات ، ثم رجع إلى وطنه دمشق الشام سنة سبع وخمسين ، فأقبل الناس عليه بالقراءة جمعاً وغيره ، واشتهر أمره ، وارتفع ذكره ، وعم نفعه الخاص والعام ، وانفرد بهذا العلم في جميع الشام ، ثم هاجر إلى مكة سنة خمس وستين بعد المائتين والألف ، وأقام بها ثلاث عشرة سنة ، مشتغلاً بالإفادة والتعليم ، وانتفع به هناك خلق كثير ثم رجع إلى وطنه سنة سبع وسبعين بعد المائتين والألف ، ولم يزل على ما كان عليه من إفادة الناس وتعليمهم ، مع حسن المفاكهة وجميل المحاضرة وتأنيس الجليس بكل أمر نفيس ، ويغلب عليه الخضوع والسكينة والخشوع وتلاوة القرآن ، في غالب الأحيان ، وله رسالة في التجويد سماها « المنحة السنية » ، ثم شرحها شرحاً لطيفاً جمع فيه غالب أحكام التجويد سماه « اللطائف البهية » ، وله نظم في بعض قواعد من فن القراءات . وبالجملة فهو فريد دهره ، ووحيد عصره ، أنجب تلامذة فضلاء ، لهم في فن التجويد والقراءات اليد البيضاء ، بعد أن كاد هذا الفن يعدم من الشام ، فكثر القارئون في زمنه على أتم مرام ، غير أنه كان يغلب عليه في بعض الأيام السوداء فلا يحب الاجتماع بالناس ، وأما في وقت سروره فانه خدن جليس كأنه خلق من ايناس ، وقد حفظت عليه ولله الحمد شريف القرآن ، ثم أخذت تجويده عنه بتمام الإتقان ، توفي رحمه الله سنة الف وثلاثمائة وسبع

وتأسف عليه الخاص والعام ، جمعنا الله وإياه في الفردوس بجاه سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

احمد عزت باشا الفاروقي بن محمود افندى بن سليمان افندى

ابن احمد افندى بن علي افندى المفتي الملقب بابي الفضائل

ابن مراد افندى بن الشيخ عثمان الخطيب بن الحاج علي بن الحاج قاسم وهو الذي ورد من الشام إلى الموصل في حدود سنة التسعمائة وسبعين وعمر بها الجامع الموجود اليوم المشهور بجامع العمرية وقبره وقبر ولده في قبة مخصوصة بها ، (وكان تاريخ الجامع لفظه خاشع) ، ابن علي بن الحسن بن الحسين بن أبي بكر بن موسى بن عمر بن عثمان بن حسين بن نبي ابن عبد القادر بن عبد الوهاب بن عبد الله بن منصور بن شمس الدين بن يحيى ابن يعقوب بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن محمود بن دياب بن يوسف بن سعيد بن ناصر الدين بن عبد الهادي بن عاصم بن عبد الله بن عاصم بن حضرة أمير المؤمنين عمر الفاروق رضي الله عنه وذلك حسبما هو مضبوط ومقيد في شجرة الأنساب الفاروقية . وأما والدته فينتهي نسبها الشريف إلى السادة الأعوجية الفخرية إلى حضرة قطب الأقطاب السيد أحمد الرفاعي الكبير رضي الله تعالى عنه .

أقول : إن هذا الأديب الفاضل ، المتحلي بأنواع العلوم والفضائل ، قد ذكر هذا النسب الشريف في كتابه المسمى بالعقود الجوهرية ، في مدائح الحضرة الرفاعية ، وتمم ترجمته فقال : وأمـا ولادتي فكانت في الموصل أواخر سنة الأربع والأربعين بعد المائتين والالف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل التحية ، ولما بلغت من العمر أربع سنين باشرت بقراءة القرآن الكريم ، وسنة سبع من عمري ختمته ، وحفظت طرفا منه ، ورويت

قراءة حفص على أستاذي بالنحو المرحوم ملا عبد الرزاق افندي الجبوري وفي سنة أربع وخمسين طلبني المرحوم عمي المشهور بالفضل العميم عبد الباقي افندي الفاروقي ، وكان إذ ذاك ساكناً في بغداد ، وبقيت في خدمته مقدار ستة أشهر ، بعد أن أكملت قراءة الأسيوطي على المرحوم ملا أسعد افندي الموصلي مدرس جامع الآصفية ، ثم عدت إلى الموصل فقرأت أصول الفقه وعلم الحساب وطرفاً من علم الوضع على العالم الفاضل المرحوم عبد الرحمن افندي الكلاك ، وجمعت جمع الصغير وجمع الكبير في القراءات السبع على مخدومه عبد اللطيف افندي ، وقرأت الايساغوجي على العالم الزاهد والفاضل العابد المرحوم ملا محمد أمين افندي بن ملا عبيده ، وقرأت علم البديع وطرفاً من المعاني والبيان على رئيس العلماء المشهود له بالعلم والورع المرحوم عبد الله افندي الفاروقي ، ثم في أوائل سنة إحدى وستين طلبني من أبي ثانياً عمي المرحوم لأجل البقاء بخدمته ، فتوجهت إلى بغداد ، وكانت إذ ذاك غاصة بالفضلاء والعلماء والأدباء ، فتخرجت عليه في فنون الشعر وعلم الأدب ، وطرت بجناح فضله ، واستسقيت من هطال وبله ، وفي غضون ذلك قرأت على سبيل التبرك شرح الشمسية ، وابن عقيل على خاتمة المفسرين وعلامة العلماء المحققين المرحوم أبي الثناء شهاب الدين السيد محمود افندي الألوسي مفتي الزوراء ، ومرجع الفضلاء ، وقرأت أيضاً كتاب تشريح الأفلاك على المرحوم الفاضل الشيخ أحمد افندي السنه لي ، وأتقنت اللغة الفارسية على مخدومه العالم الاكمل الشيخ طه افندي ، وبقيت في خدمة المرحوم العم ببغداد إلى السنة التاسعة والستين فانسلكت بخدمة الدولة العلية العثمانية متقلباً في البلاد وأولها شهر زور ، ولا زلت من أفضال تلك الدولة أتنقل في أنواع مأمورياتها من داخلية وخارجية ورسومية ومالية ، وارتقى إلى درجات رتبها بالتدريج ، حتى

أصعدني من حسن أنظاره أمير المؤمنين ، وخليفة رب العالمين [١] حضرة السلطان عبد الحميد خان أدامه الرحمن ، إلى رتبة الميرميران ، وها أنذا اليوم بالآستانة ضيف حضرته ، ونزيل سدته ، داعياً لحضرته بمزيد الدوام على مدى الأيام ، انتهى كلامه . ومن نظمه الحسن وكلامه المستحسن قولـــه :

عنبر الليل وكافور الصباح أشغلاني باغتباق واصطباح

يانديمي قم فقد هب النسيم

وبدا من عرفه مسك الشميم

وانبرت في الكاس نيران الكليم

فامزج الخمرة بالماء القراح واسقنيهـــا بغدو ورواح

عاطنيهـــا قبل نور الفلق

بغنـاء الورق بين الورق

كاحمرار الشمس عند الشفق

نسج المزج عليها بارتياح أدرع الدر ومفتر الأقاح

وغزال ســـامني بالملق

وبرى جسمي وأذكى حرقي

أهيف مذ سل سيف الحدق

قصرت عنه أنابيب الرماح بابلي اللحظ مهضوم الوشاح

---

(١) ليته لم يسجل هذه الجملة على نفسه ، فقد ورد في القرآن الكريم لفظ الخليفة ، والخلائف والخلفاء ، ومنها ماوصف به بعض الأنبياء ، ولكنه تعالى جعلهم خلفاء في الأرض ، ولم يقل عن أحـد منهم إنه خليفـــة الله في الأرض ولا في السماء ، « إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا » سورة مريم / ٩٤ .

ذاب بالوجـــد فؤادي كلفا
حيث شاب الوصل منه بالجفا
كلما قلت جوى الحب انطفى
أمرض القلب بأجفان صحاح وسبى العقل بجد ومزاح
يا خليـلي أنت نور المقـــل
جد بوصل منـــك لي يا أملي
كم أغنيـــك إذا ما لحت لي
مرحبا بالشمس من غير صباح زرتني والليـــل ممدود الجنـاح
هذه الخمرة مـن عصر قديم
تنعت الروح إلى العظم الرميم
تتهــادى بين راحـات النديم
لمريد عنـده الصفو مباح فهي روح وهي ريحـان وراح
خمرة الارشاد من عهد الأزل
تنقذ الشارب من كل العلل
فهي مثل النوم ما بين المقل
تسري في الأفكار من غير جماح وتذود الهم من دون كفاح
زوجوا المـاء على بنت الدنان
واستطابوا شربها قبل الأوان
فشذا تذكارها في كل حان
مثل نشر المسك في الارجاء فاح حملتـه للورى كف الرياح
إنما الأقطـــاب في هذى الدنا
نقطة فيهــا نزيل المنحنى
والرفاعي بينهم بادي السنـــا
فهو بدر التم ليلا حين لاح فيـــه للظلماء والغى افتضاح

هو غوث الورى غيث النـدى
معدن العرفان بل قطب الهدى
لست تلقى من سواه رشداً
لاتق عرفـانه بالامتـداح   زنده بالكون وارى الاقتداح

خصـه الله بعلم وعمل
فغدا يزهو به روض الأمل
وكساه بالسنا أسنى الحلل
وحباه فوق اثواب الصلاح   رفعة المسند من دون اقتراح

حبه قـد حل مني بالفؤاد
أينما كنت مقيما في البلاد
فهو في حلم وعلم وسداد
ملأ الاقطار ذكرا والبطاح   وعلى اعـدائه شاكي السلاح

إنمـا اشباله بين الورى
معدن الفضل وآساد الشرى
فيهم غصن الهدى قد أثمرا
كل فرد منهمو بادي الفلاح   كفه يقرع أبواب النجاح

هو باز في الورى قد حلقا
وعـلا فوق المعالي وارتقى
فهو للقدح المعلى مذرقى
نال أغنى الكل عن ضرب القداح   مـا علينا في ولاه من جناح

مدحه شرف حزب الشعرا
فزهـا المدح به بل نورا
وسمـاء النظم لما أقمرا
قد مدحناه بالفاظ فصاح   ونعمنا باختتام وافتتـاح

توفي رحمه الله سنة الف وثلاثمائة ونيف .

احمد باشا الشمعة بن سليم بن علي بن عثمان بن محمد

طلعته البدر إلا أنه مشرق ، ونفحته الروض إلا أنه مورق ، وهو بمكان من النباهة مكين ، مانهج من الكلام منهجا إلا وطلع له من جيش البلاغة كمين . ولد في دمشق الشام سنة الف ومائتين وستين تقريبا من هجرة سيد الانام ، وتربى في حجر والده وما دخل في سن التمييز إلا وقد شمر لتحصيل المعالي عن ساعده ، وقرأ من الفنون وأقبل على كتب الادب ، وعلا على معارج الوصول إلى كمال الرتب ، واكتسى حلة اللطافة وارتدى كل جمال وظرافه ، إلى أن صار يشار اليه بالانفراد ، ويعتمد عليه في كل مراد ، ويستشار في المهمات ، ويستنهض لدفع الملمات ، ووصل في الترقيات الشاهانية إلى رتبة بكلربكي[١] التي هي من أقرب المراتب إلى الوزارة ، ثم إلى رتبة بالا ، وحصل له كمال القبول لدى الولاة والمشيرين وذوي الامارة ، هذا ومع وقاره الذي به يعرف وقدره المستوي على المقام الاشرف أطال الله بقاه[٢] .

احمد باشا والي ومشير دمشق الشام

الوزير الكبير ، والوالي المشير ، من بهر بحسن تدبيره واهتمامه ، وظهر في الناس ظهور البدر ليلة تمامه ، ونهج أوج منـاهج التقوى والعبادة ، وكان على مرور أيامه من الكمال على زيادة ، مع أدب باهر ، ومذهب مستقيم طاهر ، ونفس زكية ، وفكرة علية ، دخل دمشق سنة خمس وسبعين ومائتين والف ، وكان والياً على القطعة السورية ، ومشيراً على الفرقة العسكرية ، فكانت له السيرة الحسنة والأوصاف المستحسنة ، وأخذ الطريقة الخلوتية ، عن الشيخ المهدي المغربي القاطن في الخضيرية ، فسلك سلوك أهل الوصول ، وتمسك من السنة بالفروع والأصول ، وذلك بعد

---

(١) رتبة عثمانية بمعنى : « بك البكوات » وتليها في الترقية رتبة « بالا » ثم رتبة « الوزير » وهي رتبة وليست منصباً .

(٢) توفي رحمه الله تعالى عام ١٣٣٣ هـ وهو والد شهيد العروبة رشدي بك الشمعة الذي ولد وتعلم بدمشق ، وانتخب نائباً عنها في المجلس العثماني ، وأعدم مع رفاقه في ساحة الشهداء بدمشق سنة ١٣٣٤هـ ١٩١٦ م رحمهم الله تعالى .

أن كان لايصرف عمره إلا بين ريحان وراح ، وأخدان تسعى له بجلب المسرات والأفراح ، وقد ركب في فعاله وأقواله هواه ، وأعطى نفسه ماتحبه وتهواه ، فأضرب عن جميع ما كان عليه صفحا ، ومحا بحسناته سيآته وازداد فلاحاً وربحاً ، فصار لايصرف نقد عمره في غير أنفس الأعمال ، ولا يحرك لسانه إلا بذكر أو صلاة على سيد ذوي الكمال ، أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر بأحسن خطاب ، أو حكم بحق على مرتكب خلاف الحق والصواب ، ولم يزل يترقى أمره ، ويعظم ويسمو قدره ، إلى أن سلبته حلاوة الطاعة الإقبال على دنياه ، وأفاضت عليه معرفة أن الإنسان هو الذي يعمل لما ينفعه في أخراه ، فأهمل النظر في أمور السياسة ، وتنبهت عيون ذوي الشقاوة والخساسة ، ولم يزل يتفاقم هذا الحال ، ويعظم أمر الجهال ، إلى أن وقعت فتنة بين الدروز والنصارى في جبل لبنان (١) واشتد بسببها الضرب والطعان ، وعاثت طائفة الدروز وفسقوا ، وانتظموا في سلك الطغيان واتسقوا ، ومنعوا جفون أهل الذمة السنات ، وأخذوا البنين والبنات من حجور الأمهات ، وخربوا القرايا والبلدان ، وسفكوا الدماء وحرّقوا العمران ، ونهبوا الاموال ومالوا عليهم كل الميل ، وبادرت لمساعدتهم والغنيمة معهم دروز الجبل الشرقي تجري على خيولها جري السيل ، ولم يروا في ذلك معارضاً ولا منازعاً ، ولا مدافعاً ولا ممانعاً ، والنصارى بين أيديهم كغنم الذبح ، هم وأموالهم وأولادهم وبلادهم غنيمة وربح ، ودام هذا الأمر واستقام ، إلى ابتداء ذي الحجة الحرام ، سنة ست وسبعين بعد الالف والمائتين ، وقد هرب كثير من النصارى إلى الشام ، ظانين أن الحكومة تحميهم من الدروز

---

(١) جاء في خطط الشام للأستاذ كرد علي مايلي : لم تكد تخلي الجنود المصرية بلاد الشام ، حتى رجعت الى حالتها قبل المصريين ، وثارت العداوات القديمة في الصدور ، وزادت الدسائس الأجنبية ، وأخذت فرنسا تساعد الموارنة وبريطانيا تعاون الدروز ، فتعدى هؤلاء على الموارنة في سنة ١٢٥٧ ودخلوا دير القمر وارتكبوا فيه الفظائع المنكرة ، وزحف الدروز سنة ١٢٥٧ بثمانية آلاف ، وانتشب القتال بينهم وبين أهل زحلة ، ومعهم أهل بعلبك الخ (ج ٣/٧٦) .

اللئام[١] ، فصارت الدروز تدخل إلى الشام بانواع السلاح ، ويخاطبون الاشقياء بقولهم كنا نظن بكم الفلاح ، لقد اخلينا البر من النصارى ، وأنتم عنهم كأنكم سكارى ، فاذبحوهم ذبح الاغنام ، وأذيقوهم كأس الحمام ، واغنموا ما عندهم من الاموال والامتعة الكلية ، وان الحكومة بذلك راضية مرضية ، ولو لم يكن لها مراد بذلك ، ما مكنتنا من إذاقتهم كؤوس المهالك ، والوالي ساكت عن هذا الأمر كأنه لم يكن عنده خبر ، حتى ظن اكثر القاصرين أن هذا الواقع عن أمر شاهاني صدر :

يمضي على المرء في ايام محنته حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن

وما زالت الاشقياء تتطاول أعناقها ، وتتزايد لهذه الافعال أشواقها ، والدروز في كل وقت يجددون لهم همة ، ويتواردون عليهم أمة بعد أمة ، [٢] وقد قامت لديهم الأفراح ، وزالت عنهم برفع القيد الهموم والاتراح :

أمور تضحك السفهاء منها ويخشى من عواقبها اللبيب

وصاروا يتكلمون بكلام ، لا يليق إلا بالاشقياء اللئام ، كقولهم حنا يقول لنخلة ، اسماعيل الأطرش حرق زحلة ، وامثال ذلك خصوصا مما يدل على التخويف والتهديد ، وصارت الاولاد تقوله على طريقة الاناشيد ، فذهب بعض النصارى الى والي البلد ، لينقذهم من هذا الهم والنكد ، وكان ذلك يوم الاثنين من ذي الحجة الحرام ، سنة ألف ومائتين وست وسبعين من هجرة سيد الأنام ، فأمر الوالي بالقبض على

---

(١) في الخطط : « ولم يكن من مصلحة الدولة أن تسود الألفة بين الطوائف ، وأن يتعامل أهل الوطن الواحد بالحسنى ، فكان أكثر رجالها يوقدون جذوة التعصب الديني ، ويساعدون الدروز على المسيحيين في لبنان ، حتى يتيسر للدولة أن تنزع الحكم من أرباب الإقطاعات ، وتقيم له والياً كما لطرابلس وصيدا والقدس وحلب ودمشق ، ولذلك كثرت الفتن والمناوشات ، بل الإحن والمحن بين المسيحيين والدروز » .

(٢) وفي سنة ١٢٦١ قام الدروز ثانية في لبنان ، وقتلوا المسيحيين ، واستمرت الفتن إلى سنة ١٢٧٧ هـ .

بعض الأولاد ، فمسكوا منهم جملة وقيدوهم بالحديد وأمروهم بالكنس والرش تأديبا لهم عن هذا الفساد ، فقامت عصبة جاهلية في باب البريد من الجهال الطغام ، ونادوا بأعلى صوتهم يا غيرة الله ويا دين الإسلام ، وكان الوقت قبيل العصر من ذلك اليوم المرقوم ، وتلاحقت الاشقياء الى حارة النصارى كأنه لم يكن عليهم بعد ذلك عتب ولا أحد منهم على فعله مذموم [1] ، وأقبلت عليهم الدروز أفواجاً أفواجا ، واشتغلوا بالحرق والقتل والسلب والنهب أفراداً وأزواجا ، فأنشأت في الحال خطبة وخطبتها في جامع كريم الدين في الميدان بجرمة هذه الأفعال ، وانها موقعة لأربابها في أودية النكال ، وانهم محترمون لا يجوز لهم التعرض بحال ، وان لهم ما لنا وعليهم ما علينا ، ومن تعرض لهم بسوء فقد باء بالخزي والنكال ، فانكف أهل الميدان عن سفك الدماء ، واجتلبوا ما قدروا على اجتلابه من الرجال والنساء ، لحمايتهم من الاشقياء .

لنصرة الحق قد قاموا بأسرهم	وربهم باليد العليا لهم نصرا
صانوا الحريم مع الاطفال واحتسبوا	على الغريم بوب للورى فطرا
لما استقلوا بميدان الوغى كملا	من كل قرم [2] يفوق الليث لو زأرا
فالله بالمدد العلوي أيدهم	من كل سوء ومن عاداهم خسرا
هم الكرام لهم في كل حادثة	غوث الصريخ وبذل وافر وقرى
جزاهم الله خيرا عن جميع بني	دمشق والأجر عند الله لن يترا

والوالي مازال على اهماله ، وسكوته وعدم سؤاله ، غير أنه عين للمحافظة

---

(١) وفي نكبات الشام أن الحروب الأهلية التي حدثت في دير القمر وزحلة وغيرهما من أنحاء البلاد (سنة ١٢٦٥) انتهت بقتل ثلاثة آلاف رجل من النصارى قتلوا في لبنان والبقاع وبعضهم في المدن ؛ ونحو اربعمائة رجل من الدروز . ولولا محاربة الدروز المسيحيين بالخيانة ، ومساعدة الحكومة لهم في كل مكان على نزع السلاح ، لكثر عدد القتلى وزاد على هذا القدر . وأما الخسائر المالية فلم تقدر في ذلك الحين » .

(٢) سيد عظيم .

أربعة من الأعيان ، اثنين من المدينة واثنين من الميدان ، فقام من كان من الميدان حق الحماية ، وقصر من عداهما في البداية والنهاية ، غير أن سعادة الأمير المعظم ، والكبير المفخم ، حضرة الأمير السيد عبد القادر الجزائري قد بذل كامل همته في ذلك ، وبذل أمواله ورجاله في خلاص من قدر عليه من المهالك ، واستقامت النار تضطرم في حارة النصارى سبعة أيام ، والناس فوضى كأنه لم يكن لهم امام ، فلما احضروا من أحضروه من النصارى إلى الميدان ، وقد امتلأت البيوت أخـذنا نطوف عليهم نهنيهم بالسلامة ونطيب قلوبهم بالأمن والأمـان ، وكنا مانرى منهم غير دمع سائل ، وبصر جائل ، وقلب واجف ، ورجاء قليل وبال كاسف ، وهذه تقول أين ولدي ؟ وهذه تقول قد انفلق كبدي ، وهذه تقول مالي ، وهذه تقول كيف احتيالي ؟ والرجال منهم حيارى وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ، وقد ذهب عنهم البهاء والجمال ، وأوقعهم المقدور في الضيق والنكال ، فلم نستطع الصبر عن البكاء والنحيب ، وكدنا بما رأينا أن نذهل عن نفوسنا ونغيب ، فيالها من مصيبة ما أعظمها ، ونكبة ما أجسمها ، قد أبكت ذوي الرحمة بدل الدمع دما ، وكادت ان تثبت لهم بعد الإبصار العمى ، ثم ذهبنا جملة كبرى من الميدان لعلنا نجد حياً نخلصه ونقيه ، وننقذه من أيدي من يريد قتله ولا يبقيه ، فلم نجد غير من أمضى عليه حد الحسام حكمه ، وأنفذ فيه جور الأيام ظلمه ، فمنهم من استوفى القضاء المحتوم ، ومنهم من قد بلغت الروح الحلقوم ، وماترى في محلتهم من مغيث سوى كلب عقور أو شقي خبيث ، والأرض رويت من دمائهم ، وتعطلت الأماكن من أسمائهم ، وعاد صبح جمالهم عاتماً ، وأقامت عملاتهم عليهم مآتما ، فخروا على الوجوه والأفواه ، وصعقوا على الصدور والجباه ، وغدوا صرعى تسفى عليهم الشمال والجنوب ، بعد أن وقعوا في أسنة المكاره والخطوب ، صرعى على وجه الأرض ، معفرين

كأنه يوم النشور والعرض ، قد افترشوا التراب بدلاً من الأرائك الحسان ، وتضرجوا بالدماء بعد التضمخ بالمسك والزعفران ، وغدا مصرعهم من نجيعهم مشوبا بالحمرة والسواد ، ولبست نساؤهم لأجلهم ثياب الحزن والحداد ، وصارت لحومهم للوحوش ولائم ، والطيور عليها ما بين هابط وحائم ، والنار تلعب ألسنتها في تلك القصور ، وقد جعلتها رمادا بعد زينتها بالولدان والحور :

النار في ضرم والدمع منهمل ... لعظم خطب له الاحزان تتصل
لا الدمع يطفيء نار الحزن من كبد ... ولا لحر لظاها ينشف البلل
مصيبة عظمت حتى لقد صدعت ... قلب اللبيب فأضحى وهو منذهل

ولما علم دروز الجبل الشرقي أن أهل الميدان ، قد ادخلوا النصارى في حصن الأمان ، ووضعوهم في أماكنهم مع عيالهم ، واجتلبوا لهم سرورهم بقدر الامكان وراحة بالهم ، تجمعوا وتحزبوا وتوجهوا الى الشام ، الى أن وصلوا إلى أرض القدم بالكبرياء والعظمة والاحترام ، ثم ارسلوا خبراً إلى الميدان إما أن تسلمونا النصارى لنذيقهم كؤوس المنية ، ونبيدهم بالكلية ، واما ان ننشر بيننا راية القتال ، ونطوي بساط السلم واستقامة الحال ، فبرز أهل الميدان إليهم بروز الأسد ، وقالوا لهم بلسان واحد ليس لكم على قتالنا من جلد ، أظننتم أنكم تصلون إليهم ، وتحكمون بما تريدون عليهم ، إن ذلك أمر محال ، اياكم أن تتوهموه بحال ، اننا وحق من أحيا الأشباح بالأرواح ، لا نسمح لكم منهم بقلامة ظفر وليس لكم في مطلوبكم من نجاح ، وكثر القيل والقال ، وكانت البيداء قد امتلأت من الفرسان والأبطال ، وتجمع الصفان ، وتقابل الصنفان ، وارتفع العجيج وعلا العجاج ، وكثر الضجيج من كل الفجاج ، وأشهر كل سلاحه ، واعتقد أن في قتل عدوه فلاحه ، وأن شرر الموت يتقدح من ألحاظه ، ويفصح

بصريح ألفاظه ، فلما رأى الدروز ما كان ، من المشاة والركبان من أهل الميدان ، علام الوجل ، وقد خاب منهم الأمل ، وضاق بهم من الأرض فضاؤها ، وتضعضعت من أركانهم أعضاؤها ، فتنازلوا عن العناد الى الوداد ، وقالوا نحن العين وأنتم لها بمنزلة السواد ، وليس لنا عنكم غنى ، وأنتم لنا غاية المنى ، ونزيلكم عندنا مصون ، ومن كل ما يضره مأمون ، والذي وقع منا كان هفوة مغفورة ، وسقطة هي بعفوكم مستورة ، فقابلوها بالسماحة والغفران ، ونحن وإياكم أحباب واخوان ، ثم تفرقوا بعد الوداع ، وانقاد كل منهما للسلم وأطاع ، وتفضل الله وأنعم ، وحسم مادة الشر وتكرم [1] .

---

(١) في الخطط : قال اللورد دوفرين « لم يبق أدنى ريب يحول دون نسبة المذابح الأخيرة وجميع الحروب والاضطرابات والمنازعات التي انتابت لبنان في مدى الخمس عشرة سنة الأخيرة إلى استياء الحكومة العثمانية من الاستقلال النوعي الممنوح للجبل ، فجعلت مرمى سياستها أن تبرهن على أنه يتعذر العمل بطريقة الحكم التي منحتها الدول لبنان في سنة ١٨٤٥ ، ولهذا كان الأتراك يغتنمون الفرصة لإثارة دفائن الأحقاد القديمة بين الدروز والموارنة . ولما ازداد تعجرف المسيحيين وتعصبهم بقوة المساعدات الأجنبية التي فازوا بها ثقل على الأتراك احتمال وطاة استقلالهم فعقدوا العزم على اتخاذ الدروز آلة ليوقعوا بهم ، ويضربوهم ضربة اشد إيلاماً مما تقدمها ، بيد أن ما حصل في حاصبيا وراشيا ودير القمر ، قد جاء مجاوزاً الحد المنوي ، لعدم توفر شروط اللباقة في خورشيد باشا وأعوانه لإنفاذ سياسة دماء كهذه ، فأفرطوا فيها بحيث افتضح سر سياستهم ، وكان له دوي هائل في الأندية الأوربيه » .
إلى أن يقول : فمن العبث وصف المسيحيين بأنهم شهداء قديسون ، فهم يضاهون جيرانهم الدروز في حروبهم همجية وظماءً إلى الدماء ، فكثيرا ما كانوا يقتتلون بعضهم مع بعض ، ولا يعفون عن النساء . يؤيد ذلك ارتكابهم الفظائع مع المشايخ الخازنيين منذ سنين ، ومثل هذه المعايب كثيرة في تاريخهم ، بيد أن الدروز هم من هذا القبيل أكثر شفقة من غيرهم فلا يقتتلون بعضهم مع بعض ، ويحترمون النساء » . وقال الاستاذ كرد علي وما كان يخطر بالبال أن هذه الشرارة تسري إلى دمشق ، مدينة التسامح واللطف ، ويقوم رعاع المسلمين بمعاونة الدروز ، يؤذون من أمروا بالإحسان اليهم ، بعد أن عاشوا وإياهم ثلاثة عشر قرنا في صفاء وهناء » .

ولا زال أهل الميدان في الليل والنهار ، يحرسون النصارى من الأشقياء والأشرار ، الى السادس والعشرين من محرم الحرام ، دخل الشام محمد معمر باشا ومعه أربعة آلاف جندي من عسكر النظام ، وفي غرة محرم سنة سبع وسبعين ، دخل خالد باشا المصري للنظر في أمر هذه الخيانه ، وكان قبل دخوله بيوم قد سافر احمد باشا المذكور أولاً إلى بيروت متوجهاً الى الاستانه ، وفي حادى عشر المحرم الحرام ، دخل ناظر الخارجية فؤاد باشا الى الشام ، مرخصاً من قبل الدولة وباقي الدول ، مهما شاء اجرى ومهما أراد فعل ، ومعه عوضاً عن احمد باشا المترجم المذكور عبد الحليم باشا المشير المشهور ، واجتمع بالشام من العساكر السابقة واللاحقة نحو ثلاثين ألفاً ، ثم بعد ثلاثة أيام ، أمر بعقد مجلس عام ، وطلب فيه مأخوذات النصارى ومسلوباتهم ، ومغصوباتهم ومنهوباتهم ، وذلك يوم الخميس خامس عشر المحرم ، وشدد غاية التشديد ، واكد أعظم تأكيد ، ولما أصبح صباح الجمعة سادس عشر المحرم ، وجد الناس أثمان الشام قد امتلأت من العساكر ، وقد أغلقوا أبواب البلد ولم يعرف أحد ما الأمر اليه صائر ، فدخل على الناس من الهم والكدر ، ما هو عبرة لمن اعتبر ، وهذا اول الامتحان على ما سلف من القباحة والعصيان ، حمانا الله من شر الفساد والطغيان ، ووقانا من حيف الزمان ، ثم ان الحكومة أرسلت لكل ثمن مأموراً لتحصيل المسلوبات ، وجمع المنهوبات ، وقد حصل التنبيه بان من عنده شيء فليأت به ولا يخفيه ، فبادر الناس بالاحضار ، وصار من عنده شيء كأنه قد اشتعلت به النار ، ودخل على الناس من الوجل ما يستصغر عنده حضور الاجل ، وصار بعض الناس يلقون ما عندهم في الطريق لئلا للتستر والكتم ، وذهب شعورهم لما اعتراهم من الخوف والوهم ، وصاروا يقبضون على بعض الناس ويحبسونهم في التكية ، ولا يعلمون ما يجري عليهم من البلية ، واستدام جمع

المسلوبات الى ثاني وعشرين محرم ، ثم صارت النصارى تتشكى للحكومة على بعض الناس ، وتفاقم الأمر واشتد الالتباس ، فهذا يقول هذا قتل ولدي ، ويقول الآخر قتل والدي ، ويقول الآخر أخذ مالي ، ويقول الآخر تعرض لأطفالي ، وزال الائتلاف وزاد الاختلاف ، والعساكر تقبض على من يتهم سواء كان من الأصناف أو من الأشراف ، حتى اجتمع في التكيه نحو ثلاثة آلاف ، ثم انه في غرة صفر أعيد احمد باشا السر عسكر من الاستانة إلى الشام ، معزولا من منصبه ومفوضا أمره إلى فؤاد باشا يحكم عليه بما رام ، فصار إلى الحبس صاغرا ، وقد تحول إلى الذل بعد أن كان ناهيا آمرا ، عضته أنياب الاعتقال ، ورضته تلك النوب الثقال ، وعوض بخشونة العيش من اللين ، وكابد قسوة خطب لا تلين ، تذكره عهد عيشه الرقيق ، ومراحه بين النعمان والشقيق ، وحن إلى سعد زرت عليه جيوبه ، واستهدى نسيم عيش طاب له هبوبه ، وتأمى بمن باتت له النوائب بمرصاد ، ورمته بسهام ذات اقصاد ، وضيم ليس له خلاص ، وقد اعلمه الحال بأنه حان حينه ولات حين مناص ، وعظمت عليه القضية ، واترعت له كؤوس المنية ، واسودت بعد البياض أيامه ، وقوضت من عراص الحياة خيامه ، فوضع في الحبس كغيره ، ولم يدر عاقبة أمره أينتهي إلى شره أم إلى خيره ، وفي ثاني صفر يوم الاحد عمل فؤاد باشا مجلسا خصوصيا خفيا لم تمسه يد الاعلان ، وقد اجتمع فيه العلماء والصدور والأعيان ، لم يطلع احد على ما حصل من المذاكرة فيه ، ولا علموا بظواهره ولا خوافيه ، غير أنهم علموا بأن فؤاد باشا قد قسم ذوي الجنايات إلى ثلاثة أقسام سالب ومهيج وقاتل مرتكب للاعدام ، ولم يعلموا غير ذلك ، والله أعلم بما هنالك ، فلما اصبح الناس يوم الاثنين ثالث صفر وجدوا سبعين رجلا قد صلبوا مفرقين في البلد ، من اهل الشام الذين كان اكثرهم عليه في الوجاهة يعتمد ، وفي خامس صفر تعاظم

الشر ، وتفاقم الضر وطمّ الغم ، وانتشر وعم ، حيث حبس عالم الشام وفاضل الأنام الشيخ عبد الله الحلبي في دار البلطجية ، وعمر افندي الغزي في التكية ، ومفتي دمشق طاهر افندي ، واحمد افندي الحسيبي ، وعبد الله بك العظم ، وسعيد بك بن شمدين آغا ، وعبد الهادي افندي العمري واحمد افندي العجلاني نقيب الاشراف ، وصالح آغا المهايني وغيرهم من الصدور ، كل واحد بمحل بمفرده لا يدخل عليـه احد غير خدمة ولاة الأمور ، وكانوا يستنطقونهم في كل يوم ، لينظروا ماذا يترتب عليهم من اللوم ، وفي سابع صفر أمر فؤاد باشا بتفريغ بعض البيوت لسكنى النصارى المصابين ، ففرغوا من بيوت القيمرية والقنوات وباب توما والسماكة والشاغور ، وبعض بيوت باب المصلى بمقدار ما يكفيهم أجمعين . وفي تاسع صفر عادت العساكر إلى الأثمان طالبين من الناس أربع نمر ، لادخالها في العسكرية الشاهانية ذات القدر والخطر ، فجمعوا من الناس عدة وافية ، وفي خامس عشر صفر كتبوا على مشايخ الحارات سندات بتقديم الأنفار الباقية ، وفي حادي وعشرين من صفر فرق على بعض الناس أوراق رسمية ، إمّـــا بتقديم أولادهم للعسكرية أو بدفع بدل مائتي ليرة عثمانية ، وشددوا عليهم في الطلب ، وما نجا إلا القليل من العاجزين عن الدفع واستجاروا بالهرب ، وفي ثاني وعشرين من شهر صفر حكم فؤاد باشا على أحمد باشا بالإعدام ، وعلى جملة من امراء عساكر النظام ، فأخذوهم إلى القشلة القريبـة من المولوية ، وأعلموهم بمـــا حصل من الأمر عليهم بالقتل فاستسلم أحمد باشا لهذه القضية ، وكان صائماً وفي يده دلائل الخيرات فصلى ركعتين ثم سلم نفسه للمهات ، فعرضوا عليه الماء قبل ازهاق نفسه المطمئنة ، فقال لا أفعل لا أفطر إلا في الجنة ، فصفوهم وجعلوهم هدفاً للرصاص ، وكانو متأملين ان حسن اعتذارهم ينتج لهم الخلاص ، فـلا حول ولا قوة إلا بالله ، لا راد لـما حكم به وقضاه ، وفي ثالث وعشرين من صفر فرّ فؤاد باشا

إلى بيروت لمراد ، وصحبته جملة من المحبوسين ، فمنهم من نفاه ومنهم من أدخله للخدمة العسكرية ذات الاسعاد ، وفي رابع ربيع الأول صلبوا اثنى عشر رجلًا من دروز واسلام ، وفي سادس ربيع الأول قبضوا على ابي يوسف الكحال الدرزي من الحقلة ونفوه بعد أن حبسوه مدة أيام ، وفي عاشر ربيع الأول قبضوا على سعيد بك جنبلاط في بيروت وصحبته بعض دروز الجبل الغربي ، وفي ثاني وعشرين من ربيع الأول فرضوا على أهالي الشام خمسة آلاف فراش وخمسة آلاف لحاف وخمسة آلاف وسادة ، وفي رابع وعشرين من ربيع الأول رجع فؤاد باشا إلى الشام ، وفي سادس وعشرين منه أمر على ترجمانه ابراهيم بك كرامة بالحبس ثم نفاه بعد أن أذله الاذلال التام ، وحينما انتقل النصارى إلى البيوت التي فرغها لهم ذلك الوزير الكبير ، عين لكل فرد منهم خرجاً يكفيه من كبير وصغير ، وسافر كثير من النصارى إلى بيروت واسكندرية ، ليتسلوا عن مصيبتهم القوية ، وفي غرة ربيع الثاني أنزلوا ورقة بدل العسكرية من مائتي عثمانية إلى مائة عثمانية ، وفي رابع ربيع الثاني أحضروا علي بك العظم ومحمد صالح افندي بن الشيخ عبد الله الحلبي ووضعوهما في الدائرة الحبسية ، وفي خامس ربيع الثاني نهار السبت عند طلوع الشمس نفوا الذوات المرقومين جميعاً إلى الماغوصة[1] ذات الغم الشديد ، وفي ثاني يوم سافر فؤاد باشا وصحبته جميع العسكر الجديد ، وفي يوم الثلاثاء من ربيع الثاني وضعوا في كل ثمن مجلساً مخصوصاً لجمع السلاح من أهل الشام ، وبعد تمام جمعه نقلوه إلى القلعة ووضعوه تحت الحرس بكل اهتمام ، وفي يوم الأحد ثالث عشر ربيع الثاني أخذوا محمد سعيد بك بن شمدين آغا الكردي وكيخية السرعسكر وهو أحمد باشا الشهيد وتفكجي باشي والشيخ عبد الرزاق القوادري وديوان افندي وشيخ قرية دوما وغيرهم إلى بيروت تحت الحفظ ، وفي سابع عشر ربيع الثاني انفصل معمر باشا والي الشام ،

---

(١) مدينة على ساحل قبرص الشرقي ، كانت سابقاً عاصمة الجزيرة .

وولى مكانه رشدي افندي الشرواني مفتي مجلس فؤاد باشا قائمقام لا بالأصالة ، وبهذا التاريخ حضر فرمان سامي من الدولة مضمونه ان فؤاد باشا مفوض الرأي في عرب ستان لا يحتاج إلى مخابرة الدولة ، وفي حادي وعشرين من ربيع الثاني طرحت الحكومة المال القديم المكسور وقسطوه على ثلاث دفعات ، في كل مدة ثلاثة أشهر قسط ، وكل قسط بمقدار كامل الترابية ، وفي خامس وعشرين من ربيع الثاني يوم الجمعة وجهت رتبة إفتاء دمشق الشام على محمد أمين افندي الجندي ، عوضاً عن طاهر افندي المنفى إلى الماغوصة ، وفي يوم السبت الحادي عشر من ربيع الثاني سافر والى الشام الأسبق معمر باشا إلى الاستانة لفصله من منصبه ، وفي يوم سادس وعشرين من ربيع الثاني أغلق فؤاد باشا المحاكمة والتفتيش على التهمة ، بحيث لو اشتكى واحد من النصارى بأن فلاناً قتل ولدي أو والدي أو أخذ مالي لا يقبل منه ، لأن القضية من وقتئذ انتقلت إلى البدل بالمال ، وقد ألقى الباشا المرقوم خطابه على العموم بقوله (قد عرف الناس اجمعون أن الحادثة المؤلمة التي حصلت في مدينة دمشق كانت جناية عظيمة مخالفة للشرع الشريف ، وللقانون المنيف ، وقد أورثت تأثراً عميقاً وكدراً بليغاً في قلوب أهل الإسلام قاطبة . ولما كان منوطاً بذمة همة السلطنة السنية ايفاء مقتضيات عدالة الشريعة ، فقد اجريت مجازاة الذين تحققت مشاركتهم في الجناية المذكورة على درجات مختلفة ، وكما أن تلك الواقعة كانت من أخص الأشياء المستهجنة والمكروهة جداً لدى ذوي العرض من أهل دمشق وضواحيها ، كذلك الذين افلتوا من محال المجازاة الدنيوية سيعيشون بالخوف والرعدة تحت طائلة ترهيب الجزاء الذي جوزي به رفقاؤهم منتظرين المجازاة العادلة ، من لدن الله العزيز ذي العدل والانتقام وإن في ذلك لعبرة مؤثرة للجميع ، لأننا نرى واضحاً لوائح الأسف والندم ظاهرة عليهم . ولما كان أهالي المحلات الذين كانوا سبباً لهذه الواقعة قد نالوا جزاءهم بتحملهم اضرا

الأهالي المصابين بواسطة الضريبة التي قر القرار الآن على تحصيلها منهم ، وكان استحصال الأسباب التي من شأنها إيجاد الائتلاف المطلوب دوامه واستقراره بين عموم صنوف التبعة السلطانية من أهم الأمور وأقصى المرغوبات ، فقد أغلق من الآن فصاعداً بالكلية باب المحاكمة والتفتيش على التهمة نظراً إلى الواقعة السابقة ، بشرط أن تدوم باقية الأحكام الجزائية التي جرت حتى الآن ، وبما أن هذا القرار هو أثر المرحمة السنية ، والشفقة الملوكية ، وبما أن التبعة السلطانية المصابين وان كانوا مجروحي الأفئدة والقلوب ، مابرحوا يظهرون خلوّ أفكارهم من التفتيش على الانتقام الشخصي ، بناء على أن اولئك الذين أوصلوا لهم المضرة بايدي التعـــدي قد استتروا ، مستظلين فيما بين أهل العرض اخوتهم في الوطن ، فيجب والحالة هذه على كل انسان أن يثابر على وظائف ذمة التبعية والانسانية بتمامهـا ، مجتنباً ومتوقياً كل التوقي الحركات المخالفة للرضا العالي ، وليعلم الجميع أنه من الآن فصاعداً كل من وقع منه أدنى معاملة رديئة وسوء قصد بحق غيره بأية صورة كانت جليلة أو حقيرة ، فبحسب المنحة السنية المعطاة لنا من طرف الحضرة السلطانية ، لايحصل أدنى تأخر عن مجـازاته القانونية ، وبناء عليه أصدرنا هذا الاعلان لإصلاح أحوال سورية ، ليحيط الناس به علماً انتهى .

وفي يوم السبت ثامن عشر جمادى الأولى حضر الى الشام معتمدون من طرف الدول الأجانب الأروباوية ، لينظروا بما حصل على النصارى وبما حصل من المجازاة على الأشقياء ذوي التعدي ، ثم إنه في هـــذا التاريخ أرسل فؤاد باشا اعلانات لسائر الأثمان ليقرأ على العموم ، بحيث لايجهله أحد ، ونصها حرفياً : هو معلوم لدى الجميع أن الواقعة المؤلمة التي حصلت في دمشق لم يسبق لها مثال ، ولا ذكر لها نظير في التواريخ القديمة ولا الحديثة ، وهي مادة فاضحة منافية لأحكام الشريعـــة المحمدية

العادلة ، ومخالفة للانسانية والمدنية ، وبما أن الله سبحانه قد كلف عباده العدل والإحسان ، وأمرهم أن يتجنبوا الجور والغدر ، وبما أنه فرض على ذمة ولي الأمر انفاذ الأوامر الإلهية على الدوام ، فقد تعلقت الارادة السنية بان تجري على الفور المعاملات التي يقتضيها الحال في هذا الباب ، فأصحاب الجنايات قد لقوا تأديبهم وتربيتهم جزاء لقبائحهم وذنوبهم التي ثبتت لدى التحقيق بالبراهين الكافية ، والذين أفلتوا من المجازاة الدنيوية فانهم ينتظرون بالندم عقاب الآخرة على ارتكاباتهم ، ثم لايخفى أنه من آثار تلك الواقعة ، هو أن المظلومين المصابين هم محرومون أموالهم وبيوتهم وأشياءهم ، وأن كثيراً من التبعة السلطانية لامحل لهم ولا مأوى يتعيشون من الإعانة المعطاة لهم من طرف الدولة العلية ، ولما كان استحصال الأسباب لإصلاح أحوال هؤلاء المصابين ورفع اضطرابهم من أخص مرغوبات الدولة العلية كان يجب على أهالي دمشق وأهالي الايالة قاطبة صرف الهمة والجهد في هذا الباب ، لأجل تطهير وطنهم من هذه النقيصة التي عرضت له ، وبناء عليه ينبغي أن يعطى هؤلاء المصابون المسيحيون مبلغاً كافياً من الدراهم لأجل تعمير بيوتهم وترميمها ، ولأجل سد احتياجاتهم الضرورية ، وتيسير لوازمهم ، ومع أن أمر تحقيق متلفاتهم هو مباشر فيه الآن ، ومعلوم أن ايفاء جميع تضميناتهم دفعة واحدة من الأهالي هو خارج عن دائرة الامكان ، وان أمر تسوية ذلك من طرف الخزينة هو مما لايساعد عليه الوقت ولا الحال ، ومن ثم قد حصل القرار على طرح ضريبة فوق العادة على أهالي مدينة دمشق نفسها ، وأهالي النواحي الأربع التي في جوارها ، والقضاوات التابعة لها ، وعلى طلب اعانة من بعض المحلات ، وقد أعلنت صورة طرح ذلك وطريقة استيفائه في قرار مخصوص ، فالدراهم المطلوبة الآن ضريبة فوق العادة ، وبما

ظهرت في أول الأمر كثيرة ، إلا أنها تظهر لامحالة قليلة ، إذا قيست بالجناية الواقعة ، وحسبت القسامة الشرعية عن المقتولين الذين لايعرف قاتلوهم ، لأنه في دمشق لم يتلف المال فقط ، بل أريق دماء كثيرين أيضاً كما لايخفى ، وبما أن أمر التعمير وتضمين الضرر الذي لحق بمسيحيي دمشق هو من مقتضيات معدلة الشرع والقانون ، تكون الدراهم التي تعطى لذلك ايفاء وظيفة وخدمة عائدة إلى المعدلة ، وتكون المساعي التي تصرف وجوبا لاصلاح أحوال المصابين واسطة لتطهير ذلك القطر من وصمة الدم المظلوم الذي التطخ به ، ووسيلة لزوال عارض الكساء الذي اعترى صنائعه وتجارته ، وبما أن باب الدعاوى والمحاكمات من جهة الوقوعات السابقة قد أضحى من الآن فصاعداً مغلقاً كما تبين في اعلان آخر ، فمهما بذل طمعاً في استحصال كذا نتيجة لايكون شيئاً كثيراً ، وإذا كان ماطرح على كل انسان مطابقاً لقاعدتي العدل والحقانية ، لاينبغي لأحد أن يستصعب اداء مايلحقه من ذلك ، بل يليق بكل انسان أن يسمح بخسارة شيء من فخره وراحته بواسطة الحصة التي يؤديها حباً بدفع هكذا بلية ، فانه لايخل برفعة واعتبار من كانت عادته ركوب جواد مسوّم مثلا إذا ركب برذونا ، ولا باعتبار من اعتاد تناول الأطعمة النفيسة المتفننة أن يقتات بالطعام البسيط ، والإنسان العاقل يجب عليه أن ينظر إلى المصيبة التي أصيب بها جاره ، ولا يلتفت منعكفاً على خسارته المالية ، وليعلم أن تأدية ماتوزع من هذه التضمينات في المدة المعينة هو فرض لابد منه ، وعلى موجبه يكون اجراء العمل ، ومن أظهر أدنى رخاوة أو تهاون في ذلك لايمضي أدنى وقت عن اجراء تربيته وتأديبه ، ولكي يكون ذلك معلوما لدى الجميع قد نشر هذا الإعلان ، لإصلاح أحوال سوريا فاعلموه واعتمدوه كل الاعتماد . انتهى ، ثم ان فؤاد باشا

تاسع جمادى الاولى عين في كل ثمن من أثمان دمشق مجلسا مؤلفا من أعضاء ورئيس ، لكي يطلبوا أنفاراً ودواب لتعزيل حارة النصارى من التراب ، لتيسير عمارتها وإعادتها ، ونظير ذلك في القرى المجاورة لدمشق من مسافة عشرة أميال إلى سور البلد من النواحي الأربع ، وأرسلوا كذلك مأموراً بأن يقطع الاخشاب اللائقة للعمارة ، ويحضرها إلى محلة النصارى ، وفي غرة جمادى الثانية حصل الأمر بعد" الأنفس ، وقد تمت دفاتره في غاية رمضان ، فانتهى في مدة أربعة أشهر ، وفي سابع عشر من جمادى الثانية أرسلوا جملة من العساكر إلى أربع قرايا حول الشام سكانها من الدروز ، وهي صحنايا والأشرفية وجرمانة والدرخبية ، فقبضوا منهم على نحو مائة شخص ، وحرقوا جرمانه ، ووضعوا الاشخاص في الحبس ، وفي يوم الاثنين ثامن عشر جمادى الثانية دخل الشام واليها أمين باشا ، وفي يوم الاربعاء ثاني رمضان توفي عمر افندي الغزي في قلعة الماغوصة ، وفي عشرين من رمضان وجهت النقابة إلى الشيخ أحمد الكزبري ، وفي ختام رمضان توفي جناب أحمد افندي النقيب في رودس ، وفي عاشر شوال فرض على الشام الفان وثمانمائة كفية منضا بولاد للعساكر الشاهانية ، وفي سادس وعشرين من شوال جمع فؤاد باشا جملة من اهل البلد وتلا عليهم ما قر قراره عليه من فرض أموال لعمارة حارة النصارى ، وأنه سينشر لها قانوناً مخصوصا مفصلاً ، وفي غاية شوال سافر فؤاد باشا ومعه حرمه الى بيروت ، وفي عشرين من ذي القعدة الحرام أرسل فؤاد باشا القانون الموعود بذكره وسماه قرار الضريبة ، وإعانة فوق العادة المطروحة الآن على أهالي ولاية الشام ، فأرسلوه إلى مجالس الأثمان ورؤساء النواحي ليعملوا بمقتضاه مع التشديد ببذل الهمة ، وهذا القانون مؤلف من احدى وعشرين مادة مفصلة ، وأنا أذكرها لك بجملة ، لطول تفصيلها المخرج لنا عن نهج الاختصار المطلوب .

ونص مقدمته : « بما أن أناسا كثيرين من التبعة السلطانية المسيحيين قد

نهبت أموالهم واحترقت بيوتهم في خلال المصيبة التي ألمت بهم ، في الوقعة المؤلمة المعلومة التي نشبت في دمشق ، فكان من مقتضى المعدلة السنيـــة النظر في تضمين أضرارهم ، واصلاح أحوالهم ، فلهذا حصلت المبـــادرة لتخمين كمية هذه التضمينات وتعيينها ، على وجه الحقانية ، وسيظهر مقدارها ، وكيفما كان لابد أن يتبين أن ذلك مبالغ جسيمة ، وكما أن هذه الوقعة نشأت في البلدة المذكورة بالمشاركة مع القرى الواقعة بأطرافها ، فكذلك أهالي بعض القضاوات كانوا مشتركين في الوقعة المرقومة ، وفي الوقوعات التي حدثت في سائر جهات الولاية ، ولهذا أضحى يلزمهم أيضاً أن يتحملوا جميع هذه التضمينات ، التي لو أخذت بتمامها من دمشق ونواحيها والقضاوات التابعة لها لما كان شيئاً مغايراً للعدل ، نظراً للجناية الواقعة ، لكن بمـا أن هذا موجب لخراب الأهالي بالكلية الذي لايمكن تجويزه ، فالسلطنة السنيّة مع ماهي فيه من أنواع المصارف والمشكلات صارت مضطرة أن تعطي خزينتها الجليلة ، من اصل هذه الدراهم ، المقدار الخارج عن درجة تحمل الاهالي ، وهكذا من كون تحصيل المبلغ المقتضى أخذه من الاهالي في دفعة واحدة موجبة لزيادة التضييق عليهم ، رئي ان يتحصل منهـم جانب في دفعة واحدة ، والباقي يعطى من خزينة الدولة على شرط ان يتحصل فيما بعد من الاهالي بالتدريج ، في الاوقات المناسبة المعتـــدلة ، على أن تلك الدراهم التي ينبغي اخذها منهم دفعة واحدة تتحصل في أقرب وقت ، لـكي يعطى لكل من مصابي المسيحيين المتعيشين من الاعانـــة مقدار على الحساب من أصل تضميناتهم ، ويحصل التشبث حالاً في مقدمة أسباب إصلاح أحوالهم واعادتها ، ويغلق مع هذا باب كبير دعـــاوي الجناية ، ويستحصل أمر حسن الائتلاف المهم المطلوب دوامه بين الأهالي ، وكما أن أهالي تلك المحلات المشتركين في هذه الوقوعـات ، والمتداخلين بها يجب عليهم أن يؤدوا اتاوة فوق العادة لأجل التضمينات ، والسلطنة

السنية قد اختارت من الفداية أنواعاً كثيرة في سبيل اصلاح هذه المصيبة ومحو آثارها ، فهكذا يجب على سائر أهالي المملكة بحسب حميتهم المجبولين عليها أن يعطوا على غير معنى المجازاة ، اعانة على مقدار درجة تحملهم لأجل دفع هذه البلية التي عرضت على وطنهم العمومي ، وبما أن الملكية التي يقتضي اعطاؤها من طرف خزينة الدولة لأجل عموم التضمينات ، والحصة التي يجب على الأهالي ايفاؤها مع المبالغ المقتضي أخذها بالتدريج ، سوف تعرف مقاديرها في ختام تخمين التضمينات ، فقد نفذ الحكم الفصل من لدن مأمورية فوق العادة ، المخصوصة لإصلاح أحوال سورية ، محتوياً على تبيين مقدار ضريبة فوق العادة التي تخصصت الآن على أهالي المحلات المتداخلين في الوقوعات ، مع المقدار الذي ينبغي أن يفرض على أهالي المحلات الغير المتداخلين بذلك ، أن يعطوه على سبيل الإعانة دفعة واحدة .

(المادة الأولى) إن المبلغ الذي تعين أخذه دفعة واحدة من ايالة الشام ، على حساب عموم تضمينات الوقوعات السابقة ، بشرط أن يستثنى من ذلك الأهالي المسيحيون ، واولئك الأشخاص المعلومون الذين شوهدت منهم الخدمة في الوقوعات المذكورة ، بلغ لدى الحساب تسعين ألف كيس ، فمن ذلك مبلغ خمسة وثمانون الفاً وسبعمائة وسبعة وستون كيساً ينبغي طرحها على المحلات المتداخلة في الوقوعات المعلومة ، التي هي (أولاً) نفس مدينة دمشق ، ثانياً قرى النواحي الأربع ، ثالثاً قضاوات بعلبك والبقاع وحوران وجيدور وجبل الدروز الشرقي وحاصبيا وراشيا ، ويكون تحصيلها منهم جزاء نقدياً وضريبة فوق العادة ، وأربعة آلاف ومائتين وثلاثة وثلاثون كيساً تتمة المبلغ ، ينبغي تحصيلها على صورة الإعانة من قضاوات حمص وحماة وحصن الأكراد ومعرة النعمان وعجلون والقنيطرة وايكي قبولي .

(المادة الثانية) محصلها تسهيل تأدية مبلغ التسعين ألف كيس بأن يحسب منها ثمن الأخشاب واجرة ازالة التراب من حارة النصارى ، وكيفية جمع الأموال ، وهكذا بقية المواد إلى آخرها كلها متعلقة بالبيان والتفصيل والتخصيص بمقادير مخصوصة على المحلات القريبة والبعيدة مما لا حاجة إلى ذكره ، بعد معرفة اجمال المقصود وبيانه مما ذكرته . فلما علم الناس هذا الحال ضاق أمرهم لذلك ، وصاروا يبيعون متاعهم وأثاث بيوتهم في هذه المصيبة التي كانت سماً قاتلاً على النصارى والمسلمين ، فكأنه انتقام على أمر عظيم أصاب الناس جميعاً صالحهم وطالحهم ، نسأل الله العافية وأن يلهم الجميع صبراً ، وأن يعوضهم خيراً وأجراً . ثم بعد تمام هذه الأحوال ، وترتيبها على هذا المنوال ، وجهت الصدارة العظمى لفؤاد باشا وطلب إلى دار السلطنة المحمية فخاطب أهل سورية عموماً وخصوصاً بهذا الاعلان ، وهو قوله :

يا أهل سورية انني سأفارقكم نظراً لتوجيه خدمة الصدارة عليَّ من احسان حضرة ولي نعمتنا مولانا السلطان المعظم ، وبما أن الوقائع المؤلمة التي نشبت اظفارها في العام الماضي بهذه الجهات ، وكانت موجبة لنفور أهل العرض قد زالت ولله الحمد آثارها الرديئة ، بظل ظليل التوفيقات السلطانية ، واستقرت راحة المملكة وامنيتها ، وحصل التشبث باستحصال الأسباب الموجبة اصلاح أحوال الاهالي المصابين ، ترونني الآن راجعاً الى دار السعادة مصحوبا بالتسلية الوحيدة ، وهي انني اشاهدكم ان شاء الله تعالى في وقت قريب بحالة سعيدة ، تنسيكم الحالة التعيسة التي أصابتكم قبلاً ، وبما أن المأمورية المحولة لعهدتي ، هي بدون استثناء خدمة لحصول آثار النية السلطانية الشفوقة تماما نحو كافة التبعة الملوكية ، وحال اجتهادي بذلك ساعتني بالأخص في أشغال هذه الجهات ، لكوني من بعد الآن اعتبر ذاتي سوريا قلبيا ، وعلى وفاق الأمر الواجب الاذعان الملوكاني ،

قد احيلت محافظة صيانة المملكة واستودع إصلاح تأمين أحوال الرعية لعهدة مشير المعسكر السوري السلطاني ، حضرة صاحب الدولة عبد الحليم باشا ، وصفات المشار اليه وغيرته واستقامته الثابتة ، تمنح الكفالة اللازمة للجميع ، وكافة المأمورين الكرام أيضاً هم ومن بدوائرهم من كونهم سيصرفون الاقدام التام بهذه الخصوصات ، لا ريب بان الجميع يكونون مستريحي البال في ظليل الاقتدار السلطاني ، اذ لا يحصل أدنى نقصان في اثار المراحم الملوكية التي صرفت حتى الآن نحو الأهالي المصابين ، فيجب في مقابلة ذلك ان جميع الأهالي تكون حركاتها موافقة لآثار أفكار الحضرة السلطانية الخيرية ، ويكون كل صنف من التبعة متمسكا بقاعدة الاتحاد وحب الوطن وخدمته ، والقيام بايفاء أوامر الدولة والوظائف السلطانية بالتمام ، كما هو المأمول بحميتهم ، وبما أن حضرة المشير المشار اليه مأذون باجراء التأديبات السريعة الشديدة بحق الذين يتجاسرون سواء كان شخصاً أو جمعية على وقوع أدنى حركة مغايرة للرضى العالي ، اقتضى اشهار هذا الاعلان من مقام الصدارة العظمى ، ليحيط الجميع علماً بما فيه ويتجنبوا مخالفته انتهى .

ثم انه بعد ذلك استقامت الأحوال ، وأخذ الكرب الشديد يميل نحو الاضمحلال ، وابتدأت المحبة تعود بين عموم أهل الوطن ، وزالت عن الجميع تواترات المحن ، وتألفت القلوب ، وتنحت الكروب ، وكاد أن يعود الوداد الى أصله ، واضربت الظواهر صفحا عما كان ذلك الكرب والغم من أجله ، إلى أن أعاد الله المحبة القديمة ، والراحة العميمة ، وحقت كلمة العذاب على أهل الشقاء ، ودارت عليهم والعياذ بالله دوائر البلاء . فالحمد لله على راحة العباد ، وعود المحبة بين العموم والوداد ، وقد تم

الكلام على هذه الحادثة بالاختصار الغير المخل ، ولو أردت ذكرها بتفاصيلها وتفاريعها لأدى ذلك الى الاسهاب الممل [١] . والله أعلم .

الأمير احمد افندي الروزنامجي المعروف بالصفاتي الشافعي المصري

الجناب العالي ، واللوذعي الغالي ، قال الجبرتي في ترجمته : ذو الرياستين والمزيتين والفضيلتين ، تقلد وظيفة الروزنامة بديوان مصر عندما كف بصر اسماعيل افندي فكان لها أهلا ، وسار فيها سيراً حسنا ، بشهامة وصرامة ورياسة ، وكان يحفظ القرآن حفظاً جيداً ، وحضر في الفقه والمعقول على أشياخ الوقت قبل ذلك ، وكان يحفظ متن الألفية لابن مالك ، ويعرف معانيها ويحفظ كثيراً من المتون ، ويباحث ويناضل من غير ادعاء للمعرفة والعالمية ، فتراه اميرا مع الأمراء ، ورئيسا مع الرؤساء ، وعالما مع العلماء ، وكاتباً مع الكتاب ، توفي المترجم في عشرين من ربيع الثاني سنة اثنتين ومائتين وألف .

الشيخ احمد الشهير ببرغوث المالكي الازهري

الورع العالم ، والكامل الذي كاد أن يقال إنه من كل عيب سالم ، ذو المناقب العديدة ، والمآثر الحميدة ، والفضائل الباهرة ، والنفس الرشيدة الطاهرة ، ولد بالبلدة المعروفة باليهودية بالبحيرة وتفقه على أشياخ العصر ، ومهر في المعقول والمنقول ، وأقرأ الدروس وانتفع به الطلبة واشتهر ذكره بينهم ، وشهد الكل بفضله ، وكان على حالة حسنة معتزلاً عن الناس ، راضيا بما قسمه له مولاه ، منكسر النفس متواضعا ولم يتزي

(١) تجد تفصيلاً واسعاً لهذه الحوادث المؤسفة ، مع ذكر بواعثها ونتائجها ، في (ج ٣/٧٥ ـ ١٠٠) من خطط الشام للأستاذ كرد علي رحمه الله ، وقد نقلنا نبذاً منها .

بزي الفقهاء ، ولم يظهر بمظاهر العلماء ، يمشي في حوائجه لنفسه ، وتمرض بالزمانة مدة سنين يتعكز بعصاه ، ولم يقطع درسه ولا اجتهاده ، الى أن توفي يوم الأربعاء خامس شهر صفر سنة اربع وعشرين ومائتين وألف ودفن بتربة المجاورين رحمه الله تعالى آمين .

السيد احمد بن محمد بن اسماعيل من ذرية السيد محمد الدوقاطي الطهطاوي الحنفي

العالم المشهور ، والفاضل الذي هو بكل فضيلة مذكور ، كان والده روميا ، فحضر إلى أرض مصر متقلداً القضاء بطهطا ، بلدة بالقرب من اسيوط بالصعيد الأدنى ، فتزوج بأمرأة شريفة ، فولد له منها المترجم وأخوه السيد اسماعيل ، ولم يزل مستوطنا بها إلى أن مات عن المذكورين وأخت لهما ، فحضر المترجم إلى مصر سنة إحدى وثمانين ومائة وألف ، وكان قد بدا نبات لحيته بعـــد ما حفظ القرآن ببلده ، وقرأ شيئا من النحو ، فدخل الأزهر ، ولازم الحضور في الفقه على الشيخ احمد الحمامي والمقدسي والحريري والشيخ مصطفى الطائي والشيخ عبد الرحمن العريشي حضر عليه من أول كتاب الدر المختار إلى كتاب البيوع ، وتمم حضوره على الشيخ حسن الجبرتي مع الجماعة ، لتوجه الشيخ عبد الرحمن المذكور لدار السلطنة لبعض المقتضيات سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف فالتمس الجماعة تكملة الكتاب على الشيخ حسن المذكور ، فأجابهم لذلك والمترجم معهم ، وفي أثنـــاء ذلك قرأ المترجم مع ولد الشيخ حسن على الشيخ عبد الرحمن نور الايضاح ، بعد انصراف الجماعة عن الدرس ، وذلك لعلو السند ، فان الشيخ المذكور تلقاه عن ابن المؤلف ، وهو عن جد الشيخ حسن عن المؤلف ، ولم يزل المترجم يدأب في الاشتغال والطلب مع

جودة ذهنه وخلو باله وتفرغه ، وتلقى الحديث سماعا واجازة عن كل من الشيخ حسن الجداوي والشيخ محمد الأمير والشيخ عبد الحليم الفيومي ، ثلاثتهم عن الشيخ علي العدوي عن الشيخ محمد عقيله بسنده المشهور ، ولما مات الشيخ ابراهيم الحريري تعين المترجم لمشيخة الحنفيـــة ، فتقلدها على امتناع منه ، فاستمر الى ان اخرج السيد عمر مكرم من مصر منفيا ، وكتبوا في شأنه إلى الدولة ونسبوا إليه ما لم يحصل منه ، وطلبوا الشهادة من المترجم ، فامتنع فعزلوه من المشيخة ، وقلدوها الشيخ حسينا المنصوري ، فلما مات اعيدت إلى المترجم ، وذلك في غرة صفر سنة الف ومائتين وثلاثين ، وفي هذه السنة بنى لنفسه مقبرة يدفن فيها بعد موته بجوار الشيخ ابي جعفر الطحاوي ، بالقرافة ، بجانب مقام الاستاذ المرقوم ، وغب ذلك تمرض وتوفي ليلة الجمعة بعد الغروب خامس عشر شهر رجب سنة احدى وثلاثين ومائتين وألف ، وله من المآثر حاشية على الدر المختار شرح تنوير الأبصار في أربع مجلدات ، جمع فيها المواد التي على الكتاب وضم اليها غيرها رحمه الله تعالى .

الخطيب احمد البساطي المدني

هو من رجال اللآلىء ، الثمينة ، في أعيـــان شعراء المدينة ، قال مؤلفها في ترجمته : جليل قدر نبغت في عراص مجده نبعات المحامد ، وفسيح مفاخر لها الوصف الكريم حامد ، ولطيف شمـائل تزري بلطف الشمول ، وظريف خصال تهب كنسيم القبول ، ظهر في الأدب باعه ، وحسن فيه انطباعه ، وبدت له فيه مزايا ، كمنت في زوايا خبايا ، كم له من قصائد باللطائف معمورة ، وازاهر كلام بقطر البداعة ممطورة ، تملأ المسامع سروراً وجذلاً ، وتهدي إلى القلوب طرباً متصلاً ، فمنه قوله مادحاً لي :

أهدي السلام لعزيز القدر   من ساد بالفضل أهالي العصر

أعني ابن عبد للسلام من سما بالعلم اسمى رتبة في الفخر
سراجنا الفاضل ذا شمس الهنا باهى المحيــا مخجلًا للبدر
مترجم الأعيـان أهل طيبة في تحفة الدهر ونفح الزهر
شهماً أديباً راقياً أوج العلا ونظمه فـاق عقود الدهر(١)
ونثره اللؤلؤ ضــاء نوره إذا بدا كلامه في السطر
يظهر سره ومعنـــاه لمن ينظر في ألفاظه بالفكر
إذا تأملت ترى في نظمه قولاً بديعاً وكذا في النثر
له معان واستعارات كذا علم بيان باهر كالسحر

وقد أجابه صاحب اللآلىء الثمينة ، في أعيان شعراء المدينة ، وهو الفاضل العلامة عمر بن عبد السلام المدرس الداغستاني بقوله :

بدر الدجى بان لنا في الخمر أم وجه من رضا به كالخمر
وهذه لآلىء قـد نظمت أم أنهـا أسنان ذاك الثغر
وما أرى هل هو ورد ناضر أم حسن خد بالحيا محمرّ
وهل فتور في الجفون قد بدا أو الخمار أو دبيب السحر

وهي قصيدة طويلة ومن لطائف المترجم أيضاً قوله :

القلب من ألم الفراق مفرط والروح مني اليوم كادت تظهر
والجسم ملتهب بنيران اللظى والدمع من عيني دماً يتقطر
أبكي على ما حل بي من فقدكم والقلب مني عنـكم لا يصبر
تعس الفراق وفعله يا سادتي قد أحرم الأعيان فيكم تنظر
لو تبصروا حالي وما قاسيته أو تسمعوا من بالحقيقة يخبر
لبكيتم حزناً على ما حل بي هذا المقدر في الجبين مسطر
يا هل ترى الرحمن يجمع شملنا بعد الفراق وكسر قلبي يجبر

ومن نظمه أيضاً قوله :

ناديت خلي كي يشرف موضعي فأجابني فوراً بغير تمنـع

---

(١) كذا وردت ولعلها : الدرّ

وافى بقد أهيف ولي انثنى ... مثبه القنا من تحت ذاك المقنع
لما أتاني زائراً قبلته ... في ثغره الحالي فزاد تولعي
وله شرعت أقول أهلا يارشا[1] ... آنست صبك ياغزال الأجرع[2]
قد كان يوماً أزهراً بوصاله ... فهو الحبيب
يسمو على الحور الحسان بطلعة ... كالشمس تطلع في سماء البرقع
فلقده يزري الغصون إذا مشى ... بتمايل ورشاقة وتصنع
أودعته للواحد الأحد الذي ... أنشاه كالبدر المنير الأسطع
طعن القلوب بسهم قوس لحاظه ... طعناً قوياً نافذاً من اضلعي
ما شاهدت عيني مليحاً مثله ... رشقاً خفيف الروح ريماً أتلعي
هام الفؤاد به ومزق مهجتي ... هم الغرام صبابة بتوجعي
لما توجه رائحاً من منزلي ... ومضى لمنزله كظبي مسرع
أصبحت محزوناً افقد جماله ... حيران في أمري أكفكف أدمعي
ياريح ولي للذي سكن الحشا ... أخبره أني منكو بتلملع[3]
رح قل له ارحم يا معنى مغرماً ، ... مضنى سقيما لا يضيق ولا يعي
أعد الزيارة سيدي فلعله ... يشفى بقربك من أليم المضجع
فعساه يسمح لي بوصل عاجل ... يحيى به قلب الحزين المولع

انتهى باختصار توفي المترجم في القرن الثالث عشر .

السيد احمد باعلوي جمل الليل المدني

السيد المفضال ، المتحلي بملابس الحسن والجمال ، فلا ريب أنه غيث رياض الجود ، وغوث الملتجىء المنجود ، والحبر المسكي الارج ، فحدث عن البحر ولا حرج ، قرأ في المدينة المنورة وأخذ عن علمائها ، وحضر دروس أعيانها وفضلائها ، ومن أجلتهم عملا وعلما ، وأكلهم جاها وقدراً

---

(١) ولد الظبية .
(٢) رملة مستوية .
(٣) تلملع : تضعف من تعب أو مرض .

ومعرفة وفهما ، الكبير الفاضل ، والخطير الكامل ، محمد بن عبد الله المغربي السجلماسي الفاسي ، والعلامة الشيخ عبد الله الجوهري ، والشهاب احمد الدردير ، وتصدر في المدينة المنورة لافادة العلوم الشرعية ، والفنون العقلية والنقلية ، وهو من رجال اللآلىء الثمينة في أعيان شعراء المدينة ، لعمر بن عبد السلام المدرس الداغستاني ، وقد ترجمه فقال : سيد شريف ذو قدر منيف ، ومجد ظله وريف ، وفخر غيثه وكيف ، وفضل كالبدر سناء ، والثريا علاء ، ونبل وبديهة ، وفكرة عن الخلل نزيهة ، فمثله من يمدح ذكاؤه ، ويُرقش [1] ثناؤه ، فانه الجامع أنواع المعالي ، والقاطف أزهار أغصان العوالي ، والمشتغل من ابتـــداء الشباب ، بالاستفادة والاكتساب ، حتى ملك من مسائل الفقه صعابها ، وكشف له الجد عن عرائس مخبآته نقابها ، فأصبح بسبب تحصيله ، في سائر الفنون فريد جيله ، ولكم ابدى من النثار عقائل [2] أفكار ، وفوائد بدائع ما لهن ثواني ، أحسن من المثالث والمثاني ، ومن سماع شوادي الغواني ، برقيق الأغاني ، كأنها الروض المريع ، والزهر البديع ، وله من النظم لمع أبهى من لوامع النجوم ، وأزهى من الدر المنظـــوم ، واسلس من الرحيق المختوم ، منهـــا قوله :

هذا العقيق وذي ربا أزهـــاره فانشق عبير خزامه [3] وعراره [4]
وانخ مطيك في حمـــاه فانه حمد السُّرى يهنيك طيب قراره

(١) أي يُنقش .
(٢) جمع عقيلة ، والعقيلة : من كل شيء أكرمه .
(٣) نبت زهره من أطيب الأزهار .
(٤) العَرار : بَهار البَر ، وهو نبت طيب الريح .

فاخلع ردا الترحال صاح وحل من ... عزم السفـــار وثيق شد ازاره

وانزل بساحة ذا الكريم ومن يزف[1] ... بنزيله فيـــداره في داره

غوث الوجود وغيثه وملاذه ... ان تبدمن غاب الخطوب ضواره[2]

مولى الأنام الهاشمي المصطفى ... والمعقل الأحمى لحومـة جاره

والعوذ من ظمأ الزحام اذا همى ... هول الجحيم وكرّ كرب اواره

فاسكب دموعك في ثرى أعتابه ... وامسح خدودك في ثرى آثاره

واقصده في كل المقاصد راجيا ... وحذار أن ترجو سواه حذاره[3]

واذا خشيت من الحوادث ريبها ... أو خفت بث صروفـه وضراره

فاجنح لنـاديه الرحيب وناده ... واخلص دعاك وقل تجاه مزاره

يا من له الجاه العظيم وربه ... لامثك يسعد منتمٍ لجواره

يا من إله العرش جل جـــلاله ... خلق الوجود ليؤذنن بفخاره[4]

إن الكرام ومنك كل نوالهم ... يرتاح فيضهم الى استدراره

كم جيد سؤل قد أتاك معطلا ... حلاه جودك من عقود بحـاره

نرجو بجاهك مـــن إلهك نظرة ... في موقف العقبى وزفرة ناره

ورضا يعم الكل صيب سحابه ... والبرء من مرضى الفؤاد وعاره

انتهى مات رحمه الله ثالث ربيع الأول سنة ست عشرة ومائتين والف .

---

(١) وزَفَّ يزِف : أسرع .

(٢) قدّمنا (ص ٧٤) أن لفظ الغوث في الكتاب والسنة وكلام العرب ، ــ كالاستغاثة ــ إنما يستعمل بمعنى الطلب من المستغاث به ، وأكثر ما يقال : يا غياث المستغيثين ، بمعنى المدرك عباده بالشدائد إذا دعوه (الى آخر ما ذكرناه فارجع اليه) .

(٣) هذه غفلة عن قوله تعالى : « أم مَن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ؟ » وقوله : « فلا تدعوا مع الله أحداً » .

(٤) قال تعالى : « وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون » .

الشيخ أحمد الجامي المدني

هو من رجال اللآلىء الثمينة ، في أعيان شعراء المدينة ، قال منشئها في ترجمته رحمه الله وأحسن مثواه :

الشهاب الثاقب ، المبدي من قطر قريحته للكلام أطايب ، فاضل ذو فكاهة أنست ابن هاني (١) ، ونكات ثمرهـا الجني للمقتطف داني ، وفصاحة ألانت له عصيّ الكلام ، وبلاغة طوعت له أبِيّ النظام ، فهو من العلم والأدب في الذروة العليا ، ومن طلاقة اللسان في الرتبة الأولى ، حلى من كلامه أجياد الادب بتمائم ، وطوقها من إحسانه بأطواق أبهى من أطواق الحمائم ، فمن نظمه الذي هو كالتبر المسبوك ، والزبرجد المحكوك ، قوله من ابتداء قصيدة أرسلها من الروم :

ما لذ لي بعدكم يا عرب ذي سلم ... ربع ومن بُعدكم جفني القريح دمي

وما جرى ذكر ذياك العقيق وما ... والاه إلا جرى مني عقيق دمي

ولا جرت نسمات من دياركم ... إلا أهاجت بقلبي لاعج الالم

استودع الله أحباباً الفت بهم ... حيّا الحيا وسقا سفحا بسلعهم

ابناء فضل وآداب وليس سوى ... رضيع ثدي العلا والحلم والحكم

لاعيب فيهم سوى أن النزيل بهم ... بالروح يفدونه والمـال والحشم

يا ليت شعري هل الأقدار تسعفني ... يوماً وأحظى برؤياهم ووصلهـم

لادر دو الصفـا لاذرّ شارقـه ... ولا همى برباه سـافح الديم

---

(١) الحسن بن هانىء أبو نواس : شاعر العراق في عصره ، قال الجاحظ : مارأيت رجلا اعلم باللغةولا أفصح لهجة من أبي نواس ، وقال الإمام الشافعي : لولا مجون أبي نواس لأخذت عنه العلم (م : سنة ١٩٨ هـ)

ان لم يكن معهم والشمل منتظم بقاع تلك البقاع الفيح والاكم
يا حادي العيس قم عني بواجبهم إذا نزلت بواديهم وربعهم
وقل لهم بعد ابلاغ التحية من مملوككم وَفِدًا أعتاب نعلهم
قربان قربانكم والمنحنى وقبا وجرفكم والنقا والبان والعلم
لهفي على نسمة من جزع عالية وظل ذاك الظليل البارد الشبم
لهفي على عَيّة أطفي بها لهبي من عين زرقائكم في الدورق الحَرَمي
مع ماحوته النخيل الباسقات وما من النعيم بذاك الجمع والنعم
لهفي على الروضة الفيحا ومنبرها ووقفة بمصلى سيد الأمم
لهفي على تلكم الآثار قاطبة وما حوته من الأوصاف والشيم
لهفي عليكم وناديكم وتربكمو وحادي الظعن والألحان والنغم
ما آن أن تنشلوا هذا الغريق أما آن التواصل ياجيران ذي سلم
ما آن باسادتي أن تشفقوا كرما على الغريب الذي عنه الزمان عمي
الله في مهجة من فقدكم تلفت تداركوا رمقي ياساكني أضم
فإنني مذتوارت شمس طلعتكم في الحجب أمسيت ذالحم على وضم[1]

وله وكتب بها على سفينة اشعار لصاحب اللآلىء الثمينة :

لما نظرت إلى سفينتك النفيـ... سة ياسراج وذقت حلو جناها
ورأيت فيها كل معنى يشتهي والفكر في بلهاتها قد تاها
حوّطت خردها الحسان بما أتى بتبارك الفرقان ثم بطه
لاسيما لما طلبت بفاقة ماء العذيب ولاح لي بلماها

---

(١) الوَضم : خشبة الجزار التي يقطع عليها اللحم ، ويقال : « تركهم لحماً على وضم » أي أوقع بهم ، فذلّلهم وأوجعهم .

وجبرن خاطري الكسير وقان لي ... لنولينك قبلة ترضاهـا
ثم انثنيت وقلت سبحان الذي ... في نيل مصر الحسن قد أجراها
لازلت ياسحبان وائل عصرنا ... بك بين أبنـاء العلا نتباهى

وله مخمساً بيتي مجير الدين الخياط

قل الذي فتكت أسنة هدبه ... في قلب عـاشقه ومهجة صبه
كم ذا تروّع آمنا في سربه ... يامحرقاً بالنار خد محبه
مهلاً فإن مدامعي تطفيه

فبمن حباك سهام لحظ جارح ... لاتوقدن النار بين جوانحي
فإذا أبيت وكنت غير مسامحي ... أحرق بها جسدي وكل جوارحي
واحذر على قلبي لإنك فيه

توفي المترجم بعد الألف والمائتين رحمه الله تعالى .

أحمد بن محمد الأنصاري اليمني الشرواني

إمام فضل قد استوى على كرة الفضائل ، وهمام قول وفعل قد احتوى على نخبة الشمائل ، وفريد علم قد تحلى بالمجد والمكارم ، وحبر فهم قد اعترف له السادة الأكارم ، طلع في أفق الكمال بدره ، وسما في سماء الجمال قدره ، له نباهة تود النجوم الثوابت نيل علاها ، وطلعة محيا يتمنى البدر الوصول إلى سناها ، وأوصاف قد ترقت إلى أوج الشرف ، وكلمات كاللآلىء متجردة عن الصدف ، نثره كأنه الزهر اليانع ، ونظمه كأنه أقراط المسامع ، فمن قوله مكاتبا الشيخ الاديب العلامة عبد الله بن عثمان بن جامع الحنبلي رحمهما الله تعالى :

أعندك ماعندي من الشوق والوجد ... وهل أنت باق في المحبة والعهد
كابد أشجانا توقد نارهـا ... بقلبي المعنّى من بعادك والصد

وصدك عن مضناك داء دواؤه ... تدنيك من بعد القطيعة والبعد
فحتام تجفو من إليك اشتياقه ... تضاعف يا نجم المحاسن والسعد
وحقك لولا أن مأواك في الحشا ... لاحرقه الشوق المبرح بالوقد
وإني وان أخفيت مابي من الأسى ... عن الناس لايخفاك يا منتهى القصد
أيخفى غرامي وارتماضي بذا الهوى ... عليك وأشعاري تبين ماعندي
فعطفاً لمن لا يستلذ بعيشه ... لبعدك وارحم من تضعضع الود
وها أنا ذاك اللوذعي ومن له ... مكارم أخلاق تفوق عن الحد
وعمدة أرباب البلاغة والحجا ... وواحد هذا العصر أكرم بذا الفرد
وقدوة أعيان الحديدة من زها ... به اليمن الميمون فخرُ بني المجد
فإني هجرت الذ عرفت مكانه الرفيع وعنه ملت يا عاذل العد
دع الصد واسلك في المودة والوفا ... سلوك ابن ذي النورين ذي الفضل والرشد
هو الشهم عبد الله نخبة قادة ... بهم عرف المعروف حجتنا المهدي
خلاصة أهل الجود لله دره ... فمن مثله في العلم والحلم والرفد
كريم اذا استمطرت يوماً أكفه ... همت باللهى[1] من دون برق ولا رعد
عليه رضى الرحمن ما قال شيق ... أعندك ماعندي من الشوق والوجد

وقال مكاتبا السيد الفاضل والعالم العامل يوسف بن ابراهيم الأمير الكوكباني :

تذكرت من حالت عن الود والعهد ... ففاضت دموع العين شوقاً على خدي
خليلي مرّا بالتي من بعادها ... أقضي الليالي بالتفكر والسهد
وقولا لها طال اجتنابك عن فتى ... غدا بك صبا لا يعيد ولا يبدي
فجودي بما يشفيه من ألم الهوى ... وينجو به من قادح الشوق والوجد

---

(١) جمع لهية : العطية ، أو أفضل العطايا وأجزلها .

عسى ترحمي الصب المعنى بزورة ... يفوز بها بعد القطيعة والبعد
رعى الله أياماً تقضت بقربها ... وليلات أفراح مضت في ربا نجد
بها كنت في روض الرفاهة مارحا ... فولت وآلت لا تعود إلى عهدي
نعم هكذا الأيام تمضي وعودها ... محال فمالي لا أميل الى الزهد
وحسبك يا قلبي حبيب موافق ... أمين وفيّ لايخونك في الود
كمثل أخي المجد المؤثل يوسف ... أمير المعالي كوكب الفضل والرشد
شريف عفيف كامل ومهذب ... مناقبه جلت عن الحصر والحد
به أشرقت شمس المعارف والهدى ... على فلك العلياء مذ كان في المهد
جدير بأن يسمو على كل فاضل ... حريّ بذا المدح المنظم كالعقد
فلا زلت بالعلم المكرم هاديا ... لأهل التقى والفضل ياخير من يهدي
بحرمة خير الخلق طه وآله ... وأصحابه أهل المكارم والمجد

وقال مجاوبا عبد الله بن عثمان بن جامع أيضاً بقوله :

أيا من قد حوى كرمَ الطباع ... ومن هو للطائف خير واعي
وكنز جواهر الآداب حقا ... وجامعها المفيد بلا نزاع
أتاني منك مرقوم عزيز ... بديع النظم يقصر عنه باعي
يذكرني به مامنه أضحى ... فؤادي في اشتعال والتياع
اتحسب يابن ذي النورين أني ... هممت بفرقة بعد اجتماع
فلا وعظيم جاهك لم يكن لي ... مرام في نوى أو في انقطاع
ولكني ابتليت بمعضلات ... غدا في حلها يجري يراعي
ومنها كنت مضطرباً لأني ... رأيت بها الفؤاد على ارتياع
فذلل لي المهيمن كل صعب ... بها والله راحم كل داعي
ولولاها اجل بني المعاني ... وأحمدهم لما كان اندفاعي
ومثلك لايمل وأنت مغني اللبيب م ... ومؤنسي في ذي البقاع
فظن بذي الوداد المحض خيرا ... ودم واسلم بعز وارتفاع

وقال رحمه الله مادحاً العلامة المولوي إله داد الساكن في كلكته :

ذكر الحمى ومرابع الأخدان اجرى دموع مكابد الأحزان
وغدا به قلقاً شطيط الدار لا ينفك من شوق إلى الأوطان
طوراً يئن وتارة يبكي على زمن الصبا الماضي على نعمان
يهتز من طرب إذا ما غردت قمرية سحراً على الأغصان
وينوح شوقاً للذين فراقهم جلب الهموم لقلبه الولهان
ما واصلت في البعد عيناه الكرى إلا السهاد وأدمع الأشجان
روحي فداكم فاسمحوا ياسادتي بوصالكم للهائم الحيران
حتام هذا الهجر منكم والجفا وإلى متى أبكي بدمع قان
وحياتكم لولاكم ماشفني وجد ولا حل الهوى بجناني
بلغ نسيم الصبح ان جئت الحمى عني سلاماً عصبة الإيمان
واشرح لهم حال الكئيب وقل لهم منوا عليه بنظرة وتدان
أين المسيح لكي يعالج قلبه ذاك الكليم بصارم الهجران
ووصالكم هو في الحقيقة مرهم لفؤاده ومسرة للعاني
فعسى تلين قلوبهم لمتيم صرفته قسوتها عن الخلان
ويفوز بعد البعد من ألطافهم بدنوهم في أجمل الأحيان
مالي سواكم ياكرام وانتم من كل خوف معقلي وأماني
أولاكم الرحمن عزاً مثلما أولى العلا للعالم الرباني
اللوذعي إله دادا المقتدى نجل الكرام ونخبة الأعيان
لقمان هذا الدهر افلاطونه في كل علم فائق الأقران
بحر الفضائل والندى من فخره ضاهى السها قدراً عظيم الشان
ريحانة الآداب هذا طيبه يغنيك عن روح[1] وعن ريحان

---

(١) الراحة ، ونسيم الريح ، والفرح والرحمة .

قد حزت يا كنز العلوم جواهر المعـــقول والمنقول والقرآن
طوبى لشخص يقتني منك المنا فليفخرنّ عـلى ذوي العرفان
لولاك ماعرف البديع ولا بدت شمس المعاني في سماء بيان
جل الذي أولاك فضلاً شائعاً في هذه الأصقاع والبلدان
فاسلم وعش ماهز مضنى هائماً ذكر الحمى ومرابع الأخدان

وقال رحمه الله :

أخا اللوم لايقضي بلومك لي أمر فدع لائمي ما عنه في مسمعي وقر
ودعني وما ألقى من الحب فالهوى أرى فيه عسراً يرتجى بعده اليسر
وإني وإن شحت سعاد بوصلها صبور ولي فيما أكابده أجر
فما الصب إلا من يعاني شدايد المحبـــة لا من قال أسقمني الهجر
وما الحر إلا من يرى الكرب راحة إذا ما رمي بالذل أو خانه الدهر
تغربت عن قوم إذا ماذكرتهم أسلت دموعاً لايماثلها القطر
ولكنني أخفي الصبابة والأسى وأبدي ابتساماً حيث يجري لهم ذكر
وهم سادتي لافرق الله جمعهم ومن نحوهم تعزى المكارم والفخر
متى تنطفي نار بقلبي من الجوى[1] وترجـع أيام بها يشرح الصدر
ألا لا أرى في البعد للعيش لذة وكيف يلذ العيش من شفه[2] الفكر
رضيتم بهجري وارتماضي بحبكم ومركم ما منه مسنيَ الضر
سلام عليكم مارضيتم به هو الـــمرام ومثلي لايخون به الصبر
وإني لصبار عـلى كل شدة رضاكم بها والصبر يتبعه النصر
وعهدكم عندي مصون وشيمتي الوفـــاء وحبي لايخالطه الغدر
على كل حال أنتم القصد والمنى وأنتم ملاذ العبد والغوث والذخر

---

(١) شدة الوجد ، وداء في الصدر .
(٢) أنفد ما عنده .

وله رحمه الله :

أراك صددت عن الصب ظلماً ... أيا عادل القدّ رفقا ورحما
تركت فؤادي يذوب اشتياقاً ... وصيرتني أسهر الليل هما
أما منك لي رحمة والتفات ... فقد عيل صبري لما بي ألمّا
ولولاك ماسلسل الشوق دمعي ... ولا قلت في الحب نثراً ونظما
أيا عاذلي أقصر اللوم اني ... أراك ارتكبت بذا اللوم جرما
فما نال من لام في الحب مضنى ... كمثلي من رحمة الله قسما
وماذا دليلك في اللوم قل لي ... فإن الهوى مذهب لن يذمـا
أراك تبالغ في لوم صب ... أحاط بفن الهوى المحض علما
عدمتك اني راض بما قد ... براني فدعني إمّا وإمّا
خليلي مالي وللدهر أضحى ... يروم انخفاضا لقدري وهضما
ألم يدر أني شهاب المعالي ... لعمري منكر ذا القول أعمى
خليلي هل يسعد الدهر يوما ... على مابه يهلك الضد غمّا
وإني لذاك الهزَبرُ الجسور ... الهمام الذي قد سما الشمس عظما
فما للأعادي يرومون ذل ... العزيز المبجل جاهاً واسما
أغرّهم مني الحلم تبّا ... لآرائهم لم يكن ذاك حلما
ولكنه يا خليليّ مني ... دهاء به رمت كشف المعمّى
أنا ابن الكمال ورب الفخار ... فلا غرو ان فقت عربا وعجما
مقامي جليل ومجدي أثيل ... وفرعي إلى محتد [1] الجود ينمى

وله عفي عنه :

أيحسن منك هجر الصب ظلما ... وإعراض يزيد القلب سقما
وفيك نثرت من دمعي جمانا ... بقرطاس الخدود فصار نظما

(١) المحتد : الأصل ، يقال : فلان كريم المحتد

أمحبوبي دع الهجران اني | أكابد فيه آلاماً وهمـا
وجد بالوصل بعد الفصل يامن | سلوت بحبه دعداً وسلمى
بطلعتك المضيئة خل هجري | جعلت فداك موج الشوق طما
وفي قلبي من الأشواق نار | فكيف خمود نار الشوق مهما
أعيذك بالمهيمن من عذابي | ومن مقت بها قد حرت وهما
ترفق بي مليك الحسن وانظر | بعين اللطف نحو العبد رحمـا
فقد زاد الغرام الذ براني | وقل الصبر مما بي ألمـا
أراك وأنت ذو خلق كريم | جفوت فتى إلى الأنصار ينمى
أنا ابن محمد من فاق فخراً | على الأقران بل عرباً وعجما
وها أنا ذا كسبت الفخر منه | وفقت نظائري رأياً وفهما
وإني اليوم أشعر من زهير[1] | وفي الآداب أكثر منه علمـا
فدع ماقيل في اليمني جهلا | أينظر لمعة المصباح أعمى
وفي كلكتة[2] جهلوا مقامي | مجاهيل فهل حقرت إسما
أضاعوني ولكن لا أبالي | بذي جهل ولا قد خفت ىما
تنـح عن العذول ضياء عيني | فقربك منه يوجب فيك ذمـا

---

(١) ابن أبي سلمى ، أحد أصحاب المعلقات في الجاهلية ، ومن أشعر شعراء عصره ، قال ابن الأعرابي : كان لزهير في الشعر مالم يكن لغيره ، كان أبوه شاعراً ، وخاله شاعراً ، وأخته سلمى شاعرة ، وابناه كعب وبجير شاعرين وأخته الخنساء شاعرة . كان ينظم القصيدة في شهر ، وينقحها ويهذبها في سنة ، فـكانت قصائده تسمى (الحوليات)

(٢) مدينة مشهورة في الهند ، وهي عاصمة البنغال .

وعجل بالوصال فإن وجدي ... تضاعف والجوى يزداد حدما
معاني ماتضمنه بياني ... لها شرح لطيف فاحتفظ ما
ودم في نعمة ونعيم عيش ... ومنزلة تضاهي الشمس عظما

وله غفر الله ذنوبه :

جفا من لست أذكره براني ... وهيج لي غراماً في جناني
وحال عن الوداد ولم أحل عن ... مودته وظلماً قد جفاني
أيحسن منك يامولاي هجري ... بلا ذنب وتعلم ما أعاني
دع الإعراض وارحم حال صب ... لبانته الزيارة والتداني
ورشف رضاب ثغرك واعتناق ... أنال به المسرة والأماني
وحسبك مابليت به فإني ... وعزك ذي المحاسن في هواني
أراك نسيتني وسلوت ودي ... وأوجبت التجافي عن مكاني
فأين العهد والود المصفى ... وذاك الوصل في ذاك الزمان
أعد نظراً إليّ فإن قلبي ... لعمرك إن أطلت الهجر فاني
سألتك بالهوى العذريّ أن لا ... تضن بما يسر به جناني
فها وجدي تضاعف منه كربي ... وصيرني حديثاً في المغاني
جعلت فداك فاسمح بالتلاقي ... ولا تجعل جوابي لن تراني
وعش في نعمة وعلو جاه ... بطه الطهر والسبع المثاني

وله لطف الله به :

النفس كادت أن تذوب من الجوى ... فإلى متى هذا التفرق والنوى
يامتلفي بالبعد عنه وقاتلي ... بالصد رفقاً بي فقد آن التوى
عجل بوصل موصل لي صحة ... أشفي بها سقم الفؤاد من الهوى
وارحم فما للصب صبر بمرضي ... من بعد هذا اليوم يانعم الدوا

وله عفي عنه :

قلم الولاء جرى بنور سوادي ... لذوي الفخار السادة الأمجاد
فبدت به كلمات مقول شاعر ... يسمو بها شعراء كل بلاد
أهل الكسا مارمت غير جنابكم ... ووداذكم فارعوا عظيم ودادي
أهل الكسا ماحلت عن منها جكم ... وبكم أنال الفوز يوم معادي
أهل الكسا اني أسير هواكم ... وبه وجاهكم حصول مرادي
أهل الكسا أنا لا أميل وحقكم ... عنكم بلوم ذوي قلى وفساد
أهل الكسا من لامني في حبكم ... يصلى غداً ناراً مع ابن زياد
هو ذاك من آذى النبي بسوء ما ... أبداه بغضاً في أبي السجاد
ومع الذين لهم فضائح جمة ... وقلوبهم ملئت من الأحقاد
أهل الكسا إني ابتليت بعصبة ... كرهت سماع حديثكم في نادي
وإذا ذكرت مناقباً ظهرت لكم ... في محفل أعزى إلى الإلحاد
أهل الكسا طوبى لمن والاكم ... ياسادتي تعساً لكل معادي
أهل الكسا زعم الروافض أنني ... منهم واني تابع الأوغاد
كذبوا فما أنا سالك بطريقهم ... ومحبة الأصحاب عين رشادي
ومحبة الأصحاب لاتنفي الولا ... لكم وروافضها حليف عناد
أهل الكسا جحد النواصب فضلكم ... والفضل كالشمس المنيرة بادي
ومرامهم اني أوافقهم على ... لمز لهم جلت عن التعداد
إني أحول عن الصلاح وأبتغي ... طرق الفساد ومسلك الاضداد
والله لست براغب عما به ... يرضى الإله وسيد الأمجاد

وله لطف الله به :

إن أردت الفوز بالأمل ... لذ بطه سيد الرسل
وبقوم صاح ودهم ... جاء فيه النص وهو جلي

أهل فضل خاب منكرهم ... دع ولاة الجهل والخطل

والتزم بالصحب من نصروا ... دين أصفى الأصفيا فسل

هم نجوم للهدى ولهم ... خير مدح في الكتاب ملي

أفضل الأصحاب أولهم ... خدنه في الغار خير ولي

بعده الفاروق صاحبه ... من سما بالعلم والعمل

ثم ذو النورين ثالثهم ... جامع القرآن ثم علي

فارس الهيجا ابو حسن ... نجل عم المصطفى البطل

حبهم فرض وبغضهم ... موجب الإيقاع في الزلل

ضل من بالرفض ملتزما ... داحضاً للحق بالجدل

كيف من ذم الصحاب يرى ... انه في أقوم السبل

ذر حبيبي عصبة رفضت ... سنة المختار لا تمل

هم طغاة لاخلاق لهم ... قبحوا في سائر الملل

رب فارحم من نجا وحمى ... من شرور الغي والخبل

بالبشير الطهر سيدنا ... خير هادٍ خاتم الرسل

وله رحمه الله تعالى :

أثار هواك ناراً في فؤادي ... وحرك لي غراماً غير بادي

فها انا ياصبيح الوجه مضنى ... وجفني قد جفا طيب الرقاد

وبي مالا أطيق له اصطبارا ... من الشوق العظيم ومن ودادي

فجد بالله للصب المعنى ... بوصل منك فضلاً يامرادي

وعجل بالجواب لمستهام ... ودم في لطف رزاق العباد

ذكر المترجم المرقوم في كتابه نفحة اليمن أنه كان سنة الف ومائتين واثنتين وعشرين في الهند في كلكته ولم أقف على سنة وفاته رحمه الله تعالى .

الشيخ أحمد سعيد بن الشاه أبي سعيد بن الشيخ صفي القدر ابن الشيخ عزيز القدر بن الشيخ محمد عيسى بن الشيخ معصوم بن الإمام الرباني مجدد الالف الثاني الشيخ احمد الفاروقي السهرندي

درة إكليل الأولياء، وغرة جبين الأصفياء، وجامع فرقان المحامد، ومرشد المسامع إلى قبول المقاصد، فهو القائم بكل مطلوب، والرائم لكل مرغوب، والناهج نهج اصله، والمقتدى به بقوله وفعله، من تشرف العصر بوجوده، وابتسم ثغر الدهر لطالع سعوده، فكان من أكمل اهل الدلالة إلى مقاصد السعادة، ومن أرشد ذوي الارتقا إلى مراتب السيادة، فهو القطب المفرد، والعلم الأوحد.

ولد هذا الهمام الاكمل، في غرة ربيع الاول سنة سبع عشرة ومائتين والف، وكان مرموقاً بعين العناية واللطف، وكانت ولادته في بلدة ريبور، ذات الأمر المشهور، وتربى من أول يوم في مهد والده المعلوم، وارتضع منه ثدي المعارف والعلوم، وتخرج على يد العلامة الأوحد، والفهامة الأمجد، فهامة زمانه، وعلامة أوانه، المولوي فضل الإمام عليه رحمة الملك السلام، والعلامة الشيخ سراج الدين المفتي إمام المعقول والمنقول، وعمدة ذوي المعارف في القواعد والأصول، وعلى يد غيرهما من السادة الأفاضل، والقادة ذوي الفضائل، وتلقى فن الحديث الشريف، ذي القدر المصون المنيف، بفروعه وأصوله، ومعقوله ومنقوله، مع سماع الكتب الستة وغيرها، عن عمدة علماء تلك البلاد وذوي قدرها، من أجلهم مشايخ والده بروايتهم لها عن والدهم الشيخ ولي الله عن الشيخ العلامة، والبحر الفهامة، الشيخ أبي طاهر محمد المدني، عن والده عين الافاضل، وكنز الفضائل، الشيخ إبراهيم الكردي، عن الشيخ علم الاعلام، ونخبة السادة العظام،

احمد القشاشي ، عن الشيخ المشهور ، من هو بكل فضيلة مذكور ، احمد الشناوي ، عن شمس الدين وشيخ الإسلام والمسلمين ، السيد الكبير ، والشافعي الصغير ، العلامة الإمام الهمام الرملي ، بسنده المذكور في ثبته المشهور ، ثم أخذ علم التصوف عن قطب الإرشاد ، ومنهج الصواب والسداد ، من ساد به عصره ، وافتخر به على سائر الأمصار مصره ، السيد الاستاذ والعمدة النخبة الملاذ ، الشيخ عبد الله الدهلوى ، قدس الله روحه ، ونور مرقده وضريحه . وتلقن عن والده ذي الشمائل العلية ، والفضائل السنية ، الطريقة النقشبندية ، وذلك في حضور المرشد الكامل الشيخ عبد الله الدهلوي المذكور ، فالتفت اليه والقى أكبر نظره العالي عليه ، وجعل يقربه ويجلسه في حلقة الذكر منذ كان سنه عشر سنين ، ويقول هو بمنزلة ولدي ، ولم يزل يلحظه بانفاسه الرحمانية ، ويحفظه بهمته المحمدية ، حتى بلغ مبلغ الكمال ونال درجة الفحول من الرجال ، فاذن له بالارشاد ، وخلفه خلافة عامة وأثنى عليه وادرجه في زمرة كبار أصحابه الأمجاد ، فقال قدس الله سره في حقه : احمد بن سعيد قد قارب والده بحفظ القرآن المجيد وتحصيل العلوم العقلية والنقلية وتحصيل النسبة المجددية العلية . وقال في شأنه : أبو سعيد أسعده الله ، وأحمد سعيد جعله الله محموداً ، ورؤوف احمد رأف الله به ، وبشارة الله بشره الله بقبوله سلم الله هؤلاء الأربعة الاكابر ، المرتبطين بالمودة التي هي أحسن من ارتباط الغرابعة وبارك فيهم وجعلهم سبباً لترويج الطريقة وكثر أمثالهم . ثم لما ان دعا حضرة الشيخ عبد الله المذكور والد المترجم الى دهلى[1] أمر المترجم ان يخلفه مكانه في رامبور فلما توفى والده قدس الله سره قام مقام الحضرتين وارشد الله به عدداً لا يحصى من الفريقين ، لا سيما في اضلاع الهند وغزنين ، وكل منهم حصل من حضرته بقدر استعداده ، وله خلفاء كثيرة

(١) من مدن الهند العظيمة ، وقد زرتها بعد مؤتمر العالم الإسلامي الذي دعانا إليه رئيس جامعة بنجاب ، وعقد في مدينة لاهور من باكستان ، ودام أياماً (أولها الاثنين في ٣٠ ج ١ سنة ١٣٧٧ و ٢٣ ك ١ سنة ١٩٥٧ م) .

نفع الله بهم العباد ، وأحيا ببركتهم أكثر البلاد ، ولما ظهر في بلاد الهند ما ظهر من الفساد ، خرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله ومعه أخوه الشيخ عبد الغني والشيخ عبد المغني واستوطنوا المدينة المنورة ، وذلك سنة أربع وسبعين ومائتين وألف واشتغل بالطريقة العلية كل الاشتغال ، ونال أعلى مقامات القبول والاقبال ، ثم توفي في تلك الاماكن الطيبة ثاني ربيع الأول عام سبعة وسبعين ومائتين وألف ، ودفن في البقيع عند ضريح امير المؤمنين سيدنا عثمان رضي الله عنه في مشهد عظيم كاد أنه لم يتخلّف عنه احد ، وقد قيل في تاريخه « عاش سعيداً مات شهيداً » ومن أرخ وفاته العالم الجليل الإفادة الشيخ عبد الجليل برادة : فقال :

قضى قطب الاقطاب الشهير بأحمد ... سعيد امام العلم والحلم والهدى

منار الطريق النقشبندية التي ... لها جده في الألف اضحى مجددا

ومذ حلّ في ذا القبر ناديت أرخوا ... سعيداً شهيداً في جنان مخلدا

سنة ١٢٧٧

وقال غيره :

هو البدر فاغبر وجه الوجود ... وأينع بالزهر روض اللحود

وقطب الهدى مذ قضى أرخوا ... لأحمد تهدى جنان الخلود

سنة ١٢٧٧

أحمد أبو العباس بن محمد التجاني المغربي شيخ الطريقة التجانية

لقد ترجمه سيدي محمد العربي العمري في كتابه المسمى ببغية المستفيد لشرح منية المريد فقال : وان ممن احله الله تعالى من المقامات أعالي ذراها ، وحلاه من هذه الكرامات بواضح سناها ، شيخنا واستاذنا العارف الرباني والوارث المحقق الفرداني ، والقطب الجامع الصمداني ، أبا العباس مولانا أحمد بن مولانا محمد التجاني رضي الله عنه وأرضاه ومتعنا وسائر الأحبة برضاه ، فلقد صار رضي الله عنه في ذلك كله العلم المفرد بين الأكابر

واستحق النداء بالرفع في سائر الحضرات والمظاهر ، وانتهت اليه دون العصابة رياسة هذا الشان ، وخفقت عليه أمام الجماعة ألوية النصر في هذا الميدان ، وأظهر من كنوز الشريعة المطهرة ابريزهـا الخالص ، وابرز من بحار الحقيقة خصائص الفرائد وفرائد الخصائص ، وجاء في اساليب الدلالة على الله تعالى بعالم يسبق إليه ، وأتى في مسالك التربية والترقية بعالم يعرج أحد عليه ، لبلوغه رضي الله عنه اقصى درجات الكمال في الجمع بين العلم والحـال والهمة والمقال ، فأسست طريقته على تقوى من الله ورضوان ، وشيدت من العلمين الظاهر والباطن على أقوم القواعد واقوي الأركان ، وايدت من أنوار الهمة وأسرار العناية بأوضح دليل وبرهان ، فعم النفع بها في سائر الأقطار وشاسع الاصقاع والبلدان ، واختص وروده المحمدي اللفظ والترتيب ، الأحمـدي السر والتركيب ، بتحقيق السير في مقامات الدين الثلاثة وسائر منازلها على الأسلوب الغريب والمنهج العجيب ، كما يتبينه المنصف الذي كحلت عينه باثمد الأنوار الإيمانية ، بالوقوف عليه مبسوطاً في كتاب ميزاب الرحمة الربانية ، ويتحققه السالك المحافظ على هذا العهد في السر والعلانية ، من طريق الذوق التـام بالمشاهدة العيانية ، فلا جرم ان الله تعالى أحيا به مراسم السنة بعد اندثارها ، واوضح معالم الطريقه بعد خفاء آثارها ، وأطلع به شمس الحقيقة بعد أُفولها ، واستتارها ، ولله در العلامة المحقق شيخ مشايخ العلوم النقليات والعقليات المبرز على أهل زمانه في تحقيق الكليات منها والجزئيات ، أبي زيد سيدي عبد الرحمن بن أحمد الشنجيطي المتوفى بفاس العليا في شوال سنة اربع وعشرين ومائتين وألف حيث قال فيما نسجه في مدح سيدنا رضي الله عنه على ابدع منوال واعجب مثال :

أحيا طريقة أهل الله فهي به   مؤلف شملها والكسر مجبور
شيخ المشايخ من في طي بردته   جيب على النور والاسرار مزرور

من داره جنة الفردوس وهو بها رضوان خازنها اذكارها الحور
يفيض من سلسبيل الذكر كوثرها فاشرب مفجرها فأنت مأجور
أوراده عن رسول الله قد رويت كذاك أفعاله والسر مأثور [1]
فانقل فديتك في آثاره قدما فان فعلت فذاك النقل مدخور
واحرص بأن تنتمي يوماً لجانبه فحظ من ينتمي اليه موفور

اقول (ولفظ التجاني بكسر المثناة مشددة وبالجيم المشددة ايضاً وقد تخفف كذا ضبطه بعضهم) ولد المترجم رضي الله عنه عام خمسين ومائة والف ومات رضي الله عنه عام ثلاثين ومائتين وألف فيكون قد عاش ثمانين سنة . وكانت وفاته صبيحة يوم الخميس السابع عشر من شوال بعد ان ادى فريضة الصبح على حالة الكمال ثم اضطجع على جنبه الأيمن رضي الله عنه ، ودعا بماء فشرب منه ثم عاد إلى اضطجاعه على حالته فطلعت روحه الكريمة من ساعته وصعدت إلى مقرها الأقدس ، ولحقت بسربها من محضرها الأنفس ، وحضر جنازته المباركة ما لا يكاد يحصى من علماء فاس وصلحائها وفضلائها وأعيانها وامرائها ، وصلى عليه إماماً علامتها الأوحد ومفتيها الماهر الخريت الأمجد ، الفقيه النحرير المشهود له بالتحقيق والتحرير ، أبو عبد الله سيدي محمد بن ابراهيم الدكالي نسبة إلى الإمام التونسي الشهير وازدحم الناس على حمل نعشه المبارك الميمون ، وكسروه باثر دفنه اعواداً صغاراً ادخروها للتبرك بها

---

(١) « فخلف من بعدهم خلْف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا » ، سَخرتْ فرنسا المستعمرة منهم ، وسخرتهم لمصالحها ، فأرسلتهم لقتال إخوانهم في الدين والعروبة ، ووسوست لهم أن قراءة ورد الفاتح مرة تعدل من تلاوة القرآن عشرات المرات ، فساءت حالهم وأعمالهم ، ولكن الله تعالى انتقم من المستعمرين ، فوقعت الحرب الضروس بينهم وبين الشعب الجزائري الثائر الباسل ، فانتصر الحق على الباطل ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلاّ على الظالمين .

حمل فيه من السر المصون ! ودفن بزاويته التي بفاس وعلى قبره الشريف هيبة وجلالة وجمال وايناس [١]. رحمه الله تعالى

الشيخ أحمد أبو العباس الطواش المغربي المالكي نزيل تازه

الولي الصالح والمرشد الناجح ، عمدة الكمال ونخبة ذوي النوال ، من خصه الله بالقبول ، ونهج به مناهج أهل الوصول ، وتسلك عليه الجم الغفير ومنهم الهمام الشيخ أحمد التجاني الشهير ، فحصل به النفع العام ، واشتهر اشتهار البدر بين الأنام ، وقصده الناس من كل جانب ، ولهج الناس بذكره في المشارق والمغارب ، وكان ذا علم وعمل ، لا يعرف في عبادته السآمة ولا الملل ، بل في كل يوم يزداد سمواً ورفعة في المقامات وعلوا ، وكانت وفاة هذا السيد بتازه ليلة الثامن عشر من جمادى الأولى سنة اربع ومائتين وألف ، وقبره هناك ظاهر مشهور عليه هيبة وجلالة ونور .

السيد أحمد بن السيد محي الدين بن السيد مصطفى ابن السيد محمد المغربي الجزائري

همام تردد من شبيبته بين دراسة معارف وافاضة عوارف ، وإمام تروّى من أيام تربيته بلطائف الطرائف وطرائف اللطائف ، وكلف بالعلوم من صغره حتى صارت منهج لسانه ، واعترف له المنطوق والمفهوم بأنه روضة بيانه ، من اسرة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، ذات حسب ونسب وفضل وارتقاء ، مع لسن وفصاحة وكرم نفس وسماحة ، ونظم يزري بالدر النظيم ، ونثر تسمو رقته على رقة النسيم ، وانشاءات أحلى من المن وأعذب ،

---

(١) من واجب الأمة التي تقدّر علماءها وزهّادها حق قدرهم ، أن تهتم بايجاد خلفاء كرامٍ لهم ، ليعيدوا عهدهم علماً وعملاً وزهداً في حطام الدنيا ، لا أن ييأسوا من رحمة الله .

ومحاضرات أولى من صباح الصّباح وأطرب ، ولد في شعبان سنة ألف ومائتين وتسع وأربعين في اقليم الجزائر ، ثم حفظ القرآن العظيم وجوده على أحد القراء الأكابر ، ثم حفظ المتون من عدة علوم وفنون ، ثم حضر دروس الأفاضل ذوي المعارف والفضائل ، فقرأ ما كفاه من توحيد وفقه وحديث وتفسير ، ثم اشتغل بعد ذلك في الإفادة مع التدقيق والتحرير وكانت لاترضى نفسه المطمئنة ان يعرّج في عباداته على غير الكتاب والسنة فهما امامه في أحكامه ، ورأس ماله في محاورته وكلامه ، وله رسالة على قول الإمام علي (العلم نقطة كثّرها الجاهلون) ورسالة في السماع سماها الجنى المستطاب ، وهي في الرد على من ادعى ان سماع المعازف يحرك القلب لرب الأرباب ، وله شرح على الأبيات التي أولها :

فاثبت في مستنقع الماء رجله

وله تاريخ جميل أرخ فيه إمارة أخيه الأمير عبد القادر على اقليم الجزائر ، وله كتابات من نظم ونثر يصعب وضعها في قالب الحصر ، توفي رحمه الله سنة ألف وثلاثمائة وعشرين في بيته في باب السريجة في دمشق الشام .

الشيخ أحمد الدمهوجي الازهري الشافعي الاشعري

الفاضل الجهبذ الهمام ، والعاقل العالم الإمام ، من استوى على عرش العلوم ، وثوى على مهاد المنطوق منها والمفهوم ، فهو الفرد الكامل المستجمع لفرائد الفضائل ، قد حضر دروس علماء عصره ، وفاق حتى انفرد في مصره ، وشهد له العموم بأنه بكمال الفضل موسوم ، واذن له شيوخه ذوو المقام المنيف بالتدريس والافتاء والتأليف ، وانتشر في الأقطار ذكره وسما في الأمصار قدره ، ولم تزل سيرته حسنى إلى أن دعي إلى المحل الاسنى ، وذلك في رمضان سنة ألف ومائتين وست وأربعين .

الشيخ أحمد السباعي الازهري المالكي الدردير

العلامة الوحيد والفهامة الفريد ، عمدة الأكابر ونخبة الأفـاضل كابرا عن كابر ، قد حضر في الأزهر الشريف مجالس الاعاظم ، وفاق في الأدب كل ناثر وناظم ، واعترف له كل عارف بأنه مورد المعارف والعوارف ، ولا ريب أنه جمع بين المعقول والمنقول ، وبرع في تحقيق الفروع والأصول ،وتمسك لدينه بالسبب الاقوى ، وأحسن بالله ظنه في السر والنجوى ، وأقبل الناس عليه افواجاً ، واتخذوه لوصولهم سبيلا ومنهاجاً ، واعترف الجل بل الكل له بكمال فضـله ، وسمو حسبه واصله ، ولما دعاه مولاه اليه ابى دعوته وأقبل عليه ، وذلك في حدودسنة ألف ومائتين واربعين .

أحمد بن محسن المكين الزبيدي

همام فضله مشهور ، وإمام تجرد مقامه عن القصور ، قد اشتهر بالفضل والعلم ، وعرف بدقة الادراك والفهم ، وكان له يد في الأدب تسمو به اعلى الرتب ، قال أحمد بن محمد الشهير بالشرواني في كتابه نفحة اليمن : دخلت زبيد عام اربع وعشرين بعد المائتين والألف من الهجرة النبوية ، فحللت بدار الصاحب الأريب عبد الكريم بن الحسين العتمي ، واقمت عنده يوماً في منزله ثم خرجت بعد صلاة المغرب متوجهـاً إلى الحديدة ، فورد اليَّ كتاب بعد وصولي اليها بيومين من السيد المترجم أحمد بن محسن المكين الزبيدي ، يتضمن عتاباً لعدولي عن الحلول بمنزله إلى منزل الشيخ عبد الكريم العتمي ، فمن جملة ماذكر في كتابه هذه الابيات وهي مرقومة في ديوانه :

كيف لم ترضني لودك أهلا ولغيري رضيت أهلا ونزلا
أجرى من أسير ودك ذنب موجب للعدول عني مهـلا

أم توخيت أن غيري أولى　　لقديم الوداد حاشا وكلا
كنت أرضى بأن تشرف قدري　　بعبور بقدر أهلا وسهلا
فقليل منكم كثير ولكن　　فات مافات وانقضى وتولى
فمن الفضل أن تعود وان　　تجبر ماكان يا اعز الاخلا

ومن لطائفه رحمه الله ماكتبه الى القاضي العلامة محمد بن أحمد مشحم رحمه الله تعالى

مَضَى الدهروالشوق المبرح لم يزل　　يحث ولم ابلغ مناي ولا قصدي
ومرت دهور في امل وفي عسى　　ولم تنتج الاقدار من ذاك ما يجدي
فهل حيلة للوصل يا غاية المنى　　تبلغ ما أهوى وتنجز لي وعدي
فإن تعلموا من ذاك شيئاً فأرشدوا　　فاني مستفت لعلمك مستهدي
عليكم سلام من أخي لوعة له　　الى وجهك الوضاح شوق بلاحد
ودم في نعيم لايشاب بنقمة　　وصارلك الدهر المعاند كالعبد

اسحاق بن يوسف اليماني

سيد إمام عصره وفريد قطره ومصره ، لم يكن له في وقته مماثل ولا في فضائله معادل ، فهو بغية المستفيد ورب الكمال الباهر والرأي السديد ، قد شهد له الفضل بأنه خير أربابه ، وأقر البلغاء بقصورهم عن درجة علمه وآدابه ، نثره عزيز ونظمه اعز من الذهب الإبريز ، فمن لطائفه وجميل طرائفه قوله :

جسدي واه ودمعي مرسل　　كاللآلي راوياً عن شنبك
أنت نصب العين مني دائماً　　لم تزل في لحظة عن منصبك
طمعي عيشي هيامي كلفي　　فيك في وصلك من أجلك بك
لو رأى ياليل بدري لاختفى　　بدرك الباهي السنا في حجبك

أو رأته الشمس في مطلعها　　لتوارت حسداً في مغربك
أو رأت انجمك الزهر حلى　　جيده لاستترت في غيهبك
ياعذولي في الهوى لي مذهب　　فانفصل عني وخذ في مذهبك

ولـه رحمه الله تعالى

وقد نلت أنواع الشدائد كلها　　ومارست أهوال الخطوب الكوارب
وذقت حلاوات الزمان ومره　　وعلمني حكماً دوام التجارب
واشرعت الأيام نحوي رماحها　　كأني عدو للزمان المحارب
وجربت كل النائبات فلم أجد　　أشد وأنكى من جفاء الأقارب
وإن كنت في سن الشباب فانني　　أعلم أعلام الشيوخ الأشايب
فلم أر في أبناء آدم من له　　صفاء وداد خالصاً عن شوائب
وأبعد من ترجو المودة عنده　　قريبك فارج الود عند الأجانب

توفي رحمه الله تعالى سنة ألف ومائتين ونيف وعشرين

الشيخ أسعد بن عبيد الله بن صبغة الله بن ابراهيم بن حيدر الحيدرى الماوراني

العالم الذي ورث آباءه وأجداده ، والفاضل الذي جدد الفضل وأعاده ، والكامل الذي ملأ من الكمال قلبه وفؤادهَ ، والمحقق الذي أعطى من كل بحث زمامه ، والمدقق الذي لم يبق بحراً من التدقيق إلا وعامه ، ولم يذر معضلاً إلا شفى بعقاقير فكره سقامه ؛ علامة المنقول والمعقول ، والحافظ الذي بعض محفوظاته المحصول ، والمقرر الذي في تقريره نهاية السول ، والأصولي الذي ابرز لباب الأبحاث ، وجاد روضها بانظاره وأغاث ، والكشاف الذي ازاح عن وجوه المعاني النقاب ، والفقيه الذي هو الامداد والعباب ، والمحدث الذي احاديثه بالصحة تعاب ، والمناظر

الذي سند مقدماته السنة والكتاب ، والبيـاني الذي هو دلائل الإعجاز
والبديعي الذي أسكت البديع بالايجاز . عني بالعلم احياء لمآثر اسلافه ،
فاستخرج درره من شغاف أصدافه ، روى عن والده وبه تخرج ، واقتفى
آثاره ولديها عرج ، وكمل طلبه على ابيه واستحق التصدير والتنويه ،
وانتهت إليه الرياسة في العلوم وانفرد في علمي المنطوق والمفهوم ، دعي
في دار السلام الصدر ، وسما إلى سؤدد وعلو قدر ، وجاء إلى الشام
ولقي أجلاءها الاعلام ، ولم يزل في الشام إلى أن آن للحاج ارتحاله ،
ودعه من ذلك القطر اترابه وامثاله ، وسألوه اتحاف دعواته والاسعاف
بفيض نفحاته ، فسار والألطاف به حافة وطيور الأماني عليه رافة ، وله
اجازات من جم غفير ذوي علوم واتقان وتحرير ، من اجلهم شارح
القاموس السيد مرتضى الزبيدي . وكانت وفاته رحمه الله تعالى بعد الألف
والمائتين وثلاث وثلاثين كما ذكره عثمان افندى سند .

الشيخ أسعد بن سعيد بن محمد المحاسني الحنفي الدمشقي مفتي دمشق الشام وخطيب جامعها المشهور بجامع الاموي المنسوب لبني أمية

المولى العـالم المفضال ، والأولى بنسبة السيادة والكمال ، والمتردي
برداء السيادة ، والمتصدي لإفادة ذوي الاستفادة ، والمتحلي بفضائل الأدب ،
والسامي بمعارفه الى ذروة الرتب ، حتى صار يشار بكل فضل إليه ،
ويعول بحل صعاب المشكلات عليه ، ولد بدمشق الشام ، ونشأبها منشأ
العلماء الأعلام ، وتولى منصب الإفتاء بها مدة وفي جامعها خطيباً ، وكان
إماماً فاضلاً شهماً نجيباً ، ثم تعلقت به أظفار المنيـة ، فاوردته الدار
الأخروية ، سنة ألف ومائتين وثماني عشرة وكانت وفاته بعكة ، لأن
الحكومة نفته إلى عكة فمات بها رحمه الله تعالى .

السيد أسعد صدر الدين البغدادي الحيدري مفتي الحنفية بدار السلام

حبر الأئمة الأفاضل ، وبحر اغتراف الفضائل ، امداد الفتاح لكل طالب ، ونور الإيضاح لكل راغب ، ورد المحتار على الدر المختار ، ولسان الحكام وعمدة الأخيار ، وسلالة الحسب والنسب ، وكنز أولي العرفان والأدب ، أقبل بعد تمييزه على الكمال ، إلى أن بلغ رشده من بغية الآمال ، وأخذ عن سادات الأعيان وأعيان السادة ، ونصب نفسه لمساعدة العباد والقيام بالعبادة ، واجازه شيوخه بما تجوز لهم روايته ، وتنسب اليهم درايته ، ثم خطبه افتاء بغداد ، فسلك فيه مسلك الحق والسداد ، ونهج فيه منهج الانصاف ، لا منهج الغلط والاعتساف ، ولم يوجد في زمنه من يساويه في علمه ، ولا من يباريه في ذكائه وفهمه ، مع زهد وعبادة ، واقبال على الارشاد والافادة ، وكان في الفروع والأصول ، والمعقول والمنقول ، عمدة العلماء ، ومرجع السادة الفضلاء ، وكان يُقصَد لحل المشكلات ، وفك المسائل المعضلات ، ولا زال على استقامته وتقواه ، إلى أن دعته المنية إلى مرجعه ومثواه ، وذلك سنة ألف ومائتين و . . .

السيد أسعد افندي بن نسيب افندي حمزة الدمشقي رحمه الله

ذو جاه ومقام ، ورفعة بين الخاص والعام ، نشأ على الترفه والترفع وكان يهوى مجالس النزاهة والخلاعة من غير تمنع ، وحضر دروس الشيوخ مع الطلاب ، وكان له في العلوم نصيب غير أنه برع في الفرائض وعلم الحساب ، وكان رفيع المقام ، نافذ الكلمة لدى الولاة والحكام ، وكان ينتقل في مجالس الحكومة من مجلس إلى آخر عضوا من الأعضاء ، وإن الناس

تقصده لجلب نفعهم ودفع البلاء ، ويقدمون له جانباً من الدراهم والدنانير. ليساعدهم فيقبلها على طريق الهدية من غير تأخير ، ويساعد الانسان مساعدة موصلة إلى مطلوبه وافية بمرامه ومرغوبه ، وكان له مخالطة كثيرة مع الأهالي ، مع عدم الترفع عما لا يليق بمقامه العالي ، من حضوره محلات الاجتماع ، للنزهة والسماع ، فكان الناس يعيب عليه ذلك لشرفه وسيادته وهو لا يلتفت إلى تأنيب ولا إلى ملام تقديماً لجانب سروره على جلالته. ولما توفي أخوه محمود أفندي مفتي الشام ، تحزب له الأعيان والوجوه في وضعه مكانه للافتاء العام . ولم يقدر الله ذلك له بل كان لمحمد افندي المنيني العالم الهمام ، وحصل بينهما منافرة ، ومقاطعة ومدابرة ، بعد الاتصال التام ودامت المنافرة باطناً بينهما إلى أن مرض المترجم مدة جزئية وتوفي في شهر ذي القعدة الحرام سنة الف وثلاثمائة وسبع ودفن في مرج الدحداح رحمه الله .

الشيخ أسعد بن عبد الرحيم بن اسعد بن اسحاق بن محمد بن علي الشافعي الدمشقي الشهير بالمنير

العالم الأوحد ، والكامل المفرد ، والهمام الفاضل ، والامام ذو الفضائل ، ولد بدمشق سنة ست وسبعين ومائة والف في ربيع الأول(١) وكان أوحد أهل عصره ، ومطمح نظر أهل مصره ، في الفنون العقلية ، والعلوم النقلية ، مع مهابة وزهادة ، وتقوى وعبادة ، وتمسك بالسنة النبوية ، والملة المحمدية ، مات في الثاني عشر من رجب سنة ثلاث واربعين ومائتين وألف ودفن في مقبرة باب الصغير رحمه الله تعالى .

---

(١) ولد بدمشق ونشأ بها ، وأخذ عن علمائها ، من أجلهم العلامة الشمس محمد الكزبري المتوفى سنة ١٢٢١ هـ

اسماعيل افندي بن خليل بن علي بن عبد الله الشهير بالطهوري المصري الحنفي

النبيه الأريب ، والفاضل النجيب ، الناظم الناثر ، والاديب اللبيب البارع الشاعر ، قال العلامة الجبرتي كان انسانا حسنا قانعا بحاله ، يتكسب بالكتابة وحسن الخط ، وقد كان جوده واتقنه على أحمد افندي الشكري وكتب بخطه الحسن كثيراً من الكتب والسبع المنجيات ودلائل الخيرات والمصاحف ، وكان له حاصل يبيع به بن القهوة بوكالة البقل بقرب خان الخليلي ، وله معرفة جيدة بعلم الموسيقى والألحان وضرب العود ، وينظم الشعر وله مدائح وقصائد وموشحات ، فمن ذلك قوله تهنئة للأمير حسن بك رضوان بقدومه إلى مصر من نَفيِه بالمحلة الكبرى قوله :

تهنا بعود الملك والجاه والنصر ... وبالفوز والعلياء والعز والفخر

ومِس مَيَس تيه في ملابس عزة ... بعودك للأوطان منشرح الصدر

لئن ساء فعل الدهر قدماً فطالما ... اسر بأخرى من قبول ومن جبر

وأعطى بلا منّ وأخلف ما مضى ... وأسعف بالحسنى وأذهب للضر

لقد ضحكت مصر إذا ماحللتها ... واضحت بها الأرجاء باسمة الثغر

وغنت بها الأطيار من فرح بها ... وقهقه قمريها على ساحة النهر

وغضت عيون النرجس الغض من حيا ... وضرج فيها الورد خدا من التبر

وجر نسيم الروض ذيلا مبللا ... ففاح عبير من شذاه الذي يسري

لك الله مولى لا نظير لمثله ... تعلمني أوصافه النظم كالدر

أمير على كل الأنام بأمرهم ... همام كريم مفرد الدهر والعصر

له عزمات في السماكين قدرها ... تسير بها الركبان في المهمه القفر

وشدة عزم ذللت كل شامخ ... وأدنت له مايشتهي صحة الفكر

وأصبحت الأيام من جود كفه ... مرنحة الاعطاف في الحلل الخضر

لقد كنت أبكي قبل هذا فراقه ... كما بكت الخنساء يوماً على صخر
فلما اتى بين الانام بشيره ... وأذهب من بشراه لي غلة الصدر
جعلت مرامي نعته ومديحه ... وكررته في النظم عندي وفي النثر
اليك عروساً بالبديع تتوجت ... وجاءتك تسعى في ملابسها الزهر
ممنعة إلا اليك فإنهـا ... اتت دون كل الناس بالحمد والشكر
فدم حسناً في منزل العز راقيـاً ... مدى العمر ماغنى على العود من قمري
فقد جاء تاريخاً بمدحك كاملا ... هنيئاً باقبال السرور من الدهر

وكان بعض أدباء مصر ألّف مجموعاً في الألغاز فطلب من المترجم أن يقرظ عليه فكتب على حواشيه ، ليصون طلعته من عاذله وواشيه :

لله درك من بليغ ماهر ... جمع المعاني في بديع كتابه
سحر العقول بلفظه وبلطفه ... وأبان في معناه عن انسابه
كلم كنظم العقد يحسن تحته ... معناه حسن الماء تحت حبابه
اعددت للبلغاء تأليفا غدا ... في فنه يسمو على أترابه
وأراك نلت من الحجا حظاً غدا ... لايستطاع وصوله من بابه
أوفت بك الهمم العلية منزلا ... مستصعبا صعباً على خطابه
والله يرعى شرح كل فضيلة ... حتى يروجه على اربابه
البست عصرك من بيانك حلة ... فمشى اختيالا في بهيا أثوابه
يامن له قلم جرى من ثغره الشـــهد الشهي سوى سواء لعابه
تربي على تلك المعاني انهـا ... اشفت فؤاداً ذاب من أوصابه
عرفت بلاغتك العميدة عندما اســتذللت صعب القول من أهضابه
وظلمت لغزك إذ أبحت[1] رياضه ... رجلا تعطل من حلى آدابه
فلذا أجاب مقصراً عن شأوه ... إذ كان يعجز عن بلوغ ثوابه

---

(١) في الهامش : ن : إذ حبوت .

فأجاب ذلك الشاعر بقصيدة وأطال فيها ومطلعها

لله ثغر شفني بوضابه كيما أفوز بنشق عرف رضابه

فكتب اليه المترجم ثانياً معرضا له بقصيدته قوله :

هذا الأديب اللوذعي ترى به جمل الفضائل وهي من أترابه
وله المقال المستجاد بأسره وسواه نحثو وجهه بترابه
ولقد رشفت زلال معنى لفظه والغير يقنعه لموع سرابه
فاعجب له من شاعر متقادر سل" المنام بلطفه وسرى به
انسى البدائع من بديع نكاته فسمت بلاغته على أعرابه
وأتى بكل غريبة في نظمه منسوبة المعنى إلى اعرابه
لله أبيات أتت من نحوه اشفت فؤاداً ذاب من أوصابه
قد كان افناه النوى وأباده مما يلاقي من مرارة صابه
واتى بتجنيس يرق لطافة وروى المعالي وهي من ألقابه
فاعجب لسحر كلامه كيف اغتدى مستعذبا عندي لما ألفى به
يامن إذا عد الورى قلنا لهم لانرتضي انا نرى ألفاً به
كيف الفداء وقد طربت عشية من قربه لما بدا الفى به
يافاضلا بعدت مرامي عزمه وغدا تغزله ببدء خطابه
وبدأته بالماهر الندب الذكي وأجابني ثغر شفى بوضابه
إني اعيذك ان تعود لمثلها إذ ذاك خلق لست من أصحابه
وإذا اتتك من القريظ مقالة وابيت عنها فلتكن من بابه
ولك الاله يديم حظاً شامخاً ماحن" مشتاق إلى أحبابه

وله موشحة على وزن موشحة الأديب العلامة ابن خطيب داريا الاندلسي وهي :

ليت شعري ياأخلاء الهوى هل أرى بدري بجاني مؤنسي
أم أقامي من زمان قد قسا ورمى احشاي سهما عن قسي

دور

ياسقى الله زمانا قد مضى في مغاني مصر في عيش خصيب
حيث بدري قد قضى لي ماقضى بالتداني اذ غفت عين الرقيب
شب من تذكارها نار الغضا في فؤادي وتلافاً في النحيب
واعترتني دهشة حين جرى من دموعي سابلا في الغلس
وغدا قلبي كليما مذ سرى بأرق في نحو ذاك المكنس

دور

يارياضاً حسنها زاه يشيق جاد في مثواك منهل السحاب
كم مضى لي فيك من معنى أنيق حين كان اللهو مزهي الجناب
هل ترى عيني محياك الشريق لابساً برد التهاني والشباب
وأري بدري يناجيني على ذلك البسط الشهي السندس
وأحلي صبر دهري بالمنى من معان زاهيات الملبس

دور

قد شربنا الصد كأساً مترعاً حين صد الظبي عنا ونفر
غصن بان غصنه قد اينعا مشمر بالدل حينا والخفر
وجهه الفتان امسى مبدعاً كل معنى رائق يسبي الفكر
ينثني ماإن تبدى معجبا بالعيون الفاتكات النعس
ينهب الارواح منا لاهياً لم يراقب في ضعاف الأنفس

دور

كيف لي صبر إذا اللاحي لحا في حبيب حسنه فاق الهلال
بدر تم مخجل شمس الضحى جؤذري اللحظ معشوق الدلال
ماسقى الصب هواه فصحا من غرام قد عراه وخبال

يوسفي العصر معسول اللمى ... كاحل الطرف شهي اللعس
ترك الصب كليما عندما ... جال في النفس مجال النفس

وقال سامحه الله :

هل العيش الا في اكتساب مآثم ... أو العمر إلا في اقتناء محارم
أو الغنم الا في ارتكاب كبيرة ... أو السكر إلا في ارتشاف مباسم
سقى الله أيام البطالة ادمعاً ... من العين تجري كالغيوث السواجم
زمان به كان السرور بخنصري ... ختاماً وكان الظبي فيه منادمي
إذ العيش طلق والرياض بواسم ... عن النور لكن من شفاه الكمائم
وسيري إلى تلك الدساكر سحرة ... وغنمي بها من طيبات مواسمي
وجر ذيول التيهِ في عرصاتها ... جهاراً وضمي للقدود النواعم
خليلي لو وافيتموا حق صحبتي ... لكنتم رفاقي بين تلك المعالم
فحيا الحيا دار الاحبة ماشدا ... على الدوح مطراب الاصائل هائم
لقد طال مانازعت فيه زجاجة ... تضمنت الافراح من عهد آدم
معتقة صاغ المزاج لرأسها ... اكاليل من در كدور دراهم
إذا ماجلاها خطف الأبصار في الدجى ... وغنى عليها مثل شدو الحمائم
ابحت طريفي في هواه وتالدي ... وصيرته مولى علي وحاكمي (١)

وله مشطرا بيتي الشيخ محمد الكراني الشاعر وهما مع التشطير :

خبراني عن قهقهات القناني ... وابتهاج الربى بصوب الغمام
واهتزاز الغصون في الروض لينا ... انا منها في غاية الايهام
اترى ضحكها لبسط الندامى ... أم سروراً لجمع شمل الكرام
أم خطابا لبلبل الدوح غنى ... أم بكاء على فراق المدام

(١) يرجى أن تكون هذه الأبيات مصداق قول القائل : الشعر اعذبه اكذبه ، لا أن تكون مصداق قول القائل :

(بيت يقال إذا ما قلته صدقا)

وحينئذ يستحق أشدّ الملامة في نظر العروبة والإسلام .

وله مشطراً بيتين لبعض القدماء وهما مع التشطير :

باللّه ياقبر هل زالت محاسنه أم كيف رونقه والحسن والحور
وحسن طرته ماشأن حالتها وهل تغير ذاك المنظر النضر
ياقبر لا أنت لا روض ولا فلك يشوقنا منك مانرجو وننتظر
ولست في الحسن معشوقاً إلى أحد حتى تجمع فيك الغصن والقمر

وله غير ذلك كثير لاتحسن الإطالة به هنا للخروج عن المقصود ، توفي المترجم سنة إحدى عشرة ومائتين والف رحمه الله تعالى .

الشيخ اسماعيل بن احمد البراوي الشافعي الأزهري

الأجل الأعظم ، والعمدة الأفخم ، ذو القدر الأعلى ، والفضل الأجلى ، وهو ابن أخي الشيخ عيسى البراوي الشهير الذكر . قرأ على والده وأخذ عنه وعن غيره من المشايخ المشهورين وكان جسوراً كثير الحركة له تردد على مجالس الكبراء والعظماء ولم يزل كذلك إلى أن توفي والده المرقوم الشيخ أحمد البراوي ، فتصدر بعده في مكانه وساعده الحظ على نوال مراده وإعلاء شأنه ، وكان قليل البضاعة ، لاشتغاله أيام الطلب بأسباب الإضاعة ، إلا أنه كانت تغلب عليه النباهة والذكاء والحذق واللسانة ، والسلاطة والتداخل ، والتفاخم والتعاظم ، ولم يزل يتعالى في أموره ، ويصعد على سلم ظهوره ، ويحافظ على قدره واعتباره ، وتعاظمه وافتخاره ، وكأنه لم يلتفت إلى قول من قال ، وأحسن في المقال :

من أخمل النفس أحياها وروحها ولم يبت طاويا منها على ضجر
إن الرياح إذا اشتدت عواصفها فليس ترمي سوى العالي من الشجر

فلما دخل الفرنسيس مصر أدخلوه في عداد ذوي الفتنة فقتلوه مع من قتلوه من الشهداء سنة ثلاث عشرة ومائتين والف ولم يعلم له قبر نظير غيره من المقتولين ، رحمهم الله أجمعين .

اسماعيل بن يحيى بن حسن الصديق الصعدي ثم الذماري

قال في التاج: ولد سنة الف ومائة وثلاثين وكان صدراً من الصدور عظيم الهمة شريف النفس كبير القدر نافذ الكلمة، له دنيا واسعة وأملاك جليلة، وكان محدثا من المحدثين، ومجتهداً من المجتهدين، يعمل بالأدلة القرآنية، والأحاديث النبوية، مات رحمه الله تاسع صفر سنة الف ومائتين وتسع.

السيد اسماعيل بن السيد حمزة بن السيد يحيى بن السيد حسن ابن السيد عبد الكريم

الشهير بابن حمزة، العالم الحسيب، والكامل النسيب، فخر العلماء، وصدر الفضلاء، أحد السادة الأعيان، ذوي الفضل والشان، من لاحت من بروج فضله شموس سعادته المشرقة، وصحت سماء عرفانه من سحاب الغيوم المطبقة، فلا غرو إن طلع مجده بدراً في غرة الصلاح، ونادى مؤذن إقباله حي على الفلاح، ولد بدمشق سنة ثلاث وثمانين ومائة والف واشتغل في طلب الفنون، على علماء عصره ذوي القدر المصون، ثم وجهت اليه أمانة الفتوى أيام حسين افندي المرادي، وكان عارفاً بتخريج المسائل، مقبلًا بكليته على السائل، خوف الغلط في الجواب، والذهول عن موافقة الصواب، مات في جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين ومائتين والف، ودفن عند أسلافه في مرج الدحداح رحمه الله.

الشيخ اسماعيل بن احمد بن علي المنيني الدمشقي الحنفي مفتي دمشق الشام

الشيخ الإمام، مفتي الأنام، عمدة الحكام، وقطب مدار الأحكام، نادرة العصر، ويتيمة الدهر، ولد بدمشق الشام ونشأ بها سنة تسع وثلاثين ومائة والف، وأخذ عن الأفاضل منهم الشهاب المنيني وعلى افندي الداغستاني

(١) ولي القضاء العام بصنعاء، وتوفي فيها، وله شرح المسائل المرتضاة، فيما يعتمده القضاة.

والعلامة حسن البوزنجي والشيخ صالح الجينيني والشيخ عبد الرحمن الكفرسوسي ، وفي سنة ثمان وثمانين ومائة والف ولي وظيفة افتاء دمشق الشام وكان قد ولي خطابة الجامع الأموي ، مات سنة خمس عشرة ومائتين والف ودفن في مرج الدحداح .

السيد اسماعيل بن اسعد الشهير بالخشاب الأزهري

البليغ النجيب ، والنبيه الفصيح الأديب ، نادرة الزمان ، وفرد الأوان ، نشأ في حجر والده بيد أنه لم يمل قلبه إلى صنعته لأنه كان نجاراً ، بل تولع في العلوم والمعارف فحفظ القرآن ثم جد بطلب العلم ولازم حضور السيد علي المقدسي وغيره من أفاضل الوقت ، وأنجب في فقه الشافعية والمعقول وبقية العلوم ، ثم تنزل في حرفة الشهادة في المحكمة الكبرى لضرورة المعاش ، وتمسك بمطالعة الكتب الأدبية والتصوف والتاريخ ، وتولع بذلك ، وحفظ أشياء كثيرة من الاشعار والمراسلات وحكايات الصوفية ، وما تكلموا فيه من الحقائق ، حتى صار نادرة عصره في المحاورات والمحاضرات واستحضار المناسبات ، ونظم الشعر الرائق ، ونثر النثر الفائق ، وصحب بسبب ما احتوى عليه من دماثة الأخلاق ولطف السجايا وكرم الشمائل وخفة الروح كثيراً من أرباب المظاهر ، والرؤساء والأمراء والتجار ، وتنافسوا في صحبته ؛ وتفاخروا بمجالسته ، وارتاحوا لمنادمته ، وتنقلوا على طيب مفاكهته ، وحسن مخاطبته ، ولطف عباراته ، ورقيق اشاراته ، وكان الوقت إذ ذاك غاصاً بالأكابر ، وذوي الفضائل والمفاخر ، والناس في أرغد عيش ، وأمن من المخاوف والطيش ، والمترجم قوة استحضار مؤنس ، بحسب مايقتضيه حال المجلس ، فكان يجانس ويشاكل كل جليس بما يدخل عليه السرور في الخطاب ، ويجذب عقله بلطف محادثته كما يفعل بالعقول الشراب ، ولما وردت الفرنساوية إلى مصر تعلق بغلام من رؤساء كتابهم وكان

بارع الجمال ، حسن التيه والدلال ، عالماً ببعض العلوم العربية ، مائلاً إلى اكتساب النكات الأدبية ، فصيح اللسان ، مليح البيان ، يحفظ كثيراً من الأشعار التي بها يتفاخر ، فلهذا مال كل منهما للآخر ، فعند ذلك قال المترجم الشعر الرائق ، ونظم الغزل الفائق ، فمما قاله فيه ، من بديع نظمه وقوافيه قوله رحمه الله تعالى :

ملكته الروح طوعاً ثم قلت له متى ازديارك لي أفديك من ملك
فقال لي وحميا الراح قد عقلت لسانه وهو يثني الجيد من ضحك
إذا غزا الفجر جيش الليل وانهزمت منه عساكر ذاك الأسود الحلك
فجاءني وجبين الصبح مشرقة عليه من شغف آثار معترك
في حلة من أديم الليل رصعها بمثل أنجمه في قبة الفلك
فخلت بدراً به ضاءت نجوم دجى في أسود من ظلام الليل محتبك
وافى وولى بعقل غير مختبل من الشراب وستر غير منهتك

وله في آخر يسمى ريج :

أدرها على زهر الكواكب والزهر وإشراق ضوء البدر في صفحة النهر
وهات على نغم المثاني فعاطني على خدك المحمر حمراء كالجمر
وموه لجين الكأس من ذهب الطلا وخضب بناني من سنى الراح بالتبر
وهاك عقوداً من لآلى حبابها فم الكأس عنها قد تبسم بالبشر
ومزق رداء الليل وامح بنورها دجاه وطف بالشمس فينا إلى الفجر
وأصل بنار الخد قلبي وأطفه ببرد ثناياك الشهية والثغر
أريج ذكي المسك أنفاسك التي أريج شذاها قد تبسم عن عطر
معنبرة يسرى النسيم بطيبها فتغدو رياض الزهر طيبة النشر
وبي ذابل الأجفان كالبيض طرفه مكحلة أجفانه السود بالسحر
رشا فاتك الألحاظ عيناه غادرت فؤادي في دمعي دما سائلاً يجري
طويل نجاد السيف ألمى محجب شقيق المها زاهي البها ناحل الخصر

رقيق حواشي الطبع يغني حديثه عن اللؤلؤ المنظوم والنظم والنثر
يعير الرماح اللين عادل قده ويزري الدراري ضوء مبسمه الدر
وتحكيه أغصان الربا في تمايل فيرفل في أثواب أوراقها الخضر
وفوق سنى ذاك الجبين غياهب من الشعر تبدو دونها طلعة البدر
ولما وقفنا للوداع عشية وأمسى بروحي يوم جد النوى يسري
تباكى لتوديع فأبدى شقائقا مكللة من لؤلؤ الطل بالقطر

ولما نظم الشيخ حسن العطار موشحته التي يقول فيها شعرا :

أما فؤادي فعنك ما انتقلا فلم تخيرت في الهوى بدلا
فاعجب
يامعرضاً عن محبة الدنف ومغرماً بالجمال والصلف
ومن به زاد في الهوى شغفي أما كفى ياظلوم ما حصلا
حتى جعلت الصدود والملا مذهب
فتش فؤادي فليس فيه سوى شخصك أيها المليح ثوى
قد ضل قلبي لسكنه وغوى وهكذا من يحب معتدلا
لم يلق إلا تأسفاً وقِلى مشرب

وهي طويلة مذكورة في ديوانه عارضه المترجم المذكور بقوله في معشوقه الذي ذكرناه :

يهتز كالغصن مال معتدلا أطلع بدراً عليه قد سدلا
غيهب
يزري بسمر الرماح إن خطرا ساحر جفن لمهجتي سحرا
علم عيني البكاء والسهرا فكيف أبغي بحبه بدلا
وليس لي عنه جار أوعَدَلا مهرب
وضاح نور الجبين أبلجه أغيد عذب الرضاب أفلجه

وجـــه غرامي عليه متجه فلست أصغي لعاذل عـذلا
كلا وعنه فلا أحول ولا ارغب

وبقيتها في ديوانه، وقال فيه أيضاً وهو مما يعتنى به:

أدرها على زهر الكواكب والزهر وإشراق نور البدر في صفحة النهر

إلى آخرها ولم يزل المترجم على حالته، ورقته ولطافته، مع ما كان عليه من كرم النفس والعفة والنزاهة والتولع بمعالي الأمور، والتكسب وكثرة الانفاق والحزم في الأمور، إلى أن ابتلي بحصر البول مع الحرقة والتألم واستدام بها مدة طويلة حتى لزم الفراش أيامـــا. وتوفي في يوم السبت ثاني شهر ذي الحجة الحرام سنة ثلاثين ومائتين والف، وصلي عليه بالأزهر في مشهد عظيم ودفن في الحسينية. وما أحسن ماقال القائل:

فلا سرور سوى نفـع بعافية وحسن ختم وما يأتي من الشغب
وأمن نكر نكير القبر ثمة ما يكون بعد من الأهوال والتعب

حافظ اسماعيل بن محمد بن محمد القسطنطيني
الحنفي الشهير بكاتب زاده

العالم الذي هو في سلك الأفراد منظوم، والفاضل الذي دار عليه فلك المنطوق والمفهوم، الإمـــام المحقق، والهمام المدقق، الألمعي الفقيه، واللوذعي النبيه، ولد سنة الف ومائة وثلاثين في مدينة أماسية، فاجتهد بعد بلوغه في تحصيل العلوم الشرعية والعقلية، ثم انتقل إلى اسلامبول، وقد أخذ عن كثير من العلماء، والسادة الفضلاء، من أجلهم الشيخ محمد ابن حسن بن همات الحنفي الشامي مولداً الاسلامبولي موطناً والشيخ عمر بن أحمد باعلوي السقاف. ولي قضاء دمشق عام الف ومائة وثمانية وتسعين، وكانت تغلب عليه الديانة، والزهادة والصيانة، ولم ير له نظير في قضـــاة زمانه، وعصره وأوانه، وأخذ عنه الكثير من أهل الشام الأمجاد، ومن

أجلهم السيد شاكر العمري الشهير بالعقاد ، ثم بعد الشام ولي قضاء المدينة المنورة ، سنة الف ومائتين وسنة ، فارتحل اليها بالراحة والسرور ، والفرح والحبور ، إلى أن وصلها ولم يطل أمره حتى مرض وتوفي هناك سنة الف ومائتين وسنة ، وصلي عليه في الحرم الشريف ، ودفن في البقيع رحمة الله تعالى علينا وعليه .

الشيخ اسماعيل ابو المواهب بن محمد بن صالح بن رجب بن يوسف الحلبي الحنفي الشهير بالمواهي

العالم الفقيه الفاضل ، المحدث الواعظ الأديب الكامل ، حجة العلماء ، وكعبة الفضلاء ، وبقية السلف ، ونخبة الخلف ، ولد ثالث عشر ذي الحجة الحرام سنة ستين ومائة والف ونشأ بكنف والده وقرأ عليه العلوم وانتفع به ولازمه ، وسمع منه الأحاديث الكثيرة وتأدب بآدابه وأجاز له غير مرة ، وقرأ بقية الفنون وأخذها ببحث وإتقان عن أبي محمد عبدالكريم ابن احمد الشراباتي الحلبي الشافعي ، وأبي عبد الله محمد بن ابراهيم الطبرسي الحنفي وغيرهم ، وانتفع بهم ولازمهم وأخذ عنهم وسمع عليهم واستجازهم فأجازوه إجازة عامة . ولما قدم حلب المحدث الكبير ، والعالم الشهير ، ابو عبد الله محمد بن محمد الطيب المغربي الفامي المالكي نزيل المدينة المنورة ، عقد مجلس حديث في الجامع الأموي بحلب ، وسمع منه المترجم ولازمه وسمع منه حديث الرحمة المسلسل بالأولية مع والده ، وأجازه غير مرة ، وسمع الحديث المذكور من أبي محمد عبد القادر بن خليل الكدك المدني لما قدم حلب وأجازه برواياته بعد أن قرأ عليه أوائل الكتب وبعض المسانيد ، وسمع حديث الأولية أيضاً من أبي عبدالله الحسين بن علي بن عبد الله الشكور الطائفي المكي وأجازه بخطه ، وكذلك الشهاب احمد بن الحسن الخالدي الجوهري ، وأحمد بن عبد الفتاح

اللدي وغيرهم ، ومهر ونبل وتفوق ، وأخذ عن والده الطريقة القادرية ، وجلس بعد موته على سجادة المشيخة وأقام الأذكار وأجاد في الإرشاد ، وانتفع به الحاضر والباد ، وكان يختلي في الصالحية كل سنة أربعين يوماً ومعه جماعة كثيرون . وكان كثير الإفادة والوعظ والتدريس في الجامع الأموي بحلب ، مكان والده وجده على الكرسي الموضوع تجاه مقام سيدنا زكريا ، وسمع منه الجم الغفير وحضره كثير من الناس ، وأفاد واشتغل عليه الناس بالأخذ في داره ، وأخذ عنه الطريق كثير من الناس من حلب وأطرافها وانتفعوا ، وعلا قدره عند الحكام والأعيان ، وأظهروا له الانقياد والإذعان ، ونفذت كلمته ، وقبلت شفاعته ، وفاق فضله على أبيه وجده ، وكان لطيفاً مهاباً لين العشرة حسن المذاكرة ، قوي الحافظة في الآثار والسنن ، وافر العبادة والتنفل والذكر ، ومن جملة من أخذ عنه محمد خليل افندي المرادي مفتي دمشق الشام ، وأجازه إجازة عامة في حلب سنة الف ومائتين وخمس ، وفي سنتها خرج المترجم إلى الحجاز ورجع إلى بلده ، ولم يزل على ما كان عليه من الدأب على العلم والعبادة والذكر والمذاكرة والإرشاد ، إلى أن توفي خامس شهر رمضان سنة ثماني عشرة ومائتين والف رحمه الله تعالى .

الشيخ اسماعيل بن محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن ابن محمد بن محمد بن محمد الأريحاوي الشافعي الشهير بالعاري

ابو الفدا صلاح الدين الكاتب الصالح الدّين ، البركة الفقيه النبيه . ولد بأريحا ليلة الجمعة السابع والعشرين من ربيع الثاني سنة أربع وثلاثين ومائة والف ، وقرأ على والده وجده البرهان المشهور المفتي وانتفع بهما ، وأخذ الخط عن جده ، وقرأ على عواد بن حسين العبسي السّرجاوي وسمع منه حديث الرحمة المسلسل بالأولية وبقية مسلسلات ابن عقيلة المكي

بروايته لهم عنه ، وأجازوه الإجازة العــامة ، وأخذ الطريقة الرفاعية عن الشهاب احمد بن اسماعيل القصيري الرفاعي ، ودخل حلب وحضر بها دروس أبي الفتوح علي بن مصطفى الدباغ الميقاتي ، وأبي عبد الفتاح محمد بن حسين وغيرهم وسمع عليهم ، وأكثر من كتابة الكتب وكتب الكثير من المصاحف الشريفة والتفاسير وكتب الحديث والفقه وبقية الفنون ، وكان سريع الكتابة حسن الضبط والخط أديباً صالحاً تقيــاً عابداً زاهداً من أحاسن الناس وخيارهم وصلحائهم ، والملازمين على وتيرة السلف ، والقائمين بأعباء العبادة من تهجد وذكر وصلاة وصيام ، واجتناب مايجب اجتنــابه وفعل مايجب فعله . راضياً بما يحصل له من غلال بعض أراضيه وثمرات أشجاره وزيتونه وأجرة كتابته التي يكتبها ، وأفاد واستفاد واشتهر ذكره بالعلم والإرشاد ، توفي سنة الف ومائتين ودون العشرة .

الشيخ اسماعيل بن عبد الجواد بن احمد الكيالي
السرميني الأصل الحلبي الشافعي

العالم الفاضل الصوفي المتقن ، الولي البركة الصالح التقي النقي المتفنن . ولد سنة اثنتين وسبعين ومائة والف ، وقرأ القرآن العظيم ونشأ بكنف والده وتخرج به وعليه ، واشتغل بالأخذ والتحصيل فقرأ على أبي اليمن محمد تاج الدين بن طه بن احمد العقاد ، وأبي العدل قاسم بن عــلي التونسي المالـكي المغربي ، وأبي عبد الله محمد بن محمد الأريحاوي وغيرهم . وحصل ونبل وفاق في مدة يسيرة على الكثير من العلماء حتى شهد له بالتقديم شيوخه ، وأقر له بذلك الجم الغفير ، وكان والده يثني عليه ويحبه ويقدمه على إخوته ، وأخذ عنه وأجازه بمروياته . وبعد وفاته درس وشرع بالإفادة والتسليك وقام مقامه ، حتى قدر الله تعــالى أنه في سنة المائتين والألف حصل له جذبة فخلع ثيابه وصار يدور في الأسواق على هذه الحالة ، ويتكلم بمــا

لايعني من الكلام ،(١) ومال إلى الخمول والذهول وتغيرت أحواله ، ومع هذه الحالة شوهدت له كرامات كلية ، وخوارق وأحوال وأخبـــارات غيبية ، وكانت الناس تحترمه وتهابه وتخشى من بطشه ، ويرجون دعواته ، وينظرون اليه بعين المهابة والتعظيم ، ويذكرون الله عند رؤيته كما هو علامة أهل الله الذين إذا رُؤوا ذكر الله عند رؤيتهم (٢). ولم يزل كذلك إلى أن توفي سنة الف ومائتين ونيف وثلاثين ظنا .

الشيخ اسماعيل الشيرواني الخالدي النقشبندي

قال في المجد التالد : الولي النحرير العلامة ، والبحر الفهامة ، صـــاحب الأنفاس القدسية ، والنفحات الأنسية ، العارف بالله ، والغارف من بحر نداه ، أكب على العلم والعمل من صغره ، ودأب على الإفادة في كبره ، ثم لمـــا عاد حضرة مولانا خالد إلى السليمانية من الهند ، فإنه لازم خدمته ، والتزم طاعته ، وسلك على يديه طريق السداد ، ثم خلفه خلافة مطلقة وأذن له بالإرشاد ، ونشر العلوم ، فانتفع به الناس طريقة وعلما ، وله خوارق عجيبة وهو من أجل الأفاضل ، وأفضل ذوي الفضائل ، توفي سنة الف ومائتين ونيف وخمسين .

الشيخ السيد اسماعيل البرزنجي الخالدي النقشبندي

العالم الفاضل ، النسيب الشريف الفقيه العامل ، الحافظ التقي الأديب ، الحسيب اللبيب الأريب ، نشأ في العلم والصلاح ، ونهج منهاج الطاعة والنجاح ، وكان من أخص جماعة حضرة مولانا خالد شيخ الحضرة ، وكان يخدمه ويقرأ عليه ، ويكتب له الكتب ، لما كان له من جودة الخط ، وكان حضرة الشيخ يحبه محبة عظيمة ولا يعبر عنه إلا بأخينا الشيخ اسماعيل .

---

(١) إذا أخذ ماوهب ، أسقط ماوجب .

(٢) تراجع ترجمته بتاريخ حلب الشهباء (ص ١٩٥ ـ ٢٠٠ ج ٧) ففيها غرائب كثيرة ، ومنها : أنه يميل إلى الأصوات الحسان .. وتارة يشارك المغنين والندمان .. ويميل إلى القهوة والتتن الفاخر .

وكان هذا المترجم من العلوم الفقهية والعربية والأدبية علـى حظ عظيم ، وكان مع حفظه للقرآن وبعض الكتب التوحيدية والفقهية حافظا لمقامات الحريري ، وله شعر ونثر رائق في العربية والفارسية ، قرأ على مولانا خالد قدس سره منذ نشأ ولم يقرأ على غيره ، وخلفه خلافة مطلقة ، إلاّ أنه لم يسمع أنه أرشد أحداً ، وكان كثير الأسفار لحـج بيت الله الحرام ، وزيارة خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام ، وإلى الشام لزيارة قبر حضرة شيخه مولانا خالد ، وتوفي في بغداد وهو على زيادة ترقيه وتوقيه ، سنة الف ومائتين ونيف وخمسين تقريبا .

الشيخ اسماعيل البصري النقشبندي الخالدي

خلاصة الأفاضل ، وصفوة ذوي الشمائل ، العالم العامل ، والإمام المهذب الـكامل ، ذو السيادة والعبادة ، والخضوع والزهادة ، رحمة المريدين ، وتحفة السالكين والمترددين ، أخذ في العلم والعمل ، ولم ينله ملل ولا كسل ، وكان في الزهد والتقوى ، في السر والنجوى ، والتذلل والخضوع ، والتواضع والخشوع ، والجود والكرم ، وتحريك الهمم ، إلى الإقبال على باريء أمشاج الأمم ، في درجة عالية ، ورتبة سامية ، ثم تحلى بأخذ الطريق ، عن سيد ذوي التدقيق ، شيخ الحضرة مولانا خالد ، ثم خلفه وأتحفه بالالتفات الزائد ، فاشتهر في البلاد ، وانتفع به العباد ، وورد عليه الواردون من كل ناد ، ولاحظته عين الاسعاد ، ولم يزل ينمو أمره في الرفعة ويزداد ، إلى أن تم أجله ، وانقطع أمله ، وذلك سنة الف ومائتين وفوق الأربعين .

الشيخ اسماعيل بن الشيخ عبد الغني بن طالب بن حماده ابن ابراهيم بن سليمان الميداني

حليف أدب وأرب ، وأليف لطف وطرب ، قد طالت في الفضل باعه ، وشربت حب المعارف طباعه ، فذهب في مجال التقدم عرضـاً وطولا ،

وأصبح في معالي الترقي وله اليد الطولى ، وقد كانت ولادته في النصف الثاني من ذي الحجة الحرام الذي هو في سنة الألف والمائتين والأربع والخمسين ، ونشأ في حجر والده نخبة المتقين ، وبعد أن بلغ سن التمييز قرأ القرآن العزيز ، ثم حضر على والده الفقه النعماني ، إلى أن بلغ منه جل الأماني ، وأخذ جملة من علوم الآلات عن شيخنا العلامة الفاضل ، والفهامة الكامل ، نادرة الزمان ، وأوحد العصر والأوان ، الشيخ محمد افندي الطنطاوي ، أعلى الله في درجات القرب مقامه ، وأعطاه في حديقة الرضوان مرغوبه ومرامه ، وحضر مجالس كثيرين من أهل الفضل ، ممن يعتمد عليهم في القول والنقل ، منهم بل أعلاهم وأعلمهم علم الأعلام ، وعمدة الحكام ، أخي وشقيقي الهمام ، الشيخ محمد افندي امين فتوى الشام ، وكثيراً ما كان يضمني وإياه مجلس المطالعة في كل علم رفيع ، من تفسير وحديث وتوحيد وغير ذلك من معان وبديع ، وكان ينقاد إلي ، ويعتمد في حل المشكلات علي ، وله جمال وصفا ، ووداد ووفا ، توفي في رمضان سنة ١٣٣٢ ، أعلى الله في مدارج السيادة مرتقاه ، وجعل الجنة مثواه ومأواه .

اسماعيل بن محمد بن مصطفى بن امين سفر المدني

نجيب نشأ في بيت النجابة ، ونبت في مغرس اللبابة ، ومن كان أباه البحر الزاخر ، فلا غروَ انه صدف در المفاخر ، فإنه كامل عليه أنوار الكمال زاهرة ، ودلائل الفضل منه ظاهرة ، ليس إلا بالتحصيل اشتغاله ، وإلى الاستفادة حركاته وانتقاله ، فحسبه رفيع ، وأدبه كالزهر المريع ، وله ذهن تحمد آثاره ، وفكر تمدح أشعاره ، فمن محاسن كلماته ، وغرر نظمه وأبياته ، قوله باعثاً بهذه القصيدة لأهله من مصر المحروسة :

يصل الكتاب اليكم ياسادتي ... فتعطفوا بجوابه وتأهبوا

للعبد اسماعيل نجل محمد ... عبد ذليل عاجز متغرب

قد صار يجري الدمع من أجفانه ... من حبكم إذ حبكم لايذهب
من قلبه المضنى السقيم لبعدكم ... والبعد هــاد للأنام يهذب
أعني الرسول الهاشمي المصطفى ... من ربنـــا أدناه فهو محبب
وكذا ارتضاه لخلة ولغيرهـا ... فهو الحبيب الهاشمي الطيب
فقفوا جميعاً تحت باب أكرم ... وسلوه في كل الأمور وجربوا
واقروا التحية والسلام عليه ما ... هب الجنوب لنا كذاك الأريب
وكذاك سيدنا أبو بكر العلى ... وسراجنا مَن لِلّعين ِ يرب
ثم ابن عفان الحيي وحيدر ... من للوغى أضحى هناك يجرب
ولبضعة المختار سيدة النســا ... وبناته الأطهار
وكذاك حمزة عمه البطل الذي ... أضحى لكل الكافرين يؤدب
ولعمه العباس ثم صحــابه ... في غر قد أضحى بهم يتطيب
أيضاً وزوجات النبي المصطفى ... والتابعين ومن اليهم ينسب
فسلوا جنابهم العليّ مقــامه ... يدعو الإله لعبدهم بل يطلبوا
عودا له في حسن أحسن حالة ... ووفاء دين صار منه يعذب
وفصــاحة وبلاغة في قوله ... حتى يكون إذا تكلم يعجب
ودخوله في دار فردوس علت ... ورضاء رب حبٌ هذا المطلب
وسلامة من حر نار جهنم ... نار العدا من حرها تتلهب
وسعادة الدارين ثم حيــاته ... في حالة يرضى بهـــا ويقرب
ثم الصلاة مع السلام على الذي ... بضريحه مسك سحيق طيب
وكذاك كل الآل والاصحاب ما ... قد لاذ بالاعتاب عبد مذنب

الشيخ امين بن محمد الجندي الحمصي الشافعي
ابن خالد بن عبد الرزاق

الشاعر اللبيب ، والماهر الأديب ، والكامل الأريب ، والفاضل النجيب

من اشتهر برقة المعاني كلامه الفائق ، ورقى فوق ذروة الفصاحة حسن انسجامه الرائق ، قد حضر دروس العلماء الدمشقيين ، وشهدوا له بالفضل والقدر المكين ، وابتهج به ذوو المعارف ، وأقروا له بالفضائل والعوارف، وكان حسن النظم والنثر ، قد فاق أهل زمانه بما ألقاه من بديـع الشعر ، وله المقطعات العجيبة المباني ، التي لم يسبق لها مثيل في جزالة الالفـــاظ ولطافة المعاني ، استعمل فيها الكلمات المألوفة في هذا الزمان ، التي تطرب لسماعها القلوب والآذان ، ولا بدع فناظمها هو العالم النحرير ، والشـــاعر الشهير ، لبيب عصره ، وأديب قطره فضلًا عن مصره ، منور الأفكار ببلاغته ، ومزين الألفاظ ببراعته ، قد خلع عليه الصفيّ صفاه ، وتبعه المتنبي ورجع عن مدعاه ، ولد بمدينة حمص الشهيرة ، ونشأ بها في طلب العلوم ، وتحقيق المنطوق والمفهوم ، ثم صار يتردد إلى دمشق الشام ، ويقرأ على علمائهـــا الأعلام ، وأخذ وتلقى وقرأ على قطب زمانه ، ومرشد أقرانه ، السيد الشيخ عمر اليافي ، قدس الله سره الوافي ، فحل عليه نظره التام ، حتى قال له اذهب فأنت أشعر أهل الغرام ، فصار الشعر فيه سجيه ، والبلاغة له عطية، ينظم القصائد المفيدة ، والقدود الفريدة ، والموشحات النضيدة ، والمقاطيـع السديدة ، والمواليات العديدة ، فسارت الركبان بكلامه ، وتزينت المجالس بنظامه ، فياله من ماهر ألبس الدهر أحسن أثوابه ، وأنفق الدر الثمين على أقرانه وأحبابه ، فصار مفرداً في نظامه ، معدولاً إلى بديع كلامه .

وفي سنة ست وأربعين ومائتين والف أتى إلى حمص عامل من قبل السلطان محمود خان ، وما لبث أن وشى اليه بصاحب الترجمة بعض أعوانه أنه هجاه ، وقال عليه مالا يرضاه ، فأمر بنفيه وإخراجه من حمص بحـال الذل والقهر ، وبلغ الشيخ أمين خبر هذا الأمر ، ففر هاربا إلى مدينة حماه، وظن أنها تكون مكان حفظه وحماه ، وعلم العامل بفراره ، فأرسل في طلبه جماعة من أنصاره ، فقبضوا عليه في الطريق ، وأرسلوا الخبر إلى العامل ،

فأمر بأن يضيق عليه أشـد التضييق ، وأن يحبس في اسطبل الدواب ، ويسد عليه الباب ، وأن يعطى له في اليوم والليلة قرص شعير ، وشربة ماء مع غاية التكدير ، ففعلوا به ذلك ، وأوردوه موارد المهالك ، فاشتغل بنظم قصيدة يمدح بهـا النبي صلى الله عليه وسلم ويتوسل به في خلاصه . ففي اليوم الرابع من حبسه دخل سليم بن باكير الدنادشة حمص قهراً ، ومعه مايتا فارس فقتلوا العامل المرقوم شر قتلة ، وخرج المترجم من الحبس وفرج الله عنه ببركة النبي صلى الله عليه وسلم وهي هذه القصيدة :

توسلت بالمختار أرجى الوسائل ... نبي لمثلي خير كاف وكافل
هو الرحمة العظمى هو النعمة التي ... غدَا شكرها فرضاً على كل عاقل
هو المصطفى المقصود بالذات ظاهرا ... من الخلق فانظر هل ترى من مماثل
نجيٌّ اله العرش بل وحبيبه ... وخيرته من خير أزكى القبائل
شمائله تنبيك عن حسن خلقه ... فقل ماتشا في وصف تلك الشمائل
وأخلاقه فاه الكتاب بمدحها ... ولا سيما الاعراض عن كل جاهل
نبيٌّ هدى سَن التواضع عن علا ... فحل من العليا بأعلى المنازل
تقي تردّى الجود والحلم حلة ... تجسم فيها المجد بعد التكامل
وفي الحرب والمحراب نور جبينه ... يريك شعاع الشمس من غير حائل
له النسب الوضاح والسؤدد الذي ... تسامى على هام السهى بالتطاول
يقولون لي هلا ابتهجت بمدحه ... فإنك ذو فهم كفهم الأوائل
فقلت لهم هل بعد مدحة ربنا ... وخدمة جبريل مجال لقـائل
وأين الثنا ممن رأى الله يقظة ... وقام يناجي ربه غير ذاهل
ولكنه بحر البحور تواصلت ... لأفضاله بالمدح كل الأفاضل
دعوتك يا الله مستشفعـاً به ... فكن منجدي يا منتهى كل آمل
سألتك كشف الضر عني بجاهه ... وحاشاك أن لاتستجيب لسائل
إلهي قداشتدت كروبي وليس لي ... سواك مغيث في الخطوب الغوائل

إلهي تداركْ ضعف حالي برحمة ... ولطف خفيّ عاجل غير آجل
وفي علتي حار الطبيب فكدت أن ... أجاوز حد اليأس من ذي العواضل
وبالسقم أعضائي اضمحلت جميعها ... فلم يبق مني مفصل غير ناحل
ومن فرط ما بي من نحول ولوعة ... بكت رحمة لي حسدي وعواذلي
فمن لاسير الذنب من ورطة البلا ... بفك قيود أو بقد سلاسل
كأني غريب بين قومي ومالهم ... شعور بأشعاري ولا في رسائلي
أنادي فلا ألقى مجيباً سوى الصدى ... فأحسب أن الحي ليس بآهل
وإني إذا مارمت خلا موافيا ... فقد رمت شيئاً عز عن كل نائل
وهل مشفق ألقاه أرحم من لظى ... حشائي ومن قاني دموعي الهوامل
ألا ليت شعري هل تفردت في الورى ... بكسب الخطايا وارتكاب الرذائل
ومن دون كل الخلق عولجت بالأسى ... قصاصاً وحسبي زلتي ونصائلي
فإن كان هذا بالذنوب وليس لي ... شفاء وجسمي داؤه غير ناصلي
فإني بطه مستغيث[1] وراغب ... إلى الله فهو الغوث في كل هائل
وإخوانه الرسل الكرام جميعهم ... وباقي النبيين البدور الكوامل
وبالخلفـــاء الراشدين وآله ... وأصحابه الغر الثقات الأماثل
خصوصاً رفيق الغار ذي الرأي والحجى ... أبي بكر الصديق صدر المحافل
إمام فدى خير الانام بنفسه ... وفي ماله ما كان قط بباخل
وفي درء تلك الفتنة اختص وحده ... ولولاه لارتدت جميع القبائل
كذلك أمير المؤمنين وعزّهم ... أبو حفص الفاروق مُحْيِي النوافل
فتى أيد الإسلام فيه وأقمعت ... به البدعة السوداء رغماً لنا كل
بعثمان ذي النورين من جمعت به ... بجمع كتاب الله كل الفضائل
ومن لزم المحراب طول حياته ... ومات شهيداً صابراً غير صائل
بقالع باب الخيبري الذي اغتدى ... لراية نصر الجيش أعظم حامل
علي أبي السبطين في صدرة الوغى ... مبيد العدى ليث الحروب المداحل

(١) لو قال : فإني بربي مستغيث لتمّ له ما أراد وزناً ومعنى ، فهو تعالى غياث المستغيثين .

بطلحتهم ثم الزبير وسعدهم … كذاك سعيد من سما بالفضائل
بصدق ابي عوف بذي الهمة التي … يدك لها في البأس صم الجنادل
بفاتح قطر الشام سيدنا ابي … عبيدة كشاف الحروب العواضل
بحمزة بالعباس عمي نبينا … بسبطيه بالزهراء عين الأماثل
بمن شهدوا بدراً وقد أثخنوا العدى … ببيض حداد أو بسمر ذوابل[1]
بسطوة سيف الله ذي البأس خالد … فتى الحزم ماضي العزم زاكي الخصائل
أمير بني مخزوم الشهم من غدا … ببر يمين المصطفى خير حافل
ومن ثم يوم الفتح سبعون سيدا … سقاها كؤوس الحتف بين الجحافل
وعاد كأكباد البخاتى[2] دمُ العدا … على درعه لامي" فوق الكواهل
وما كان هذا منه إلا بروية … بأمر إلهي بعيد التناول
بسائر حفاظ الحديث بمن غدا … بتفسيره للحبر أو لمقاتل
بأحمد بالنعمان ثم بمالك … وبالشافعي بحر الندى والمسائل
وبالعلماء العاملين ذوي الهدى … واتباعه من كل حبر وفاضل
وبالأولياء العارفين وبازهم … أبي صالح من قال ما في المناهل
بمن لزموا بر الشريعة فانجلى … لهم بحر قدس الذات من غير ساحل
أجرني وأنقذني من الهم والعنا … فغيرك مالي ملجأ في النوازل
وهذا اختتام الصوم تصطنع الجدى … به الأسخياء مع كل سام وسافل
وفي العيد عادات الكرام لقد جرت … ببر اليتامى وافتقاد الأرامل
وها أنا محتاج فلا تك قاطعاً … حبال رجائي منك ياخير واصل
فإنك أولى بالمكارم منهم … وأجدر بالإحسان من كل باذل
فحاشا ظنوني أن ترد بخيبة … وفي بابك المأمول حطت رواحلي
فإن كان في العمر انفساح فشافني … من السقم وارحم يارحيم تناحلي
وإن تك قد حانت وفاتي فآوني … لدار نعيم عزها غير زائل

---

(١) يقال : الرماح الذوابل : أي الدقيقة .
(٢) البخت الإبل الخراسانية ج بختي وبخاتي وبخات .

وثبت على التوحيد قلبي ومن" لي بخاتمة الإيمان من غير فاضل

وكن لي رحيما في البلاء وفي البلا بدنيا وأخرى يارجـا كل سائل

ودم راضياً عني كذاك ومرضيا خصومي ويوم العرض لا تك خاذلي

فإني أرى الدنيا سرابا واهلها أحاديث يرويها الزمان لناقل

وما الكون إلا كالهباء لناظر أو الحظ في مستبحر ذي جداول

وإني لراض بالقضا وبما تشـــا وعندي يقين أن لطفك شاملي

ولكنني أشكو البلالك لا القضا لأنك أنت الحق أعدل عادل

وللغيرلا أشكو وإن سامني الردى ونصّل فصّال المنايا مفـــاصلي

وعن رتبة التسليم في كل حالة فؤادي وإن ناجاك ليس بنازل

وحبة قلبي في معانيك أنبتت بقدس سواد الليل سبع سنابل

تعرفت لي من قد ألَسْتُ[1] بزرعها فلم أسقها غير الدموع الهواطل

وبالكتم من بعد الحصاد درستها بلب خلا عن فكرة وتخـايل

ولا بوحت قوتي مع الفقر والغنى وقوت عيالي في الضحى والأصائل

ألا ما ألذ القرب بعد النوى وما أمر الجفا والهجر بعد التواصل

تبرأت من حولي اليك وقوتي ومن عملي والعلم ثم التفاضل

لتقطعني بالقرب عن كل قاطـع وتشغلني في الحب عن كل شاغل

أشاع الورى عني عداتي واظهروا الشماتة فيما بينهم بالتـــداول

وبالموت لم يشمت بمثلي تشفيا من الناس إلا كل باغ وباسل

أليس الوجود الحق ذاتي بلا مرا وهذى البرايا كلها محض باطل

فلا يحسب المغرور أني مضيـع زماني سدًى مابين هاز وهازل

فدع عصبة البهتان تفعل ماتشا فما الله عما يفعلون بغـــافل

فمن أين للخفاش أن يبصر الضيا وهل يألف الجعلان[1] ورد الخمائل

ومن على روحي الصلاة مسلماً وأصحابه والآل مع كل كامل

---

(١) من قوله تعالى : « وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى .. » الآية : ١٧٢ من سورة الأعراف .

(٢) الجعلان : ضرب من الخنافس ، مفرده جُعَل .

مدى الدهر ما الجندي أنشد قائلًا توسلت بالمختار أرجى الوسائل

وله أيضاً مخمساً

أرى قلبي بليلى زاد ميلًا وما جرّت بربعي قط ذيلا
فقلت لبعلها إذ زار ليلا بحقك هل ضممت اليك ليلى
قبيل الصبح أو قبلت فاها

فمني ان تسل فأنا فتاها تملك حبها قلبي فتاها
فقل لي هل دنت لك وجنتاها وهل رفت عليك ذؤابتاها
رفيف الأقحوانة (١) في نداها

وقال أيضاً مخمسا

أفدي التي لو رآها الغصن مال لها شوقاً وإن قتلت صبا لحل لها
حورية لو رآها عابد للهها مرت بحارس بستان فقال لها
سرقت رمانتي نهديك من شجري

قالت وقد بهتت من قوله خجلًا فتش قميصي لكي أن تذهب الوجلا
فهم أن يقبض النهدين مامهلا فصاح من وجنتيها الجلنار على
قضيب قامتها لا بل هما ثمري

وقال أيضاً مخمسا

أهيم إذا أثنى الأنام بشكركم وأكتم أمري لا أبوح بسركم
أحبتنا من طيب نشأة خمركم إذا جن ليلي هام قلبي بذكركم
أنوح كما ناح الحمام المطوق

عسى ولعل الدهر يأتي بهم عسى أشاهدهم عند الصباح وفي المسا
وقلبي من فقد الأحبة قد قسا وفوقي سحاب يمطر الهم والأسى
وتحتي بحار بالجوى تتدفق

إذا ترب غيد فاح منها عبيرها وفيهن خود ليس يلفى نظيرها

---

(١) نبات أوراق زهره مفلجة صغيرة

بأحشاء صب زاد فيها سعيرها سلوا أم عمرو كيف بات أسيرها

تفك الأسارى دونه وهو موثق

أسير سبته أعين وملاحة لمدمعه فوق الخدود سباحة

جريح له في كل عضو جراحة فلا هو مقتول ففي القتل راحة

ولا هو ممنون عليه فيطلق

وقال مشطرا

مازال يرشف من كأس الطلا قمر يبدو لنا من سحاب الشعر في غسق

أمنه في الثغر شمس الراح قد غربت حتى بدت شفتاه اللعس كالشفق

وقام يخطر والأرداف تقعده نشوان لم يبق فيه السكر من رمق

فقلت ذا ملك للشهب يحمل أم غزال انس يحاكي البدر في الأفق

ضممته لعناق فانثنى خجلا وفاح من خاله مسك لمنتشق

وعندما بالحيا صينت محاسنه وكللت وجنتاه الحمر بالعرق

أشار لي برموز من لواحظه منها عن القدح استغنيت بالحدق

وقال إنسانها لي وهو مبتسم ان العناق حرام قلت في عنقي

وقال أيضاً مشطرا

ياناقل المصباح لاتمرر على ربع به صبح المحاسن أسفرا

واحذر بأن تغشى أشعة نوره وجه الحبيب وقد تكحل بالكرى

أخشى خيال الهدب يجرح خده فيبث مسك الخال منه العنبرا

أو ان يدب لفيه نمل عذاره فيقوم من سنة الكرى متذعرا

وقال

يادر ثغر حبيبي دم بالعذيب مقيما

ويا جمال الثنايا كن بالعقيق رحيما

ولا تشق عليه فتتركنه هشيما

وكن له خير جار ألم يجدك يتيما

وقال مشطرا

سألت أحبتي ما كان ذنبي ‌ ‌ ‌ ‌ وهل لي عندهم حدثت عيوب
وكررت السؤال لهم إلى ان ‌ ‌ ‌ ‌ اجابوني وأحشـــائي تذوب
إذا كان المحب قليل حظ ‌ ‌ ‌ ‌ ونجم السعد يعلوه الغروب
ومن يرمي الزمان لقوم سوء ‌ ‌ ‌ ‌ فما حسنـــاته إلا ذنوب

وقال

يقول لي العذول وقد رآني ‌ ‌ ‌ ‌ كئيب الجسم منتحبا عليلا
أتسلو يامعنى قلت اسلو ‌ ‌ ‌ ‌ عن الدنيا ولكن عن علي لا

وقال

وحمــام رأيت به غزالا ‌ ‌ ‌ ‌ كبدر التم في غصن قويم
فقلت تعجبوا من صنع ربي ‌ ‌ ‌ ‌ رأيت الحور في وسط الجحيم

وقال في قصاب

ياواضـع السكين بعد ذبيحه ‌ ‌ ‌ ‌ في فيه يسقيها رحيق لهاته
عدها على المذبوح ثاني مرة ‌ ‌ ‌ ‌ وأنا الضمين له برد حيـــاته

وقال

مهفهف لو اماط السجف لاختجلت ‌ ‌ ‌ ‌ شمس الضحى وبضوء السحب تحتجب
كأنما أوجد الرحمن صورته ‌ ‌ ‌ ‌ من مغنطيس لها الأبصار تنجذب

وقال مخمسا

جبينك كالهلال اضا لدينـا ‌ ‌ ‌ ‌ وجيدك كالصباح كـي لجينا
وخدك روضة منها رأينـــا ‌ ‌ ‌ ‌ نجوم الورد قد وردت علينا
ونحن من المدام على ورود

أرى الندمان تسفر عن بدور ‌ ‌ ‌ ‌ وتبرز كالعرائس من خدور
ونجم الكاس يطلع في سرور ‌ ‌ ‌ ‌ وشمس الراح تغرب في ثغور
وتشرق بعد ذلك بالخدود

وساقينا رشا باهي المحيا　　إذا ماعاد ميتاً عاد حيا
فما أحلاه إذ بالكأس حيا　　فقد عقد الحباب على الحميا
فهل لك أن تكون من الشهود

وقال أيضاً مخمسا

ما للهموم اخا الصفاء وحزنها　　إلا ثلاث ويح من لم يجنها
صهباء تجلى كالعروس بدنها　　وبديعة تسبي العقول بحسنها
ومهفهف يزري الغصون بقده

خود حَبَتْ شمس النهار ببردها　　واستطلعت نجم السهى من نهدها
ومذ استفز الحب كامل وجدها　　غنت فأطربت الغلام بنشدها
ولنشدها لعب الغلام ببنده

أفدي التي لما استهام حبيبها　　في قبلة كالمسك يعبق طيبها
قالت له ادنو عساك تصيبها　　فدنا يقبلها فمر رقيبها
خافت عليه فأسرعت في رده

وغدت تقول له بحسن كناية　　لا صادفت عيناك عين عناية
من خوفها سوء اتهام زناية　　لطمت عوارضه بغير جناية
منها فأثر نقشها في خده

حتى إذا عطفت عليه بعطفها　　وأضاء وجه من مهند طرفها
مسحت مدامعه براحة لطفها　　فاخضر آس عذاره من كفها
واحمر باطن كفها من خده

وله قصائد كثيرة ، وموشحات وقدود شهيرة ، قد رقمت في عدة دفاتر ، واشتهرت اشتهار البدر السافر (١) وقد توفي في حمص سنة ست

---

(١) وقد عُني بعضهم بجمع أكثر مانظمه من القصائد والمقاطيع والموشحات والمدائح والتغزل ، فكان منه ديوانه المشهور الذي طبع في بيروت .

وخمسين ومائتين والف ودفن في خارج المدينة قريباً من جامع سيف الله سيدنا خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه وقد ارخ وفاته الأديب الفاضل السيد عمر المعري بأبيات وبيت التاريخ :

دعيت لساحة الإحسان ارخ　　أمين الحب في عدن تقرر

الشيخ أمين مفتي الحلة الشافعي العراقي

خاتمة المحققين في عصره ، ونادرة المدققين في مصره ، طلب العلوم وهو شاب ، والنف هو والكمال في برد والقذال ما شاب ، بحث وحقق وناظر ودقق ، وتولى افتاء الحلة سنيناً ، وسل من الحق على من حال عنه سيفاً سنيناً ، ورق طبعاً وصلب ديناً ، حسنت سيرته في افتائه طمعاً في ثواب الله وارضائه ، وتولى تدريس المدرسة العلوية ، فاقر عيون العلوم النقلية والعقلية ، ولقي الاجلاء من علماء العراقين ، وألف في النحو وغيره ما هو قرة عين ، وتناهت اليه رياسة التدريس في بلده ، مع زكاء عرقه واصالة محتده ، ولقد قال فيه الشيخ عثمان بن سند :

يا فاضلًا عشق النسيم طباعه　　والفضل لف عليه منه اهابه
كنت امرأً الف العلوم وما نعي　　بمشيبه البيض منـــه شبابه
صنت الشباب عن اقتراف جريمة　　كالسيف صين عن الفلول غرابه

وبالجملة فهو من الذين نزلوا من الاتقان مكاناً علياً ، ومن الاتقياء الذين عاد بهم الفضل صبياً ، والاسخياء الذين سقوا رياض الآمال بالمكارم والحامين حوزة الدين بسيوف من السنة صوارم ، والائمة الذين صيروا الصمت حلية ، ونزهوا المسامع عن غيبة وفرية ، توفي رحمه الله تعالى سنة احدى وثلاثين بعد المائتين والالف ولقد رثاه الشيخ عثمان سند بقوله :

سقى قبره المرحمة السُحْب الوطف　　فما هو الا الكهف خرّ بهِ كهفُ
فيا قلب لا تبرح من الرزء قد قضى　　هزبر هو الاكليل للمجد والطرف

قضى غير اني ما قضيت من الاسى ... وأودى فأودى السؤددالعودوالعرف
كريم الايادي لا يغيب عطاؤه ... مقام المعادي لا يطاق له عسف
به أنشبت قوس المنايا سهامها ... وما هو الا الشمس غيبها الكسف
وكيف وأنوار الامين محمد ... وما هو عن توصيفها يقصر الوصف
علوماً له ابقى تلوح كأنما ... هي التاج للأيام والقلب والشنف
غدت تحف الرضوان تقدم روحه ... لينشق ريحان الجنان له الانف
فيا قبره واريت افضل وارد ... اليك باعمال هي الخالص الصرف
نعوه فكان العلم أعظم نادب ... معارف منه زانها البحث والكشف
فان غيبوه في الثرى لم تغب له ... فضائل تزهو من تلألئها الصحف
فيا دافنيه قد دفنتم مرزءاً ... له ترزأ الاموال في الكربة الكف
ويا نعشه أمسيت للبدر داره ... ولو أن نورالشمس من فوقك السجف
ويا حاملي نعش به القطب طالع ... لروح وريحان وحور به زفوا
فتى كان يحيي بالتلاوة ليله ... اذا جن ليل قال للطرف لا تقف
نعوه إلى التدريس فاحتقب الاسى ... وقال انقضى لما قضي معه الظرف
تسامى الى التدريس والشيب ما بكى ... شباباً له التقوى عن الذائم الزغف(١)
إذا سابق النظار يوماً لغاية ... من العلم لم يسبقه في حلبة طرف
ولو لا تعزينا بمن مات قبله ... لما كف عن نثر الدموع لنا طرف
وان الليالي مودعات قسيها ... سهاما لها الرامي النوائب والحتف
على ان في ابنائه الغر إذ قضى ... غناء اذا ما البحث عز له كشف
سقى قبره مزن الرضى أنه مضى ... وما كف عن بذل الجميل له كف

امين افندي بن حسين بن عمر المنجكي العجلاني الشافعي شيخ المشايخ في دمشق

كان رجلاً صالحاً شهماً تقياً نقياً حافظاً لكتاب الله كثير التلاوة ، وله

---

(١) الزغف : السحاب الذي أراق ماه وهو مجلل للسماء .

من الخشوع والتدبر والخضوع ما يشهد له بكمال الصلاح والفلاحة والنجاح ، وكان قليل الاختلاط مع النـاس ، دائم الجلوس غالباً في جامع بني امية ليس له بغير الطاعة والعبادة استئناس ، وقد انتقلت اليه بعد موت والده مشيخة الحرف والصنائع وأهل الطرق . وكان شهماً مهاباً جميل الصورة لين الجانب حسن المعاشرة سامي القدر مقبولاً عند الناس . مات رحمه الله تعالى سنة الف ومائتين ودفن[1] في مدفنهم المعلوم .

الشيخ امين بن الشيخ عبد الستار بن الشيخ ابراهيم الاتاسي الحمصي

عين الزمان وعينه ، لو حلف الدهر ليأتين بمثله حنثت يمينه ، فهو شخص كله كرم وجود ، وما من فضل إلا لديه ثابت موجود ، موارد معارفه سائغة ، وملابس عوارفه سابغة ، مع شيمة لو انها في المـاء لطافتها ما تغير ، وهمة لو تمسكت بها يد النجم ما تغور ، واياد روائح غوادي ، كنسيم الروض غب الغوادي ، ولد رحمه الله سنة السبع والعشرين بعد المـائتين والألف ، ونشأ في حجر والده ، وقرأ عليه في المعقول والمنقول ، إلى أن صار من خلاصة الفحول ؛ وكان ذا شفقة ومروءة وهمة ، وإسعاف للفقراء والمساكين ، كثير البشاشة والاقبال على القاصدين والواردين . وبعد وفاة والده حضر الى دمشق الشام ، واخذ عن السادة الاعلام ، كالشيخ عبد الرحمن الكزبري ، والشيخ سعيد الحلبي ، والسيد محمد عابدين ، والشيخ عبد اللطيف مفتي بيروت . ثم ذهب الى وطنه الشهير ، وتولى وظيفة التدريس بعد والده في الجامع النوري الكبير ، في كل يوم جمعة بعد الصلاة ، وفي شهر رمضان من ابتدائه الى قرب منتهاه . ولم يزل على حالته السنية ، الى ان وافته المنية ، غرة ذي القعدة الحرام سنة ثمان وثمانين بعد المائتين والالف من هجرته عليه الصلاة والسلام.

---

(١) بياض في الأصل .

الشيخ امين افندي بن المرحوم العلامة محمد سعيد افندي الاسطواني الدمشقي

نخبة السادة الأكابر ، وعمدة القادة ذوي المفاخر ، من ورث المجد كابراً عن كابر ، وتسلسل في العلم واغترف من تيـاره الى ان قيل كم ترك الاول للآخر ، فلا ريب انه العالم الاوحد ، والفاضل الهمام الأمجد ، توفي رحمه الله تعالى سنة اثنتين وخمسين ومـائتين والف ودفن في مقبرة الدحداح بالقرب من ضريح ابي شامة .

الشيخ امين بن عبد الغني بن محمد بن ابراهيم البيطار الحنفي الدمشقي امام جامع السنانية في دمشق المحمية

العالم الزاهد ، والفاضل الورع العابد ، ذو الاخلاق العالية ، والشمائل السامية ، ولد سنة اربع وثلاثين ومائتين وألف في جمادى الثانية ونشأ في حجر الكمال ناهجاً منهج السادة من الرجال ، وقد حضر مجالس الشيوخ الأفاضل ، واخذ عنهم من العلوم ما اثبت له التحلي بالفضائل ، منهم الهمام الذي هو بكل قدر حرى ، الامام الشيخ عبد الرحمن الكزبري ومنهم علامة الأمصار ، والدي الشيخ حسن البيطار ، ومنهم الفاضل الشيخ عبد الله الكزبري ، والشيخ سعيد الحلبي ، وولده الشيخ عبد الله الحلبي ، والعلامة الشيخ حامد العطار ، والشيخ هاشم التاجي ، والسيد مصطفى قزمـا ، والشيخ محمد الحلواني مفتي بيروت ، والشيخ محمد سكر ، والشيخ محمد تلو ، والشيخ عبد اللطيف افندي مفتي بيروت وحضر دروس مشايخ آخرين ، واخذ الطريقة النقشبية على الشيخ محمد بن عبد الله الخاني مقدم هذه الطريقة في جامع السويقة ، واخذ الطريقة الرشيدية في مكة المكرمة على المرحوم الشيخ ابراهيم الرشيد واخذ بالاجازة العامة عن كثير من المصريين حينما

رجع من الحجاز الى مصر من طريق مصر ، ومن حين كماله وهو مشتغل بالعلوم الشرعية والالية ، في داره وفي جامع السنانية ، مع خضوع وكمال ولطف وجمال ، وفي كل ليلة على الدوام يقرأ في كتب فقه أبي حنيفة الشهم الإمام ، بين العشائين في جامع السنانية ، ويحضره الجم الغفير من الناس ويعترفون له بكمال اللطف والايناس ، ولم يزل يترقى مقامه ، ويسمو احترامه ، الى أن توفى سنة الف وثلاثمائة وست وعشرين رحمه الله تعالى .

امين افندي بن محمد بن عبد الوهاب بن اسحق بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد الجندي المعري مفتي دمشق الشام رحمه الله تعالى

إمام أديب ، وهمام أريب ، وعالم فاضل ، وملازم للقيام بالفضائل من بيت له تقوى وعبادة ، وتقدم ورفعة وسيادة ، وأصل ونسب ، ووصل بأشرف حسب ، وله همة قد استوت على محور العلو ، ومروءة قد احتوت على مظهر السمو ، وذكاء قد تعالى على ذكاء (١) ، ورأي لم يرَ أحسن منه راء ، ومعاشرة أجمل من وضأة الحيا ، وملاطفة الذ من نشوة الحميا ، وله نسبة شريفة للسيد العباس ، عم السيد الاعظم سيد الناس ، وقد نظم المترجم نسبه ، وأوضح به أصله وحسبه ، فقال :

الحمد لله القديم الأحد	من غير والد له أو ولد
أوْجدَ آدماً من التراب	لحكمة تدرك بالألباب
ومنه حوا زوجه قد خلقا	وبث منهما أناسا فِرقا
وارسل الرسل اليهم منهم	فأفضل الناس حقيقة هم
وخير كل الانبياء يا فتى	والرسل من في ختمهم لقد اتى
محمد المختار أشرف الملا	من كان خلقه عليهم اولا

---

(١) هو اسم علم للشمس غير منصرف .

فهو رسول الانبياء والرسل ... وبدره بين الانام قد كمل
وشرعه قد نسخ الشرائعا ... وعم بعثـة به المشارعـا
امته قد جاء خير امـة ... وقومه في الناس خير عترة
من آل اسماعيل أهل النسب ... طِراز كل فدفـد (١) وسبسب (٢)
القرشي الهـاشمي المكي ... محـا بسيفه ظـلام الشرك
فهو خلاصة الأنام طرا ... وسيد الآفـاق براً بحراً
صلى عليه ربنا تعالى ... وعم صحـبه بهـا والآلا
وبعد فالبحث عن الانساب ... قال به جمع من الانجـاب
مستأنساً بقول طه الهادي ... في خير موقف وخير نادى
أنا النبي الهاشمي لاكذب ... أنا محمـد بن عبد المطلب
وبعضهم قـال بمنعه وذا ... من محكم التنزيل أيضـا اخذا
وكلهم جاء بما قد أوسعا ... وليس للانسان الا ما سعى
وحاصل الامر بأن الرجلا ... يلزمه في ذاته ان يكملا
من غير ان يعتبر الانسابا ... ومن رأى أفعـاله أعـابا
إذ الانام كلهم من طين ... والشرف الاعظم حفظ الدين
وبعـده فالعـلم والآداب ... من غير أن يدخلهـا اعجـاب
وان يكن ذا نسب عريق ... فهـو أجل ذلك الفريق
وقد يغطى الشخص بالمعارف ... نسبـه في أكثر المواقف
والعلم حقـا فضله يزيد ... فذاك سلمـان وذا يزيد
والغبن كل الغبن للانسان ... خسـارة العلوم والإيمـان
فنسأل الله تمـام النعمة ... ومننـا تشملنـا ورحمـة

---

(١) مكان مرتفع .
(٢) الأرض البعيدة المستوية .

وقد أردت أن أعدّ نسبي ... للحفظ لا للفخر ياذا الأدب
واني أحقر من أن أذكرا ... أو أن أكون في الورى موقرا
لكن بقدر طاقتي أقول ... والعفو من ذي همة مأمول
ونبتدي الآن بما قصدنا ... وما بذا الارجاز قد أردنا
فأشرف الانساب ما كان الى ... خير النبيين الكرام أوصلا
واني بحمده تعالى ... بلقبي واسمي وجدت فالا
محمد اسمي الأمين لقبي ... كذا أتى محمد اسم ابي
ومولدي ارخ غلام مفلح ... في وقته حكاه حبر صالح
مسكننا معرة النعمان (١) ... ومعدن السخاء والإيمان
ووالدي المذكور مفتيها ومن ... غدا على شرع النبي مؤتمن
كم نشر العلم بها وعلما ... وقام بالإصلاح لما سلما
اليه في محفلها يشار ... وهو بها للكل مستشار
ينصح للدين وللولاة ... وللرعايا سائر الأوقات
وكان بالصلاح غير متهم ... وفي جميع القطر بدراً وعلم
مدرس في الدولة العليه ... خليفة للسادة الصوفية
يخدم سبعة من الطرائق ... في رتبة الإرشاد والحقائق
عليه جزؤ من فراشة الحرم ... وروضة المختار أشرف الأمم
والده كان إماماً صالحا ... خطيب قومه وفيهم فاصحا
يعرف بالعابد للوهاب ... ابوه اسحق بلا ارتياب
كذا ابوه عابد الرحمن ... وحسن ابوه بالإعلان
والده محمد الجندي ... وذكرنا الآن بذا محكي

---

(١) بلد أبي العلاء المعريّ التنوخي مولداً وإقامة ووفاة (سنة ٤٤٩ هـ) وهي على طريق المسافر بين حماة وحلب .

وهو ابن احمد بن ابراهيما ... ابوه ياسين غدا كريما
قطب لقد شرف بكفالونا ... إذ كان في أرجائها مدفونا
بقرب اداب وفيها قوم ... مافي انتسابهم اليه لوم
شهرتهم بالجوهري تعرف ... وهم بأثواب الصلاح شرفوا
همو بنو أعمامنا بلا خفا ... وكلنا غدا بذا معترفا
ثم ابو ياسين ابراهيم ... وهو ابن عبد الله يافهيم
والده عبد الكريم الزيني ... ابوه احمد شهاب الدين
يعرف بالمكي والسواح ... وهو الذي جاء لذي النواحي
ابن الأمير وهو عبد الله ... ابن الأمير يوسف ذي الجاه
والده عبد العزيز السامي ... وهو ابن منصور الأمير النامي
وهو ابو جعفر الخليفة ... منتصر بالله دون خيفة
ابن محمد الأمير الظاهر ... وهو ابن احمد الأمير الناصر
ابن الامير حسن الخليفة ... ابي محمد جمال الكوفة
ابن الامير يوسف المستنجد ... بالله وهو ابن الفتى محمد
خليفة يقفو لأمر الله ... ابن الامير احمد المباهي
وهو ابن عبد الله والمقتدر ... لقبه وفضله لايحصر
خليفة ابوه بالذخيرة ... محمد يعرف بين الخيرة
وهو ابن عبد الله أعني القائما ... لله بالامر وكان راحما
ابن الامير احمد الخليفة ... شهرته بقادر معروفة
وهو ابن جعفر بن جعفر وذا ... ابوه احمد وعنه أخذا
ابن الامير طلحة بن جعفر ... ابن محمد سراج الاعصر
يعرف بالمعتصم الكرار ... والاسد الغضنفر المغوار
وهو ابن هارون الرشيد من غدا ... بنوره في الخافقين يهتدى
خليفة قام لهذا الدين ... بالنصر والتأييد والتمكين

وهو ابن من لقب بالمهدي محمد ذي المشهد السني
وهو ابن عبد الله والمنصور لقبه وهو به مشهور
عمر بغداد كما قد أرخا أيامه كانت على الناس رخا
ابن محمد وذا بالكامل ملقب في سائر القبائل
ابن علي وهو ذو الثفنات لقبه السجاد أيضاً آتى
وهو ابن عبد الله بحر الامة سراجها في كل مدلهمة
وهو ابن عم مصطفى العباس من كان شمساً في خلال الناس
وكان يستسقى به الغمام ولحماه يلجأ الأنام
ومدحه قد جاء في القرآن وكم حديث صح في ذا الشان
وهو من اصحاب العباء مره وكم تحامى المصطفى وسره
مسكه بيده الشريفه في ملأ صفاته منيفه
وقال هذا دون شك عمّي صنو ابي وهو دمي ولحمي
فمن يواليه فقد والاني ومن يعاديه فقد عاداني
وحفظ حرمتي بحفظ حرمته واشهد الله على مقالته
ولو اردت ذكر ما قد وردا في مدحه لطال ذلك المدى
لكنني اختصرت واختصاري لا شك فيه بلغة للقاري
ولنرجع الآن إلى ذكر النسب وعد هاتيك الجدود والعرب
وان يكن ذلك امر مشتهر لكن على السالك أن يقفو الأثر
فاسمع هديت سبل الرشاد ومن هنا أشرع بالمراد
فوالد العباس عبد المطلب وهو ابن هاشم اليه قد نسب
والده عبد مناف بن قصي ابن كلاب مرة له ابي
وهو ابن كعب بن لؤي يافتى ابوه غالب بن فهر ثبتا
وقيل إن ذا قريش وعلى أصح الاقوال بنوه الأُصلا
وهو ابن مالك ابوه النضر ابن كنانة كرام طهر

ابن خزيمة الذي ابوه ... مدركة كذاك حرروه
والده الياس جده مضر ... ابن نزار بن معد الغرر
وهو ابن عدنان وهذا آخر ... ما صح في الأنساب وهو ظاهر
وبعده فاترك مقالا زورا ... وكن على ما قلته مقصورا
وفي الحديث كذب النساب ... ما فوق عدنان وما أصابوا
لكنني اذكره استطرادا ... ليستفيد منه من ارادا
وليس مقطوعا به لما سبق ... وإنما عليه جمع اتفق
وجاء في أكثره اختلاف ... وسرده في مثل ذا انصاف
وإنني أذكر باختصار ... كيلا يطول فيمل القاري
أقول عدنان أبوه أدُّ ... وأدد يتلوه إذ يعد
وأدد بن اليسع المحترم ... ابن الهميسع الكريم العلم
ابن سلامان بن بنت بن حمل ... وهو ابن قيذار بلا بسط جمل
وهو ابن اسماعيل نخبة العرب ... وقطب محراب المعالي والرتب
ابن الخليل وهو ابراهيم ... صلى عليه ربنا الرحيم
ابوه ناراح وقيل آزر ... كلاهما شخص ولا تغاير
وهو ابن ناحور بن ساروغ كما ... رأيته بخط بعض العلما
فرغوٌ بن فالغ بن شالخ ... ألحق به أرفخشذ في الراجح
وهو ابن سام بن نوح النبي ... وهو بن لامك كما في الكتب
ولامك وملك اسماء ذا ... فإن تجد أحدها لاتنبذا
واسم أبيه متوشلح إلى ... أنوش أعني نجل شيث وصلا
وشيث ابن آدم ابي البشر ... وزوجه حوا كما قد اشتهر
وان ذا اقرب ما رأيته ... وعن ذوي التاريخ قد رويته
فاحفظه غير جازم بصحته ... واقصر اذا سئلت عن تلاوته
واني استغفر الله فلا ... يبعد ان في مقالي زللا

ثم الصلاة والسلام الابدي   على النبي الهاشمي محمد
افضل أهل الأرض والسماء   واشرف الجدود والآباء
وآله وصحبه الكرام   والحمد في المبدأ والختام

فقد علم من النظم أن المترجم قد ولد في مدينة معرة النعمان سنة الف ومائتين وتسع وعشرين وتربى في حجر والده ، ثم انه في سنة مائتين واربعين سافر مع والده الى حمص ، وأقام معه بها إلى سنة ثمان واربعين ، وكان قد حفظ تلك المدة في الاقبال على الطلب في فنون متعددة على والده وغيره ، ثم عاد مع ابيه الى الوطن ، ولم يزل على طلبه وترقيه الى عام ثلاثة وخمسين ، فتقلد القضاء في المدينة المرقومة ، وكان يظن ان ذلك يكون له منحة عظيمة ، فكان له محنة وبلية جسيمة ، فتعارك مع الاقران ، وتخاصم مع نواب ذلك الزمان ، وتعاقبت عليه الغوائل ، فألقته في بحر عميق بلا ساحل ، فلم يكن له ملجأ سوى صاحب الرسالة ، وحاشاه ان يهمل أقاربه وآله ، فخلصه الله من كروبه ، وأوصله من خذلانهم الى مطلوبه ، ولذلك كان كثير التوسل بجنابه ، دائم الصلاة عليه وعلى آله وأصحابه . وقد اجتمع بكثير من الأدباء ، وعَدَدٍ غزير من العلماء ، من اكابر سادة عصره ، الكائنين في مصره وفي غير مصره ، كالعالم العلامة ، والحبر البحر الفهامة ، السيد الشيخ وفا افندي الحلبي المتوفى في اواخر شهر ربيع الأول سنة الف ومائتين واربع وستين ، وكالعالم الأديب الأريب الشيخ امين افندي الجندي الشاعر الماهر المشهور ، وغيرهما ممن طاب في الأنام ذكره ، وطلع في أوج الرفعة بدره ، وفي يوم السبت الثامن والعشرين من ذي الحجة الحرام ، سنة احدى وستين حضر الى الشام ، مطلوبا من واليها هو وأبوه لأمر سياسي اقتضى ذلك ، وفي نصف صفر

الخير سنة اثنتين وستين حضر فرمان (مرسوم) سلطاني باقامتهما في الشام ، وداما في هذه الغربة الى غاية شهر المحرم الحرام ، سنة ثلاث وستين ومائتين والف فحضر الفرمان العالي باطلاقهما بهمة محمد نامق باشا مشير الأوردى الهمايوني الخامس ، فخرج مع أبيه من دمشق يوم الاثنين رابع وعشري صفر من السنة المرقومة ، ودخلا الى المدرة يوم الاثنين غرة شهر ربيع الاول ، وتوجه على ابيه منصب الفتوى وعليه منصب القضاء ، بعد عزلهما من هذين المنصبين من حين طلبهما الى الشام ، وفي سنة الف ومائتين واربع وستين رابع عشر شهر شوال يوم الاثنين توفي والده ، واسترحم عموم الاهالي بوضع المترجم مكانه مفتياً ، وكان إذ ذاك شيخ الإسلام احمد حكمت عارف بك فتوجه عليه الافتاء من غير مهلة ، ولم يزل مفتياً الى اوائل المحرم سنة ست وستين ، وفي هذا التاريخ حضر له رسالة من صاحب الدولة محمد امين باشا مشير الأوردي الهمايوني الخامس (الجيش السلطاني) يأمر المترجم بحضوره الى الشام ، ليكون كاتب عربي الأوردي المرقوم ، فبعد الاستعفاء المقابل بعدم القبول ، حضر الى الشام في غرة جمادى الأولى من السنة المرقومة ، وحصل له جاه وقبول عند المشير المومأ اليه لما حاز عليه من الأوصاف المرغوبة ، والألطاف المطلوبة ، والمعارف الكاملة ، والعوارف الشاملة ، ولم يزل عنده معظماً منظماً ، الى ان توفي المشير المومأ اليه رحمه الله وذلك في اليوم الثالث عشر من شهر ذي القعدة الحرام الذي هو من شهور سنة الف ومائتين وسبع وستين ، ودفن في تربة الشيخ الاكبر في صالحية دمشق الشام ونظم المترجم له ابياتاً كتبت على بلاطة قبره وهي :

بشرى دواماً للمشير امين ... نال المنى بجوار ذي التمكين
بحر العلوم العارف الغوث[1] الذي ... هو قطب مركز عالم التكوين

---

(١) بينا في مواضع من هذا الكتاب ما في هذا الغلو من خطر على عقيدة التوحيد ، فان طلب الغوث من أهل القبور أنفسهم ، وجعلهم قطب مركز عالم التكوين في طلب الحوائج وزوال الشدة ، وتفريج الكرب ، كل هذا لا يدخل في دائرة الأسباب والمسببات بحال ، بل هو توسل الغلاة والجهال ، فلا تطلب هذه المطالب إلا من ذي العزة والجلال .

شمس أضاء الكون نور سنائها ويتيمة ما انثنيت بقرين
ختم الولاية للبداية وارث كنز على الأسرار غير ضنين
قد كان يعشقه المشير بطبعه عشقاً تخلص من ريا تلوين
والفضل يعرفه ذووه بلا مرا وكفى بهذا القدر من تحسين
والمرء يحشر مع محبيه أتى في سنة الهادي البشير امين
ولذا أشرت إلى الضريح مؤرخاً هذا حبيب الشهم محيي الدين

وبقي في مصلحته وكتابته لدى كل مشير بعد موت المشير المرقوم الى أن حضر عبد الكريم باشا في سنة ثلاث وسبعين ومكث مدة قليلة ثم عزل عن الأوردى الخامس وتوجه لعهدته ارد والاناطولي فاستصحبه معه بوظيفتي الكتخداية (وكالة الشؤون الخاصة) وكتابة ديوانه الى مركز الاردو الهمايوني (الجيش السلطاني) وهو بلدة الارزنجان ، فأقام هناك دون أربعة أشهر ثم توجه بالاذن الى طرابزون ومنها في البحر الأسود الى دار السلطنة العظمى وكان دخوله يوم عاشر المحرم سنة أربع وسبعين فأقام خمسة أشهر ، ثم حضر الى الشام الى مصلحته الأولى وهي كتابة العربي في اردو وعرب ستان ، ثم في سنة ست وسبعين في نصف شهر جمادى الأولى عاد لدار السعادة حيث ان الصدارة العظمى احيلت لعهدة قبريسلي زاده محمد باشا لوعد كان وعده به ، وبعد وصوله بأيام قلائل عزل الباشا المشار إليه ، فأقام المترجم أربعة أشهر وعاد لمأموريته بدمشق ، وكان المشير اذ ذاك في الشام أحمد باشا الشهيد . وفي أثناء تلك السنة حصلت وقعة النصارى في جبل لبنان ثم في الشام ، فعينت الدولة لاصلاح سوريا حضرة ناظر الخارجية فؤاد باشا مأموراً مستقلاً فوق العادة ، وعند حضوره إلى دمشق استخدم المترجم بمعيته ثم باعضائية مجلس فوق العادة ، وبعد ذلك انتخبه الى فتوى الشام ، وورد له المنشور العالي في نصف شهر جمادى الأولى سنة سبع وسبعين ومائتين والف ، ثم

لما تولى ولاية الشام محمد راشد باشا وقع بينه وبين المترجم اغبرار ، فأنهى الوالي المذكور بعزل المترجم من الافتـــاء واحالته لعهدة محمود افندي الحمزاوي ، فحضر له المنشور في نصف شهر رمضان المبارك سنة أربـع وثمانين ومائتين والف ، وأقام المترجم المذكور في بيته الى أن صدرت الارادة السنية بتشكيل مجلس كبير في دار السعادة يكون مرجعاً لـكافة المجالس الداخلية والخارجية ، وسمي بشورى الدولة ورئيسه صاحب الدولة مدحت باشا ، وقسم هذا المجلس الى خمس دوائر العدلية والملكية والمالية والنافعة والمعارف ، ولكل دائرة رئيس يسمى معاوناً الرئيس الأول وهو مدحت باشا المشار إليه ، فوظفت الدولة العلية المترجم المذكور فى شورى الدولة ، فخرج من الشام في يوم الأحد خامس عشر ربيع الأول سنة خمس وثمانين ومائتين والف وكانت عضويته في دائرة الملكية ، ثم توجهت عليه بأية مولوية مكة المكرمة مع النيشان (الوسام) المجيدي من الرتبة الثالثة ، وذلك في السابع والعشرين من شوال المكرم سنة خمس وثمانين ومائتين والف ، وفي غرة ذي القعدة من السنة المذكورة توفي ولده محمد زكي افندي ، فأخذ المترجم رخصة انه يتوجه إلى الشام ، ويبقى نحو اربعـــة أشهر لتنظيم أمر بيته ، وكان ذلك في أوائل ربيع الأول سنة ست وثمانين ، وبعد مضي المدة المذكورة توجه الى الاستانه بجميع عياله ، وفي رمضان سنة سبع وثمانين عصي على الدولة أمير جبل عسير المجاور لليمن المسمى محمد باشا بن عائض ، وجمع كثيراً من قبـــائل العربان ، وحاصر بلدة الحديدة التي هي مركز المتصرفية ، وصدرت الارادة السلطـانية بسوق فرقة من العساكر النظامية من دار السعادة تحت رياسة رديف باشا الفريق ، وتوجيه المترجم قوميسيراً (مفوضاً) وقاضياً مع الفرقة المرقومة ، وقد حصل للمترجم تأخر بسبب مرض اصابه ، ثم جاءت اخبار بظفر العساكر بالأمير المرقوم واعدامه وتشتيت أعوانه وجنوده ، وبسوء حال علي باشا شريف متصرف

اليمن ، فأمرت الدولة العلية بارسال مأمور لتحقيق أحوال الباشا المشار اليه وغيره ، فانتخب مجلس الوكلاء المترجم لذلك ، وصـــدرت الارادة السلطانية بتوجيهه ، وعين له خرج طريق خمسة وسبعون الف قرش ما عدا المعاش ، ثم ضم الى ذلك مأمورية رياسة مجلس تشكيل ولاية اليمن ، بمعاش عشرة الاف قرش ، فذهب الى هناك في ذي القعـدة سنة الف ومائتين وسبع وثمانين ، وبقي هناك مدة موفقاً محترماً ، ثم انه استعفى بعد مدة لعدم موافقة المحل لمزاجه وصحته ، وحضر الى الشام معـدودا من أفاضلها وذوي فضائلها ، الى أن دعته المنية ، للمراتب العلية . وذلك في أواخر محرم الحرام الذي هو من شهور سنة الف ومائتـــين وخمس وثمانين ، ودفن في جبانة مرج الدحداح رحمه الله تعالى .

ومن قصائده التي هي في كعبة الحسن معلقة ، وأشعاره التي تفوق على السلافة المعتقة ، قوله مادحاً خليفة رسول الله ﷺ وهو سيدنا الامام أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه :

إذا ما رماك الدهر بالبؤس والضر ... فكن مستجيراً [١] بالإمام أبي بكر
خلاصة أصحاب النبي بـلا مرا ... وأولاهم من بعده صاح بالأمر
وأفضل أهل الأرض بعد محمد ... وبعد النبيين الكرام بلا نكر
صديق صدوق في المحبة كيف لا ... وما انفك عنه في الحياة وفي القبر
ولم يتلعثم بالاجابة عنـــد ما ... دعاه الى الاسلام خيرالورى الطهر
واخبره عمـــا رأى في منامه ... قديماً وما قصته كاهنة العصر

(١) يقول تعالى في كتابه العزيز : « قل مَن بيده ملكوتُ كل شيء ، وهو يجير ولا يجـــار عليه إن كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله ، قل فأنى تسحرون » (المؤمنون ٨٨ و ٨٩) فالآيات صريحة في أنه سبحانه مالك الملك ، وبيده الأمر كله ، فهو الذي يجير المستجير وحـــده فأنى يصرفون عنه إلى غيره ما داموا مقرين بذلك ؟

فقال نعم والله انك صادق ... وانك انت المصطفى من بني فهر
وانت رسول الله للناس كلهم ... وخاتم كل الأنبياء إلى الحشر
وفي ليلة الاسرا بتصديقه به ... غدا امة والناس في غفلة الكفر
وبالنفس والأموال جاد ولم يزل ... مطيعاً لما يقضيه كالولد البر
وفي الغار ثاني اثنين والله ثالث ... بنص كلام الله في محكم الذكر
بصحبته رب البرية شاهد ... وذلك عند الله من اعظم القدر
وفي يوم بدر في العريش رفيقه ... وحاجبه حرصاً عليه من الغدر
مساعيه في الإسلام جلت فلم تكن ... تقدر أو تحصى بعدٍّ ولا حصر
هزبر له في همة الدين نصرة ... وعزم شديد يجمل السر كالجهر
وفي مدحه كم من حديث مصحح ... رواه لنا حبر يحدث عن حبر
فمنها أبو بكر اياديه لم تزل ... عليَّ وما كافأته آخر العمر
ولو كان بعدي مرسل لم يكن سوى ... ابي بكر الصديق في غاية الفخر
ويوم وفاة المصطفى حين اخطأت ... من الناس آراء لدى كل ذي فكر
فمن قائل لا تخبروا بوفاته ... مخافة ان يرتد قوم على الاثر
فما هو إلا أن دعا الناس مسرعاً ... وقام خطيباً بالمحامد والشكر
وقال ألا من كان يعبد احمدا ... فقد مات إعلاما لمن كان لا يدري
ومن كان منكم يعبد الله مخلصا ... له الدين بالإيمان من عالم الذر
يحقق أن الله حي منزه ... عن الموت قيوم على كل ذي أمر
وقد قال في التنزيل ان محمداً ... رسول خلت من قبله الرسل في الدهر
ولما اتم الآية استرجع الورى ... كأنهم لم يسمعوها من الذكر
وقوى قلوب المؤمنين بوعظه ... وأذهب عنهم غصة الخوف والقهر
فبايعه أهل التكلم بعد ذا ... وخابت ظنون المشركين من المكر
وقام بتجهيز الرسول ودفنه ... فكم طفقت عين على فقده تجري
وأمضى غزاة بأمر المصطفى بها ... فكانت بحمد الله فاتحة النصر

وجاهد أهل البغي بالسيف عندما ... تعدوا الى نقض الشريعة بالكبر
وأجرى له الباري عوائد فضله ... وأيده بالنصر والفتك والأمر
خلافته كانت على الناس رحمة ... واحكامه أحلى من الشهد والقطر
وباغضه لاشك يقتل كافراً ... وان صام أو صلى الى البيت والحجر
فنسأله سبحانه ان يعيذنا ... من الشك والاشراك والبغض والاصر
ويحشرنا في زمرة المصطفى غدا ... ويجعلنا من قومه السادة الغر
عليه صلاة الله ثم سلامه ... وسحب الرضا تنهل بالعز والبشر
على الآل والاصحاب ما أهدت الصبا ... الينا أحاديث الأحبة إذ تسرى
وما غربت شمس وما ذر شارق ... وما دامت الدنيا الى آخر الدهر

وقال رحمه الله يمدح السلطان عبد المجيد خان بن المرحوم السلطان محمود خان العثماني ويذكر فيه اجلاء المصريين الذين هم تحت رياسة ابراهيم باشا بن محمد علي باشا من البلاد الشامية والساحلية وكان ذلك في شهر رمضان المبارك عام ستة وخمسين ومائتين والف فقال (١)

هجم السرور على الأنام مبسملا ... والنصر جاء مكبراً ومهللا
ضحكت ثغور المسلمين وطالما ... بكت العيون دماعبيطاً (٢) مشكلا
غارت ينابيع الفجور وفجرت ... انهار عدل ورد مشربها حلا
وذيول ارجاء الممالك طهرت ... من لوث بغي الخارجين عن الولا
والله أيد دينه بخليفة ... نشر المراحم في البسيط على الملا
ملك به افتخر السرير وأخمدت ... بجلوسه فتن بها الكون امتلا

---

(١) هذه القصيدة طويلة جداً ، حذفنا منها مالا اتصال له بأصل الموضوع ، ورأينا عدم الخروج عنه الى غيره . (المجمع)
(٢) خالص طري .

من آل عثمان الا كارم من بنوا ... في المجد بيتاً لايزال مؤثلا (١)

قوم بهم قامت دعـائم ديننا ... ولجيشهم فتح البلاد مسهـلا

والأرض ميراث لهم من ربهـا ... نص عليهم في الكتاب تأولا (٢)

خلفوا بني العباس في اخلاصهم ... فعلا بهم قدر الشريعة بل علا

قاموا باعبـاء الخلافة حسبما ... يرضى المهيمن مجملا ومفصـلا

لاغرو اذ هم من سلالة هاشم ... نسبا وافعالا فدع من سوّلا

فولاؤهم حفظ لأهل الارض من ... خلف كما جاء الحديث مسلسلا

فالحمد لله الذي قد خصنـا ... بخليفة منهم به الكـرب انجلى

وهو الامام الماجد الشهم الذي ... فاق الملوك مهـابة وتفضـلا

بحر اذا سعت العفـاة لبابه ... وغضنفر تخشاه آسـاد الفلا

وسع الانام مراحما وبعدله ... أضحى الزمـان مجملا ومجللا

مولى رفيع القدر قد نسخت به ... آي الخلاف واثبتت آي الولا

سبحان من جعل التقى جلبابه ... والحلم والبأس الشديد له حلى

ذو همة بالحق عـالية الذرا ... لو قابلت أعلى الجبال تزلزلا

نعم الإله به علينا جمـة ... عن شكرها قصرت عبارات الملا

وصف الخلافة مذ تشرف باسمه ... عنا جلا خطبا جسيما معضلا

عبد المجيد بمجده شهدت لنا ... أفعـاله لازال بدراً أكملا

لا شك يامولاي أنت مؤيد ... والنصر فأل قد أتاك مهرولا

انا قد خدمتك بالمديح مقدما ... في مدة يخشى بها أن يقولا

---

(١) مُعَظَّما .

(٢) « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم » الاية الكريمة في سورة النور نص فيمن اتصفوا بالايمان الخالص والعمل الصالح .

وابحت نفسي في سبيلك حسبة ... لله لا أبغي بذلك معدلا
والآن قد آن المديح وانني ... سأجيد مدحاً فيك لن يتمثلا
فاقبل لعبدك مدحة جاءت على ... عجل ولا تقطع رجا من املا
والحمـــد لله العظيم وشكره ... فرض علينا حيث أحيانا الى
يا رب بالذات العلية ثم بالمختـــــار أفضل من دعا وتوسلا
وبآله والصحب طرا سيما ... من قام منهم بالخلافة أولا
وبتاليه وبالوصي وزوجـــه ... وابنيه ثم بني بنيه على الولا
بالتابعين وبالأئمـــة كلهم ... وبكل حبر في العلوم تغولا
بالقطب عبد القادر الاسد الذي ... عنت الرقاب له وحل المشكلا
وبكل قطب نال منك كرامة ... وكسوته بالقرب ثوباً مسدلا
بالأولياء جميعهم وبمن غـــدا ... وجه الزمان بنورهم متهللا
وبكل عبد قد اجبت دعاءه ... وبمن تجيب اذا دعيت به الملا
ايد أمير المؤمنين وحزبه ... وأدم له منك السعادة والعلا
وانصره نصراً يا قدير مؤزرا ... واجعل له فتح البلاد مسهلا
وأطل بقاه مدى الزمان وعمره ... لنرى منار الدين مرتفعاً على
ألهمه في حق العباد مراحما ... واسلك به سبل التقى كي يعدلا
واقمع بسيف القهر كل معـاند ... واهدم بناء المشركين وعجلا
واجبر بانظار الخليفة كسرنا ... والطف بنا لطفاً عميماً مسبلا
ثم الصلاة مع السلام على الذي ... بمديحه جاء الكتاب مرتلا
والآل والأصحاب والاتباع ما ... وقف الحجيج معرفا وتحللا
او ما الأمين غدا يؤرخ مرجعا ... هجم السرور على الانام مبسملا

وقال رحمه الله متغزلاً في واقعة حال ولكنه زاد ما لم يقع توثيقاً على عادة الشعراء ، وهذه القصيدة ألطف ما قاله :

بدا وجهها في ظلمة الليل كالبدر ... ونم عليها عابق الطيب والعطر
وبشرنا بالوصل عند ابتسامها ... بريق ثناياها الشبيهة بالدر
نهضت اليها فانثنت بلطافة ... تقبلني والدمع من شوقها يجري
وقالت عسى عصر الصدود قد انقضى ... فقلت وقلبي بالغرام على جمر
فدينك ما للعتب يدخل بيننا ... فقد كان ما قد كان في سالف الدهر
فإن أويقات الوصال قصيرة ... فلا تشغليها بالتذكر والفكر
فإن كان قطع الود منك فانني ... عفوت ومني إن يكن فاقبلي عذري
فما لذ للعشاق وصل ممحض ... من الصد والتعنيف والبعد والهجر
ألم تدر ان الدر عز لأنه ... على خطر من يبتغيه من البحر
وما ضرنا ما قد لقينا واننا ... بلغنا ذرى الآمال في آخر الأمر
فهيا بنا نقضي من البسط حظنا ... ودع ماجرى في الكون من بعدها يجري
وعانقتها فانضم ثغري لجيدها ... وألصقت النهدين منها الى صدري
وعاد لها طوقا ذراعي وتارة ... وشاحاً وآنا كالنطاق على الخصر
وظلنا نديو الراح اشرب سؤرها ... وتشرب سؤري ثم تجلس في حجري
ونقلي لماها والمثاني حديثها ... ومصباحنا عقد يضيء على النحر
نميل نشاوى كالقضيب يهزه ... نسيم ونصحو ثم نغرق بالسكر
أوسدها يمناي ثم تضمها ... يساري كما انضم الكمام على الزهر
الى ان أراد الصبح أن يستفزنا ... وقامت جيوش الليل من غيظها تسري
أفاقت وقالت حان وقت افتراقنا ... ونم علينا الرقيب سنا الفجر
فقم نتزود للوداع فما عسى ... يعود لنا هذا التواصل في العمر
فما راعني إلا بكاها وقولها ... فراقك في قلبي أمر من الصبر

فودعتها والدمع مني مسلسل ... على صفحات الخد كالوبل والقطر
وقلت بحقي يامليكة مهجتي ... وبالغنج من عينيك والكحل والسحر
وبالخال والثغر المنضد واللما ... وعقد حباب فيه أبهى من الدر
بحق الدجا من شعرك الفاحم الذي ... به ضل رأيي واستقام به شعري
بفرقك ذي الإشراق والنور والبها ... وما قد تلا من آية الفتح والنصر
بألماس جيد ثم لين معاطف ... وميّاس قدّ فاق عسّالة السمر
بساعة أنس منك نلت بها المنى ... ودارت علينا أكؤس الراح والخمر
بعزك يا أخت الشموس وذلتي ... لديك غراماً ثم بالشفع والوتر
دعي الهجر بعد الآن واستعملي الوفا ... وعودي بوصل واغنمي وافر الاجر
فقالت مناني قر عيناً فإنني ... بحبك في قيد المهانة والأسر
ولا برحت خدي لنعلك موطئاً ... إلى أن يلبيني رائد الموت للقبر
فودعتها بالضم ثم لثمتها ... ثلاثاً وسبعاً ثم عشراً على الاثر
وجرت رداها ثم سارت وأودعت ... فؤادي غراماً لايقدر بالحصر
فيا ليلة ما مر في العمر مثلها ... ترى هل تعودي عن قريب ولا أدري
سلامي على ربع الأحبة كلما ... ترنم شاد حين هيجه قمري

وكتب مراسلاً بعض أحبابه

ولما بان من أهواه عني ... فقدت تصبري وعدمت رشدي
وواصلت السهاد لفرط شوقي ... وأجريت الدموع لعظم وجدي
وعللت الفؤاد فقال دعني ... فما التعليل والتسويف يجدي
ومالي من دواء غير قربي ... لمن أهواه في فرح وسعد
وإن طال المطال عدمت روحي ... وعز عليك يامولاي فقدي
وإن وافيتني من غير مطل ... غنمت الأجر واستبقيت ودي

ومن نثره في خطبة ديوانه رحمه الله تعالى قوله :

لما كان لكل إنسان عين من الشعر ان حركها فارت ، وان تركها غارت ، وكنت قد حركت عين شعري ، فبضت بقطرات قليلة ، رجوت أن تكون لتذكاري فيما يأتي وسيلة ، وإن كان الشعر ليس بمزية يحق بها الافتخار ، فليس هو في حد ذاته منقصة توجب الاحتقار ، حيث جاء بنص الكتاب مدح بعض الشعراء وذم البعض ، وقد تدور عليه الأحكام الأربعة بحسب الإبرام والنقض ، فقد ثبت عنه ﷺ أنه مدح فأجاز ، وأمر بهجو قوم هجوه بضرب من الارجاز ، فقال اهج بإحسان ، نصرك الله باحسان ، وقد ورد في مدح الشعر والشعراء ، من الأحاديث والأخبار مايفوت درجة الاستقصاء ، وقد قال بعضهم الشعر ديوان العرب وبه عرفت الانساب .
وقال سيدي عمر بن الوردي المعري رحمه الله تعالى :

انظم الشعر ولازم مـــذهبي فاطراح الرفد في الدنيـا أقل

وكان في هذا الزمان قد كسد سوقه ، ويبست عروقه ، ونضب ماؤه ، وسكن هواؤه ، وانفقدت دواعيه ، وخسر بائعه وشاريه ، حتى حق لأهله أن يتمثلوا بقول ابن المعتز رحمه الله :

قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة باب الدواعي والبواعث مغلق
خلت الديار فلا كريم يرتجى منه النوال ولا مليـــح يعشق
ومن العجائب أنه لايشترى ومع الكساد يخان فيه ويسرق

هذا وإن الشعر لايخلو من تشحيذ الأذهان ، وترقيق الطباع وتسلية الأخدان ، ولم يزل صاحبه منتصفاً من الزمان ، مستعيناً عـــلى طوارق الحدثان ، وكنت منذ ميزت ، وجدت والدي حفظه الله تعالى أوحد هذا العصر ، في صنعة القريض والشعر ، لكنه غير مكثـــار منه لشغله بالفتوى

والتعليم ، إذ هو فيهما مرجع أهل الإقليم ، فصرت في حالة التعلم أخبط في ذلك ، وأقتحم تلك المفاوز والمسالك ، إلى أن نظمت مايقرأ في سن اثني عشر ، وقفوت في ذلك من أهل هذه الصناعة الأثر ، وإن كان شعري لايحق له أن يكتب ولا أن يقرأ ، لكني أردت أن يكون لي جمعه في هذه الوريقات فيما يأتي ذكرا ، والمرجو من الناظر اليه من الإخوان والسادات ، أن يغض طرفاً عما يجده فيه من الهفوات ، وأن يصلح منه ماهو قابل للاصلاح ، فالحر لايزال صفاح ، وإلا فمن أين للانسان أن يستكمل جميع الاوصاف ، وقد يتلافى المرء قصوره بالاعتراف ، ورتبت ديواني هذا على مقدمة وأربعة أبواب ، إلى آخر ماقال وهو ديوان لطيف ، يشهد لمنشئه بالمقام العالي المنيف .

ومن كلامه هذا الموشح الذي مدح به السيد الأعظم ﷺ

شادن تاه علـــى بدر السما   وتحـــلى برداء سندس

وببيض اللحظ والسمر حمـــى   خمر ريق في ثغـــير ألعس

دور

يالقومي من مجيري من رشـــا   مستطيل الحكم في أهل الغرام

لم يدع فيهم صحيحاً مذ نشا   غـــير مطعون بخيزور القوام

وله الالباب حقاً والحشـــا   عشقا من قبل أن يخلق ســام

ووجودي فيه أضحى عدمـــا   مذ بأنواع الكمالات كسي

وغدا الخد شقيقاً عندمـــا   عندمـــا سل سيوف النرجس

دور

لذ لي خلع عذاري (١) في هوى   من سبا الالباب في سود الحدق

مسدلاً ليلًا طويلًا قـد هوي   وله الفرق تراءى كالفلق

---

(١) خلع عذاره : أي اتبع هواه بلا مبالاة .

وعلى وجنته خـالا حوى أمن المسك له الباري خلق
بهرمان[1] الخد حاذى عنما[2] طاب هذا محتداً في مغرس
مالعمري ذاك من طين ومـا هو نور جـاءنا في ملبس

دور

إن قلبي لحبيبي قد صبـا وعلى مائدة الحب طفل
لم أزل مستنشقاً ريح الصبـا حيث من دار اللوالي قد وصل
أنا إن مت بحبي وصبـا لم أحل عن عشقه مهما حصل
كيف أسلو من إلى العرش سما وتدلى للجنـاب الاقدس
في حديث صححته العلمـا ورواه مـالك عن أنس

دور

عين أعيان البرايا والملا سيد الرسل ومصباح الهدى
من أقام الدين حتى أن علا وسقى السم من السيف العدى
وأتى بالحق مذ عنـا جلا ظلمة الشك وأوثاق الردى
من عليه الضب حقاً سلمـا وله الظبي شكا فعل المسي
كم وكم ابرأ عيناً من عمى فاجتنب أفعال أهل المجس

دور

أيها العاصي الذي قد غرقـا في بحار الذنب أسرع مقبلا
وتيمم كعبة لن ترتقى وهزبراً أسـداً لن يبسلا
خير من صام وصلى واتقى ورقى الذروة من عهد بلى
لم يفه قط بلا ، لا ، أو بما لفقير جـاءه او مفلس
من يوافيه يلاقي حرَمـاً فيه املاك السما كالحرس

دور

---

(١) البهرمة : زهر النّور ، وتبهرمَ : احمر من البهرمة .
(٢) العنم : شجر له ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضوب ، والواحدة العنمة .

يارسولاً للبرايا بعثا رحمة انعم بها من رحمة
كل مجـد وكمال ورثا حسن الخلق عظيم الخلقة
طاب لي فيه مـديحي والرثا تارة خنسا وكالنـابغة
فتراني في هواه كلـما قصر الركب حداهم جرسى
وإذا أنشدت بيتاً قيل مـا وضـع الرخ مكان الفرس

دور

لي ذنوب وخطـايا حملهـا انحل الجسم وأعيا البدنا
وفؤاد ليس من أهل النهى قط عن فعل المعاصي مـادنا
فإذا أبصر أوقات الهـا من وراء الشام يأتي عدنا
وعن التقوى تراه نائمـاً مثل ميت في قرار الجدس
ان يقل لم ذا يقل كن كيفما شئت إلا الشرك لاتأت تسى

دور

وتمسك بجناب المصطفى أحمد الهـادي رسول الواحد
سيد الكونين حقاً لا خفـا ماجد من ماجد من مـاجد
حسبي المختار جدي وكفى فهو باب الله كهف الشارد
شافـع الامة في يوم الظمـا حين يجثو آدم مـع يونس
وتراه ضاحـكا مبتسما مابه من خيفة أو وجس

دور

وعليه الله صلى سرمـدا مـع سلام متناه أكمل
ماسرى الركب مجداً وحـدا نحو سلـع موجزاً بالرمل

أو محب من غرام عربدا كنديم بمدام ثمل
وعلى آل وأصحاب غدا فضلهم مثل شهاب القبس
في غدٍ يسقون كأساً ختما بختام المسك طيب الأنفس

وقال وقد اقترح عليه بعض الأعيان بحماة مدح خال ملاصق لشفة المحبوب :

من الزنج خال في رياض خدوده اقام زمانا في النعيم المكمل
رأى وردة فاقت فرام اغتيالها فصادفه وشي العذار المسلسل
فقيده في جانب الثغر حارساً فوا عجبا لص على الدر قد ولي
وفضله شهير ومن أراد معرفة بيانه فليبادر إلى مطالعة ديوانه [1]

انيس افندي قصاب حسن الدمشقي

عمدة النبلاء ، ونخبة النجباء ، ولد سنة تسع وثلاثين ومائتين والف ونشأ في حجر والده بالنعمة والرفاهية ، والراحة والنزهة السامية ، وهو من بيت ذي ثروة وغنى ، وشهرة موصلة لإدراك المنى ، غير أن المترجم المرقوم ، قد عاكسه الحظ المشؤوم ، فحاربه أوانه وما صفا له زمانه ،

---

(١) وله آثار لطيفة ، منها علم الحال للمدارس ، وترجمة رسالة في فضائل الشام ، وشرح رسالة الشيخ رسلان الدمشقي في التصوف ، ونظم أسماء أهل بدر ، ونظم نسبه العباسي ونظم قصة المولد .

عرفت هذه الأسرة بالجندي نسبة إلى جده محمد الملقب بالجندي المدفون قريب ادلب مع جده الأعلى . وأول من سكن المعرة من أجداده حسن بن محمد الجندي ، وهو جد هذا البيت ، وأصلُ هذه الشجرة الممتدة فروعها في حلب وحماة وحمص ودمشق وغيرها من البلاد ، وكانت وفاته سنة ١٢٩٥ هـ ودفن بالذهبية في مقبرة الدحداح . منتخبات التواريخ لدمشق (ج ٢/ ٦٤٤) .

بل حالفه على العناد ، وخالفه في كل مراد ، فكان يخدم الحكومة السنية ، في الأمور الجزئية ، ومن قوله متوسلاً :

غافر الذنب وعلام الغيوب   قابل التوب وستار العيوب
راحم الخلق وغوث المذنبين   ارتجي من عفوه غفر الذنوب

ومن قوله مخمسا :

خذ نشأة الأفراح قبل ندامة   والزم اويقات الصفا بسلامة
ودع العذول يطيل شرح ملامة   جمرات همك فاطفهـا بمدامة
وادي العقيق بلونها موصوف

شمس محياها الهلال بلاخفا   راح ثرياها مكالة الشفـا
البدر ساقٍ والصباح على الوفـا   والكأس زمزم والمقام لنا صفا
والحب يسعى والحباب تطوف

وقال أيضاً

بخد قـد حكى ورداً ودرا   وَفاً خـال بروضته تدرا
أقـاد لأمره مهما تجرا   ولو أمسى على تلفي مصرا
لقلت معذبي بالله زدني

وصل شغفي بهجرك بالتـأني   وللعذال فاحذر أن تؤني
ولا تسمـع ندا ندبي وأني   ولا تسمح بوصلك لي فاني
أغار عليك منك فكيف مني

وقال

ظـبي أنس تم وصفـا   قام يجلو الراح لطفـا
من بقايا اللثم رشفـا   صبها بالكأس صرفـا
غلبت ضوء السراج

من سناهـا الحي نارا   والشجى منها استنـارا

مذ رآها الحب حـارا ظنهـا بالكـأس نارا
فطفاها بالمزاج

وقال

قلوب العـالمين صبت اليه وقلبي في الهوى رهن لديه
واني من ألستُ به ولوع فيا عشـاقه صلوا عليه

وقال

ياكثير الصد والهجران جد لقتيل في هواك اليوم جد
بدر تم سلب العقل وقـد أمر القلب وللقلب وقـد
ملك الروح عيـانا وادعى بالذي أبقـاه سقمي بالجسد
فتش القلب سوى حبي له في سويداه حبيبي مـاوجد
إن تبدى ركع البدر له وإذا ماس له الغصن سجـد
وحد الخـال على وجنته ولنـار الخد رغماً قد عبد
سبحت أملاك جفنيه رضـا وهلال الفرق لله حمد
ثغره دراً وطيباً قد حوى واللمى ماء الحيا فيه ورد
جل من قد صور الحسن به وأذاب الجسم في مطل الوعد
بعده قد حرم الجفن الكرى وادعى لي آية الليل رصد

وله ديوان طويل عريض قد نظم فيه أنواع القريض . توفي رحمه الله وأحسن مثواه سنة الف وثلاثمائة وثمان تقريبا .

الشيخ أنيس الحمصي الواعظ رئيس المؤذنين في جامع بني أمية

ولد بدمشق الشام ، وقرأ على السادة الأجلاء الأعلام ، كالشيـخ سعيد الحلبي والشيخ عبد الرحمن الكزبري والشيخ عبد الرحمن الطيبي وغيرهم وكان تقياً نقياً صالحا ، زاهداً عابداً ناجحا ، كثير البكاء ، والخشوع والتضرع في الدعاء ، وكان كثيراً مايقرأ من كتب الوعظ في جامع بني أمية في التركية والعربية . غير أنه كان يغلب عليه الخفة والطيش فلذلك لم يكن

له ثبات على حالة واحدة ، فلو مدح إنسانا في وقت بغاية المدح لم يكن وقت مذمته بعيداً ، وربما يرتكب هذه الحـــالة في دروسه العامة فيمضي درسه بين مدح وذم ولم يزل على ذلك ، إلى أن أوردته المنية مورد المهالك ، توفي يوم ثالث وعشرين من شوال سنة ثمان وتسعين ومائتين والف ودفن في مقبرة باب الصغير رحمه الله (١)



(١) كان يعظ النساء كلّ يوم في مشهد الحسين ، ويعلمهن دينهن وإطاعتهن لأزواجهن ، وله فكاهات أثناء وعظه غريبة ، وحكايات يتناقلونها في المجالس ، وقـد بقي اسم جماعة المؤذنين بنوبة الحمصي إلى اليوم ا هـ (من المنتخبات) .

حرف الباء

الشيخ بلبل افندي بن عاشر افندي
الواعظ في جامع بني أمية في دمشق المحمية

عالم عامل ، وزاهد فاضل ، كثير البكاء والخشوع ، كأنه على العبادة والتقوى مجبول ومطبوع ، وكان له في الوعظ اسلوب حسن ، والقــاء مستحسن ، تتأثر منه القلوب ، تكاد من تأثرها أن تذوب . توفي رحمه الله سنة إحدى وستين ومائتين والف في اليوم الخامس عشر من المحرم الحرام .

الشيخ بهرام بن احمد العارفي القسطنطيني
الأصل الحلبي المولد والمنشأ مقدم الحنفي

أحد الأعيان الكتاب في الدولة العثمانية ، مولده خامس عشر ربيع الثاني سنة ثمان وثلاثين ومائة والف ، وكان والده من وزراء الدولة والفضلاء المشهورين ، وبعد أن قتل تقلبت بالمترجم الأحوال حتى استقر بدار السلطنة القسطنطينية ، وتولى بعض المناصب التي تتعلق بأعيان الكتاب ، وكان من نبلاء الكتاب وأدبائهم ، وله حسن ترسل وإنشاء ، ويحب العزلة والانزواء ، ولا يختلط بالناس إلا قليلا ، ولا يتردد الى احد من أعيان الدولة ولا من رؤسائها . توفي بعد الألف والمائتين .

بُنَيَّة بن قرينس الجربا الطائي من بني طي قوم حاتم الطائي

الجواد المشهور ، والكريم الذي هو بأنواع الكرم مذكور ، الذي يضرب به المثل ، وكان لقاصده فوق مايتعلق به الأمل ، نقل الشيخ عثمان بن سند البصري بأن بنية (بضم الموحدة وفتح النون وتشديد الياء التحتية وهاء التأنيث) وهو من رجال العرب وكرمائها ، وله كعمه فارس عند الوزير علي باشا أبهة عظيمة ، وصدارة وتقديم . وأما شجاعته فكان يحاكي بها فارس النعامة [١] ، وأما كرمه فكان يحاكي به البحر الخِضم ، وأما منع الجار وحمايته من كل مكروه ، ومساعدته على كل مطلوب ، ورعاية جانبه بكل مرام ، فهو في الذروة العليا منه والناس يحذون حذوه ، كأنه قال فيه الشاعر ، يصفه ببعض مافيه من المفاخر :

لقد علمت نسوان همدان أنني ... لهن غداة الروع غير خذول

وأبذل في الهيجاء وجهي وإنني ... له في سوى الهيجاء غير بذول

وأما غض الطرف عن جاراته فكأنه فيه البنت العذراء من الحياء ، وكان لسان حاله لدى كل داهية دهماء ، أو واقعة عظيمة ، ينشد قول السموأل [٢] بن عادياء :

---

(١) هو الحارث بن عُباد البكري أبو منذر ، شاعر حكيم ، في أيامه كانت حرب « البَسوس » فاعتزل القتال ، ثم إن المهلهل قتل ولداً له ، فثار الحارث ونادى بالحرب ، وارتجل قصيدته المشهورة ، التي كرر فيها قوله :

« قرِّبا مربط النّعامة مني »

والنعامة : فرسه المشهورة . توفي نحو ٥٠ قبل الهجرة .

(٢) شاعر جاهلي أو يهودي من سكان خيبر ؛ وهو صاحب الحصن المعروف بالأبلق بتيماء في جنوب الشام ، وقد اشتهر بهذه القصيدة اللامية . توفي : نحو ٦٥ عاماً قبل الهجرة .

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل
وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس الى حسن الثناء سبيل [١]
تعيرنا انا قليل عديدنا فقلت لها ان الكرام قليل
وما قل من كانت بقاياه مثلنا شباب تسامى للعلا وكهول
وما ضرنا انا قليل وجارنا عزيز وجار الأكثرين ذليل
لنا جبل يحتله من نجيره منيع يرد الطرف وهو كليل
رسا أصله تحت الثرى وسما به إلى النجم فرع لايزال طويل
وإنا أناس لانرى القتل سبة إذا مارأته عامر [٢] وسلول [٣]
يقرب حب الموت آجالنا لنا وتكرهه آجالهم فتطول
وما مات منا سيد حتف أنفه ولا ضل [٤] منا حيث كان قتيل
تسيل على حد الظبات نفوسنا وليست على غير الظبات تسيل
ونحن كماء المزن مافي نصابنا كهام [٥] ولا فينا يعد بخيل
وننكر إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول
إذا سيد منا خلا قام سيد قؤول بما قال الكرام فعول
وما خمدت نار لنا دون طارق ولا ذمنا في النازلين نزيل

---

(١) نسب هذين البيتين في « الشعر والشعراء » لدُكين بن رجاء الفُقَيمي (من تميم م : سنة ١٠٥ هـ .

(٢) عامر بن صعصعة ، بطن من هوازن من قيس بن عيلان العدنانية ، كانوا بنجد ثم نزلت طائفة منهم الطائف .

(٣) سَلول بن مُرة بن صعصعة : قبيلة فخذ من هوازن ، في شمالي الجزيرة العربية .

(٤) الرواية المعروفة : ولا طُلّ : أي لم يؤخذ له بثأر .

(٥) المزن : المطر ، والنصاب الأصل ، والكهام : الكليل الحد ، أي نحن كالغيث ينفع الناس ، وكلّ منا نافذ ماضٍ ، ولا فينا بخيل .

وأيامنا مشهورة في عدونا   لها غرر مشهورة[1] وحجول[2]
وأسيافنا في كل شرق ومغرب   بها من قراع الدارعين فلول
معودة أن لاتسل نصالها   فتغمد حتى يستباح قتيل[3]
سلي إن جهلت الناس عنا وعنهم   فليس سواء عالم وجهول
فإنا بني الريان[4] قطب لقومهم   تدور رحاهم حولهم وتجول

وَنسَبُ هذا المترجم من أشراف قبيلة طي[5] قبيلة حاتم بن عبد الله الطائي ، وليعلم أن المترجم عبر من الجزيرة لغرب الفرات عندما تولى وزارة بغداد سعيد باشا ، لما بين عمه فارس وآل عبيد الحميريين[6] من الضغائن ، لاسيا أميرهم قاسم بن محمد بن عبد الله بن شاوي الحميري ، وكان سعيد باشا ولى زمام أموره اليه ، فلأجل مابين فارس وقاسم المذكورين من الضغائن

---

(١) الرواية في كتب الأدب : (معروفة) وفيها التفادي عن التكرار .
(٢) أي إن وقعاتنا مشهورة في أعدائنا فهي كالأفراس الغرّ المحجّلة بين الخيل .
(٣) في الأمالي ، وفي شرح ديوان الحماسة : (قبيل) والقبيل : الجماعة من آباء شتّى ، وجمعه : قبل .
(٤) الرواية المعروفة الديّان (بالدال) والديّان : هو يزيد بن قطن الحارثي ، أبو قُطين ، وكان شريف قومه . (تاج العروس في مادة دين) .
(٥) طي : من قبائل الجزيرة : إحدى محافظات الجمهورية السورية ، تعدّ القبيلة الثانية في هذه المحافظة من حيث المكانة والنفوذ وبعد الصيت وعراقة النسب . وطي الحاضرة هي في الغالب متحدرة من قبيلة طي القحطانية القديمة اهـ مختصراً من معجم قبائل العرب القديمة والحديثة للاستاذ عمر رضا كحالة .
(٦) حِمْير : بطن عظيم من القحطانية ، قال الهمداني : حمير في قحطان ثلاثة : الأكبر والأصغر والأدنى (من التاج) .
والحمير : بطن من الفداغة ، من سنجارة ، من شمر الطائية (من عشائر العراق للعزاوي) .

لم يستقر المترجم في الجزيرة ، فنزل بعشيرته على خزاعة [١] في تلك السنة ليكتال ، وكان بين الدريعي العنزي [٢] الرويلي [٣] وبينه ضغائن ، فاقتفى الدريعي أثر بُنَيّة ونزل قريباً منه ، وأرسل الى حمود بن ثامر ، فاستنفره لأنه صديق الدريعي ، فنفر بفرسان عشيرته لمساعدة الدريعي ، وخرج عسكر الوزير سعيد باشا وكبيرهم قاسم بن شاوي ، ومعه عفاريت عقيل النجديون ، وهم من عسكر الوزير إذ ذاك ، لمساعدة من يحارب بنية ، فقامت الحرب على ساق ، وبنية يكر على الفرسان كأنه الأسد ، فبينا هو يطرد بفرسه إذ جاءته رصاصة كانت فيهـا منيته فحز رأسه وأتي به الى وزير بغداد سعيد باشا بن سليمان باشا ، وذلك سنة احدى وثلاثين ومائتين والف .

الشيخ بكوي بن الشيخ حامد
ابن الشيخ احمد بن عبيد العطار الدمشقي

العالم العامل الذي اشرق ضوء شهابه ، والفاضل الذي تقتطف البلاغة من ايجازه وأطنابه ، والجهبذ الذي أوتي الحكمة وهو شاب ، واختار له

---

(١) خزاعة : قبيلة من الأزد ، من القحطانية ، وهم بنو عمرو بن ربيعة ، وهو لُحَي بن حارثة بن عمرو ، قال أبو عُبيد : وعمرو هذا أبو خزاعة كلهـا (من معجم كحالة) .

(٢) نسبة الى عنزة بن أسد : أكبر قبائل العرب في وقتنا الحاضر ، تنتسب الى عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد ، وتمتد منازلها من نجد الى الحجاز ، فوادي السرحان ، فالحماد ، فبادية الشام ، حتى حمص ، وحماة ، وحلب .

(٣) والروالة : قبيلة عظيمة تنتسب الى مسلم من عنزة ، اكبر قبائل العرب في وقتنا الحاضر . (من المعجم وغيره) .

عرفانه سلوك منهج الصواب ، فلا ريب انه مظهر شموس التعبير في التقرير ، وخزانة آداب التدقيق والتحرير ، ومنهاج من أراد الوصول الى المعالي ، ومعراج من رام الحصول على فرائد اللآلي ، حلال المشكلات بثاقب فكره ، ومعطر دروس العلوم بنفثات صدره ، كيف لا وهو الذي أفاد من بدائع الفوائد ، ماهو على رسوخ قدمه في بديع البيان شاهد ، فلقد تفجرت ينابيع حكمه في كل واد ، وأزهرت رياض تقريراته في كل فؤاد ، لم يدع من الفنون فناً إلا دخل حصونه ، وقرأ شروحه وحفظ متونه ، وأما ديانته وعبادته فقد شهد له بها محرابه ، وصيانته أقرّ له بها أترابه وأضرابه ، فهو الفريد الآن في عوالي الشمائل ، والوحيد لمن رام وقوعه على أنفع الوسائل . ولد سنة الف ومائتين وخمسين تقريباً ، ومن سن تمييزه امتاز على امثاله ، بحفظه وإدراكه وأقواله وأحواله ، حفظ القرآن الشريف وهو غلام ، وأقبل على طلب العلم بكل اهتمام ، فقرأ على علماء عصره الأكابر ، وأجازوه بما تجوز لهم روايته عن شيوخهم كابراً عن كابر ومن اجلهم سيدي الوالد ، فقد قرأ عليه المترجم جزءاً في الحديث واستجازه ، فأجابه لما طلبه منه وأجازه ، [1] ولزمه الطلبة للأخذ والاستفادة ،

---

(١) قال تلميذه الشيخ سعيد الباني الذي ترجم له في حاشية كتابه : « أحكام الذهب والفضة والحرير » في ترجمة مطولة ماملخصه : أقبل شيخنا بعد وفاة أبيه على طلب العلم وحفظ المتون ، فلزم علماء الوقت ، وا كثرهم من تلامذة أبيه ، فأخذ مبادىء العلوم والتفسير والحديث عن ابن أخيه الشيخ سليم العطار (وكان اكبر منه سنا) ، وأخذ النحو والصرف عن الشيخ عبد الرحمن بايزيد ، والمنطق والحكمة والكلام عن منلا أبي بكر الكردي ، وتفقه على الشيخ احمد المنير ، وأخذ علوماً شتى عن علماء أعلام كالشيخ حسن الشطي ، والشيخ حسن البيطار ، والشيخ محي الدين العاني والشيخ محمد الجوخدار . وروى مسلسلات ابن عقيلة عن مفتي الشافعية عمر افندي الغزي ، وروى الحديث أيضاً عن الشيخ داود البغدادي ، وأجازه بجميع مروياته ، وروى أيضاً عن غيرهم .

ولم يكن له سوى الإفادة والعبادة ، شغل ولا عادة ، مـــع جمال سيرة ، وحسن سريرة ، ووفور قدر وسلامة صدر ، وسماحة وكرم ، وهمة في قضاء مصالح الخلق فاقت الهمم ، وبشاشة وإظهار سرور ، واقبال على الناس بغاية الحبور ، وفي يوم الاثنين سادس جمادى الثانية سنة سبع وثلاثمائة والف ، توفي ابن اخيه الشيخ سليم بن الشيخ ياسين بن الشيخ حامد العطار ، وقد انحلت وظيفة تدريس التكية السليمانية التي وظفها السلطان سليمان خان ، وهذه التكية هي المعروفة في المرجة ، فلقد أمر هذا السلطان المومأ اليه ان يقرأ قارئ درسَ وعظٍ في كل جمعة مرة واحدة ، وله عـــلى كل درس ثلاثون بارة ، وان التكية التي بجانب السليمية ويقال لها السليمانية ، قد شرط المرحوم السلطان سليمان أن واعظاً يعظ بها في كل جمعة ثلاثة أيام ، وله عن كل يوم عشرة دراهم فضة ، عبارة عن كل سنة أربعة آلاف قرش تقريباً ، وقد دام هذا الحال إلى أن وُجّه هذا الدرس على العالم المفضال جناب المرحوم الشيخ حامد العطار ، فجعل الدرسين درساً واحداً ، والمعاشين معاشاً واحداً ، وجعل قراءة الدرس في السليمية ، وقصره عـلى سبعة دروس في رجب وشعبان في كل يوم خميس منهما ، ونقله من الوعظ الى صحيح البخاري الشريف ، فحينما توفي الشيخ حامد المومأ اليه ، كان ولده المترجم صغيراً فتولاها ابن اخيه الشيخ سليم ، ولم يزل قائماً بها الى

— ولما قصد الديار الحجازية ، لقي في مصر كثيراً من علمائها ، ومنهم فقيه المالكية الشيخ محمد عليش . وكان كثير من علماء الأقطـار الاسلامية حينما يفدون على دمشق في ذهابهم الى الحجاز أو إيابهم منه ، يزورونه فيروون عنه ويروي عنهم . كما روى عنه واستجاز منه خلائق كثيرون ، فعم فضله ، وشمل نفعه . وقد تضلع بالعلوم ، وتوغل في الفنون . ثم وصف اشتغاله وتدريسه للنحو والتفسير والحديث والتوحيد والفقه الشافعي ، ثم ذكر زهـده وكرمه ، وحليته وأخلاقه ، رحمه الله تعالى .

حين وفاته ، وكان قبل موته قد فرغها على اولاده ، فادعاهـا بعد وفاته المترجم المومأ اليه ، وادعاها أولاد الشيخ سليم ولكن لدعوى عدم كمال أهليتهم في العلم وجهت الى ابن الشيخ سليم الشيخ احمد الصغير الذي لم يبلغ الحلم ، ووضعوا المترجم نائباً عنه الى حين استعداده وقابليته للقراءة ، وحيث انهم فعلوا الآن كذلك ، كان قيـــاس الأمر أن يفعلوا حين توفي الشيخ حامد رحمه الله كذلك ، بأن يوجهوها على المترجم المرقوم ويضعوا عنه نائباً الى حين استعداده ، ولكن الله يفعل مايريد ، هو المولى وما عداه عبيد ، وفي رابع شوال سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة والف مرض المترجم المرقوم صباحاً ولم يزل يزداد مرضه في ذلك النهار ، الى أن توفي مساء .

وكان تشييع جنازته خامس شوال قبيل الظهر ، ودفن في تربة الدحداح ، وكانت جنازته غاصة بأهلها وتأسف عليه العموم لأنه لم يخلف نظيره رحمه الله تعالى .

الشيخ بدر الدين بن الشيخ يوسف بن عبد الرحمن ابن عبد الوهاب بن عبد الله بن عبد الملك بن عبد الغني المراكشي السبتي المالكي المغربي أصلاً الدمشقي مولداً

عالم إلا أنه عامل ، وفـــاضل غير أنه كامل ، قد اعتصم بحبل السنة والكتاب ، وانتظم في سلك المتمسكين بأقوال الصحاب ، واختـار مذهب السلف الأعلى ، ورأى سلوكه أروح لنفسه وأولى ، لاتفاق الكل عليه بأنه أسلم ، وحيث كان كذلك فهو أولى من غيره وأقوم ، لايخالف صحيح النص وإن خالفته نصوص المتون ، وكيف يتبع الرأي ويترك قول الصادق المأمون ، فلله دره من عالم عابد ، ناسك منصف لا معاند ، قد جمع الفصاحة في برود كلماته ، والنباهة في مطاوي مبدعاته ، إذا أخذ في القاء الأخبار

وجدته بحراً عجّاجا ، وإن تكلم في أنواع العلوم أبدع تقريراً وإنتاجاً ، كأنما الأحكام في صدره مرقومة ، وعوارف المعارف في خياله مصورة وفي لسانه منظومة ، وله حافظة تحمي له كل مايسمع ، وإدراك هو أخف من مر النسيم وأسرع .

يقرأ في كل يوم جمعة بعد الصلاة صحيح البخاري في جامع بني أمية ، ويزدحم الناس على درسه ازدحام الطالبين عـلى العطية ، غير أنه يسرد ماعلقه في ذهنه ولا سؤال من أحد ولا جواب ، ومن رام إبداء اشكال فلا يجد لدخول حله من باب .

وله حجرة في مدرسة دار الحديث قريبة من مقام ابن أبي عصرون ، لاتكاد تجدها في وقت خالية من درس في فن من الفنون ، وهو لاينفك في يومه عن صيامه ، ولا في ليله عن قيامه ، كثير الذكر قليل الكلام ، دائم الصلاة على النبي عليه أفضل الصلاة وأتم السلام . وقد عينتْ له الدولة في كل شهر الفاً ومائتي قرش صاغاً (١)

---

(١) كان عِلمُ محدث الشام رحمه الله تعالى ورضي عنه ، علمَ حفظ ورواية ، وكتب ودراسة . أما الحديث فلا نعلم له نظيراً في حفظه ولا في ضبط رجاله ، ومعرفة سنده ، وحسبه روايته له في الجامع الأموي تحت قبة النسر ، من بعد فريضة كل جمعة الى أذان العصر ، وقد دأب على ذلك نحو ثلاثة أرباع القرن .

وأما دار الحديث الأشرفية فلم يكن يقرأ للطلاب فيها من كتب العلوم الشرعية والعربية والعقلية إلاّ مطولاتها وصعابها ، وكان يرى أن هذه الكتب ترفع الهمم وتقوي الملكات في الفهم ، وتعين على دفع الاشكالات والشبهات ، وقد تشرفت بالحضور عليه في الكتاب المسمى بالتقرير والتحبير شرح العلامة ابن أمير الحاج على تحرير شيخه الكمال بن الهمام ، الذي جمع فيه بين اصطلاحي الحنفية والشافعية في أصول الفقه ، فكاد يأتي على مسائلها حفظا ، وكان يحققها معنى ولفظا ، ولكنه كان يتحامى النطق بالفاظ الطلاق والحرام وما أشبهها تنزها وورعا ، وهذا دأبه في حياته كلها .

الشيخ بكوي بن عبد الغني بن احمد البغال الدمشقي الشافعي

نشأ على الصلاح والتقوى ، وتمسك من العبادة بالسبب الأقوى ، وحفظ القرآن العظيم وجوّده ، ثم هداه الله لطلب العلم وأرشده . ولد في الشام سنة الف ومائتين وخمسين تقريبا . وحضر غب كماله ، وصلاح أمره وحاله ، على شيوخ عصره ، في بلدته ومصره ، فحضر دروس الفاضل الشيخ قاسم الشهير بالحلاق ، والشيخ محمد بن عبد الله الخاني ، ثم أخذ الطريقة الخلوتية على المرشد الكامل الشيخ المهدي ، واشتغل بالطريق مدة طويلة واعتزل الناس وقل كلامه ، وبعد وفاة الشيخ المهدي صحب خليفته الشيخ المبارك ، وأكثر من الصيام والقيام والخلوة في مدرسة التعديل ،

— وكنا نجلس في دار الحديث أيضا ، ونقرأ صباح كل جمعة وثلاثاء ، كتاب منتخب كنز العمال — (من كتب الحديث الجامعة) — روايةً ودراية ، فلما وقفنا على باب الاعتصام بالكتاب والسنة ، قلت لأستاذنا : أنعدُّ نحن الآن من المعتصمين بهما ؟ قال نعم إذا قصدتم العمل ، فسأله بعض الفضلاء متعجباً : أو يقرآن للعمل بهما في هذا العصر ؟ قال : نعم ، فقال : جزاك الله عنا أفضل الجزاء ، فوالله إنا كنا نتلقى عن شيوخنا أنهما يقرآن للتبرك لا العمل ، كما نتلقى كلمة التوحيد . أقول : وقد أوجد رحمه الله ميلا قويا في طلابه لاقتناء كتب السنة ودراستها . والاهتداء بهديها .

ودخلت عليه مرة صحبة السيد الإمام محمد رشيد رضا صاحب المنار وتفسيره (١٣٣٨ هـ) فرحب به أجل ترحيب ، ثم أخذ السيد يقص عليه من أنباء العالم وأحوال المسلمين في أقطار المعمور ، وشيخنا مصغ مستزيد ، وكان إذا سمع من أحوالهم ما يسر حمد الله ، وإلاّ حوقل واسترجع .

هذه شذرة من محاضرة كنت ألقيتها بحفلة التأبين التي أقيمت له في ردهة الجامعة السورية بدمشق (في ١٣ ج ١ سنة ١٣٥٤ هـ) وقد طلبها مني صاحب المنار ، ولكنه توفي هو أيضاً في ذلك العام (سنة ١٣٥٤ هـ) قبل أن يتمكن من نشرها ، تغمدهما المولى برحمته ورضوانه .

ثم بعد موت المبارك لازم دروس الشيخ الفاضل الشيخ محمد الطنطاوي ، فما قرأنا على حضرة الشيخ كتابا ولا فنا الا وحضره معنا ، ثم إنه مامضى عليه مدة إلا وانتقل من حالته الجلالية ، إلى حالته الجمالية ، فصار فيه دعابة ومجون ، وحالة لاتدخل تحت دائرة الظنون ، مع لطافة تذهب الكدر والبؤس ، وتضحك الجامد العبوس ، والفه الاكابر من الناس ، وعده الكثير من الأكياس ، لايتقيد بجلالة ولا تعظيم ، ولا يلوم من لايعامله بالتوقير والتكريم ، وكان موظفا بامامة جامع عز الدين وتدريسه وخطابته . وفي سنة الف وثلاثمائة وعشر ذهب الى الحجاز ، وحضر الى الشام مريضاً ، ولم يزل تزداد آلامه ، ويختل نظـــامه ، الى أن توفي سنة الف وثلاثمائة واحدى عشرة ودفن في تربة باب الصغير .

الشيخ بدر الدين محمود الموعشي الحنفي

أشرق بدره في العلوم واستنار ، واشتهر صيته في العالم وطار ، مع تقوى تثبت له حسن الطوية ، وعبادة لايقدر عليهـا الا ذو همة في الدين قوية ، وحضر مجالس السادة ، ولازمهم الى أن بلغ من العلم مراده . وكان له شهرة بمحامد الخصال ، وفرائد الشمائل العوال ، وكانت ولادته في الشام سنة الف ومائة وخمس وسبعين ، وظهرت عليه مخايل السعادة من صغره ، ولم يزل ناهجا منهج السيادة الى كبره ، وكان قدومه الى الآخرة ، والدار الفاخرة ، سنة أربعين ومائتين والف رحمه الله .

بهجت افندي بن عبد الله افندي الحلبي القاضي بدمشق الشام

أحد العلماء الأعلام ، وأوحد القضاة المشهورين في الأحكام ، ولد في حلب سنة الف ومائتين وست وأربعين وسار به والده الى الاستانة سنة

سبع وأربعين ، وكان والده أحد قضاة العساكر ، فلما بلغ المترجم سن التمييز ، قرأ القرآن الشريف وجوده وأتقنه ، وأقبل على طلب العلم بهمة قوية . ثم في سنة ستين توجه بمعية والده الى خربوط ، فقرأ بها النحو والصرف والفقه ، وأحسن اللغة الفارسية . وفي سنة ثلاث وسبعين توفي والده بمصر وهو متوجه الى الحجاز ، ودفن في جوار السيدة زينب ، وذهب المترجم الى حلب وتولى نقابة أشرافها. وفي سنة ثمانين رجع الى الاستانة. وفي سنة احدى وثمانين تعين قاضيا في كرسول ، وفي اثنين وثمانين تعين قاضيا في طربزون ، وفي ثلاث وثمانين تعين قاضيا في كوزلي حصار ، وفي أربع وثمانين تعين قاضيا في مدينة بيروت . وبقي بها أربع سنين ونصف ، وفي تسع وثمانين تعين قاضيا الى طرابلس الغرب ، وبقي بها سنتين ونصفا ، وفي سنة احدى وتسعين تعين قاضيا الى مدينة ازمير ، وحيث لم يوافقه الهواء طلب نقله الى محل آخر ، فعين رئيس ديوان التمييز بولاية قسطموني ، وبعد عشرة أشهر نقل الى رئاسة ديوان التمييز في مدينة حلب ، وفي سنة أربع وتسعين تعين قاضيا في ولاية حلب ، وفي سنة ست وتسعين رجع الى الآستانة ، وفي رجب منها تعين مفتش عدلية بغداد ، ثم بعد سنتين ونصف عزل ، فرجع الى الآستانة ، ثم تعين مفتش عدلية طربزون ، وبقي بها سنتين ، ثم منها الى مفتشية عدلية ازمير ، وبقي بها نحواً من سنتين ثم الغيت تلك الوظيفة فرجع الى الآستانة ، وبقي بها أربعة أشهر ، ثم تولى قضاء جزائر بحر سفيد . وفي سنة ثلاثمائة وسبع تعين بقضاء الشام وبعد سنتين رحل الى الآستانة ولم يمض قليلاً حتى اخترمته المنية ومات بها في حدود الف وثلاثمائة وعشرة رحمه الله تعالى .

الشيخ بهاء الدين بن أخي الشيخ عبد الغني
ابن حسن بن ابراهيم البيطار الشافعي الصوفي

ألمعي مشهود له بقوة ادراكه ، لوذعي سرى في مناهج العلوم مسير القمر في أفلاكه ، له نثر كالروض تفتقت ازهاره ، وشعر كالصبح تألقت انواره ، لقد ابدع من المعاني الغرائب ، والألفاظ المزرية بدرر النحور والترائب ، ورضع من در العلوم منذ كان وليداً ، وحوى من أنواع الفنون طارفاً وتليداً .

ولد في خامس عشر ربيع الثاني سنة الف ومائتين وخمس وستين . حفظ القرآن على والده وجوده ، ثم قرأ على والده الشاطبية وشرحها لابن القاصح ، وجملة من كتب النحو والصرف والمعاني والبيان والعروض والقوافي وغير ذلك من بقية الفنون . ثم قرأ في الفقه والتوحيد والتفسير والحديث ما أثبت له الفضل والكمال ، وقرأ على الشيخ الفاضل الشيخ محمد الطنطاوي علم الجبر والمقابلة والحساب والميقات والفلك حتى برع ، وقرأ على عمه الشيخ محمد البيطار جملة من كتب مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان ، وقرأ عليّ بعض رسائل الربع المجيب والمقنطر ، وله مطالعة وفهم جيد في علم الرمل ، ثم أخذ طريق الشاذلية عن الإمام المرشد الشيخ محمد الفاسي ، فاشتغل في الطريق ومطالعة كتب السادة الصوفية كالفتوحات للشيخ الأكبر وغيرها حتى صار له ملكة عظيمة[1] وكان اذا أشكل عليه شيء

---

(١) التصوف في أول نشأته بين المسلمين كان زهداً في الدنيا ، وعرضها الأدنى ، وإيثاراً للآخرة عليها ، وجهاداً في سبيل الله ، وإقامة لميزان الحق والعدل بين الناس . وعلى ذلك مضى السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، ومن تبعهم باحسان . ولم يكن اسم التصوف معروفاً لهم ، ثم أحدث له هذا الاسم ؛ ومن بعد أن كان مسماه نسكا وزهداً وبعداً عن مظاهر الترف والنعيم ، صار آراء فلسفية —

— تنقل فيها أهلها الى القول بالحلول والاتحاد . ثم انقلب الى شعبذة وشعوذة وتغرير بالبسطاء وتزلف للحكام ، وأكل لأموال الناس بالباطل .

أما تصوف الأستاذ الوالد ، فقد كان من بعد اتقانه العلوم العربية والشرعية والرياضية على أجلاء العلماء كما تراه في هذه الترجمة بقلم عمه المؤلف ، (وهو والد زوجته أيضاً ، فهو عمه نسباً وصهراً) .

وقد كان للسيد الوالد قبل تصوفه أملاك كثيرة ، وأموال موفورة ، ورثهما من والدته التي لم يكن لها ولد غيره ، فباعها ، وأنفقها ، ولم يخلف عقاراً ، ولم يدخر درهماً ولا دينارا ، وكان يسمى أبا الفقراء .

وهذه أسماء مؤلفاته المحفوظة عندنا : (١) كتاب النفحات الأقدسية ، في شرح الصلوات الأحمدية الإدريسية ، طبع في مصر سنة ١٣١٤ هـ وهو مجلد ضخم في أكثر من (٤٢٠) صفحة (٢) فتح الرحمن الرحيم (بالجمع والتوفيق في المسائل الثلاث بين القطبين الشيخ الأكبر والسيد عبد الكريم الجيلي ، وهي (١) العلم والمعلوم، وأيهما تبع للآخر) و (٢) في الإرادة والاختيار ، و (٣) في الأسماء الالهية وأحكامها. وهذا الكتاب بخط المؤلف ويبلغ أكثر من خمسمائة صفحة ، وعليه حواش كثيرة، بخط المؤلف أيضا (٣) كتاب الواردات الإلهية ، في ثلاثة مجلدات ، الأول (٤٠٠) صفحة ، والثاني أربعمائة أيضا ، والثالث (٣٧٠) صفحة . وهذه الأجزاء كلها بخط ابن المؤلف كاتب هذه السطور . ثم ان هذه المؤلفات تنحو نحو كتب الشيخين ابن عربي والجيلي ، لا سيما الفتوحات المكية ، والإنسان الكامل ، ففيها كثير من الشرح والإيضاح لهما ، وله رحمه الله رسائل كثيرة في التصوف أيضـا ، كرسالته (فيض الواحد الأحد ، في معنى خلود الأبد) بخط المؤلف ، ورسالة : (قرة العين ، في حل البيتين) وأولهما :

ياقبلتي خاطبيني في سجودي لقد الخ وهما للشيخ محي الدين وهذه بخطي . وله منظومة عينية ، تحاكي عينية الجيلي في الوجود والشهود ، والحق والخلق ، والجمع والفرق ، وهي تدعو في الجملة الى الكتاب والسنة، وتبلغ أكثر من تسعمائة بيت من الشعر الجزل .

وأما رسائله الأدبية من شعر ونثر فكثيرة ، منها ماحفظ ، ومنها مالم يحفظ ، والسبب أنه لم يكن يكتب مرتين ، حتى إن شرح الصلوات الأحمدية الإدريسية قد طبع في مصر عن نسخة المؤلف الخطية وهو من نفثة القلم الأولى ، وسترى — في ختـام هذه المفاخرة بين الشمس والقمر — كلمة عمه المؤلف في إتمام ترجمته له ، وإنما رأينا أن نذيلها هنا بذكر مؤلفاته ، كما سبق لنا في غيره وبالله المستعان .

عبد القادر الجزائري . وله من النظم والنثر ، مايزري بعقود اللؤلؤ والدر ، ومن كلماته الرقيقة ، التي هي الخمر الحلال على الحقيقة ، مقامته التي أنشأها في المفاخرة بين الشمس والقمر ، ولله درها من مقامة هي أرق من نسيم الصبا في السَّحر ونصها : حدثنا يسار بن حازم ، عن فتح الله أبي المكارم ، قال : رويت عن الورقاء بسندها عن العنقاء ، قالت نشرت جناح الهمة ، وطرت في فضاء الحكمة ، ثم عرجت على الرفارف ، الى عالم اللطائف ، فلم أزل اخترق حجابا بعد حجاب ، وأستفتح بابا بعد باب ، إلى أن وصلت مواطىء الأنوار ، وحصلت بمواطن الأسرار ، فلما مرحت في مغانيها ، وانشرحت بمعانيها ، جلت بأعلى مجالي ، في وجوه تلك المجالي ، فرأيت في مرايا العجائب ، ومزايا الغرائب ، مجلساً من مجالس السمر ، جمع الشمس والقمر ، وهما متقابلان في النظر ، في ليلة أربعة عشر ، فألفت منهما الحديث والنظارة ، ودلفت لتلك الحضرة ، ثم بادرت بالتسليم ، وحييت بالتعظيم ، فقالا مرحبا واهلا فلقد صادف الغريب اهلا ، ثم اجلساني على موائد الفوائد ، وآنساني بفرائد العوائد ، ثم شرعا يتناجيان ، وقد برعا بسحر البيان ، فعاينت ما اخذ بمجامع قلبي ، واستولى على عقلي ولبي ، من طرائف الفاظ ، اسحر من الألحاظ ، وظرائف معاني ، هي نزهة كل معاني ، فما احلى ثمر تلك الفكاهة ، وما اجلى ذاك السحر والنباهة ، وما ارشق هاتيك الفقر ، المزرية بالآلىء والدرر ، وما آنق تلك الاسجاع ، الممتزجة بالطباع والاسماع ، لقد رقت وراقت ، ودقت وفاقت :

كأن سامعها مذ مال من طرب　　　بين الرياض وبين الكأس والوتر

ثم انهما لم يزالا في منافثة [١] اطيب من العناق للمشتاق ، ومحادثة اطرب من الصبا والبياتي للعشاق ، الى أن جرت بهما سوابح المحاورة ، وجرتهما سوانح المحاضرة ، فالقتهما من مسالك تلك المسامرة ، في مهاوي المهالك ومساوىء المفاخرة ، فصعد القمر على المنبر الازهر ، وقال الحمد لله والله

---

(١) نافثه منافثة : خاطبه وسارّه .

اكبر ، هذا جمالي قد زهر ، وجلالي قد بهر ، لمن شاهد ونظر ، وحقق واعتبر ، انا السر الاكبر ، والكبريت الاحمر ، ذو السناء الزاهي ، والضياء الباهي ، جُليت في احسن الصور ، وانشققت لسيد البشر ، وكان يناغيني في الصغر ، ويناجيني كما في الخبر ، فأنا سلطان الكواكب ، وزينة المواكب ، ازور غبا ، لأزداد في القلوب حبا ، فسبحان من حلاني بحلل النضار ، وولاني ملك المجد والفخار ، وهدى بي في ظلمات البر والبحر ، فأنا سيد النيّرات ولافخر ، ثم انشأ وارتجل ، وانشد بغير وجل :

انا قمر المحاسن والسناء ولي بـين الملا أبهى لواء
فوجهي مشرق في الارض يبدي من الاضوا صباحا في المساء
اروق بطلعتي الابصار أنسا وأبهج بالمسرة كل راء
يرى شبه الحبيب بي المعنى ويشكو ما عراه من العناء
وينتظر الملا مجلى طلوعي هـلالا بالمسرة والهناء
فان لم يلمحوا مرأى هـلالي تراهم شاخصين الى السماء
فبي صوم الانام بكل قطر كذاك العيد يبدو من لقائي

فالحمد لله الذي قدرني منازل ، وصدرني في ميدان السباق وقدمني على كل منازل ، وصورني بأكمل صورة واجمل انشاء ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، ثم ختم إنشاء كلامه ، بصلاته على النبي وسلامه . فلما سمعت الشمس نثره ونظامه ، ووعت قوله وكلامه ، زفرت زفرة القيظ ، وكادت تتميز[1] من الغيظ ، فارتقت عرش البراعة والجمال ، وانتقت فرش البراعة والكمال ، ثم قالت بعد أن تجلت ببرود السناء ، وتحلت بعقود الحمد والثناء : انا العروس الناضرة ، والعين الناظرة ، بي تحلو ثمار لواعب الادواح[2] ، وتبدو محاسن الكواعب

---

(١) تتقطع .

(٢) الشجرات العظيمة المتسعة ، وهي جمع الجمع لدوحة .

الملاح ، ويأمن لعمري الخائف ، طارق الليل الحائف ، وتنسخ بي آية الليل الحالك ، وتستنير المسالك لكل سالك ، ويمتاز اليقين من الحدس ، واليوم من الامس ، ولولاي لم تتحرر مواقيت الصلاة ، ولم يتيسر نيل بواقيت الصلات ، فتبارك الذي جعل في السماء بروجا ، واجراني لمستقري بها نزولا وعروجا ، وجعلني فيها سراجاً وهاجاً ، واوضح لي منها مسلكا ومنهاجا ، وجل من رفعني مكانا عليا ، وحباني من فضله نورا جليا ، واسكنني اوسط الافلاك ، والوسط خير الامور ، ونظمني في سلك العالين من الاملاك ، فسائر الانوار علي تدور ، واحل بفلكي نبي الله ادريس[1] ، قطب الوجود في كل زمان ، وغيره في هذا المقام النفيس ، نائب عنه في هذا الشان ، واقسم بي وبضحاي ، وفضلني واكرم مثواي ، فلي القطبية العظمى بين الانوار ، وبطلوعي وغروبي مناط الليل والنهار ، ومن مشكاتي اشرق كل نور في العالمين « فتبارك الله احسن الخالقين[2] » ثم رنت القمر بعين محمرة ، ووجنة مصفرة ، وقالت عجبت للمملوك يجاري في مسراه الملوك ، وللدرهم المسكوك ، يباري الذهب المسبوك ، ايها القمر القاضي بحدسه ، المتغاضي عن معرفة نفسه ، كأنك تقول لي بلسان الاشارة « اياك اعني فاسمعي ياجاره »[3] :

سوف ترى اذا انجلى الغبار افرس تحتك ام حمار

اما علمت ايها المتغالي في الحد ، والمتعالي بما ليس في اليد ، أن دعواك في النور محض مين وزور ، حيث كنت ليلة الميلاد ، مرتدياً برداء السواد ، فلم ازل أربتك بسناني وليدا ، والبسك من ضيائي ثوبا جديدا ، الى ان اشتد ظهورك وامتد في الآفاق نورك ، فاذا كان ليلة الرابعة عشرة من الشهر ،

---

(١) قال تعالى : « ورفعناه مكانا عليّا » الاية ٥٧ من سورة مريم .

(٢) الاية ١٤ من سورة « المؤمنون » .

(٣) مثل يضرب لمن يتكلم بكلام ، ويريد به غيره مجمع الأمثال (ج ١ ص ٤٠) .

اقابلك بكمالي فتكون كامل القـدر ، فعند ماتم لك منى السنا ، جهلتني ولم تدر من انا ، اما علمت ان نورك مني وإلي ، وحكمك في الاضاءة عائد علي ، فكيف تفتخر علينا بنا ، وتسوي في المقام بينك وبيننا ، وأما زهوك بالانشقاق للسيد الحبيب ، فليس بأعجب من ردى له بعد المغيب [١] . ثم انشدت بلسان صادع ، وارشدت ببيان بارع :

لي رتبة في العلا تسمو بها الرتب	وأوج مجدله العليـاء تنتسب
وآية الحسن بالإشراق تشهد لي	بأن مني جميـع النور يكتسب
إذا بزغت فلي ملك الضياء وإن	أغب فعني ينوب البدر والشهب
لولاي لم يستقم للناس عيشهم	ولا بدت لهم الايام والحِقَب [٢]
ولا حلا ثمر ولا نمـا شجر	ولا بدا قمر ولا همت سحب
عيني أنارت وجود الكون أجمعه	ومن هداي اهتدى الاعجام والعرب
ومن ظلالي مواقيت الصلاة ومن	غروبي الفطر للصوام يرتقب
فلي الكمال الذي حزت الفخار به	« وإن علاني من دوني فلا عجب »

فلما سمع القمر ماهاله ، قال لادارت لي هالة [٣] ، ان لم أبرز لك في ميدان السبق ، وأبدي شرفي عليك لسائر الخلق ، أما سمعت أيتها الشمس ، قول بارىء الجن والإنس ، « وللرجال عليهن درجة » [٤] فأنت بي في الفضل مندرجة ، على أنك وسمت بالعين ، وقد شاهدت بالعينين « وللذكر مثل حظ الانثيين » [٥] وأعدل شاهد بسبقي لمن اعتبر ، « لا الشمس ينبغي لها

---

(١) تراجع معجزاته هذه ﷺ في كتب السيرة النبوية .

(٢) جمع حِقبة ، وهي المدة من الوقت .

(٣) الهالة : دارة القمر ، كالطاوة لدارة الشمس جمعها : هالات .

(٤) الآية : ٢٢٨ من سورة البقرة .

(٥) الآية ١٠ من سورة النساء .

ان تدرك القمر »[1] وأما ماتعاليت به علي ، قائلة ان نورك مني والي فالفرع قد يشرف أباه ، أحب ذلك أو أباه :

انمـــا الورد من الشوك وما يخرج النرجس الا من بصل

فلا غرو اني القمر المنير ، ذو الشـأن الخطير ، بسنـا يُ تطيب القلوب ، وعلى ضيائي يجتمع المحب والمحبوب ، فالأفراح لايتم سرورها الا بحضرتي ، والراح لايكمل حبورها الا لدى طلعتي ، وكم من ذي جفن ساهر ، وذهن حائر ، وطرف جائل ، ودمع سائل ، وقلب ذائب ، وكرب دائب ، يبث لي شكواه ، ويَنُثُّ[2] لي بلواه ، وكم من كاف يحن الي ، لما يرى من شبهي بالحبيب ، ودنف يئن لدي كأني لدائه طبيب ، فأنا الشقيق لأهل الحسن والجمـال ، والشفيق على من صبا عشقا ومال ، ان انكر المحبوب وجد الحبيب ، اجابه سل اخاك فانه عليّ رقيب ، وما أعذب ماقاله ابن سهل الهمام ، في هذا المقام :

سل في الظلام أخاك البدر عن سهري تدري النجوم كما تدري الورى خبري

مع اني شريك ذوي السُّها دليلا ، والهائم معهم بجمال سعدى وليلى ، فأنا رئيس ديوان الصبابة ، وانيس من فوّقَ له الهوى سهم الحب فأصابه .

فما شرب العشـــاق الا بقيّتي ولا وردوا في الحب الا على وردي

خلا اني أقرب الكواكب الى عالم الإنسان ، وأعذبهم في تمـــام الحسن وكمال الإحسان ، فلذا جمالي باد ، لكل حاضر وباد ، تقر الأعين برؤيتي ، وتشتهي الأنفس شهود طلعتي ، فغرتي طالع السعد والبشر ، وسمائي موطن آدم أبي البشر ، فلتكف الشمس عن مضاهاتي ، ولتمسك عن مســاجلتي ومباهاتي ، ولتحاول غير هذه الشطة ، قبل وقوعها معي في أعظم ورطة ،

---

(١) الاية ٤٠ من سورة يٰس .

(٢) نثّ الخبر : أفشاه .

ولتعترف بفضلي اعتراف من تنبه غب ما سها ، وان عادت العقرب عدنا لها ، ثم شمر عن ساعده الأشد ، وضرب بلسانه أرنبة أنفه وأنشد :

لي منهج في العلا قد عز مسلكه ولي الكمال الذي بالفضل أملكه
تمنت الشمس أن تدنو لمرتبتي « ما كل ما يتمنى المرء يدركه »

فعند ذلك التهبت الشمس غضباً ، وقضت بما سمعته وشاهدته عجبا ، وقالت تعاليت عليّ بالافك ، وتعاميت عن حطتك مذ كنت هلال الشك ، وبغيت بغي من ضل وتزندق ، وتفرزنت وما أنت الاّ بيدق ، أوما خجلت من هذا الصلف ، مع مافي وجهك من الكلف ، وهل أنت مني في القدر ، الا كقلامة الظفر ، ومع مافيك من المحو والنقصان ، كمالك لايفي بتمام الايضاح والبيان ، فانت تال وأنا متلوة [1] وآيتي مبصرة وآيتك ممحوة [2] وكفاك أيها الخادع الغرار ، ان اسمك مشتق من القمار ، وانك عون السارق ، وهونُ العاشق الطارق ، تحل اجرة المنزل واجل الدين ، فتذل بذلك فاقد الورق [3] والعين [4] ، ويبلي نورك ثياب الكتان ، ويؤول كمالك الى النقصان ، وليت شعري هل لك بظهوري ظهور ، وهل محور الدرج والدقائق إلا علي يدور فالزم الخضوع والاستكانة ، ولا تطاول من سماك مكانا ومكانة ، فما هلك امرؤ عرف قدره ، ولا سلك صوابا من روج مكره وغدره ، ولقد بانت حجتك ، واستبانت محجتك ، فلا تَعُدْ بعدُ

(١) « والشمس وضحاها ، والقمر إذا تلاها » الآيتان (١ و ٢) من سورة الشمس .

(٢) « وجعلنا الليل والنهار آيتين ، فمحونا آية الليل ، وجعلنا آية النهار مبصرة » الاية ١٢ من سورة الإسراء .

(٣) الدراهم المضروبة .

(٤) الذهب المضروب .

الى الحيف ، فتكون كمن ضيع اللبن بالصيف [1] والزم الأدب مع أهل الكمال ، ولاتك ممن عرف الحق ومال ، ثم انهـا تاهت تيه نشوان ، وفاهت بشبيه الجمان :

أنا قد لبست ببهجتي … خلع الملاحة والطرف[2]
وظهرت في أوج العـلا … ببديع حسني والظرف
حسب الهلال تكلفا … مافيه من شين الكلف
وبأنه لو لم يقـا … بلني لغشّاه السدف [3]
واذا تجلت طلعتي … في ذاته منها انكشف
واذا انحرفت لوجهتي … في السير أظلم وانكسف
فكأنني وكأنه … في شأو[4] سبق ذي شرف
كالدرة البيضـاء اذ … باحالهـا قشر الصدف

فلما أمعن القمر في معانيها ، وجال طرف فكره في مغانيها ، وثب وثبة الأسد ، ونعب نعبة الحرد والغضب ، وقال أيتها اللافحة بنار الهاجرة ، لأنتِ التاركة للانصاف والهاجرة ، تزدرينني بسواد الكلف [5] ، أو ما دريت أنه من دواعي الحب والكلف ، فهل هو إلا كخال توج به الخد المورد ، أو كنقطة عنبر صيغت على در منضد ، أو عذار يقيم لعاشقيه الأعذار . أو انسان عين يشير لناظريه بالإنذار ، وكأنك لم تسمعي قول من قال ، وأحسن فيما قال :

---

(١) هو مَثل لمن يطلب شيئاً قد فوّته على نفسه (انظر مجمع الأمثال ج ٢/٥٤) .
(٢) جمع طُرفة ، وهي الحديث الجديد المستحسن .
(٣) السّدَف : الظلمة والضوء : من ألفاظ الأضداد .
(٤) الشأْو : الأمد والغاية .
(٥) السواد في الصفرة .

أهلًا بفطر قد أنار هــلاله ألآن فاغد على المدام وبكر
فكأنما هو زورق من فضــة قــد أثقلته حمولة من عنبر

وأرق من هذا في التشبيه ، وأدق وألطف في التنبيه ، قول من أجاد :

ياريم[١] قومي الان ويحك فانظري وجه الهلال وقد بدا في المشرق
كخليلة نظرت الى خل لهــا فتنقبت خجلًا بــكمّ أزرق

ومن هذا القبيل ما قيل :

قالوا التحى ، فمحا محا سن وجهه نبت الشعر
الآن طاب وانمــا ذاك النهار على السحر
لولا سواد في القمر والله ما حسن القمر

وأعدل شاهد لي بكمال القدر ، تلألؤ وجهه ﷺ تلألؤ القمر ليلة البدر ، وكان إذا رآني يقابلني بجميل محياه ، ويقول هلال خير ورشد إن شاء الله ، فبركاتي مشهورة ، والدعوات لدى ظهوري مـأثورة ، وحزبي هم السادة الأفراد ، وصحبي هم القادة الأمجاد ، يناجون معي في الأسحار ، ويرجون منيّ النفحات بالذلة والانكسار ، « تتجافى جنوبهم عن المضاجـع[٢] » وتنهل من عيونهم عيون المدامع ، فلا ريب أنهم فازوا بالمشاهدة والوصال ، وحازوا أحسن الشيم والخصال ، ولي إليهم أياد وأي أياد ، حينما يرصدونني للصوم والاعياد . هــذا وإن شعاعك أيتها الشمس ، يذهب بالسرور والانس ، ينشي الصداع ، ويغشى الاسمــاع ، وينفر الطباع ، ويثير الداءات والاوجاع ، فلا يبدو به انشراح ، ولا تشدو به بلابل الافراح ، ومن الذي بشعاعك ترنم ، وشدة الحر من فيح جهنم ، وكيف لا وسيد الانام ، ظلله من حرك الغمام ، وقد صح عن سيد ولد عدنان ، طلوعك

---

(١) الرّيم : الظبيُ الخالص البياض .
(٢) الاية ١٦ من سورة السجدة .

بين قرني شيطان ، ففضلي عليك متعين واجب ، والعين لا تعلو على الحاجب .
فلما وعت الغزالة ما أبداه ، ورعت منتهى كلامه ومبتداه ، آلت برب المشارق والمغارب ، لتُجرّعنّه من كؤوس نقمتها أمرّ المشارب ، ثم قالت الى متى تتطاول في مذمتي ، وحتى متى وأنت غرس نعمتي ، فلأجعلنك أيها القمر عبرة لمن اعتبر ، الم أعُدك وأنت في ضنا المحو والمحاق ، وأعِدّك للوجود بعد الفنا والاحتراق ، واكسك بعد التجرد حلة البهاء ، واقلدك قلائد التورد والازدهاء ، فنبذت شكري وراءك ظهرياً ، وتركت بري نسياً منسياً ، وجنحت الى الغرّة ، واستكبرت استكبار أبي مرة [1] ، وقابلتني بكفران النعم ، وجازيتني بالعدوان والنقم ، فما أراني بعد احساني الغامر ، إلا كمجير أم عامر [2] . ثم أعرضت عنه ابتذالا ، وتمثلت وعينها تتقد اشتعالا

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني
وكم علمته نظم القوافي فلما قال قافية هجاني

ثم نظرت اليه شزراً ، وقالت لقد جئت شيئاً نكراً ، أتظن أن احداً بهجائي يعول عليك ، أو ينظر دوني بالاقبال اليك ، وهو يعلم أن ما فيك من النور ليس من صفاتك ، وإنما هو من اشراق سنائي بمرآة ذاتك ، وان ما بدا منك فمعار مني اليك ، وكل ناظر بعين الحقيقة فاليّ لا إليك ، فو الذي اثبتني بالبقا ، ومحاك بالفنا ، ما ظهر فيك أيها المغرور الا انا ، فما رأى أحد منك سواي ، ولا بدا فيك إلا معناي ، ولله در العفيف ، إذ أشار لهذا المعنى اللطيف ، فقال :

---

(١) كنية إبليس .
(٢) الضبع .

نظرت اليها والمليح يظنني نظرت إليه لا ومبسمها الألمى
ولكن أعارته التي الحسن وصفها صفات جمال فادعي ملكها ظلما

وأما إعابتك عليّ بطلوعي بين قرني شيطان ، فهو في الحقيقة عائد لعبّادي من ذوي الطغيان ، وتظليل الغمام من حري سيد الخلق ، فهو لما اودعته من نور جلال الحق ، أو ما علمت ان لله سبعين حجاباً من نور وظلمة ، لو كشفها لأحرقت سُبُحات وجهه (١) كل أمة ، فلي شرب من اشراق تجلي القهار ، بشاهد قوله جل من قائل « لا تدركه الأبصار »(٢) فانظر لما ألقيته عليك بعين الفهم « ولا تقف ما ليس لك به علم »(٣) واطو من بيننا شقة الكلام ، فانها جالبة للطعن والكلام ، وأبق للصلح موضعا ومحلّا ، وكف عني لسانك والا ، فقد لاح الحق لذي عينين ، وراح الباغي بخفي حنين ، وان عدت لزخارف عدوانك ومينك ، فهذا فراق بيني وبينك.

قالت العنقاء : فلما رأيت احتداد الحجاج وامتداد اللجاج ، وقد كاد كل منهما من الجدال ، أن يتلو سورة القتال ، قلت غب أن احسنت لفظي ، وأكثرت نصحي ووعظي ، هل لكما في حكم ، يفصل بينكما بآداب وحكم ؟ فقالا : ومن هو الذي يلقى اليه القياد ، في كشف هذا العنا والعناد ، فأنبئينا أيتها الناصحة عنه ، لنلتقط درر المعارف والبيان منه . فقلت : اللهم بلى ، وهل يخفى ابن جلا ، إنه لفارس السباق في كل ميدان ، وغارس حدائق الآداب لكل قاص ودان ، رسائله وسائل المنى لكل عارف ، وفضائله جداول المنا لكل غارف ، وملحه قد عذبت حلاوة وانسجاماً ، ومنحه ادارت من راحها قدحا وجاما ، كم ركعت

---

(١) أنواره .
(٢) الاية : ١٠٣ من سورة الأنعام .
(٣) الاية ٣٦ من سورة الاسراء .

البلغاء لجمال أبكاره الحسان ، وسجدت الادباء لكعبة افكاره الباهرة كل انسان ، فإن أقر على الرق أنامله ، أقر بالرق أدباء الانام له ، تضحك ثغور الاوراق طربا من بكاء يراعه ، وتسجع بلابل الاوراق عجباً من طيب لفظه وسماعه ، فلو انتشق ريحانة لفظه ابن نباته ، لاستطـاب في ربا البديع نباته ، فأين النسيج الحريري من رفيع مقاماته ، والغزل الجريري من ترصيع أبياته [1] ، فرياض عباراته حياض الشفا لغليل كل عليل ، وغياض اشاراته مفاض الصفا وانس الجليل ، فلو امتزج النسيم بنفحة أنفاسه القدسية ، لأغنى أهل الرموس عن نفخة النشور ، ولو انبلج لأهل الجحيم نور طلعته الانسية ، لعرفت في وجوههم نضرة النعيم والسرور ، هذا وراحته بفيض نداها السائل ، راحة لكل راج وسـائل ، فلعمري لقد دارت شموس الكمالات عليه ، وسارت بدور السعادات اليه ،

أفديه عبداً الى الرزاق ذا شيم تألقت من سناها غرة الزمن
وسيداً من بني البيطار والده بدر الهدى حسن ناهيك من حسن

فأقبلا على بهيج بابه ، وقبلا أريج أعتابه ، ثم قدما لمقامه السعيد ، مقامة التهنئة بالصوم والعيد ، وغب ذلك تسـاجلا [2] لديه ، وتناضلا بين يديه ، فهو حكم الحكم ، ومنتهى الهمم ، فعرجا في الحال ، واندرجا بجماه العال .

فحينما رآهما حيا وبيا ، وتهلل بالبشر منه باهي المحيا ، وقال مرحبـاً وأهلاً بالنيرين ، ومن هما لجسد الكون كالعينين . قالت العنقاء : فقلت ها أنتما بالمشهد المأنوس ، ولا عطر بعد عروس ، فلينضح كل منكما إناءه بما فيه ، ولينصح نفسه بصدقها في ظاهر أمره وخافيه . فلما تمركزا لديه المقـامة ، وودّا أن يقيم كلا منهما مقامه ، قال : والذي ألبسكما من الجمال ابهـاه ،

---

(١) رصع الشيء : قدره ونسجه .

(٢) المساجلة : المباراة والمفاخرة .

ومن الكمال انهـاه ، ومن الحسن أولاه ، انكما لآيتان من آيات الله ، ولانتما للزمان روحه وجسده ، ولعالم الانسان عضده وسنده ، وهل أنت أيها البدر من يُوح[1] ، إلا كشقيق روح أو ابن بُوح[2] ، فلم تختلفان وعليكما دار الملوان بحسبان ، وما منكما الا له مقام معلوم ، وفضل في الانام موسوم ، فلا تعودا الى المشاحنة فإنها تشين النفاسة ، ولا يخفى عليكما ماينشأ عن حب الرئاسة .

قالت راوية الاثر : فلقد خلب القلوب ببلاغته وأمر ، وأرضى كلاً منهما بما أمضي وأمر ، فتهلل وجه كل منهما بالصلح ، وتلا سورة النصر والفتح ، وتمثل كل وقوفاً بين يديه ، واستأذن بشكره والثناء عليه ، فقال بسم الله ولا حرج ، حيث تم المنى ووافى الفرج ، فعند ذلك ابتـدرت الشمس ، وأنشدت مايقر العين والنفس :

حياك من فرد وحيد	ياطلعة الحسن الفريد
ياسالبـا قلبي العليل	وسالبـا لبي الشريد
لولا قوامك مـائس	ماشاقني غصن يميـد
كلا ولولا راح ثغرك	لم أهم في حسن غيد
لم ابد منك لطائفـاً	إلا حلالي ان اعيد
وهواك أقرب للحشـا	والروح من حبل الوريد
يامن لأوج صـدوده	قد أعجم الوصل الحميد
قلبي الحسين شهـادة	واللحظ منك غدا يزيد
أصبو بنجـد والعرا	ق الى بياتك لو تريد
وأنوح نوح الاصفهـا	ني كي ترق فلا يفيد
وحصار ركب نواك يو	صدني جهاراً بالوعيـد

(١) يُوح : اسم للشمس .

(٢) ابن بُوحك : ابن نفسك ، والبُوح : النفس .

حجز القرار [١] ولم تجب ـِعد باللقا فالوعد عيـد

ضربت بي الامثال في العشـــاق من شوقي المزيد

وفني جميل تصبري لكن شوقي لايبيد

حملتني بهواك مـا بأقله شـاب الوليد

قل لي فديتك هل حشا ك الصخر أم صلد الحديد

أو ما ترى من مقلتي دمعاً جرى البحر المديد

وتنهـدي وتسهـدي وتشتتي في كل بيـد

ولقد لقيت مـن العوا ذل كل شيطان مريد

كفروا جمالك إذ أبوا إلا ضلالهم البعيـد

فهم لفي لبس [٢] بأن هواك من خلق جديد

تبـا لهم أو ليس منـ ـهم في الهوى رجل رشيد

ياليت نار الصد تصـ ـلي كل جبـار عنيد

أواه لو لي بالعـوا ذل قوة الندب الجليد

لكفيتهم لكنني آوي الى ركن شديد

مولاي أعني العبد للر زاق ذا الحسب المجيد

لي منه زاهر نسبة [٣] لكنني أدنى العبيـد

لله مـولى لذ لي في وصفه عذب النشيد

---

(١) جرت عادة الأستاذ الوالد عمل (التورية) بأسماء الأنغام فى معظم القصائد .

(٢) الإشكال والاختلاط .

(٣) هو عمه شقيق أبيه الشيخ عبد الغني وهو الثاني في مرتبة السنين ، والشقيق الأكبر هو الشيخ محمد الذي كان أمين الفتوى في عهد المفتي محمود افندي حمزة ؛ وأصغرهم سناً شقيقهم الشيخ سليم الفرضي الشهير ، وهم أبناء الشيخ حسن البيطار ، رحم الله الجميع .

كل الوجود عـلى كما ل صفاته الحسنى شهيد
والدهر طوق من سجا ياه الفرائد عقد جيد
ياساميـا أوج العلا بالحذق والرأي السديد
عيد الصيـام ببشره وافى حماك فلا يحيد
فاهنأ ودم في كل عيد في صفا العيش الرغيد
وإليك في حلل البـها مزفوفة بكر القصيد
حلت سمواً من رفيـع علاك في قصر مشيد
لم ترتجـي إلا قبو لك ياملاذ المستفيـد
قد ارخت سد بالمـنى يهنيك بالعيد النضيد سنة ١٣٠٤

فلما فرغت الشمس من أبياتها ، وسحرت بباهر آياتها ، رفـع القمر عقيرته ، وأنشد قصيدته :

ما للمصاب من الجوى من راقي الا الـتي زانت بحسن راقي
هيفا كجسمي خصرها ، وبردفها شبه العذول هما جناس طباق
جمعت بفاتر لحظها ورضابها ضدين من سمّ ومن ترياقِ
سبحان من أبدى بروضة خدها ورداً يفوح بعنـبر عباق
وأدار من كأس العقيق بثغرها راحاً جرت في اللؤلؤ البراق
عذبت حلاوة حسنها لكنها صدّاً أذاقتني أمر مـذاق
هل لي مجير من سهام لحاظها هيهات مالقتيلهـا من واق
ماكنت أحسب قبل وقعة عشقها ان المنايا الحمر في الاحداق
كيف النجاة من الهوى وشراكه والقلب مأسور رهين وثاق
ياآل ودي هل لكم في مغرم ضربت به الامثال في الاشواق
يرثي له الصخر الاصم اذا بكى بمدامـع الخنساء في الآفاق
ياغادة تشدو جهـاراً بالنوى مِن أوْجِهِ لحيرّ العشـاق
قلبي الحسيني الشهيد صبـابة حجِز البياتٌ وقد صبا لوفاق

رَصَدَ اللقاء فظل من ركب الجوى … وحصاره يرثي بنجد عراق
عز القرار فهل جواب بالمنى … ان الوفا من طاعة الخلاق
ياوجهها انت الرشيد هداية … فارحم فديتك جعفر الآماق
لازلت مسروراً بملك ملاحة … يحيى بحسنك ناظر المشتاق
ماحق قلبي وهو بيت هواك أن … يُلفَى لديك مقطعاً بفراق
آليت دهري لا التفت عن الهوى … الا لمدحي كامل الأخلاق
حبر إذا أبكى عيون مداده … ضحكت ثغور الكتب والأوراق
ذو غرة لو يستجير البدر في … أنوارها لم يخش جور محاق
وشمائل اضحت لجيد زماننا … عقد الكمال وحلية الأطواق
ما دار من راح العلوم وصفوها … كأس المدى الا وكان الساقي
كلا ولا في شأو فضل قد جرى … في فكره الا سما بسباق
طوفان نوح لو حكى احسانه … لم ينج انسان من الإغراق
عمت مكارمه البسيطة وارتقت … اوصافه مجداً لسبع طباق
لو رام امساكا وحاشا جوده … لم تستطع يده سوى الإنفاق
لو لم يكن عبداً لرزاق الورى … لدعوته بمقسم الأرزاق
سجدت لكعبة عزه هام العلا … والسعد بين يديه في الإطراق
ياسيداً زان الزمان بشيمة … ساد الأنام بها على الإطلاق
هذا هلال العيد امّك بالمنى … ولأنت فينا عيد انس باق
فاهنأ ودم شمس الهداية طالعا … بسما الكمال بلا مغيب تلاق
واستجل من فكري عروساً مهرها … منك القبول فذا اجل صداق
قد زفها نظم البهاء مقلداً … من در وصفك حلية الأعناق
وافى بها عيد السرور مؤرخاً … بالبشر عيد دام والإشراق سنة ١٣٠٤

قالت العنقاء: فهاج بي نسيم الغرام، وماج بي بحر الوجد والهيام، ان أنحو نحو هذا الأثر، وان أتشبه بالشمس والقمر، لأن التشبه بالكرام

فلاح ، والتنبه للاقتداء بهم نجاح ، فمزتها بثالثة ، وفية بالعهد لا ناكثة :

سلاه عن فؤادي هـــل سلاه ... وكيف وما جنى ذنباً سلاه
غزال زانه جيد وفـــاه ... شرود عجبه يأبى وفـــاه
أقمت على ثناه وليت شعري ... عن الخل الوفي ماذا ثنـــاه
بثغر لماه ظل رباط قلـــبي ... لذا من لحظه الغازي رمـــاه
عذابي في َجواه يراه عـــذبا ... وسلبي في هواه غدا منـــاه
فيا تلك الشعور الا شعور ... بمن في ليلكن غما ضنـــاه
ويا ورد الخدود ألا ورود ... فأنت لذي الضنا أحلى جنـــاه
ويا تلك الشفاه ألا شفـــاء ... لمن بسلافكن غدا شفـــاه
لقد طـــال البعاد ولا سلو ... ولا تغني الشجيّ الصب آه
ألا يااللهوى من لي عـــذير ... بمن في حسنه العشاق تاهوا
عراقي الطباع يبيـــح ظلماً ... دم الصب الحسيني في هواه
صبوت به حجازاً مذ بـــدا لي ... بأوج جماله وأضا سنـــاه
وركب صدوده يبدي حصاراً ... فيحجرني ويرصد لي عنـــاه
أنوح محيراً وأبوح وجـــداً ... بنوح الاصفهـــاني من نواه
وقد عز القرار فلا جواب ... سوى جفني تجاوبني دمـــاه
فمن لي يا أهيل الود فيه ... بأن أفنى وُيحييني بقـــاه
رضيت بحبه وصلاً وهجراً ... وطاب لي البيات على رضـــاه
كتمت غرامه حتى كأني ... من الكتمان لم أدريه ماهو
وأنكرت الهوى صونا لأني ... أغـــار عليه يهواه سواه
يشخصه الهيـــام بكل ذاتي ... فلا أدري أراهـــا أم أراه
فلو يدعى اسمه ألفى مجيـــباً ... لمن يدعوه من ولهي أتاهو
له ملك الفؤاد وكل عشق ... له منـــا دراه من دراه
تناهى في الجمال كما تنـــاهى ... لبهجة عصرنا عز وجـــاه

ملاذ عبد رزاق البرايا رعاه الله ما أبهى لـقاه
رياض أكفه تزهو سماحاً بمنثور الندى الحالي جناه
تخال نزيله من حسن بر وتكريم اخاه او اباه
يرق لدمعة الباكي انعطافاً ويرحم لوعة الشاكي جواه
وإن أنشا من الافكار عقداً شهدتَ الحور زفت من حلاه
ألا يا كامل الاوصاف عذراً فقدرك عز أن أحصي ثناه
فلا زالت بك الايام تسمو ووجهك مشرق بسنا ضياه
وذا عيد المنى فاهنأ وأرخ نضير العيد زاهي من حباه سنة ١٣٠٤

فلما تليت على الاسماع عرائس القصائد الشكرية ، وحليت بنفائس الاسجاع أوانس الفوائد الفكرية ، تهلل وجهه سرورا ، وتعلل بهـا طربا وحبوراً ، ثم قال : ما أطيب هذا النفس الأنفس ، وما أطرب هذا السماع الأقدس ، فلعمري ما المثالث والمثاني ، بأعذب من هذه المعاني ، ولا وصل الحبيب بلا رقيب ، بأعجب من هذا التشبيب (١) بذا النسيب ، فليت شعري أهذا رقيق كلام ، أم عتيق مدام ، ام در ألفاظ ، ام سحر ألحاظ ، ام نثر بديع ، ام نشر ربيع ، ام بيان بنان ، ام نظم جمان ، فلا زالت الافلاك بجمالكم ناضرة ، ولا برحت ألحـاظ الاحلاك بعيونكم ناظرة ، ما افتر ثغر الدهر بسناكم باسما ، واحمر خد الزهر لنداكم راسما ، وما حمد شارع على التمام ، وسعد بارع بحسن الختام .

أقول : هذا ماجئت به من بضاعتي المزجاة ، لسيدي عزيز القدر والجاه ، الوالد المطوف الروحاني ، والعم الرؤوف الذي عمني بنداه وتحناني ، وأرجوه غض الطرف عن هفوتي ، ونظر اللطف لاصلاح كبوتي ، ولولا وثوقي بهذا الامتنان ، لم أحم حول هذا الشان ، ومـع هذا فليتني لزمت حدي من

---

(١) شبب قصائده ذكر فيها أيام الشباب واللهو والغزل . والنسيب : رقيق الشعر .

الضعف والقصور ، ولم أتشوف بجدي لارتقاء هاتيك القصور ، لجمود عين الفطنة القريحة ، وخمود نار الروية والقريحة ، على أن المطالب تغشي الأذهان ، والجواذب تُعشي مقلة السليم بما أهان ، لاسيا ومقام سيدي أشهر من ان يذكر ، والثناء عليه أزهر من ان ينشر ، وليس قصدي الا ترديد ذكراه طربا ، وتعديد مزاياه عجبا ، وإلا فرفيع مَقَامه غني عن المقامة ، وربيع مقامه محط رحال ذوي الثناء والمقالة ،

من كان فوق محل الشمس موضعه   فليس يرفعه شيء ولا يضع

وبالجملة فشريف شمس نسبتي ، أطمعني ان اكون بدري المقام ، ولطيف عنقاء محبتي ، دعاني لإنشائها مع التحية والسلام . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى تابعيه السادة الكرام ، ماناح الحمام ، وفاح شذا مسك الختام .

أقول : ان هذه المقامة لاريب أنها من بحر معارفه خليج ، ومن رياض الطافه شذرة ذات مقام بهيج ، وان له غيرها من النثر والنظم ، مايحسن التهليل والتكبير عند شروقه ، ويشربه السمع فتدب نشوة الحيا في عروقه ، فنثره لعمري عقود الجوهر ، ونظمه نثر اللالىء والدرر ، وهو ممن لم يزل يصل في اجتهاده الليالي بالأيام ، ويعتاض في ازدياده السهر من المنام ، حتى بلغ مبلغاً يقصر عنه امل المتطلع ، وحل محلّا تنقطع دونه رغبة المتطمع ، ونزل من القلوب بمنزلة الامتزاج بين الماء والراح ، وأورد العيون الرياض والقرائح القراح ، فللنواظر فيه مرتع ، وللخواطر منه مستمتع .

وله الأيادي البيض ، في بحر كل كمال طويل او عريض ، فكأن الله براه نوراً مصوراً ، وأطلع غصن كماله غضاً منوراً :

رفيع كمال كلما زاد خاطرى   به أملا زادت محاسنه حسنا

وكيف لا وهو فارس المجال ، ورب الروية والارتجال ، تؤخذ الفصاحة

عن لفظه ، وتروى فنون البلاغة عن حفظه ، أبلغه الله المنى وأفرغ عليه حلة السرور والهنا (١)

السيد بهاء الدين مهدي الرواس بن السيد علي بن السيد نور الدين بن السيد احمد بن السيد محمد بن السيد بدر الدين بن السيد علي الوديني بن السيد الكبير العارف بالله ولي الله الشيخ محمود الصوفي الصيادي الرفاعي قدس الله تعالى سره

العارف الذي تطابقت القلوب على محبته ، واتفقت السرائر والضمائر على عرفانه وولايته ، والعـــالم الذي يفزع في مهم المشكلات اليه ، ويعتمد في الحصول الى القرب والوصول عليه ، قدوة الأنام ، وصفوة الســـادة القادة الكرام : ذو الكرامات التي لاتعد ، والخوارق التي لاتحصى ولا تحد ، وقد ترجمه تلميذه العالم الذي انفرد في زمانه ، والفاضل الذي ارشد اهل عصره وأوانه ، قطب السادة الأحمدية ، ونقطة مدار القادة الرفـــاعية ، من اشتهر فضله بكل نادي ، السيد أبو الهدى افندي الرفاعي الصيادي ، أطال الله بقاه ، وأعلى في مدارج السيادة مرتقاه ، في كتابه قلادة الجواهر ، في ذكر الغوث الرفاعي واتباعه الاكابر ، فقال مانصه : ولد هـذا الهمام ، والاوحد الإمام ، سنة عشرين ومائتين والف ، وتوفي في سنة سبـع وثمانين ومائتين والف ، وقد بلغ رضي الله تعالى عنه من العمر سبعاً وستين سنة . وكانت ولادته في سوق الشيوخ (بليدة صغيرة من اعمال البصرة) سكنها والده رحمه الله ، وأعلى علاه ، بعد الطاعون الذي وقع في البصرة ، وتوفي والده وبقي قدس سره يتيما ، ثم توفيت أمه وقد بلغ خمس عشرة سنة . وكان

---

(١) توفي سيدي الوالد سنة ١٣٢٨ هـ أي قبل عمه المؤلف سيدي الجدّ بسبع سنوات (سنة ١٣٣٥ هـ) تغمدهما المولى برضوانه .

قد قرأ القرآن على رجل هناك يقال له ملا أحمد ، وكان من الصالحين .

ففي خمس وثلاثين ومائتين والف جذبه القدر الى السياحة ، فخرج طالباً بيت الله الحرام ، وجاور بمكة سنة ، ثم تشرف بزيارة جده عليه الصلاة والسلام ، وجاور بالمدينة المنورة سنتين ، وفيها اشتغل بطلب العلم على رجال الحرم النبوي ، ثم ذهب الى مصر ونزّل في الجامع الازهر ، وبقي فيه ثلاث عشرة سنة ، يتلقى العلوم الشرعية عن مشايخ الازهر وفضلائه ، حتى برع في كل فن وعلم ، وهو على قدم التجرد والفقر والانكسار ، ثم عاد سائحاً الى العراق ، فاجتمع بالشيخ العارف بالله ولي الله السيد عبد الله الراوي الرفاعي ، فأخذ عنه الطريقة ، ولزم خدمته والسلوك على يديه مدة ، وأجازه قدس الله سره وأقامه خليفة عنه .

ثم طاف البلاد وذهب الى الهند وخراسان والعجم والتركستان والكردستان ، وجاب العراق والشام والقسطنطينية والاناضول والروملي ، وعاد الى الحجاز ، وذهب الى اليمن ونجد والبحرين وطاف البادية والحاضرة ؛ واجتمع علي أهل الاحوال الباطنة والظاهرة ، وأكرمه الله بالولاية العظيمة ، والمناقب الكريمة ، والاخلاق الحميدة ، والطباع الفريدة ، والقطبية الكبرى ، والمرتبة الزهرا ، وقد تجرد بطبعه عن التصرف والظهور ، والتزم الطريق المستور ، وعد نفسه من أهل القبور ، وكان كثيراً مايعاود في سياحته الى بغداد ، وكان يتجر لدفع الضرورة والتخلص من الاحتياج ، ببيع رؤوس الغنم المطبوخة ، فإذا وجد منها مايدفع الضرورة البشرية ، ترك البيع الى ان تنفد دراهمه ، فيعود الى البيع ، وكان لايمكث في بلدة سبعة أشهر قط ، وأكثر إقامته في البلاد تحت الثلاثة أشهر ، وكان يلبس ثوبا أبيض وفوقه دراعة زرقاء وعبا قصيرة من دون أكمام ، وحزامه من الصوف الأسود عملًا بالأثر الرفاعي ، والسنة المحمدية ، واختفاء عن ظاهر الشيخ . وكان

قدس سره إمام الوقت وشيـــخ العصر علماً وعملا وزهداً وأدبا ، براهينه باهرة ، وسريرته طاهرة ، وقدمه متين ، وعزمه مكين ، وكشفه عجيب ، وحاله غريب . مَنَّ الله عليّ بالاجتماع عليه ، والانتســاب اليه ، في بغداد دار السلام ، في حضرة الباز الأشهب ، والطراز المذهب ، مولانا الشيـــخ عبد القادر الجيلي قدس سره ورضي الله عنه ، وتبركت بخدمته ، وتشرفت ببيعته ، وتنورت بمشاهدته ، وتعطرت بمشافهته ، وأخذت عنه الطريقة ، ولبست منه الخرقة ، وتلقيت عنه بعض علوم الشريعة والحقيقة ، فهو شيخي ومعيني ، وأستاذي ، وقرة عيني وملاذي ، وعياذي ومحل اعتقادي ، وواسطة استنادي ، بلى والله ، وهو الشيخ الجليل العارف بالله ، المتردي برداء الخفاء المشغول بالله عن غيره ، السائح العابد الزاهد صاحب المعارف والعوارف ، والبركات واللطائف ، والعلم الغزير ، والقلب المنير ، والسر الصادق ، والمدد البـارق ، والحال العجيب ، والشـــأن الغريب ، والعلوم العظيمة ، والهمم الكريمة ، والآداب المقبولة ، والكلمات المنقولة ، ولنذكر من شعره العالي هذه القصيدة ، وهي مما يدلك على مقامه الجليل ، ومكانة مكانه النبيل ، وها هي :

طف بوادي القدس من نادى تهامة ... وافرش الخدين في أطلال رامة

وانزل الفيحاء فيحا المنحنى ... حيثما أعلى الندى الطامي خيامه

والك الله إذا وافيتمـــا ... وأنخت الركب فيها بالسلامة

خذ سلاما لأصيحاب الحمى ... من كئيب حرك الركب غرامه

واذكر الشيَّم الذي أودى به ... علمهم أن يرحموا يوما سقامه

غلبتـــه يوم بانوا شدة ... أوقفت فيه فما شد حزامه

وهو لا زال كما هم علموا ... ثابت الأقدام زين الاستقامة

هجرت أخلاقه حال امرىء ... جمل يوما وفي الثاني نعامة

باعهم نفساً نأت عن غيرهم ... وعليهم حملت عِبْءَ الملامة

وإذا قالوا لهـــا موتي جوى ... أنشدت للموت حباً وكرامة

يا أخا الركبان بالله التفت ... ان تعي من موثق الوجد كلامه
مسّ عني ترب ذياك الحمى ... وأجِل في بابه وجها وهامة
باب رحب نزل الروح به ... وبه القرآن قد سل حسامه
موطن الإيمان والعلم الذي ... لمعت منه على الكون العلامة
حضرة الرحمة مضمار الهدى ... مهبط الوحي وميزاب الكرامة
مشهد كم شوهدت من ركنه ... دولة الغيب وأعلام الإمامة
كيف لا والمصطفى من هاشم ... فيه ثاو شرف الله مقامه
خير من مس بنعليه الثرى ... وأجلّ الخلق قدراً وشهامة
والنبيّ العربي المجتبى ... والذي ظهرا أظلته الغمامة
سل تراب الغار عما نسجت ... عنكبوت الغار ليلًا مذ أقامه
وسل الباب الذي شرفه ... كيف حامت حول ركنيه الحمامة
وسل الماء الذي من كفه ... فاض والجيش به نال مرامه
لا تسل عن معجزات ظهرت ... منه جلت وهي تبدو للقيامة
كان في الدين ربيعا عمره ... صامه لله بالله وقامه
وهو نور أزلي طرزه ... صار في وجه وجود الكون شامة
جحفل الرسل الذي قدما أتى ... زين الله بمجلاه ختامه
بابه للأنبيا باب الرجا ... وترى كل الورى يبغي استلامه
وهو ركن المجد مرفوع الذرا ... حصن علم الغيب مكنون الدعامة
طُوي العالم في جبته ... وعلى العرش علت منه العمامة
لو دعا البحر لوافى سائغا ... أو دعا المنقض من ميت اقامه
شرفت جبريل منه خدمة ... حولت فيه عن الدين لثامه
وبه الرحمن أعلى صولة الحق جهرا وبه شاد نظامه
مضمر من حضرة القرب بدا ... ما استطاع الطمس في الغيب اكتتامه
علة الخلق ومن هذا نرى ... أوجب الله على الخلق احترامه

وعلى يافوخ انسان العلى شيد الجبار بالعز مقامه
وله في مقعد الصدق ابتنى منزلا صيره دار الإقامة
ذلك اللوح الإلهي الذي كتبت أيدي العمى فيه الرقامة
وهو قلب غرس الذكر به ما رأى حراسه آن منامه
سجد الأقمار عزا لاسمه عل أن تحسب منه في القلامة
أينها من ذلك النور الذي عدل المولى من الوجه قوامه
فعليـــه الله صلى سرمدا وعلى آل حسوا منه مدامه
وعلى الأصحاب ما حـاد حدا طف بوادي القدس من تادى تهامه

وله قدس الله سره متوسلاً بجده المصطفى ﷺ :

يا من وطينة آدم في مائها مخمـورة الك بالنبوة مظهر
أستر عظيم كبير ذنبي رحمة فنداك أعظم والعناية أكبر

وله في الفناء المحمدي :

أصبحت عينا في مقـــام نيابتي عمن فنيت به وغبت بشهدي
ودعيت في الأكوان فرداً واحداً والحق أعدل شاهد بتفردي

وله في حضرة الحضور

لما حضرت على بساط شهودي أدركت ذوقا كيف غاب وجودي
وفهمت من طور الحضور تحققي في مشهدي بعبادة المعبود
فهجرت ذرات الوجود لأنها تفنى وطبت بحضرة الموجود

وله في مقام الكرم والتحدث بالنعم

لما رفعت على برج الضحى علمي علت إلى منتهى قاب العلا هممي
وقام بي رونق العرفان واشتملت على رقائق أحكام النهى شيمي
فصح لي مشهدي في طور مرصده علما وما زال بي في مذهبي قدمي
وصرت ضمن الخفا قطب الظهور ولي سهم التحدث بين القوم بالنعم
من لاذ بي بات مأمون الجناب على بساط تكرمة في حضرة الكرم

وقال قدس الله روحه وقد ورد عليه وارد الكرم

ظهر السبع من بطين الغاب　　وبدا صائلًا بغير نقــاب
وتجلى الهلال في بهرجان الميــل يبدي ضيــاه للأحباب
هــذه آية سماوية السـر علت نشأة بطي الحجاب
فلك الغيب دار منها فلما　　تمم الدور مال للانحجاب
مظهر بارع بمعنى خفي　　ومقــام مجمل بالثواب
فصبت لي بسدتيه الكرامي　　وكؤوسي تنورت بالشراب
ومقام افتخار دولة عزي　　ساد معنى ففاق فخر جنابي
دهشة أحمدية ذات مهيــا　　ومحيا بدا لذي الالباب
فانا القطب في دكيكين طبخي　　وأنا الغوث في رسيس ثيابي
وأنا الشيخ والرجال تلاميـــذي وعلمي فشا إلى الطلاب
وأنا الفرد في الزمان بشاني　　وأنا المرشد الشريف انتسابي
وانا السيد المعلى جلالي　　سار جيش الشيوخ حول ركابي
وقفول العراق تمشي بظلي　　واستظل الزمان تحت قبابي
قلمي آمر وحكمي جاري　　أذعن الدهر طائعاً لكتابي
دولتي في الجنوب والغرب دارت　　وبأقصى الشرقين طول رحابي
وبنهى السدين صولة بأسي　　وبعلى الدورين سمر حرابي
دارت الطالبون حولي لأني　　كعبة للرجال والاقطاب
حرم طيّب به يأمن الدا　　خل جهراً من شوبة الاتعاب
وطريقي باب الوصول إلى الله وفيضي يجري إلى الانجاب
دولة لا تزال تنفث سرا　　بعد موتي والسر تحت ترابي
وخفائي لا شك عين ظهوري　　وبعيــد التستير يفتح بابي
ستري لي في دورة الشام والشهبــاء نوراً يعلو بنور شهابي
وترى لي مظاهراً تتسامى　　وتسامى الشيوخ في كل باب

وترى نوبتي تضج واسمي يتباهى بذكره نوابي
وترى الحال في زوية ذكري وترى المرتجين في أعتابي [1]
ان ترم نفحتي عليك بسلكي فسلوكي المفتاح للأبواب
وطريقي نور التجلي وسيري عقدة الوصل من يد الوهاب
طف ببابي ولا تمل عن مداري وانح نحوي واسمع لذيذ خطابي
لا تمل نحو جاهل أشغلته عن علانا دنياه بالاكتساب
ذمك الجاهلون جهلاً فخاضوا فرأيناهم بسوء المآب
سلبوا الدين بعد ذاك وراحوا ومآل الرواح بالاعطاب
كم يقولون ما لهذا ضمير انما فخره بلين الثياب
فسمعنا منهم وعنك أجبنا لا يضر السحاب نبح الكلاب
ان تكن عامراً مع الله خل شخص دنياك تحت طي الخراب

وقال لي قدس الله سره وقد كان يتفضل علي ببعض اشارات معنوية ، وقد طرق خاطري هم عظيم لبعض أمور خطرت في سري فقطع حديثه الأول ، ورمقني بعينه المباركة مبتسما وقال فتح عليّ ببيتين خطاباً لك ثم أنشد :

انّ باديك الذي اكننته هو باد ظاهر في خاطرك
اجل قلبا في حمانا اننا نحن قمنا بالذي في خاطرك

ولو أردنا بسط ما رأيناه من كراماته ، وحفظناه من غرائب كلماته ، لطال المطال ، واتسع المجال ، وانا نرى بالذي ذكرناه لأرباب البصائر كفاية ، نفعنا الله به وباخوانه أهل العناية آمين .

---

(١) هذا الوقوف بالأعتاب وعلى الأبواب ، كم أذلّ كثيراً من الناس ، وأضاع عليهم أفكارهم وأعمارهم وأموالهم ، ولو سلكوا مسلك أولئك الرجال لبلغوا مبلغهم « وما يَذكّر إلا أولو الألباب » . آل عمران الآية ٧

وقد تقدم أنه رضي الله عنه توفي ببغداد في الجانب الشرقي منها بمسجد دكاكين حبوب ، وذلك سنة سبع وثمانين ومائتين وألف رضي الله عنه ونفعنا به في الدارين آمين .

الشيخ بدر الدين أبو النور عثمان بن سند النجدي الوائلي (١) ثم البصري المالكي

هو السيد السند ، والعلامة البطل الاوحد ، خاتمة البلغاء ، ونادرة النبغاء ، من له في العلوم على اختلافها القدم الراسخ ، ولا غرو فهو طود أعلامها الشامخ ، كرع من غير حياضها حتى ارتوى ، وعرج إلى سماء المعالي وعلى عرش كمالها استوى :

مولى به كل الفضائل قد زهت وغدت تقاد إليه كالخدام

وفضله وعلو كماله لا يحتاج إلى تعريف ، بل تنبيء ألسنة مؤلفاته الفائقة بحسن الترصيف والتوصيف . (٢) أخذ العلم ورواه عن مشايخ أجلاء ، وجهابذة حكوا في السمو كواكب الجوزاء ، منهم علامة العراق على الإطلاق ، وفهامتها الموسوم بحسن الشمائل والأخلاق ، الرحلة المرشد لكل فضيلة وهادي ، الشيخ علي بن محمد السويدي البغدادي ، ومنهم العلامة الأوحد ، والجهبذ المفخم المفرد ، المنلا محمد أسعد بن عبيد الله بن صبغة الله الحيدري الماوراني ، مفتي الحنفية والشافعية ، بدار السلام المحمية ، ومنهم العلامة المفضال ، زين أرباب المعارف والكمال ، السيد زين العابدين جمل الليل المدني ، فانه لازمه حين ورد إلى بغـــداد والبصرة في دروس الحديث وغيرها ، وأجازه بمروياته كلها ، وحرر له إجازة لطيفة فيها بيت من نظمه وهو قوله :

---

(١) نسبة إلى قبيلة من عنزة ، وهي وائل بن قاسط . من أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان .

(٢) أي بحسن الترتيب والتبويب .

أنا الدخيل اذا عُدّت أصول علا فكيف أذكر اسناداً لدى ابن سند

وأخذ الطريقة الخالدية ، وألف في ترجمة حضرة مولانا الشيخ خالد النقشبندي قدس سره المعيد المبدي ، الكتاب الشهير الذي أمسى في البلاغة والفصاحة عديم المثل والنظير ، وهو أصفى الموارد ، من سلسال أحوال مولانا خالد . وأخذ عن غيرهم من علماء الحجاز والعراق ، وغيرهما من الآفاق ، وفي عام الف ومائتين وسبعة عشر ولي مدرسة المُفاسية ، في البصرة المحمية ، فصار بها شيخ المدرسين ، ومرجع أهل الفضل والتمكين . وقد كان رحمه الله تعالى آية باهرة في النثر الفائق البديع ، الذي يخجل الحريريّ والبديع ، والنظم الرائق المريع ، الذي يزري بعقود الجمان ، في نحور الحسان ، ولا بدع فهو حسّان الزمان السائد على الجميع . وبالجملة فقد خصه الله تعالى من تراث العلم بأوفى قسم ، وضرب له من المعارف والمعالي بأوفر قسم . وقد ألف عدة مؤلفات مفيدة هي في جبهة الدهر غرر ، وفي سمط الفصاحة والبلاغة درر ، فممّا اطلعت عليه منها : كتاب هداية الحيران ، وهو نظم عوامل الجرجاني ، قال في أثناء خطبته :

هذا وإن النحو لمّا جلاّ مقامه بين الورى محلاّ
جعلت من قبل اعتمام العمة أعمل فيه يعملات الهمّة
أسوم ذود الفكر في شعابه وأورد الأنظار في عبابه
وإذ قضى الله الكريم أنّي أهصر من غصونه وأجني
نظمت ماينمى الى الجرجاني عواملا منثورة الجمان

وهي منظومة على هذا النسق العجب ، وموشحة بأمثلة غزلية تكتب بماء الذهب ، ومنها « جيد العروض في القوافي والعروض » قال فيه :

وسمّيته جيد العروض لكي أرى به جيد من رام العروض مجمّلا

ومنها كتاب « الصارم القرضاب في نحر من سب أكارم الصحاب »

وهو ديوان جليل رد فيه على دعبل بن علي الخزاعي الرافضي (١) في عدة قصائد بديعة ، ختمها بقصيدة ميمية ضمنها أنواع البديع ، مدح بها النبي ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم ، ومنهـا « مطالع السعود ، بطيب أخبار الوالي داود » وهو تاريخ جمع كثيراً من أخبار العراق وتراجم رجاله ووزرائه ، خصوصاً وقد اشتمل على تفصيل أحوال عالم الوزراء ووزير العلماء ، الوزير الشهير داود باشا والي بغداد سابقاً طاب ثراه ، وقد بيض المترجم هذا التاريخ الجميل ، بأمر هذا الوزير الجليل ، سنة ألف ومائتين وأربعين ، لما استدعاه إلى بغداد ، فأكرمه وأجله ، ورفع مقامه ومحله ، وأمره بما تقدم ، ليكون ذكر عدله وعلمه مخلداً بين الأمم ، وقـد اختصره الفاضل الهمام الشيخ أمين المدني وطبع مختصره في مدينة بومباي ، ولو طبع الأصل لكان أكثر فائدة ، وأجدر عائدة ، غير أنه أراد الاقتصار على ذكر الوقائع التاريخية فقط والله تعالى أعلم . وفي سنة ألف ومائتين وخمس وعشرين أرسل المترجم بخطه كتاباً إلى العلامة المرحوم الشيخ غنام النجدي الزبيري ، نزيل دمشق الشام ، المتوفى بها سنة ألف ومائتين وسبع وثلاثين ، ذكر فيه بعض ما له من التآليف والآثار ، فذكر أن له شرحاً على نظمه للعوامل ، وعلى منظومته التي نظمهـا في العروض ، وانه نظم الشافية في التصريف ، ونظم مغني اللبيب على ترتيب عجيب ، ينوف على خمسة آلاف بيت ، ووشحه بأمثلة هي من بنات فكره ، ونظم الورقات لإمام الحرمين ، وشرحه ، ونظم النخبة في المصطلح ، ونظم في الحساب كتاباً وشرحه ، ونظم القواعد وهو مشتمل على غزل الغزل المقل ، وله نظم في الاستعارات ، ومنظومة في مدح إمام أهل

---

(١) شاعر هجاء ، وفي ابن خلكان : كان بذيء اللسان مولعاً بالهجو ، هجا الخلفاء العباسيين : الرشيد والمأمون والمعتصم والواثق ، فمن دونهم (م : سنة ٢٤٦)

السنة سيدنا الإمام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه ، وذكر أيضاً أن له تاريخاً على نحو سلافة العصر سماه « الغرر في وجوه القرن الثالث عشر » وطلب منه إرسال ما تيسر له ترجمته من أجلاء دمشق ، وله غير ذلك كثير ، لأنه عاش بعد تاريخ ذلك الكتاب الذي أرسله للشيخ غنام المرقوم ما ينوف على عشرين سنة . ومن كلامه برد الله مضجعه :

لولاك يا ظبية الوعساء لم أرقِ　　دمعا ولم اكحل العينين بالأرق
ولم امر اكحل الظلما بيعملة　　كالميل جال بمسود من الحدق
أرمي بهـا كل فج لو تجشمه　　مع الرياح لما هبت من الغرق

إلى أن قال :

حتى إذا سال ريق الفجر من فمه　　على البسيطة واحمرت لى الشفق
اشرت للركب ان صلّوا فقد جعلت　　أيدي ذكا تسلخ الظلما عن الأفق

وهي طويلة الغزل مشتملة على وصف الليل والنجم ووصف الركاب وأنواع جمة .

وقد ذكر المترجم وأثنى عليه جم غفير من الأفاضل ، منهم العلامة الشهير السيد محمد أمين عابدين ، حيث قال في كتابه « سل الحسام الهندي » ما نصه : ومن أراد الزيادة على ذلك من أوصاف هذا الإمام ، فليرجع إلى الكتاب الذي ألفه فيه الهمام ، خاتمة البلغاء ، ونادرة النبغاء ، الأوحد السند ، الشيخ عثمان بن سند ، الذي سماه « أصفى الموارد في ترجمة حضرة سيدنا خالد » فانه كتاب لم يُحَكْ ببنان البيان على منواله ، ولم تنظر عين إلى مثاله ، بما اشتمل عليه من الفقرات العجيبة ، والقصائد الرائقة الغريبة ، عارض فيه المقامات الحريرية ، والأشعار الحسانية والجريرية . وذكره أيضاً وأثنى عليه خاتمة المفسرين العلامة شهاب الدين محمود افندي الألوسي ، في « الفيض الوارد » والعلامة السيد ابراهيم فصيح الحيدري

في « المجد التالد » وكان حضرة مولانا خالد يصفه بجريري الزمان ، وناهيك بهذه الشهادة من مثل هذا العارف الجليل الشان ، وقد ترجمه أيضاً حضرة الفاضل المفرد ، والمؤرخ الأوحـــد ، احمد بن محمد بن علي بن ابراهيم الأنصاري اليمني الشرواني ، في « حديقته » فقال : القول فيه أنه طرفة الراغب ، وبغية المستفيد الطالب ، وجامع سور البيان ، ومفسر آياتها بألطف تبيان ، أفضل من أعرب عن فنون لسان العرب ، وهو إذا نثر أعجب ، وإذا نظم أطرب ، فوالعصر ، انه لامام هذا العصر ، أخبرني بديع الزمان ، شيخنا الشيخ عبد الله بن عثمان ، أن هذا الفاضل الأديب ، أبدع في نظمه « مغني اللبيب » وأبرز أسرار البدائع بتصانيفه المشتملة على اللطائف والروائع ، متع الله بحياته ذوي الكمال ، وجمعني به على اجمل حال ، فمن شعره هذه الابيات ، وقد وجدتها بخطه في ظهر كتاب تضمن حاشية الشيخ العلامة ياسين على مختصر المطول ، قال أنجحت آماله : وقلت على لسان محبوب طلب وصاله :

أيها الصب الأديب لاترى وصل الحبيب

فالثريا لاترى قبل تغييب الرقيب

ولـــه

قد زارني والليل يحكي فرعـــه ظبي الشذا[1] انا في النحول كخصره

فجنيت من وجناته مـــا اشتهي ورشفت من صبب بجمـرة ثغره

فسكرت حتى مست مثل قوامه طربا ولم أشعر عواقب وزره

ويطربني قوله

قلت لمـــا قال لي خشف[2] الفلا صف عذاري وقوامي واعجـــلا

ياعـــديم المثل قد كلفتني غير مـــا اقدر حتى قلت لا

---

(١) ريح المسك وقوة ذكائه .

(٢) الخشف (بتثليث الخاء) ولد الظبي أول ما يولد .

أي لا أقدر من الاكتفا (ولا) هي جوابه فاللام عذاره والالف قوامه . هذا ماوجدت من نظمه المباهي بانواره البدور ، والميسور لايسقط بالمعسور. انتهى كلام الشرواني في ترجمة هذا الامام .

والحاصل ان هذا الفرد الهمام قد اشتمل شعره على ماتستلذ به الاسماع ، ونثره على ماتميل اليه الطباع ، وتأليفاته على درر غالية الاثمان ، وتصنيفاته على عقود لآليها مزرية بقلائد العقيان[1] ، قد انتخبها واختبأها لمن هو أهل ، لالمن غلب عليه دعوى العلم على جهل . فلا ريب أنه خزانة الفضائل ، وتاج هامة الافاخم الافاضل ، قد قضى له الفضـــل بإنه أحق به ممن سواه ، واختاره فن البيان سنداً له فقدمه وأحسن مثواه . ولم يزل يترقى على درج العلم والعمل ، ويحرر مايخلد له الذكر الجميل بين الأمم ، ويقبل على المتعلمين اقبال الوالد الشفوق بالولد البار ، ويبث لهم ماينفعهم في دنياهم وفي دار القرار ، الى أن دعاه الداعي الى الديار الآخرة ، والمنزلة الفائقة الفاخرة ، فلبى الداعي من غير امهال ، معتمداً على فضل ذي العظمة والنوال . وذلك في سنة الف ومائتين وخمسين من هجرة السيد الامين .



(١) الذهب الخالص .

حرف التاء

الشيخ تقي الدين الدمشقي الشافعي من ذرية تقي الدين الحصني

ابن حسن بن مصطفى بن اسماعيل بن محب الدين بن شمس الدين بن زين الدين بن ضياء الدين بن زين الدين عميرة البوصلي البلقاوي ، الشهير بتقي الدين الحصني ، ابن زين الدين عمر ، بن السيد نور الدين معلّى ، بن السيد نجاد الدين نجدة ، بن السيد الشيخ الصالح زين الدين عبد المؤمن ، ابن السيد حريز الدين ، بن السيد الشيخ الصالح نور الدين معلّى ، بن السيد مؤتمن الدين مؤمن ، بن السيد حريز الدين ، حريز بن السيد سعد الدين سعيد ، ابن السيد فخر الدين داود ، بن السيد شرف الدين قاسم ، بن السيد علاء الدين ، بن السيد نور الدين علوي ، بن السيد منسى فخر الدين نامي ، بن السيد جوهر الدين جوهر ، بن السيد علاء الدين علي ، بن السيد ابي القاسم ابن السيد سالم ، بن السيد عبد الله ، بن السيد زين الدين عمر ، بن السيد شرف الدين موسى ، بن السيد محيي الدين يحيى ، بن السيد علاء الدين الاصغر ، بن السيد محمد التقي الجواد ، بن السيد الحسن العسكري ، بن علي الرضى ، بن موسى الكاظم ، بن جعفر الصادق ، بن محمد الباقر ، بن علي زين العابدين ، بن الحسين الشهيد بكربلا ، بن علي بن أبي طالب ، بعل البضعة الشريفة السيدة فاطمة الزهراء ، بنت سيد العالمين ، وختام الانبياء والمرسلين ﷺ وعليهم اجمعين .

ولد المترجم بدمشق الشام ، واخذ عن السادة العلماء الأعلام ، منهم العلامة السيد نجيب القلعي الدمشقي ، والشيخ محمد الكزبري ، وغيرهما من الشيوخ الدمشقيين ، وكان صالحاً عابداً ، محترماً تقياً زاهداً ، نير الوجه حسن الأخلاق ، بين اسمه ومعناه حسن الطباق ، مات سنة عشرين ومائتين والف ودفن في تربة باب الصغير رحمه الله .

توفيق باشا بن اسماعيل باشا بن محمد علي باشا الخديوي

غب أن عَزلت الدولة العثمانية اسماعيل باشا(١) ولت مكانه ولده المرقوم محمد توفيق باشا ، فسافر اسماعيل باشا بحريمه وابنائه إلى مملكة ايطاليا ونزل في نابلي بقصر لحكومة ايطاليا ، وتصرف المترجم في سياسة مصر وحكومتها ، وذلك سنة الف ومائتين وست وتسعين ، فغير وبدل ، ونصب وعزل ، فجعل رئيس الوزارة رياض باشا ، وجعل من كل من فرانسا وانكلتيرة مراقباً مالياً ، يحضر مجلس الوزراء وله صوت فيه بحيث لا يكون ولا ينفذ إلا ما وافق عليه المراقبان ، وقسمت مداخيل الحكومة على قسمين ، احدهما لفائض الديون ، وقدر تلك الديون نحو الفي مليون فرنك ، ومقدار ما عين لفائضها واستهلاك اصلها نحو مائة وستين مليون فرنكا سنوياً ، والباقي من مداخيل الحكومة يدفع منه خراج الدولة العثمانية وبقية مصاريف الحكومة ، وجرى التصرف للوزارة بدون مجلس نواب ، مع وعد الخديوي عند ولايته بفتحه ، واجراء

---

(١) هو أول من لقب بالخديوي من رجال اسرته ، وفي عهده أنشىء المتحف المصري ودار الكتب المصرية ، كان مسرفاً في الإنفاق على ملاذه وعلى مشروعاته توفي سنة ١٣١٢ هـ ١٨٩٥ م في الأستانة ، ونقلت جثته إلى القاهرة . ومن أولاده : الخديوي توفيق ، والسلطان حسين ، والملك فؤاد .

مقتضاه ، الى أن ظهر للوزارة ان تحدث قانوناً في ترتيب ترقي العسكر ، كان من مقتضاه ان أبناء مصر العارفين بالكتابة والقراءة لا يتجاوزون رتبة رئيس الألف المسمى عند الناس باليين باشي ، والذي لا يعرف ذلك لا يستولى إلاّ رتبة عشرة أنفس ، وهو المعروف بالاونباشي ، وبقية المصالح العظيمة ، والرتب الجسيمة ، يتولاها الدخيلون في مصر كالترك والافرنج فامتنع من الإمضاء على القانون في وزارة الحرب عدة من امراء الألايات [١] ، متعللين بأن ذلك خلاف الانصاف ، فسجنهم وزير الحرب ، فثارت العساكر واخرجوهم من السجن ، وأحاطوا بقصر الخديوي طالبين عزل وزير الحرب ، فعزل وحصلت حينئذ طنطنة لاتحاد العساكر وانصافهم وحياة المصريين ، ونشأ فيهم حزب يسمى الحزب الوطني زعيمه في الكلام رجل يسمى عبد الله نديم ، فصيح اللسان ، عارف بطرق الكلام ، وكثرت منه الخطب في الجامع والمواكب ، ومن غيره أيضاً في الحث على الاتحاد ، واخذ الاشغال لأبناء الوطن ، وكذلك الوظائف والخروج من وطأة الاجانب الذين اشتد احتقارهم للأهالي واستبدادهم عليهم بالمرتبات الباهظة ، حتى صار يسمع دوي غليان الاهالي من كثرة توظيف الاجانب الذين بلغ عددهم نحو الف ومائتي متوظف ، يأخذون سنوياً نحو احد عشر مليون (فرنكاً) ، مع اقتدار الاهالي على الوفاء بتلك الوظائف ، ونقصان مرتبهم عن ذلك بكثير ، ثم بدا للوزارة لزوم التنقيص من عدد العساكر ، فثار الجند واحدقوا بقصر الخديوي متسلحين حتى بالمدافع ، بعد أن ارسلوا إلى نواب الدول بالأمن عليهم وعلى رعاياهم ، والاعلام بمقاصدهم وكان رئيس ذلك الاتحاد رجل من أهل مصر في رتبة (أميرالاي [٢]) ، فصيح اللسان ، ثبت الجنان ، اسمه عرابي باشا فطلب هو ورؤساء الجيش الاجتماع بالخديوي ، فلما تيقن الخديوي جد طلبهم بواسطة خطاب قنصل الانكليز معهم تلقاهم فأعلموه بأن مطلبهم هو عزل الوزارة وولاية

---

(١) قواد الفيالق ، أي الجيوش العظيمة .

(٢) ألاي : كلمة تركية ، ومعناها جيش عظيم .

رئاستها شريف باشا وجمع مجلس النواب واجراء قراره حقيقة ، وأن تكون له الحرية اللازمة لمثله ، وأنه لا يمس حقوق الاجانب ، وتعهدات الحكومة معهم ، فلم يسع الحال إلا لقبول جميع المطالب واجرائها فعلاً ، وازداد عرابي نفوذاً ، وانطلقت الالسن بالحرية ، فلما اجتمع مجلس النواب ألف قانونه الذي تبتنى عليه أحكامه ، وكان من جملته أنه له الحق في الاطلاع على حساب الحكومة في الحال ، وله الرأي فيه ، مع ان ذلك من خواص مأمورية المراقبة الفرنساوية والانكليزية ، فامتنعت وزارة شريف باشا من قبول ذلك ، لما تعلم من تداخل الدولتين في الامتناع حتى يفضي الى التداخل في السياسة ، فأصر المجلس على طلبه ، وأظهرت العساكر التعصب للمجلس ، فاستعفى شريف باشا ووزراؤه ومن هنا خرجت الاعمال عن القصد الجميل لما يوقعها في الزوال ، لان العاقل ينظر لجميع مقتضيات الحال ، ونسبة قوة الدول ، فيتباعد عن موجبات الفساد ، ولا تطلب النهايات في البدايات كما هو القاعدة الشهيرة القائلة من طلب الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه ، لكن سبق القدر فلم يتدبروا واستعجلوا فأصروا على طلبهم ، ففوض الخديوي انتخاب الوزارة الى المجلس مع أنه من حقوقه ، تطييبا لخاطر الاهالي ، فاستولى رئاسة الوزارة محمود سامي ، واستولى وزارة الحرب عرابي باشا ، وابتدأ من هنا أيضا الاعتراض عليه من العقلاء في قبول الوزارة ، لان مقامه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يأبى قبوله الوزارة ، لان قبوله يوقعه في التهمة من انه له غرض خاص في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ، وهو ارتقاؤه الى المناصب العالية ، سيما بعد أن رقى من كان معه من رؤساء العساكر الى رتبة اللواء وقبل هو من الخديوي بعد الالحاح عليه فوافقت الوزارة رأي المجلس ، وكانت اذ ذاك ألسن الاهالي بذية مطلقة بالقدح في الاروباويين ، والتبجح بما هم عليه مما أسف عليه عقلاء المسلمين .

يمضي على المرء في أيام محنته حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن

فهاجت صحف أوربا ضداً عليهم ، وأشدهم الفرنساويون والانكليزيون ، حتى ابرقت وارعدت دولتاهم متهددين بالحرب ، طـالبين نفي عرابي وبعضا من رؤساء العسكر الذين رقوا الى رتبة اللواء ، وارجاع وزارة شريف باشا ودحض مطلب مجلس النواب في التداخل في أمر المراقبة ، فوقع اضطراب وهيجان ظهرت فيه دعوى على بعض من العساكر الجراكسة ، بأنهم قصدوا قتل عرابي باغراءات سرية منسوبة الى طلعة باشا احد علائق اسماعيل باشا ، فنفيت أولئك الجراكسة الى الاستانة ، وبقوا فيها تحت الحفظ مكرمين في أحد البناءات السلطانية ، الى ان رجعوا بعد الحرب الآتي ذكره ، فلما اصرت الدولتان على ذلك ، أعلن الخـديوي بعزل الوزارة ، فثارت الاهالي والعساكر والزموا الخديوي بارجاع عرابي الى وزارته ، وحضر اذ ذاك مرخص عثماني ، وهو المشير درويش باشا ومعه عدة رجال لإقرار الراحة في مصر بالوجه السياسي ، لأن الاهالي أيضـاً أكثروا من التنويه بانتمائهم للدولة العثمانية ، ووردت منهـا أفراد على الوجه الخصوصي من قبل لاراحة الاهالي ، وكان الخلاف بين عرابي والخديوي عند قدوم درويش باشا مشتداً ، حتى ظهر الخبر بأن الاهالي قدموا عرض محضر بطلب عزل الخديوي عند قدوم درويش باشا بل تفاقم الطمع إلى إخراج الخديوية عن عائلة محمد علي أصلاً ، وطلب أن تكون مصر مثل البلغار في امتيازاتها التي منها اختيار الوالي ، وأن لا تتداخل فيهم الدولة العثمانية بشيء في إدارتهم ، بل تحرشت صحفهم بأنها لو ترسل عساكر ضدهم فانهم يقاتلونهم كما يقاتلون سائر الدول ، وحينئذ أعلنت كل من فرانسا وانكلتيره بابقاء الخديوي ونفوذه ، وقطع دابر مضاده بالقوة الجبرية ، غير أن فرانسا تطلب أن تكون قوتها وقوة الانكليز هي الفعالة ، ولا تسمح للدولة العثمانية بذلك ، وانكلتيره على

ضدها ، فتطلب مبادرة عساكر الدولة العثمانية لذلك ، فرأت الدولة العثمانية أن فصل النازلة يتم بدون احتياج إلى قوة ، وأرسلت درويش باشا ومن معه لذلك ، وحصل من قدومه ما أغاظ كثيراً من الأروباويين لانقياد العساكر المصرية والأهالي للسلطان ، وامتثال أمره وابتداء السكون والتوافق بالرضى بالحصول شيئاً فشيئاً ، لكنه حدث في اسكندرية التي كانت إذ ذاك مرساها غاصة بأساطيل الدول الأروباوية ، حادثة شنيعة وهي قتال بين المسلمين والنصارى السكان بسبب مشاجرة عادية ، فطبل الأروباويون وزمروا حتى توجه الخديوي ودرويش باشا وعرابي إلى الإسكندرية لإقرار الراحة ، وأقر الدول جميعاً أن الواقعة عادية لا دخل لها في السياسة ، غير أن أصل المسألة من إصرار الدولتين على مطلبهم ، وامتناع أهالي مصر لا زال على ما كان ، وفرانسا أشد إقداماً وتهديداً بإعلان الحرب ، وطلبت انكلتيره عقد مؤتمر في الاستانة لما يجب من العمل ، فامتنعت الدولة العثمانية من التداخل فيه لما لها من حق السيادة وحدها على مصر ، فرأت أن ذلك من باب تداخل الدول في داخليتها ، لكنهم عقدوه ودخلت فيه الدولة العثمانية أخيراً ، وبينما هو في التفاوض كانت العساكر المصرية تصلح في حصون الاسكندرية حيث انها خربة ولا استعداد فيها ، لأن الدولة العثمانية كانت حجرت على اسماعيل باشا تحصينها عندما احكم حصن ابو قير جوار الاسكندرية ، وحصون دمياط وغيرها لما سبقت الاشارة اليه في اخبار اسماعيل باشا ، ولما رأت أساطيل الدولتين ذلك التحصين ادعوا أنه تهديد لهم ، وطلبوا الاقلاع عنه ، فأمرت الدولة العثمانية بالكف عن التحصين ، وادعى المصريون الامتثال ، وادعى رئيس اسطول الانكليز عدمه ، وطلب دخول عساكره الى الحصون ، فتفاقم الخلاف واطلقت النيران من الاسطول الانكليزي على الاسكندرية فخربتها في نحو عشر ساعات ،

وتضررت بعض مدرعاته ، وانحـازت العساكر المصرية الى مكان يسمى كفرالدوار ، وجيشوا هناك ، واستولت العساكر الانكليزية على الاسكندرية وبقي الخديوي فيها ، وانكشف الغطاء على مخالفة العساكر للخديوي ، وكان معه درويش باشا المذكور ، فرجع الى الآستانة وبقي مع الخديوي الكاتب الثاني للسلطان ، واشتد إلحاح الانكليز على الدولة في ارسال العسكر ، ولم ترسل الدولة الى أن وقعت عدة محـــاربات برية ، كان النصر فيها للمصريين ، واستولت انكلتيره على بورت سعيد وسائر خليج السويس ، وكان اكبر المعسكرات المصرية في التل الكبير بين القاهرة والاسمـــاعيلية ، وتضايق الانكليز في لزوم قوة كبيرة لهم لاتمام قصدهم ، لأن فرانسا لما فتح مجلس نوابهـــا لاستشارته في حرب مصر انكر ذلك أشد الانكار ، فسحبت أسطولها وبقيت على الحياد ، والدولة العثمانية وان وافقت أخيراً على ارسال عسكرها لكن تشدد الانكليز في جعله تحت أمرهم ، وان لايتصرف الا على نحو اشارتهم ، وان يخرج متى ماأمروه بالخروج أَلزَمَ تأخر ارساله ، وكان تصرف العساكر المصرية بغاية الاحتراز من الأفعال البربرية ، سوى ماصدر من أفراد من العربان والفلاحين في جهات قليلة ، وبينما الأمر على ذلك واذا بالدولة العثمانية نشرت اعـــلانا حسب طلب انكلتيرة ، بأن عرابي وكل من انحاز الى حزبه عصاة ، فلم يمض على ذلك بضعة أيام الا وقـد انحلت عرى التعصب المصري ، ودخلت العساكر الانكليزية الى القاهرة بدون أدنى حرب ولا معارضة ، مع أن الجيش المصري ومن انضم اليه من العربان وغيرهم المتجاوزين المائة الف والخمسين الف محارب بأتم قوات الاستعداد ، فتفرقوا جميعـــاً أيدي سبا في بضع ساعات ، وسلم عرابي نفسه أسيراً الى الانكليز ، فرجع الخديوي الى مصر وأقيم وكيل مدافع انكليزي عن رؤساء العساكر المصرية ، وآل الأمر

حسب ارادة (انكلاتيره) ان حكم بعقاب عرابي ، لكن الخديوي عفا عنه لأنه لم يفعل شيئاً الا عن وفاق من يتبع ، وأبقى له مرتبا للقيام بنفسه، ونفي هو وكبراء الرؤساء الى جزيرة سيلان في الهند ، وذاك هو التعليل الباطني ، مع ان حزبا عظيما من الانكليز يرون أن جناية اولئك العساكر سيـــاسة توجب القتل ، فلذلك حكم عليهم المجلس الحربي بالقتل لكن الخديوي عفا عنهم ، وأبدل القتل بالنفي ، ولم تزل العساكر الانكليزية مقيمة بمصر ورجـالهم السياسيون هم مرجع الأمر والنهي والوزارة تحت رئاسة شريف باشـــا ، وناظر الداخلية الذي له كمال النفوذ رياض باشا وانكلاتيرة بصدد ترتيب حـالة جديدة للسيرة السياسية داخلية وخارجية لمصر ، مع اعلانها بأن مصر تحت سيـــادة الدولة العثمانيه على امتيازاتها المقررة بالفرامانات السلطانية ، وان التراتيب التي هي بصددها لاتمس شيئاً من حقوق الدولة ، ولا معاهدات الدول الاجنبية ، وتقلص نفوذ فرانسا في مصر ولم تزل غير مسلمة رسمياً لانكلاتيرة بمرادها ، وللروسية ميل الى معاضدة فرانسا ، هذا ماوقع الى الآن وهو المحرم سنـــة الف وثلاثمائة .

(تذييل)

اعلم أن مصر مملكة عثمانية لها امتيازات خاصة بيّنهـــا الفرمان الصادر في ولاية الخديوي المترجم المرقوم وهو محمد توفيق باشا (١) وهذا نصه : الدستور الاكرم المعظم ، الخديوي الأفخم المحترم ، نظام العالم ، وناظم مناظم الأمم ، مدبر أمور الجمهور بالفكر الثاقب ، متمم مهام الأنام بالرأي الصائب ، ممهد بنيان الدولة والاقبال ، مشيد أركان

---

(١) تجد المنشور السلطاني (الفرمان) لجميع الامتيازات الخديوية المصرية في (ص٣٠٤ ـ ٣٠٨) من « تاريخ الدولة العلية العثمانية » تأليف محمد فريد بك ، المطبوع بمصر سنة ١٣١٤ هـ ١٨٩٦ م وقد صدر هذا المنشور في عهد السلطان عبد العزيز .

السعادة والاجلال ، مرتب مراتب الخلافـــة الكبرى ، مكمل ناموس السلطنة العظمى ، المحفوف بصنوف عواطف الملك الأعلى ، خديوي مصر الحائز لرتبة الصدارة الجليلة فعلاً ، والحامل لنيشاننا الهمايوني المرصع العثماني ، ولنيشاننا المرصع المجيدي ، وزيري سمير المعالي توفيق باشا ادام الله تعالى اجلاله ، وضاعف بالتأييد اقتداره واقباله ، انه لدى وصول توقيعنـــا الهمايوني الرفيع ، يكون معلوماً لـكم انه بناء على انفصال اسماعيل باشا خديوي مصر ، في اليوم السادس من شهر رجب سنة الف ومائتين وست وتسعين ، وحسن خدمتكم وصداقتكم واستقامتكم لذاتنا الشاهانية ، ولمنافع دولتنا العلية ، ولما هو معلوم لدينا بأن لـكم وقوفاً ومعلومات تامـة في خصوص الأحوال المصرية ، وانـكم كفء لتسوية بعض الأحوال الغـــير المرضية التي ظهرت بمصر منذ مدة ، ولاصلاحها ، وجهنا الى عهدتـكم الخديوية المصرية المحدودة بالحدود القديمة المعلومة ، مع الاراضي المنضمة اليها المعطاة الى ادارة مصر ، توفيقاً للقاعدة المتحدة بالفرمان العالي الصادر في ثلاثة عشر محرم سنة الف ومائتين وثلاث وثمانين ، المتضمن توجيه الخديوية المصرية الى أكبر الأولاد ، وحيث انـكم أكبر أولاد الباشا المشار اليه وجهت الى عهدتـكم الخديوية المصرية ، ولمـا كان تزايد عمران الخديوية المصرية وسعادتها وتأمين راحة كافة أهاليها وسكانها ورفاهيتهم هي من المواد المهمة لدينا ومن أجل مرغوبنا ومطلوبنا ، وقد ظهر أن بعض أحكام الفرمان العالي الشأن المبني على تسهيل هذه المقاصد الخيرية المبين فيـه الامتيازات الحائزة لها الخديوية المصرية قديما ، نشأ منه الاحوال المشكلة الحاضرة المعلومة صار تثبيت المواد التي لا يلزم تعديلها من هذه الامتيازات وتأكيدها ، وصار تبديل المواد المقتضى تبديلها وتعديلها واصلاحهـا فما تقرر اجراؤه الآن هو المواد الآتية ، وهي ان كافة واردات الخطة المذكورة يكون تحصيلها واستيفاؤها باسمنا الشاهاني ، وحيث أن أهـــالي مصر أيضاً من

تبعة دولتنا العلية ، والخديوية المصرية ملزمة بإدارة أمور المملكة الملكية والمالية والعدلية ، بشرط أن لا يقع في حقهم أدنى ظلم ولا تعد في وقت من الأوقات ، فخديوي مصر يكون مأذوناً بوضع النظامات اللازمة للداخلية المتعلقة بهم وتأسيسها بصورة عادلة ، وأيضاً يكون مأذوناً بعقد وتجديد المشارطات مع مأموري الدول الأجنبية في خصوص الكمرك [١] والتجارة وكافة أمور المملكة الداخلية ، لأجل ترقي الحرف والصنائع والتجارة وتوابعها ، ولأجل تسوية المعاملات السائرة التي بين الحكومة والأجانب ، أو الأهالي والأجانب ، مع أمور ضابطة الأجانب بشرط عدم وقوع خلل في معاهدات دولتنا العلية السياسية ، وفي حقوق متبوعية مصر إليها ، وانما قبل اعلان الخديوية المشارطات التي تعقد مع الأجانب بهذه الصورة يصير تقديمها إلى بابنا العالي ، وأيضاً يكون حائزاً للتصرفات الكاملة في أمور المالية لكنه لا يكون مأذوناً بعقد استقراض من الآن فصاعداً بوجه من الوجوه ، وإنما يكون مأذوناً بعقد استقراض بالاتفاق مع المداينين الحاضرين أو وكلائهم الذين يعينون رسمياً ، وهذا الاستقراض يكون منحصراً في تسوية أحوال المالية الحاضرة ومخصوصاً بها ، وحيث أن الامتيازات التي أعطيت إلى مصر هي جزء من حقوق دولتنا العلية الطبيعية التي خصت بها الخديوية وأودعت لديها ، لا يجوز لأي سبب أو وسيلة ترك هذه الامتيازات جميعها أو بعضها أو ترك قطعة أرض من الأراضي المصرية إلى الغير مطلقاً ، ويلزم تأدية مبلغ ٧٥٠ ألف ليرة عثمانية الذي هو الويركو [٢] المقرر دفعه في كل سنة في أوانه كذلك جميع النقود التي تضرب في مصر تكون باسمنا الشاهاني ، ولا يجوز جمع عساكر زيادة عن ثمانية عشر ألفاً ، لأن هذا القدر كاف لمحافظة أمنية إيالة مصر [٣] الداخلية في وقت الصلح ، وإنما حيث أن قوة مصر البرية والبحرية هي مرتبة من أجل دولتنا العلية يجوز أن يزاد مقدار عساكر

(١) المكس ج : مكوس .
(٢) ضريبة العقار .
(٣) أمن ولاية مصر .

بالصورة التي تستنسب حالة كون دولتنا العلية محاربة وتكون رايات العساكر البحرية والبرية والعلامة المميزة لرتب ضباطهم كرايات عساكرنا الشاهانية ونياشينهم (١) ، ويباح لخديوي مصر أن يعطي الضباط البرية والبحرية رتباً إلى غاية رتبة أميرالاي ، والملكية إلى الرتبة الثانية ، ولا يرخص لخديوي مصر أن ينشيء سفنا مدرعة إلا بعد الإذن وحصول رخصة صريحة قطعية إليه من دولتنا العلية ، ومن اللزوم وقاية كافة الشروط السالفة الذكر والاجتناب من وقوع حركة تخالفها ، وحيث صدرت ارادتنا السنية باجراء المواد السابق ذكرها فقد أصدرنا أمرنا هذا جليل القدر الموشح أعلاه بخطنا الهمايوني ، وهو مرسل صحبة افتخار الاعالي والأعاظم ، ومختار الاكابر والافاخم ، على فؤاد بك باشكاتب المابين الهمايوني (٢) ، ومن أعاظم رجال دولتنا العلية الحائز والحامل للنياشين العثمانية والمجيدية ذات الشأن والشرف . حرر في تاسع عشر شهر شعبان المعظم سنة الف ومائتين وست وتسعين انتهت عبارة الفرمان .

السيد تقي الدين بن عبد الله بن علي الحنبلي الدمشقي الشهير بأبي شعر وشعير

قطب المعارف والكمال ، وشمس الحقائق والاجلال ، الشيخ الناهج منهج الفضائل ، والحائز معالي الشمائل ، التقي الصالح ، والمرشد الناصح ، والحبر الزاهد ، والورع العابد ، شيخ مشايخ الطريقة الشاذلية في دمشق المحمية وكان له مكاشفات ظاهرة ، وأخبار غيبية باهرة ، وله تأليفات في كلام السادة الصوفية ، وصلوات على الذات المحمدية ، ومن جملة كلامه في التصوّف رسالته في التوحيد على لسان القوم التي سماها « عقيدة الغيب » وكان بعد تأليفها اذا أراد أن يذكر شيئاً عن نفسه يقول كما قاله صاحب عقيدة الغيب ، وله كتاب في الصلاة على النبي ﷺ

(١) أوسمتهم .
(٢) رئيس الديوان الملكي .

نحو أربع مجلدات بلسان غير مألوف ، وفيه اخبار عن أمور كثيرة مما سيقع ، ومن ذلك تفصيل قضية حادثة العيسوية التي وقعت سنة سبع وسبعين ، وفي آخر أمره حصل له جذب عظيم .

وبالجملة فإنه كان أعجوبة الزمان ، ونادرة الوقت والأوان ، ذا كرامات عظيمة ، وخوارق عادات جسيمة ، وكان رضي الله عنه يقول : من توقف في شيء من الفتوحات فليأت يوم السبت قبل طلوع الشمس الى قبري وليقرأ كل إشكاله يكشف له عن معناه . توفي هذا الجهبذ الهمام سنة سبع ومائتين والف ودفن في تربة باب الصغير ، وقبره ظاهر مشهور .

تركي بن عبد الله بن سعود أمير نجد وناصر عقيدتها

كان رجلاً شهما شجاعاً مقداماً صداماً ، مشهوراً بمواقع الحروب ، وكان له صولة وصيت وسمعة ، وأيام مشهورة في العرب ، ولما قويت شوكة نجد وتقدمت صولتها وجهت الدولة العلية ابراهيم باشا بن محمد علي باشا المصري لقتالهم وكسر شوكتهم ، فقاتلهم قتالاً تشيب له الأطفال ، وتغيب له عقول النساء والرجال ، فأسر إبراهيم باشا عبد الله بن سعود وجميع أولاده ، ونقلهم وعائلاتهم إلى مصر ، وذلك سنة الف ومائتين وثلاث وثلاثين ، غير أن المترجم قد انفلت من يد ابراهيم باشا وغاب عنه ولم يقع له بعد التفتيش على خبر ، فتركه وتوجه بابن سعود وأولاده وعائلته إلى مصر ، ولم يزل المترجم متنكراً يتنقل من قبيلة إلى قبيلة ومن قرية إلى قرية بحالة لا يعرفه بها إلا قليل من الناس ، وعساكر المصريين تتطلبه من كل جانب ، وتدور عليه لتوقعه في أشد المعاطب ، الى سنة الف ومائتين وتسع وثلاثين ، وكان قد فتر أمر التفتيش عليه ، فاغتنم الفرصة وشد أزره وظهر للناس وعرفهم بنفسه وحرضهم على مساعدته ، وتظاهر يتطلب إمارة آبائه وأجداده ، وما برح يتقوى شيئًا فشيئًا والناس

تساعده على مرامه ، الى أن صار عنده جم غفير ، وعدد من الشجعان كثير ، فملك نجداً وما حولها وجلس على مهاد الامارة النجدية ، ولم يبق له معارض ولا منازع ، وطرد عساكر المصريين ، واستقر على عرش الراحة والتمكين ، إن أمر فما لأمره من عاص ، وإن نهى فما لمخالفه من خلاص ، وبقي على مهاد هذه الإمارة عشر سنوات . وفي أثناء هذه المدة تخلص بعمل الحيلة ابنه فيصل ، وفر من مصر هارباً ، ولم يزل يقطع البراري والقفار ، ويقاسي الشدائد الكبار ، إلى أن وصل إلى أبيه المترجم ، وأحسن الله له بالخلاص من الأمر وأنعم ، ثم ان ابن أخت المترجم مشاري ثار على خاله المترجم ، وأراد نزع الإمارة من يده ، فعمل الوسائل ، وقام قيام الأسد الصائل . وفي أثناء هذه المدة توجه ابن المترجم فيصل غازيا البحرين ، فوجد مشاري أنه قد خلا له الجو ، ولم يبق للمترجم من مانع يمنعه ، فاغتنم الفرصة وقتله واستولى على الإمارة مكانه ، وذلك سنة الف ومائتين وتسع وأربعين ، ولما بلغ فيصل بأن مشارياً قتل أباه حضر اليه من غير مهلة وقتله ، وكانت امارة قاتل المترجم أربعين يوماً وتأمر فيصل مكانه .

توفيق افندي بن محمد افندي ابي السعود بن سعدي افندي الايوبي نسبة الى سيدنا الصحابي الجليل ابي ايوب خالد الانصاري النجاري رضي الله تعالى عنه وعن ذريته [1]

ذو التحقيقات الواضحة ، والتدقيقات الراجحة ، والادراكات السامية ، والاستنباطات النامية ، والكمالات المعروفة ، والآداب الموصوفة ، ولد

---

(١) تخرج في المدارس الحكومية بدمشق ، فحذق اللغة العربية والتركية ، وكان له إلمام بالفارسية . ومن مشايخه : الشيخ عمر العطار ، والشيخ محمد الطيب الجزائري . كان أديباً فصيح اللسان ، حسن الالقاء ، جميل الخط ، ينظم الشعر ، له ميل —

كآبائه في دمشق الشام ، وتربى بين علمائها الأعلام ، ونهج أولى المناهج ، وعرج للترقي أعلى المعارج ، الى أن بلغ مبلغ الكمال ، ونبغ في محاسن الاقوال والأفعال ، وتحلى بحلية من سلف ، واستبدل الدر الثمين بالصدف ، واعتصم بحبل الكتاب والسنة ، ورأى ان توفيقه لذلك أعظم منّة . وله نظم كالدر المنظوم ، ونثر يفوق نثر النجوم ، ومن نظمه المستطاب ، في مدح السيد أحمد الرفاعي قطب الاقطاب ، قوله :

غيري مناه ظبية وغزال	وهواه معسول اللمى مختال
ومناي كأس مدامة ماشابها	مزج وشابت دونها الآمـال
عينابها شرب الأولى وطئوا السها(١)	شرفا ونالوا رفعة مانالوا
عينا بها انفجرت ينابع حكمة	وغدا شفاء ماؤها السلسال
عينـا بهـا سر تنزه عزة	عن أن تحيط بعشره الأقوال
بيد مباركة مقدسة لهـا	مدت يد منها الكمال ينال
يد احمد أعني الرفاعي الذي	هو في البرية زينة وجمـال
مدت لها يد احمد خير الورى	هذا هو التعظيم والاجـلال
وبطي ذاك بشـارة نبوية	ماحازها الاقطـاب والابدال
ان الذين يبايعونك انمـا	قد بايعوه وحفتهم اقبال

— الى التصوف وتذوقه ، مشاركا في العلوم ، شغوفاً بمناظرة علماء النصـارى واليهود ، له اطلاع على كتبهم . وكان قوي الجدل .

وقد درّس بعض العلوم الدينية في معهد الحقوق بدمشق . وكان مديراً للمدرسة السميساطية ومدرساً في الجامع الأموي ، وله شرح قواعد مجلة الأحكام . وتولى تدريس علم الخلاف مرة في دار الخلافة ، وكان عوناً لأبي الهدى في تأليف ما يعزى اليه من المؤلفات .

توفي بدمشق حوالي سنة ١٣٥١ هـ ١٩٣٢ م هذه الترجمة مأخوذة عن تلميذ المترجم الأستاذ عمر الكحالة .

(١) كوكب خفي من بنات نعش الصغرى ، ومنه قولهم : أريها السها وتريني القمر ، مثل يضرب للذي يُسأل عن شيء فيجيب جواباً بعيدا .

واشارة لكمو بارث مقامه ۔ وبأن عثرة ، لاتذيك تقال
هو آخذ بيمينكم ويمينكم ۔ بيد المريد أبعدَ ذاك ضلال
ودعتموا فاجابكم وعليكمو ۔ رد السلام وحسبكم إجمال[1]
وسلامه أمن لكم ولمن بوا ۔ ثق حبلكم علقت له آمال
ولذا دعاكم حين ناديتم وذا ۔ مجد أثيل مــاله أمثال
صح انتسابكمو لحضرة قدسه ۔ بالمعنيين وانتفى الإشكال
يا صاحب العلمين ياقمر الدجى ۔ يا طاهر النسبين يا مفضال
يا سيــداً للفرقتين وحــائزا ۔ للخلعتين عُلاك كيف يطــال
ومجدد الدين الحنيفي بعد ما ۔ درست معــالمه وكاد يزال
بالانكسار مموت اسنى منزل ۔ خضعت لعزة مجده الأقيال[2]
وعنت وجوه اولى الوجاهة خشعا ۔ لما علاهم من سناك جــلال
توجت تاج كرامة ورفلت في ۔ حلل الصفا وثيابك الأسمــال
ووقفت في باب المليك فأوقفت ۔ في بابك الأقطــاب والابدال
وبلغت من فلك الكمال سنامه ۔ فلك النجوم الشامخــات نعال
وحللت ذروة هام أشرف رتبة ۔ وخلال مجــدك مالهن مثال
يا نجل صيد[3] طاهرين أماجد ۔ بهم عن الاكوان زال وبال
آباء صــدق لايرام علاهمو ۔ وهمو لفخر الانبيا أنجــال
نص الكتاب أتى يخبر عنهمو ۔ بخصائل لم تحكهن خصــال
فتحوا قلوباً سكرت ونواظرا ۔ عميت واسماعا لهــا أقفال
عنهم روينا المكرمات ومنهمو ۔ وعليهمو كل الانام عيــال

---

(١) كفاية .

(٢) جمع قيل ، وهو الرئيس ، والملك من ملوك حمير .

(٣) الصيد : جمع أصيد ، وهو الذي لا يلتفت من زهو . والأسد .

والهمو الارواح حنت حيث لو ... لاهم لما كانت لها أوصال
لا غرو يا ابن الاوصياء اذا غدت ... عن وصف ذاتك تقصر الاقوال
اوتيت فهما في الكتاب وحكمة ... ومكانة بالسعي ليس تنال
ونطقت في مهد الطفولة منبئا ... بعلاك قولا مـا به : أيُقالُ ؟
وعليك مـائدة المواهب أنزلت ... فغدت تفصّل مابه اجمـال
فحكيت روح الله ياروح العلا ... وسماك نسخته وأنت مثال
والنار قد خمدت لذكرك واغتدى ... بكمو سلاماً حرُّها القتال
والشائل [1] العجفاء درت عندما ... فازت بلثم يد نداها خـال
ولنخلة الجرعا أشرت فأذعنت ... وسعت اليك يسوقها ارقال [2]
وكذاك أسماكٌ ببصرة أبصرت ... ذاك البهـاء فاقبلت تنثال [3]
من مثل هذا الوارث النبوي من ... صبت عليه من العلوم سجال [4]
أخلاق حضرة جـده أخلاقه ... وكذا له أحواله الاحوال
وشعـاره آدابه ودثاره ... آثاره وفعـاله الأفعـال
وطريقه أن تخلع الكونين مع ... ادب يزين بهـاءه الإذلال
وطريقه صـدق وفقر دائم ... وخلائق تزهو بها الاعمـال
وطريقه جد بلا كسل فلا ... قيل لديه بنافع أو قـال
أنّى أحيط بوصف ذات قدست ... اذ ليس تقدر قدرها الاقوال
أعيت مناقبهـا الفصيح وأخرس ... المنطيق عنها واستحى القوّال
لكن أردت بان أفوز بخـدمة ... لكمو ليخدمني بهـا الاقبال

---

(١) الناقة التي لا لبن لها أصلاً .
(٢) سرعة .
(٣) تنصب عليه .
(٤) جمع سجل ، وهو الدلو العظيمة فيها ماء قليل أو كثير .

ولقد لجأت لكم بخير وسيلة بخؤولة ما شانهـا اشكال
بخلو مكرورها بكم وقد انتهت للأكرمين ومن هم الاقيـال
تنمى لأشرفهم بني النجار خـلان النبي وهم له أخوال
وصلت بأحكمهم أبي أيوب من نزل النبي ببيته والآل
ان ابن اخت القوم ان يك منهم فكذاك في حكم القياس الخال
وأنا ابن أخت مثل ما اني لكم خال فلي بقرابـتي ادلال
وعبيدكم حقاً ومولى القوم منـهم جاءنا بصريح ذا الأنفال

حضرة صاحب السماحة والسيادة السيد توفيق افندي البكري

نقيب السادة الأشراف بمحروسة مصر

إمام اغترفت من بحر علمه علماء الأمصار ، وهمام اعترفت بفضـائله ذوو البصائر من الأفاضل والأبصار ، اثمرت أغصان الاقلام بفرائد مآثره ، وكشف له العرفان حجاب الستر عن محيا سرائره ، له في كل فن مقام مشهور ، وفي كل علم علم منشور (١) ، وله شعر منظوم نظم الكواكب

(١) نقيب الأشراف بمصر ، وهو معروف باشتغاله بالعلم والأدب ، مولده ووفاتـه بالقاهرة ، وقد قال في ترجمة نفسه : « وأنا الفقير الى الله تعالى محمد بن علي الملقب بتوفيق البكري ، الصديقي العمري ، سبط آل الحسن » . وكان يجيد الفرنسية والتركية ، ويتكلم الانكليزية . وقد عانى آلاماً نقل بعدها الى مستشفى (العصفورية ببيروت) فلبث فيه ستة عشر عاماً ، كان في خلالها هادئاً ، ثم أعيد إلى بيته ، واستمر في عزلته ، إلى أن توفي (سنة ١٣٥١ هـ و ١٩٣٢م) رحمه الله تعالى .

له من المؤلفات (أراجيز العرب ــ ط) و (تراجم بعض رجال الصوفية ــ خ) وهي ٧٦ ترجمة ، و (بيت الصديق ــ ط) و (بيت السادة الوفائية ــ ط) و (المستقبل للاسلام ــ ط) و (التعليم والإرشاد ــ ط) و (فحول البلاغة ــ ط) و (صهاريج اللؤلؤ ــ ط) وأشهر شعره قصيدة يخاطب بها السلطان عبد الحميد ، بعد ظفره بحرب اليونان ، مطلعها : أما ويمين الله حلفة مقسم ... وهذه هي . انظر مشاهير شعراء العصر (م ١) ومجلة المقتبس (م ٢) والأعلام (م ٦) وغيرها .

في السحر ، ونثر منثور نثر اللآلىء والدرر ، فلا ريب انه قلد جيد الدهر بعقود حلاه ، وشيد ربوع المجد بنوامي فضله وعلاه ، فهو الذي استوى على عرش الفنون ، واحتوى على ماتلذ به الاسماع وتقربه العيون .

وفي عام الف وثلاثمائة وخمسة عشر حينما قامت الحرب بين الدولة العلية واليونان ، وكانت طليعة النصر تحت إمرة السلطان عبد الحميد خان ، فهنأه المترجم بهذه القصيدة ، المقدمة لذاته السعيدة :

امـــا ويمين الله حلفة مقسم — لقد قمت بالإسلام عن كل مسلم
فلولاك بعد الله أمست دياره — بأيدي الأعادي مثل نهب مقسم
لقد سرّ هذا النصر قبراً بطيبة — وبيتاً ثوى عند الحطيم وزمزم
فحيا أمير المؤمنين وملكه — ثناء البرايا من فصيح وأعجم
امام له في آل عثمان لحمة — تبجبح منها في الذرى والمقدم
خليفة صدق يسبق الوعد جوده — كما انهل قبل البرق ميزاب مرهم
يسوس الرعايا والبلاد بحكمة — اقامت لدى نهج من الحق اقوم
ويقطع اقران الأمور بفيصل — من الرأي يحكي منه ضربة مخذم
رمى الروم لما ان عتوا بكتيبة — تميل بأعطاف الوشيج المقوم
وأعطاهموا سلماً فلمـــا تألبوا — لشر غدوا مابين أنياب ضيغم
ومد لهم في الحم باعا رحيبة — فزادوا طماحاً في عتو وملأم
كذاك مَرار النبت ان ماسقيته — من العذب يزددطعم صاب وعلقم
وزجوا جموعاً كالدّبى[1] في عديدها — فألقاهموا في جوف دهياءصيلم[2]
اسال فجاج الأرض بالجند يلتوي — كأغدرة الوديان في كل مخرم

---

(١) الدّبى : أصغر الجراد والنمل ، واحده : دَباة .
(٢) داهية شديدة .

يموج به الماذي [١] في رونق الضحى — كما ماج لج بين أرحاء [٢] عيلم [٣]

فمن كل صنديد ثبيت مشيع — سبوق الى الغايات أحوس [٤] بجذم [٥]

يرى أن في بذل النفوس صيانة — م النفوس وان قد يحقن الدم بالدم

ومن كل ذيال [٦] كأن هويه — هوي شهاب أو عقاب محوم

ومن كل حصداء [٧] دلاص [٨] كأنها — على عاتق الأجناد بردة ارقم

وبيض كلون الملح لكن متونها — كنمل على نهر من الماء عوم

وسود [٩] جني كالإكام [١٠] دوافع — بجمر كأشباه الصواعق رجم

وجأواء [١١] حري كالوطيس [١٢] أقامها — عليهم فكانت كالفضاء المحتم

كأن النصال البيض وسط عجاجها — شرار تعالى في دخان مخيم

يطير قشاري الحديد بأفقها — بجبل [١٣] وتين [١٤] أو بكف [١٥] ومعصم

فلا شيء فيها غير ضرب مفلق — لهام ورمي مثل تهطال مرزم [١٦]

---

(١) السلاح كله .

(٢) جمع رحى وهي الطاحون .

(٣) بحر ، وبئر كثيرة الماء .

(٤) أحوس : شجاع جريء .

(٥) قاطع الأمور . فيصل .

(٦) طويل الذيل .

(٧) درع حصداء : ضيقة الحلق ، محكمة .

(٨) ملساء لينة .

(٩) سفح من الأرض مستو ، كثير الحجارة السود .

(١٠) جمع أكمة وهي التل .

(١١) حمراء تضرب إلى السواد .

(١٢) التنور .

(١٣) داهية .

(١٤) ثابت .

(١٥) لعلها : أو بكف .

(١٦) غيث رزم : لا ينقطع رعده .

وطعن دراك يسبق الحس الردى ‏ فليس وان أفنى النفوس بمؤلم

أمال بلا ريسا عروش عداته ‏ وأشرق من فرسالة الأرض بالدم

كأن الاكام الأدم لما تصبغت ‏ به أنبتت نبتي شقيق وعندم[1]

ويوم ملسطينو اقـام نعيهم ‏ بشعواء تنفي حدة المتغشرم [2]

فأصلاهمو ناراً فقوم درأهم [3] ‏ كما قوم التثقيف معوج لهذم [4]

فأمسوا حديثا في الأنام وعبرة ‏ وبادوا كطسم في البلاد وجرهم

بيمن له قد أدرك النصر قائد ‏ رمى منه اكباد العداة بقشعم[5]

وسوف يدين المشرقان لملكه ‏ ويتلى اسمه في كل واد ومعلم[6]

ولا زال في علياء ثبت عمودها ‏ وأيامه مـا بين عيد وموسم



---

(١) خشب نبات يصبغ به .

(٢) غشمر الرجل : ركب رأسه في الحق أو الباطل .

(٣) اندفاعهم .

(٤) الحادّ القاطع من السيوف والأسنة والأنياب .

(٥) أسد

(٦) المعلم : ما يستدلّ به على الطريق .

حرف الثاء

الشيخ ثعيلب بن سالم المصري الشهير بالفشني

إمام توحد في الفضائل ، وهمام تفرد بين الافاضل ، سار بسيرة ذوي العرفان ، واشتهر اشتهار عطارد [1] وكيوان [2] ، ولد سنة الف ومائة وخمسين ، وأخذ عن العلامة العزيزي ، والعلامة العشماوي ، والعلامة الجوهري ، وعن غيرهم من السادة الاعاظم ، والقاده الاكارم ، وانتفع وساد ، ونفع وأجاد ، ولم يزل على حال حسن ، الى ان دعي الى نوال المنن . وذلك سنة الف ومائتين وإحدى وأربعين رحمه الله تعالى .

ثويني بن عبد الله بن محمد بن مانع القرشي الهاشمي العلوي الشبيبي

تولى مشيخة المنتفق كما تولاها ابوه وجده ، وكان احد اجواد العرب المشهورين ، وكان له في حكومته ايام تُعَدُّ غُرَراً في جبهة الدهر ، منها دُبتّى كَرُبتّى الموضع القريب من البصرة ، وذلك ان كعباً غزا اخـــاه صقراً بجيش عرمرم ، فصدمهم وكسرهم تجاهه ، وكان هو الآمر الناهي في ذلك اليوم ، الى ان ملأ الفضاء بجثث القتلى من قبائل كعب الروافض ، ومن ذلك اليوم وهم في ذل تحت المنتفق . ومن أيام المترجم الشاهدة له بالشجاعة والاقدام يوم ضَجْعَة ، والعوام تحرفه فتقول جضعة ، وسببه ان عبد المحسن بن سياج لما اشتاقت نفسه لغزو بني خالد شيوخ الحسا ، قصد المترجم ليساعده ، وينجده على مرامه فساعده المترجم بما يقدر عليه من الرمح والسيف والمال والجسم والجاه ، وشيخ بني خالد إذ ذاك سعدون

---

(١) نجم من السيارات ، وهو أقربها من الشمس .

(٢) اسم زُحَل بالفارسية .

ابن عرعر ، احد المشهورين بمحاسن الشيم ، فلما تحقق مساعدة المترجم ، امر شجعانه ان يشنوا الغارات على عرب المترجم بعد ان انذر المترجم وخوفه من قتاله وشجعانه ، فلما رأى المترجم عازماً على القتال والمساعدة ، وكان قد ذهب الصيف وجاء الشتاء ، جهز كل منهما عساكره والتقيا في ارض بني خالد ، ومضى على ذلك ايام وهم في جلاد وطعان ، من الصبـــاح الى الليل ، الى ان امتطي الخيانة بعض قبائل سعدون ، فهرب سعدون هو وأتباعه ، وتولى المترجم على بيوتهم ومحلاتهم . ولا زال يترقي مقامه ، وتحسنُ به ايامه ، الى ان نزل في بعض غزواته ماء يسمى الشِباك ، فنصبت له هناك خيمة صغيرة وجماعته مشتغلون بصالح نزولهم في ذلك المكان ، فجاءه رجل من اعدائه يقال طعيس العبد ، فطعنه بحربة كان بها انتهاء اجله ، فانتبه جماعته لذلك ، وقبضوا على طعيس وجرعوه كؤوس المنية ، والقوه جيفة للكلاب ، ودفن المترجم في جزيرة العماير ، وذلك عام الف ومائتين واثنى عشر رحمه الله تعالى .

حرف الجيم

الشيخ جمال الدين بن الشيخ محمد سعيد بن الشيخ قاسم المعروف بالحلاق

نبيل عذبت نفسه صفاء ووفاء ، ونبيه ملئت شيمته سخاء واحتفاء ، تفتحت كمائم رَوِيّته عن زهر المعاني ، وتوشحت حدائق معـــارفه بجرز الاماني ، مع ادب زرت على الكمال جيوبه ، ولطف هبت بعرف الجمال صباه وجنوبه ، ونظم قد انتثرت من فرائده عقود الدرر ، ونثر قد انتظمت من فوائده الفرز ، وقد لبس حلة الحياء فهي دثاره ، وجلس على مرقـاة الارتقاء التي هي شعاره ، فلم تبرح روضة نباهته الزاهية يانعة الازهار ، وغيضة بلاغته الباهية منبت ثمرات الافـكار ، وإنه منذ تنسك تمسك بأذيال السنة والكتاب ، وعمل بآداب السنة المطهرة وسنة الآداب ، فمذهبه مذهب السلف الصالح ، ومسلكه مسلك الفريق الراجـــح . ولد في ثامن شهر جمادى الاولى سنة الف ومائتين وثلاث وثمانين ، من هجرة السيد الامين . ثم بعد التمييز قرأ القرآن وجوده ، وحضر دروس العلوم بهمة جيدة ، ولم يزل مجافياً في طلبه اللذة وطيب الرقاد ، الى ان بلـغ المقصود والمراد ، فأجاز له الكثير من الافاضل ، وشهدوا له في خطوطهم بالفواضل والفضائل ، فلعمري انه ليكشف بذهنه الغامِضَ الذي أحاط به الخفا ، ويعرف رسم المشكل وإن كان قد عفا ، ويبصر الخفيات بباصر فهمه ، ويقصر حلّها على إدراكه وعلمه . ومن نظمه قوله :

جزى الله عنا الكتب خيراً فإنها   تنم أحـاديث الحبيب بلفظه

فموقعها أحلى من الماء الذي ... به ظمأ وقت الهجير وقيظه

وقال :

ياقلب صبراً على هجر الحبيب ولا ... تيأس من الوصل إن الله ذو فرج
لك التأسي بمن ذاق الهوى ولوى ... عنه الحبيب وقد أضناه وهو شجي

وقال :

فرق الجميل على برق الجبين علا ... وعنبر الخال عن بر الوصال خلا
مسكي شعر وتركي اللحاظ فكم ... ببارق الجيد منه البرق قد خجلا
ياقوت مبسمه يفتر عن درر ... لاعيب فيه سوى كون اللما عسلا
هيفاء قامته وطفاء (١) مقلته ... حسناء طلعته كالبدر مكتملا
لو أن بدر الدجى وافاه مبتسما ... لظل منكسفاً من حسنه وجلا
أو أن ريم الربى لاقاه ملتفتا ... لسار مندهشاً من خصره ثملا
ذاك الفريد الذي مامثله رشأ ... قد راش من لحظه سهما به قتلا
مهفهف العطف زاهي الطرف احوره ... كم جاد ظرفاً ولكن بالوفا بخلا
يامنية القلب ما للصب عنك غنى ... فإن عطفت فحظ العبد قد كملا

وقال :

زعم النـــاس بأني ... مذهبي يدعى الجمـــالي
واليـــه حينما أفـــ ... ـتي الورى اعزو مقـــالي
لا وعمر الحـــق اني ... سالفـــي الانتحـــال
مذهبي مافي كتاب اللـــــه ربي ... المتعـــالي
ثم ماصح من الأخبا ... ر لا قيل وقـــال
اقتفي الحق ولا ... أرضى بآراء الرجال
وأرى التقليد جهلا ... وعمى في كل حال

---

(١) كثيرة شعر الحاجبين .

وقال :

أقول كما قال الأئمة قبلنـا ... صحيح حديث المصطفى هو مذهبي

ألبس ثوب القيل والقال باليا ... ولا أتحلى بالرداء المذهب

وقال :

زعموا بأن من اقتفى الآثارا ... اولى الذين تقدموا الانـكارا

كلا فأجر الاجتهاد لهم سوى ... متعصب يتأول الأخبـارا

وكتب لي ملغزا :

يامن لحل عويص المشكلات درى ... وبحر آدابه يروي لنـا دررا

ما اسم له احرف تسع بظاهرها ... وتلك عشر اذا حققتها نظرا

اضحى مسماه ذا شأن له شرف ... بأهله فغدا في الارض مزدهرا

فتاجه علم في الارض منتشـر ... والثان تصحيفه بعض البلاد يرى

واثنان أوله فعل وقد أتيـا ... لاسم الحكيم الذي في الحذق قدمهرا

ثلاثة أول منه انت علمـاً ... للعود واسما لضد الجور قد ظهرا

تصحيف ثالثه مـع تلوه اتيا ... خلاف علم وفنـا نفعه اشتهرا

وثالث منه يأتي مثل خامسه ... ورابع منه يحكي سابعاً ذكرا

وبعضه الظبي ان صحفته وإذا ... تركته فهو مما في الشتا كثرا

وختمه هـين في قلبه عمل ... فجد بمعناه ياشهما جلا الفكرا

فأجبته بقولي نظما ثم نثرا :

ياذا الجمال الذي في اللطف قد بهرا ... وزادنا من سنا اينـاسه غررا

الغزت فيما علا قدراً ومرتبة ... ورمت مايزدري في حسنه القمرا

ان الذي رمته قد حـاز أوله ... قرآننا يدر هذا من قرا ودرى

ذا اعجميٌّ خلت عن مثله لغة الـ ... ـذين فاهوا بما اهل النهى سحرا

لكن من رام يدري حسن بهجته ... لابد من نية في ختم ماذكرا

أيها الخل الحبيب، والخدن الأديب الأريب [1]، ان ما الغزت فيه، وأردت إظهاره وبيان خوافيه، هو اسم لشيء علا، واشتهر قدره في الملا، ذي نهي وأمر، ومقام تهـابه النفس في السر والجهر، وبهجة وزينة، وقوة متينة، ومنعة حصينة، اوله في القرآن في الجزء الأول، وآخره في السنة التي عليها المعول، ويطلق أوله وثانيه على رئيس معلوم، له بين ذويه تقدم في الدين والعلوم. وقد أفرد الإله أوله اسما في آخر كتاب، وإن كان من الأفعال ذات البناء لا الإعراب، وثالثه ورابعه يستعمل في صوت معروف، وإن كان بعضه في المجالس غير مألوف، وخامسه وسادسه قبيلة ومصدر يدل على الجزع، النافي للراحة والنوم والهجوع، وسابعه مع ثامنه بتوسط الاخير، يدل عـلى النهي والزجر والتنفير، ومن أراد كشف استعاراته المكنية، فلا بد له على المعتمد من نية، فبهـا يتم المطلوب، وينكشف المرام والمرغوب. انتهى

وقال مادحاً مختار الصحاح :

لمختار الصحاح على الألبـا	عوارف حق أن ترعى وتشكر
وان كان الصحاح له أياد	فللمختار فضل ليس ينكر

وله أبيات كثيرة، وتعاليق فوائدهـا غزيرة، ورسائل لطيفة، وتحقيقات شريفة، أدام الله نفعه، وأحسن على الدوام صنعه. توفي رحمه الله تعالى مساء السبت الثالث والعشرين من جمـادى الاولى عام الف وثلاثمائة واثنين وثلاثين ودفن بباب الصغير [2].

---

(١) الماهر، البصير.

(٢) كان علامة الشام القاسمي تغمده المولى برحمته ورضوانه، آية في المحافظة على الوقت، والمواظبة على العمل، كان يجهد نفسه بدراسة التفاسير الكثيرة، ومدوّنات السنة وشروحها، ومؤلفات أصول الدين، وأمهات الفقه وأصوله، —

السيد جمال الدين بن السيد صفتر الافغاني

قال تلميذه العلامة الشيخ محمد عبده المصري في ترجمة هذا الرجل الفاضل :
الذي حملنا على ذكر شيء من سيرته ما رأيناه من تخالف الناس في أمره ،
وتباعد ما بينهم في معرفة حاله وتباين صوره في مخيـــلات اللاقفين لخَبَره ،
حتى كأنه حقيقة كلية تجلت في كل ذهن بما يلائمه ، أو قوة روحية قامت

— ومطوّلات التاريخ والأدب ، وكتب المقالات والنحـــل . كان يمعن النظر في هذه العلوم والفنون ، ويستخرج منها حقائق يبذل لها من نفيس وقته ، وقوة قلبه ، ما يشهد له به كل من وقف على مصنفاته ، ورسائله التي كانت تتهاداها المجلات الكبرى في مصر والشام ولبنان ، كالمنار والمقتبس والعرفان ، فـكان ينشرها على صفحاتها إيماناً واحتساباً ، ولم يكن يبتغي منها ولا ممـا يطبعه مستقلاً إلاّ وجه الله والدار الآخرة . وكنت قلت في مقدمتي لكتابه « قواعد التحديث » الذي أعيد طبعه : إن مما يقضي بالعجب من أمر أستاذنا المؤلف رحمــه الله تعالى ، هو كونه خلف زهاء مائة مصنف أو أكثر ، ولم يبلـغ الخمسين من عمره ، وندر جداً أن ترى كتاباً مخطوطاً أو مطبوعاً في خزانته الواسعة ، خالياً من التعليقات الكثيرة ، والتصحيح على الأصول الخطية الصحيحة ؛ ولو طال عمره لرأينا من آثاره النافعة أكثر مما رأينا ، ومن نفاسة تآليفه فوق ما شاهدنا ، فان الأستاذ كان في تجدد مستمر ، استمده من علوم العصر وحقائقه ، وانكشف له به عن كثير من أسرار الشريعة وغوامضها .

ثم رجوت أن توفق الأمة إلى طبع ما اشتدت إليه الحاجة من مؤلفاته ، لا سيا تفسيره الكبير الجليل ، المسمى « محاسن التأويل » وقد تفضل المولى سبحانه وله الحمد والشكر ، ويسّر طبعه في دار إحياء الكتب العربية بمصر ، ووقف على طبعه وتصحيحه ، ورقمه ، وخرج آياته وأحاديثه ، وعلق عليه ، خادم الكتاب والسنة ، العلاّمة الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي الشهير . وخصّ كاتب هـــذه السطور بمراجعة المطبوع جزءاً فجزءا ، وتصويب الأغلاط المطبعية ، وهو ما يراه القارىء آخر كل جزء منه ، وقد بلغ سبعة عشر جزءاً . وكان لي الشرف بالقراءة على المؤلف نحو أربع سنوات في العلوم الشرعية والفنون العربية ، فجزاه المولى عنا وعن الأمة خير الجزاء .

لكل نظر بشكل يشاكلــه ، والوجل في صفــاء جوهره ، وزكاء مخبره ، لم يصبه وهم الواهمين ، ولم يمسسه حزر الخراصين . وانا نذكر مجملاً من خبره ، نرويه عن كمال الخبرة ، وطول العشرة .

هو من بيت عظيم في بلاد الأفغان ينمي نسبه الى السيد علي الترمذي المحدث المشهور ، ويرتقي إلى سيدنا الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . وآل هذا البيت عشيرة وافرة العدد ، وتقيم في خطة « كنر » من أعمال « كابل » ، تبعد عنها مسيرة ثلاثة أيام ، ولهذه العشيرة منزلة علية في قلوب الافغانيين ، يجلونها رعاية لحرمة نسبها الشريف ، وكانت لهــا سيادة على جزء من الأراضي الافغانية تستقل بالحكم فيه ، وانما سلب الامارة من أيديها دوست محمد خان جد الامير الحالي ، وأمر بنقل أبي السيد جمــال الدين وبعض أعمامه الى مدينة كابل .

ولد المترجم المذكور السيد جمال الدين في قرية أسعد آباد من قرى كنر سنة أربع وخمسين ومائتين والف ، وانتقل بانتقال أبيه إلى مدينة كابل ، وفي السنة الثامنة من عمره أجلس للتعلم ، وعني والده بتربيته فأيد العناية به قوة في فطرته ، واشراق في قريحته ، وذكاء في مدركته ، فأخذ من بدايات العلوم ، ولم يقف دون نهاياتها ، تلقى علوماً جمة برع في جميعها [1] فمنهــا العلوم العربية من نحو وصرف

---

(١) جلس السيد الأفغــاني في دروس العلم ، فحذق العلوم والفنون النقلية والعقلية والرياضية في بضع سنين ، وألمّ بالهند لتلقي مبادىء العلوم الأوربية ، فوقف على ما شاء منها في زهاء سنتين ، ثم حج في سنة ١٢٧٣ هـ ، ومكث في سفره زهاء سنة يتقلب في البلاد الإسلامية لاكتناه أخلاقها وعقائدها الدينية ، واختبار أحوالها الاجتماعية والسياسية . جاء هذا السيد مصر فنفخ فيهــا روح الحكومة النيابية ، وألف فيها الحزب الوطني الأول ، لتقييد سلطان الحكومة الشخصية ، وغذى تلاميذه ومريديه بعشق الحرية ومبادئها ، ووسائلها من العلم والكتابة والخطابة ، كما أرشد المسلمين إلى الإصلاح الديني ، والجمع بينه وبين العلم العصري .

ومعان وبيان وكتابة وتاريخ عام وخاص ، ومنها علوم الشريعة من تفسير وحديث وفقه واصول فقه وكلام وتصوف ، ومنها علوم عقلية من منطق وحكمة عملية سياسية ومنزلية وتهذيبية ، وحكمة نظرية طبيعية والهية ، ومنها علوم رياضية من حساب وهندسة وجبر وهيئة افلاك ، ومنهـا نظريات الطب والتشريح ، أخذ جميع تلك الفنون عن اساتذة ماهرين ، على الطريقة المعروفة في تلك البلاد ، وعلى ما في الكتب الاسلامية المشهورة ، واستكمل الغاية من دروسه في الثامنة عشرة من سنه ، ثم عرض له سفر الى البلاد الهندية ، فأقام بها سنة وبضعـة أشهر ، ينظر في بعض العلوم الرياضية على الطريقة الاوربية الجديدة ، وأتى بعد ذلك الى الاقطـار الحجازية لأداء فريضة الحج وطالت مدة سفره اليها نحو سنة ، وهو يتنقل من بلد الى بلد ومن قطر الى قطر حتى وافى مكة المكرمة في سنة ثلاث وسبعين ومائتين وألف ، فوقف على كثير من عـادات الأمم التي مر بها في سياحته ، واكتنه أخلاقهم ، وأصاب من ذلك فوائد غزيرة ، ثم رجع بعد اداء الفريضة الى بلاده ، ودخل في سلك رجال الحكومة على عهد الامير دوست محمد خان ، ولما زحف الامير الى هراة ليفتحها ويملكها على سلطان أحمد شاه صهره وابن عمه ، سار السيد جمال الدين معه في جيشه ، ولازمه مدة الحصار ، الى أن توفي الامير وفتحت المدينة

— وكان من أنبـغ تلاميذه الإمام محمد عبده الذي أنشأ معه جريدة العروة الوثقى في باريس ، وأتقن حكيم الشرق والاسلام الأفغاني عدة لغات شرقية وغربية . وانك لتجد له ترجمة وافية في الجزء الأول من تاريخ الأستاذ الإمام بقلمه ، وقلم تلميذه السيد الإمام محمد رشيد رضا . وهذا الجزء هو أكبر الأجزاء الثلاثة في سيرة مفتي الديار المصرية بقلم السيد صاحب المنار ، فقد بلغ أكثر من (١١٠٠) الف ومائة صفحة .

وألفت في ترجمة الحكيم الأفغاني عدة كتب ورسائل . وراجـع أعلام الزركلي ، ومعجم كحالة في تراجم المؤلفين .

بعد معاناه الحصر زمنا طويلاً ، وتقلد الامارة ولي عهدها شير علي خان سنة ثمانين ومائتين وألف ، وأشار عليه وزيره محمد رفيق خان ان يقبض على اخوته خصوصاً من هو أكبر سناً منه ويعتقلهم ، فإن لم يفعل سعوا بالناس الى الفتنة وألبوهم للفساد ، طلباً للاستبداد بالامارة ، وكان في جيش هراة من أخوة الأمير ثلاثة محمد أعظم ومحمد أسلم ومحمد أمـــين ، وهوى الشيخ جمال الدين كان مع محمد اعظم ، فلما أحسوا بتدبير الامير ، ومشورة الوزير ، أسرعوا الى الفرار ، وتفرقوا الى الولايات كل منهم ذهب الى ولايته التي كان يليها من قبل أبيه ليعتصم بمنعته فيها ، وطاشت بهم الفتن ، واشتعلت نيران الحروب الداخلية ، وبعد مجالدات عنيفة عظم أمر محمد اعظم وابن أخيه عبد الرحمن الأمير الحالي ، وتغلبا على عاصمة المملكة ، وأنقذا محمد أفضل والد عبد الرحمن من سجن قزنة ، وسمياه أميراً على أفغانستان ، ثم أدركه الموت بعد سنة ، وقام على الإمارة بعده شقيقه محمد اعظم خان ، وارتفعت منزلة الشيخ جمال الدين عنده ، فأحله محل الوزير الأول ، وعظمت ثقته به ، فكان يلجأ لرأيه في العظائم وما دونها ، على خلاف ماتعوده أمراء تلك البلاد من الاستبداد المطلق وعدم التعويل على رجال حكومتهم ، وكادت تخلص حكومة الأفغان لمحمد أعظم بتدبير السيد جمال الدين ، لولا سوء ظن الامير بالاغلب من ذوي قرابته حمله على تفويض مهمات من الاعمـــال الى أبنائه الاحداث ، وهم خلو من التجربة عراة من الحنكة ، فساق الطيش أحدهم وكان حاكما في قندهـــار على منازلة عمه شير علي في هراة ، ولم يكن له من الملك سواها ، وظن الفتى أنه يظفر فينال عند أبيه حظوة فيرفعه على سائر اخوانه ، فلما تلاقى مع جيش عمه دفعته الجراءة على الانفراد عن جيشه في مائتي جندي ، واخترق بها صفوف أعدائه فأوقع الرعب في قلوبهم ، وكادوا ينهزمون لولا ما التفت يعقوب خان قائد شير علي ، فوجد ذلك الغر المتهور منقطعاً عن جيشه ، فكر عليه وأخـــذه أسيراً ،

فتشتت جند قندهار ، وقوي الامل عند شير علي ، فحمل على قندهار واستولى عليها ، وعادت الحرب الى شبابها ، وعضد الانكليز شير علي ، وبذلوا لهـا قناطير من الذهب ، ففرقها في الرؤساء والعاملين لمحمد أعظم ، فبيعت أمانات ونقضت عهود ، وجددت خيانات ، وبعد حروب هـائلة تغلب شير علي وانهزم محمد اعظم ، وابن اخيه عبد الرحمن ، فذهب عبد الرحمن الى بخارى ، وعاد اليوم الى بلاده وهو أميرها ، وذهب محمد اعظم الى بلاد ايران ، ومات بعد أشهر في مدينة نيسابور ، وبقي السيد جمال الدين في كابل لم يمسه الامير بسوء ، احتراما لعشيرته وخوف انتقاض العامة عليه حمية لآل البيت النبوي ، إلا أنه لم ينصرف عن الاحتيال للغدر به والانتقام منه بوجه يلتبس على الناس حقه بباطله ، ولهذا رأى السيد جمال الدين خيراً له أن يفارق بلاد الافغان ، فاستأذن للحج فأذن له على شرط أن لا يمر ببلاد ايران ، كيلا يلتقي فيها بمحمد أعظم ، وكان لم يمت ، فارتحل عـلى طريق الهند سنة خمس وثمانين ومائتين والف ، بعد هزيمة محمد اعظم بثلاثة أشهر ، ولما وصل الى التخوم الهندية تلقته حكومة الهند بحفاوة في إجلال ، إلا أنها لم تسمح له بطول الإقامة في بلادها ، ولم تأذن للعلماء في الاجتماع عليه الا على عين من رجالها ، فلم يقم أكثر من شهر ، ثم سيرته من سواحل الهند في أحد مراكبها على نفقتها الى السويس ، فجاء الى مصر وأقام بها نحو أربعين يوما ، تردد فيها على الجامع الازهر ، وخالطه كثير من طلبة العلم السوريين ، ومالوا اليه كل الميل ، وسألوه أن يقرأ لهم شرح الإظهار ، فقرأ لهم بعضا منه في بيته ، ثم تحول عن الحجاز عزمه ، وتعجل بالسفر الى الاستانة ، فبعد ايام من وصولها امكنه ملاقاة الصدر الاعظم عالي باشا ، ونزل منه منزلة الكرامة ، وعرف له الصدر فضله ، وأقبل عليه بما لم يسبق لمثله ، وهو مع ذلك بزيه الافغاني قباء وكساء وعمامة عجراء ، وحومت عليه لفضله قلوب الامراء والوزراء ، وعلا ذكره بينهم ، وتناقلوا الثناء على

علمه ودينه وأدبه ، وهو غريب عن أزيائهم ولغتهم وعاداتهم ، وبعد ستة اشهر سمي عضواً في مجلس المعارف ، فأدى حق الاستقامة في آرائه ، وأشار الى طرق لتعميم المعارف لم يوافقه على الذهاب اليها رفقاؤه ، ومن تلك الطرق ما أحفظ عليه قلب شيخ الإسلام لتلك الأوقات حسن فهمي افندي ، لأنها كانت تمس شيئاً من رزقه ، فأرصد له العنت ، حتى كان رمضان سنة سبع وثمانين ومائتين والف ، فرغب اليه مدير دار الفنون تحسين افندي ان يلقي فيها خطابا للحث على الصناعات ، فاعتذر اليه بضعفه في اللغة التركية ، فألح عليه تحسين افندي ، فأنشأ خطابا طويلًا كتبه قبل إلقائه وعرضه على وزير المعارف ، وكان صفوت باشا ، وعلي شرواني زاده ، وكان مشير الضابطية ، وعلى دولتلو منيف باشا ناظر المعارف ، وكان عضواً في مجلس المعارف ، فاستحسنه كل منهم ، وأطنب في مدحه ، فلما كان اليوم المعين لاستماع الخطاب ، تسارع الناس الى دار الفنون ، واحتفل له جم غفير من رجال اهل الحكومة وأعيان أهل العلم وأرباب المعارف ، وحضر في الجمع معظم الوزراء ، وصعد الشيخ جمال الدين على منبر الخطابة ، وألقى ما كان أعده ، وأرسل حسن أفندي فهمي أشعة نظره في تضاعيف الكلام ليصيب منه حجة للتمثيل به ، وما كان يجدها لو طلب حقا ، ولكن كان الخطاب في تشبيه المعيشة الإنسانية ببدن حي ، وان كل صناعة بمنزلة عضو من ذلك البدن ، تؤدي من المنفعة في المعيشة مايؤديه العضو في البدن ، فشبه الملك مثلًا بالمخ الذي هو مركز التدبير والارادة ، والحدادة بالعضد ، والزراعة بالكبد ، والملاحة بالرجلين ، ومضى في سائر الصناعات والأعضاء حتى أتى على جميعها ببيان ضاف واف ، ثم قال هذا مايتألف منه جسم السعادة الإنسانية ، ولا حياة لجسم إلا بروح ، وروح هذا الجسم إما النبوة وإما الحكمة ، ولكن يفرق بينهما بأن النبوة منحة إلهية لاتنالها يد الكاسب ، يختص الله بها من يشاء من عباده ، والله أعلم حيث يجعل رسالاته .

أما الحكمة فمما يكتسب بالفكر والنظر في المعلومات وبأن النبي معصوم من الخطأ ، والحكيم يجوز عليه الخطأ بل يقع فيه، وان احكام النبوات آتية على ما في علم الله ، لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، فالأخذ بها من فروض الإيمان ، أما آراء الحكماء فليس على الذمم فرض اتباعها إلا من باب ماهو الأولى والأفضل ، على شريطة ان لاتخالف الشرع الالهي ، هذا ما ذكره متعلقا بالنبوة وهو منطبق على ما اجمع عليه علماء الشريعة الإسلامية ، الا ان حسن فهمي افندي اقام من الحق باطلا ليصيب غرضه من الانتقام ، فأشاع ان الشيخ جمال الدين زعم ان النبوة صنعة ، واحتج لتثبيت الاشاعة بأنه ذكر النبوة في خطاب يتعلق بالصناعة ، وهكذا تكون حجج طلاب العنت ، ثم اوعز الى الوعاظ في المساجد ان يذكروا ذلك محفوفا بالتفنيد والتنديد ، فاهتم السيد جمال الدين للمدافعة عن نفسه واثبات براءته مما رمي به ، ورأى ان ذلك لايكون الابمحاكمة شيخ الإسلام ، وكيف يكون ذلك ، واشتد في طلب المحاكمة واخذت منه الحدة مبلغها ، واكثرت الجرائد من القول في المسألة ، فمنها نصراء للشيخ جمال الدين ، ومنها اعوان لشيخ الاسلام ، فاشار بعض اصحاب السيد عليه ان يلزم السكون ويغضي على الكريهة ،وطول الزمان يتكفل باضمحلال الاشاعات وضعف اثرها ،فلم يقبل ولج في طلب المخاصمة ، فعظم الأمر، وآل الى صدور امر الصدارة اليه بالجلاء عن الاستانة بضعة اشهر حتى تسكن الخواطر ويهدأ الاضطراب ، ثم يعود ان شاء ، ففارق الاستانه مظلوما في حقه مغلوبا لحدته ، وحمله بعض من كان معـــه على التحول الى مصر ، فجاء اليها في اول المحرم سنة ثمان وثمانين ومائتين وألف ، هذا مجمل أمره في الاستانة ، وما ذكره سليم العنحوري في شرح شعره المسمى سحر هاروت مما يخالف ذلك خلط من الباطل لا شائبة للحق فيه . ثم مال السيد جمال الدين الى مصر على قصد التفرج بما يراه من مناظرها ومظاهرها ، ولم تكن له عزيمة على

الاقامة بها ، حتى لاقى صاحب الدولة رياض باشا فاستمالته مساعيه الى المقام ، واجرت عليه الحكومة وظيفة الف قرش مصري كل شهر نزلا اكرمته به لافي مقابلة عمل ، واهتدى اليه بعد الاقامة كثير من طلبة العلم ، واستوروا زنـــده فأورى ، واستفاضوا بحره ففاض درا ، وحملوه على تدريس الكتب فقرأ من الكتب العالية في فنون الكلام الأعلى والحكمة النظرية طبيعية وعقلية ، وفي علم الهيئة الفلكية وعلم التصوف وعلم اصول الفقه الإسلامي ، وكانت مدرسته بيته من اول ما ابتدأ الى آخرما اختتم ، ولم يذهب الى الازهر مدرسا ولايوما واحدا ، نعم كان يذهب اليه زائرا ، واغلب ماكان يزوره يوم الجمعة . فعظم أمر الرجل في نفوس طلاب العلوم ، واستجزلوا فوائد الاخذ عنه ، واعجبوا بدينه وأدبه ، وانطلقت الالسن بالثناء عليه ، وانتشر صيته في الديار المصرية ثم وجه عنايته لحل عُقَل الأوهام عن قوائم العقول ، فنشطت لذلك ألباب ، واستضاءت بصائر ، وحمل تلامذته على العمل في الكتابة وإنشاء الفصول الادبية والحكمية والدينية ، فاشتغلوا على نظره وبرعوا ، وتقدم فن الكتابة في مصر بسعيه ، وكان ارباب القلم في الديار المصرية القادرون على الاجـــادة في المواضع المختلفة منحصرين في عدد قليل ، وما كنا نعرف منهم الا عبد الله باشا فكرى وخيري باشا ، ومحمد بك سد[1] حمد على ضعف فيه ، ومصطفى باشا وهبي على اختصاص فيه ، ومن عدا هولاء فإما ساجعون في المراسلات الخاصة ، واما مصنفون في بعض الفنون العربية والفقهية ، وما شاكل ذلك . ومن عشر سنوات نرى كتبة في القطر المصري لايشق غبارهم ، ولايوطأ مضمارهم ، وأغلبهم احداث في السن ، شيوخ في الصناعة ، وما منهم الامن اخذ عنه أو عن احد تلامذته أو قلد المتصلين به ، ومنكر ذلك مكابر ، وللحق مدابر ، هذا ما حسده عليه أقوام واتخذوا سبيلا للطعن عليه من قراءته بعض الكتب الفلسفية ، اخذا بقول جماعة من المتأخرين في تحريم النظر

---

(١) لعله : سيد .

فيها ، على ان القائلين بهذا القول لم يطلقوه ، بل قيدوه بضعفاء العقول قصار النظر خشية على عقائدهم من الزيغ ، اما الثابتون في ايمانهم فلهم النظر فى علوم الأولين والآخرين ، من موافقين لمذاهبهم أو مخالفين ، فلا يزيدهم ذلك الابصيرة في دينهم ، وقوة في يقينهم . ولنا في أئمة الملة الإسلامية الف حجة تقوم على مانقول ، ولكن تمكن الحاسدون من نسبة ما اودعته كتب الفلاسفة الى رأي هـــذا الرجل ، واذاعوا ذلك بين العامة ، ثم ايدهم اخلاط من الناس من مذاهب مختلفة ، كانوا يطرقون مجلسه فيسمعون مالا يفهمون ، ثم يحرفون في النقل عنه ولايشعرون ، غير ان هذا كله لم يؤثر في مقام الرجل من نفوس العقلاء العارفين بحاله ، ولم يزل شأنه في ارتفاع ، والقلوب عليه في اجتماع ، الى ان تولى خديوية مصر حضرة خديويها الحالي توفيق باشا ، وكان السيد من المؤيدين لمقاصده ، الناشرين لمحامده ، الا ان بعض المفسدين ومنهم مستر فيفيان (١) قنصل انكلترا الجنرال سعى فيه لدى الجنـــاب الخديوي ، ونقل المفسد عنه ما الله يعلم انه بريء منه حتى غير قلب الخديوي عليه ، فأصدر أمره بإخراجه من القطر المصري هو وتابعه ابو تراب ، ففارق مصر الى البلاد الهندية سنة ست وتسعين ومائتين والف ، وأقام بحيدراباد الدكن ، وفيها كتب رسالته التي الفها في ابطال مذهب الدهريين وبيان مفاسدهم ، واثبات ان الدين اساس المدنية ، والكفر فساد العمران . ولما كانت الفتنة الاخيرة دعي من حيدر اباد الى كلكته ، والزمته حكومة الهند بالاقامة فيها ، حتى انقضى امر مصر وانتهت الحرب الانكليزية ، ثم ابيح له الذهاب الى أي بلد شاء ، فاختار الذهاب الى اوربا ، وأول مدينة صعد اليها مدينة لوندرا ، اقام بها اياما قلائل ثم انتقل عنها الى باريز ، وأقام بها ما يزيد على ثلاث سنوات . قال الشيخ محمد عبده : وافيناه في اثناء هذه المدة ، ولما كلفته جمعية العروة الوثقى ان ينشيء جريدة تدعو المسلمين الى الوحدة تحت لواء الخلافة الاسلامية ، أيدها الله ، سألني أن اقوم على

---

(١) كذا في الأصل .

تحريرها فأجبت ، ونشر من الجريدة ثمانية عشر عدداً ، وقد اخذت من قلوب الشرقيين عموما والمسلمين خصوصاً مالم يأخذه قبلها وعظ واعظ ولا تنبيه منبه ، وذلك لخلوص النية في تحريرها ، وصحة المقصد في تحبيرها ، ثم قامت الموانع دون الاستمرار في اصدارها حيث قفلت ابواب الهند عنها ، واشتدت الحكومة الانكليزية في اعنات من تصل اليهم فيه ، ثم بقي بعد ذلك مقيما بأوربا اشهراً في باريز واخرى في لندرا ، الى اوائل شهر جمادى الاولى سنة ثلاث وثلاثمائة والف ، وفيه رجع الى البلاد الايرانية ، وسيذهب منها الى افغانستان .

اما مذهبه فحنيفي حنفي ، وهو وان لم يكن في عقيدته مقلدا لكنه لم يفارق السنة الصحيحة مع ميل الى مذهب السادة الصوفية رضي الله عنهم ، وله مثابرة شديدة على اداء الفرائض في مذهبه ، وعرف بذلك بين معاشريه في مصر ايام اقامته بها ، ولا يأتي من الأعمال الا ما يحل في مذهب إمامه ، فهو أشد من رأيت في المحافظة على اصول مذهبه وفروعه . أما حميته الدينية فهي مما لا يساويه فيها احد ، يكاد يلتهب غيرة على الدين واهله. أما مقصده السياسي الذي وجه اليه افكاره ، واخذ على نفسه السعي اليه مدة حياته ، وكل ما اصابه من البلاء اصابه في سبيله ، فهو انهاض دولة اسلامية من ضعفها ، وتنبيهها للقيام على شؤونها ، حتى تلحق الأمة بالأمم العزيزة ، والدولة بالدول القوية فيعود للاسلام شأنه ، وللدين الحنيفي مجده ، ويدخل في هذا تنكيس دولة بريطانيا في الاقطار المشرقية ، وتقليص ظلها عن رؤوس الطوائف الاسلامية ، وله في عداوة الانكليز شؤون يطول بيانها . وأما منزلته من العلم وغزارة المعارف ، فليس يسهل على القلم حدها الا بنوع من الاشارة اليها ، وله سلطة قوية على دقائق المعاني وتحديدها وابرازها في صورها اللائقة بها ، كأن كل معنى قد خلق

له . وله قوة في حل المعضلات كأنه سلطان شديد البطش ، فنظرة منه تفكك عقدها ، ومهما ألقي اليه من موضوع ، يدخل للبحث فيه كأنه صنع يديه ، فيأتي على اطرافه ، ويحيط بجميع اكنافه ، ويكشف ستر الغموض عنه فيظهر المستور منه ، واذا تكلم في الفنون حكم فيها حكم الواضعين لها ، ثم له في باب الشعريات قدرة على الاختراع ، كأن ذهنه عالم الصنع والابداع وله لسن في الجدل ، وحذق في صناعة الحجة لا يلحقه فيها احد ، الا ان يكون في الناس من لا نعرفه ، وكفاك شاهدا على ذلك انه ما خاصم احدا الا خصمه ، ولا جادله عالم الا الزمه ، وقد اعترف له الاروبيون بذلك ، بعدما أقر له الشرقيون . وبالجملة فاني لو قلت ما آتاه الله من قوة الذهن وسعة العقل ونفوذ البصيرة ، هو من أقصى ما قدر لغير الانبياء والمرسلين لكنت غير مبالغ ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . وأما أخلاقه فسلامة القلب سائدة في صفاته ، وله حلم عظيم يسع ما شاء الله أن يسع ، الى ان يدنو منه أحد ليمس شرفه أو دينه ، فينقلب الحلم الى غضب تنقض منه الشهب ، فبينا هو حليم أواب ، إذا هو أسد وثاب ، وهو كريم يبذل ما بيده ، قوي الاعتماد على الله ، لا يبالي ما تأتي به صروف الدهر ، عظيم الأمانة ، سهل لمن لاينه ، صعب على من خاشنه ، طموح الى مقصده السياسي الذي قدمناه ، اذا لاحت له بارقة منه تعجل السير للوصول اليه ، وكثيراً ما كان التعجل عِلّة الحرمان ، وهو قليل الحرص على الدنيا ، بعيد من الغرور بزخارفها ، ولوع بعظائم الأمور عزيف عن صغارها ، شجاع مقدام لايهاب الموت كأنه لايعرفه ، الا انه حديد المزاج وكثيرا ما هدمت الحدة ما رفعته الفطنة ، الا انه صار اليوم في رسوخ الاطواد ، وثبات الافناد (١) ، فخور بنسبه الى سيد المرسلين صلى الله

---

(١) جمع : فِند ، وهو الجبل العظيم .

عليه وسلم ، لايعد لنفسه مزية أرفع ولاعزاً امنع من كونه سلالة ذلك البيت الطاهر ، وبالجملة ففضله كمله ، والكمال لله وحده .

وأما خلقه فهو يمثل لناظره عربيا محضاً من اهالي الحرمين ، فكأنما قد حفظت له صورة آبائه الأولين من سكنة الحجاز (حماه الله) . ربعة في طوله وسط في بنيته ، قمحي في لونه عصبي دموي في مزاجه ، عظيم الرأس في اعتدال ، عريض الجبهة في تناسب ، واسع العينين عظيم الأحداق ، ضخم الوجنات رحب الصدر ، جليل في النظر ، هش بش عند اللقاء ، قد وفاه الله من كمال خلقه ماينطبق على كمال خلقه ، بقي علينا ان نذكر وصفا لو سكتنا عنه سئلنا عن اغفاله ، وهو انه كان في مصر يتوسع في اتيان بعض المباحات كالجلوس في المتنزهات العامة ، والاماكن المعدة لراحة المسافرين ، وتفرج المحزونين ، لكن مع غاية الحشمة وكمال الوقار ، وكان مجلسه في تلك المواضع لايخلو من الفوائد العلمية ، فكان بعيداً من اللغو منزها من اللهو ، وكان يوافيه فيها كثير من الامراء وأرباب المقامات العالية وأهل العلم ، وهذا الوصف ربما عده عليه بعض حاسديه ، لكن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب ان تؤتى عزائمه ، وأي غضاضة على المرء المؤمن في ان يفرج بعض همه بما اباح الله له .

هذا مجمل من احوال السيد جمال الدين الافغاني أتينا به دفعا لما افتراه عليه الجاهلون ، ولو سلكنا في تاريخه مسلك التفصيل ، لأدى بنا الى التطويل ، والله عنده حسن الصواب ، واليه المرجع والمآب . ولم يزل يتقلب على فرش النعم الى أن نشبت به أظفار النقم ، فقاسى من الامراض شدة ، ومضى عليه وهو على حالته مدة ، الى أن استوفى منيته في خامس شوال عام الف وثلاثمائة وأربعة عشر من هجرة سيد أهل الكمال ، ودفن في الاستانة العلية في المقبرة المعروفة بمقبرة المشايخ ، أسكنه الله الجنة ، وأوسع له في دار الكرامة المنة .

السيد جمال الدين بن المرحوم احمد افندي بن المرحوم يوسف افندي المعروف بيوسف زاده

شيخ الاسلام والمسلمين ، وصفوة العلماء المتقنين ، منحة الدنيا وتحفة الدهر ، ودوحة الفضائل التي لم تدخل تحت حصر ، من طلعت ذاتــه الشريفة في سماء الكمال بدرا ، وانتشرت صفاته المنيفة فعطرت الارجاء براً وبحراً ، وتشنفت المسامع بصنوف نعوته الدرية ، وتشرفت البدائع والبدائه بانتسابها الى براعته العلية .

هذا الذي قد فاز بالأماني   وحاز قدراً ماله من ثان
كأنه في ناظر الزمان   انسان عين الحسن والاحسان

فلا ريب أنه كعبة المعالي ، وحسنة محاسن الأيام والليالي ، قد ولد هذا الفرد الكامل ، والشهم الأوحد الجهبذ الفاضل ، يوم الأربعاء تاسع جمادى الأولى سنة أربع وستين بعد المائتين والألف ، وعين العناية والرعاية تحوطه من امام وخلف ، وفم الدهر ينادي ، بين صاد وغادي :

قرت عيون المجد والكمال   بمن بدا في ذروة الكمال
طالعــه سعد السعود وله   حظ ثوى في هامة المعالي
بشرى لذا العصر به بشرى له   يا فوزه ببغية الآمـــال

ولم يزل بحمد الله ينمو ، ويترقى على مدارج السيادة والسعادة ويسمو ، الى ان بلغ في العلوم والآداب مبلغ الأفاضل ، ونبــغ بين الخصوص والعموم في الشمائل وحسن الفضائل ، وخدمته المناصب الداعية لترقيه الى أعلى الرتب ، فكان لما هذا المترجم نهاية الأمل وغاية الأرب ، وحينما أشرقت بالعاصمة الاسلامية شمس علمه وآدابه ، وزها نورها بباهر مظهر جنابه ، واسفر من خدر الفضل محيا صباحه ، وظهر لنا من غرته بادر فلاحه ونجاحه ، ورشحته المعارف لأعلى المناصب ، ووشحته بوشاح التحلي بأثواب النفائس والرغائب ، اجلسه سيدنا أمير المؤمنين السلطان عبد الحميد خان ، على مهاد شيخة الاسلام بكل احــترام وشان ، وذلك في اليوم التاسع والعشرين من شهر محرم الحرام سنة الف وثلاثمائة وتسع . فلا ريب

أنه اعطى القوس باريها ، وقلد السهام من هو حاميها وراميها ، وسلم الأمر لأهله ، وفوضه لمن اعترف الكل بفضله ، احسن الله اليه وصانه ، ورفع قدره في العالمين واعلى شانه .

الشيخ جاعد بن خميس بن مبارك الخروصي العماني

امام في المعارف كامل ، وهمام في اللطائف والفضائل ، قد ترجمه صاحب الحديقة ، فقال في اوصافه الأنيقة : اشهد أنه العلم المفرد ، والاجلّ ممن ركع وسجد ، وهدى من ضل وأضل بعلومه وارشد ، فهو اليوم زعيم قومه ، وكبيرهم الذي صغرت أقرانه لقصورهم عن المقابلة له في صلاته وصومه ، تصانيفه دلائل الاعجاز ، وتآليفه محشوة بمحاسن الحقيقة والمجاز . فمن لطائفه قوله :

خذ هاك يا ابن الاكرمين كتابا   يحيي القلوب ويفتح الابوابا
واظب على التعليم درسا بالعشا   والليل ، وافتح بالنهار كتابا
واذا أتيت الى المدارس لا تكن   عند المعلم لاهيا لعابا
وكذاك طاعة والديك ففيها   بر تنال من الإله ثوابا

توفي رحمه الله تعالى سنة الف ومائتين ونيف وثلاثين .

السيد جعفر بن السيد اسماعيل بن السيد زين العابدين بن محمد البرزنجي

هو ممن رأس وعلا ، ووكف جوده وحلا ، واعاد كاسد البدائع نافقا ، ومخالف الكمال بهديه موافقاً ، ورث المجد عن سادة اكابر ، لم يعرفوا إلا بالفضائل والمفاخر ، والنسب الباهي الباهر ، والحسب الزاهي

الزاهر ، احد علماء الحجاز ، العامرين لارجاء الحقيقة والمجاز ، المتسلسلين بالمعارف والفضائل ، والمتجملين باللطائف وأعلى الشمائل . حضر دروس العلماء الاعلام ، الى أن حصل على المراد والمرام . وفي سنة الف ومائتين وثلاث وعشرين ، خرج والده من المدينة الشريفة فساقته المقادير الى بلاد الكرد من سواد العراق ، فاجتمع بواليهـا عبد الرحمن باشا وكان من أهل العلم والفضل ، وله محبة في العلماء زائدة ، فاحب السيد اسمـاعيل المذكور ، واكرمه وابقاه عنده مبجلاً ، وزوجه ابنته عائشة ، وهي والدة المترجم ، فاستمر والد المترجم مقيماً بتلك الارض خمساً واربعين سنة ، معظماً محترماً . وفي مدة غيبته كانت فتوى الشافعية بالمدينة المنورة لدى أولاد عمه . وفي سنة تسع وستين ومائتين والف عزم والد المترجم على التوجه الى وطنه ، فتوجه في شهر رجب من السنة المذكورة ، ولما وصل الى مصر من طريق الشام ، ترك المترجم في الجامع الازهر ، فأخذ عن علمائها المشهورين ، وتوجه والده الى دار السلطنة وامتدح المرحوم السلطان عبد المجيد بقصيدة سنية ، فقلده منصب افتاء الشافعية بالمدينة النبوية ، على ساكنها افضل الصلاة والتحية ، ثم رجع الى المدينة ودخلها في اوائل رجب سنة احدى وسبعين ومائتين والف . وقد أرخ رجوعه حضرة الفاضل المحترم الشيخ عبد الجليل افندي برادة بقصيدة غراء مطلعها :

الدهر اقبل بالمسرة يسعد — ولنا بانجاح المطالب ينجد

الى ان قال :

ولطيبة قد عدت قلت مؤرخا — في بيت شعر بالمحـاسن يفرد

قد عاد جارا للرسول محمد — نجل غا والعود منه أحمد (١٢٧٧)

ثم بعد مدة نزل عن منصب الافتاء لولده المترجم ، فتقلدهـا سنة الف ومائتين وثمان وسبعين قبل وفاة والده بنحو ثمانية اشهر ، وجاء

تصديق ذلك من دار السلطنة العلية ، وتردد المترجم الى دار السلطنة مراراً ، وقلد قضاء صنعاء خمس سنين آخرها شوال سنة الف وثلاثمائة واثنتين . ثم جاء الى مكة بأهله ، وبعد اداء المناسك رجع الى المدينة . وله مؤلفات جليلة ، ومناقب جميلة ، تشهد له بسمو مقامه ، وعلو احترامه ، احسن الله الينا واليه [1] اه .

المرحوم السيد جعفر البيتي

نابغة الأدب ، الآتي من غرائب المحاسن بكل عجب ، يملأ مسامعه بجذل وطرب ، ويحلي أعطاف افهامه بوشاح در وذهب ، استكان له عصا الأدب وأطاعه ، إذ رأى احسانه له وابداعه ، مقلداً جيد أبكاره المصون ، بمنظوم در بيانه المكنون ، همام ألقت إليه الفصاحة مقاليدها ، وملكته البلاغة طارفها وتليدها ، فتصرف فيها بفكره الرصيف [2] ، وصرفها على وفق مراده باحسن تصريف ، فعنده من نوادر التحف كل آبدة [3] ، ومقيدة في صحف أفكاره كل شاردة ، ان تكلم لم يترك كلاماً لغيره ، وان سار في طرق الإفادة فلله حسن سيره ، كيف لا وهو خاتمة أهل الأدب بلا ريب ، والمجمع على نزاهة تحريراته من الخلل والعيب ، وتفننه في فنون العلوم ، أمر ذائع معلوم ، سلمت له في طول يده فيهـا كل اقرانه ، وأقرت له بالفضل جهابذة [4] أهل زمانه ، فكم له من قطع إنشاء كأنها قطع الروض الازهر ، أو قطع الشهب العنبر ، مرقشة بنتف الأمثال ، والتحف التي ليس لها مثال ،

---

(١) توفي المترجم السيد جعفر في المدينة المنورة عام ١٣١٧ هـ .

(٢) المحكم الثابت .

(٣) الشيء العويص والغريب .

(٤) جمع جهبذ ، وهو : الناقد العارف بتمييز الجيد من الرديء .

ومن لمع نظم أرفع من الدر قدراً ، وأضوع من المسك نشراً ، ان تاملتها تجدها للنكت معدناً ، وللخرّد (١) البدائع مسكناً . فمن نظمه الرقيق ، المحاكي للزلال الممزوج بالرحيق ، قوله :

أبادني السقم لاعيني ولا أثري — أظن ما عندكم علمي ولا خبري
ما عندكم قلقي ما عندكم حرقي — ما عندكم أرقي مـا عندكم سهري
ولا اطلعتم على صب تقلبه — يد الصبابة بين الشوك والابر
ولا رعيتم مراعـــاتي لودكم — ولاذكرتم عهودي مثل مدّكري
أنا المشوق المعنّى المستهام بكم — حسبي جنوني بكم عزاً ومفتخري
والنار لانار إلاماحوت كبدي — ويلاه من حرنيراني ومن شرري
يانازلين حمى نجد ترابكم — أعزه الله من عيني ومن نظري
لولاكم لم يكن في نجدلي أرب — ولم يكن نجدمن قصدي ولاوطري

ومن غرر قصائده الباهرة ، المخجلة للأنجم الزاهرة قوله :

حمامك في الحمى ياصاح صاحا — فحي على الصبوح وعم صباحا
عهودي بالطلا طالت واني — سئمت وحقك المــاء القراحا
تقدم للشمول ولم شملي — ومن أقداحنا أجل القداحا
تأمل في خيوط الفجر لاحت — وأهمل عاذلي ان كان لاحا
وعاجلنـــا فياقوت الحميــا — اذا طلعت عليه الشمس ساحـا
وقد قصت أيادي الحزن ريشي — فأنبت بالمسرة لي جناحـــا
ارح روحي براحك ياندييي — وراوحني فان الروح راحا
وليل الصحو اظلم فاقتدح لي — لأجل السكر بالقدح اقتداحا
وقل لعويذلي دع لي فسادي — فاني قد وهبت لك الصلاحا (٢)
ادرها من عصير ورود خد — شقيقاً ضمنت ثغرا اقاحـــا

---

(١) جمع خريدة ، وهي اللؤلؤة لم تثقب .
(٢) ليته أعرض عن هذا واستغفر لذنبه .

يريك حبابها اثنى عشر عينـــا فتعلم مشربالك واصطباحـــا
يطوف بها علي اغنّ غانٍ تربع في الضمائر واستراحـــا
رشا دلت مآثره عليه وحالى توضح الحال اتضاحـــا
جوارش ريقه أفواح قلبي ومنه اعتضت معجونا نجاحـــا
بعيشك هل رأيت صنوف زهر على فرد من الأغصان لاحا
يصادر بالنهود عن التشكي فألتزم التمائم والوشاحـــا
ويعذل بالعيون وبالتثني فاعتنق الصوارم والرماحـــا
اذا طعن الفؤاد برمح قـد رأيت دمي من العبرات ساحا
تنزه منه في بستان حسن ترى في صدره التفاح فاحا
ومزق لي فؤادك يا ابن ودي معي عشقا ووجدا وافتضاحا
على خلع العذار كتبت عهدي وغي قد أبى الاجماحـــا
فلا تعتب اذا ما طاش حلمي فقد أبصرت اردافا رجاحا
وحي شاهدت عيناي فيه صنوف الحسن اجمع والملاحا
حبيب مذ طرحت سلاح جهدي وصبري دونه حمل السلاحا
وجد لقتلتي بجديد طرف لأول نظرة كانت مزاحا
فيا لك نظرة ملئت نصالا ومهجة عاشق ملأت جراحا
اذا غنى الحمام هوى تغنى ومهما ناح للأحزان ناحا
تساكرنا بـه نرجوه سكرا وذاك الذ ممن قد تصاحى
ولا نوفيه حقا في التصابي ومن ذا في الصبا يوفي الصباحا

وله من قصيدة عارض بها قصيدة فتح بن النحاس

رأى البق من كل الجهات فراعه فلا تنكروا تحكيكه والتياعه
ولا تسألوني كيف بت فانني لقيت عذابا لا اطيق دفاعه
نزلنا بمرمى ينبع البحر مرّة على غير رأي ما علمنا طباعه
نقارع من جند البعوض كتائبا وفرسان ناموس عدمنا قراعه

فلو عاينت عيناك ميدان ركضه — رأيت جريّ القلب فيه شجاعه
وجندا من الفيران في البيت كمّنا — متى وجدوا خرقا احبوا اتساعه
ومرية قمل تنبري اثر سرية — خفافا الى مص الدماء سراعه
ينازعها البرغوث لحما فليته — رضي بتلافي واكتفينا انتزاعه
فلو يجد الملسوع من عظم ما به — من الصخر درعاً لاستخار ادراعه
فرب قميص كان شرا من العرى — اذا ضمه الملتاع زاد التياعه
كأني وكيل للبراغيث قائم — اقيت له ايتامه وجياعه
إذا شبع الملعون مج دما على — ثيابي فلا أحيا الإله شباعه
فما رشنا بالدم إلا لسانه — ولم تو عيني مكره وخداعه
سلوا عن دمي سارى البعوض فإنني — علمت يقينا أنه قد اضاعه
فلله جلد صار بالحك أجربا — اخاف عليه يافلان انقشاعه
فلاتعذلوا المسكين ان عيل صبره — وأظهر من جور الزمان انفجاعه
فقد مارس الاهوال في ارض ينبع — ووطأ فوق النائبات اضطجاعه
زرعت العنا فيه يمينا ويسرة — وصيرت صبري والتأمي ذراعه
فأعدمني طول المقام تجلدي — وكشف عن وجه اصطباري قناعه
اذا رنم الناموس حولي اعلني — وصدع قلبي سجعه وابتداعه
وان مص من لحمي وطار تبعته — الى فائت منه أرجي ارتجاعه
عدمت غناه مثل انغام سجعه — فما كان أشنى سجعه وابتداعه
ضعيف قوي لا يقر من الاذى — وأضعف منه من يرجّي اصطناعه
وكم نفذت في دفعه كل حيلة — ولو كان بالحسنى طلبت اندفاعه
فيا لأصيحابي اقتلوني ومالكا — فقد مد نحوي مفسد البق باعه [1]

---

(١) في معجم المؤلفين : جعفر بن محمد باعلوي السقاف الحسيني المدني ، الشافعي الشهير بالبيتي : أديب شاعر ، توفي بالمدينة في شعبان سنة ١١٨٢ هـ من آثاره ديوان شعر ، ومواسم ، وآثار العجم والعرب في ثلاثة أجزاء .
راجع مصادر الترجمة أيضاً .

حجليلان بن عليان من قبيلة من تميم

وهو بضم الحاء وفتح الجيم

رجل شديد جسور ذو دهـــاء ورأي ، وكان صاحب بلدة بريدة واميرهـــا (١) ، ولمـــا ارتحل ابراهيم باشا المصري من عُنَيزة حينما غزا الوهابيين قصد برَيده (٢) فأظهر اميرها المترجم المرقوم الطاعة ، وكان على خلاف عقيدة الوهابيين(٣) وان كان لدهائه مظهراً انه منهم لأمور سياسية دعته لذلك ، وكان إذا رأى غريباً يقوم بلوازمه ومصالحه وحمايته وجميع ما يحتاج اليه ، وكان ذا دين وصلاح وعبادة واستقامة وحسن سيرة وسريرة ، وأوصاف جميلة يحمد عليها بين ذويه وأمثاله ، توفى رحمه الله سنة الف ومائتين وثلاث وثلاثين في بريدة .

جودت باشا بن الحاج اسماعيل آغا ناظر العدلية العثمانية

الوزير الكبير ، والمشير الخطير ، عمدة الأعيان ، ونخبة الأركان ، وحبر المعارف ، وبحر العوارف ، ونصل الصواب ، بفصل الخطاب ، ولد في قصبة لوفجه من بلغاريا وكان أبوه الموما اليه ، ممن يعتمد بها عليه ، لأنه

---

(١) كتب المترجم هنا خطأ وحقه أن يكتب في آخر حرف الحاء .

(٢) بُرَيدة وعُنيزة ، همـــا أشهر مدن القصيم ، اللآى بالقرى والمدن الصغيرة ، والواقعة جنوبي جبل شمر ، والتي تعتبر أكثر بلاد العرب الداخلية اتصالاً بالعالم الخارجي ، « جغرافية البلاد العربية » .

(٣) وصف هذه العقيدة في « عنوان المجد ، في تاريخ نجد » بأنه استنار بها التوحيد بعد ما خفي ودرس ، وزال الشرك بعد ما رسا في البلاد وغرس ، وأطفئت نيران الظلم والفتن ، ورفعت مواد الفساد والمحن ، ونشرت راية الجهاد ، على أهل الجور والعناد اهـ .

قلت : ثم صار لقب الوهابي علماً على أهل الحق في كل زمان ومكان ، ولما دعا الجد المؤلف الى اتباع الكتاب والسنة ، وما كان عليه سلف هذه الأمة ، لقب بالوهابي أيضاً !!

حدقة انسانها ، وعين أعيانها ، وركن مجلسها ، وعائلته من أكرم العائلات وأرأسها ، وقد بذل المترجم همته ، مذ نيطت عنه التمائم [١] ، بكسب المعالي ونيل المكارم ، الى أن صار للتلقي أهلاً ، وللترقي محلى، فجاء الى الاستانة العلية ، في أوائل سنة الف ومائتين وخمس وخمسين هجرية ، وكان ذلك في أواخر أيام السلطان محمود خـــان [٢] ، فألف حاشية على الشافية لابن الحاجب وسماها «غاية البيان» فكانت حسب الواجب ، وسلك مسالك العلوم العربية ، وخاض بحار الفنون الأدبية ، وأتقن من كل علم حقيقته ومجازه ، وشهد له بالكمال شيوخه وكل منهم أذن له في التدريس وأجازه ، ثم قرأ الفارسية وأتقنها ، كما أنه حفظ اللغة العربية وأحسنها ، وأما العلوم الرياضية والطبيعية وعلم المعقولات والسياسة ، فلا ريب أن له فيهـــا كمال التقدم والرئاسة ، وفي سنة الف ومائتين وإحدى وستين ، وجهت اليه رتبة مدرس أول بين المدرسين ، وتمم شرح ديوان الصاحب الجليل ، الذي كان قد شرع في شرحـــه فهيم افندي ومات قبل التكميل ، وفي سنة الف ومائتين وست وستين لما فيه من كمال الأهلية ، صار عضواً في مجلس المعارف العمومية ، وفي أيام المرحوم عباس باشا خديوي مصر ، رافق فؤاد باشا في سفره الى القاهرة ذات القدر ، ثم بعد رجوعهـما وجهت اليه عضوية مجلس المعارف الداخلية ، الذي أنشىء في دار السعادة العلية ، ويوم فتحه قدمت الى الحضرة الشاهانية ، نسخة من القواعد التركية ، التي اشترك هو وفؤاد باشا في تأليفها ، واتقانها وتهذيبها وترصيفها ، ثم ألف الرسالة المسماة بمدخل القواعد ، ثم اختصرها وأجاد بمـــا أراد من الفوائد ، وفي سنة ألف ومائتين وسبعين

---

(١) كناية عن الكبر .

(٢) هو محمود خان الثاني (المولود سنة ١١٩٩ هـ والمتوفى سنة ١٢٥٥) .

صدر قرار مجلس المعارف السنية ، أن يؤلف تاريخاً محتوياً على وقائع الدولة العلية ، فألف تاريخاً قد ارتاحت له النفوس واطمأنت ، وهو عشر مجلدات بالتركية قد تم وطبع واشتهر بتاريخ جودت ، وفي سنة احدى وسبعين وجهت عليه مولوية غلطة فصار من الموالي ، وبعدها بسنة وجهت عليه باية مكة المشرفة ثم عضوية مجلس النظامات العالي ، وفي أثناء ذلك أحيلت اليه رئاسة المجلس المقام لتنظيم القانون المتعلق بالأراضي المشهور ، وهو الذي رتب مجموع قوانين الدولة العلية في ابتداء الأمر المسماة بالدستور ، ثم بعد رجوعه من مأمورية التفتيش مع قبرصلى زاده محمد باشا الصدر الأعظم ، وجهت اليه مأمورية فوق العادة فسار الى اشقودره وأزال ما كان بها من كدر ولم ، ثم وجهت اليه رئاسة القومسيون [١] الذي أقامه فؤاد باشا في أيام صدارته ذات المعالي ، لأجل ترويج الاجراءات المبنية على الانهاءات التي كان المفتشون العثمانيون في اناطولى [٢] وروم ايلي [٣] يوسلونها الى الباب العالي ، ثم صار مفتشاً في بوسنة ووجهت اليه باية صدارة اناطولى ، وبعد أن رجع من بوسنة وعاد ، سار بمأمورية مخصوصة الى جبل قوزان وقبودار وكاور طاغ وجبل الاكراد ،لأجل أمور سياسية ، من تعلقات الدولة العلية ، وفي سنة احدي وثمانين ذهب الى الاسكندرونة للنظر في

---

(١) كلمة افرنجية ، معناها : المجلس . (قاموس اللغة العثمانية للانسي) .

(٢) الأناضول (Anatolie) : في تركيا : منطقة أنجاد وجبال ، يجاورها البحر الأسود وبحر مرمرا ، والبحر الايجي والمتوسط ، وتعرف أيضاً ببلاد آسيا الصغرى .

(٣) الروملي أو بلاد الروم : اسم اطلقه الأتراك على الاقليم الشامل تراقيا ومكدونيا وغيرها من البلاد الواقعة بين البلقان والبحر الأسود ، وبحري مرمرا وايجه ، وسلسلة جبال اليونان ا هـ (من المنجد) .

أحوالها ، واصلاح باديتها وجبالها ، وفي ربيع السنة المذكورة وجهت اليه رتبة الوزارة السامية ، وولاية حلب وكانت سيرته بها حسنة نامية ، فأقام سنتين ، ثم وجهت اليه رئاسة ديوان أحكام العدلية ، وبعد سنتين تحولت اليه رئاسة جمعية العلماء لترتيب مجلة الأحكام المرعية ، وبعد انفصاله اعتزل مدة عن الاشغال المهمات ، ثم صار عضواً لشورى الدولة وعضواً في قومسيون (مجلس)الاصلاحات ،ثم صار مأموراً في الولاية التي شكلت لترتيب ألوية بياس[1] ومرعش[2] وقوزان ، ثم رجع الى رئاسة قومسيون المجلة ذات الشان ، ثم صار ناظر الاوقاف الهمايونية (السلطانية) ، ثم وجهت اليه نظارة المعارف العمومية ، ثم جعل معاون شورى الدولة العالية ، ثم وجهت اليه ولاية يانيه[3] ثم عاد لنظارة المعارف السامية ، ثم وجهت اليه نظارة العدلية المنيفة ، ثم وجهت اليه ولاية سورية الشريفة ، ثم رجع الاستانة العلية ، وتقلب في نظارات مختلفة سنية ، ثم صار ناظر العدلية الجليلة مع حيازته على معالي الاقتراب ، وفي رمضان عام ألف وثلاثمائة وسبعة انفصلت عنه لأمور خفية الاسباب ، وبقي عضواً في المجلس الخاص ، معدوداً من الاعيان والخواص ، الى أن توفي في الاستانة عام ألف وثلاثمائة واثني عشر ودفن بها رحمه الله .

---

(١) بياس : بلدة على خليج اسكندرونة .
(٢) مرعش : مدينة في تركيا على حدود سورية الشمالية .
(٣) لعلها : يانينا وهي مدينة في ألبانيا على بحيرة يانينا .

حرف الحاء

الشيخ حامد بن احمد بن عبيد العطار الشافعي الاشعري الدمشقي

فاضل العلماء ، وعالم الفضلاء ، وامام السادة الدمشقية ، وهمام القادة العلمية ، مرجع الخاص والعام ، ومجمع الجهابذة الاعلام ، شيخ الجميع في زمانه . ومقتدى العموم في وقته وأوانه ، وصاحب الدرجة العالية ، والمرتبة الرفيعة السامية ، فهو من الممتطين مطايا المعالي ، والمتحلين بحلل الهمم العوالي ، ولد بدمشق سنة ست وثمانين ومائة وألف ، ونشأ في حجر والده وليس له غير الاستفادة من إلف ، فكان من دأبه الطاعة والعبادة ، والتقوى والزهادة ، والجد في طلب العلوم ، والاجتهاد في تحقيق المنطوق والمفهوم ، وقد أخذ عن عدة مشايخ ، ما منهم إلا وهو في العلم جبل راسخ ، فمنهم والده الشهاب أحمد العطار ، ومنهم الامام الشيخ أحمد الرحمتي المشهور في الأقطار ، ومنهم عالم الديار الشامية الشيخ محمد الكزبري ، وغيرهم ممن هو بكل فضيلة حقيق وحري ، الى أن صار صدر الشريعة والدين ، ناشراً بتحقيقه طي العلم بالكشف المبين ، جامعاً لصحيح حديث الفضائل ، آتياً بتدقيقه بما لم تستطعه الأوائل ، فلعمري انه لهو العلامة المحقق المفضال ، والمحدث الناقد البصير المعروف بكل كمال ، والجامع أشتات الفضائل ، والمسارع لأضواء جميع الشمائل ، من انعقد الاجماع على أنه فخر المحققين قديماً وحديثاً ، وصدر المدققين فقهاً وتوحيداً وتفسيراً وحديثاً ، وكان في علم الحقيقة أستاذاً ، وفي ارشاد الطريقة ملاذاً ، ولا شك أنه اشتهر في العلم أي اشتهار ، وكان في عصره كالشمس في رابعة النهار ، وكان يقرأ صحيح الإمام البخاري في تكية السلطان سليمان خان ، كل صباح خميس من رجب وشعبان ، فيجتمع في درسه الأعيان والعلماء ، والأكابر والفضلاء ، وكانت قراءته له بعد والده المرحوم الشيخ أحمد العطار ، المنتقل إليه بعد وفاة علي افندي الداغستاني ، الذي سار صيته في الأقطار وطار ، المنتقل اليه بعد وفاة علي افندي المرادي ذي القدر والشان ، إلا أن علي افندي المرقوم كان يقرأ الهداية في هذا المكان ، في فقه الإمام الأعظم قدس الله سره ، وأولاه

لديه كل بشر ومسرة ، وكان يقرأ بقية دروسه تارة في داره وتارة في جامع بني أمية (١)، ولدروسه طلاوة وحلاوة وشهرة قوية ، وفي سنة اثنتين وستين ومائتين وألف قصد حج بيت الله الحرام ، وزيارة سيدنا محمد سيد الأنام ، ولما وصل الى قلعة القطرانه وهو راجع من البلاد الحجازية ، تم أجله ونشبت به أظفار المنية ، ودفن بها وقبره ظاهر مشهور ، جمعنا الله به في دار المسرة والحبور ، آمين .

حجليلان بن عليان من قبيلة من تميم

وهو بضم الحاء وفتح الجيم

(راجع ترجمته في ص ٤٥٨)

الشيخ حسن بن ابراهيم بن حسن بن محمد بن حسن ابن ابراهيم بن عبد الله الشهير بالبيطار

الشافعي الأشعري النقشبندي الدمشقي ولادة وقراءة ، الميداني إقامة ومدفناً ، الوالد الأعظم ، والسيد الأفخم والأكرم ، والعالم النحرير ، والمدقق الخبير ، شافعي زمانه ، والمعي أوانه ، الجامع بين العلوم العقلية والنقلية ، والمقتدي بالكتاب العزيز والسنة المحمدية ، بحر العلوم والمعارف ، الشارب من أطيب مناهل العرفان واللطائف ، الآخذ بعزائم العبادة ، والجاعل التقوى الى الآخرة زاده ، الصوفي النقي الصالح ، والزاهد التقي العابد الناجح ، من أطبق الناس على فضله ، واقتدى العموم بصدق قوله وفعله ، ان نطق رأيت البيان متسرباً من لسانه ، وادركت من بيانه تمام عرفانه ، حوى الكمالات وحازها ، وتحقق حقائق العلوم ومجازها ، فالفضل حشو ابراده ، والنبل تلو اصداره وإيراده ، مع نفس عذبت صفـــاء ، وشيمة ملئت وفاء ، ومذهب صفا صفاء التبر ، وخلَصَ من شوائب الخيلاء والكبر ، وسعَى لكل نجح ، واستوى على ذروة التحصيل والربح ، وأدبٍ

---

(١) في ترجمته من « روض البشر » للشطي ما نصه : وكان هو والعلامتان الشيخ عبد الرحمن الكزبري والشيخ عبد الرحمن الطيبي طبقة واحدة ، مولداً ووفاة ، ومذهباً وتصدراً في العلم ، رحمهم الله تعالى .

زرت على صدر السنّة جيوبه ، وهبّت بعرف النفس المطمئنة صَبَاه وجنوبه .

وولد رضي الله تعالى عنه أثناء سنة ست ومائتين وألف ، وشب في حجر والده ، ويد العناية والرعاية تجذبه الى أسنى مقاصده ، وحينما بلغ سن التمييز وجهه والده لتعليم القرآن العزيز ، عند الفاضل الكامل ، والعالم العامل ، الشيخ فتح الله افندي فقرأ القرآن ، ثم حفظه على تمام الاتقان ، الى أن صار يعتمد عليه فيه ، ويطلب منه ما استتر من مشكلاته وخوافيه ، وكان مواظباً على تلاوة آياته ، في غالب أوقاته ، وتفقه على علامة وقته الشيخ صالح الزجاج ، والشيخ حسن العطار المصري الازهري ، والشيخ عبد الله الكردي ، وغيرهم مما هو مذكور في ثبته ، وقرأ كثيراً من العلوم الآلية والشرعية ، على من تقدم وعلى سادة ذوي مقامات علية ، وشهرة سنية ، منهم علامة العلماء وفهامة القادة الفضلاء ، الشيخ خالد الحضرة النقشبندي والشيخ عبد الرحمن الكزبري والشيخ حامد العطار والشيخ نجيب القلعي والشيخ عبد الرسول المكي والشيخ عمر المجتهد والشيخ عبد الغني السقطي وغيرهم من العلماء الاعلام ، والفضائل الكرام ، ولا زال يترقى في مدارج العلوم ، حتى استوى على عرش المنطوق منها والمفهوم ، ويشار بحل المشكلات اليه ، ويعتمد في عويصات المسائل عليه ، واعترف له مشايخه بالاجادة ، وألزموه بالتدريس والافادة .

ولما بلغ من العمر ثلاثين ، طلبه أعيان أهل الميدان للقيام بوظائف الامامة والخطبة والتدريس والتعليم في جامع كريم الدين [1] ، فتمنع جهده ، وأظهر أن مطلوبهم ليس عنده ، فاستعانوا عليه بشيوخه ، واجتهدوا في طلبهم له لما يعلمون من تمكنه في العلم ورسوخه ، فأجاب دعوة شيوخه في

---

(١) هو المعروف الآن بجامع الدقاق ، وقد عمره الصاحب الكبير كريم الدين المتوفى سنة ٧٢٤ هـ وكان حسن الخلق ، عاقلاً سمحاً داهية وقوراً ، مرض نوبة ، فزينت مصر لعافيته ، (انظر الشذرات ج ٦ ص ٦٢) .
وقد دُعي المترجم وهو جدنا الأعلى إلى الإمامة والخطبة والتدريس في هذا الجامع سنة ١٢٣٦ هـ وكاتب هذه السطور هو خطيبه ومدرسه بعد أسلافه ، منذ عام ١٣٣٤ هـ حتى الآن . (وكتب هذا سنة ١٣٨١ هـ) .

الحال ، وقابل الأمر بالامتثال ، وانتقل بعياله ومتاعه الى الميدان ، سنة الف ومائتين وست وثلاثين وكان لهم به من الحظوة والسرور ما كان ، فانقاد له الكبير والصغير ، وأحبه الجليل والحقير ، وقدموه على الملك والمال ، والأهل والعيال ، وكان هو لهم بمنزلة الوالد والشقيق ، والرفيق الرّفيق ، يجل كبيرهم ، ويرحم صغيرهم ، ويعظهم بما ينفع ، ويذب عنهم الأذى جهده ويدفع .

ومما وقع له من الأمور الغريبة ، والحوادث النادرة العجيبة ، انه في سنة اثنتين وستين ومائتين وألف في رمضان ، كان جالساً في حجرته قبيل الزوال يتدارس القرآن مع أحد أولاده ، إذ جاءه رسول القاضي فقال له : إنّ القاضي يرومك فبادر لمراده ، فقام ممتثلًا ، وللاجابة مستعجلا ، فلما دخل عليه ، نظر القاضي بعين المقت اليه ، وقال له أنت الذي قد استملت الناس اليك ، حتى صاروا لايعتمدون في مصالحهم إلا عليك ، وان السلطان قد وجه حاكماً لمصالح العباد ، وأنت قد حلت بيننا وبينها وهذا عدوان وفساد ، وما زال يقرعه هو وأهل المحكمة ، وينسبون إليه كل مفسدة ومظلمة ، الى أن أمر القاضي بحبسه في حبس الاشقياء الطغام ، وقال له هذا جزاء من يتعرض لمصالح الحكام ، ولم يصغ لقوله ولا لاعتذاره ، بل كلما بالغ في تلطيفه بالغ في انذاره ، فاستدار حوله الاعوان ، وأخذوه الى الحبس واسلموه للسجان ، فدخل السجن وهو راض بالقدر ، ليس في قلبه تغير ولا كدر ، وجلس يتلو القرآن ، وأهله وأولاده وعائلته ليس لهم خبر بهذا الطغيان ، فما أذن العصر ، إلا وقد شاع هذا الامر ، فقام الناس على ساق ، واظهروا حالة الخلاف والشقاق ، ورعدت رعود الفتنة وسال سيلها ، وانسحب على بهجة الامن والركون ذيلها ، وسدت الطرق من ورود الافواج ، حتى لم يبق لسالك من مسلك ولا لناهج من منهاج ، وكل انسان متقلد بانواع السلاح ، لا يصغي لعاذل ولا لاح ، وكل من القاضي وأعوانه تخالَ انه بلغ مطلوبه ، ونال من هذا الفاضل مرامه ومرغوبه ، وانه قد أدب فيه سواه ، وجعله هدفاً لسهام من عداه ، فلما صار الغروب توجه الناس لنصرة الدين افواجا ، جاعلين ذلك لرضى مولاهم منهاجا ، فلما سمع القاضي بذلك ، علم انـــه اوقع نفسه بالمعاطب والمهالك ، فندم حين

لا ينفعه الندم ، وفهم أن ما صنعه زلة قدم ، فبادر للتوقع على السادات الاكابر ، وهم يقولون له انت متعنت مكابر ، قد فتحت علينا للشر بابا اي باب ، وسلكت سبيل الغي واخطأت طريق الصواب ، اظننت انه بسبب فعلك هان ، وانه لا ينتطح له كبشان ، فانظر ما وقع من سوء فعلك ، والله يعلم ما يحصل لك وللناس من اجلك ، فقال لقد اغراني اعواني ، وألقوني في اودية ذلي وهواني ، وقالوا لا تخش من تأديبه لأنه رجل حقير ، لا يسأل عنه كبير ولا صغير ، واني الآن قد اعترفت بذنبي ، وتبت الى مولاي وربي ، فأحضروه لاعتذر اليه ، واقبل رأسه ويديه ، وها انا ذا الآن لامره مطيع ، وعندكم في كف هذا الامر وقيع ، فعند ذلك اجتمع العلماء والاعيان ، وتوجهوا وأمامهم نقيب الاشراف السيد احمد افندي العجلاني لاخراج المترجم من السجن بالعظمة والشان ، فحينما دخلوا عليه ، وقدموا جميل العبارات اليه ، وطلبوا منه ان يعفو عن ظالمه ، وان يقابله بمراحمه ، فقال انا ما جرى لي ذلك إلا بذنب اقترفته ، وان كنت ما تذكرته ولا عرفته ، ونسأل الله ان يعفو عنا ، ويقبل صالح الاعمال منا ، ثم ساروا جميعاً الى دار النقيب ، فحينما رآه القاضي بادره بالترحيب ، وأبدى اعتذاره لديه ، وعانقه وقبل يديه ، ثم رجع إلى مكانه ومعه من الناس ألوف كثيرة ، ولا زالوا يطلقون البارود بين يديه ويلعبون بالسيوف والسنان الى ان وصلوا به الى داره الشهيرة ، ولم يمض بعد ذلك مدة ايام ، إلا وأباد الله ذلك القاضي وأعوانه وأدار عليهم كؤوس الحمام .

ثم انه في آخر شعبان سنة ثلاث وستين ومائتين والف قد حضر من السلطان الغازي عبد المجيد ، مرسوم سني يأمر فيه بدعوة الوالد المترجم والشيخ عبد الرحمن الطيبي الى الاستانة ويؤكد غاية التأكيد ، فأحضرهما حضرة الوالي صفوتي باشا بالتعظيم وأخبرهما بما كان ، وأعلمها بأن السفر قد تعين ثامن رمضان ، فتوجها على نفقة الملك الجليل ، بكل إكرام وتعظيم وتبجيل ، الى ان دخلا القسطنطينية ، دار المملكة السنية ، فنزل كل منهما في مكان ، ولاحظتهما عين الرفعة والإحسان ، وكانت مشيخة الاسلام إذ

ذاك الحضرة من تعرف من حين شبيبته بدراسة المعارف ، وإفاضة العوارف ، وكلف بالعلم حتى صار ملهج لسانه ، وروضة أجفانه ، السيد احمد عارف حكمت بيك ، فكان لوالدي منه الالتفات الوافر ، والميل المتكاثر ، وكان يكثر بينهم البحث والحديث ، خصوصاً فيما يتعلق بالتفسير والحديث ، فلذلك كان مقدماً عنده على ماسواه ، وملحوظاً بعين عنايته ورضاه ، وكل منهما اخذ عن الآخر وأجازه ، وأسمعه حديث الأولية وذكر معناه وحقيقته ومجازه ، ثم قرأ كل منهما الفاتحة ، ودعوا لهما وللمسلمين بالدعوات الصالحة ، وقد مدح الأستاذُ الأعظم ، شيخُ الاسلام والمسلمين الأكرم والدي بهذه الابيات على الارتجال ، من غير إمهال ، وهي :

ياقلب أبشر بما ترجوه من منن	فقد حظيت بشهم كامل فطن
حليف علم امـام سيد ثقة	أخلاقه الشم قد جاءت على سنن
فقلت للقلب هذا مـا تؤمله	لقد بلغت المنى والانس من حسن

فأجابه سيدي الوالد حفظه الله ، وأحسن مثواه ، بقوله :

شمس المعارف تغنينا عن السرج	ومنهج الفضل لايخفى لمن يلج
وطالع السعد لايعروه كاسفة	وعارف الدهر محفوظ من العوج
شيخ الأنام الذي طابت مآثره	بحر الكمالات ذو الأمواج واللجج
فرع النبوة وصف الحسن لابسه	فنوره ظاهر في وجهه البهـج
شهم همام وللمختار نسبته	فيالها نسبة تسمو لمبتهـج
رب المعارف والأبحاثُ شاهدة	بكونه عارفاً حقاً بلا حرج
طود من العلم والاحسان جمله	حلم به قد سما الأسمى من الدرج
بشرى لنا معشر الاسلام ان لنا	من فضله نظرة تُدني من الفرج
يامبتغي العلم لذ ان رمت ري صدى	بمنهل بفنون العلم مبتهـج
ياسائلي عن دليل الصدق في خبري	شواهد الفضل لاتحتاج للحجج
فيمّم الركب وانزل روض ساحته	واشمم شذا طيبه الفياح بالأرج
فمنصب المجد فيه حاز غايته	وقد سعى نحوه بالصدق واللهـج

وكوكب السعدمسعود بطلعته يلوح في ذروة الأفلاك بالبلج
ومن يقف بالحمى نودي بلغت منى هذا الغياث ففز بالبشر والفرج
فالله يحفظه من كل نازلة ممتعاً بسرور عنه لم يعج
ما نال كل المنى في مدحه حسن معطراً من ثناه نفحة المُرُج

ثم انه بعد تمام رمضان ، قامت دواعي الأفراح من كل زوجين اثنان ، وذلك لختان جلالة السلطان مراد والسلطان عبد الحميد شبلي مولانا المعظم امير المؤمنين السلطان عبد المجيد ، وكان فراغ مواكب الختان ، ذوات العظمة والشأن ، نهار الجمعة حادي وعشرين من شوال ، سنة ثلاث وستين ومائتين والف من هجرة محمد شمس الكمال ، وقد أنشد سيدي الوالد في تهنئة السلطان ، ومؤرخاً ذلك الختان :

ظهر السرور وزالت الضراء وصفا الزمان ونجمه العلياء
وترنمت اطيار روضات الهنا بدوام عز لم يشبه فناء
وتراقصت اغصان هاتيك الربا حيث المغارس ارضها الفيحاء
وتدلت الزهر الكواكب فرحة وبدا الهناء ولم يصبه عناء
والناس طرا قد تزايد بشرهم وعلا الجميع بشارة حسناء
وعلى الرؤوس مشوا بأفخر حلة ياحبذا تلك الخطا الحسناء
وترى النجوم من البحور تصاعدت فكأنها للناظرين سماء
نغمات أنس بالتهاني اقبلت بترنم تسمو به الأرجاء
يابهجة للعالمين بأمرهم حيث الاماكن زانها النجباء
بكواكب منها الخيام تزينت بشموس افلاك هم الوزراء
وكذا الموالي للرحاب تواردوا والبشر فيهم قد علاه هناء
لما أنال الله بغيتنا بدا ملك الندى وعليه راق بهاء
فأراح أرواح الانام ببشره وتروحت من نشره الارجاء

عبد المجيد ولم يزل متمجدا بين البرايا سيفه الامضـاء
جمع الجموع ليشرفوا بجنـابه وحضور سُنّة من هُداه سناء

إلى أن قال :

فأدام عزهمـا بمجد أبيهما وكساهما حللا لهن بهـاء
وأدام سعدَ كمالهم طول المدى وأدامهم مـادامت الزهراء

ثم بعد الختان تكرر له الاجتماع بحضرة ذي العظمة والشأن ، مولانا السلطان عبد المجيد خان ، وعرضت عليه الدولة العلية اجراء معاش جزيل ، فقال لم يبق في العمر إلا قليل .

ومن النوادر اللطيفة ، والوقائع الظريفة ، اني اجتمعت سنة ثمانين ومائتين والف في مدينة غزة ، بمفتيها حضرة الإمام الفاضل ، والعلامة الكامل ، السيد محيي الدين افندي الحسيني ، فكان من جملة المذاكرة أن حكى لنا أنه بعد انفضاض موكب الختان شرف حضرة تميمي افندي مفتي مصر القاهرة الى بلد الخليل للزيارة ، وكان طريقه عـلى غزة ، فنزل في دار محيي الدين افندي المرقوم ، فسأله عن سفره الى الاستانة واجتماعه بالسلطان وعن موكب الختان ، فحكى له الى ان قال له : ولما دخلنا مجلس السلطان للاجتماع معه وكان المجلس في غاية الاتساع ، فأخذ كل منا مجلسه والسلطان بعد لم يحضر ، والحاضرون كل منهم لايعرف الآخر ، وكل منهم يظن ان الحاضرين على غير لغته ، فضاق صدري لذلك ولم أدر ما أفعل ، الى ان رأيت إنسانا عليه الهيبة والوقار ، قد نظر الى الخادم وقال : أسقني مـاء مع انه لم يرد ذلك ، ولكن أراد ان يفتح للحاضرين باب معرفة في بعضهم [مع بعض] فعرفه الحاضرون بأنه عربي ، فقمت اليه وقعدت بجانبه ، وتكلمت معه ، وعرف كل من الحاضرين من يفهم عليه ، وانضم اليه ، واشتغل كل منهم بالمذاكرة مـع من يأنس به ويفهم لغته ، وكان أصل ذلك هذا الانسان فاستسميته فقال أنا من الشام واسمي حسن البيطار وهو المترجم

المذكور واستسباني ، ونلنا بعضنا [مع بعض] في هذا المجلس وبعده غاية الانس والتهاني ، ووجدته عالماً فاضلا ، وشهما كاملا ، ومدح وأطنب ، وأطال وأسهب اهـ ، ولم يزل هذا المترجم في الاستانة معظما مبجلا ، مكرما مفضلا ، الى ان حصل لهم الاذن الشريف بالعود الى الوطن ، مقلدين قلائد الفضل والمنن ، وكان يوم السفر من الاستانة يوماً مشهوداً ، وموكباً للاجتماع مقصوداً ، اجتمع فيه للوداع السادات والأكابر ، وذوو المراتب والمفاخر ، وكان يوم دخوله إلى الشام يوم اجتماع وسرور ، وهناء وحبور ، كاد أن يقال مابقي في الشام انسان ، إلا وقد خرج لاستقبال هذا الحبر المصان ، وكانت مدة سفره أربعة أشهر ، لأنه بدأ السفر في ثامن رمضان سنة الف ومائتين وثلاث وستين ، وانتهى سفره ثامن محرم الحرام سنة أربع وستين .

وكان رضي الله عنه مواظباً على التهجد وصلاة الفجر في الوقت الأول ، وبعد الصلاة له أوراد لايبرح عنها في سفر ولا حضر ، منهـا أوراد الصباح والمساء الواردة في السنة ، فإنه كان يقرأها صباحاً ومساء ، ومنها أنه يقرأ في كل يوم من القرآن جزءاً ، فيختم في كل ثلاثين يوما القرآن بتمامه ، ومنها قراءة حزب الامام النووي كل يوم ، ومنهـا قراءة الدور الأعلى وصلاة بن مشيش وقراءة سورة الكهف ومريم وطه ويس والدخان والواقعة وتبارك الملك وعم يتساءلون وسبح اسم ربك الأعلى وإنا أنزلناه والاخلاص والمعوذتين والفاتحة ، وله أوراد عقب كل صلاة ، وأوراد يقرأها في بعض الأيام ، ليس له ملازمة عليها (١) ، وكان كثير الزيارة لمشـاهد السادات ، حسن الخلق يغلب عليه الزهد والاعراض عن الدنيا ، وكان اذا تصعب أمر بين الناس من حقوق وغيرها بمجرد حضوره وتكلمه فيه ينقضي أمره على أحسن حال ، وذلك لصفاء نيته وحسن سريرته .

---

(١) ومن باب أولى أنه لايلزم الناس بها ، ولا يحملهم على قراءتها .

وفي سنة سبع وستين ومائتين والف توجهت معه إلى الحجاز ، وكانت هذه المرة له المرة الثالثة ، ورأيت منه في السفر مايدل على سمو درجته ، وكان له مع علماء الحجاز مذاكرات علمية ، وأبحاث شريفة سنية ، وكانوا يشهدون له بالفضل .

ولو أردت أن أذكر في هـذه الكتـابة ما حواه من الشمائل وما لديه ، لأفضى الأمر إلى قصر هذا الكتاب عليه ، ولكن مالا يذكر كله ، لايترك كله . وفي ثاني وعشرين من شعبان سنة اثنتين وسبعين ومائتين والف مرض في داء ذات الجنب ، وفي ليلة رمضـان سأل عن إثبات الشهر ، فأخبرناه بإثباته فشرب في السحر ونوى ، وأصبح يعـالج سكرات الموت ، فوضع له بعض عياله نقطة ماء في فمه ، ففتح عينيه ومسح فمه ، وأمرهن بالاشارة بعدم العود لمثل ذلك . ومات رضي الله عنه قبل الغروب بساعة ونصف ، وكان آخر كلامه من الدنيا الذكر ، وكان نزوله لرمسه مع قول المؤذن للمغرب الله اكبر ، وقد حضر مشهد جنازته جمع عظيم ، وعدد جسيم ، وما ترى منهم الا من دموعه ساكبة ، وأحزانه متفاقمة دائبة ، وأسفه متزايد ، وزفيره متصاعد ، وذلك كما تقدم في غرة رمضان سنة اثنتين وسبعين ومائتين والف ، ودفن رضي الله عنه في تربة باب الله بجانب قبر سيدنا تقي الدين الحصني من جهـة الشمال ، وقبره ظاهر مشهور يزار ، ولقد رثاه حفيده ابن أخي الأديب الأريب الشيخ محمد بهاء الدين البيطار :

ماقر قلبي من نواك ولاسكن ... كلا ولا عمري أميل الى سكن

غادرت لي مر الصبابة والاسى ... وسلبتني حـلو المسرة والوسن

اسري وأبكي في المعاهد شاكيا ... وجدي فترثي لي الحمامة في الفنن

والوعتي مـا للحمام بدافع ... حكم الذي علم السرائر والعلن

ياوحشة للشام مذ بان الذي ... فاق الأفاضل بالمعارف والفطن

بحر تفجر من عيون بنانه ... عذب البيان مسلسلا من كل فن

ان لم يكن اهلا لكل فضيلة ... وللتج ان لم يكن غوثا فمن
لله طلعة وجهه اذ طابقت ... لاسم له فلذاك يدعى بالحسن
سار المنون به ليسعد رمسه ... بمطالع الأنوار من شمس الزمن
بالله يانعش الحبيب تمهلا ... أو ماعلمت البدر غيب في الكفن
قسما بغر خصاله لفراقه ... حن المصلى بعده وشكا وأن
والصحف تندبه لفقد جواهر ... كانت بها من قبل غالية الثمن
والدهر قمص من برود مصابه ... ثوبا له حاكته ناسجة المحن
صبراً لئن ظعن الحبيب فذكره ... فينا بحسن الوصف دوما قد قطن
لما دعته الحور تخطبه لها ... كفوا كريما مال عن دار الحزن
واوفاه شهر الصوم ليلة نزعه ... فنوى وأمسك صائماً وفق السنن
وبيومه عند الغروب مغيبه ... في اللحد يرجو رحمة من ذي المنن
حيّا ضريحا ضمه وسقى ثرا ... ه العنبريّ النشر وسميُّ الهتن (١)
وأصابه الإحسان ماصب صبا ... لنسيم نجد ذاكرا عهد الاغن
وحباه صفو الانس ماءام اللقا ... تاريخه روض الجنان له الوطن سنة ١٢٧٢

وكثير من الناس من رثاه ، وذكر بعضا من صفاته وحلاه ، ويكفي ما قد ذكرناه ، رحمه الله تعالى ورضي عنه وأرضاه . ولقد تشبهت بمن رثاه ، ورثيته وان كنت عاجزاً عن معرفة قدره وعلاه ، فقلت ، وعلى الله اعتمدت ، وبحبله المتين اعتصمت .

غاب بدر العلوم تحت التراب ... وتوارت شمس العلا في الحجاب
ونعاه الناعون من كل فج ... مات قطب الشآم عالي الجناب

---

(١) أي أصاب جدثه الغيث المتتابع ، كناية عن سعة الرحمة .

قل لمغترّ بالحياة تنبه لرحيل فالعمر لمع سراب

لو حياة دامت لصاحب قدر لاستدامت لصفوة الاحباب

ان في ذا للعالمين لذكرى يتحلى بها ذوو الالباب

خل خل الملام وارث لحالي قد دهاني مالم يكن في حسابي

مات روحي ووالدي وعياذي وملاذي وسيدي ومهابي

منذ أضحت منه الربوع رسوما كان لي الدمع العندمي شرابي

كان سيفا من الشريعة حدّاً موقعا أرباب الشقا في تباب

قدّ قلبي اغماده في قراب من تراب فاعجب لذاك القراب

كان ذخراً لكل دان وقاص ومجيرا من أمّه من عقاب

ما اعتمادي على الزمان وقد او دى بمولى عليه جل احتسابي

لو يكف البلا بساعد جود كان يفدى بالاهل والاتراب

ليس يدري الانام من فقدوه فقدوا من بكته عين السحاب

حسَنُ الاسم والمسمى أبو المجـد سليل العلوم والآداب

جبل هائل المهابة رامي بحر علم غدا وسيع الرحاب

كفه من هواطل السحب أوفى وحماه ملجا ومنجى المصاب

كعبة الطالبين نيل المعالي عرفات لكل داع مجاب

ذو صلاة مرضية وصيام وقيام بالذل والانتحاب

واعتكاف تقول حين تراه ذا لعمري داود في المحراب

حسن الخلق يوسفي جمال لسن النطق مقصد الأنجاب

قد زكا محتداً وطاب نجارا وعلا قدره على الأتراب

خان دهري وغاب مذغاب صبري وسقاني النوى مرير الشراب

سلبته الأيام قهراً وكانت طوع يمناه في الأمور الصعاب

شق قوم عند الخطوب جيوبا قلت شقوا القلوب عند مصابي

ماظننا أيدي المنون ترقى ... لنوال الرفيع سامي الجناب
طود علم يسير فوق رقاب ... كيف تسعى الجبال فوق رقاب
غاب رشدي بفقد مولى نقي ... مستزيد من التقى أوّاب
ياهماماً حوى عظيم صفـات ... وإمـاماً غدا نواك عذابي
مذخلت من سناك زهر المعاني ... عاد وجه الأيام مثل الغراب
قد جفاني من بعد بعدك صبري ... ووفاني تحسرى وانتحـابي
ما رأى الناس قبل مثواك غما ... غير يوم أعددته للذهاب
يوم هم ياويحه واكتئـاب ... وانتحاب وزفرة واضطراب
من لدرس العلوم بعد اندراس ... من لبث الفهوم للطلاب
شدت ركناً للمسلمين قويا ... أوهنته طوارق الأحقـاب
طالما ماخفت من فراقك حتى ... صاح بالبين طـائر الاغتراب
لست أخشى مذ كنت حادث دهر ... صرت أخشى مذ غبت وقع الذباب
فتأمل موج البحور تجدهـا ... تلطم الخد في أكف الروابي
وشديد الرياح تسفي ترابا ... فوق هام ندبا على ذا العباب
قد فقدنا والله حصناً حصينـا ... وهماما قطبا من الأقطـاب
فعظيم على الفضائل أن تخـ ... ـفى وفي الناس طيب ذكراك راب
لست أسلو وأنت أصل وجودي ... وإلى فضلك الوسيع انتسابي
من يلمني اذا سمحت بروحي ... وعيالي وعصبتي وشبـابي
رب صبراً والله إن فؤادي ... في عذاب وشدة والتهـاب
حينما سار مسرعـا لقدوم ... بازدحام يحكي ازدحام الضباب
نادت الحور يافريد مقـام ... لك جئنا بالبشر والترحـاب
خلت قبراً حللته مع اذان ... لغروب في شهر عتق الرقاب
ذاك قرب من محسن ذي جمال ... غافر الذنب للورى في الحساب
هذه رقدة باوج جنان ... عند مولى الأرباب والأحباب

أحسن الله عنك صبر المعالي وعزاء الأتراب والأصحـاب
وسقى روضة أويت اليهـا هاطلاً من مراحم الوهاب
وصلاة مع السلام دوامـا لنـبي بر فسيح الرحاب
وصحاب والآل مـع تابعيهم مادهانا بالبين داعي المـآب

الشيخ حسن المعروف بالموقع الدمشقي الفرضي

الفاضل الذي لايبارى ، والكامل الذي في ميدان السبق لايجارى ، والإمام الذي اتفق العموم على علمه وتقواه ، والهمام الذي أخلص العبادة في سره ونجواه .

ولد في دمشق الشام ، ثم حضر دروس السادة الأعلام ، وقد انفرد بعلم الفرائض فكان عليه بها مدار الفتوى ، وأحبه العموم لما جبل عليه من الديانة والصيانة والعلم والتقوى ، ولم يزل مدار رئاستها ، وإكليل هامتها ، إلى أن دعاه داعي الاياب ، إلى الجنة دار الثواب ، وكان ذلك سنة اثنتين وعشرين ومائتين والف . ودفن في مقبرة دمشق المعروفة ببرج الدحداح رحمه الله .

الشيخ حسن القوزاني الخطاط الخالدي النقشبندي العراقي رحمه الله

العالم الفائق في العلوم ، والفاضل الكامل في المنطوق والمفهوم ، مفيد الطالبين ، ومرشد الراغبين ، من أشرق بدر علاه في سماء الإقبال ، ونظر اليه العموم بعين الرفعة والاجلال ، واشتهر في نواحي العراق ، اشتهـار الشمس لدى الاشراق ، وكان كثير الخشوع ، غزير الدموع ، ملازماً على العبادة ، مع الفقر والزهادة ، وقد تحلى بأخذ الطريق ، عن صفوة التحقيق والتدقيق ، العارف بالله مولانا خالد النقشبندي شيخ الحضرة ، رضي الله عنه

ورفع مقامه وقدره ، ثم بعد أن رآه على كمال الاستعداد ، أقامه خليفة في إعطاء الطريق وأذن له بالارشاد ، وما زال على أحسن حال ، وأتم منوال، إلى أن اختار الدار الباقية ، وترك هذه الدنيا الفانية ، وذلك سنة الف ومائتين ونيف وخمسين .

ملا حسن البزار

نقطة مدار الأدب ، وكعبة طواف الأرب ، والناهل من أعذب مناهل النظام ، والآهل لأبدع النثر وألطف الكلام ، طالما نظم ونثر ، والفصاحة مقبلة عليه بوجهها الأغر ، وقد أخذ من عقودها جواهر ، وحلى بها جيد الأوراق والدفاتر ، فمن تلك العقود البهية ، والجواهر النفيسة السنية ، قوله :

شجتني بذات البان(١) ورق صوادح ... لهن بأعلى الربوتين هدير
تذكرن عيشاً بالحمى راق ظله ... فطابت عشيات بها وبكور
فنحن ومالي غيرهن على الأسى ... معين ولا لي غيرهن سمير
وبت ونار الشوق بين جوانحي ... تشب ودمع المقلتين غزير
خليلي ليس الحب ماتعرفانه ... ولا تحسبا أن الغرام يسير
وما هي إلا النار تسعر بالحشا ... لها كل آن لوعة وزفير
تحاربني الأشواق في معرك النوى ... ومالي عليها يانديم نصير
فنومي وتسهيدي مقيم وراحل ... ودمعي وقلبي مطلق وأسير
نزلنا بسلع والأحبة باللوى ... وما بيننا غير النسيم سفير
تعللني منهم على البعد نفحة ... كما فاح من أردانهن عبير
وتعبث في لبي أحاديث ذكرهم ... كما عبثت بالشاربين خمور
هم أسعروا قلبي وقد سكنوا به ... ففيه لعمري جنة وسعير

---

(١) شجر معتدل القوام ، ليّن ورقه ، واحدته البانة ، ويشبه به القدّ لطوله .

وله أيضا :

ألا لامني الأصحاب يوم سويقة وهل عرف الأحباب فيمن غراميا
غرامي بسلع ياهذيم وحاجر وإن كنت عن تلك الأماكن نائيا
وما أنا إلا عاشق ، كل عاشق فلا بد أن يلقى عذولاً ولاحيا
وما الدهر في أهليه إلا محكّم يناني قريباً أو يقرب نائيا
ولما شجاني ليلة الخيف بارق بكيت فأمسى ضاحكا لبكائيا
وبت وخضراء الجناح بذي الغضا مجاوبة بالسجع مني القوافيا
وكم رمت كتمان الهوى فوشى به لدى البين دمع ليس ينفك جاريا
هل البعد إلا أن علا وجد دارهم ومنعرج الجرعاء ياسعد داريا
أم الوجد إلا أن أذوب صبابة وتدمي دموعي مابكيت المآقيا
على أننا كنا وما بيننا سوى أجارع نعمان وما كنت راضيا
الفت الهوى طفلا فشابت عوارضي لعشرين من عمري فأين شبابيا
وحاربني من قبل خلع تمائمي زماني فما للنائبات وما ليـا
ولست أبالي بعد هذا أكان لي عدواً مبيناً أم خليلا مصافيا

وله أيضا :

هذا الغرام وَهذامن أحب معي فكيف لو بان عني الحب أو بعدا
وجد تحمل منه قلب عاشقه مالم يَدع عنده صبراً ولا جلدا
هذاولا ذنب للأشواق في كبدي عيناي قدجلبت لي الوجد والكمدا
لم أنس وقفتنا يوماً بكاظمة والقلب يعتاده وجد بمن وجدا
والشوق يجري دموعي في معاهدها والدمع يذكي من الأشواق ماخمدا
والورق تسعدني يوماً وأسعدها والقلب يذكر بالجرعاء ماعهدا
والخل يعذلـــي فيه فيعذرني لما يرى أن لوم العاشقين سدى

الشيخ حسن بن عمر بن معروف بن عبد الله بن مصطفى الشطي

الدمشقي الحنبلي البغدادي الأصل الشيخ الإمام ، والعمدة الهمام ، صاحب السيرة الحسنة ، والشمائل المستحسنة ، والأوصاف الكاملة ، والفضائل الشاملة ، نشأ في معابد الطلب والاستفادة ، وأكب بعده على الاحسان والافادة وكانت ولادته في صفر سنة خمس ومائتين وألف وله في مذهب الامام أحمد بن حنبل التآليف المفيدة النافعة ، وله أيضاً في بقية العلوم الشريفة من توحيد وبيان وحساب ومساحة . وقد شرح الإظهار في النحو ، وله مولد شريف ، ومعراج منيف ، وشرح على حزب الإمام النووي ، ومجلس في ختم البخاري (١) . وقد أخذ عن الشيخ محمد الكزبري وولده الشيخ عبد الرحمن والملا علي السويدي والشيخ مصطفى السيوطي وكثير من العلماء الأعلام ، والجهابذة الفخام . وله من النظم والنثر ، مايشهد له بالفضيلة والقدر ، ومن نظامه قوله مادحا قرية دوما وخطيبها الشيخ محمد :

عرّجا بي على ربوع بدومـا فسلامي لأهل دار السلام
وأنيخا ركبي بهـا كل يوم نرتعَنْ في رياضهـا بالمرام
حفها الله بالهنا وحباهـا بأناس ذوي علا وكرام
سيما من غدا خطيب رباهـا صين من خطب هول يوم الزحام

---

(١) ثم ان المترجم تصدر للاقراء والإفادة في داره قرب باب السلام ، وفي محراب الحنابلة من الجامع الأموي ، فكان غالب من نبغوا من علماء دمشق وجهاتها قد أخذوا عنه وانتفعوا به .. رحل اليه الطالبون من الديار النابلسية والبلاد النجدية ودوما والرحيبة وضمير وغيرها ، فأخذوا عنه الفقه رواية ودراية ، وتلقوه خلفاً بعد سلف ، كما انفرد بعلم الفرائض ، دون أن يشتغل بأعمال الفرضيين ... وكان شأنه العلم والعبادة ، وكسبه كأسلافه من التجارة الخـالصة . ولم يعهد له مداخلة قط في أمور الحكومة ، وكان عليه نظارة وتدريس المدرسة الباذرائية . (من روض البشر للشطي) .

ومن قوله تخميسا :

أيامن حـاز فضلا فز بوصل ففيه الخير محفوفـاً بشمل
وألق السمـع ميمونا بقول حبا الله النبي مزيـد فضل
على فضل وكان به رؤوفا

فدع أبويه مـن قول أباه أولو فضل علا تغنم حباه
فكم خير جنى حقاً لباه فأحيـا أمه وكذا أباه
لايمان به فضلا منيفا

وان تعجب فلا عجب كبير فقدر المصطفى قدما جدير
وإياك الجمود فذا خطير فسلم فالقديم بـذا قدير
وإن كان الحديث به ضعيفا

وقد صح عند بعض أهل الكشف حديث احيـاء أبوي النبي ﷺ ولذلك قال بعضهم :

أيقنت أن أبا النبي وأمه أحياهما الرب الكريم الباري
حتى له شهدا بفضل رسـالة صدّق فتلك كرامة المختار
هذا الحديث ومن يقول بضعفه فهو الضعيف عن الحقيقة عاري[1]

وتوفي رضي الله عنه سنة الف ومائتين وأربع وسبعين من الهجرة ،

---

(١) أضاف إلى هذه الترجمة الشيخ جميل الشطي رحمه الله ورقة بخطه ، فيها مايأتي :
وكتب اليه بعض الأدباء :

أيا حسناً تباعد عن محب وبالأوراق رق له وأملى
عهدنا أن حبل الودّ منكم مليٌّ من حبال الوصل أملى
فهل للهجر عندك من وصال تجود به على المشتاق أم لا ؟

فأجابه بقوله :

أيا خِلاّ حوى لطفاً وفضلا وأسدى كل معروف وأولى
لئن تنصف فقد صوبت رأيا وإن تسمح وتعذر فهو أولى
ففي الأيام مايدهي ويلهي وهل يجديك قولي دعه أولا ؟

ودفن في مقبرة قاسيون في سفح الجبل وقبره ظاهر معروف رحمه الله تعالى ، وكتب على بلاطة قبره مانظمه له علامة وقته السيد محمود افندي حمزة مفتي دمشق الشام :

هل كوكب العلم استكن	تحت الثرى غض الأديم
أم تخذ القبر وطن	لما رأى أن لا نديم
يافاضلًا في كل فن	من بعده الفضل عقيم
كم ذا له فينا منن	مازت لنا الفهم السقيم
قد ملأ الدنيا حزن	بندبه هذا الكريم
هو ان يكن شطي السكن	لكنه بحر عظيم
حررت لما أن سكن	في ظل مولاه الرحيم
تاريخه الشطي حسن	يقر في دار النعيم

الشيخ حسن بن غالب الجداوي المالكي الأزهري المصري

الإمام العلامة أحد المتصدرين ، وأوحد العلماء المتبحرين ، حلال المشكلات ، وصاحب التحقيقات ، السمح السهل ، الذي هو لكل ثناء أهل ، كأنما بينه وبين القلوب نسب ، أو بينه وبين الحياة سبب ، بمحاضرة أشهى من ريق المحبوب ، ومحادثة أصفى من الزلال المطلوب ، وبالجملة فما هو إلا فرد العصر والأوان ، وهو من الدهر بمنزلة العين من الإنسان ، وقد ترجمه الامام الجبرتي فقال ، عليه رحمة الملك المتعال : ولد بالجدية ، في سنة ثمان وعشرين ومائة والف وهي قرية قرب رشيد ، وبها نشأ ، وقدم الجامع الأزهر فتفقه على بلديّه الشيخ شمس الدين محمد الجداوي ، وعلى أفقه المالكية في عصره السيد محمد بن محمد السلموني ، وحضر على الشيخ علي خضر العمروسي ، وعلى السيد محمد البليدي ، والشيخ علي الصعيدي ، أخذ عنهم الفنون

بالإتقان ، ومهر فيها حتى عد من الأعيان ، ودرس في حياة شيوخه وأفتى ، وهو شيخ بهي الصورة ، طاهر السريرة ، حسن السيرة ، فصيح اللهجة شديد العارضة يفيد الناس بتقريره الفائق ، ويحل المشكلات بذهنه الرائق ، وحلقة درسه عليها الخفر ، وما يلقيه كأنه نثار جواهر ودرر ، وله مؤلفات (١) وتقييدات وحواش وكان له وظيفة الخطابة بجامع مرزة جربجي ببولاق ووظيفة تدريس بالسنانية أيضاً ، وينزل إلى بلدة الجديه في كل سنة مرة ، ويقيم بها أياماً ويجتمع عليه أهل الناحية ، ويهادونه ويفصلون على يديه قضاياهم ودعاويهم وأنكحتهم ومواريثهم ، ويؤخرون وقائعهم الحادثة بطول السنة إلى حضوره ، ولا يثقون إلا بقوله . ثم يرجع إلى مصر بما اجتمع لديه من الأرز والسمن والعسل والقمح وغير ذلك ما يكفي عياله إلى قابل ، مع الحشمة والعفة . توفي بعد أن تعلل أشهراً في أواخر شهر ذي الحجة ، سنة اثنتين ومائتين والف ، وجهز وصلي عليه بالأزهر بمشهد حافل ، ودفن عند شيخه الشيخ محمد الجداوي في قبر أعده لنفسه رحمه الله تعالى .

الشيخ حسن الكفراوي الشافعي الأزهري

يتيمة الدهر . وعلامة القطر . الفاضل الكامل . والعالم العامل . قال الإمام الجبرتي : ولد ببلده كفر الشيخ حجازي بالقرب من المحلة الكبرى ، فقرأ القرآن وحفظ المتون بالمحلّة ، ثم حضر الى مصر ، وحضر شيوخ الوقت مثل الشيخ أحمد السجاعي والشيخ عمر الطحلاوي والشيخ محمد الحفني والشيخ علي الصعيدي ، ومهر في الفقه (٢) والمعقول ، وتصدر

---

(١) منها : شرح البيقونية في الحديث ، ومنها : ديوان خطب .

(٢) من تصانيفه : شرح الأجرومية في النحو ، وعليهـا وعلى الشرح حواش كثيرة مطبوعة ، والدر المنظوم بحل المهمات في الختوم ، ورسالة في أحكام المتحيرة ، وكلاهما في الفقه الشافعي .

ودرس وأفتى واشتهر ذكره ، ولازم الاستاذ الحفني ، وتداخل في القضايا والدعاوى وفصل الخصومات بين المتنازعين ، وأقبل عليه النـاس بالهدايا والجعالات ، ونما أمره وراش جناحه ، وتجمل بالملابس وركوب البغال ، وأحدق به الأتباع ، واشترى بيت الشيخ عمر الطحلاوي بحارة الشنواني بعد موت ابنه سيدي علي ، فزادت شهرته ووفدت عليه الناس ، وأطعم الطعام واستعمل مكارم الأخلاق ، ثم تزوج ببنت المعلم درع الجزار بالحسينية وسكن اليها ، فاجتمع عليه أهل تلك الناحية واولوا النجـــدة والزعارة والشطارة ، وصار لهم بهم نجدة ومنعة على من يخالفه أو يعانده ، ولو من الحكام ، وتردد الى الأمير محمد بك أبي الذهب قبل استقلاله بالإمارة ، وأحبه وحضر مجالس دروسه في شهر رمضان بالمشهد الحسيني . فلما استبد بالأمر ولم يزل يراعي له حق الصحبة ويقبل شفاعته في المهمات ، ويدخل عليه من غير استئذان في أي وقت أراد ، فزادت شهرتـــه ، ونفذت أحكامه وقضاياه ، واتخذ سكناً على بركة جناق أيضاً ، ولـما بنى محمد بك جامعه كان هو المتعين فيه بوظيفة رئاسة التدريس والافتاء ومشيخـة الشافعية ، وثالث ثلاثة المفتين الذين قررهم الأمير المذكور وقصر عليهم الإفتاء ، وهم الشيخ أحمد الدردير المالـكي والشيخ عبد الرحمن العريشي الحفني والمترجم ، وفرض لهم أمكنة يجلسون فيها ، أنشأها لهم بظـاهر الميضأة بجوار التكية التي جعلها لطلبة الأتراك بالجامع المذكور ، حصة من النهار في ضحوة كل يوم للافتاء ، بعد إلقائهم دروس الفقه ، ورتب لهم ما يكفيهم ، وشرط عليهم عدم قبول الرشا والجعالات ، فاستمروا على ذلك أيام حياة الأمير .

واجتمع المترجم بالشيخ صادومة المشعوذ ، ونوه بشأنه عند الأمراء والناس وأبرزه لهم في قالب الولاية ، ويجعل شعوذته وسيميـاه من قبيل الخوارق والكرامات ، الى أن اتضح أمره ليوسف بك فتحامل عليه وعلى

قرينه الشيخ المترجم من أجله ، ولم يتمكن من إيذائها في حياة سيده ، فلما مات سيده قبض على الشيخ صادومة وألقاه في بحر النيل ، وعزل المترجم من وظيفة المحمدية والإفتاء ، وقلد ذلك الشيخ أحمد بن يونس الخليفي ، وانكسف باله وخمد مشعال ظهوره بين أقرانه الاقليلا ، حتى هلك يوسف بك قبل تمام الحول ، ونسيت القضية ، وبطل أمر الوظيفة والتكية ، وتراجع حاله لا كالأول . ووافاه الحمام بعد أن تمرض شهوراً وتعلل ، وذلك في عشرين شعبان من السنة الثانية بعد المائتين والألف ، وصلي عليه بالأزهر بمشهد حافل ، ودفن بتربة المجاورين .

ومن مؤلفاته إعراب الآجرومية وهو مؤلف نافع مشهور بين الطلبة ، وكان قوي البأس شديد المراس ، عظيم الهمة والشكيمة ، ثابت الجنان عند العظائم ، يغلب على طبعه حب الرياسة ، والحكم والسياسة ، ويحب الحركة بالليل والنهار ، ويمل السكون والقرار ، وذلك مما يورث الخال ، ويوقع في الزلل ، فإن العلم إذا لم يقرن بالعمل ، ويصاحبه الخوف والوجل ، ويجمل بالتقوى ويُزَيّنْ بالعفاف ، ويحلى باتباع الحق والانصاف ، أوقع صاحبه في الخذلان ، وصيره مثلة بين الاقران ، كما قال البدر الحجازي رحمه الله تعالى :

إذا بعبد أراد الله نائبة ... أعطاه ماشاء من علم بلا عمل
فعده لاصطياد المال مصيدة ... يعدو به عدو معدود من الهمل
مثل الحمار الذي الأسفار يحملها ... وما استفاد سوى الاجهاد والملل
يقول بالأمس عند القاضي كنت كذا ... عند الأمير وقد أبدى البشاشة لي
وقام لي وبقدري قام أطعمني ... حلوى وألبسني الحالي من الحلل
ومن مكاني والحكام طوع يدي ... وأين مثلي وما في الكون من مثلي
أجيد فقهاً وتفسيراً ومنطق مع ... علم الحديث وعلم النحو والجدل
وغيرها من علوم ليس من أحد ... يحاول البعض منها غير منخذل

فصال إذ صار بالأشرار متصلاً　　على الأنام صيال الصارم الصقل
له يشار إذا ماسار وهو على　　ركوب بغل سمين في الدواب علي
يقال هذا فلان والصحاب به　　قد أحدقت ملأت كفيه بالقبل
يصيح إذ رام يقريهم بهمته　　صياح شخص عن المعقول في عقل
يقول ذا مذهبي أو ما فهمت وذا　　بالرد عندي أولى ليس ذا بجَلي
كأنه في الورى قد صار مجتهدا　　كالشافعي وأبي ثور او الذهلي
فتاه في تيه وادي العجب ليس له　　الى هداه سبيل ما من السبل
وصار منجدلاً في المقت ميت هوى　　أثوابه كفناً عدت بلا جدل
فيا لداهية دهياء قد نزلت　　به وزل بها في هوة الزلل
أذ أعقبته عقابـــا لاعقيب له　　وعلة ماعلاها قط من علل
فحين حلت به حلت حلاه وما　　ان يحاول عنه الحل من حيل
فعنه فجنا شنيعاً خذ بعيد ردى　　على متون جياد العزم وارتحل
إذ ذلك الشخص إبليس التعيس ومن　　له بإبليس بالناس من قبل
اليك ياملجأ الجاني لجا حسن　　هو الحجازي الذي قد جال في الوجل
من الدعاء الذي لا نفع فيه ومن　　فحش المقال وسوء الحال والمحل
وصل رب وسلم ما استنار ضحى　　على نبيك طه أفضل الرسل
والآل والصحب والأتباع من كملوا　　ما أوجد الله من عال ومستفل

اللهم الطف بنا ووفقنا وارحمنا وأحسن عاقبتنا وقنا واكفنا شر أنفسنا يا أرحم الراحمين ، اللهم آمين .

الشيخ حسن بن اسماعيل بن حسين المغربي
حفيد صاحب البدر التمام

كان بارعاً في جميع العلوم والمعارف شيخ مشايخ عصره ، قال في البدر الطالع بعد بيان مناقبه : والحاصل انه من العلماء الذين إذا رأيتهم ذكرت

الله عز وجل ، وكل شؤونه جارية على نمط السلف الصالح ، وكان اذا سأله سائل أحاله في الجواب على أحد تلامذته ، وإذا أشكل عليه شيء في الدرس أو فيما يتعلق بالعمل سأل عنه غير مبال ، سواء كان المسؤول عنه خفياً أو جليا ، لأنه جبل على التواضع .

ومع هذا ففي تلامذته القاعدين بين يديه نحو عشرة مجتهدين ، والبعض منهم يصنف اذ ذاك في أنواع العلوم ، وهو لايزداد إلا تواضعا . وكان في كل علم غاية ، وفي كل فن قد بلغ بالنسبة لأمثاله النهاية . مات رحمه الله تعالى سنة الف ومائتين وثمان .

الشيخ حسن بن خالد الحازمي العريشي

عالم كبير ، وفاضل شهير ، قال في التاج : ولد سنة الف ومائة وسبعين وقد صار لمزيد ذكائه ، وفرط وداده ووفـائه ، وحسن حفظه ، وقوة إدراكه ، من أفضل العلماء الأعلام ، والسادة القادة الكرام ، ثم لما استولى أهل نجد على بلاد أبي عريش ودخل الشريف حمود في طاعتهم ، صار هذا عنده هو المرجوع اليه ، والمعتمد في الأمور الشرعية عليه ، وكاد حمود يطيعه ، ويأتم به ولا يخالفه ، ثم ارتفعت درجته حتى صار يقود الجيوش ، ويتولى الحروب ويقيم الحدود مستقلا ، وحمل الناس على العمل بالسنة [١] ، ومنعهم من التدريس في فقه المذاهب بأمرها ، فعظم ذلك على المقلدة . ولم يزل على هذه الطريقة حتى قتـل في المعركة سنة الف ومائتين وأربع وثلاثين .

---

(١) له : نثر الدرر ، على منظومة الشيخ محمد سعيد سفر ، في عدم التعصب والابتداع .

الشريف حسن أبو أحمد بن علي الحسيني البخاري القنوجي العالم العلامة

فرع من ذؤابة هاشم، ونبعة من وشيج تلك المكارم، من آل السيد جلال الدين البخاري، وهو من عصبة كلهم سادة مكرمون، لايمس صحف مجدهم إلا المطهرون، من حدث البشرية، ودنس الهيولى الدنية، من كل من قضى للعلياء وطرها، وتلا آيات الكرامة وسورها، تعبق منهم أنفاس النبوة، وتجر لهم على وجه البسيطة أذيال الفتوة، ولم تمح محاسنهم من صحائف الليالي والأيام، ولا تثمر بمثلها أغصان اليراع والأقلام.

ولد رحمه الله سنة الف ومائتين وعشر. ثم قرأ القرآن وتعلم الفنون الآلية وحصل الأدب وسافر إلى البلاد، ودار على المشايخ الأمجاد، من أجلهم أبناء الشيخ أحمد ولي الله المحدث الدهلوي، وهم الشيخ عبد العزيز والشيخ رفيع الدين والشيخ عبد القادر رحمهم الله تعالى، وكان له محبة أكيدة مع الشيخ اسماعيل الشهيد، والشيخ عبد الحي المرحوم، وكانت بيعته على يد السيد العارف أحمد البريلوي، سافر معه الى خراسـان، وجاهد في الله باللسان والجنان والبيان، والصارم والسنان، ثم عـاد الى موطنه قنوج، وألقى به عصا التسيار، واشتغل بالتأليف والتذكير، وهدى الناس الى هدى الله الجبـار، وكان آية بينة من آيات الله في التقوى والعبادة والعمل، وتأثير الوعظ وقلة الأمل، وإيثـار القناعة في المأكل والمشرب والملبس، ذا سطوة عظيمة، وهيبة فخيمة، يخافه الأمراء والعلماء، لسانه أمضى من السيف البتار، وسوطه على المبتدعين والمشركين يثير قتار الدمار. لم يزل مواظباً على الطاعات والعبادات، قائماً لله تعالى بالحجـج البينات، عاملاً بالدليل، تاركا للاقتدا بالغير، متباعداً عن التقليد متمسـكا

بالسنة المطهرة في كل حقير وجليل ، معتصما بكتاب الله العزيز لايبـالي بعدوّ ولا خليل .

مات شابا ولم يخلف شيئـاً سوى الكتب التفسيرية والحديثية [١] ، وتأسف الناس على فقده فوق الوصف ، ومنذ توفي ذهب رونق الإسلام ، وعلو شعائر الدين من ذلك البلد ، وكان قد نوى الهجرة من بلد الهند الى الحرمين الشريفين ، فاخترمته المنية ، قبل بلوغ هذه الأمنية ، وإنما الاعمال بالنيات ، توفي سنة الف ومائتين وثلاث وخمسين . وأرخه بعضهم بقوله مات بخير اهـ من التاج المكلل باختصار .

الشيخ حسن سكر الميداني الدمشقي

كان رجلًا من أهل الجذب ، وكان لايتناول من الدنيا شيئا ، وزعم الراوي عنه انه اتفق له مراراً متعددة في مجالس متعددة أنه يشير بيده ثم يفتح كفه عن أنواع من الدراهم والدنانير ويأخذها الحاضرون منه وينظرون اليها ، ثم يأخذها منهم ، ويشير بيده ثم يفتـح كفه فلا يجدون شيئاً [٢] . وله من خوارق العادات أمور كثيرة مشاهدة لكثير من الناس . وكان غالباً لايلبس على بدنه الا مايستر به عورته ، مات رحمه الله نهـار الثلاثاء سابع شهر رمضان المبارك سنة تسعين ومائتين والف ، ودفن في تربة باب الصغير .

---

(١) هو والد العلاّمة صدّيق حسن خان . تعلم في دهلي ، وعاد الى بلده قنوج . له تصانيف باللغات الثلاث : العربية والهندية والفارسية ، منها : الاختصـاص في الحدود والقصاص ، تقوية اليقين ، في الردّ على عقائد المشركين ، نور الوفا من مرآة الصفا ، وهداية المؤمنين (من الأعلام ومعجم المؤلفين) .

(٢) رأينا من هذه الغرائب الشيء الكثير ، والمحترفون بها يدعون الناس اليها ، ويرونهم هذه الأمور الخفية العجيبة ، ويأخذون أجرهم عليها .

الشيخ حسن السفرجلاني الشافعي الدمشقي الشاذلي

شيخ الطريقة الشاذلية بدمشق وإمام الحنفية ، بجامع بني أمية ، وكان مهاباً معظما ، ذا قدر واعتبار ، فصيحاً ذا محاضرة ، مات سنة عشرين ومائتين والف ، ودفن بباب الصغير .

الشيخ حسن الدنا بن الشيخ أديب الدنا

التائه الكبير ، والمعتقد الشهير ، المجذوب الغائب بمولاه ، عما سواه ، كان في أغلب أمره مكشوف العورة (١) ، مأخوذاً عن نفسه يتقدم تارة في مسيره ويرجع أخرى ، وهو يفرك بيديه ويعض على أصـــابعه ، ولا يتكلم أبدا ، مات سادس عشر جمادى الأولى سنة ست وثمانين ومائتين والف .

السيد حسن بن تقي الدين بن حسن بن مصطفى بن اسماعيل ابن محب الدين بن شمس الدين بن ضياء الدين حميده ابن زين الدين البوصلي البلقاوي الشافعي الدمشقي الشهير بتقي الدين الحصني مفتي دمشق الشام

صدر الصدور ، وزينة الأزمنة والدهور ، قد فض عن فم أمانيه ختما ، واستمال قلوب الحـكام اليه حتما ، وكان جسوراً فصيـح المقال ، مقدماً في زمانه على ذوي المهابة والإجلال ، وتعرض لمنصب افتاء دمشق الشام في أيام حسين افندي المرادي ، فعزلت الحكومة حسين افندي المرقوم من الافتاء ووجهته على المترجم المرقوم ، فجعل لنفسه قدراً عظيما ، ورونقـــاً جسيما ، حتى انه إذا أراد التوجه لمركز الحكومة لابد أن يمشي بركابه

---

(١) اذا أخذ ماوهب ، أسقط ماوجب .

أربعون رجلا من الشجعان ، كلهم مقلدون بأنواع الأسلحة ، وإذا وصل لمركز باب الحكومة يقوم لاستقباله متسلم البلد المعروف بتفنكجي باشي (١) ، ويمشي أمامه الى أن يجلس في مكانه ، ثم يتصدى لتعاطي الأمور ، ومدار الحكم في القضايا عليه لا على غيره يدور ، وبقي مفتيا ستة أشهر وأياما (٢) ، ثم عزل عن الإفتاء وغيره . ولما بلغه ذلك اعتزل في داره الى وفاته ، وكان ذلك سنة أربع وستين ومائتين والف ودفن في باب الصغير رحمه الله تعالى وتأسف كثير من الناس عليه لما لديه من الشهامة الهاشمية ، والمآثر العربية ، والنصرة لكل قاصد ، والمساعدة لكل راسم رائد ، عوضه الله الجنة ، وأجزل له عنده المنة آمين .

الشيخ حسن بن محمد الشهير بالعطار الأزهري المصري مولدا المغربي محتدا

عظيم شأن لاعيب يضاف اليه ، سوى ان أهل عصره قد دار أمرهم في علومهم عليه ، فهو فرد المعارف والعوارف ، وكعبة حرم اللطائف لكل طائف ، به جمال محيا العلم قد ازدهى ، واليه كمال الفهم قد انتهى ، فلله دره من همام قد ارتقى سماء الفضائل ، وانتقى لنفسه أحسن الخصال والشمائل . ولقد انفرد في علم الأدب وأجاد فيما نظم ونثر ، وأحاطت به الفنون إحاطة الهالة بالقمر ، وكان مقره بالجامع الأزهر ، والمقام الأنور . ولما استولى الفرنسيس على مصر ، وجعل زمامها اليه بالقوة والقهر ، وسام أهلها كل ضيم وبلية ، وكاد أن يجرعهم كؤوس المنية ، خرج المترجم فاراً بنفسه

---

(١) رئيس صانعي البنادق ، أو القوى المسلحة .

(٢) وقد تقلد منصب نقابة الأشراف بدمشق وبقي بها مدة قصيرة ، ثم انتقلت للسادة بني العجلان ، وتقلد عضوية المجلس الكبير الى أن مات ، كما في منتخب التواريخ .

الى دمياط ، لما حصل في مصر من الشطط والشيـــاط ، وفي عام ألف ومائتين وسبعة عشر ، توجه الى بلاد الروم فاستقام بها مدة واستقر ، وفي سنة خمس وعشرين توجه الى الشام ، فدخلهـــا زوال يوم الجمعة ثاني شهر ربيع الأول شهر ولادة سيد الأنام ، فتلقاه أهلها بما لاق ، وعقدوا على تفوقه وتفرده بالفضائل كلمة الاتفاق ، فتعلق به والدي تعلق اللازم بالملزوم ، وحضر دروسه في أكثر العلوم والفنون ، فكان لوالدي كالروح للجسد ، وكان هو يقبل على والدي إقبال الوالد على الولد ، لمـــا يرى له من علو الهمة ، وسهر الليالي المدلهمة ، ولم يزل لمجالسه ملتزما ، وفي سلك الملتقطين لدرر نفائسه منتظما ، إلى أن خرج من الشام بعد الثلاثين ، وكان قد استقام بها نحواً من خمس سنين ، فرجع الى مصر بعد هذه المدة ، وكان قد زال عن مصر ما كان بها من شدة ، وحينما عزم على السفر استجـــازه والدي فأجازه ، وأنعم عليه بهذه الإجازة ، وهي : بسم الله الرحمن الرحيم .

إن أحسن مايقدمه السائل في مقاصده ، ويلتزمه في مصادره وموارده ، حمد الله بأعظم محامده ، وشكره على أيمن بره وعوائده ، فهو الذي يجيب السائل إذا دعا ، ويثيبه على ما اليه من الخير سعى ، شرف هذه الأمة باتباع أشرف رسول وكتاب ، فانجاب بصبح شريعته من دياجي الجهالات جلباب ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً من كل باب ، وقامت بنصره صحابته الأطهار ، وأشياعه الأخيار ، فباؤوا بحسن المثاب ، وخير المآب ، ولم تزل هذه الشريعة الغراء والمحجة البيضاء واضحة البرهان ، مشيدة الأركان ، بوراثة العلماء ، وجهابذة العظماء ، على خدمتهـــا قوامون ، قليلًا من الليل مايهجعون ، للأحكام يستخرجون ، وللدقائق الجسام يستنبطون ، وكلما مضى سلف ، أعقبه خلف ، وهكذا حتى تقوم الساعة ، وتنقضي الدنيا التي هي كساعة ، فلله من خصيصة بهذه الامة اختصت ، وامتازت بها عن غيرهـــا وجلت ، فعليه من المولى سحب صلاة يتوالى مدرارها ، ويتسامى تكرارها ،

وعلى آله وصحبه ، وجنده وحزبه ، مالمع برق ، وتدفق ودق ، وسلم تسليما كثيراً

أما بعد فإن الشاب الفاضل ، والاديب العالم العامل ، الشيخ حسن بن الشيخ ابراهيم البيطار ، قد حضر عندي حينما حضرت الى الشام ، جميع دروسي التي قرأتها على التمام ، حضور تدقيق ودراية ، غير أنه قد حضر تلاوة قليل من الاحاديث الشريفة على طريق الرواية ، ثم استجازني بما تجوز لي روايته ، وتستند الي عن شيوخي الاعاظم درايته ، فتمنعت قدر الامكان ، واعترفت بأني لست من أهل هذا الشأن ، وعندما ألح علي استخرت الله وأجزته ، وبمطلوبه ومرغوبه أسعفته ، بما تجوز لي روايته ، وتنسب إلي درايته ، عن أشياخي الذين اقتبست أنوارهم ، واغتنمت أسرارهم ، فهم ولله الحمد عدد كثير كلٌ له قدر خطير ، فمنهم العلامة الشيخ محمد الصبان ، والفهامة الشيخ أحمد بن يونس ، والشيخ عبد الرحمن المغربي ، والشيخ أحمد السجاعي ، والشيخ أحمد العروسي ، والشيخ عبد الله الشرقاوي ، والشيخ محمد الشنواني ، والشيخ عبد الله سويدان ، وغير هؤلاء من السادة الشافعية ، وأما من السادة المالكية : فالإمام الشيخ محمد الأمير ، والشيخ محمد عرفه الدسوقي ، والشيخ أحمد برغوث ، والشيخ البيلي ، وغيرهم . وقد يسر الله لي حين سياحتي في الديار الرومية والشامية والحجازية ، فرأيت جهابذة فضلاء ، وأساتذة نبلاء ، قد تسنموا غارب الفضل ، واجتنوا ثمار العقل ، فأخذت عنهم بعضاً من العلوم ، وربحت تجارتي بما استفدته من دقائق المنطوق والمفهوم ، وكذلك قد أجزته بمالي من التآليف ، التي انتهزت فيها من الدهر فرصة بعد طول تسويف ، فهي جملة من الرسائل والحواشي والشروح ، التي لاتخلو إذا نظرت بعين الانتقاد عن مطاعن وجروح ، فليست مما يستحق أن ينشد في المجالس والمحافل ، ويذكر في مجالس الأفاضل ، ولكن سأذكر بعضها إزاحة لعلة التشوف ، وتبريداً لغليل التطلع والتلهف ، فمنها حاشية شرح قواعد الاعراب ، وحاشية الأزهرية ، وحاشية

العصام على الوضعية ، وحاشية شرح ايساغوجي ، وحاشية النخبة ، وحاشية السمرقندية ، وحاشية السلّم ، وحـاشيتان على ولدية المرعشي في آداب البحث ، وشرح المنظومة الوضعية ، وشرح المنظومة التي في آداب البحث ، وشرح منظومة التشريح ، وشرح نزهة الشيـخ داود في الطب ، وحاشية شرح أشكال التأسيس في علم الهندسة ، وحاشية المغني ، أسأل الله أن يتمها . ولنا رسائل عديدة في مسائل متفرقة من علم الحكمة ، والكلام وغير ذلك . وقد أجزته بجميع ذلك بشرطه المعتبر ، عند أهل النظر ، سائلاً من الله أن يصلح أحوالنا ، ويبلغنا آمالنا ، وأرجوه أن لاينساني من صالـح الدعوات ، في سائر الاوقات ، والحمد لله أولاً وآخراً ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . كتبه بيده الفقير حسن بن محمد الشهير بالعطار ، خادم العلم الشريف بالازهر ، عفا الله عنه بمنه .

انتهى كلام هذا المترجم رفع الله قدره ، وجعل اعلى الجنة مقره . ثم انه لم يزل يترقى مقامه وقدره ، ويعظم بين الناس جاهه وفخره ، والناس يقصدونه من كل جانب ، لما اشتمل عليه من الفضائل والمناقب ، الى أن خطبته المنية ، الى الدار العلية ، وذلك في حدود سنة الف ومـائتين وخمس وثلاثين .

الشيخ حسن بن سالم الهواري المالكي الأزهري المصري

روح مجمع أهل الكمال ، ودوح أهل المعارف والكمال ، المتوج بتـاج الاتقياء ، والمنتهج منهج الاصفياء ، من تفجرت ينابيع العلوم على لسانه ، وفاضت عيون الحقائق من جلال جنانه ، وسطعت شموس معارفه ، وزكت عروس عوارفه (١) ، وطابت في الناس سيرته ، وحسنت سجاياه وسريرته ، وهو من رجال الإمام العلامة الجبرتي فقال في ترجمته : قرأ على الشيـخ

---

(١) جمع عارفة ، وهي المعروف ، والعطية .

الصعيدي ولازمه في دروسه العامة ، وبعد وفاة شيخه ولي مشيخة رواق الصعايدة ، وساس فيهم أحسن سياسة بشهامة زائـــدة ، مع ملازمته للدروس ، وتكلمه في طائفته مع الرئيس والمرؤوس ، وكان فيه صلابة زائدة ، وقوة جنان وشدة جرأة ، واشترى خرابة بسوق القشاشين بالقرب من الأزهر ، وعمرها داراً لسكنه ، وتعدى حدوده وحاف على أماكن جيرانه ، وهدم مكتب المدرسة السنانية ، وكان مكتباً عظيما ذا واجهتين وعامودين وأربع بوايك ، وزاوية جداره من الحجر النحيت عجيبة الصنعة في البروز والإتقان ، فهدمه وادخله في بنائه من غير تحاش أو خشية لوم مخلوق أو خوف خالق ، وأوقف أعوانه من الصعايدة المنتسبين للمجاورة وطلب العلم يسخرون من يمر بهم من حمير الترابين وجمال الأعيان المارين عليهم ، فيستعملونها في نقل تراب الشيخ لأجل التبرك ، إما قهراً أو محاباة ، ويأخذ من مياسير الناس والسوقة دراهم على سبيل القرض الذي لا يرد ، وكذلك المؤن ، حتى تممها على هذه الصورة وسكن فيهـــا ، وأحدق به الجلاوزة [١] من الطلبة يغدون ويروحون في الخصومات والدعاوى ، ويأخذون الجعالات [٢] والرشوات من المحق والمبطل ، ومن خالف عليهم ضربوه وأهانوه ولو عظيماً من غير مبالاة ولا حياء ، ومن اشتد عليهم اجتمعوا عليه من كل فج حتى البوابين في الوكائل ، وسكان الطباق وباعة النشوق ، وينسب الكل إلى الأزهر ، ومن عذلهم ولامهم كفروه ونسبوه الى الظلم والتعدي والاستهزاء بأهل العلم والشريعة ، وزاد الحال وصار كل من رؤساء الجماعة شيخاً على انفراده يجلس في ناحية ببعض الحوانيت يقضي

---

(١) جمع جلواز ، وهو الذي يخف في الذهاب والمجيء بين يدي الأمير ، والشرطي لجلوزته في ذهابه ومجيئه .

(٢) جمع جعالة ، وهي أجر العامل والرشوة .

ويأمر وينهى ، وفحش الامر الى أن نادى عليهم حاكم الشرطة فانكفوا ومرض شيخهم بالتشنج شهوراً ، وتوفي في السنة العاشرة بعد المائتين والألف رحمه الله تعالى .

السيد حسن وادي بن السيد علي بن السيد خزام بن السيد علي الخزام ابن السيد حسين برهان الدين الخالدي الرفاعي الصيادي

ترجمه ولده العمدة الفاضل ، والنخبة الكامل ، السيد محمد افندي ابو الهدى أطال الله بقاه ، وأعلى في مدارج السيادة مرتقاه ، في كتابه المسمى بقلادة الجواهر ، في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر ، فقال : وأما السيد الجليل ، والشيخ الفاضل الاصيل ، شيخ العائلة الصيادية ، وصاحب السجادة الرفاعية ، مولانا الوالد السيد الشيخ حسن وادي افندى حفظه الله وأبقاه ، وحرسه بعين الكرامة والعناية وحماه ، آمين . ولد طول الله عمره في سنة خمس وأربعين ومائتين وألف قبل وفاة والده رحمه الله بسنتين ؛ ونشأ بين أهله وأقاربه إلى أن بلغ عمره الثانية عشر ، فجذبته يد العناية بنفحة من نفحات الرحمن ، فدلته الى جناب شيخه الولي البركة الشيخ رجب الصيادي دفين كفر سجنا ، فالتفت بكليته إليه ، وأقبل بقلبه عليه ، فأقامه خليفة عنه ، فجلس على السجادة الرفاعية بزاويته المعمورة بتقوى الله المشهورة في قصبة خان شيخون الملحقة الآن بمعرة النعمان من أعمال حلب ، واشتهر أمره ، وسار في البلاد ذكره ، وانتسب له خلق كثير من القبائل والقرى والمدن ، وانتفع به جماعة كثيرة من الموحدين ، وله مناقب مأثورة ، وعنايات مشهورة ، ومما منّ الله به عليه أن يقرأ على قطعة من السكر وان لم يوجد فعلى أي شيء كان مما يصح أكله ، ويطعمه للناس ، فمن أكله لا يضره سم الحيات وغيرها من المسمّات ، ولا يؤثر فيه ضرر الكلب العقور وغيره من الحيوانات المضرة بإذن الله تعالى ، وإذا قرأ على

السكر أو غيره باسم رجل وحفظ السكر من أن يلمس بيد أحد في صرة ، وكان الرجل المقروء باسمه في بغداد والسكر في الشام ولدغت الحية أو غيرها من المسمات ، أو عض الكلب الأكلب ذلك الرجل وهو في بغداد ، لا يضره أمرهم باذن الله تعالى ، وببركة الحضرة الرفاعية ، وإذا سم رجل في بلدة وكان الشيخ صاحب الترجمة في بلدة أخرى ، وتعذر حمل المسموم إليه ، وجاء رسول المسموم وسمى نفسه باسم المسموم ، فان الشيخ المشار إليه يقرأ على قطعة من السكر أو غيرها من المأكولات كما تقدم ويطعمها لرسول المسموم الذي سمى نفسه باسمه ، ويضربه بيده ضربة خفيفة ، فان المسموم بإذن الله يبرأ من البلدة الأخرى كما هو مشهور في البلاد الحلبية وغيرها عنه . ومن مناقبه الشريفة أيضاً أن الله تعالى قد منّ عليه ببركة اليد الكريمة ، فإذا وضع يده على عليل أو من به وجع يشفيه الله على الغالب . وأما سخاؤه وكرم طبعه ففي نواحيهم اشهر من ان يذكر ، وأما علو مظهره ومعونة الله له في أموره وتأييد ظهوره فهي أشهر من نار على علم ، وما عانده في أمره بقصد خفض شأنه أحد ولا تعدى عليه وعلى أهله ومتبعيه المخلصين متعد ، إلا وأخذ بإذن الله تعالى أو ذل وقهر وكل ذلك معروف مشهور ، وكل ما حصل له من الفتوح والبركة سببه الأجل كثرة الصلاة على النبي ﷺ فإنه كثير الصلوات ، على سيد السادات ، وهي ورده الأعظم ، وطريقه الاقوم ، وقد برزت عليه أنوارها ، وظهرت آثارها . قُصِد لأخذ الطريقة العلية من أكثر الجهات والبلدان ، وسارت بذكره الركبان ، وانتسب إليه خلق لا يحصى عددهم ، وزادت خلفاؤه عن المائة خليفة

سكن حفظه الله حلب الشهباء ، من سنين يسيرة ، وعمر الزاوية الرفاعية فيها وكثر باطرافها مريدوه واخوانه ، وعلت شهرته في حلب الشهباء ونواحيها ، وحسن فيه اعتقاد الناس ، ومدحه الفضلاء والبلغاء وأعيان الناس ، ومن الجملة مدحه بالقصيدة الآتية الفاضل الكامل ، سلالة الاماجد

الافاضل ، السيد عبد القادر افندي القدسي ، أوحد أعيان حلب الشهباء ، وابن المرحوم نقيبها المشهور تقي الدين افندي القدسي ، وهي كما هي درة يتيمة ، وصحيفة كريمة :

إذا ضاقت بك الأيام فالجأ ... بحسن وسيلة لحمى الرسول (١)
فإن حمى الرسول وحق ربي ... أمان كل آن للدخيل
وأقرب ما توسلت البرايـــا ... به للمصطفى آل البتول
هم الطهر الكرام بنو المعالي ... شموس الكون جيلًا بعد جيل
لهم جاه وعز مستفاض ... من المختار بالفيض الجزيل
هم الوراث للمختار طه ... هم أهل الرداء المستطيل
وودهم بأمر الحق فرض ... وهذا أجر مولانا الرسول
إذا أديت حق الود فيهم ... فأبشر بالسعادة والقبول
ودونك سيد السادات شيخي ... فلذ بجنابه العـــالي الجليل
هو الحسن الحسيني الخزامي ... خلاصة عترة العلم الطويل
له شرف الحضور حضور قلب ... مـــع المختار غياث النزيل
فتى بيت الرفاعي الغوث روح الـــ ... ـطريق وفلذة الشرف الأثيل
ضيا هذا الزمان أبو الموالي ... سليل الآل مولود الفحول
امام القوم زبدة آل طه ... ملاذ الملتجي باب الوصول
همام من بني الكرار شهم ... يقابل ذا الاســـاءة بالجميل
أمير من بني الصياد فرد ... تذل له الرجال بكل قيل
عليّ القدر رحب الصدر مولى ... الأيادي صاحب الباع الطويل
فللمختار جـــدهم صلاة ... من الرحمن ترقى في نزول

---

(١) إن خير وسيلة لنا هو ايماننا بما أنزل الله ، وطاعتنا لرسوله ، ومحبتنا له ولآل بيته الطاهرين .

وأصحـــاب وأولاد كرام غياث الناس(١) في اليوم المهول
مدى الأزمان ما وافى محب بحسن وسيلة لحمى الرسول

وهو الآن بحمد الله على قدم استقامته القديمة الأصلية عـــلى أحسن حال، معرض عن غير الله متوكل عليه مسلم له الحال، معتمد عليه تعالى في الأقوال والأفعال، ولم يزل يترقى الى أن خطبته المنية المكان الارقى، وذلك عام الف وثلاثمائة واثنى عشر ودفن في حلب .

السيد حسن بن السيد محمد الصيادي الرفاعي ويعرف بخدام الصياد

ترجمه السيد أبو الهدى افندي فقال : كان صاحب الترجمة شيخاً مباركا صالحاً معمرا، أخذ الخلافة في الطريقة العلية الرفاعية آخر عمره من الشيخ الكامل العارف السيد الحاج احمد افندي بن السيد مصطفى الجندي ثم الصياد، شيخ الطريقة الرفاعية بمعرة النعمان، وبيتهم بيت كرم وصلاح، توفي المترجم بحدود سنة الف ومائتين وخمس وسبعين ودفن بمقبرتهم بقرية كفر زيتا . انتهى ملخصا .

الشيخ حسن جبينة بن احمد آغا بن عبد القادر آغا جبينة

امام صالح، وهمام في تقواه راجح، لطيف المنادمة، حسن المكالمة، اكب من صغره على طلب العلوم، واستفادة المنطوق والمفهوم، وحضر دروس العلامة الشيخ سليم العطار، والعلامة الشيخ احمد الكزبري والشيخ احمد البغال، والفاضل الشيـــخ قاسم الحلاق وغيرهم . وكان يغلب عليه السكون، والخضوع والتواضع والركون، وبعد انتقال المرحوم الشيـخ

---

(١) تقدم معنا أن غياث المستغيثين، هو الله ربّ العالمين جلّ وعلا .

قاسم الحلاق الى جامع السنانية صار في مكانه اماماً ومدرساً وخطيباً في جامع حسان. وكان يغلب عليه الفقر، إلا أنه كان حسن الصبر، وفي آخر مدته مرض مرض الاستسقاء وطال امره، إلى أن توفي سنة الف وثلاثمائة وخمس وعمره نحو الخمسة والستين، ودفن رحمه الله تعالى في تربة باب الصغير.

حسن حسني بك بن حسين عارف بن حسن سهراب بن محمود بن مسيح بن عالي من مهاجرة الأتراك والامراء في الروملي

ترجمه احمد عزت باشا في كتابه العقود الجوهرية، في مدائح الحضرة الرفاعية، فقال: هو الفاضل الاديب الاريب حسن حسني بك، إلى أن قال: من مهاجرة الأتراك والامراء في الروملي، هاجروا اليه منذ أكثر من ثلاثة قرون، وسكنوا طوبران وكانوا من أمرائها، وتقلبوا في مناصب كثيرة، وجرثومتهم من العائلة البايندرية، وينسب المترجم إلى طوبران، هاجر جده إلى مصر سنة ثلاث وخمسين ومائتين والف. وولد هو سنة ست وستين ومائتين والف في مصر، وتوفي والده وربي يتيما في بيت نفسه، ونشأ نشأة أدبية. ولما بلغ الثالثة عشرة أكب على التحصيل من الاساتذة ليلًا ونهارا، وصرف النظر عن الترقيات المادية إلى طلب العلوم والادب، فقال الشعر العربي في الخامسة عشرة، ورزقه الله القبول، واشتهر بالشعر والإنشاء والتأليف، واشتغل بالحكمة الدينية، والاخلاق والفنون السياسية وغيرها. وفي سنة ثلاث وتسعين ومائتين والف سافر إلى وطنه الاصلي، لاستخلاص أملاكه وأوقاف أسلافه، وساح البلاد، ثم عاد إلى مصر، وقدم من مصر لدار السعادة سنة ثلاثمائة والف، وهو الآن بها.

أقول: وقد اجتمعت به فرأيته حسن الاخلاق، صاحب شهامة

طبع ، وفصاحة لسان ، وجودة ذهن ، وكمال اطلاع ، وله آثار كثيرة ، منها : ثمرات الحياة ، ديوان شعر في مجلدين ، وطوالع الاماني ، ولواحق الثمرات ، وشطحات القلم . وهذه كلها دواوين شعر ، ومصابيح الفكر ، في السير والنظر ، وشمس المشرق في سماء المنطق ، وهو مطبوع ، ونور العين ، رسالة زجلية ، وقصة الوارث بن تارك ، وإرشاد الخليل في فن الخليل ، وعصمة الجماعة ، في وجوب الطاعة . وحجة الكرام في علم الكلام ، وعصمة الإسلام في فضل الإمام ، ويوم الدهر في أحوال مصر ، وسر القدر ، وَمنَازه الأحباب في جنات الآداب ، وكتاب الوطن ، والنشر الزهري ، في رسائل النسر الدهري ، والانصاف في حقوق الاشراف ، وفلسفة الاخلاق ، والتذكار في التوحيد ، والبديع في البديع ، والسيف القاطع ، والنور الساطع ، وارتياح الجنان ، بأرواح الجنان ، ورسالة التوحيد ، ومطية الحقيقة ، ومجمع الرسائل ، ومعراج الاخلاف لمنهاج الاسلاف ، وبهجة الكرام في محجة أهل الإسلام ، وعدة رسائل باللغة التركية . ومؤلفاته كثيرة وقوة قلمه وذهنه شهيرة . وله نسبة كما قرر من جهة أمه الدوحة الحسينية ، يدل على صحتها حسن أخلاقه المرضية ، لازال كريم الجناب ، بهجة الأحباب ، ومن نظمه :

أهوى الأماني وسعيي ليس يرضيها	تدنو إلي وصرف الدهر يقصيها
كم ليلة بت أستجلي محاسنها	وأنجم الأفق صرعى في مجاريها
تسعى إلي براح من غوايتها	فاستقيها صبابات وأسقيها
روحين في جسد كنا توحدنا	أهواؤنا وتمنينا مباديها
لا نعرف البعد حيث القرب يعصمنا	ولا نخاف الليالي في عواديها
كأننا فرقدا أفق المسرة لا	تهاب صدي ولا أخشى تجافيها
كم قلت والليل مسدول ستائره	نعم الليالي التي جادت أياديها
كم همت في وجنة من ورد وجنتها	والخال قد عم من طيب مجانيها

حتى أضحت شعوري في مسلسلة   من الشعور يروي الدور ساحيها

وهي طويلة ؛ ومن نظمه :

هي الهمة العلياء والزمن النكد   عدوان للأحرار إن أحجم الجد
يبيت فتى الفتيان رهن همومه   وقد فاز من ليلاته السافل الوغد
ويصبح مقدام البهاليل(١) اعزلا   ويمسي أنوف الأنف قد خانه السعد
فيا عجبا للدهر تعدو ذئابه   وقد هزلت في عز أعياصها (٢) الأسد
ويا حربا تسمو الشموس أهلة   ويرتفع الوادي وينخفض الطود
ويا طربا تمسي المواضي طريحة   ويحمل في أعناق أبطالها الغمد

ومن نظمه يمدح العارف بالله السيد أحمد الرفاعي قدس الله تعالى سره فقال بعد أبيات كثيرة :

أستقبل الدهر أبكيه ويضحكني   فلم يقاني ولم أطلبه ملتجئـــا
رفعت يا ابن الرفاعي عبء كلكله   عن عاتقي فتوانى بعد ماجرؤا
شبل الحسين رفيع الجاه أحمد من   يرجى اذا الخطب من ضوضائه امتلأ
آثاره بهرت أنواره ظهرت   كتابه حجة برهـانه برأ
أنى على فترة يدعو لواضحة   صوابها قد محا الآثام والخطـأ
جرى على سنن المختار مقتضبـا   نوراً جلا صيقل الاذهان إذ صدئا
وجاء بالفتح عن داعي الهدي فكبت   اجراه من تخذوا آياته هزؤا
دعا إلى الله بالبرهان فاتضحت   سبل الهدى فهدى برهانه الملأ
وقام عن جده حق القيام فيـا   نعم الإمام بعلم جهلنـــا درأ
رست قواعد علياه على جبل   من التمكن يحمي كل من لجأ
تنزهت ذاته عن كل شـائبة   لما على سدرة الإيقان قد وطئا

---

(١) جمع بُهلول ، وهو السيد الجامع لكل خير .
(٢) جمع عيص ، وهو منبت خيار الشجر .

وقدس الله بالتقوى سرائره ... فمن أراد له شأوًا طغى فنأى
وأكرم الله مثواه علـى قدر ... تنزلت آية تستتبع النبـأ
كأن يوسف معناه أقام له ... في مقعد الصدق للألباب متكئا
أكرم بأحمد أشياخ اليقين لقد ... حمى اليقين فمن لم يقفه خسئا
شيخ عيال عليه كل ذي أثر ... بدا فأبدى طريقاً قيمًا بـدأ
بحر من العلم لازالت جداوله ... تزيل عن وادي ساحاته الظمأ
هيهات يعرف أبطال الوجود له ... شأوًا تعالى وشأناً عز ما فتئا
أنى يضاهي وطه مد راحته ... اليه والجمع من شم الأنوف رأى
كـأنه آية من ربه سبقت ... فجسمت فهو من آياته نشـأ
فقل لمن رام تفضيلًا وتكرمة ... الله أدرى بمن أولى وما درأ
عليه رضوان مولاه وما برحت ... علياه ذكراً يطيب الكون ماقرئا

وقد توفي رحمه الله تعالى عام الف وثلاثمائة وأربعة عشر .

ملا حسن افندي الشهير بالبزار بن ملا حسين
ابن ملا علي الموصلي

ترجمه صاحب العقود الجوهرية، في مدائح الحضرة الرفاعية ،أحمد عزت باشا، فقـال : هو الأديب الفاضل ، والأريب الكامل ، ولد في الموصل بمحلة حسان البكري يوم الثلاثاء عاشر شهر جمادى الأولى سنة إحدى وستين ومائتين والف . وكان فطناً ذكياً ، وشابا لوذعيا ، وبعد إكماله قراءة القرآن الكريم ، باشر في قراءته العلوم على علامة وقته الشيخ صالح افندي ابن المرحوم الحاجي طه الخطيب المشهور ، ولما انتهى إلى المنطق ، ترك ذلك ، واشتغل بنظم الشعر مع كونه مشغولاً في صنعة البزازة [1] ولا زال

---

(١) البزازة : تجارة أو حرفة البزّاز ، وهو بائع الثياب من الكتان أو القطن .

شعره يترقى ويروق ، ويعلو على شعراء عصره ويفوق ، فإن غزله ونسيبه أرق من نسيم الصبا ، وأمداحه محصورة في مدح حضرة المصطفى ، والأولياء والصلحاء . وديوان شعره طبعوه في حلب ، تتداوله أيدي الفضلاء ، وأكف البلغاء . ولما كنت في الموصل لازال يزورني ويهدي إلى فكري لطيف إنشاده ، وما كان يقطع زيارته على معتاده . ثم انه أخذ الطريقة الرفاعية عن الشيخ حاجي سلطان ، والطريقة النقشبندية من المرحوم الشيخ السيد محمد افندي النوري . ولا زال يترقى حاله في الصلاح ، وطريق النجاح ، حتى استخفه الشطح ، فكان طوراً تجذبه حبال الجذبة ، وطوراً يعقلة زمام العقل ، وحالاته أصبحت ممتزجة بالقبض والبسط ، والرفع والحط . ثم انه فقد بصره ، وبقي أغلب أحيانه يمشي بالأزقة ويرقد فيهـا ليلاً ، ويجر في أوحالها ذيلا ، لكنه قبل وفاته كما قيل لي بأنه قد عاد اليه عقله ، واصطلح فرضه ونفله ، وإنه عند أغلب أهل جلدته ، وأكابر بلدته ، مظنة الولاية ، مع ماينضم اليها من الدراية ، ومن نظمه :

قلبي اليكم بأيدي الشوق مجذوب	والصبر عن قربكم الوجد مغلوب
لا أستفيق غراماً في محبتـكم	وهل يضيق من الأشواق مسلوب
ياقلب صبراً على هجر الأحبة لا	تجزع لذاك فبعض الهجر تأديب
هم الأحبة ان صدوا وإن وصلوا	بل كل ماصنع الأحباب محبوب
إني رضيت بما يرضونه وبهم	والله يعذب للمشتـاق تعذيب
فالروح والقلب بل كلي لهم هبة	وكيف يرجع شيء وهو موهوب
لي فيهم سيّد طاب الوجود به	فمنه في كل ناد يعبق الطيب
هو الرفاعي سامي الجد أحمد من	قد لاذت العجم فيه والاعاريب
أكرم به سيداً طابت عناصره	وكيف لا وهو للمختار منسوب
أنعم به منهلاً راقت موارده	فكم صفا منه الأحباب مشروب
هذا الذي يفخر الفخر السني به	هذا الذي هو المطلوب مطلوب

هذا الذي شرف الاشراف تم به | هذا الذي هو للعلياء مخطوب
هذا الذي يسعد العبد الشقي به | فكم وكم نال فيه الأمن مرغوب
غيث مغيث لمن فيه استغاث[1] وكم | نجا بهمته العلياء مكروب
وكم ذليل به قد عز جانبه | وكم بعيد به أدناه تقريب
سر من الله في كل الوجود سرى | منه إلى الخلق ترغيب وترهيب
شمس المعارف من إشراق حكمته | للعارفين بدت منها أعاجيب
بني رفاعة سدتم رفعة وعلا | وذكركم في جباه الفخر مكتوب
تمت محامدكم في عز أحمدكم | فمجدكم مثل في الكون مضروب
هو الإمام الذي ديوانه أبدا | في الكائنات مدى الايام منصوب
فرد به مفردات الفضل قد جمعت | ندب بكل شديد الهول مندوب
روحي وراحي وريحاني مدائحه | وحبه لفؤادي فيه تهذيب
يا أحمد الاولياء انظر إليّ وقل | لاتخش أنت عليّ اليوم محسوب
ياصاحب الهمة العلياء خذ بيدي | إني وحقك للأعداء مغلوب
يشفى لديغ الافاعي من عزائمكم | وعبدكم بأفاعي البعد ملسوب[2]
حاشا لمجدك أن ترضى يبعد فتى | له إلى بابكم بالذل تأويب
ياعترة المصطفى أنتم أكارم لا | يخيب فيكم لدى الآمال مطلوب
ان تقبلوني على عيبي فياشرفي | فليس لي غيركم قصد ومرغوب
فأنعموا بقبولي واملؤوا قدحي | من راحكم فهو للأرواح مصحوب
صلى الاله على المختار جدكمو | مافاح في الكون من ذكراكم الطيب
والآل والصحب مانادى محبكمو | قلبي اليكم بأيدي الشوق مجذوب

توفي رحمه الله في شهر ربيع الأول من عام الف وثلاثمائة وخمسة وما بقي في البلد كبير ولا ولد حتى شيع جنازته ، رحمة الله عليه آمين .

---

(١) المغيث هو الله ، « اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم »

(٢) لسبته الحية : لدغته .

الشيخ حسن بن الشيخ علي بن قويدر الأزهري الخليلي

الاديب الناظم الناثر ، ذو الفضائل والمآثر ، من رقى أوج المعارف ، وانتقى برج العوارف ، وخاض بحور العلوم ، ونزه صائب فكره في رياض المنطوق والمفهوم ، فلا ريب أنه كامل المقاصد ، جيد القصائد ، شعره المنسجم السهل ، يزري بشعر الأخطل وابن سهل ، ونثره البليغ البديع ، يحاكي مقامات الحريري والبديع ، وهو ثقة فيما يؤخذ عنه من النقول ، وحجة في علمي المعقول والمنقول ، كثير المعارف والفنون ، غزير اللطائف قليل المجون ، لم يتخذ الشعر حرفة ، ولا سكن من بيوته غرفة ، بناء على أنه جل صناعته ، أو أجل متاعه وبضاعته ، وإنما دعاه اليه حب الأدب ، ولواه اليه ما اشتمل عليه من طوية العرب ، وكان رحمه الله ، وأحسن مقره ومثواه ، غاية في الزهد والديانة ، آية في العفة والامانة ، كثير الود للاخوان ، مهيبا بين الاحبة والاقران ، لا تمل وإن طالت مجالسته ، ولا تعل وإن زادت مفاكهته ، لما كانت تشتمل على الفوائد ، العائدة على محبيه بالصلات والعوائد ، وكانت له صدقات وفية ، مستورة عن الإظهار خفية . وقصارى الكلام ، في هذا الفرد الهمام ، إنه كان حسنة من حسنات عصره ، وجوهرة يتيمة في جيد مصره .

ولد بمصر سنة الف ومائتين وأربع ، وتربى في حجر والده على الرحب والسعة ، وإن أصوله من المغرب من ذرية ولي ذي مقام روحاني ، يعرف بسيدي عبد الله الغزواني ، وان علامة من كان من ذرية هذا الولي المعروف بالهدى والصلاح ، انه إذا جاء لزيارته أحد يفتح له الباب من غير مفتاح ، وإن بعض ذرية هذا الولي انتقل الى مدينة سيدنا الخليل عليه صلاة المنان ، وتناسل بالمدينة المذكورة واشتهرت تسمية نسله بالمغاربة ، وهم معروفون بذلك هنالك الى الآن ، ثم ان والد المترجم انتقل الى مصر القاهرة ،

وأقام بها وكان ذا تجارة وافرة ، وبها رزق بصاحب الترجمة المذكورة ، صاحب الشمائل المأثورة ، فلما أن بلغ أشده ، وجه عنان همته الطلب بكل اقبال وشدة ، فقرأ على جملة من العلماء ، والسادة الفضلاء ، منهم العلامة الشيخ حسن الابطح ، والفهامة شيخ الازهر الشيخ حسن العطـار ذو الارج الافيح ، والمرحوم الشيخ ابراهيم الباجوري شيخ الاسلام ، والشيخ ابراهيم السقا عمدة الانام ، وغيرهم من مشايخ المصر ، المتصدرين للافادة في أزهر مصر ، وكان شافعي المذهب ، خلوتي الطريقة ، قد أخذها عن الاستاذ معدن السلوك والحقيقة ، العـارف بالله تعالى صاحب الامداد ، السيد الشيخ احمد الصاوي أبي الارشاد . ومن تآليفه المفيدة ، وتصانيفه العديدة ، شرحه على منظومة شيخه الشيخ حسن العطـار في علم النحو ، وقد أجاد به أحسن اجادة ونحا ألطف نحو ، وقد قال في شرحه عليها ، موجها جميل مدحه اليها :

منظومة الفاضل العطار قد عبقت ... منهـا القلوب بريا نكهة عطرة
لو لم تكن روضة في النحو يانعة ... لما جنى الفكر منهـا هذه الثمرة
في ظلمة الجهل لو أبدت محاسنهـا ... والليل داج أرانا وجههـا قمره
قالوا جواهر لفظ قلت لا عجب ... بحر البلاغة قد أهـدى لنا درره

ثم قال : ومن شغفي بتلك العرائس الخواطر ، حملتني بواعث الخواطر ، على أن أكتب عليها شرحاً ، وأبني على دعائمهـا صرحا ، وأمد بنطاق البلاغة لها كشحا ، فوقفت على أقدامي ، مترددا في تأخـري واقدامي . الى أن قال بعد كلام طويل ، ليس له في البلاغـة مثيل : فشددت نطاق (١) العزم ، وتقلدت بصارم الحزم ، وقومت سنان يراعي ، وبسطت

---

(١) النطاق : مايشد به الوسط .

في حومة هذا الميدان باعي ، واني لأرى التوفيق يقوم أمامي ، والعناية تقود زمامي

واذا العناية صادفت عبد الشرا نفذت على ساداته احكامه

فاجتنيت من رياض العلوم الاثمار ، واجتليت بنات الافكار ، وافتضضت من المعاني الابكار ، ورصدت من بين النجوم الاقمار ، وأتيت بمؤلف يهزأ بقلائد النحور ، ويعبث بألحاظ الحور ، تتألف نجوم المعارف من مطالع أفلاكه ، وتتناثر درر اللطائف من قلائد أسلاكه ، جعلته تاجا لتلك العروس ، ونزهة لنفائس النفوس ، ونمقته تنميقا عجيبا ، وسبكته سبكا غريبا ، وشحنت زورقه بالدرر ، وأثقلت أغصانه بالثمر ، وجعلت اشرح أبيات الغزل خواتم ، كأنها في أصابع الدهر خواتم ، بينت فيها معاني ألفاظه المنظومة اللغوية من كتب صحاح ، كقاموس البلاغة والصحاح ، وضمنتها سجعاً مأثورا ، ودراً منظومـاً ومنثوراً ، ونوادر أدبية يرشفها السمع مداما ، وتميل الاذواق السليمة الى محاسنها غراما ، لتكمل المناسبة بين الاصل وفرعه ، ويحتلب الطالب دَرّ الأدب من ضرعه ، ويكون ذلك ترويحا للنفس وتنشيطا للبدن ، بالانتقال من فن الى فن .

تنقل فلذات الهـــوى بالتنقل ورد كل صاف لاتقف عند منهل
ولا تتبع قول امرىء القيس انه ضليل ومن ذا يهتدي بمضلل

الى آخر ماقال ، وأجاد في المقال ، وهذا الشرح في نحو ثلاثين كراسا قد أحكمه فرعا وأساساً ، ومنها شرح مزدوجته (١) ، وقد تناولته أيدي الضياع قبل انتقـاله الى مبيضته ، وهو يزيد على مـــائة كراس ، قد أودعها مايزري باللؤلؤ والماس ، ومنها رسالة الأغلال والسلاسل ، في مجنون اسمه عاقل ، ومنها زهر النبات ، في الانشاء والمراسلات ، ومنهـا نيل الأرب في مثلثات العرب ، الذي مدحه محمد أفندي في بقوله :

---

(١) ازدوج الكلام : تشابه في سجع أو وزن .

ياصاح إن رمت النشب ورغبت في أعلى الرتب
وأردت سفراً نافعـا من در ألفاظ العرب
فمثلثـات قويـدر هي كاسمها نيل الأرب
هـي روضة مطاولة منها صبا الآداب هب
ياحسنهـا من حلية تزري بأطواق الذهب
أهدى لثالثها لنـا بحر خضم في الأدب
أمثلثـات قويـدر سعداً لمن لك قد كتب
قد كاد (فني) أن يهم بحسن طبعك من عجب
أبدى محاسنها لنـا بالطبع في الشهر الأصب
الأسعد المولى الذي زبد الفنون قد انتخب
ذو الهمة العليا الـتي منها المعارف تكتسب
رحـم الاله له أبا هو للفضائل خيراب
ياحبذا من عـارف كلٌ مـآثره أحب
ياطالما عن قـاصديه أزاح بأساء الكرب
وأراحهم ممـا ألمّ من المشقة والتعب
للحمد والشكـر اجتنى ولموجب الذم اجتنب

وله غير هذه من التآليف، وجميل التصانيف. ومن أشعاره الفائقة، وأفكاره الرائقة، قصيدته التي مطلعها :

ياطالب النصح خذ مني محبرة تُلقى اليها على الرغم المقاليد
عروسة من بنات الفكر قد كسيت ملاحة ولهـا في الخد توريد
كأنها وهي بالأمثـال ناطقة طير لها في صميم القلب تغريد
احفظ لسانك من لغط ومن غلط كل البلاء بهذا العضو مرصود

واحذر من الناس لا تركن الى أحد　　فالخل في مثل هذا العصر مفقود
بواطن الناس في ذا الدهر قد فسدت　　فالشر طبع لهم والخير تقليد
هذا زمان لقد سادت أراذله　　قلنا لهم هذه أيامكم سودوا

وهي قصيدة طويلة ، وله قصيدة ثانية ، أرسلها إلى بعض الناس أولها :

يا من له خلق كنفحة عنبر　　بالله كف سهام لومك عن بري

وله أيضاً قصيدة قال في براعة استهلالها :

لو كان أمر فؤادي دائماً بيدي　　لما وضعت يدي اليمنى على كبدي

وله مزدوجة جميلة متداولة مشهورة . وله غير ذلك من القصائد الطنانة ، والمقاطيع الرنانة :

تلك آثارنا تدل علينا　　فانظروا بعدنا إلى الآثار

ومات ولم يدوّن شعره في ديوان ، كما جرت بذلك عادة الشعراء من غابر الازمان ، ومع اشتغاله بالعلم ليلاً ونهارا ، كان يشتغل بالتجارة متعففاً عما في أيدي الناس سراً وجهارا ، ولم يزل في زيادة نعم مع كمال الاحترام ، رفيع القدر بين الخاص والعام ، حتى انتقل إلى دار السلام ، في شهر رمضان سنة الف ومائتين واثنتين وستين .

ومن العجائب ان محمود أفندي الساعاتي الشاعر المصري المشهور قبل وفاة المترجم بثلاث ليال ، رأى في منامه ان الشيخ المترجم توفي ، وكان ذلك في مرض موته فانتبه قائلاً :

رحمة الله على حسن قويدر　　فحسب هذه الجملة فكانت تاريخا
٦٤٨ ، ٦٦ ، ١١٠ ، ١١٨ ، ٣٢٠

للسنة التي وقعت فيها الرؤيا . ثم توفي المترجم بعد ذلك بثلاث ليال ، فكانت تاريخا أيضاً لوفاته . ثم ان محمود أفندي المرقوم أشار إلى ذلك في قصيدته الطنانة ، التي رثى بها المترجم المرقوم بقوله :

بكت عيون العلا وانحطت الرتب　　ومزقت شملها من حزنها الكتب

ونكست رأسها الأقلام باكية ... على القراطيس لما ناحت الخطب
وكيف لا وسماء العلم كنت بها ... بدراً تماماً فحالت دونك الحجب
ياشمس فضل فدتك الشهب قاطبة ... إذ عنك لا أنجم تغني ولا شهب
لما أصابك لاقوس ولا وتر ... سهم المنية كاد الكون ينقلب
ماحيلة العبد والأقدار جارية ... العمر يوهب والأيام تنتهب
لو افتدتك المنايا عندما فتكت ... بخيرنا لفدتك العجم والعرب
سقى ضريحك غيث العفو منسجما ... ولا ارتوت بعدك الأغصان والعذب
ولا استهلت عيون القطر باكية ... الا عليك وان حلت بك النوب
أمست لفقدك عين العلم سائلة ... ترجو الشفاء وأنى ينجح الطلب
بكت عليك السما والأرض واضطربت ... كأنما نالها من حزنها طرب
ما كنت أحسب قبل الموت ان لدى ... نصف النهار ضياء الشمس يحتجب
لو كان يدري فؤادي يوم نكبته ... كان الفداء وهذا بعض مايجب
بالرغم مني حياتي بعد مصرعه ... سيان فرقة من أحببت والعطب
قل للذي يدعي من بعده أدبا ... هيهات والله مات العلم والأدب
قضى الذي كان يزهو سيف فكرته ... بشاردات المعاني حين يقتضب
لو كانت السمر من أقلامه اشتبكت ... على المنية ماهتزت لها قضب
وافاه صرف القضا يسعى وفي يده ... كأس عليها المنايا والردى حبب
لاتطلبن من الأيام مشبهه ... عز الدواء وأنى يشتفى الوصب (١)
فما تريك الليالي مثله أبدا ... قد ينقضي العمر والآمال ترتقب
حلم وعلم وجود في الوجود له ... فضل وفيض سحاب دونه السحب
ليت المنام الذي في صدقه غصص ... قد حال من دونه في اليقظة الكذب
وليت أحكام أحلامي التي نفذت ... قضت بحتف أناس حلمهم غضب
أين المنايا وأين الشامتون به ... والمظهرون نفاقاً أنهم نكبوا
إن الكآبة لاتخفي سرائرهم ... قد يُعرفون بسيماهم وإن ندبوا

(١) الوَصَب : المرض والوجع الدائم.

إن يظهروا الجد من حزن فإنهم ... إذا خلوا بشياطين الهوى لعبوا
لايشمتوا ان للأيام منقلبـا ... عليهم والليالي أمنها رهب
ألم يروا كم أباد الدهر قبلهم ... من القرون وهم من بعدهم ذنب
آمالهم خيبت فيهم وما علموا ... إن المنايا لها في حيهم طنب
لكنهم قوم سوء طال عمرهم ... وقصروا في العلا هذا هو السبب
لو لم يكن خيرهم والله يرحمه ... ماعاجلته المنايا وانقضى النحب
إنا فقدنا البقايا الصالحـات به ... والصبر عز وجل الويل والحرب
من للقوافي التي كانت محجبة ... إذا بدت وهي بالأحزان تنتقب
لقد سبتها المراثي في منـاقبه ... ودمعها في انسجام هامل سرب
كأن كهف المعالي لم يكن أبدا ... للناس عوذاً إذا ماحلت الكرب
لم يبق في الأرض شيء بعده حسن ... إلا خلال له تعزى وتنتسب
لما دعاه الى الفردوس خالقه ... لباه شوقاً وكادت مهجتي تثب
طافت عليه بها الولدان حاملة ... من اللجين كؤوساً ملؤها ضرب(١)
والحور مذ جاءها قالت مؤرخة ... بشرى فقد جاءنا المقصود والأرب

٥١٢ ٢٣٩ ٢٧١ ٢٤٠ سنة ١٢٦٢

وقال فيه أيضاً وقد سئل رثاه :

قالوا قضى حسن المناقب فارثه ... فأجبتهم ومدامعي تتحـدر
لا أستطيع رثاء من لمصـا به ... أضحى لساني في فمي يتعثر

وكانت وفاة هذا الهمام العلي القدر في رمضان كما تقدم سنة الف ومائتين واثنتين وستين بداء الصدر رحمة الله عليه .

---

(١) الضرب : العسل الأبيض الغليظ .

الشيخ حسن افندي المعروف بالدرويش الموصلي

النجيب الأريب ، واللبيب الأديب ، أعجوبة الزمان ، ونادرة الوقت والأوان ، الذكي الالمعي ، والسميدع [١] اللوذعي ، كان من أعجب العجائب في عصره ، مميزاً شهيراً في مصره ، طاف البلاد والنواحي ، وجال في الممالك والضواحي ، واطلع على عجائب المخلوقات ، وعرف الكثير من الألسن واللغات ، ويعتزي لكل قبيل ، ويخالط كل جيل ، فمرة ينتسب الى فارس ، وتارة الى بني مكانس ، ومرة ينتمي الى هندستان وأخرى الى أفغانستان ، فكأنه المعني بما قيل ، في غابر الاقاويل .

طوراً يمان إذا لاقيت ذايمن وان رأيت معدّيا فعدناني

هذا مع فصاحة لسان ، وقوة جأش وجنان ، والمشاركة في كل فن من الرياضيات ، وطول الباع في المحاضرة والادبيات ، حتى يظن السامع كل الظن ، أنه منفرد في ذلك الفن ، وليس الامر كذلك ، وانما قوة الفهم والحفظ والقابلية سلكته هذه المسالك ، فحاز على رتبة الترقي ، من غير حاجة الى الاخذ والتلقي ، وساعده انقراض أهل الفنون ، فكاد أن يتكلم بما لايفهمه الحاضرون ، ومع ذلك يحفظ اصطلاحات الفن وأوضاع أهله ، ويبرزه في الفاظه ينمقها ويرونقها تدل على عدم جهله ، ويذكر أسماء كتب مؤلفة وأشياخا يستند اليها ، يقل الوصول والاطلاع عليها ، ولمعرفته باللغات خالط كل ملة ، فيظن من خالطه أنه منهم من غير علة ويحفظ كثيراً من الشبه العقلية ، والعقائد والبراهين الفلسفية ، مع اهماله الواجبات الشرعية ، والفرائض الدينية القطعية ، وربما قلد كلام الملحدين ، وشكوك الخارجين المارقين ، وكثيراً ماكان يزلق في بعض المجالس ، فيطلق لسانه بغلطات من ذلك ووساوس ، فلذلك طعن الناس عليه في

---

(١) الشريف ، والكريم ، والشجاع .

الدين ، وأدخلوه في فرقة الملحدين ، وساءت فيـــه الظنون ، وكثر عليه الطاعنون ، وصرحوا بعد مـــاله بما كانوا يخفونه في حياته اتقاء لشره ، وتباعداً من ضره ، لانه كان له تداخل عجيب في الاعيان ، وذوي السلطان والشان ، ومع ذوي الصولة ، من كل دولة ، ولم يزل يعلو ويسمو ، ويعظم قدره وينمو ، الى أن أصابه مرض خفيف وكان له مجلس عظيم في قلعة مصر قد وضعته الدولة المصرية بهـــا رئيسا على المتعلمين ، فنزل من القلعة وافتصدَ وعـاد ، وعنده حنق على بعض المتعلمين فضربه بشدة فانحلت الرفادة وسال منه دم كثير فحم على أثر ذلك واستمر اياما الى ان توفي ، ودفن في جامع السراج البلقيني بين السيارج ، وعند ذلك زاد قول الشامتين وصرحوا بما كانوا يخفونه في حياته ، فمنهم من يقول مات رئيس الملحدين ، وآخر يقول انهدم ركن الزنادقة المارقين ونسبوا اليه ان عنده الذي الفه ابن الراوندي لبعض اليهود ، وسماه دافع القرآن ، وانه كان يقرأه ويعتقد به ، واخبروا بذلك رئيس الحكومة ، فطلب كتبه فتصفحوها فلمْ يجدوا بها شيئا من ذلك . وكانت وفاته يوم الخميس السابع والعشرين من جمادى الثانية سنة احدى وثلاثين ومائتين والف .

الشيخ حسن بن احمد بن نعمة الله الحلبي الشافعي

الفقيه الفاضل ، والعالم العامل ، المقري الديّن الناسك الصالح ، أحد القراء المعروفين بجودة الحفظ والتلاوة والأداء الراجح . ولد في حلب سنة خمسين ومائة والف ، وقرأ القرآن العظيم وحفظه على عبد القادر المشاطي ، وجمع القراءات السبع على طريق الشاطبية بالتلقين من شيخ القراء الشمس محمد بن مصطفى البصيري التلحاصدي ، وأبي اليمن محمد بن طه العقاد ، وأتقن وبرع وحفظ وسمع قصة من صحيح الامام أبي عبد الله

محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي على أبي السعادات طه بن مهنا الجبريني وسمع البعض من الصحيح المذكور وبعض كتب الحديث على أبي اليمن المذكور ، وعلى الشيخ علاء الدين محمد بن محمد الطيب المغربي المالكي الفاسي نزيل المدينة المنورة لما قدم حلب ، وعقد مجلس السماع والتحديث بالجامع الأموي ، وأجازه بالإجازة العامة مع من حضر ، وتفقه على أبي محمد عبد القادر بن عبد الكريم الديري الشافعي ، وأبي زكريا يحيى بن محمد المسالحي ، وقرأ العربية على الشهاب أحمد بن محمد المخملي ، وأبي محمد عبد الوهاب بن أحمد الأزهري المصري ، وغيرهم . وكان يستقيم غالب أوقاته في الجامع الأموي في حلب ، يتلو القرآن العظيم دراسة وتعليما مع الديانة والصلاح . توفي سنة الف ومائتين ونيف وعشرين .

الشيخ حسن بن عبد الرحمن الكليسي الحنفي ابو محمد

العالم الفاضل المتقن الأصولي المنطقي المفسر ، الزاهد الورع التقي النقي المستبصر ، مولده بكليس سنة ثمان وستين ومائة والف ، وقرأ بها القرآن العظيم ، وبعض المقدمات على الشيخ أبي بكر البستاني ، ثم اشتغل بالتحصيل والأخذ ، فقرأ على أبي عبد الله محمد المرعشي النحو والصرف ، وعلى الشيخ مصطفى اكسيوركي رسالة في المنطق ، وأخرى في الآداب ، وعلى فخر الدين عثمان المفتي الشهيد شرح الشمسية ورسالة في الآداب ، ثم ارتحل إلى عنتاب ، وقرأ بها على المحقق أبي حفص عمر بن محمد العنتابي الأوشاري البعض من كتب المنطق والمعاني والبيان ومصطلح الحديث والفقه ، وقرأ على أبي عبد الله محمد الضعيفي العنتابي حصة ً من تفسير البيضاوي ، وحصة ً من الصحيح للامام البخاري ، وملتقى الأبحر لابراهيم الحلبي ، وعلى أبي الثنا محمود المقرىء المفتي حرز الأماني وختم عليه القرآن العظيم للسبع على طريق الشاطبية . ثم ارتحل إلى توقات وقيصرية وبهنسة ، واشتغل على الفحول من علماء تلك البلاد ، كالبرهان ابراهيم التوقاني ، وأبي عفان

عثمان المفتي ، والسراج عمر الخربوطي ، وأبي عبد الله محمد بن الحسين الحجابي ، وغيرهم . وقرأ الكتب المطولة في غالب العلوم والفنون ، وقدم حلب وقرأ بها أكثر الصحيح للبخاري ، وحصةً من صحيح مسلم ، ونخبة الفكر وحصةً من تفسير القاضي البيضاوي ، على أبي اليمن تاج الدين محمد بن طه بن محمد العقاد وسمع عليه وأجاز له ، ودرس بحلب ، وأقرأ واشتغل بالإفادة ، ثم ولي تدريس المدرسة العثمانية ودرس بها ، ولازمه جماعة . وكان من العلماء الأذكياء والفضلاء المشهورين ، وقد اجتمع فيه بحلب سنة خمس ومائتين والف خليل افندي المرادي مفتي دمشق الشام ، وكل منهما قد أسمع الآخر من فوائده . ولم أقف على تاريخ موته ومحل دفنه (١) .

السيد حسن بن أحمد بن أبي السعود محمد بن أحمد ابن محمد بن الحسن الحلبي الحنفي الشهير كأسلافه بالكواكبي الزهراوي الحسيني السيد الشريف بدر الدين

الفاضل الالمعي ، والكامل اللوذعي ، كعبة الادباء ، ونخبة العلماء ، من اشتهر بالفضائل ، وشهد له السادة الافاضل .

مولده في ذي الحجة سنة ثلاث وستين ومائة والف ، ونشأ بكنف والده وقرأ ونبل ، وأقبل على العلم حتى حصل ، وكان له في الادب والشعر

(١) أقول : بعد أن نقل الأستاذ الطباخ في تاريخ حلب هذه الترجمة بالحرف ، عن تاريخ الأستاذ الجد وقال ا هـ (حلية البشر) زاد ماملخصه : كان قدومه (أي المترجم) الى حلب في حدود سنة الف ومائتين ، ثم عين مدرساً للمدرسة العثمانية بعد وفاة مدرسها ، لمعرفته باللغة التركية ، وذلك على مقتضى شرط واقفها أن يكون أحد مدرسيها عالماً بهذه اللغة ، (الى أن قال) : وكانت وفاته سنة الف ومائتين وخمسين ، ودفن في تربة الجبيلة في أوائلها من الجهة الغربية ، وحوله قبور ذريته ، وهو جد الأسرة الشهيرة بحلب المعروفة ببيت المدرّس . (ا هـ ج ٧ ص ٢٥٤) .

اليد الطولى ، وتولى منصب الافتاء العام من طرف السلطان في مدينة حلب ، وكان حسن الاخلاق كريم الطباع ، وكان له تردد عظيم ومحبة صافية مع العالم الشريف خليل افندي المرادي مفتي دمشق الشام حينما كان في حلب . ولما مرض المترجم المرقوم وعاده خليل افندي وكان قد أشرف على الصحة أنشده من لفظه لنفسه وذلك سنة خمس ومائتين والف قوله :

قد كنت مضنى عليلا وصار جسمي نحيلا
وليس لي من طبيب يبري لدائي غليلا
فأنعم الله مولى بين الانام خليلا
من خير أصل وفرع مفضلا وأصيلا
من آل بيت المرادي مشرفاً وجليلا
أنعم به من كريم قد حاز مجداً أثيلا
أباؤه الغر قوم أوفوا الكمال الجزيلا
فكم لهم من سجايا تولى العطاء النزيلا
كانوا ملاذاً وذخراً لمن غدا مستنيلا
وبيننا إنتساب جيلاً وجيلاً وجيلا
وجدهم قطب وقت أعني المراد الجليلا
وإنه شيخ جدي به يؤم السبيلا
ونجله كان شيخا لوالدي مستميلا
وأنت ياخير نجل أرجوك اذنا وقيلا
تحيي مآثر قوم شادوا العماد الطويلا
لازلت غوثا وغيثا وبالايادي همولا

وأنشد لنفسه أيضاً :

ياخليلي ومنيتي ومرادي طيب الاصل يارفيع العماد

جامع الفضل والمحاسن طرا ذو بهاء وكامل في الوداد
حيث وافيت منزلي زال مابي من عناء وطاب مني فؤادي
صانك الله من صروف الليالي وحماكم من أعين الحساد
لم تزل في سعادة وسرور ملجأ القاصدين من كل ناد

فكتب اليه خليل افندي هذه الابيات يمدحه ويثني على أسلافه ، وأسمعه إياها من لفظه ، وهي من لزوم مالا يلزم :

مجد بني الزهراء والكواكبي يزاحم الجوزاء بالمناكب
ونسب علا لهم وغيرهم يفخر في بيت كما العناكب
لقد رقوا من العلا منازلا تحسدها زواهر الكواكب
هو جمال الوقت لازالوا به أعزة وزينة المواكب
حيا ربوعاً وحمى يضمهم من الحيا كل ملث [1] ساكب

ومن نظمه أيضاً يمدح بني المرادي حين شرفوا الى حلب :

حبذا حبذا اتفاق الزمان بموافاة سادة العرفان
يارعى الله يومنا حيث فيه شرفوا حيّنا ونلنا الاماني
قادة شيدوا منار المعالي وعلاهم يعلو على كيوان
صفوة الشام بل هم الانجم الزهر وأقمار ذروة الدوران
عن ثقات لقد سمعنا علاهم فعرفنا مصداقها بالعيان
هم مرادي وبغيتي ومرامي ثم قصوى بشائري وأماني
منهم سيد همام بهي كامل الذات غرة الاعيان
روح انس ونزهة الدهر حقا ذو صلاح وعابد الرحمن
خصه الله بالكمال مع اللطف وأولاه بالعلى والشأن
وكذا الفاضل الوقور عليّ من علا بالتقى وحذق البيان

---

(١) ألث المطر : دام أياما .

جوهر خالص ودر نضيد   فاق إجلاله على الاقران
إن أجاد النظام نذكر قسا   أو أفاد العلوم كالنعمان
وكذا المصطفى الشقيق المصفى   بارع الذهن حائز الافتنان
من له في العلوم ذوق وتوق   وترق بها وصدق اللسان
وكذا الكامل الاديب سمي   حسن الذات من بني الاسطواني
لايزالون في نعيم من العيش   مقيم على مدى الازمان

فأجابه مجد الدين المرادي

حبذا حبذا بلوغ الاماني   وبشير وافى بعقد الجمان
جاءنا مخبراً بأي سرور   وحبانا وعمنا بالتهاني
نحمد الله صح جسم المعالي   بدر أفق العلوم بحر المعاني
وبه أصبح الزمان معافى   من سقام الكدور والأحزان
يالها نعمة تعم البرايا   غمرتنا باللطف والاحسان
أيها السيد الهمام المفدى   معدن الفضل روح هذا الزمان
حسن الذات والصفات المسمى   حسناً والكتاب كالعنوان
يا ابن قوم تزينت بحلاهم   حلب وازدهت على البلدان
طلعوا في العلا كواكب علم   وهمى جودهم بكل مكان
جمع الله فضلهم فيك حتى   حزت ما عنه كلّ كل لسان
وملكت القلوب باللطف بهوى   الك كالبيت كل قاص ودان
وسحرت العقول بالنظم مما   فيه من رقة وحسن بيان
ياله مفحماً ولله عقد   منه وافى يروق حور الجنان
ماظننا من قبله النجم ينصا   غ حلياً وزينة للحسان
حفظ الله حاذقاً صاغ هذا الشعر   فضلاً يهدى إلى الاخوان
وكفاه شر الحسود وأبقى   جاهه شامخاً على كيوان

بالفاً مايروم والعيش صـــاف في نعيم وصحة وأمـان
مع أهليه والبنين خصوصـــا وجميـع الأحباب والخلان
ماحـــلا ذكره الجميل وغنت صادحات الحمام في الأفنـان

وتوفي سنة الف ومائتين ونيف وعشرين تقريباً رحمة الله تعالى عليه (١)

الشيخ حسن بن عبد القادر بن مصطفى بن عبد القادر التادفي الشافعي

الشيخ أبو محمد الفقيه المقريء ، مولده بتادف سنة خمس وخمسين ومائة والف ، وقرأ القرآن العظيم وحفظه على أبي محمد عبد الرزاق المكتبي ، وارتحل الى حلب وتوطنها ، وتفقه بأبي محمد عبد القادر بن عبد الكريم الديري وغيره ، وكان صالحاً تقياً نقياً زاهداً عابداً ديناً كريماً ، توفي رحمه الله سنة الف ومائتين و ...

الشيخ حسن الهابط

المجذوب لمولاه ، والمنقطع عمّا سوى الله ، صاحب الكرامات الظاهرة ، والخوارق العجيبة الباهرة ، ولد سنة الف ومائتين وعشرين ، ونشأ في حجر

---

(١) في تاريخ حلب الشهباء (ج ٧ ص ١٨٨) بعد أن نقل ترجمة الأستاذ الجد له ، قال : وترجمه الشيخ عبد الله العطائي في رسالته : الهمة القدسية المدرجة بتمامها في ترجمته الآتي ذكرها : ومن آثاره كتاب سمّاه (النفائح واللوائح من غرر المحاسن والمدائح) جمع فيه نظم والده ، وما مدح به من شعراء عصره ، وما مدح به أسلافه ، وعقد لكل واحد من هؤلاء الشعراء ترجمة .. وكانت وفاته كما هو محرر على قبره في جامع جدّه أبي يحيى في رجب الفرد سنة الف ومائتين وتسع وعشرين رحمه الله تعالى .

والده ، وعلمه صنعة حياكة الحرير ، ثم غلب عليه الجذب والسكوت وترك الحياكة ، ولازم الساحة المعروفة ، في ميدان الحصا بساحة الحمّام ، يعني حمام التوتة ، وهذه الساحه قد دفن بها جملة من السادات المجاهدين ، وبها قبورهم ظاهرة مشهورة مقصودة بالزيارة ، غير انه لم يعرف من اسماء أصحابها إلا الشيخ حرب والشيخ موسى ، وكثير من الناس قد حفروا في تلك الساحة فوجدوا بعض المدفونين بها بحالهم ، وعندهم بعض اسلحة من الطرز القديم ، كالسيف والنشاب والدرقة ، واذا الانسان مر بين قبورهم في ليل أو في نهار يجد انساً وروحانية وفرحاً وسرورا ، نسأل الله تعالى أن يلهم أهل الحمام الذي في جوارهم صيانتهم واحترامهم من فرشي الزبل والأقذار التي يفرشونها بين قبورهم وعلى مدافنهم المدروسة فان القبور تصان لاتبتذل وتهان ، خصوصا قبور السادة المجاهدين في سبيل الله ، فان من آذاهم وان أمهل لا يهمل ، نسأل الله الحماية ، والحفظ والوقاية (١) ثم نرجع الى المترجم فانه رضي الله تعالى عنه كان ملازما للوقوف في هذه الساحة ، ويتردد بها قليلاً ولا يخرج عنها ، وكان في أيام الشتاء والبرد ينزل عليه المطر الغزير والثلج الذي ربما يرتفع على الأرض ذراعا ، ولا يتظلل ولا ينتقل ، حتى انه مرة كان واقفاً فنزل الثلج وكثر ، فجلس على الأرض وجلل عليه الثلج حتى ستره بالكلية ، فتفقده الناس فلم يجدوه ، ففتشوا عليه فوجدوه مستوراً في الثلج ، فحينما وجدوه وأزاحوا الثلج عنه خرج البخار من عنده ، وكأن محله فيه نار ، ولما نظروا اليه وجدوه ضاحكاً باسماً يتكلم بكلام لا يعرفونه ولا يفهمونه ، لأنه كان يهمس في الكلام همسا ، وكان لا يلبس على جسمه سوى قميص وبوطية من الصوف ، وكان إذا أظهر المحبة الى انسان شمه بانفه ،

---

(١) لقد جمعت العظام من تلك القبور ، ووضعت في قبر واحد ، وأقيم مكانها ملجأ ، وغرس فوقه أشجار .

وكان دائما نظره الى الارض مطرقاً برأسه يدور في محله ويتردد ، كأنه محتار مدهوش واقع في مهم عظيم . وفي سنة ثلاث وستين ومائتين والف ، حينما طلب السلطان عبد المجيد والدي ودعاه الى ختان أولاده ، فكانت المكاتيب من والدي إلينا متواصلة ، الى أن انقطعت عنا المكاتيب مدة طويلة ، فصعب علينا الأمر ، وانشغلت أفكارنا وكثرت التأويلات في هذا الأمر من الناس ، فحصل عندنا جزع عظيم ، فخرجت من دارنا الى الجامع المعروف بجامع الدقاق في الميدان الذي هو في محل اقامتنا وصلاتنا وقراءتنا ، وكان اليوم يوم خميس ونحن في غاية الضيق ، فوجدت المترجم يتردد أمام حجرة والدي ، ولم يكن له عادة في الانتقـــال من الساحة المتقدمة ، فاستغربت الأمر كثيرا ، وعرفت انه ما كان ذلك إلا لحكمة ، فتقدمت إليه وسألته ، فقال بلسان فصيح يأتي الشيخ يوم الاحد ، فقلت له وأي احد ؟ فقال يوم الاحد ، فكررت عليه وهو لا يزيد عن ذلك ، ففي ثاني يوم صباحاً ورد علينا المكتوب من بيروت بحضوره إليها ، وكان وصوله إلينا يوم الاحد كما قال المترجم . وكان كثيراً ما تأتي إليه جملة من اكابر المجاذيب ليلا ، فيجلسون عنده ويتذاكرون معه ، وإذا مر عليهم أحد سكتوا عن الكلام الى أن يبعد عنهم ، ورؤوسهم متدانية بعضها من بعض ، خوفاً من أن يسمعهم أحد . وأما صغار المجاذيب فانهم لا قدرة لهم على المرور من محلته ، حتى لو جرهم احد يتمنعون من مطاوعته ، ويظهرون الخوف والتباعد ، ومع حالته رضي الله عنه وعدم كلامه كان جماليـــاً لا جلاليا ، يأنس الانسان به ، وليس له حالة فظيعة ولا مسبة ولا كلام بشتمٍ ولا غيره ، كما يحصل من بعض المجاذيب ، بل كان يسكت عند كلام الناس ولا يجاوب أحداً إلا في بعض الأوقات ، إذا كان السرور متجلياً عليه . ولم يزل على حاله الى أن توفي عاشر ربيع الأول سنة ست وسبعين ومائتين والف

ودفن في جبانة باب الله . (١)

السيد الشيخ حسن افندي بن السيد سليم الدجاني الحنفي اليافي المتصل نسبه بالسيد المصطفى ﷺ

العالم الأديب ، والنحرير الاريب ، والهمام الفاضل ، والإمام العامل ، حبر العلوم العقلية والنقلية ، وبحر درر المنظوم والمنثور والمعارف السنية ، المتفنن في اللغات الثلاث العربية والفارسيه والتركية ، والمعتمد عليه في أمانة الفتوى الشرعية .

ولد في مدينة يافا سنة الف ومائتين وحدود الثلاثين ، ونشأ في حجر والده وقرأ عليه بعض الفنون ، ثم انتقل الى الجامع الأزهر المصون ، فحضر دروس السادة الأكابر ، الى أن صار يفتخر به الحاضر على الغابر ، ثم عاد بعد التكميل ، ونال في محله أرفع مقام جليل ، الى أن ولى بيافة المحروسة أمانة الفتوى ذات البها ، وكانت لا تليق إلا له ولا يليق إلا لها . ولقد اجتمعت به عام توجهي الى الرحاب القدسية ، لزيارة الأماكن العلية ، فقطعنا مدة إقامتنا في يافا في مذاكرات علمية ، ومطارحات أدبية .

من كل معنى يكاد الميت يفهمه　　حسناً ويعشقه القرطاس والقلم

فكنا تارة نتذاكر في أخبار من سلف ، وتارة نتفاكه في بدائع الملح والطرف ، وآونة نجول في معاني المسائل الشرعية ، وآونة في معاني الأحاديث والآيات القرآنية ، وسأل مني عن المعرفة في الربع المجيّب والمقنطر ، وأخبرني أنه قرأ المجيّب لا المقنطر فطالعته معه أياماً ولم

---

(١) قلنا في مقدمة هذا الكتاب : ان المؤلف رحمه الله ، قد وصف فيه عصره ، وجرى فيه على طريقة المحبي والمرادي ، فإن تواريخهم مرآة لعصورهم على اختلاف الرجال والأحوال ، وقد نقلوا جمعاً بعض مايؤثر عن بعضهم من حكايات غريبة ، أو أمور مبتدعة ليست في كتاب ولا سنة ، كما يرى القارىء في تعليقاتنا على كثير منها بالكلم الوجيز .

نقض من التكميل الوطر ، لأنه قد ضاق الوقت ونحن على جناح السفر ، غير أنه حصل عنده المام ، يقتدر به على تحصيل المرام . وكان جسوراً حسن الأخلاق ، حقيقاً باللطف والوفاق ، جميل الذات كامل الصفات ، عفيفاً زاهداً ، ورعا عابدا ، متحريا للصواب ، في السؤال والجواب ، محبوبا عند الناس ، مجلسه لايمل لما فيه من الملاطفة والايناس ، لين الجانب متواضعا ، متذللا لمولاه خاضعا ، حسن الأوصاف ، متواصل الأضياف ، له شهرة حسنة ، وآثار مستحسنة ، وجاه عال رفيع ، وقدر سام بديع ، وجلالة في القلوب ، وهيبة فوق المطلوب والمرغوب ، وهيئة تشهد له بفضله وعلاه ، وهمة سامية تقضي له بأنه زينة الكمال وحلاه ، ولما توجه حضرة العالم الأفخم ، والصدر الأبهى الأعظم ، سيدي الإمام الامير السيد عبد القادر بن السيد محي الدين الجزائري إلى بيت المقدس الشريف للزيارة مر في طريقه على مدينة يافا ، ونزل في دار العالم العامل الشهير الشيخ حسين الدجاني ، فقدم أخوه المترجم المرقوم لحضرة الامير السيد عبد القادر هذه القصيدة وهي :

عهدنا بغرب مطلع البدر مشرقا ... وإنا نراه الآن قد لاح مشرقا
وللغرب أصل الفضل إذ هو مطلع ... وإن يك ذاك البدر في الشرق أشرقا
رعى الله بدراً قد سرى بمحمد السرى ... الى الحرم القدسي وهام تشوقا
فلله من يوم به وصل المنا ... وجاد بشير الانس بالوصل واللقا
وأشرقت الدنيا بطلعته التي ... بدت شمس حسن نورها قد تألقا
بروحي أفدي من علقت بحبه ... وأضحى اليه اللب بالرهن موثقا
سما في سما العليا كمالاً وبهجة ... ولطفا وظرفا فوق عرش البها ارتقى
لطلعته تعزى المحامد مثلما ... لحضرة محي الدين حمدي تحققا
ومرآه عيد للتهاني كمقدم ... لمولاي عبد القادر السامي مرتقى
إمام محاريب الافاضل جامع ... لكل كمال في الانام تفرقا
همام بيوم الحرب أثنت حرابه ... عليه وفي المحراب أضحى موفقا

طويل نجاد وافر الفضل كامل ... بسيط الندى قد فاق فهما ومنطقا
وما هو إلا سيد وابن سيد ... له المحتد العالي من الدر منتقى
مليك إذا ما أم ساحة جوده ... أسير العنا في الحال منّ وأعتقا
حوى البأس والمعروف والجدو الذكا ... وحاز المعالي والمكارم والتقى
ولا عيب فيه غير أن عطاءه ... أبان لعجز الشكر لما تفتقا
سل الصارم المندي عنه فإنه ... يحدث عن فضل به الضد صدقا
وليس لماضي عزمه من مضارع ... لعليائه الامر انتهى وتعلقا
زهت جلق مذ رامها منزلاً له ... فزِدْ من بروج البدر في العدّ جلقا
وأضحت دمشق مذ أناخ بسوحها ... كجنة خلد نشرها قد تعبقا
وكنا سمعنا من مآثر فضله ... فهمنا على حب السماع تعشقا
فكان عياناً فوق ماوصفوا لنا ... وشاهدتُ فرداً بالكمال تخلقا
وحاشاه أن أحصي بمدحي نعوته ... وهل يحص ودق (١) في البرية أغدقا
وما الشعر من دأبي ولا أنا أهله ... وإن أك أحيانا به متعلقا
ولكن أياديه التي عم فضلها ... وحبي لآل المصطفى العروة الوثقى
دعاني الى هذا القريض وانني ... مقر بتقصير به أطلب العتقا
أمولاي محي الدين والسيد الذي ... على فضله الاجماع قام وأطبقا
هنيئاً هنيئاً بالقدوم الذي به ... لقد أقبل الاقبال واستدبر الشقا
ووافى الوفا (يافا) بكم وتشرفا ... وفاقت على الامصار فخراً ورونقا
فبشراك يابدر العلا بزيارة ... بها فتح تقريب لما كان مغلقا
ولا زلت في أوج السيادة راقيا ... ودام لك الاسعاد والعز والبقا
وهاك عروساً في مديحك قد حلت ... بحلي ثناكم جيدها قد تمنطقا
على خجل وافت تؤم رحابكم ... فمن عليها بالقبول تصدقا

---

(١) الودق : المطر اهـ .

وصل وسلم يا الهي تكرمـــا | على المصطفى خير الخليقة مطلقا
وآل كرام ثم أصحاب هديه | مدى الدهر ماغصن المسرة أورقا
وما حسن نجل الدجاني قد شدا | وقال بمن من كنجم السهى رقى
وأضحى بيمن بالقدوم مؤرخا | الى المسجد الأقصى سرى يطلب التقى

ثم قدمها اليه فحظيت منه بالقبول ، ونالت من الالتفات غاية المأمول ، وكان حضرة الأمير يعظم المترجم ويظهر له الحب والوداد ، لما كان منطويا عليه من الأدب واللطف وحسن المذاكرة والمحاضرة وفصاحة اللسان وحسن الهيئة وجمال الخصال الممدوحة .

وفي منتصف شوال سنة الف ومائتين وأربع وسبعين توجه مع أخيه المرحوم العلامة الشيخ حسين الدجاني مفتي يافا الى الحجاز وقبل توجههما نظم أخوه قصيدة يطلب بها الاذن من حضرة النبي ﷺ بالحج وأولها :

ياطائر البان خذ مني مراسلة | لروضة قد حواها أشرف الرسل

وقد شطرها المترجم وذيلها ونص الذيل قوله :

يا كعبة الجود ياشمس الوجود ويا | بدر الشهود على علياك متكلي
بالله خذ بيدي عطفاً ومُنَّ على | عبد مشوق قليل الحول والحيل
فارحمه يارحمة الدارين ياسندي | وكن شفيعي يوم العرض من خجلي(١)
أرجو الوصال فقد طال المدى ولقد | قل اصطباري ووجدي غير منفصل
لناظم الاصل مفتي العصر جد وعلى | أخيه وهو أبو الاقبال يا أملي

وله تشطير بيتي أخيه الموجودين في ترجمته بعد هـــذه الترجمة ، وله أبيات كثيرة ، وقصائد شهيرة ، موجودة في ديوان شعره ، المحتوي على

---

(١) للشفاعة الشرعية شرطان : الإذن من المولى سبحانه للشافع والرضى عن المشفوع له ، قال تعالى : « يومئذ لاتنفع الشفاعة إلاّ من أذن له الرحمن ، ورضي له قولاً » سورة (طه) الآية ١٠٩ .

نظمه وبعض من غرر نثره ، واذا أردت الإطالة فيما له من المنـاقب والآثار ، والفضائل وجميل الأخبار ، خرجت عن المطلوب من الاختصـار ، عليه رحمة العزيز الغفار ، مات سنة الف ومائتين ونيف وتسعين ودفن في مقبرة يافا وقبره ظاهر مشهور يزار ويتـبرك بزيارته .

الشريف الحسن بن علي البدري العوضي

السيد الأفضل ، والسند الأكمل ، المقري بن المقري ، والفهامة الذي بكل فن يدري ، والبدر الذي أضاء في ليالي العرفان ، والصـدر الذي أوضح دقائق المشكلات بإتقان ، فلله دره من فاضـل أبرز درر اللطائف من كنوزها ، وكامل كشف عن محيا الطرائف لثام رموزها ، فأظهر الأنفس من نفيسها ، وجنى ثمار حكمها من أفنان غريسـها ، ولعمري إنه بذلك جدير وحقيق ، كيف لا وهو الهمام الذي به كل مدح يليق . ربي في حجر والده المصون ، وحفظ القرآن والمتون ، وأتقن القراءات الأربع عشرة ، وحضر أشياخ الوقت وأنجب ، وقرأ الدروس ونظم الشعر وأطرب وأغرب ، وشهد له الفضلاء ، والسادة العلماء ، وله ديوان مشهور بين الناس ، قد امتدح فيه العلماء والأعيان الأكياس ، وبينه وبين الصـلاحي وقاسم بن عطا الله مطارحات أدبية ، ومذاكرات شعرية ونثرية ، ومن مطارحات العالم العلامة ، والجهبذ الفهامة ، الشيخ محمد الأمير ، ذي الفضل الشهير ، للمترجم قوله :

حي الفقيه الشافعي وقل له ... ما ذلك الحكم الذي يستغرب
نجس عفوا عنه ولو خـالطه ... نجس فإن العفو باق يصحب
وإذا طرا بدل النجاسة طاهر ... لاعفو يا أهل الذكاء تعجبوا

فأجابه المترجم بقوله :

حييت إذ حييتنـا وسألتنـا ... مستغرباً من حيث لا يستغرب

العفو عن نجس عراه مثله من جنسه لا مطلقا فاستوعبوا
والشيء ليس يصان عن أمثاله لكنه للأجنبي يجنب
وأراك قد أطلقت ماقد قيدوا وهو العجيب وفهم ذلك أعجب

ومن نظمه مؤرخاً لمولد السادات بني الوفا قوله :

قصدناكم فأثنينا عليكم بأجمل مدحة وأجل صيغة
وشاهدنا الذي جددتموه فأرخنا موالدكم بليغه

وله في مدائح الاستاذ أبي الأنوار بن وفا قصائد طنانة وغير ذلك ، وهو كثير مذكور في ديوانه . وله أيضاً تآليف وتقييدات وتحقيقات ورسائل في فنون شتى ، ورسالة بليغة في قوله تعالى « أستكبرت أم كنت من العالين »[1] وكان الباعث له على تأليفها مناقشة حصلت بينه وبين الشيخ أحمد يونس الخليفي في تفسير الآية بمجلس علي بك الدفتر دار ، فظهر بها على الشيخ المذكور ، وأجازه الأمير المذكور ، بأن رتب له تدريسا بالمشهد الحسيني ، ورتب له معلوما بوقته ، وقدر له كل يوم عشرة انصاف فضة يستغلها من جانب الوقف في كل شهر ، واستمر يقبضها حتى مات ، في شعبان سنة أربع عشرة ومائتين وألف ، ولم يخلف بعده مثله في معارفه وعوارفه .

السيد حسن حسني بن السيد محمد بن السيد اسماعيل ابن السيد محمد بن السيد درويش بن السيد عبد الله الاعوج الموصلي سكنا وموطنا وولادة المدني أصلا ينتهي نسبه الى النبي ﷺ القاضي العام بدمشق الشام

عالم الأوان ومصنفه ، ومقرظ البيان ومشنفه ، بتآليف كأنما

---

(١) سورة (ص) الآية (٧٥)

الخرائد [1] وتصانيف أبهى من القلائد، حلى بها من الزمان جيداً عاطلاً، وأرسل بها غمام الاحسان هاطلاً، ووضعها في فنون مختلفة وأنواع، وأقطعها ما شاء من اتقان وإبداع، واستوى من الأدب على أعلاه، وخاض لجوده حتى وصل الى منتهاه، فلا غرو أنه قطب مدار العلوم، وفلك اشراق المنطوق والمفهوم، وارشاد طريق الهدى، وميدان الحلم والنـدى، ولد سنة الف ومائتين وثمان وأربعين ونشأ في حجر والده، وما زال من حين صباه مكبّاً على الطلب حتى أولاه من الفضل ما أولاه، دعاه منصب القضاء لهامه تاجا، ورعاه لكل فضيلة سبيلاً ومنهاجا، وفي سنة الف وثلاثمائة وأربع في محرم الحرام، زاد الشام فضلاً بتشريفه متقلدا بقلادة القضاء العام، فاعترف بفضله الأفاضل، وأقروا اتصافه بأنواع الفضائل.

وله من التآليف الحسنة، والتصانيف المستحسنة، شرح الرائية في الحضرة الطائية، وشرح البرهان في المنطق، وله التفسير المسمى بفتـح الرحمن بتفسير القرآن، كتب فيه مجلدين الى سورة الأنعام، أحسن الله له البدء والختام، وله كتب أخر ورسائل، تدل على أنه من أجل ذوي الفضائل والفواضل، وحينما اطلعت على تفسيره، وأمعنت النظر والفكر في معـاني تقريره، وجدته التفسير الوحيد، يحق له أن يكون من منظوم التفاسير بيت القصيد، وقد كتب عليه تقريظاً أئمة عظام، وسادات كرام، وكنت فهمت من تلويح مؤلفه، ومنمقه ومصنفه، أن أكون داخلاً في عدادهم وإن كنت أحقر إنسان محسوب من آحادهم، فامتثلت الأمر وكتبت، وعلى الله توكلت:

بسم الله الرحمن الرحيم، حمداً لمن سرح عيون القلوب، في رياض رياحين الغيوب، وكشف عن محيا مخدرات معاني القرآن، حجاب الستر حتى برزت للشهود والعيان، فتجلت لها من مكنون الخيام عرائسها،

---

(١) جمع خريدة، وهي اللؤلؤة التي لم تثقب.

وبرزت من مصون الخدر نفائسـهـــا ، مطوقة الجيد بنظيم العقود ، متحلية بلباس قديم الألفاظ الفارقة بين الشاهد والمشهود ، وصلاة وسلاماً على المؤيد بمعجزات تتلى ، على ممر الدهور لاتخلق ولا تبلى ، فلم تصل الى لمسها يدُ فكر عن التمسك بالحق حائدة ، ولم يتطرق اليها سنان ألسنة لقبيح الطعن رائدة ، بل حميت حديقتها بحصون القول المصون ، « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » (١) فتمنعت بجيوش صولة الإعجاز ، عن رؤية جاهل لايفرق بين الحقيقة والمجاز ، وعلى آله الذين مهدوا منهـــاج البلاغة ، وأصحابه الذين امتثلوا أوامره وصدقوا بلاغه ، وعلى التابعين وأتباعهم الكرام ، إلى قيام الساعة وحشر الأنام .

أما بعد فإن روض الكلام القديم لاتزال أفنانه تترنح بنسمات القبول ، وثمرات أدواحه لايعتري نضارتها مدى الدهر ذبول ، وتلاوة آياته أشرف عبادة وأجل طاعة ، وخدمته على كل حال لذوي العرفان أجل بضاعة ، بيد أنه لايتيسر لكل إنسان الدخول لحرم فهم آياته ، ولا يرتقي ُمعانيه لمعالي َمعانيه ومجالي مرآته ، إلا بشرح يشرح القلب والخاطر ، ويجلو غين الاغيار عن عيون البصائر ، فلذلك شمر عن ساعد الجد والاجتهاد ، وحسر ذيل العوائق عن الوصول إلى أوج المراد ، حضرة المتحلي بحلية الفضائل ، والمتخلي عما لايعد من أكمل الشمائل ، جمال العلوم والمعارف ، المتفيء ظل ظليلها الوارف ، من أشرقت بسنا علومه مطالع بروجه ، واشتهر في الأقطار ارتقاؤه على مدارج عروجه ، المولى الهمام ، عمدة العلماء الأعلام ، فخري زاده السيد حسن حسني أفندي قاضي الشام ، بلغه الله في الدارين المراد والمرام ، فكتب من التفسير إلى سورة الأنعـام ، وذكر مايشهد له بأنه قد أولى الناس أولى منة وإنعام ، ولعمري قد رمى قلوب حساده بشرر كالقصر ، ونشر

---

(١) سورة الحِجْر ، الآية (٩)

أعلام فضله على هام علاه فهي تخفق بالنصر ، كيف لا وقد كان استمداده من فيض فتح الرحمن ، واستيفاؤه من بحر الوارد والإلهام والتنوير والوجدان ، فلذا كان هذا التفسير في التحقيق بيت القصيد من ديوان التفاسير ، يحسن صرف نقد العمر في اقتناء ما أودع فيه من أجل التحابير ، ويحق له أن يذكر ، ويثني عليه ويشكر ، ولسان حاله يخاطب موافيه ، وينادي علناً بملء فيه :

وأولاك الجميل بغير مطل وعن وجه الندى رفع الحجابا
وبل ثراك بالجدوى فحق عليك تصير التقريظ دابا

فلله تفسير جمع ماهو لطرف الدهر حور ، ولجيد العصر عقد يزدري بفرائد الدرر :

فتحُ الرحمن له تحنو مهج العلماء مدى الزمن
تفسير راق ورق وفا ق وجاء على أعلى سنن
إن كان فريداً لا عجب لاينكر حسن عن حسن
لازال مؤلفه يسدي مَن يمّمَه أوفى المنن

أدام الله إشراق فجر مجده ، وإبراق لوامع طوالع سعده ، وأدام به نفع العباد ، وحسم بقواطع حججه هام الأضداد والحساد ، ماتلا الفاتحة إمام ، وختم بالثناء والصلاة والسلام ، وحرر خامس ربيع الأول سنة الف وثلاثمائة وأربع ، بقلم الفقير أحقر الورى عبد الرزاق بن حسن البيطار ، عفا عنهما الملك الغفار اهـ . ثم ان المترجم المذكور له نظم بديع ، ونثر رائق رفيع ، وقد أسمعني حفظه الله جملة من قوله ، منه :

وقائلة هل علاك الشيب من كبر أم من هموم توالت مالها طب
أجبتها من بني الأوغاد ما حملت أكبادنا من كلام أسرع الشيب

ومنها في معرض التبريك لوصفي أفندي باشا كاتب شورى الدولة :

ومنحك نيشان المجيدي ثانيا دليل على مجد حوى الصدر أرفع

فصدرك وصفي بالكمال مرصع علي لنيشان الفضائل موضـع

ومنه في ذم « وان » ، وقد مكث بها في منصب القضا :

سائلي عن بلد وليتهـا كيف كانت نسبة بين النفر
إن ترم شرحاً لوانٍ موجزاً دار جهل وفسوق وكفر

ومن جملة ما أسمعني حفظه الله من نظمه ، وكان قد قـدمه للحضرة السلطانية ، قوله :

قلوص تخب البيد(١) من أرض موصل إلى موصل الآمال يبغي هجوعها
وتسكن إن وافت بروجا تزفمت بابصار قصر شاد ممكا يروعها
فيحلو بها مر الفيافي لراكب وثيق بمطال يروّي ربوعـها
وتذهله النعماء عن حب موطن تصورها يهدي اليه بديعهـا
بقسطنطينة الدنيا وسرة أرضها يضيء له قصد السرى ولموعها
للـثم أياد للخليفة أصبحت أياد على العافين يسدى صنيعها
وأعتاب سلطان سرادق ملكه يباهي بها سمك السماء ضلوعها
أمير لكل المسلمين ومـالك رقاب الملا عقداً حباه رفيعها
حميد المزايا مجده بـالغ السهى وشمس علاه أبهرتنا سطوعهـا
يبصر غاويهـا المحجة هديه ويشكر نعماه التقي مطيعهـا
بإشفاقـه الأرحام توصل في الورى بأيد أياديها يروق مريعهـا
ونيران ظلم كاد يسطو لهيبها بعدل أراه الناس كان هجوعها
جنى الدهر أنواع الرزايا فأظلمت عن الملة البيضا وبانت صدوعها
فقـام لحل المعضلات بهمة يضاهي الجبال الراسيات منيعها
فدام له شكر الأنام لراحة براحته العليا أعيد زموعها(٢)

---

(١) القَلوص من الإبل : الطويلة القوائم ، والباقية على السير ، وهي تقطع الفلوات .
(٢) عودها وثباتها .

فإنك ظل الله في الناس قائم ... على شرعة المختار تحيا فروعها
وأجنادك الفرسان في حومة الوغى ... أسود كأمثال الجبال جموعها
وأجدادك الغر الكرام بجدهم ... أضاءت بها البلدان حقا شموعها
وقد أكثروا فتح البلاد وأعمروا ... فأعلامهم في الحرب فاقت لموعها
لهم خدمة للدين من عهد فاتح ... وقبلاً وبعداً غير خاف صنيعها
فلا برح السلطان فاتح وقته ... حميداً على رغم الأعادي جميعها
ولا زال للعلم الشريف مرغباً ... لأهليه بالإحسان يدنو شسيعها
ولا برح الدين المبين بوقته ... كشمس وفي برج القلوب طلوعها
ولا انفكت الرايات تخفق نصرة ... كخفق قلوب الكافرين تربعها
أتيتك ظل الله شارح نسخة ... لبرهان ميزان فهان منيعها
هدية محتاج لأعتاب حضرة ... بإخلاص نفس اطمأنت ضلوعها
أرجي به فيضاً تعوده الورى ... لأحظى بألطاف نداكم يذيعها

وعقب تشريفه إلى دمشق ، قدم إلى حضرته صالح أفندي المنير هذه الأبيات :

بشرى دمشق بعدل ... يسمو بمصدر حق
قاضي القضاة الشريف ... الحسن خلق وخلق
علامة العصر حاوي ... أزكى صلاح ورفق
مذ جاء أنشدت بيتا ... مؤرخاً قول صدق
الشرع نادى هناء ... حسني بدا بدمشق

وقلت مرونقاً شعري بمدحه ، ومنوراً نظامي بمنثور أوراق دوحه :

مال بي الوجد قلبي حين مال ... اهيف قد شب في حجرا لدلال
ونسيم الفجر يثني عطفه ... لجنوب ويمين وشمال
مفرد في الحسن إلا أنه ... من سنا صدغيه قد ضاء الهلال
حينما يبسم خلت المبسما ... قفل مرجان على كنز اللآل

لو تراءى في الدياجي سافراً ... عن محيا قلت ذا بدر الكمال
صحت مذ أخفـاه عني شعره ... كيف يخفى البدر في داجي الليال
ما صبا يوماً لصب مدنف (١) ... قاده الوجد لسقم واعتدال
كم ليال بت ابكي عندمـا ... عند مـا أيقنت منه الاعتزال
كلما أشكو له فعل الجفـا ... مستغيثاً بالوفـا قال محـال
وانثنى عني وولى معرضـا ... يتهـادى بين تيـه ودلال
ظن بالهجران سلواني له ... لا ومن سواه فرداً في الجمال
عاذلي دع عنك عذلي واسترح ... ليس يلويني عن الحب مقال
قد نأى قلبي ولبي في الهوى ... واصطباري ضل والهجران طال
فأتني حتى متى اشكو النوى ... عوض الهجران عطفاً بالوصال
ليت شعري ما كفاني في الهوى ... ان جسمي صار من غير خيال
قد رماه الهجر في ضنك الضنا ... واعتراه السقم حتى قيل زال
هل غرامي للامي موجب ... واحتراقي فيك باقي لن يزال
من يلمني في هوى ريم (٢) رمى ... مهجتي ويلاه في اسوأ حال
هو عندي عادل مهـما بدا ... منه من هجر وصد وملال
فاق كل الناس في الحسن كما ... فاق فضلاً حسنٌ قطبُ الكمال
شبل ممدوح الورى محمد ... من رقى اوج التقى في كل حال
يا له شبل على متن العـلا ... قد علا خلقاً وخلقا وجمال
بحر علم مـا له من ساحل ... موجه يقذف دراً ولآل
طاهر من كل عيب سالم ... قد روى حلية اصحاب وآل
عنه أخبار المعاني حدثت ... انه فرد الورى كنز النوال

---

(١) من لازمه المرض .

(٢) الظبي الخالص البياض ، ومنه استعير للانسان .

عادل عن نهج جور عادل   صادق اللهجة محمود الخصال
حاكم بالحق لا يلويه عن   صدعه بالحق مال أو مقال
كيف لا وهو ابن من ساد الملا   منقذ الغاوين من غي الضلال
دام في عز إلى يوم اللــقا   كاسياً ثوب فخار وجمــال

مات المترجم رحمه الله في الاستانة وكان مفتش الأوقاف ، في حدود الألف وثلاثمائة وستة عشر رحمه الله تعالى .

حسين افندي بن علي افندي المرادي مفتي دمشق الشام

عالم عامل ، وإمام فاضل ، ولد في دمشق سنة الف ومائتين ، وغب أن قرأ القرآن ، وجوده على ذوي العرفان ، أخذ عن عمه خليل افندي ، وعن السيد شاكر مقدم سعد ، وعن غيرهم من علماء الشام ، ذوي المناقب والشمائل والفضل التام ، وقد تولى منصب الإفتاء عن استحقاق ، ولم يزل إلى أن دعاه داعي الفراق إلى الرفاق ، وكانت وفاته سنة الف ومــائتين وسبع وستين ، ودفن في مدفن بني المرادي في دارهم في سوق صاروجا [1] رحمه الله تعالى .

الشيخ حسين المعروف بابن الكاشف الدمياطي الرشيدي

العمدة النبيه ، والفاضل الفقيه ، تعلق بالعلم وانخلع من الأمرية والجندية ، وحضر أشياخ زمانه ، وعلماء وقته وأوانه ، ولازم الشيخ عبد الله الشرقاوي ،

---

(١) هو ابن أخي خليل افندي مفتي دمشق ، وصاحب التاريخ في أعيان القرن الثاني عشر . انتخب المترجم ، وانتقلت اليه الفتوى بعد وفاة والده ، وكان عنده عدة أمناء للفتوى من الجهابذة ، أحدهم السيد محمد أمين عابدين . وكان فقيهاً فاضلاً كريم اليد ، تهابه الأمراء والعلماء .

وانتقل من مذهب الحنفية إلى الشافعية لملازمته لهم في المعقول والمنقول ، وتلقى عن السيد مرتضى أسانيد الحديث والمسلسلات ، وحفظ القرآن في بداية أمره برشيد ، وجوده على السيد صديق ، وحفظ شيئاً من المتون قبل مجيئه إلى مصر ، وأكب على الاشتغال في الأزهر ، وتزيا بزي الفقهاء بلبس العمامة والفرجية ، وتصدر ودرّس في الفقه والمعقول وغيرهما .

ولما وصل محمد باشا إلى ولاية مصر اجتمع عليه عند قلعة أبي قير فجعله إماماً له يصلي خلفه الأوقات وحضر معه الى مصر ، ولم يزل مواظباً على وظيفته ، وانتفع بنسبته اليه واقتنى حصصاً وإقطاعات ، وتقلد قضايا مناصب البلاد العظيمة ، ويأخذ ممن يتولى عليهم الجمالات والهدايا ، وأخذ أيضاً نظر وقف الأزبك وغيره ، ولم يزل تحت نظره بعد انفصال محمد باشا خسرو ، واستمر المذكور على القراءة والاقراء ، حتى توفي أواخر سنة تسع وعشرين ومائتين والف .

الشيخ حسين بن حسن الكتاني بن علي المنصوري الحنفي الأزهري

الفاضل المفضل ، والكامل المبجل ، عمدة العلماء الأعلام ، ونخبة الأساتذة الكرام ، تفقه على خاله الشيخ مصطفى بن سليمان المنصوري والشيخ محمد الدلجي والشيخ أحمد الفارمي والشيخ عمر الديركي والشيخ محمد المصيلحي ، وأقرأ في فقه المذهب دروساً في محل جده لامه في الأزهر . ولما كانت حادثة السيد عمر مكرم النقيب ، نفوه من مصر إلى دمياط وكتبوا فيه عرضاً للدولة ، وامتنع السيد أحمد الطحطاوي من الشهادة عليه في أمر ادعوا عليه به وهو يتبرأ منه وينكره ، كما تعصبوا عليه وعزلوه من مشيخة الحنفية وقلدوها المترجم ، فلم يزل يخدمها حتى مرض . وتوفي يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من المحرم سنة ثلاثين ومائتين والف ، وصلي عليه في الأزهر في جمعية عظيمة ودفن في تربة المجاورين رحمة الله علينا وعليه آمين .

الشيخ حسين المعروف بالرسامة الحنفي الدمشقي

العالم الإمام ، والحبر الهمام ، أحد العلماء الأعلام ، ولد بدمشق ونشأ بها على العلم والعمل ، مع التقوى والعبادة والتواضع والخشوع والوجل ، وكان مستقيم الأوطار ، جميل الأطوار ، عاملاً بالسنة ، ذا نفس مطمئنة ، مات بدمشق سنة أربعين ومائتين والف ودفن بباب الصغير . وكان إمام أهل الفرائض (١)

الشيخ حسين بن حسين بن محمد الدمشقي الحنفى العطار الشهير بالمدرس

ولد في دمشق الشام في ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين ومائة والف ، وكان عالماً استاذا ، وفاضلاً ملاذا ، تتقاطر مياه التقوى من وجهه ومحياه ، ويشرق نور المصباح من مشكاة هداه ، قد تردى بجلباب الذكاء والفهوم ، وفتح له أوسع باب من حقائق العلوم ، فهو العالم العامل الناجح ، خاتمة السلف الصالح ، الناهج منهج العلماء العاملين ، والسالك في قويم طريق السادة المتقدمين ، الورع الزاهد ، والناسك العابد ، والنحوي الفقيه ، والمحدث اللغوي والمفسر النبيه ، من يقتدى بآثاره ، ويهتدى بأنواره ، أخذ عن علامة الأقطار الشيخ عبد الرحمن الكزبوي الكبير ، وعن الشيخ محمد بن سليمان المدني ، والعلامة ابراهيم الحلبي ، والعلامة الجينيني ، والعلامة علي بن محمد بن

---

(١) كان فرضي دمشق ورئيس حسابها ، وهو أحد تلامذة السيد ابن عابدين صاحب الحاشية ، ذكره السيد علاء الدين ولده في تكملة الحاشية ، مات بدمشق سنة ١٢٤٠ ، وهو جدّ والدة العلامة عبد المحسن الأسطواني واخوانه . (منتخبات الحصني ج ٢ ص ٦٤٧) .

علي بن سليم الشافعي الشهير بالسليمي ، وغيرهم . وأجازوه جميعا هم وغيرهم بما تجوز لهم روايته عن مشايخهم فأفاد واستفاد ، وأخـذ عنه كثير من العلماء السادة الأمجاد ، وأجازهم كما أجازه من قبله ، وزووا عنه الحديث وغيره . وعرفوا مقـامه وفضله ، وشهرته بكل منقبة كافية ، وبكل كمال وافية ، فالناس به فخر عظيم كبير ، ولا ينبئك مثل خبير . مات رضي الله عنه غرة شعبان سنة عشرين ومائتين والف ، ودفن في جبانة باب الصغير رحمه الله تعالى .

حسين بن عمر بن ابراهيم بن حسين بن زين العابدين بن شمس الدين محمد بن كمال الدين بن شمس الدين بن كمال الدين محمد بن بدر الدين محمد بن تاج الدين بن أحمد الشهـاب بن شرف الملك محمد بن علي بن محمد العجلاني بن الشريف علي بن الشريف محمد بن الشريف جعفر بن حسن الشجاع بن الشريف العباس بن الشريف حسن بن الشريف العباس ابن الشريف حسن بن الشريف حسين أبي الجن العجلاني المدفون بمحكمة الباب بدمشق الشام ، بن الشريف علي بن الشريف محمد بن الشريف علي ابن اسماعيل الاعرج بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين ابن سيد الشهداء الحسين بن السيدة البتول فاطمة الزهراء ابنة سيد العالمين وصفوة الانبياء والمرسلين صلى الله عليه وعليهم أجمعين

ولد هذا المترجم في دمشق ونشأ في الطاعة من صغره ، ولم يزل يزداد منها إلى نهاية عمره ، وطلب العلم على جملة من الأفاضل ، إلى أن كان من ذوي الفضائل ، وهذه السلسلة المذكورة هنـا الدالة على شرفهم هي نظير الموجودة عندهم ، غير أن بني عجلان عموماً ينكرون شرفهم وانهم ليسوا من بني عجلان ، وسمعت ذلك منهم في عدة مجالس ، ويقولون إن

هؤلاء الطائفة من سلالة الوزير منجك باشا ، إلا أنهم تزوجوا من بني عجلان فحازوا على هذه النسبة ، ويقولون بأن شرفهم من جهة النســاء ، وهذا لاينكرونه ، ونحن نقول بأنهم على كل حال لهم شرف عظيم ، وفضل جسيم ، حيث لهم نسبة إلى سيــد الأمم ، ﷺ . (١) توفي المترجم سنة ... ومائتين وألف ودفن في مدفنهم المشهور .

الشيخ حسين بن الشيخ سليم بن سلامة بن سليمان بن عوض بن داود بن سليمان بن السيد عبد الله بن السيد أحمد الدجاني بن السيد علاء الدين الشيخ علي بن السيد محمد بن السيد يوسف بن السيد حسن ابن السيد ياسين بن السيد بدر الدين بن السيد محمد بن السيد يوسف ابن السيد بدر بن السيد يعقوب بن السيد مطر بن السيد غــانم بن السيد محمد بن السيد زيد بن السيد علي بن السيد الحسن بن السيد عوض الاكبر بن السيد زيد بن السيد زين العابدين بن السيد علي ابن السيد الحسين أمير المؤمنين ابن السيــد أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه وابن بنت رسول الله ﷺ فاطمة الزهراء رضي الله عنهم أجمعين .

وهو العالم العلامة ، والحبر البحر الفهامة ، تاج الافاضل ، ومنهاج ذوي الفضائل والفواضل ، اشتهر فضله اشتهــار البدر ، ومـلأ ذكره البر والبحر .

ولد في مدينة يافا مدينة من مدن الشام على رأس الاثنين بعد الألف والمائتين ، ونشأ في حجر والده الشيخ سليم الدجاني الشافعي وقرأ

---

(١) لشيخنا القاسمي رحمه الله رسالة مطبوعة في صحة شرف الأسباط ، ومنهم الحسن والحسين سبطا النبي عليه وآله الصلاة والسلام .

عليه النحو والصرف وعدة كتب من الفنون الأدبية ، والعلوم الشرعية المحمدية . واخذ عنه معظم الكتب المتداولة من فقه السادة الشافعية ، حتى ترعرع وبرع ، وشملته بركة والده وبه انتفع ، ثم رحل بأمر والده الى الجـامع الأزهر ، والمقام الباهر الأنور ، سنة سبع وعشرين فأدرك الطبقة العاليـة من المشايخ ، ممن لهم في علو الاسناد القدم الراسخ ، كالأستاذ الفضالي ، والعلامة الأمير ، وشبله الأوحد ، والشيخ حسن العطار ، والشيخ محمد الدمنهوري ، ذوي التدقيق والتحرير ، والفاضل الكامل الشيخ أحمد الصاوي ، والعارف بالله الشيخ عبد الله الشرقاوي ، وحضر بعض كتب السادة الحنفية ، على السيد أحمد الطحطاوي خاتمة المحققين في البلاد المصرية ، وكان أكثر انتفاعه بالعالم الفاضل ، والإمام الكامل ، السابق في ميدان الفضل اذاجوري ، الشيخ ابراهيم الشافعي الباجوري ، وهو الحامل له على غالب مؤلفاته النافعة ، التي هي بين الناس مستعملة وشائعة ، فكان يوافقه لشدة عطفه من بين تلامذته عليه ، وميله القلبي إليه ، وغب أن حضر عليه شَرْحَ المنهج في فقه السادة الشافعية ، حصلت له اشارة باطنية ، بالحضور في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان ، على ضريحه سحائب الرحمة والرضوان ، فاستشار بعض أشياخه الكرام فأذنوا له كوالده بقصد الافتاء ونفع الانام ، وبقي الى موتـه يتعبد على مذهب إمامـه النفيس ، عالم قريش محمد بن ادريس ، ومن أشياخه في الفقه النعماني شيخ الحنفية ، في الديار المصرية ، ذو التحقيق الوافي ، الشيخ منصور اليافي ، وممن لازمهم وانتفع عليهم بالحضور ، شيخنا القدوة المشهور ، ذو السر الوهبي السيد محمد بن حسين الكتبي ، مفتي السادة الحنفية ببيت الله الحرام ، وبه كان انتقاله لدار السلام ، وقد صنف بعض مؤلفات وهو في الجامع الازهر ، وبالجملة فعلو همته لا ينكر ، وفضله أشهر من أن يذكر ، ثم بعد ان أجازه شيوخه الأمجاد ، بالاجازات العلية الاسناد ، قدم لوطنه يافا المحروسة ، ومنر أبوه

والاهالي برؤيته المأنوسة ، وذلك في حدود عام خمسة وثلاثين ، ولازم والده الى أن توفي عام تسعة وثلاثين ، وقد ناهز والده من العمر ثمانين فورث حال أبيه الغنيّ فضله عن الاطراء والتنويه ، ولا شك أن الولد سر ابيه ، وواظب بعد والده على الاقراء والتدريس ، وقرت بـه عين كل فاضل وجليس ، فانتفع به كثير من الطلاب ، وفاقوا ببركة انفاسه على الاقران والاتراب ، وولي وظيفة الفتوى بيافة المحمية ، على مذهب السادة الحنفية ، بمنشور من مقام المشيخة الكبرى في الدولة العثمانية ، وذلك في حياة والده سنة ست وثلاثين ، واستمر بخدمة الفتيا ما ينوف عن أربعين ، متحلياً بالورع والتقوى ، متحريا الصواب وما عليه الفتوى ، وكانت الاسئلة ترد إليه من أقصى البلاد ، لما اشتهر عنه من العفة وسلوك منهج السداد ، وكانت فتواه نافذة في الآفاق ، وهو المرجع عند الاختلاف والشقاق ، وكان منهلاً لكل قاصد ورائم ، عاملاً بعلمه لا يخشى في الله لومة لائم ، محباً للعلماء والاشراف ، ولا يحب أن يأكل مرة إلا مع الاضياف ، وكثيراً ما كان يترنم بما قيل ، من بديـع الاقاويل ، ممـا يدل على حالته ، وانفراده في جوده وسماحته .

لا مرحبـاً بالليل إن لم يأتني في طيه ضيف ملمّ نازل
والصبح ان وافى فلا أهلاً بـه ان كان عندي فيه ضيف راحل

والحاصل أنه كان مطبوعاً على المعروف والخير ، مجبولاً على المساعدة ودفع الضير ، حسن الظن والاعتقاد ، بكل حاضر وباد ، كثير النصيحة والفوائد ، جديراً بالعطايا والعوائد ، عظيم الهيبة ، كريم الشيبة ، مجلسه محفوظ من الهزل المخل والفحش والهذيان ، لا تخلو أوقاته من الكتابة والافادة والمراجعة والتحرير في كل آن ، وكان متعلقاً بتعمير الجوامع والمساجد ، وكان زاهداً في الدنيا معرضاً عما فيها من الحطام ، قانعـا بما تيسر من اللباس والطعام ، كثير التحمل ، صادق التوكل ، عريض الجـاه بين الورى ،

مقبول الكلمة عند الحكام والأمرا ، وطالما كان ينشد قول من قال ، وأحسن في المقال :

ما لذة العيش إلا صحبة الفقرا   هم السلاطين والسادات والأمرا

وقد جمع الله له بين العلوم الباطنة والظاهرة ، حتى كان في علم الشريعة والحقيقة آية باهرة ، مقصوداً للزيارة والرواية عنه من البلاد ، موروداً للبركة والدعاء والامداد ، وقد كان علامة المذهبين ،مشتهر الفضيلة في الخافقين ، أخذ الطريقة الخلوتية البكرية من العارف بالله ذي الارشاد والتمكين ، نجل المحقق الصوفي السيد مصطفى البكري الصديقي وهو السيد كمال الدين . وأخذ هذه الطريقة بعينها عن الفاضل المشهور في كل ناد السيد الشيخ أحمد الصاوي ابي الارشاد ، وتكمل على يد الأستاذ العلامة السيد الشيخ فتح الله المالكي خليفة الأستاذ الصاوي ، حينما قدم ليافا عام مائتين وأربعين لزيارة البيت المقدس الذي هو لكل خير حاوي ، فأذن له بالخلافة والارشاد ، كما أذن له شيخه أبو الارشاد ، وأخذ عنه الطريقة الدسوقية الابراهيمية ، وحرر له بخطه اجازة سنية ، وأخذ الطريقة القادرية عن الشيخ العماوي الفالوجي الهمام ، والأحمدية البدوية عن الشيخ صالح العِلاّري السادة الكرام ، والرفاعية عن صاحب المشرب الانسي ، الشيخ حسن الغزالي الرفاعي القدمي ، والشاذلية عن والده السيد سليم الدجاني ، ونال من الله الآمال والاماني ، وكان له أطوار وأحوال ، مع ثبات قدمه على نهج ذوي الكمال ، فلم يمنعه ذلك عن دروسه وقراءته ، ولا عن طاعته وتقواه وعبادته .

وكان في كل سنة يتوجه إلى القدس والخليل بقصد الزيارة ، وله عدة قصائد في مدح السيد الخليل جعلها لنفسه أربح تجارة ، وله قصائد عدة يمدح بها غيره من السادة الأخيار ، قد جمعها في ديوانه المخصوص بالأشعار ، وله بيتان كتبهما على باب سيدنا داود أبي سليمان ، عليه وعلى إخوانه الصلاة والسلام والرضوان ، وهما :

ان (باب الخليفة)(١) كعبة فضل ... لاح منه للعالمين ضياء

في الرحاب الشريف نيل العطايا ... من نحاه له المنى والعطاء

وكان يصحبه في الزيارة جمع من المريدين والاخيار ، من أكابر أهل العلم والطريق وذوي الصناعة والتجار ، كالأستاذ الفاضل الشيخ محمد الجسر الطرابلسي أبي الاحوال ، والشيخ العارف الشيخ محمود الرافعي صاحب الكمال ، والأستاذ الشيخ صالح اللاذقي الطويل ، والأستاذ الكامل الشيخ محمد القاوقجي الشاذلي ابن خليل ، وكثير من ذوى المقامات العالية ، والمناقب الرفيعة السامية ، وكلهم يتأدبون بين يديه ، ويعولون في مهمات أمورهم عليه ، وأما كشوفاته وكراماته ، وأخباره الغيبية وصلاته ، ومقاماته المرتقية الى ذروة الكمال ، فلو أردنا بسطها لخرجنا عن الاختصار المطلوب الى الاطالة في المقال ، وله من بديع التآليف ، وجميل التصانيف ، عدة وافرة ، نفعنا الله به وبعلومه في الدنيا والآخرة ، وكان كثير التعلق بالذات المحمدية ، وله عدة أشعار يمدح بها ذاته العلية . منها

قد عيل صبري وأيام الصبا ذهبت ... واليد صفر ودمع العين كالديم

ولي حنين سما في كل آونة ... لخير من جاء بالتبيان والحكم

وقد خشيت من الأيام تمنعني ... عن الوصول لباهي النور والشيم

يارب سهل طريقي في زيارته ... من قبل أن تعتريني شدة الهرم

وله رحمه الله

يا نسمة هبت بطيب من قبا ... أنعشت حيّاً في الحجاز لقد صبا

سيري لطيبة خبري عن صبها ... ما زال يصبو للمعاهد والربا

وإذا دخلت لروضة قد طهرت ... قولى حسين لإذنكم مترقبا

قد شاب رأساً ياكرام ترحموا ... فعساه يقضي من حماكم مأربا

---

(١) لو قال : إن هذا الرسول لاستقام الوزن .

وله أيضاً

إليك رسول الله وجهت وجهتي … وأرسيت في تيار جودك مركبي
فمن لي رسول الله منك بنظرة … ازاحم فيهـا الأصفياء بمنكبي

وله أيضاً

يا أهل طيبة هل لنا من زورة … ومتى بقربي يا كرام تجودوا (١)
قد طال هـذا الانتظار ولمتي … بيضا وفي قلبي بهبُ وقود

وله أيضاً

ألا ليت شعري والأماني كثيرة … أأبلغ ما أرجوه من سادة الحمى
وهل أنظرن أرض الحجاز وطيبه … ومن زمزم يروى الفؤاد من الظما

وله هذان البيتان مع تشطيرهما لأخيه حسن افندي :

أيا راكباً اما عرضت فبلغن … ولوعي لخير الخلق في العرب والعجم
فذاك هو المعني وان قلت نبئن … شقيقة بدر التم ما بي من النحب
واكثر حنيني في حماها لعلها … تمن بانقاذ المعنى من الكرب
فياشرفي أن قيل سُعداك قدغدت … تجود بإبدال التباعد بالقرب

وله

رسول الله لاحظني فإني … ضعفت جوانحاً وكبرت سنـا
فلي أمـل عـلا فيكم قوي … ومن صغري فقد أحسنت ظنـا
فقربني رسول الله فضـلا … وعجل لا تطيل البعد عنـا
فبالنظر الشريف العبد يرقـى … الى مرجاه من سُعدى ولبنى (٢)

(١) لابدّ من تقدير لمحذوف ، مراعاة للقواعد النحوية ، كأن يقال : متى تجودوا بقربي أقربْ منكم ، فتكون (متى) شرطية جازمة ، لا استفهامية .

(٢) الكناية عن الذات الإلهية بسعاد وسُعدى ولبنى ، هو إلحاد في أسمائه تعـالى وصفاته ، وقد قال في محكم كتابه : « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بهـا ، وذروا الذين يُلحدون في أسمائه ، سيُجزون ما كانوا يعملون » (سورة الأعراف ، الآية ١٧٩) .

فلاحظني فعيل الصبر مـــني عسى فيـكم يقر العبد عينـــا

وله هذه القصيدة يمدح بها المصطفى ﷺ :

أيا رحمة الدارين والسيد الذي لأمته حصن منيع ومعقل

فأنت حبيب الله أشرف كائن وأشرف أهل الكون عقلاً وأكمل

فلا خير إلا من جنابك يرتجى ولا فضل إلا عن علاك يسلسل

وأنت مـــلاذ العالمين بأسرهم رؤوف رحيم واصل متوكل

عليك مدار الأمر خير من التجى إليه وأسنى من بـــه يتوسل

أغثني وأوصل من سعاد حبالنا وعجل بتقريبي عليك المعول (١)

ولاحظني في كل الشؤون فإنني بصنع جميل منكم متـــأمل

فعنـكم أموري ياصفيّي انطتها فانك أنت المنعم المتفضـــل

عليك صلاة الله ثم سلامـــه مدى الدهر ما قلب بذكر يُعلل

ومالابن الدجاني المفتي زاد تشوقاً لدار بهـــا خير النبيين منزل

وقال مشطرا بيتي سيدنا حسان في مدح المصطفى ﷺ :

وأحسن منك لم تر قط عين ومجدك لا يواريه عـــلاء

---

(١) لو كانت الاستغاثة بالحضرة المحمدية بعد الموت ثابتة ثبوتها في الحياة الدنيا ، لطُلب من النبيّ صلوات الله عليه أن يقوم بالإمامة في الصلاة ، والإمارة في الحروب ، وإرسال البعوث ، وإقامة الحدود ، وإيصـــال الحقوق ، وقسم المواريث والغنائم والصدقات .

هذا وإن الصحابة الكرام قد تناظروا بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام في أمر الخلافة ، وفي جمع القرآن ، وفي المعارك الدامية كوقعة الجمل وصفّين والنهروان ، وتناظر الشيخان في قتال مانعي الزكاة ، وفي إرسال جيش أسامة ، ولم يستغيثوا به في هذه الشدائد ، ولم يستفتوه في شيء منها . وكلّ هذا معلوم من الدين والتاريخ بالضرورة ، ومن العقل والحِسّ والوجدان بالبداهة ، فيجب ردّ مايتجدّد من الوقائـــع والحوادث إلى الوحي المنزل ، وما عُرف من سنن الصدر الأول للاسلام . اللهم يا غياث المستغيثين ، إياك نعبد وإياك نستعين .

ولا سمعت بمثلك أذن حي　　وأجمل منك لم تلد النســاء
خلقت مبرأ من كل عيب　　وشيمتك الفتوة والسخــاء
وصورك المصور محض خير　　كأنك قد خلقت كما تشــاء

وكم له من قصائد وأبيات ، أكثرها في الحكم والتوسلات ، قد افردت بديوان كبير ، وهو في قطره معروف وشهير ، ثم انه في منتصف شوال سنة اربع وسبعين ومائتين وألف قاده الشوق والغرام ، لحج بيت الله الحرام، فرأى المصطفى ﷺ في المنام ، وشكا إليه الفاقة فتعهد له بتيسير المرام ، فعند ذلك شد إزار السفر ، وتوجه معتمداً على بارىء البشر ، وسار معه جملة من الأفاضل ، وذوي الفضائل والفواضل ، كأخيه السيد حسن الفاضل الهمام ، وابن عمه السيد عبد القادر أبي رباح كعبة السادة الكرام ، والسيد عبد اللطيف الرفاعي والسيد أحمد أبي الأنوار ، وغيرهم من القادة الأخيار ، وبعد قضاء الحج ناداه مولاه ، واختاره لجواره واصطفاه . وكانت وفاته بمكة المكرمة في يوم الأحد الحادي والعشرين من ذي الحجة الحرام سنة الف ومائتين وأربع وسبعين ، ودفن في المعلا مابين آمنة الرضــا وخديجة أم المومنين ، بجوار العالم الدمشقي الشيخ عبد الرحمن الكزبري قدوة المحدثين ، وكان مرضه ثلاثة أيام ، عليه رحمة الملك السلام .

حسين افندي بن احمد الشهير والده بامام حسن باشا الصدر الاعظم القاضي بدمشق

ولد بدار السلطنة السنية ، وجد واجتهد في طلب العلوم الشرعية والأدبية ، ونفح نشره ، وعلا صيته وذكره ، وكان متضلعاً في العلوم العقلية، مستحضراً للعلوم النقلية ، كثير العبادة متواضعاً مهابا متعففــاً عن أموال الناس . قدم دمشق سنة إحدى وأربعين ومائتين والف في أول شعبان بوظيفة القضاء فتعاطى الأحكام ، على أحسن مرام ، وامتزج مع العلماء امتزاج

الراح بالماء ، ووجه عليه قضاء مكة المكرمة ، وذلك أيام سلطنة الإمام الأعظم السلطان محمود ، ولم يزل مثابراً على طاعته ، مواظباً على مطالعته وعبادته ، واقفاً على قدم التقوى ، في السر والنجوى ، إلى أن دعته المنية ، إلى الدار الأخروية . فمات ثالث جمادى الأولى سنة اثنتين وأربعين ومائتين والف ، ودفن في مقبرة باب الصغير قرب مقام الصحـــابي الجليل سيدنا بلال الحبشي رضي الله تعالى عنه .

الشيخ حسين الدمشقي المعروف بفشافش المجذوب المستغرق صاحب الكرامات

كان له كرامات كثيرة ، وأخبار صـــادقة شهيرة ، وكثيراً مايتكلم بكلام لايفهم الناس معناه في الوقت ، وبعد مدة يقع كما أخبر فيفهمون حينئذ معنى كلامه ، وكان يقف لدى باب البلطجية في دمشق ، ويقول ضربنا الخبر من هنا فوصل إلى الاستانة ، وضربناه من هنا فوصل إلى مصر ، ويعدد محلات كثيرة ، والناس لايفهمون هذا المقال ، ولا يخطر لهم معناه على بال ، وبعد مدة جعلوا المحل الذي كان يقف عنده ويشـــير اليه محلاً للتلغراف فكان كما أخبر ، وليست هذه أول كراماته . مات رحمه الله في دمشق الشام سنة ثمانين ومائتين والف ودفن في مقبرة باب الصغير .

الشيخ حسين الدمشقى الحنفى الشهير بالاطرش امين الفتوى بدمشق الشام

العلامة الفقيه ، والفهامة المحقق النبيه ، إمـــام أهل الفروع والأصول ، الجامع بين طرفي المعقول والمنقول ، الجهبذ الكامل ، والهمام الفاضل ، فريد عصره ، ووحيد دهره ، ولي أمانة فتوى دمشق الشام ، أيام الحبر البحر

العلامة الإمام ، حسين افندي المرادي ولا زال في أمانة الفتوى حتى توفي [1] سنة   ومائتين والف ودفن بباب الصغير .

الحسين بن النور علي بن عبد الشكور الحنفى الطائفى

الإمام الذي غذي بلبان الفضل وليداً ، وعدّ لبيد اذا قيس بفصاحته بليدا ، من له في المعالي أرومة ، وفي مغارس الفضل جرثومة ، ولد بالطائف كما ذكره الإمام الجبرتي ، وبها نشأ وتكمل في الفنون العرفانية ، وتدرج في المواهب الإحسانية ، وأحبه السيد عبد الله ميرغني وتعلق بأذياله ، وشرب من صفو زلاله ، فتاه وهام ، وقطع ربقة الأوهام ، وأخذ بالحرمين من عدة علماء كرام ، وشارك في العلوم ، ونافس في المنطوق والمفهوم ، الا أنه غلب عليه التصوف ، وعرف منه ما فيه الكمال والتصرف ، وكان بينه وبين الشيخ العيدروس مودة أكيدة ، ومحبة عتيدة ، ومحاورات ومذاكرات وملاطفات ومصافاة ، وقد ورد مصر في سنة أربع وسبعين ومائة وألف وسكن ببيت الشيخ محسن على الخليج ، وكان يأتيه السيد العيدروس والسيد مرتضى وغيرهم ، فأعاد روض الأنس نضيرا ، وماء المصافاة غيرا ودخل الشام وحلب ، وبها أخذ عن جماعة من الأكابر ، منهم السيد اسماعيل المواهبي فقد عدّه من شيوخه وأثنى عليه ودخل بلاد الروم ، وحظي بما يروم ، وعاد الى الحرمين وقوض عن الأسفار الخيام ، ثم قطن بالمدينة

---

(١) يحكى أن القاضي بدمشق اطلع على فتوى منه بنص ضعيف بزعمه ، وأهانه عليها ، فما كان من العلماء وأهل الشام إلا أن جاؤوا الى القاضي وأخرجوه من المحكمة الشرعية ، وأغلقوها ومنعوه من الدخول اليها ، وبلغ ذلك الحكومة ، فبالحال كتب الوالي بعزله ، لأنه كان الحق بيد أمين الفتوى صاحب الترجمة (م سنة ١٢٤٢ من منتخبات التواريخ ج ٢/٦٥١) .

المنورة ، وكتب اليه الشيخ السيد العيدروس وهو بالطائف يستدعيه لبستان يسمى الشريعة فقال :

أحسين كأس الأنس دائر	ولنا الصفا واف ووافر
راقت لنا خمر الصفا	فزماننا زاه وزاهر
أحسين روّح مهجتي	من راح قربك لي وبادر
أحسين سحبا في النوى	عنكم لنظم الأنس نائر
أحسين عين الما بكت	شوقاً لكم ياذا المفاخر
هذي الأزاهر مزقت	أكمامها فارع الأزاهر
هذي الغصون تضاربت	من بعدكم فالروض خاضر
هذي الشريعة أنسها السـاري لكم بالقرب آمر	
فاقرب ولا تشطح ببعد	بواطن فالشرع ظاهر
هيا فلي شوق غدا	مثلًا من الأمثال سائر

فأعاد المترجم الجواب ، وقال :

ما أنس رنات المزاهر	والروض بالأفراح زاهر
وسفى عقود علقت	في جيد غيد والجآذر(١)
والدر في ، في من أحب	منظماً فاق الجواهر
والوصل بعد القطع من	سامي الربى سامي المفاخر
كلا ولا عطر العرو	س كذا المحاظي في المجاظر
أشهى وأبهى من سنا	نظم لطيّ الأنس ناشر
ألفاظه تحكي الشمو	س ونورها باه وباهر
فيه المفصل مجمل	يبدو لأرباب البصائر
أغنت عن التوضيح والتسهيـل	هاتيك الأشاير
وكست براعته العبا	رة بهجة والامر ظاهر

(١) جمع جُؤذُر ، وهو ولد البقرة الوحشية .

في طرسه طرر سمت حسناً على طرز الحرائر
تحكي العيون عيونه سيناته تحكي الضفائر
ألفاته تحكي القدو د رشاقة ولها تناظر

الى أن قال :

آيات فخر بينا ت أولا وكذاك آخر
ويؤم أرباب النها ية والنهى من كل كابر
يتلونه جملا فيتـ ـلو من مفصله الأوامر
اعني الوجيه ابن النبيـ ـه ابن النبيه بلا مناكر
المصطفى بن المصطفى بن المصطفى حامي العشائر
لاغرو في حوز له فخراً بحسن السمت فاخر
اذ جده شمس الشمو س العيدروس أبو المظاهر
مـا ان له من ساحل وبذاك قد عقدت خناصر
أوصافها عنها البديع وان يكن سحبان قاصر

وللسيد العيدروس قصيدة بائية أرسلها له وهي بليغة مطولة ، وغير ذلك من مطارحات كثيرة ، وللمترجم مؤلفات حسان ، وكلها على ذوق أهل العرفان ، منها المنظومة التي تعرف بالصلاتية عجيبة وشرحها مزجا كأصلها على لسان القوم ، ولما حج الشيخ التاودي بن سوده كتبها عنه ووصل بها المغرب ونوه بشأنها ، حتى كتب منها عدة نسخ ، ونوه بشأن صاحبها ، حتى عين له سلطان المغرب بصُرَّةٍ في كل سنة تصل إليه مع الركب ، والناس في المترجم مختلفون ، فمنهم من يصفه بالبركات والكمال وأولئك الذين رأوا كلامه ، فبهرهم نظامه ، ومنهم من يصفه بالحلول عن ربقة الانقياد ، ويرميه بالحلول والالحاد ، وهو ان شاء الله تعالى مبرء مما نسب إليه ، معتمد في الارشاد والامداد عليه ، ولما اجتمع به العلامة محمد بن يعقوب بن الفاضل الشمشاري ونزل في منزله فكان انيساً له في سائر أحواله ، قال : اختبرته

حق الاختبار ، فلم أجد له غير لسان مثار ، قال وبعد أشهر تبرم عن ملازمته وتباعد عن مجالسته واتخذ له حجرة في الحرم ، وعزل نفسه عنه اعتزال التقي عن الحُرَم ، وحكى عنه أشياء عجيبة ، وأموراً غريبة وهو بها معذور ، وكل منهما على قصده مثاب ومأجور ، غير أنه لو تباعد عن الطعن فيه لكان أولى ، ولو سلم له حاله لكان أعلى ، وما كل إنسان يفهم المقصود من كلامهم ، ولا كل امرىء يدرس سامي مرامهم ، لأن لهم اصطلاحاً لا يدريه سوى أهله ، فمن لم يعلمه فلا يلمهم بل يبكي على جهله ، ولأهل الروم فيه اعتقاد جميل ، ومواهبهم تصل إليه في كل قليل ، مات رحمه الله تعالى سنة ست ومائتين وألف .

السيد حسين بن يحيى بن ابراهيم الدؤلي الذماري الحنفي الماتريدي

قال في البدر الطالع : ولد في سنة ألف ومائة وتسع وثلاثين وبيني وبينه من المودة ما لا يعبر عنه ، وهو من جملة من رغبني في شرح المنتقى ، فلما أعان الله على اتمامه ، راسلني في الارسال إليه بنسخة ، ولما ألفت الرسالة التي سميتها « ارشاد الغبي الى مذهب أهل البيت في صحب النبي » ونقلت اجماعهم من ثلاث عشرة طريقة ، على عدم ذكر الصحابة بسب وما يقاربه ، وقعت هذه الرسالة بأيدي جماعة من الروافض فجالوا وصالوا ، وتعصبوا وتحزبوا ، وأجابوا بأجوبة ليس فيها إلا محض السباب والمشاتمة ، وكتبوا أبحاثاً نقلوها من كتب الإمامية وزاد الشر وعظمت الفتنة ، واعانهم علي جماعة ممن له صولة ودولة ، وتعصّبَ أهلُ العلم لها وعليها ، وكل من له أدنى معرفة بعلم ، يعلم اني لم اذكر فيها إلا مجرد الذب عن اعراض الصحابة الذين هم خير القرون ؛ ثم قال : وان المترجم ناشر للعلم في مدينته ذمار ، مع تحمله لما يلاقيه من الجفاء الزائد من أهل بلده بسبب نشره لعلم الحديث بينهم ، وميله الى الانصاف في بعض المسائل ، مع مبالغته في التكتم

وشدة احترازه . مات رحمـــه الله سنة ألف ومائتين وتسع وثلاثين من الهجرة ، وكان عمره مائة سنة ولا زال مثابراً على العلم الى انتهاء أجله [1] .

الشيخ حسين بن علي مفتي السادة المالكية بمكة المكرمة حرسها الله

الإمام الصالح ، والهمام الناجح ، الناهل من مناهل الأفاضل ، والكامل الذي شهد بكماله ذوو الفضائل ، كان يغلب عليه التقوى والعبادة ، والتقشف والزهادة ، ولد والله أعلم في حدود الخمسين والمائـة والألف ، وأخذ عن المحدث الفقيه ، والإمام الفاضل النبيه الشيخ محمد الورتلاني المغربي المالكي ، وعن الشيخ محمد الغرياني التونسي ، وأخذ أيضاً حين دخل دمشق الشام ، عن مشايخها الأعيان الكرام ، ومن أجلهم الشهاب أحمد العطار ، ثم رحل الى مكة المشرفة وتوفي بها لثلاث مضت من شهر محرم الحرام سنة ثماني عشرة ومائتين وألف ، ودفن بمقبرة المعلى رحمه الله تعالى ورضي عنه .

الشيخ حسين السقطي بن عبد القادر الصالحي الدمشقي الشافعي

بقية السلف ، وعمدة الخلف ، المقتدى بأفعاله ، والمعمول بأقواله ، بركة الانام ، ونخبة العلماء الاعلام . ولد بصالحية دمشق سنة تسعين ومائة والف ، ونشأ بها وقرأ على أخيه العلامة الشيخ عبد الغني وعلى العلامة الشيخ محمد شاكر الشهير بمقدم سعد ، ومات سنة إحدى وأربعين ومائتين والف ودفن عند أسلافه بمقبرتهم .

---

(١) في الأعلام نقلاً عن نيل الوطر والبدر الطالع أن ميلاده ١١٤٨ ﻫ وأن وفاته (١٢٤٩) أي أنه عاش أكثر من مائة سنة ، وان اختلف تاريخ الولادة والوفاة عما هنا ، وذكر له من المؤلفات « العروة الوثقى ، في أدلة مذهب ذوي القربى » مجلدان « وجلاء الأبصار في شمائل المختار » وأراجيز نظم بها بعض كتب الفقه والأصول ، منها « نظم المعيار » في الأصول ، ورسائل في الاستعارة و « صوم يوم الشك » وغير ذلك .

الشيخ حسين بن اسماعيل بن الاستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي قدس سره

العالم الاستاذ ، والكامل الملاذ ، ولد رضي الله عنه سنة الف ومائة وخمسين ، وأخذ عن والده وعن العلامة الشيخ صالح الجينيني وعن الشهاب المنيني والشيخ أسعد المجلد والعلامة الحفني مات سنة الف ومائتين وإحدى عشرة ودفن في مقبرة بني النابلسي .

السيد حسين بن عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن أحمد ابن أحمد المنزلاوي الشافعي خطيب جامع المشهد الحسيني في مصر المحمية

العمدة العلامة ، النبيه الفهامة ، بضعة السلالة الهاشمية ، وطراز العصابة المطلبية ، حضر على الشيخ الملوي ، والحفني والجوهري ، والدايغي والشيخ علي قايتباي والشيخ البيسوني ، والشيخ خليل المغربي ، وأخذ أيضاً عن سيدي محمد الجوهري الصغير ، والشيخ عبد الله إمام مسجد الشعراني ، والشيخ سعودي الساكن بسوق الخشب ، وتضلع بالعلوم والمعارف وصار له ملكة وحافظة واقتدار تام واستحضار غريب ، وينظم الشعر الجيد والنثر البليغ ، وانشأ الخطب البديعة ، وغالب خطبه التي كان يخطب بها بالمشهد الحسيني من إنشائه على طريقة لم يسبق اليها ، وانتمى الى الشيخ أبي الانوار السادات وشملته أنواره ومكارمه ويصلي به في بعض الاحيان ويخطب بزاويتهم أيام المواسم ، ويأتي فيها بمدائح السادات ماتقتضيه المناسبات ، وله منظومة بليغة في سلسلة السادة الوفائية سماها السيد حسن بن علي العوض بعقد الصفا في ذكر سلسلة ساداتنا بني الوفا ، وذكرها في كتابه مناهل الصفا ، يقول في أولها مانصه :

سماء بها الزهر الازاهر تشرق ... بأنوارها قد نار غرب ومشرق
وزانت صفا مرآتها وهي حفظها ... لمستمع قد جاء للسمع يسرق
إذا مد كف النحو نحو سمائها ... يكف بشهب المعاند تحرق
فما هي إلا عرش كنز حقائق ... بها الحق مشهود لمن يتحقق
رياض معانيها بهن نوافح ... لازهار أسرار بها الطيب يفشق
فكم أورقت فيها غصون وكم حلت ... بها ثمرات للمحقق ترزق
بلعلعها غنت فصاح بلابل ... فأعربت الألحان والحان مطرق
رعى الله ماقد راق منها وما حلا ... وأعلى سماء برقها متألق
حمى الله مرقاها ومعراج قدسها ... بكوكبها السامي الذي ليس يلحق

الى آخرها وهي طويلة ، وله غير ذلك رحمه الله تعالى من النثر والنظام ، وبديع التحقيق وبليغ الكلام ، مما يدل على رفعة قدره ، وسمو مقامه وكمال بدره ، توفي في منتصف شهر شعبان المبارك من السنة الثانية عشرة بعد المائتين والالف رحمه الله تعالى .

الشيخ حسين بن الشيخ أحمد الشهير بالكبيسي
أمين فتوى دمشق الشام

العالم النحرير ، والفاضل الشهم الشهير ، ذو السيرة العالية ، والمعارف السامية ، والذهن المقصور على الصواب ، والكلام الذي لايتعدى فصل الخطاب ، قد انفرد للفتوى بالامانة ، وورد مناهل التقوى بالصدق والصيانة ، واشتهر فضله في الآفاق ، وانعقد على كماله الاتفاق ، وأذعنت لانفراده أفراد الرجال ، وجال رفيع ذكره كل مجال ، لم يزل للفتوى أجل أمين ، لايحيد عن الحق ولا يمين (١) إلى أن دعته لحديقة القرب المنية ، وخطبته الحور

(١) وقد تصدر لنفع الخاص والعام ، واستفاد من دروسه كثير من ذوي الأفهام ، وكان أميناً للفتوى في زمن حسين المرادي مفتي دمشق ، هو ومحمد أمين بن عابدين صاحب الحاشية . (المنتخبات)

الدار العلية ، وذلك سابع عشر رمضان عام الف ومائتين واثنين وخمسين من هجرة سيد ولد عدنان ، ودفن في مقبرة دمشق ذات الفلاح ، المعروفة بالدحداح ، رحمه الله تعالى .

قاضي القضاة السيد حسين افندي خوجه زاده
القاضي العام بدمشق الشام

حاكم صالح عابد ، وإمام ورع فاضل زاهد ، ناهج منهج الصواب والكمال ، لايلويه عن الحق جاه ولا مال ، ولا تأخذه في الله لومة لائم ، بل هو على ساق العبادة والتقوى قائم ، كان أوصى أنه إذا مات يدفن في جورة في مقبرة باب الصغير ، بقرب مقام سيدي الصحابي الجليل الشهير ، بلال الحبشي رضي الله تعالى عنه ، وأن يحوط علـى الجورة بتابوت من خشب . والذي دعاه الى ذلك أنه سمع من بعض العلماء أن الأقرب أن سيدنا بلالا الحبشي مدفون في هـذه الجورة ، وقيل في الجورة الثانية بالقرب منها ، وملخص الكلام ، في هذا المقام ، أن أكثر العلماء يقولون بأن إحدى الجورتين بها مدفون الصحابي المذكور ، والثانية بها مدفون سيدنا فضالة بن عبيد أمير المدينة في أيام التابعين رضي الله عنهم وعنه ، وكان في كل من الجورتين محراب ظاهر ، ولكن الآن لطول الأيام قد ارتفع التراب فيهما حتى تساويا مع أرض الجبانة ، ورفع الناس بعد ذلك صورة القبور خوفاً من الاندراس . توفي المترجم المذكور في رابع عشر ذي القعدة سنة أربع وخمسين ومائتين والف ، ودفن في تربة باب الصغير في المحل الذي أوصى أن يدفن فيه ، وقام الوصي بوصيته في عمل المقام على الجورة . رحمه الله تعالى .

الشيخ حسين ابو عبد الله بن أبي بكر بن خالد بن عثمان الحلبي الشافعي الحسيني

الشريف الفقيه الصالح ، والعفيف النبيه الفالح ، والتقي الزاهد ، والنقي العابد ، مولده سنة ثلاثين ومائة والف ، قرأ القرآن الشريف على خال والده الشيخ أبي الضيا هلال بن أحمد القادري وحفظه على غيره ، وتفقه وحفظ بعض المتون العلمية على جماعة ، وسمع الكثير من كتب الحديث وغيره على جمع ، منهم بدر الدين حسن بن شعبان السرميني ، وأبو عبد الفتاح شمس الدين محمد بن الحسين الزنار ، وأبو محمد عبد الكريم بن أحمد الشراباتي ، وأبو السعادات طه بن مهنا الجبريني ، وفخر الدين عثمان بن عبد الرحمن العقيلي العمري ، ومحمد علاء الدين بن محمد الطيب الفاسي المغربي المالكي لما قدم حلب ، وعقد بها مجلس التحديث والسماع ، وتاج الدين محمد بن طه العقاد وغيرهم ، وأخذ الطريقة السعدية عن شهاب الدين أحمد السعدي الجباوي الدمشقي لما قدم دمشق ونزل عنده ، وأخذ الطريقة القادرية وغيرها عن الشيخ تقي الدين أبي بكر أحمد الحلبي القادري ، وأخذ عن الشيخ أبي الخير سعد بن عبد الله اليماني نزيل حلب وانتفع بهم ، وأجاز له غالب مشايخه ، وأقام الذكر والتوحيد على عادتهم ، واعتقده الناس ، وقد أخذ عنه العالم العلامة خليل أفندي المرادي واستجازه بجميع ما تجوز له روايته فأجازه إجازة عامة ، وذلك حين رحلة خليل افندي المرقوم الى حلب سنة خمس ومائتين وألف كما رأيت ذلك بخط خليل افندي ، ومات المترجم بعد ذلك ، ولم اقف على تعيين تاريخ موته رحمه الله تعالى [1].

---

(١) نقل هذه الترجمة الأستاذ الطباخ في تاريخه لحلب الشهباء وعزاها لحلية البشر ، ولم يزد عليها شيئاً ، ولكنه في فهرس التراجم جعله في وفيات سنة ١٢٠٥ هـ .

الشيخ حسين بن الشيخ محمد التدمري أصلاً الدمشقي وطناً الميداني إقامة الشافعي الإمام بجامع كريم الدين

عالم قد فاق أهل زمانه ، وترقى في الكمال حتى عرف بالتقدم في اوانه ، قد اعتصم بحبل الوفا ، وتقدس عن الفظاظة والجفا ، وتمسك بعرى التقوى والعبادة ، وتحلى بحلية القناعة والزهادة ، وطار في الناس فضله ، واشتهر في الملأ العام قوله المحمود وفعله ، حضر مجالس السادات ، وأخذ عنهم أنواع العلوم الشرعية والآلات ، ثم درّس وأفاد ، وانتفع به الكثير واستفاد ، وكان مستقيما في الميدان لتعليم الناس ، وكان يتعاطى وظائف جامع كريم الدين من خطبة وصلاة وتدريس ، فأحيا المكان بعد قرب الاندراس ، وكان رقيق الكلام ، حسن الاعتذار عمن يستوجب الملام ، صادقاً في الاعتماد على مولاه ، لا يشغله عنه ما سواه ، فهو بقية السلف وزينة الخلف ، توفي بعد خدمة الجامع المرقوم نحو اربعين سنة عن نحو ثمانين سنة ، وذلك في سنة اربع عشرة ومائتين وألف من الهجرة ، ودفن بتربة باب الله وقبره مشهور رضي الله عنه .

الشيخ حسين بن عبد الشكور المدني

العالم الكبير والأوحد الشهير ، ولد سنة الف ومائة ، قال في النفس : وفد الى مدينة زبيد داعيا لأهلها الى حسن الوضوء والصلاة وتعريفهم طريق ذلك ، ونظم في ذلك منظومة عظيمة اولها :

لك الحمد بدءاً منك بحسن والختما　　عليك وشكراً لا أطيق له كتما

وشرح هذه المنظومة شرحاً حافلا ، وبأكثر المسائل كافلا ، وجعل على الشرح حاشية عظيمة ، وفائدتها وافية عميمة ، لا ينقل فيها من كتاب ،

بل انما كان يميل الى الاجتهاد ويراه هو الصواب ، وكان يشتهر بذي العلوم اللدنية ، والفيوضات الإلهية ، حتى قال بعضهم فيه :

لقد رأيت اماما احار بالعلم لبي
فقلت من أي شيخ فقال من فيض ربي

وكان كثير البحث والمذاكرة ، ملازماً لدعاية الخلق الى ما ينفعهم في الآخرة ، لا يوقر في ذلك كبيرا ، ولا يترك صغيراً ولا حقيرا ، ومن تشطيره :

من راقب الناس مات غما وحظه الويل والثبور
ومن تخلى عنهم تحلى وفاز باللذة الجسور

مات في زبيد سنة الف ومائتين .

الشيخ حسين بن عبد اللطيف الدمشقي الشهير بالعمري

من اولاد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولد بدمشق الشام سنة اثنتين وستين ومائة وألف في شهر ربيع الأول وهو الامام الكبير ، والمؤرخ الشهير ، أخذ عن مصطفى الأيوبي الأنصاري المعروف بالرحمتي وعن علي افندي الداغستاني وعن الشهاب أحمد البعلي الدمشقي الخلوتي مفتي الحنابلة بدمشق وعن الشيخ محمد البخاري والشيخ مصطفى بن أسد اللقيمي وابن سليم الصالحي وغيرهم وله تاريخ سماه المواهب الاحسانية في تراجم العمرية ، مات رحمه الله سنة الف ومائتين .

حسين بن علي بن عبد الكريم الانصاري المدني

هو من رجال اللآلىء الثمينة في أعيان شعراء المدينة ، لعمر بن عبد السلام المدرس الداغستاني ، فقال في ترجمته : ذو نجدة ومروة ، ومجد وفتوة ، سجعت بمحاسنه حمائم شمائله ، ولمعت من سما مكارمه بوارق فضائله ، فبهر بأخلاقه الرضية ، واشتمل بما البسه رداء الثناء بين

البرية ، وله النظم الحسن القاطع ، والابداع الذي أتقن به البدائـع ، منه قوله لما وقعت في المدينة الفيحاء ، فتنة العام المؤرخة بهذه القصيدة الغراء ، أنشدها متوجعاً باكياً ولحضرة الرسالة شاكياً :

أخيّ إذا ما جئت في سوح أحمدا ... تضرع له وامدد الى نحوه اليدا
وناد وقل ياسيد الرسل نجدة ... تفرج عنـا ما أقام وأقعدا
عسى نفحة منكم عسى لمحة بنا ... تحف عسى المولى يجيب لنا الندا
لقد طال هذا الكرب واشتد عسره ... وشتت جيش الصبر طرا وبددا
وكدر وجه الدهر بعد ابتهاجه ... ونغص عيش المؤمنين ونكدا
وأذهب راحات النفوس جميعها ... فلله ماولى ولله مابـدا
ولم يبق إلا أن يذيب رسومنا ... وأما قلوبا قد أذاب وأكبدا
كأن كروب الدهر أجمع أمرها ... على حربنا فاستنفرت نحونا العدا
هموم غموم ثم قـلة راحة ... وحزن عظيم كلما رث جددا
ثلاثة أعوام نـكابد همهـا ... وإن لم تداركنا هلكنا فأنجدا
ومن قبلها قد كان قحط وشدة ... وأشجار ظلم أثمرت علة ودا
وكم جرعتنا كأس صبر وحنظل ... مرارتها أدنى المصائب والردى
فرادى ومثنى حيثما ثم سكرنا ... تركنا حيارى قط لانعرف الهدى
فنسأل رب العرش تفريج كربنا ... بجـاهك يارب السماحة والندى
ومذ شق أقوام عصاهم وشمتوا ... عداهم وأضحى كل وغد مسودا
تهلل وجه الرفض بعد اغبراره ... وأصبح ذو رفض عزيزاً وسيدا
يجر ذيول التيه في أرض طابة ... وكم من لعين منهم السيف جردا
وسروا سروراً لم يسروا بمثله ... وغـنى مغنيهم لذاك وغردا
وقد مر دهر لايجرون ذيلهم ... ومن جر أمسى بالتراب موسدا
وما قصدهم إلا انتهاك محارم ... وتخريب دور المؤمنين أولى الهدى
وما منهم إلا لعين وملحـد ... وجـد مجوسي وابن تهودا

حفاة عراة كالكلاب تنابحوا ... على فرعهم والأصلِ لعنٌ تأبّدا
فلو لم يكن هذا الشقاق لما جرى ... على مثلنا من مثلهم ذا ولا عدا
فيا سيد الكونين صار الذي ترى ... من الحزن والكرب الذي قد ترددا
ويا كهف من يلوي عنانا ببابه ... ويا خير من نودي سريعاً فأنجدا
تلاطم بحر الكرب واشتد موجه ... على أهل حق بالجوار تأكدا
عسى نظرة منكم تؤلف بينهم ... ليصبح سيف الدين في الكفر مغمدا
فصلى عليك الله ما لاح بارق ... وما لاح قمري الأراك وغردا
حسين بن أنصار اليك انتماؤه ... يرجّي فكن عونالهم ثم مسعدا (١)
ومع غاية الاحصاء قلت مؤرخاً ... لقدأشمتوافيناأعادي وحسّداسنة ١١٨٨

انتهى توفي المترجم المرقوم بعد الألف والمائتين رحمه الله تعالى .

السيد حمزة بن السيد يحيى بن السيد حسن بن السيد عبد الكريم بن السيد محمد الحمزاوي الدمشقي الحنفي الحسيني

أحد العلماء الأعلام ، نقيب السادة الأشراف بدمشق الشام ، وإنسان عين الأعيان ، ولسان ذوي الفضل والشأن . ولد بدمشق سنة اثنتين وأربعين ومائة والف ، ونشأ على كمال التقوى والصيانة ، والعلم والفهم والديانة ، إلى أن اختارته الآخرة ، لمراقيها الفاخرة . وذلك سنة سبع عشرة ومائتين والف ، ودفن بمرج الدحداح لدى أسلافه رحمهم الله تعالى .

---

(١) من الغريب جداً أن لايمتثل أمر الله تعالى في مثل قوله : « وإذا سألك عبادي عني فاني قريب ، أجيب دعوة الداع إذا دعان ، فليستجيبوا لي ، وليؤمنوا بي لعلهم يَرشدون » الآية ١٨٦ من سورة البقرة .

الشيخ حمزة بن علي الدمشقي الحنفي العجلاني
نقيب الاشراف ومفتي دمشق الشام

الصدر المهاب ، والرئيس العالي الجناب ، والفاضل الهمام ، والكامل الإمام ، سلالة السادة ذوي الشرف والنسب ، وصفوة خلاصة ذوي المجد والحسب ، من فاقت شهرته ، وعلت رتبته ، واشتهر في الأنام ، اشتهار البدر لدى التمام ، لازم مدة حياته العلم والعمل ، واجتنب مناهج القصور والكسل ، وصان عمره عن أن يصرفه فيما لايعنيه ، بل كان في كل كمال على طريقة جده وأبيه ، إلى أن وافته المنية ، داعية له الى الجنة العلية ، وذلك سنة تسع وعشرين ومائتين والف ودفن في تربة أسلافه رحمة الله عليهم أجمعين .

الشريف حمود بن محمد الحسني صاحب أبي عريش

قال في البدر الطالع : ولد بعد سنة الف ومائة وستين تقريبا ، ثم استقل بولاية أبي عريش وسائر الولاية الراجعة إلى أبي عريش كصبيا وضمد والمخلاف السليماني ، وكان متولياً لذلك من طريق مولانا الإمام المنصور رحمه الله تعالى . ثم حدث ماحدث من قيام صاحب نجد واستيلائه على البلاد التي بينه وبين بلاد أبي عريش ، فأمر عبد الوهاب بن عامر العسيري المعروف بابن نقطة ، بأن يتقدم في جيشه على بلاد الشريف حمود ، فتقدم في نحو عشرين ألفا ، والشريف حمود استقر في أبي عريش لقلة جيشه ، فتقدم عليه أبو نقطة إلى أبي عريش ، فدخلها في شهر رمضان عام الف ومائتين وسبعة عشر ، وقتل من الفريقين فوق الألف ، ثم استسلم الشريف حمود ودخل في الدعوة النجدية ، ثم خرج على البلاد الإمامية فاستولى على بندر اللحية ، وعلى بندر الحديدة ، وعلى زبيد ، وما يرجع إلى هذه الولايات ،

واختط مدينة الزهراء ، وصار ملكاً مستقلا . ثم أفسد مابينه وبين النجدي ، فأمر أبو نقطة المذكور من يغزوه ، فالتقيا بأطراف البلاد ، فقتل أبو نقطة وانهزم جيش الشريف حمود ، وقتل منهم نحو الفين ، وكان جيشه من يام ومكيل وقبائل تهامة زهاء سبعة عشر ألفا ، وكان جيش ابن نقطة كما قيل نحو مائة الف ، لأنه أمده النجدي بجماعة من أمرائه كابن شكبان والمضائفي ، ثم ان جيش صاحب نجد بعد قتل ابن نقطة وهزيمة الشريف تقدموا على أبي عريش ، وجرت بينهم ملاحم كبيرة ، وانحصر الشريف في أبي عريش ، وشحن سائر بلاد أبي عريش بالمقاتلة ، ثم رجع سائر الأمراء النجدية وبقي بقية من الجيش في بلاد أبي عريش ، والحرب بينهم سجال ، وكان هذا الحرب الذي قتل فيه أبو نقطة في سنة الف ومائتين وأربع وعشرين . وفي سنة الف ومائتين وثمان وعشرين وقع الصلح بينه وبين مولانا الإمام المتوكل على الله . وحاصل الصلح أنه يثبت الشريف على ما قد صار تحت يده من البلاد ، ثم بعد هذا انتقض الصلح بينه وبين الإمام المذكور ولم يزل الحرب ثائراً بينه وبين الامام الى سنة الف ومائتين وتسع وعشرين وهو مستمر على الانتماء إلى صاحب نجد . ثم مات سنة الف ومائتين وثلاث وثلاثين .

الشيخ حمود العمري بن سعيد بن محمد بن عمر بن عبد اللطيف الدمشقي الفاروقي

نشأ على منهج الكمال ، مرتديا برداء الحسن واللطافة والجمال ، ممتزجاً مع العلماء كامتزاجه مع الادباء ، محمود السيرة ، ممدوحاً بصفاء السريرة ، وكانت وفاته نهار السبت الحادي عشر من شهر رمضان سنة ثلاث وأربعين ومائتين والف ودفن في الدحداح .

حيدر بن سليمان بن داود بن سليمان

أديب له في الأدب اليد الطولى ، ومن التأليف في أنواع العلوم مايشهد له بكمال المعرفة فروعاً وأصولا ، ولقد ترجمه السيد حسن بن السيد هادي العاملي فقال :

البارع فلا يبلغ كنهه المادح وإن أطنب ، والواصف وإن أسهب ، لأنه قد استغرق جميع صفات الكمال ، وفاز منها بأعلى القداح نصيباً حتى جل عن الأضراب والأمثال ، وكيف تجد له من مثيل ، وقد جـاء في سائر نظمه بكل معنى جليل ، يبهر السامعين ، ويبهت المنشدين . وله من المصنفات في كتب الادب كتـابه المسمى بالعقد المفصل ، في قبيلة المجد المؤثل ، الذي دل على سعة باعه ، وغزارة اطلاعه ، وأما شرف نفسه فلا يحتاج لشهرته الى بينة وبرهان ، وأنّى وقد امتلأ بذكره المشرقـان والمغربان ، وتحلى جيد الدهر بعقد مفخره ، وأضاءت بسواد مفارق الايام لوامع درره ، ولقد كان مع قلة ذات يده يترفع عما يتصف به الشاعر ، وألزم نفسه بالرثاء والمدح للنبي والأطايب من عترته وذويه كابراً بعد كابر ، ومن جرى على مثالهم من العلماء ، والسادات الفضلاء ، فياله من ماجد بلغ من السخاء حداً تضوع في الخافقين نشره ، فطوى ذكر من قد سلف من أهل المكارم صيته وذكره ، وكان في عباداته وأوراده وأذكاره ، سواء في حضره وأسفاره . يجنب العين لذيذ النوم الذيذ مناجاة ربه ، مواظباً على التهجد يتنفس عن قلب أقلقه خوفه من الله كأن القيامة قامت الى جنبه ، مع مالازمه من العلل الموهية لصفات قوته ، وهو مع ذلك يتجدد نشاطه على العبادة كأنها بعض فطرته :

وإذا حلّت الهداية قلباً نشطت للعبادة الأعضاء

الى أن قال : وأما مولده الطاهر فانه ولد ليلة النصف من شعبان من

شهور سنة ستٍ وأربعين بعد الألف والمائتين هجرية ، وتوفي وله من العمر تسع وخمسون سنة . وأما وفاته فانه توفي عشية الاربعـاء ليلة التاسعة من شهر ربيع الآخر من شهور السنة الرابعة بعد الثلاثمائة والألف هجرية .

ومن نظمه رحمه الله تعالى وقد حرره في ضمن كتاب :

في فمي لم يزل لذكرك نشر طيّب واختبر بذاك النسيما
وبمرآة فكرتي لم يزل شخصك نصـب العينين مني مقيما
وعلى النحر من علاك ثنائي ليس ينفك عقده منظومـا
لاتظن البعـاد يحجب عني منك ذيّالك المحب الكريما
أنت عندي بالذكر أحضر من قاي بقلبي فكن بذاك عليما
لست أقوى لحمل عتبك يا من حملت فخره المعـالي قديما
فاتئن من غرب عتبك اليوم عني فبهِ قد تركت قلبي كليما

ومن نظمه :

ظن العذولُ أدمعي تناثرت حمراً لعمري غره مايبصره
وإنمـا يقدح زند الشوق في قلبي ومن عيني يطير شرره (١)

حيدر الغازي الهندي سلطان الولاية التي يقال لها لكهنو

قال صاحب التاج المكلل : وقفنا على كتاب مشتمل على وصف حاله

---

(١) قال في معجم المطبوعات : عرف (المترجم) بشاعر أهل البيت ، حيث امتحى في أكثر شعره مدحهم ورثاهم ، وترجمته في كتابه : العقد المفصّل ، ووصفه بأنه أثر أدبي لغوي انتقادي تاريخي ، وهو جزءان طبعا في بغداد سنة ١٣٣١ هـ وطبع الدر اليتيم في بمبي سنة ١٣١٢ هـ وله ومية القصر ، في شعراء العصـر ، والأشجان في مراثي خير إنسان .

صنفه أحمد الشرواني [١] الراحل إلى بلاد الهند ، وتاريخ هذا الكتاب سنة الف ومائتين وخمس وثلاثين، ذكر فيه أنه شاهد فيلاً ينوح على الحسين السبط رضي الله عنه في الشهر المحرم بشعر موزون وهذا مستبعد جداً ، والظاهر أن الفيل يهمهم همهمة تحصل وزن الشعر ، فإن كان صدور ذلك بلسان فصيح كنطق الإنسان ، فما أظن الناطق من حنجرته إلا شيطان ، وقد ينطق من الأصنام وهي جمادات ، وهو ينطق من رؤوس من يدعي أنه قد صار له قرين من الشيطان كما هو معروف انتهى كلام صاحب التاج.

أقول إن الله المقدس في ذاته ، المنزه عن سمات النقص في صفاته ، قد أودع في كل ذرة من مخلوقاته ، من بديع صنعه ولطيف آياته ، ومن الحكم والعبر ، مالا يدركه البصر ، قال الله تعالى : « وفي الأرض آيات للموقنين ، وفي أنفسكم أفلا تبصرون » [٢] وقال تعالى : « سنريهم آياتنا في الآفاق » [٣] وقال الشاعر :

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

وقال الله تعالى : « قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده » [٤] وقال في الهدهد : « فقال أحطت بما لم تحط به » [٥] ومثل هذا كثير ، شائع شهير ، خصوصاً في الأحاديث الشريفة ، والآثار الصحيحة المنيفة ، مما لاقدرة للانسان على ردّه ، ولا على إنكاره وإثبات ضده ، من نطق الذيب والضب ، والغزالة والحجر والمدر والشجر ،

---

(١) أديب يماني ، نزل كلكته من مدن الهند ، من كتبه : (نفحة اليمن ـ ط) (وحديقة الأفراح ـ تاريخ) توفى سنة ١٢٥٣ هـ .

(٢) سورة الذاريات الاية (٢٠ و ٢١) .

(٣) حم السجدة ، الآية (٥٣) .

(٤) النمل : (١٨) .

(٥) النمل : (٢٢) .

وغير ذلك ممـا لا يكاد أن تحصى أفراده ، ولا تحصر أعداده ، وذكر في بعض التفاسير أن اخوة يوسف لما أتوا والدهم بقميص يوسف وهو ملطخ بالدم وأخبروه بأن الذئب أكل أخـاهم يوسف ، فقال لهم اخرجوا في طلب الذئب و ائتوني به وإلا دعوت الله عليكم فتهلكوا ، فخرجوا في طلب الذئب حتى أخذوا ذئباً عظيما هائلًا ، واجتمعوا عليه حتى كتفوه ووضعوا الحبل في عنقه ، وجعلوا يضربونه ويجذبونه ، حتى أوقفوه بين يدي يعقوب عليه السلام ، فقال لهم يعقوب كيف عرفتموه ؟ قالوا لأنه كان كثيراً مايتعرض لنا في غنمنا وما دخل غنمنا سواه ، فدخل غنمنا وأكل أخانا ، فقال يعقوب سبحان من لو شاء لأنطقك بحجتك ، قال فنطق الذئب ، وقال لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، يانبي الله إني ذئب غريب ، افتقدت ولداً لي فجئت في طلبه حتى بلغت نحو بلدك هذه ، فأتى أولادك فضربوني ، وقد اتهموني بذنب لم أفعله ، والذي أنطقني بهذا إنك إن خليتني جئت اليك بكل ذئب في بلدك هـذا ، فيحلفون لك أنهم لم يأكلوا ولدك ، وكيف يأكل الذئب ولد الأنبياء . فأمر يعقوب بتخليته اهـ ووقع مثل هذا كثيراً ، فان قيل لعل ذلك من معجزات الأنبياء ، أقول ماجاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي ، ومن المعلوم أن سيدنا الحسين رضي الله عنه من أكبر الأولياء ، وأفضل الأصفياء ، فلا حاجة لما ذكره التاج ، بل تسليمه على ظاهره من أولى طريق وأحسن منهاج ، ومن أبدع الغرائب ، وألطف العجائب ، ماذكره الإمام الدميري [١] قال :

---

(١) هذه القصة العجيبة أوردها الدميري في أول الجزء الثاني من طبعة القاهرة سنة ١٢٧٥ هـ وهذا الجزء مبدوء بالزاغ من حرف الزاي ، وقد نقلها عنه الأستاذ الجد بالحرف . وقال الدميري : وهذا الخبر قد رواه الحافظ أبو طاهر السلفي على غير هذه الطريقة ، وذكرها (انظرها إن شئت) ——

رأيت في المنتقى من انتخاب الحافظ السلفي ، وفي آخر ورقة من عجائب المخلوقات عن محمـــد بن اسماعيل السعدي أنه قال : وجّه إليّ يحيى بن أكثم فتوجهت اليه ، فلما دخلت عليه ، إذا عن يمينه قمطر ، فأجلسني وأمر

— الدميري : نسبة إلى دَميرة بمصر ، وهو محمد بن موسى أبو البقاء (م : سنة ٨٠٨ هـ) والسلَفي : أحمد بن محمد بن سِلَفَة أبو طاهر الأصبهـــاني (م : سنة ٥٧٦ هـ) .

وقد ذكر المؤلف نقلاً عن الدميري أنه رأى هذه الحكاية في آخر ورقة من عجائب المخلوقات أيضا ، قلت : هو كتـــاب عجائب المخلوقات ، وغرائب الموجودات المطبوع ، والورقة الأخيرة منه هي خاتمة الكتاب وهي في حيوانات غريبة الصور والأشكال ، وفي حيوانات تخالف صورها وأشكالها أشكال الحيوانات المعهودة ، وذكرها في ثلاثة أقسام ، (القسم الأول) : أمم غريبة الأشكال والصور ، خلقها الله تعالى في أكناف الأرض وجزائر البحر ، (والقسم الثاني) : الحيوانات المركبة ، وهي التي تتولد بين حيوانين مختلفين في نوعيهما ، (والقسم الثالث) : أفراد الحيوانات التي هي غريبة الصور والشكل على سبيل الندور . وقد ذكر أصنافها وأوصافها ، وذكر هذا الزاغ في القسم الثالث منها . ومؤلف عجائب المخلوقات هو زكريا بن محمد بن محمود القزويني ، من سلالة أنس بن مالك الأنصاري (رضي الله عنه) وله : كتاب آ ثار البلاد وأخبار العبـــاد (م : سنة ٦٨٢ هـ)

ولأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (م : سنة ٢٥٥ هـ) كتاب الحيوان المطبوع بمصر بتحقيق وشرح الأستاذ عبد السلام محمد هارون ، وقد جاء في الجزء السابع منه (ص ١٨) ما نصه : وسنذكر من فطن البهائم ، وإحساس الوحش ، وضروب الطير ، أموراً تعرفون بها كثرة ما أودعها الله تعالى من المعارف ، وسخر لها من الصنعة .

قلت : ويصدق على هذا كله قوله سبحانه : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » .

فالاستقراء يطلعك في التواريخ والكتب المدونة ، وفي عالم الحس والوجود ، على عجائب وغرائب من صنع الله عز وجل ، مما لا يحيد عنه إلاّ مكابر حسّه ، ومغالط نفسه .

أن يفتح ، فإذا شيء خرج منه رأس كرأس إنسان ، ومن أسفله إلى سرته على هيئة زاغ وفي صدره وظهره سلعتان ، قال ففزعت منه ويحيى يضحك؛ فقلت له ما هذا أصلحك الله ، فقال لي سل عنه منه ، فقلت له ما أنت ، فنهض وأنشد بلسان فصيح :

أنا الزاغ ابو عجوه ... أنا ابن الليث واللبوه
أحب الراح والريحا ... ن والقهوة والنشوة
فلا عدوى يدي تخشى ... ولا يحذر لي سطوه
ولي أشياء تستظر ... ف يوم العرس والدعوة
فمنها سلعة في الظهر ... لاتسترها الفروة
وأما السلعة الأخرى ... فلو كان لها عروة
لما شك جميع النا ... س فيها انها ركوه

ثم صاح ومد صوته زاغ زاغ ، وانطرح في القمطر ، فقلت أعز الله القاضي وعاشق أيضا ، فقال هو ماترى لاعلم لي بأمره إلا أنه حمل الى أمير المؤمنين مع كتاب مختوم فيه ذكر حاله ، لم أقف عليه انتهى مات المترجم سنة الف ومائتين . و . .

السيد حيدر بن الموحوم[1] . . . الحلبي

الأديب الشاعر ، والأريب الماهر ، من أشرقت بالفضل أقماره وشموسه وتموج بالعلم عبابه وقاموسه ، وطار ذكره في الفيافي ، واشتهر قدره الوافر الوافي ، فكم نظم ونثر فنفث السحر الحلال ، وتلاعب برقائق الحكم فجرت لبلاغتها وبراعتها مجرى الأمثال ، وضمنها ماتتزين به الطروس ، وتميل له

(١) لم أقف على اسم أبيه .

القلوب والنفوس ، وقلدهـا من حلي البديع والمعاني ، ماهو أبهى من ضم الخصور وعناق الغواني ، فلله دره من همام تاه في ثوب البلاغـة كمالا ، ودهش ألباب أولى الفصاحة لطفا وجمالا ، وكاد نظمه يكتب بماء القلوب على محيا المحبوب ، فمن رفيع كلامه ، وبديع نظامه ، قوله من قصيدة يرثي بها الإمام الحسين روح الله روحه .

سبق الدمع حين قلت سقتهـا ... فتركت السما وقلت الدموع
فكأني في صحنها وهو قعب ... أحلب المزن والجفون ضروع
بت ليل التمام أنشد فيهـا ... هل لماض من الزمان رجوع
ودعت حولي الشجي ذات طوق ... مات منها على الغرام الهجوع
وسقتني بخمرتي مقلتيهـا ... ماعليه انحنين مني الضلوع
شاطرتني بزعمهـا الدار حزنا ... حيث أنّت وقلبي الموجوع
يا طروبا بالقد والنهـد دعني ... ما حنيني صبـابة وولوع
لم يَرُعني نوى الخليط ولكن ... من جوى الطف راعني مايروع
قد عذلت الجزوع وهو صبور ... وعذرت الصبور وهو جزوع
عجبا للعيون لم تغد بيضـا ... لمصاب تحمر فيه الدموع
أي يوم بشفرة البغي فيه ... عـاد أنف الإسلام فيه جديع
واستقل الهدى على غارة البين ... وشدت الرشد فيه النسوع (١)
يوم أرمى ثقل النبي على الحتف ... فحفت بالراسيـات الصدوع
حيث صكت بالطف هاشمُ وجهَ ... الموت فالموت من لقاها مروع
وقفت موقفا تضيفت الطير ... قِراه فحـوّم ووقـوع
بسيوف في الحرب صلّت فللجوس (٢) ... سجود من حولهـا وركوع

---

(١) جمع نِسْع ، وهو حبل عريض طويل ، تُشَدّ به الرحال .
(٢) جاس الشيءَ جَوساً : طلبَه بالحرص والاستقصاء .

موقف لا البصير فيـه بصير ... لاندهاش ولا السميع سميع
جلل الأفق فيه عـارض نقع ... بسنا البيض فيه برق لموع
فلشمس النهـار فيه مغيب ... ولشمس الحـديد فيه طلوع
أينما طـارت النفوس شعاعا ... فلطير الردى عليهـا وقوع
قد تواصت بالصبر فيه رجال ... حفظت عترة النبي إذ أضيعوا
سكنت منهم النفوس جسومـا ... هي بأس حفـائظ ودروع
سـد فيهم ثغر المنية سهم ... لثنايا الثغر المخوف طـلوع
وله الطرف حيث سار أنيس ... وله السيف حيث بات ضجيـع
لم يقف موقفاً من الحزم إلا ... وبه سن غـيره المقروع
كيف يلوي على الدنية جيدا ... لسوى الله مالواه الخضوع
طمعت أن تسومه القوم ضيما ... وأبى الله والحسام الصنيـع
وبه يرجـع الحفاظ لصدر ... ضاقت الأرض وهي فيه تضيع
فـأبى أن يعيش إلا عزيزاً ... أو تجلى الكفاح وهو صريـع
فتلقى الجموع فرداً ولكن ... كل عضو في الروع منه جموع
رمحه من بنانه وكأن من ... عزمه حـد سيفه مطبوع
زوّج السيف بالنفوس ولكن ... مهرها الموت والخضاب النجيـع
بأبي كالئاً[1] على الطف خدرا ... هو في حومة الحسام منيـع
قطعوا بعده عراه وياحبـل ... وريد الإسلام أنت القطيـع
وسروا في كرائم الوحي أسرى ... وعداك ابن أمها التقريـع
لو تراها والعيس جشمها الحا ... دي من السير فوق ما تستطيع
ووراها العفاف يدعو ولكن ... بـدم القلب دمعه مشفوع
ياترى فوقها بقية وجـد ... ملء أحشائها جوى وصدوع

---

(١) كلأ يكلأ كلأً : حرسه ؛ انتهى .

فترفق بهـــا فما هي إلا ناظر دامع وقلب مروع

قوضي ياخيام عـــليا نزار فلقد قوض العماد الرفيـــع

واملئي العين يا أمية نومـــا فحسين على التراب صريـــع

ودعي صكة الجباه لؤيّ ليس يجديك صكها والدموع

أفَلَـطْما بالراحتين فهـلا بدم الطعن والرماح شروع

وبـكاء بالدمـــع حزنا فهلا بسيوف لاتتقيهـا الدروع

قللي الإقراع ملومة الحيـْف فواهاً يافهر أين القريـــع

وقـال

يادار جائلة الوشـــاح حيتك نافحة الرياح

وسقتك من ديم الحيا وطفاء[1] ضاحكة النواحي

كم فيك قد نادمت من قمر يطوف بشمس راح

وخريدة تختـــال عن لدن وتبسم عن أقـاح

نشوانة الأعطـاف من خمر الصبا خَود رداح

ملكت قلوب بني الغرا م بلاحظ سكران صاح

جهد العواذل فيّ أن أسلو هوى الغيد الملاح

فمتى محب قـــد سلا هيفاء تسفر عن براح

ومن الذي قد كلف الطير ان مقصوص الجنـــاح

هيهـــات أخطأ ظنهم أن يستلين لهم جماحي

وهي قصيدة طويلة يرثي بها الامام الحسين الشهيد رضي الله عنه وله قصائد كثيرة كلها غرر . ولقد توفي المترجم رحمه الله تعالى عام الف وثلاثمائة وستة وكان عمره نحواً من خمس وخمسين سنة .

---

(١) سحابة وَطفاء : مسترخية لكثرة مائها .

حرف الخاء

الشيخ خالد أبو البهاء ضياء الدين النقشبندي الدمشقي إقامة

إمام العصر ، وغرة الشام ومصر ، من قلد جيد الزمـــان بقلائد بره وإحسانه ، وقيّد السِنة الثناء عن غير شكر نعمته وامتنانه ، أعظم العلماء قدرا ، وأعلاهم شهرة وذكرا ، لو نطق لسان الليل لقال إنه البدر بلامين ، أو لسان النهار لقال بأنه الشمس التي تجلى نورها في المشرقين والمغربين ، خلاصة العبّاد من العباد ، وصفوة أهل الزهادة والارشاد ، سلطـان ذوي العرفان ، ودليل أهل الذوق والوجـــدان ، كأن لسان زمانه يقول فيه بملء فيه :

يا من له في الناس ذكر سائر ... كالشمس يشرق نورها وتجول

ومواهب حضرية سيـــارة ... لا ينقضي سفر لهـــا ورحيل

وخلائق كالروض رق نسيمه ... فسرى وذيل قميصه مبلول

وتلاوة يجلي الدجى أنوارهـــا ... قد زانهـــا الترتيب والترتيل

وإذا تهجد في الظلام حسبته ... من نور غرته له قنـــديل

ملأت لطائف بره أوقـــاته ... فزمـــانه عن غيره مشغول

هذا هو الشرف الذي لا يدعى ... هيهات ما كل الرجال فحول

أيامه كست الزمان محاسناً ... فكأنهـــا غرر له وحجول

نفقت لديـــه سوق كل فضيلة ... والفضل في هذا الزمان فضول

فلعمري لقد شاد ربوع الطريقة وأقام أود متونها ، وزاد في بيان مشكلات الشريعة وعانى رمد عيونها ، ولقد ترجمه صوفي الزمان ، ومرشد الأوان ،

خليفته المنسوب اليه ، العلامة المرشد الشيخ محمد الخاني رحمة الله عليه ، في كتابه البهجة السنية ، في آداب الطريقة الخالدية ، ناقلاً عن الحديقة ، قال : اعلم أن شيخنا هو أبو البهاء ذو الجناحين ، ضياء الدين حضرة مولانا الشيخ خالد الشهرزوري الأشعري عقيدة ، الشافعي مذهبا ، النقشبندي المجددي طريقة ومشربا ، القادري السهروردي الكبروي الجشتي إجازة ، ابن أحمد بن حسين العثماني نسباً ، ينتهي نسبه الى الولي الكامل بير ميكائيل صاحب الأصابع الست المشهور بين الأكراد بشش انكشت ، يعني ست أصابع ، لأن خلقة أصابعه كانت هكذا . وهذا الولي معروف الانتساب الى الخليفة الثالث منبع الإحسان والحياء ذي النورين عثمان بن عفان الأموي القرشي رضي الله تعالى عنه .

العالم العلامة ، والعلم الفهامة ، مالك أزمة المنطوق والمفهوم ، ذو اليد الطولى في العلوم ، من صرف ونحو وفقه ومنطق ووضع وعروض ومناظرة وبلاغة وبديع وحكمة وكلام وأصول وحساب ، وهندسة واصطرلاب (١) ، وهيئة وحديث وتصوف ، العارف المسلك مربي المريدين ، ومرشد السالكين ، ومحط رجال الوافدين ، وأمه ينتهي نسبها إلى الولي الكامل الفاطمي بير خضر المعروف النسب والحال بين الأكراد قدس سره .

ولد رضي الله عنه سنة الف ومائة وتسعين تقريباً بقصبة قره داغ من أكبر سناجق بابان ، وهي عن السليمانية نحو خمسة أميال تشتمل على مدارس ، وتكتنفها الحدائق ، وتنبع فيها عيون عذبة السلسال ، ونشأ فيها وقرأ ببعض مدارسها القرآن ، والمحرر للامام الرافعي في فقه الشافعية ، ومتن الزنجاني في الصرف وشيئاً من النحو ، وبرع في النثر والنظم قبل بلوغ

(١) الاصطرلاب : آلة رصد قديمة ، لقياس مواقع الكواكب ، وساعات الليل والنهار . (يونانية)

الحلم ، مع تدريب لنفسه على الزهد والجوع والسهر والعفة والتجريد والانقطاع على قدم أهل الصفة . ثم رحل لطلب العلم إلى النواحي الشاسعة ، وقرأ فيها كثيراً من العلوم النافعة ، ورجع إلى نواحي وطنه ، فقرأ فيها على العالم العامل ، والنحرير الفاضل ، ذي الأخلاق الحميدة ، والمناقب السديدة ، السيد الشيخ عبد الكريم البرزنجي رحمه الله تعالى ، وعلى العالم المحقق الملا محمد صالح ، وعلى العالم المحقق الملا ابراهيم البياري ، والعالم المدقق السيد الشيخ عبد الرحيم البرزنجي أخي الشيخ عبد الكريم ، والعالم الفاضل الشيخ عبد الله الخرباني . ثم رحل إلى نواحي كوي وحرير ، وقرأ شرح الجلال على تهذيب المنطق بحواشيه على العالم الذكي ، والنحرير الألمعي ، الملا عبد الرحيم الزيادي المعروف بملا زاده . وأخذ في تلك النواحي غير ذلك عن غيره فعاد الى قصبة كوي ، للأخذ عن العالم العامل ، الورع الكامل ، ذي الفضل الجلي ، الملا عبد الرحمن الجلي ، رحمه الله تعالى ، فصادفه مريضاً مرضه الذي توفي فيه . ورجع إلى السليمانية ثانياً فقرأ فيها وفي نواحيها الشمسية والمطوّل والحكمة والكلام وغير ذلك ، وقدم بغداد وقرأ فيها مختصر المنتهى في الأصول ، ورجع إلى محله المأهول ، وحيث حل من المدارس ، كان فيها الأتقى الأورع السابق في ميادين التحقيق كلّ فارس ، لايسأل عن مسئلة من العلوم الرسمية إلا ويجيب بأحسن جواب ، ولا يمتحن بغويصة من تحفة ابن حجر أو تفسير البيضاوي إلا ويكشف عن وجوه خرائد الفوائد النقاب ، وهو يستفيد ويفيد ، ويقرر ويحرر فيجيد ، الى إنصاف وذكاء خارق ، وقوة حافظة بذهن حاذق ، ومهما دقق في درسه على مايويد ، يعجز أساتذته عن إرضاء ذهنه القائل لسان حاله هل من مزيد ، وطال ما ألقى السؤال ، واستشكل الإشكال ، فلم يكن المجيب إلا هو بأبدع منوال ، هذا مع تصاغره لدى الأساتذة والأقران ، وتجاهله عن كثير من المسائل مع العرفان ، حتى انه يقرأ من الكتب الصعبة ما لم يصل إذ ذاك إلى قراءته ،

بتحقيق يتحير فيه أهل مادته ، فاشتهر خارق علمه ، وطار إلى الأقطار صيت تقواه وذكائه وفهمه ، إلى أن رغب بعض الأمراء في نصبه مدرساً قبل التكميل في إحدى المدارس ، وان يوظف له وظائف ويخصه بالنفائس ، فلم يجبه إلى هذا المرام ، زهداً فيما لديه من الحطام ، قائلاً إني الآن لست من أهل هذا المقام ، فرحل بعدها الى سندج ونواحيها وقرأ فيها العلوم الحسابية والهندسية ، والاصطرلابية والفلكية ، على العالم المدقق جغميني[١] عصره ، وقوشجي[٢] مصره ، من في إشارته شفاء كل داء ، ونجاة كل عليل بالجهل سقيم ، الشيخ محمد قسيم[٣] السنندجي ، وكمّل عليه المادة ، على العادة ، فرجع الى وطنه قاضي الأوطار ، وصيته الى أقصى الأقطار طار ، فولي بعد الطاعون الواقع في السليمانية عام الف ومائتين وثلاثة عشر تدريس مدرسة أجل أشياخه المتوفين بالطاعون المذكور السيد عبد الكريم البرزنجي ، فشرع يدرس في العلوم ، وينشر المنطوق منها والمفهوم ، غير راكن الى الدنيا ولا الى أهلها ، مقبلاً على الله تعالى متبتلاً اليه بأصناف العبادات فرضها ونفلها ، لايتردد الى الحكام ، ولا يحابي أحداً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتبليغ الأحكام ، لاتأخذه في الله لومة لائم ، وهو نافذ الكلمة محمود السيرة يأخذ بالعزائم ، حتى صار محسود صنفه ، عزيزاً في وصفه ، مع الصبر على الفقر والقناعة ، واستغراق الأوقات بالإفادة والطاعة ، الى أن جذبه سنة الف ومائتين وعشرين شوق الحج الى بيت الله الحرام ،

---

(١) هو محمود بن محمد بن عمر الجغميني الخوارزمي من علماء القرن التاسع للهجرة ، له الملخص في الهيئة ، مع شرح عليه لموسى بن محمود الشهير بقاضي زاده الرومي (طبع الهند سنة ١٢٩٢ هـ) ، وطبع معه شرح آخر .

(٢) هو علاء الدين علي بن محمد (م : ٨٧٩ هـ) كان ماهراً في العلوم الرياضية وغيرها ، وله شرح على تجريد الكلام للطوسي (توحيد) وبهامشه حاشية صدر الدين الشيرازي (طبع الهند سنة ١٣٠٧ هـ) .

(٣) في معجم المطبوعات : محمد وسيم (بالواو) الكردي السنندجي ، له حاشية المحاكمات ، وهو مطبوع مع كتاب أخيه عبدالقادر المسمى « تقريب المرام ، في شرح تهذيب الكلام » وهذا الشرح على قسمي المنطق والكلام (ج ٢ بولاق سنة ١٣١٩) .

وتوق زيارة روضة خير الأنام ، عليه الصلاة والسلام ، فتجرد عن العلائق ، وخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله الصـادق ، فرحل هذه الرحلة الحجازية من طريق الموصل وديار بكر والرّها وحلب والشام ، واجتمع بعلمائها الأعلام ، وصحب في الشام ذهاباً وإياباً العالم الهمام ، شيـخ القديم والحديث ، ومدرس دار الحديث ، الشيخ محمد الكزبري رحمه الله تعالى وسمع منه وأخذ عليه ، فقربه وقرّ به عيناً وفاز بما لديه من علو الاسناد ، وإجازات السلسلة الجليلة المفاد ، وصحب تلميذه كذلك الأخص الأصفى الشيخ مصطفى الكردي متـع الله الطلاب بطول حياته ، فأجازه لشيخه بأشياء ، منها الطريقة العلية القادرية ، فخرج منها على جادة العزائم بأحسن قدم ، يطعم ولا يطعم ، فوصل المدينة المنورة ، ومدح الرسول ﷺ بقصائد فارسية بليغة محررة ، ومكث فيها قدر مايمكث الحاج ، وصار حمامة ذلك المسجد الوهاج ، (قال) وكنت أفتش على أحد من الصالحين ، لأتبرّك ببعض نصائحه لعلي أعمل بها كل حين ، فلقيت شيخاً يمنياً متربضـا ، عالماً عاملاً صاحب استقامة وارتضا ، فاستنصحته استنصاح الجاهل المقصر ، من العـالم المستبصر ، فنصحني بأمور ، منها : لاتبادر بالانـكار في مكة على ما ترى ظاهره يخالف الشريعة ، فلما وصلت الى الحرم المكي الشريف وأنا مصمم على العمل بتلك النصيحة البديعة ، بكرت يوم الجمعة الى الحرم ، لأكون كمن قدم بدنة من النعم ، فجلست الى الكعبة الشريفة أقرأ الدلائل ، إذ رأيت رجلاً ذا لحية سوداء عليه زي العوام قد أسند ظهره الى الشاذروان ووجهه الي من غير حائل ، فحدثتني نفسي أن هذا الرجل لايتأدب مـع الكعبة ، ولم أظهر عتبه ، فقال لي يا هذا ما عرفت أن حرمة المؤمن عند الله أعظم من حرمة الكعبة فلماذا تعترض على استدباري الكعبة وتوجهي اليك ، أما سمعت نصيحة من في المدينة وأكد عليك ، فلم أشك في أنه من أكابر الاولياء ، وقد تستر بأمثال هذه الاطوار عن الخلق ، فانكببت على يديه وسألته العفو وان يأمرني بدلالته على الحق ، فقـال لي فتوحك لايكون في هذه الديار ، وأشار بيده الى الديار الهندية ، وقال تأتيك إشارة من هناك فيكون فتوحك في هاتيك الأقطار ، فأيست من تحصيل

شيخ في الحرمين يرشدني الى المرام ، ورجعت بعد قضاء المناسك الى الشام ، انتهى .
فاجتمع ثانياً بعلمائها ، وحل في قلوبهم محل سويدائها ، فأتى إلى وطنه بعد قضاء وطره بالبركات ، وباشر تدريسه بزيادة على زهده الأول وعدة الحسنات الأول سيئات ، مستقيماً على أحسن الأحوال ، متشوقاً الى مرشد يسلك عنده طريق فحول الرجال ، الى أن أتى السليمانية شخص هندي من مريدي شيخه الآتي وصفه ، فاجتمع به وأظهر احتراقه واشتياقه لمرشد كامل يسعفه ، فقال الهندي ان لي شيخا كاملا ، مرشداً عالماً عاملاً ، عارفاً بمنازل السائرين الى ملك الملوك ، خبيراً بدقائق الإرشاد والسلوك ، نقشبندي الطريقة ، محمدي الأخلاق علما في علم الحقيقة ، فسر معي حتى نسعى الى خدمته في جهان اباد ، وقد سمعت اشارة بوصول مثلك هناك الى المراد ، فانتقش القول في قلبه ، وأخذ بمجامع لبه ، وعزم على المسير بالتجريد تاركا منصب التدريس والوظائف ، فرحل سنة الف ومائتين واربع وعشرين الرحلة الأخرى الهندية من طريق الري ، يطوي بأيدي العيس بساط البيداء أمرع طي ، فوصل طهران ، وبعض بلاد ايران ، والتقى مع مجتهدهم المتضلع بضبط المتون والشروح والحواشي ، اسماعيل الكاشي ، فجرى بينهما البحث الطويل ، بمحضر من جمهور طلبة اسماعيل ، فأفحمه افحاما أسكته ، وأنطق طلبته ، بأن ليس لنا من دليل ، وقد أشار الى هذه الواقعة في قصيدته العربية ، متخلصا لمدح شيخه الآتية أوصافه العذبية ، ثم دخل بسطام وخرقان وسمنان ونيسابور ، وزار امام الطريق البحر الطامي ، الشيخ ابا يزيد البسطامي ، قدس سره ، ومدحه بمنظومة فارسية ، وزار في تلك البلاد ، من الأولياء الأمجاد ، حتى وصل طوس ، وزار بها مشهد السيد الجليل المأنوس ، نور حدقة البتول والمرتضى ، الامام علي الرضا ، ومدحه بقصيدة غراء فارسية ، اذعن لها الشعراء الطوسية ولظهور البدع فيها عجل الارتحال والقيام ، الى تربة شيخ مشايخ الجام ، شيخ الإسلام ، الشيخ احمد النامقي الجامقي ، فزاره ومدحه بمقطوعة فارسية بديعة فدخل بعدها بلدة هراة من بلاد الافغان ، واجتمع مع علمائها بالجامع

فجاروه في ميدان الامتحـان ، فوجدوه بحراً لا ســاحل له ، وأقر كل منهم بالفضل له ، فانثنى يحل لهم ما أشكل عليهم من المسائل بأبلغ مقال ، ولما رحل عنهم ودعوه بمسير أميال ، لما شاهدوه فيه من بديع الحال ، فسار في مفاوز يضل فيها القطا ، ويخفق قلب الاسد مخافة خوارج الافغان المقتحمين مهالك السطا ، حتى وصل قندهار وكابل ، فاجتمع بجم غفير من علماء البلد المذكور وامتحنوه بمسائل ، من علم الكلام وغيره فرأوه فيها كالسيل الهائل ، والغيث الهاطل ، ثم رحل الى بلد لاهور فســار منها حتى وصل الى قصبة فيها العالم النحرير ، والولي الكبير ، اخو شيخه في الطريقة والانابة الى مولاه ، الشيخ المعمر المولى ثنــاء الله النقشبندي ، فطلب منه الامداد بالدعـــاء ، قال فبت في تلك القصبة ليلة فرأيته في واقعة أنه قد جذبني من خدي بأسنانه المباركة يجرني اليه وأنا لا أنجر ، فلما أصبحت ولقيته قال لي من غير أن أقص عليه الرؤيا سر على بركة الله تعالى الى خدمة أخينـا وسيدنا الشيخ عبد الله مشيراً الى أن فتوحي سيكون عند الشيخ المقصود ، وهناك تؤخـذ المواثيق والعهود ، وتنجز الوعود ، فعرفت أنه قد أعمل همته الباطنية العلية ليجذبني اليه ، فلم يتيسر لقوة جـاذبة شيخي المحول فتحي عليه ، فرحلت من تلك القصبة أقطع الأنجاد والوهـاد ، الى أن وصلت دار السلطنة الهندية ، وهي المعروفة بجهان اباد بمسير سنة كاملة ، ولقد أدركتني نفحـاته واشاراته قبل وصولي بنحو أربعين مرحلة ، وهو أخبر قبل ذلك بعض خواص أصحابه بوفودي الى أعتاب قبابه ، وليلة دخوله الى جهـــان اباد أنشأ قصيدته العربية الطنانة من بحر الـكامل يذكر فيها وقائع السفر ، ويتخلص لمدح شيخه قدس الله سره الأنور ، ويستعطفه سائلًا من الله القبول ، شاكراً له على الوصول ، مطلعها :

كملت مسافة كعبة الآمال ... حمداً لمن قد منّ بالإكمال

وأراح مركبي الطريح من السرى ... ومن اعتوار الحط والترحال

وأزاح عني قيد حب مواطني ... وعلاقة الاحباب والاموال

وهموم أمهتي وحسرة إخوتي ... وغموم عم أو خبال الخال

وتشاحن الاقران في رتب العلا ... وملامة الحساد والعذال

وأعاذني من فرقة أفاكه ... وأجارني من أمة جهال

أعني روافض اذربيجان الألى ... هم أشنع المخلوق في الافعال

ومضلها الكاشي اسماعيل إذ ... قد حار لما شاب نار جدال

سحقاً له من مدع متزخرف ... بعدالة من منكر مضلال

وغلاة فرس في حديث مسند ... قد بشروا بإطاعة الدجال

وشرار أهل الطوس من سموا الرضا ... ونفوسهم سموا أحبة آل

وفساد قطاع الطريق بخيو ... ومن المجوس ومالهم من وال

منعوا الأذان رعاية الإسلام إذ ... ضلوا وخاضوا أبحر الإضلال

ومنها متخلصا

وأنالني أعلى المآرب والمنى ... أعني وصال المرشد المفضال

من نور الآفاق بعد ظلامها ... وهدى الخلائق بعد طول ضلال

نجم الهدى بدر الدجى شمس التقى ... كنز الفيوض خزانة الاحوال

كالارض حلماً والجبال تمكنا ... والشمس ضوءاً والسماء معالي

عين الشريعة معدن العرفان والـ ... إحسان والايقان والافضال

قطب الطرائق قدوة الأوتاد بل ... غوث الخلائق رحلة الابدال

شيخ الانام وقبلة الاسلام صد ... ر للعظام ومرجع الاشكال

هاد إلى الاولى بهدي مختف ... داع الى المولى بصوت عالي

محبوب رب العالمين من اهتدى ... بهداه نال السبق للأمثال

أخفاه رب العرش جل جلاله ... في قبة الإعزاز والإجلال

ومنها يخاطب السالك

لكن بذا الوادي المقدس خالعا نعلي هوى الكونين باستعجال
حجر مقامك بالمقام بلا صفا من طوف حضرة كعبة الآمال

ومنها

من شام لمعا من بروق دياره بمشام روض الشام كيف يبالي
آنست من تلقاء مدين مصره ناراً تهيج البال بالبلبال
فهجرت أهلاً قائلاً لهم امكثوا أرجع اليكم غب الاستشعال
ونويت هجران الأحبة كلهم وركبت متن الاجرد الصهال
فطوى منازل في مسيرة منزل واهاً لجار سابح شملال

ومنها

سلب الهوى لبي فما في خاطري غير الحبيب وشوق طيف وصال
قد حان حين تشرفي بوصاله من لي بشكر عطية الايصال
فكأنما قضيت إلهنا في أشهر طياً لبعد مسافة الأحوال
ووهبت إقداماً على طي الفلا ونزول غور وارتقاء جبال
ورزقتنا تقبيل عتبة قبلة فاز المقبل منه بالإقبال
فارزق إله العالمين بحقه أدبا يليق بذا الجناب العالي
وأمددنا بلقائه وبقائه وعطائه ونواله المتوالي
زدنا حضوراً في حضور قبابه أدم الورى بجاه تحت ظلال

ومنها

زد كل يوم في فؤادي وقعه ما دمت حياً في جميع الحال
وأمتن مرضياً لديه وراضيا عنه رضي يجدي مفاز مآل
فالحمد للفتاح أبواب العطا القادر المتقدس الفعال
ثم الصلاة على الرسول المجتبى خير الورى والصحب بعد الآل

وهي طويلة اكتفينا بذكر هذا القدر منها وفيه الكفاية، لطالب الدراية

والرواية . وله غيرها من المقاطيع العربيـــة ، ومن الفارسية ، قصائد ومقاطيع كثيرة أنسية ، منها قصيدة غراء في مدح شيخه قدس سره أيضا .
وبعد وصوله تجرد ثانياً عما عنده من حوائج السفر ، وأنفق ماله كله على المستحقين ممن حضر ، فأخذ الطريقة العلية النقشبندية بعمومها وخصوصها ، ومفهومها ومنصوصها ، على شيخ مشايـــخ الديار الهندية ، وارث المعارف والأسر الجددية ، سباح بحار التوحيد ، سياح قفار التجريد ، قطب الطرائق ، وغوث الخلائق ، ومعدن الحقائق ، ومنبع الحكم والإحسان والإيقان والرقائق ، العالم النحرير الفاضل ، والعلم الفرد المكمل الكامل ، المتجرد عما سوى مولاه ، حضرة الشيخ عبد الله الدهلوي قدس سره . واشتغل بخدمة الزاوية مع الذكر والمجاهدة ، فلم يمض عليه نحو خمسة أشهر حتى صار من أهل الحضور والمشاهدة ، وبشره شيخه ببشارات كشفية قد تحققت بالعيان ، وحل منه محل إنسان العين من الإنسان ، مع كثرة تصاغره بالخدم ، وكسره لدواعي النفس بالرياضات الشاقة وتكليفها خطط العدم ، فلم تكمل عليه السنة حتى صار الفرد الكامل العلم ، والله يؤتي ملكه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .
ولا غروفان من الســـالكين من وصل في لحظة ، ومنهم من وصل في ساعة ، ومنهم من وصل في يوم ، ومنهم من وصل في اسبوع ، ومنهم من وصل في شهر ، ومنهم من وصل في سنة ، ومنهم من وصل في سنين ، كما هو مذكور في كتاب منهاج العابدين . وشهد له شيخه عند أصحابه وفي مكاتيبه المرسولة اليه بخطه المبارك بالوصول الى كمال الولاية ، وإتمام السلوك العادي مع الرسوخ والدراية ، والفناء والبقاء ، الأتمين المعروفين عند الأولياء ، وأجازه بالإرشاد ، وخلفه الخلافة التـــامة في الطرائق الخمسة : النقشبندية والقادرية والسهروردية والكبروية والجشتية . وأجاز له جميـــع مايجوز له روايته من حديث وتفسير وتصوف وأحزاب وأوراد ، واجتمع بإشارة من شيخه قدس سره بالعالم الفاضل ، المدرس الواعظ الصوفي الكامل ،

صاحب التآليف النفيسة في التفسير ، ورد الروافض بأبلغ تحرير ، الشيخ المعمر المولى عبد العزيز الحنفي النقشبندي ابن العالم العامل ، المولى الكامل ، ولي الله الحنفي النقشبندي رحمه الله تعالى . فأجاز له روايات الصحاح الستة وبعض الأحزاب ، وكتب له إجازة لطيفة وصفه فيها بقوله : صاحب الهمة العلية في طلب الحق . ثم أرسله بعد ملازمته سنة بأمر مؤكد لم يمكنه التخلف عنه إلى هذه الأقطار والبلاد ليرشد المسترشدين ، ويربي السالكين ، بأتقن إرشاد وشيعه بنفسه نحو أربعة أميال ، ليأتي أوطانه ممتثلا للأمر الواجب الامتثال ، سائراً في طريقه برّاً مدّة وبحراً نحو خمسين يوما ، لم يطعم طعاماً فيه ولم يشرب الماء متغذيا مترويا بالعبادة والذكر والمشاهدة والزهادة ، حتى خرج من بندر مسقط الى نواحي شيراز ويزد وأصفهان ، يعلن الحق أينما كان ، وكم مرة تجمع بعض الروافض لضربه وقتله ، بعد عجزهم عن أجوبة أدلة عقله ونقله ، فهجم عليهم بسيفه البتار ، فنكصوا على أعقابهم وولوا الأدبار ، ثم أتى همدان وسنندج فوصل السليمانية عام الف ومائتين وستة وعشرين باستقبال أعيان وطنه معززاً مكرما ، فقدم في تلك السنة بإشارة من شيخه مدينة الزوراء ، ليزور السادة الأولياء ، فنزل في زاوية الغوث الأعظم ، سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلي قدس سره الأقوم ، وابتدأ هناك بإرشاد الناس ، على أحكم أساس ، فمكث نحو خمسة أشهر ثم رجع الى وطنه بشعار الصوفية الأكابر ، مرشداً في علمي الباطن والظاهر ، ولما اطردت سنة الله في الذين خلوا من قبل ، أن يجعل حساداً لكل من تفرد بالفضل ، وكلما كان الكمال والمحبوبية أشد ، كان الإنكار والحسد أشد ، هاج عليه بعض معاصريه ومواطنيه بالحسد والعداوة والبهتان ، ووشوا عليه عند حاكم كردستان ، بأشياء تنبو عن سماعها الآذان ، وهو بريء من كلها بشهادة البداهة والعيان ، فلم يقابل

صنيعهم الشنيع ، إلا بالدعاء لهم وحسن الصنيع ، فلم تخب نارهم ، وما زاد إلا شرهم وعوارهم .

وقد قيل :

كل المداوات قد ترجى إزالتها   إلا عداوة من عاداك عن حسد

فخلاهم وشأنهم في السليمانية ، ورحـــل الى بغداد عام الف ومائتين وثمانية وعشرين مرة ثانية ، فألف الذي تولى كبر البهتان من المنكرين رسالة عاطلة من الصدق والصواب ، ومهرها بمهور إخوانه المنكرين مشحونة بتضليل القطب المترجم وتكفيره ولم يخشوا مقت المنتقم الشديد العقاب ، وأرسلها الى والي بغداد سعيد باشا يحرضه على إهـــانته ، وإخراجه من بغداد بسعايته ، فبصره الله تعالى بدسائسهم الناشئة من الحسد والعناد ، وأمر بعض العلماء بردها على وجه السداد ، فانتدب له العـــالم النحرير الدارج الى رحمة الله القدير ، محمد أمين افندي مفتي الحلة سابقا ، وكان مدرس المدرسة العلوية لاحقا ، بتأليف رسالة طعن بأسنة أدلتها أعجازهم فولتهم الأدبار ثم لاينصرون ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ، ومهرت بمهور علماء بغداد ، وأرسلت الى المنكرين فسلقتهم بألسنة حداد ، فخبت نارهم ، وانطمست آثارهم ، ورجع بعد هذه الأمور إلى السليمانية ، محفوفاً بالكمالات الإحسانية ، وبالجملة انتفع به خلق كثيرون من الأكراد ، وأهل كركوك واربل والموصل والعمادية وعينتاب وحلب والشام والمدينة المنورة ومكة المعظمة وبغداد ، وهو كريم النفس حميد الأخلاق باذل الندى حامل الأذى حلو المفاكهة والمحاضرة ، رقيق الحاشية والمسامرة ، ثبت الجنان ، بديع البيان ، طلق اللســـان ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، يأخذ بالأحوط والعزائم ، يتكفل الأرامل والأيتا م ، شديد الحرص على نفع الاسلام .

وله من المؤلفات شرح لطيف على مقامات الحريري لكنه لم يكمل ، وشرح على حديث جبريل جمع فيه عقائد الإسلام إلا أنه باللغة الفارسية ،

وأكثر شعره فارسي ، وله فيه ديوان نظم بديع ، ونثر يفوق أزهار الربيع ، وهو الآن أعني تاريخ عام الف ومائتين وثلاثة وثلاثين يدرس العلوم ، من حديث وأصول وتصوف ورسوم ، ويحيي للأولياء الرسوم ، ويداوي الكلوم ، ويربي السالكين على أحسن حال ، وأجمل منوال ، وقد مدحه أدباء عصره من مريديه وغيرهم بقصائد فارسية وعربية ، ورحل اليه كثير من الاقطار الشرقية والغربية ، وبابه محط رحال الافاضل ، ومخيم أهل الحاجات والمسائل ، لايشغله الخلق عن الحق ، ولا الجمع عن الفرق ، لازال ظله ممدوداً ، ولواء ترويج الشريعة والطريقة بوجوده معقوداً ، آمين .

إن الذي قلت بعض من مناقبه ... مازدت الا لعلّي زدت نقصانا

انتهى . ثم قال صاحب الحديقة سيدي محمد بن سليمان في رسالته المرقومة : ولقد حبب الي أن أثبت هنا قصيدة نظمتها سنة الف ومائتين واحدى وثلاثين في مدحه ، مستنديا مستجيزاً من فيض فتحه ، حتى تتخلد في الدفاتر ، وتبقى من المآثر ، وهي هذه برمتها .

تبدت لنا أعلام علم الهدى صدقا ... فصار لشمس الدين مغربنا شرقا
وأشرق منها كل ماكان آفلا ... وأصبح نور السعد قد ملأ الأفقا
سقى الله من ماء المحبة وابلا ... قلوبا به هامت فقل كيف لاتسقى
لقد زهدوا فيما سواه فأصبحت ... قلوبهم مملوءة للقا شوقا
لقد غرقوا في بحر حب الههم ... فناهيك من بحر وناهيك من غرقى
اذا مامرت للسر أسرار شوقهم ... لسيدهم زادوا لرتبته حرقا
قلوب سرت نحو الهدى بمعسكر ... فعادت سهام الحب ترشقها رشقا
وجاء من التوحيد جيش عرمرم ... فأفنى الذي أفنى وأبقى الذي أبقى
هم القوم لايشقى جليسهم غدا ... وهل أحد يحظى بقربهم يشقى
ابا خالد ذلت لديك عصابة ... فوالاهم حبا وأدناهم وفقا

لك الله ياشمسا أضاء بنورهـا من الدين ماقد كان أظلم وازرقا
سقيت قلوبا طالما شفهـا الظما فأمطرتها من ماء علم الهدى ودقا
فأحييت منها كل ما كان ميتا ورقيت منها كل ما كان لايرقى
وأخرجتها من كل جهل وظلمة فيها دجـا ليل ألحت له برقا
وأدخلتهـا حسن التوكل مخلصا وأمسكتها للعز بالعروة الوثقى
شفيت بأنوار الغيوب قلوبنا فاسمك تنشق القلوب له شقا
وقد كان سلطان الهوى متمكنا فأوسعهـا ذلا وعبّدها رقا
فاعتقتها من رقها بتلطف فجوزيت من خير منحت الورى عتقا
اذا استبقت بالعـارفين خيولهم فخيلك بالتوحيد قد حازت السبقا
وان ركبوا نحو المعارف مركبا ركبت اليها في بحار الهوى عشقا
سموت بنور الله عن كل ناظر فصرت ترى في الغيب مالاترى الزرقا
فانت امـام العارفين ونورهم ومنطقهم مهما أردت بهم نطقـا
فعطفـا على من لايلوذ بغيركم بأن ترشقوه من ندى فيضكم رشقا
فأنتم كرام لايضـام نزيلكم بجاهكم لاتمنعوا الوصـل والعتقا
عليك سلام الله ماذر شارف وما صدحت شجوا لموكرها ورقا
وصل على المختار من آل هاشم كما جاء بالحق الذي أظهر الحقا

ومن خوارقه ان من جالسه ولازمه ، وراعى الآداب ظاهرا وباطنا معه ، انتفـع من لحظه ، واسترزق من رزقه المكنون في لفظه ، من الانوار والاسرار ووجد تأثير ذلك في الحـال ، وزهد قلبه عن حب الدنيا والجاه والمال ، واستيقظ من نومه وأفاق متفكرا في المآل ، وكاد أن يهجر الأهل والعيال ، وهذه الخاصة لا توجـد إلا عند الكمل من الرجال ، فالحمد لله الذي شرفنا برؤيته ، وأدخلنا في زمرته ، وأسأل من رب العباد ، أن يمن على المريدين بحصول المراد ، إنه كريم رحيم جواد ، ونعم

ما قيل :

ومن بعد هذا ما تجل صفاته   وما كتمه أحظى لديّ وأجمل

ثم ارتحل قدس سره من بغداد الى الشام بأهله وعياله واستوطن دمشق ، واشترى داراً رفيعة بالمحلة المشهورة بالقنوات ، ووقف بعضها مسجدا لله تعالى وأقام فيه صلاة الجماعة في الأوقات الخمسة ، وعمر فيها كثيرا من المساجد الخربة ، وأحيا فيها كثيرا من الجوامع المندرسة ، وذلك عام ثمانية وثلاثين ومائتين وألف . ولم يزل متردّياً برداء الجود والكرم ، ناشرا للعلم والفضائل والحكم ، وامتدحه جمع من شعرائها وأدبائها بقصائد لطيفة ، ومقاطيع منيفة ، فمنها ما مدحه بعضهم بها في عام قدومه دمشق ، وذلك عام ١٢٣٨ ألف ومائتين وثمانية وثلاثين :

يا ملاذاً قد حبانا بالنوال   وبدا إرشاده يحكي الهلال
وسما بين البرايا عندما   بالهدى جاء على نهج الكمال
مرشد القوم إمام كامل   وإليه منهج الإرشاد آل
حبذا مولىً به نلنا الهدى   قد أدام النفع فيه ذو الجلال
فاح عرف الفتح لما جاءنا   وعليه النور يعلوه الجمال
بل طبيب القوم في حال الهدى   عارف بالله لا يثنيه حال
بحر علم من لدن رب العلى   سار بالتحقيق أهل الاتصال
نوره يهدي الى الحق فقل   عنده ما شاء ربي المتعال
وبه الشام غدت باسمة   إذ غدا عرفانه السحر الحلال
نقشبند العصر مناح الهدى   مذ أتانا قلت مه يا للرجال
هذا من دانت له أهل الحمى   في دمشق الشام أرباب النوال
زين عقد العارفين الفضلا   شمس فضل ما له حقاً مثال
عين هذا الدهر نور واضح   ليس يثنيه لإرشاد ملال
كنز فضل الهدي مصباح الورى   ليس في مجلسه تلقى جدال
أشرقت بلدتنا فيه كما   أشرقت شمس التهاني بالوصال

جلّ أستاذاً تسامى رفعة ولي العرفان إذ نال المنال
أرفعيٌّ ألمعيٌّ ذو تقى جامع الشرع لنا حالاً وقال
كوكب العزّ بدا مبتسماً في دمشق الشام مذ فيها استطال
لذّ شرباً ورده في حانه فابتغ الورد لديه لا تبال
فهو بحر مورداً طاب وكم من مريد مدحه السامي أطال
ثق به إن رمت أسنى منحة من إله في علاه متعال
فهو حبر جهبذ سادت به عصبة الذكر فحقق ما يقال
خمره المجلي شفاء قد غدا فاحتسي يا طالباً صافي الزلال
وارتشف من خمره ثم اجتني ثمراً ينفى به الداء العضال
والزم السر بذكر ترتقي رتباً جلت كمالاً عن مثال
والتزم نور الهدى مرشدنا تلق حقاً درسه مجلى جمال
سادتي لا تهجروني وارفقوا بفتىً علاهٌ وجد وانتحال
ليس يرجو في الورى إلاكم لا ولا يبدي الى الغير سؤال
فاسعفوه وانجدوه كرماً فلكم في بابكم حطت رحال
واعذروني فقصوري ظاهر واصفحوا فالصفح من حسن الخصال
دمت للارشاد ما قال امرؤ يا ملاذاً قد حبانا بالنوال

هذا ولو أردت أن أذكر عشر معشار ما مدح به ذلك الأستاذ ، والقطب الأوحد الفرد الملاذ ، لخرجت عن منهج السداد ، وتحولت عن الايجاز الذي هو المراد ، وعلى كل فشهرته في العالم كافية ، وسيرته المحمودة سنية وافية ، وقد أخذ سيدي الوالد عنه ، وحصّل جلّ نفعه طريقة وعلماً منه ، ولازمه الى انتهاء أجله ، وكان غاية مراده ومنتهى أمله ، وكان للسيد المترجم به عناية قوية ، ومحبة أبوية ، ولما قرب ارتحاله رضي الله عنه من دار الفناء ، الى دار البقاء ، وآن أوان اجابة روحه الزكية ، لأمر ربها راضية مرضية ، كأن الله تعالى كشف له عن ذلك ، فأمر بحفر

القبر المبارك ، وعين مكانه في الصالحية خارج دمشق الشام ، في تل تحت جبل قاسيون مقابل مقام الأربعين ، فاستقاموا في حفره ثلاثة أيام ، فبعد أن تم الحفر بيوم أو يومين ابتدأه المرض يوم الثلاثاء الحادي عشر من شهر ذي القعدة عام ألف ومائتين واثنين وأربعين . وتوفي ليلة الجمعة رابع عشره بالطاعون ، فجمع الله له بين شهادات متعـــددة : الطاعون والجمعة والغربة وطلب العلم ، ودفن في القبر الذي أمر بحفره . وقد بنى حضرة السلطان الأعظم والخاقان الأفخم السلطان عبد المجيد خان ، رحمه الله رحمةً دائمة الى آخر الزمان ، على قبره الشريف بناء جميلًا مشتملًا على قبة على القبر الشريف ومسجداً وعدة مقاصير للمريدين المتجردين ، ومطبخاً وبركة عظيمة الماء ، وجميع ذلك في محله ظاهر معروف مشهور مقصود للزائرين والواردين . وقد رثاه الفاضل النبيل ، جناب الشيخ اسماعيل بقوله :

ما للجبال الراسيات تميل ... ما للبـدور يرى بهن أفول
ما للظلام يجر ذيل ردائه ... فوق الضياء فلم يقله مقيل
ومخدرات الحر تنثر لؤلؤاً ... من دمعها فوق الخدود يسيل
والورق أكثرت النواح تخضبا ... كف البطائح دمعها المهمول
والدهر ألبس أهله حال العنا ... وعلا رياض الشام منه ذبول
والحزن قام على منابر حيّنا ... أبداً خطيباً لا يكاد يزول
والأرض ترجف والنوائب أدهمت ... والبين يهجم والخطوب تجول
هذا مصاب ليس يحدث مثله ... تالله كم دهشت لديه عقول
ماذا بدا في الكون يا أهل النهى ... هل مخبر عني الشكوك يزيل
هل كان يوم الصعقة الأولى وهل ... دهم الورى بالصور اسرافيل
أم زلزلت تلك القيامة وانطوت ... حجب الحياة وعاجل التهويل
أفصح لنا عما بدا ياذا الحجا ... فغدا لسان الحال منه يقول
قف وانتبه ما قد بدا فيما استوت ... فيه الخـلائق عالم وجهول

قدمات كهف العلم سلطان التقى حبر له المعقول والمنقــول
سند السيادة والرياسة للورى قاص ٍ ودان ٍ فضله مأمول
صدر المجالس إن بدا فكأنه الــ ـنعمان يروي عن عطا ويقول
بحر أفاض على الورى مدراره فروى العطاش زلاله المعسول
وتفجرت منه ينابيع حــلا منها لورّاد الهــدى التعليل
بكت العيون على فراقك سيدي وبكاؤها لك بالدمــاء قليل
وافى ضياء الدين بدر زمانه قطب الوجود وللعلا إكليل
عند المليك الحق قد أضحى له في مقعد الصدق الأجلّ مقيل
هيهات إن جاد الزمان بمثله إن الزمان بمثله لبخيــل
يا خالداً في حضرة القدس التي كم طاح دون فنائها مقتول
أدناك ربك منزلاً ترقى به فلك الشهود وكم بذاك نزول
وأباح روحك حضرة قدسيةً عند المهيمن ما لهــا تبديل
وأناخ سحب الفضل تهطل دائماً بفناء رمسك لا تــكاد تزول
ما قال اسماعيل يرثي سيداً ما للجبال الراســيات تميل

والمراثي في حقه كثيرة ، وهي به حقيقة وجديرة ، أضربنا عن ذكرها خوف التطويل ، على أن كثرة المدح ، وإطالة الشرح في حقه أمر قليل .

الشيخ خالد الجزيري النقشبندي الخالدي

إمام قد تحلى بعقود الكمال ، وتولى على روض البهاء والجمال ، حميد الخصال ، الذي لمعت في سماء الإجلال بوارقها ، وطلعت في آفاق الكمال شوارقها ، إن ذُكر الفضل فهو من ذويه ، أو امتدت سواعد البذل سبقها بالعطاء لمستحقيه ، توشح بالعلم والعرفان ، وتصفح وجوه مخدرات الفضائل فتخــير لنفسه الحسان ، وبعد أن فاق بالعلم والعمل ، وحاز من التقدم في الطاعة والعبادة على الأمل ، أخذ عن الأستاذ العارف بالله ، والمتباعد عما سواه ، مولانا خالد شيــخ الحضرة النقشية ، وإمام المعارف والرياضات

العلية ، فسلك على يديه السلوك التام ، الى أن رآه حضرة الاستاذ بلغ المرام ، أقامه عنه خليفة في إعطاء الطريق ، وأذن له بإنشاء الحضرة الشريفة مع كل مريد صدوق بالعهد الوثيق ، فكان لعمري نور حدقة الفضلاء ، ونور حديقة الكملاء ، يشار إليه بالطاعة والعبادة ، ويفتخر به بالتقوى والفضل والزهادة وكان في الاستقامة على جانب عظيم ، وفي أمر السلوك على حال جسيم ، الى أن توفي سنة ألف ومائتين ونيف وأربعين .

خالد بك القاضي العام بدمشق الشام

أقسم بالقمر إذا اتسق ، وحل في دارته آمناً من كدر السحب والشفق ، لهو الانسان في حدقة الزمان ، واللسان الذي صين عن زلة في البيان ، والكامل الذي نظمه الدهر في عقود حلاه ، والفاضل الذي ارتقى على فلك الفضائل علاه . دخل الشام قاضياً في أواخر رجب المحرم سنة أربع وثلاثمائة وألف ، فعامل الناس باللطف والإكرام ، وصار له جلالة ومحبة في قلوب الخاص والعام ، وسار في الناس بسيرة حسنة ، وكانت جميع معاملاته مستحسنة ، وكان مصوناً عن مد يده الى شيء من المال ، عفيفا تقياً نقياً حسن الخصال ، ولم يزل ينهج منهج الطاعة والعبادة ، حتى دعته المنية الى دار السعادة ، فلبى الدعوة مطهراً من كل أموال الناس بالباطل تطهيراً ، قد تواترت الشهادة له بأنه لم يأخذ من أحد قليلًا ولا كثيراً ، وقد اجتمعت به غير مرة ، فلم أجد ما يطعن بكماله مقدار ذرة ، ولما مات ما وجد عنده ما يكفيه ، لتجهيزه وتكفينه ودفنه بقبر يواريه ، حتى جمع له بعض أحبابه مقداراً من الدراهم صرفوه عليه الى أن واروه في ترابه . وكان ذلك يوم الثلاثاء عاشر محرم الحرام سنة خمس وثلاثمائة وألف ، وكان عمره نحو سبعين سنة ، ودفن في مقبرة باب الصغير في قبر والده رحمهما الله تعالى .

السيد خزام بن السيد علي آل خزام بن السيد حسين برهان الدين الصيادي الرفاعي الخالدي

هو من رجال تنوير الأبصار ، في طبقات السادة الرفاعية الأخيار فقال مؤلفه : ومنهم الشهم الهمام ، بقية آل الرفاعي الأعلام ، نزيل بني خالد بديار حماة الشام . ثم قال : قال الشيخ محمد أبو الوفا الرفاعي في مجموعته عند ذكر السيد علي الخزام : ترك ولداً له سماه الخزام كان عمره يوم وفاة أبيه اثنتي عشرة سنة . وقد نص صاحب قاموس العاشقين ، على انه هو وأصوله من ذرية سيدنا خالد سيف الله بن الوليد المخزومي القرشي الصحابي الجليل الأمير الشهير ، دفين حمص ، فاتح بلاد الشام ، وصاحب الفتوحات الشهيرة التي لاتحصى في الإسلام ، رضي الله عنه . نعم قال ابن الأثير بانقراض ذرية سيدنا خالد في كتابه أسد الغابة ، ونقض كلامه في تاريخه الكامل ، في غير موضع ، وخالف كلامه في أسد الغابة جماعة من فحول أعلام العلماء ، منهم النسابة العلامة الإمام السمعاني والشيخ عبد الغافر في تاريخيهما ، والإمام السبكي في طبقات الشافعية ، والبقاعي في تاريخه ، وشيخ الإسلام السراج المخزومي في صحاح الأخبار ، وغيرهم رحمهم الله ، وأثبتوا كلهم الذرية الخالدية وترجموا جماعة من رجالها ، وقال العلامة السويدي ، وهو من رجال عصرنا ، في سبائك الذهب ، عند قوله بنو خالد بالشام ما ملخصه : انهم يدعون النسب لسيدنا خالد بن الوليد .

والنسابون يقولون بانقراض ذريته وهم من بني عمه ، ويكفيهم شرفاً أنهم من قريش . أقول : والأحاديث بفضل قريش لاتعد ، وهي أشهر من أن ينبه عليها . أقام السيد خزام بقبيلة بني خالد ، يضيف الوارد ، ويغيث الشارد ، وقد حماه الله من ارتكاب المآثم ، ووهبه خلقاً جميلاً

حسناً من أحسن أخلاق الأسخياء الأكارم ، وقد اشتهر عند العموم أن أهل هذا البيت من قديم وحديث لايشبعون وجيرانهم جياع ، ولا يمنعون عن السائل شيئاً من مال أو زاد أو متاع ، كل ذلك لوجه الله حبا في الله . نقل خال أبي الصالح الأصيل منصور العابدي أن المترجم سمع شيخاً في جامع المعرة يقول : من صلى أربعين سبتاً صلاة الصبح في مرقد سيدنا أويس القرني بالمعرة مخلصاً يرى الخضر عليه السلام ، فكان يترك أهله كل يوم سبت ويجيء إلى المعرة يصلي الصبح في المقام ، ويرجع ، فعند تمام الأربعين رأى بعدخروجه من المقام رجلا رث الهيئة أشعث أغبر يسيل من ريقه على لحيته ، فأخذ قصبة الدخان من يده وعبث به فلم يتكدر منه ، لأنه كان حليما سليما ، وبش في وجهه ولاطفه ، ولكن لم يخطر له أنه الخضر ، فلما لم يكلمه قال له : تريد أن أدعو لك ؟ فقال إي والله ياسيدي ، فقال الله يسترك أنت وذريتك ويعمر بيتك ويميتك على الايمان الكامل . ومس بيديه على وجهه ، فمس السيد خزام صاحب الترجمة بيديه على وجهه ، فلما رفع يديه عن وجهه لم يجد الرجل ، فعرف أنه الخضر وحمد الله وشكره ، وكان يقول مفتخراً تحدثا بنعمة الله . انا ببركة دعاء الخضر عليه السلام [1] بيتي معمور وذريتي مستورة ، وأنا ميت على الايمان الكامل إن شاء الله . مات المترجم سنة تسع ومائتين والف ودفن في قرية حيش وراء قبة أبيه .

---

(١) كم للاعتقاد من تأثير ، على الكبير والصغير ، ولو كان الخضر حيّا لوجب عليه الإيمان بخاتم النبيين ، ومكة أو المدينة لاتبعد كثيراً عن أرض فلسطين ، وهذه الحكايات يرويها الآخر عن الأول ، ولو كان لها سند صحيح صريح ، لكنا بها من أول المسلّمين .

الشيخ خليل بن عبد السلام بن محمد الكاملي الدمشقي الشافعي

ولد بدمشق سنة ست وأربعين ومائة والف ، ونشأ بها ولازم العلماء ، وأخذ عن الفضلاء ، وبرع في الفنون ، وحاز على القدر المصون ، وأخذ عنه الأفاضل . مات سنة الف ومائتين وسبع ، ودفن في مقبرة باب الصغير .

الشيخ خليل بن محمد خليل بن عمر بن سعيد الدمشقي الشافعي المعروف بالخشة

كان عالماً إماما ، ومحدثا هماما ، وكان له قدر واعتبار ، بين العلماء الأخيار ، وكان بديع التقرير متين التحقيق ، متحلياً بدقة النظر وكمال التدقيق ، حلاّل المشكلات ، مزيل المعضلات ، ذا ذهن ثاقب وقريحة وقادة ، وسرعة فهم ونظر مستقيم ومروءة فوق العادة . ولد بدمشق في اليوم الثامن والعشرين من جمادى الاولى سنة اثنتين وثمانين ومائة والف (١) ، ونشأ بها واشتغل في طلب العلم ، وأخذ عن علمائها الاجلاء الفخام ، منهم بل أجلهم السيد علي الداغستاني الحنفي ، والعلامة الشيخ عبد الرحمن الكردي الشافعي ، والعلامة الفهامة علي بن محمد السليمي ، والعلامة البخاري ، والشمس محمد الكزبري ، والعلامة الشيخ أحمد العطار ،

---

(١) قال الشطي في روض البشر : ولد بدمشق سنة تسع وسبعين ومائة والف كما رأيته بخطه . . .

وكان عليه نظر وتدريس المدرسة الباذرأية التي تولاها بعده الجد الشيخ حسن ، ولم تزل في يدنا نظراً وتدريساً إلى الآن (١٣٢٥) اهـ .

والعلامة منصور الحلبي ، والعلامة السيد مصطفى البكري الصديقي وغيرهم [١] مات سنـــة اثنتين واربعين ومـــائتين والف ، ودفن في تربة الدحداح رحمه الله .

الشيخ خليل السعدي الجباوي الشافعي الدمشقي الميداني
شيخ الطريقة السعدية

الأستاذ الصالح ، المعتقد ، البركة ، القدوة ، الورع ، الزاهد ، العابد ، المقصود خصوصاً من بلاد الاناطول والروم ، قطب الواردين ، ومراد القاصدين ، كان مواظباً على إقامة الاذكار في زاويتهم المعلومة في ميدان الحصى المشهورة بزاوية سعد الدين . وكان حاتم زمانه مهابا نير الوجه ، أخذ الطريق عن ابن عمه الشيخ الصالح أسعد بن محمد بن مصطفى ، ولقنه الذكر وسلكه وأرشده ، ثم أذن له في اعطاء الطريق لمن فيه اهلية للاخذ مات رحمه الله سنة أربع وستين ومائتين والف ، ودفن في مدفنهم المشهور في تربة باب الله [٢]

---

(١) قال في منتخب التواريخ : تصدر للتدريس والإقراء في الجامع الأموي ، وفي مدرسة الصادرية بقرب جامع الأموي ، وهي أول مدرسة بنيت بدمشق ، وعليه توليتها ، وفي عصرنا هذا تولاها بنو الأسطواني . وهو جـــدّ بني الخطيب الأكارم لأمهم ، انتفع به خلق كثير ، وله اجازات كثيرة لعلماء دمشق والحجاز وبيروت ومصر وقت ذهابه الى الحجاز ، وقد أجاز سبطه محمد زاهد من علماء المدينة المنورة وصاحب أدلة الخيرات اهـ .

(٢) أي باب القاصدين إلى بيت الله الحرام ، وهو آخر الميدان من جهة الجنوب ، وإلى اليسار مقابر الميدان .

الشيخ خليل المدابغي الأزهري الشافعي

حبر الفضلاء ، وبحر ورود العلماء ، صاحب التحرير والتحقيق ، والتحبير والتدقيق ، عرف بالمدابغي لسكناه بحارة المدابغ ، حضر دروس الأشياخ من الطبقة الأولى ، وكان مفرداً في عصره معقولاً ومنقولا ، واشتهر فضله مع فقره ، واعتزل عن الناس تباعداً عما يطعن بكمال قدره ، وكان متواضعاً زاهداً ، متديناً عابداً ، يكتسب من الكتابة ، ولا يمشي الى حاكم ولا يدخل بابه ، ولا يتجمل بالملابس ولا يعرف أنه من العلماء الكرام ، بل إذا مشى بين الناس يظن أنه من العوام . توفي يوم الاثنين ثامن عشر ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين والف .

الشيخ خليل بن عبد الكريم بن خلاص الحلبي الشافعي الاشعري

الإمام ابو الصفا غرس الدين العالم الفقيه الورع المقرىء العلامة الفاضل . مولده في حدود الاربعين بعد المائة والألف ، وقرأ القرآن العظيم ، وحفظه على المقرىء أبي الحسن علي البانقدسي ، وقرأ العربية على غرس الدين خليل القتال ، وقرأ على غيره بعض الفنون كأبي الحسن علي بن ابراهيم العطار ، وابي محمد عبد الوهاب بن احمد المصري الأزهري ، ونور الدين علي بن يحيى الالتونجي ، والشهاب احمد بن احمد المصري نزيل حلب ، وتفقه بأبي محمد عبد القادر بن عبد الكريم الديري الشافعي ولازمه مدة خمس وعشرين سنة . وقرأ وفهم وبرع وفاق وتنبل وانتفع به الكثير ، وثقل سمعه في حدود التسعين ومائة والف ، بحيث لايسمع الا بعد مشقة عظيمة ، وكان كثير التلاوة دائبا على التقوى والعبادة آناء الليل وأطراف النهار ، وشهد بفضله مفتي الديار الدمشقية العلامة الإمام

الهمام خليل افندي المرادي حين اجتماعه به سنة خمس بعد المائتين والالف وكلّ قد أخذ عن الآخر . وتوفي المترجم عـام الف ومائتين واثني عشر رحمه الله تعالى .

الشيخ خليل التميمي الداري مفتي بلد سيدي ابراهيم الخليل

سيد مجده اثيل ، ومنصبه جميل جليل ، فاق أدباء عصره ، وزكت به شهرة مصره ، كيف لا وهو أحد أئمة عصابة العلم والسيادة ، المتوج من المولى المنان بتاج العز والسعادة ، ولد هذا الاستاذ والعمدة الملاذ ، سنة الف ومائتين وتسع وعشرين . وفي سنة الف ومائتين وثلاث وستين عندما توجه عمه الشيخ التميمي مفتي الديار المصرية وقتئذ الى دار السعادة مدعواً من لدن ساكن الجنان السلطان عبد المجيد خان ، لحضور ختان أنجاله العظام ، كان المترجم مجاوراً بالجامع الأزهر ، فصحب عمه المشار اليه الى الآستانة وبأثناء وجوده فيها تقلد افتاء مدينة الخليل ، وكان رحمه الله تعالى على جانب عظيم من التقوى والصلاح وسعة العلم ، وكانت تأتيه الفتاوي من المدن العظيمة فيجيب عنهـا ، وانقطع في آخر حياته عن الأشغال ولازم بيته لايخرج منه الا لصلاة الجمعة . وقد اجتمعت به في الخليل سنة الف ومائتين وتسع وثمانين حينما توجهت لزيارة الحرم الأقصى ، فرأيت رجلاً فضله فوق شهرته ، وأخلاقه الجميلة قد زادته رفعة الى رفعته ، مع عبادة وتقوى ، وتمسك لدينه بالسبب الأقوى ، وزهد وصيـانة ، وعفة وأمانة ، وله نثر أرق من الصهبا ، وألذ من نشوة الصبا ، ومن نظامه أبياته التي سأل بها من مفتي الشـام محمود افندي الحمزاوي عليه رحمة الملك السلام وهي :

لك الحمد يامولاي في النظام والنثر كذلك شكر ليس يحصر بالحصر
وأهدي صلاة يستمر ثوابها لأفضل خلق الرب من جاء بالنصر
وآل وصحب ما تسلسل عنهمُ أحاديث أحكام كما الأنجم الزهر
ومن بعدها أدعو بكل حميدة الى السيد المفضال ذي المجد والفخر
امام الهدى مفتي دمشق أخي التقى ومن قد دعي محمود حمزة في العصر
سيعرض هذا العبد بين يديكمو سؤالا أجيبوا عنه بالنظم والشعر
وذلك أنّ المصطفى سيد الورى تفضل بالإقطاع الأرض للديري
وقد شاع هـذا عند كل محدث بطرق لها في الكتب أصل بلا نكر
فمن جملة المروي ما قد رويته له ولأعقابٍ له مدة الدهر
فهل نستفيد الملك من ذي بامرها أم الوقف أم أرصادها يا أخا البدر
فان قلتم بالملك تجريد مثله وان قلتم بالوقف أفصحه بالنثر
وان قيل بالأرصاد ما العمل الذي تدوم عليه في بنيه وفي الأجر
أيمنع أعلى القوم منهم لاسفل أم العبد منهم يستوي هو بالحر
وهل ماترى من أرضه موصدا به على غير اولاد يخلص بالجبر
وهل يؤجر الاولاد أرضا لغيرهم لينتفعوا فيها بشيء من الحكر
فقصوا لنا فيه الجواب ليشتفي بذاك عليل النفس من ربقة الاسر
وعدوا لهاتيكَ الاراضي بوقفكم لأروي من الصافي الزلال من الصدر
فلا زال أهل العلم راجين نقلكم ولا زال سيب العلم من ذاتكم يجري
فقد قاله مفتي الخليل مصدرا لك الحمد يامولاي في النظم والنثر

فأجابه مفتي الأنام ، السيد محمود الحمزاوي الهمام :

لك الحمد يامولاي في السر والجهر على نعم لم تحص بالعد والحصر
وأزكى صلاة مع سلام متمم على سيد الخلق المؤيد بالنصر
وآل وأصحاب نجوم ثواقب واتباعهم حسنا الى آخر العصر

وبعد فان المصطفى سيد الورى ... تفضل بالاقطــاع قصداً الى البر
فأقطع أقواماً تطول شروحهم ... تميم بن اوس منهم شائع الذكر
فأعطاه حبرونا وعينون سرمدا ... بانباطها والسهل والطود والوعر
ومن قبل فتح الشام كان عطاؤه ... خصوصية للمصطفى طيب النشر
وما ذاك وقف ياخليلي عندنا ... ولا هو بالارصاد قطعا بلا نكر
ولكنه ملك يبـاع ويشترى ... ويورث ان ماتوا ويؤخذ بالاجر
ويعطى لمن شــاؤوا بقسم مقدر ... كنصف وثلث أو لخمسٍ أو العشر
واني بحمــد الله أرويه مسنداً ... باسناد أثبات ثقات عن الحبر
امام الورى يعقوب أي في خراجه ... حكى البيع والميراث فانظره يا ذخري
كذلك في اقطاع عثمان قدروي ... لسعد وعبد الله ذي المجد والفخر
بثلث وربع يعطيان قطيعة ... وعن اعمش هذا الحديث اخي الحبر
وفي التحفة المرضية الزين قد حكى ... اجازة اقطاع وناهيك من بحر
وقد قسم الزين القطيعة جيدا ... الى اثنين تمليك الخراج الى الغير
وأخرى لنفس الأرض ان كان مالكا ... ولا شك أن المصطفى مالك الامر
وان ترم التفصيل فيما ذكرته ... فذاك في الاقطاعات للعالم المصري
كذلك في أشباهه والتحفة التي ... سردت لما قبلا كذلك في الدر
وفي رد محتار أطال امــامه ... كتاب خراج للامام أبي العذر
فهذا مع العجز الذي قد وجدته ... وضيق زماني ياسميري لو تدري
فكن عاذري وادع الإله فانني ... أبيت وأضحى طامس الذهن والفكر
وأختم قولي بالصــلاة مسلما ... على سيد الرسل الكرام ذوي القدر

وإن لهذا الإمام شمائل عليّة ، وأخلاقا ممدوحة نبويّة ، وقد أجازه الفاضل الباجوري ، والكامل السقا ، والشيخ عليش والشيخ التميمي مفتي الديار المصرية ، وغيرهم من العلماء الأعلام والسادة القادة العظام ، ولم

نزل في بلده الخليل ، ينشر لهم كل علم جليل ، من معقول ومنقول ، وفقه وحديث وفروع وأصول ، مع غـــاية الاستقامة ، وسلوك سبيل السلامة ، أجزل الله أجره ، وجعل الجنة مقره . توفي رحمه الله تعالى في أواخر رمضان عام الف وثلاثمائة وسبعة عشر ودفن في مدفن اجداده رحمه الله تعالى .

داود باشا والي مدينة بغداد دار الخلافة العباسية

الإمام الألمعي ، والهمام اللوذعي ، حبر العلماء ، وبحر اغتراف الفضلاء ، ولد سنة الف ومائة وثمان وثمانين ، وهو من الكرج ، ثم لما صار عمره احدى عشرة سنة جلبه بعض النخاسين الى بغداد ، فاشتراه مصطفى بيك الربيعي ثم اشتراه منه سليمان باشا والي بغداد ، فرباه وأحسن تربيته ، وعلمه القرآن والكتابة وأنواع العلوم ، الى أن شهد له الخاص والعام ، بأنه فاق في زمانه على العلماء الأعلام ، وقد جود القرآن العظيم على شيخ القراء في بغداد محمـد امين افندي الموصلي ، ثم قرأ علم النحو والصرف على المنلا حسن بن محمد علي الزوزوجي ، وقرأ المطول على المنلا محمد اسعد بن عبيد الله ، وقرأ على الحافظ احمد مدرس السليمانية علوماً جمة ، منها علم التصوف والحقائق ، وقرأ أيضا المطوّل ، وعلم آداب البحث والمناظرة وعلم البيان والمعاني ، وشرح المواقف على المنلا اسعد بن عبيد الله بن صبغة الله مفتي الحنفية والشافعية في بغداد ، وعليه تخرج في سائر العلوم ، وعُدّ من كل الرجـــال أهل الكمالات الموصوفين بالدقة وعلو الفهم والمباحثة والمناظرة ، وقرأ أيضا على صبغة الله بن مصطفى الكردي ، وأجـازه المذكورون وغيرهم بالاجازة الخاصة والعامة . ومن جملة من أجازه أيضا الإمام العالم العلامة السيد زين العابدين بن جمل الليل المدني ، والإمام

الفاضل الشيخ علي بن محمد السويدي البغدادي الشافعي ، وغيرهم ، وقد أخذ عن المترجم جماعة سادة ، وجملة قادة ، منهم السيد محمود البرزنجي قرأ عليه أنواع العلوم ، وانتفع به الى أن صار من أفاضل العلماء ، وصفوة الفضلاء ، المشار اليهم في العراق ، ومحمد افندي ابن النائب البغدادي وغيرهما ممن يطول ذكره . وكان المترجم المذكور حسن الأخلاق جميل المحاضرة ، كثير العطايا دائبا على البحث والمذاكرة في العلوم الشرعية والعقلية ، ولما صار عمره سبعا وعشرين سنة تولى الخازندارية لسليمان باشا والي بغداد . ولم يزل يترقى على درج الصعود ، وتلحظه عين العناية بأنواع الحظ والسعود ، الى أن آلت ولاية بغداد الى سعيد باشا بن سليمان باشا ، وذلك سنه ثمان وعشرين ومائتين والف . وكان الأمير في ذلك الوقت على عرب المنتفق حمود بن ثامر بن سعدون بن محمد بن مانع الشبيبي ، وكان من فرسان العرب وأذكيائهم ودهاتهم ، وكان مكاراً ، وله وقائع وأيام مشهودة أقر له فيها أخصامه وأضداده ، وأموره غريبة يطول الكلام عليها ، فلما تولى سعيد باشا صار أمره بيد حمود ، حتى ما كأنه إلا طفل صغير تحت تصرف وصيه أو وليه ، ولهذا أعطاه سعيد باشا مافي جنوب البصرة من القرى جميعها ، وهو يقارب ثلث ايراد العراق فطار صيت بني المنتفق في البلاد ، وأطاعهم الحاضر والباد ، ونفذت أقوالهم ، واتسعت أموالهم ، وقصدهم الشعراء من جميع النواحي والأقطار ، وأجازوهم بما يفوق جوائز ملوك الأمصار ، الى أن قصر مدح الناس عليهم ، وصار لايسمع بين الناس ثناء الا وهو مصروف اليهم ، ولم يزل حمود عند سعيد باشا في بغداد يرفع مكانه ، ويشيد بنيانه ، الى أن تثبت في القلوب قدره ، واعتدل بين الأهالي أمره ، فعلا حمود الى مقره ، ولكن لازال زمام سعيد باشا بيده من سره وجهره ، فلا يفعل سعيد باشا شيئا

الا بعد استئذانه ، فازداد بنو المنتفق من الطغيان ، وامتدت يدهم على الناس بالظلم والعدوان ، فنقم الناس على الباشا المرقوم ، وضاقت صدورهم من فعله المذموم ، وفي سنة تسع وعشرين ومائتين والف ، جعل الباشا المرقوم حضرة المترجم كتخداه ورئيس عساكره ، فنهض نهوض الأسد ، وتهدد الأعراب والطغاة بما يوقعهم في النكد ، ومن أقبحهم خزاعة وزُبَيد وشَمَّر وآل الضفير ، فانهم منعوا الخراج ونهبوا القرى وقطعوا السبيل حتى إن بعضهم حاصر كربلا مدفن سيدنا الحسين رضي الله تعالى عنه ، وكان إذ ذاك في كربلاء نحو الاربعين الفا من زوار العجم ، ومعهم حرم شاه العجم ، فلما بلغ الوالي افساد العربان حول كربلاء ، خاف أن يصيب الزوار ضرر فيرجع عليهم شاه العجم بالويل والثبور ، وعظيم الأمور ، وتلومهم الدولة على الاهمال ، وعدم الاعتناء فيما يلزم من الأعمال ، حتى آل الامر الى ذلك ، وأدى الى الوقوع في المخاطر والمهالك ، فتوجه أمير العساكر المترجم المرقوم بعساكر وافرة ، ونزل الحلة ووقع بينه وبين العصاة حروب قاهرة لهم وكاسرة ، فركنوا الى الفرار ، وتشتتوا في القفار ، فأرسل بعض عساكره إلى كربلا ، لتأمين الزوار وحفظهم من بلاء اولئك الملا ، ولم يزل محافظاً لهم إلى أن وصلوا إلى مأمنهم ، واطمأنوا من وقوع شيء بهم ، ثم توجه الكتخدا ، داود باشا المرقوم بعساكره إلى خزاعة ، فقابلوه جميعاً بالخضوع والطاعة ، وفي أثناء الطريق عزل شيخ زُبَيد المحتال ، ووضع مكانه شَفْلَـَّح بن شلال ، ثم أرسل وراء كثير من العربان ، وعاقبهم على ما كان منهم من العدوان ، وشن الغارة على أهاليهم ، وغنم مواشيهم وصال على أدانيهم وأعاليهم ، وسار إلى أن نزل بأرض الديوانية مقر العشيرة الروافض الخزاعية ، فصار للمترجم شهرة في الآفاق ، وعلا ذكره في الإقدام وفاق ، ورأى الناس من عدالته وشهامته وشجاعته ومروءته مالم يروه من ذوي الاحكام المتقدمين على مدته ، مع النصح للأمة وعدم

الطمع فيما في أيدي الناس والعفة والصيانة ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والحث على التقوى والديانة ، ولم يقبل من أحد رشوة ولا هدية ولا يسمع في عساكره وقوع شيء من ذلك بالكلية ، بل كل واحد ممن يلوذ به عارف حده ، وواقف عنده ، ومع كثرة حروب المترجم المرقوم ، لايرى في وقت غير مشتغل بالمعارف والعلوم ، مع تلامذته الملازمين له في السفر والحضر ، والمتحلين من بحـــور لآلئه بعقود الدرر ، وطلب بقية الاعراب منه الأمان ، بعد أن أذاقهم من حروبه كؤوس الذل والهوان ولم يزل المترجم ساعيا لسعيد باشا بالتأييد والنجاح ، والنصح والصلاح ، مع الصدق والأمانة ، والعفة والصيانة ، وكان يعرف الوالي دائمًا بدسائس ذوي الفساد ، وينبهه على مرادهم من البغي والعناد ، فداخلهم الحسد ، ونصبوا للمترجم شرك النكد ، وأرادوا إتلافه على كل حال ، وشرعوا في إيقاعه في مهاوي النكال ، وكان المترجم يتحمل ذلك لما لوالد الوالي عليه من الحقوق المشهورة ، ويقول « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره [1] » . ولما اشتد غيظ الأعداء والحساد ، قالوا للوالي إن مراد داود قتلك والاستيلاء على بغداد ، وأنت تعلم أن جميع العساكر في قبضته ، والأهالي كلهم متفقون على محبته ، وأتوا بمن شهد على ذلك عند الوزير ، وقالوا إن داود باشا وعدنا على قتلك بمال كثير ، ونحن لحبنا لك وخوفنا عليك ، كشفنا لك عن هذا الأمر وأبديناه اليك . وعظموا الأمر لديه ، وأكثروا من إقامة البراهين بين يديه ، فدخل على الوالي رعب عظيم ، وخوف جسيم ، ثم إنه اتفق مـع هؤلاء المنافقين بأنهم يرسلون خبراً من طرف الوالي للمترجم بالحضور للمذاكرة في قضية ، فاذا حضر أذاقوه في الحال كؤوس المنية ، فبلغ المترجم جميع ما اتفقوا عليه ، وجنح فكرهم اليه ، فلم ير المترجم أحسن من الفرار والتحصن في

(١) سورة الصّف ، الآية ٨

بعض الحصون ، خوفا من هذه المضار ، فخرج من بغـداد وقد تزايد كربه ، قائلا « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه[١] » وكان معه من جماعته نحو المائتين ، ولم يزل الى أن وصل إلى كركوك من غير ضرر ولا شين . وهناك راسل الدولة العلية ، وأخبرها بما كان من سعيد باشا من الأفعال الدنية ، وتضييع حقوق الدولة ، ومعاملة الأعداء بما يوجب لهم كل قدر وصولة ، وكشف لها عن سوء سياسته ، وعن عكس معرفته وفراسته ، وعن تقليده أزمة المهالك المهمة لأعراب البادية ، أهل النهب والسلب والظلم واليد العادية . وكان للمترجم عبارات عالية ، وأساليب في الكتابة سامية ، وكان له اليد الطولى في التركية والفارسية والعربية ، وله النظم والنثر والكتابة في هذه اللغات كلها على أتم حالة سنية ، وكانت تشهد له الأفاضل بأنه إمام همام كامل ، فلما وصلت رسالته إلى الدولة العلية ، تحيروا من فصاحتها وبلاغتها وما اشتملت عليه من الأمور السياسية ، فعلموا أن الذي يكتب مثل هذه التحريرات ، ويسطر مثل هذه التسطيرات ، هو الأحق والأحرى بالإسعاف والإسعاد ، بالتولية على ولاية بغداد ، فما كان من الدولة العلية إلا أنها بادرت بإرسال الفرمان ، العالي الشان ، الواجب الإطاعة على كل إنسان ، إلى داود باشا ذي القدر المصان ، ومضمونه عزل سعيد باشا عن تولية بغداد ، وتولية داود باشا بدله على تلك البلاد . فلما وصل الفرمان اليه قرأه علناً على رؤوس ذوي الطاعة والشقاق ، ثم أرسل صورته إلى حمود بن ثامر لانه هو المقيم المقعد في أرض العراق ، وذلك لاجل أن يعلم أن سعيد باشا قد فاته المرام ، وترتفع عنه برؤية صورة الفرمان الشكوك والاوهام ، خصوصاً وهو أكبر أعداء المترجم وأكبر أسباب الفساد والمكر الذي تقدم . فلما وصلت صورة الفرمان إلى

(١) سورة الطلاق ، الآية ٣

حمود بن ثامر ، طرحها في الارض وأهملها إهمال المستهزىء الساخر .
فتعجب قومه من إهماله ونبذ الطاعة ، ونصحوه بأن أمر السلطان لايلقى
في أودية الإضاعة ، ومخالفة أوامر الدولة أمرها وخيم ، وخطرها عظيم ،
وان الامر منوط بك فسعيد باشا لاينظر إلا اليك ، ولا يعول في
قبوله وعدمه إلا عليك ، والاولى أن تنصحه بالقبول والطاعة وعدم القتال ،
لان خصمه رجل مطاع ولو قدم على العراق بمفرده لاطاعه النساء والرجال ،
خصوصاً وقد حوى من العقل وحسن السياسة ووفور الخديعة والدهاء
نصيباً عظيما ، ومن الشجاعة والقوة وثبات الجنان حظاً جسيما ، فما بالك
لو جر معه عسكراً من الاكراد ، وقدم بهم وبغيرهم إلى بغداد ، فهل
يعارضه من أحد ، مع أن الاهالي جميعاً يحبونه محبة الوالد للولد ، فلما
أكثر على حمود أعمامه واخوانه وأولاده النصائح ، رجع إلى رأيهم وقال
قد اعترفت أنه رأي صالح ، وأرسل إلى سعيد باشا ونصحه بالطاعة
وترك القتال ، والانقياد لاوامر الدولة العلية والامتثال ، فأبى سعيد باشا
قبول هذا الكلام ، وصغى إلى قول من أشار عليه بالعناد والخصام ، وما
قصدهم بالحرب إلا النهب وأخذ الاموال ، وتخريب البلاد وقتل الرجال ،
فلما رأى حمود مخالفة سعيد باشا له عرف أنه لاطاقة له على مبارزة داود
وان من حسن له أمر المخالفة فقد حسن له المذموم لا المحمود ، ففر من
منزله ورجع الى وطنه ومقره ، وترك سعيد باشا يتقلب على فرش ضره .
وتوجه داود باشا من الكركوك إلى بغداد ، ومعه نحو الالفين من
الاكراد ، فخافته العباد ، وهابته البلاد ، فلما قرب من الزوراء ، وقع
بين الاهالي ثورة عظيمة وغوغاء ، ومرادهم اخراج سعيد باشا بالتي هي
أحسن ، فدخل سعيد باشا القلعة وبها تحصن ، فأرسل أهالي بغداد لداود
باشا بالدخول ، وانه هو حاكمهم وراعيهم والمحاسب عنهم والمسؤول .

فدخل بغداد بعد الظهر خامس ربيع الثاني سنة اثنتين وثلاثين ومائتين والف ، ووفد عليه العلماء والفضلاء وهنأه الادباء والشعراء ، لأنه هو الذي كان يعرف مقامهم ، وينشر بين الناس أعلامهم ، ويكرمهم غاية الاكرام ، ويعاملهم بالإحسان والإنعام ، فلما استقر في مركز الحكومة ، خمدت الشرور والفتن ، ورجع إلى الصواب من كان افتتن ، وأمنت الطرقات وذهبت المخوفات ، وارتاح أهل الكمال ، وتعب ذوو الغرور والوبال ، لعلمهم أنه ظهر الذي يعاقب المجرمين ، ويحسن إلى المحسنين ، فرفع أهل الفضائل والعلوم ، ونفذ أوامر الدولة حسب الأمر المرسوم . وبعد استيلاء المترجم المرقوم على بغداد ، قُتِلَ سعيد باشا الوزير السالف ، وكان قتله على مراد الوزير داود باشا المترجم وباشارته . وذكر الشيخ عثمان بن سند البصري أن حضرة العارف بالله الشيخ خالد الحضرة النقشبندي المتقدم الترجمة في حرف الخاء ، قد مر على بغداد سنة تسع وثلاثين ومائتين والف في أيام ولاية المترجم ، فبلغ المترجم أن الشيخ المرقوم عليه ديون ، فأمر بوفائها وكانت ثلاثين الف غازي محمودي كبير ، وصرفها الوالي دفعة واحدة ، وهذا أمر نادر قل مايوجد له نظير ، وغب سنة اثنتين واربعين ومائتين والف تمت سلطنته ، وتناهت قوته ، وأطاعه جميع أهالي العراق من حاضره وباديه وكرده وعجمه ، وقد تاقت نفسه لان يكون سلطاناً مستقلاً ، وقد جلب الصنائع والصناع إلى بغداد من أهل اوربا ، بل ومن سائر الاقطار ، وأخذ في أسباب التمدن والعمران ، وأمر بصنعة المدافع والبنادق على الطرز الجديد ، وشكل جيوشاً عسكرية منظمة بتعليمات مخصوصة اخترعها لهم ، إلى أن بلغت جيوشه أكثر من مائة الف ، وبهذه الجيوش والاستعداد طمع في أنه يستولي على جميع آسية الصغرى والكبرى ، وكان دائماً مطمع أنظاره الاستيلاء على بلاد العجم ، وقد داخلهم الرعب

والخوف منه ومن جيوشه ومن تعليماتهم الغريبة الاشكال والأوضاع ، ولكنه لم تساعده المقادير كما ساعدت محمد علي باشا على ولاية مصر ، فان داود باشا بينما هو في هذه الابهة والسلطنة والاستقلال ، والخروج عن طاعة الدولة العلية ، إذ أرسل عليه السلطان محمود خان العثماني جيشا نحو العشرين الفاً ، ورئيسهم علي باشا اللاظ ، فلما قرب من بغداد ضحك داود باشا واستهزأ بهذا الجيش الضعيف الذي يريد أن يستولي على بغداد ، فأخذه الغرور ، فقال لو نرسل على هذا الجيش نساء بغداد لما يطيق مقاومتهن ، إلا أن الوزير داود باشا لم يعلم ماهو مخبوء له في زوايا القدر ، مما هو عبرة لمن اعتبر . فبينما هو مشتغل في جيوشه لمحاربة علي باشا اللاظ وأمله أسر جميع الجيش ثم الاستيلاء على ماوراءه ، إذ دهمه الوباء الطاعوني داخل بغداد الذي أفنى اكثر أهلها ، حتى قيل انه كان يموت في كل يوم اكثر من عشرة آلاف نفس من داخل بغداد . وأما جيش علي باشا اللاظ فانه بتقدير الله تعالى لم يصبه شيء من ذلك الطاعون ، وذلك تقدير العزيز العليم ، وانقلب الفرح حزناً ، واشتغل الصراخ في كل بيت من بيوت أهل بغداد إلا ماندر . وقيل إنَّ الذي مات بهذا الطاعون من أولاد داود باشا لصلبه اكثر من عشرة اولاد الذين يركبون الخيل ، فانكسرت شوكته ، وانحلت قوته ، وداخله الهم ، ولازمه الغم ، وانحل عضده وانفل جيشه ، البعض بالموت والبعض بالهرب والفــرار ، الى البوادي والقفار ، وذلك سنة الف ومائتين وسبع واربعين ، فلما طلب علي باشا اللاظ المحاربة معه لم يسعه إلا المصالحة ، على أنه يسلم إلى علي باشا بغداد بما فيها ، وداود باشا يرتحل الى الآستانة ويستقيم بها ، فسافر داود باشا الى الآستانة واستقام بها الى سنة ستين ومائتين والف ، وكان معظما عند السلطان محمود ، ثم عند ابنه السلطان عبد المجيد ورجال دولته لكبر سنه ولطول

زمانه في الوزارة مع كمال عقله ، ووفور رأيه ، حتى إن كسوته الرسمية يوم العيد مكتوب على صدرها شيخ الوزراء بالطراز الملوكاني المذهب ، لأن هذا كان لقبه خاصة ، ثم ان السلطان عبد المجيد أرسله سنة ستين ومائتين والف شيخا على الحرم النبوي ، فاشتغل هناك في العبـادة ، وتفرغ لها فوق العادة ، وكان مرجع الخاص والعام ، فيما يشكل على العلماء الأعلام ، وقرأ بها للطلبة كثيراً من الكتب والفنون النادرة ، وانتفع به العموم فيما يتعلق بدنياهم والآخرة . وفي سنة سبـع وستين ومائتين والف ذهبت مع والدي الى الحجاز الشريف ، فاجتمعت مـع والدي به في المدينة الشريفة ، وكان رجلا كبيراً مهابا عليه سيما الفضل والصلاح ، وله خضوع وذل وسكينة وتواضع . وكان يمضي بينه وبين والدي الوقت الطويل في المذاكرة ، وقد تبركت به وبدعواته . وفي ليلة عاشوراء حين قراءة المولد النبوي الشريف بين العشائين امرني والدي بقراءة عشر من القرآن ، وكان المسجد قد غص بأهله ، وكان قد حضره كذلك المترجم المذكور ، وكان جلوسه بجانب والدي في الجهة الشمالية من الحرم الشريف متوجهين إلى القبلة ، فعقب قراءة العشر وإتمام المولد قبلت يده ، فدعا لي وبش في وجهي وأظهر لي الالتفات والمحبة ، وكان قد اخبر ان مراده ان يفتـح مدرسة بأمر الدولة في المدينة للافادة والاستفادة في سائر العلوم والفنون ، ولكن اخترمته المنية قبل تمكنه من ذلك في تلك السنة ، وهي سنة سبع وستين ومائتين والف ، ودفن في البقيع الشريف تجاه قبة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وأمر ان لايبنى عليه تابوت ولا قبة اتباعاً للسنة ، فجعلوا له شبـاكا من الحديد حول قبره . ومن آثاره بالمدينة البستان المعروف بالداودية خارج المدينة ، بقرب سيدنا محمد الزكي عند منهل العين الزرقاء . ولما أتم بناءه وغرسه أرخه شاعر العراق بالاتفاق الشيخ صالح التميمي بقصيدة ، وجعل آخرها

تاريخا ، وهو قوله : (تاريخه غرسه) فأعجب داود باشا وأعطاه جائزة الف ريال ، كانت هكذا سماحته وقد مدحه الشاعر اللبيب ، والناثر الأديب السيد عبد الباقي العمري ، بمدحية غريبة ، وقصيدة عجيبة ، ملتزما بها لفظة الخال باختلاف معانيها فقال :

إلى الروم أصبو كلما أومض الخال ... فأسكب دمعا دون تسكابه الخال (١)

وعن مدح داود وطيب ثنائه ... فلا القد يثنيني ولا الخد والخال (٢)

مشير إلى العليا أشار فطأطأت ... وأصبح مندكا لهيبته الخال (٣)

مناصبها انقادت لأعتاب بابه ... كما انقاد مرتاحا الى العطن الخال (٤)

وقد نالها إذ أوتي الحكم حكمة ... إلهية فصل الخطاب لها خال (٥)

مليك ملاك الأمر والنهي كله ... اليه انتهى والحكم في الارض والخال (٦)

حكى نهر طالوت ببسطة علمه ... وفي فضله ذاك الفتى الماجد الخال (٧)

توسم عرّافا بسيماه دهره ... فخوله النعمى وما كذب الخال (٨)

وصدق فيه ما تخيله النهى ... وفيما سواه قلّ ما يصدق الخال (٩)

فيا لرجال من علاه تفرسوا ... اغر عليه من نسيج العلا خال (١٠)

اذا اعتركت أراؤهم عرضت لهم ... كتائب رأي من نهاه لها خال (١١)

عصامي نفس سودته جدوده ... فلا الجد يجديه ولا العم والخال (١٢)

له العلم خدن والكمال منادم ... وحسن السجايا والحجا الخل والخال (١٣)

هو الصدر منه القلب كالصخر في الوغى ... اذا طاش في غلوائها الوكل الخال (١٤)

ودهم الليالي ان تمادى جماحها ... فهمته الكبرى الشكيمة والخال (١٥)

---

(١) السحاب . (٢) الشامة . (٣) الجبل .
(٤) الجمل . (٥) ملازم . (٦) الخلافة .
(٧) الكريم . (٨) التخيل . (٩) الصادق .
(١٠) ثوب . (١١) لواء . (١٢) أخو الأم .
(١٣) الصاحب . (١٤) الجبان . (١٥) لجام .

نوهم قوم ان يجاروه في العلا فلم يجدهم ذاك التفكر والخال (١)
يشق على من لا يشق غبـــاره رهان الذي عن شوطه عاقه الخال (٢)
عفا الله عنه قد عفت بعد بُعده من البلدة الزورا المعالم والخال (٣)
وهيهات ما دار الرصافة بعده وما الكرخ إلا السبسب القفر والخال (٤)
ولكن بهذا العصر أمست كجنة بها تتباهى ربوة الشام والخال (٥)
ورضوانها اليوم النجيب مشيرها يحافظها مولى عليهـا هو الخال (٦)
عظيم وقالوا لو تراءى ليذبل تصاغر منحطاً وطاوله الخال (٧)
حماها حماه الله من كل ريبة تشين علاه فهو من ريبة خال (٨)
فلا زال كل منها طود رفعة يلوح عليه مع تواضعه الخال (٩)
وإني وإن كنت الرديف نظامه لمسبوقة حسن الروي لها الخال (١٠)
فذي معجزاتي ما أرى ابن كرامة يعارضها حتى يصاحبه الخال (١١)

---

(١) التوهم . (٢) العرج . (٣) الأثر .
(٤) موحش . (٥) موضع بالشام . (٦) القائم .
(٧) الأكمة . (٨) بريء . (٩) الكبرياء .
(١٠) نقطة . (١١) الكفن .

توفي المترجم سنة ١٢٦٧ هـ وعلى اسمه ألّف عثمان بن سند البصري كتابه « مطالع السعود ، بطيب أخبار الوالي داود » واختصره أمين بن حسن الحلواني والمختصر مطبوع ، وفيه زيادات على الأصل اهـ من الأعلام .

حرف الدال

الشيخ داود بن احمد بن اسماعيل المعري ثم الحلبي الحنفي ابو سليمان سيف الدين الاكمه

العالم الذي تهلل به محيا العالم بهجة وسروراً ، وتجمل به جيد الدهر فكان له فرحة وحبورا ، ذو النجـــدة والمروة ، والمجد والفتوة ، من سجعت بمحاسنه حمائم شمائله ، ولمعت من سماء مكارمه بوارق فضـائله ، فبهر الأنام بأخلاقه الرضية ، واشتمل بما لبسه من الكمال على كل منقبة جلية ، وله من محاسن الكلام ماتشربه أفواه المسامع ، ومن بديع النثر والنظـام مايزري ببدائه البدائع . ولد هـذا الهمام والجهبذ الإمام بمعرة النعمان ، سنة ثلاث وثلاثين ومائة والف ، من هجرة سيد ولد عدنان ، ثم بعد ان قرأ القرآن واتمه ، وجوده على القراء الأئمة ، دخل مدينة حلب واكب بها على التحصيل والطلب ، واخذ عن جماعة افاضل ، قد اشتهروا بالمناقب والفضائل . منهم العلامة عبد الرحمن بن مصطفى البكفالوني ، وابو الثناء محمود بن شعبان البزستاني ، والنور علي بن احمـد الدابقي ، ومحمد الحلبي بن علي الانطاكي المفتي ، وابو عبد الله محمد بن ابراهيم الطرابلوسي المفتي ، والسيد حسن بن شعبان السرميني ، وابو عبد الله محمد بن محمد الانطـاكي ، وابو العدل قاسم بن محمد البكرجي ، وغيرهم من العلمـاء الأعلام ، والسادات العظام ، وأجازوه بما تجوز لهم روايته ، وتصح لهم درايته ، ودخل دمشق الشام ، وأخذ ايضاً عن علمائها الأعلام ، وأجازوه

ايضاً اجازة عامة لجميع العلوم ، التي اخذوها عن سادتهم ذوي المقام المعلوم ، وكان ممن يشار اليه ، ويعول بعويصات المسائل عليه ، وممن اجتمع به في حلب ، فرد الشام ومفتي الأنام خليل افندي المرادي وذلك عام الف ومائتين وخمسة ، ولم تكن وفاته بعد ذلك بكثير ، أعلى الله مقامه في فراديس الجنان ، انه المنعم الجواد المحسن المنان ، وقيل ان هذه الأبيات من كلامه ، وبديع نظامه :

ذو جمال همت في عشقته ... فتن العشاق عربا وعجم
لاح بدر التم من طلعته ... وبدا البرق اذا الثغر ابتسم
بات يجلو الراح في راحته ... ويدير الكأس في جنح الظلم
غلب النوم على مقلته ... قلت والوجد بقلبي قد حكم
أيها الراقد في لذته ... نم هنيئاً ان عيني لم تنم
يا هلالاً قد سبى شمس الضحى ... كل ما فيك وعينيك حسن
صل محبا ماله من مسعف ... قد جفاه من تجافيك الوسن
يامريض الجفن يامن لحظه ... سل سيفا للمحبين وسن
جفنك النعسان من كسرته ... كم شجاع منه ولى وانهزم
أيها الراقد في لذته ... نم هنيئا إن عيني لم تنم

وله رحمه الله :

ورد الخدود ارق من ... ورد الرياض وأنعم
هذا تنشقه الانو ... ف وذاك يلثمه الفم
فإذا عدلت فأفضل الـ ... وردين ورد يلثم
هذا يشم ولا يُضمُ ... وذا يضم ويُشتَمْ

وله أبيات كثيرة ، وقصائد بديعة بالمدح جديرة .

الشيخ داود البغدادي الموسوي بن المرحوم السيد سليمان البغدادي الشافعي النقشي الشهير بابن جرجيس

امام قد طلع في سماء العلوم بدرا ، وهمام قد برع في المنطوق والمفهوم واحاط بها خبرا ، بجميل مديحه قد تحلت الطروس ، وبجليل ذكره قد طربت النفوس ، فلا ريب أنه صدر الأكابر والأعاظم ، وكعبة طواف المكارم والأكارم ، والأوحد الذي خيمت البراعة بناديه ، والأمجد الذي لم يعرف غير الفضائل من زمن مباديه .

ولد في مدينة بغداد سنة الف ومائتين واحدى وثلاثين ، ونشأ في حجر والده المعروف بالصيانة والعلم والدين ، وبعد أن قرأ القرآن ، وأتقنه كل الاتقان ، قصر نفسه على العلم وطلبه ، إلى أن فاز منه بمرغوبه وأربه ، وكان كثير الاعتزال عن الناس ، ليس له بغير العلم والعمل استئناس ، مواظباً على الفروض والسنن ، على أكمل حال وأتم سنن . وكان يقرىء الدروس لمن حضر ، وهو ابن ثمانية عشر ، ولم يزل على حاله ، ناهجاً منهج كماله ، إلى أن توفي والده فسافر إلى الحرمين الشريفين ، ومكث بها نحواً من عشر سنين ، وقد أجازه بها السادة العلماء ، والقادة الفضلاء ، ثم رجع إلى بغداد ، فصرف نفيس عمره على افادة العلوم وارشاد العباد ، ثم رجع إلى الحرمين بقصد الحج وزيارة سيد الانام ، وتوجه مع ركب الحاج إلى دمشق الشام ، ومكث بها سنتين أو زيادة ، ثم قصد وطنه وبلاده ، ولم يحل في محل إلا وشغله العلم والعمل ، وافادة الطالبين من غير كسل . ثم بعد مكثه مدة من السنين ، سافر إلى الحجاز ومعه ولده الكامل الشيخ بهاء الدين ، ثم بعد أن أتم الحج وزار خير الانام ، توجه إلى مصر والقاهرة وجلس مدة من الايام ، ثم سار حتى

وصل إلى الموصل فمكث بها أياما ، وقد نال بجميع سياحته عزءًا واحتراما ، ثم رجع إلى وطنه بغداد ، وقد ارتفع قدره بها وازداد ، ولم يزل يفيد كل طالب ، ويدعو الناس الى الفضائل والرغائب ، إلى أن دعاه مولاه ، وأناله من جميله ما أولاه ، وكان ذلك قبيل المغرب ليلة عيد الفطر آخر يوم من رمضان في سنة الف ومائتين وتسع وتسعين ، ودفن رحمه الله في جانب الكرخ مع مشايخه ، وكان موته مصيبة عظيمة ، ونكبة عامة جسيمة . وقد رثاه الهمام الفاضل ، نسل الأعيان الأفاضل ، محمد أمين افندي الجبوري ، فقال :

قد فل غارب سيف الدين وانثلما ... وانهد ركن من الإسلام وانهدما
وطود عـــلم جليل دك شامخه ... وشارق من عماد الفضل قد قصما
فاغرورقت اعين الإسلام باكية ... والدين حزناً على خديه قد لطما
به الحقيقة تمت وانتهت وبه ... علم الحديث كذاك الفقه قد ختما
سل العراق وأهل الشام عنه وسل ... أهل الحجاز كذاك الحل والحرما
وأهل نجد من الماحي تعصبها ... ومن إليه سواه ألقت السلما
ولا أخو جدل إلا وألقمـــه ... حجـــارة فدعاه لا يلوك فما
وكم له من تآليف منضدة ... كأنما الوحي في أقسامها انقسما
هي الصحاح التي يفتي بها أبداً ... وهي الادلة إلزاماً وملـــتزما
بآخر الصوم قد نادى مؤرخه ... داود بالخلد وافى أرحم الرحمـــا

وللأفاضل في حقه مراثي كثيرة ، هي في قطره معروفة شهيرة ، قد ذكر أكثرها ولده الفاضل العارف ، في ترجمة والده المسماة باللطائف ، وله رحمه الله من التآ ليف ، ما يغني عن الترجمة والتعريف (١) ، ولولا خوف الإطالة والإسهاب ، لخرج ذلك عن اصطلاحنا في هذا الكتاب ، لاوسعت دائرة التحبير ، في بعض مناقب هـــذا الشهم الكبير ، ولكن الشمس في رابعة النهار ، لا يحتاج عرفانها إلى خبر واستخبار ، رحمه الله تعالى .

---

(١) منها أشد (١) : الجهاد ، في إبطال دعوى الاجتهاد . (٢) رسالة في الرد على الآلوسي . (٣) صلح الاخوان من أهل الايمان . (٤) بيان الدين القيم ، في تبرئة ــــ

حرف الذال

الشيخ ذيب الحلبوني مولدا الدمشقي اقامة ودفنا رحمه الله تعالى

صاحب الخوارق الباهرة ، والأحوال الغريبة الظاهرة ، والنوادر التي شاعت ، والكرامات التي ذاعت ، وكان قليل الكلام ، كثير الغيبة والاصطلام ، يتناول من الطعام قليلا مما حضر ، واذا لم يجد طوى وصبر ، وكان في أكثر أوقاته ملازماً لمدرسة الشميصاتية (٢) ، الكائنة شمالي جامع

ـــابن تيمية وابن القيم . (٥) تشطير البردة . (٦) دوحة التوحيد في علم الكلام .
فالرسالة الأولى يرد بها على من يسميهم الوهابية . وما نسبه إليهم من دعوى الاجتهاد فغير صحيح لأنهم على مذهب الامام أحمد بن حنبل في الفروع ، وموافقون له في أصول الدين وعقائده . وللعلامة الشيخ عبد اللطيف من آل الشيخ محمد بن عبد الوهاب كتاب سماه : منهاج التأسيس والتقديس ، في كشف شبهات داود ابن جرجيس ، (طبع بومباي سنة ١٣٠٩ ه ص ٣١٠) ردّ فيه جميع مفتريات خصومهم عليهم .

(٢) السميساطية نسبة للسميساطي أبي القاسم علي بن محمد السلمي من أكابر الروساء ، توفي بدمشق ، ودفن في داره ، التي وقفها على فقراء الصوفية ، وقف علوّها على الجامع ، ووقف أكثر نعمه على وجوه البر .
وسميساط قلعة على الفرات بين قلعة الروم وملطية، وكان السميساطي المذكور بارعاً في الهندسة والهيئة ، صاحب حشمة ، وثروة واسعة ، ومروءة وافرة ، عاش ثمانين سنة (انتهى ص ١٥١ ج ٢) من الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي الدمشقي المتوفى (سنة ٩٢٧ ه) .

بني أمية . ولد في قرية حلبون قرية من قرى دمشق الشام ، تبعد عنها مقدار ست ساعات بالسير المعتدل ، ونشأ بها ، ثم في سنة خمسين ومائتين والف ، قدم دمشق واستوطنها ، وكان مقصوداً للدعاء والتبرك ، وكان يقصد للاستخارة والفأل الحسن ، وحصل له في الشام شهرة عظيمة ، وكان على استقامة حسنة لايعتريها شائبة طعن ، توفي بدمشق الشام سنة ست وثمانين ومائتين والف ودفن في مقبرة مرج الدحداح .

الشيخ ذيب بن محمد بن ذيب بن قاسم الاريحاوي الشافعي الفرضي

قد اشتهر بالعلم والتقوى والصلاح ، وكان من صغره يتوسمون فيه الخير والفلاح ، فلا ريب أنه بقية من سلف ، ونخبة من خلف . ولد في ربيع الاول سنة اربع وستين ومائة والف ، وتخرج على عمه زوج والدته الشمس محمد بن ابراهيم العاري المفتي ، وانتفع به ولازمه وسمع منه الكثير من فنون متعددة إلى أن مات شيخه رحمه الله ، وبعده تولى المترجم منصب الافتاء بأريحا ، وتولى إمامة جامعها الكبير ، وكان كثير التلقي ، ولم يزل سالكا في منهج الترقي ، الى أن خطبته المنية ، الى الدار الآخرة العلية . توفي بأريحا سنة الف ومائتين وبضع وعشرين ، رحمه الله تعالى .

★ ★ ★

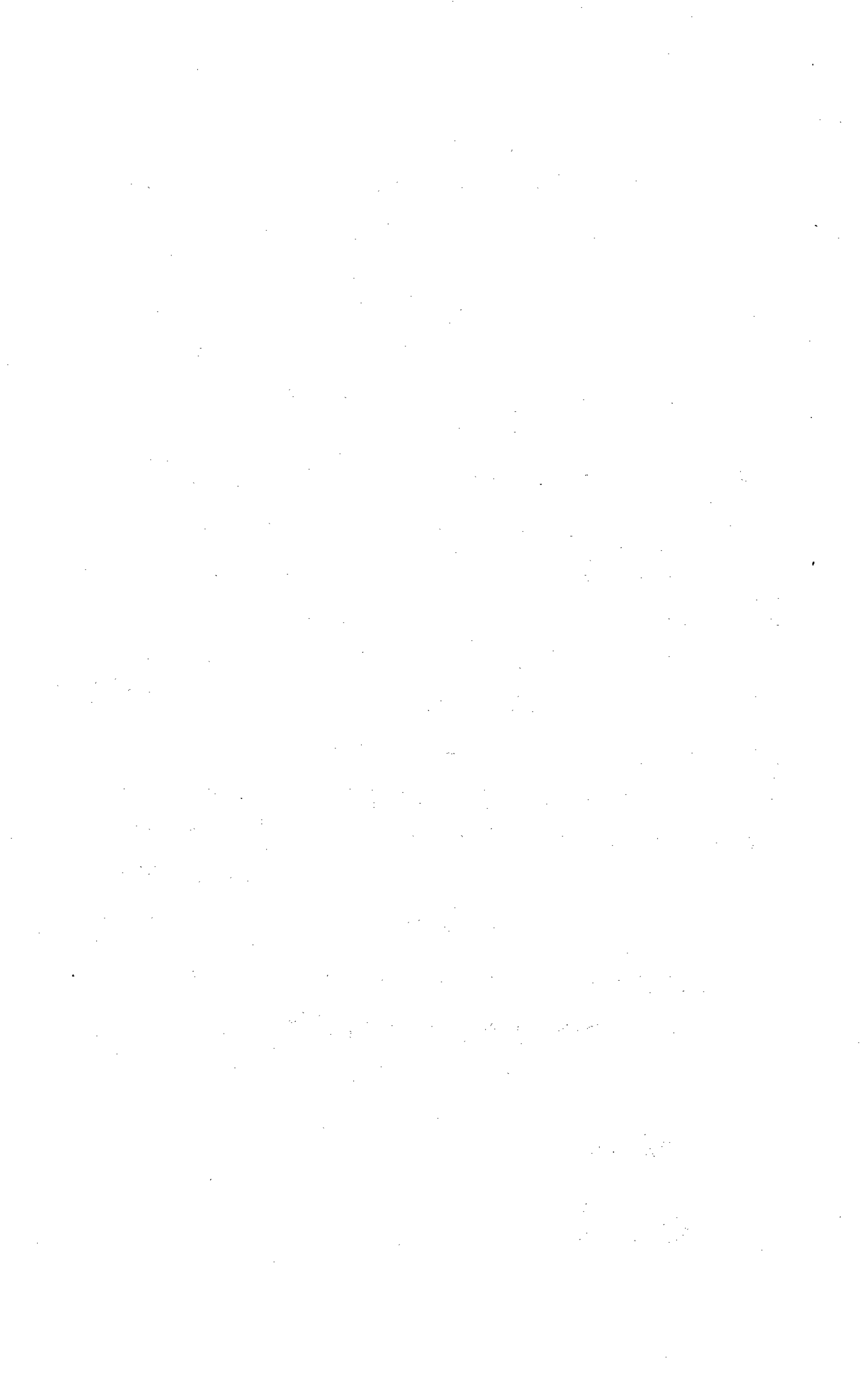
بحمده تعالى : قد تمّ هذا الجزء الأول من « حلية البشر »

(وتراجع فرائده وفوائده في مقدماته)

ويليه الجزء الثاني ، وأوله : راشد بن سعيد الرواحي

وكتبه الضعيف :

محمد بهجة البيطار



فهرس

حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق



حلية البشر

في

تاريخ القرن الثالث عشر

تأليف

الشيخ عبد الرزاق البيطار

١٢٥٣ - ١٣٣٥ هـ

الجزء الثاني

حققه ونسقه وعلق عليه حفيده

محمد بهجة البيطار

من أعضاء المجمع العلمي العربي

١٣٨٢ هـ = ١٩٦٣ م



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم باحسان إلى يوم الدين .

حرف الراء المهملة

راشد بن سعيد الرواحي من أذكياء أدباء البحرين وعُمَان

قد ترجمه أحمد بن محمد بن علي بن ابراهيم الأنصاري بقوله :
روح جثمان الأدب ، ونور عين الفضل والحسب ، الشاعر المجيد ، البليغ الوحيد ، فمن لطائفه قوله :

إني لقيت من الهوى وفنونه ... أمراً عجيباً واقفاً في بالي
من ذات خال غضة ميادة ... تصمي قلوباً للورى بالخال
تصمي الليوث بلحظها إن أرسلت ... سهماً مصيباً من عيون غزال

وقوله :

إن ظني في سيدي لجميل ... ورجائي فيه عريض طويل
واليه قد تبت من كل ذنب ... ومتابي إلى رضاه سبيل
وإذا نلت بالمتاب رضاه ... فرضاه على النجاة دليل
واليه فوضت كل أموري ... وهو نعم المولى ونعم الوكيل

وله في الأدب باع ما أطولها ، ويراع لنظم عقود اللالىء ما أجلها وأجملها ، وفكرة ما أعلاها ، وأحقها بالمديح وأولاها ، توفي رحمه الله سنة الف ومائتين ونيف وعشرين .

الشيخ الفاضل راشد بن علي النعامي الحنبلي من آل جريس

عالم ناقد ، متتبع ماجد ، ذو يد طولى في علم القرآن والحديث ، مقتد بالسلف الصالح في كل أمر قديم وحديث ، معتصم بالسنة الصحيحة والقرآن ، عامل بما فيهما مذعن لهما كال الإذعان ، وله في ذلك كتب ورسائل ، دالة على أنه مجتهد بسائر الفروع والمسائل ، وفقنا الله وإياه للصواب ، وفتح لنا وله للوصول إلى مـا يرضيه أحسن باب ، إنه محسن كريم وهاب . توفي في أوائل القرن الثالث عشر .

الشيخ راغب بن الشيخ صالح بن سعيد الدمشقي الحنفي المعروف بالأسطواني

ولد سنة أربعين ومائتين وألف[١] واشتغل من أول عمره في القراءة والعلم والترددعلىالمشايخ العظام ، والأفاضل الكرام ، وتولى نيابة المحكمة السنانية في دمشق الشام ، ولم يزل مقبلاً على الطلب بجد واجتهاد إلى أن توفي في رابع ذي القعدة الحرام سنة ثلاث وتسعين ومائتين والف ودفن في مرج الدحداح في تربة الذهبية .

راغب افندي بن سعيد افندي بن حمزة بن علي الدمشقي الحنفي الشهير كأسلافه بابن عجلان

الحسيني الأديب ، النجيب الأريب اللبيب ، عين الأعيان ، وإنسان حدقة أهل الزمان ، المولى الهمام ، والماجد السامي المقام ، ذو الشرف والحسب ، والرفعة والنسب ، ريحانة روض الكمال ، وعرف طيب دوحة الإفضال ، قد اشتغل بالعلم والعمل ، ودأب حتى نال ما رجا واكتمل ، وحضر على الشيخ سعيد الحلبي وغيره من الأعلام ، ولم يزل مواظباً على الاستفادة إلى أن شرب كأس الحمام في رمضان سنة ثلاث وستين ومائتين والف .

---

(١) في منتخبات التواريخ للسيد أديب التقي الحصني : ولد سنة ١٣٤٣ هـ (وهو سهو) تولى خطابة الجامع الأموي بعد وفاة والده ، وتصدّر للنفع والتدريس ، وكان فصيح البيان كريم الصفات اهـ ملخصاً (ج ٢ ص ٦٥٩) .

السيد رجب بن السيد محمد بن السيد حمود بن السيد عثمان بن السيد محمد سلطان العجاج بن السيد حسين برهان الدين آل خزام الرفاعي الصيادي

ترجمه السيد أبو الهدى أفندي بن السيد حسن وادي فقال : الشيخ الجليل الواصل ، والولي الأصيل الفاضل ، رب الخوارق والفواضل ، الذاهل الكامل ، الواجد الماجد ، العلي الحسب ، الرفيع النسب . ولد بقرية كفر سجنا من أعمال معرة النعمان ، ونشأ بها كأبيه وجده ، ثم توفي أبوه ونشأ في كنف عمه ، وبعد وفاة عمه حصلت إشارة معنوية للشيخ الكامل السيد أحمد أفندي الجندي ثم الصيادي ، فقام من بلدته معرة النعمان إلى كفر سجنا لدار المترجم ، وأجازه وخلفه ورأى من الكرامات ما يحير العقول ، وقد ذكر بعضها السيد أبو الهدى المرمى اليه في تنوير الأبصار ، كإبراء المقعد والمجنون والملووق ، والإخبار ببعض المغيبات ، والإنفاق مما لا يعلم له أصل ولا سبب ، بل من كنز الغيب ، وإقبال الخاص والعام عليه ، وقال في آخرها : ولو أردنا تعداد كراماته الثابتة المتواترة لاحتجنا إلى مجلد كبير [1] نشأ بقريته على البر والتقوى ، وكان حليماً

---

(١) ترجمة السيد رجب الصيادي في « التنوير » ، المطبوع بالقطع الكبير في (ص ١١٨ ـ ١٢١) . وهي مملوءة بهذه العجائب والغرائب ، (قال) : وظهر على يديه من الخوارق ما لا يكاد يحصى ، وذكر منها أشياء كثيرة ، وأعلن أنها مشاهدة مشهورة . قلت : إن ما عدّه « التنوير » من خوارق العادات ، حكاياته لا تحصى كثرة في جميع الأمم على تراخي العصور . ولو ثبت ظهور ما يحير المقول ، كإبراء المقعد والمجنون والملووق ، وكتكثير الطعام القليل ، وكإزالة الخوف والضرر ، في أشد ساعات الخطر ، لو ثبت ذلك كله ، لكان رحمة من الله تعالى يظهرها على أيدي بعض الصالحين من عباده ، بأسباب روحية أو مادية . وكم ذا رأينا من قعد بهم المرض عن القيام ، ومن منعهم من —

سليما ، مبارك السريرة ، طاهر العقيدة ، متمسكاً كل التمسك بآثار السلف ، محبـاً للمسلمين ، وكان لا يفتر عن الصلاة على النبي ﷺ ، وعن تلاوة الفاتحة . توفي رحمه الله سنة ثمانين ومائتين والف ودفن بكفر سجناء . انتهى ملخصا باختصار .

الشيخ رحمة الله بن محي الدين بن أحمد بن مصطفى بن اسماعيل ابن الأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي

فخر الأعيان ، ونخبة الزمان ، وكعبة الأوان ، وصفوة ذوي القدر والشأن . ولد بدمشق سنة خمس عشرة ومائتين والف ، وقرأ على الأفاضل ذوي الفضائل والفواضل ، وكانت عنده مكتبة عظيمة وقد احتوت على أكثر تأليفات جده العارف بالله الشيخ عبد الغني النابلسي (١) وتقدم في الجاه وعلا ، وصار له شهرة حسنة بين ذوي العُلا ، وكان جميل المنظر حسن الذات يهابه من رآه ، ويعترف بأنه من ذوي الفضل والجاه ، وكان حافظاً للوداد ، ولا يُنْسيه صديقَه طولُ الزمان ولا النّوى والبعاد ، مات بدمشق في سادس وعشرين من صفر سنة الف ومائتين وتسع وسبعين ودفن في مرج الدحداح وقبره ظاهر معروف .

ـــ الكلام ، ومن هدّت قوامه الآلام . وقد أنفقوا ما يملكون على أجور الأطباء والمشايخ ، وشراء الأدوية والعقاقير ، فلم يفدهم ذلك . رأينا بعض من فتنوا بمدعي الطب الروحاني قد سلبوا أموالهم وعقولهم معهـا . والصواب هو الأخذ بالأسباب ، والتوكل على ربّ الأرباب ، جلت حكمته .

(١) في منتخبات التواريـخ : وقد أثنى المؤرخون عليه وعلى آبائه وأجداده الأئمة الأعلام ، وذكروا مؤلفاتهم وآثارهم ، وتقدم ذكر أكثر رجالهم في كتابنا ، من الضوء اللامع والكواكب السائرة والمحبّي والمرادي والغزي اهـ ملخصاً (ج ٢/٦٥٨) .

الشيخ رشيد القلعي الشهير بقمبازة بن الشيخ نجيب الحنفي الدمشقي

ولد بدمشق سنة الف ومائتين وثلاث وعشرين وقرأ على والده إلى أن صار له يد في العلوم ، وقرأ للطلبة في جامع بني أمية ، وأخذ عن الشيوخ العظام ، ثم غلب عليه نوع من البله والجذب ، وكان له نوادر عجيبة ، ووقائع غريبة ، وإذا أردت أن أذكر نوادره فانها كثيرة تخرجنا عن المطلوب من الاختصار ، مات ثالث عشر شعبان سنة اثنتين وثلاثمائة والف ودفن في باب الصغير .

الشيخ رضا افندي بن اسماعيل بن عبد الغني بن محمد شريف الدمشقي الشافعي

الشهير بالغزي ولد بدمشق سنة ثلاث وثلاثين ومائتين والف ونشأ في حجر والده واشتغل في الطلب على علماء دمشق ومن أجلّهم فقيه العصر وعالمه العلامة الشيخ سعيد الحلبي وعمر افندي الغزي والشيخ عبد الرحمن الكزبري والشيخ عبد الرحمن الطيبي والشيخ حامد العطار ، وبرع وفاق واشتهر في الآفاق ، وتولى نظارة جامع بني أمية ، فخدمه حق الخدمة ، واشتغل في تعميره وبذل كامل الهمة ، وكان مفرداً بالسعي في الصلح بين الناس .[1] توفي سنة ست وثمانين ومائتين والف ودفن في الدحداح .

---

(١) كانت تناط به المشكلات لحسن إدارته ، فيحلها حلاً مرضياً . ولما كانت حادثة النصارى بدمشق نال من الوزير ، فؤاد باشا الشهير ، منزلة كبيرة ، وذلك لمساعدته النصارى حال نكبتهم في تلك الفتنة العظيمة اهـ من روض البشر .

الامير رضوان الطويل المصري

قرأ على الشيخ عثمان الورداني وغيره ، وكان له اليد الطولى في الحساب والفلك والميقات (١) ، فبرع وتقدم ، وأنجب وحسب ورسم ، وأشغل فكره بذلك ليلاً ونهارا ، ورسم الأرباع الصحيحة المتقنة الكبيرة والصغيرة والمزاول والمنحرفات وغير ذلك من الآلات المبتكرة ، والرسميات الدقيقة ، واتسع باعه في ذلك واشتهر ذكره ، إلى أن قطفت يد الأجل ثمرة حياته ، وأطفأت رياح المنية أنوار ذاته ، وذلك سنة خمس ومائتين والف رحمه الله .

رفيق بك بن المرحوم محمود بك بن المرحوم خليل بك العظم

الهمام الذي يتناول المعالي بثاقب حزمه ، ويصيب الأغراض بصائب سهمه ، ذو الشمائل الناطقة بسمو فضله ، والدلائل الدالة على علوه ونبله ، من تناولت حديثه الألسن العادلة ، وتناقلت نفيسه الأندية الحـــافلة ، وهو من بيت لهم في الشام مجد معلوم ، وقدر في سلك الرفعة منظوم ، ولد في دمشق الشام سنة الف ومائتين واثنتين وثمانين ، وتربى في حجر والده إلى أن بلغ التاسعة من عمره وضعه في مدرسة من مدارس الروم لتعليم اللغتين العربية والفرنساوية بقواعدهما ، وبعد سنة خرج منها لوفاة والده ، وكفله شقيقـــه الأكبر خليل بك فأحسن تأديبه ، إلا أنه لم

---

(١) الغرض من علم الفلك والمواقيت معرفة أزمنة الأيام والليالي وأحوالها ، وكيفية التوصل اليها ، لتعيين أوقات العبادات وتوخي جهتها . وعلم الأرصاد يتعرف منه كيفية تحصيل مقادير الحركات الفلكية ، بوضع الآلات الرصدية ، وما ذكره هنا من رسم الأرباع والمزاول والمنحرفات ، فهي آلات يتوصل بها إلى تحقيق ذلك كله ومعرفته . على أن رجال الفضـــاء في عصرنا قد دخلوا في دور العمل ، وارتفعوا بطائراتهم مئات الأميال ، وبلغوا أقاصي الشرق والغرب في ساعات قليلة وقد كان ذلك يحتاج إلى سنين طويلة « علم الإنسان ما لم يعلم » .

يستطع حسن تعليمه لأنه كان ضابطاً في الجندية كثير التنقل من بلد إلى بلد ، فوضعه في مكتب من مكاتب دمشق لتتميم قواعد اللغتين التركية والعربية ، وحسن التكلم بها ، فمكث به نحو ثلاث سنين فأتقن بها التركية والعربية والكتابة ، ثم إنه فترَ عن التعلم إلى أن بلغ السنة الثامنة عشرة ، تحرك في نفسه حب التعلم ومال الى الانكباب على المطالعة ، خصوصاً في كتب الفلسفة والتاريخ ، اقتداء بشقيقه الاكبر الذي كان شديد الميل إلى التاريخ والفلسفة وعنده كتب كثيرة منها ، فلازم بعض الدروس العربية على بعض الاساتذة مدة قصيرة ، وفي غضونها مال كل الميل إلى الشعر والأدب فدأب على مطالعة كتب الشعر ، وحفظ من القصائد والمقاطيع مقداراً وافراً ، ثم اشتغل في نظم الشعر قبل سن العشرين وكثر تردده على أهل الأدب ومجالس العلماء . وفي سنة الف وثلاثمائة وواحدة أخذه المرحوم خالد عبد الله بك إلى مصر وكان ساكناً بها ، فترقى بها إلى درجة عالية ، إلا أنه لكثرة المطالعة والسهر أصيب بمرض العصب بعد مرور سنة من اقامته في مصر ، فاضطر إلى ترك المطالعة وسافر إلى الآستانة العلية ، ثم إلى الشام لأجل تبديل الهواء ، ولما عوفي بحمد الله من المرض هجر الشعر ونظمه ، ومال إلى الإنشاء ومعاشرة العلماء ، وأخصهم الأستاذ الكبير الشيخ طاهر المغربي الدمشقي ، ثم عاد إلى مصر عام الف وثلاثمائة وثلاثة ، وحيث كان الحال يومئذ في مصر غير الحال الذي في سورية حصل فيه نباهة لما لم يكن يعهده من قبل ، فألف رسالة سماها « البيان لأسباب التمدن والعمران » وعرضها على المرحوم الشيخ عبد الهادي نجا الأبياري أحد كبار العلماء المصريين فرغبه في طبعها ، ثم عرضها على العلامة المرحوم السيد محمد بيرم التونسي صاحب صفوة الاعتبار ونزيل مصر يومئذ فرغبه بطبعها أيضاً ، على أنه بعد ذلك أدرك أن هذين الفاضلين مارغباه بطبعها إلا تنشيطاً له لأنه في

اعتقاد المترجم أن الرسالة ليس فيها شيء مما يهم من الفائدة والعلم . هذا ولم يزل مثابراً على المطـــالعة حتى آنس من نفسه قدرة على الكتابة في الجرائد ، وأول ماكتب في جريدة الأهرام سنة الف وثلاثمـائة وعشر ثم في مجلة الهلال ، ثم في جريدة المؤيد ، وجريدة الموسوعات ، والمنار ، وغيرها من الجرائد والمجلات ، والف في أثناء ذلك رسالة كيفية انتشار الأديان عام الف وثلاثمائة واثنى عشر . وحاول في تلك السنة والتي قبلها تعلم اللغة الفرنساوية ، لكن منعته منه الشواغل أكثر من ستة أشهر ، فترك تعلمها مع غاية الأسف ، وبعد ذلك لازم الإمام العلامة الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ، فاستفاد من علمه الواسع و آرائه العالية فوائد عظيمة ، أزالت عن بصيرته حجباً كثيفة ، ورأى في نفسه ملكة قدرة التأليف ، فألف كتاب الدروس الحكمية، ثم كتاب « تنبيه الأفهام إلى مطالب الحياة الاجتماعية والإسلام » ثم استفزه الولع بتاريخ الإسلام إلى وضع تاريخ جديد لمشاهير الإسلام من أهل الحرب والسياسة على غير النمط المعهود عند المسلمين ، أي على أسلوب جديد يمثل رجال الإسلام في أجلى مثال وأظهره ، بحيث يتناول في ذلك التاريخ كثيراً من أخبار دول الإسلام الاجتماعية والسياسية ، وأفيض في البحث في فلسفة التاريخ الإسلامي على وجه يتضح به حال تاريخ الإسلام ، فباشر ذلك التأليف على صعوبته عام الف وثلاثمائة وتسعة عشر ، وأتم منه الجزء الأول في سيرة أبي بكر ومن اشتهر في دولته في تلك السنة تأليفاً وطبعاً ، ثم في أواخرها أتم الجزء الثاني في سيرة عمر بن الخطاب ، ولشدة البحث والتنقيب في الكتب عاوده في أثناء تأليفه المرض القديم ، فأتمه بكل مشقة ، واستراح إلى سنة الف وثلاثمائة واحدى وعشرين ، فكتب الجزء الثالث في سيرة المشهورين في دولة ابن الخطاب وطبعه ، وانه لمشتغل في تتميمه راجياً من الله سبحانه التيسير [1] فجزاه الله خير الجزاء على هذه الخدمة الإسلامية ،

---

(١) يسّر المولى سبحانه وأتمه ، وطبعت هذه الأجزاء الأربعة مراراً ، ونفدت نسخها .

والمأمول ان الله سبحانه ، يهون عليه تأليف كتب كثيرة ينتفع بها الخاص والعام من جميع الأنام . وانه الآن قد توطن في مصر وتأهل بها ، ولم تزل أوقاته معمورة بالمطالعة والكتابة والتأليف والتصنيف ، والعبادة الحسنة والأخلاق المستحسنة ، والتمسك بالسنة والكتاب ، والعمل بهما من غير تعصب ولا تأويل موقع في التباب ، ولا يميل إلى العمل والقول بالتقليد ، بل يقول ان العمل بالأصلين الشريفين هو لكل سعادة اقليد ، وله من النظم البديع ، والنثر المزري بزهر الربيع ، مقدار عظيم ، يشهد بأنه صاحب اليد الطولى والفكر الجسيم ، فمن نظمه متغزلاً قوله :

سل سيفاً وصال فينا بأسمر ... من قوام ومقلة تتكسر
عربي قد أعربت عن فؤادي ... مقلتاه بما به قد تسعر
ان سقما بمقلتيه تبدّى ... ليس سقماً بل ربما السكر اثر
يا بروحي أفديه ظبي غرير ... ناحل القد ناعس الطرف أحور
ان تهادى رأيت غصناً رطيبا ... يتثنى وان رنا فهو جؤذر
رق معنى فكاد يرشف بالكأ ... س كخمرٍ بها النسيم تعطر
وتباهى على الهلال بحسن ... هو أبهى من الهلال وأبهر
لو رأت حسنه الشموس لولت ... بذيول من الحيا تتعثر
يا حياة القلوب جد بحياة ... لقتيل بحبك اليوم يشهر
وتدارك بقية من عليل ... كاد يخفى من النقام ويدثر
فتعطف على المتيم يوماً ... بوصالٍ أحيا به أو فأقبر
وامزج الدل بالترفق يا من ... بهواه أولو الصبابة تفخر
ان من يرحم المحب ويرفق ... بقتيل الهوى يثاب ويؤجر

وله أيضاً

كفى بالهوى دمعاً يسيل ومهجة ... تذوب وأحشاء يمزقها الهجر
معذبتي جودي علي بنظرة ... يضم عظامي بعدها اللحد والقبر

وله

جزى الله من أضحيت فيه متيما ... شجياً بمعناه الجميـــل أهيم
تعمد قتلي بالهوى دون جنحة ... على أن قتّال النفوس أثيم
رضيت بما يرضى لنفسي دائماً ... أخاف عليه الإثم وهو عظيم

وله

أحبة قلبي والذي قاد للهوى ... فؤادي وأحشائي وقلبي المقطع
إذا جدتم بالوصل ذلك منة ... وان رمتم قتـلي فلا أتمنع
ومن كان مثلي صادق الود بالهوى ... صبوراً فلا والله لا يتوجع(١)

الشيخ رشيد بن الشيخ طه بن الشيخ احمد العطار

طلب العلم في صغره ، وبذل في الإقبال على الترقي نقود عمره في جده وسهره ، فقرأ على علماء عصره ، الموجودين في بلدته ومصره ، ومن أجلهم عمه المشهور في الأقطار ، الشيخ حامد بن الشيخ أحمد العطار . وبعد وفاة عمه أقبل على طلب النيابة باجتهاده حتى كانت أكبر همه ، فلم يزل يتولى النيابات ، إلى أن مات ، وكان جسوراً في الكلام ، له في المحاضرة نوع المام ، يحفظ كثيراً من النوادر ، وواقعات الليالي العوادي الغوادر ، فعقد وداده غير محلول ، ودوام حديثه غير مملول ، ويظهر العفاف عن الحرام ، والانكفاف عن موجبات الآثام ؛ والتباعد عن الرذائل ، وأكل أموال الناس بالباطل ، وان كان المسموع ، خلاف هذا الموضوع ، والله أعلم بحقيقة الحال ، يجازي بالجميل على الجميل ، وبغيره على قبيح الأفعال .

---

(١) أجمع واصفوه رحمه الله ، على أنه العالم المؤرخ ، والكاتب الاجتماعي ، والعامل السياسي ، والشاعر الناثر . وكنت استشرته إذ كان بدمشق : أنطبع (حلية البشر) بتمامه أم مختصره ؟ فكان رأيه موافقاً لرأي (المجمع العلمي) بطبع الأصل على حاله ، والتعليق عليه . توفي بالقاهرة سنة (١٣٤٣ هـ) ولم يرزق أولادا .

ثم ان المترجم المرقوم قد غلب عليه التشيع ، والتضلع في علومه من غير تمنع ولا تورع ، وكان عنده فيه كتاب موسوم بينبوع الينابيع ، ملازم له ولأحكامه مطيع . توفي رحمه الله في جبل عجلون حينما كان به نائباً ، وذلك عام الف وثلاثمائة وستة عشر ودفن هناك ، رحمه الله تعالى وكانت وفاته عن نحو ثمانين سنة تقريباً .

السيدة رقية بنت المرحوم الشيخ ابراهيم بن الشيخ مصطفى السعدي

البرة التقية ، الصالحة النقية ، الزاهدة الصوامة ، العابدة القوامة ، المقبلة على صالح الأعمال ، والمدبرة عن رذائل الأفعال والأقوال ، وكانت ذات سريرة صافية ، ولطافة وافرة وافية ، ولدت نحو الف ومائتين وخمسين تقريباً ، وتزوجت بصاحب التاريخ سنة الف ومائتين وثمانين ، ورزقت منه بأولاد لم يبق منهم سوى النجل الصالح السيد محمد سعدي أحسن الله حاله ، وأنجح آماله(١) ، وكانت مواظبة على صيام رجب وشعبان ، وعلى صيام الاثنين والخميس ، وعلى صيام عشر محرم ، وعشر ذي الحجة ، مع المحافظة على فرائض صلواتها وسننها ، إلى أن تمرضت بداء الاسهال ، وماتت في يوم الجمعة الحادي والعشرين من صفر عام الف وثلاثمائة وسبعة عشر .

الشيخ راغب بن المرحوم الشيخ عبد الغني السادات الدمشقي

امام فقيه ، وهمام نبيه ، وفاضل نبيل ، وكامل جليل ، ولد سنة الف ومائتين وخمسين تقريباً ومن حين صغره نشأ على التقوى ، لأنها للوصول السبب الأقوى ، وتعلم ما يرفع إلى المقام الأرفع ، فتفقه على مذهب امام الأئمة أبي حنيفة النعمان ، ثم دأب على طلب التوحيد والحديث وتفسير القرآن ،

---

(١) توفي قبل وفاة أبيه بأكثر من عشر سنين ، رحمها الله تعالى .

وكان له في بقية العلوم يد طائلة ، وفكرة في مناهج الصواب جائلة ، فقرأ على أفاضل مصره ، إلى أن صار من ذوي الفضائل في عصره . وله رسائل شريفة ، وتقريرات لطيفة ، واستظهارات حسنة ، وأفكار مستحسنة . ومن رسائله التي نهجت منهج الصواب ، وسلكت مسلك السداد بلا ارتياب ، الرسالة التي رد بها على رسالة خالد افندي الأتامي الحمصي ، وبيان ذلك انه اتفق بعض المتأخرين من علماء السادة الحنفية على ان المرأة إذا ادعت بعد الدخول على زوجها بقدم صداقها فلا تسمع دعواها ، ومضى على ذلك مدة طويلة ضاع بها حقوق كثيرة . ثم انه لما تولى افتاء الشام محمود افنـــدي الحمزاوي ، وجد ان هذا الافتاء خارج عن الأصول ، ولم يساعده معقول ولا منقول ، فألف رسالة حقية ، مطابقة للقواعد الشرعية المرعية ، وصار يفتي عن هذه الدعوى بالسماع ، من غير تأخر ولا امتناع . فلم يقدر أحد على مراجعته ، إلى انتهاء مدته ، وبعد وفاته ، رد عليه عالم الديار الحمصية خالد افندي الأتامي جانحاً لعدم سماع الدعوى ، واعادة الناس إلى الوقوع في تلك البلوى ، مع انها زور وبهتان ، ما أنزل الله بها من سلطان ، ولا جاء بها سنة لاو كتاب ، ولا وجدنا لها في أدلة الشرع من باب ، فتصدى له هذا الفاضل المترجم ، ورد عليه رداً يبطل ما به فاه وتـكلم ، بالأدلة الواضحة ، والبراهين الراجحة ، ثم انه بعد اتمامها ، وتكميل أرقامها ، وعرضها على بعض الناس ، وكتابتهم عليها بأنها حق بلا التباس ، أرسلها إلى العاصمة الإسلامية ، لكي تعرض على المشيخة العلية ، فبعد عرضهـــا ومطالعتها مطالعة تحقيق ، حازت على توقيع التصديق ، بأن ما اشتملت عليه ، هو الذي يصار في الحكم اليه ، فأحق الله الحق وأبطل الباطل ، وذهبت زخرفة المزخرفين بلا طائل .

هذا وإن المترجم المرقوم ذو أخلاق حميدة ، وشمـــائل وحيدة ، وكرم وكمال ، وعفة وجمال ، له في التجارة يد عالية ، وهمة سامية ،

فلا يتناول من أحد قليلا ، ولا حقيراً ولا جليلا ، بل ينفق على بيته وعائلته ، مما يكتسب من تجارته ، مع قيامه بوظيفة الإفادة ، وإقراء الدروس حسب العـادة ، ولم يزل بحمد الله يحل المشكلات بفكره ، ويعطر الدروس بنفثات صدره ، ويفوف برود التحرير ، ويظهر شموس التحبير في التقرير ، ويروي الطالبين من بحر علمه ، ويشنف آذانهم بفرائد فهمه . فلا زال يعلو مقامه ، ويسمو جاهه واحترامه ، ويمنح الله به ذوي الطلب ، كل ما راموه من علم وفهم وعرفان وأدب . آمين .

السيد زاهد أفندي بن السيد محمد نجيب بن موسى الحسيني العمري الشهير بالالشي

أديب للبديع من القول منسوب ، وأريب بألف من ذوي البدائع محسوب ، إن تكلم أزرى كلامه بعقود الجمان ، أو تكمل قلت هذا مَلَكٌ في صورة إنسان ، تتستر الملاحة في غلائله ، وتتقطر الرجاحة من شمائله ، تمسحُ خِلالُه قَذَى العيون ، فما تراه إلا وهي نقية الجفون ، وطبعه كالروض صقلت يَدُ الصبا ديباجةَ وجهه الوسيم ، وتلقت النفوس قبوله تلقي النشوان بَرْد النسيم ، غرائبُ أحاديثه زادُ النفوس وقُرْطُ الأسماع ، يتجاوز بها غاياتٍ لم تختلج في خواطر الأطماع ، تفعل بالألباب فعل بَنَاتِ الدنان ، وما السحر لعمري إلا سحر ذلك البيان ، فلله دره من همام وافر الحظ من البراعة ، صائب اللحظ في نقوش البراعة . قد اكتسب الأدب بكده وجده ، وانتهى من عالي الأرب إلى أقصى حده . للمعاني الأبكار مخترع ، ولبنات الأفكار مفترع ، وله حسب طوّز كُمّ الأحساب ، ونسب تباهت بنسبته الأنساب ، ألا وإن القلوب أجمع قد جبلت على محبته فلم يكن لها في سواه مطمع ، فلذلك كان مقره من العين السواد ، ومحله من القلب حبة الفؤاد .

ولد في رجب الفرد ، وكان الطالع طالع اليمن والسعد ، وذلك سنة الف ومائتين وثمان وأربعين ، من هجرة سيد الخلق النبي الأمين . ونشأ في حجر والده فلما بلغ سن التمييز ، أرسل به إلى المؤدب لتعلم القرآن العزيز ، ثم بعد أن أتمه وأتقن آدابه ، أخذ في إتقان الخط والكتابة ، ثم أكب على الطلب والتحصيل ، فلازم الأساتذة ملازمة المدلول الدليل ، إلى أن بلغ مطلوبه ، وحصل مراده ومرغوبه ، من كل علم رفيـــع ، وفن بديع :

همام علا في الورى قدره ⠀⠀⠀ إلى غاية جل أن توصفـــا
فتى قد تأثل من دوحة ⠀⠀⠀ سمت في سما المجد والاصطفا

وإن بيني وبينه من الوفاق ، ما انعقد على أحكامه الاتفاق ، ومن المخاطبات الرقيقة ، والمراجعات الأنيقة ، ما يزري بلطف النسيم ، ويشغل الصب عن الوسيم ، ولا يستغرب ما بيننا من كامل المحبة والوداد ، لأن هذا الاتفاق موروث عن الآباء والأجداد . وانه له نظم رقيق ، ونثر بديع أنيق ، وحافظة تميل إلى الصواب ، ولافظة أعذب من عود الشيوخ إلى الشباب . وقد حضر شيوخ عصره ، الكائنين في بلدته ومصره ، كالشيخ هاشم البعلي ، والشيخ عبد الله الحلبي ، والشيخ محمد الطنطاوي ، وتفقه في مذهب الإمام أبي حنيفة ، وجلس في نيابة محاكم الشام الشرعية مدة طويلة ، وجلس في محكمة الباب باشكاتب القسمة .

وفي عام الف وثلاثمائة وأربعة عشر توجه إلى محروسة الآستانة ونزل عند الشهم المحترم أحمد عزت بك بن المرحوم هولو باشا ، وكان وقتئذ الكاتب الثاني في المابين [1] ومبلغ الإرادة السلطانية ، فأجله واحترمه لصداقة قديمة بينهما ، ومكث عنده نحواً من ستة أشهر على الرحب والسعة ، واستحصل له في هذه المدة على معاش في كل شهر عشر ليرات عثمانية ،

---

(١) الديوان الملكي .

وعلى نيابة قضاء دوما . وغب حضوره إلى الشام ذهب إلى محل نيابته ، وذلك غرة جمادى الأولى سنة الف وثلاثمائة وخمس عشرة . وكان في مدة نيابته حسن السيرة ، ممدوح السريرة ، لم يسمع عنه ميل إلى باطل ، ولا تفرقة في الحق بين عالم وجاهل ، ولا رشوة وإن جل قدرها ، ولا تعصب لقضية وان كان من الأعاظم أهلها ، وكان يهوى قبل المرافعة اجراء المصالحة ، وعدم المشاحنة والمشاححة ، فإذا لم يتمكن بذل وسعه في مصادقة الحق ومجانبة الباطل ، ولا يحكم إلا بعد النظر والتحري ومراجعة كتب الأفاضل ، وعلى كل حال فمناقبه كثيرة ، وبدائهه وبدائعه شهيرة ، بأنواع المديح جديرة ، ثم انه بعد تمام نيابته في دوما جلس عضواً في مجلس استئناف الجزاء في العادلية ، وفي أثنائها ذهب إلى الآستانة فوجهت عليه نيابة بعلبك ، ولم يمض عليه بها مدة إلا ومرض فحضر الى الشام ولم يزل مريضاً إلى أن اخترمته المنية في شعبان سنة الف وثلاثمائة وعشرين ودفن في تربة باب الصغير رحمه الله تعالى .

الشيخ زين العابدين بن جمل الليل المدني ابو عبد الرحمن بن السيد باعلوي بن السيد با حسن جمل الليل

المحدث الفقيه ، والمتفنن النبيه ، صاحب الشهرة العالية ، والسيرة الحسنة النامية ، والمآثر اللطيفة ، والمحامد الشريفة ، فخر العلاء ، وصدر الفضلاء ، ولد في المدينة المنورة ونشأ بها ، وأخذ عن والده وتكمل على يديه ، وألقت رئاسة العلوم في المدينة مفاتحها إليه ، وقرأ على غير والده من الأفاضل من جملتهم محمد بن سليمان ، ودخل مصر وزبيد ، للرواية عن كل فاضل مفيد ، ولما دخل الوهابية الحرمين ، فر ودخل العراقين ، فروى عنه أجلة من علماء بغداد ، رغبة منهم بعلو الاسناد ، وقرأ صحيح البخاري

في مجمع حافل ، فلم يدع مقالاً لقائل أو ناقل ، وكان له من الطاعة والتقوى والعبادة والزهد ما جعـله معدوداً من الأوائل . مات رضي الله عنه سنة احدى عشرة [١] ومائتين والف ، ودفن في المدينة المنورة في مدفن أسلافه .
وله مؤلفات بديعة ، وخدمة عالية لكتب الدين والشريعة ، من جملة مؤلفاته كتاب في المشتهر والمفترق . وله مختصر المنهج لشيخ الإسلام القاضي زكريا الأنصاري الشافعي ، وقد شرحه أيضاً شرحاً مفيداً ، وله كتب كثيرة ، ورسائل شهيرة ، نفعنا الله به آمين ، وقد ترجمه صاحب اللآلىء الثمينة ، في أعيان المدينة ، فقال : ذو بديهة وروية ، وسليقة مرضية ، كأنها السحاب الرجاف ، والغيث الوكاف ، ارتدى من المكارم بحلل ، وحظي من المحامد بجمل ، فغرته كالهلال اضاءة واشراقا ، ومحياه كالزّهر بشاشة والزُّهر ائتلاقا ، وكلامه كالعسجد طلاوة ، والشهد حلاوة ، والقطر جزالة ، ترتشف الأسماع زلاله ، وقد برع بنظم حسن المعاني ، وبديع المباني ، نظماً عليه رونق الفصاحة ، وفرند الملاحة ، يقطر كالمزن ، بودق الحسن ، كأنها الشفاه اللعس ، أو تفتير العيون النعس ، أو الخدود البضة ، وقد أزهرت بالورود الغضة ، فمن ذلك النظم الزاهي الزاهر ، والشعر الباهي الباهر ، قوله مجيبا بجواب ، كأنه في كاس اللطافة حباب ، وفي روض الحسن زهر مستطاب :

أغادة من خود حور الجنان	تتيه ان ماست فتسبي الجَنان
أم بكر فكر من خدور النهى	زفت بقينات بديع المعان
فاقت على أترابهـا مذ غدت	فريدة الحسن رداحا حصان [٢]
أم راح الفاظ حلا رشفها	من كف ممشوق رطيب البنان
راقت ورقت فرقى هامها	تاج حباب فاق حبّ الجمان

---

(١) في الأعلام ومعجم المؤلفين وفهرس مخطوطات الظاهرية وغيرها انه توفي سنة ١٢٣٥ .
(٢) الرداح : الثقيلة الأوراك ، الحصان : الدرة المصونة .

ختامهـــا مسك وممزوجة ... بشهد ريق من رحيق اللسان
فتارة يسقيك خمر اللمـا [١] ... وتارة يعطيك بنت الدنان
حبابها مع لونهـــا شاكلا ... وجنته مع درّ فيه المصان
قد أسرت عقل أهيل الحجا ... وأمسكت من كل لب عنان
أم انجم لاحت بطرس أضا ... كبدر صيف مذ وفى واستبان
ام ذي عقود من لآل حلت ... قد صاغها الندب بديع الزمان
أم روضة غنـــاء غنى على ... أفنانها طير الهنا والتهان
أم نسمة الروض سرت سحرة ... ففاح منها عرف روح الجنان
تحـكي لنا باللطف أخلاق من ... حاز المعاني فرد هذا الأوان
الـكامل الشهم سراج الهدى ... خدين فخر العلم رب البيان
أنواره مذ سطعت أخجلت ... زهر الربا وانكسف النيـّران
نجل ذوي الفضل الألى شيدوا ... بيوت عز دونهـــا الفرقدان
شيخ اولي الحذق ربيب الذكا ... رضيع البان الفخار المصان
أبدى لنـــا من بحر ابداعه ... دراً نظيما راق معنى وزان
نثراً ونظما قد زهى لفظـه ... لله ما أحسن هذا القران
كم منة قلدنيهـــا وما ... في ساحة الفضل أرى لي مكان
لكنه من محض أفضــاله ... يقلد الأجياد عقد امتنان
فيا رفيع القدر عفواً فمـا ... احصى الثنا لو قلت طول الزمان
زففت لي مثرية قد حوت ... حر القوافي ورقيق المعان
ولست كفواً أن أرى عبدها ... إذ هي بلقيس الغواني الحسان
فهاك من خـــل قصيداً أتى ... شثيت نظم بسناك استعان
ودم سليما راقيـا رافلا ... في ثوب عز مائساً في أمان
ما ميل الأعطاف نشر الصبا ... وهينمت ورق على غصن بان

---

(١) اللمى (مثلثة اللام) سمرة أو سواد في باطن الشفة يستحسن .

وهذه القصيدة جواب عن قصيدة العلامة عمر بن عبد السلام المدرس الداغستاني التي قرظ بها نظم قصيدة طويلة المترجم وقصيدة الداغستاني المرقوم هي :

لله ما أحسن هـذا الجمان … قد أخجل الدر بحسن البيان
نظم بديع قد حـلا لفظه … ويسكر السمع كبنت الدنان
له قواف راق ابداعهـا … كعقد أجياد الغواني الحسان
مسبوكة في قالب اللطف بل … منظومة في سلك حسن المعان
كالأنجم الزهر بافق البهـا … بل انه الزهر بوسط الجنان
بل درر أبرزها الحذق من … أصداف أفكار بديع الزمان
الفاضل الجحجاح (١) مولى الندا … الكامل الندب الفضيل المصان
مولى سما في أفق المجد بل … فاز من السعد بأعلى مكان
حسيب أصل بل نسيب علا … تالله ما أشرف هذا القران
رب المعالي والسجايا التي … يعجز عن حصر حلاها اللسان
زين ذوي الفضل الذي خصه … مولاه من احسانه بامتنان
رفيع قدر منتقى ماجـد … ينزل عن عليائه الفرقدان
فاق على أقرانه رتبـة … وصار فيهم ذا فخار وشان
له ذكاء مثـل نهر وقد … أرخى له نظم القوافي العنان
يا أيها المولى الذي وصفه … يضوع مثل المسك بالزعفران
اقبل بعذر من محب وفى … نظماً حكى الطل على الاقحوان
أو حب مزن أو نسيم الصبا … إذ هب فارتاح إليه الجنان
ودم بعون الله في عزة … ممتعاً في ظل دوح التهـان

وله قصائد عديدة ، وتأليفات وتقييدات مفيدة ، وقد تقدم انه توفي سنة ألف ومائتين واحدى عشرة (٢) في المدينة المنورة ودفن في مدفن أسلافه رضي الله عنه وعنهم أجمعين .

---

(١) السيد المسارع إلى المكارم .
(٢) علمنا في أول ترجمته أنه توفي سنة ١٢٢٥ نقلاً عن كتب التراجم .

زين العابدين بن محمد بن زين العابدين

رحمه الله تعالى ، قد نظمه سلك عقود اللآلىء الثمينة ، في أعيان شعراء المدينة ، وترجمه جامعها فقال : خليفة سلفه علماً وفضلاً ، وذكاء ونبلا ، وارتفاعاً في سماء المجد وعلواً ، وهمة في اكتساب الفضائل منحته سمواً ، فهو فرع لحق في الفخار أصله ، واتخذ عند مَحَلّ علام محله ، يجد ساعده حظه وجده ، وتهلل له مبتسما بثغر القبول سعده ، فوفود الاقبال مستكنة لديه ، ومخايل العز لا تزال لائحة عليه ، وأدبه الأزهر ، أشهر من أن يذكر ، فكم له من خطب أنشاها ، وبلطائف البديع وشاها ، أحسن من الحلل المطرزة رونقا ، وأبهج من سبيك العسجد إذا لاح مؤنقا ، تعشقها الخواطر ، وتتنزه في حسنها الضمائر ، واما نظمه فهو الروض البديع ، وقد وافاه زمن الربيع ، فضحكت فيه أنواع الأزهار ، المكللة بلآلي نثار الأمطار ، والنسيم وافاها عليلا ، وجر عليها ذيلاً بليلاً ، فمن ذلك قوله مجيباً صاحب اللآلي :

لاحت كبدر لاح تحت الحندس ... وسرت بقد بالغدائر مكتسي
وتبسمت عن عقد جوهر ثغرها ... وتنسمت عن طيب عرف أنفس
وجلت لنا من أوج أفق جبينها ... صبحاً تنفس عن دجى متعسعس
وبدا لنا في روض وجنة خدها ... فياح عنبر خالها في الحرس
وغدت تذود عن الخدود لحاظها ... فحمت ورود حياض تلك الكنس
وبرت بصارم أنفها مهج الورى ... وبرت بماء رضابها للأنفس
وحقاق [1] فيها فتحت عن لؤلؤ ... في سلك مرجان المباسم منتدي
لله مبسمها الشهي إذا غدا ... متبسماً كالصبح حين تنفس

---

(١) جمع حُقة ، وهي الوعاء الصغير .

والجيد قد فضح الغزالة لفتة ... ما قدرها تحكيه غير تهجس
والصدر متسع بكل فضيلة ... تكبو صوافن خصرها بتقعس
والكف أهطل من سحاب سخاوة ... والجسم أرطب من برود السندس[1]
والخصر أوهن من قوام محبها ... والساق أصفى من زجاج الأكؤس
مذ ماس بان قوامها في كثبه ... أزرى بزانة كل ليث ملبس
شبهت طلعة وجهها في حسنها ... بدراً بدا في أوج غصن أملس
لله زائر طيفهـــا من زائر ... وافى يدير لي السلاف فأحتسي
وأبوح من سكري بسر قد سرى ... في سر سرى للسري الأكيس
شمس المعارف بدر كل فضيلة ... رب النهى الفهـــامة المتفرس
نجم العوارف روض كل لطافة ... حاوي التحائف بل وخير مدرس
أكرم به من فـــاضل متفنن ... جمع البراعة واليراعة والقسى[2]
شهم يفوق على الغمام نواله ... ويروق للرائين منظره الوسى
فرع لابرك دوحة محمودة ... زرع نما في سوح زاكي المغرس
غطريف[3] أهل المجد بل خطريفهم[4] ... جحجاج قوم السعد بدر الأطلس
شحشاح[5] فتيان القريض سراجهم ... مصباح فتيات النثير الخنّس[6]
لا زال للفضلاء يعذب مدحه ... ويطول شامخ فضله المتأسس
وعلى جميـــع ذويه يعلو قدره ... ويفيض نهر كماله المتبجس[7]
ما عاهد الغيداق[8] نافح روضة ... صبحـــاً فـكللها بدر أنفس
أو ثغر زهر الروض يرشف بكرة ... ريق الغوادي الضاحكات النعّس

---

(١) ضرب من نسيج الديباج أو الحرير .
(٢) جمع قوس : ما ترمى به السهام .
(٣) الغطريف : الشاب الظريف السخي والسيد الحسن .
(٤) خطرف : أسرع في المشي وضرب بالسيف ، فهو خطريف وخطروف .
(٥) المواظب على الشيء .
(٦) الكواكب : سميت بذلك لأنها تخنس في مجراها تحت ضوء الشمس ، أي تستتر وتخفى .
(٧) بجس الماء : فجره .
(٨) الغيداق : المخصب والكريم الجواد .

عن قوله

سلب العقول بتم حسن أنفس ... رشأ بسيف الجفن مردي الأنفس
رشقت لواحظه السهام بمهجتي ... أو ما ترى تلك الحواجب كالقسي
ماست معاطفه فخلت قوامها ... غصناً يفوق على القنا والمدعس[(١)]
وغـدا بلا شك بخنجر أنفه ... يفري الحشايا صاح والقلب القسي
أحببْ به بدراً ربيع محـاسن ... روض الجمال غدا بغير تلبس
سقيت بماء الحسن وردة خده ... واخضر شاربه كزئبر [(٢)] سندس
لو لم يكن جمع الزهور بهاؤه ... ما كنت تبصر عينه كالنرجس
كالأُقحوان ترى ثناياه إذا ... ما لاح مبتسماً بثغر ألعس [(٣)]
بل انها تحكي لسمْط لآلىء ... تحت العقيق من الشفاه اللعس
فيه المعتق من شهي رضابه ... يا بخت صب من طلاه يحتسى
حاز التقابل في الجمال فوجهه ... صبح وذاك الشعر حالك حندس
كالمـاء والنيران دارة صدغه ... فاقبس ورد باللحظ أو بتهجس
كالظبي خلقا والهزبر سطـاوة ... باللحظ يفرس كل أحوس حلبس[(٤)]
لله ليلة جمعنـا في السفح إذ ... نانـا المرام وبغية المتملس[(٥)]
مع ذلك النفار عن وصلي وقد ... أمسى يطارحنا بلفظ مونس
والليل قد ألقى سجوف ظلامه ... ونجومه ترنو كأعين حرس
فظللت أحسو خندريس وصاله ... حتى أضاء الصبح حين تنفس
كضياء مولينا أخي الفخر الذي ... بمطارف [(٦)] المجد المؤثل مكتسي
زين الأفاضل بل فريدة عقدهم ... بل در تيجان العلا والقونس[(٧)]
قرم غدت مثل الكواكب خيمه ... وغدا كمثل البدر فوق الأطلس

---

(١) المدعس : الرمح يطعن به .
(٢) ما يظهر من دَرْز الثوب .
(٣) فيه سواد مستحسن .
(٤) الأحوس : الشجاع الجريء . والحَلبَّس : الشجاع ، واسم من أسماء الأسد .
(٥) تملّس من الشراب : صحا ، ومن الأمر : أفلت وتخلّص .
(٦) جمع مُطرَّف ، وهو رداء من خز ذو أعلام .
(٧) أعلى الرأس .

السعد خادم فضله السامي وما أحجاه يخدم بالجواري الكنّس
مبتوّىء من قمة العليا على فلك أشم من المعالي أقعس[1]
روض لأصناف المحامد والثنا فرع عليّ الأصل زاكي المغرس
مولى غدا يحسو بعزم علاه من خرس[2] المعارف مفعمات الأكؤس
يا أيها المولى الهمي ببيانه كالغيث حين تهمع وتبجس
انعشت قلبي من نظام فائق وجلوت عنه كل هم موئس
كالزهر غب القطر كاله الندى أو كالحلي إذا بدا بتهسهس[3]
فسعيت نحو اشارة فيه بدت كيما انال بسعدكم لتأنس
فاقبل نميقة مشغل ما نمقت لكن بكم تزهو بأفخر ملبس
لا زلت ترفل في برود معزة سامي الرحاب مدى سجيس الأوجس[4]

وله من أخرى

فتكت بسيف الغنج مهجة صبها وباسمري القد جسم محبها
وتدرعت حقاً بثوب جمالها فاستأسرت اسد الشراء بعضبها
برزت بميدان التفاخر طفلة فالقرم بدد من أسنة هدبها
وبدت بايوان التغزل ظبية فتحجبت منها الشموس بحجبها
سفرت خمار الأنس عن ذاك السنا فتكورت شمس الدنا في غربها
كشفت عن الراحات قلت مشبهاً بدر الحوالك قد بدت من سحبها
وجلت لنا كأس المحبة والهنا وملته راحاً من معتق شربها
وشدت بألحان الرباب وزينب وبثينة العشاق نخبة سربها
فسكرت من ذاك المدام فلا أعي وطربت من ذكر الرباب وقربها

---

(١) مائل الرأس والظهر والعنق، ورأينا هذا في المجدين المتعبين ، وهو أيضاً كناية عن التواضع.
(٢) الخرس والخرس : الدّن .
(٣) تهسهس الدرع والحليُ : صات .
(٤) السجيس : ذو السجَس ، يقال : « لا آتيك سجس الليالي » أي مدة الليالي .

وله من أخرى

أرى القلب مغرى مغرماً بالتغزل ... حليف جوى يصبو الى كل عيطل (١)

يسامر زهر الليل يشكو لما الذي ... يقاسيه في ذاك الجمال المكلل

وينشد عن ليلى ولبنى وزينب ... وينعم مع هند ويصبو لمنزل

فليلى سويدا القلب حلت وغيرها ... رسوم وأسماء تزال بمعول

فشاهد سنا ليلى فضوء جبينها ... هلال يعيد الوجد بعد التنصل

وحاجبها قوس اراش لأسهم ... اصابت فؤاد الواله المتعلل

وأعينها حور حمين بيبتر ... وهاروتها بالسحر قد صار مخبلي

ومسند جنح الجند مرسل ادمعي ... ومقطوع صبري في الهوى لم يوصل

وكافور خديها تنفس فجره ... بعنبر خيلان (٢) يفوح كمندل (٣)

ومبسمها الزهري أشرق نوره ... على شفق يبدو بذاك المقبل

ومرشفه راح ببابل صنعه ... فمن ذاق منه رشفة لم يعلل

وجيد لها يحكي الغزالة صوره ... وما قدرها تحكيه غير تخيل

وراحات أيديها كبدر دجنة ... وصدر كقرص الشمس في حين ينجلي

فدائي هواها والدواء وصالها ... وحالي لا يخفى على المتأمل

انتهى . ان هذا المترجم قدمات في القرن الثالث عشر ولم أقف على تعيين تاريخ موته رحمه الله تعالى .

★ ★ ★

---

(١) الطويلة العنق في حسن .

(٢) الخيلان مفردها خال وهو الشامة السوداء في البدن .

(٣) المندل : العود الطيب الرائحة .

حرف السين المهملة

القاضي سالم بن محمد الدرمكي من علماء البحرين[1] وعمان[2]

أديب هو في وجه الزمان غرة ، وأريب ليس للزمان منه سوى الجمال والمسرة ، قد امتطى متن البديع والبيان ، وركب ظهر البحرين وعمان ، وقد ترجمه احمد بن محمد الأنصاري فقال ما ملخصه : القول فيه انه أشعر أهل مصره ، وخاتمة بلغاء قطره ، مَلَكَ أزمة البراعة واللسن ، وظفر بكل معنى برائق حسن ، اجتمعت به غير مرة لاستنشاق أرج أنفاسه ، في خميلة أرض هي مسقط رأسه ، فوجدته سالماً من الفظاظة كاسمه ، متحلياً بحلية الفضل اللامع ، نوره من محاسن نثره ونظمه ، فمن لطائفه قوله من قصيدة أرسل بها إليّ متشوقاً وأنا إذ ذاك باليمن الميمون :

فيا أبيض الأخلاق والوجه أنا مذ ... تناءيتَ أيامي غدت كلُها سودا
ولا زلت ان أتهمت يهوى تهامة ... فؤادي وان انجدت يوماً هوى نجدا[3]
فمهما تسر يشفعك قلبي أينما ... توجهت لا تسعى إلى وجهة فردا

---

(١) في كتاب « جغرافية البلاد العربية » : وتتألف امارة (البحرين) من مجموعة جزر صغيرة تقع أمام شاطىء الأحساء .

(٢) في (ج ١) من كتاب العالم الإسلامي : وتنقسم طبيعة أرض عُمان إلى قسمين : تهامة ومنطقة جبلية ، ففي تهامة عُمان ، سهل واسع يدعى البطينة وهو خصب تكثر فيه أشجار النخيل والموز والرمان وغيرها ، ويزرع فيه كثير من أنواع الحبوب .

(٣) نجد : هي بلاد جبلية في شمالي جزيرة العرب ، نقيضها تهامة ، وهي البلاد الساحلية الغربية .

وذكرك في قلبي يلذ وفي فمي ... كأني أحسو من تذكرك الشهدا
نأيت فعن جفني نأى بعدك الكرى ... فهل كنتما وكانتا للنوى وعدا
فيا أحمد المحمود طبعاً إلى متى ... بأفعالك الحسنى تعلمني الحمدا
لقد ند عنك السوء يا ابن محمد ... ودمت كريماً لا تصيب له ندا

وقوله في ذكر المحبوب عند الشدة والكروب :

ولقد ذكرتك يا بثينة في السفر ... والفلك في البحر المحيط قد انكسر
والموج من طوفانه متلاطم ... والموت للأنياب منه قد كشر
والناس قد غرقوا معاً إلا أنا ... أرجو الحمام تجاه وجهي ما استتر
وبقيت في لوح غريق كله ... والماء لي كلي إلى رأسي غمر
ومكثت حيناً من طعام معدماً ... فيه وتذكاري يقوم به الذكر

ويعجبني قوله من قصيدة مدح بها السيد النبيل ، محمد بن خلفان الوكيل ، عليهما رحمة الملك الجليل :

نفسي فدى الإلف الذي صار بي ... براً وما عاينت منه جفا
شمـــائل راقت ورقت له ... فمنه ما أحلى وما ألطفـــا
كأنه في حسن أخـــلاقه ... لنجل خلفان الوكيل اقتفى
محمد مَن ما هفا قلبـــه ... لريبة قط وعنهـــا هفا
لم يك بالخلف عهداً ولا ... كل امرىء فوه يُرى مخلفا
يجود بالمـــال ويسطو فكم ... أمن من قوم وكم خوفـــا
وما أتاه مذنب تائبـــا ... يطلب منه العفو إلا عفـــا
مـــا شدد الدهر على شيعة ... إلا عليهم جوده خففـــا
وبالنـــدى منه يوفيهم ... إذا رأى الدهر لهم طففـــا
إذا قضى أو جاد أو صال أو ... قال حكى في فعله المصطفى
يصلـــح ما اختل بتدبيره ... مارتقت دنياه إلا رفـــا

توفي رحمه الله عام الف ومائتين وبضعة عشر .

الإمام الأمجد سعيد بن الإمام أحمد البوسعيدي
من علماء عمان والبحرين

قال صاحب الحديقة : ماذا أقول فيمن تفرع من جرثومة السيادة ، وترعرع في رياض الحبور والسعادة ، وتتوج بتاج العز الأزهر ، وحظي في دهره بالعيان الأخضر ، وتطاول نواله ، واتسع في الفضل مجاله[1] :

كلت الألسن عن أوصـــافه   وغدا المـــدح به مفتخرا

فمن لطائفه ، وبديع طرائفه ، ما كتبه إلى أخيه الهمام سلطان ابن أحمد الإمام :

إذا شحت الخضراء بالوبل فالتمس   تجد جود سلطان على الناس كالمطر
فإن عز مطلوبي فليس شمــاتة   وإن حصل المطلوب فالفوز بالظفر

وقوله يرثي ولده السيد حمد رحمه الله تعالى :

وافى حمامك يا حبيبي بالعجل   فار تلهب في ضميري تشتعل
يا من له شرف وفضل في الورى   أمسي وحيداً مفرداً دون الأهل
الله أكبر من مصاب عمنـــا   هماً وغماً لا يبيد ولا يفل
حمد حوى المجد الشريف تغيرت   أيامه قد كان يضرب بالمثل
صبراً لأولاد الإمام ومن لهم   من اخوة وأقارب فيما نزل
لاغرو هذا قد أتى خير الورى   لم تمنع الأموال عنه ولا الدول

وقوله رحمه الله

لهفي على زمن مضـــى   مـــا ذقت أحلى منه شي
لـــما ذكرت عهوده   جرت الدموع وقات أي

---

(١) في ترجمته من الحديقة : وأذاق الخوارج عن الطاعة له والانقياد . مرارة الموت بعضبه وبلغ منهم المراد . ا هـ . (ص ١٩١) .

وله قصائد كثيرة ، وأبيات شهيرة ، وأوصاف ممدوحة ، وشمـــائل مشروحة [١] . رحمه الله تعالى .

الشيخ سعيد بن المرحوم محمد الفبرة

كان رجلاً يغلب عليه الصلاح ، واقتفاء آثار ذوي النجاح ، وطلب العلم في أول أمره إلى أن صار له ملكة وإلمَام نوْعاً مّا ، ولكنها لعدم كمال إقباله ما تمّا ، وأخذ الطريقة الصاوية الدرديرية ، وكان يقيم الذكر في الجقمقية شمالي جامع بني أمية ، وصار عنده جمعية كبرى ، وحصل له قبول عند الناس إلى أن استحصل التولية على أوقاف المدرسة المرقومة ، فأقبل على الدنيا بجده واجتهاده ، ففتر أمره وتنزل قدره ، وكان يقرأ درس وعظ في جامع بني أمية فكان يحضره الغرباء ، وكان له جسارة في الأمور ودأب عظيم ، وكان يخيل له أنه من كبار العلماء المدرسين ، وفي آخر أمره ذهب إلى عكة وأخذ طريق الشـــاذلية عن الشيخ علي اليشرطي ، بعد أن كان منكراً على هذا الطريق وأهله [٢] .
وقد توفي هذا المترجم في الحمام فجاءة سنة الف وثلاثمائة ونيف .

---

(١) الأستاذ الجد يُعْنَى بالوجهة الأدبية أكثر ، وفي الأعلام للأستاذ الزركلي في وصف المترجم : ثاني الائمة البوسعيديين الإباضيين في عُمان ومسقط . ولي بعد وفاة أبيه (سنة ١١٩٦ هـ) وأقام في الرستاق ، وكان أديباً يقول الشعر ، إلاّ أنه — كما في تحفة الأعيان — « لم يعدل في ملكه ولم يرض المسلمون عنه » وخرج عليه شيخ من كبار رعاياه يعرف بأبي نبهان ، فاضطرب أمره ، وضعف ، فاستولى أخوه « سلطان بن أحمد » على أكثر بلاده ، وانحصرت سلطته في الرستاق . ومات (سنة ١٢١٨ هـ) قبل مقتل أخيه سلطان . ا . هـ .

(٢) ترجمه الحصني في منتخبات التواريخ لدمشق فقال : سعيد بن عثمان بن عبد الغني الدمشقي الشافعي ، الشهير بالفبرا . ووصفه بأنه كان يكد على تعليم العامة أمر دينهم الضروري ، ويشن الغارة على البدع ، وقد شدّ الرحل إلى دار السلطنة لنفعها ، وهكذا ترى في سيرته المعروف والمنكر ، توفي (سنة ١٣٠٣ هـ) رحمه الله .

السيد سعيد افندي ابن الشهاب أحمد الايوبي الانصاري
رئيس الكتاب بمحكمة الباب

كان شهماً أديباً ، وكاملاً لبيباً ، ذا سيرة جميلة ، وسريرة جليلة ، وشمائل حسنة ، وفضائل مستحسنة .

ولد بدمشق الشام سنة أربعين ومائة والف ، ونشأ في حجر والده ، وقرأ القرآن وأتقنه ، ثم حضر دروس الأفاضل الأعلام ، إلى أن بلغ المأمول والمرام ، وأحسن صنعة الكتابة ، وكان ذا تؤدة في أموره لا يعرف حماقة ولا طيشا ، وتولى رئاسة الكتاب في محكمة الباب ، وحصلت له شهرة عظيمة ، وسيرة وافية جسيمة [1] ولم يزل يتفوق مقامه ، ويمازج القلوب احترامه ، إلى أن دعاه الحمام إلى دار المقام ، سنة ست وثلاثين ومائتين والف ودفن في باب الصغير .

الشيخ سعدي الشيرازي

هو من رجال الحديقة ، بل هو فردها في المجاز والحقيقة ، قال في ترجمته ، لكي يبدي لنا شمس معرفته : سعيد الحظ والطالع ، لا فرق بين وضاءة سعده وبهاء البدر الساطع ، نبغ في جنة المعارف شيراز ، فظفر من ظهوره كل طالب بلطائف الأدب وفاز ، له النظم الحسن والنثر الذي دل على أنه ذو بلاغة ولسن ، ديوان شعره الفارسي بستان ، وبيان نظامه العربي حديقة ورد وريحان ، فمن ظريف نظمه قوله :

فاح نشر الحمى وهب النسيم ... وتراني من فرط وجدي أهيم
إن ليل الوصال صبح منير ... ونهار الفراق ليل بهيم
ووداع الحبيب خطب جزيل ... وفراق الأنيس داء أليم
فتن العابدين صدر وسيم ... آه لو كان فيه قلب رحيم
يا وحيد الجمال إني وحيد ... يا عديم المثال قلبي كليم

---

(١) في روض البشر بعد حذف الألقاب : هو والد عطاء الله (م ١٢٨٢ ﻫ) عن أولاده الأربعة السادة الوجهاء : محمد علي وأحمد مهدي ومحمد سعيد وخليل ، والأول هو والد عطاء الله رئيس وزراء سورية الآن (سنة ١٣٦٠ ﻫ) ا ﻫ .

سلوتي عنكم احتمال بعيـــد　　وافتضاحي بكم ضلال قديم
معشر اللائمين فيما جهلتم　　لو رأيتم جماله لم تلوموا
إن نار الهوى لدى كل صب　　مع ذكر الحبيب روض نعيم
كل من يدعي المحبة فيكم　　ثم يخشى الملام فهو مليم

وما أحلى قوله :

يا نـــديمي قم ونبه　　واسقني واسق الندامى
خلني أسهر ليـــلي　　ودع الناس نيامـــا
اسقيـــاني وهدير الـــ　　ـــرعد قد أبكى الغماما
في زمان سجـــع الطـــ　　ـــير على الغصن وحاما
وأوانٍ كشف الور　　د عن الوجه اللثامـــا
أيهـــا المصغي إلى الزهـــ　　ـــاد دع عنك الملامـــا
فز بها من قبل أن يجـــ　　ـــعلك الدهر عظامـــا
قل لمن عـــير أهل الحـــ　　ـــب بالجهل ولامـــا
لا عرفت الحب هيهـــ　　ـــات ولا ذقت الغراما
لا تلمـــني في غلام　　أودع القلب سقامـــا
فبـــداء الحب كم من　　سيد أضحى غلامـــا

انتهى . فهذا المترجم قد طـار ذكره وفاق ، وانعقد على انفراده في بلاده الاتفاق ، قد قصده الطلاب من الأقطار ، ونحاه الرغاب لمـا يعلمون لديه من بديع الأوطار . قد أخذ عن العلماء الأفاضل ، إلى أن امتاز بالفضائل والفواضل ، فدرس وأفاد ، وجاد وأجاد ، وأظهر من المعارف التحقيقية ما لم يكن على بال ، وبهر في فنونه التدقيقية من بحر ذهنه السيال :

فكأنمـــا هو روضة　　تهتز في يوم مطـــير
أزهـــارها كـكواكب　　قد زينت فلك الأثير
علامة لم يلـــق في　　هذا الزمـــان له نظير
إن جال في التفسير فالتـــ　　ـــفسير أعسره يســـير

أو قرر الأحــكام من فقه تفقهــا الكثير
وإن انتحى للنحو وضــحه بتسهيل العسير
واليه في فن البــلا غة كل مسؤول يشير
وإذا تعــانى الشعر قلــت أذا الفرزدق أم جرير

والحاصل انه فرد عصره ، وزينة قطره ومصره . توفي رحمه الله تعالى في شيراز سنة الف وزيادة عن المائتين .

السيد سعيد بن قاسم بن صالح بن اسماعيل بن أبي بكر القاسمي الشهير بالحلاق الدمشقي الشافعي

سلالة مجد أشرقت أنواره ، ونفحت في رياض الأدب أنواره ، فصيح ألبسه المولى حلة الكمال ، وبليغ نسج القريض على أبدع منوال ، فأخذ برقاب القوافي ، وورد منها المنهل الصافي ، فحــاول رقيقه وجزله ، وأجاد جده وأحكم هزله ، بنظر نقاد ، وخاطر وقاد ، يقضي حق البيان ، ويملك رق الحسن والإحسان ، يترقرق فيه ماء الطبع ، ويرتفع له حجاب القلب والسمع ، مع حسن المحاضرة ، ولطف المذاكرة ، فلا جرم قد طابق اسمه مسماه ، وكاد أن ينطق بلفظه معناه . ولد في دمشق الشام ، في أوائل المحرم الحرام ، عام تسعة وخمسين ومــائتين والف ، ونشأ في حجر والده بركة عصره ، وفقيه قطره ، فتأدب بفضائله وتهذيبه ، وكساه من الفنون الرداء المذهب ، فاقتفى واقتدى ، وراح في الحلبة واغتدى ، حتى نبل وشدا ، وبلغ في المعارف المدى ، ولما توفي والده عام أربعة وثمانين ومائتين والف قام مقامه في إمامة جامــع السنانية ، وإحياء دروسه الليلية والنهارية ، وله أخذ وسماع وتحصيل ، عن غير والده الجليل ، من أساتذة محققين ، وأفاضل كاملين ، منهم الشيــخ

محمد الطنطاوي والشيخ سليم العطار والشيخ محمد المنير والشيخ عمر العطار وغيرهم بوأهم الله دار السلام . واجتمع بفضلاء الحرمين الشريفين وبيت المقدس الشريف عام زيارته لهما سنة إحدى وثلاثمائة والف . وله اقبال عظيم على شانه ، وانزواء شديد عن أكابر زمانه ، والقلوب على مودته متطابقة ، والألسن بالثناء عليه ناطقة ، وله مصنفات أدبية ، ومجموعات بهية ، منها بدائع الغرف ، في الصنائع والحرف[1] ، ومنها الثغر الباسم ، في ترجمة والده الشيخ قاسم ، ومنها سفينة الفرج ، فيما هب ودب ودرج ، ومنها ديوان شعر لطيف جمع فيه جملة من درره ، وشذرة من محاسن غرره ، وأكثر من ابتكار النوادر ، وتلطف في المجون بكل معنى بديع

---

(١) هذا الكتاب الوافي بموضوعه ، مؤلف من جزءين ، مطبوعين في دمشق ، فأولهما بقلم المترجم هنا ، وهو الشيخ سعيد القاسمي ، (إلى ص ١٨٦) ، والثاني تأليف ولده السيد جمال الدين وصهرهما خليل بك العظم ، إذ حال أجل الأول دون إكمال حرف السين فما بعده ، فوفقهما الله تعالى إلى إتمام العمل ، فبدءا أولاً بفوات بعض الحروف المتقدمة ، ثم في إكمال حرف السين ، ثم في سرد بقية الحروف إلى آخرها ، (من ص ١٨٦ ـ ص ٥٠١) . بدىء (ج ١) بكلمة في موضوع الكتاب للمستعرق الشهير لويس ماسينيون ، فمقدمة الأستاذ ظافر القاسمي في تاريخ الصناعة وما مرّ عليها من أدوار وأطوار ، وبالتعريف في هذا القاموس ، وكلتاهما باللغتين العربية والفرنسية ؛ وفي أول (ج ١) رسم المؤلف وترجمته ، ورسم جامع السنانية الذي كانت الإمامة والتدريس فيه له ولولده جمال الدين من بعده . وفي (ج ٢) رسم المؤلفين الجمال والخليل ، وترجمة الأول بقلم ولده الأستاذ ظافر ، باللغتين أيضاً ، وترجمة الخليل بالكلم الوجيز . وفي آخر (ج ٢) الفهارس للآيات الكريمة والأحاديث الشريفة (وقد اشتركت مع الأستاذ الناصر الألباني بتخريجها وبيان درجتها) والقوافي ، والكتب ، والأعلام ، وأسواق دمشق ، والصناعات ، والأدوات ، والآلات ، والأسعار ، والأجور . وهذه الفهارس مترجمة إلى الفرنسية أيضاً . وقد طبع الكتاب في دمشق طبعة متقنة .

نادر ، راضياً بعفو الطبع ، وما يخف على السمع ، فمن لؤلؤه الرطب ، ورشح قلمه العذب ، قوله مطلع قصيدة متغزلا :

أمـــا وعيون فاتـكات فواتر   فعلن كأفعال المواضي البواتر
وصبـح جبين فوق بدر يزينه   شقائق ورد بين ليل الغـدائر
وعنبر خال حول ثغر مدامـة   حماه ورود الرشف سيف المحاجر
وبلور جيد ان تنازل ريقه   يريك بريقا من خلال الحناجر
ورقة خصر فوق طود كثيبة   تميد بموج فوق بحـر الجزائر
وخطيّ قدّ كم ترى عند هزه   طريح غـرام لاجريح خناجر
وهيكل جسم ان تراءى لناظر   فما هو إلا قطعـة من جواهر
بأن الهوى مني واني من الهوى   وان هيولى العشق سار بسائري

ومن منظوماته الحماسية قوله من أبيات :

شموس الرضا دوما علينا بوازغ   وآلاءُ ستر الله فينـــا سوابغ
وفي يدنا اليمنى غدا اليمن مغدقا   وأما اليد اليسرى بها اليسر نابغ
وان ذكرت يوما أفاضل جلق   بشعـــر وآداب فنحن النوابغ
لنا في العلا نفس تعز بربهـــا   وقلب بغير الفكر والشكر فارغ

وقال في مدح دمّر :

ياصاح ان رمت المسير لمنزه   فاقصد بسيرك نحو روضة دمر
فهواؤها محيي الجنان وأرضها   مثل الجنان وماؤها كالكوثر

ومن لطائفه قوله :

ذهب الربيـــع بورده وبلينه   وأتى الشتـــاء ببرده وبطينه
أما الفقير ففي الشتاء هلاكه   من همه في فحمه وعجينه
وبسقف بيت عياله من دلفه   وبرجفـــه من برده وأنينه

وقال في باب التوكل :

كل من يبغي سوى المولى نقص   واعتراه من ذوي الدنيا غصص
وإذا امل منهم حـاجة   نغص المسؤول عنها ونكص
مكفهر الوجـه لو أبصرته   قلت من أين له داء البرص
وعلى السائل فرضا لو سخـا   مرة ألقاه في ذل القفص
فاترك العـالم طرا ثم سل   ملكا يرغب أن تؤتى الرخص
منعما برا كريمـا رازقا   ليس يرضى عن عبيد قد حرص
عالما اجمـال أحوال الورى   فهو أدرى في تفاصيل القصص

وقال لبعض الشؤون :

نظر الزمان اليّ من طرف قذي   يومـاً فقلت مناديا من منقذي
فنظرت من كل الجهات فلم أجد   خلا يغيث فقلت غب تعوذي
بالأمس لايحصـون أحبابي فهل   محقوا بريح أصفـر مستحوذ
أم هل تواروا في قبور بيوتهم   سحقا لهم من ذلك الفعل البذي
أين المودة والاخاء والاصطفا   بل أين مَن مِن خير ثدي قد غذي
صدق اللبيب الشاعر الفطن الذي   قد قال هذا البيت بالمعنى الذي
ذهب الذين يعاش في أكنافهم   وبقيت في خلف كجلد القنفذ

ومن لطائفه قصيدتان نظمها في عام تأخر برده عن وقته المعتاد صاغ الأولى في قالب السؤال من فصل الشتاء والثانية في جوابه واعتـذاره المتضمن وعظ الموسرين ليتفقدوا أولي الفاقة . أما الأولى فهي قوله :

مابال بردك ياشتاء تأخـرا   وبريق برقك خلب لن يمطـرا
أقبلت يافصل الشتاء ولم نجد   من ماء مزنك قطرة بلت ثرى
فصل كأيام الحسوم يجيئنـا   فالآن في أبداننا مـا أثرا

ما هكذا قد كنت تأتي للورى «فارحم حشا بلظى هواك تسعرا»
«وإذا سألتك أن أراك حقيقة فاسمح ولا تجعل جوابي لن ترى»
أين الرياح العاصفـــات بفصله لا تبقي في الأشجار عرقاً أخضرا
أين الجليد مجمّد الأرض الذي مثل الزجاج تخـــاله متصورا
أين الصقيع المقدم الظهر الذي ترك الفتى من رجفه متحيرا
أين الضباب المظلم الجو الذي بظلامه يحكي قتامـــاً أغبرا
أين اسوداد الجوّ أين عبوسه أين الغمام وغمه ومـــتى سرى
أين الزيادة في المياه إذا أتت تحكي لنا في اللون طيناً أحمرا
بل أين برد الزمهرير ولسعه للوجه لكن يستخير المنخرا
أين الرعود المزعجات بصوتهـــا كمدافـــع يضربن جواً أقفرا
فإذا رأيت رأيت برقاً خاطفاً وإذا سمعت سمعت صوتاً منكرا
أسفي لثلجك يا شتـــاء فإنه قد كان يبني أذرعاً أو أكثرا
أسفي على البـرَد الكبير وطبّه مذ كان ينزل جامداً مستحجرا
أسفي علينا ما رأت أبداننـــا برداً به نلتذ في لبس الفرا
فإلى متي والصحو عم سمـــاءنا والشمس في إشراقها لن تسترا
وبيوتنا أبوابهـــا مفتوحة فكأن حر الصيف لن يتغيرا
وننام لا مزملين بثوبنـــا كلا ولا احتجنا لأن نتدثرا
وسقوفنا جفت وقد كانت لنـا يبكي بدمع الدلف ماء أصفرا
أسفي على يبس الميازيب التي طول الشتاء تصب ماء أغبرا
أسفي على تلك البلاليع التي كانت تسد بما يحـاكي الأبحرا
أسفي على تلك المناقل لم تذق في صفوة فحماً وجمراً أحمرا
أسفي على تلك البرادي وهي في أجداثهـــا ملفوفة لن تنشرا

أسفي على الأوحال في الطرقات إذ ... يبست وآن لها بأن تتخمرا
ومتى نرى الإنسان يمشي فوقها ... يغدو ويرجع خائضاً ومشمرا
ومزركشاً من طينها ومطرزا ... ومدبجاً من فرقه وإلى ورا
وبنعله قد شال من أوحالها ... أرطال طين كاد يحني الأظهرا
فلطالما قد قيل أيام الشتا ... زلق الحمار بوحلة فتفطرا
والناس يصطرخون هل من منقذ ... غرق الحمار بحمله وتكسرا
أسفي على الحمال لو أبصرته ... لرحمته لما بكى وتحسرا
فإلى متى لا تحمل العكاز بل ... لا يلبس القبقابه بل لا يشترى
ومتى نرى سطح السقوف مكلساً ... ومحمراً بالثلج أبيض نيّرا
لو أنني جمعته وخزنته ... للصيف كنت عملت منه متجرا
فبمثل هذا الحال كان شتاؤنا ... أفلا يحق عليه أن نتقهرا
يا أجرد الكانون جئت معاكساً ... تدع الغصون ونحن ننبذ بالعرا
وكذا الأصم أخوه لا يبغي بأن ... ننطم في وسط البيوت ونقبرا
لو كان يسمع لا يضن ببرده ... لكن أصم فليس يسمع ما جرى
فعسى بآذار يجود بمائنا ... قد ضن فيه شتاؤنا إن أدبرا

وأما القصيدة الثانية التي وقعت جواباً عن لسان حاله فهي :

يا من تكلم في الشتاء بما درى ... ورأى بأن البرد فيه تأخرا
برد الشتاء لقد تحول عنكمو ... وأظنه قد ضل في إحدى القرى
جوبوا البلاد لعلكم تجدونه ... في قارة قد قرّ فيها أو سرى
إن لم تروه بها فجدوا خلفه ... فلعله في حمص زار وزمهرا
أم في حماة أتى إليها يحتمي ... فعصى بعاصي نهرها وتسترا
أم راح نحو مدينة الشهباء أم ... رام الإقامة في ذرى أم القرى

ليريحهم من حرهـا في برده ويزمل الأبدان منهم بالفرا

أم أمّ نحو الروم وهي بلاده منها نشا وبها استقر بلا امترا

فهناك تلقون الشتـاء وبرده يمشي بمسقط رأسه متبخترا

وترون ما تبغون من آفـاته وزيادة ممـا يقص الأظهرا

فـإذا سمعتم أنه في بلدة ورأيتموه جامحـاً مستنفرا

قولوا له يا ابن الحلال إلى متى ما آن أن تأتي وتنظر ما جرى

بينا نطوف لعلنـا نحظى به في بعض تلك المدن أو بعض القرى

وإذا به بين الجبـال مخيم إذ لا أنيس له هناك من الورى

قلنـا له يا بارداً في طبعه لكن قطر نداك يحكي السكرا

أنت الذي عاهدتنـا من آدم والعهد منك على المدى لن يخفرا

تأتي الينا كي تغيث زروعنـا في كل عام مرة أو أكثرا

والآن في ذا العام قد قاطعتنا وفررت عنا ما الذي منا جرى

أرأيت منـا ما يسوءك فعله من كل ذنب سيىء لن يغفرا

أم بعضنـا يجني عليك بذنبه فأخذت باقي البعض ظلماً وافترا

هذا وقد جئنـاك بعد مشقة فابدي الجواب ولا تكن مستعذرا

نهض الشتاء وقال كلا فاسمعوا نصحاً يقال لمن يريد تبصرا

لما منعتم مـالكم فقراءكم وعراهمو في فقرهم ما قد عرا

وغنيكم متنعم بطعـامه وشرابه ولباس أنواع الفرا

وفقيركم لا تنظرون لحـاله وترونه في عيشه متكـدرا

وترونه بالسوق في وقت المسا يبتاع زيتوناً وخبزاً أسمرا

يغدو حزيناً باكياً وغنيكم يغدو ويرجع ضاحكاً مستبشرا

ويطوف حول الفاكهاني في المسا أو حول بياع الكنائف للشرا

وإن اشترى شيئاً غدا من بخله ... يخفيه تحت ثيـابه متسترا
والمعدمون يبصبصون بأعين ... حول الغني ويرجعون القهقرى
وإذا الفقير أتاه يبغي كسرة ... أو جاء ضيفاً يبتغي منه القرى
ما كان إلا بالعصـا إكرامه ... أو بالعطا أعطاه فلساً أحمرا
ولكم تمنى الأغنياء بأن يروا ... في ساحة الفقراء ريحاً أصفرا
كي لا يروا أبداً فقيراً بل ولا ... يجدون مسكيناً وأشعث أغبرا
يا ويحهم ما ذا يكون جوابهم ... في القبر حين يروا نكيراً منكرا
للأغنيـا ويل من الفقرا غدا ... يوم القيامة إذ يرون المحشرا
إذ يقبضون عليهم في موقف ... منه الوليد يشيب من بين الورى
ويقول كل منهمُ يا ربنـا ... خذ حقنا منهم فلن نتأخرا
يبقى الغني هناك لا مال له ... فيصير عما قد جنى متحسرا
فالآن أنتم يا ذوي الأموال ان ... واسيتمو الفقراء آتي ممطرا
وتزوركم رحمات رب لم يزل ... للمحسنين مسـاعداً وميسرا
وترون فصلي فصل خصب مقبل ... في كل خير بالرخـاء مبشرا
ولتسمعن رعوده كمدافـع ... ولتنظرن البرق فيه منورا
ولتبصرن هتون مزن سحـابه ... فسيوله في الأرض تحكي الأبحرا
ولسوف ينزل ثلجه ببلادكم ... فهناك يبني أذرعاً أو أكثرا
ويروج سوق سويقكم في وقته ... فكلوا السويق مدبساً ومسكرا

وله من هذا الباب ، ما تلذ به أولو الألباب ، مما يعترف له بحقه ، ويعرف به مقدار سبقه ، ثم انه في ثاني وعشرين من شوال عام ألف وثلاثمائة وسبعة عشر بعد طلوع الشمس وكانت الساعة اثنتين من النهار صباحاً توفي المترجم فجأة وكان له مشهد عظيم ، ومحفل جسيم ، وكانت الصلاة عليه في جامع السنانية ودفن في مقبرة باب الصغير وراء قبر والده رحمه الله تعالى .

الشيخ سعيد بن عبد الكريم الأنصاري المدني رحمه الله تعالى

هو من عقد اللآلىء الثمينة ، في أعيان المدينة ، فقال مؤلفه ، ومجيده ومصنفه : فاضل أطلق في العلم لسانه ، واتخذ الفضل عنوانه ، وحاز الفضائل بحسن همة ، وجعل الآداب لها تتمة ، فأبدى نظماً هو الدر إلا أنه المنضود في النحور ، والزهر إلا أنه الخضل الممطور ، وهو أكبر إخوته ، وكبير ثلته ، فإنهم أربعة إخوة نشأوا من الحسب والمكارم في أعلى ربوة ، ثلاثة منهم لهم في النظم يد ، وواحد منهم لم يكن له فيه صدد ، فمن نظم صاحب الترجمة البارع في كناية البيان وصريحه ، قوله في مدح سيدنا عثمان بن عفان كتبها على تابوته في ضريحه :

لعثمان ذي النورين تفدى الجوانح ... وتسعى اليه العارفون الجحاجح[1]

ألا كيف لا تسعى وقد حاز رفعة ... لها الشرف العالي مدى الدهر راجح

سليل ذوي المجد الرفيع مكانة ... به يتقى والحادثات فوادح

فان كان مجد الصاحبين محققاً ... فمجد أبي عمرو له الفضل شارح

لقد بايع المختار عنه بنفسه ... مبايعة فيها الكماة كوالح[2]

وجهز جيش المسلمين بماله ... وأوقف بئرا تنتحيها الموائح

وقد أنزلت فيه أمن هو قانت ... يقوم الدياجي والدموع سوافح

وبشر بالبلوى ففوض أمره ... فوافته بالدار الرزايا النواطح

وأضحى شهيدا في الجنان منعما ... له الحور تجلى قد علته الوشائح

همام أمير المؤمنين قد استحت ... ملائكة الرحمن منه وصالح

---

(١) جمع جحجاح ، وهو السيد المسارع إلى المكارم .

(٢) جمع كالح ، وهو الذي انكشفت شفته عن أسنانه ؛ ويقال : دهر أو شفاء كالح ، أي شديد ضيق .

وأثنى عليه الهاشمي ببـذله تايـدا معدّا قد حبته المرابح
وزوجه بنتاً له ثم بعدهـا حباه بأخرى نشرها ثم فايح
وهاجـر حباً مرتين فأخصبت سنون وسالت من نداه الأباطح
فياثالث الأصحاب أنت وسياتي ويا جامع القرآن جودك مانح
وها كم قريضاً فوق تابوتكم زهى على الروض فيه المطربات صوادح
وكالنور نوراً بل يزيد وضاءة وحسناً له بين الأنام مدايح
فمع غاية المجد المؤثل قد أتى لتاريخه شطر من الشعر واضح
يقولون زوار الضريح إذا أتوا أيا حسن تابوت له الله مانـح

قد توفي في أوائل القرن الثالث عشر رحمه الله تعالى .

الشيخ سعدي بن محمد بن عمر بن عبد اللطيف بن محمد بن محمد بن أحمد بن شمس الدين بن تقي الدين بن أبي بكر ابن عبد الهادي الدمشقي الحنفي الفاروقي العمري

المتصل النسب بسيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطـاب رضي الله عنه ثاني الخلفاء الراشدين ، ولد المترجم في دمشق الشام ونشأ بها وقرأ على جل علمائها ، وأجل فضلائها ، ومن أجلهم العمـدة العلامة ، والنخبة الفهامة ، الشيخ سعيد الحلبي ، والسيد شاكر العقاد ، وغيرهما من الأعيان الأمجاد ، وولي أمانة الفتوى في دمشق الشام أيام مفتيها الأجل الهمام ، السيد حسين افندي المرادي ، إلى أن توفي وتولى الإفتاء بعده ولده علي أفندي المرادي مدة أشهر وكان المترجم عنده ، ثم بعد موت علي أفندي تولى الافتاء طاهر أفندي وكان المترجم عنده ، إلى أن فصل سنة الف ومائتين وثمان وسبعين وتولى الافتاء أمين افندي الجنـدي فكان المترجم أمين الفتوى عنده ، إلى أن توفي المترجم المرقوم في حدود سنة الالف والمائتين والثمانين .

الشيخ سعدي بن الشيخ هاشم التاجى البعلي الدمشقي

من العلماء الأفراد والفقهاء السادة الأمجاد ، كان حسن الأخلاق قد علا قدره وفاق ، وكان محمود السيرة ممدوح السريرة ، قد سافرت واياه سنة تسع وسبعين إلى القدس فرأيت من حسن حـــاله ، واتساع باله ، مايوجب له حسن الثنـــاء والمدح ويذهب عنه كل طعن وقدح ، مـات رحمه الله تعالى خامس عشر ربيع الثاني سنة تسع وسبعين ومائتين والف ودفن في تربة باب الصغير .

الشيخ سعدي بن مصطفى بن سعد بن عبده الدمشقي الحنبلي المعروف بالسيوطي

العالم العامل الهمام ، ومفتي الحنابلة في دمشق الشـام . ولد بدمشق خامس عشر شهر محرم الحرام سنة ست وتسعين ومائة والف من هجرة سيد الأنام ، وأخذ عن الشيخ محمد الكزبري ، والشيخ شاكر مقدم سعد والشيخ غنام الحنبلي ، وغيرهم من السادة العلماء والقادة الفضلاء ، وبرع وفاق وطار ذكره في الآفاق ، وكان عالماً عاملاً زاهداً فاضلاً ، عابداً تقياً صالحاً نقياً ، رفيع المقام بديع الاحترام ، تولى نظارة جـامع بني أمية بعد وفاة والده سنة الف ومائتين وثلاث وأربعين ، وافتاء الحنابلة وكان فائقاً في العلوم من منطوق ومفهوم ، لاسيما في علمي الحساب والفرائض فان له بهما المعرفة التامة . ولم يزل على كماله إلى أن جذبته يد المنية إلى الدار العلية ، في ذي الحجة الحرام سنة الف ومائتين وست وخمسين ودفن في الدحداح .

سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود

قال في البدر الطالع : ولد تقريباً سنة الف ومائة وستين في وطنه ووطن أهله القرية المعروفة بالدرعية من البلاد النجدية ، وكان قائد جيوش أبيه عبد العزيز [١] وكان جده محمد شيخاً لقريته التي هو فيها ، فوصل اليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب الداعي إلى التوحيد المنكِرُ على المعتقدين في الأموات فأجابه وقام بنصره ، وما زال يجاهد من يخالفه ، وكانت تلك البلاد قد غلبت عليها الامور الجاهلية وصار الاسلام فيها غريباً . ثم مات محمد بن سعود وقد دخل في الدين بعض البلاد النجـدية ، وقام ولده عبد العزيز مقامـه فافتتح جميع الديار النجدية والبلاد العارضية والحسا والقطيف ، وجاوزها إلى فتح كثير من البلاد الحجازية ، ثم استولى على الطائف ومكة والمدينة وغالب جزيرة العرب ، وغالب هـذه الفتوح على يد والده سعود ، ثم قام بعده ولده سعود المترجم المرقوم ، فتكاثرت جنوده واتسعت فتوحـاته ، ووصلت جنوده إلى اليمن ، فافتتحوا بلاد أبي عريش وما يتصل بهـا ، ثم تابعهم الشريف حمود بن محمـد شريف أبي عريش وأمدوه بالجنود ، ففتح البلاد التهامية كاللحية والحديدة وبيت الفقيه وزبيد ، وما يتصل بهذه البلاد ، ومـا زال الوافدون من سعود يفدون صنعاء إلى حضرة الإمام المنصور [٢] وولده الإمام المتوكل بمكاتيب

---

(١) أول غزوة غزاهـا سعود بن عبد العزيز (سنة ١١٨١ هـ) ، وفيها غزا هذلولُ بن فيصل بجميع المسلمين ، وهو أمير الغزو ، ومعه سعود بن عبد العزيز وتجد تفصيل هذه الوقائع المذهلة في كتابي عنوان المجد في تاريخ نجد لعثمان بن بشر النجدي (م سنة ١٢٨٨ هـ) وتاريخ نجد لحسين بن غنـام (م سنة ١٢٢٥ هـ) وكانت طبعته الأخيرة (سنة ١٣٨١ هـ = سنة ١٩٦١ م) بتحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد ، ومقابلة الأستاذ عبد العزيز بن محمد آل الشيخ .

(٢) منصور بن ناصر بن محمد الحسني التهامي ، عرف بالشجـاعة والدهاء ، ونعت بالملك العادل (م : سنة ١٢٣٣ هـ) .

اليها بالدعوة إلى التوحيد وهدم القبور المشيدة والقباب المرتفعة [1] ثم وقع الهدم للقباب والقبور المشيدة في صنعاء ، وفي كثير من الأمكنة المجاورة لها وفي جهة ذمار وما يتصل بها ، ثم خرج خليل باشا من مصر إلى مكة بعد إرساله بجنود افتتحوا مكة والمدينة والطائف وغلبوا عليها ، وكان استيلاؤه على مكة والمدينة عام الف ومائتين وثمانية وعشرين ، وخروجه إلى مكة سنة الف ومائتين وسبع وعشرين ، والحرب مستمرة . ومات سعود سنة الف ومائتين وتسع وعشرين ، وقام بالأمر ولده عبد الله بن سعود ، وقد أفردت هذه الحوادث العظيمة بمصنف مستقل ، ثم خرجت جيوش الدولة ومصر على عبد الله بن سعود ومن معه من الجند في قريته الدرعية ، وطال الحصر وأخربت المدافــع العثمانية كثيراً من الأبنية ، وبعد هذا استسلم عبد الله بن سعود ، وكان ذلك في سنة الف ومائتين وثلاث وثلاثين ، وأدخلوه أسيراً إلى حضرة سلطان العرب والعجم حضرة أمير المؤمنين السلطان محمود والله أعلم ما انتهى اليه حاله . ثم خرج بعض الجنود العثمانية صحبة خليل باشا إلى تهامة اليمن التي كانت بيد الشريف حمود ، وكان خروجهم بعد موته وقيام ولده أحمد بالأمر ، مع معارضة الشريف حسن بن خالد الحــازمي للشريف أحمد ، فاستولت الجنود العثمانية على ما كان بيد الشريف أحمد بن حمود ، واستسلم إلى أيديهم ، وأحضروه إلى

---

(١) في الصحيح عن أبي الهياج الأسدي قال : قال علي بن أبي طالب : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمرني ألا أدع قبراً مشرفاً إلا سويته ، ولا تمثالاً إلا طمسته .

ومن المؤسف جداً عدم الاهتداء بهدي الأنبياء والصالحين ، والاكتفــاء بتشييد القبور ، وجعلها كالقصور والقلاع ، والصلاة عندها ، والطواف حولها ، ونذر النذور لسدنتها ، والتمسح بترابها ، ودعاء أصحابها بما لا يدعى به إلا الله عز وجل .

دار السلطنة العثمانية ، وكان ذلك سنة الف ومائتين وأربع وثلاثين . وأما الشريف حسن بن خالد الحازمي ففر بمن معه إلى بلاد عسير ، وتحصن بمكان يقال له المناظر ، فخرجت عليه الجنود العثمانية ووقع بينهم حروب ، آخرها قتل فيه الشريف حسن بن خالد والأمر لله سبحانه اه .

الشيخ سعيد بن أسعد الدمشقي الشهير بالسفاريني النابلسي الحنبلي

كان إماماً عالماً عاملا ، وهماماً كاملاً فاضلا ، معتمداً عليه في مذهب الإمام الأوحد ، العالم العامل المجتهد الإمـــام أحمد ، قدس الله سره ، ورفع في الدارين قدره ، وكان له صلاح ظاهر ، ودأب على السنة باهر . مات رحمه الله في غرة رجب سنة اثنتين وخمسين ومائتين والف ودفن في تربة الذهبية قرب قبر السيد عبد الباقي الحنبلي الأزهري .

الشيخ سعيد بن حسن بن أحمد الحلبي الاصل الدمشقي المنشأ الحنفي

شيخ المحدثين ، وعمدة العلماء العاملين ، وزبدة الفضلاء ، ونخبة السادة الأتقياء ، من شيد ربوع العلوم ، وقيد شوارد المنطوق والمفهوم ، فهو الحجة الراجحة ، والمحجة الواضحة ، والبحر المتلاطمة أمواج عرفـانه ، والحبر المتواترة براهين بيانه ، أوحد أهل زمانه ، ومفرد عصره وأوانه ، المحقق الفقيه ، والمدقق النابيه ، شيخ الشيوخ وإمام ذوي الكمال والرسوخ . ولد بحلب سنة ثمان وثمانين ومائة والف ، ونشأ بها وقرأ على جملة من أفاضل علمائها ، ثم في سنة سبــع ومائتين والف قدم دمشق الشام ، واستوطن في حجرته بجانب مدرسة الكلاسة في جامع بني أمية ، وتصدر للإفادة والتعليم ، والإرشاد والتفهيم ، وأخذ عن اسماعيل افندي المواهبي ،

والسيد محمد نجيب بن أحمد القلعي ، والشيـــخ محمد مكي القلعي الحلبي ، والشيخ علي الشمعة ، والشيخ محمد الكزبري ، والشهاب العطار والشيـخ مصطفى الأيوبي الأنصاري الرحمتي الحنفي ، والشيخ شاكر مقدم سعد [١] والشيخ يوسف افندي بن السيد حسين الحسيني الحنفي الدمشقي ، والعلامة أبي الفدا اسماعيل بن محمد بن صـالح بن محمد المواهبي الحلبي الحنفي القادري ، ومحمد أفندي بن عثمان أفندي العقيلي . وقرأ صحيح الشهاب المنيني ، وكان يقرأ في رمضان ستين ختمة ، مات رضي الله عنه في دمشق في اليوم الثاني من شهر رمضان سنة تسع وخمسين ومائتين والف ودفن في تربة الذهبية .

سعيد بن حمزة العجلاني نقيب دمشق الشام الحنفي الدمشقي

السيد الإمام ، الفاضل الهمام ، صدر الأفاضل ، وبدر ذوي الفضائل ، المحقق الأديب ، والمدقق الأريب ، والماهر النبيه ، والبـارع الفقيه ، والورع العابد ، والناسك الزاهد ، ولد بدمشق ونشأ في حجر والده وتربى على يديه ، وتخرج عليه وعلى أفاضل العلماء ، وأماثل الفضلاء ، ومن جملتهم السيد نجيب القلعي الحنفي . وقد نقل بعض الناس عن ولد الشيخ نجيب أنه مأمور من رسول الله ﷺ بإجازته . ولي نقابة الأشراف بدمشق الشام مكان والده السيد حمزة سنة تسع وعشرين ومائتين والف ، وبعد هذه التولية بمدة قليلة عزل حسين أفندي المرادي من الافتاء ونفي من دمشق ووضع في مكانه المترجم المرقوم ، وبقي مفتياً خمسة أشهر ،

---

(١) كان من أشهر تلامذته العلامة السيد محمد أمين عابدين ، وهو تلميذه من جهة ورفيقه في الطلب من جهة ، لأنهما اشتركا في قراءة الدر المختـــار على العلامة الشيخ شاكر (أي مقدم سعد) « روض البشر للشطي » .

ثم أعيدت إلى حسين أفندي المرادي ، وكان للمترجم قبول عند الناس ومحبة عظيمة لما حاز عليه من الصفات الحميدة ، والأخلاق العالية الجليلة . مات رحمه الله تعالى سنة تسع وأربعين ومائتين والف ودفن في دمشق في مدفنهم المشهور .

الشيخ سعيد الخالدي الدمشقي الشاذلي
الترشيحي البشرطي الشافعي

ولد سنة إحدى وعشرين بعد المائتين والألف ونشأ من أول عمره في العبادة ، والطاعة والزهادة ، وزيارة الأولياء والجلوس في مجالس العلماء ، وقد أطلعني ولده على نسبه فأحببت ذكره حفظاً لسلسلته فهو أي المترجم سعيد بن شاكر بن سعيد بن سعد الله بن سعيد بن قاسم بن أحمد بن محمد بن محمود بن أحمد بن محمد بن علي بن أحمد بن محمد بن أحمد بن علي بن جابر بن علي بن علي بن أحمد بن محمد بن علي بن عبد العزيز بن محمد بن أحمد بن علي بن عبد الله بن سالم بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي بن جبران بن علي بن محمد بن أحمد بن محمد بن علي بن جابر بن سالم بن سليمان ابن الصحابي الجليل سيدي خالد بن الوليد قدس الله سره ، ورفع في الدارين قدره ، وقد بدأ المترجم بتعلم ما لا بد منه ، وما لا يستغني المكلف عنه ، ثم التفت إلى التعلم ، والاستفادة والتفهم ، فلازم الشيخ العلامة وهو ملا أبو بكر الكردي مدة وكان من قبله قد حضر دروس والدي المرحوم الشيخ حسن البيطار مدة طويلة ، وحضر دروس أخي الشيخ عبد الغني أفندي في تحفة ابن حجر الهيتمي ، ودروس الشيخ عبد الرحمن الكزبري والشيخ حامد العطار ثم الشيخ

سليم العطار والشيخ ابراهيم العطار ثم لازم شيخنا الفاضل الشيخ محمد بن مصطفى الطنطاوي فقرأ عليه أنواعاً من العلوم وصار عنده ملكة عظيمة ، وقوة جسيمة ، وكان حسن العشرة ، طيب النشرة ، نطوقاً في الكلام جميل المقال ، لا يمل حديثه وإن طال ، ممدوح المجالسة لطيف المؤانسة . له في الحكايات الأدبية حافظة قوية ، وعلى حكاياته طلاوة وعذوبة وحلاوة ، رقيق الحاشية لطافته في الناس فاشية ، فقير الحال زاهد في الجاه والمال ، له في العلوم همة تقتضي أن يصير من أفراد الأمة ، مواظب على ديانته غير ناظر معها إلى راحته ، آمر بالمعروف ناه عن المنكر ، آخذ بالعظائم لا تأخذه في الله لومة لائم ، جسور في الجواب لا يخاف ولا يهاب ، لا يمشي إلى دعوة أو إلى أهل أو صاحب أو جليس إلا ومعه من الكتب عدة كراريس ، لا يخلو مجلسه من نصيحة أو موعظة أو جواب أو سؤال ، أو حكاية تكسو المجلس حلة الجمال ، فاشتهر وفاق وانعقد على كمال لطفه وأدبه الاتفاق ، وصار له قدر مديد خصوصاً وهو من ذرية سيدنا خالد بن الوليد ، كأنما لسان حاله يقول لمريد الترقي للوصول :

من يطلب العز يتعب في مدارجه ... فالعز طود وأرض الذل ميدان
لولا المشقة ما فاق الورى بشر ... ولا سما في الدنا بالجد إنسان

ومن هذا المعنى قول من قال وأحسن في المقال :

لا تدرك العلياء دون مشقة ... كلا ولا الحسنى بلا تهذيب
فالعز في كلف الرجال ولم ينل ... عز بلا كلف ولا تعذيب

ولم يزل مستقيماً على حاله متخلصاً من أوحاله ، إلى أن حضر إلى داريا خليفة من خلفاء الشيخ علي المغربي اليشرطي الشاذلي وكان قد أرسله من عكا ، واسمه الشيخ أحمد البقاعي ، فأخذ المترجم عنه الطريق ،

ثم بعد ذلك ذهب إلى زيارة الشيخ في عكا فحضر من عنده وقد انعكست حالته ، وانقلبت إلى ضدها في الظاهر طاعته ، وعلاه طيش وجنون ، ومن المعلوم أن الجنون فنون ، فذهب رونقه ، وبان نورقه ، واستثقل أمره وانخفض قدره ، فترك الفقه والأصول والمعقول والمنقول ، واستخف بالعلماء ، وجحد فضيلة الفضلاء ، وأنكر العلم والعمل ، وعن كثير من التكليفات اعتزل ، وقال هذه واجبة على المحجوبين لا على المحبوبين ؟ ! وكان كثيراً ما يتكلم بالكلام ، الذي لا يرتضيه من في قلبه ذرة من الإسلام ، وصـــار لا يقول بواجب ولا مسنون ، ويقول إن التمسك بذلك محض جنون ، ومن دخل في الطريق وترقى في المقامات صارت ذاته عين الذات ، وصفاته عين الصفات ، وهل يجب على الله صلاة أو صيام بحال ، وهل يقال في حقه عن شيء حرام أو حلال [1] وأمثال ذلك كثير لا يرام ، ولو أردنا أن نطيل به لخرجنا عما يقتضيه المقام .
وقد وافقه على ذلك عدة أشخـاص ، قد خرجوا من الدين ولات حين مناص ، فتجاهروا بالآثام ، ولم يتقيدوا بحلال أو حرام مع أن شيخهم الأستاذ قد أنكر عليهم ، ووجه أشد الملام اليهم ، وكتب لهم ينهاهم عن ذلك ، ويزجرهم عن هذه المسالك ، وهم يؤولون كلامه ، ويقولون أنتم لا تدرون ما قصده الشيخ ورامه ، وتبعهم على ذلك جملة قوية ، حتى صاروا فرقة ذات متانة وحمية ، وفي يد كل واحد منهم عـــكاز ، في أسفلها حربة يتوكؤون عليها في المجاز ، وما زال يتفاقم أمرهم ، ويكثر

(١) لعمري : إن هذا التصوف كفر وزندقة ، وإباحة مطلقة ، وردّة عن الاسلام ، ومحاربة لله ورسوله ، يقول تعالى : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا ، أن يقتّلوا ، أو يصلّبوا او تقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، أو يُنفَوا من الأرض ، ذلك لهم خزي فى الدنيا ، ولهم في الآخرة عذاب عظيم » (المائدة /٣٣) .

جمعهم ، إلى أن نفى الحاكم بسببهم استاذهم إلى جزيرة قبرص ، ناسباً القصور اليه ، ومعه المترجم وجملة أنفار يعتمدون عليه . وكان المترجم خطيباً في قرية كفر سوسيا وهي قرية من الشام تبعد قيد ميل ، وكان منها معاشه مع التعظيم والتبجيل ، فحينما ذهب منفياً مع الشيخ وضعوا عنه وكيلا ، ولم يسلكوا إلى الاستغناء عنه سبيلا ، وكان الشيخ يقول لهم ما صدر علينا هذا التضييق ، إلا من تكلمكم بما لا يليق ، ثم بعد مدة طويلة عفت الحكومة عنهم على أنهم لا يعودون إلى أمثال هذه الرذيلة ، ولا إلى هذه الملابس البذيلة ، فعاد المترجم إلى قريته ، ومحل إقامته وخدمته ، ورجع إلى حاله الأول وما رجع عن زيغه ولا تحول ، فأعرض عنه أهل البلد ونصبوا له شرك النكد ، إلى أن فصلوه ، ووضعوا مكانه تلميذه وبمصلحته وصلوه ، فعاد المترجم بعياله إلى الشام ، وتزايد أمره بما يقتضي الاعتراض والملام ، إلا أنه قد ضاقت يده ، وهبط قدره وسؤدده ، وذهب جماله وسقط كماله ، فذهب إلى داريا يقري الأولاد ، ودنياه تعامله بعكس المراد ، وذلك كله لاتباعه الباطل ، وتمسكه بما ليس تحته سوى الشقاء من طائل ، وكنت أنصحه بالرجوع إلى المطلوب ، فيقول لي أنت عن الحقيقة محجوب ، لو قطع رأسي وتفصلت أوصالي لا رجعت عن طريقي وحالي . فمرة كنت أمشي وإياه في الصحراء فرأى امرأة قروية قد لبست لباساً أحمر فقال لها يا حبيبي عملت نفسك امرأة ولبست اللباس الأحمر ! ومرة رأى هراً فصرخ وقال له عملت نفسك هراً وتظن أني ما عرفتك . وكان يقول عن إبليس إنسان كامل . وأمثال هذا كثير ، مما لا يقول به جليل ولا حقير ، ويقول للائمين أنتم أهل الرسوم ، المتمسكون بظاهر العلوم ، ونحن الصوفية أهل الطريقة ، والوجدان والحقيقة . وما علم أن ذلك من أكبر الغلط ، ومن

قال به فقد سلك مسلك الشطط ، وهل تجدي من غير شريعة طريقة ، أو تصلح بما لا تمسك له بالقرآن والسنة حقيقة . قال صاحب الأسفار في شرحه على رسالة الخلوة للشيخ الأكبر قدس الله سرهما : (وصية) يا أخي رحمك الله قد سافرت إلى أقصى البلاد ، وعاشرت أصناف العباد ، فما رأت عيني ، ولا سمعت أذني ، أشر ولا أقبح ولا أبعد عن جناب الله من طائفة تدعي أنها من كمل الصوفية وتنسب نفسها إلى الكمال ، وتظهر بصورتهم ، ومع هذا لا تؤمن بالله ورسله ولا باليوم الآخر ولا تتقيد بالتكاليف الشرعية ، وتقرر أحوال الرسل وما جاءوا به بوجه لا يرتضيه من في قلبه مثقال ذرة من الإيمان ، فكيف من وصل إلى مراتب أهل الكشف والعيان ، ورأينا منهم جماعة كثيرة من أكابرهم في بلاد اذربيجان وشيروان وجيلان وخراسان لعن الله جميعهم [١] فالله الله يا أخي لا تسكن في قرية فيها واحد من هذه الطائفة ، لقوله تعالى [٢] « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » وإن لم يتيسر لك ذلك فاجهد أن لا تراهم ولا تجاورهم فكيف أن تعاشرهم وتخالطهم ؟ وإن لم تفعل فما نصحت نفسك والله الهادي انتهى .

وما زال المترجم على حاله خائضاً في أوحاله ، إلى أن تمرض وتوفي رابع عشر جمادى الأولى سنة الف ومائتين وأربع وتسعين . ودفن في جوار سيدنا بلال الحبشي نسأل الله أن يكون رجع عما كان عليه وتاب إلى الله وآب اليه .

---

(١) أقول : وقد وصل شرهم وضرهم إلى أرض الشام ، وسمعنا ورأينا بعض من يرتكب هذه الآثام ، عليهم من الله ما يستحقون .

(٢) سورة الأنفال / ٢٥ .

سعيد بن عبد الله بن حسين بن مرعي بن ناصر الدين الدوري المعروف بالسويدي الشافعي البغدادي الاصل ثم الدمشقي

الشيخ العمدة الإمام ، والفاضل النخبة الهمام ، بركة الشام وكعبة طواف العلماء الأعلام ، ومفيد الخاص والعام ، وأوحد الأفاضل الكرام . ولد في بغداد سنة إحدى وأربعين ومائة والف ، ودأب على الطلب مدة ثم قدم دمشق واستوطنها وأخذ عن علمائها ومن جملة شيوخه والده المرقوم ، والفاضل الشيخ عقيلة المكي ، والشيخ صالح الجينيني ، والعلامة الشيخ سالم البصري ، والشيخ عمر بن أحمد السقاف ، والشيخ البديري ، والسيد مرتضى الزبيدي شارح القاموس والاحيـــاء ، وأبو الطيب المغربي المدني المالكي . وأجازوه جميعاً بالإجازة العامة بما تجوز لهم روايته عن شيوخهم ، وأخذ عنه طلبة زمانه وأجازهم بالإجازة العامة ، ولم يزل في ترق إلى أن مات رضي الله عنه سنة إحدى عشرة ومائتين والف ، ودفن في مقبرة باب الصغير .

السيد سليم بن علي بن موسى الدمشقي الحسيني الحنفي الشهير بابن مرتضى السيد الشريف

النجيب الأديب ، واللطيف الذكي الأريب ، أحد الأعيان ، وأوحد ذوي الشان ، من أهل السلسلة النبوية والسلالة الأحمدية ، تحلى بأحسن الشيم ، وتوشح بجلباب السماحة والكرم . ولد في نيف وخمسين ومائتين والف . وكان معاشراً لطيفاً ، أديباً ظريفاً ، صاحب نوادر جليلة ، وطرائف جميلة ، لطيف الطبع سليم الصدر ، ذا رفعة وجلالة ومهـــابة وقدر ، وكان عند الشيعة والرافضة مقدماً مهاباً معظماً يواصلونه في كل

سنة على ما قيل، بنحو مائة الف ويقولون هذا قليل . مات نهار الأحد ثامن شهر شعبـــان سنة إحدى وتسعين ومائتين والف ودفن عند قبور بني المرتضى في مقبرة باب الصغير قرب قبور الزوجات الطاهرات .

السيد سليم افندي بن نسيب افندي بن السيد حسين بن السيد يحيى حمزة

الشريف العابد، والعفيف الزاهد، المعروف بين النـــاس بالتقوى والديانة، والعفة والصيانة، وكان عالماً عاملا، هماماً فاضلا، كثير التباعد عن الناس، له بالعزلة راحة واستئناس، وكان في أكثر أوقاته معتكفاً في مشهد سيدنا الحسين في جامع بني أمية، وكان له بعض صنائع غريبة ودقائق عجيبة، يصرف منها على نفسه طلبـاً للحلال وبُعداً عن الحرام من الأموال . مات رحمه الله وأحسن مثواه، في خامس وعشرين من ذي القعدة الحرام سنة الف وثلاثمائة وسنة واحدة، ودفن في مقبرة الدحداح قرب قبر والده .

السلطان سليم خان الثالث بن السلطان مصطفى بن السلطان أحمد الثالث

ولد سنة الف ومائة وخمس وسبعين، وجلس على تخت الملك عام الف ومائتين وثلاثة في ثاني عشر رجب، ففي الحال أخذ بتدبير الأحوال لينجو بصلاح الدولة من وبال النكال، فبعث بالجيوش لقتال روسيـــا والنمسا، وأخيراً تداخلت بروسيا [1] وإنكلترا، فعقد الصلح مع النمسا

(١) دولة من دول ألمانيا الشمالية، عاصمتها برلين .

ثم مع روسيا ، فسر أهل العاصمة بالصلح ، على أن أخبار سوريا ومصر لم تكن مرضية للدولة ، وكان السلطـــان المشار اليه قد رأى مضرة الإنكشارية [١] وتجاوزهم الحدود فرغب أن يلاشي وجاقهم [٢] ويقيم مكانهم عسكراً جديداً على الطريقة الإفرنجية ، لأن الإنكشارية كانوا قد زعزعوا أركان السلطنة بعصيانهم وعدم انقيادهم ، وكان قد نظم في العام الماضي بعض الفرق من النظام الجديد ، فهاج الإنكشارية من ذلك ، وأثاروا في القسطنطينية شغباً عظيماً يطول الكلام بذكره ، واعتصبوا عصبة واحدة ، وكان موافقاً لهم على منع النظام الجديد عطا الله أفندي شيخ الإسلام وقائمقام الصدر الأعظم ، فقوي أمرهم به وقال لهم انه لا يجوز أن تكون عساكر الإسلام مشبهة بالكفار ، وحيث أحدثوا النظام الجديد كانوا متشبهين بالكفار ، فقويت هذه الحجة في صدورهم وقالوا سيروا بنـــا لنلاشي النظام الجديد وننتقم من الوزراء الذين أفسدوا طهارة الإيمان بأفعالهم الشنيعة ، وتحالفوا على ملاشاة وجاقات العساكر الإنكشارية ، الذين هم عمدة مملكة الدولة العلية ، وبعد هذا الحديث أخرجوا ورقة فيها أسماء بعض أشخاص من رجال الدولة يريدون قتلهم ، أرسلها اليهم المفتي عطا الله أفندي ، فأخذوا يتلونها ويسمون الأشخاص الذين يرون قتلهم ، ثم ساروا يفتشون عليهم فوجدوا بعضاً منهم فقتلوهم ، واختفى كثير منهم

---

(١) الإنكشارية : Janissaires أي الجنود الجُدُد : هو الجيش المنظم الذي أحدثه العثمانيون في القرن (١٤ م) ثم فقدت الإنكشارية الروح العسكرية ، وقويت شوكتهم على الدولة ، فأبادهم السلطان محمود الثاني (١٢٤١ هـ = ١٨٢٦ م) انظر (ص ٢١٩) وما بعدها من تاريخ الدولة العلية العثمانية .

(٢) الوُجاق : النسق من الجند وغيرهم ، والنسق : ما كان على طريقة نظام واحد من كل شيء .

في بيوت النصارى واليهود ، وقتلوا خلقاً كثيرا ، وأحضروا سبعة عشر رأساً من أعظم رجال الدولة ، ودام الدم جارياً في القسطنطينية ثلاثة أيام ، ثم صمموا على طلب السلطان سليم والقبض عليه ليخلعوه ، وصاروا يقولون يا أيها السلطان المغشوش بهذه التعاليم أنسيت أنك أمير المؤمنين ، وعوضاً عن اتكالك على الله القـادر العظيم الذي يبدد بدقيقة واحدة الجيوش الكثيرة العدد وأردت أن تشبه الإسلام بالكفـار وأغضبت الله فكيف يسوغ لك أن تكون أمير المؤمنين ، ومحامياً عن الدين ، فالعساكر المحافظة كرسيك لم يبق لهم ثقة بك ، والمملكة أضحت مضطربة فيجب عليك أن تلاحظ وتفضل على كل شيء الإيمـان وسلامة الإسلام . وبعد كلام كثير صارت قراءة الفتوى التي مضمونها أن السلطان الذي يخالف القرآن الشريف هل يترك على تخت السلطنة الجواب كلا ، ثم قال القارىء قد صار معلوماً عندكم أنه تحتم عزل السلطان فمـا قولكم الآن ؟ هل تسلمون له يفعل ما يخل بالإسلام ، فصرخت العساكر كلا ثم كلا لا نقبله سلطاناً علينا فليعزل ، وصرخوا باسم السلطان مصطفى بن السلطـان عبد الحميد وقالوا ليعش السلطان مصطفى ، وأرسلوا المفتي إلى السلطان سليم ليتنازل عن السلطنة من دون مقاومة ، فدخل عليه متذللاً منخفض الرأس قائلا يا مولانا إني قد حضرت بين يديك برسالة محزنة أرجوك قبولها لتسكين الهيجان ، وليس خافياً على مسامعكم الشريفة بأن العساكر الإنكشارية قد نادوا باسم السلطان مصطفى ابن عمك سلطانـاً عليهم ، فالآن لا سبيل إلى المقاومة فالتسليم لأمر الله أوفق من كل شيء ، فلم تظهر على السلطان سليم كآبة من هذا الحديث ، وقبل كلام المفتي ونزل عن السلطنة ، وكان ذلك في إحدى وعشرين من ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين ومائتين والف ، فمدة سلطنة المترجم ثمانية عشر عاماً وثمانية أشهر ،

وبينما كان ذاهباً يختلي في مكان منفرد عن السرايا التقى بالسلطان مصطفى قادماً ليجلس مكانه على تخت السلطنة ، فقال له : يا أخي أهبطني الله من العرش العتيد لأن تجلس عليه أنت ، لأنني أردت وضع تنظيمات لتقوية المملكة والدين ، وإصلاح حال العساكر الذين جهلوا تعليمهم وتركوا قوانينهم ، فهاجت عليّ العساكر مع بعض رجال الدولة وأرسلوا يطلبون مني التنازل عن تخت السلطنة ، ونادوا باسمك ، وها أنا ماض بكل رضا أعيش منفردا ، وأما أنت فإنك سعيد أكثر مني ، فأرغب اليك أن تسلك معهم بالحكمة اللازمة الحسنى ؛ فلم يصغ السلطان مصطفى لكلام السلطان سليم ، وأراد السلطان سليم أن يعانقه فلم يمكنه من معانقته ، فلما وصل السلطان سليم إلى المكان الذي يريدون وضعه فيه وجد السلطان محموداً أخا السلطان مصطفى ماكثا في ذلك الموضع ، عليه آثار الرقة والنباهة ، وعندما شاهد السلطان سليم التقاه فقبل يده ذارفاً دموعاً غزيرة ، فحرك السلطان سليم إلى البكا ، وجلسا في ذلك الموضع وطال ما كانا يتحدثان دائماً بالأمور المشيدة أركان الدولة والدين وتمام القصة يأتي في مكانه (١)

(١) تجد القول مفصّلاً عن السلطان سليم الثالث ، وما جرى في عهده من وقائع وحوادث ، في (ج ١٠) من تاريخ الجبرتي المطبوع مع تاريخ (الكامل) لابن الأثير الجزري ؛ وكذا في تاريخ (الدولة العلية العثمانية) لمحمد فريد بك ، على أن هذا يحيل أحياناً على الجبرتي عند ذكر حوادث الشهر ، كما تراه (في ص ١٨٣) من تاريخ الدولة أحياناً . وإن العجيب الغريب في هذه التواريخ تناقضها في الخبر الواحد ، فبينا ترى تخلي السلطان سليم عن الحكم في تاريخنا هذا بوساطة المفتي ، تقرأ في تاريخ (الدولة) ص ١٩٤ : ثم نودي بفصل السلطان سليم الثالث فعزل ، وحينئذ تدهش لقول الجبرتي في تاريخه (ص ١٧٦ و ١٧٧) : فعند ذلك أرسل السلطان مصطفى المتولي ، جماعةً من خاصته ، فدخلوا على السلطان سليم في المكان الذي هو مختف به وقتلوه بالخناجر والسكاكين ، حتى مات ، فبأيها نأخذ ؟ هل كرّموه ، أم أهانوه ، أم قتلوه ؟؟

توفي رحمه الله تعالى سنة الف ومـــائتين وثلاث وعشرين ودفن في تربة السلطان مصطفى .

الشيخ سليم بن نجيب صافي الحنفي الحمصي

عالم غير انه عامل ، وكامل غير انه فاضل ، متواضع دائم الخضوع ، متذلل كثير البكاء والخشوع ، قد أمات نفسه باحيـاء طاعته ، وحفظ أوقاته بتقواه وعبادته ، وجذب القلوب بحسن أفعاله ، وملك الألباب بجميل أحواله وأقواله ، فلا ريب أنه فرد مصره ، بل أوحد أوانه وعصره . ولد سنة تسع وعشرين بعد المائتين والألف ، ونشأ في طلب العلم الشريف ثم أقبل على الطاعة والتقوى ، وذكر الله في السر والنجوى ، وكان ورعاً عابدا ، ناسكاً زاهدا ، كثير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لا يجلس في مجلس إلا وقد شغله بسيرة السادة الغرر ، وكان لا يفتر عن ذكر الله بحال ، ولا يسكت عن منكر ولو كان مرتكبه من ذوي السلطة والإجلال ، وكان يدور على الأرامل والأيتام ، فيقضي لهم حوائجهم حسب المرام ، وكان له غاية الهمة ، في قضاء المصالـح والخدمة ، وكان إذا جلس في مجلس لا يقوم حتى يجعل ختام مجلسه ذكر الله تعالى ، وكان كثيراً ما يقول : الحمد لله الذي أنعم علينا برسوله محمد ﷺ وتارة يبدل أنعم ، بمَنّ ، وتارة أكرمنا برسوله محمد ، ويأمر الناس بأن يواظبوا عليها . وقد اجتمعت به سنة ثمانين في مدينة حمص فرأيته فوق ما سمعت عنه ، وشاهدت ما لم أكن أظنه منه ، فلا ريب انه فرد زمانه ، ونادرة أوانه . ولم يزل ناهجاً منهج السلف الصالـح ، متمسكاً بالسبب القوي الراجح ، متخلقاً بأخلاق ذوي الكمال ، متحققاً

بآداب السادة من أعيان الرجال ، إلى أن خطبته المنية ، ونقلته للمقامات العلية ، وذلك في اليوم الحادي والعشرين من شهر ذي الحجة الحرام سنة سبع وتسعين من هجرة محمد ﷺ من المسجد الحرام .

الشيخ سليم بن الشيخ ياسين بن الشيخ حامد بن الشيخ أحمد بن الشيخ عبيد الله بن عبد الله بن عسكر بن أحمد الحمصي الاصل الدمشقي الشافعي الشهير بالعطار

إمام اقتدت به أئمة العلماء ، واكتست من فضائله حلية ذات بهجة وسناء ، ونطقت في مديحه ألسنة الأقلام على منابر الأنامل ، وأعربت أفواه الدفاتر عما في ضميرها من انه مجمع الفضائل ، أثمرت أفنان اليراع في رياض فضائله ، وأينعت أثمار كمالاته الأحمدية في حدائق فواضله ، قد انعقد إجماع من جل وقل ، على انه مرجع الكل في الكل :

فالناس كلهم لسان واحد يتلو الثناء عليه والدنيا فم

فلعمري قد عجزت عن حد نباهته وطلاقته الأفكار ، وطارت بأجنحة الثناء عليه بلابل الأقطار .

كان بعد جده المرحوم الشيخ حامد العطار يقرأ البخاري الشريف يوم الخميس فقط صباحاً في رجب وشعبان ، فتارة يقرأ سبعة دروس ، وتارة ثمانية ، وذلك في تكية المرحوم السلطان سليم الكائنة في المرج الأخضر ، مع أن شرط السلطان سليم أنه يعظ واعظ في كل جمعة مرة واحدة ، وله على كل درس ثلاثون بارة ، وإن السليمانية التي بجانب التكية السليمية قد شرط السلطان سليمان أن واعظاً يعظ بها في كل جمعة ثلاثة أيام ، وله عن كل يوم عشرة دراهم فضة ، في كل سنة أربعة آلاف قرش

تقريباً [١] ثم إن المرحوم الشيخ حامد العطار ضم الدرسين درساً واحداً والمعاشين معاشاً واحدا ، وجعل قراءة الدرس في السليمية ، وجعل في خصوص رجب وشعبان في كل يوم خميس صباحا ، ونقله من الوعظ إلى البخاري الشريف ، مقابلة لدرس قبة النسر في جامع بني أمية ، فإنه يقرأ تحتها البخاري الشريف في رجب وشعبان ورمضان ، إلا أنه كل يوم بعد العصر ، وكذلك يأخذ المدرس في السليمية زيادة على الدراهم المرقومة في كل سنة مائتين وثمانية وثمانين مداً من الحنطة . وبعد وفاة الشيخ حامد المرقوم قرأ في محله ولد ولده الشيخ سليم ، وهو المترجم المرقوم ، وكان عالماً فاضلاً فصيحاً نطوقاً جسوراً حفاظاً وجيها ، ذا همة وإقدام ، ولم يكن له ما يطعن في مقامه سوى أنه كان محباً لأخذ الدراهم وتناولها بدون تحر ، وكان يتعاطى أكثر القضايا وينظر بها لمحل

---

(١) ترجمه التقي الحصني في تاريخه ، ومما قاله : استجاز كثيراً من علماء الأقطار ، ومنهم عالم العراق السيد محمود الألوسي المفسّر ، وصاحب التآليف الشهيرة ، وكان يتفنن بأثناء دروسه في إلقاء المسائل وأخبار السلف بعبارات تبهر العقول ، وتدهش السامع ، وكان يتكلم على الحديث من سائر العلوم ، ويمزجه بشيء من التصوف ، ويأتي بالأحاديث المناسبة له ، ويستخرج منها الأحكام ، ويبين حجة كل مذهب ، وكانت دمشق تفتخر بدرسه ، وقد انتفع منه خلق كثير ، ونبغ عليه علماء أفاضل ، منهم عمه الشيخ بكري المتقدم الذكر ، ومن تلاه من علماء هذا العصر ، وكان يلقي درس التفسير بين العشاءين في محراب الشافعي ، وفي شهر رمضان كان يلقي درساً في الحديث في مشهد الحسين من جامع دمشق ويحضره العلماء من سائر المذاهب ، ويحصل بينهم المناظرات والمعارضات ، وكل يقيم أدلة على ترجيح قول إمامه في المسألة ، ويكون الشيخ هو الحكم بينهم اهـ باختصار وتصرف قليلين .

نفعه . وعلى كل حال كان عديم المثال ، في العلم والفضل وبقية الخصال . توفي يوم الاثنين سادس جمادى الثانية سنة سبع وثلاثمائة والف وعمره نحو الثمانين ودفن في مرج الدحداح .

سليم بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد الكزبري الشافعي

مات والده سنة الف ومائتين وتسع وتسعين ، فأراد بعض الناس أن يكون ولده المترجم مكانه في تدريس صحيح الإمام البخاري بعد العصر في رجب وشعبان ورمضان تحت قبة النسر في جامع بني أمية ، وإن كان عديم الأهلية ، بل كان يقرأ في كتب المبتدئين ، لكن أرادوا أنهم يجعلون له همة للطلب والتحصيل ، وإنه في أول الأمر يقرأ الدرس رسماً لكيلا تخرج هذه الوظيفة من هذه العائلة ، فكان بعض الناس في كل يوم يكتب له الدرس وبعض تقريرات عليه ، ويضبطون له بالقلم خوفاً من التحريف ، وصار يقرأ هذا الدرس في كل سنة على هذا المنوال ، من غير اعتراض عليه ولا سؤال ، ولم يزل كذلك إلى أن ظن نفسه أنه فاق ، مع انه ما تقدم عن حاله الأول ، ولا ارتدى برداء ما يليق بذوي الكمال ولا تحول ، بل كان يتعاطى القضايا ، التي يعدها أصوله من أعظم الرزايا ، فنعم الآباء والجدود ، ونعم ما كانوا عليه من الفضل المشهود ، فلا ريب أن هذا المترجم ، ذا الهيئة السامية والقدر المعظم ، قد رمدت به عيون العلم والأدب ، وتمنت العمى ولا تراه مستوياً على هذه الرتب . وحينما مات والده ، وانتهى من فضل هذا البيت طارفه وتالده ، وجلس المترجم تحت قبة النسر ، أنشد لسان حال المحل حزناً من غير صبر :

لعلك يا عذير علمت حالي   فتعلم أي خطب قد لقيت
وإني إن بقيت بمثل مـابي   فمن عجب الليالي ان بقيت

ومن العجيب انها قد احترقت بعد مدة قليلة ، وبقيت على انهدامها تبعاً للجامع مدة طويلة .

نسأل الله حسن الأحوال ، بجـاه سيدنا محمد والصحب والآل .
توفي هذا المترجم رحمه الله تعالى سنة الف وثلاثمائة وإحدى وثلاثين وجلس في مكانه ولده الشيخ محمد علي فتح الله علينا وعليه ، ودفن هذا المترجم في تربة باب الصغير في مدفن آبائه الكرام .

الشيخ سليم بن الشيخ حسين النحلاوي المعروف بالطيبي

أمين فتوى السادة الشافعية ، في دمشق الشام المحمية . ولد في دمشق ونشأ بها ، وحضر دروس علمائها إلى أن بلغ المطلوب ، وفاز بالمرغوب ، وصار معدوداً من الأوائل ، ومحسوباً من ذوي الفضائل ، وكان حسن العبارة ، دائباً على الترقي في المعارف ليله ونهاره ، لطيف المحاضرة ، رقيق المذاكرة ، لا يُمل كلامه ، ولا يعل نثره ولا نظامه ، وله مؤلفات بهية ، وآثار لطيفة زهية ، منها الفيوضات الرحمانية ، في أحكام الفرائض القرآنية . وكان زينة المجالس ، وبمثله يتنافس المتنافس ، ولم يزل رفيع المقام جليل الاحترام ، إلى أن نظمته يد المنية ، في سلك الراحلين إلى الدار العلية ، وذلك في حدود الألف وثلاثمائة [1] رحمه الله تعالى .

---

(١) قال الأستاذ الشطي في روض البشر : وكانت ولادة المترجم (سنة ١٢٤١) ونشأ في حجر جدّه وبه اشتهر ، وعليه تخرج في الفقه وغيره . وأخذ الفرائض والحساب عن العلامة الجد الشيخ حسن الشطي ، وحضر في بعض العلوم على —

الشيخ سليم بن محمد بن يوسف بن حسن بن يوسف سمارة

ذو علم وعبادة ، وفضل وسيادة ، واستقامة في الأمور ، وصيانة عما يوجب القصور ، كان رفيقي في طلب العلم على سيدي الوالد ، فقرأنا كتباً متعددة من فنون لا من فن واحد ، وبعد موت والدي سنة الف ومائتين واثنتين وسبعين حضرنا دروس العالم الفاضل ذي المقام الرصين الشيخ محمد الطنطاوي الأزهري ، الذي هو بكل فضل حري ، فحضرنا جميع دروسه بكل جد واجتهاد ، ونلنا به كل مرام ومراد ، ولم نزل نحضر دروسه خمس سنين ، إلى أن حدثت حادثة النصارى في أواخر ذي الحجة سنة الف ومائتين وسبع وسبعين ، فانتقل الشيخ المومى اليه من الميدان إلى داخل البلد ، لإقراء أولاد الأمير عبد القادر السيد السند ، وجلس في مكانه بجامع سيدنا صهيب الشيخ العربي المغربي ، وبعد موته جلس المترجم في مكانه في الجامع المرقوم إماماً وخطيباً ومدرساً ، وتزوج ببنت شيخنا الطنطاوي المرقوم ، ووجهت عليه نظارة جامع المصلى المشهور ، فقام بخدمته كما هو في الشريعة مأمور ، ثم صار اماماً في المحلة المرقومة ، وكان يتعاطى مصالحها من عقد وصلح وغير ذلك من الأمور المعلومة . وفي سنة خمس وثمانين بعد المائتين والألف حينما جاء إلى الشام الشيخ محمد المغربي الفامي الشاذلي ، أخذ الطريقة عليه ولا زال يشتغل في السلوك ، إلى أن ذهب شيخه إلى ملك الملوك ، فذهب المترجم إلى الحجاز واستقام هناك عدة شهور في زاوية الأستاذ المرقوم ،

— عمر افندي الغزي مفتي الشافعية ، وأجازه الأخير بما تجوز له روايته . ثم ان المترجم برع في عمل المناسخات الفرضية ، والشجرات الوقفية ، وتولى قضاء الشافعية بدمشق ، والنيابة الشرعية في الناصرة ، وحمدت سيرته ، ولم يزل على حالته حتى توفي بالتاريخ المذكور .

وحصل له الإذن من ولد الأستاذ المرقوم بأن يعطي الطريق لمن شاء ممن فيه أهلية الأخذ ، وأن يقيم الأذكار على شرط الطريق المعروف عند أهله ولم يزل هذا المترجم في علم وعمل وطاعة وعبادة ، وصيانة وتقوى ، يحب التودد إلى إخوانه ، ويذهب إلى زيارتهم بقدر إمكانه ، مع قيامه بوظيفة الإفادة ، وإقامة الأذكار حسب العادة . وله تمسك بالسنن ، وميل إلى العمل بها جميل حسن ، وللناس به اعتقاد عظيم ، ونظر اليه بعين التعظيم ، غير انه له أطوار ، فربما يكون في غاية البسط فتجذبه في الحال إلى الأكدار ، فيغلب عليه السكوت ، ويظهر عليه أنه مقهور ممقوت . وهذه كثيراً ما تحصل لأهل الطريق ، ويعتريهم به غاية الضيق ، وعلى كل حال فالله هو المتصرف بعباده كيف يشاء ، فهذا يجعله ممن أحسن وهذا ممن أساء ، فهذا المترجم ممن يحق له أن يذكر ، ويثنى عليه بين الناس بالجميل ويشكر ، وفقنا الله وإياه لطاعته ، وأحسن الينا بجميل عنايته . توفي رحمه الله تعالى أثناء سنة الف وثلاثمائة وإحدى وثلاثين ودفن في باب الصغير .

سليم افندي بن أنيس افندي بن قصاب حسن

أقسم بالشمس والقمر ، ونسيم الصبا إذا سرى في السحر ، لهو البليغ الذي فاق نظمه ونثره ، وراق لدى الاسماع سجعه وشعره ، له خلق أرق من النسيم وأعذب ، وكلام ألذ من سماع العود وأطرب ، وأوصاف كالروض إذا ثغرُ أقاحه تفلّج ، ومائس غصنه بأنواع الزهر تاه وتبرج ، وفصاحة ألانت له عصي الكلام ، وبلاغة طوعت له أبيّ النظام ، فمن نظمه الزاهي الزاهر ، وشعره الباهي الباهر ، قوله :

أبى الله إلا أن أبيت معذبا · وأن لا أرى غير المحبة مذهبا
بروحي غزالا إن تمايل أو رنا · فلا تذكروا الأغصان بعده والظبا
فإن اشتغالي بالذي هو يرتضي · وفيه ، فلا أمّا أبر ولا أبا
حملت الأسى حرصاً على وده وقد · أضعت شبابي في هواه تسيبا
خلعت شعوري والتنسك والهدى · وأصبحت في برد الضلال مجلببا
سهوت عن الدنيا وديني كأنما · عليّ إلهي ما أسن وأوجبا
أروح وأغدو بين قومي كأنني · مسيء ومخْطاء ، وما كنت مذنبا
ذليل ومالي بالوضيع وإنما · غرامي دعاني أن أذل وأغلبا

وقوله

يابدر ماهذا التجني والقلى · ما كان ظني فيك ترعى العذلا
أوليتهم حسن الوفاء وخنتني · بقبيح هجر ليت ماكانوا ولا
أجهلت ودي في هواك صيانة · الله أكبر ما أود وأجهلا
هل قد نسيت العهد أم أنقضته · بالله فاذكر ما تقضى أوّلا
مهلا أبعد تعطف وتلطف · مني تبلغ حاسدي ما أملا

وقوله

كم ذا وكم هذا العذاب الأكبر · وإلى متى هذا المنون الأحمر
يا قلب فارجع عن قريب وارتقب · مولاك بي ان الطريق لخطر
إذ لم تطع نصحي ضلالاً بالهوى · ودّع حياتك فاللقاء المحشر

وقوله

عاقب بما تبغي سوى الإعراض · وافعل كما تختار اني راضي
واسمح ولا تسمع كلام مفوّه · بالسوء قد أفشى الجفا أمراضي
إني على العهد القديم محافظ · ما خنت ودّاً قد زكا في الماضي
يا حبذا موتي بحبك ان تكن · بالصد والهجر المحتم قاضي

ولـه

لو كان يدري حالة الولهان ... ما جار بالإعراض والهجران
ظبي سلا في حبه قلبي وما ... حدثت نفسي عنه بالسلوان
أمسي وأصبح في هواه كأنني ... سكران نشوان بخمر دنان
أواه من لوم العواذل انه ... قد زادني ناراً على نيران
بالله بلــغ يا صبا إن جزته ... أشواق صب بالمحبة فــاني
حيران سهران الظلام متــيم ... يرعى النجوم بناظر هتّان

ولـه

ما الهوى إلا هوان واكتئاب ... واحتراق واشتياق واضطراب
نعمة قل إن تشــا في نقمة ... أو بلاء أو نعيم في عــذاب
ليس تعداد الليــالي فائداً ... إنما قد زاد نيراني التهــاب
إن نأى يا طول تسهيدي به ... أو دنا لم يشف قلبي الاقتراب

وقال في ذات مخصوصة مما ظاهره الهجاء ، وباطنه المداعبة والمجون :

ما هام هذا الشيخ فينا وافتخر ... إلا على حب الطعام المفتخر
ظهرت مناقبه الحسان وداره ... عنا توارت ليس يدركها البصر
أمسى بدار المطعمين منعما ... وبداره يلقى عذاباً من سقر
ان هلّ يوم العيد هلّل فرحة ... وإذا أتى شهر الصيام نوى السفر
شيخ إذا ما مد يومــاً باعه ... لم يبق شيئاً في الخوان ولا يذر
تلقى الصحون لديه ترجف خيفة ... فيجيبهــا أين المفر من القدر
أسنانه مثل المنـاجل ما ورا ... ء حصادها لقط يراه من اغترر
فالويل للقبوات من وثبــاته ... والسحق للحلواء منه ان حضر
كره الزحام على الطعام لذا غدا ... يبدي التعاميَ عنه في غض النظر

تباً له بئس الأكول فإنه ... لو حل في دار النجاشي لافتقر
صادفته متحيراً والوقت في ... شهر الصيام فقلت ما هذا الخبر ؟
فأجابني دعني فإن حماقتي ... قد أورثتني من تجنبها الكدر
أقسمت شهري لا أجيب لدعوة ... وظننت ظن الخير في صبري عذر
فمتى زمان النحس عني ينقضي ... وأرى ليالي المحق تظفر بالقمر
حتى أجيب لكل داع مسرعاً ... وأسير لو ان الطريق على خطر

وله

خسف البدر وقد تم الأمر ... وبدا في خده داجي الشعر
ذهب الحسن الذي قد غره ... واسترحنا من دلال كان مر

وقال مؤرخاً

لقد ولدت لك العرجاء مهراً ... فدع زوراً دعاء البضع عنكا
نعم لاحت علائم فيك منه ... وفيه بدت علائم أشبهتكا
ومـا هو منك عبد الله أرخ ... بلى لو جاء بغلاً كان منكا ١٢٩٢

وقال

ما لهذا الحب آخر ... لا ولا للصب ناصر
ما احتيالي عز صبري ... والهوى أبدى السرائر
لست أخلو من حسود ... أو عذول دام غادر
إن سها عني رقيبي ... جاء يرنو ألف ناظر
أو نأى عني عذولي ... كان سقمي فيه حاجر
ليتني قبل الهوى لو ... أنني زرت المقابر

ليت شعري اليوم هل لي بالهوى العذري عاذر
بأبي الظبي المفـدى أكحل العينين ساحر
إن رنا باللحظ عجباً قلت يا هاروت حاذر
بدر حسن تم وصفـا إن بدا أسبى الحرائر
حبه سل شعوري يا ترى بالحال شاعر
حسنه جرد نسكي وهو بالإحسان غامر
عادل الأعطـاف لكن لحظه بالفتك جـائر
صرت من وجدي عليه مثلاً في الناس سـائر
عـاذلي فنّد وأوّل فعلى الباغي الدوائر
واتق الرحمن واحذر إن طرف الصب ساهر

وقال من نوع الاطراد

أيها الراوي أحاديث الشجن بالهوى العذري خذ عن مؤتمن
عن سليم بن أنيس بن سليم بن حسان بن قصاب حسن

وقال مادحاً حضرة الشهم الأديب حسن افندي بيهم

حبذا موردهـا بيروت من بلدة قد برعت في كل فن
أشرقت تزهو بأبهى فتية لم تجد فيهم فتى إلا حسن

وقال مجيباً عن هذا اللغز الوارد من جناب الأديب الفائق الشيـخ محمد عجم الحمصي

قل للأجل الأمجد السـامي المقـام الأوحد
حييت من خل سليـم القلب حلو المورد
ما اسم رباعي نصفه أراه فر من اليـد
والنصف أفتن عاشقـاً يحكيه ميد الأمـلد

جزآن منه صيرا ني رق ظبي أغيد
بالبسط ثاني حرفه البر منه تجتدي
هو صالح ذو رفعة بالقطب دوماً يقتدي
هات الجواب بسرعة لتنال أسنى السؤدد

الجواب

يا من سما بالسؤدد أسنى المقام الأمجد
أهديت لغزاً سامياً في نجم سعدك يقتدي
اسم رباعي حكى وجه الحبيب الأغيد
اسم وكم منه إلى فعل وحرف تهتدي
النصف فر ونصفه قدّ يقدّ تجلدي
أصبحت رقاً بالهوى مذ قر في قلبي الصدي
بالقلب درّ شطره قف ما تبقى واشهد
تلقى بحذفك لامه فرقاً بدا كالفرقد
هذا الجواب فارتجي إغضاء طرْفك سيدي

وقال

ما بال قلبك قد غدا متقلباً أيُلام ولهان ولم يك مذنبا
ما كان عهدي في ودادك جفوة من غير داع بالمحبة أوجبا

ولما نظم ديوانه المسمى بنشأة الصّبا ، ونسمة الصّبا ، وطبعه في خامس عشر شوال سنة الف ومائتين وثمان وتسعين ، أرسل لي نسخة فأرسلت له تقريظاً على الديوان المذكور إلا أنه قد كان طبع فلم يمكن إلحاقه ، وقد أرسل إلي هذه القصيدة :

أمن طرفه الوسنان أم ثغره الحالي دعاني الهوى نشوان أغفل عن حالي

أم الغمز من عينيه أوحى مراسلاً فؤادي بما أوحى فهيج بلبالي

غزال له قلب المحبين مرتــع ولم يلف قلباً من محبته خالي

هو البدر إلا أن آية حسنه مرتلة لم يتلهــا بالسنا تالي

سلا القلب جوراً وهو فيه فليته رعى حق جار لم يكن قطّ بالسالي

له الله ما أحلى زماناً قضيته بلقيائه أنساً على رغم عُذالي

ذوى بعده عود اصطباري وعوده كعود صبا الأشياخ والهرم البالي

قطعت الرجا من وصله وانخت في حمى عبد رزاق الورى ركب آمالي

هو العالم النحرير والعامل الذي تجرد للمولى عن الآل والمــال

إمام لأفراد الفضــائل جامع يؤم ذرى عليائه كل مفضال

اذا ماد في ميدان فن يراعــه وجال بأفكار جلا كل إشكال

كساني برودا من نسيج قريضــه فبت على الاقران اسحب اذيالى

وقلدني من بحره عقـــد جوهر نظيماً ولكن لا يليق بأمثــالي

وقابل حظي منه أسعد طالع فحققت وهما نجم نحسي باقبال

فلا زال في جبر الكسير ملاطفا مدى الدهر ماالمشتاق حن لأطلال

ولد هذا الشهم الأديب ، سنة الف ومائتين وستين بوجه التقريب ، ولم يزل بحمد الله على احسن حال ، وأهنأ عيش واعلى كمال ، كلامه لطيف ومقامه منيف وسيرته حسنة ، وصفاته مستحسنة ، اطال الله بقاه ، واعلى حظه ومرتقاه (١) .

---

(١) لم اقف على تاريخ وفاته .

الشيخ سليمان بن سلامة الشافعي الأشعري الميداني

العالم العابد ، والناسك الزاهد ، ولد سنة إحدى عشرة ومائتين والف ، وقرأ على الشيخ صالح الزجاج ، والشيخ عبد الرحمن الكزبري ، والشيخ عبد الله الكردي ، وبقية الشيوخ الموجودين . ولم يزل كذلك إلى أن انتقل والدي الشيخ حسن إلى الميدان فاقتصر عليه ، وحط رحله لديه ، فقرأ من الفنون وأكثر ، إلى أن قرأ التحفة الفقهية لابن حجر ، وحين وصولهم إلى باب العتق اخترمت والدي المنية . وكان المترجم المرقوم ذا هيبة علمية ، ولطافة أدبيـــة ، وكان عليه وظيفة التدريس والإمامة والخطابة في جامع ساحة السخّانة تابع الميدان . ولم يزل مواظباً على إفادته ، مقبلاً على تقواه وعبادته ، إلى أن توفي رحمه الله في ذي الحجة الحرام سنة الف ومائتين وسبع وسبعين ، ودفن في مقبرة باب الله ، رضي الله عنه وأرضاه .

الشيخ سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الشافعي الأزهري المصري المعروف بالجمل

الفاضل العلامة ، والرحلة الفهامة ، المحدث الفقيه ، والمتبحر النبيه ، الصوفي الصالح ، والمتعبد الناجح .

ولد بمنية عجيل كما ذكره الإمام الجبرتي ، إحـدى قرى الغربية ، وورد مصر ولازم الشيـخ الحفني ، فشملته بركته ، وأخذ عنه طريق الخلوتية ، ولقنه الأسمـاء وأذن له واستخلفه وتفقه عليه وعلى غيره من فقهاء العصر ، مثل الشيخ عطية الاجهوري ولازم دروسه كثيراً ، واشتهر بالصلاح وعفة النفس ، ونوه الشيخ الحفني بشأنه ، وجعله إمامـاً وخطيباً بالمسجد الملاصق لمنزله على الخليج ، ودرس بالاشرفية والمشهد الحسيني في

الفقه والحديث والتفسير ، وكثرت عليه الطلبة ، وضَبَطتْ من املائه وتقريراته كثيراً . وقرأ المواهب والشمائل وصحيح البخاري وتفسير الجلالين بالمشهد الحسيني بين المغرب والعشاء ، وحضره أكابر الطلبة ، ولم يتزوج . وفي آخر أمره تقشف في ملبسه ولبس كساء صوف وعمامة صوف وطيلسانا كذلك ، واشتهر بالزهد والصلاح ، ويتردد كثيراً لزيارة المشايخ والأولياء . ولم يزل على حاله ، حتى توفي حادي عشر ذي القعدة سنة أربع ومائتين والف .

الشيخ سليمان الجوسقي شيخ طائفة العميان بزاويتهم المعروفة الآن بالشنواني

العمدة الشهير ، والنخبة النحرير ، تولى شيخا على العميان بعد وفاة الشيخ الشبراوي ، وسار فيهم بشهامة وصرامة وجبروت ، وجمع بجاههم أموالاً عظيمة وعقارات ، فكان يشتري غلال المستحقين المعطلة ، ويخرج كشوفاتها وتحاويلها على الملتزمين ، ويطالبهم بها كيلا وعينا ، ومن عصى عليه أرسل اليه الجيوش الكثيرة من العميان ، فلا يجد بداً من الدفع وان كانت غلاله معطلة ، صالحه بما أحب من الثمن . وله أعوان يرسلهم إلى الملتزمين بالجهة القبلية يأتون اليه بالسفن المشحونة بالغلال والمعاوضات من السمن والعسل والسكر والزيت وغير ذلك ، ويبيعها في سني الغلا بأقصى القيمة ، ويطحن منها على طواحينه دقيقاً ويبيع خلاصته ، ويعجن نخالاته خبز الفقراء العميان ، يتقوتون به مع مايجمعونه من السؤال في طوافهم آناء الليل واطراف النهار بالأسواق والأزقة ، وتغنيهم بالمدائح والخرافات ، وقراءة القرآن في البيوت ومساطب الشوارع ، وغير ذلك ، ومن مات منهم ورثه الشيخ المترجم المذكور ، وأحرز لنفسه ماجمعه ذلك

الميت ، وفيهم من وجد له مال عظيم ، ولا يجد لنفسه معارضاً في ذلك .
واتفق أن الشيخ الحنفي نقم عليه في شيء فأرسل اليه من أحضره موثوقاً مكشوف الرأس مضروباً بالنعال على دماغه وقفاه من بيته إلى بيت الشيخ ، ولما انقضت تلك السنون وأهلها صار المترجم من أعيان الصدور المشار اليهم في المجالس تخشى سطوته ، وتسمع كلمته ، ويقال قال الشيخ كذا ، وأمر الشيخ بكذا ، وصار يلبس الملابس الفاخرة والفراوي ويركب البغال وأتباعه محدقون به من كل جانب ، وتزوج الكثير من النساء الغنيات الجميلات ، واشترى السراري البيض والحبش والسود ، وكان يقرض الاكابر المقادير الكثيرة من المال ليكون له عليهم الفضل والمنة .

ولم يزل حتى حمله التفاخر في أيام الفرنسيس على المداخلة في الفتنة والرئاسة مع من ترأس ، وقتل فيمن قتل بالقلعة ولم يعلم له قبر ، وكان ذلك في سنة أربع عشرة ومائتين والف رحمه الله تعالى .

الشيخ سليمان بن محمد بن عمر البجيرمي الشافعي الازهري المنتهي نسبه الى الشيخ جمعة الزبدي المدفون ببجيرم نسبة الى زيده بالقرب من منية ابن خصيم ، وينتهي نسب الشيخ جمعة المذكور الى سيدي محمد بن حنفية

هو العالم الفقيه ، والمحدث النبيه ، خاتمة المحققين ، وعمدة المدققين ، بقية السلف ، ونخبة الخلف ، وكعبة العلماء ، ومرجع الفقهاء ، من طار في الآفاق ذكره ، ورقي على أوج الرفعة قدره ، وتحلى بالفضائل ، وتقدم على الأفاضل .

ولد ببجيرم قرية من الغربية سنة احدى وثلاثين ومائة والف ، وحضر إلى مصر صغيراً دون البلوغ ، ورباه قريبه الشيخ موسى البجيرمي ، فحفظ القرآن ولازم الشيخ المذكور حتى تأهل لطلب العلوم ، وحضر على الشيخ العشماوي في الصحيحين وابي داوود والترمذي

والشفا والمواهب ، وشرح المنهج لشيخ الاسلام ، وشرحي المنهاج لكل من الرملي وابن حجر ، وحضر دروس الشيخ الحفني ، واجـازه الملوي والجوهري والمدابغي ، وأخذ عن الديربي وغيره ، وحضر أيضاً دروس الشيخ علي الصعيدي ، والسيد البليدي ، وشـارك كثيراً من الأشياخ كالشيخ عطية الاجهوري وغيره . وكان انسانا حسناً حميد الاخلاق متجمعا عن مخالطة الناس مقبلاً على شأنه ، وقد انتفع به أناس كثيرون ، وكف بصره في آخر عمره ، ومن تآليفه : حاشيته على شرح المنهج أربع مجلدات ، وأخرى على الخطيب وغير ذلك ، وقبل وفاته سافر إلى مصطية بالقرب من بجيرم فتوفي بها ليلة الاثنين وقت السحر ثالث عشر رمضـان سنة احدى وعشرين ومائتين والف ودفن هناك رحمة الله تعالى عليه .

الشيخ سليمان الفيومي المالكي الازهري

العمدة النحرير ، والنبيل الشهير ، كريم الأفعال ، جميل الخصال ، ولد بالفيوم ، وحضر إلى مصر وحفظ القرآن ، وجـاور في الأزهر ، وكان في أول عمره يمشي خلف حمار الشيخ الصعيدي وعليه دارعة صوف وشملة صفراء ، ثم حضر دروسه ودروس الشيخ الدردير وغيرهما ، واختلط مع المنشدين على الاذكار ، وكان له صوت حسن مطرب ، فيذهب إلى بيوت الأعيان في الليالي فينشد الانشادات ويقرأ الأعشار من القرآن ، فيعجب الحـاضرون به ويكرمونه زيادة على غيره ، واختلط ببعض الأعيان البرقوقية من ذرية السلطان برقوق ، وهم نظار على أوقافه ، فراج أمره ، وكثرت معارفه بالاغوات الطواشية ، وبهم توصل إلى نساء الأمراء والسعي في حوائجهن ، وصـار له قبول زائد عندهن وعند أزواجهن ، وتجمل بالملابس وركب البغال . ولما مات الشيخ محمد العقاد

تعين المترجم لمشيخة رواق الفيمة ، وبنى له محمد بيك المعروف بالمبدول داراً عظيمة بحارة عابدين ، وكانت تأتيه الهدايا من الأمراء وغيرهم ، وتزوج ببنت عبد الله الرومي وتصرف في أوقاف أبيها ، وكان مع قلة بضاعته في العلم مشاركا بسبب التداخل في القضايا . وكان كريم النفس جداً يجود وما لديه قليل ، مع حسن المعاشرة والبشاشة والتواضع والمواساة للكبير والصغير ، والجليل والحقير ، وطعامه مبذول للواردين فكل من دخل عليه لابد أن يقدم له طعاماً ، ولا يرد طالباً بلا شيء ولو أنه يقترض ، ويدفع فوق المأمول ، وكان لايتأخر عن مساعدة ذي حاجة أصلا ، مع كونه نافذ الكلمة ، مقبول الشفاعة ، ولا يقبل من احد شيئاً مكافأة على فعله ، فمالت اليه القلوب ، ووفدت عليه الناس من كل جانب ، وطارت شهرته في البلاد والأماكن ، وكان إذا نزل عنده ذو حاجة فلا يخرج من داره حتى تقضى حاجته ، فيودعه ويزوده مايكفيه إلى وطنه .

ولما أخذ الفرنساويون مصر عام ثلاثة عشر ، كانت داره ملجأ القاصدين ومنهل الواردين من الناس ، لأنه كان عند الفرنساويين من المقدمين على غيره ، ولم يزل في ازدياد إلى ان نزل به مرض فأبطل شقه ، وعقد لسانه ، ولم يزل حتى توفي ليلة الأحد الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة أربع وعشرين ومائتين والف .

★ ★ ★

حرف الشين

السيد شاكر بن علي بن سعد بن علي بن سالم العمري الحنفي الدمشقي (١)

شيخ قد فاق في العلم والعمل ، وحاز من التقوى والعبادة والحلم والكرم بغية الأمل ، قد جمله الله تعـالى بأحسن الشمائل ، وتوجه بتاج الكمال والفضائل ، وزينه بفرائد الفنون وعوائد العلوم ، وأظهر له ينابيع المنطوق والمفهوم ، فارتقى ذروة المعارف ، وبزغت من مشارق أفـكاره شموس اللطائف .

ولد في دمشق الشام ، سنة الف ومائة وسبع وخمسين في محرم الحرام ، ثم التفت لطلب العلوم ، حتى صار بيت القصيد ومرجـع العموم . قرأ على الشيخ محمد الكزبري الشافعي ، وعلى ولده الشيخ عبد الرحمن ، وعلى المنلا علي التركماني ، وعلى علي افندي الداغستاني ، وعلى الشيخ علي السليمي ، وعلى الشيخ مصطفى الأيوبي ، وعلى الشيخ ابراهيم الحلوتي ، وعلى الشيخ

---

(١) هو الشيخ شاكر العقاد ، ترجمه أخص تلامذته السيد محمد أمين عابدين في آخر ثبته المطبوع ، ومنه قوله : انتهت اليه الرئاسة في العلوم ، وكان والده حنبلياً على مذهب أصوله ثم تحنف ، وقد شرع المترجم في الإقراء ونفع الطلبة وهو حديث السن جداً ، وعم نفعه ، وبعد صيته ، وتخرج عليه أفاضل معتبرون ، هم مشايخ دمشق الآن . والحاصل أنه كان باب الفتوح ، والشيخ المربي النصوح ، شغله من الدنيا التعلم والتعليم ، والتفهم والتفهيم ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، لا يخشى في الله لومة لائم اهـ ملخصاً .

محمد العجلوني ، وعلى الشيخ احمد بن عبيد الله الحمصي ، وعلى الشيخ ابراهيم الغزي الصايحاني ، وعلى الشيخ مصطفى بن احمد بن محمد بن سلامة اللقيمي ، والشيخ محمد بن أبي بكر الدمشقي ، وغيرهم من الشاميين وغيرهم ، وقد أجازوه جميعاً بما تجوز لهم روايته عن مشايخهم . وكانت له شهرة عظيمة ، وبركة شاملة عميمة ، فكان يعتمد عليه ، ويشار اليه ، ومن نظمه يمدح شيخه الامام الفاضل السيد عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس :

يا بني العيدروس أنتم ملاذي أنتم ملجــأي بني العيدروس
فاعطفوا سادتي على عبد رق رق من صبوة وشوق رسيس

وقال أيضاً :

يا آل بيت العيدروس أنتم أهل الصفا وبكم تطيب لذائذي
عطفاً على من أزعجته كروبه فحماكم للمستجير العائذ [1]

وقد مدحه تلميذه السيد محمد عابدين بقصيدة منها قوله :

لا أنثــني عن حبه وغرامه أبداً وإن كانت دموعي تغدق
إلا إلى مدحي لروض العلم مَن مِن عرفه كل الورى تستنشق
العــالم العلامة الفرد الفريـــــد اللوذعي الألمعي الحــاذق
هو شاكر ولربه ذي الشكر شا كر دائماً عن شكره لا يزلق

إلى آخرها وهي طويلة وحينما قدمها لشيخه المرقوم أجابه بقوله :

---

(١) « قل : أعوذ بربّ الفلق ، من شر ما خلق » ، « قل : أعوذ برب الناس » ، هاتان السورتان ، تقرآن في الصلاة وغيرها ، ثم يعدل عنها مثل هؤلاء الفضلاء الى اللجوء لمن لا يملكون لهم ضراً ولا نفعاً ، ويغفُلون عن قوله تعــالى : « ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك ، فإنْ فعلت فانك إذاً من الظالمين . وإن يمسَسْك الله بضر ، فلا كاشف له إلاّ هو ، وإن يردك بخير فلا رادّ لفضله » . يونس . الآيتان ١٠٦ و ١٠٧ .

حبيب لقد أهدى إلي مدائحاً ... ألذ على قلبي وأشهى من الشهد
عقود جمان صاغها فكر بارع ... خبير بتنظيم الفرائد في العقد
أديب أريب ألمعي سميـدع ... نبيل نبيه لوذعي عطر الند
فصن ذاته من حاسد ومعاند ... ويمم به سبل المسرة والجد
وحين رجا مني القبول تخضعاً ... تلقيتها بالشكر منه وبالحمد

ومن قوله رضي الله عنه قرب وفاته في آخر عمره :

قد آن يا خلي ويا بغيـتي ... ارجع عن ميلي وعن صبوتي
واتقي رباً سريـع الرضا ... ينعم بالعفو وبالتوبـة

وكانت وفاته رضي الله عنه بعد العصر نهار الجمعة لأربـع مضت من محرم الحرام سنة اثنتين وعشرين ومائتين والف ، ودفن بمقبرة الذهبية قرب قبر سيدي أيوب الخلوتي من جهة رأسه .

الشيخ شاكر بن خليل بن ناصر بن محمد المجذوب الرفاعي الميداني

كان رجلاً صالحاً متعبداً مشتغلاً بأوراد القطب الأوحد السيد أحمد الرفاعي قدس الله سره ، وجعل أعلى الجنان مقره ، وللناس به اعتقاد ، وتأتي إليه النساء لأخذ التمائم بكل اعتقاد ! ! وقد عاش من العمر فوق الثمانين مع كمال الاستقامة ، الى أن دعته المنية سنة الف ومائتين وست وستين ١٠ ذي الحجة ودفن بباب الله .

شعبان بن عبد الله بن شعبان الانطاكي

أحد العلماء العظام ، وأوحد العلماء الأعلام ، المشهور بالتقوى والصلاح ، والمذكور بالعبادة والفلاح ، والزهد والكمال ، والبشر والجمال .

ولـِد بانطاكية عام اثنين وعشرين ومائة والف ، وقرأ على علمائها حتى صار من فضلائها ، وكان جل انتفاعه بقريبه السيد محمد افندي بن علي افندي المفتي ولا زال يترقى في العلوم إلى أن ولي وظيفة الافتاء ببلده المذكورة ، وكانت فضائله وشمائله مأثورة ، فاشتهر أمره وعلا ذكره ، وأحبه الناس لكماله وحسن أفعاله ، وأطبق العموم على انه للنظير معدوم ، ولم يزل على حاله إلى أن دعته المنية إلى الدار العلية . فتوفي أوائل شعبان عام الف ومائتين وثلاثة .

★ ★ ★

حرف الصاد

الشيخ صادق افندي الواعظ الحنفي

كان اماماً كاملاً ، وعالماً عاملاً ، متمسكاً بدينه ، متمكناً بعقيدته ويقينه ، لا يخشى سطوة أمير مكابر ، ولا امام جائر ، صداعاً في قوله ، معتمداً على الله في قوته وحوله ، لا يميل مع نفسه الى ملائم ، ولا تأخذه في الله لومة لائم ، وفي سنة بضع وثمانين بعد المائتين والألف حضر لدار السلطنة العليـــة ، وعاصمة الأمة الإسلامية ، في ايام خلافة أعظم ملوك الإسلام ، وسيد ملوك الأنام ، السلطان عبد العزيز خان ، عليـه الرحمة والرضوان ، وكان دخول المترجم أوائل رمضان ، فكان يقرأ درس الوعظ في أياصوفيا الى اليوم السابع والعشرين ، وقد جرت العادة ان السلطان في ذلك اليوم يدور على الدروس ، فمتى أتى لدرس يختم المدرس الكلام ، ويدعو للسلطان ، فما زال السلطان يجري العادة ومعه وكلاء الدولة العظام ، وشيخ المسلمين والاسلام ، الى أن وصل لدرس المترجم ، فلم يجر العادة من الختم في الحال والدعاء ، بل التفت الى الوكلاء ، وخاطبهم بما لا يليق خطابهم به من كونهم ادخلوا على السلطان الغرور ، وأبطلوا الشريعة وارتكبوا سفاسف الأمور ، ونكسوا أعلام الدين ، وقدموا المخالفين على المؤمنين ، وأطال الكلام ، وتجاوز الحد في هذا المقام ، والسلطان صاغ اليه ، فحقد الوكلاء عليه ، فبعد أن ختم ذهب ، وقد أضمروا له كل عطب ، ثم بعـد ذلك اجتمعوا وذهبوا الى السلطان ، فدخلوا عليه بعد تقديم الاستئذان وتكلموا في حق المترجم بما غير قلب أمير المؤمنين عليه ، وقالوا له قد

فعل ما أوجب توجيه المضرة اليه ، فلا بد من اعدامه ، ليتأدب غيره عن التكلم بمثل كلامه . فقال أمير المؤمنين نعم ولكن لا بد من مرافعتكم معه في مجلس شيخ الاسلام ، لئلا يقول الناس قتل ظلماً فَنَتَقَمع بين العموم في الملام ، فحينما أحس شيخ الاسلام ، دخل على الملك خفية عن الوكلاء العظام ، ولم يزل يتعطف السلطان ، ويسترحمه بالعفو عن هذا الانسان ، ويقول له ان قتلناه قيل بالعبارات الصريحة ، ان السلطان قد قتله لبذله النصيحة ، ولكن نفيه أولى ، ورأي أمير المؤمنين أعظم وأعلى . فأمر السلطان بنفيه في الحال ، فأرسل الى عكا من غير امهال .

مطلب

قصة محمد بهاء الله رئيس البابية

وكان ممن نفي من بلاد العجم قبله الى عكا محمد بهاء الله رئيس البابية . والناس قد اختلفوا فيه على أنواع ، فمنهم من يقول يدّعي بأنه المهدي ، ومنهم من يقول انه يدعي النبوة ، ومنهم من يقول يدعي الألوهية ، فألف المترجم رسالة في عقيدتهم غير وافية بالمقصود ، غير اني أحببت ذكرها بعد تعريبها لأنه ألفها باللغة التركية وهي :

كان مبدأ ظهور البابية في تاريخ سنة الف ومائتين وخمس وستين وهو انه ظهر رجل في شيراز سنة خمس وعشرين ومائتين والف ، واسمه علي بن محمد بن رضا الحسيني وهو رجل تاجر ، فذهب الى مكة لمصداق الأحاديث من ان المهدي يظهر من مكة ، ووقف عند مقام ابراهيم يوم الجمعة والخطيب على المنبر وصاح بأعلى صوته انه هو المهدي وانه قد ظهر ، فأخذه رفقاؤه في الحال لمنزلهم ثم ساروا به الى شيراز ، وأخذ هناك يدعو الناس اليه سراً وجهراً ، ويقول لهم انه هو المهدي المنتظر ، فما زال يتفاقم أمره ، ويعظم ذكره ، وتكثر جماعته ، وتزداد دعوته الى أن سجن في السجن ، وكان قبل ذلك

قد سجن مراراً وشاه العجم يطلقه ، لكنه في هذه المرة ، قد تجسمت منه المضرة ، وطغت عليه نفسه ، فصار من اللازم اهانته وحبسه ، وفي السنة السابعة من ظهوره ، الكاسفة لبهاء وجوده ونوره ، قتل بالرصاص وهو مصلوب ، وعاملته الايام بعكس المرغوب .

وفي هذه المدة التي مضت عليه في الحبس قد حرر ستة وتسعين مصحفاً ، وتمكن بعد مشقة عظيمة من ارسالها الى خارج السجن ، ووصولها إلى اخوته وجماعته ، ومن بعد قتله ، وصل الى أخويه بعض من كتبه فباشرا الدعوة بالنيابة عنه ، الا ان كل واحد منهما يدعيها لنفسه ويكذب الآخر ، ثم تجازفا في دعواهما فصار كل منهما يدعي النبوة عوضاً عن المهدية ، وأخذا في تحرير الرسائل وارسالها بدعوى النبوة العظمى ، وطلب الناس إلى تصديقهما ، وجالا في البلاد لدعوى العباد ، فلما وصلا الى مدينة ادرنة اشتد بينهما الخصام ، وصار كل منهما حريصاً على قتل أخيه والقائه في حيز الاعدام ، وكان فسادهما قد سرى على بعض الناس من غير مرا ، فقبضت الحكومة عليهما ، وحكمت بتوجيه النفي اليهما ، فنفي أحدهما الى قبرس ، والثاني الى عكا مؤبدين . وسبب دعوى هذين النبوة انما كان من علي بن محمد بن رضا المومى اليه أعلاه الشيعي المذهب ، فانه لما كان في السجن ادعى سنة في ابتداء أمره انه المهدي ، ثم ادعى أربع سنين انه نبي ، ثم ادعى الألوهية وصورة دعواه على المنوال الآتي : وهو انه في قديم الزمان كل نبيّ عصرٍ لما تتم مدته تنتقل أمته الموجودون إلى النبي الآخر وهكذا إلى حضرة محمد ﷺ الذي تختم مدته سنة الف ومائتين وخمس وعشرين فأخذ أمته ومضى إلى المحشر ، وبعد ذلك جميع ملل الأرض تخصني حيث صرت نبياً لها ، وبعد سنة الف ومائتين وخمس وثلاثين يظهر نبي أفضل مني وبه تتم مدتي ، وكلما جاء نبي يكون أكمل وأعظم ممن قبله ، وهذا الحكم سار من الأول الذي لا أول له إلى الآخر الذي لا آخر له .

وان كتبه التي رأيناها يفهم من بعضها أنه المهدي ومن بعضها انه نبي ومن بعضها انه إله ؛ وذلك مبني على الأصول والقواعد الشيعيـة ، فانهم ليس لهم ثبات على حال واحد ، بل هم يتقلبون ويتلونون على أنواع شتى ، وقواعد البابيين كذلك فليس لهم ثبات على حـال واحد ، وان القرآن الذي يدعون أنه أنزل عليهم عبارة عن مواعظ وأحكام قليلة متضاربة ، غير انها توصي كثيراً بتخريب الكعبة حيث قد جعلوا مكانها مسجده الذي في شيراز ، فعندهم قد بطلت الكعبة الحجـازية بالكعبة الشيرازية ، ويوصي بانه يلزم اشتراء البيوت التي حول مسجد شيراز وادخالهـا في المسجد للتوسعة ، ويقتضى ان يجعل له خمسة وتسعون بابا ، وأخبر في كتبه بوقوع أمور شتى إلى الآن لم يظهر منها شيء ، وكذلك أخبر بانتشار أمته شرقاً وغرباً ، وجعل السنة تسعة عشر شهراً كل شهر تسعة عشر يوماً ، وتأمر كتبه بالصلاة في كل يوم وقت الظهر فقط ، وان التوجه يكون لمسجده الشيرازي وهذا كله بعد موته ، وأما حال حياته فانه اتخذ لنفسه قبلة خاصة به ، وكان يأمر بالصلاة تارة ركعتين وتارة تسع عشرة ركعة ، وكان يحكم بان الهواء والتراب النقي الطاهر كل منهما مطهر من النجاسة من غير ضرورة ، ولهذا لايلزم الغسل من الجنابة ولا غسل الثوب والبدن من النجاسة لتطهير الهواء لهم ، وإذا استعملوا الماء انمـا يستعملونه بين المنكرين تقية ، ويجوز عندهم نكاح الأخت وصوم رمضان تسعة عشر يوماً . وقد غير لهم نظام التركات ، وإذا صلى أحـدهم يقول بدل السلام الله أكبر . وبدّل لهم التحيات ، وإذا رد أحدهم السلام ان كان من رجل قال الله أعظم وان كان من امرأة الله أجـل ، وذلك كله مع اشياء اخر يطول استقصاؤها إنمـا هي مأخوذة عن أخيها الأول واتبعوه بعد موته على ذلك وداوموا عليه وأشاعوه في بغداد وأدرنه ، إلى أن بدا

بينهما البغضاء والشحناء بسبب الاختلاف في الديانة ، وتسلط الاخ الاكبر على قتل بعض أتباع اخيه الاصغر خفية ، ولذلك فرقوا بينهما حين النفي فجعلوا الاصغر في قبرس والاكبر في عكا ، ودعوى الاصغر أنه نبي وان الآيات الالهية دائماً تتنزل عليه ويحررها مصاحف ويرسل بهـا خفية إلى ايران ، فيتلقونها بالقبول والاذعان . ومما أنزل عليه وحرره في مصاحفه : ايها الايرانيون أخي الذي في عكا شيطان لانبي ، أنتم آمنوا بي إني أنا نبي ولا تؤمنوا له فيكون مأواكم النار ؛ وأمثال ذلك مما ينفر عن أخيه ويرغب فيه ، وما عدا ذلك مما هو مذكور في مصاحفه المنزلة عليه ، فانه اقتباس من القرآن وتقليد له . وأما التنزلات البغدادية عليه فانهـا وصايا دالة على خزي أخيه الاكبر ، وكان يذكر في عباراته تارة اسم شيطان وتارة اسم سفيـان وتارة اسم خنزير ، ومراده بالأول أخوه ، وبالثاني وزير شاه العجم ، وبالثالث الشاه نفسه . وتارة يعبر عن أخيه بكافر . وحيث ان الفتنة بينهما لاتهدأ في ليل ولا في نهار حصل للحكومة منهم قلق عظيم ، وشغل فكر جسيم ، وتحمل الأهالي منهم مضرة عظيمة ، ومن جملة مضرتهم ان الكبير العكاوي أرسل خفية جلادين من أتباعه وهم سبعة انفار بالسلاح التام إلى جملة من جماعة اخيه الاصغر المنفيين إلى عكا فطرقوا عليهم الباب ففتحوا لهم فسارعوا الدخول فلم يجدوا وقتئذ غير ثلاثة انفار ، فلم يزالوا يضربونهم حتى أعدموهم ، وكان محلهم قريباً من مركز الحكومة فكثر الصيـاح والضجيج ، والعويل والعجيج ، فهجمت العساكر عليهم بامر الحكومة ووضعوهم في الحبس ، ثم ان الاخ الاكبر وان كان مدعيـا النبوة إلا أنه من حين حلوله في عكا أسبل على نفسه حجاب التقية ، وقد اطلع البعض على شيء من تحريراته فأفادت أنه يقول ان النبوة الآن تابعة للنبوة الماضية ، غير انه لشدة حجابه وتقيته لم يظهر

كال حاله ، لأنه لم يخرج من منزله أصلاً ولا يراه احد إلا في يوم الحادثة التي قامت عليهم بسبب قتل جماعته بعض جماعة اخيه ، فانهم أخرجوه لدارة الحكومة جبراً ، وبعد ذلك رجع الى محله ولم يظهر لأحد قط . وهو كثير الاعتبار لنفسه يخاف على بخس اعتباره وقدره أشد الخوف ، وعنده من التكبر مالا يحاط به ، وله عدة زوجـات ، يحب الرفاهية والملابس الحسنة والمآكل النفيسة من الطيور وغيرها من الحيوانات والحلويات ، وداره في عكا تساوي أكثر من ثلاثمائة الف ، وعنده سبعة من الجلادين وأربعة حواريين ، وما عداهم أصحاب ، فيذهبون كل يوم إلى داره ويصلون ركعتين يتوجهون بها اليه بكمال الخضـوع ، وهو قائم رافع رأسه إلى السماء ، وعند تمام الصلاة يعطيهم حصة ثم يسجـدون له كسجودهم عند الدخول ويتفرقون ، ومقدار أمته عشرون من قومه وخمسة من أهـالي عكا ، واثنان نصارى ، وذلك يدل على أنه يدعي الألوهية لا النبوة .

هذا ملخص الرسالة مع حذف مالا حاجة اليه مما لا ارتباط له بأمر الديانة والاعتقاد [1] وقد كنت مررت على عـكا بعد الالف والمائتين والتسعين فاجتمعت بولده عباس افندي .

---

(١) خلاصة ترجته كما في الأعلام :
أذاع أنه « المهدي المنتظر » وقام علماء بلاده يفندون أقواله ، ويظهرون مخالفتها للاسلام ، وخشيت حكومة إيران الفتنة فسجنت بعض أصحابه ، وانتقل هو إلى شيراز ، ثم إلى اصبهان ، فحماه حاكمها « معتمد الدولة منوچهرخان » وتوفي هذا ، فتلقى خلفه أمراً بالقبض على الباب ، فاعتقل وسجن في قلعة « ماكو » بأذربيجان ، ثم نقل إلى قلعة « چهريق » على أثر فتنة بسببه . ومنهـا الى « تبريز » وحكم عليه فيها بالقتل ، فأعدم رمياً بالرصاص ، وألقي جسده في خندقها ، فأخذه بعض مريديه إلى طهران . وفي حيفا (بفلسطين) قبر ضخم للبهائية يقولون إنهم نقلوا إليه جثة « الباب » خلسة . له عدة مصنفات ، منها كتاب « البيان ــ ط » بالعربية والفارسية .

وكان يتبرأ كثيراً من نسبة ذلك إلى والده ، وكان يقول لي ان والدي يأكل ويشرب ويأتي النساء ويمرض ويتألم ، ومن تعرض له هذه العوارض كيف يسوغ له ان يكون إلهاً ؟ وهذه الدعوة افتراها عليه اخوه الاصغر وجماعته ، إلا أن أكثر أهل عكا ممن اجتمعت بهم ينسبون له هذا الاعتقاد وقد أرسل والي الشام سفيراً من طرفه لاستكشاف حالهم حينما كنت هناك ، فاستحصل مصحفاً منسوباً اليه مشتملا على آيات ملفقة من القرآن . وقد رأيته ثم سألت عنه ولده المومى اليه ، فقال وهذا أيضاً من جملة الافتراء علينا ، وليت شعري من الذي رأى والدي وسمع منه ذلك ، أو شاهد منه حالا يقتضي دعوة النبوة او الالوهية ، كل ذلك من أكاذيب أعدائنا والافتراء علينا لاأصل له ، والله يعلم ذلك لاتخفى عليه خافية في الوجود [١] .

ثم ان المترجم [٢] استأذن من الباب العالي في التوجه إلى الحجاز ، فجاءه الجواب بالاذن ، وبعد توجهه وقضاء مناسكه بالتمام ، تمرض أياماً وتوفي بالبلد الحـرام ، ودفن هناك في المعلى الشريف ، وكان ذلك في ذي الحجة الحرام سنة الف ومائتين وأربع وتسعين رحمه الله تعالى .

---

(١) في الأعلام : خرج مع أبيه البهاء لما نفي الى العراق (سنة ١٢٦٨ هـ) فأقاما ١٢ سنة ، وأبعدا الى الآستانة ، ومنها الى أدرنة ، فكثا نحو خمس سنوات ، ونفيا الى قلعة عكة (بفلسطين) فات بها أبوه سنة ١٣٠٩ هـ وخلفه عباس بعهد منه ، وانتقل الى حيفا ، وزار أوربة سنة ١٣٣٠ هـ وأميركا سنة ١٣٣١ هـ وعاد الى فلسطين ، فات بحيفا (سنة ١٣٤٠ هـ) .

(٢) أي الشيخ صادق الواعظ الحنفي ، ومن قوله ـ قبل خمس صفحات الى هنا ـ : (قصة محمد بهاء الله رئيس البابية) هو استطراد .

الشيخ صادق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن محمد بن محمد البخشي الحلبي الحنفي الخلوتي

صلاح الدين ابو النجا شيخ الاخلاصية بحلب ، العالم الخير البركة الصالح الدّين العمدة الامام المرشد ، مولده سنة ثلاث وثلاثين ومائة والف ونشأ بكنف والده وأعمامه وأخذ عنهم وقرأ عليهم وانتفع بهم ، وأكثر انتفاعه بعمه أبي الاخلاص حسن بن عبد الله البخشي ، وقرأ على أبي عبد الفتاح محمد بن الحسين ، وأبي السعادات طه بن مهنا بن يوسف الجبريني ، وأبي العدل قاسم بن محمد النجار ، وقرأ الصحيح للبخاري على أبي محمد عبد الكريم ابن أحمد بن محمد علوان الشراباتي .

ولما قدم حلب سنة أربع وأربعين ومائة والف المسند الرحلة أبو عبد الله جمال الدين محمد بن أحمد عقيلة بن سعيد المكي ، وزارهم في تكية الاخلاصية الكائنة بمحلة البياضة ، سمع منه حديث الرحمة المسلسل بالأولية ، وحديث المصافحة والمشابكة ، وأجاز له بمروياته ، وأسمع عليه مسلسلاته بقراءة والده وعمه ، وأجاز لهم جميعاً بخطه على ظهر إثباته ، وأجاز له الشهاب أحمد بن محمد المخملي ، وهو يروي عن عمه البرهان ابراهيم النجشي وغيره ، وأبو محمد عبد الوهاب بن أحمد الأزهري وآخرون ، وكتبوا لهم خطوطهم وسمع عليهم الكثير وأخذ الطريقة الخلوتية وغيرها عن عمه ووالده ، ولما مات سنة خمس وسبعين ومائة والف صار شيخاً مكانه في تكيتهم الاخلاصية المعروفة بهم ، ولم يعارضه عمه في المشيخة وارتضاه ، وكان يحنو عليه ويحبه ورباه وأحسن تربيته ، وانتفع به وبآدابه وسمع

عليه ديوان شعره من لفظه ، فأجازه بمروياته ومسموعاته ، وكتب له بخطه بعد التلفظ مرارا ، ولازم الاستقامة وتصدر للإرشاد والتسليك ، واختلى كعادتهم ولازمه جماعتهم وأخذوا عنه ، وكان يقيم الأذكار والتوحيد . وكان سخياً كريم الأخلاق حسن السريرة والسيرة كثير الديانة والخير من المشايخ الأخيار ، رأيت بخط خليل افندي المرادي يقول : ولما دخلت حلب المرة الثانية سنة خمس ومائتين والف اجتمعت به غير مرة ، وزارني وزرته وتردد إليّ ، وسمعت من لفظه حديث الرحمة المسلسل بالأولية وهو أول حديث سمعته من لفظه وصافحني وشابكني كما أسمعه الأولية وصافحه وشابكه ابن عقيلة المكي ، وأجاز لي بما تجوز له روايته لفظاً وكتابة على ظهر ثبت شيخه الشراباتي ، ولم أقف على تاريخ موته [1] .

الشيخ صالح بن حسين بن احمد بن أبي بكر الحلبي الحنفي الشهير بالدادنجي كوالده

الفقيه الأصولي الكاتب البارع المتفوق الدّين التقي الزاهد ، مولده في إحدى الجمادين سنة ثمان وثلاثين ومائة والف ، وقرأ على جماعة وأخذ عنهم وأكثر من الفقه أخذاً وقراءة . ومن جملة من أخذ عنهم والده المومى اليه ، وأبو الثناء محمود بن شعبان البزستاني ، وأبو الحسين علي بن ابراهيم العطار وأبو محمد عبد القادر بن بشير بن عبد الحق البشيري ، وياسين الفرضي وأبو جعفر منصور بن علي الصواف ، وعبد الوهاب بن أحمد المصري الأزهري ، وأبو محمد عبد الكريم بن أحمد الشراباتي ، وأبو السعادات طه

---

(١) في تاريخ الأستاذ الطباخ : وفاته سنة ١٢٠٥ هـ .

ابن مهنا الجبريني ، وعبد الوهـــاب بن قورد العرّاس [١] ، وأبو محمد عبد الرحمن بن مصطفى البكفالوني ، وأبو عبد الله محمد بن محمد الطاهر التافلاتي المغربي ، وأبو عبد الفتاح محمد بن الحسين الزمار ، وآخرون ، وسمع عليهم الكثير من الأحاديث الشريفة ، والكتب في غالب الفنون ، واعتنى بملازمتهم ، وحضور مجالسهم ، واجازه الأكثر منهم بخطوطهم . وناب بالقضاء في حلب ، وفي أريحا وادلب وغيرهـــا . وحفظ المسائل والفروع الفقهية ، واعتنى أشد اعتناء بها . وكان شديد الحفظ لها قوي الاستحضار . وكانت الناس تراجعه في المســائل . وكان يلازم قراءة الأوراد والاذكار ، كثير العبادة لطيف العشرة ، وكان والده من مشاهير علماء حلب أصحاب الرفعة والشأن . ولما صاهر المولى الرئيس صالح بن ابراهيم بن عبد الله الدادنجي أحد أعيان حلب ، وتزوج بابنته أم العز خانم خاتون ، وانتمى اليه وسكن عنده ، غلبت عليه نسبته وصـــار لايعلم إلا بها بين الناس ، وتارة كان يكتب في تحريراته الدادنجي وتارة الصالحي نسبة إلى مخدومه المذكور ، وجاءه من ابنته ابو الحسين صالح صاحب الترجمة ، فنسبته حينئذ صحيحة من جهـــة والدته دون والده وأقاربه المشهورين بهذه النسبة . واجتمع به في آخر أمره العالم الدمشقي خليل افندي المرادي في حلب حين زارها عام الف ومائتين وخمسة وأخذ عنه واستجازه وطلب دعـــاء . وكان يتردد عليه كثيراً ويتذاكر معه المسائل النادرة الفقهية كما رأيت ذلك بخطه . وتوفي عام الف ومائتين ودون العشرة غالباً رحمه الله تعالى وذلك بعد أن مرض بداء الفالج .

---

(١) في تاريخ حلب الشهباء للاستاذ الطباخ : هو : « عبد الوهاب بن قرط العدّاس » وترجمـــة هذا المترجم « صالـــح الدادنجي » والذي قبله « صادق البخشي » منقولتان عن « حلية البشر » معزوّتان اليه ، ولم يزد عليها الأستاذ الطباخ شيئاً .

الشيخ صالح بن (درويش) التميمي (١)

عالم إمام ، وفاضل همام ، قد شاع في العالم ذكره وذاع في الأنام نشره ، وسما فخاره ، ونما وقاره ، وافتخر به عصره ، واشتهرت به مصره ، قد فاق اقرانه في النظم والنثر ، وزان أوانه في القوافي والشعر ، وكان في كل علم آية ، وفي كل فن قد وقف على الغاية ، وله قصيدة همزية ، يمدح بها ابن عم سيد البرية ، وقد خمسها له الشاعر المشهور ، الذي هو في حرف العين مذكور ، السيد عبد الباقي افندي العمري الفاروقي الموصلي ، وقد ذكرها في ديوانه الترياق الفاروقي مقدماً عليها هذه الترجمة وهي قوله : هذا التخميس المحكم التأسيس ، الذي يسلي الجليس

(١) هو عربي المحتد ، نجدي الأصل ، نجَفي المنشأ . ولد في حدود (سنة ١١٩٠) ﻫ وتوفي (سنة ١٢٦١ ﻫ) أي إنه عاش في العهد الداودي : عهد داود باشا والي بغداد المشهور بفضله وحبه للادباء ، وله مجالس ينضوي اليها أدباء عصره وشعراؤه ، فيتلقون من عطفه ورفده ما يملأ قلوبهم حبّا ، وجيوبهم ذهبا ؛ وكان أقربهم مجلساً اليه ، وأكثرهم دالّة عليه ـ الشاعر التميمي ، فقد جعله في جملة كتاب الديوان ، فكان من شعرائه . وقد توفي ببغداد عن نحو سبعين عاما ، وطبع ديوانه في النجف (سنة ١٩٤٨ م) وقدم محققا الديوان وناشراه مقدّمة له أسهبا فيها القول فأجادا في التعريف بالشاعر وبأدبه وبكل ماله علاقة بنشأته وبيئته ، وقد قال أحد محققي ديوانه : « ان التميمي يعلو بشعره ما وسعه العلو ، ثم يهبط ويسفّ حتى تكاد تنكر أنه هو » وله كتب منها « شرك العقول وغريب النقول » مجلدان ، رتبه على السنين مبتدئاً من سنة ١٢٠٠ ﻫ وختمه سنة ١٢٤٠ ﻫ ، ذكر فيه أيام الوزير داود باشا ، وما جرى له من حروب . وله « وشاح الرُود في تراجم شعراء الوزير داود » اﻫ ملخصاً من مجلة المجمع العلمي العربي (م ٢٤ ص ٣٠٦ و ٣٠٧) ومن أعلام الزركلي (م : ٣ ص ٢٧٦) .

عن تعاطي بواطي الخندريس على القصيدة الهمزية ، والخريدة ذات المزية ، لإمام ائمة الأدب ، ومالك أزمة لسان العرب ، جناب ولي وحميمي الشيخ صالح التميمي ، مادحا بها حضرة أمير المؤمنين ، وابن عم سيد المرسلين ويعسوب [1] الموحدين ، وأبي الغر الميامين ، عليه وعليهم سلام الله إلى يوم الدين :

ياعلياً به تباهى العـــلاء   وتناهى في نعته الإطـراء
مالمجد شاءَوْت [2] فيه انتهاء   غاية المدح في علاك ابتداء
ليت شعري ماتصنع الشعـراء

كنت للمجتبي بحرب وسلم   وزراً [3] قائماً بكل مهم
أنت صنو له بعلم وحكم   يا أخا المصطفى وخير ابن عم
وأميرٍ ان عـدت الأمراء

رتب نلتهـــا بنسبة طٰه   قصرت كل رتبة عن مداها
ان نظرنا الانام من مبتداها   مانرى ما استطال الا تناهى
ومعـاليك مالهن انتهـــاء

لدراريك في سما المجد ضوء   وبحضن الأدوار منهن خبء
يقتفي الختم من سواريك بدء   فلك دائر إذا غـاب جزء
من نواحيه أشرقت أجـزاء

أو كشمس يغشي سناها الهباء   من غبـار تثيره الهيجـــاء
فيميط الهباء عنهـا الهواء   أو كبدر مايعتريه خفـــاء
من غمام إلا عراه انجـــلاء

---

(١) اليعسوب : الرئيس الكبير ، يقال : « هو يعسوب قومه » أي رئيسهم وكبيرهم .
(٢) شاءَى مُشاءاة القومَ : سَبقهم ، سَابقَهم .
(٣) الوزَر الملجأ ، وكل معقل .

أنت بحر لكنه غير آجن لقريش به حمى ومساكن
لك مد قبل التكون كائن يحذر البحر صولة الجزر لكن
غارة المد غـارة شعْواء

نلت فضلا أبا تراب فاقصى كل فضل عم الوجود وخصا
وبيوم الحسـاب لايستقصى ربما رمل عالج يوم يحصى
لم يضق في رماله الإحصاء

ولو ان الأقلام كل نبـات ومياه البحـار حبر دواة
ضقن عما أظهرت من خارقات وتضيق الأرقام عن معجزات
لك يامن اليـه ردت ذكاء

منهجـاً للهدى خلقت قديماً جئت تهدي عمياً وتشفي سقيما
فاتخذناك هـاديا وحكيماً ياصراطاً إلى الهدى مستقيما
وبه جـاء للصدور الشفاء

شدت في ذي الفقار للدين أصلا فتسامى قدراً وعزّ وجلا
وعلى ما أسست قولا وفعلا بني الدين فاستقـام ولولا
ضرب ماضيك ماستقام البناء

أنت والحق دمتما بوفاق أنت يوم اللقا على الحوض ساق
أنت ذاك الكرار يوم سباق أنت للحق سلم مـا لراق
يتأتى بغيره الارتقـاءُ

فيك خير الأنام أوتي سؤلا مثل ما أوتي ابن عمران قبلا
يا أبا شُبّر وقد صح نقلا أنت هارون والكليم محلا
من نبيّ سمت به الأنبياء

قل تعالوا ندعو بحكم ذكر لك فخر بها علا كلَّ فخر
أنا أدري وجملة الخلق تدري أنت ثاني ذوي الكسا ولعمري

أشرف الخلق من حواه الكساء

كنت في جيب الغيب معنى يصان حين لا أعصر ولا أحيان
أيقل الأسرار منك مكان ولقد كنت والسماء دخان[1]

ما بهـــا فرقد ولا جوزاء

بك ليل العماء ضاء بلالّيْ فاستضاء الوجود من ظلمة الغيْ
درة كنت والجواهر لا شيْ في دجى بحر قدرة بين بُردَيْ

صدف فيه للوجود الضياء

نقطة فرغت وليس وعاء ملئت حكمة ولا إملاء
أنت باء لها العماء غطـــاء لا الخلا يوم ذاك فيها خلاء

فيسمى ولا الملاء ملاء

خبر جاءنا بذا مـــأثور وحديث مسلسل مشهور
عنعنته عن الصدور صدور قال زوراً من قال ذلك زور

وافترى من يقول ذاك افتراء

قصب السبق في مقام كريم حزتها من لدن حكيم عليم
أنت يا من سبقت في تقديم آية في القديم صنع قديم

قاهر قادر على مـــا يشاء

هل (أتى) في سواك ذكر حكيم لك في نص آيه تعظيم

---

(١) هل صحّ حديث في هذا ليؤخذ به ؟

أو لم يغن من له الجهل خيم　　نبأ والعظيم قـــال عظيم

ويل قوم لم يغنها الأنباء

خصك الله من لدنه بمفخر　　في مرايا العقول لا يتصور
كنت في غاية الهوية حيدر　　لم تكن في العموم من عالم الذر

وينهى عن العموم النهـــاء

إنما الناس إن نظرت معادن　　فرقها في تفاضل متباين
خلني من دفائن وضغـــائن　　معدن الناس كلها الأرض لكن

أنت من جوهر وهم حصباء

كم قضينا من نشر تلك المطاوي　　عجباً يوقع النهى في مهاوي
ولقد صح إذ سبرنا الفحاوي　　شبه الشكل ليس يقضي تساوي

إنما في الحقـــائق الإستواء

لم ينل نجم الأرض مهما تزيا　　مثل نجم السما مكاناً عليـــا
فاتحاد الألفاظ لم يغن شيأ　　لا تفيد الثرى حروف الثريا

رفعة أو يعمه استعلاء

روضة أنت للعقول ودوح　　يجتني من طوباك رشد ونصح
ومتى هب من عبيرك نفح　　شمل الروح من نسيمك رَوْح

حين من ربه أتاه النـــداء

طالما للأملاك كنت دليلا　　ولِنَـا مُوسِيهم هديت سبيلا
يوم نادى رب السما جبرئيلا　　قائلا من أنا فروّى قليلا

وهو لولاك فاته الإهتداء

لك شكل نتيجة للقضـــايا　　لك قلب للعـــالمين مرايا

لك فعل حوى رفيع المزايا　　لك اسم رآه خير البرايا
مذ تدلى وضمه الإسـراء
فوعاه بالحس حداً ورسماً　　حيث ساوى معناه منك مسمى
قبل عرض الأسماء إسماً فاسماً　　خط مع إسمه على العرش قدماً
في زمان لم تعرض الأسماء
إثر هذا أبدى عوالم مَلك　　فاطر الأرض والسماذات حُبك
وأناط البروج فيها بسلك　　ثم لاح الصباح من غير شك
وبدا سرها وبان الخفـاء
فقضاها مسبب الأسبـاب　　نوبة للأرحام والأصلاب
وجرى ما جرى بأم الكتاب　　وبرى الله آدماً من تراب
ثم كانت من آدم حواء

وللمترجم قصائد كثيرة ، ومدائح شهيرة ، قد تناولتها بالقبول يد الأكابر ، وشهد لها بالفضل كل ناثر وشاعر . مات المترجم رحمه الله سنة الف ومائتين و (إحدى وستين) .

الشيخ صالح اليافي أحد المجاورين في المدرسة الباذرائية الشافعي الخلوتي

كان إماماً بارعاً عابداً ، وصالحاً تقياً زاهداً ، قد اشتغل في الإرشاد وربى المريدين وأفاد ، وكان مستمراً على هذه الحـالة الحسنة ، والمنقبة المستحسنة . وله تأليفات عديدة ، وتقييدات مفيدة ، منها مختصر التفسير ومنها الحكم في كلام القوم . وكان على طريق السادة الصوفية ، والقادة الخلوتية . توفي سنـة خمسين ومائتين والف ودفن في مرج الدحـداح وقبره معروف .

الشيخ صالح السيوطي الدمشقي الحنبلي مفتي الحنابلة في دمشق وابن مفتيها

ولد بدمشق ونشأ بها ، وأخذ عن علمائها ، إلى أن صار من الأعلام والفضلاء الكرام ، وتولى نظارة جامع بني أمية . وكان ذا هيبة ووقار ، محترماً مبجلاً معظماً بين الأخيار . مات رحمه الله في جمادى الأولى سنة سبع وأربعين ومائتين والف ، ودفن في مرج الدحداح عند أسلافه .

الشيخ صالح المعروف بابن شمس وهو صالح بن يوسف بن احمد بن ابراهيم بن شمس الدمشقي الشافعي الاشعري

كان أحد الأفراد الفضلاء ، وأوحد السادة الأمجاد النبلاء ، له من التحقيق الحظ الأوفر ، ومن التدقيق النصيب الذي لايحصر ، مع هيبة ووقار ، ورفعة ذات اشتهار . أخذ عن العلماء الدمشقيين الأعلام ، وحضر دروسهم إلى أن بلغ جل المرام ، ثم أفاد بعد أن استفاد ، وبلغ الطلبة به كل مراد . وهو من بيت مجد قديم ، ليس فيهم قبيح ولا ذميم . مات في دمشق سنة سبع عشرة ومائتين والف ودفن في مقبرة الشيخ ارسلان .

الشيخ صالح بن محمد بن خليل بن صالح بن خليل الدمشقي الشافعي الشهير بالقزاز

ولد بدمشق ونشأ بها ، وكان عالماً عاملاً وفقيهاً فاضلا ، ورعا زاهداً وناسكا عابدا ، من مشاهير العلماء وأفاضل الفضلاء .

أروي مذهب الشافعي عن والدي عنه بسنده المتصل إلى صاحب المذهب ، وهو من أجل شيوخ والدي . وقد أخذ عن كثيرين من أجلهم الشمس محمد الكزبري والشهاب احمد العطـــار والسليمي الشيخ علي والشيخ أبي الفتح وغيرهم من الأجلاء . وكان كاتباً ذا خط جميل مع غاية السرعة ، وكاد إذا رقم كتاباً كبيراً ان لاتجد فيه تحريفة من أوله إلى آخره [١] توفي بدمشق سنة أربعين ومائتين والف ودفن في باب الصغير قرب قبر سيدنا الصحابي الجليل أوس رضي الله عنه .

الشيخ صالح بن محمد بن عبد الرحمن السفرجلاني الشافعي الدمشقي شيخ الطريقة الشاذلية السفرجلانية

ولد بدمشق سنة ثمان وأربعين ومائة والف ، وعاش مائة وسبع سنين . وكان ذا دين وصلاح وتقوى ونجاح ، وعبادة وفلاح وزهـادة ورباح ، مات رحمه الله سنة الف ومائتين وخمس وخمسين [٢] .

الشيخ صالح بن يوسف الدمشقي الحنفي الشهير بالعش

الأخ الصالح والعابد الفالح ، كان من اخواننا في الأخذ على القطب الشهير السيد محمد الفاسي المكي . واشتغل عليه في طريق الشاذلية وحصل له

---

(١) في (روض البشر) للشطي ما يأتي : وممن أخذ عن المترجم وانتفع به العلامة السيد محمد عابدين ، رأيت له اجازة منه ذكرهـــا في ثبته مؤرخة (في سنة ١٢٢٤ ه) ومن مؤلفات المترجم ديوان خطب لم نزل نخطب منه في مدرستنا الباذرائية . وقد أعقب صاحب الترجمة ولده الفاضل الشيخ عبد الغني القزاز جد جدي الشيخ محمد الشطي لأمه اه .

(٢) في روض البشر للشطي : لم يعقب سوى بنت واحدة عاشت مائة وعشر سنوات .

بذلك تنوير عظيم ، وكان قبل ذلك قد أخذ على الشيخ محمد المهدي الطريقة الخلوتية . وكان من أهل العلم والصلاح لطيفاً جميلا حسن المعاشرة ، له معرفة بالموسيقى وتقسيم الأنغام ، وله محفوظية لطيفة من كلام القوم . وكان محبوباً عند الناس ، وكان فقيراً قنوعاً عفيفاً متواضعاً ، كثير الزيارة لمشاهد الأنبياء والأولياء ، كثير التردد والتودد إلى الاخوان . مات بدمشق في عشرين من شعبان سنة اثنتين وتسعين ومائتين والف ، ودفن في مقبرة باب الصغير عند قبر سيدنا بلال بن رباح الحبشي .

الشيخ صالح عابدين بن السيد عبد العزيز بن السيد احمد بن السيد عبد الرحيم ابن السيد نجم الدين بن السيد محمد صلاح الدين الشهير بعابدين بن السيد نجم الدين بن السيد علي بن السيد محمد كمال بن السيد تقي الدين المدرس ابن السيد مصطفى الشهابي بن السيد حسين بن رحمة الله بن احمد بن علي بن احمد بن محمود بن احمد بن عبد الله بن عز الدين عبد الله بن قاسم بن حسن بن اسماعيل بن حسين النتيف بن احمد بن اسماعيل بن محمد بن اسماعيل الاعرج بن الامام جعفر الصادق بن الامام محمد الباقر ابن الامام زين العابدين بن الامام الصحابي الجليل الحسين بن السيدة البتول فاطمة الزهراء بنت حضرة النبي ﷺ وعلى ذريته ذوي القدر الافخم

ولد رحمه الله بدمشق ونشأ على الطاعة والعبادة ، وكان من أهل التقوى والصلاح والزهادة ، والكشف والشهود والدراية ، وكثرة الذكر الموجبة لكمال العناية . وله مزايا كثيرة ، وخوارق عادات شهيرة ، وكان شغله في الدنيا التعلم والتعليم والتفهم والتفهيم ، والإقبال على مولاه ، والسعي في تحصيل رضاه ، وكان قد بشر زوجة السيد عمر أخيه حين كانت حاملة بالمرحوم السيد محمد عابدين ، وسماه بهذا الاسم وهو في بطن

أمه . ولما وضعت المرقوم أمه صار يأخذه المترجم عمه ويضعه في حجره ويقول له أعطيتك عطية الأسياد في رأسك ، وكان الأمر كذلك فإن سيرة المرحوم السيد محمد عابدين وما حصله من الشهرة والمنقبة والفضل لا تخفى على أحد . مات هذا المترجم رحمه الله تعالى سنة ثلاث ومائتين والف ودفن بباب الصغير قرب مقام العلائي صاحب الدر .

الشيخ صالح بن سلطان بن محمد بن سلطان بن حسين الحلبي الشافعي

العالم الفاضل ، البارع الكامل ، النحوي المتقن واللبيب المتفنّن ، أحد العلماء الأجلاء ، وأوحد الذوات الفضلاء ، مولده بحلب سنة سبع وخمسين ومائة والف ، ونشأ في حجر جده لكثرة أسفار أبيه ، وقرأ القرآن على الشمس محمد المصري في مكتب السخانة . وكان جده من تلامذة أبي عبد القادر محمد بن صالح المواهبي الملازمين له ، فانتفع بآدابه ووعظه ، وكان يحفظ الكثير من لفظه ، ولما توفي جده المرقوم كان عمر المترجم أربع عشرة سنة ، فكانت أمه تحثه على طلب العلم وتدعو له دائماً بالفتوح ، ومهما دخل عليه شيء من المال يشتري به أوراقاً مخرمة من فنون العلم من سوق الجمعة ويطالع بها ، وحفظ القرآن العظيم على شيخه النجم محمد الفتياني ، وأخذ بعض العلوم عن الشيخ عبد الهادي المصري ، والشيخ عبد القادر الديري ، والشيخ أبي اليمن تاج الدين محمد بن طه العقاد ، وعلى الشيخ عثمان بن عبد الرحمن العقيلي ، وعلى أبي زكريا يحيى بن محمد المسالخي ، وعلى الشيخ قاسم بن علي المغربي التونسي ، وعلى أبي جعفر منصور بن مصطفى السرميني الحلبي ، وعلى أبي محمد عبد الرحمن بن ابراهيم المنيلي ، وعلى الشيخ عبد الكريم الشراباتي ، وعلى الشيخ محمد بن صالح المواهبي ، وعلى الشيخ خليل بن عبد القادر المدني ، وعلى أبي عبد الله

محمد بن أحمد المكتبي ، وأبي عبد الله محمد بن محمد الاريحاوي ، وأبي محمد مصطفى بن أبي بكر الكوراني ، ومصطفى بن عبد القادر الملقي ، فاستفاد منهم وأفاد ، وقام بوظيفة العلم والعمل فوق المراد . وقرأ على المذكورين النحو والصرف والمعاني والبيـــان ، والمنطق والتوحيد والفقه وأصوله ، والحديث وأصوله ، والتفسير وبقية الفنون بكمال الإتقان ، وأجازوه جميعاً بالإجازة العامة ، وممن أجازه أبو الفيض محمد المرتضى بن محمد الزبيدي اليمني نزيل مصر ، والشهاب أحمد بن محمد الدردير المالـكي ، وأبو الصلاح أحمد بن موسى العرومي ، وأبو محمد عبد الرحمن النحراوي ، وعبد الرحمن ابن مصطفى العيدروس اليمني ، ومحمـــد كمال الدين بن مصطفى البكري الصديقي ، وغيرهم واشتهر وفاق وملأت شهرته الآفاق . وكان ينظم الشعر قليلاً ومن نظمه :

الراحمون لمن في الأرض يرحمهم ... من في السماء كما قد جاء في الخبر
إنَ ترحموا تُرحموا من ربكم ولكم ... جزيل حظ من المختار من مُضر

ومن نظمه أيضاً :

بحمى رسول الله كن متمسكاً ... واعكـِفْ بساحة فضله ونواله
واطرح وساوسك التي لك أشغلت ... وادخل حماه واستتر بظلاله
فهو الذي لولاه ما خلق امرؤ ... والدهر لم يسمح لنا بمثاله
وهو الذي فيه العصور تباشرت ... وكذا القصور تزينت لوصاله
وهو الذي يهدي الأنام بهديه ... وبفعله وبحاله وبقـــاله
كشف الدجى بضيائه وجماله ... والى العلا سيراً رَقَى بكماله
إن رمت تنجو ناده يا من أتى ... الذكر الحكيم بمدحه ودلاله
يا أفضل الرسل الكرام وغوثهم ... فاشفـــع لعبد تائه بضلاله

ان الخطايا أثقلتني سيدي ... يا خير من يولي الغنى لعياله (١)

وله من قصيدة :

رشأ غزا قلبي بسهم جفونه ... وسبى اصيحابي بسحر عيونه
وسطا بقد مزري سمر القنا ... وحمى حماه بفتكه وشؤونه
والليث يحمي شبله بزئيره ... أو ماترى لايعتطى لعرينه

وله قصائد قليلة لأنه كان لايعتني بالشعر كثيراً لعدم فراغه من الاقراء والتدريس ، والشعر يحتاج إلى إقبال كثير عليه . ولم يزل المترجم على حالة صالحة وهمة راجحة ، إلى أن اختار الآخرة على الأولى ، فأقبل على مولاه ناجياً لامخذولا ، وذلك سنة الف ومائتين وقبل العشرين.

الشيخ صالح الفلاني العمري المدني المغربي المالكي بن محمد بن نوح بن عبد الله بن عمر بن موسى بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن عمر بن علي بن محمد بن احمد بن عمر بن محمد بن محمد بن الحافظ علم الاندلسي الشاطبي بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن القاسم بن خلف بن برهان بن ادريس بن عامر بن عبد الله بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر بن علي بن أبي بكر بن سالم بن عبد الله بن عمر بن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنهم .

ولد سنة ست وستين ومائة والف ثم أقبل نحو الطلب وتمسك بأذيال الأدب ، فهو عالم المدينة النبوية ، وفاضل البقعة الحجازية ، وعمدة الأفراد الأعيان ، ونخبة الأمجاد الذين يشار اليهم بالبنان ، الجامع بين

---

(١) أليس خيراً من هذا أن يدعو الداعي الى اتباع سنته ، والتمسك بشريعته (ﷺ) والدعوة اليها ، والحث عليها ؟؟

العلم والعمل ، والنائل من الفضائل فوق مايتعلق به الأمل ، فهو الفاضل الذي إذا أعمل أسمر يراعه في بطون الكواغد ، أرى جميل الآثار من فوائد العوائد وعوائد الفوائد ، كيف لا وهـــو المتمكن من العلوم ، والمتوطن لابراز الصـــواب من خزانة المنطوق والمفهوم ، فلا ريب أنه البديع بيانه ، والرفيع القدر مقامه وشأنه ، ومن تشير الأصابع لفضله ، والألسن تعلن بان الكمال لاينكر على أهله . وقد أحسن في الأدب كل الاحسان ، وأتى بما تضعه العيون مكان الإنسان ، فلله فضله ودَرّه حيث قلدَ جيدَ الآدابِ لؤلؤه الثمينُ ودُرُّه ، وخلب الألباب سحره ، وملك مجامع القلوب نظمه ونثره ، فمن بديع نظامه ، ورفيع كلامه ، مخاطباً به العلامة السيد عمر المدرس المدني الداغستاني ، معرضاً له بالاقبال على زاد الآخرة والاعراض عن عَرَضِ الأماني :

ياويح مبتاع الضـلالة بالهدى	فلسوف يندم يوم يؤخذ بالنوا صي
ماهمـــه إلاّ لقاء كواعب	عرب تميس كأنها القضب النوا ضر
للنقص في الدنيا يسوء وانما	حسناته عند الحساب هي النوا قص
لم يدر أن لابد يوماً أن يرى	في آلة حدباء تندبه النوا دب
فيكون وهو بحالة لم ينتفع	ببكا البواكي بل ولا نوح النوا ئح
فدع التكاسل واستعد محاذرا	بغت المنون وماينوب من النوا ئب
واذكر الهك بكرة وعشية	واشكر له وصل الفرائض بالنوا فل
واعبده واتقه ولا تكفر به	وافعل أوامره ولا تأتي النوا هي
واسأله لا تسـأل سواه فإنه	من فيض بحر جوده ترجى النوا ئل
وارغب اليه وعُذبه متوقعا	فرجاً إذا نزلت بساحتك النوا زل

فاجابه المرسول اليه على اسلوبه

يافاضلا حـاز العلوم وسيدا	أبدى نظاماً حسنه راق النوا ظر

نظما بليغ اللفظ فيه الاكتفا ... حقاً لمن يبغي الغرائب والنوا ... در
كالروض في نسماته وبهـائه ... منها تفوح لمن يقابلها النوا ... فح
فيه الأزاهر من نصائحه لمن ... رام انتفاعاً من لطائفه النوا ... فع
يحتاج قارئهـا البكاء لذنبه ... حتى بنوح منه تمتلىء النوا ... حي
لله درك يافصيحـاً بالغاً ... أبدى بقوة فهمه الكلم النوا ... صح
نسخت بدائعك اللطائف نظمنا ... لله ما أحلى بدائعك النوا ... صع
وحويت مالم تحوه الأدباء من ... لفظ تفوق بها على نسج النوا ... سج
فلك الفصاحة والبلاغة كلها ... عضيت من عزم عليها بالنوا ... جذ
لازلت في روض السعادة راتعاً ... تجنى بسعدك منها الاثمار النوا ... سق

أخذ عن الشيخ محمد المشوني والشيخ محمد سعيد سفر وغيرهما . وأعلى أسانيده من طريق شيخه ابن سِنّه (بكسر السين وتشديد النون المفتوحة) المعمر مائة وخمسين سنة ، عن الشريف محمد بن عبد الله عن محمد بن اركماش الحنفي عن الحافظ ابن حجر العسقلاني بأسانيده المشهورة . مات المترجم المرقوم في المدينة المنورة عام ثمانية عشر ومائتين والف ودفن بها رحمه الله تعالى .

الشيخ صالح بن الشيخ محمد الدسوقي الاصل الدمشقي الولادة والمنشأ الشافعي (١)

عالم فاضل ، ونحرير عامل ، له في الولاية القدم الراسخ ، وفي أنواع العلوم المقام الشامخ ، ساد على أهل زمانه ، وفاق أجلاء عصره وأوانه ،

---

(١) ترجمه أستاذنا القاسمي في تاريخه فقال ما ملخصه : صالح بن محمد بن محمد الدسوقي شهرة ونسبا الحسيني .

ولد في أوائل (سنة ١٢٠٠ هـ) بدمشق ، ونشأ بها في كنف والده ، —

ومن غريب ما وقع في مدته ، ونسب تداركه إلى حضرته ، انه كان له تلميذ يقال له الشيخ قاسم الحلاق ، وكان من أنبه تلامذته على الإطلاق ، وكان له حجرة في جامع السباهية في محلة الدرويشية ، قد انقطع بها للعلم والعبادة ، وطلب النجاح والسعادة ، ثم انه في ليلة معلومة ، كان مدعواً بعد العشاء في أعزومة ، وبعد نصف الليل قد حضر ، وكانت الليلة ليلة أربعة عشر ، فدخل الجامع وأغلق الباب ، بعد أن ودع الرفقة والأحباب ، فوضع بعض ثيابه في حجرته ، ودخل الخلاء لقضاء حاجته ، ثم خرج وجلس على حجر أمام البركة حصة من الزمان ، لكي يأخذ حظه بشرب قليل من الدخـــان ، وكان إشراق البدر في كمال ، والوقت في غاية الاعتدال ، وهو قد أفرغ عليه السرور والبسط والحبور ، فلم يمض عليه حصة قليلة ، إلا وقد أقبلت نحوه هرة جميلة ، وصارت تتمسح بثيابه ، وتدور حول جنابه ، وهو يأنس بها وينظر اليها ، ويلمس بيده عليها ، حتى ارتقت على صدره وعضت أنفه ، كأنها تريد قطعه وقطفه ، فلطمها لطمة قوية ، كادت تذيقها كؤوس المنية ، فوثبت إلى طرف البركة وحملقت اليه ، حتى خاف أن تسطو عليه ، فبادر الذهـــاب ، ودخل الحجرة وقفل الباب ، ولونه قد انشحب وفؤاده قد اضطرب ، وأعضاؤه ترتعد

— وأخذ عنه وعن الشمس الكزبري وولده الشيخ عبد الرحمن ، وعن الشيخ حسين المدرس ، وعن الشيخ مصطفى الكردي ، وعن الشيخ خالد النقشبندي نزيل دمشق ، وغيرهم ، وتفوق واشتهر في دمشق اشتهاراً بليغا ، وتفرد في المعقول والمنقول . (وفي سنة ١٢٣٩ هـ) أفرغت عليه إمامة الشافعية في جامع السنانية ، فأم به وأحيا دروسه . وكان مهيباً وقوراً معتقداً كسلفه ، أخذ عنه جمع غفير . وكانت وفاته في مكة حاجاً (سنة ١٢٤٦ هـ) . ومن مؤلفاته رسالة سماها كشف الغمة ، في الرد على من حرم التهاليل على الأمة ، ومنها ديوان خطب ومولد ، ووجد بخطه حواش على كثير من الكتب المتداولة ، وهو آخر بيت الدسوقي بدمشق .

ارتعاد المحموم ، كأنه دنا أجله المحتوم ، فما مضى برهة ، إلا وسمع كلاماً من خارج الحجرة ، فأصغى بسمعه لذلك ، فسمع رجلاً يقول والله لأذيقنه غصص المهالك ، أين هو لأذيقه النكال والجحيم ، قالت هو في هذه الحجرة مقيم . فقام الشيخ وقد عدم الاقتدار ، وأخذ يجمع متاع الحجرة باليمين واليسار ، ويضع جميع ذلك وراء الباب ، وجعل ذلك لمنع دخول من سمعه من أكبر الأسباب ، فما رأى إلا يداً قد امتدت إلى داخل الحجرة وفتحت الأقفال ، ودفعت جميع ما كان وراء الباب بغاية الاستعجال ، ثم فتح الباب ودخل ، وقال يا بنتي أهذا الذي حصل منه ما حصل ، فقالت نعم يا مولاي ، هذا الذي ضربني وأوهن قواي ، فقال اصبري وانظري اليه ، وتأملي ما يجري عليه . ثم أمر بجماعة فأحضروا بين يديه ، فصار يضرب أعناقهم واحداً بعد واحد ، وينظر إلى الشيخ ويلقي القتلى عليه ، حتى امتلأت الحجرة ولم يبق بها مكان ، قال لابنته : ما تريدين أن أفعل الآن ؟ فاقترحي علي ، واتركي الأمر إلي . فقالت : يا أبت يكفيه ما وقع الآن ، وإن عاد باء بالنكال والخسران . ثم آب من حيث حضر ، والشيخ قد غاب عن إدراكه وصار حاله عبرة لمن اعتبر ، فلما علا النهار تفقدوه ، فلم يقعوا عليه ولم يجدوه ، فنظروا من خصاص الباب اليه ، فوجدوه ملقى وإشارات الموت عليه ، فاختلعوا الباب في الحال ، بعد أن كسروا الأقفال ، واحتملوا الشيخ إلى بيته وهو عن إدراكه ذهلان كأنه في بحران ، فحضر عنده شيخه المترجم ذو القدر المصون ، وعلق عليه تميمة وقرأ عليه شيئاً من الكلام القديم ذي السر المكنون ، فقام في الحال ، كأنما نشط من عقال . وكانت تعاوده هذه البنت من بعيد وتقول له إرم الحجاب وإلا قتلتك من غير ارتياب ، فيشكو لشيخه فيقول له إياك أن تسايرها في ذلك ، فتوقعك في الشدائد

والمهالك ، وما دامت التميمة عليك ، لا قدرة لها على الوصول اليك[١] .
توفي رضي الله عنه سنة ست وأربعين ومائتين والف في المدينة المنورة ودفن بمقبرة بقيع الغرقد (بالغين المعجمة) قال في المختار بقيع الغرقد مقبرة بالمدينة المنورة .

الشيخ صالح بن حيدر الكردي الاصل والشهرة الاشكتي الشافعي

إمام له في العلوم أطول باع ، وهمـــام قد اتفق الجل على فضله بلا نزاع ، قد تفرد في زمنه بكمال التحقيق ، وتوحـد بصواب الفهم وسداد التدقيق .

ولد بدمشق الشام سنة ثلاث وخمسين ومائة والف ونشأ بها ، وجد واجتهد في طلب العلوم ، إلى أن برع في فنّي المنطوق والمفهوم ، وكان إماماً في الحديث وأصوله ، وحصل من علم التصوف والحقائق على مطلوبه ومأموله ، وله في كل فن كال المعـــرفة والادراك ، ولم يكن له عن الافادة والاستفادة فكاك ، وكان أحـد أفاضل الشام الموصوفين ، ومن أجل نبلائها وأجلائها المعروفين ، إذا رآه الإنسان أجله وهابه ، وأعـلى قدره وأعظم جنابه ، قد أخذ عن الشيخ احمد العطـار ، وعن العلامة العلواني عمدة الأمصار ، وعن الشيخ محمد العاني ، والشيخ علي الداغستاني والشيخ محمود الكردي العمدة الفاضل ، والشيخ عبـــد الرحمن الكردي

---

(١) القصة في أصلها عاديّة وطبيعية ، وهي أنّ هرّة دخلت حجرة المترجم وأخذت تلمس بثيابه وتدور حوله ، وهو قد أنس بها ونظر اليها ، وتلمس بيده عليها ، فلما عضت أنفه ، لطمها هو لطمة قوية . وأما ما ترتب عليها من هذه الحكاية الغريبة ، فهو واقعة حال وكأنه ضرب من الخيال أو الخبال ، والله أعلم بحقيقة الحال .

ذي الأخلاق والشمائل ، والشيخ علي كزبر والحفني والملوي والبراوي ، وعن الفاضل الشيخ سالم الحفناوي ، وأخـذ الطريقة العاية النقشية عن الجليل المحترم المعظم الشهـاب الأيوبي الرحمتي ، وكان له في الطريق يد عليا ، وهمة سامية كبرى ، مات رحمه الله تعالى سنة ثماني عشرة ومائتين والف ، طيب الله ثراه آمين .

الشيخ صالح السقطي الدمشقي الصالحي الشافعي بن الشيخ عبد الغني بن الشيخ عبد القادر السقطي

الأديب الكامل ، والفقيه الفاضل ، والبارع الأوحد ، والهمام المفرد .

ولد بصالحية دمشق عـام الف ومائتين واثني عشر ، وقرأ على والده وعلى والدي ، وعلى العلامة الشيخ سعيد الحلبي ، وعلى الشيخ احمد بيبرس . وولي خطابة جامع الحنابلة بصالحية دمشق وخطابة السليمية ، وتوفي سنة خمس وأربعين ومائتين والف [١] ودفن عند أسلافه بقاسيون .

الشيخ صالح الدمشقي الحنفي امين فتوى دمشق الشام المعروف بابن أياس

فخر العلماء العاملين ، وصـــدر الفقهاء والمحدثين ، رحلة الطالبين وخاتمة المحققين .

ولد بدمشق سنة تسع وسبعين ومائة [٢] ، وأخذ عن السيد شاكر العقاد المعروف بمقدم سعد العمري ، وعن العلامة الشيـــخ محمد الكزبري ، وعن الشهاب المنيني ، وولي خطـــابة جامع قلعة دمشق المنسوب لأبي

---

(١) في روض البشر : (وتوفي سنة ١٢٤٢ هـ) .

(٢) في تاريخ الشطي : ولد (سنة ١١٨٨) هـ .

الدرداء حينما كانت سكناً لبعض الدمشقيين ، ثم انتقل من القلعة وسكن بمحلة الشاغور ، وتصدر لافادة الطالبين ، وولي أمانة الفتوى بدمشق أيام مفتيها المولى أسعد افندي البكري الصديقي ، ولم تطل المدة حتى توفي في سنة إحدى وخمسين ومائتين والف ، ودفن بسفح قاسيون قرب مقبرة بني السقطي رحمه الله تعالى .

الشيخ صالح بن سعيد بن احمد الدمشقي الحنفي المعروف بالاسطواني (١)

ولد بدمشق سنة عشر ومائتين والف ونشأ بها ، وقرأ على الأفاضل ، وكان صالحاً لطيفاً متواضعاً لين الجانب حسن الأخلاق مواظباً على صلاة الجماعة لايشغله عنها شاغل ، وتولى خطابة الجامع الأموي فخطب مدة ثم فرغها على ولده راغب افندي . مات صاحب الترجمة عاشر ربيع الآخر سنة الف ومائتين وأربع وتسعين ودفن في مقبرة الذهبية في الدحداح (٢) .

الشيخ صالح بن المرحوم الشيخ احمد بن المرحوم الشيخ سعيد المنير (٣)

الدمشقي الشافعي من طائفة ذات حسب ونسب وجـاه عظيم وعلم وأدب ، وكان المترجم من أحسنهم لطفاً ، وأجملهم نباهة وظرفاً . قرأ

---

(١) في تاريخ الشطي : ولد بدمشق(سنة ١٢١٩ هـ) وأخذ عن أبي حنيفة زمانه الشيخ سعيد الحلبي والعالم محمد الرومي ، والفقيه هاشم التاجي والمفتي مصطفى المغربي التهامي وغيرهم . وأخذ عنه جماعة وانتفعوا به ، وأصيب قبيل وفاته بولده الفاضل راغب افندي فصبر . اه مختصرا .

(٢) انتهت ملخصة من ترجمة شقيقه المطولة وتجدها في (تراجم أعيان دمشق في نصف القرن الرابع عشر ١٣٠١ ـ ١٣٥٠) وهو ذيل لروض البشر للأستاذ الشطي .

(٣) لهذا العلاّمة الجليل ترجمة مفصّلة بقلم شقيقه العالم الشيخ عارف ، ذكر فيها أسماء شيوخه الأجلاء ، والعلوم والفنون الشرعية والعربية التي قرأها عليهم ، (ثم قال) : ــ

على والده مدة مديدة ، وأخذ عنه فنوناً عديدة ، وقرأ على الشيـــخ سليم العطار ، وغيره من الســـادة الأخيار ، ثم قرأ على شيخنا الشيخ محمد الطنطاوي حتى فاق وظهر شأنه ، ورجح في العلم ميزانه ، وسما ذكره ونما قدره ، وطلبته الطلبة من كل جانب ، ومالت اليه أعناق الرغائب ، وله درس جامع بين العشاءين في جـامع بني أمية ، في التفسير الشريف وما شاكله من المقاصـــد العلية ، وكأن مكانه الذي يجلس فيه للتدريس يناديه ، رغماً على أنف حاسده ومعاديه :

قلدت من درّك المنظوم لاتجسا ... جيد الفضائل عقدا قط مالبسا
وصغت منثوره تاجاً علا وغلا ... قدراً وسعراً ولا والله ماوكسا
هات الحديث عن السادات متصلا ... ثم اروه عالي الإسناد لاحبسا

—— وتأهل المترجم للتدريس في حياة والده وشيوخه ، فاذنوا له في التدريس (سنة ١٢٨٧ هـ) فدرس في الجامـع الأموي بين العشاءين ، وفي الأشهر الثلاثة ، وبعد صلاة الجمعة ، ودرّس في المدرسة الاخنائية شمالي الجامع المذكور ، واجتمع عليه الطلبة ، وانتفع به جماعة كثيرون ، وكان في كل عام يصلي التراويح في الجامع المقدم ذكره بختمة كاملة . وكان له يد في تأسيس المكتبة الظاهرية ، والمدارس الابتدائية ، وعين عضواً في مجلس المعارف مرات . وفي (سنة ١٢٩٩ هـ) قصد الأستانة في حياة والده ، فوجه عليه تدريس كتاب الشفا في الجامع المنوه به ، ثم تردد إلى دار السلطنة المذكورة مرات كثيرة ، واجتمع برجالها . وكان جم همته لمطالعة التوراة والانجيل ، حتى صارت له فيهما ملكة ، فكان كثيراً ما يذهب إلى الكنائس والبيع ويجادلهم . ولمّا وقعت المجادلة بين البروتستانت في جريدتهم (النشرة الاسبوعية) وبين اليسوعية في جريدتها (البشير) صـــار المترجم حكماً بينهم ، وكتب في ذلك رسالة طبعتها الجريدة المذكورة ، ثم أفردتها وجعلتها رسالة مستقلة . وكان كثيراً ما تنشر له الجرائد مقالات من قلمه ، خصوصاً الجوائب في الأستانة والجنان في بيروت واشتهر بذلك . ولما سمع صاحب الترجمة ان في مصر والاسكندرية محافل للبروتستانت فتحت للمباحثة مـــع المسلمين توجه قاصداً المحافل المذكورة في جمع من العلماء ، فجادل القسوس والرهبان ، وتغلب عليهم علنا . ثم آب راجعاً إلى دمشق .

وتوجه مراراً إلى الدار العلية ، والعاصمة الإسلامية ، وفي المرة الأولى وجهت عليه باية ازمير المجرّدة وفي المرّة الثانية وجهت عليه باية ادرنه المجردة أيضا ، ثم إنه كان قد وقع بينه وبين أخيه شقيقه عارف افندي مباغضة أوجبت مرافعة بينهما في الحكومة ، فما زال يتفاقم الأمر بينهما إلى أن ذهب المترجم في المرة الأخيرة إلى الآستانة لأجل تتميم دعواه مع أخيه ، فطلبته المنية ، إلى السعادة الأبدية ، وذلك سنة الف وثلاثمائة وإحدى وعشرين ودفن في مقبرة الآستانة .

الشيخ صالح بن محمد سعيد بن حماد الحمادي المدني الخطيب

الأديب الذي حاكى نظمه الدرر ، واللبيب الذي لآلىء نثره كلها غرر ، قد انفرد في فن المحاضرة ، وانتهى اليه علم حسن المذاكرة ، قد أخذ عن أفاضل الشيوخ وشيوخ الفضائل ، وأذعن له الخاص والعام بأنه من السادة الأفاضل ، وكان مثابراً على القراءة والإقراء ، وأجازه شيوخ عصره ووصفوه بأوصاف الفضلاء البلغاء ، واذنوا له بالإفادة والتدريس ، وبالافتاء على مذهب سيدنا محمد بن ادريس ، لما رأوا من تحقيقه وجودة فهمه وتدقيقه ، وقد نظمه صاحب اللآلي الثمينة ، في سلك تراجم أدباء المدينة ، فقال فيه يصف حاله ويذكر أدبه وكماله : مبدي الكلمات الرائقة ، التي هي بالحسن للقلوب شائقة ، والنظم النفيس ، الذي ليس لجناسه جنيس ، والنثر الذي يلمه بنان الأفهام في اطباق مجامع القلوب ، وتشرب الأرواح طرباً منه راح معان في كأس الابداع مصبوب ، مع صدق لهجته ووضوح محجته ، وانتشار فضل أشرقت كمل بدوره ، وذكاء اناله من العلم عرائس خدوره ، وحسن معاملات وأخلاق تشهد له بأنه الإمام الهمام الفيلق الغيداق[1] . فمما أبدته خزائن أذهانه من جملة كلمه وعقيانه[2] ، مجيباً عن القصيدة التي مدحه بها عمر افندي المدرس :

---

(١) الكريم ، الجواد .

(٢) الذهب الخالص .

تجلت لنا ذات السنا المتألق تميد بقد بالملاحة مشرق
بأبهى محيا زانه در مبسم تحيي بأشهى من حميا مروق
تتيه دلالاً في حلي وحلة وتزهو جمالاً قد حلا بترقرق
رشيقة شكل زينت بمحاسن بديعة حسن أتقنت بتأنق
ترق بظرف تسترق به النهى وترنو بطرف للقلوب مفوق
شمائلها تحكي الشمول لطافة وتروي لنا ريا الشمال المعبق
فأهدت سلاماً رق معنى لسامع وأبدت كلاماً دق معنى لذائق
فهمت بها لما فهمت خطابها وقابلتها مذ أقبلت بتشوق
وقبّلتها حباً لها وقبلتهـــا وأمهرتها روحي وجسمي وما بقي
ولم لا ومهديها السراج ضياؤنا أخو الفضل بل رب الكمال المحقق
مجيد لأفراد المناقب أجمعـــا مجيد إلى أعلى المراتب مرتقي
همام له الباع الطويل تفضلا يفيض به من بحره المتدفق
أديب أريب لا يجارى بحلبة البـــــديع وفي الإبداع أبرع مفلق
فيا بارعاً وشى الطروس بنثره ونظم كما الدر النضيد المنسق
ومن سخرت أعلى المعاني له متى دعاها أجـــابته بغير تعوق
أتت بنت فكر منك تخطب خطة يضيق نطاقي عن نداها ومنطقي
ولولا الحيا من وجه جاهك سيدي مطلت بها فالمطل حيلة مملق
فدونكها خجلاء عطلا فحلها بحلي قبول بالتفضل أليق
ودم وابق واسلم في هناء وغبطة برغم حسود لا يغيظك أحمق

ولم يزل هذا المترجم مستوياً على عرش أدبه ، متصاعداً في ترقيه نحو بلوغ أربه ، إلى أن قصد الدار الآخرة ، وسكن غرفته السامية الفاخرة ، وذلك في أوائل القرن الثالث عشر رحمه الله تعالى .

الشيخ صالح بن أحمد بن موسى بن أبي القاسم المغربي المالكي الخلوتي الشهير بالسموني

العلم الفرد في العلوم والمعارف ، والأوحد المقصد في بدائع اللطائف والطرائف ، من اشتهر بالعبادة والطاعة ، وعرفه الناس بالزهادة والقناعة . ولد في جزيرة وغليس من أعمال الجزائر الغربية سنة أربعين ومائتين والف ، ونشأ بها وأخذ عن علمائها الكرام ، وجهابذتها الفخام ، واستقام بها اثنتين وعشرين سنة وهو مجد في طلب العلوم الشرعية ، ومجتهد في تحصيل العلوم النقلية والعقلية . ثم لما أخذت الدولة الفرنسية الجزائر ، وتعطلت المساجد والمنابر والمنائر ، هاجر المترجم إلى دمشق الشام ، وذلك سنة أربع وستين ومائتين والف من هجرة سيد الأنام [١] ، فجعلها محل إقامته ، وموطن راحته وكرامته . وأخذ عن علمائها العظام أنواع الفضائل ، إلى أن صار معدوداً من الأفاضل . وله منظومة في فقه السادة المالكية ، وقد كتب عليها حاشية جليلة جلية ، وله شرح على رسالة في علم الميقات ، قد جمع فيه ما نثرته يد الشتات ، وله تاريخ على طريق الرمز والايماء والاشارة ، وصل فيه لقدوم محمد رشدي باشا الشرواني الوزير الاعظم الذي كان قد تولى الصدارة ، وله فيه أسلوب عجيب ، وطريق نادر غريب . وكان صالحاً تقياً وفالحاً نقيا ، رفيع المقام وافر الاحترام ، مقبلاً على الله مدبراً

---

(١) أحيت الجزائر ، ذكر الأمير عبد القادر ، في جهادها الأخير ، الذي لم يسبق له نظير ، إلى أن كتب الله لها الاستقلال التام . وكان عيد استقلالها الوطني يوم الخميس (في ٥ ج ٢ سنة ١٣٨٢ هـ — ١ تشرين ٢ سنة ١٩٦٢ م) فعطلت عندنا المدارس الرسمية ، والدوائر الحكومية ، وشادت بذكره إذاعات العالم ، فالحمد لله على ما أنعم من استقلال الشمال الافريقي العربي الاسلامي ، ونسأله سبحانه التوفيق لما يحب ويرضى .

عما سواه ، جميل المقال جليل الخلال ، لم يزل على حاله ، متخلياً من الدهر عن أوحـــاله ، إلى أن خطبته دواعي المنية ، إلى دار الآخرة العلية ، وذلك لثلاث بقين من شهر جمادى الآخرة سنة خمس وثمانين ومائتين والف ، دفن في مقبرة باب الصغير ، قرب قبر المرحوم العلامة الشيخ محمد الكزبري رحمه الله تعالى .

السيد صالح افندي بن السيد عبد القادر افندي بن السيد أحمد بن السيد حسن بن السيد مصطفى بن السيد عبد الرحمن بن السيد اسماعيل بن السيد محب الدين الحصني الحسيني

المعروف بابن تقي الدين ، فهو الحسيب الذي لا ريب أنه من أشرف العنـــاصر محسوب ، والنسيب الذي هو إلى أعظم الأكابر منسوب ، من سلسلة تسلسلت إلى أشرف إنسان ، وارتقت إلى مكان قيل فيه ليس في الامكان أبدع مما كان . قد ارتفع شرفه على كاهل الفخار ، واستوى سؤدد مجده على ذروة المدار ، فلله دره من أديب طاف حول كعبة لطفه ذوو الأدب ، وأريب سعى بين مَرْوَةِ سنائه وصَفَا صفائه ذوو الأرب ، قد أينع زهر كماله في حدائق الفضائل ، وأشرق بدر جماله فاهتدى به أولو الوسائل .

ولد في دمشق الشام ، دار آبائه وأجداده السادة الكرام ، وذلك سنة ثلاث وخمسين ومائتين وألف ، ونشأ في حجر والده المعروف بكل كمال ولطف ، ثم بعد أن قرأ القرآن العظيم وجوده ، صرف همته إلى الخط فنال منه أحسنه وأجوده ، ثم حضر دروس العلماء ، ولازم مجالس الفضلاء ، فأتقن العلوم العربية ، واجتهد في تحصيل العلوم الشرعية ، إلى أن بلغ مناه ،

وحاز على ما تمناه ، وأجازه علماء زمانه بالإجازة العامة ، وكتبوا له ما يدل على كمالاته التامة ، وتقدم لدى أهل زمانه ، وتسامى مقامه بين أقرانه ، ثم سار إلى الآستانة دار السلطنة العثمانية فاستقام بهـا مدة ، ثم سار إلى الحجاز لقضاء الفريضة الإسلامية ، وبعد اداء فريضة الحج الشريف بالتمام ، توجه لزيارة جده المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام . ثم بعد مدة توجه إلى الدار الدمشقية ، فاستقام بها مدة ثم رحل منهـا إلى الدار العلية ، فجعلها محل تجارته ، وموطن إقامته ، وفي سنة أربع وتسعين ومائتين والف وجهت عليه نقابة القدس الشريف ، وقد أناب من قام عنه بهذا المنصب المنيف ، ودخل في سلك المناصب العلمية ، إلى أن وصل إلى باية بروسه السنية ، من البلاد الخمس الموصلة للحرمين ، وعين السعادة ملاحظة له بما تقرّ به العين ، ولم يزل ملازماً على الأدب والخضوع ، والتذلل والعبادة والخشوع ، وزيارة الصالحين وحب المساكين ، ومساعدة ذوي المقاصد ، والإكرام لكل قاصد . وله هيئة حسنة ومعاشرة مستحسنة ، وتقوى وعبادة وقناعة وزهادة ، وفي شهر ربيع الأول سنة الف وثلاثمائة وسبع ، وجهت عليه نقابة أشراف الشام ، فمكث بها سنتين وفي الثالثة توجه إلى الحجاز الشريف والحرم السامي ذي القدر المنيف ، وبعد اداء النسك والعبادة ، دعاه إلى دار الآخرة داعي السعادة ، فكانت وفاته في شهر ذي الحجة الحرام سنة الف وثلاثمائة وعشر من هجرة سيد الأنام [1] .

---

(١) ترجمه ابن أخيه السيد محمد أديب تقي الدين فقال : وأجازه بالعلوم النقلية والعقلية علماء دمشق الأعلام ، ومن أكابر الآستانة شيخ الإسلام حسن فهمي ، (قال) : ثم رحل ثانياً إلى الآستانة (سنة ١٢٩٢ هـ) ، فأقام بها مدة طويلة ، وتعرّف إلى كثير من رجالاتها وأعيانها ، وشهدوا له بالديانة والأمانة اهـ خلاصة ما نقله ابن أخيه السيد أديب (في ج ٢) من كتابه منتخبات التواريخ بدمشق عن عكاظ الأدب للعلامة السلاوي .

الشيخ صبغة الله افندي بن ابراهيم بن حيدر الحيدري
مفتي الشافعية في بغداد (١)

الحجة البالغة ، والمحجة النابغة ، والكعبة المحجوجة ، والروضة المبلوجة ، نقطة كرة العراق ، (وفارس) ميدان جولان السباق ، وعمدة الأحكام الشرعية ، ونخبة السادة الشافعية .

ولد سنة الف ومائة وإحدى وستين بماوران واسمه تاريخه ، ونشأ في العلم والطاعة ، وبرىء من الكسل والإضاعة ، وأخذ عن مشايخ عصره ، وأئمة مصره ، مع الهمة والاجتهاد ، إلى أن بلغ رتبة الترجيح والانتقاد ، فأجازه الأفاضل ، وشهدوا له بالفضائل ، وعاملوه معـاملة الشيوخ ، ذوي القدم الثابت على ذروة الرسوخ ، مع الزهد والورع ، والبعد من المصانعة والطمع . كيف لا وهو ابن من رقى وعلا ، وساد في جميـع أطواره جميع الملا ، علي ابن عم سيد الورى من تقدم في مقام القرب والناس ورا ، فهذا هو الشرف الأعلى ، والمجد الذي هو بكل مديح أولى ، ثم انتقل من بلده ماوران إلى دار السلام بغدان ، فاشتهر بها أمره ، وعلا قدره وطار في الآفاق ذكره ، وعرفت قدره الوزراء ، والعلمـاء والفضلاء ، وتولى إفتاء السادة الشافعية في مدينة العراق السنية ، فـكان للحق ناصرا ، وللباطل حاسرا ، وللمحق وزيرا ، وللمبطل نذيرا . وكان ذا أخلاق حسنة ، وصفات مستحسنة ، وقد أخذ الطريقة النقشية العالية ،

---

(١) شيخ مشايخ بغداد في عصره ، ولد في قرية (ماوران) واستوطن بغداد ، إلى أن توفي فيها بالطاعون ، له كتب ، منها « حاشية على البيضاوي ، وحواش على حواشي عصام الدين على شرح الـكافية للجامي » و « حواش على المحاكمات والفوائد لأحمد بن حيدر » .

عن قطب العرفان ذي المعارف السامية ، مولانا الشيخ خالد ، حباه الله من فضله القدر الزائد ، فأحسن في سيره ، وتقدم من أرباب الطريق على غيره ، ولم يزل مثابراً على العلم والعمل ، إلى أن وافاه الأجل ، سنة الف ومائتين ونيف وعشرين [١] .

الشيخ صديق بن علي المزجاجي الزبيدي الحنفي

ولد سنة الف ومائة وتسع وخمسين تقريباً ثم أتقن كتب الحديث والفقه الحنفي وسافر للدرس والتدريس إلى (مخا) ثم رجع إلى (صنعا) .

قال صاحب البدر الطالع : ووصل إليّ ولم أكن قد عرفته قبل ذلك ولا عرفني ، وجرت بيني وبينه مذاكرات في عدة فنون ، ثم خطر ببالي أن أطلب منه الاجازة فعند ذلك الخاطر طلبها مني ، فكان ذلك من المكاشفة ، فأجزت له وأجاز لي وكان إذ ذاك سنه فوق خمسين سنة ، وعمري دون الثلاثين ، ثم ما زال يتردد إلي وفي بعض المواقف بحضر جماعة وقعت بيني وبينه مراجعة في مسائل ، وأكثرت الاعتراض في مسائل من فقه الحنفية وأوردت الدليل ، وهو يتمحل في الجواب لما يوافق الحنفية وينتصر لهم ، فلما خلوت به قلت له اصدقني هل ما تبديه في المراجعة تعتقده اعتقاداً جازماً فان مثلك في علمك بالسنة [٢] لا يظن به أنه يؤثر مذهبه الذي هو محض الرأي في بعض المسائل على ما يعلمه

---

(١) في الأعلام ومعجم المؤلفين ، كانت وفاته (سنة ١١٨٧ هـ) وبينها وبين الحلية في سنة الوفاة فرق بعيد .

(٢) السنة ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقوال أو أفعال ، أو تقريرات ، وهي المصدر الثاني من مصادر التشريع ، يستنبطون منها كما يستنبطون من المصدر الأول وهو القرآن ، ويرجعون اليها في فهم المراد منه .

صحيحاً ثابتاً عن رسول الله ﷺ ؛ فقال لا أعتقد صحة ما يخالف الدليل وإن قال به من قال ولا أدين الله بما يقوله أبو حنيفة وأصحابه إذا خالف الحديث الصحيح ، ولكن المرء يدافع عن مذهبه . مات في حدود الف ومائتين وأربعين انتهى . ولله در أبي عبد الله محمد بن علي الصوري يذكر الحديث وأهله فقال وأحسن في المقال :

قل لمن عاند الحديث وأضحى عائباً أهله ومن يدعيه

أبعلم تقول هذا أبن لي أم بجهل والجهل خلق السفيه

أيعاب الذين هم حفظوا الدين من الترهات والتمويه

وإلى قولهم وما قد رووه راجع كل عابد وفقيه

وهل لا يعاب على قوم تركوا الحديث والعمل بما فيه ، وتمسكوا بأقوال تناقضه وتنافيه ، قال بعض الأفاضل :

رفض السنة قوم فتنوا علموا الباطل وانقادوا اليه

ورجال لم يخونوا عهدهم صدقوا ما عاهدوا الله عليه

صديق خان أبو الطيب بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني القنوجي البخاري (١)

فاضل حظه من المعرفة وافر ، وكامل وجه أمانيه طلق سافر ،

(١) محمد صديق خان أبو الطيب ، زوج ملكة بهوپال :
الامام الكبير في التفسير والحديث والفقه والأصول والتاريخ والأدب والشعر والكتابة والتصوف والحكمة والفلسفة وغيرها . ولد ونشأ في قنوج (بالهند) وتعلم في دهلي ، وسافر إلى بهوبال طلباً للمعيشة ، ففاز بثروة وافرة ، قال في ترجمة نفسه : « ألقى عصا الترحال في محروسة بهوبال ، فأقام بها وتوطن وتمول ، واستوزر وناب ، وألف وصنف » وتزوج بملكة بهوبال ، ولقب بنواب عالي الجاه أمير الملك بهادر . له نيف وستون مصنفاً بالعربية والفارسية والهندية اهـ من جلاء العينين والأعلام وغيرهما .

ما زال من الرفعة في أعذبها شرعة ، ومن الحظوة في أسوغها جرعة ، له في الخلق والخلق من الرضوان روضان ، وفي النثر والنظم من المرجان مرجان ، فهو عقد نبلاء الأفاضل ، وبيت قصيد ذوي الفضائل ، من طار صيت علاه وحلاه في الأقطار ، وتطاولت اليه الأبصار من الأمصار ، فلا ريب أنه فرد العصر في كل فضيلة ، وفهد ذوي القدر للوقوف على حقيقة كل مقصد ووسيلة ، وقد ترجمه بعض السادة الأفاضل ، فذكر بعض ماله من الفضائل ، فقال : هو السيد الإمام العلامة الملك المؤيد من الله الباري ، أبو الطيب صديق بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني القنوجي البخاري ، المخاطب بالنواب عالي الجاه أمير الملك خان بهادر ، أدامه الله تعالى بالعلا والتفاخر . من ذرية السبط الأصغر الشهيد الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه .

ولد في شهر جمادى الأولى في التاسع عشر منه يوم الأحد في سنة ثمان وأربعين ومائتين والف هجرية ببلدة قنوج المحمية ، (بكسر القاف وفتح النون المشددة وسكون الواو على زنة سنور) وعليه من السيادة العليا والسعادة العظمى مخايل ، ومن السؤدد والشرف براهين ودلائل . فربي في مهد الآداب والشمائل الجميلة ، وتعلق من حال صباه بالخصال المرضية والخلال الجليلة ، وكان من أجل ما أنعم الله به عليه أن صرفه برحمته الخاصة عن الاشتغال بمحدثات العلوم التي جدواها قليل ، والخوض في مبتدعات الرسوم التي عدواها جليل ، وقد أجزل له المنة ، وكشف الله به عن الحقيقة الشرعية كل دجنة ، ووفقه لتفسير كتابه العزيز وحبله المتين ، ودراسة سنة نبيه المأمون الأمين ، فاشتدت رغبته فيها وتطلعه اليها ، واستئناسه بها وإدامة النظر في كتبها ، واطلاعه على ثناياها ،

وتفحصه عن خباياها ، حتى رزقه الله حظاً صالحاً ومقاماً في الأنام راجحاً ناجحا ، وهو في ذلك أخذ بحجزة الاتباع ، شديد التوقي من نواشط الرأي والابتداع (النواشط : جمع ناشط وهو الثور الوحشي يخرج من أرض إلى أرض) ، فنمي بذلك علمه ، وتوفر من القبول سهمه ، وجرى بالخير التام والثناء الحسن على ألسنة المتبعين اسمه :

نوابنا الصديق نابغة الزمن   يطوى به الذكر الجميل وينشر

وكان أخذه هذا العلم الشريف وانتفاعه فيه عن أكابر ممن أدركهم من محدثي اليمن الميمون وعلماء الهند ، ولما حصلت له الإجازة المعتبرة من مشايخ السنة ، وأسُود غابات الحديث شداد المنة ، شمر عن ساق الجد والهمة ، لجمع الأحكام التي نطقت بها أدلة الكتاب وحجج السنة ، من غير تعصب لعالم من أهل العلم ومذهب من المذاهب ، وألّف في كل باب من أبواب الشريعة الحقة الصادقة المحمدية ما لم يؤلف مثله لهذا العهد الأخير ، وانتفع به أجيال من الناس كثير ، وسارت بمؤلفاته الركبان إلى أقطار الأرض هندها وشامها ويمنها ، ومصرها ورومها ، وحجازها وشرقها وغربها ، وذلك من فضل الله تعالى ، وكان فضل الله عليه كبيرا . ثم إن الله سبحانه وتعالى خوله من المال الكثير ، ومنّ عليه بالحكم الكبير ، والأولاد السعداء والنسب الجيد ، والحسب المزيد ، ما يقصر عن كشفه لسان اليراع ، ولو كشف عنه الغطاء ما ازداد الواقف عليه إلا يقيناً وإن أنكرته بعض الطباع ، وهو الذي يقول لأخلافه مقتدياً بأسلافه بفم الحال ولسان المقال : « اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور [1] » « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار » [2]

---

(١) سورة سبأ : الآية ١٣ .

(٢) ابراهيم : ٣٤ .

وقد طعن الآن في عشر الخمسين من العمر المستعار ، مع ما هو مبتلى به من سياسة الرياسة وفقد الأحبة والأنصار ، وكثرة الأعداء الجاهلين بالقضايا والأقدار ، والمرجو من رب العالمين ، أن يجعله ممن قال فيهم « وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين[1] » والحمد لله الذي جعله محسوداً لا حاسدا ، وصابراً شاكراً ولم يجعله فظاً غليظ القلب معاندا ، ولله در الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله .

وهذه أسماء كتبه المؤلفة على ترتيب حروف المعجم المطبوعة في مطبعة رياسة بهوبال المحمية ، وغيرها من البلدان العظام ، ويزيد الله في الخلق ما يشاء وهو المتفضل ذو الإنعام .

حرف الالف

أبجد العلوم ، إتحاف النبلاء المتقين بإحياء مآثر الفقهاء المحدثين بالفارسي ، الاحتواء في مسئلة الاستواء ، الإدراك في تخريج أحاديث ردّ الاشراك ، الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة ، أربعون حديثاً في فضائل الحج والعمرة ، إفادة الشيوخ في معرفة الناسخ والمنسوخ فارسي ، الاكسير في أصول التفسير فارسي ، إكليل الكرامة في تبيان مقـاصد الإمامة ، الانتقاد الرجيح في شرح الاعتقاد الصحيح .

حرف الباء الموحدة

بغية الرائد في شرح العقائد فارسي ، البلغة في أصول اللغة ، بلوغ السول من أقضية الرسول .

حرف التاء الفوقية

تميمة الصبي في ترجمة الأربعين من أحاديث النبي ﷺ .

---

(١) النحل : « ١٢٢ » .

حرف الثاء المثلثة

ثار التنكيت في شرح أبيات التثبيت فارسي .

حرف الجيم

الجنة في الاسوة الحسنة بالسنة .

حرف الحاء المهملة

حجج الكرامة في آثار القيـــامة فارسي ، الحرز المكنون من لفظ المعصوم المكنون ، حصول المأمول في علم الأصول ، الحطة في ذكر الصحاح الستة ، حل الأسئلة المشكلة .

حرف الخاء المعجمة

خبيئة الأكوان في افتراق الأمم على المذاهب والأديان .

حرف الدال المهملة

دليل الطالب إلى أشرف المطالب فارسي .

حرف الذال المعجمة

ذخر المحتي في آداب المفتي

حرف الراء المهملة

رحلة الصديق إلى البيت العتيق . الروضة الندية شرح الدرر البهية . رياض الجنة في تراجم أهل السنة .

حرف الزاي

حرف السين المهملة

السحاب المركوم في بيان أنواع الفنون وأسماء العلوم ، وهو القسم الثاني من هذا الكتاب . سلسلة العسجد في ذكر مشايخ السند فارسي .

حرف الشين المعجمة

حرف الصاد المهملة

حرف الضاد المعجمة

حرف الطاء المهملة

حرف الظاء المعجمة

حرف العين المهملة

حرف الغين المعجمة

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حوف اللام

لف القماط على تصحيح ما استعمله العامة من الأغلاط . لقطة العجلان مما تمس الى معرفته حاجة الإنسان .

حوف الميم

مثير ساكن الغرام إلى روضات دار السلام . مراتع الغزلان في تذكار أدباء الزمان . مسك الختام شرح بلوغ المرام ، باللسان الفارسي . منهج الوصول إلى اصطلاح أحاديث الرسول ، باللسان الفارسي .

حوف النون

نيل المرام في تفسير آيات الأحكام .

حوف الواو

الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم المنثور منها والمنظوم ، وهو القسم الأول من هذا الكتاب .

حوف الهاء

هداية السائل إلى أدلة المسائل ، بالفارسي .

حوف الياء

يقظة أولي الاعتبار فيما ورد في ذكر النار وأصحاب النـــار . هذا ما وقع في الماضي وإلى الآن في الزيادة والتوجه إلى تصنيف كتب شتى . وفي الحقيقة ان مثله لا يكون في هذا الزمن ، مع ما هو فيه من الامتحان ، وقد آن أن نقبض جواد القلم عن الطراد في وصفه ، فإن الكلام فيه بحر تيار وعباب زخار ، وفيما ذكرنا كفاية لأولي الألباب ، والله الموفق لإصابة الصواب .

تتمـــة

إن هذا السيد المترجم ، والأستاذ السند المعظم ، توجه في شهر شعبان سنة خمس وثمانين ومائتين والف إلى بيت الله ، فقدم مكة المكرمة وجدد عهداً بالركن والحطيم ، وتنسم من عرف عرفات وتمتع من ارج ذاك النسيم ، ثم شد الرحال إلى زيارة السيد المصطفى قطب دائرة الكمال ، فزار المرقد النبوي الأنور ثم مرقد الآل الأطهر ، وتمتع بزيارة من سلف ، ممن لهم كال الفضل والشرف ، ثم عاد إلى محروسة بهوبال المحميـــة ، فاستقبلته خلافة الهند السامية البهية ، حيث انه تزوج بوالية مملكتها وحامية حوزتها ، المزرية طلعة كمالها بشرف الشمس والقمر ، والمستوية حامية إمارتها على عرش الظفر ، تاج الهند المكلل ، وطراز المجد الرفيع الأول ، نواب شاه جهان بيكم ، أحسن الله اليها وتفضل وأنعم ، وفسح في حياتها وبارك لها وعليها في أوقاتها .

فجلس هذا المترجم مجلس الخلافة في الأمور الدولية ، وقام مقـــام السيدة المشار اليها في إنفاذ الأوامر السنية ، وانتفع الناس بجوده وبذله ، وعلمه وحكمه وفضله ، وعاد إلى مملكته ماء الشبيبة بعد المشيب ، وظهر غصنها الذابل في نضرة الرطيب ، وغدا بردها البالي قشيبا ، وأصبـــح جدبها الماحل خصيبا ، وارتفعت بها قصور العلم بعد ما كانت رسوماً عافية ، واستبانت معالم الفضل بعد ما كانت اغفالاً خافية . وذلك لأنه كان ملياً بالعلوم ، متضلعاً منها بالمنطوق والمفهوم ، مجتهداً في إشاعتها ، مجدداً لإذاعتها ، مع كونه يرى ذاته الشريفة كآحاد المسلمين ، ويتواضع مع كل واحد من الناس لله رب العالمين ، ويتحاشى كاله عن الدنيا وزخارفها ، ويتجافى بقلبه عن مراقيها ومعاطفها ، وأحيا السنن الميتة في ذلك المكان ، بالأدلة البيضاء من السنة والفرقان ، فهو سيـــد علماء الهند في زمانه ،

وابن سيدهم الذي برع فضلاً في عصره وأوانه ، فخضعت له النواصي ، وشهد بكماله الداني والقاصي ، ولم يزل يزيد علوم الشريعة بهاء ونضارة ، ويفكك عقود أكمامها بأحسن عبارة وألطف إشارة ، واشتد اشتغاله بها تصنيفاً وتأليفا ، وطالت يده البيضاء في بنيانها ترصيصاً وترصيفـــا ، ولم يزل مقامه يسمو ، وقدره يعلو وينمو ، إلى أن دعاه الداعي لدار جزائه ، ولحصوله على غاية مرامه ونهاية منائه ، وذلك سنة الف وثلاثمائة ونيف .



حرف الطاء

السيد الشيخ طاهر بن محمد الانباري

كان فاضلاً نبيهاً ، وعالماً متفنناً فقيهاً ، لازم السيد سليمان الأهدل ، وقرأ عليه تفسير البيضاوي والبغوي وحصل له فتوح عظيم في سائر العلوم ، وتخرج عليه عدة علماء محققين . ومن كلامه : اللبيبُ من إذا سبقه الناس بالعلم سبقهم بالعمل ، وإذا سبقوه بالعمل سبقهم بالإخلاص لله عز وجل ، وإذا سبقوه بالإخلاص سبقهم بالثبات على ذلك إلى الممات . وكمال الإنسان في ثلاثة أمور : علوم يعرفها ، وأعمال يعمل بها ، وأحوال تترتب على علومه وأعماله :

العلم ليس بكاف ربه شرفاً   إن لم يكن عمل ما فيه تلبيس
لو كان بالعلم من دون التقى شرف   لكان أفضل خلق الله إبليس

توفي رضي الله عنه سنة الف ومائتين و . . .

الشيخ طاهر بن سعيد المعروف بسنبل الدمشقي

من العلماء المعروفين ، والأعيان المشهورين ، ولد بدمشق سنة الف ومائة وخمسين تقريبا ، ونشأ بها وقرأ على أخيه الشيخ محمد وعلى والده وغيرهما ، حتى برع وفاق واشتهر في الآفاق ، وكان ناهجاً منهج الزهادة والتقوى والعبادة . مات رحمه الله عام الف ومائتين وثمانية عشر .

طاهر افندي مفتي دمشق الشام بن عمر افندي الخربوتلي الحنفي الدمشقي

ولد في خربوت سنة خمس عشرة ومائتين والف ، ثم قدم مع والده إلى دمشق وتوطن بها ، وحضر مجلس العلم لدى أفاضلها واعلام علمائها ، كالشيخ شاكر مقدم سعد ، والشيخ عبد الرحمن الكزبري ، والشيخ سعيد الحلبي وغيرهم . وكان كوالده صالحاً عابداً زاهداً متقشفاً في الدنيا مقبلاً على الأخرى ، وصار من المتقدمين في الفقه في مذهب أبي حنيفة ، وكان أبوه قد وجهت عليه امامة محراب الحنفية في جامع بني أمية ، فانتقلت اليه بعد موت والده . ثم وجهت عليه أمانة فتوى دمشق الشام أيام مفتيها حسين افندي المرادي ، وبعد موت حسين افندي وجهت رتبة افتاء الشام على ولده علي افندي المرادي ، وبعد أشهر حضر علي افندي لدى والدي وطلب منه أن يستعفي له من الافتاء واعتذر بأنه رأى رؤيا أزعجته كثيراً ، وقال له لاأخرج من دارك حتى تخلصني من منصب الافتاء ، ولم يمكن تنزيله عن هذا الخاطر ، وكان الوالي في ذلك الوقت سعيد باشا صهر السلطان محمود وكان من الصالحين ، وكان المشير على الأوردي الهمايوني الخامس أمين باشا ، وكان رئيس المجلس الكبير عثمان بك وكان صاحبَ الحل والعقد ، وكل منهم كان له مع والدي غاية المحبة وكانوا في كل أيام يحضرون عند والدي ، فلما لم يمكن مضيّ علي افندي في منصب الافتاء وأصر على ذلك مع شدة الهلع ، تكلم والدي في أمره فقال له عثمان بيك لابأس بذلك ، لكن بشرط أن يكون الافتاء لك ، فقال له أنا أستعفي عن غيري وأقبل لنفسي لايمكن ذلك ، فقال له هذا منصب علم وأمانة ، ولا نجد الآن موافقاً من كل الوجوه في هذا

القطر سواك ، فقال له أنا أريد منصباً لاأعزل منه ، فقال له أستحضر لك براءة من السلطان في توجيه الافتاء عليك وعلى أولادك من بعدك ، فقال له ماقصدت هذا ، إنما قصدت أنه إذا أراد السلطـان عزلي لاقدرة لأحد على ابقائي ، وأنا عندي منصب لايعزلني منه أحـد وهو منصب العلم فلا أختار غيره عليه ، على أني لا آمن على نفسي ، وهذا منصب خطر ، وإن عزمتم عليّ في ذلك يكون سبباً لقطع سبب الوصلة بيني وبينكم . فلما ظهر عليه التغير كثيراً ، اضربوا صفحاً عن التكلم معه في هذا الخصوص ، وتفرقوا ثم اجتمعوا بعد ذلك ، وانعقد اجمـاعهم مع أهل البلد على وضع صاحب الترجمة ، لأمـــانته وتخرجه في مسائل المذهب وخدمته لأمانة الفتوى مدة طويلة ، وجلس لمســـائل الناس في مدرسة الجقمقية شمالي جامع بني أمية ، ثم بعد مدة قد انتقل إلى مكان آخر قد أعد للافتاء ، ولم يزل مفتياً إلى أن وقعت في الشام حادثة النصارى سنة سبع وسبعين ومـائتين والف ، نفي مع من نفي من أعيان الشام وعلمائها إلى قلعة الماغوصة تابع جزيرة قبرص ، واستقام بها مدة هو والشيخ عبد الله الحلبي ، وأحمد افندي الحسيبي ، وعمر افندي الغزي ، وعبدالله بيك العظم ، ومحمد بيك العظمة ومن معهم ، واستقاموا بها مدة سنتين فصدرت الارادة السنية بنقلهم إلى ازمير ، واستقاموا بها ثلاث سنين ، ثم طلبوا إلى دار الخلافة العلية ، فرفع عنهم الحجر وصدر الأمر باطلاقهم إلى أوطانهم ، وأنعم على المترجم بقضاء مولوية ازمير مع نيابة بني غازي تابع طرابلس الغرب ، فاستقـام هناك سنتين ، ثم عـــاد لدار الخلافة فوجهت عليه نيابة خربوت ، فمكث بها سنتين ثم وجه عليه نيابة حماة مرتين ، ثم قدم دمشق وبها استقام إلى أن توفي نائب محكمة الباب محمد افندي الجوخدار سنة ١٢٩٨ ، وجه والي ولاية سوريا احمد حمدي باشا النيابة المذكورة على المترجم ، وكان القاضي في ذلك الوقت عبد الله افندي بن مصطفى افندي حقي ، ومازال نائباً في المحكمه المرقومة إلى أن توفي سنة ثلاثمائة والف ، ودفن في مقبرة باب الصغير رحمه الله تعالى .

الشيخ طاهر بن ابراهيم بن سعد بن عواد
الحموي الشافعي البصير

شيخ القراء بحماة الحافظ الكبير والمقرىء الشهير ، والفاضل الفقيه والكامل النبيه ، مولده سنة ثلاث وأربعين ومائة والف ، وقرأ القرآن العظيم وحفظه على أبي عبد الله محمد بن علي الدمشقي من طريق حفص ، وعلى أبي اسحق ابراهيم بن عباس بن علي الدمشقي ، وحفظ الشاطبية والرائية وطيبة النشر وشروحها والجزرية ، وقرأ التمهيد في التجويد ، وابن القاصح شرح الشاطبية ، والهمداني والنكت والدرة لابن الجزري ، وابن المصنف شرح الطيبة وغيرها من الشروح والمتون ، البعض مع الحفظ والبعض قراءة وسماعاً ، واشتغل بتحصيل الفنون والعلوم ، وقرأ على جماعة ، وأخذ الفقه والعربية عن فرج الله الحموي وأبي الصدق يوسف الفقيه وأبي محمد عبد الله الحواط وشمس الدين محمد بن أحمد شهاب الدين الديري نزيل دمشق ، وقرأ المنطق والمعاني والبيان والتوحيد على الإمام الكبير عليم الله بن عبد الرشيد اللاهوري الهندي نزيل دمشق ، وابي محمد احمد بن عبيد الله العطار الدمشقي ، وسمع الحديث وغالب كتب الصحاح على تاج الدين محمد بن طه العقاد الحلبي ، ومحمد بن التافلاتي المغربي ، وأبي عبد الله محمد بن محمد الحكيم اللاذقي ، وسراج الدين عمر بن ابراهيم اسماعيل الكيالي الادلبي وأبي الحسن علي بن عبد الكريم الأرمنازي الشافعي وأجاز له غالب شيوخه ومهر وتفوق وأتقن وحفظ واستفاد وأفاد وشهد له شيوخه بالنبل والتفوق . وكان من مشاهير القراء بالديار الشامية وألف بالقراءات كتاباً سماه الفوائد . وكانت وفاته بعد الألف والمائتين وخمسة رحمه الله تعالى .

الشيخ طاهر العثري الخالدي النقشبندي

العالم التقي والمرشد النقي ، خلاصة الأكابر ، ونخبة الأفاخر ، نشأ بصحبة الأفاضل إلى أن صار من ذوي الفضائل ، ثم أخذ الطريق ونهج مناهج أهل التحقيق ، وأخذ عن المرشد الكامل الشيخ خالد شيخ الحضرة ، وبعد اشتغاله مدة خلفه خلافة عامة حيث تأهل الخلافة ، ولم يزل مشتغلاً في الإرشاد إلى أن استكمل الأجلُ الميعاد ، وذلك سنة الف ومائتين و . . . .

الشيخ طاهر بن ابراهيم بن حسن الكوراني ثم المدني

وهو من رجال أصفى الموارد ، فهو ذو الوصف الحسن والفصاحة واللسن ، فلا ريب أنه الجهبذ الذي علت به كلمة الإسناد ، وزخر به العلم الحديثي وزاد ، وأمد بإملائه الصدور بالإرشاد والإمداد ، وصعد إلى ذروة منة لا ترتقى ، وأبرز من أحواله المستصفى والمنتقى ؛ وميز بنقده التام رجاله ، وعاناه والشيب ما شاب قذاله ، وقفا والده فيه حتى صارت به بيضا لياليه ، كيف وقد أملى مجالس حديثية ، تكاد تكون عسقلانية وإن كانت مدنية ، واستمدت الأذهان من تقريره ، ولباب تنقيح تدقيق تحريره ، ما هو الروض وزهره (١) .

(١) إلى هنا وقف قلم الشيخ في ترجمته ، وفي سلك الدرر ما ملخصه :
ولد بالمدينة ونشأ بها في حجر أبيه ، وقرأ على والده المرقوم عدة من العلوم ، وأخذ عن كثير من الشيوخ أولي الفضل والرسوخ ، وكان كثير الدروس ، وانتفعت به الطلبة ، وتولى إفتاء السادة الشافعية بالمدينة المنورة مدة ، وله من التآليف اختصار شرح شواهد الرضي للبغدادي ، وترجمه الشمس محمد بن عبد الرحمن الغزي العامري في ثبته المسمّى بلطائف المنة .

الشيخ ملا طه بن الشيخ يحيى البزوري الكردي الشافعي الدمشقي

العالم العابد ، والعامل الزاهد ، ناسك زمانه وتقي أوانه ، ولد في العامودية بلدة من بلاد الموصل سنة الف ومائتين وخمسين ، وبها أخذ عن والده وعن غيره من شيوخ الموصل وشيوخ العمادية والسليمانية ، ونهج منهج السلف وفاق في التقوى والعلم بين الخلف ، وفي سنة أربع وثمانين ومائتين والف قدم دمشق وأقام في محلة الصالحية في حـــارة الأكراد ، ولازم المدرسة الركنية ، وكان لا يخرج منها إلا لصلاة العصر في جامع بني أمية كل يوم في الوقت الأول مع الجماعة ، وقصد البيت الحرام للنسك مرتين من دمشق ، وكان بيني وبينه محبة قوية ومذاكرات علمية ، ومطارحات أدبية ومناصحات صوفية ، ومفاكهة حسنة ومعاشرة مستحسنة . وكان تقياً زاهداً ورعاً خاشعاً متنبهاً متيقظاً قليل الكلام فيما لا فـائدة به ، وكان من أشراف طوائف الأكراد . توفي رحمه الله تعالى سنة اثنتين وثلاثمائة والف ، ودفن بسفح قاسيون قرب قبر ابن اخته الشيـــخ عبد الله الكردي قرب مغارة الجوعية من جهة الغرب .

الشيخ طه بن يحيى الكردي الشافعي

العالم المشهور بكل فضل مأثور ، المتحلي بحلية الفضائل والمتخلي عن الاتصاف بشيء من الرذائل .

ولد سنة الف ومائة وست وثلاثين ، وأخذ عن السيد علي بن السيد مصطفى الحريري ، وعن الشيخ طاهر بن سعيد سنبل ، وترقى في بديع المعارف واتصف بأكمل الحسن واللطائف . مات سنة أربع عشرة ومائتين والف .

الشيخ طه بن الشهاب أحمد العطار الدمشقي الشافعي

ولد بدمشق وطلب بها مع الزهد والتقوى ، والصلاح في السر والنجوى ، وكان ملازماً للطريق والاذكار ، وقراءة القرآن في الليل والنهار ، متواضعاً عابداً سيداً ماجدا ، قوالا بالحق ملازماً للصدق ، لين الجانب ، له فكر في حل المشكلات ثاقب ، قليل الاختلاط بين الناس ، مشهوراً باللطف والايناس ، متحلياً بالورع ، متخلياً عن الطمع ، مات سنة ثلاث وأربعين ومائتين والف ودفن في مرج الدحداح .

الشيخ طه بن جمعة بن مصطفى بن جمعة بن سليمان الدسوقي الشافعي

الدين الصالح المعتقد الزاهد ، الورع العابد ، العالم العامل ، مولده بدسوق في أواسط سنة تسع وستين ومائة والف ، وخرج من بطن أمه أكمه وتنقلت به الأحوال وخرج من بلاده إلى البلاد الشامية ، وتنقل من مكان إلى مكان ، حتى استقر في قرية كفر كَرْمِين بناحية جبل سمعان من أعمال حلب ، واختارها وأقام بها في غار هناك ، تزوره النـاس ويأتونه بالنذور والذبائح على عادتهم ، ويعتقدونه ويتبركون بأنفاسه ودعواته ، وحصل الشفا لكثير من المرضى والزمنى على يده بإذن الله تعالى . وكان ينتسب كما ذكر هو من لفظه إلى خيزرانة بنت الشيخ موسى أخي القطب ابراهيم الدسوقي . وبالجملة فقد كان من خيار عباد الله تعالى أهل الاستقامة ، ومات رحمه الله تعالى سنة الف ومائتين و . . .

الشيخ طه بن عبد الرسول بن أبي يزيد بن البرزنجي الشافعي الموسوي الحسيني

السيد الشريف أبو السعادة الفاضل الأديب النجيب أحد السادة الأشراف الأفاضل الأجلاء .

مولده ببرزنجه من أعمال شهرزور سنة ثمان وستين ومائة والف ، وقرأ على الأجلاء من علماء شهرزور منهم جلال الدين الكُلْعَنْبَري ، وأبو محمد عبد القادر الكوراني ، وأولاد عمه معروف بن مصطفى البرزنجي ، وعبد الكريم وعبد الرحيم ابنا أبي القاسم بن الحسن البرزنجي ، وارتحل إلى بغداد وقرأ بها على أبي مهدي عيسى بن صبغة الله الحسين آبادي الماوراني ، وعبد الرحمن بن فيض الله القادري نقيب الأشراف ببغداد ، وأخذ عنه الطريقة القادرية ، ثم دخل الموصل وقرأ بها على جرجيس الاربلي الموصلي وغيره ، ثم حج وجاور في المدينة المنورة وسمع الكثير والكتب الستة في الحديث عن أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الفاسي ثم المدني ، ولازمه قدر ثلاث سنين وأجاز له بخطه ، وقرأ عليه وانتفع به ، ثم ارتحل إلى مصر وقرأ بهـــا الكثير على محب الدين محمد المرتضى بن محمد الزبيدي اليمني ، وأجاز له بخطه ، ودخل قسطنطينية ودمشق وحلب وغيرها من البلاد ، واجتمع بالعلماء والأدباء والرؤســـاء ، وكان مستقيم الأطوار مواظباً على التقوى والعبادة آناء الليل وأطراف النهار . مات رحمه الله تعالى بعد الألف والمائتين وخمسة ، ولم أقف على تعيين تاريخ موته .

الشيخ طه بن محمد بن طه بن احمد العقاد الحلبي الشافعي مفتي الشافعية بحلب

العالم الفاضل . والهمام الجهبذ الكامل . والتقي الصالح . والنقي الراجح . مولده سنة تسع وخمسين ومائة والف ، واشتغل بالأخذ والتحصيل في كنف والده وانتفع به وقرأ عليه الكثير من الكتب والفنون ، ولازم الشيوخ وسمع عليهم وأكثر من التلقي ، وله عدة مشايخ سادة أفاضل منهم أبو سليمان صالح بن ابراهيم الجينيني الدمشقي ، وأبو يحيى علاء الدين بن علي بن صادق الداغستاني . ولم يزل يترقى في الأخذ والعلوم والمعارف ، إلى أن خطبته المنية بعد الألف والمائتين وخمسة (١) .

الشيخ السيد طه الكيلاني نسبا الشمزيني الهكاري الخالدي النقشبندي (٢)

كان رحمه الله تعالى عالماً عاملا ، زاهداً عابدا ، ورعاً تقياً نقيا ، حسيباً شريفاً من أولاد سيدنا عبد القادر الجيلاني ، وكان كثير الوعظ والتذكير ، يذكر الناس بالله ويعظهم ويرشدهم ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر . وكان حسن الأخلاق طيب الاعراق ، قد شغلته الطاعة عن البطالة والاضاعة ، وقد أخذ الطريقة النقشية عن عمدة الزمـــان مولانا شيخ الحضرة خالد ، ثم بعد الكمال ونوال المراد أقامه خليفة وأذن له في الإرشاد . توفي سنة الف ومائتين و . . .

---

(١) في تاريخ حلب للأستاذ الطباخ ، أنه توفي سنة ١٢٢٩ هـ .

(٢) ذكره الأستاذ الشيخ عبد المجيد الخاني في كتابه « الحدائق الوردية ، في حقائق أجلاء النقشبندية » المطبوع سنة ١٣٠٦ هـ ولكنه لم يزد على قوله : العالم الرباني ، والمرشد الكامل السبحاني ، الشيخ السيد طه الكيلاني الهكاري قدس سره اهـ .

الشيخ طه شرف الدين ابو احمد المقري بن ابي بكر بن رجب بن ابي بكر بن حسن الحلبي الحنفي

الفقيه الصالح الدين التقي الورع االزاهد ، العالم العامل الإمام الهمام النقي العابد ، أحد القراء والحفاظ بحلب ، ولد بها سنة ست وثلاثين ومائة والف ، وقرأ القرآن العظيم على والده ، وأتقن حفظه على جماعة منهم الزين عبد اللطيف المدني نزيل المدرسة الشرفية والجمال يوسف المصري وأبو محمد عبد الرحمن بن ابراهيم المصري ، وتلاه على الشمس البصري وأبي محمد عبد الكافي بن عبد الكريم الحابي الإمام بالجامع الأموي ، وقرأ الفقه والنحو على أبي عبد الله محمد بن ابراهيم المداري ، وقرأ على أبي عبد القادر محمد بن صالح بن رجب المواهبي ، وحضره في كثير من الفنون ، وسمع عليه غالب الكتب مع من حضر ، كالدر المختار للحصكفي والدرر وشرح الجوهرة والاشموني وابن عقيل على الألفية والجامع الصغير للسيوطي وجميع صحيح الإمام البخاري والشفا للقاضي عياض وغيره ، وأخذ عنه الطريقة القادرية ، وبعد موته لازم ولده أبا المواهب اسماعيل المواهبي ، وحضره وسمع عليه حصة من الفنون ، وسمع أيضاً حصة من الجامع الصغير على أبي عبد القادر صالح بن عبد الرحمن البانقوسي ، وسمع الكتاب المذكور أيضاً على أبي محمد عبد القادر بن بشر بن عبد الحق البشري ، ولازم الأشياخ واحتفل بالسماع ، وكان مواظباً على قراءة القرآن العظيم ويتدارس به مع القراء ولا يغفل عن التلاوة بحقها ليلاً ولا نهاراً ، وكان جميل المجالسة حسن المعاشرة ، لطيف الكلام ، يحب المذاكرة في الاحكام ، كثير المواعظ آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، معتزلا عن الناس إلا لما يرجع عليه منه أمراً ديني من الاجتماعات المطلوبة ، والمجالس المستحسنة المرغوبة . ولم يزل على نهجه المستقيم إلى أن استضافته المنية وطلبته للدرجات العلية ، وذلك بعد الألف والمائتين رحمه الله تعالى .

الشيخ الطيب بن الشيخ محمد المبارك الجزائري الدلسي المالكي

العالم الفاضل والهمام الكامل ، عمدة زمانه ونخبة أقرانه .

ولد سنة الف ومائتين وخمس وخمسين تقريباً ونشأ في حجر والده ، فتعلم القرآن وجوده وحفظه وأتقنه ، وأجاد الخط ، وقرأ الفنون من العلوم على سادة أفاضل ، منهم عمدة الأنام ، وكعبة الإسلام ، جهبذ الأفاضل ، وينبوع الفضائل والفواضل ، العارف بالله الأمير السيد عبد القادر الجزائري الحسني ، فكنا نحضر وإياه مع من حضر كتاب الفتوحات المكية ، وغيرها من كتب السادة الصوفية ، وقرأ على العالم اللوذعي ، والسميدع الألمعي ، شيخنا الشيخ محمد بن مصطفى الطنطاوي فنوناً متعددة ، وقرأ على غيرهما من السادة المالكية ، وأجازوه بالإجازة العامة . وله ذكاء وحفظ مع طلاقة لسان وطلاوة في الكلام ، وحسن معاشرة ولين جانب ، وخضوع ولطف وزهادة ، وقناعة وجود وكرم نفس ، ومهابة وقبول ، وأفكار عالية وفهم جيد في كلام القوم . وفي عام اثنين وثمانين حينما شرف شيخنا الأستاذ السيد محمد الفاسي الشاذلي أخذ عنه الطريقة الشاذلية ، وبعد اشتغاله مدة في الطريق أذن له في الإرشاد ، وإعطاء الطريق ، فأرشد وأحسن في إرشاده ، وأعطى الطريق وأقام الأذكار في الليل والنهار ، وأكثر من السياحة في خدمة الطريق ، وانتفع منه البعيد والصاحب والرفيق ، وعرف بين الناس واشتهر باللطف والايناس .

وفي سنة الف ومائتين وسبع وثمانين أرسله حضرة الأمير عبد القادر الجزائري مع حضرة شيخنا الطنطاوي إلى مدينة قونية لمقابلة الفتوحات المكية على خط مؤلفها العارف بالله الشيخ محيي الدين العربي وقرأها مع الشيخ المذكور هناك مرتين مقابلة ، وبعد مجيئهما قرأناها جميعاً على الأمير المرقوم مع التزامنا لإصلاح نسخنا على النسخة المقابلة على خط المؤلف .

ومما نظمه وأسمعني إياه من لفظه :

سُلُوّي عن الأحباب حرمه الحب ... فإن هجروني فالعذاب بهم عذب
وهيهات يوماً أن أميل إلى السوى ... وكيف وقلبي مدنف بهم صب
فإن حدثوا أروي الحديث بسائري ... فنعم الشفا ذكر الأحبة والطب
فلله عيش قد تقضى بقربهم ... وكأس الهنا صاف ومغنى اللقا رحب
سقوني شراب الأنس صرفاً مقدساً ... عن المزج لما أن تمزقت الحجب
فقالت سليمى قر عيناً بما ترى ... وطب في الهوى نفساً فقد حصل القرب
ألم تدر أن الوصل أضحى مقامه ... عزيزاً رفيعاً لا تطاوله الشهب
حمانا منيع دونه الحتف يا فتى ... وإن الهوى مرقاه مستوعر صعب
فكم مغرم أضحى معنى ولم يفز ... بنظرة إسعاف بها يسكن القلب
تؤجج نار الوجد بين ضلوعه ... وأجفانه مثل الغمام لها سكب
يرى روحه تنحط قدراً بلمحة ... وإن عدها يوماً لعمري هو الذنب
فمن شاء أن يحيا ويحظى بنظرة ... فبي فليمت وجداً وإلا فلا يصبو

وله نظم له حلاوة وعليه طلاوة ، وله شغف كثير بالسماع والنساء لو تيسر له لدخل في كل ليلة على كاعب عذراء . ويحب التجمل في الملبس وغيره ، وهو ذو تودد وتحبب كثير السؤال عن إخوانه وأخلائه وأخدانه ، يعاشرهم أحسن المعاشرة ، ويلاطفهم أجمل الملاطفة . ولم يزل يفحل أمره ويعظم قدره ، إلى أن توفي يوم الاثنين تاسع وعشرين كانون الثاني وسادس وعشرين من شعبان عام الف وثلاثمائة وثلاثة عشر ودفن في سطح المزة قرب الجبل رحمه الله تعالى (١) .

---

(١) نقل الأستاذ الشطي هذه الترجمة بالحرف وزاد عليها قوله : قلت إن صاحب الترجمة قدم دمشق مع والده المذكور ، وجدّه لأمه الشيخ المهدي ، مهاجرين من الجزائر في حدود سنة ١٢٦٣ ﻫ فتوفي والده سنة ١٢٦٩ ﻫ ، ورباه جدّه المرقوم على الطريقة الخلوتية ، إلى أن توفي سنة ١٢٧٨ ﻫ ، فقام المترجم مقامه في المدرسة الخضيرية ، إلى وفاته رحمه الله .

* * *

حرف الظاء

الشيخ ظبيان بن الشيخ يوسف بن الشيخ عبد العال بن الشيخ محمد حفيد ابن محمود المسمى براعي الغزالة المدفون بقرية جيرود (قرية من قرى دمشق الشام تبعد عنها مقدار سبع ساعات من جهة الشرق إلى شمال)

ولد بدمشق يوم الأربعاء سنة سبع عشرة ومائتين والف [١]، وأخذ الطريقة القادرية عن والده المذكور وعن الشيخ محمد علي افندي الكيلاني القادري الحموي، وكان له أطوار غريبة وأحوال عجيبة، وكانت تأتي اليه النساء والرجال من كل جانب، فهذا يسأله عن تجارته، وهذا يسأله عن زوجته، وهذا يسأله عن سفرته، وهذا يسأله عن شركته، وكل واحدة من النساء تسأله عن مقصود مخصوص، وهو تارة يجيب بلسان مفهوم، وتارة يتكلم بمعنى غير مفهوم. وكان يرد عليه من المال شيء عظيم، ومن الهدايا شيء جسيم [٢]، ولا زال يعلو مقامه، ويعظم

---

(١) ترجمه حفيده الأستاذ الجليل الشيخ محمد علي ظبيان فقال: ولد المترجم سنة ١٢٠٤ هـ وبعد أن تعلم القراءة والكتابة أدخله والده في مدرسة الملا عثمان الكردي، فقرأ فيها الفنون الأدبية، والعلوم الشرعية من فقه وحديث وتفسير، وحضر دروس كثير من علماء دمشق كالمحدث الشيخ عبد الرحمن الكزبري والفقيه الشيخ عبد الرحمن الطيبي، وغيرهما، (وباقي الترجمة كما ترى في الحلية).

(٢) رأينا بعض مَن يُسألون عن هذه الأمور، يستأجرون بعض الرجال أو النساء ليدخلوا البيوت ويتعرفوا بمن لهم قرابة أو نسابة أو علاقة مع هؤلاء السائلين والسائلات.

احترامه ، وتقصده الوزراء والوجوه والكبراء ، إلى أن توفي حادي عشر رجب سنة ثمان وثمانين ومائتين والف ، ودفن في مدفنه الذي بناه لنفسه في آخر تربة باب الله رحمه الله تعالى .

الشيخ ظاهر باطن الدمشقي الصالحي

كان رجلاً شهماً ذا مروءة ظاهرة ، وشهامة باهرة ، وأحوال عجيبة ، وأمور غريبة . وكان مشهوراً بالكرامات وخوارق العادات ، مع لطافة وجمال ، واستقامة تدل على حسن الحال ، وهو من التغلبيين الذين لهم في الشام شهرة كبيرة ، ومناقب هي بكل مدح جديرة . وكان هذا المترجم حسن المعـاشرة ، جميل المذاكرة ، كثير الوداد ، بعيداً عن المناكدة والعناد ، وكان مقصوداً في تيسير الحوائج ، مطلوباً في الدعاء لنوال النتائج ، ليس له غلظة ولا فظاظة ولا قباحة في الكلام ، ولا مسبة ولا شتم ولا مايوجب الملام ، مـع أن طور الجذب يغلب عليه ، والناس من كل فج تأتي اليه . مات في سنة الف ومائتين ونيف وتسعين رحمه الله تعالى .

المرشد الكامل الشيخ ظافر بن محمد حسن بن حمزة ظافر المدني الشاذلي

منبع عين الحقيقة ، ومجمـع بحري الشريعة والطريقة ، إنسان حدقة الفضائل ، وترجمان عرفان السادة الأفاضل ، وحديقة الهدى والكمال ، ومعدن الجود والنوال ، من أجمع ذوو التحقيق على علمه وولايته ، واجتمع أهل التدقيق على كمال فهمه ودرايته ، ورفع الدهر قدره فأجله ، وعرف ضده فأهانه وأذله ، وخدمته السيادة فكانت له عبدا ، ولاحظته العناية

فأفرغت في رعايته جهدا . ولم يزل يتنقل مُقــامُه ، ويترقى قدره ومَقامه ، إلى أن دعته الحضرة السلطانية ، للإقامة بمدينة القسطنطينية ، وبيان ذلك على طريق الإجمال لا على التفصيل ، المؤدي إلى الخروج عن المقصود وارتكاب التطويل ، انني كتبت لحضرته وهو في الآستانة العلية ، أن يرسل لي ترجمته السنية ، فأجاب وما ضن ومنّ عليّ بها وما مَن ، وأنبأني بأنه ولد في شعبان المبارك سنة أربع وأربعين ومائتين والف ، بِبِشْراتَه من أعمال طرابلس التي دفن بها والده المجمع على كماله من غير خُلف ، فنشــأ في حجر والده إلى أن شب ، وكان له كمن طب لمن حب ، ثم قــال : فعلمني القرآن إلى أن أتقنته ، ثم علمني من أنواع العلوم إلى أن ظننت أنّ ما تعلمته أحسنته ، ثم أخذ يؤدبني بآداب السنة ، إلى أن وجد نفسه الشريفة لإعطائي الطريق مطمئنة ، فاستخار الله واستهداه ، وغب أن حصل له الإذن بما يهواه ، أخذ يدي بطريق المصافحة وتلا قوله تعالى « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم » إلى آخر الآية ثم تلا : إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله » الآية ثم لقنني لا إله إلا الله وقال لي اذكرها من غير قيد ولا عدة تتكاثر عليك الفيوضــات ، ويتقوى لك بفضل الله المدد . وكان رضي الله عنه يحبني محبة كاملة زائدة عما تقتضيه شفقة الأبوة ، ولا زال يؤهلني لكل أمر ذي بال ، ويمدني بهمته الجامعة لأنواع الكمال ، ثم ألبسني الخرقة المباركة ، وهي جبّة صوف من لباس المغرب ، وقد ثقل علي لبسها حتى صرت أختفي من الناس مدة ، إلى أن حصل لي بهمته تمام الأنس بها ، ولا زالت على ظهري ثلاث سنين ، ثم أمرني أن أتلون في اللباس ، ثم أتيته وطلبت منه أن يلقنني الاسم الخاص ، فأمهلني أياماً إلى أن تحقق مني صدق طلبي له أخذ بيدي ولقنني إياه ، وقال لي اذكره يفتح الله عليك عن قريب إن شاء الله ، فكنت

أذكره دائماً مستغرق الوقت فيه ، وكلما خطر بقلبي شيء أبديته له ، ولا زلت كثير الشكوى لديه ، غزير التململ بين يديه ، إلى أن قال لي مرة : ليس المطلوب بكثرة الأذكار والأوراد ، إنما هو بنظرة الأستاذ بعين العناية والامداد . وشكوت له مرة كثرة الوسواس والأفكار حالة الذكر ، فقال لي رضي الله عنه لا بأس عليك لأنها ترد على كل ذاكر ولا تضرّه . وشكوت له مرة أخرى من الوهم ، فقال لي هو باطل ، واستشهد لي بقول القائل :

فأفنيتها حتى فنت وهي لم تكن ولكنني بالوهم كنت أطالـــع

ثم بعد ذلك أمرني رضي الله عنه بالسياحة إلى تونس ، ثم بعـــد السياحة عدت اليه ، فقال لي الآن صرت أخي ومريدي وابني ، فأعطني حق ذلك وأنا كذلك أعطيك حق الأخوّة بحيث لا أعمل شيئــاً بغير استشارتك ، فبكيت وبكى رضي الله عنه . وكنت في بعض الأيام جالساً عنده مع بعض خواص الإخوان ، فأتاه إنسان برطبتين باكورة ، فأخذهما وأطعمنيهما وقال لي انو ما شئت يحصل إن شاء الله تعالى ، فبعد ذلك رأيته في منامي كأنه جالس رضي الله عنه بقرب منهل ، ومعه جمع غفير من التلامذة ، وأنا من جملتهم ، فرأيت إخوتي يتزاحمون على الماء ، فقـال رضي الله تعالى عنه : أيكم يسقي أولادي ، فأردت أن أسرع لمرادي ، ثم قلت هذه مزية أوثر بها التلامذة ، فما قـام أحد ، ثم كرر القول ثانياً وثالثاً ، فقمت وسقيتهم واحداً واحداً حتى رووا ، فقـــام رضي الله تعالى عنه ودخل بي إلى محل فيه خزانة ففتحها وأخذ منها علبة ، وأخرج منها وعاء فيه حلوى بيضاء ، فأخذ على إصبعه وقال لي افتح فاك فناولني ذلك ، فما وجدت أحلى ولا ألذ منها ، وما فضل على إصبعه مسحه على صدري ، فخرجت لي منه رائحة عظيمة ما رأيت أطيب منها .

ثم قيل ان حضرة النبي ﷺ في هذا المجلس ، فطلعت ، فلما انتهيت إلى المجلس وجدته نائماً وهو لابس رداء من صوف في غاية الحسن ، فظهرت لي قدماه الشريفتان يعلوهما نور ساطع متصل بسقف المجلس ، فقلت الصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله صلى الله عليك وسلم ، فقال وعليك السلام ، وجلس متربعاً ، فرأيت يجنبي أحد الأحبة ، فقال ﷺ مرحباً بكما ، ورفع جناحيه الكريمتين ، وأشار لنا بالدخول تحت جناحه الأيمن ، وضمني إلى جانبه فغشيني طيب روائحه ، وأنعشني لطيف فوائحه ﷺ ، الحمد لله والشكر لله . ثم في الصباح أتيت الأستاذ رضي الله تعالى عنه وقصصت عليه ذلك ، فقال لي هنيئاً لك واستوص بإخوتك خيراً فإنهم أمـــانة الله عندك انتهى .

ثم انه بعد وفاة والده الأستاذ ، ومرشده العمدة الملاذ ، انتهت اليه رياسة الإرشاد ، وطار صيته إلى أقصى البلاد ، وانتفع به أهل المشرق والمغرب ، ولسان العموم عن بعض فضائله يعرب . وفي سنة ثمان وستين توجه إلى الحجاز ، ورجع إلى فزّان وتونس سائحاً داعياً إلى الله ، ثم في سنة ثلاث وثمانين توجه إلى الحجاز ، ورجـع إلى طرابلس الغرب ، وفي سنة ثمان وثمانين عاد إلى الحجاز من طريق الآستانة العلية ، وفي هذه المرة أخذ عنه الطريق حضرة السلطان الأعظم ، والخاقان الأفخم ، السلطان عبد الحميد خان ، وذلك قبل أن يتولى أمر الملك ، ثم توجه إلى طرابلس وتونس . وفي سنة إحدى وتسعين قصد المدينة النبوية للزيارة ، ورجع منها إلى الآستانة سنة ثلاث وتسعين قبل خلع السلطان عبد العزيز بمدة يسيرة ، ومن بعدها لم يأذن له السلطـــان عبد الحميد بالخروج من الآستانة لكثرة محبته له وأنسه بجماله واعتقاده بكماله ، واجتماعه معه على الذكر والمذاكرة ، وعلى المفاكهة الأدبية والمحاضرة ، ولم يزل يعلو مقامه ،

ويسمو احترامه ، ولا يزال إن شاء الله في رفعة عالية ونعمة نامية . وفي عام الف وثلاثمائة وخمسة أنشأ له حضرة السلطان المذكور داراً عظيمة مع تكية للإخوان الشاذلية ، وكان يكاتبني في بعض الأحيان ، ويخاطبني مع رفعة مقامه خطاب الإخوان ، بعبارات فائقة ، ومعان رائقة ، دالة على انه بلغ ما أراد ، من العلم والعرفان والإرشاد ، ومرة جاوبته عن كتاب أرسله وجعلت له هذه القصيدة مع الجواب ، وهي :

ما كنت أعرف ما الهوى لولا كا ... لا والذي أولى البها أولا كا
يا فاتني كف الجفا عن مغرم ... مضنى وعامل بالجميل فتـا كا
أنا ذلك الخل الوفي بعهـده ... هل خلت يابدر الدجى انسا كا
ما شئت فاصنع بي فما لي ملجأ ... إلا اليك لأنـني مولا كا
واهاً لمن من طرفه دخل البلا ... ء لجوفه من نظرة تلقا كا
من لي بأن ترضى بروحي والحشا ... وبمهجتي يا منيتي وأرا كا
لم يثنني عنك النحول ولا الضنى ... فبما ترى عني العذول ثنا كا
قد ضاق بي رحب الفضاوقدانقضى ... عمري ولم أظفر بغير جفا كا
يا عاذلي كف الملام فإن لي ... قلباً يسوم من الهوان هلا كا
أوما دريت بأنني فيه أرى ... عذباً عذابي لا أروم فـكا كا
ذلي له عز واضلالي هدى ... وأرى الملام بحبه إشرا كا
أسرفت في لومي ولا أصغي ولو ... كان الحبيب بصبه فتا كا
لو شمته والشعر منسدل على ... أردافه ما كنت تنكر ذا كا
أو لو بدا فجر الهدى من وجهه ... لسلاحشاك وضل فيه حجا كا
أو لو تثنى تائهـاً بقوامه ... أزرى الغصون بميله وسبا كا
سلم لنـا واسلم فآية حسنه ... ما زاغ عنها مبصر إلاّ كا
يا لائمي كن راحمي فإلى متى ... أعليّ من أهواه قد ولا كا
حتى سعيت بما سعيت به ولم ... تذر العناد ولم تراع أخا كا

حسبي الوذ بسيد ساد الورى ورقى وخلف دونه الأفلا كا
حبرالهدى بحرالندى حصن الردى بشر ولكن أشبه الأملا كا
بدر السعادة في سماء سيادة فاقصده تحمد في الصباح سرا كا
إن لاذ راجيه بكعبة عزه قالت له العليا جعلت فدا كا
يمم حماه ان ترم فيض الندى تلقى جواداً بالمنى لبا كا
يا صاحبي قم بي نؤم رحابه ودع السوى واغنم لديه رجا كا
هذا الهمام ابن الهمام أبو الندى يهدي السبيل ويرشد النسا كا
هذا الإمام ابن المداني ظافر فاظفر به وعداه دعه ورا كا
هذا هو القطب الرفيع مقامه حدث ولا حرج عليك بذا كا
لا عيب فيه سوى الكمال وإنه ذو راحة لم تعرف الامسا كا
يا سيداً ما زال طرفي يحسد السـ ـمع الذي أحياه ذكر حلا كا
أترى أفوز ببغيتي والدهر يسـ ـعدني وقبل منيتي ألقا كا
يهنيك جددت المآثر بعدما درست وحان هوانها لولا كا
ورعاك بالاقبال مولانا أميـ ـر المؤمنين وللصعود دعا كا
عبد الحميد مليكنا قطب الورى لا زال مبغضه يسوم هلا كا
عذرا لرق راق فيك مديحه لم يبغ غير شموله برضا كا
فاقبل فديتك من أسير عبودة عذراء تنشدنا ببعض ثنا كا
تمشي على استحيائها لقصورها قد أرخت طب ظافراً بمنا كا

هذا وإن حضرة المترجم يحق له أن تفرد بشمائله الأسفار ، ولولا الخروج عن المقصود لأطلت في ترجمته ، ولكنه نظراً لاسلوب الكتاب لا بد من الاقتصار ، حفظه الله على الدوام ، وسهل له كل مرام ، ثم انه في سنة الف وثلاثمائة وخمس عشرة تمرض ودعـاه داعي السعود إلى جنة الخلود ، ودفن في الآستانة رحمه الله تعالى .

* * *

حرف العين

الملا عباس الكردي الكوسنجقي النقشبندي الخالدي

نهج مناهج الفضل منذ ماز الأخماس من الأسداس ، وجنح إلى صدق القول وجميل الفعل والابتعاد عن الارجاس ، فتحلى بحلية التقوى والعبادة والزهد والورع ، وتخلى عن الرذائل وايثار الزائل والولع بالطمع ، فكان زاهداً تقيا ، عابداً نقيا ، عالماً عاملاً ورعاً فاضلا ، يحب العزلة ما أمكن ، ويهوى من الناس من هو له على العبادة أعون . ولما ارتوت نفسه من أجمل النفائس ، وتجردت عما يوقع في المهلكات والدسائس ، رام الدخول إلى حرم المعارف ، والعدول إلى طريق القوم الموصل إلى لطائف العوارف ، فأخذ الطريقة النقشية ، عن بحر الفيوضات الربانية ، والمجد التالد ذي الفضل الزائد ، مولانا شيخ الحضرة الشيـــخ خالد . فسلك سلوك أهل الجد والاجتهاد ، إلى أن حصل له ما أحب وأراد ، فلما رأى فيه الأهلية لإعطاء الطريقة العلية ، أذن له بالإذن العام ان يأذن لمن شاء ورام ، بالشرط المعروف والعهد الموصوف ، وقد دعته المنية إلى الدار العلية سنة الف ومائتين ونيف وأربعين . رحمه الله تعالى .

السيد عارف افندي بن المرحوم محمد افندي بن عثمان افندي الجابي الحنفي الدمشقي

أحد المشهورين الأكابر ، ومن عليه يدور محور المفاخر ، المديد الباع الفريد الانطباع ، الذي ملك زمام المحاسن ، وافتخرت به السادات الأحاسن ،

ورقي إلى ما أحبه ، وتيقظ إلى ما نفعه وتنبه ، فبدأ من أول أمره سابقا ، ولمن سلفه من الأفاضل لاحقا ، مع صون لسانه عن كل قبيح ، وترديه بكل رداء مليح ، واشتهاره بكل كمال ، وانتشار ذكره باللطف والجمال ، واتباعه لرغائب السنة ، وانتباهه للشكر على كل نعمة ومنة ، فله لعمري القدر المبرور ، والفخر الذي لا تبليه الدهور .

ولد بدمشق الشام ونشأ بها في حجر والده الهمام ، فرباه على الكمال والأدب ، إلى أن بلغ به المنى والأرب . ثم ذهب في حياة والده إلى الآستانة العلية فمكث بها زمناً طويلاً ، ونال من المراتب التي وجهت عليه قدراً جليلا ، وتولى رتبة قضاء بغداد ، ثم بعد موت والده في الشام رجع الى الشام وعاد ، فأحبه الخاص والعام ، وحصل له من الشهرة ما لا يرام ، ووفاقت معاملته ، وراقت مجالسته ومنادمته ، والتفتت اليه الوزراء والأعيان ، وأنزلته الأكارم من العين مكان الانسان . وله غيرة غريبة ومروءة عجيبة ، وخصال نبوية وصفات مصطفوية ، ومجلسه ليس فيه سوى الفوائد العلمية ، والمذاكرات اللطيفة الأدبية ، بلسان يتحاشى عن كل عيب ، وكلام خال عن الملام والريب ، يتمنى جليسه أن لا يفارقه ، ويود أن يكون مدى الأيام مشاهده وموافقه ، وكان من أعز الناس عليّ ، وله التفات في جل أموره إلي ، يقصدني في كل مدة ، مظهراً غاية المحبة والمودة . وقرأ من الفنون عدة ، باذلاً في طلبه اجتهاده وجده ، إلى أن بلغ مطلوبه ونال مرغوبه . وفي ثالث يوم من جمادى الأولى قام في الصباح فصلى الفجر ، وقرأ أوراده وسأل من المولى المنان الثواب والأجر ، وبعد الضحوة الكبرى حصل له نوع انحراف ، إلا أنه قليل مأمول الانصراف ، وبعد صلاة الظهر شرب كأس حمامه ، وكان هذا اليوم من الدنيا آخر أيامه ، وكان موته فجأة من غير مرض ، بل دعاه داعي المنية في الحال فأسرع إلى إجابة الأمر المفترض ، وذلك سنة أربع وثلاثمائة والف ، فتأسف له

الخاص والعام ، وبادروا تشييع جنازته بكل اهتمام ، وغب تغسيله وتكفينه والصلاة عليه ، توجه العموم بالدعوات اليه ، ثم شيع جنازته الأكابر والأعيان والأصاغر والولدان ، وحينما شاهدت هذا الحال ، تذكرت قول من قال :

صروف الليالي لا يدوم لها عهد ... وأيدي المنايا لا يطاق لها رد
تسالمنا سهواً وتسطو تعمداً ... فإسعافها عسف وإقصادها قصد
عجبت لمن يغتر فيها بجنة ... من العيش ما فيها سلام ولا برد
أفي كل يوم للنوائب غارة ... يشق عليها الجيب أو يلطم الخد
أرى كل مألوف يعجل فقده ... فما بال فقد الإلف ليس له فقد
مضى طاهر الأثواب والجسم والحشا ... له الشكر درع والعفاف له برد
وأبقى لنا من طيبه طيب ولده ... ينوب كما أبقى لنا ماءه الورد
فبالرغم مني ان يغيبك الثرى ... ويرجع مردوداً بخيبته الوفد
سأبكيك جهد المستطيع منظماً ... رثاك وهذا جهد من ماله جهد
لئن كنت قد أمسيت عنا مغيبا ... فقد ناب عنك الذكر والشكر والحمد

الشيخ عاشق المصري الخالدي النقشبندي

زبدة الأفاضل ونخبة الأماثل ، عالم الزمان وفاضل الأوان ، الصالح العامل والفالح الكامل ، قد لازم حضرة مولانا الشيخ خالد في دمشق الشام ، وأدّى حق الخدمة والسلوك على التمام ، ثم خلفه وأذن له بالارشاد ، وهو آخر من تخلف ونال من الشيخ المراد ، ولما مر الشيخ ابراهيم فصيح افندي الحيدري في طريقه إلى الحجاز على مصر ، اجتمع بالمترجم المرقوم ، وذلك سنة ثمانين والف ومائتين ، وكان مستقيم الأطوار ، حسن الأخلاق فصيح اللسان مشتغلاً بالطريق ، متفرغاً للهداية والإرشاد ، إلى أن اخترمته المنية سنة الف ومائتين ونيف وثمانين .

الشيخ عبد الباسط السندبوني الشافعي الازهري المصري

هو جواد علم لا يكبو ، وحسام فضل لا ينبو ، قد سبق في ميدان التقدم اقرانه ، واجتلى من سعد جـده قرانه ، وبذل فيما يعود نفعه الرغائب ، وعمت فضائله الحاضر والغائب ، لم يترك طريقاً من طرق الاسعاد إلا سلكه ، ولا وجهاً من وجوه الاجتهاد إلا استدركه ، وأربى على من سبقه من الكرماء الأوائل ، وامتد صيت ثنائه في العشائر والقبائل .

قال الإمام الجبرتي : قد أجازه أكابر المحدثين ، ولازم الشيخ محمد الدفري وبه تخرج في الفقه وغيره ، وأنجب ودرس وأفاد وأفتى في حياة شيوخه ، وكان حسن الالقاء جيد الحافظة ، يملي دروسه عن ظهر قلبه ، وحافظته عجيبة الاستحضار للفروع الفقهية والعقلية والنقلية ، إلى أن قال : انه كان قليل الورع عن بعض سفاسف الأمور ، وبذلك قلت وجاهته بين نظرائه . توفي رحمه الله تعالى في أول جمـادى الآخرة سنة إحدى ومائتين والف وصلي عليه بالأزهر ودفن في تربة المجاورين .

الشيخ عبد الباقي افندي الفاروقي بن سليمان العمري حفيد أبي الفضائل علي المفتي الحنفي الموصلي عفي عنه

إمام خاض بحور الأدب أتم خوض ، وتفنن في اجادة الأرب تفنن الأزهار في سرحة الروض ، وخلا عن الاكفاء ، وتعالى بدره عن الخفاء ، وقلد جيد عصره ، ووشح خود مصره ، بمنثور لآل ومنظوم عقود تتزين بها تيجان الجمال ، وتتحلى بها أبيات الكمال ، فإنه السابق الذي لا يلحق ، واللاحق الذي شمس إشراقه لا تمحق ، ذو الفكرة الصـافية ، والمعرفة التامة الوافية ، والكمالات المشهورة المعروفة ، واللطافـات الموصوفة .

ولقد أبدى من المحاسن وأبدع ، وارتوى من حياض النباهة وتضلع ، وسلك مسالك المعارف ، وملك منها كل تليد وطارف ، بعزم غير ذي كلال ، وجد وجد به مكنون در الافضال . وله الذهن الوقاد ، والذكاء الذي أورده على الأدب أحسن ايراد ، فمن نظمه الأنيق ، وشعره الفائق الرقيق ، قوله مادحاً سيدنا علي وأهل البيت ذوي المقام الجلي :

هذا الكتاب المنتقى والمجتبى ... في نعت آل البيت أصحاب العبا
بالقلم الأعلى بيمنى قدرة ... في لوح عزة بنور كتبا
لاح به فرق العلا متوجاً ... مرصعاً مكللاً مذهبا
وكمها مطرزاً مديجاً ... وعقدها منقحاً مهذبا
فرق معناه وراق لفظه ... يحكي صفا الودق إذا ما انسكبا
ثنا إذا أنشدته له ثنى الـ ... وجود عطفاً وتهادى طربا

وهي طويلة بديعة الكلام ، رفيعة السبك والنظام . ومن شعره الجليل ، حينما زار سيدنا ابراهيم الخليل ﷺ قوله :

زر مقاماً معظماً واتل فيه ... بعض آي من معظم التنزيل
وادخل الباب حاسر الطرف حاف ... انه باب حطة للدخيل
وأنخ للرجا به يعملات ... موقرات بحمل وزر ثقيل
وتذلل واخضع ولذ وتوسل ... وأقل منه تحت ظل ظليل
والثم الباب بالشفاه ورصع ... أرضه في فرائد التقبيل
وانثر الدمع من شؤون عيون ... مثل نثر الجمان من اكاليل
وتبرد واقصد سبيل ارتواه ... فعلى ابن السبيل قصد السبيل
تجد النار تشبه الماء برداً ... وسلاماً يطفي غليل العليل
وعليه الآثار من منجنيق ... تتراءى للعين من بعد ميل
والمياه التي تسيل فيوضاً ... وانبعاث النسيم من سلسبيل

شهدت أنه المقام الذي قد كان قدماً به مقام الخليل
وبه مهده الذي قد تجلت فوقه هيبة المليك الجليل
فعليه من ربه صلوات وسلام نهديه في منـديل
نسجته أيدي الملائك من رقـــة غزل التكبير والتهليل
ما تلا الفاروقي يا نار كوني بلسان التجويد والترتيل

وقال رحمه الله تعالى : قد كثر تهافت فراش مصاقـع الفرقتين ، على مصباح مشكوة كل بيت من هذين البيتين النيرين ، على تشطيرهما وتخميسهما في نعت آل بيت سيد الثقلين ، فأحببت الاقتداء بالجماعة ، مع ما أنا عليه من قلة البضاعة ، فشطرتها مرة وخمستها مرتين ؛ فها هما يسطعان كالفرقدين :

يا آل من ملأ الجهات مفاخراً وأتى بكم للـكائنات مظاهرا
وَهِمَ الذي لكمُ يعد نظائراً إن الوجود وإن تعدد ظاهرا
وحياتكم مـــا فيه إلا أنـــتم

أو ما درى إذ راح يعلن بالندا ان الذي هو غيركم رجع الصدى
فوَجَدَ كم مِيرّ الخليقة أحمدا أنتم حقيقة كل موجود بدا
وجميـع ما في الـــكائنات توهم

وقـــال رحمه الله مشطراً لهما :

إن الوجود وإن تعدد ظاهراً مـــا فيه غيركم لمن يتوسم
أوَ صحّ في الامكان ثمة عاَلَمَ وحياتكم ما فيه إلا أنتم
أنتم حقيقة كل موجود بدا من كنز كنتُ وفيه أنتم كنتم
فحقيقة الأعيان أنتم عينها وجميع ما في الـكائنات توهم

وقال رحمه الله التخميس الثـــاني في نعت آل بيت من أنزلت عليه السبع المثاني :

يا آل طه في الكنوز ذخائراً كنتم وجئتم للبروز مظاهرا

مالي وذي حول يردد ناظراً　　إن الوجود وإن تعدد ظاهرا

وحياتكم مـــا فيه إلا أنتم

في الدار ديار سواكم ما اغتدى　　مع كثرة موهومة متفردا

فمن العماء لمن بنوركم اهتدى　　أنتم حقيقة كل موجود بدا

وجميـــع ما في الـكائنات توهم

وقـــال رحمه الله تعـــالى :

سلت لحاظك مرهفـــاً　　بالجفن كان مغلفـــا

وسطا فجاوز حده　　في القتل حتى أسرفا

ما ضر لحظك لو تأنى م　　لحظـــة وتوقفـــا

عن فتكه في مهجة　　ذابت عليك تلهفـــا

يا من لثمت لـــثامه　　ورشفت منه المرشفا

بفم الخيال فلا ارتوى　　قلبي ولا وهجي انطفا

وقف التصور والتأمل　　للعقول استوقفـــا

عن درك معناكِ الذي　　بالفكر لن يتكيفـــا

وبلمع برق الثغر كا　　د البرق أن يتخطفا

أصبحت من ظمأي إلى　　تلك الشفاه على شفا

ببيان منطقك الذي　　جعل المعاني أحرفـــا

وأدار فيها من لمـــا　　ك على الندامى قرقفا[1]

حرف تحكم في الرؤو　　س وبالعقول تصرفـــا

قد مازج الأرواح حتـ　　ى فيه ذبن تلطفـــا

وبعـــارض باللام قد　　عرفته فتعرّفـــا

بسوى أنامل فكرتي　　نمـــامه لن يقطفـــا

وبرمح قدٍّ ثقّفته　　فنونه فتثقفـــا

---

(١) الخمر ، الماء البارد .

من لينه أخشى إذا ما اهتز أن يتقصفا
وبواو صدغ ما على غير الخدود تعطفا
عطفا على رمق امرىء غادرته رسماً عفا
لم يبق غير نسيسه وعلى المنية أشرفا
رفقاً بقلب متيم عنه سواك قد انتفى
أشفى على خطط الهلا ك ومن وصالك ما اشتفى
وبليل هجرك ربما غفت النجوم وما غفا
أخفيت حبك برهة والآن قد برح الخفا
ونشرته نشر العبير وكان قبل ملففا
وتسامرت بين الحجو ن به القوافل والصفا
شغب العذول عليّ عنـــدك بالسلو وأرجفا
فليكثر التعنيف مَنْ جَهِلَ الغرام فعنفا
لو كان يدري ما الهوى وهو الظلوم لأنصفا
يا أيها القمر الذي بغيا هب الشعر اختفى
والبدر حاول أن يحا كي وجهه فتكلفا
لبس المحاسن واكتسى ثوب الجمال مفوّفا (١)
وكسا الذي خلع العذا ر بحبه ثوب الجفا
كن لي عليك مساعداً وعليك كن لي مسعفا
أو ما كفى ما قد جرى ما قد جرى أو ما كفى

وقال مبتكراً هذه الأبيات وهي من اختراعاته الغريبة :

---

(١) الفُوف والفَوف : نوع من برود اليَمن ، واحده : فَوفة (بضم الفاء وفتحها) وجمه أفواف .

علينا أهلة هذي الشهور غدت تحصد العمر في منجل
وداست بيادر أيامه بنات لياليه بالأرجل
وقد نثرته مذاري الخطوب كنثر الحبوب من السنبل
وقد طحنته رحى النائبات دقيقاً فما احتاج للمنخل
وقد عجنته بماء الصدود أكف القطيعة في الموصل
وقد خبزته سليمى الهموم بسجور تنورها المصطلي
وقد قورته رغيفاً رغيف فقلنا لأم الدواهي كلي
ومر الصبا كريح الصبا ومنه الشمائل كالشمأل
وطار إلى ما ورا الخافقين يرفرف في خافقي أجدل [1]
وضاع الشباب فرحنا عليه ندور من الشيب في مشعل
وقد خضبته أكف الغموم خضاباً إلى الحشر لم ينصل
وكان السواد قراباً له فصار البياض شبا المنصل
بكينا على زمن مدبر كما الطفل يبكي على المطفل
ولا بد من بعد هذا البكاء سنبكي على الزمن المقبل
تشابه ذا اليوم مع أمسه فقسنا الأخير على الأول

وقال رحمه الله

وقاض بجور ماله من مضارع على انه بالعسف أقطع من ماض
قضى ومضى لكن إلى كل غاية من الخزي لا يحظى بها أبد أقاض
يقولون يقضي قلت لكن بباطل وقالوا وبمض الحق قلت بقراض

وقال رحمه الله تعالى

كل يوم يجرد الدهر سيفاً نصله الصبح والمساء قرابه
ويتراءى نجاده من شعاع وعمود الفجر المنير نصابه
والدراري في ظهره فقرات فالورى مثل ذي الفقار تهابه

(١) الأجدل : الصقر .

فإذا ما بدا ينضنض[١] كالصِّمل[٢] على الخافقين سال لعابه
انه ذلك الحسام الذى يخـــشى على كل من عليها ضرابه

وقال رحمه الله

بي كاتب خطه المسودّ نسخته قد بيضت كل تسويد من اللمم
عوذت حاجبه مع شق قامته من عين حاسده بالنون والقلم

وقال مشطراً رحمه الله

رسمت بحمر البنان شقائقاً فزها برونقها طراز برودها
ومشت فألقت من شعاع ردائها في الروض مثل ورودها بخدودها
لم أدر أيها الشقائق فانثنت مشغولة الأيدي بحل بنودها
ولحت رمان النهود فبادرت عيني تثلث جلنار نهودها
ورمقت سطراً فوق صدر مشرق كنهار زورتها وليل صدودها
وبدت لتثبت بالجعود ضلالتي فيه حروف شهودها لجعودها

ومن نثره ما كتبه لصاحب الدولة العلامة الفاضل عبد اللطيف صبحي باشا ابن سامي باشا وكان قد أرسله اليه من دار السلام إلى الآستانة وهو :

باسمك يا لطيف قسماً بمن أقسم بالصبح إذا أسفر ، ما رأيت مناسبة لنسبتك أيها النسيب اليه ، لكونه وأبيك السامي عليه ، هو بالانتساب اليك أجدى ، وبالاحتساب عليك أيها الحسيب أجدر ، وأنّى يتسنى له الوصول إلى حضيض سدتك القعساء ، ولو طار بأجنحة النسر إلى عنان السماء ، على انه ما يتنفس إلا حسرة على انحطاطه عن عليّ رتبتك ، ولا يتبسّم إلا مسرّة بما حازه من ارتباط قويّ نسبتك ، ولا ينفلق إلا كاشفاً عن غرر محاسنك الكاشفة للكروب ، ولا ينصدع إلاّ حاسراً عن طرر مآثرك الجاذبة للقلوب ، ولا يهب سحراً نسيمه ، إلا عن نفح الطيب من سجاياك ، ولا يعب عبوب القلوب شميمه ، إلا من عبير التعبير

---

(١) نضض الشيءَ : حرّكه .
(٢) الشديد الخلق .

عن مزاياك ، فليُمْلِ صحائف حكمة الإشراق على الآفاق ، وليتل صفائح لواقح الأنوار على الأقطار ، وليشدخ بعمود من نور ، يا فوخ الديجور ، وليمعط بلهذم[1] رمحه جلباب الليل إلى الذيل ، وليلق ملاحفاً من ضياه على الوهاد والأعلام ، ولينشر مطارفاً من سناه ، على البطاح والآكام ، وليلف ذنب السرحان ، بين الأفخاذ والأعكان ، وليمسك بكافور تباشيره سائل العلق ، من عرنين الشفق ، وليعطس بأنفه الأقنى الأشم العرنين ، ولينعم بتشميت ذكا صباحا ، وليزهى غرراً وأوضاحا[2] ، تتلألأ بها أسرّة الجبين ، فها أنا والنبيه غنيّ عن التنبيه ، ما وقب غاسق ، وذر شارق ، وعنّ بارق ، لا زلت أدامك الله ولم أزل آن الضحى ووقت الطفَل ، أصِلُ الاغتباق بالاصطباح ، واقطع آناء الليل وأطراف النهار ، بما يديره على مسامعي من الأقداح الكبار ، مفعمة بما يتسلسل سلساله من سلاف محاسن الآثار ، دوراً مسلسلاً مساء ، ودوراً صباح ، فيأخذني الارتياح بالراح من يدي ، وأكاد أن أطير من غير جناح لناديك الندي :

وكيف يطير المرء من غير أجنح   ولكن قلب المستهـام يطير

جناب من وطئت لجانبه أيها السعد بساعد مساعدتك ، وعضد معاضدتك ، سبل مقاصده ، وطرق مواقفه ، فوطاها مولاك ومولاي ، الذي ملكْتَ عقد ولائه ، فاستملك عقد ولاي ، فاستحق أن يكون من الموالي العظام ، الفاضل الهمام الشيخ طه ، لا زال ممتطياً مما مهدت له من نجائب النجابة ، وركائب الرغائب المستطابة مطاها ، فإنه السابق الذي لا يلحق ، واللاحق الذي لم يسبق ، ولا يشق له غبار ، باستطراد مسـاعيك في مضمار الافتخار ، فما حضر في محفل بأعلام مدينة السلام حافل ، ولا جالس من عنادلها مساجل ، إلا وملأ أقفاص الخواص ، مما يليه بهديله[3] وترتيله ، من سورة الإخلاص في محبتكم أفراحا ، وأجـال من جريال هاتيك

---

(١) امتعط السيف : استله .

(٢) اللهذم : الحادّ القاطع من السيوف والأسنة والأنياب .

(٣) الجريال : الخمر .

المعاني المروقة في أواني المباني أقداحا ، ومن سني طالعه وبهي مطالعه لابرح مستديراً محور مباهاته ، على قطب لسانه بأفلاك لهواته ، فيطلع من كواكب المناقب ، ما يزاحم النعائم في المناكب ، ويملأ ضوءها ما بين المشارق والمغارب ، ويشعل في مشكاة أولي البصائر والأبصار ، من مصابيح خلائقك الحسان الساطعة الأنوار ، ما يذكي في مجامر الضمائر ، من طيب الذكر ما هو أذكى من عنبر الشجر المعطار ، له في كل ديوان لسان شاكر لإحسانك ، وفي كل لسان ديوان ذاكر لامتنانك ، يتلو من آيات براعتك ونيلك ، وبينات مجدك وفضلك ، ما يقرط بدرره المسامع ، وتأخذ فرائده بالمجامع ، فما من ناد إلا وعطره بنفحات شذى أخلاقك الندية ، ولا من واد إلا وأفعمه برشحات ندى أياديك الندية ، ولا زلنا نتناول في أثناء مفاكهاته ، من فواكه شهي كلماته ، ماهو في أطباق كالبدور في الاشراق على خوان اخوان الصفا موضوعة ، فهي كفاكهة الجنة ، وله تعالى الحمد والمنة ، لامقطوعة ولا ممنوعة ، ولله أبوك ياغرة جبهة المالك والمملوك ، ما أسرع مالحته بعين عنايتك ، فجعلته نصب عينك ملحوظاً برعايتك ، واتخذته مستودعاً لجواهر صنائعك ، مروجا لما استصحبه من مفاخر بضائعك ، وعلمت أنه ممن إذا علم أكرم ، وإذا جُرّب قرّب ، وإذا اختبر ادخر ، لما ظهر لك بأول وهلة من المخايل ، الدالة على كرم الشمائل من الاعتدال في أحواله ، والطمأنينة والتؤدة اللتان هما من بعض خلاله ، لايتطارح على زاهد فيه ، ولا يُظهر حرصاً على غير حريص عليه .

وليس بواقع في قِدر قوم وان كرموا كما يقع الذباب

وماكان سقوطه عليك وانجذابه إليك إلا كسقوط الطل على الروض المخضل ، هذا وما ينقضي عجبي منه واعجابي به وهو العندليب بل مغني اللبيب ، في لحنه المعرب عن المرفوع من مقامك ، والمنصوب من اعلامك ، والمجرور

من أذيال أفضالك ، والمجزوم به من أجزال نوالك ، بعد أن أرشت من شؤونه الخوافي والقوادم ، وبلاتها بعد بل الصدى بقطر الندى من هاطل وابل جودك المتراكم ، كيف استطاع المطار مع الاختيار عن تلك الأوكار إلى هذه الأقطـــار ، وخلّف ماخلّف من هاتيك الرياض الورقة الفضائل والحياض المتدفقة بالفواضل ، وما دعاه إلى ذلك فأجاب بعد الاستئذان إلا حب الوطن الذي هو من الإيمان ، والحنين إلى ماترك في رصافة بغداد من الأولاد وأفلاذ الأكباد ، ولعفاف مجبول في جبلته ، وكفاف معجون في طينته ، ماراعى قول من تقدم من الشعراء :

يقع الطير حيث يلتقط الحب ويغشى منازل الكرمـــاء [1]

فرجع مملوء الحقايب ، مما أسديت له من غرائب الرغائب ، بعد أن حصل ما كان يتوقعه من بلوغ الأمل ، ولم يقنع من الغنيمة بعد الكد ، وقد ساعد الجد بالقفل ، وبناء على إشكال تأسيسه الرصينة البنيان ، المهندسة الزوايا والأركان ، في وصف رصف تلك المزايا الحسان ، والسجايا السامية الشان ، وضعت قواعد هـــذا الكلام السطحيّ التعبير ، ورفعت أبنيته فسامتت منطقة البروج بل المحدب بالتقعير ، وأنفت بوصف تلك المآثر على الأثير ، فأدى فتح باب فصل الخطاب ، إلى اتصال مد أطناب الإطناب ، المؤذن بعدم رد الجواب ، عن هذا الكتاب الكثير الإسهاب ، فليسبل حضرة المولى ، وهو باللطف أولى ، ذيل مراحمه ولطفه ، عمـــا تداخل في هذا الكلام من العلل المفضية إلى عدم صرفه ، وعلى انه داخل في باب الوقف ، وممنوع لدى المنتقد عن الصرف ، فهو على علاّته موقوف عليك وقفاً مؤبدا ، ومع ذكرك الجميـــل جيلا بعد جيل مخلدا ، والله اسأل وبنبيه أتوسل أن يقيك ويبقيك خادماً لأبيك مخدوماً لبنيك ، وان لايخليك من قرة عينك بهم وقرة أعينهم فيك ، وأن يقيمك مركزاً

---

(١) البيت للشاعر بشـــار بن برد من قصيدة يمدح بها عقبة بن سَلْم ، وروايته في الديوان :

يسقط الطير حيث ينتثر الحب م وتُغشى منـــازل الكرماء

للاحاطة بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم ، وأن يديمك قطباً تدور على محور درايتك ادارة الاقاليم بالنون والقلم ، والسيف والعلم ، وأن يجعلك ياكريم الأب والجد مُقيلاً لعثرات الكرام ، وينصبك يا أيها العلم الفرد متقيلا للعلماء الأعلام ، مانفخت أفواه المحابر وثغور الأقلام ، فملأت الصحف والدفاتر بما حويته من مفاخر المآثر بمسك الختام :

سبرت بمسبار اختباري فما ارتضى ... سواك اختياري من كرام ُهمُو ُهمُ

وما سمعت أذني بغيرك من فتى ... به ُيبدأ الذكر الجميل ويختم

انتهى . هذا وان للمترجم ديواناً يعبق روحه ، حتى كان الزهر فوحه[1] ، توفي رحمه الله تعالى سنة الف ومائتين وتسع وسبعين وقد أرخ المترجم وفاته رحمه الله قبل موته بأبيات آخرها :

بلسان يوحد الله أرخ ... ذاق كأس المنون عبد الباقي

١٢٧٩ هـ

السيد عبد الجليل بن المرحوم الشيخ عبد السلام المدني المشهور ببرّادة

عالم فاضل ، وهمام امام كامل ، قد اشتهر في الناس اشتهار البدر ، واستشرفت اليه النفوس استشرافها لليلة القدر ، واتفق على كمال فضله الخاص والعام ، وأذعن له العموم بانه طود العلماء الأعلام ، ومحور مدار

---

(١) ولد المترجم بالموصل وتوفي ببغداد ، ويتصل نسبه بعمر الفاروق (رض) وبيت الفاروق في العراق بيت علم وفضل ، وكان عبد الباقي على جانب عظيم من الذكاء وسعة الخيال ، له من المؤلفات : الترياق الفاروقي ــ ط ، وهو ديوان شعره ، و « نزهة الدهر في تراجم فضلاء العصر » و « نزهة الدنيا ــ خ » ترجم فيه بعض رجال الموصل من معاصريه ، و « الباقيات الصالحات » قصائد في مدح أهل البيت ، وأهلّة الافتكار في معاني الابتكار من شعره . (نقلنا هذه الأسطر من معاجم التراجم) .

الأدب ، ولسان بلاغة العرب . قد ضاهى السماكين رفعة وقدراً ، وحيرت الأفكار بدائعه فنثره كالنثرة وشعره كالشعرى ، الفاظه رقيقة كخلقه اللطيف ومعانيه حسنة وقدره منيف .

قد اجتمعت به حينما شرف إلى دمشق الشام بعد الألف وثلاثمائة بقليل ، وهو من المرض سقيم وعليل ، وبديهة النظر تدل على أنه استكمل من السنين ، مابين الستين إلى السبعين ، فرأيت شهما جيد الكلام ، رفيع المقام ، جميل المقابلة ، جليل المعاملة ، لطيف المؤانسة ، شريف المجالسة طلق اللسان ، عليه مهابة وجلالة وشان . ولم يطل بقاؤه في الديار الدمشقية ، بل بعد مدة قليلة توجه إلى وطنه المدينة المنورة من جهة اسكندرية ، وكان قد أسمعني من نظمه ونثره مايدل على جودة ذهنه واتساع فكره ، وقد حفظت شيئاً منه وقيدته ، الا انني ضللته بعد ذلك وفقدته ، ولم أجد عندي سوى ماقرظ به على الكتاب المسمى بعلم الدين ، لحضرة العالم الفاضل علي باشا مبارك ناظر الأشغال العمومية المصرية سابقاً ، وهو :

ماتنسج الأيدي يبيد وانما يبقى لنا ماتنسج الأقلام

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين وبعد فإني تصفحت هذا الكتاب ، بل العجب العجاب ، الذي نسبت للشيخ علم الدين روايته ، وأسندت للسائح الانكليزي حكايته ، فوجدته نزهة للناظر ، وسلوة للخاطر ، فيه للقلوب ارتياح ، وللخواطر نشاط وارتياح ، تعرب مبانيه عن لطيف معانيه ، وتفصح روائع الفاظه الرائقة عن بدائع مضامينه الفائقة ، ويشهد لمؤلفه بعلو المقدار ، ولمصنفه بحسن الاختيار . جمع فيه من غرائب الفنون ونقائض الجد والمجون ، الضب والنون ، وقرن إلى أسنى المقاصد أشرف المطالب ، فصح أنه المرغوب لكل طالب ، أظهر فيه ماخفي من أسرار الصنائع ، وكشف عن وجه مخدرات العلوم

البراقع ، وأضاف إلى ذلك من حكم الحكماء ، ما أغفلته القدماء ، ووشحه بلطائف النوادر ، وما تفردت به الأواخر ، وأظهرته في هذا الدور الأخير فهو مخترع لجميع المخترعات جامع ، وبديع في بيان معاني المبتدعات نافع ، ينتقل من فصل إلى ضده ، ويحكم الوصل بما أبداه من عنده فكأن مؤلفه المفضال يقول فيه بلسان الحال :

تصديت في إتعاب فكري لجمعه ... فجاء كتابا في البها لايشارك
وكنت بحمد الله فيه موفقا ... فإ سمي عليٌّ في الأنام مباركُ

فلله در من أنشاه ، وبطراز الحسن والإحسان وشاه ، فانه أجاد ، وسلك طريق السداد ، وبلغ به مافوق المراد . بلغه الله تعالى أمانيه ، وكبت حاسده وشانيه ، ولا زال متواصل البقا دائم الارتقا ، بهجة لليالیه وأيامه ، يزين الوجود بآثار أقلامه ، مغتنماً للثناء الجميل ، والأجر الجزيل ، بحرمة سيد الأنام ، الذي يحسن بذكره البدء والختام ، ومن نظامه :

إن كان بختي عن الدنيا تقاعد بي ... فإن لي همة من دونها القمر
وإن تك الكف عن إدراكها قصرت ... فالرجل عن دفعها ليست بها قصر

ومن بديع كلامه :

ناولت ذات البها المرآة أوهمها ... بأن فيها لها شكلا يحاكيها
وعندما أبصرت فيها محاسنها ... جارت وصالت على عشاقها تيها

ومن كلامه الأنيق ونظامه الرقيق :

أرى كل ما تحوي مجالس أنسنا ... جنوداً لدفع الهم سلطانها الشاهي
ولا عجب إن لم تتم بدونه ... فما تم أمر للجنود بلا شاهي

ومن كلامه حينما انتصرت الدولة العثمانية على اليونان وذلك في احد عشر تموز سنة الف وثلاثمائة وثلاث عشرة وكان المترجم نزيل الدار العلية فقال مهنئاً ومادحاً حضرة السلطان الأعظم عبد الحميد خان ، نصره الرحمن :

كذا فليكن ما يحرز المجد والفخر ... كذا فليكن ما يجمع الفتح والنصر
كذا فليكن ما يبلغ السؤل والمنى ... كذا فليكن ما يدرك الثأر والوتر
كذا فليكن سعي الملوك مقدساً ... يرافقه نسك ويتبعه أجر
كذا فليكن قهر الأعادي وهكذا ... تخاض المنايا والحديد لها جسر
حديث عن اليونان يضحك باكياً ... ويطرب محزوناً ويلهو به غر
أماني نفوس في الدجى حلموا بها ... وبالعكس في تعبيرها طلع الفجر
همو دبروا أمراً لأمر وفكروا ... فعاد عليهم ضلة ذلك الفكر
فعاثوا وجاسوا في البلاد بجهلهم ... وعم على جيرانهم منهم الغدر
صبرنا وكم عنهم عفونا فلم يفد ... وعن مثلهم لا يحسن العفو والصبر
فقام أمير المؤمنين لردعهم ... ببأس شديد لا يقوم له الصخر
فبادرهم منه هصور غضنفر ... كذا الليث يخشى من بوادره الهصر
مشيد أركان الخلافة فخرهـــا ... عظيم بني عثمان يا حبذا الفخر
لقد قام في ذا العصر بالواجب الذي ... هو الفرض من غزو تباهى به العصر
فأحيا مواتاً للجهاد تقـــادمت ... عليه دهور لا يشاد له ذكر
وقـــام به في الله لله يبتغي ... مثوبته العظمى وحق له الشكر
غزاة لعمر الله قد نال خيرها ... وساله رغم العداة بها اليسر
بفتكته البكر التي شاع ذكرها ... وأفضل فتكات الملوك هي البكر
ليهنك يا كهف الأنام وظلهم ... فتوح به سر المحصب والحجر
وقبر لخير الخلق ُمر ّ بطيبة ... وحق لهذا النصر أن يفرح القبر
فأنت ملاذ للعفـــاة مؤمل ... وفضلك جم لا قليل ولا نزر
ومن أين للمزن الكنهور جود من ... بكلتا يديه ديمة صوبها التبر
لك الرأي بالحزم السديد مؤيد ... تعـــاملهم بالمكر ان لزم المكر
فداوِ مريض الجهل بالحلم ان يفد ... وإلا فداء الشر يحسمه الشر

ورأيك سيف ما ألمت شباته ... بأمر عصى إلا استطاع له الأمر
ومن أين للسيف الحسام مضاؤه ... إذا خامر الألباب من حادث ذعر
كهانته شق سطيح بجنبهـا ... يحار لها زيد ويعيا بها عمرو
سمعنا بأن الجبن فيهم سجية ... ولما التقينا صدق الخبر الخبر
لقد تركوا الأوطان والأهل عنوة ... وأجلاهمو القتل المبرح والأسر
وما وقفوا في ماقط[١] الحرب لحظة ... ولا ثبتوا كلا ولكنهم فروا
وأدهم بالدهم الجياد دهاهمو ... فحاصوا كحمر الوحش صادفها نمر
وترحالة عنهـا ترحل جمعهم ... ودكدك[٢] من أنحائها السهل والوعر
وغصت غلوص بعد ذاك بريقها ... فما ساغ لولا أن تداركها البحر
ولا ريس في لاريس بعد انهزامهم ... رئيس فهم فوضى كأنهم الحمر
ودوميكة تدعو اتينة جهدها ... لتنجدها هيهات أشغلها عذر

وحينما كنت في الآستانة سنة الف وثلاثمائة وخمس عشرة كان حضرة المترجم بها أيضاً ، وكنت أجتمع به كثيراً وأجلو الغم بمذاكرته وبديع محاضرته . وكان متقن اللغات الثلاث متبحراً بها ، فمرة تلا علينا بيتين بالفارسية وأفاد أن معناهما أن هذا العالم قبل ايجاده كان مستريحاً من النعم والنقم ، وان الله تعالى ما أوجده إلا لتحمل الألم ، والأكدار والسقم ، وطلب مني رد هذا المعنى إلى العربية فلم أستطع إلا موافقته ، ومسايرته ومطاوعته ، فقلت :

كان ذا العالم في غيب العدم ... ذا هنـاء من نعيم أو نقم
ما براه الله إلا للعنـا ... والدواهي والنواهي والسقم

وقلت أيضاً :

قد كان ذا الخلق في غيب العما عدماً ... ما شـابه نعم كلا ولا نقم
وما براه إله العرش من عدم ... إلا لتنهكه الآلام والسقم

---

(١) المقط : الشدة ، وهو ماقط : شديد .
(٢) تدكدكت الجبال : تهدمت ، ودكدك الحفرة : ملأها ترابا .

ونظم هذا المعنى حضرة الفاضل الكامل محي الدين باشا الجزائري شبل الأمير عبد القادر حفظه الله فقال :

قد كان هذا الخلق قبل ظهوره   في راحة من رحمة وعناء

فأراد بارئه لسر قد خفي   إظهاره للسقم والبلواء

وأرسلت ذلك للمترجم المومى اليه ، وبعد أيام أرسل إلي كتاباً وفيه : الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله يا سيدي ومنتهى أملي وهواي ، لما تأملت القطعتين النفيستين ، بل الدرتين بل الفرقدين النيرين ، لم أستطع السكون والتمكين ، حتى بادرت إلى التطفل عليهما ومزجت الغث بالثمين ، وشطرتها بما لم أرضه لهما ، ثم انه غلب علي الشره الخسيس ، فلطختهما بالتخميس غير النفيس ، وها هما يعثران في ذيل الخجل ، والعفو منكما غاية الأمل . القطعة الأولى :

أيها السائل يا عالي الهمم   ومريد الفهم عما قد أهم

خذ جواباً شافياً من كل هم   كان ذا العالم في غيب العدم

ثابتاً في ذاته من القدم

ظرفه في لونه من لونه   وصفه محتجب في صونه

قربه مندمج في بونه   غافلاً عن كونه في كونه

ذا هناء من نعيم ونقم

ثم لما فاض بحر بالسنا   وجرت فيه الجواري بالثنا

فلأمر يقتضيه الاعتنا   ما براه الله إلا للعنا

ومقاساة هموم وألم

خصه باللطف من إنعامه   وحباه بجبا إكرامه

وابتلاه رفعة لمقامه   كي يرى الأهوال في أيامه

والدواهي والنواهي والسقم

وأما قطعة حضرة الأمير محي الدين باشا :

يا من تحير في الوجود ونوره   وعناه فهم صغيره وكبيره
اسمع مقالاً كاشفاً لضميره   قد كان هذا الخلق قبل ظهوره
في عالم الأعيان والأسماء

هو كان في العدم المحض رافلاً   هو كان للعلم القديم مواصلاً
ما شم رائحة الوجود ولا ولا   متنزهاً عن كل وصف غافلا
في راحة من نعمة وعناء

هو بالعماء الصرف منه مكتفي   ولغيره مهما يكن لم يعرف
وله بذاك مقام عز أشرف   فأراد باريه لسر قد خفي
إيجاده فكساه ثوب بهاء

ما كان يدري نعمة من نقمة   كلا ولا نوراً له من ظلمة
عن نفسه من نفسه في عصمة   لكنه جعل الإله بحكمة
إظهاره للسقم والبلواء

وللمترجم المذكور فضائل شهيرة ، وشمائل بديعة كثيرة ، قد شاعت في العالم شيوع البدر ، وقابلتها الأفواه بالحمد والشكر .

توفي هذا المترجم المرقوم وهو راجع من مكة المشرفة إلى المدينة المنورة قبل وصوله بثلاث مراحل وحمل إلى المدينة المنورة وصلي عليه بالحرم الشريف ودفن في البقيع ، وذلك في المحرم الحرام سنة ١٣٢٧ ﻫ .

السيد عبد الجليل بن السيد أحمد الحسيني الواسطي البلجرامي

عالم جل في الأنام قدره ، وفاضل سار في سائر الأقطار صيته وذكره ، فمن بديع نظامه ، الدال على رفيع مقامه ، قوله :

يا صاح لا تلم المتيم في الهوى   هو عاشق لا ينثني عن خله

يأبى الدواء سقامه كعيونه فعلى الطبيعة يا معالــج خله

ومن قوله :

حبيبي قوس حاجبه كنون وصاد يد ابن مقلة شكل عينه

لعمري انه نص جــلي على أن الرمــاية حق عينه

وله شعر رقيق ، ونثر بديع أنيق ، توفي سنة الف ومائتين وواحدة .

السيد عبد الجليل بن مصطفى بن اسماعيل بن عبد الغني النابلسي

ولد سنة أربع وثمانين ومائة والف ، ونشأ في حجر والده فكان في العلم آية ، وفي الآداب غاية ، مع تقوى وعبادة ، وأخلاق جميلة وزهادة ، وعفة وديانة ، وكمال وصيانة ، وفضيلة مشهودة مشهورة ، ومنزلة رفيعة بين الناس مذكورة ، وأفعــال حسنة ، وأحوال مستحسنة ، ومحاضرات غريبة ، ومذاكرات عجيبة ، لا يمله جليسه ، ولا يروم فراقه أنيسه ، يرى العزلة للدين أسلم ، والابتعاد عن الناس أحسن وأحكم ، فلله دره من فرد نادر ، ناه عن المنكر وللمعروف داع وآمر . ولم يزل على هذه الحالة الفاخرة ، إلى أن دعاه داعي الآخرة ، وذلك نهار الخميس أواخر شعبان سنة الف ومائتين واثنتين وخمسين .

الإمام العارف بالله السيد الشيخ عبد الجواد بن الشيــخ عبد اللطيف بن الحاج حسين بن الشيخ عطية بن الشيخ عبد الجواد القاياتي من أولاد الشيخ ياسين القاياتي منتهى نسبه إلى الصحــابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه

الإمام الأمجد والبطل الأوحد ، مؤيد السنة وناصر الدين ، ومربي الفقراء والمريدين ، من ملأت شهرته الآفــاق ، وحصل على كمال فضله

الاجماع والاتفاق ، وتألفت على محبته القلوب ، وزالت عن ذوي مشاهدته الهموم والكروب .

ولد في القـايات سنة سبع وعشرين ومائتين والف ، ونشأ في حجر والده وبعد أن حفظ القرآن بالتجويد والإتقان ، نقله والده إلى القاهرة ، فأخذ العلم بها عن جماعة ذوي معرفة باهرة ، منهم النور الشيخ علي البخاري الذي اشتهر في الآفاق علمه وولايته ، ومعرفته بكمال الفنون ودرايته ، وكان غـالب أخذه عنه وجل تردده اليه ، وأكثر اعتماده في مهماته عليه ، وكان شيخه المرقوم يجله غاية الإجلال ، ويقدمه على الواردين في الترحيب والإقبال ، ويقول انه من الأولياء ، وسيكون له شأن بين العلماء . وأجازه العلماء ذوو القدر المصون ، بما تجوز لهم روايته من جميع الفنون . وأخذ الطريق عن والده فجد واجتهد ، وأفيضت عليه الأنوار وجذبته يد العناية والمدد ، فلما أحس والده بالرحيل إلى جوار الملك الجليل ، أمره بالتلقين والإرشاد والقيام بهداية العباد ، فقام باحياء تلك الشعائر أتم قيام ، وبلغ به القاصدون والمريدون أتم مرام ، وصار منهلاً عذباً للواردين ، وملجأ وغوثاً للقاصدين ، وبدراً منيراً للمسترشدين ، وبحراً زاخراً المستفيدين . وكثرت أتباعه كثرة فائقة جداً ، وانتشرت مناقبه فلن تستطيع لها عدا . وشاع ذكره وعلا أمره في جميع البقاع ، فكاد أن لايخلو محل من المحلات إلا وله فيها مريدون وأتباع ، وانطلقت الألسن بالثناء عليه ، وكثرت وفود الوافدين إليه ، حتى صارت قرية القايات ، أكثر من كثير من المدن بطبقات ، وكلهم ينالون منه أنواع الإجلال والكرامة ، حتى كل منهم يتمنى أن يجعل في هذه القرية مقامه . وبنى لوالده المقام الأنور ، والمسجد الشريف الأبهر ، ورتب بالمقام ليلة الجمعة والسبت مقرأ عظيماً يحضره من أهل العلم والقرآن عدد كثير وجم غفير ، ولكثرة الزوار لهذا المقـام

الكريم ، حدث يوم الجمعة بتلك البقعة سوق عظيم ، وجعل بالمقام خزانة كتب من جميع العلوم ، فما من كتاب إلاّ كاد أن يكون في قلادة هذه الخزانة من جملة المنظوم ، وصار يحث الناس على تعليم الأولاد ، ويساعدهم فوق المراد ، حتى كثر أهل العلم والقرآن ، وصار لهم بهذا المحل عز وشأن . وكان مع شغله بالإرشاد وإكرام الوافدين بالمال والزاد ، وذكره وأوزاده وإقباله واجتهاده ، يقرأ للطلبة في كل يوم درسين مما هو للطلبة قرة عين ، وكان له زيادة اعتنـــاء بتعظيم الأشراف ، حتى لو قدم لهم روحه لا يعدّ ذلك من الإسراف ، وكان شديد الرحمة باليتامى والمساكين، والأرامل والمنقطعين ، وكراماته أشهر من أن تذكر ، ومناقبه لا تعد ولا تحصر .

وله من التآليف كتاب مجموع الفتاوى يشتمل على أجوبة المسائل التي سئل عنها على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه . وله بعض رسائل في الانتصار لأهل الطريق في أمور أنكرت عليهم ، وله كتاب في أشياء من غوامض الطريق . وجعل على ضريح والده مقصورة في غاية الانتظام ، وبعد موته قد جعل الناس له ولوالده مولداً يحضره الجم الغفير من الخاص والعام . وتروج فيه البضائع وتكثر الخيرات ، وتظهر فيه البركات وجميل النفحات . ومن أراد أن يرى العجب العجاب ، فلينظر ما يحصل من الإكرام في هذا المولد لمن حل بهذا الرحاب .

توفي المترجم المرقوم والفرد الذي بكل فضل موسوم ، ليلة الجمعة في السابع والعشرين من المحرم سنة سبع وثمانين ومائتين وألف ، ودفن بجوار والده في القايات داخل المقام الأنور ، وعلى ضريحه مقصورة في غاية الانتظام . وقد كتب على قبره الشريف من نظم الشيخ مصطفى حبيب العدوي :

أيقظ جفونك من طيب الكرى وعظ   فليس شخص على الدنيا بمتعظ
لو كان يبقى بهذا الدهر ذو شرف   ما مات مثل الإمام العالم الوعظ
عبد الجواد الذي أحيا النفوس بما   أسداه من نور قلب مشرق يقظ
ضاق الفضا مذ قضى أيامه ومضى   إلى إله كريم خـير محتفظ
بشراه فالحور قد قالت مهنئة   أرخ بدار الهدى عبد الجواد حظي
٢٠٧ ٤١ ١٢١ ٩١٨

وقد مدحه الشيخ محمد شهاب بقصيدة منها :

أدر كؤوس التصابي واجل لي قدحاً   وخل من في مجالي صفوها قدحا
وهاتهـا خمرة بكرا معتقة   بكر بها لحديث الوجد قد شرحا

إلى أن قال :

نعم الخليفة في جود وفي كرم   عبد الجواد سليل السادة الصلحا
يا حسنه واصلا كانت طريقته   لله في الله لا في نيل ما قبحا
دلت على سره أنوار ظـاهره   والظرف يشعر بالمظروف ان نضحا

وممن رثاه أحد علماء الأزهر العالم الفاضل الشيخ علي غزال فقال :

أبدرتم العلا من أفقه نزلا   أم كوكب السعد لما تم قد أفلا
أم حادث الدهر وافتني نوائبه   إذ ما سمعنا به في حكمه عدلا
حيث الإمام أبو الأنوار قد غربت   من بيننا شمسه لما قضى الأجلا
شيخ الشيوخ القاياتي الذي شرفت   به الأواخر حتى أدركوا الأولا

وأطال فيما قال مع إنه لم يذكر من شيم هذا المفضال ، إلا قطرة من بحر أو ذرة من بر ، وقد رثاه غيره بمراثي كثيرة ، وهي في محله موجودة وشهيرة ، ولو أردنا ذكرها مع ما مدح به هذا الفاضل صفوة الأخيار ، لاحتاج الأمر إلى عدة أسفار ، ولكن الشمس لا تحتاج إلى مديح ، والبدر غني بإشراقه عن التصريح نفعنا الله به والمسلمين آمين .

الشيخ عبد الحليم بن مصطفى بن محمد بن خليل الشافعي العجلوني ثم الدمشقي

شيخ المحيا الشريف ، والإمـام الهمام ذو القدر المنيف ، بركة أهل الشام ومعتقد العموم الخـاص والعام ، الفهامة المحقق والعلامة المدقق ، والمرشد الزاهد والتقي العابد ، مربي المريدين ومفيد الطالبين ، بديع الزمان وعمدة ذوي العرفان ، كان حسن التقرير قوي الحافظة سليم الصدر ، كثير الطاعة مواظباً على الذكر .

ولد بدمشق الشام في اليوم الثامن من شهر شوال سنة خمسين ومائة والف . ونشأ بها وأخذ عن أفاضلها وعلمائها كالشيخ العلامة أبي الفتـح العجلوني وشمس الدين محمد الكزبري والشيخ أحمد البعلي والشيخ علي الداغستاني والشيخ مصطفى اللقيمي والشيخ أبي بكر القواف والشيـخ أسعد المجلد والشيخ التافلاتي .

وأخذ في مصر عن الشيخ الملوي والشيخ الحفني والشيخ البراوي والشيخ عطية الأجهوري والشيخ الكامل محمد بن أبي بكر الجاويش والشيخ العيدروس وأجازوه جميعاً الإجازة العامة بجميع ما تجوز لهم روايته عن مشايخهم . وأخذ طريق المحيا عن الشيخ عبد الوهاب بن الشيخ مصطفى سوار والشيخ عيسى الشبراوي وعن الشيخ الحفني ولقنه الذكر والشهاب أحمد أبو الفوز ابن العارف عبد الوهاب الشعراني وعن السيد محمد مرتضى الزبيدي وكتب له بخطه ، والشيـخ أحمد العروسي والشيخ أحمد الدردير المالكي الخلوتي وابراهيم المصيلحي بن ابراهيم الشافعي إمام جامع الأزهر .

مات المترجم بدمشق الشام سنة سبع عشرة ومائتين والف من هجرة سند الأنام ، ودفن رحمه الله تعالى في مقبرة باب الصغير ، أعلى الله درجته

عبد الحميد بن شاكر بن ابراهيم الزهراوي الحمصي

ريحانة الجليس وحـانة الأنيس ، تفرع من دوحة الرسالة والنبوة ، وترعرع في روضة البسالة والفتوة ، فجمع بين كرم الأصل والأخلاق ، وطلع بدره في سماء المعارف وراق ، واقتطف من حدائق الآداب أزهاراً ، وارتشف من زلال الكمال وعلا قدراً وفخاراً ، وقرن بين النسب والسيادة ، وتقلد بالحسب وتحلى بالعلم والزهادة . إن تكلم أفاد وأطرب ، وإن كتب أجاد وعما في ضميره أعرب ، مع رقة تفوق نسيم الصبا ، ولطافة ما سمع بها نجيب إلا وإليها مال وصبا . صرف نقد شبابه في الطلب والتحصيل ، وأكمل مواد معلوماته نهاية التكميل ، مع ذكاء عجيب وإدراك غريب ، وهمة عالية ومروءة سامية ، وطبع أشهى من الراح وسجع الذّمن تثني الملاح . ثم سافر إلى الآستانة ليقضي بها شأنه ، وعينت له الدولة العلية معاش الاكرام ، وأخرجته من الآستانة إلى الشـام ، فاختلط بعلمائها وجلس مع فهمائها ، وأظهر للبعض بعض ما لديه من بديع المعاني ، وأضمر بعض أشياء لايجوز كشف سترها إلاّ لِمُعاني . وكان من دأبه إظهـار الانتقاد ، وعدم الميل إلى التأويل وان ماورد به النص عليه الاعتماد .

وقد ألف رسالة سماها الفقه والتصوف ، وهي مشتملة على ثلاث رسائل ينتقد بها على كتب الفقه والأصول والتصوف ، وقد زاد في اعتراضه ، وحـكم على كثير مما قالوه بانتقاضه ، وتجاهر بهذا الأمر بين الخاص والعام ، ونشر هذه الرسالة بين الأنام . فلما علم الناس بها أنكروها ، واحتقروا ما اشتملت عليه وحظروها ، وقام لهـا العلماء على قدم وساق ، واتفقوا على تكفير مؤلفها من غير شقاق . ثم ذهبوا أفواجاً إلى الوالي من غير فتور ، وأخبروه عن المترجم بمـا يكدر الخاطر ويسجر الصدور . وقالوا لقد تعدى طوره ، وأشاع في الناس جوره ، وأذاع الضلال ولم يخش من أمير

ولا وال . فأمر الوالي بالقبض عليه ، وإحضاره لديه ، وأن يجتمع المفتي والعلماء الكرام ، لكي يسألوه عن قصده فيما أشاعه من غير احتشام . فلما سألوه نكل عن الجواب ، وأعرض إعراض من لا يخاف ولا يهاب ، فأمر الوالي في الحال بجمع الرسائل أجمع ، وأرسلها صحبته إلى المحل الأرفع ، فلما وصلوا إلى الدار العلية ، أسلموه إلى مدير الضَّبْطية وكان ذلك في شهر شعبان ، عام الف وثلاثمائة وتسعة عشر من هجرة ذي المقام المصان . ثم ان هذه الرسالة وإن كان بعضها صواب ، إلا أن الكثير منها لاينبغي إذاعته بين الأحزاب ، بل تدار كؤوس البحث به بين العلماء الخواص ، من دون تعرض إلى امتهان وانتقاص . وإن رسالة المترجم مخصوصة بالمساوي والملام ، ومقصورة على تخطئة أولئك العلماء الأعلام . فإشاعة هذه الرسالة خطأ وإن كان ظن مؤلفها جميلا ، وطبعها المقتضي لشهرتها بين معترضيها وغيرهم لا يناسب لأنه رتب أمراً جليلا ، والغريب كل الغريب أنه ما نظر إليها ناظر منصف ، ولا اطلع عليها إلا متعصب مسرف . فمنهم من حكم بكفره وإبعاده ، ومنهم من حكم بزندقته وعناده ، ومنهم من أوجب عليه القتل ، وان وجوب ذلك مأخوذ من النقل ، من قوله تعالى : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف » (١) والحكم عليه بالقتل لهذا الدليل لايخلو عن اعتساف .

والحاصل ان هذه القضية كانت قضية كبرى . ولكن انصرفت بإرسال الوالي له مع بعض رسائله إلى الآستانة لينظر في أمره ، فبقي بعد وصوله أشهراً في دائرة الضابطة محجوراً عليه غير مهان ، ثم بعد ذلك شملته العواطف الحميدية ، والمراحم العثمانية ، فأغرقته في بحر إحسانها ، وكسته ثوب عفوها وامتنانها ، فأبقت معاشه عليه ، وردته إلى بلده مع جميل نظرها إليه ،

(١) سورة المائدة ، الآية : ٣٦ .

ولم يزل يرفـــع أكف الضراعة في الدعاء لأمير المؤمنين . والحمد لله رب العالمين [١] .

(١) لما كان تاريخ حلية البشر غير مقصور على تراجم القرن الثالث عشر بل تعدّاه الى نحو ثلث القرن الرابع عشر ، وكان استشهاد السيد الزهراوي وإخوانه في اخر هذا الثلث الأول من القرن الرابع عشر — أي قبل وفاة المرحوم الجد المؤلف بنحو سنة — فقد ترجم للشهيد الزهراوي في حياته ، ولم يتمكن أن يزيد في ترجمته مافعله السفاح جمال باشا به وباخوانه شهداء العرب من القتل والصلب ، لما أضر يد المؤلف من الأسى والشلل الذي عطله عن الكتابة ، فرأينا الواجب يقتضينا ألا نغفل عن أمر استشهادهم وذكر أسمـائهم حفظاً لتاريخهم . واستدراكا لمـا اضطر الأستاذ الجد إلى تركه في آخر حياته ، وكان الواجب ذكره في هـذا التاريخ . وأنا ألخص هذا من المجلدين (١٩ و ٢١) من مجلدات المنار وجريدة الأهرام . ويرى القراء مصداقه في الأعــلام ومعجم المؤلفين ومعجم المطبوعات العربية وغيرها .

السيد عبد الحميد الزهراوي م ١٣٣٤ هـ = ١٩١٦ م

كان هــذا الشهيد السعيد نابغة من نوابغ السوريين ، لايكاد يلزّ به في مجموعة مزاياه قرين ، إنه أحد أشراف البلاد ، المنصرفين لخدمة الأمة بكفاءة واستعداد ، من معرفة المصلحة ، وفصاحة اللسان ، وقوة الحق ، وجرأة الجنان ، وقد بدأ حياته العملية منذ بلوغ الرشد بانشاء جريدة (المنير) فتعلق بالسياسة منذ ذلك الحين ، وظل مشتغلا بها طول حياته .

وفي سنة ١٣١٥ كان محرراً في ادارة جريدة (معلومات) في الآستـــانة . وفي سنـة ١٣١٩ كتب وهو في دمشق الشام تحت المراقبة السياسية رسائله الإصلاحية الثلاث (الفقه والتصوف) وأشد ما أنكروا عليه منها القول بالاجتهاد وبطلان التقليد ، فهيجوا عليه الحكومة فاعتقلته في الشام ، ثم أرسل إلى الآستانة فاعتقلته السلطة الحميدية هنالك أشهـراً ، ثم أرسل إلى بلده (حمص) ليكون مقيما فيها تحت المراقبة ، فبقي فيها إلى أن فر إلى مصر ، سنة ١٣٢٤ وبقي —

— فيها يشتغل بالتحرير في المؤيد ، ثم في الجريدة إلى أن أعلن الدستور سنة ١٣٢٧ هـ ١٩٠٨ م وعاد إلى سورية ، وانتخب مبعوثاً عن لواء حماة ، وأنشأ جريدة الحضارة في الآستانة . وجملة القول فيه : إنه بدأ حياته بخدمة الأمة والدولة وثبت على ذلك طول حياته . وهذا هو الذي حمله على قبول منصب الأعيان ، وكان جزاؤه من جمعية الاتحاد والترقي التي أفنى حياته في خدمتها أن قتلته شر قتلة ليعلم كل عربي يراها أو يسمع خبرهـا كيف تكون عاقبة العربي المفكر ، والخطيب المؤثر ، والكاتب المحرر ، عند هؤلاء القوم الذين جعلوا من أصـول سياستهم محو العربية من سورية والعـراق ، وحتم البداوة على عرب الجزيرة وإيقاع الشقاق الدائم بينهم إلى أن يُبيد بعضهم بعضاً . مع أن عرب الجزيرة هم صفوة العرب ، وأعظمهم استعداداً ، فان كان هنالك إصلاح عربي ، فيجب أن يكون لهم حظٌّ منه ، وأن يعتنى بشأنهم أكثر من غيرهم . وكان السيد الزهراوي يرى وجوب ايجاد الرجال الذين يعتمد عليهم ، وتوزيعهم بقدر ما يساعد الزمان والمـكان لبث الإصلاح العلمي والعملي . ولا يجوز اهمال من يدهم أمر المملكة وتركهم وحدهم ، وانه لا بد لنا من رجال ههنا .

وقد قبل منصب الأعيان بتلك النية الصالحة . وكتب الى صديقه السيد الإمام محمد رشيد رضا ما نصّه : أخوكم عيّن بعون الله وعنايته عضواً في مجلس الأعيان ، فبشروني بأنـكم راضون عن قبولي بها ، والله يشهد أنني انما قبلت لإتمام العمل ، وتعلمون قلة الرجال عندنا يا أخي .

المشانق في سورية — شنق الزهراوي

جاء في جريدة الأهرام تحت هذا العنوان ما نصه : تلقت المقامات التي يوثق بروايتها أن السيد عبد الحميد الزهراوي حوكم في دمشق (الصواب في عالية) أمام المجلس العسكري فحكم عليه بالموت شنقاً فشنق . ولربما خفف من لوعة الأسى عليه شنق من تقدموه من عظماء الأمة السورية وأمراء المسلمين على وجه التخصيص كالأمير عمر الجزائري بن الأمير عبد القادر ، والأمير عارف الشهابي ، وشفيق بك المؤيد من أكبر رجال سورية ، ورشدي بك الشمعة من صفوة أعيانها ، وشكري بك العسلي وعبد الوهاب بك (الانكليزي) ومحمد المحمصاني وسليم بك الجزائري وعبد الغني العريسي الخ ولكن الزهراوي كان يمثل طائفة خاصة وفكرة —

ــــ ثابتة ، وحياة جديدة ، تتراوح بين طائفة علماء الدين الإسلامي وغيرها من الطوائف الراقية . والبحث في شؤون طائفة الزهراوي في سورية وبلاد العرب من المباحث الخطيرة الجليلة التي تبين الصلة بين الماضي والحاضر ، والقديم والحديث ، بل تظهر التدرج الذي كان ينتظر على يد أولئك الذين أزهقت الحبال أرواحهم ، وأودت بعلمهم وعملهم ، وأماتت غرسهم قبل أن ينبت ، وبما نبت منه ، قبل أن يزهر ويثمر . (ثم قال بعد وصف حال سورية في ذلك العهد) : وكان السيد الزهراوي يقول باتحاد الطوائف العربية بعامل اللغة والمنفعة والأصل والسلالة ، فأنشأ جريدة الحضارة لهذا الغرض ، وكان من محرري جريدته رزق افندي سلوم الذي شنق في دمشق وهو فتى من حمص ، كان قد ترهب ، ولكنه خلع أثواب الرهبنة وسار على آثار مواطنه ، ووحد الاثنان كلمتهما في هذا السبيل ، فكأنهما جما لسانين دينيين على دعوة واحدة وطنية . (وقال بعد نعت الأحزاب السياسية) فرأس المؤتمر العربي الذي عقد في باريز ـ لأنه لم يسمح لهم بعقده في بلاد الدولة ـ وهناك كتب الوثيقة المشهورة مع مندوبي الاتحاديين ، وعاد إلى الآستانة مع رسول الاتحاديين عبد الكريم قاسم الخليل الذي كان أول المشنوقين في سورية والهادي الذي تلاه والشيخ أحمد طباره الذي حكم عليه بالاعدام ، فعين الزهراوي في مجلس الأعيان إلى أن شنق . ومما امتاز به هؤلاء جميعاً شدة عصبيتهم العربية ، وشدة عصبيتهم الجنسية العثمانية ، حتى كان الزهراوي يقول عند ذكر مطمع دولة من الدول في أملاك الدولة العثمانية : « إن هذا ينال منا بعد أن تزهق أرواحنا » ثم ترجمت مجلة المنار التي لخصنا عنها كلتها وكلمة الأهرام لرفيق رزق سلوم ترجمة وافية ، وذكرت في آخرها أنه كان مولعـــا بنظم القصائد في مدح النبي العربي الأعظم ﷺ وإنشادها في احتفال المولد النبوي الشريف في المنتدى الأدبي ، قال السيد في مناره : فهذا هو السبب الحامل لجمال باشا السفاك الاتحادي على شنق رفيق رزق سلوم مع السيد الزهراوي واخوانه واخدانه من مصلحي العرب ، ولا نعلم له ذنباً إلا هذا ، فانه قضى حياته السياسية كلها في الآستانة ، وكان على رأي استاذه الزهراوي في وجوب السعي إلى ترقي العرب في حجر الدولة العثمانية ، وكان جورج حداد على هذا المشرب أيضاً ، ولكنه كان من أعضاء حزب اللامركزية ، وكفى بذلك ذنباً عند جمال باشا يقتضي القتل والصلب . وقال صديقه الشيخ احمد نبهان الحمصي في ترجمته له : صلب المترجم بدمشق الشام مع جملة من وجهاء البلاد السورية بلا محاكمة ولا سؤال منه عن شيء ، ــــ

— وذلك ليلة السبت في ٤ رجب سنة ١٣٣٤ هـ ، و ٢٣ نيسان سنة ١٩١٦ ميلادية ، وكان لسان حاله يقول :

يا جزع نح وابك واندب جثة خلقت ... من يوم (قالوا بلى) للضنك والمحن
وحيّ أهــلاً وجيرانا وآونة ... حيّ الرفاق وحيي سائر الوطن
حبّــاً بصالحهم أصبحت فديتهم ... ليقطفوا ثمراً من راحتي جُني

مكتوباته رحمه الله :

تحت هذا العنوان ، كتب صديقه وابن بلده (حمص) الأستاذ الشيخ أحمد نبهان ، ما يأتي : كتب في مواضيع عديدة كلها فوائد — (منها) ماحوته جريدة الحضارة التي أصدرها في الآستانة ثلاث سنين ، (ومنها) مقالات في التربية كان ينشرها في جريدة ثمرات الفنون البيروتية قبل إعلان الدستور ، (ومنها) ما نشرته المؤيد والمعلومات العربية والجريدة والمنير وخلافها من الجرائد المصرية والسورية ، وكتب في مجلة المنار عدّة مقالات ، وله كتاب نظام الحب والبغض ، نشر منه في المنار عدة فصول ، وما أكمله لموانع سياسية ، (ومنها) رسالة في الفقه والتصوف وهي التي نوهنا بها قبلا ، (وأخرى) في الإمامة ، (ورسالة) ترجمة السيدة خديجة ، سلك فيها مسلكاً غريباً لطيفا ، أبدع فيه كل الإبداع ، وأتى بكل ما يستطاع ، من طالعها حق المطالعة يقف على مقدرة هذا المترجم واطلاعه ، وسلامة ذهنــه وسلامة ذوقه ، ودقة فكره ونزاهة سرّه ، ولا سيا الأبحاث الأخيرة منها . وقد طبعت بمطبعة المنار ، وكان نيته أن يجعلها الحلقة الأولى لسلسلة تاريخية ، فحالت دون ذلك أشغال ، قامت مانعاً عن إخراج هذا الفكر إلى حيز الوجود . ومنها رسالة في النحو وأخرى في المنطق ، وغيرها في علوم البلاغة ، المعاني والبيان والبديع ، وكتاب في الفقه بأسلوب قريب المأخذ سهل العبارة ، يدعم مسائله بالأدلة الدامغة . وله محاضرات كان يلقيها في بيروت وحمص ايام ذهابه إلى الآستانة وعودته منها . وله شعر لطيف في كل باب من أبواب الشعر ، ومقطعات ومساجلات مع بعض أصحابه ومراسلات ا هـ . يقول محمد بهجة كاتب هــذه السطور : كان هذا الفقيد الشهيد صفياً وفيا ، وكان يزور الأستاذ الجد إذ كان بدمشق ، وقد حضرت بعض مجالسه عنده ، فــكان حديثه من أروع الأحاديث وأمتعهــا وأنفعهــا رحمه الله .

السلطان عبد الحميد خان بن السلطان عبد المجيد خان بن السلطان محمود خان

قال في الفتوحات الإسلامية : هو السلطان المعظم المفخم ، سلطان سلاطين العرب والعجم ، حائز العلم والصلاح والكرم ، المتشرف بخدمة طيبة والحرم ، صاحب السيف والقلم ، ظل الله في العالم غياث بني آدم [١] ، نعمة الله على العباد ، وفضله على الحاضر والباد ، ناصر الحق والدين ، مؤيد شريعة سيد المرسلين ، المحفوف بالسبع المثاني ، أمير المؤمنين مولانا السلطان الغازي عبد الحميد الثاني ، أعز اللهم سرير الملك والخلافة بوجوده ، وأعد على القريب والبعيد آثار فضله وجوده ، وأنفذ في جميع البلاد رسائل أوامره وأحكامه ، وانشر على البرايا ألوية عدله وأعلامه ، وأيده بتأييدك وأبده بتأبيدك ، واجعل سلالة تلك السلطنة العلية العثمانية مسلسلة إلى منتهى الدوران ، مستمرة على مرور الليالي والأيام ، باقية إلى آخر الأزمان آمين يا رب العالمين . بويع أطال الله عمره لما خلعوا أخاه السلطان مراد في ثالث شعبان سنة ثلاث وتسعين ومائتين والف ، فكانت سلطنته زينة وبهجة وسروراً ، وامتد بها في مشارق الأرض ومغاربها ما ملأهما نوراً ، ومما كان من الحوادث في أول ولايته انه وقع عصيان من بعض النصارى الداخلين في رعية الدولة العلية في بلاد الروم ايلي [٢] وهم طائفة يقال لهم الهرسك فجهز عليهم مولانا السلطان المذكور جيشاً فقاتلوهم ، وكانوا قوماً ضعافاً لا يحتاج الاستيلاء عليهم وقهرهم إلى كلفة ولا إلى كثرة عساكر ، إلا أن الروسية تداخلت معهم وصارت تقويهم بأشياء كثيرة حتى اتسعت فتنتهم وانتشرت ، وأعانهم طوائف من النصارى

---

(١) كان هذا الاطراء أسلوب ذلك الزمن فزالا معا .

(٢) قطعة من الممالك العثمانية كائنة في أوروبا .

الذين كانوا قريباً منهم ، إلى أن صارت المحـــاربة بين الدولة والروسية وصارت تلك الطوائف من النصارى مع الروسية ، وساقت الدولة بهذه الفتنة العســاكر الكثيرة ، وأنفقت الخزائن الوفيرة ، فقدر الله بانهزام جيوش الإسلام وأسر كثير منهم في بلونة وذلك بسبب محاصرة عساكر الروسية لهم في ذلك البلد ، وعدم إمكان وصول الميرة اليهم لشدة البرد ، وكثرة الثلج ، وممن أسر من كبار عساكر الإسلام الوزير عثمان باشا الغازي قومانداان (١) ذلك الجيش في بلونة ، ثم أطلق مع كثير ممن أسروا وكان إطلاقهم بعد انعقاد الصلح وتملك الروسية كثيراً من المدائن العظام إلى أن وصلوا إلى قريب أدرنة .

والكلام على هذه الفتنة طويل قد أفرد بالتأليف ، وختام الأمر ان بقية الدول توسطت في الصلح بين الدولة العلية ودولة الروسية وانعقد الصلح سنة خمس وتسعين على أن يبقى تحت يد الروسية ما تملكوه من البلاد ، وان الدولة العلية تدفع لهم غرامة الحرب وكان شيئاً كثيرا ، وتبقى للدولة أدرنة وما يليها . وكان هذا الخلل إنما دخل على المسلمين بعد خلع السلطان عبد العزيز فلا حول ولا قوة إلا بالله .

وفي سنة ست وتسعين ومائتين والف أعطت الدولة العلية جزيرة قبرس للإنكليز ، على أن تكون بأيديهم سنين موقتة بشرط أن يدفعوا للدولة العلية قدر الخراج الذي كان يحصل منها ، وقد تكرَّرَ وضع اليد على قبرس من المسلمين والنصارى مراراً كثيرة ، أولها من زمن الصحابة حين افتتحها معاوية رضي الله عنه ، وبعد ذلك صار المسلمون والنصارى يتداولونها ، تارة تكون بيد هؤلاء وتارة بيد هؤلاء ، وفي سنة ست وتسعين ومائتين والف خُلِعَ والي مصر اسماعيل باشا بن ابراهيم باشا بن محمد علي باشا .

---

(١) رئيس الجيش .

وقد كان محمد علي باشا لما انعقد الصلح بينه وبين مولانا السلطان عبد المجيد سنة خمس وخمسين ومائتين والف جعلت له مصر ولأولاده من بعده ، فلما صارت ولايتها لاسماعيل باشا أراد حصر الولاية في أولاده ومنع إخوانه وأولاد إخوانه منها ، فتوجه إلى دار السلطنة في مدة السلطان عبد العزيز سنة إحدى وتسعين ومائتين والف فتم له مراده ، وجعلوا ولاية مصر له ولأولاده الأكبر فالأكبر ، وكان الصدر الأعظم في ذلك الوقت في دار السلطنة هو محمد رشدي باشا الشرواني .

ثم ان الله قضى وقدر أن عاقبة هذا الأمر الذي فعله اسماعيل باشا أول ما ظهر سوءه عليه ، فإنه في سنة ست وتسعين ظهر عليه كثرة ديون أخذها من الدول الأجنبية وأنفقها في غير حقها ، فتشاور أهل الديون على انهم يضبطون خراجات مصر ومحصولاتها لأجل استيفاء ديونهم ، فلما أحس بذلك أراد أن يجعل له عصبية يمنعهم بها ، فتداخل مع العلماء وأهل مصر وعقد بينه وبينهم عهوداً ومواثيق على أن الأمور كلها تكون بيد العلماء والأهالي وبمشاورتهم ، فلما أحس الانكليز والفرنسيس وغيرهما بانعقاد هذه العصبية سعوا في خلعه ووافقهم على ذلك مولانا السلطان عبد الحميد ، فخلعوه في سنة ست وتسعين وجعلوا ولاية مصر لولده الأكبر محمد توفيق باشا عملا بما تقرر قبل ذلك حين نفى إخوته وبنيهم من دخولهم في الولاية من بعده ، وإن الولاية من بعده تكون لأكبر أولاده فأقاموا عليها ولده الأكبر وهو محمد توفيق باشا ، وتوجه والده اسماعيل باشا بعائلته وبقية أولاده إلى نابولي من بلاد ايطاليا ، وجعل له مرتب من محصولات مصر وخزينتها .

وفي سنة سبع وتسعين ومائتين والف استولت دولة الفرنسيس على تونس وأعمالها بالمكر والخديعة والحيلة ، فجهزت دولة الفرنسيس عساكر

كثيرة وأظهرت انها تريد تأديب بعض قبائل العرب العصاة ، منهم قبيلة يقال لهم الخمير في أعمال تونس ، فوصلوا بعساكرهم اليهم وقاتلوهم وقهروهم ثم زحفوا بعساكرهم إلى تونس ، ولم يستطع أحد أن يدفعهم إلى أن قاربوا دخول تونس ، فاضطرب أهل تونس اضطرابا كثيرا ، ثم عقدوا معهم صلحاً وأدخلوا طائفة من عساكرهم تونس وأبقوا الباي وهو حاكم الإقليم على ولايته بحسب الظاهر ، واستولوا في الباطن على الأحكام والمحصولات والخراجات ، واستقبلوا الديون التي كانت على والي تونس ، وصارت الأمور كلها بأيديهم فلا حول ولا قوة إلا بالله (١) .

وفي سنة ثمان وتسعين ومائتين والف كانت فتنة بمصر بين والي مصر توفيق باشا وبين عرابي باشا ، وكان عرابي باشا من رؤساء عساكر محمد توفيق باشا ، واتسع الأمر في ذلك ، فجاء الانكليز بعساكرهم البحرية نجدة لمحمد توفيق باشا إلى الاسكندرية ، وضربوا مدافعهم على الاسكندرية ، وقاتلوا الذين كانوا مع عرابي باشا ، وكان ذلك في شعبان ورمضان سنة تسع وتسعين ، واتسع الأمر بما يطول الكلام بذكره ، وكانت الغلبة لتوفيق باشا ومن معه من الانكليز ، وتملكوا الاسكندرية ، وذهب عرابي باشا ومن معه إلى مصر ، ثم سارت الانكليز بعساكرهم لقتاله بمصر ، والكلام على ذلك طويل ، وآخر الأمر انه انهزم عرابي باشا ومن معه ، ثم دخلوا مصر وقبضوا على عرابي باشا وعلى كثير ممن كانوا معه ، فقتلوا جماعة منهم ونفوا جماعة نفياً موقتا ، وجماعة نفياً مؤبدا ، وصار العفو عن قتل عرابي باشا ونفوه مع بعض من كانوا معه إلى جزيرة سيلان من أعمال مليبار من بلاد الهند ، وجعلوا إقامته ومن معه هناك ، ورتبوا لهم مرتباً يكفيهم . واستولى الانكليز على القطر المصري ، ووضعوا عساكرهم في القلعة على صورة انهم إنما فعلوا ذلك إعانة لمحمد توفيق باشا وأبقوه على ولايته .

---

(١) بحمد الله وشكره ، قد استقل الشمال الافريقي العربي كله استقلالاً تاماً عاماً .

والانكليز مع ذلك كله يقولون ليس مرادنا الاستيلاء على مصر وإنما مرادنا الاصطلاحات [١] والتأييد لمحمد توفيق وإذا استقامت الأمور وانتظمت أحوال مصر نخرج منها وتخرج عساكرنا .

وفي سنة سبع وتسعين ظهر رجل بالسودان يسمى محمد احمد يقال انه المهدي أو قائم طالب لاظهار الحق ولم يدع انه المهدي ، ويقال انه شريف حسني ، وكان قبل ظهوره مشهوراً بالصلاح ومن مشايخ الطرائق ، قيل انه على طريقة الشيخ السمان ، وأول ظهوره انه لما كثرت أتباعه ومريدوه وقع اختلاف بينه وبين العساكر المصرية المتملكين للسودان عمالاً لصاحب مصر محمد توفيق باشا ، ثم اتسع الأمر بينهم وبينه إلى القتال ، وقاتلوه وقاتلهم مرارا ، وكانت الغلبة لمحمد احمد عليهم حتى استولى على كثير من بلاد السودان وأخرجهم منها ، فلما دخل الانكليز مصر صار الانكليز هو الذي يجهز عليه العساكر ويقاتله بعساكر الإنكليز ومعهم عساكر مصر ، ووقع بينهم وبينه وقائع كثيرة يطول الكلام بذكرها ، والغلبة في تلك الوقائع كلها له عليهم ، فتملك كردفان وكسلة والخرطوم وبربرة ودنقلة وغير ذلك ، وقتل منهم خلقاً كثيراً لا يحصى عددهم ، وكان أمره معهم عجيبا يأتون اليه بالعساكر الكثيرة ، والمدافع والآلات الشهيرة التي لا يطيق احد مقابلتها ، فيقابلهم بجيوشه السودانيين وليس معهم إلا السيف والرمح والسكاكين ، فيهجمون على تلك العساكر في موضعهم ومحط جيشهم ولا يبالون بمدافعهم وآلاتهم حتى يخالطوهم ويقتلوا أكثرهم من قرب طعناً بالرماح وضرباً بالسيوف والسكاكين ، ويشتتون شملهم ، ومنهم جماعة في براري سواكن قد ولى محمد احمد عليهم رجلا يسمى عثمان دقنه ، فجاء بمن معه من السودان لمحاصرة سواكن واخراج الانكليز والعساكر المصرية منها فخرجوا اليه بجيوشهم الكثيرة ، وآلاتهم ومدافعهم الشهيرة ، فهزمهم عثمان دقنة ومن معه من السودان هزيمة بعد هزيمة ، وقتل الكثير منهم حتى انهم جاؤوه في

---

(١) لعلها : الإصلاحات .

سنة ثنتين وثلاثمائة بنحو من سبعين مركباً مشحونة بالعساكر الكثيرة ، والآلات والاستعدادات الوفيرة ، وخرجوا لقتاله في البر قريباً من سواكن ، فهزمهم وقتل أكثرهم وشتت شملهم وغنم أكثر أموالهم ودوابهم وذخائرهم وأسبابهم ، وإلى هذا الوقت وهو شهر ذي الحجة من سنة ثنتين وثلاثمائة وعثمان دقنه ومن معه من السودان في نواحي سواكن محاصرون لهـا ، وفيها عساكر للإنكليز وصاحب مصر قيل ان جيوش محمد أحمد تبلغ ثلاثمائة الف أو يزيدون . وأما دعوى انه المهدي فمختلف فيها فمن الناس من يقول انه يدعي انه المهدي ، ومنهم من يقول لم يدع انه المهدي بل يقول انه قائم لإظهار الحق وإقامة الشريعة وإخراج الانكليز من مصر ، والأكثر من الناس يقولون انه رجل صالح على غاية من الاستقامة ، ومنهم من يقدح فيه وينسب اليه خلاف ذلك ، ويقول إن جيوشه يقع منهم فساد كثير ، وليس لهم غرض إلا القتل والنهب ، وإنهم في استيلائهم على كردفان والخرطوم وغيرهمـا قتلوا خلقاً كثيراً من المسلمين ، فيهم العلماء والصلحاء والنساء والأطفال ، وقيل إن وقوع ذلك كان من بعض المفسدين منهم ولم يرض بذلك محمد أحمد ولم يأمر به ، والله أعلم بحقيقة الحال . وقد أخبر النبي ﷺ بأن انتصار آخر هذه الأمة في آخر الزمان يكون بالسودان فيحتمل انهم هؤلاء ويحتمل أن يكونوا غيرهم ، وانتصار المسلمين بهم في آخر الزمان مأخوذ مما ذكره الخازن في تفسيره عند تفسير قوله تعالى « ثلة من الأولين وثلة من الآخرين » من سورة الواقعة [١] فإنه قال ما نصه : ثلة من الأولين يعني من المؤمنين الذين قبل هذه الأمة ، وثلة من الآخرين يعني من مؤمني هذه الأمة ، ويدل عليه ما رواه البغوي باسناد الثعلبي عن عروة بن رويم ، قال لما أنزل الله عز وجل قوله تعالى : « ثلة من الأولين وقليل من الآخرين [٢] » بكى عمر بن الخطاب رضي الله عنه

---

(١) الآيتان ٣٩ و ٤٠ .

(٢) الواقعة : الآيتان ١٣ و ١٤ .

وقال : يا رسول الله آمنا برسول الله وصدقناه ومن ينجو منا قليل ، فأنزل الله عز وجل : « ثلة من الأولين وثلة من الآخرين » ، فدعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب وقال له : قد أنزل الله فيما قلت ، فقال عمر رضي الله عنه رضينا عن ربنا وصدقنا نبينا ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : من آدم الينا ثلة ، ومنا إلى يوم القيامة ثلة ، ولا يستتمها إلا سودان من رعاة الإبل ممن قال لا إله إلا الله اه . ومثل ذلك في تفسير الخطيب الشربيني وفي التفسير المسمى بالدر المنثور للجلال السيوطي ان عروة بن رويم يروي هذا الحديث عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما عن النبي ﷺ ان الحديث المذكور أيضاً رواه ابن مردويه وابن عساكر ، لكن اللفظ الذي ذكره في الدر المنثور قال في آخره : وأمتي ثلة ، ولن تستكمل ثلتنا حتى نستعين بسودان من رعاة الإبل ممن يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . فيحتمل ان المراد من السودان هؤلاء القائمون مع محمد أحمد وعثمان دقنه ، ويحتمل أن يكون غيرهم والله أعلم بغيبه . وكل ما أخبر به النبي ﷺ لا بد من وقوعه ، وروى ابن مكرم الافريقي في كتاب له سماه لسان العرب حديثاً لم يذكر من خرّجه وقال فيه ان النبي ﷺ قال : يخرج في آخر الزمان رجل يسمى أمير الغضب ، أصحابه محسرون محقرون مقصون عن أبواب السلطان ومجالس الملوك ، يأتونه من كل أوب كقَزَع [1] الخريف يورثهم الله مشارق الأرض ومغاربها اه فيمكن انهم هؤلاء السودان القائمون مع محمد أحمد أو غيرهم .

مباحث في المهدي المنتظر

وقد ذكر كثير من العلماء الذين ألفوا رسائل في ظهور المهدي وعلاماته أن من علامات ظهوره خروج السودان ، منهم الجلال السيوطي والعلامة

---

(١) القَزَع : جمع قَزَعَة ، وهي قطع من السحاب ، صغار متفرّقة .

ابن حجر والعلامة المتقي والعلامة السيد محمد ابن رسول البرزنجي في كتابه المسمى بالإشاعة في اشراط الساعة ، ففي رسالة الجلال السيوطي المسماة بالعرف الوردي في علامة المهدي ، حديث عن النبي ﷺ فيه : إذا خرجت السودان طلبت العرب ينكشفون حتى يلحقوا ببطن الأردن أو ببطن الأرض ، فبينما هم كذلك إذ خرج السفياني في ستين وثلاثمائة راكب حتى يأتوا دمشق ، فلا يأتي عليهم شهر حتى يبايعه من كلب ثلاثون الفاً . والأحاديث التي جاء فيها ذكر السفياني كثيرة شهيرة والكلام عليها طويل ، وهو يريد قتال المهدي عند ظهوره ، ثم يخسف بجيش السفياني ويهلكه الله تعالى . وفي رسالة ابن حجر المسماة بالقول المختصر في أخبار المهدي المنتظر ، أن من علامات ظهور المهدي ألوية تقبل من المغرب ، وان خروج أهل المغرب إلى مصر من أمارات خروج السفياني ، وذلك إنما يكون عند ظهور المهدي ، وجهة السودان بالنسبة إلى مصر مغرب ، فيحتمل انهم هؤلاء القائمون مع محمد أحمد ، ويحتمل أن يكون المراد غيرهم ، وكذا قوله خروج أهل المغرب إلى مصر يحتمل أن يكونوا هؤلاء لأنه يصدق على الجهة التي ظهروا منها انها من المغرب بالنسبة لمصر ، ويحتمل أن يكونوا غيرهم ، والله أعلم بأسرار غيبه وأسرار أحاديث نبيه ﷺ . ومن علامات ظهور المهدي الرايات السود التي تخرج من خراسان ، وجاء فيها أحاديث كثيرة ، قال في الإشاعة : يمكن انها هي التي خرجت في زمن المهدي العباسي بن المنصور ، ويحتمل انها أيضاً تخرج عند ظهور المهدي المنتظر . وفي شرح الشجرة النعمانية للشيخ صلاح الدين الصفدي عبارات تفيد أن الدولة العلية العثمانية تبقى قوتها وسلطنتها إلى ظهور المهدي ، وأنهم يكونون من أعوانه وأنصاره بأنفسهم وأموالهم وخزائنهم وعساكرهم وآلاتهم وعددهم ، فيجب الدعاء للدولة العثمانية على

كل مسلم والذي يقاتلهم يكون باغياً خارجاً عليهم ، فالواجب على كل مسلم السعي في تشييد دولتهم وتثبيت قواعدها ، وإعانتهم في إظهار الشريعة وإحياء السنن وإماتة البدع ، والدعاء لهم بالتوفيق ، فنسأل الله تعالى أن يوفقهم لكل خير وأن يلهمهم كال الرشد والصلاح ، وكذا سائر وزرائهم وقضاتهم وعمالهم .

ثم إن هذا القائم بالسودان وهو المسمى محمد أحمد إما أن يكون باغياً خارجاً على السلطان فيجب قتاله وإن لم يدع انه المهدي ، ويمكن أن الله أقامه لإخراج الانكليز من مصر إعانة للدولة العثمانية ولا يريد الخروج على السلطان وإنما يريد أن يكون من جملة رعايا الدولة العثمانية ثم يكون لإعانة المهدي ؛ ويؤيد ذلك ما ذكره الجلال السيوطي في رسالته التي ألفها في علامات المهدي ، فإنه ذكر فيها حديثاً أخرجه نعيم بن حماد عن أبي قبيل قال : يكون أمير بإفريقية اثنتي عشرة سنة ويكون بعده فتنة ، فيملك رجل يملؤها عدلا ، ثم يسير إلى المهدي فيؤدي اليه الطاعة ويقاتل عنه ، فيمكن انه هو هذا الرجل المسمى محمد أحمد ويمكن انه غيره والله أعلم بأسرار غيبه . وقيل ان الذين يشيعون انه هو المهدي إنما هم بعض أتباعه ليرغبوا عامة الناس في اتباعه والدخول في طاعته ، وأما هو فإنه لم يدع أنه المهدي ، بل قال بعض من اجتمع به انه سمع منه بلا واسطة أنه يقول : إني لست أنا المهدي المنتظر وإنما أنا قائم لإظهار الحق وإقامة الشريعة ، وأما ان ثبت أنه يدعي انه هو المهدي المنتظر فالأمر مشكل ، لأن المهدي المنتظر لا يدعي أنه المهدي ولا يطلب البيعة لنفسه ولا يقاتل الناس لتحصيلها ولا يبايع إلا وهو مكره ، بل لا يبايع الناس حتى يتهددوه بالقتل وذلك ان الله يطلع بعض من اختصه من صالحي عباده عليه وعلى علاماته ، فيدلون الناس عليه فيطلبونه فيفر منهم مرارا ، ثم يمسكونه ويكرهونه على البيعة ويتهددونه بالقتل ،

ولا يكون ظهوره والبيعة له إلا والناس بلا خليفة ، أخذاً من حديث : يحصل اختلاف عند موت خليفة وهو أصح حديث روي في هذا الباب ، وأما الآن فالناس لله الحمد لهم خليفة وهو أمير المؤمنين مولانا السلطان عبد الحميد بن المرحوم مولانا السلطان عبد المجيد ، وبيعته في أعناق المسلمين ، وسلسلة سلطنته من أحسن الدول الإسلامية مقيمين للشريعة السنية ، محبين للصحابة وأهل البيت ، ناصرين أهل السنة المحمدية قامعين أهل البدعة الردية ، فلا يجوز خلع بيعته ولا الخروج عن طاعته ، ثبت الله دولته وأبد سلطنته ، فمن خلع بيعته أو ترك طاعته أو خرج عليه فهو باغ معتد . وأيضاً من علامات المهدي المنتظر أن يكون من ولد فاطمة رضي الله عنها ، وأن يكون ظهوره والبيعة له بمكة بين الركنين ، ولا يصح أن يكون ظهوره والبيعة له بغير مكة ، قال الجلال السيوطي في آخر العرف الوردي في علامات المهدي : وأما قول القرطبي ان ظهور المهدي يكون من المغرب فهو باطل ، وقد تبع السيوطي على ذلك العلامة العلقمي والعلامة الصبان في رسالته التي ألفها في علامات المهدي ، فكل منهما قال كما قال السيوطي ، ان قول القرطبي ان ظهور المهدي يكون بالمغرب باطل ، وقال بعضهم يمكن حمل كلام القرطبي على غير المهدي المنتظر ، فإن كثيراً ممن ادعى نفسه أنه المهدي وكان ظهورهم بالمغرب ، كمحمد بن تومرت وعبيد الله العبيدي جد ملوك افريقية ومصر ، وخلق كثير غير هذين ادعى كل واحد منهم أنه المهدي بالمغرب وغيره ، وذلك لأن المهديين متعددون والمهدي المنتظر واحد ، وهو الذي يكون من ولد فاطمة ويكون ظهوره بمكة ، والناس بلا خليفة ، ويبايع مكرها ولا يطلب البيعة لنفسه ولا يقاتل الناس لتحصيلها ، ويكون في زمنه خروج المسيح الدجال ونزول عيسى عليه السلام ، ويجتمع به . ومما يدل على أن المهديين متعددون والمهدي المنتظر واحد ، ما ذكره العلامة ابن حجر

في الصواعق المحرقة لأهل الضلال والزندقة ، حيث قال حاكياً لقول من قال ان المهدي من ولد العبـاس ، وهو والد هارون الرشيد واسمه محمد المهدي بن عبد الله المنصور بناء على الأحاديث المذكور فيها أن المهدي من ولد العباس عم النبي ﷺ ، وقال : انه من أحسن خلفـاء بني العباس ، وهو فيهم كعمر بن عبد العزيز في بني أمية ، ثم قـال ابن حجر موجهاً لقول هذا القائل : ويمكن انه مهدي من ولد العباس وهو غير المهدي المنتظر فإن المهدي المنتظر من ولد فاطمة رضي الله عنها ، ويكون في زمنه خروج الدجـال ونزول عيسى عليه السلام ويجتمع به ، فهذه العبارة صريحة في تعدد المهديين ، وجمع بعضهم بين الأحاديث التي فيها أنه من ولد فاطمة ، والأحاديث التي فيها أنه من ولد العباس بطريق آخر فقال : ان المهدي المنتظر من ولد فاطمة من جهة أبيه ، ومن ولد العباس من جهة أمه ، بأن تكون أمه أو أم بعض آبائه من ولد العباس ، وكلام ابن حجر في رسالته التي في علامات المهدي يقتضي أيضاً تعدد المهديين وان المهدي المنتظر واحد فإنه قال فيها :

والذي يتعين اعتقاده ما دلت عليه الأحـاديث الصحيحة من وجود المهدي المنتظر ، وهو الذي يخرج الدجال وعيسى عليه السلام في زمنه ، وهو المراد حيث أطلق المهدي ، وأمـا من قبله فليس واحد منهم هو المهدي المنتظر ، ويكون قبل المهدي أمراء صالحون لكنهم ليسوا مثله ، فهو الأخير في الحقيقة ، وكذلك غير ابن حجر ممن ألفوا رسائل في علامـات المهدي كلهم يقتضي كلامهم تعدد المهديين وان المهدي المنتظر واحد ، وإنما قالوا بذلك التعدد لأنه قيل في محمد بن الحنفية انه المهدي ، وقيل في عمر بن عبد العزيز انه المهدي ، وقيل في محمد النفس الزكية ابن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط انه المهـدي ، فهؤلاء أطلق على كل واحد منهم انه المهدي ، فيثبت بذلك تعدد المهديين قطعاً ،

لكن ليس واحد من هؤلاء هو المهدي المنتظر ، فالمهدي المنتظر واحد وهو لم يظهر إلى الآن ، فيمكن حمل كلام القرطبي على غير المهدي المنتظر بمن كان خروجهم بالمغرب ، ولا يمكن حمل كلامه على المهدي المنتظر لأنه إنما يظهر بمكة والناس بلا خليفة كما تقدم ايضاحه ، وكذلك لا يصح قول من قال إنما يكون ظهور المهدي المنتظر من ماسة بالمغرب ، فهو قول باطل لا أصل له كما نبه على ذلك العلاّمة ابن خلدون في تاريخه ، فإنه قال : ان القول بظهوره من ماسة باطل لا أصل له ، وإنما نشأ ذلك من رجل من المتصوفة خرج بالسوس الأقصى وعمد إلى مسجد ماسة وزعم أنه الفاطمي المنتظر تلبيساً على العامة هناك بما ملأ قلوبهم من الحدثان بانتظاره هنالك ، وأفهمهم أن من ذلك المسجد يكون أصل دعوته ، فتهافتت عليه تهافت الفراش طوائف من عامة البربر ، ثم خشي رؤساؤهم اتساع نطاق الفتنة فدسوا اليه من قتله في فراشه وانطفأت الفتنة .

والحاصل أن الذي تقتضيه الأحاديث النبوية وصرح به العلماء أن المهدي المنتظر ، إلى هذا الوقت لم يظهر ، وذكروا له علامات كثيرة بعضها مضى وانقضى وبعضها باقٍ لم يظهر ، ومن أعظم علاماته أنه يصلحه الله في ليلته ، وانه من ولد فاطمة رضي الله عنها ، وانه يبايع مُكرَهاً لا انه يطلب البيعة لنفسه ويقاتل الناس لتحصيلها ، بل لا يبايع حتى يتهدد بالقتل ، وان ظهور البيعة له إنما تكون بمكة بين الركنين ، وان ظهوره إنما يكون عند وجود اختلاف بموت خليفة ، فلا يظهر ويبايع إلا والناس بلا خليفة ، فهذه الأشياء هي أقوى العلامات عليه ، وله علامات كثيرة غير هذه ذكرها الذين ألفوا الرسائل في تحقيق أمره .

لكن تلك الاشياء ظنية ومختلف في كثير منها ، وذلك مثل اسمه واسم أبيه وموضع ولادته ومقدار عمره وقت ظهوره ، ومدة مكثه في الارض بعد ظهوره ، فكل هذه الاشياء مختلف فيها .

فما قيل في مقدار عمره وقت ظهوره انه ابن أربعين ، وقيل انه ابن عشرين ، وقيل انه ابن ثمانية عشر ، وقيل غير ذلك . وقيل في مدة مكثه بعد ظهوره انها سبع سنين أو تسع سنين وقيل انها أربعون وقيل عشرون وقيل غير ذلك . وقيل في اسمه انه محمد وقيل أحمد ، وهل هو من ولد الحسن أو الحسين أو العباس ؟ وجمع بعضهم بأنه من ولد أحد الحسنين من جهة أبيه ومن ولد الآخر من جهة أمه ، وفي بعض أمهاته من هي من ولد العباس . والأحاديث التي جاء فيها ذكر ظهور المهدي كثيرة متواترة ، فيها ما هو صحيح وفيها ما هو حسن وفيها ما هو ضعيف وهو الأكثر ، لكنها لكثرتها وكثرة رواتها وكثرة مخرجيها يقوي بعضها بعضا ، حتى صارت تفيد القطع ، لكن المقطوع به انه لا بد من ظهوره ، وانه من ولد فاطمة ، وانه يملأ الأرض عدلاً نبه على ذلك العلامة السيد محمد بن رسول البرزنجي في آخر الإشاعة . وأما تحديد ظهوره بسنة معينة فلا يصح لأن ذلك غيب لا يعلمه إلا الله ، ولم يرد نص من الشارع بالتحديد ، وقد ذكر كثير من المتقدمين من العلماء تحديد ظهوره في سنين عينوها بالظن والتخمين ، فلم يخرج فيها فأخطأوا في ظنهم وتحديدهم ، ويؤخذ من قوله ﷺ في المهدي انه يصلحه الله في ليلته ان المهدي لا يعلم بنفسه انه المهدي المنتظر قبل وقت إرادة الله إظهاره ، ويؤيد ذلك ان النبي ﷺ وهو أشرف المخلوقات لم يعلم برسالته إلاّ وقت ظهور جبريل له بغار حراء حين قال له : « اقرأ باسم ربك الذي خلق »[1] وأما قبل ذلك فكان يرى منامات كثيرة تأسيساً لرسالته وتقوية لقلبه ، لكنه لم يعلم ان المراد منها تأسيس الرسالة ، حتى انه كان كلما رأى مناماً من تلك المنامات يخبر زوجته خديجة رضي الله عنها ويشكو اليها حاله ،

---

(١) الآية الأولى من سورة العلق .

فكانت تثبته وتقول له كلاماً يقوى به قلبه كما هو موضح في كتب الحديث ، فإذا كان النبي ﷺ لم يعلم بأنه رسول الله ﷺ إلا بعد ظهور جبريل عليه السلام له ، وقوله : « اقرأ باسم ربك » فبالأولى أن المهدي المنتظر لا يعلم بأنه المهدي المنتظر إلا بعد إرادة الله إظهاره ، ولذلك يمتنع من البيعة حتى يتهدد بالقتل ويبايع مكرها ، فهذا هو سر قوله ﷺ يصلحه الله في ليلته ليعلم من ذلك انه لم يعلم أنه المهدي المنتظر إلا وقت إرادة الله إظهاره ، فكل من يدعي أنه هو المهدي المنتظر ويطلب البيعة لنفسه أو يقاتل الناس لتحصيلها فهو مخالف لما صرحت به أحاديث النبي ﷺ .

وقد ادعى هذه الدعوى كثيرون فيما تقدم من الأزمان ولم تثبت دعواهم ، وكان لهم مع الخلفاء وقائع وحروب مذكورة في التواريخ ، وقد جمعت أسماؤهم ووقائعهم باختصار في رسالة مستقلة ، ليعلم من وقف عليها أن كل من ادعى هذه الدعوى لا تتم له إلا إذا جاءت على طبق ما أخبر به النبي ﷺ ، لأنه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى .

وقد ذكر العلامة ابن خلدون في تاريخه كلاماً فيه فوائد تتعلق بهذا البحث ، فلنذكر ملخص ذلك تتميما للفائدة ، وحاصل ذلك أن الذين يدعون هذه الدعوى إما أن يكونوا موسوسين أو مجانين فلا علاج لهم إلا التنكيل بالقتل أو الضرب إن أحدثوا فتنة ، وإلا يسخر بهم وتتداع السخرية بهم ، والصفع في الطرق أو الأسواق ، وإما أن يكونوا من طالبي الرياسة والملك فيجعلون هذه الدعوى وسيلة لذلك ويغفلون عما ينالهم من الهلكة وإسراع الهلاك والقتل من الملوك والسلاطين عند إحداثهم فتنة بهذه الدعوى ، وقد يكون بعض من ادعى هذه الدعوى من الصالحين ويريد إظهار الحق ويتخيل له أنه هو المهدي ، فيخطىء ظنه ولا يعرف ما يلزمه وما يحتاج اليه في إقامة الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،

فإن الله لم يكتب عليه في ذلك إثارة فتنة وإنما أمره الله تعالى به حيث تكون القدرة عليه ، قال ﷺ : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه » . وأحوال الملوك والدول قوية راسخة لا يزحزحها ولا يزلزلها ويهدم بناءها إلا المطالبة القوية التي من ورائها العصبية بالقبائل والعشائر ، وهكذا كان حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في دعوتهم إلى الله تعالى بالعشائر والعصائب ، وهم المؤيدون من الله تعالى بالكون كله لو شاء ، لكنه سبحانه وتعالى إنما أجرى الأمور على مستقر العادة وإنه حكيم عليم . فإذا ذهب أحد من الناس هذا المذهب وكان محقاً قصر به الانفراد عن العصبية فطاح في هوة الهلاك ، وأما إن كان من المتلبسين بذلك في طلب الرياسة فأجدر أن تعوقه العوائق وتنقطع به المهالك ، لأن أمر الله لا يتم إلا برضاه وإعانته والإخلاص له والنصيحة للمسلمين ، ولا يشك في ذلك مسلم ولا يرتاب فيه ذو بصيرة ، وكل أمر يجتمع عليه كافة الخلق لا بد له من العصبية ، وفي الحديث الصحيح : « ما بعث الله نبياً إلا في منعة من قومه » وإذا كان هذا في الأنبياء وهم أولى الناس بخرق العوائد فما ظنك بغيرهم ان لا تخرق لهم العوائد في الغلبة بغير عصبية ، والغفلة عن هذا هي أكثر أحوال الثوار القائمين بتغيير المنكر من العامة والفقهاء ، فإن كثيراً من المنتحلين للعبادة وسلوك طريق الدين يذهبون إلى القيام على أهل الجور من الأمراء داعين إلى تغيير المنكر والنهي عنه والأمر بالمعروف رجاء الثواب عليه من الله تعالى ، فليكثر اتباعهم والمتشبثون بهم من الغوغا والدهما ، ويعرضون أنفسهم في ذلك للمهالك وأكثرهم يهلكون في تلك السبيل مأزورين غير مأجورين ، وكثير منهم يدعي أنه المهدي المنتظر ولم تصح دعواهم ، ويتبعهم كثير من العامة والأغمار من لا يرجعون إلى عقل يهديهم ولا علم يقيدهم ،

يستجيبون لكثير ممن يدعون هذه الدعوى لما اشتهر من ظهور فاطمي ، ولا يعلمون حقيقة الأمر ، وأكثر ما يكون ذلك في الممالك القاصية وأطراف العمران بافريقية والسوس من المغرب ، وتجد الكثير من ضعفاء البصائر يقصدون رباطاً بماسة لما كان بذلك الرباط بالمغرب من الملثمين من كدالة ، واعتقادهم هو أنهم قائمون بدعوة الفاطمي يزعمون ذلك زعماً لا مستند له إلا البعد عن القاصية عن مثار الدولة وخروجها عن نطاقها ، فتقوى عندهم الأوهام في ظهور الفاطمي من ذلك الموضع ، لخروجه عن رتبة الدولة ومثار الأحكام والقهر ، ولا محصول لديهم في ذلك إلا هذا الوهم ، وقد يقصد ذلك الموضع كثير من ضعفاء العقول للتلبيس بدعوة تنشأ عن وسواس وحمق ، وقد قتل الملوك والرؤساء كثيراً منهم ، ثم قال : أخبرني شيخنا محمد بن ابراهيم الاربلي ، قال خرج برباط ماسة لأول المائة الثامنة وعصر السلطان يوسف بن يعقوب المريني رجل من منتحلي التصوف يعرف بالتوزيري ، وادعى أنه الفاطمي المنتظر ، واتبعه الكثير من أهل السوس من كدالة وكزولة ، وعظم أمره وخافه رؤساء المصامدة وعلماؤهم ، فدس عليه السكسوي من قتله بياتا وانحل أمره . وكذلك ظهر في غمارة في آخر المائة السابعة في عشر التسعين منها رجل يعرف بالعباس ، وادعى أنه الفاطمي المنتظر ، وتبعه الدهما من غمارة ؛ ودخل مدينة فاس عنوة وحرق أسواقها ، وارتحل إلى بلد المزمة فقتل بها غيلة ولم يتم أمره ، وكثير من هذا النمط .

وأخبرني شيخنا المذكور بفرسية عن مثل هذا ، وهو أنه صحب في حجه رجلاً من أهل البيت من سـكان كربلا كان متبوعاً معظماً كثير التلامذة ، وكان الناس يتلقونه بالنفقات في أكثر البلدان ، وتأكدت الصحبة بيننا في الطريق ، ثم كشف لي عن أمرهم وانهم إنما جاؤوا من موطنهم

بكربلا قاصدين أرض المغرب ، لإظهــار دعوى أنه الفاطمي المنتظر ، فلما وصل إلى المغرب وعاين دولة بني مرين ، وكان أمير المؤمنين يوسف ابن يعقوب في ذلك الوقت منازلاً تلمسان ، فلما رأوا قوة ملكه قال ذلك الرجل لأصحابه : ارجعوا بنا فقد أزرى بنا الغلط وليس هذا الوقت وقتنـا . وهذا يدل على أن ذلك الرجل استبصر بأن الأمر لا يتم إلا بالعصبية الكافية لأهل الوقت ، فلما علم أنه غريب في ذلك الموطن ولا شوكة له وان عصبية بني مرين في ذلك الوقت لا يقاومها أحد من أهل المغرب ، استكان ورجع إلى الحق وأقصر عن مطامعه ، وبقي عليه أن يستيقن أن عصبية الفواطم وقريش أجمع قد ذهبت لا سيا في المغرب ، إلا أن التعصب لشأنه لم يترك لهذا القول ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون .

وقد كانت بالمغرب لهذه العصور القريبة نزعة من الدعـــاة إلى الحق والقيام بالسنة ، لا ينتحلون فيها دعوة فاطمي ولا غيره ، وإنما ينزعُ منهم في بعض الأحيان الواحد فالواحد إلى إقامة السنة وتغيير المنكر ، ويعتني بذلك ويكثر تابعوه ، وأكثر ما يعتنون باصلاح السابلة ، لما أن أكثر فساد الأعراب فيها لما فيها من طيب معاشهم ، فيأخذون في تغيير المنكر بما استطاعوا ، إلا أن الصبغة الدينية فيهم لم تستحكم ، لما أن توبة العرب ورجوعهم إلى الدين إنما يقصدون به الاقصار عن الغـــارة والنهب ، ولا يعقلون في توبتهم وإقبالهم إلى مناحي الديانة غير ذلك ، لأنها المعصية التي كانوا عليها ، ومنها توبتهم . وتجد ذلك المنتحل للدعوة والقائم بزعمه بالسنة غير متعمق في فروع الاقتداء والاتباع ، إنما دينهم الإعراض عن النهب والبغي وإفساد السابلة ، ثم الإقبال على طلب الدنيا والمعاش أقصى قصدهم ، وشتان بين هذا الطالب للدنيـــا وبين من أراد إصلاح الخلق لكل ما يحتاجون اليه من أمر دينهم ، فاتفاقهما ممتنـــع ،

لا تستحكم للأول صبغة في الدين ولا يكمل له نزوع عن الباطل ، ويختلف حال صاحب الدعوة معهم في استحكام دينه وولايته في نفسه دون تابعيه ، فإذا هلك انحل أمرهم وتلاشت عصبيتهم .

وقد وقع ذلك بافريقية لرجل من كعب من سليم يسمى قاسم بن مرة في المائة السابعة ، ثم من بعده لرجل من بادية رياح كان أشد ديناً من الأول وأقوم طريقة في نفسه ، ومع ذلك فلم يستتب أمرهما ، وبعد ذلك ظهر ناس بهذه الدعوة يتشبهون بمثل ذلك ويلبسون فيها ، وينتحلون اسم السنة وليسوا عليها إلا الأقل ، فلا يتم لهم ولا لمن بعدهم شيء من أمرهم .

وأول ابتداء هذه النزعة في الملة ببغداد حين وقعت الفتنة بين الأمين والمأمون ابني الرشيد وقتل الأمين ، وكان المأمون بخراسان فأبطأ عن مقدم العراق ، وأراد انتزاع الخلافة من بني العباس ونقلها للعلويين ، فجعل ولي عهده عليا الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، فهاج من ذلك فتن كثيرة ببغداد ، واجتمع بنو العباس وكشفوا وجه النكير على المأمون ، وتداعوا للقيام وخلعوه وبايعوا عمه ابراهيم بن المهدي ، فوقع الهرج وكثر القتل والنهب ببغداد ، وانطلقت أيدي الدعار بها من الشطار والحربية على أهل العافية والصون ، وقطعوا السبيل وامتلأت أيديهم من نهاب الناس ، وباعوها علانية في الأسواق ، ورفع أهلوها أمرهم إلى الحكام وقد ضعف أمرهم فلم ينصفوهم ، فتوافر أهل الدين والصلاح وتعاقدوا على منع الفساق وكف عاديتهم .

وقام ببغداد رجل يعرف بخالد الدريوس ودعا الناس إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فأجابه خلق وقاتل بهم أهل الدعارة فغلبهم ، وأطلق يده فيهم بالضرب والتنكيل ، ثم قام من بعده رجل آخر يعرف

سهل بن سلامة الأنصاري وعلّق مصحفاً في عنقه ودعا الناس إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، فاتبعه كافة الناس من بين شريف ووضيع من بني هاشم فمن دونهم ، ونزل قصر طاهر واتخذ الديوان وطاف ببغداد ، ومنع كل من أخاف المارة ، ومنع الخفارة لأولئك الشطار [١] ، فقال له القائم الأول وهو خالد الدريوس انا لا أعيب على السلطان ، فقال له سهل : لكني أقاتل كل من خالف الكتاب والسنة كائناً من كان ، وذلك سنة احدى ومائتين ، فجهز ابراهيم بن المهدي بعد أن بايعه بنو العباس جيشاً لقتال سهل بن سلامة ، فغلبه وأسره وانحل أمره سريعاً وذهب ونجا بنفسه ، ثم اقتدى بهذا العمل بعده كثير من الموسوسين يأخذون أنفسهم باقامة الحق ولا يعرفون ما يحتاجون اليه في إقامته من العصبية ، ولا يشعرون بمغبة أمرهم ومآل أحوالهم . ثم ذكر كثيراً من الأحاديث التي جاءت في المهدي وضعف كثيراً منها ، ثم قال : والحق الذي يتقرر لديك انه لا تتم دعوة من الدين والملك إلا بوجود شوكة عصبية تظهره وتدافع عنه من يدفعه حتى يتم أمر الله فيه ، وقد قررنا لك ذلك من قبل بالبراهين القطعية ، وعصبية الفاطميين بل وقريش أجمع قد تلاشت من جميع الآفاق ، ووجد أمم آخرون قد استعلت عصبيتهم على عصبية قريش ، إلا ما بقي بالحجاز في مكة وينبع والمدينة من الطالبيين من بني حسن وحسين بن جعفر ، منتشرون في تلك البلاد وغالبون عليها وهم عصائب متفرقة ، فإن صح ظهور هذا المهدي فلا وجه لظهور دعوته إلا أن يكون منهم ، ويؤلف الله بين قلوبهم في اتباعه حتى يتم له شوكة وعصبية وافية باظهار كلمته وحمل الناس عليها ، واما على غير هذا الوجه فلا يتم ذلك لما أسلفناه من البراهين الصحيحة انتهى ما أردت نقله من كلام ابن خلدون .

---

(١) جمع شاطر ، وهو المتصف بالدهاء والخيانة .

ورأيت في كثير من الرسائل المؤلفة في شأن المهدي انه لا يتم أمره إلا بالقيام بالشريعة الغراء ، وانه يكون على مثل ما كان عليه النبي ﷺ والخلفاء الراشدون ، ويفيض الله على الخلق نوراً ببركته فيتبعونه ويقتدون به في جميع شؤونه وأفعاله وأقواله وأحواله ، حتى يكون حالهم كحاله ، ووصفهم كحال أصحاب النبي ﷺ ووصفهم ، لأن الناس على دين ملوكهم ، فإذا استقام خليفة المسلمين وصار كالخلفاء الراشدين فإنهم كلهم يستقيمون ، وإذا زهد في الدنيا يزهدون ، وملاك الأمر كله هو الزهد في الدنيا وعدم التبسط فيها ، ومن الأمثال القديمة : الناس على دين ملوكهم ، وذكروا أن السبب في هذا المثل ان الوليد بن عبد الملك بن مروان ، كان مشغوفاً بتشييد البنيان ، فكان الناس في زمانه ليس لهم همة إلا تشييد البنيان والقصور ، وفي ذلك طول الأمل والغرور ، ثم ولي بعده أخوه سليمان بن عبد الملك بن مروان ، فكان مشغوفاً بكثرة الأكل وتنويع الأطعمة وتكثير الألوان ، فكان الناس في زمانه يتفاخرون بالتوسعة في تنويع المأكولات وينهمكون في التلذذ بالشهوات ، وفي ذلك أعظم البليات ، ثم ولي بعد سليمان ابنُ عمه عمر بن عبد العزيز بن مروان ، الملحق بالخلفاء الراشدين ، فكانت همته في الاشتغال بالطاعات والعدل وإقامة الدين ، فكان الناس في زمنه راغبين في فعل الطاعات مستكثرين من فعل الخيرات ، فقالوا الناس على دين ملوكهم ، فالخليفة الأعظم هو القدوة لجميع المسلمين ، وأعظم شيء يقتدون به هو فيه ، فيكون به صلاحهم وانتظام أمرهم واتفاق كلمتهم ، هو الزهد في الدنيا والتناول منها بقدر الضرورة والحاجة وترك الفضول الذي لا يحصل إلا بتعب ولجاجة ، فإن حب الدنيا رأس كل خطيئة وبلية ، والزهد فيها أصل كل خصلة سنية ، ولا يكون الزهد من العامة

إلا بعد زهد الخاصة ، فإن الخاصة هم العمدة في ذلك ، والمراد من الخاصة : الملوك والسلاطين والأمراء والقضاة والعلماء . وأولى من يطلب منه الزهد في الدنيا الخليفة الأعظم الذي أقامه الله لإصلاح أمور الدنيا والدين ، وإحياء الشريعة وقتال الكفار ودفع المفسدين . قال الإمام الطرطوشي في كتابه المسمى سراج الملوك : ان الخليفة إذا عدل في بيت المال ، وساوى نفسه بالمسلمين في الأخذ من بيت المال بقدر الحاجة ، كان المسلمون كلهم عسكراً للإسلام ا هـ .

والحاصل انه إذا زهد في الدنيا واقتصر على قدر الحاجة والضرورة في جميع الأحوال يتبعه على ذلك الوزراء والأمراء والقضاة والعلماء وجميع الناس من الرجال والنساء والأغنياء والفقراء ، فإذا حصل ذلك يسهل حينئذ إقامة الشريعة والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتصير همة الجميع متوجهة لاتحاد الكلمة والاجتماع على منهج الشرع المطهر ، فتحيا بذلك السنن التي أميتت ، وتزول البدع التي أذيعت ، وتقبل الناس على جهاد الكفار وفعل كل الطاعات ، فإن الكفار إنما تغلبوا على المسلمين بسبب رغبة المسلمين في الدنيا واقتحامهم المعاصي لتحصيلها ، فلا يزيلون منكراً لأن أكثر المنكرات يتوصلون بها إلى تحصيلها ، وإزالتها مخالفة لاغراضهم الذين هم بصددها ، فلا يمكن استقامتهم على مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ، وما داموا لم يكونوا كذلك لا يستقيم لهم أمر ، وقد صح عن سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه انه كان كثيراً ما يقول في خطبه ومجالسه : ان هذا الأمر لا يصلح آخره إلا بما صلح به أوله ، ولا يحتمله إلا أفضلكم مقدرة وأملككم لنفسه . فهذه العبارة نص صريح في انه لا يستقيم أمر المسلمين حتى يكونوا كما كان الصحابة رضي الله عنهم ، وما دام الخليفة الأعظم يتبسط في الدنيا ويأخذ من بيت المال

ما أراد مما زاد عن حاجته ، ويتكرم في العطاء بما شاء على من شاء ، ولا يراعي في ذلك القواعد المشروعة ، ولا يسلك مسلك الخلفاء الراشدين ، فإن الناس يتبعونه فلا يمكن حصول الاستقامة لهم ، ولا تتحد كلمتهم ولا ينتظم أمرهم ، ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر ، بل يصيرون كلهم يطلبون الدنيا ويتلذذون بالشهوات ، ويرتكبون لتحصيلها أنواع الخطيئات ، لأن الله تعالى أجرى عادته بين العباد أن يكون الناس على دين ملوكهم ، فهذا هو السبب في عدم اتحاد المسلمين واتفاق كلمتهم .

وأما في زمن المهدي فإنه يسلك هو مسلك الخلفاء الراشدين ، ويزهد في الدنيا ولا يأخذ من بيت المال إلا بقدر الضرورة ، والناس يكونون في زمنه على طريقته يفعلون كما يفعل . فظهر بهذا انه إذا زهد الخليفة الأعظم في الدنيا وعدل في بيت المال وأخذ منه بقدر حاجته من غير زيادة له ولخدمه وأتباعه واتخذ له من الخدم الذين يقومون بخدمته بقدر الحاجة أيضاً من غير زيادة ، يتبعه على ذلك كافة الوزراء والأمراء والقضاة والعلماء وجميع الأبرار والفجار ، والخليفة أمين على بيت مال المسلمين لا يتصرف في شيء منه إلا بحسب المصلحة العائدة النفع على الاسلام والمسلمين ، فهو مثل قيّم مال اليتيم لا يتصرف إلا بالمصلحة الظاهرة ، فإن كان له مال خاص به يسعف به عن الأخذ من مال المسلمين ، فلا يأخذ شيئا ، وإن لم يكن له مال يأخذ بقدر الحاجة كما قال تعالى[1] : « ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » فإذا فعل ذلك اقتدى به الوزراء والأمراء والقضاة والعلماء وكافة الخلق فتتحد قلوبهم وتجتمع كلمتهم ، ويقبلون على فعل الطاعات ويعرضون عن فعل السيئات ، ويتركون التلذذ بالشهوات ، فيتم اجتماعهم على نصرة الدين ،

---

(١) سورة النساء ، الآية (٥)

ويصيرون كلهم عسكراً لنصرة الاسلام ، ويقوى عزمهم على قتال أعدائهم من القوم الكافرين . وأما إذا تبسط الخليفة في مال المسلمين ، وتبعه الوزراء والأمراء والقضاة والعلماء ، فلا تطيب قلوب بقية المسلمين ببذل أموالهم وأنفسهم وأولادهم في قتال الكافرين ، حيث يرون ملوكهم لم يساووهم ، وما كان انتصار الصحابة على القوم الكافرين وفتحهم البلاد الواسعة مع الاتحاد واتفاق الكلمة ، إلا بسبب مساواة أمرائهم لهم في جميع شؤونهم ، وما حصل افتراق الكلمة وعدم ائتلاف القلوب ، إلا لما استبد الملوك بالأموال وتبسطوا فيها ، وترفعوا على بقية المسلمين وأكثروا من المكوسات والظلم بأخذ أموالهم ، وصرفوها في غير مصارفها ، فشق على المسلمين تميزهم عنهم وترفعهم عليهم بأموالهم التي أخذوها منهم بغير حق .

ولا يظن ظان ان الخلفاء الراشدين إنما فتحوا الأمصار وانتصروا على الكفار بكثرة الصلاة والصيام ، بل إنما كان ذلك بزهدهم في الدنيا وعدم تبسطهم بها وعدلهم في بيت المال ، والحرص على مساواتهم المسلمين ، فطابت قلوب بقية المسلمين فبذلوا أموالهم وأنفسهم وأولادهم وجاهدوا الكفار وفتحوا البلاد ، حتى كان الغزاة يتجهزون للغزو من أموال أنفسهم ويجهزون منها غيرهم ان قدروا على ذلك ، ونفوسهم طيبة بذلك ، وتأبى نفوسهم أن يأخذوا من بيت المال شيئاً إذا كان لهم ما يفي بذلك ، لأنهم يرون أمراءهم مساوين لهم في جميع تلك الشؤون ، وإذا سلك الخليفة والأمراء والعلماء هذا المسلك يرتفع عن المسلمين المكوسات والضرائب ، وينتفي عنهم جور الحكام ، لأنهم إنما يجورون عليهم ليتبسطوا في أموالهم ويتلذذوا بها ، وإذا ساوى الحكام رعاياهم وعدلوا في بيت المال ، تسخى نفوس الأغنياء باعطاء الفقراء ويواسونهم ، وتقنع نفوس الجميع بأقل القليل ، فلا يبقى في المسلمين فقير ، وينقاد الناس للحق وينصفون من أنفسهم ،

فتزول المخاصمات التي كانت بينهم وتقل مرافعاتهم إلى الحكام ، ويحصل بينهم كال المحبة والائتلاف ، ويرتفع كل شقاق واختلاف ، وإذا عدل الخليفة في بيت المال وسلك في ترك التبسط في الدنيا طريق النبي ﷺ والخلفاء الراشدين ، كان قدوة للمسلمين ، ويكون له من الأجر مثل أجر من عمل بمثل عمله من المسلمين ، وكان سبباً في اتحاد المسلمين وائتلاف قلوبهم واتفاق كلمتهم ، وانتصارهم على القوم الكافرين ، ويكون له في ذلك من الله الرضا والرضوان في الدنيا وجنات النعيم ، وتقر بذلك عين النبي ﷺ فانه بالمؤمنين رؤوف رحيم . ويستحيل أن يحصل لهم شيء من ذلك والخليفة لم يكن كذلك ، لأنهم إنما يفعلون ما يفعل ، وحالهم عن ذلك لا يتحول ، والتبسط في الدنيا من أعظم أسباب الفسق الموجب للهلاك ، قال تعالى [١] : « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » وعدم التبسط في الدنيا هو ملاك الأمر ، وليس على الخليفة في سلوك هذا الطريق مشقة ولا ضيق ، ولا منع من إدراك الحق ولا تعويق ، وينال بغيته من الأكل والشرب والنكاح بغاية الراحة والتلذذ .

والحاصل ان استقامة الخليفة حتى يكون كالخلفاء الراشدين في عدله في بيت المال ، هو السبب الأعظم في اجتماع كلمة المسلمين واتحادهم في جميع الأحوال ، وعدم عدله في بيت المال سبب للافتراق في الحال والمآل ، ولو صام النهار وقام الليالي الطوال ، وبدون استقامة الخليفة وعدله في بيت المال كالخلفاء الراشدين لا يرجى للمسلمين فلاح ، ولا يتم لهم اتحاد ولا نجاح ، أطال الله عمر هذا السلطان عبد الحميد ، ونظر اليه بعين العناية والرعاية والتأييد ، ووفقه وأعلى مقامه وجمل به لياليه وأيامه [٢] آمين .

---

(١) سورة الإسراء الآية (١٦) .

(٢) توفي سنة ١٣٣٦ هـ ١٩١٨ م رحمه الله تعالى .

عبد الحميد أبو الاقبال بن الشيخ عبد الغني الرافعي الطرابلسي

هو الشاب الأديب ، والحسيب النسيب ، قال صاحب العقود الجوهرية : ولد المترجم بطرابلس الشام سنة ١٢٧٥ هجرية ، ونشأ في حجر أبيه وقرأ عليه علوم الأدب والعربية والفقه ، وأحرز طرفاً عظيماً من الأدب ، وشعره رقيق يحتوي على كل معنى دقيق . وقد أكثر في مدح السادة الرفاعية ، والسلالة الأحمدية ، وبيتهم القديم في طرابلس الشام معمور بالصلحاء الكرام ، والعلماء الأعلام . وقال صاحب العقود الجوهرية : رأيته وهو في خدمة والده المحترم لما دخلت إلى صنعاء اليمن ، وكان إذ ذاك أبوه رئيس استئنافها ، ما بين هاشمها وعبد منافها ، وتكحلت أنظاري بطلعة ذلك الشيخ الأكبر ، وولده المومى اليه ذي الفكر الأنور ، وقد علاهما النور الفاروقي ، وقضيت من زورتها بعض حقوقي ، رعاية لما بيننا من حقوق النسب ، وروابط الأدب ، ومن نظمه مشطرا :

سرت ناقتي ليلاً فسبحان من أسرى ... بها للحمى العالي فما أحمد المسرى

أضاء له صبح الهدى منه فانبرت ... إلى الساحة القعساء والحضرة الكبرى

وحطت حمول السير مثقلة على ... حضيرة قدس يزدهي تربها التبرا

وراحت كما قد رحت ملتثماً ثرى ... أريكة باب دون جبهته الخضرا

أنخت بها والفجر سل على الدجى ... سيوفاً بقايا الشهب حليهن درا

وهي قصيدة طويلة أصلها لأبي المظفر منصور الواسطي رضي الله تعالى عنه (١) .

---

(١) الأسرة الرافعية من أشهر بيوتات العلم في ديار الشام ومصر ، وكان جلّ شهرتها في فقه الحنفية . وقد تولّى كثير من رجالها مناصب القضاء والإفتاء في الديار المصرية والممالك العثمانية ، واشتهر بعض شيوخها بالإرشاد والصلاح . وعبد الحميد بك الرافعي —

الشيخ عبد الحميد بن الشيخ عبد الوهاب السباعي الحمصي الشافعي المفتي العام بحمص البهية

العالم العلامة ، والحبر البحر الفهامة ، صاحب التحقيقات الفائقة ، والتدقيقات الرائقة ، والمعارف العالية ، والفضائل السامية ، كان كثير العبادة ، شهير الزهادة ، عالي الهمة ، طويل الباع في كشف الوقائع المدلهمة ، مثابراً على العلم والعمل ، حسن الظن والرجا والأمل .

تولى الافتاء بحمص على مذهب أبي حنيفة النعمان ، وان كان شافعي المذهب لأنه لم يكن أعلم منه في المذهبين في ذلك الأوان ، وكانت توليته للافتاء بعد ذهاب شيخه الشيخ ابراهيم الأتامي الى طرابلس الشام ، ولم

ـــ هو شيخ الشعراء ، ونادرة الأدباء ، ونابغة الفيحاء . وهو في تلك الأيام ـ على معارضة الزمان والمكان والسلطان ـ مصداق لقول الغزالي : لم يكن في الإمكان ، أبدع مما كان .

نُعِت ببلبل سورية . تعلم بالأزهر ، ومكث مدة بمعهد الحقوق بالآستانة ، وتقلد مناصب في العهد العثماني ، وكان متصلاً بالشيخ أبي الهدى الصيادي أيام السلطان عبد الحميد ، ونفي في أوائل الحرب العامة الأولى إلى المدينة ، ثم إلى قرق كليسا ، لفرار ابنه من الجندية في الجيش التركي ، وعاد إلى طرابلس بعد غيبته (١٥) شهرا ، واحتفلت جمهرة من الكتاب والشعراء (سنة ١٣٤٧ هـ) ببلوغه سبعين عاماً من عمره ، فألقيت خطب وقصائد جمعت في كتاب « ذكرى يوبيل بلبل سورية » طبع سنة ١٣٤٩ هـ وقد ذكرت الصحف من مناقب عبد الحميد المحتفل به وشممه أن بعض الفضلاء ومحبي الأدب ، تبرع له بسبعين الف قرش سوري بمناسبة اليوبيل الذهبي ، فأبى أن يأخذها وعهد إلى لجنة الاحتفال بأن تنفقها في خدمة الأدب بالطريقة التي تستحسنها ، فأكبر الناس ذلك من أريحيته ، وابائه وعفته ، وله أربعة دواوين هي « القلائد الزبرجدية ، في مدح العترة الأحمدية ـ ط » و « الفرائد الرافعية ، في مدح الحضرة الرفاعية ـ ط » و « المنهل الأصفى ، في خواطر المنفى ـ ط » و « ديوان شعره ـ خط » وكانت وفاته في بلده طرابلس سنة ١٣٥٠ هـ رحمه الله تعالى .

لخصت ترجمته من مجلة المنار (م ٣٠/٦٢ ـ ٧٤) ومن معاجم الأعلام .

يزل بها مفتياً الى أن رحل الى الآخرة دار السلام . وبلغني من بعض العلماء والسادة الفضلاء ، انه اتى في حياته الى حمص رجل شيعي يقال له ابو مغزالة ، فنزل في أطراف حمص ليحقق آماله ، وصار يدس للعوام بعض عقائد الشيعة من حيث لا يشعرون به انه مخالف ، وكان يظهر لهم التقوى والعبادة والزهادة والمعارف . الى ان مال اليه الكثير ، من غير اعتراض عليه ولا نكير ، وصار النـــاس ينوهون بذكره ، ويميلون الى اعلاء مقامه وترفيـــع قدره ، فأخبر الشيخ المذكور بذلك ، فأحضره وسأله عن سلوكه هذه المسالك ، فأنكر وتنصل عما نسب اليه ، وأظهر للشيخ أنه لايعتقد هذا المذهب ولا يعول عليه ، فمـا زال الشيخ يلقي عليه بعض مسائل ، ويتوصل الى اختبار حاله بدقيق الوسـائل ، الى أن ظهر حاله وبان ، وزال انكاره وتوهيمه وبان ، فقام الشيخ في الحال وضربه ، وأخرجه من بلدته وأذهبه ، وأظهر للناس ماأراده من المخالفة والابتداع ، فتوجه ذلك الطاغي الى جهة بعلبك والهرمل وكان بعض أهل تلك النواحي على مذهب أهل السنة والاجتماع ، فدس اليهم عقائد الشيعة المخالفين ، فاتبعوه من ذلك الوقت ونشأ لهم هذا من ذلك الحين[1] .

---

(١) هذه مسألة دينية تاريخية وهي مهمة جداً ، لا يجوز إغفالها أو السكوت عنها . وقد كان أهدي إلى المجمع العلمي العربي بدمشق ، كتاب « أوائل المقالات » و « شرح عقائد الصدوق ، أو تصحيح الاعتقاد » وكان كتب عنهما في مجلة (مدينة العلم) العراقية ما نصه : ومثل هذين الكتابين ينبغي لمن أراد أن يكتب عن الشيعة أو يتحدث عن مذهبهم ، أن يرجع اليهما ، ويعتمد عليهما ، لا أن يأتي إلى كتب المغرضين ، والكتب المدسوسة عن الشيعة فيأخذ بها ، وينتزع عنها البهت والتزوير فيرمي به هذه الطائفة المؤمنة — قلت ما خلاصته : جاء (في ص ١٠) من الكتاب الأول ما نصّه : واتفقت الإمامية والزيدية والخوارج ، على أن الناكثين والقاسطين من أهل البصرة والشام أجمعين كفار ضلال ملعونون بحربهم أمير المؤمنين (ع) وأنهم بذلك في النـار مخلدون اهـ وهذا اتفاق على عكس الآية الكريمة « ان الله لا يغفر أن يشرك بهـ

وله من المؤلفات حاشية على جمع الجوامع في مجلدين ضخمين ، وفتاوى في المعاملات في مذهب السيد ابي حنيفة النعمان رضي الله عنه في ثلاث مجلدات سماها الاقناعية ، وشرح على رسالة السمرقندي في البيان ، ومؤلف سماه بغية الطلاب في الرد على ابن عبد الوهاب اصل الفرقة الوهابية [1] توفي رحمه الله تعالى سنة العشرين بعد المائتين عن بضع وستين سنة في مدينة حلب ودفن هناك وقبره معروف .

— ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » وكتبت : رأيت في هذا الكتاب الذي دفعه المجمع العلمي إليّ لأصفه فى باب (التعريف والنقد) — بعض ما يراه القارىء في غيره كالكافي والتهذيب والوافي وغيرها من كتب إخواننا الشيعة من لعن وتكفير وتخليد في النار ، لمن أورثوهم الأرض والديار ، ولم أر انتقاداً ولا اعتراضاً لأحد ممن تعاقبوا على تصحيحه أو تقريظه ، وهم من أشهر مجتهدي الشيعة في هذا العصر ، وعليه صورهم . ولا شك أن هذه الكتب تورث قراءها وَغَراً وحقدا ، وعداء وبغضا ، وتنطق ألسنتهم بأخش القول وأوحشه لرجال الصدر الأول للإسلام فمن دونهم ، وفي مقدمتهم الخلفاء الثلاثة وبعض أمهات المؤمنين ، ومن معهم من المهاجرين والأنصار ممن رضي الله عنهم ورضوا عنه، بنص القرآن .

(١) قال العلاّمة عثمان بن بِشر في تاريخه : « عنوان المجد ، في تاريخ نجد » في وصف الإمام محمد بن عبد الوهاب ونهضة البلاد النجدية : جمعهم الله تعالى به بعد الفرقة ، فأعزهم بعد الذلة ، وأغناهم بعد العيلة ، وجعلهم إخوانا ، فأمنت به السبل ، وحييت السنن ، وماتت البدع ، واستنار التوحيد بعد ما خفي ودرس ، (إلى أن قال) وذلك بسبب من عمت بركة علمه العباد ، وشيد منار الشريعة في البلاد ، قدوة الموحدين ، وبقية المجتهدين ، وناصر سنة سيد المرسلين ، شيخ مشايخنا المتقدمين الشيخ الأجل ، والكهف الأظل (محمد بن عبد الوهاب) أحله الله تعالى فسيح جنانه ، وتغمده برحمته ورضوانه ، فآواه من جعل عز الاسلام على يديه ، وجاد بنفسه وما لديه ، ولم يخش لوم اللائمين ، ولا كيد الأعداء المحاربين ، (محمد بن سعود) وبنوه ، ومن ساعدهم على ذلك وذووه . (إلى قوله) « وجاء الحق ، وظهر أمر الله وهم كارهون » ثم قال ابن بِشْر : وبطلت في زمانهم جوائز الأعراب على الدروب ، فلا يتجاسر أحد من سرّاقهم وفسقتهم — فضلاً عن رؤسائهم — أن يأخذ عقالاً فما فوقه —

السيد الشيخ عبد الخالق المعروف بابن بنت الجيزي

الأجل العمدة الشريف الصالح بن أحمد بن عبد اللطيف بن محمد تاج العارفين المصري المنتهي نسبه الى سيدي عبد القادر الحسني الجيلي ويعرف بابن بنت الجيزي ، وهو اخو السيد محمد الجيزي المتوفى قبل ذلك من بيت الثروة والعز والسيادة . تولى بعد اخيه الكتابة ببيت النقابة ومشيخة القادرية واحسن السير والسلوك مع الوقـار والحشمة ، وكان انسانا حسناً كثير الحياء منحجباً عن الناس مقبلا على شأنه ، وفيه رقة طبع مـع الأخلاق المهذبة والتواضع للنـاس والانكسار ، توفي سنة الف ومائتين وسنة واحدة .

ــ من الأثمان ، فسمّاها الأعراب سنين الكمام ، لأنهم كمّ عليهم عن جميع المظالم الصغار والجسام ، فلا يلقى بعضهم بعضاً في المفازات المخوفات إلا بالسلام عليكم ، وعليكم السلام ، والرجل يأكل ويجلس مع قاتل أبيه وأخيه كالإخوان ، وزالت سنو الجاهلية ، وزال البغي والعدوان ، وسيّبت الإبل والخيل الجياد والبقر وجميع المواشي في الفلوات ، فكانت تلقح وتلد وهي في مواضعها آمنات مطمئنات اهـ . يقول محمد بهجة البيطار : كانت أعراب الشام كأعراب نجد قبل المحمدين الشيخ والأمير ، فقد سلبني بنو عطية جميع نقودي ونقود من معي من قاصدي المدينة المنورة وكنا نحو عشرين ، وكانوا أكثر عدداً وهم مسلحون ، فأوقفوا القطار بعد ملء السكة بالرمال ، وأنزلونا من (الترولي) وكنا في قاطرة واحدة ، وكان ذلك أيام الملك فيصل الأول ، إذ كان في ديار الشام رحمه الله ، وقلت في الحادثة :

وليل قضينـــاه بأرض عطية بهرب من الأعداء قبّح من ليل

طوينـــا بذاك الحي ليلة خائف نهدد فيهـــا بالثبور وبالويل

فلما بدا وجه الصباح جرى بنا الـــقطار يهاتيك الأباطح كالسيل

عبد الخالق بن علي المزجاجي الهندي رحمه الله تعالى

علامة التحقيق ، وفهامة التدقيق ، ويعسوب الأفاضل ، ونخبة الأماثل من طار في الآفاق ذكره ، وانتشر في العالم مقامه وقدره . وقد مدحه بعضهم بقوله :

نيطت تمائمــه عليه بمنزل سام بأهليــه على الأبراج
أهل الشمائل والفضائل والعلى سرج الهداية هم بنو المزجاجي

تربى في حجور الترقي ، وتمسك بحبال التنزه والتوقي ، وأخــذ العلم عن أهله ، وترقى الى ان اعترف الكل بفضله ، ومنــاقبه مشهورة غنية عن الإطناب ، ومآثره معروفة لاتحتاج إلى الاسهاب . سمــع صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري الجعفي من الامام العلامة السيد أحمد بن محمد مقبول الاهدل ، وسمع منه أيضاً صحيح الامام مسلم بن الحجــاج ، وكثيرا من كتب الحديث الشريفة ، وكان أثريا على مذهب السلف يعمل بالحديث ، توفي رحمه الله بعد الألف والمائتين رحمه الله تعالى .

السيد الشيخ عبد الرحمن بن سليمان بن يحيى مؤلف كتاب النفس اليماني ، والروح الريحاني

الكامل الفاضل ، والعالم العامل ، والجهبذ الهمام ، والسميدع [1] الإمام ولد رحمه الله وأحسن اليه ورعاه سنة تسع وسبعين ومائة والف ، ونشأ على بديع الاستقامة وأحسن وصف ، في عيشة راضية مرضية ، وهمة في تحصيل العلوم سنية ، وطاعة وافية ، وسريرة صافية ، إلى أن صار إماماً فقيهاً ، وهماماً نبيهاً ، ومحدثاً مفسراً أصولياً ، وتقياً نقياً صوفياً عاملاً بالحديث والقرآن ، تاركاً للتقليد والأخذ بقول فلان وفلان . ولم

---

(١) السَّمَيْدَع : السيد الكريم الشجاع .

يزل مجداً مجتهداً ، مكباً على القرآن والحديث وعليهما معتمداً ، الى ان مرض مرض موته ، وآن أوان ارتحـــاله وفوته . فمات رحمه الله ليلة الثلاثاء بعد العشاء الأخيرة في الحادي والعشرين من شهر رمضـــان سنة ألف ومائتين وخمسين ، وله من العمر احدى وسبعون سنة ، وأرخ بعض الفضلاء وفاته بقوله : ليهنك الفردوس مفتي الانام (١) .

الشيخ عبد الرحمن الروزبهاني مدرس الزاوية الخالدية في بغداد

عالم علماء العصر ، وامام فضلاء مصره ذي القدر ، من انعقـــد الاتفاق على انه عالم الآفاق ، واقر له الورى بان من سواه ورا ، وقد نشأ في حجور المعارف الى ان صار كنز العوارف ، مع الزهد والتقوى في السر والنجوى ، والتخلي عن المحارم والتحلي بالمكارم . أخذ عن سادات أهل العراق ، واستجازهم فاجازوه بالاجازة العامة على الاطلاق ، واستفاد فأفاد واقبل عليه الطالبون من أقصى البلاد ، ولا زال يسمو ومقامـــه يزكو وينمو ، الى ان اختار الآخرة على الأولى ، وسار لينال من مولاه مأمولاً وذلك في بغداد دار السلام ، سنة سبعين ومائتين والف من هجرة سيد الانام ، وقد ارخ وفاته شاعر العراق ، واديبها على الاطلاق ، السيد عبد الباقي العمري فقال :

---

(١) له من المؤلفات (غير النفَس اليماني) : « فرائد الفوائد ـ مجلدان » و « الروض الوريف في استخدام الشريف » و « تحفة النسّاك في شرب التنباك » و « فتح القوي » حاشية على المنهل الروي لوالده ، و « مجاميع » في علوم مختلفة ، و « الجنى الداني على مقدمة الزنجاني » في الصرف . ولمعاصره سعد بن عبد الله سهيل كتاب حافل في ترجمته سماه « فتح الرحمن في مناقب سيدي عبد الرحمن بن سليمان » كتبه سنة ١٢٦٣ هـ « الأعلام » للزركلي .

فاز هذا الضريح فوزاً عظيما بتقيٍّ يحكي الملائك سيما
هو حبر وصدره الرحب بحر أودع الله فيه قلباً سليما
ما رأى قبل لحده الناس لحدا صار كهفاً ليذبل ورقيما
بعده أم الفضل أمست كما أنـه حي أبو الفضل عاقراً وعقيما
يا لبحر منه فقدنا عبابا زاخراً بالندى وغيثاً عميما
فترضوا عنه اذا زرتموه كل يوم وسلموا تسليما
فبدار السلام قد ارخوه حلَّ عبد الرحمن مثوى كريما

وأرخه المذكور ثانياً :

أنت يا قبر مركز الحسنات وركاز المآثر الصالحات
بك عبد الرحمن حل فحلت معه فيك جملة البركات
وانطوت في ثراك منه علوم زاخرات تربو على الصيبات
قد قضى عمره بزهد وتقوى وصلاة مشفوعة بصلات
ببنان البيان في البحث كم قد حل للطالبين من مشكلات
وبقطر العراق محور فضل مثله لا اتى ولا هو آت
بعده اضحت المدارس حتى من حلى كل فاضل عاطلات
رجعت مطمئنة منه نفس وتسامت لأرفع الدرجات
وترقى بسلم العلم ارخ شان عبد الرحمن للجنات

وكانت جنازته غاصة بالمشيعين ، وتأسف عليه الناس اجمعين . رحمه الله رحمة واسعة .

الشيخ عبد الرحمن البوصنه لي بن الشيخ احمد المغربي الحنفي شيخ مكتب الرشدية الجقمقية في دمشق الشام

صاحب المعارف في العلوم ، والسابق في ميدان التقدم في المنطوق والمفهوم ، الثقة المشهور بالكمال ، والهمام الموصوف باشرف الأحوال ،

من رقى أوج الفضل وحل بناديه وتحلى بعقود مقاصد العلم ومباديه . كان كثير العبادة مهاباً محترماً عليه جلالة ووقار ، وهيبة بين الأعيان والصغار والكبار ، وكان حسن الأسلوب في التعليم ، صـــاحب معرفة في التدريب والتفهيم .

قدم من الاستانة الى دمشق الشام سنة سبع وسبعين ومائتين والف واستقام بها ، وكان موظفاً من معارف الاستانة بان يكون معلمـــاً أول في مدرسة الجقمقية شمال جامع بني أمية ، وكانت هذه المدرسة مكتباً مقدماً على سائر المكاتب ، كما ان شيخه مقدم على سائر مشايخ المكاتب ، وحصل على يديه نفع كثير للطلبة في كثير من الفنون والألسنة من تركية وعربية وفارسية ، وبعد مدة وجه عليه تدريس الشفا في حقوق المصطفى ﷺ في تكية السلطان سليم خان ، ولم يزل قائماً بوظائفه مع كمال الهمة وبذل الجد والاجتهاد حسب الطاقة ، إلى أن توفي أواخر شهر رمضان المبارك سنة احدى وتسعين ومائتين والف ، ودفن في مقبرة باب الصغير عند قبر العلامة العلائي صاحب الدر رحمه الله تعالى .

الشيخ عبد الرحمن العراقي الشافعي الاشعري (١)

قد ترجمه السيد عثمان بن سند فقال : ان المشار اليه ، ممن تضرب أكبـــاد الابل للثم يديه ، ويعول في المنقول والمعقول عليه ، وهو ذو فنون كم من طيها من فنون ، وإشارات لها نواظر العرفان عيون ، ومحاسن يشهد بحسنها الحاسدون ، وشمائل يتنافس بها المتنافسون . وآيات

---

(١) أحببت أن أثبت هنا ترجمة سميّه العراقي ، وهو عبد الرحمن بن العباس العراقي الحسيني : فاضل مغربي ، من المالكية (أبو زيد) عالم أديب ، من آثاره : همزية عارض بها همزية البوصيري لم تكمل ، ومنظومة في آداب الدعاء وشروطه ، ومنظومة في التوحيد ، ومنظومة في شمائل المصطفى . توفي سنة ١٣١٤ هـ الأعلام للزركلي ومعجم المؤلفين لكحالة .

محكمة الآثار ، وروايات تستفيض منها الأسرار ، وسيادة بأرجها الكون معطار . فهو من الكمل الذين هزوا من العلوم فناً وفنا ، والاجلاء الذين بهم طير الفضائل تغنى ، والوجوه الذين أسفر بغررها الزمان ، والصدور الذين راق بهم كل صدر وزان ، والأقطاب الذين تدير أنظارهم رحى العرفان ، والشرفاء الذين لعالية الشرف كالسنان ، والفضلاء المرتقين على الأقران ، والأذكياء المحرزين قصب السبق في كل رهان ، والأكارم الذين افتخر بهم الأوان ، فهو لا ريب انه على كمال الصفات أبهى عنوان ، وهو الفاضل الذي أحيا للشافعي آثاره وأعلى من الفقه بالدقائق مناره ، والقمر الذي له العلوم دارة ، والمعتبر الذي أبان من روض الاسناد أزهاره ، والمتصدر الذي رفعته على صهوتها الصدارة ، والمحرر الذي شكره المحرر وعطر المحافل بما أملى وقرر ، والمدرس الذي أبرز النكت وأظهر وأدنى قطوف الفوائد ، وكان الصلة لطلاب العلم والعائد :

ولع بأبكار المعاني فكره | فكأنها عرب اليها يطرب
صفى من العلم الدقيق زجاجة | فوها عن السر الإلهي معرب
يا ربع فقه الشافعي بشارة | إذ جاد روضك منه دان صيب
أصبحت مفتر الأزاهر ضاحكا | من علمه فغناك منه مخصب
أضحت مواردك الشهية في الورى | موروده إذ طاب منك المشرب
حكم أراها من بدون لعارف | إلا سما وله أتم المطلب
ونوادر ما زلن منه شوارداً | نادي العلوم بها مريع مخصب
رقت زجاجة طبعه فطلبته | لأنال منه ما به أتقرب
والشيب لم يكرع بفودي ذوده | وقضيبه برد النجابة يسحب
فصرفت عنه لسوء جد في الورى | وبقيت لا شرف لدي ومنصب

وبالجملة فهو مفرد علم ، وأوحد علت له في العلوم القدم ، وحيث لم تؤذن الأقدار ، بالاقامة في هذه الدار ، دعاه داعي اللقا إلى دار البقا ، وقد أثبت ترجمته السيد محمد سند ، وتلا صحيح مناقبه بأعلى سند ، وفي آخر مدته قصده للقراءة عليه حضرة مولانا الشيخ خالد ، فوجده يتقلب على فرش المرض الزائد ، ولم يمض عليه أيام حتى اختار الآخرة دار السلام ، وذلك عام الف ومائتين واثنى عشر رضي الله تعالى عنه وأرضاه .

السيد عبد الرحمن افندي بن السيد طالب الرفاعي نقيب البصرة

قد ترجمه السيد أبو الهدى افندي فقال : الامام الجواد ، الطاهر الأجداد ، الرفيع العماد ، رب المحامد المشتهرة ، ينتهى نسبه من طريق السيد شعبان إلى القطب الفرد عظيم الامداد سيدنا الشيخ عز الدين أحمد الصياد رضي الله عنه . نشأ كأسلافه الكرام البررة في مدينة البصرة وشب بها وولي أمر النقابة بعد أبيه ، واشتهر أمره وحسن في البلاد ذكره ، وكان على جانب عظيم من الشهامة والمروة وحسن الأخلاق والفتوة ، وكان يضرب بجوده المثل . توفي رحمه الله في البصرة سنة احدى وتسعين ومائتين والف وأرخه شاعر العراق السيد عبد الغفار الأخرس بتاريخ بديع افتتحه بقوله رحمه الله :

قبر به سيد شريف تدفع في مثله الكروب

اختتمه بقوله

يوم به قد قيل أرخ مضى إلى ربه النقيب

الشيخ عبد الرحمن بن حسن الوعي الذماري

ولد سنة الف ومائتين وسبع . قال الامام الشوكاني في البدر الطالع : له قراءة علي وهو من عباد الله الصالحين ، ومن العلماء العاملين ، المتعبدين

بمقتضى الأدلة الشرعية ، لا يميل إلى التقليد بل يعمل بالآيات والأحاديث النبوية ، ولم يزل على قدم ثابت وطاعة وعبادة وتقوى وأوصاف أحمدية الى أن توفاه الله سنة الف ومائتين ونيف وسبعين .

الشيخ عبد الرحمن افندي المعروف بالهلواني الحنفي المصري الازهري

نخبة عصره ، وزينة مصره ، من ألبسه الفضل رداء الكمال ، وجذبته يد العناية للاستواء على مراتب الإجلال ، وقد أثبته الجبرتي في ديوانه ونبه في تاريخه على رفعة مقامه وشأنه ، فقال : الصاحب الأمثل والاجل الأفضل ، حاوي المزايا المنزه عن النقائص والرزايا ، قد اشتغل بطلب العلم على السادة ، ولازم الاشياخ للتحصيل والاستفادة ، وحصل في المعقول والمنقول والفروع والأصول ، ماتميز به عن غيره مع حسن الأخلاق ، وشهرته في الآفاق ، وحضر الكتب الكبار على العلماء الأخيار ، وأخذ الحديث عن السيد مرتضى الزبيدي وكثيراً من المسلسلات وكتب الحديث كالصحيحين وغيره ، وألف حاشية على مراقي الفلاح ، وكان يباحث ويناضل مع عدم الادعاء وتهذيب النفس والسكون والتؤدة ، والامارة والسيادة ، ولم يزل رفيع المقام عالي المرام ، إلى أن أجاب الداعي ، ونعته النواعي ، سنة خمس ومائتين والف رحمه الله تعالى .

الشيخ عبد الرحمن الجمل أخو الشيخ سليمان الجمل الازهري

تفقه على أخيه ولازم دروسه وحضر غيره من أشياخ الوقت ومشى على طريقة في التقشف والتباعد عن مخالطة الناس . ولما مات أخوه كان

يملي الدروس بجامع المشهد الحسيني بين المغرب والعشا على جمع من مجاوري الأزهر ، والعامة تجتمع لسماع قراءته أفواجاً في ذلك الوقت ، فقرأ : الشمائل والمواهب والجلالين ، ولم يزل على حالته حتى توفي ثاني عشر ذي الحجة سنة تسع وعشرين ومائتين والف رحمه الله تعالى .

الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ محمد الدمشقي الشهير بالحفار

العالم الفقيه ، والكامل النبيه ، الحسن السيرة والصافي السريرة ، له مشاركة في العلوم ، وله في الناس قدر مشهور معلوم ، وكان له حصة مع الحفارين في تربة الدحداح ، وكان يقري كثيراً من الطلبة في جامع التوبة . وللناس به اعتقاد عظيم وتعلق جسيم ، وله درس عام حافل بين العشائين في الجامع المرقوم . وقرأ على الشيخ عبد الرحمن الكزبري وعلى الشيخ حامد العطار وعلى غيرهما من الشيوخ العلماء الكبار ، وأجازوا له بالإجازة العامة لجودة ذهنه وحسن فهمه ، حسب شهادة شيوخه له بتفوقه وتقدمه في عمله وعلمه ، وحسن خلقه ولين جانبه وتقواه وعبادته ، وورعه وزهده وخشوعه وخضوعه وتواضعه ولم يزل ينمو مقامه ويسمو إلى أن مرض في شهر شعبان مرضاً ثقيلا ودام مرضه يزداد إلى أن توفي ثاني رمضان المبارك سنة ثمان وسبعين ومائتين والف ودفن في تربة الدحداح .

الشيخ عبد الرحمن بن محمد الكزبري الشافعي الدمشقي محدث الديار الشامية

السيد الذي أشرقت شموس أفضاله في كل ناد ، وفاضت بحار معارفه على صدور القصاد ، وأفاد الطالبين بديع المعاني والبيان ، وأروى المريدين بزلال الكمالات والعرفان . طلع من أفق المعارف هلالا ، وأهل من ميقات المعالي إهلالا ، فوصل طيبة العرفان ، وسعى وطاف ببيت الفضل

والإحسان . الإمام العالم العلامة ، والمحدث الكبير الفهامة ، من هو لتاج المعارف اكليل ، المتسربل برداء التقديم والتفضيل ، الزاهد القنوع ذو القدر المرفوع ، مشهد الكمال ومظهر الجمال .

ولد يوم عيد الفطر سنة أربع وثمانين ومائة والف في دمشق الشام ، ونشأ وتربى في حجر والده الشمس الهمام ، إلى أن أتقن وتفنن وفاق ، وطار صيته في الأمصار والآفاق . وأخذ عن أفاضل متنوعين كثيرين تركيين وعربيين ، منهم والده الشيخ محمد والشهاب أحمد العطار والشيخ محمد الكاملي وبدر الدين بن بدير المقدسي وشهاب الدين أحمد بن علوي باحسن الشهير بجمال الليل والشيخ نور الدين الوزائي الأزهري والشيخ صالح الغـــلاني والشيخ زين الدين عبد الغني بن محمد بن هلال مفتي الشافعية بمكة والشيخ محمد طاهر بن سعيد سنبل الحنفي والشيخ علي الخياط والشيخ محمد السقاط، وأخذ مكاتبة عن الشيخ حسن البقلي المالكي وعن الشيخ مصطفى العقباوي المالكي وعن الشيخ أحمد العروسي الشافعي وعن ابن القيصر عبد الرحمن المغربي النحراوي وعن الشيخ محمد الشنواني الأزهري الشافعي وعن الشيخ محمد السقاط الخلوتي وعن الشيخ عبد الوهاب النجاتي .

ويروي صحيح البخاري عن البربير عن الشمس الكزبري عن والده الشيخ عبد الرحمن الكزبري عن الشيخ اسماعيل العجلوني ، ويرويه أيضاً عن والده الشمس الكزبري وهو عن والده الشيخ عبد الرحمن الكزبري عن خاله الشيخ علي كزبر عن السيد مصطفى البكري عن أبي المواهب محمد الحنبلي عن نقيب الاشراف السيد محمد بن حمزة الحسيني عن الشيخ عبد الباقي الحنبلي عن الشمس البابلي عن النجم الغزي .

وقد أخذ عنه علمـــاء الشام ، وغيرهم من العرب والأعجام . ومن جملة من أخذ عنه سيدي الوالد فإنه روى عنه صحيح الإمام أبي عبد الله البخاري الجعفي من أوله إلى آخره وقد أجـــازه به وبجميع ماتجوز له

روايته عن مشايخه مما هو مذكور في ثبته ، وأنا حضرته ولله الحمد على والدي في الدرس العام في جامع كريم الدين بين العشاءين من أوله إلى آخره وأجازني به وبجميع ماتجوز له روايته عن مشايخه ، وقد أردت أن أذكر سندي من هذا الوجه لعلوه عن غيره فإني أخذته من طرق كثيرة ولكن هذا السند من أعلاها إسناداً فأقول أروى صحيح البخاري عن والدي المولود سنة ١٢٠٦ المتوفى سنة ١٢٧٢ عن الشيخ عبد الرحمن الكزبري المولود سنة ١١٨٤ المتوفى سنة ١٢٦٢ عن والده الشمس محمد المولود سنة ١١٤٠ المتوفى سنة ١٢٢١ عن والده عبد الرحمن المولود سنة ١١٠٠ المتوفى سنة ١١٨٥ عن خاله الشيخ علي كزبر المولود سنة ١١٠٠ المتوفى سنة ١١٦٥ عن السيد مصطفى البكري المولود سنة ١٠٩٩ المتوفى سنة ١١٦٢ عن أبي المواهب الحنبلي المولود سنة ١٠٤٤ المتوفى سنة ١١٢٦ عن السيد كمال الدين بن حمزة المولود سنة ١٠٢٤ المتوفى سنة ١٠٨٥ عن الشيخ عبد الباقي الحنبلي المولود سنة ١٠٠٥ المتوفى سنة ١٠٧٣ عن الشيخ محمد البابلي المولود سنة ١٠٠٠ المتوفى سنة ١٠٧٧ عن النجم الغزي المولود سنة ٩٧٧ المتوفى سنة ١٠٦١ عن الشهـــاب أحمد العيشاوي المولود سنة ٩٤١ المتوفى سنة ١٠٢٥ عن الشمس محمد الرملي المولود سنة ٨٢٦ المتوفى سنة ٩٢٦ عن البدر محمد الغزي المولود سنة ٩٠٤ المتوفى سنة ٩٨٤ عن الجلال السيوطي المولود سنة ٨٤٩ المتوفى سنة ٩١١ عن القاضي زكريا الأنصاري المولود سنة ٨٢٥ المتوفى سنة ٩٢٦ عن الحافظ بن حجر العسقلاني المولود سنة ٧٧٣ المتوفى سنة ٨٥٢ عن ولي الدين أبي زرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقي المولود سنة ٧٦٢ المتوفى سنة ٨٢٦ عن والده عبد الرحيم المولود سنة ٧٢٥ المتوفى سنة ٨٠٦ عن الجمال عبد الرحيم الأسندي المولود سنة ٧٠٤ المتوفى سنة ٧٧٢ عن التقي علي بن عبد الكافي السبكي المولود سنة ٦٨٢ المتوفى سنة ٧٥٦ عن الحافظ أبي الحجاج يوسف المزي المولود سنة ٦٥٤ المتوفى

سنة ٧٤٢ عن الحافظ عبد المؤمن الدمياطي المولود سنة ٦١٣ المتوفى سنة ٧٠٥ عن الامام النووي المولود سنة ٦٣١ المتوفى سنة ٦٧٦ عن الشمس عبد الرحمن بن قدامة المولود سنة ٥٧٧ المتوفى سنة ٦٨٢ عن أبي عبد الله الحسين بن المبارك الزبيدي الحنبلي المولود سنة ٥٤٥ المتوفى سنة ٦٣١ عن أبي الوقت عبد الأول بن عيسى الشجري المولود سنة ٤٥٨ المتوفى سنة ٥٥٣ عن الداوودي المولود سنة ٣٧٤ المتوفى سنة ٤٦٧ عن أبي محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي المولود سنة ؟ المتوفى سنة ٣٨١ عن أبي عبد الله محمد بن يوسف بن مطر بن بشر الفربري المولود سنة ٢٣١ المتوفى سنة ٣٢٠ عن الامام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري الجعفي المولود سنة ١٩٤ المتوفى سنة ٢٥٦ انتهى . وبعد موت والده وجه عليه تدريس البخاري الشريف تحت قبة النسر في شهر رجب وشعبان ورمضان بعد العصر كل يوم ، وعامة العلماء تحضره للأخذ عنه . وفي عام اثنين وستين ومائتين والف توجه المترجم إلى الحجاز بقصد النسك ، وبعد العود من الوقوف رابع يوم من عيد الأضحى توفي إلى رحمة الله ودفن بعد أن غسل في محفل من الفضلاء والعلماء والوجهاء وصلي عليه في الحرم الشريف ، والجامع الأنور المنيف ، في مقبرة المعلا وقبره ظاهر يزار .

الشيخ عبد الرحمن بن علي بن العلامة عبد الرؤوف البشبيشي الشافعي

العلامة المفيد الفهامة المجيد ، نشأ في حجر والده وحفظ القرآن وحضر الأشياخ وتفقه في مذهب أبيه وجده وهم شافعيون ، واجتمع بالشيخ حسن الجبرتي ولازمه ملازمة كلية . قال الشيخ عبد الرحمن الجبرتي : وحضر

المترجم على الوالد في مذهب أبي حنيفة وحفظ كثيراً من الفروع الغريبة في المذهب والرياضيات ، وكان به بعض رعونة . ثم انتقل إلى مذهب أبي حنيفة وأخبر الوالد بذلك يظن سروره في انتقاله فلامه على فعله وسمعته يقول له :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه ... فكـــل رداء يرتديه جميل

وانحط قدره عنده من ذلك الوقت وذلك بعد موت والده في سنة سبع وثمانين ومائة والف . واملق حاله وتكدر باله ، ثم سافر إلى دمياط وأقام بها مدة يفتي على مذهب الحنفية ، وراج أمره هناك لشغور الثغر عن مثـــله ، ثم قدم مصر لأمر عرض له فأقام بمصر وأراد بيع داره ليصرف ثمنها في شؤونه فلم يجد من يشتريها بالثمن المرغوب . وكان انسانا حسنا يذاكر بفوائد مع حسن المعرفة وصحة الذهن ، وربما تعلق ببعض فنون غريبة ، ولذا قل حظه وأنشدني لنفسه أبياتاً مدح بها قاضي الثغر واسمه محمد نصري وبيت تاريخها هذا :

رجـاه مذهب النعمان أرخ ... بشرع محمد نصري مقـدم

وهما تاريخان كما ترى ، توفي رحمه الله سنة سبع ومائتين والف وحيداً في داره وهو جالس من غير سابقة مرض ولا اشارة نسأل الله حسن الخاتمة .

السيد عبد الرحمن بن بـكار الصفاقسي نزيل مصر

العمدة الجليل والنبيه النبيل ، العلامة الفقيه الشريف والفهامة اللطيف ، قرأ في بلاده على علماء عصره ودخل كرمي مملكة الروم فأكرم وانسلخ عن هيئة المغاربة ، ولبس ملابس المشارقة مثل التاج والفراجة وغيرها ، وأثرى وقدم إلى مصر وألقى دروســاً بالمشهد الحسيني ، واتحد مع شيخ السادات الوفائية السيد أبي الأنوار فراج حاله ، وزادت شوكته على أبناء جنسه وتردد إلى الأمراء وأشير اليه ، ودرس كتاب الغرر في مذهب السادة

الحنفية ، وتولى مشيخة رواق المغاربة بعد وفاة الشيخ عبد الرحمن البناني، وسار فيها أحسن سيرة مع شهامة وصرامة وفصاحة لفظ في الالقاء . وكان جيد البحث مليح المفاكهة والمحادثة واستحضار اللطائف والمناسبات، ليس فيه غلظة ولا فظاظة ، ويميل بطبعه إلى الحظ والخلاعة وسماع الألحان والآلات المطربة .

توفي رحمه الله سنة تسع ومائتين والف كما نقله الجبرتي .

الشيخ عبد الرحمن الاجهوري النحراوي الشهير بمقري الشيخ عطية الشافعي المصري

قال الجبرتي : الإمام العلامة ، المفيد الفهـامة ، عمدة المحققين ونخبة المدققين ، الصالح الورع المهذب . خدم العلم وحضر فضلاء الوقت ودرس ومهر في المعقول وبرع في المنقول ، ولازم الشيخ عطية الأجهوري ملازمة كلية ، وأعاد الدروس بين يديه ، واشتهر بالمقري وبالأجهوري لشدة نسبته إلى الشيخ المذكور ، ودرس بالجامع الأزهر وأفاد الطلبة ، وأخذ طريق الخلوتية عن الشيخ الحفني ولقنه الاذكار وألبسه الخرقة والتاج وأجـازه بالتلقين والتسليك . وكان يجيد حفظ القرآن بالقراءات ، ويـلازم المبيت في ضريح الإمام الشافعي في كل ليلة سبت ، يقرأ مع الحفظة بطول الليل ، وكان انساناً حسناً متواضعاً لايرى لنفسه مقاماً ، يحمل طبق الخبز على رأسه ويذهب به إلى الفران ويعود به إلى عياله ، فإن اتفق أن أحداً رآه ممن يعرفه حمله عنه والا ذهب به ، ووقف بين يدي الفران حتى يأتيه الدور ويخبزه له . وكان كريم النفس جداً يجود وما لديه قليل . ولم يزل مقبلاً على شأنه وطريقته حتى نزلت به البـاردة وبطل شقه ، واستمر على ذلك نحو السنة ، وتوفي إلى رحمة الله في السنة العاشرة بعد المائتين والألف .

الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الوهاب النجدي الحنبلي

العالم المشهور ، والهمام الذي فضله مأثور . ولد في بلاد نجد ، ثم ان محمد علي باشا وزير مصر لما أمره المرحوم السلطان محمود بمقاتلة الوهابيين أرسل ولده ابراهيم باشا ومعه معسكر عظيم من الأكراد والأرناؤوط وعرب مصر الهواره لمحاربة عبد الله بن سعود أمير نجد ، فقاتلهم وقتل ونهب وحرق وخرب ، وأسر عبد الله بن سعود وأرسله إلى مصر ، فبعثه والي مصر إلى السلطان محمود فصلبه . وأما باقي عائلة أمراء الوهابيين المعبر عنهم بآل المقرن وباقي بيت الشيخ محمد بن عبد الوهاب المعبر عنهم ببيت الشيخ فإنه نقلهم جميعاً إلى مصر وأسكنهم هناك ، ورتب لهم معاشات تكفيهم ، وكان من جملتهم المترجم المرقوم ، فالتفت إلى الطلب والتعلم والتعليم والاستفادة والإفادة إلى أن صار في الأزهر شيخ رواق الحنابلة ، وكان ظاهر التقوى والصلاح والزهادة والعبادة ، ولم يزل على حالته المرضية وطاعته وعبادته وافادته السنية ، إلى أن اخترمته المنية سنة أربع وسبعين ومائتين وألف[1] رحمه الله تعالى .

الشيخ عبد الرحمن الكردي النقشبندي الخالدي

السباح في بحار التوحيد ، والسياح في قفار التجريد ، المعرض عما سوى الله ، والمقبل بكليته على إلٰهه ومولاه ، نشأ في مهد الطاعة والعبادة ،

---

(١) في الأعلام انه عاد إلى نجد سنة ١٢٤١ وتوفي فيها سنة ١٢٨٥ هـ .
له من المؤلفات « فتح المجيد شرح كتاب التوحيد » والأصل لجدّه الشيخ محمد وكلاهما مطبوع ، « الإيمان والرد على أهل البدع » ، و « مجموعة رسائل وفتاوي » وكلّها مطبوعة .

وسلك مسالك التقوى والزهادة ، واستفاد وأفاد ونفع وأجاد ، وحسنت سيرته ، وطابت سريرته ، ولازم خدمة شيخ عصره حضرة مولانا خالد قدس سره ، ولم ينفك عنه ، سافر معه إلى الهند ورجع معه إلى بغداد مرات وإلى الشام ، وسافر معه إلى الحجـاز ، فكان لا ينفك عنه أينما توجه ، وقد خلفه خلافة مطلقة وأذن له بالإرشاد فأرشد كثيراً من العباد ، ولم يزل يترقى على معراج الاتصال ويسمو في مراتب الجمال ، ويقصده الواردون وينتفع به السالكون ، إلى أن توفي في الشام بعد الألف والمائتين والخمسين رحمه الله تعالى .

الشيخ عبد الرحمن بن سعدى بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب الكناني البعلي الشهير بالتاجي الدمشقي الحنفي

أحد العلماء الصالحين والفضلاء المعتقدين ، كان إماماً تقياً عابداً حسن المعاملة كثير الاقبال على الله ، مشتغلا بالعلم في ليله ونهاره ، دائباً على شغل أوقاته بالاستفادة والافادة ، إلى أن انفرد في زمانه وفاق على أقرانه . مات رحمه الله تعـالى ثامن شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين ومائتين والف ودفن في مقبرة باب الصغير رحمه الله تعالى .

عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن علي افندي العمادي الدمشقي الحنفي

كان عالماً عاملاً كاملاً فاضلا ، ذا شهرة حسنة وسيرة مستحسنة ، ولد بدمشق الشام ونشأ بها في حجر والده ، وكان ذا فطنة ونباهة وحذق ووجاهة ، كثير التودد لأحبابه شفوقاً على أرحامه وأقاربه ، متديناً ورعاً تقياً . مات سنة ثلاث وعشرين ومائتين والف .

الشيخ عبد الرحمن بن علي بن موعي
الشافعي الدمشقي الشهير بالطيبي

الشيخ الإمام والحبر الهمام، شيخ الإسلام وعمدة الأنام، وبركة الشام وكعبة العلماء الأعلام، ونخبة ذوي المعارف في الأحكام، من انتهت رياسة العلوم إليه، واعتمد الكل في معرفة الصواب عليه، فهو السامي ذروة الفضل في تحقيق الفروع والأصول، والرامي بسهام معارفه شوارد المعقول والمنقول، والقاطف بأنامل أفهامه ثمرات الدقائق والراشف من مناهل العرفان زلال الرقائق. علامة الزمان وفهامة العصر والأوان، التقي العابد والنقي الزاهد، الذي شهد بكمال صلاحه الخاص والعام، ومال الجميع إليه في تمييز الحلال من الحرام.

ولد في بلاد عجلون سنة أربع وثمانين ومائة وألف، وقدم دمشق بعد المائتين فشمر عن ساعد الجد والاجتهاد وسعى في طلب العلم وتحصيل المراد، ولازم علماءها الأعلام وفضلاءها الكرام، وكان من أعظم شيوخه الشيخ محمد الكزبري والشيخ يوسف شمس وغيرهما، ولا زال يترقى إلى أن صار يلقب بين الناس بالشافعي الصغير. ثم إنه في آخر شعبان سنة ألف ومائتين وثلاث وستين قد حضر من أمير المؤمنين السلطان عبد المجيد خان مرسوم، بطلب المترجم هو ووالدي الشيخ حسن البيطار ذو المقام الموسوم، للدار العلية والعاصمة العثمانية، يدعوهما لحضور ختان أولاده الكرام ذوي المقام والاحترام، فلبى كل منهما الإجابة، وتوجه بعد أن ودع أحبابه، فلما أن وصلا تلقتهما أيدي التكريم، وأنزلتهما في منازل الاحترام والتعظيم. وكانا متلازمين على الدوام لا ينفكان عن الاجتماع لدى يقظة أو منام. وكان لهما القدر الأعلى والمقام الأجل الأجلى، وقد قصدهما الأفاضل من كل جانب لاغتنام ما لديهما من العلم الذي هو أسنى

المطالب ، وبعد مدة دعاهما حضرة السلطان إلى حضور الختان . فدخلا حرمه السعيد ، ودعوا لعلاه بالنصر والتأييد ، ثم بعد مدة من تمام الختان قدما للذات العلية عريضة الاستئذان ، وغب برهة من الزمن صدرت الارادة السلطانية بعودهما إلى الوطن ، فعادا اليه بكل سرور وكانت مدة غيبتهما أربعة شهور . ولما قربا من الشام وعلم الناس بحضورهما بسلام ، هرع لاستقبالهما الكبير والصغير والحقير والفقير ، وامتدت موائد السرور ودارت كؤوس الحبور ، وعلى كل حال فهذا المترجم من الأفراد ومن السادة القادة الأجواد ، وفي ثاني سنة من حضوره إلى الشام خطبته المنية لدار المقام ، وذلك في رمضان سنة أربع وستين ودفن في مقبرة الشيخ ارسلان على جادة الطريق رحمه الله تعالى .

الشيخ عبد الرحيم البرزنجي الشافعي الاشعري

عالم عامل وإمام فاضل وهمام زاهد وناسك عابد ، أخذ عن جملة من السادة وعن كثير من القادة الى ان شهدوا له بالكمال واجازوه بما تجوز لهم روايته عن الشيوخ الأبطال ، وممن اخذ عنه من الاكابر ذوي الفضل الوافر ، مولانا الشيخ خالد شيخ الحضرة الشافعي النقشبندي الدهلوي ، فلازمه للاستفادة والاقتباس من أنوار معارف تلك السيادة ، والانتشاق من عَبْهَره [1] والاجتناء من ثمره ، والاقتطاف من كائم زهره ، والارتشاف من ضَرَبِ [2] فكره ، ولقد اجاد من قال فيه من بديع قوافيه :

من اناس يحيا بهم كل ربع نزلوه فاستنطق الأوطانا
نزلوا طيبة فطاب ثراها فاسألا عن ثنائها القرآنا
وكرام ان حدثوا في ندي عطروا من بروده الأردانا

---

(١) العبهر : نبات النرجس والياسمين .
(٢) الضَرْب والضَرَب : العسل الأبيض الغليظ .

واناس منهم عليّ اناس مذ تساموا الى العلا أعلانا
فاطميون يفطمون عن الغي نفوساً تهوى التقى إعـلانا
هم عيون من الوجوه وان هم حجبوا عن زهو الدنا الانسانا

فصرف المترجم الى العلوم العناية وأمسك بزمام الرواية والدراية ، وأحيا مآثر اجداده واشتهر صيته في حاضر قطره وباده ، وسقى رحيق تحريره بكؤوس تقريره وتحبيره كلّ معاصر ذكي وجهبـذ سامي الجد زكي ، وتقي فائض الأسرار وصوفي صفا ورده من الأكدار ، وأعمل اقـلامه ليرفع من شرع جده أعلامه ، ويُضحك من السنة ثغراً اضحك الله سنه ، وداوى بمعارف اسناده وتنظيره وايراده كلوم البحث والمناظرة ، واجرى كميت انظاره فأفحم مناظره ، ونظر في الحكمـة فكان مركز الدائرة ، وعرف علماء قطره فضلَه الذي يُري انه بدر عصره ، واقروا بأنه من الحكمة اللسان ومن عين النظر الإنسان . واقبلوا اليه فرادى ومثنى ، وزينوا من جواهر خاطره لكل فكر نحرا واذنا :

يـكاد اذا تصبب في حديث يضارع مالـكا حفظاً وضبطا
فقل للسـامعين له اصيخوا لقول صار للأفـكار سمطا
متى اصغى له ندب بسمع يجد منه لذاك السمع قرطا

وأضاف الى العلوم النقلية ما هو عقد في نحرها من الدلائل العقلية ، وتجلى على موجهات الشمسية الى ان دعي ابن بجدتها في الناحية الكردية .

لنا من أولى البيت المطهر سادة يداوون للأحـكام للملة الكلما
فوارس يقرون العداة صوارما ويقرون مهديا الى سبلهم علمـا
فما مثلهم في العلم يوماً رأيته اذانظروا أجلوا عن المشكل الظلما
وان قرروا في حلبة الدرس ذقت من مقاولهم عذبا تخيّلُه الظَّلما [١]
وللمرتضى عبد الرحيم مباحث اذا امتص منها الفكر لم يذق السقما

---

(١) الظَّلْم : الثلج ، بريق الأسنان .

مباحث فيهــا للنبي سرائر لطفن فاحيت من مطالعها الفهما

اذا نظمت في عقد درس وعابها حواسده قالوا هي الدرة العصما

مباحث ان قال المعاصر انهــا جواهر قلنا الدر من سمة الدأما[١]

فلا تنكروامنه فرائد زَينَت من الكردماضاهى باعلامةالشاما

اذا نفحت من افق درس تشيمها شمائل تستدعي من الناشق الشما

وان اسفرت في ليلة مدلهمة ارتك لأقمار الهدى القمر التما

فيحيى به يحيى اذا ما تفجرت ينابيع افكار له تبهر الخصما

يقرر من قول النبي فتنبري دقائق بالتقرير تستغرق الوهما

فيا زمناً حلاه لؤلؤ فكره تنور بمــا أبداه للحكم النجما

فتقريره التنوير للفكر عنصدى وتحريره منهاج من هديه أمــا

أهب على الطلاب أنفاس بحثه فأحيابأرواح الذكا للهدى الجسما

وأقرأ من لم ينظر العصرُ مثلَهُ بعين ولا جاراه ذو فطنة علما

يمين التقى لا بل يسار مؤمل إليه أتى يشكو من الزمن العدما

ومحي دروس العلم بعد دروسها بذهن إذا ما مد علماً حكى اليما

فتى عبشميا مـا وجدنا نظيره بزهد أرانا أنه البدر أو أسمى

توفي المترجم عام الف ومائتين واثني عشر .

الشيخ عبد الرحيم الزياري المعروف
بملا زاده الشافعي الاشعري

العلم المفضال ، والأوحد الذي لم يزل مشاراً إليه بكل كمال ، والعلم الفرد في محاسن الأخلاق والخلال ، والجهبذ الهمام الذي نال بغية الآمال ، والحَبْرُ الذي لنحر العلوم نحر ، والبحر الذي بالدر المنثور تلاطم وزخر ، والألمعي الذي أدلة ألمعيته شواهد على أعلميته . سطعت أنواره في الأكراد ،

(١) الدأماء : البحر .

وتفجرت ينابيع حكمه في كل واد ، وأزهرت رياض تقريره في كل فؤاد، فهو الإمام الذي شكرت المعضلات فكره ، وعجز معاصره أن يقدر قدره ، لم يدع من الفنون فنا إلا ارتقاه ، ولا نوعاً غريباً إلا اختباه وانتقاه ، ولا خفيا من المشكلات إلا أبان محياه ، ولا دنا من دنان المباحثات إلا ارتشف حمياه ، ولا واديا من التحقيق إلا سلكه ، ولا ارتدى بُردَ تحرير إلا وشّاه وحبكه ، مع دين يشهد أعداؤه بمتانته وزهد ظهارته كبطانته ، وصبر على مضض الأيام يظهر له أنه في الكمال إمام أي إمام، وله من التحابير أحسن التحارير ، وبدائع بيان هي البديع والبيان ، وكان من أعظم المقاصد للمداح بالقصائد ، ولذلك قال عثمان افندي بن سند أمدنا الله وإياه بوافر المدد :

قصائد لم يطربن إلا لأنها	لها من عُلا عبد الرحيم مسانِد
إمام زكا عرقاً فأضحى محله	له سمرت فوق السماك مصاعد
تجسد من علم فقد قال إنه	عباب ففيما قال لاحت شواهد
تقارير أما زهرها فسوائر	ولو انها كالخالدات خوالد
فوائده في الدرس هن فرائد	ولو انهـا للدارسين موائد
قواعد أبداهن غـرا يزينها	نوادر في الآفاق هن الشوارد
إذا جال في بحث رأيت به فتى	له طاب من بحث العلوم الموارد
له غرر لـماعة وبراعة	لها من بديع النظم سارت أوابد

توفي المترجم عام الف ومائتين واثني عشر .

الشيخ عبد الرسول البخارلي الحنفي النقشبندي

العالم في الشريعة والحقيقة ، المرشد الكامل في آداب الطريقة ، كان أديباً كاملاً وهماماً فاضلاً ، آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر ، ماجلس في

مجلس إلا وعظ وذكّر ، جواد كريم لطيف رحيم ، كثير الوداد جميل الترداد . يسعى ماشياً من مكان إلى مكان لزيارة الأحباب والاخوان ، وله أمور باهرة وكرامات ظاهرة ، ما رآه إنسان إلا وأحبه وأخلص له في المحبة ، وحينما ورد من بخارى إلى الشام أقبل عليه الخاص والعام، وكان يصرف صرف الأكابر والأعيان ولم يعلم له جهة ولا اعتماد على إنسان . ولم يزل على حاله من سلوكه في مناهج كماله ، إلى أن توفي نهار الأربعاء الخامس والعشرين من ذي القعدة الحرام سنة سبع وتسعين ومائتين والف ودفن في تربة الدحداح رحمه الله تعالى .

الشيخ عبد الستار افندي بن الشيخ ابراهيم افندي بن الشيخ علي افندي الاتاسي مفتي مدينة حمص البهية

العالم العامل والحبر المدقق الكامل ، والدر المختار لتنوير الأبصار، وامداد الفتاح للصعود على مراقي الفلاح ، فلا ريب انه محيي ربع العلم بعد اندراسه ، ومنير كوكب الفضل بعد انطماسه ، وقد استوى على عرش الورع والعبادة ، واحتوى على مايوجب التقدم للمعالي والسيادة .

ولد في طرابلس الشام وتربى على أيدي السادة الكرام ، فأكب على تحصيل العلم من صغره ، كما أنه تجرد لحسن العمل في كبره ، وتولى رحمه الله التدريس في الجامع النوري . وقد حضر إلى دمشق المحمية ، فأقبل على الأخذ عن علمائها بهمة قوية كالشيخ محمد الكزبري عمدة الأخيار ، والشيخ محمد بن عبيد العطار . وأخذ الفقه على مذهب أبي حنيفة النعمان عن الشيخ نجيب القلعي والسيد شاكر العقاد وغيرهما من العلماء الأعيان . وكان مكملاً في العلوم من منطوق ومفهوم ، تهابه القلوب لفضله وتعظمه ، ويجله العموم ويحترمه ، مع انه لا تأخذه في الله لومة لائم ،

ولا تدنيه الأماني من المعاطب والمآثم ، وله شعر لطيف رقيق ، ونثر أعذب من الرحيق ، ومفاكهات أدبية ، ومناسبات لما يخل بالأدب أبية . توفي رحمه الله في معان بعد اداء الحج الشريف ودفن هناك وقبره على يسار الداخل الى معان من جهة الحجاز ، وقد صين قبره باربعة جدر من اللبن ، وما شاع عند أهل معان من أن صاحب هذا القبر اسمه الشيخ عبد الله فهو مما جرت به العادة بين الناس غالبا من أن كل من مات غريبا في محل وكان ذا قدر ولم يعرفوه فانهم يسمونه بالشيخ عبد الله ، والتحقيق أن هذا المقام مقام المترجم المرقوم كما هو محقق عند أهالي حمص خلفا عن سلف ، وكان قد حضر دفنه في هذا المحل جماعة من أهل حمص ، وكانت وفاته سنة خمس وأربعين بعد المائتين والالف رحمه الله تعالى .

وقال هذا الموشح في مدح الشام :

حبذا الشام مقر الشرفا ودِيار الانس فيها وطني
صانها المولى لطيف اللطفا من صروف الدهر طول الزمن

دور

كم بها الاخبار حقا وردت وأحاديث روتها العلما
وكذا الابدال فيها سكنت وخيار من خيار الكرما
خيرة الله تعالى قد غدت واليها يجتبي أهل الحمى
فهي دار الأتقياء الحنفا من بهم يشفى عليل البدن
كنبيّ الله يحيى ذي الوفا وكذي الكفل جزيل المنن

دور

جامع الأمويّ حاوي العابدين في دياجي الليل والناس نيام
في خشوع لو تراهم ساجدين ووجوه زانها نور القيام

يسألون الله رب العالمين ... جنة الفردوس في دار السلام
وجوار الهاشمي المصطفى ... أحمد المختار أوفى محسن
من له قلب رحيم قد صفا ... والد الزهراء جد الحسن

دور

كم رياض مع غياض حولها ... وبساتين زهت بالنيربين
وقصور عاليات كم لها ... وعيون فائقات كل عين
وسرور وحبور حلها ... تجمع الشمل الذي من بعد بين
طالما قضيت عمراً سلفا ... بين أحباب وشهم فطن
حينما قد كنت صبا دنفا ... خالي الافكار في عيش هني

الشيخ عبد السلام بن الشيخ عبد الرحمن بن الموحوم الشيخ مصطفى الشطي الحنبلي الدمشقي

كان عالماً لطيفاً وأديباً كاملاً عفيفاً ، محبوباً بين الناس مطلوباً لكل جمال وإيناس ، حسن الخطاب محكم الجواب ، ناظماً ناثراً شاعراً .

ولد سنة الف ومائتين وست وخمسين ونشأ في طلب العلوم الشرعية والفنون الآلية والأدبية . وله قصائد كثيرة وموشحات شهيرة ، منها قوله عارضاً حديث الرحمة :

لقد روينا حديثاً عن مشايخنا ... مسلسلاً أولياً جاء منتظما
ان ترحموا ترحموا دنيا وآخرة ... فإنما يرحم الرحمن من رحما

وقال مخمساً بيتين للأمير منجك :

يا من تعرض للشقا ... لاتنس يوم الملتقى
ان رمت فوزاً في البقا ... اشغل فؤادك بالتقى
واحذر بأنك تلتهي ... واترك لغمر حاسد

واصحب لشخص ماجد واقصد لرب واجـــد
واعمل لوجه واحد يكفيـــك كل الأوجه

وقال في مدح الشيخ حسن الراعي :

في حاء حبك لم أزل مترقياً وبسين سرك لا أخاف ضياعي
وبنون نورك في الأنام مهابتي ورعايتي إذ أنت نعم الراعي

وقال في مدح كتابين حنبليين :

يا من يروم بفقهـــه في الدين نيل مطالب
إقرأ لشـــرح المنتهى واحفظ دليل الطالب

وقال مضمناً :

أجريت من شوقي اليك مدامعي وازداد من عشقي عليك تلهفي
لو كنت تعرف حالتي لرحمتني روحي فداك عرفت أم لم تعرف

مات رحمه الله تعالى ليلة الأربعاء تاسع شهر محرم الحرام سنة خمس وتسعين ومائتين والف ودفن في الذهبية في مرج الدحداح [1] .

---

(١) هو جدّ صديقنا الشيخ محمد جبل الشطي لأمه ، رحمهما الله تعالى . وقد ترجم له في « روض البشر ، في أعيان دمشق في القرن الثالث عشر » ومما جاء في ترجمته قوله : ولد بدمشق (سنة ١٢٥٦ هـ) وجاء تاريخ مولده (بالحسن ظهر) وأخذ العلوم بدمشق عن مشايخ كثيرين منهم الشيخ حسن الشطي والشيـــخ عبد الله الحلبي ، وعلى كل من الشيخ محمد الجوخدار والشيخ عمر العطار ، ولازم الشيخ سليم العطار الملازمة التامة ، وحضر عليه عدة كتب في التفسير والحديث ، ولازم أيضاً في الفقه وغيره سيدي العم الشيخ أحمد الشطي . وارتحل إلى الحجاز ومصر (سنة ١٢٧٤ هـ) و (١٢٨٤ هـ) فاستجاز الشيخ ابراهيم الباجوري ، والشيخ ابراهيم السقا ، والشيخ جمال المكي رئيس المدرسين بالمسجد الحرام ، وكتبوا له إجازات بخطوطهم الشريفة (ثم قال) : وقد طبعت له سنة ١٣٢٥ هـ ديواناً صغيرا ، جمعت فيه أحاسن منظوماته ، فبلغ زهاء أربعمائة بيت في فنون شتى ، (قال العم) أي عم المؤلف مراد افندي : وقد ألف المترجم رسائل —

الشيخ عبد الصمد بن محمد الأرمنازي بن محمد الأرمنازي الشافعي الحلبي

الفقيه الأديب ، والكامل اللبيب ، مولده بأرمناز (قرية من أعمال حلب) ليلة الجمعة خامس عشر رمضان سنة ثلاثين ومائة والف ، ونشأ بها في كنف والده وقرأ القرآن وحفظه وتلاه مجوداً على الشيخ المقرىء يحيى بن الحسين الحلبي الزيات ، وتفقه بأبي الحسن علي بن عبد الكريم الأرمنازي ، وقرأ النحو وغيره من بقية الفنون ، وخطب بعد والده في جامع أرمناز كأسلافه ، وذلم زمان قديم في هذا المكان . ونظم الشعر وتعاناه ، وأقبل على مطالعة الدواوين الشعرية وكان متديناً كريماً جواداً صالحا ، ومن شعره يمدح النبي ﷺ :

لست أخشى ولي اليك التجاء	يا نبياً سمت به الأنبياء
كنت نوراً وكان آدم طيناً	فأضاءت بنورك الأرجاء
جئتنا من إلهنا بكتاب	عربيٌ عنت له البلغاء
أيها المادحون طيبوا نفوساً	إن مدح النبي فيه الشفاء
ما رماني الزمان منه بسهم	أو دهتني الخطوب والضراء
وتوسلت بالمشفع إلا	داركتني الألطاف والسراء
قاب قوسين قد دنا فتدلى	وتحلى لما أتاه النداء
كان جبريل بالبراق دليلا	حين أسرى به فنعم العطاء

ـــ لطيفة ، منها « تحفة أهل الإيمان ، بأدعية ليلة النصف من شعبان » و « مختصر كتاب الفرج بعد الشدة » لابن أبي الدنيا ، و « نظم مولد الامام بحرق الحضرمي » واجتمع عنده من الكتب النفيسة ما لم يجتمع عند غيره ، فأوقف البعض منها ، وبيع غالبها في تركته اه باختصار .

وبدت حين وضعه معجزات ضاق عنها التعداد والاحصاء
وضعته والكون كان ظلاماً وعن الحق في القلوب عماء
فانتفى الغي حينما حل في الأر ض ونارت أقطارها والسماء
يا رفيع الجناب أنت المرجى في المهات إذ يعم البلاء
كن مجيري يا خير هاد لأني ليس لي في الأمور عنك غناء

وله أشعار كثيرة ، وقصائد شهيرة . توفي بعد الألف والمائتين وخمسة .

السيد الشيخ عبد الصمد بن عبد الرحمن الجاوي

أوحد العلماء مفرد الفضلاء ، الولي التقي والعارف النقي ، قال في النفَس اليماني : وفد إلى مدينة زبيد عام الف ومائتين وستة ، وكان من العلماء العاملين ومن المتفننين في سائر العلوم ، أخذ عن عدة من علماء عصره وفضلاء مصره ، منهم الشيخ ابراهيم الرئيس ، والشيخ محمد مراد ، والشيخ عطاء المصري ، والشيخ محمد الجوهري ، والشيخ محمد الكردي وغيرهم . ثم أقبل على علم التصوف وكان جل اشتغاله باحياء علوم الدين درساً وتدريساً[1] ، وصار يدعو الناس إلى الاشتغال به ويعظم شأنه ويكثر من ذكر فوائده ، وأن من أقلها أن ينكشف للمشتغل به والمقبل عليه عيوب نفسه ونقصها وتقصيرها ، ويكون ذلك بعد توفيق الله سبحانه عاصماً له عن الغرور ، وقيل في هذا المعنى :

يا رب إن العبد يخفي عيبه فاستر بحلمك ما بدا من عيبه
ولقد أتاك وما له من شافع لذنوبه فاقبل شفاعة شيبه

ثم انه قد كثر من زمن الأولين الاعتناء والمطالعة في كتاب « إحياء

(١) له كتاب « فضائل الاحياء للغزالي » .

علوم الدين » حتى ان بعض علماء المغاربة ألف كتاباً حافلاً في فضائل الاحياء . ومما يحكى أن رجلاً من المشتغلين به اطلع على كتاب تنبيه الأحيا على أغاليط الإحيا ، فأقبل على مطالعته فما أتمه إلا وقد ذهب بصره ، فأكثر من البكاء والتضرع إلى الله عز وجل وعرف السبب وتاب إلى الله عز وجل ، فرد الله عليه بصره . انتهى قال شيخ الاسلام ابن تيمية : وكلامه في الاحياء غالبه جيد ، لكن فيه أربع مواد فاسدة : مادة فلسفية ، ومادة كلامية ، ومادة الترهات الصوفية ، ومادة من الأحـــاديث الموضوعة . وبينه وبين ابن عقيل قدر مشترك من جهة تناقض المقالات المصنفات . قال الشيـخ حسين بن عبد الله الحضرمي في حق الاحيا : يداوى به من سموم الغفلة ويوقظ علماء الظاهر ، ويوسع للعلماء الراسخين ، ومن أنكر عليه فهو خارج عن الصواب . ولا عبرة بقول محمد صديق حسن خان في كتابه المسمى بالتاج المكلل فإنه قال : وهو لا شك كذلك لكن بعد حذف المواد الفاسدة المشار اليها ، ومثله كتابه الآخر المسمى بكيمياء السعادة . انتهى قال صاحب النفس اليماني : قرأت على المترجم من أول كل ربـــع شيئاً وأجازني ، وكان لا يرى للدنيا قدرا ، اتصف بالسماحة وبذل المال ما أمكن . توفي سنة الف ومائتين و . . . .

السلطان عبد العزيز بن السلطان محمود الثاني

تولى الملك بعد أخيه السلطان عبد المجيد وكان سلطاناً مهاباً جسوراً ذكياً نبيهاً عارفاً بدقائق السلطنة ، تولى الملك سابع عشر ذي القعدة الحرام سنة الف ومائتين وسبع وسبعين ، وفي سنة ثمان وسبعين أظهر أهل الجبل الأسود العصيان فأرسل اليهم من أرجعهم إلى الطاعة بعد حرب عظيم ،

وفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين والف أظهر العصيان أهل جزيرة كريد وكثير من البندقية ، فجهزت الدولة جيوشها براً وبحراً وكذلك جهز صاحب مصر جيوشاً كثيرة فكانت مع عساكر الدولة ، ووقع بينهم وبين العصاة حرب شديد كان النصر فيه لعساكر المسلمين ، وأذاقوا العصاة الوبال ، وأرجعوهم إلى الطاعة والاعتدال . وفي سنة تسع وسبعين توجه المترجم الى الديار المصرية للتنزه والتفرج ، وكان ذلك في ولاية اسماعيل باشا بن ابراهيم باشا بن محمد علي باشا . وفي سنة أربع وثمانين توجه الى باريز تخت ملك الفرنسيس ، وكان قد دعاه نابليون حينما دعا عدة من الملوك العظام ، وكان في رحلته هذه قد مر على أدرنة وعلى قلعة بلغراد ، وكان الصرب قد طلبها منه فأعطاهم إياها ، فحين عاين تحصينهـــا غضب لذلك ، وكانوا أخبروه أنها مهدومة وانها مدينة كاسدة ، فلما رآها ندم حيث لا ينفع الندم . وفي سنة ثمان وثمانين أرسل جيشاً عظيما تحت قيادة رديف باشا إلى بلد عسير حينما خرجوا عن طاعته ، فهزمهم وقتل أميرهم محمد بن عايض ابن مرعي ، وقتل كثيراً وأسر كثيراً وأرسلهم إلى الآستانة ، وصارت بلاد عسير في حكم الدولة منضمة الى ولاية صنعا واليمن ، وفي هذه السنة أيضاً كانت فتنة عظمى بين المانيا وفرانسا آل الأمر فيها الى هزيمة الفرنسيس وأسر مليكهم نابليون الثاني . وفي سنة ثلاث وتسعين ومائتين والف سابع شهر جمادى الأولى خلع المترجم المشار اليه ومات بعد خمسة أيام ، وعمره ثمان وأربعون سنة ، ومدة سلطنته ست عشرة سنة وأربعة أشهر رحمه الله تعالى . وقد أشيع انه قتل نفسه بمقص قص به عرقاً في ذراعه فمات ، وفي سنة ثمان وتسعين ومائتين والف نفي جماعة من الوزراء إلى الحجاز ، فحبسوهم في قلعة الطائف ، منهم : مدحت باشا ومحمود باشا داماد[1]

---

(١) صهره زوج بنته .

مولانا السلطان عبد الحميد ، ونوري باشا داماد حضرة السلطـــان المتقدم ذكره ، ومعهم جماعة آخرون منهم : شيـخ الاسلام خير الله افندي . وفي سنة ثلاثمائة توفي مدحت باشا ومحمود باشا الداماد في القلعة المذكورة ، وكان خلع السلطان عبد العزيز سبباً لاضطراب كثير وحوادث شتى .

وكان القائم أكمل القيام في خلعه حسين عوني باشا ، وكان السلطان عبد العزيز هو الذي رقاه وأعلى قدره إلى أن جعله رئيساً على العساكر كلها ، بل جعله مقدماً على جميع أهل الرتب والمناصب ، فكافأه الباشـــا المذكور على هذه الأمور العظيمة بأن أدخل في أفكار الوزراء أن السلطان المذكور قد تداخل مع الروسية ، وانه يريد أن يملكهم دار السلطنة ، ولا زال هو ومن اتفق معه يسعون في الفساد ويدبرون التسلط على خلعه ، إلى أن تم لهم ذلك فخلعوه ووضعوا مكانه السلطـــان مراد ، ابن أخيه السلطان عبد المجيد . فقدر الله تعالى ان رجلاً يقال له حسن جركس وكان السلطان عبد العزيز المومى اليه متزوجاً باخته فأخذته حمية على السلطان عبد العزيز ، فصمم على قتل حسين عوني باشا ، ودخل عليه في دار الصدر الأعظم محمد راشد باشا فوجده مع جماعة من الوزراء مجتمعين للمشاورة في بعض الأمور ، وكان مع حسن جركس فرد[1] بست طلقات فقتل به حسين عوني باشا ومعه جماعة من الوزراء ، ثم قبضوا على حسن جركس وقتلوه .

وكان موت المترجم كما تقدم سنة ثلاث وتسعين ومائتين والف سابع جمادى الأولى .

---

(١) مسدس .

الشيخ عبد العليم بن محمد بن محمد بن عثمان المالكي الازهري الضرير

الإمام الفاضل العمدة الصالح الكامل ، عمدة الخلف ونخبة من أتقن العلوم وعرف ، حضر دروس الفاضل الشيخ علي الصعيدي رواية ودراية فسمع عليه جملة من الصحيح والموطأ والشمائل والجامع الصغير ومسلسلات ابن عقيلة ، وروى عن كل من المولوي والجوهري والبليدي والسقاط والمنير والدردير والتاودي ابن سودة حين حج ، ودرس وأفاد . وكان من البكائين عند ذكر الله سريع الدمعة كثير الخشية ، وكان يعرف أشياء في الرقى والخواص وفوائد القرينة وأم الصبيان ، ثم ترك ذلك لرؤيا منامية رآها وأخبر بعض خواصه بها . أقول : ان كل ما أذن به الشارع ﷺ لا بأس به ، وقد أذن النبي ﷺ بالرقى فكان إذا أتى المريض فدعا له قال : أذهب الباس رب الناس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما . وكان يأخذ من ريقه على إصبعه شيئاً ثم يضعها على التراب فيعلق بها منه شيء فيمسح بها على الموضع الموجوع ، ويقول : تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا بإذن ربنا . وعن عثمان بن أبي العاص الثقفي أنه قال : قدمت على النبي ﷺ ولي وجع قد كاد يبطلني فقال لي النبي ﷺ : اجعل يدك اليمنى عليه وقل : بسم الله أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر سبع مرات ، فقلت ذلك فشفاني الله . وعن أبي سعيد أن جبرائيل أتى النبي ﷺ فقال : يا محمد اشتكيت قال : نعم قال : بسم الله أرقيك ، من كل شيء يؤذيك ، من شر كل نفس أو عين أو حاسد الله يشفيك ، بسم الله أرقيك . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء النبي ﷺ يعودني فقال لي : ألا أرقيك برقية جاءني بها جبرائيل

قالت : بأبي وأمي بلى يا رسول الله ، قال : بسم الله أرقيك والله يشفيك من كل داء فيك ، من شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد إذا حسد .

توفي المترجم رحمه الله تعالى سنة أربع عشرة ومائتين والف ، ودفن ببستان المجاورين بمحفل عظيم من العلماء والأعيان .

السيد عبد الغفار بن السيد عبد الواحد بن السيد وهب المعروف بالاخرس

أديب قد تحلى كلامه بقلائد العقيان [١] ، ولبيب قد احتوى نظامه على بلاغة قس وفصاحة سحبان ، فهو الفرد الذي جرت في بحور شعره سفن الأذهان ، ودارت على الندمان كؤوس نثره ونظمه فأغنتهم عن الحان والألحان .

ولد في بلدة الموصل بعد المائتين والعشرين والألف من الهجرة النبوية ، ونشأ في مدينة دار السلام المحمية ، ولم يزل يجول في نواحي العراق مرتحلاً وحلاً ، تارة مثرياً وتارة مقلاً ، فتارة في البصرة وتارة في بغداد ، يتنكب الأغوار منها والأنجاد . وفي ابان صباه كان قد أرسله المرحوم الوزير الخطير والمشير الكبير ، حضرة داوود باشا والي بغداد ، عليه رحمة الملك الجواد ، إلى بعض بلاد الهند ليصلحوا لسانه عن الخرس ، وما كان فيه من الكلام قد احتبس ، فقال له الطبيب : أنا أعالج لسانك بدواء ، فإما أن ينطلق وإما أن تسارع إلى دار البقاء ، فقال له وهو منه نافر وعنه مغضي ، إنني لا أبيع كلي ببعضي ، واتبع طريق الصواب والسداد ، وكر راجعاً إلى بغداد . وبقي فيها مدة يكابد منها بعضاً من اليسر وبعضاً من الشدة . وفي عام التسعين بعد المائتين والألف عزم على

(١) جمع قلادة ، ما جعل في العنق من الذهب الخالص .

التوجه إلى بيت الله الحرام ، وزيارة قبر نبيه عليه أفضل الصلاة وأتم السلام ، وكان ذلك الأثناء في البصرة الفيحاء ، فتمرض هنالك بعد أن أقعد فرجع إلى مدينة الزوراء دار السلام ، يكابد الشدائد والآلام ، ثم في شهر رمضان من ذلك العام ، عاد أيضاً إلى البصرة وبه من المرض حسرة وأي حسرة ، وصار نزيلاً في دار ذي المقـام الموفور ، الشهم الكامل الشيخ أحمد نور . فلم يزل يثقل به المرض من جهة ما عرض لجوهر حياته من أنواع العرض ، إلى حين الزوال من يوم عرفة فتوفاه الله ، وكان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله محمد رسول الله . فتأسف عليه الخاص والعام ، وقالوا ان الأدب قد طويت اعلامه بعد هذا الهمام ، فشيع جنازته أفاضل البصرة وبقلوبهم على فقده حسرة وأي حسرة ، وأقيمت الصلاة عليه بعد صلاة العيد ، وكان ذلك المشهد دليلاً على انه ختم له بالختم السعيد ، فدفنوه بمقبرة الامام الحسن البصري خارج قصبة سيدنا الزبير ، لا زالت تنهل عليه هواطل الرحمة والخير ، فهناك طواه ضريحه ، وخفقت بحور شعره وأدبه بعـد أن سكن ريحه ، وانقض بموته ذلك البنيان ، ونطقت أفواه نظمه بعد أن سكن منه اللسان ، وانطفا نور ذياك الجنان ، فسقط بسقوطه نجم النظم والبيـان ، وأضحى داثر الأثر خفي العيان .

وكان رحمه الله حسن العقيدة سلفي الأثر ، ساكناً بجانب الكرخ من بغداد ، علوي النسب المفتخر . وقد ناهز عمره السبعين ، فلا زالت رحمة المعين تتولاه كل حين . ومن قصائده الحسان ، التي اشتهرت في البلدان :

أتراك تعرف علتي وشفـائي ... يا داء قلبي في الهوى ودوائي

ما رق قلبك لي كأن شكايتي ... كانت لمسمع صخرة صمـاء

والشوق برح بي وزاد شجونه ... بأشد ما ألقى من البرحـاء

عجباً لمن أخذ الغرام بقلبه ⁂ أنى يعد به من الأحيـــاء

هل يعلم الواشون ان صبابتي ⁂ كانت بلحظ مَهاً وجيد ظباء

وتجرعى مضض الملام من التي ⁂ حلت عقيب الجزع في الجرعاء

لم يحسن العيش الذي شاهدته ⁂ من بعد ذات الطلعة الحسناء

فمتى ابل صدى برشف شاذن ⁂ نقض العهود ولا وفى لوفائي

وجفا ومل اخا الهوى من بعدما ⁂ كنا عقيدي الفـــة وإخـــاء

ونأى بركب الظاعنين عشية ⁂ اين الركاب وأين ذاك النائي

أصبحت لما ماس عدل قوامه ⁂ أشكو طعان الصعدة السمراء[١]

وأجيب سائل مهجتي عن دائها ⁂ دائي هواك فلا بليت بدائي

لم يدر واللعس الممنع طبه ⁂ ان الدواء بمقتضى الادواء

إلى آخرها وهي طويلة ومن قوله رحمه الله :

هل تركتم غير الجوى لفؤادي ⁂ أو كحلتم عيني بغـــير السهاد

قد بعدتم عن أعين فهي غرقى ⁂ بدموعي ولي فؤاد صـــادي

ثم وكلتمو السهاد عليهـــا ⁂ يمنـــع العين عن لذيذ الرقاد

من مجيرى من الاحبـــة يجفو ⁂ ن وتعدو منهم عليّ العوَادي

علموا انني عليـــل ومن لي ⁂ ان أرى طيفهم من العوّاد

نزلوا وادي الغضا فكأن الـــ ⁂ ـــدمع مني سيول ذاك الوادي

تركتني اضغانهم[٢] يوم بانوا ⁂ وحـــدا فيهمو من البين حادي

بين دمع على المنـــازل موقو ⁂ ف وشمل مشتت بالبعـــاد

وفؤاد يروعـــه كل يوم ⁂ ذكر أيامنا الحسان الجياد

يا رفيقي وأين عهـــدك بالجز ⁂ ع سقاه الغمام صوب عهاد

---

(١) الرمح المستوي المستقيم .

(٢) الأضغان : ج ضغن وهو الشوق .

إلى آخرها وله أيضاً :

أتنكر منك ما تطوي الضلوع وقد شهدت عليك به الدموع
ولولا أن قلبك مستهام لما أودى بك البرق اللموع
ولا هاجت شجونك فاتكات تكتم ما تكابد أو تذيع
تشوقك الربوع وكل صب تشوقه المنازل والربوع
ليال بالتواصل ماضيات بحيث الشمل ملتئم جميع

ومن كلام المترجم أيضاً :

بارق لاح فأبكاني ابتساما نبه الشوق من الصب وناما
ولمن أشكو على برح الهوى كبداً حرى وقلباً مستهاماً
ويح قلب لعب الوجد به ورمته أعين الغيد سهاما
دنف لولا تباريح الجوى[1] ما شكا من صحة الوجد سقاما
ما بكى الا جرت أدمعه فوق خديه سفوحاً وانسجاما
وبما يسفح من عبرته بَلّ كُمَّيه وما بل أواما
ففؤادي والجوى في صبوتي لا يملان جدالا وخصاما
ليت من قد حرموا طيب الكرى اذنوا يوماً لعيني أن تناما
منعونا أن نراهم يقظة ما عليهم لو رأيناهم مناما
قسما باللوم والحب وان كنت لا أسمع في الحب ملاما
والعيون البابليات التي ما أحلت من دمي الاحراما
وفؤاد كلما قلت استفق يا فؤادي مرة زاد هياما
ان لي فيكم ومنكم لوعة انحلت بل أوهنت مني العظاما
وعليكم عبرتي مهراقة كلما ناوحت في الايك حماما
ومتى يذكركمو لي ذاكر قعد القلب لذكراكم وقاما

---

(١) شدة الوجد .

يا خليلي ومـــالي ان أرى بعد ذاك الصدع للشمل التئاما
احسب العام لديكم ساعـــة وأرى بعدكمو الساعة عاما
لم يدم عيش لنـا في ظلكم أي عيش قبله كان فداما
حيث سالمنا على القرب النوى وأخذنا العهد منها والذماما
ورضعنا من أفاويق الطلى[1] وكرهنا بعد حولين الفطاما
اترى ان الهوى ذاك الهوى والندامى بعدنا تلك الندامى
كلما هبت صبا قلت لهـــا بلغيهم يا صبا نجـــد سلاما
وبنفسي ظـــالم لا يتقي حوبة[2] المضنى ولا يخشى اثاما
ما قضى حقا لمفتون بـــه ربمـا يقضي وما يقضي مراما
لو ترشفت لمـــاه لم أجد في الحشا نارا ولو شبت ضراما
ولأطفأتُ لظى نار الجوى ولعفتُ الماء عذباً والمداما
شدّ ما مرّجفـــا مستعذب من عذابي فيه ما كان غراما

الى آخرها وهي طويلة وقال :

وظبي دعتني للحروب لحاظه وهيهات من تلك اللحاظ خلاص
تصدى لحرب المستهام وماله سوى اللحظ سهم والنقاب دلاص[3]
فلما أجلت الطرف أدميت خده وأدمى فؤادي والجروح قصاص

ومن قوله :

وأقمـــار غربن فليت شعري الا بعد الغروب لها طلوع
أمرت القلب ان يسلو هواها على مضض ولكن لا يطيع
وما أشكو الهوى لو أن قلبي تحمل بالهوى ما يَستطيع

وقال :

وغادة لو بروحي بعت رؤيتها لكنت والله فيها غير مغبون

---

(١) الأفاويق : ج فيقة وهي ما يجتمع في الضرع من اللّبن بين حلبتين . والطِلى : اللذة ، والطَّلى : الهوى .
(٢) الحوبة : الاثم .
(٣) الدلاص أراد بها الدرع ، يقال : درع دلاص : أي ملساء لينة .

ماالبدروالغصن أحلى من شمائلها كأنها من بنات الحور والعين

وقال :

أنعم علي بشيء أستعين به على المسير لعل الله يشفيني

أقضي بنعماك أوقاتا أعيش بها وان أمت فهي تكفيني لتكفيني

وقصائده كثيرة وأشعاره شهيرة [١] ، رحمة الله عليه وعلى والدينا ووالديه .

عبد الغفور الكردي الكركوكي النقشبندي الخالدي

العالم المحقق والفاضل المدقق ، كنز المعارف ومدار اللطائف ، وقطب الارشاد ومنهج الصواب والسداد . أخذ عن شيوخ زمانه وعمدة وقته وأوانه ، وأفاد واستفاد وكان للمريدين أحسن مراد . ثم أخذ الطريق عن علامة الدنيا ومرشدها مولانا الشيخ خالد ، وبعد أن رأى فيه كمال الاستعداد أذن له بإعطاء الطريق والارشاد ، فاشتغل بالطريق على العهد الوثيق ، وحصل منه النفع التام وعرف بالكمال بين الأنام . وكانت وفاته رحمه الله بعد الألف والمائتين والأربعين .

عبد الغفور الخالدي الشاهدي البغدادي

العالم الفقيه والولي المرشد الكامل النبيه ، العارف بالله والمستغرق في حب مولاه ، صاحب الأنفاس القدسية والمعارف الأنسية ، مربي السالكين ومفيد الواصلين ، فانه سلك أولاً على يد السيد عبيد الله الحيدري فلما دخل دائرة الكمال واستوى في تربيته على دائرة الاعتدال ، خلفه حضرة مولانا خالد خلافة مطلقة وذلك حين عود الأستاذ المرقوم من البلاد الهندية ، إلى البلاد العراقية ، سنة ست وعشرين ومائتين والف . وأذن له بالارشاد في مدينة بغداد . ولهذا المترجم كرامات وخوارق عـادات ، قد ذكر بعضها صاحب المجد التالد . توفي المترجم سنة الف ومائتين ونيف وثلاثين غالبا .

---

(١) له ديوان شعر مطبوع ، واسمه : « الطراز الأنفس في شعر الأخرس » .

الشيخ عبد الغني بن محمد هلال مفتي السادة الشافعية بمكة المكرمة

الإمام المتحلي بحلية الكمال ، والمحتوي على أفضل الشمائل وأجمل الخلال . وكان معروفاً بالعبادة والتحقيق والزهادة والتدقيق ، واليد الطولى في المعارف والفهم العالي في عويصات العوارف .

ولد بمكة المكرمة ونشأ بها وأخذ عن علمائها وحضر مجالس فضلائها ، ومن أجلهم عمه السيد سعيد سنبل والعلامة الشيخ عمر باعلوي سبط العلامة البصري ، وبرع في العلوم وفاق في معرفة المنطوق والمفهوم ، وتولى افتاء السادة الشافعية وأخذ عنه فضلاء السادة الحجازية ، توفي ليلة الخميس لثلاث مضين من شعبان المعظم سنة اثنتي عشرة ومائتين والف رحمه الله تعالى .

الشيخ عبد الغني بن عبد القادر الشهير كأسلافه بالسقطي الدمشقي

الصالحي الشافعي ، من الشيوخ المتقدمين في الفضل والعلوم ، والأفراد المعروفين بجولان ميدان المنطوق والمفهوم . زينة العُباد من العباد ، وصفوة الزهاد والسادة الأمجاد .

ولد سنة خمس وستين ومائة والف ، ونشأ في حجر والده المذكور وأخذ عنه وعن الشهاب أحمد المنيني ، وعن العلامة الشيخ علي السليمي الصالحي ، ودرس في السليمية وكان تقياً صالحاً ونقياً في العبادة ناجحا ، وقد قرأ والدي عليه أكثر الفنون ، وحصل له به الفضل المصون ، ومن جملة ما قرأ عليه مؤلفات القاضي زكريا الأنصاري ، وأجازه بسند مذكور فيه رجاله بتواريخهم إلى القاضي المرقوم ، فأحببت ذكره كذلك تتميا للفائدة أقول : يروي والدي المولود سنة ١٢٠٦ والمتوفى سنة ١٢٧٢

وقد عاش ٦٦ سنة عن شيخه الشيخ عبد الغني المرقوم المولود سنة ١١٦٥ والمتوفى سنة ١٢٤٦ وعاش ٨١ سنة عن الشهاب أحمد المنيني ولد سنة ١٠٨٩ وعاش ٨٣ سنة ومات سنة ١١٧٢ عن الشيخ عبد الغني النابلسي ولد سنة ١٠٥٠ وعاش ٩٣ سنة ومات سنة ١١٤٣ عن النجم الغزي الدمشقي ولد سنة ٩٧٧ وعاش ٨٤ سنة ومات سنة ١٠٦١ عن والده البدر الغزي ولد سنة ٩٠٤ (١٤ ذي القعدة) ومات سنة ٩٨٤ عن شيخ الإسلام القاضي زكريا الأنصاري ولد سنة ٨٢٥ وعاش ١٠١ سنة ومات سنة ٩٢٦ وبهذا السند بعينه يروى تآليف ابن حجر الهيثمي المكي ولد سنة ٩٠٩ وعاش ٦٥ سنة ومات سنة ٩٧٤ ويروى مؤلفات الشمس الرملي بهذا السند إلى النجم الغزي التهاوي عن الرملي ولد الرملي سنة ٩١٤ وعاش ٩٠ سنة وتوفي سنة ١٠٠٤ ويروى بالسند المرقوم للبدر الغزي عن السيوطي : تآليفات السيوطي ولد السيوطي سنة ٨٤٩ وعاش ٦٣ سنة وتوفي سنة ٩١٢ وبالسند المرقوم إلى البدر الغزي عن الشهاب الرملي الكبير توفي سنة ٨٥٧ ويروى كتب العارف بالله الشيخ محيي الدين العربي عن الشهاب المنيني ، عن العارف بالله الشيخ عبد الغني النابلسي ، وأبي المواهب الحنبلي ، عن النجم الغزي ، عن البدر الغزي ، عن القاضي زكريا الأنصاري ، عن أبي الفتح المراغي ، عن القطب اسماعيل الجبرتي ، عن القطب الواني ، عن الشيخ الأكبر قدس الله سره ، ورضي الله عنهم أجمعين .

الشيخ عبد الغني بن محمد شريف بن أبي المعالي محمد الغزي العامري الدمشقي (١)

ولد بدمشق في شهر ربيع الأول سنة خمس وسبعين ومائة والف ،

---

(١) هو شقيق السيد كمال الدين الغزي صاحب طبقات الحنابلة والتذكرة الكمالية والوارد الأنسي وغيرها ، وهو جد جميع الموجودين الآن (سنة ١٣٢٤) من بني الغزي والمترجم أدب وشعر (من روض البشر للشطي) .

ونشأ في حجر والده المرقوم المولود سنة خمسين ومائة والف ، والمتوفى سنة ثلاث ومائتين والف ، والمدفون في مرج الدحداح .

وقرأ المترجم على سادات عظام وعلماء كرام ، إلى أن صار من أعلم علماء الديار الدمشقية . وتولى من بعد والده إفتاء الشافعية . وهذه الوظيفة قد توارثوها عن آبائهم إلى الجد الأعلى الشهاب أحمد الغزي المولود في غزة سنة ستين وسبعمائة ، وتوفي في دمشق الشام يوم الخميس سادس شوال سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة ، وكانت وفاة صاحب الترجمة عاشر ربيع الثاني سنة الف ومائتين وست عشرة ، ودفن في مرج الدحداح رحمه الله تعالى .

الشيخ عبد الغني السادات الدمشقي الحنفي

الإمام الكامل والعمدة الفاضل ، زين العلماء وصفوة الفضلاء . له تقييدات لطيفة ورسائل شريفة . مات سنة خمس وستين ومائتين والف ودفن في الدحداح . وكان له أخذ عن سيدي الوالد ، وله عليه اعتماد زائد . ولما ألف رسالته في حكم الحائط المشترك أرسل هذه الأبيات لسيدي الوالد ضمن مكتوب طويل محتو على نثر بديع جميل ، ويطلب منه أن يقرظ له على الرسالة المرقومة ، ونص الأبيات :

أرجوك يا بهجة الأيام مبتغياً … أسامة الطرف في تنميقها الحسن
فإن ترى حسناً فالحسن وصفكم … فطرزوا حسنها بالمنطق اللسن
لا غرو إن كسيت ثوب الجمال اذاً … وقد هدى بسناها حائد السَّنَن
لا زال منك يراع الحسن يَنشرُ في … أسماعنا لؤلؤ الألفاظ بالسكني
ما دبج الروض من حب الغمام وما … قد غردت صادحات الطير في فنن

وللمترجم رسائل كثيرة وقصائد وأبيات شهيرة ، وأبحاث لطيفة

وتحقيقات طريفة (١) . وكان تقياً عابداً نقياً زاهداً ، جميل العبارة والتقرير حسن الأسلوب والتعبير . قرأ على المشايخ العظام كالشيخ عبد الرحمن الكزبري ، والشيخ حامد العطار ، والشيخ عبد الرحمن الكردي ، والشيخ صالح القزاز ، وغيرهم من السادات الأفاضل ذوي الفضائل والفواضل ، وانتفع وحقق واجتهد ودقق ، ونوع الأسباب في إفادة الطلاب ، غير أن زمانه قد عانده وخالفه وما ساعده ، فلذلك قصّر به جواد التقديم ، عن الوصول إلى مراتب ذوي الرفعة والتكريم ، وكان أخبرني من كان يعرف حقيقة أطواره ، ولم يخف عليه شيء من ظواهره وأسراره ، بأن السبب الكبير في هذا التأخير ، كونه ألف رسالة في تكفير أبوي النبي عليه الصلاة والسلام ، وظن أن ذلك إنما يوجب له الكرامة والاحترام ، وما عرف انه لو لم يفعل لكان أولى ، أو لو انتصر لهما لكان قدره عند السيد الأعظم أعلى ، أعاذنا الله من كل بلوى وأحسن الينا واليه في السر والنجوى آمين .

ومن نظمه البديع الشاهد له بالمقـــام الرفيع ، قوله يمدح الوزير علي باشا المعزول عن بغداد :

علوت لمجد فوق ما أنت آمله ... وفزت باقبال لك العز حامله
لك السعد ما هذا العلو لمبتغ ... سواكم وما في الدهر شهم يحاوله
يمينا بعلياكم لقد حزت في الورى ... مقاما على الجوزاء تعلو منازله

(١) في روض البشر للشطي ما ملخصه : ولد بدمشق في حدود (سنة ١٢٠٠) وكان والده من تجار دمشق ، ألف مؤلفات عديدة ، أكثرها متفرق ، ومنها « الدر اليتيم ، في حكم مال اليتيم » و « جمع اللآلي في الشبك ، في حـــكم الحائط المشترك » و « نشر الحزام ، في المحاماة عن تكفير أهل الاسلام » و « سناء النيرين ، في اعجاز الآية والآيتين » وكان يتعاطى وكالة الدعاوى لدى المحاكم الشرعية ، ويناقش بعض القضاة في المسائل الفقهية .

بنيت من العز المنيع دعائماً وقمت على بحر تفيض سواحله
أبيت (وبيت الله) ذما وسبة وحزت نوالا فوق ما أنت نائله
شرعت من المعروف فينا شرائعا بها البطل الكرار تحيا فواضله
أقام بها راجيك يبسم ضاحكا ينال من الخيرات ما هو آمله
وقمت باحياء الوزارة حاملا لسيف غدت للنصر تعزى حمائله
زرعت من الألفاظ روض محاسن لنا أثمرت در المعاني خمائله
يرى منك في الهيجاء بأس وشدة وفي غيرها لطف تروق مخامله
رؤوف بأحوال الرعية منصف رحيم إذا المظلوم عزت وسائله
أهنيه بالشام المنيرة منصبا يطرزه السعد المبين تكامله
له منصب من بعدها مصر غانما ومن بعدها يشتد بالختم كاهله
شهامة كسرى في سخاوة حاتم من المهد عنه قد حكتها قوابله
أتى شامة البلدان فاخضر عيشها وأصبح منها الغصن يحلو تمايله
متى ذكرت في الحي أوصاف وصفه يفوح به نشر من المسك شامله
فاضحى كروض البان فاح عبيره نسيم الربا أخلاقــه وشمائله
مهاب جسور لا يُسَمّى مَهابَةً وان كان شعري قد حكته أوائله

إلى هنا ما وجدته من هذه القصيدة . وله قصائد كثيرة ومقاطيع بالمدح جديرة ، رحمه الله وأعلى علاه ، وجعل الجنة مثواه ، وأعطاه مراده في الآخرة ومناه . ومن نثره ما كتبه لوالدي رحمها الله تعالى يطلب به منه أن يقرظ له على رسالة كان ألفها فأرسل له هذه العبارة وهي : سيدي المحترم دام بالنعم وسيع الرحاب والحمى والحرم ، ما انهلت صيّبات سوابغ الديم . قد تعود الداعي المتطفل على ساحة الفضل والرحاب مِنْ عليّ القدر والعز العريض والجناب ، أن تشرفوا رسائله بسلاسل سطور ألفاظكم العنبرية ، وتشنفوا المسامع بدرركم الجوهرية ، وأن تلبسوها قباب الاحسان

وتجلببوها بجلباب الامتنان ، وتحلوها بسوار القبول وتقرطوها بقرط المعقول والمنقول . وتقرظوها بتقرير نظركم الاكسير ، فيكون لها سير الشمس في المسير ، وتصيغوا لها خلخال الجمال والبها ، وتحلوا جبينها الأغر بعقود تجلت للمحاسن بها ، وتوشحوها بنطاق الدلائل ، وترشحوها بسلاسل السطور العنبرية والجداول ، وتكونوا أبا عذرها نصراً وفتحا وتذبون عن عرضها المصون سبة وقدحا ، ذبّ الغيور عن الحرم ، وذلك من محض الفضل والكرم ، ولا تدعوا فيها للملام والمذمة غصة ونزهوها كالعروس على منصة . وقد علم القوم أنكم لا تأخذكم في الله لومة لائم ، ولا ترنم طير على غصن الهوى حائم ، فمنوا جنابكم كما هو عادتكم الجميلة العميمة واحاسن محاسن أخلاقكم الكريمة ، وليس عليكم في ذلك ضير « ولباس التقوى ذلك خير » ولئن منعتم ذلك لخاطر الغير وحاشا لباس تقواكم ، فعندنا شاهدا عدل خطكم الشريف ولفظكم الجزل ، كيف وقد قام بصدق الحديث الدليل والله يدعو إلى الحق ويهدي إلى السبيل . فكنت كما كنت سابقاً ، بلسان بُلبُل الحق ناطقاً ، وحنانيك البدار البدار ، فإني قد لبست ثوب الانكسار ، وتقمصت بثوب البهار ، وابتهلت بظلمي للأخذ بالثار بالواحد القهار . والآن قد قمت للاهاب للسفر بعصا الترحال ، والحروب سجال . والله يعز بوجودكم الدين المحمدي والاسلام ، وسلام الله عليكم ورحمته ممزوجاً بمسك الختام .

الشيخ عبد الغني بن طالب بن حمادة بن ابراهيم ابن سليمان الميداني الحنفي

بحر علم لا يدرك غوره ، وفلك فضل على قطب المعارف دوره ، لم يقنع بالمجاز عن الحقيقة ، حتى تبوأ البحبوحة من تلك الحديقـــة .

ولديه من المعلومات ما يشق على القلم حشره ، ويتعسّر على الألسنة نشره ، وتأليفاته التي يحق لرائيها أن ينافس بها ويفاخر ، محشوة من الفوائد بما يعقل الأفكار ويقيد الخواطر . ولد في الشام في الميدان سنة ألف ومائتين واثنتين وعشرين ، وربي في حجر والده ، ثم بعد تمييزه قرأ القرآن ، ثم طلب العلم الشريف بكل جد واجتهاد ، فقرأ على الشيخ عمر افندي المجتهد وعلى الشيخ سعيد الحلبي وعلى الشيخ عبد الغني السقطي وعلى السيد محمد عابدين وعلى الشيخ عبد الرحمن الكزبري وعلى الشيخ أحمد بيبرس وعلى والدي الشيخ حسن البيطار ، فانه لازمه ملازمة المرضعة للرضيع ، وكان يكثر المديح في حقه لدى كل رفيع ووضيع ، ولما طلب منه الإجازة حضرة المحترم السيد سلمان افندي القادري نقيب بغداد كتب له بها أسماء مشايخه المرقومين ، ولما ذكر والدي قال وكان جل انتفاعي به . وكان ذا زهد وتقوى وعبادة في السر والنجوى ، وهمة عالية ومروءة سامية ، ولسان على الذكر دائب ، وشهرة قد سارت في المشارق والمغارب ، ومنزلة في القلوب حميدة وعقيدة في كماله وحيدة ، له من المؤلفات : الشرح المسمى باللباب على متن القدوري وقد طبع مرتين لكثرة طالبيه ، وشرح المراح في علم الصرف ، وشرح رسالة الطحاوي في التوحيد ، ورسالة وشرحها في الرسم ، ورسالة سماها إسعاف المريدين لإقامة فرائض الدين وقد شرحها ولده الشيخ اسماعيل ، وسل الحسام على شاتم دين الإسلام ، ورسالة في صحة وقف المشاع ، ورسالة في مشد المسكة ، ورسالة في رد شبهة عرضت لبعض الأفاضل ، ورسالة سماها كشف الالتباس في قول البخاري قال بعض الناس . وله نظم ونثر يفوق اللآلي والدر ، فمما نظمه قصيدته التي مدح بها أستاذه سيدي الوالد التي صدرها بقوله : لمحررها عبد الغني يمدح فيها جناب شيخه وقدوته

العالم الرباني والوالد الروحاني ، من تفاخرت به الأقطار ، سيدي الشيخ حسن بن ابراهيم البيطار ويهنيه بوصوله بالسلامة من الرحلة الحجازية إلى وطنه دمشق المحمية ، دام كما رام والسلام :

ومضت بروق الحيّ في الظلماء سحراً أهاجت لاعج الأحشاء
ونضت سيوف الهند في إبراقها فهمت عيون مدامعي بدماء
ما شمتها إلا وملت ترنماً كتمايل النشوان بالصهباء
وشفت فؤاد المستهام من الضنى نعم الدواء يكون إثر الداء
وفكرت عهداً قد مضى فينا سقى عهدي القديم به غمام بكاء
زار الحبيب ونوره متشعشع يمحو ظلام الليلة الليلاء
لما بدا أنشدت في تلك الرُّبى شق الصباح غلالة الظلماء
نادمته والشوق بين جوانحي أذكى لهيب الوجد والأهواء
في ليلة جنت فأنور بدرها يحكي محيا مرتع البلغاء
من قدرعى حب القلوب وقد حوى روض الربيع معنبر الأرجاء
المرتقي رتب الفضائل والعلا فيها ارتقى للذروة العلياء
اللوذعي[1] الألمعي ومن غدا علَم العلوم ومرجع العلماء
المفرد العلم الذي آثاره دلت عليه بأصدق الأنباء
إن قيل من هذا الذي تعني فقل من مدحه فرض على الشعراء
الفاضل النحرير بدر قد سما (حَسَنٌ) ولكن سيد الحسناء
ميداننا بقدومه قد فاخرت أمثالها فيه مع الندماء
صدر الشريعة والحقيقة والتقى من قلبه كالدرة البيضاء
من أتقن المعقول والمنقول وافـ ـتخرت به شام على الزوراء
مغني اللبيب فكفه قطر الندى ومطول التمداح فيه شفائي
قد قام في ذكر الإله ملاحظاً بسوابغ الآلاء والنعماء
بطريقة الصديق قد يروي الظما بخلوص صدق ساعة الظلماء
كيف ترى النجباء في أعتابه تأتي له بالنظم والإنشاء

---

(١) الذكي الذهن ، الحديد الفؤاد ، الفصيح اللسان . والألمعي : الذكي المتوقد .

لا عيب فيه غير أن نظامه ... خلب العقول ببهجة وسناء
وجميع من في الكون من عشاقه ... في الدين والدنيا من السعداء
فجعلته بين البرية حليتي ... هو ملجأ الفقراء والغرباء
لا زال كالبيت الحرام محرما ... عند استلام الركن والايماء
والعذر لا يخفى فاني مادح ... يأتي إلى أعتابكم بعناء
متخلصا من بطؤه متشفعاً ... بالهاشمي وسيد الشفعاء
المجتبى المختار من كل الملا ... وهو الذي قد خص بالإسراء
صلى عليه الله ربي دائماً ... ما ناح قمري [١] على الورقاء [٢]
وعلى قرابته الذين تقدسوا ... والآل مع أصحابه النجباء
من بعد مختتم أتى تاريخها ... أمواج[٣] كافور سرت كرباء[٤]

سنة ١٢٤٢

ومن نثره ما كتبه لوالدي حين كان في الحجاز سنة الف ومائتين واثنتين وأربعين : غب إهداء سلام تنطبق كلياته وجزئياته على قضايا الأشواق ، وتثبت مقدماته من الأشكال ما يعجز عن وصفه خاصة الرسم والحد من الاشتياق ، نخص بذلك جناب سيدنا ذي القضية الموجهة إلى كل مجد ، الحملية على مقدمات العز المعدولة عن العكس والطرد ، حضرة مولانا الشيخ حسن البيطار ، لابرح لواء فضله منشوراً في الآفاق والأمصار ، ولا زال قدره بالرفعة مشفوعا ، ومقامه الأسمى على عاتق الجوزاء محمولاً وموضوعا [٥] ، وعدوه عقيماً عن بلوغ الآمال ، ذميما على ممر الأيام والليالي إلى آخره .

ومن كلامه في مدح الذات المحمدية ، ذات الصفات الأحمدية :

هما مقلتي طير على البان ساجع ... وتغريده المسموع للقلب صادع
كأن صروف الدهر القته بالنوى ... فناح على إلف له وهو خاضع

---

(١) القُمْري : ضرب من الحمام حسن الصوت .
(٢) شُجَيْرة لها ورق ناعم .
(٣) مادة عطرية تستخرج من شجرة الكافور .
(٤) ربَا الراية رباء : علاها .
(٥) الموضوع والمحمول ، وكل ما سبقه : اصطلاحات منطقية ، وإجراؤها في هذا المقـــام يدل على سعة علم وأدب .

فقلت له يا طير قطعت مهجتي وهيمت مضنى وهو بالحب والع
وذكرتني يوماً رمى القلب في العنا ومن لي وقلبي في جوى الحب واقع
فهاك حديثاً عن حقيق محبتي تسلسله عني دموع هوامـــع
فقد رمقت عيني لوامع ظبية لها برق وجه في دجى الشعر لامع
وحاجبها قد فاق حسناً وثغرها فريد نظام للفرائد جامـــع
ولما بدت للصب ماست وقد رنت فما البدر ما الأغصان ما الريم راتع
وفي البعد عنها واسع الأرض ضيق وفي القرب منها ضيق الأرض واسع
وكل محب ما اهتدى بجمالهـــا فذاك كذوب في الضلالة واقع
اليها جميع الحسن يعزى اصالة وحسن سواها في البرية تابع

إلى أن قال :

إذا أقبلت فالشمس تسجد هيبة وإن خطرت فالغصن في الروض راكع
ولي مخلص من صدها بتشفعي اليها بمن لي في القيامة شافـــع
فلولاه لم نعرف لدين ولا تقى ولولاه لم يوجد مدى الدهر طالع
ولا عيب ان قيل الغنيمي مادح رسول إله عبده فيه طامـــع
فذاك عبيد للغـــني ومن له سواه إذا اشتدت عليه الموانع

وله قصائد كثيرة ، وفضائل معروفة شهيرة ، وخيريات حسنة وتعميرات مستحسنة . وكانت الناس تأتيه بالهدايا وتقصده بعظيم الوصايا ، وقد جدد عمارة الجامع الذي بجانب داره في الميدان في محلة ساحة السخانة وأنشأ له منارة عظيمة متينة . وبالجملة والتفصيل ، قد كان شهما ما له من مثيل ، وقد اتسع جاهه وكثر في الناس ثناؤه ، وخالطت هيبته القلوب فكان لها أجلّ مطلوب ومرغوب . ولم يزل على استقامته في طاعته وعبادته ، وإفادته لطالبه ووارده ، وإحسانه لراغبه وقاصده ، الى أن سجع على دوحه حمام الحِمام ، ودعـاه الى الرحلة داعي الأنام . فتوفي رحمه الله تعالى رابع

ربيع الأول سنة الف ومائتين وثمان وتسعين . ولقد صلي عليه في جامع الدقاق بإمامة ولده الفاضل الشيخ اسماعيل ، قدمه للإمامة شيخنا الفاضل الطنطاوي ، وكان لجنازته مشهد قد غص به واسع الطريق ، ودفن في تربة باب الله في أسفل التربة الوسطى من جهة الشرق ، وطلب مني ولده أن أنظم له أبياتاً تكتب على القبر فقلت :

همام فاضل شهم إمام   جليل ذو مقامات شريفة
ثوى في رمسه فاعجب لرمس   حوى بحراً شمائله منيفة
فوا أسفا قضى عبد الغني   سريعاً نحبه ونحا [1] حليفة
ربيع الفضل حياً في ربيع   بروح وارتياح مستضيفة
بكاءٌ قد أتى تاريخه زد   لقد ماتت علوم أبي حنيفة

الشيخ عبد الغني أبو محمد عز الدين بن علي بن صلاح ابن أحمد الحلبي الحنفي الحسيني

العالم الأستاذ والفاضل الملاذ ، والفقيه الصالح والنبيه الفالح ، ولد سنة الف ومائة وثلاثين واجتهد في الطلب والتفت إليه ، وأقبل بجده واجتهاده عليه ، وسمع وقرا وفهم ودرى ، وأخذ عن جماعة ذوي فضالة وبراعة ، منهم أبو عبد القادر صالح بن عبد الرحمن البانقوسي ، فتفقه عليه وأخذ عنه الحديث ، وقرأ على والده أبي محمد عبد القادر البصير ، وحضر كثيراً من دروس أبي محمد مصطفى بن عبد القادر الملقي ولازمه مدة وانتفع به ، وسمع من أبي العدل قاسم بن محمد النجار الجامع الصغير في الحديث . وأخذ الطريقة القادرية عن أبي عبد القادر محمد بن صالح بن رجب المواهبي ، والطريقة الرفاعية عن أبي الحسن علي الصعيدي المصري ، والطريقة الشاذلية عن أبي محمد عبد الوهاب بن أحمد الأزهري البشاري المصري ، والطريقة

(١) نحا ينحو : أي قصد .

السعدية عن العماد اسماعيل السعدي . وكان حريصاً على الاستفادة والإفادة ، كثير التقوى والعبـــادة ، وفي آخر أمره انقطع الى الذكر والارشاد وأقبل عليه المريدون من كثير من البلاد ، فانتفع به كثير من الناس ، ولم يزل على صلاحه وتقواه وعبادته ودعايته الى الله ، الى أن دعته المنية ، الى المنازل العلية بعد الألف والمائتين وخمسة رحمه الله .

أخي وشقيقي الشيخ عبد الغني [1] بن الموحوم الشيخ حسن بن الشيخ ابراهيم بن الشيخ حسن بن الشيخ محمد البيطار

العالم الذي هو بكل وصف جميل متخلق ، والعامل الذي هو بكل خلق كريم متحقق ، روضة الفضل التي أشرقت أنوارها ، ودوحة المجد التي أينعت ثمارها ، وسماء العلم الذي تنورقت مشارقه ومغاربه ، وأمطرت بالمعارف والعوارف سحائبه ، سلك منذ نشأ منهج العلم والعمل ، وملك من الكمالات ما يتعلق به الأمل ، وقادته يد المعالي إلى الفضائل ، وألبسته حلل المآثر وكسته أعلى الشمائل .

ولد سنة أربعين ومائتين وألف ، ونشأ في حجر والده ، ثم بعد

---

(١) هو جدي لوالدي وشقيق جدي لوالدتي مؤلف هذا التاريخ ، ولهما ولوالدي الشيخ بهاء الدين ، تراجم وجيزة في منتخبات التواريخ لدمشق للشيخ محمد أديب آل تقي الدين الحصني (ج ٢ ص ٧٦٠ و ٧٦١) وقد سجّل فيه عتباً علي بقوله في ترجمة الشيخ عبد الغني : نشأ في حجر والده ، وتخرج عليه ، وكان أكثر انتفاعه منه ، وأخذ عن بعض علماء دمشق لم يصل الينا أسماؤهم ، وكنت طلبت ذلك من حفيده . . . محمد بهجة من أعضاء المجمع العلمي بدمشق ، وطلبت منه أيضاً سنة وفاته ، وقال عني في ترجمة والدي : جهل علينا تاريخ وفاته ، ولم يسعفنا نجله الأديب بها إلى اليوم اه وأقول : كان ذلك تقصيراً مني ، أستغفر الله منه ، ولم أكن عارفاً تراجمهم معرفة صحيحة لأقدمها اليه ، فتدون باسمي ، رحم الله الجميع رحمة واسعة .

(فائدة) : الحفيد هو ولد الولد مطلقاً كما في كتب اللغة ، فأنا حفيد الشقيقين عبد الغني وعبد الرزاق (رح) .

قراءة القرآن الشريف حفظه مع الشاطبية على شيخ القراء في الديار الشامية الشيخ أحمد الحلواني ، بالروايات السبع مع غاية الإتقـان والتجويد ، ثم قرأ على والده مدة من كتب النحو والصرف والفقه والحديث والتفسير والتوحيد والمنطق والمعاني والبيان والبديع ، وحضر الكتب العظيمة كالتحفة لابن حجر والبخاري بطرفيه رواية ودراية والاحياء للغزالي وللخطيب التفسير والمختصر للسعد والمواهب اللدنية وغير ذلك . وقرأ أيضاً على الشيخ عبد الرحمن الكزبري والشيخ سعيد الحلبي وعلى الشيخ سليم العطار وعلى الشيخ عبد الغني الميداني وعلى الشيخ عبد القادر الخطيب وعلى غيرهم من العلماء الأعلام والسادات العظام ؛ وأخذ طريق السادة الشاذلية على المرشد الكامل السيد محمد المغربي الفاسي واشتغل به كثيرا ، ودأب على مطالعة كتب القوم إلى أن طالع الفتوحات المكية مع الفهم من ابتدائها إلى انتهائها ، مع ترك الانهماك على الدنيا ، والزهد فيما يؤدي إلى تحصيلها ، وليس له شغـل سوى الإفادة والاستفادة وما يوجب له التقدم الأخروي ، متباعداً عن الشهوات النفسانية ، كثير التحرز مما يوجب الملام عند الله ، مستقيم الأطوار ، يحب العزلة عن سوى الكمل الأخيار ، كثير المذاكرة ، جميل المحاضرة ، لطيف العبارة خصوصاً في علم الإشارة ، إن حضر في جمعية لا يتكلم غالباً إلا في المسائل العلمية .

قد اجتمعت معه حينما كنت مشتغلاً بترجمته ، وذكر شمائله وحليته ، فسألني وإن كنت لا أصلح للسؤال ، وأعلم أنه مستو على درجة الكمال ، عن قول السيد أحمد بن إدريس : لو أطال الله عمر رجل من زمن أبينا آدم إلى قيام الساعة وهو يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ورجل قال لا إله إلا الله محمد رسول الله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله ، مرة واحدة ، في القيمة يسبق ذاك ! ما المقصود من هذه العبارة ، وهل

هي على ظاهرها أم سلك فيها مسلك الحقيقة والإشارة ؟ فطـال بيننا الكلام ، في هذا المقام ، إلى أن قال لي : ان بعض الناس وقع من هذه العبارة في التباس ، فبعضهم أنكرها وبعضهم توقف في المقصود منهـا وأمرني أن أكتب عليها ما يزيل حجاب الاعتراض عنها ، فامتثلت أمره ، وأجللت بالقبول قدره ، وقلت مستعيناً بالله معتمداً على فضله وعلاه ، مستمداً من فيضـه العميم ، انه رؤوف رحيم :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي جازى عباده عن ذكرهم بذكره ، ورغبهم في السؤال والدعاء بأمره ، فأطمع المطيع والعاصي والداني والقاصي ، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وخيرة الأصفياء ، وعلى آله والتابعين ، وأصحابه السابقين الأولين ، ما ذكر الله ذاكر وشكره على قبوله شاكر . **أما بعد** فيقول سيدي الشيخ الإمام أحمد بن ادريس المغربي الحسني نسباً الادريسي من ذرية سيدنا ادريس بن عبد الله قدس الله روحه ونور مرقده وضريحه :

لو أطال الله عمر رجل من زمن أبينا آدم إلى قيام الساعة وهو يقول (أي بلسانه مع تصديق جنانه لكثرة الأجر والثواب والخلاص من سوء العـذاب) **لا إله إلا الله محمد رسول الله** بدون أن يكون مستغرق القلب بالله ، متخلياً عن شهود ما سواه ، بل قلبه مشغول بالأمور الدنيوية ، وفكره محصور بالأحوال الدنية ، قد استولى على قلبه الحجاب ، على سبيل الاستيعاب ، فلم يبق مع ذلك لديه مطمع لتجلي الحقائق فيه ، لعدم نورانيته بتراكم ظلم الحجب على عين بصيرته ، لم يطلب من ذكره مع الحجاب سوى الأجر والثواب ، قد غفل عن السير في مناهج الوصول ، وظن أن حالته هي المنى والمأمول ، مع أن أهل الله ما ألقوا نفوسهم في المهالك ، وسلكوا أصعب المسالك ، وفعلوا الفرائض والنوافل وذكروا الله في البكر والأصائل ، الا ليكشف لهم الحجاب ويُشْهِدهم بعين قلوبهم

رب الأرباب ، فيتمتعون بوصال المحبوب ، ويحوزون على المنى والمرغوب ، فهذا السائر الكامل الذي لم يكن سيره طلباً لثواب ، ولا رهبة من عقاب ، بل كان سيره في مقامات السائرين إلى رب العالمين . وهـــذه المقامات ثلاثة : مقام الاسلام ومقام الإيمان ومقام الإحسان ، وانما انحصرت مقامات السائرين إلى الله تعالى في هذه الثلاثة ، لأن الانسان لما كان من مبدأ ظهوره في النشأة الدنيوية الحسية إلى أن يبلغ مبلغ التمييز والعقل ، انما كان الغالب عليه أحكام الطبع والجهل بمبدئه ومعاده ، عاملاً بحكم طبعه وهواه ومراده ، فعندما عقل وأحس بالمبدأ والمعاد وأخذ في السير من طبعه إلى ربه بحكم شرعه ، إمّا أن يكون في مبدأ هذا السير مع غلبة حكم الطبع وغلبة اقتضاء النفس الملهمة فجورها ، فهو في مقام الإسلام ، وهذا مقام الذي قال لا إله إلا الله محمد رسول الله من زمن سيدنا آدم على الفرض إلى يوم القيامة . وإما أن يكون في وسطه وذلك بظهور أحكام الروح الروحانية على أحكام الطبع والنفس حتى تصير مقتضيات الأمور الحسية والإرادات الطبيعية والجهالات النفسية ، مقهورة تحت روحانيته ، ومقتضاها من الإرادات العقلية والإدراكات العلمية ، فهو في مقام الإيمان الذي هو مقام قبول الروح لما غاب عن الحس ، وهو مقام غربة النفس . وإما أن يكون في آخر سيره من نفسه إلى ربه فهو في مقام الإحسان ، وذلك بأن يخلص من الاعتلال ، لاستغنائه بالشهود عن الاستدلال ، ولخلاصه من شتات الأسفار ، بالحصول في محل القرار ، فاتحدت العين بالعين ، وزال الأين من البين ، فحينئذ أفناه التوحيد عن توحيـده ، وجرده الوجود عن تجريده ، فانطمست عين تكثيره في تفريده ، وأشرقت شمس واحديته في تعديده ، قد وحد الحق ذاته عنه ، وأوصل بصفة البقاء إليه بعد الفناء لطيفة منه ، فصح فيه قول من قال :

فهو الواحد الموحد لنفسه ... توحيده إياه توحيده

تعالت واحديته سبحانه عن التوحيد بالتوحيد في قدسه

وهذا هو المراد بقول سيدي أحمد بن إدريس : **ورجل أي آخر قال لا إله إلا الله محمد رسول الله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله مرة واحدة في القيمة يسبق ذاك** لأنه قالها في حضرة الشهود حين انمحت الذات بالذات ، والصفات بالصفات ، وغابت العين بالعين وزال التعبير بالاثنين [١] ، فحينئذ ما قالها إلا الله [٢] ، ولا نطق بها سواه ، وصح له أنه نطق بالكلمة الكريمة في كل لمحة ونفس ، لأن ذلك وما فوقه لم يخرج عن كونه من الوسع الإلهي الذي هو عبارة عن التجلي بجميع المظاهر الوجودية والوجوبية والامكانية والصورية والمعنوية والحكمية والأثرية والعينية والعلمية والفرضية والقولية والفعلية والحسية والتنزيهية والتشبيهية فكان عين جميع ذلك من وجه واحد من كل الوجوه ، وكان غير ذلك جميعه من وجه واحد من كل الوجوه ، فهو الواسع الذي قبل الضدين وتجلى بالوصفين ، وكان عين الشيء وخلافه وتقيد فهو مقيّد وانطلق فهو منطلق ، وتقيد في الانطلاق وانطلق في التقييد فصدقت عليه جميع الاعتقادات ، ووقعت عليه جميع العبارات ، كلت الألسن عن حصر ما هو عليه ، وانحسرت العقول السليمة عن الوصول إليه ، أحاط بالكون عدماً ووجوداً ، ولم يحط الكون به ، ووسع الأشياء كلها علماً وعيناً وذاتاً وصفات ولم يسعه شيء . وأما قوله في الحديث القدسي ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن ، فهذا الوسع عند المحققين إنما هو عبارة عن قبول القلب للألوهية من حيثه

---

(١) « كلّ من عليها فانٍ ، ويبقى وجه ربك ذي الجلال والإكرام » هي الآية الأخيرة من سورة الرحمن (٧٨) .

(٢) « شهد الله أنه لا إله إلاّ هو » آل عمران /١٨ .

وهنا نورد الآيات الكريمة بلا تفسير ولا تأويل « وما يعلم تأويله إلاّ الله » آل عمران /٧ .

لنفسه على أنه الله ، وهذا المعنى لا يتسع له شيء من المخلوقات سوى قلب الإنسان الكامل لأنه مظهر الذات ، وما سواه فمظاهر الأفعال والأسماء والصفات ، والإنسان الكامل ولو عرف أنه هو الله [١] وتحقق بما تحقق به من الأسماء والصفات ، فإنه لا يبلغ غاية الكنه الذاتي ولا يستوفيه بوجه من الوجوه ، ولهذا قال الصديق الأكبر : العجز عن درك الإدراك إدراك ، وقال سيد المقربين وخاتم المرسلين : لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وقال تعالى « وما قدروا الله حق قدره » يعني المقربين والكمل المحققين من الأنبياء والمرسلين ومن دونهم من الأنبيـــاء والصديقين وسائر عباد الله المؤمنين والـكافرين ، بل هو فوق ما عرفوه وقدره فوق ما قدروه ووراء ما دروه .

فائدة

في معنى (لا إله إلا الله) ليكون السالك عندقولها ملاحظاً لذلك ، أي لا مستغن عن كل ما سواه ومفتقر إليه كل ما عداه ، إلا الله تعالى ، ولا شك عند العقلاء جميعاً أن الوجود الواحد الحق مستغن عن كل ما سواه من صور العالم ومقاديرهم ، وتعينات أرواحهم ونفوسهم ، وأشباحهم وجميع أحوالهم ، لأنه الوجود المطلق حتى عن قيد الإطلاق ، وجميع العوالم مفتقرة إليه لتظهر به وتتعين فيما هي متعينة به ، وهذا معنى وحدة الوجود وهو معنى الكلمة الطيبة .

عائدة

لا بد للمريد السالك إن كان مراده الوصول ، إلى مراتب أهل الحصول ،

---

(١) « هو الله الذي لا إله إلاّ هو ، الملك القدوس ، السلام المؤمن المهيمن ، العزيز الجبّار المتكبر ، سبحان الله عما يصفون » الحشر/٢٢ .

من الاشتغال بالذكر دائماً بأي نوع كان من الأذكار ، وأعلاها الاسم الأعظم وهو قولك الله الله لا يزيد عليه شيئاً ، لأن الله ما وصف بالكثرة شيئاً إلا الذكر ، وما أمر بالكثرة من شيء إلا من الذكر ، فقال « والذاكرين الله كثيراً والذاكرات »[١] وما أتى الذكر قط إلا بالاسم (الله) خاصة معرى عن التقييد فقال : « اذكروا الله ذكراً كثيراً »[٢] وما قال بكذا وقال : « ولذكر الله أكبر »[٣] ولم يقل بكذا وقال : « واذكروا الله في أيام معدودات »[٤] ولم يقل بكذا وقال عليه السلام : « لا تقوم الساعة حتى لا يبقى على وجه الأرض من يقول : الله الله »[٥] فما قيده بأمر زائد على هذا اللفظ لأنه ذكر الخاصة من عباده الذين يحفظ الله بهم عالم الدنيا وكل دار يكونون فيها ، فإذا لم يبق في الدنيا منهم أحد لم يبق للدنيا سبب حافظ يحفظها الله من أجله ، فتزول وتخرب . وكم من قائل الله الله باق في ذلك الوقت لكن ما هو ذاكر بالاستحضار الذي يستحضره أهل الله ، فلهذا لم يعتبر اللفظ دون الاستحضار ، فعلم من ذلك ان المريد لا ينتفع بأي ذكر كان إلا مع استحضار المعنى . والأدب الذي ذكره أهل الله في رسائل السلوك من التقوى والطاعة والعبادة والعمل بما في الكتاب والسنة وغير ذلك من المجاهدات .

« وصل »

اعلم ان الطرق شتى ، ولكل طريق مرشدون يدلون الناس على الطريق الموصل إلى الله ليسلكوه ، ومن المعلوم أن المرشد لابد أن يكون على طريقة النبي ﷺ من كونه يخاطب الناس على قدر أحوالهم ، فيخاطب المبتدي بما لا يخاطب به السالك . ويخاطب مريد السلوك بما لا يخاطب به مريد البركة والثواب ، وله أساليب متعددة في دعاية الخلق إلى الله ، لأن

---

(١) سورة الأحزاب (الآية ٣٥) .
(٢) الأحزاب /٤١ .
(٣) العنكبوت /٤٥ .
(٤) البقرة /٢٠٣ .
(٥) رواه مسلم وأحمد والترمذي من حديث أنس رضي الله عنه .

أكثر النفوس لها ميل إلى الدنيا والراحة من تكلف مشقات العبادة ، ولا تهوى أن تعمل عملاً إلا بجائزة يسهل عندها القيام بالعمل ، وإن الشيخ أحمد بن إدريس كان من كبار السادة المرشدين ، والقادة الداعين إلى الله والمنشدين ، فأتى لهم بهذه الصيغة التي تقتضي زيادتها الأخيرة زيادة ثواب لقائلها مرة ، على من يقولها طول عمره من غير هذه الزيادة .

وليس مقصوده اقتصار القائل على مرة في تحصيل مراده ، بل مراده أن يقول للناس في ترغيبهم إذا كان قولها مرة له من الثواب ذلك فما بالك بالذي يلازم عليها آناء الليل وأطراف النهار ، فحينئذ يلازم الانسان على تلاوتها والحجب تتمزق شيئاً بعد شيء حتى يقع الشهود القلبي ، فإذا حصل الشهود استغنى عن الذكر بمشاهدة المذكور [1] ، فلو ذكر العبد ربه في تلك الحضرة كان غير عارف بالأدب كما أن من كان بين يدي السلطان لا يناسبه تكرار اسمه جهراً على التوالي ، بل ربما نسبوه إلى الجنون وأخرجوه من حضرة السلطان لقلة أدبه ، وكيف يكون منه ذلك وقد فني عن شهود السوى بحصوله في مقام الشهود ، وقد ارتقى بفنائه عنه إلى مقام الوجود ، فأي شيء له حينئذ وجود مع الله حتى ينفيه بتوحيده ؟ ومن المعلوم أن النفي فرع الثبوت ، وقد شهد هذا الكامل حينئذ أن الوجود لله وحده لا شريك له ، وان ما سواه ما شم رائحة الوجود أصلاً .

« مهم »

نقل أهل الشرع انه لو قال إنسان لا إله إلا الله الف مرة من غير أن يكررها وإنسان آخر قالها الف مرة بالفعل هل يكونان متساويين ؟ فأجابوا بأن كلاً منهما حصل العدد غير أن الذي قال ذلك مرة واحدة حصل له هذا العدد من غير مضاعفة ، والذي كررها العدد المعلوم حصل له العدد مضاعفاً ، وأمر المضاعفة شيء موكول علمه إلى الله عز وجل ،

---

(١) وهذا إنما يكون في الآخرة ، قال تعالى : « وجوه يومئذ ناضرة ، الى ربها ناظرة » .

فلا يمكن إدخاله تحت حصر مخصوص ، وقد علمت أن أهل الله لا يسألون عن ثواب ولا عن عقاب [1] ، بل مرادهم الوصول إلى حضرة الحكيم الوهاب ، فرضي الله عنهم ورضوا عنه ، ومنّ عليهم بما طلبوه جوداً وكرماً منه . نسأل الله أن يمن علينا بالمرام ، وأن ينعم من فضله بحسن المبدأ والختام . وإلى هنا كان انتهاء الكلام بإذن الملك العلام ، والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين وعلى آله وأصحابه والتابعين إلى يوم الدين . حررت غرة محرم الحرام سنة خمس وثلاثمائة والف ، وتوفي هذا الأستاذ والأخ الملاذ ، ليلة الثلاثا مساء سابع عشر رجب الفرد عام خمسة عشر وثلاثمائة والف ودفن في تربة باب الله رحمه الله تعالى .

الشيخ عبد الغني البقاعي الشافعي القادري

الدمشقي المعروف بكل معروف والموصوف بكل فضل موصوف ، كان من العلماء والسادة الفضلاء ، مع عبادة وتقوى ومجاهدة في الله في السر والنجوى ، وزهد وصيانة ، وكمال وأمـانة ، وقدر وعلا ، ورفعة بين الملا ، واعتقاد في قلوب الناس . وكان جميل المعاشرة حسن الإيناس ، وله كرامات شهيرة وخوارق كثيرة . توفي في دمشق الشام ثامن عشر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين ومائتين والف رحمه الله تعالى .

الشيخ عبد الفتاح بن عبد الله بن صالح الكردي الشافعي الدمشقي

بقية السلف الصالح ، ونخبة الخلف الناجح . أخذ عن أبيـه وغيره من السادة الكرام ، والقادة العلماء الأعلام ، مات حادي عشر رجب سنة خمس وخمسين ومائتين والف .

---

(١) « إن الله لا يظلم مثقال ذرة ، وإن تك حسنة يضاعفهـا ويؤت من لدنه أجراً عظيما » (النساء/٣٩) .
من هذا السؤال والجواب يعلم وقوف المؤلف رحمه الله على ما عند القوم من مقام الحق والخلق ، والوجود والشهود ، والبقاء والفناء .

عبد الفتاح بن أحمد بن الحسن الجوهري الشافعي الأزهري

عالم أذعن له في العلوم العقلية والنقليـة كل فاضل ، وقال العارف بمراتب علمه لمن حاول تناولها : أين الثريا من يـد المتناول ، كان نزهة الأبصار ولمحة البصائر ، وكعبة الأبرار ونفحة الأكابر ، وملجأ المتعلم والمستفيد ، وأول متصدر يستفاد منه فيفيد ، أضاءت الدنيا بأنوار علومه ، وتزينت بدرر منثوره ومنظومه .

ولد سنة إحدى وأربعين ومائة والف ونشأ في حجر والده ، وحضر دروس العلامة الملوي وبعض دروس أبيه وغيره ، ولم يكن معتنياً بإظهار جلالة العلم ولم يلبس لباس الفقهاء ، بل كان يعاني التجارة والكسب . ولما توفي أخوه الأكبر الشيـخ أحمد وقع الاتفاق على جلوسه في مكانه واقرائه الدروس والتفاته للطلبة ، وتقدم أمره وراج قدره ، واتسعت دنياه . ولم يزل حتى حصلت حوادث الفرنساوية في مصر ، فصادرته فرنسا وأخذت منه خمسة عشر الف ريال فرنساوي ، فعظمت همومه وتفاقمت غمومه ، وسافر الى بلدة جارية في التزامه يقال لها كوم النجار ، فأقام بها أشهراً ثم ذهب الى شيبين الكوم بلدة اقاربه ، وأقام بها الى أن مات رحمه الله تعالى سنة خمس عشرة ومائتين والف ، وذلك بعد وفاة أخيه الشيخ محمد بنحو خمسة أيام ، ودفن هناك في قرية شيبين .

الشيخ عبد الفتاح العقري النقشبندي الخالدي

المرشد الولي الفقيه العابد ، والمقصد التقي الناسك الزاهد ، صاحب الهمم العلية ، والأخلاق المرضية ، كان من أهل الاستقامة في التقوى منقطعاً الى الله في السر والنجوى ، أخذ الطريقة النقشبندية الخالدية فأحسن بها الاشتغال وقام على ساق الخدمة بها في الأيام والليالي ، ثم لما رآه حضرة الأستاذ مولانا

خالد قد استعد للارشاد وصار عنده أهلية الدعوة الى المراد ، خلفه خلافة مطلقة يعطي الطريق لمن أراد من ذوي الهمة والاستعداد . وكان رحمه الله تعالى حسن الأخلاق صافي السريرة متواضعاً متذللاً كثير الخدمة هاضماً لنفسه . توفي رضي الله تعالى عنه بعد الألف والمائتين والخمسين .

الامير الكبير السيد عبد القادر بن محي الدين الجزائري المغربي

هو الهمام الكامل العارف ، والإمام المتحلي بأعلى العوارف ، الراسخ القدم في العلم الإلهي والكاشف عن أسرار الحقائق حتى شهدها كما هي ، قد حل من طَرْفِ الفضل في سواده ، وتبوأ من صدر الشرف أوج فؤاده ، فمحامده تملأ المجامع والمسامع ، ومناقبه تنير المطالع وتقف عندها المطامع ، فلا ريب أنه مفرد الزمان القائم مقام الجمع ، المستجمع لصفات الكمالات الانسانية لدى كل منطق ومسمع ، فهو البحر الذي سارت فيه سفن الأذهان فلم تدرك قراره ، وعجزت أفكار النظراء وألباب البلغاء عن أن يخوضوا تياره . ما برز جواد علمه في ميدان البحث إلا وازدان على قاص ودان ، ويقال لمن سأل عن حقيقة حاله ليس الخبر كالعيان . وأما جوده فهو القطر الذي عم الفجاج نتاجه ، والبحر الذي طاولت الأبراج أمواجه . فلله دره من كامل قد استدارت منطقة المجد حول قطب سيادته ، واستنارت كواكب المعالي الزاهرات بأضواء شمس سعادته . فهذا الذي تقتبس من مشكاته أنوار التقوى والصلاح ، وتختلس من جانب طوره أطوار النجاة والنجاح . وحلّ من الشرف في طالع سعوده ، واستوى على ذروة الغرف المشيدة لبذل نداه وجوده ، وشهرته قد فاقت ضوء المصباح والصباح ، وسيرته قد رقت وراقت فهي لسامعها الراح

المباح . ولا غرو فهو فرع الشجرة الطيبة المنابت ، قد ثبت أصلها وزاحمت أغصانها الثوابت ، تسامت بالنسبة إلى شرف النبوة أعاليها ، واخضرت بماء الفتوة أدواح معانيها ومعاليها :

كل المفاخر والمناقب جمعت فيه على الاطلاق والتقييد
والمجد مقصور عليه أثيله والعز تحت ظلاله الممدود
تلقى برؤيته المنى أو ما ترى عنوانه بجبينه المسعود
لو تشعر الدنيا لقالت إن ذا مضمون أشعاري وبيت قصيدي

ومع ذلك فهو فارس ميدان اليراع والصفاح ، وليث الرماح الخطية[١] والأقلام الفلاح . فهو لعمري الموصوف حقاً ببسط الكف ، ما أعرض يوماً عن بذل المعروف ولا كف . فهيهات أن يصفه الواصف وإن أطال الكلام ، أو ان يحكيه العارف وإن ملأ بطون الدفاتر وبرى ألسنة الأقلام . **وأما ذكر نسبه الموصول بأشرف نبي وأجل رسول** ، فهو التقي العابد والغازي المجاهد ، الأمير عبد القادر المغربي الجزائري بن السيد محي الدين بن السيد المصطفى بن السيد محمد بن السيد المختار بن السيد عبد القادر بن السيد أحمد المختار بن السيد عبد القادر بن السيد أحمد المعروف بابن خدّه مرضعته بن السيد محمد بن السيد عبد القوي بن السيد علي بن السيد أحمد بن السيد عبد القوي بن السيد خالد بن السيد يوسف ابن السيد أحمد بن السيد بشار بن السيد محمد بن السيد مسعود بن السيد طاووس بن السيد يعقوب بن السيد عبد القوي بن السيد أحمد بن السيد محمد بن السيد إدريس الأصغر بن السيد إدريس الأكبر بن السيد عبد الله ابن السيد الحسن المثنى بن السيد الحسن السبط بن السيد علي بن أبي طالب

(١) الخطيّة : الرماح المنسوبة إلى الخط ، وهو مرفأ للسفن بالبحرين حيث تباع الرماح .

وفاطمة الزهراء بنت سيد العالمين ، وإمام الأنبياء والمرسلين ، محمد ﷺ وشرف وعظم وكرم :

نسب كأن عليه من شمس الضحى نوراً ومن فلق الصباح عمودا

وقد نظم هذا النسب الشريف صاحب المقام العالي المنيف السيد محمود افندي حمزة مفتي دمشق الشام رحمه الله تعالى فقال :

يا حبذا الوعد والانجاز يصحبه حاشا علاكم بأن الخلف يعقبه
حيا فأحيا ظنوناً غير نائية لولاه كانت قضت مما تراقبه
وافى البشير به والفكر في قلق والقلب في حرق همّ يقلبه
والجفن في أرق والعين في غرق والصبر في فرق كرب يداعبه
ومذ تفوّه قام الحزن مرتحلاً عنا بعسكر لوم لست أنحبه
وباشر البشر في ضرب الخيام على قاع السرور فكم ذا كنت أرقبه
فالحمد لله حيث الفضل في ملك مسلسل الأصل يعلو حين تنسبه
العالم العامل الغازي أخو ورع الزاهـد المنتقى للخير ينتبه
السيد الفرد عبد القادر الحسني من سيفه ملك الافرنج يرهبه
نجل المحقق محيي الدين سيدنا من ضاء من علمه شرق ومغربه
ابن الامام الهمام المصطفى كرماً من كل محمدة في الكون تطربه
ابن المجد ركن العز أوحدهم محمد من غدا في الحمد مذهبه
ابن الهمام هو المختار قدوتنـا عند الثريا مقاماً كنت تحسبه
ابن السميدع[1] عبدالقادر الورع المز دان بالقدر رفعـاً لست تنصبه
ابن الشريف هو المختار أحمد من فعل المحامد والاحسان مشربه
ابن المجد عبد القادر الحسن الـ أخلاق فوق الدراري كان مطلبه
ابن المسمى بجده عنـد نسبتهم أخدوده واصل لله راكبـه

(١) السيد الكريم الشجاع .

ابن التقي الذي سموه أحمد من ... وسائط الحمد للتوفيق تجذبه
ابن الذي مر في عز وفي شرف ... محمد من لذيل الفخر يسحبه
ابن المسمى بعبد للقوي لما ... أبداه في دين مولاه تصلبه
ابن الكريم عليٍّ من سما عظما ... حتى غدا في علاه البدر يرقبه
ابن الجواد العفيف السمح أحمد من ... اعي اليراع لفضل فيه حاسبه
وهو ابن عبد القوي الله سدده ... قواه في ضمن تقواه تقربه
ابن الذي خلد الفردوس خالدهم ... فالحور في روضة الرضوان تخطبه
ابن السمي الى الصديق يوسف من ... قميصه من عفاف قدّ جاذبه
ابن الهمام جليل القدر أحمد من ... ساد المعالي بطرق المجد يركبه
ابن المبجل بشار الكرام ومن ... سمت لدى الخلق بالبشرى مراتبه
ابن المكرم فرع المجد واحده ... محمد من صفات الحمد تصحبه
ابن المهذب مسعود الطوالع من ... في الشرق والغرب لا يخشى تحجبه
ابن المفاخر طاووس بنسبته ... الى المعالي ولا عجب يصاحبه
ابن المسمى الى يعقوب سيدنا ... من صبره لم تضق فيه مذاهبه
ابن الشديد لأمر الله قدوتنا ... عبد القويّ فذا يحلو تعصبه
ابن الكريم المفدى ذاك أحمد من ... ركن المعالي به تسمو جوانبه
ابن المعظم نسل الملك قسوره ... محمد من سمت فينا رغائبه
ابن المتوج تاج الملك في رحم ... إدريس أصغرهم تزهو كتائبه
ابن المسمى بإدريس المليك فكم ... خاض المفاخر فيه الدهر اشهبه
ابن المكمل عبد الله كاملهم ... من حصر أوصافه يعيي تطلبه
ابن الإمام المثنّى فضله حسن ... من جمع احسانه ما لست اكتبه
وهو ابن سبط الرسول المنتقى حسن ... من كان سيده المختار ناسبه
وهو ابن فاطمة الزهراء سيدة النساء ... م طراً كما الأخبار تعربه
وهي ابنة الخاتم الهادي محمدنا ... من شرف السلك في الأنساب كوكبه

صلى عليه مع التسليم خالقنـــا ماضاء في العالم العلوي موكبـه
والآل والصحب ماارخت أي وطر ياحبذا الوعد والانجاز يصحبـه

ولد رضي الله تعالى عنه وأرضاه في القَيْطَنَة من أعمـــال معسكر بالمغرب الأوسط يوم الجمعة الثالث والعشرين من رجب سنة اثنتين وعشرين ومائتين والف من الهجـــرة النبوية ، ونشأ رحمه الله تعالى في حجر والده إلى أن شب بالعفة والصيانة والطاعة والأمانة مرضي الحـــال محمود الأقوال والأفعال ، مشهوراً بين أقرانه بالجد والاجتهاد دائباً على المطالعة والحفظ والرياضة والانفـــراد ، قد ظهرت عليه من صغره لوائح الفلاح ، وتقلد منذ تمييزه بقاليد الصلاح والنجاح ، وأخذ الفقه عن والده عمدة المحققين إمام الكل في الكل السيد محي الدين ، والفقه وغيره عن غيره من العلماء والسادة القادة الفضلاء ، ثم رحل للطلب إلى وهران ، فأخذ عن علمائها ذوي الإتقان . وكان يحفظ أكثر البخاري متضلعاً باللغة العربية ، وله بذلك وبغيره اليد العلية ، ولم يزل يكرع من شراب العلم كؤوساً روية ، ويلبس للجولان في ميدان القيام بأنواع العبادات دروعاً قوية ، وعين الرعاية ترعاه وتساعده على ما قصده وعناه ، ويد الرفعة تشير اليه وتطرح تقاليد السعادة بين يديه ، الى ان صار عين زمانه وحدقة انسان عصره وأوانه ، وقد افتخر به من خلف على من تقدم من الأعلام وسلف ، ومع ذلك فكان ذا شجاعة علوية ، واخلاق وأوصاف محمدية . ولمـــا قصد حضرة والده البلاد الحجازية ، أخذه معه للتشرف بتلك الأماكن والأخذ عن ذوي المراتب الالمعية ، فمشى مع والده براً الى تونس ، ثم ركب معه البحر الى الاسكندرية ، ومنها سار الى مصر ثم الى السويس فركب معه الى جدة ومنها الى مكة ، فحج مع والده وزار واعتمر وأدى بقية المناسك

كما أخبر النبي وأمر ، ثم سار معه الى المدينة المنورة ، فزار قبر جده الشريف وصلى بالمسجد النبوي المنيف ، ثم سار معه الى دمشق الشام ، فأقام بها مدة وأخذ عن علمائها السادة الأعلام ، كما أخذ عن أهل غيرها ممن مرّ عليهم في طريقه ، غير انه قد استقام في دمشق الشام مدة ، قد بذل بها في طريق النقشية اجتهاده وجده ، ثم سار الى مدينة بغداد لزيارة السيد عبد القادر الجيلاني كعبة الاسعاد ، فتكمل بهذه الرحلة ، ونال ممن اجتمع بهم من ذوي الفضل كل نحلة ، ولبس الخرقة القادرية من يد الاستاذ نقيب الأشراف وخليفة السيد عبـد القادر سيدي السيد محمود القادري ذي الفضل الباهر ، ثم رجع الى مكة المشرفة مرة ثانية فحج وزار وتبرك بتلك الآثار السامية ، ثم رجع مع والده الى الأوطان وحالها مضمحل معدوم الراحة والأمان ، وقد طال عليهم الأمد وتوالى عليهم الكرب والنكد ، وتطاولت اليهم يد الأجانب ، وأحاط بهم الهم والغم من كل جانب ، وكثر بينهم الفساد وانحازت طوائفهم نحو التخالف والعناد ، فتارة يرون كف العدو فرضا ، وتارة يحارب بعضهم بعضا ، وقد يئسوا من نجدة الدولة العثمانية التي لها عليهم السيادة الحقية ، وظهر لهم عجز جارهم سلطان المغرب الأقصى ، وبحر الفتن لديهم لا تُحَدُّ أمواجه ولا تحصى ، فاجتمع العلماء والأشراف وأعيان القبائل من العـــرب وذوي الإنصاف ، وقدموا على حضرة والد المترجم السيد محيي الدين وألزموه إما أن يقبل بيعتهم على الملك لنفسه وإما أن يقبلها لولده المترجم المرقوم ، ولم يقبلوا له من اعتذار بل أصروا عليه غاية الإصرار ، فنظر في هذا الأمر فوجد الاهتمام به واجباً ، وقد خطبته هذه الإمارة ولم يكن لها طالباً . بيد أنه لا يقدر على القيام بها بنفسه لكبر سنه وعجزه ، فاختار لها ولده المترجم المذكور ذا الفضل الباهر المشهور ، حيث انه بلغ أشده ونال من الكمال حده ، وترشح للامامة وتأهل لها ، حتى لم تكن تصلح

إلا له ولا يصلح إلا لها ، لما كان محتوياً عليه من علو الهمة واستقامة الأطوار . وقوة الملكة وتحمل المكاره وحسن الاصطبار ، والشجاعة والعلم والسماحة والحلم ، والقوة والعزم والازماع والحزم ، والنباهة والتيقظ والمواراة من المخاوف والتحفظ ، والعبادة والتقوى في السر والنجوى ، الى غير ذلك من أنواع الفضائل وبديع الشمائل ، التي لا بدّ للملك منهـا ولا غنى له عنها . فلما علموا من والده الشريف الإجابة ورأوا ما عند المترجم من البسالة والنجابة ، نادى المنادون بلا توان باجـتماع الأكابر والأعيان . فاجتمع العلماء والأشراف ، وأهل الصولة من الأطراف ، وكان اجتماعهم بوادي فروحه من غريس فجلس سيدي المترجم تحت دردارة[1] هناك عظيمة ، وتقدم والده اليه فبايعه ثم بايعه الناس بيعة عميمـة . وفي الحال لقبه والده بأمير المؤمنين ناصر الدين ، وكانت هذه البيعـة خصوصية في محل معلوم ، لكنه لما تسامع خبرها حضر اليه الناس من كل جانب وبايعه العموم ، حتى انه لم يبق أحد ممن لم يحضر إلا وقد صدق على بيعته وانقاد لسلطنته وإمرته ، وكان ذلك سنة ألف ومائتين وثمان وأربعين ، فأسس ربوع الخلافة والسلطان ، وشيد أركان دولته برفع الظلم وهدم جدار الطغيان ، ثم قامت الحروب بينه وبين الفرنسيس على ساق ، واتسع الخرق وقوي الشقاق ، ولم يزل يصول عليهم ويوجه سهام الموت الأحمر اليهم ، إلى آخر تلك القصة ، التي لا يساعدنا الاختصار على ذكر تفصيلها . وقد ألف سعادة ولده الأمير السيد محمد باشا كتاباً مستوفى في ذلك ذكر فيه ترجمة حاله مفصلة من ابتدائها إلى انتهائها .

وكتب المؤرخ الفاضل الشيخ محمد بيرم التونسي في كتابه صفوة الاعتبار ، فقال : اعلم أن الدولة الفرنساوية لما ترقت في المعارف لا سيا في الأعصر

---

(١) الدّردار : شجر عظيم من فصيلة الزيتونيات .

الأخيرة لازمها حب الظهور ، وعدم تحمل الهوان ، وكانت الدولة العثمانية في شغلها الشاغل من أعمال الينكشارية وحروب الروسية وثورات اليونان وطغيان ولاة الأقاليم وعدم امتثالهم للأوامر ، وكان والياً على الجزائر ، حسين باشا وكان مستبداً ظلوماً مرتشياً قليل التدبر ، وحصل منه إهانة لقنصل فرانسا ، وذلك على ما في تاريخ ابن الضياف أن أحد التجار اليهود الأغنياء الجزائريين الملقب ببقري أبو جناح ، له خلطة مالية مـــع تجار من الفرانسيس ، وتداعوا في خسائر من الجهتين ، وانتصر حسين باشا لرعيته بالالحاح على قنصل فرانسا في انصافه ، وآل الأمر إلى صلح يدفع على مقتضاه التجار الفرنساويون إلى التاجر الجزائري مالاً عظيماً وافرا ، وأضمر حسين باشا أخذ المـــال لنفسه لما رآه ذريعاً وراجعاً لرعيته ، وتلك كانت من عادته المألوفة له عن أمثاله . ولما قرب دفع المال وإذا بتجار أخر فرنساويين قاموا على بقرى المذكور بدين أوقفوا عليه المال الذي يريد قبضه ، فتكدر حسين باشـــا لذلك كدراً عظيماً وطلب من القنصل رفع الايقاف ، وقال : إن أرباب الدين الفرنساويين يتبعون ذمة المديون بعد قبضه المال ، حيث انه لا حق لهؤلاء الطالبين في المال الذي يدفعه الفرنساويون ، فامتنع من ذلك القنصل مستنداً إلى أن المال مال المديون والغرماء حقهم عليه ، فحجزوا على المـــال لاستيفاء حقهم منه ، وكان المديون قد دبر هذه الحيلة خوفاً على ماله من الهلاك باستيلاء الباشا عليه ، فأعرض الباشا عن القنصل ، وكاتب دولة فرنسا فأرسلت الدولة المكتوب بعينه إلى القنصل وأمرته بالجواب عنه ، فذهب القنصل عند الباشا لمآرب أخر ، فخاطبه الباشا في استبطاء جواب مكتوبه الذي أرسله لدولة فرانسا ، فقال له القنصل إن المكتوب أرسلته الدولة إلي وأمرتني

بالجواب عنه ، فسأل عن سبب عدم إجابة الدولة له ، فأجابه بما فهم منه احتقاره ، وكانت بيد الباشا منشة يطرد بها الذباب فضرب بها وجه القنصل وطرده ، وبقي آسفاً على ما فاته من مال بقرى . ثم ان فرانسا تهددت الوالي المذكور على إهانة نائبها ، وألحت عليه بأن يطلب منها الرضى ويعترف بالخطأ فأبى وأصر على غلطه ، مع ان الدولة العثمانية والدول الأجانب وخواص الأهالي قد حسنوا ذلك له ، ودولته أمرته أمراً قطعياً بذلك فأبى ، وقد كانت فرانسا في شغل من داخليتها في ذلك الوقت لأن ذلك كان أثر حرب نابليون الأول ، وكانت أيضاً متوقية المشاحنة مع العرب ومع الدولة العثمانية ، حتى رضيت فرنسا بأن يكلف الباشا أي إنسان كان في باريس بطلب الترضية لكي تندفع هذه المعرة ، ولا تلحقه هو مذلة بارسال أحد من متوظفيه إلى « القنصلاتو » ولا إلى باريس ، وكان قصدها بذلك اجتناب الحرب ما أمكن لاشتغالها بحروبها وأحزابها الداخلية ، فأصر الوالي على رأيه ، وأرسلت فرانسا أسطولها وحاربت بلد الجزائر ، واستولت عليها ، وحمل ذلك الوالي إلى باريس ، ثم مات في اسكندرية .

فداء الجزائر قد ابتدأ منذ انخرم أمر الينكشارية [١] في القسطنطينية التي هي مقر الدولة العامة ، ونشا عنه ما نشأ من فساد الادارة والولاة ، إلى أن أصيبت عدة جهات وباء حسين باشا بالخزي ، واثم الظلم والخراب والتهور الذي كان أعظم النكبات ، وانتقلت حالة الجزائر بل وحالة السياسة في شطوط أفريقية الشمالية إلى طور اخر انتهى .

وكان مبدأ استيلاء فرانسا على الجزائر سنة ست وأربعين ومائتين والف ،

---

(١) الانكشارية : هو الجيش المنظم الذي أحدثه العثمانيون في القرن الرابع عشر (م) وقد تقدم ذكره .

في مدة كارلوس العاشر ملك فرانسا ، وتمكن الفرانسيس أولاً من القاعدة وما حولها ، لكن بقية الجهات أصروا على الامتناع من الطاعة لفرانسا ، لأنها إنما أرادت الانتقام من الوالي حسين باشا وقد حصل ، فالجهات الشرقية من القطر انفرد بالحكم فيها الحاج أحمد باي قسنطينة ، والجهات الجنوبية والغربية تشتتت تحت رؤساء القبائل ، ورام الفرنساويون محاولة تطويعهم بالرفق بان يتولى الأمر في وهران والي تونس ، بارسال احد عائلته أو أحد متوظفيه ، فأرسل والي تونس واحداً من جهته ومعه شرذمة من الحرس ، فلم ينفذ أمره في مدينة وهران فضلا عن خارجها ، فرجع من حيث اتى .

ثم اجمعت الجهات الغربية والجنوبية على مبايعة الرجل الوحيد سلالة النسل المطهر الامير السيد عبد القادر الجزائري بن محي الدين الحسني ، وقام لله حق القيام وصحبته النصرة الالهية في كثير من الوقائع ، الى أن كان في بعضها ما هو خارق للعادة من الكرامات ، كطفر فرسه الأزرق به ستين متراً وحيث أحاطت به العساكر الفرنساوية كالحلقة ، وراموا مسكه باليد فطفر به فرسه على رؤوس العساكر واسلحتهم ذلك المدى ونجا راكضاً الى منعته ، ودام محاربا لهم نحو سبع عشرة سنة ، واستقامت له حكومة ضرب فيها السكة باسمه وانشأ المدافع والبنادق ونفذ امره وخشيته فرانسا ، وأرسل الى الحاج احمد باي ليتحدا ويكونا يدا واحدة ، فامتنع تجبراً وطغياناً ، وكان ذلك سبباً لتأخر أمره وحطته وغدره ، وتنكيس أعلامه واستيلاء الفرنساوية على ما كان تحت أحكامه . وبقى الأمير السيد عبد القادر مدافعاً ومهاجماً الى أن سولت الغلطات النفسانية المخالفه للديانة الإسلامية لسلطان المغرب الاتحاد مع الفرنسيس على محاربة الأمير السيد المشار إليه ، وقطع عنه سلطان المغرب خط التجانه الى جهات الصحراء ، فاضطر

حضرة الامير الى التسليم للفرنسيس ، بعد المشاورة مع وكلائه ووزرائه وأمرائه ، حيث سدت المناهج والمسالك وعز الخلاص ، ولات حين مناص ،

إذا لم تكن إلا الأسنة مركبا   فما حيلة المضطر إلا ركوبها

فأرسل المترجم رسوله الى قائد الفرنساويين بالميل الى التسليم ، على شروط أرسلها له في رقيم ، فقبلها القائد واظهر الفرح ، وزال عنه الغم والترح ، ووجه الى المترجم هدية ذات شان ، مفيدة للتودد والأمان ، وصدق له على عهده ، وأظهر له من الاحتفال غاية جهده . ثم بعد أيام نزل بعائلته ومن معه من خاصته في البارجة الحربية الى أن وصل الى مدينة امبواز (Amboise) وبداخلها صرايا[1] عظيمة حصينة ، فوضع المترجم بها هو ومن معه ، وكان ذلك في شعبان سنة ألف ومائتين وأربع وستين ، ثم نقل الأمير منها الى مدينة بوردو (Bordeaux) ، ثم إلى مدينة نانت (Nantes) ، ولما فصل رئيس جمهورية فرانسا وتولاها البرنس لويس نابليون ، فاجتهد غاية الاجتهاد وسلك مناهج السداد ، في تخليص الأمير من سجنه ، وتسريحه إلى مكان يحول بينه وبين كدره وحزنه ، فلم يزل يوجه اليه الرسائل ، ويعمل في الحضور لديه الوسائل ، إلى أن توجه نابليون إلى امبواز ، ووعده بالوفاء بالعهد على الحقيقة لا المجاز ، وقال له انك بعد أيام تكون في باريز عاصمة ملكنا ، ويكون لك كمال القدر عندنا ، وكان قد أقام في امبواز أربع سنوات ، فما مضى قليل من الأيام إلا وجاء الأمر بحضور الأمير إلى باريز بالجلالة والاحترام ، فدخل في موكب لم يكن لغيره ، وساق الله إليه جميل بره وإحسانه وخيره . ولم يزل في عز واحترام وجلالة وإعظام . يدور حيث شاء ويجتمع مع الأكابر والعظماء ، إلى أن صدر الأمر من الذات الامبراطورية بتسريح

---

(١) قصر الحكومة .

حضرته الآستانة العلية ، وذلك في ربيع الأول سنة تسع وستين ومائتين والف ، فسافر هو ومن معه إلى الآستانة ولا يمر في طريقه على بلدة إلا ويتلقاه أهلها بالحبور وغاية السرور الى أن وصل الى الآستانة دار الخلافة العثمانية ، واجتمع بأمير المؤمنين مولانا السلطان عبد المجيد فأجله وعظمه وأكبره واحترمه ، وقال له أنت صاحب الرأي في سكناك في أي محل شئت من الممالك العثمانية والبلاد الاسلامية ، فخرج من عنده حامداً شاكرا ، داعياً له بدوام السعادة أولاً وآخرا ، وأنشأ هذه القصيدة وقدمها لحضرته العالية السعيدة ، وهي :

الحمد لله تعظيماً وإجلالا ... ما أقبل اليسر بعد العسر اقبالا

والشكر لله اذ لم ينصرم أجلي ... حتى وصلت بأهل الدين ايصالا

وما أتت نفحات الخير ناسخة ... من المكاره أنواعاً واشكالا

وامتدعمري الى ان نلت منسندي ... خليفة الله افياء واظلالا

فالله اكرمني حقاً وأسعدني ... وحط عنى أوزارا وأثقالا

قد طال ماطمحت نفسيوماظفرت ... لكن للوصل أوقاتاً وآجالا

اسكنفؤاديوقر الآن في جسدي ... فقدوصلت بحزب الله أحبالا

هذا المرام الذي قد كنت تأمله ... هذا مناك فطب حالا بما آلا

وعش هنيئاً فأنت اليوم آمن من ... حمام مكة احراماً واحلالا

فانت تحت لواء المجد مغتبطا ... في حضرة جمعت قطباً وابدالا

وته دلالا وهذا العطف من طرب ... وغن وارقص وجر الذيل مختالا

آمنت من كل مكروه ومظلمة ... فبح بما شئت تفصيلا واجمالا

هذا مقام التهاني قد حللت به ... فارتع ولا تخش بعد اليوم انكالا

وابشر بقرب أمير المؤمنين ومن ... قد أكمل الله فيه الدين اكمالا

عبد المجيد حوى مجداً وعز علا ... وجل قدراً كما قد عم أفضالا

كهف الخلافة كافيها وكافلها من لا عهدنا له في القرن امثالا
يا رب فاشدد على الأعداء وطأته واحفظ حماه وزده منك اجلالا
واظهرن حزبه في كل متجه وسددن منه أقوالاً وأفعالا
وابسط يديه على الغبراء قاطبة وذللن كل من في الأرض اذلالا
فالمسلمون باقصى الغرب طامحة ابصارهم نحوه يرجون اقبالا
كم خائف يرتجي أمناً بسطوته وحائر يرتجي للحَزْن تَسهالا
فرع الخلافة وابن الأكرمين ومن شادوا عرا الدين أركانا وأطلالا
كم أزمة فرجوا كم غمة كشفوا كم فككوا عن رقاب الخلق اغلالا
هم رحمة لبني الإيمان سائرهم هم الوقاية اسواء وأهوالا
أنصار دين النبي بعد غيبته في نصره بذلوا نفسا وأموالا
قد خصهم ربهم في خير منقبة ما خص صحباً بها قبلا ولا آلا
كم حاول الصحب والآل الكرام لها والله يختص من قد شاء افضالا
ما زال في كل عصر منهم خلف يحمي الشريعة أقوالا وأفعالا
حتى أتى دهرنا في خير منتخب من آل عثمان املاكا وأقيالا (١)
قد كنت مضمر خفض ثم أكسبني رفعا وقد عمني جودا وافضالا
وبالاضافة بعد القطع عرفني وقد نفى عني تصغيراً واعلالا
هذا وحق علاه منتهى أملي قد حط عني بمحض الفضل اثقالا
لا زال تخدمه نفسي وامدحه مستغرق الدهر أبكاراً وآصالا
اهدي مديحي وحمدي ماحييت له أفادني انعما جلت واقبالا
جزاه عني إله العرش أفضل ما جازى به محسناً يوماً ومفضالا

ولم تزل الباخرة واقفة على الاستانة عشرة أيام ، وهو في كل يوم يزور الكبراء والعظماء والوكلاء ويزورونه ؛ وقد كفله السلطان عبد المجيد

---

(١) جمع قَيل وهو الملك والرئيس .

حينما طلبت دولة فرانسا من السلطان المومى اليه أن يكفله ، وبعد أن استقام عشرة أيام ، والطعام في كل يوم يأتيه من السرايا الى الباخرة ، توجه الى بروسة [1] فدخلها يوم الاثنين السابع من ربيع الثاني سنة ١٢٦٩ وتلقاه واليها خليل باشا صهر الذات الشاهانه ومعه العلماء والوزراء والكبراء ، ثم انه لم يستقر به الأمر أياماً حتى جاء عنده خليل باشا بأمر السلطان المعظم يخبره بأن مراد الدولة العلية أن تعين له معاشاً يكفيه مع الاتساع هو ومن يلوذ به ، فسر المترجم بذلك ، ووجه لأمير المؤمنين ما يليق من الدعوات ، غير انه اعتذر بأن امبرطور فرنسا قد عين له ما يكفيه ويكفي من معه ، وأما حضرة أمير المؤمنين فان ما أسداه اليه من كفالته عند فرنسا فانها هي المنة التي لا تقابلها منة ، حيث انه لولاها لم يتيسر له الخروج من بلاد فرنسا . ثم انه لما رأى ما عرا هذه المدينة من كثرة الزلازل ، ورأى ان جماعته قد ضاقت صدورهم من الإقامة بها ، وقد تحسن عندهم تبعاً لسعادة الأمير الرحلة الى دمشق الشام ، فسافر الى الاستانة أول ذي الحجة سنة احدى وسبعين ومائتين وألف ، ثم الى باريز فتلقاه الامبراطور ورجال الدولة بكل عظمة واجلال ، ثم رجع الى الاستانة وقدم الاستئذان من الباب العالي بالرخصة له أن يرحل الى دمشق الشام ، فصدرت أوامر الدولة العلية لمحمود نديم باشا والي دمشق بالاستعداد لقدومه ، واعداد محل لائق به . ثم ان الأمير المرقوم غب حضور الاذن له رجع الى بروسة [1] ، وفي خامس ربيع الثاني خرج منها بمن معه وكانوا مائتي نفس فركب بهم باخرة فرنساوية الى بيروت ، فاستقبله الخاص والعام واهتزت لقدومه أنحاء الشام ، وبقي قليلاً من الأيام ثم رحل ودخل الشام ، وكان قد خرج للقائه أهل البلد ، ولا يبعد أن يقال ما شذ منهم أحد ،

---

(١) مدينة في تركية آسيا ، فتحها ارخان بن عثمان (١٣٢٦ م) .

فتألف الكبير والصغير وشملهم بامتنانه وبشره الغزير ، ثم بعد أن استراح من السفر وزال عنه النصب والكدر ، توجه الى بيت المقدس للزيارة الشريفة ، وكان ذهابه من طريق صفد ، وايابه من طريق حوران ، تتميماً للزيارات الواقعات في الطريقين وذلك سنة ١٢٧٣ .

وبعد ذلك في رمضان من تلك السنة ، قرأ في المدرسة الأشرفية المشهورة بدار الحديث الواقعة في العصرونية صحيح الإمام الحافظ المجتهد أبي عبدالله البخاري ، وكان ختامه في اليوم الرابع والعشـــرين من شوال سنة أربع وسبعين ومائتين وألف .

وفي نصف ذي الحجة الحرام سنة ألف ومائتين وست وسبعين حينما وقعت الحادثة الكبرى في نصارى الشام ، وكان قد تعدى عليهم بعض الأشقياء المتوحشين فقتلوا وأضرموا النيران في أملاكهم ونهبوا متاعهم ، فحصل من الأمير المرقوم ما يدل على كمال غيرته ومروءته وتمدنه من خلاصهم والاحسان اليهم ، وبذل كمال المعروف ، وقد كافأه حضرة أمير المؤمنين السلطان عبد المجيد خان بالكتاب الذي أرسله اليه بخطاب التفخيم والاحترام ، مع النيشان [١] المجيدي من الرتبة الأولى ، وتواردت عليه كتابات بقية الملوك مع النياشين ذوات الفخر والقدر .

وتفصيل ذلك مذكور في كتـــاب مناقب المترجم من تأليف ولده المحترم سعادة محمد باشا الذي سماه بالكوكب الزاهر ، في اخبار الأمير عبد القادر . وفي سنة سبع وسبعين ومائتين والف توجه إلى حمص وحماه وغيرهما بقصد الزيارة للمشاهد العظيمة ، ولما وصل إلى حمـــاة ونزل في طيارة بني الكيلاني ، ورأى الناعورة أنشد :

---

(١) الوسام .

وناعورة ناشدتها عن حنينها حنين الحُوار (١) والدموع تسيل
فقالت وأبدت عذرها بمقالهـا وللصدق آيات عليه دليل
الست تراني القم الثدي لحظة وادفـع عنه والبلاء طويل
وحالي لحال العشق بات محالفاً يدور بدار الحيب وهو ذليل
يطأطىء حزنا رأسه بتذلل ويرفع أخرى والعويل عويل

وفي أول رجب سنة الف ومائتين وتسع وسبعين توجه إلى الحجاز من جهة البحر ، فنزل من بيروت إلى الاسكندرية ثم إلى مصر ، بكل عز وإكرام ، ثم إلى مكة ، وبعد أيام أخذ الطريقة الشاذلية عن العارف بالله الشيخ محمد الفاسي واختلى مدة في غار حراء فبلـغ مطلوبه ونال مرغوبه ، وفتحت له كنوز الأسرار وكشف له عن رموز الأستـار ، وبرقت له البوارق ووردت عليه الواردات من المنهل الرائق ، وبعد خروجه من غار حرا ، توجه إلى الطائف الشريف فمكث هناك نحو ثلاثة أشهر ، وهو على اشتغاله واجتهاده في الطريق ، ونظم هناك قصيدته التي يذكر بها بدايته ونهايته ، ويمدح بها شيخه ويذكر خلافته وولايته ، وأولها :

أمسعود جاء السعد والخير واليسر وولت جيوش النحس ليس لها ذكر

إلى أن قال :

أتاني مربي العـارفين بنفسه ولا عجب فالعسر من بعده يسر
وأعني به شيخي الإمام وعدتي لهيبته تغضي له الأسد والنمر
محمد الفـاسي له من محمد كمال الرضى والحال والشيم الغر
أبو حسن لو قد رآه أحبه وقال له أنت الخليفة يا بحر

إلى آخرها ، وهي طويلة ذكر بهـا أسراراً وأموراً تدل على بعض ما حصل له من الفتح الرحماني والكشف الصمداني .

---

(١) ولد الناقة قبل أن يفصل عنها .

وفي أول يوم من رجب سنة ثمانين ومائتين والف ، توجه إلى المدينة المنورة من طريق جدة ، فدخلها في اليوم السادس والعشرين من رجب ، واستقبله أشرافها وحكامها وعلماؤها ، ثم بعد مدة طلب من حضرة الهمام الشريف صاحب المقام المنيف السيد أحمد أسعد أن يهيء له محلاً يختلي فيه للعبادة مدة ، فهيــأ له المحل الذي كان لسيدنا الصديق قدس الله سره وبابه من المسجد الشريف ، فاختلى فيه شهرين ، وحصل له ما حصل ووصل إلى ما اليه وصل ، ولم يزل في المدينة الشريفة والبلدة المنيفة ، إلى أن حضر ركب الشام فتوجه معه إلى مكة والبلد الحرام ، وبعد إتمام حجه توجه إلى "جدّه" في الرابع عشر من ذي الحجة الحرام ، وفي التاسع عشر ركب في الوابور[1] المصري ، ولم يزل تستقبله الولاة والكبراء والعلماء والوزراء ، إلى أن دخل دمشق الشام ، في التاســع عشر من المحرم سنة اثنتين وثمانين ومائتين والف فاستقبله الخاص والعام ، فقابلهم كعادته بالبشر والسرور والفرح والحبور ، وبعد استراحته من رحلته وسياحته سنة اثنتين وثمــانين ومائتين والف ، عزم على السفر إلى الآستانة لزيارة الخليفة الأعظم والسلطان الأفخم ، مولانا السلطان عبد العزيز خان ، فقابلته الدولة بما لاق وعاملته بما اشتهر في الآفاق ، واتاه حضرة الصدر الأعظم من طرف أمير المؤمنين بالنيشان العثماني من الرتبة الأولى ، وكان إذ ذاك مسند الصدارة العظمى حضرة فؤاد باشا . وفي تلـك الأيام قدم المترجم الرجا والشفاعة لحضرة أمير المؤمنين في تسريح الذوات الشاميين المنفيين الى قبرص [2] ورودس [3] فقبلت شفاعته وخرج الأمر العــالي

---

(١) الباخرة .

(٢) جزيرة في البحر المتوسط ، أرضها زراعية ، وجبالها غنية بمناجم الذهب والنحاس .

(٣) جزيرة شرقي الأرخبيل اليوناني وهي الآن تابعة لليونان .

بتسريحهم ، وقد تعرض لذلك العالم الجليل، والفاضل النبيل ، مفتي اللاذقية السيد عبد الرزاق افندي فتاحي الحسيني في موشحه الذي قدمه لحضرة مولانا المترجم المرقوم وهو :

سلت لفتكي من الأحداق هنديا خود حكى قدها بالميل خطيا

دور

رشيقة القد بالأعطاف تسبيني تسمو بطلعتها حسناً على العين

رضابها العذب منه الرشف يحييني وقد دعاني بفرط الوجد مسميا

دور

يا بانة اللطف كم ذا تهجرين الصب منّي بطيب اللقا وارعي حقوق الحب

متى تجودين يا أخت المها بالقرب لمغـــرم قد غدا بالشوق مضنيا

دور

مالي إذا ماجفا الأحباب أو بعدوا سوى الأمير الذي وافى به الرشد

السيد الشهم عبد القادر السند مولى غدا عَرفه في الكون عطريا

دور

سليل ذي الفضل محي الدين والحسن في نسبة منتهاها صاحب السَّنن

بدر الجزائر من وافى على سَنن غدا به عند رب العرش مرضيا

دور

في فتنة الشام كم وفى من الهمم حتى حكى صنعه ناراً على علم

وقد حبته ملوك الأرض بالنعم وللفخار نياشينا زهت زيا

دور

وقد أتم صنيع الخير حيث سرى لباب سلطاننا الأسمى الرفيع ذرا

يرجوه اطلاق من في النفي فاعتبرا منه المقـــام وبالبشرى له حيا

دور

وقد بلغنا جميعاً غاية الأمــل بحسن اقدام هذا السيد البطل
من فاق فينا بحسن العلم والعمل لازال دهراً من الأسواء محميا

وله في ذلك أيضاً :

بشرى فقد نلنا المنى والغم زال والعنــا

دور

الله عــودنا الجميــل من فيض احسان جزيل
لابد للخطب الجليــل من منحة فيها الهنــا

دور

كم شدة ذاب الفؤاد منها وجــافانا السهاد
قد حفها لطف فعاد فيها لنــا يسر دنا

دور

صبرا أخا العقل السليم ورضى بتقدير الحكيم
فالله ذو الفضل العظيم فبفضــله قد عمنــا

دور

بالصبر قد حزنا الفرج وبه لنا فــاح الأرج
والغم زال كذا الحرج مع كل كرب أحزنا

دور

قد فاز عبد القــادر رب الكمال البــاهر
بجزيل أجــر وافر لمــا بذا الخير اعتنى

دور

بدر الجزائر ذو العلا من فاق قدراً في الملا
بحــر لورّاد حــلا وفي العطــا مولى الغنا

دور

ليث الوغى رب الندى سامي الذرا شمس الهدى
أهل التقى نور بدا يمحو الدياجى بالسنا

دور

في فتنة الشام الشريف قد سكن الخطب المخيف
بحزمه الوافي المنيف خف البلا عن قطرنا

دور

للوسع أضحى باذلا وقد رقى منازلا
وله الملوك عاجلا أهدوا نياشين الثنا

دور

ثم انتضى العزم الوفي لرد من منا نُفِي
فنحا حمى الليث الصفي بدر الملوك عزنا

دور

سلطاننا عبد العزيز غوث الملا الحرز الحريز
سامي الذرى الغوث المجيز من بالمراد أمدنا

دور

الى حماه قد ورد قد فاز منه بالمدد
وأجابه فيما قصد وعفا له عمن جنى

دور

وحباه نيشان افتخار وأحله أوج الوقار
فسما له ذكر وسار مع ما من الخير اقتنى

دور

ندعوك رب العالمين بالمصطفى طه الأمين
أيد أمير المؤمنين سلطاننا غوث الدنا

دور

واعطف بفضـــل وافر للشهم عبد القـــادر
سبط النبي الطـــاهر من قد هدانا سبلنـــا

ذور

واحفظ لنـــا اشباله وامنحهم اقبـــاله
يســـر له آمـــاله وافتح له يا ربنـــا

وبعد أن أقام حضرة الأمير المترجم مدة شهرين في الآستانة ، توجه الى فرنسا فاهتز القطر لقدومه ، وتحرك لاستقباله ركن العاصمة من حاكمه ومحكومه ، ونال من القدر أعلاه ومن الاحتفال اجلاه وأولاه . وقابل الامبراطور نابليون وجلس معه ساعة وبذل له من الاحترام اقساعه ، ثم بعد أيام رحل الى لوندرا مملكة الانكليز ، وحصل له من الدولة والأهالي كل قدر عزيز ، ثم بعد تمام اطلاعه على تلك المحلات رجع الى باريز ، وغب وداع الامبراطور ورجال الدولة توجه إلى وطنه دمشق الشام ، وكان قد زيد له في معاشه في كل سنة خمسون الف فرنك ، فصار جملة معاشه في كل شهر ستمائة ليرة فرنساوية ، اثنا عشر الف فرنك ، ولا زال في طريق رجوعه إلى الشام إلى أن وصلها ، لايمر على بلدة إلا ويقابل بكل مقام عال ، ولما أقبل على الشام خرج أكابرها وعلماؤها لاستقباله والسلام عليه ، فعاملهم بأحسن معاملة ولاطفهم غاية الملاطفة ، وكان يحادثهم بما أنعم الله به عليه تحدثا بنعمة الله تعالى .

وفي تشرين الثاني سنة الف وثمانمائة وتسع وستين الموافق سنة الف ومائتين وخمس وثمانين ، دعي الى حضور فتح خليج السويس كما دعي الى ذلك أعيان العالم ، فاجتمع في مصر بامبراطورة فرنسا وكان له منها الاحتفال العظيم والالتفات الجسيم ، ثم عاد إلى الشام بعد مدة قريبة . وفي سنة الف ومائتين وتسع وتسعين ، خرج ومعه بعض أولاده السادات

وبعض خواصه وخدمه إلى طبرية وصفد ونواحيها للتنزه والفرجة ، وكان الوقت وقت الربيع ، وأقام في تلك الرحلة نحو أربعين يوماً ، وكان لي بحمد الله منه الحظ الأوفى الأوفر والالتفات الأجدى الأجدر ، والعناية العالية والبشاشة السامية ، وحضرت عليه مع من حضر كتاب فتوحات الشيخ الأكبر ، ورسالة عقلة المستوفز له ، وكتاب المواقف للمترجم المرقوم ، وهو كتاب كبير في الواردات التي وردت عليه [١] ونسبت إليه . وكنا لا يرد علينا إشكال من آية أو حديث أو غير ذلك إلا وأجاب عنه بأحسن جواب ، من فتح الملك الوهاب ، وكان في كل مدة قليلة يدعونا إلى بعض محلاته خارج البلد ، فكان يدخل علينا كل سرور ويفرغ علينا كل حبور ، وفي كل سنة في أيام الصيف كان يخرج إلى قصره في أرض دمر ، فكان يأمرني بالخروج معه ، ولا زلت ملازماً لها إلى أن توفي .

وفي غرة رجب سنة الف وثلاثمائة ابتدأه مرض المثانة وحصر البول ، ولا زال يقوى عليه إلى الساعة السابعة من ليلة السبت التاسع عشر من رجب ، فدعاه مولاه إلى جنابه وفسيح رحابه ، وذلك في قصره في قرية دمر ، فلما أصبح الصباح ماج الناس بالعويل والصياح . ونقل في عربته من قصره في دمر إلى داره في الشام ، ثم غسل في داره بحضرة العلماء الأعلام ، وصلي عليه في جامع بني أمية في مشهد لم يسبق لمثله ، وخرج معه الناس أجمع مع الخضوع والتذلل ، إلى أن دفن في الصالحية من دمشق في مدفن الشيخ الأكبر محي الدين العربي شمالي قبره الشريف ، ليس بينه

---

(١) وله « ذكرى العاقل » في العلوم والأخلاق و « الصافنات الجياد » في الخيل وصفاتها و « المواقف » ثلاثة أجزاء في الواردات الإلهية (تصوف) و « ديوان شعر » وكلها مطبوعة .

وبين الحائط الشمالي قبر آخر وكتب على بلاطة القبر الشريف من نظم الأخ الفاضل عبد المجيد افندي الخاني .

لله أفق صار مشرق دارتي قمرين هلا من ديار المغرب
الشيخ محيي الدين ختم الأوليا قمر الفتوحات الفريد المشرب
والفرد عبد القادر الحسني الأمير قمر المواقف ذا الولي ابن النبي
من نال مع أعلى رفيق أرخوا أزكى مقامات الشهود الأقرب

في تاسع عشر رجب سنة ألف وثلاثمائة

وقد رثاه كثير من العلماء الأعلام والشعراء الأدباء الكرام ، منهم العلامة محمد اسحق افندي الأدهمي الطرابلسي :

قامت عليك قيامة العلماء يا سيد العلماء والأمراء
وبكتك أجفان المكارم والعلا يوم النوى ممزوجة بدماء
هذا مصاب ما أصيب بمثله الإسلام بعد السادة الخلفاء
من لليتامى والأرامل يا ترى بعد الأمير ومن إلى الفقراء
ومن الذي يولي الجميل تفضلا ويجود بالصفراء والبيضاء
ومن الذي يرجى لهذا الدين إن خفنا عليه سطوة الأعداء
من للمساجد والرياضات التي ارضيت فيها عالم السراء
تالله من بعد الأمير المرتضى ماثم إلاّ كاشف الضراء
مات الأمير السيد الحسنيّ عبد القادر ابن السادة الكرماء
أسفي على قمر بأفق سما العلا قد كان يحلف[1] غرة الظلماء
القانت الأوّاب من أحيت موا قفه لنا العربيّ ذاك الطائي
علامة الآفاق ذاك العارف الغو ث المعظم بضعة الزهراء
أسفي على من كانُ يستسقى به صوب الغمام وصيّب الأنواء

إلى أن قال .

أما الأمير فقد غدا في جنة المأوى وجاور أكرم الكرماء

(١) كذا في الأصل ولعلها : يكشف .

وغدا ينادي نلتُ ما أملتُه ... من خالقي وبلغتُ كل مناء
وسعادة الدارين حزتُ فأرخوا ... طيبا بحسن الظن من مولائي

سنة ١٣٠٠

وهي قصيدة طويلة تزيد على ثمانين بيتاً .
ورثاه أيضاً الشيخ طاهر افندي المغربي السمعوني فقال .

خطب جسيم عم بالأكدار ... ما بعده لسواه من مقدار
لو يعتري صم الجبال لأصبحت ... دكا تنثر مثل نثر غبار
ولو اعترى نوع النبات لما نما ... ولصار مثل الترب والأحجار

إلى أن قال :

لو كان في الموت الفداء فداه ... م كل سميدع ندب من الأحرار
لكنه أمر على كل الورى ... متحتم في سابق الأقدار

إلى آخرها :

وممن رثاه حسن افندي بيهم البيروتي :

بأي جناح سامنا صرفه الدهر ... أم الدهر خب من خلائقه الغدر
وعن حسد ماانتابنا من خطوبه ... وما نابنا إلا الخديعة والمكر
هو الدهر لم يحسن لمن كان قبلنا ... ولا يرتجى خير الذي طبعه الشر
يمد لنا بالنائبات أكفه ... أليس لهذا المدّ عن مَسّنا جزر
ويبغي ولا يبغي البقاء لغيره ... ولابدّ يوماً أن يذوق الردى الدهر
ويحسدنا في كل شهم سميدع ... ولا عجب إذ كان في طبعه كبر
فليس من الحزم الوثوق بعهده ... فما عهده إلا الخلابة والخفر
لقد زادنا طعناً فأدمى قلوبنا ... وقابلنا بالكسر فامتنع الجبر
وأورثنا ريب المنون مصيبة ... لها ارتجت الأفلاك وانقضت الزهر
لها الأرض مادت والجبال تزلزلت ... لها صعق الأحيا وقد قضي الأمر

ومنها :

بها جاء ناعي البرق يرعد قلبنا | فأمطرت الآماق ما ضمه الصدر
عشية عين الغرب حجّب نورها | دجى الشرق حتى لا يخال له فجر
مصاب به العلياء تبكي أميرها | وكل امرىء من ذا المصاب به شطر
أجل مات عبدالقادر الحسنيّ مَن | به سادت السادات وافتخر الفخر

ومنها :

به ملتقى البحرين للعلم والندى | ففي صدره بحر وفي كفه بحر
وكانت أياديه ولا منّ بعدها | مناهل جود ليس يسبقها نهر

وهي طويلة تنوف عن خمسين بيتاً

وممن رثاه أيضاً الأديب الأريب أبو النصر افندي السلاوي المغربي فقال :

على نفسه فليبك من كان باكيا | فما مات من نال الحظوظ العواليا
هو الحق والدنيا لعمرك باطل | ومن ينأ عنها كان للخير دانيا
وما الناس الا بين نوم ويقظة | يسومون بالبخس النفوس الغواليا
وأي امرىء آتاه مولاه رشده | غدا زنده نحو الترحل واريا
ومن لم يسر في يومه سار في غد | الى حيث القى السابقون المراسيا
بلى كل نفس سوف يأتي كتابها | ويحظى بعقبى الدار من كان راضيا
لنا في رسول الله يا قوم اسوة | نقضّي بها أيامنا والليـــاليا
وليس سوى التسليم والصبر ملجأ | اذا زلزل الخطب الجبال الرواسيا
لئن ساءنا فقد الأمير فإننـــا | بمطلوبه العالي نمني الأمانيا
تولاه مولاه الذي يبسط العطا | لمن شاء بالحسنى ويجزي المواليا
ترقت به النفس الشريفة للعلا | ولبت الى نعم الرفيق المناديا
وما ذاك الا انه كان سالكا | سبيل الهدى بعد النبيين راعيا
مشيداً عماد الدين من شرع جده | مقيماً حدود الله بالعهد وافيا

رؤوفاً رحيماً دائم الشكر والرضى حليماً علياً للفضائل حاويا
سميعاً بصيراً لا ارى غير انه سواء لديه الأمر جهراً وخافيا
يمـد أيادي المحسنين بفضله ويغفر للمستغفرين المساويا
ويبسط للراجين من بحر جوده على الرفد والإقبال منه الأياديا
وكم من سحاب كان للناس ممطرا سواريه تحكى من عطاه الغواديا
وكم نعمة من فضله طاب غرسها لدينا ونرجو أن تدوم كما هيا
وانا وان كنا فقدناه واحدا وقد عز ان يأتي به الدهر ثانيا
فأنجاله الأمجاد فيهم كفاءة بإحرازها حازوا الثنا والمعاليا
على انه القى إليهم زمامها فقادوا باسباب الكمال النواصيا
وارشدهم حتى أتاه يقينـه وجد الى دار السعادة ساريا
فهم بعده أقمار مجـد صفاتهم نجوم عن الأرجاء تجلو الدياجيا
ونعم الكرام الفائزون بألفة ترد الردى عنهم وتردي الأعاديا
الا يا بني قطب الوجود تمسكوا بحسن التواخي تشكرون المساعيا
وكونوا من الدنيا على قلب واحد تنالون بالحزم الحظوظ القواصيا
ولا تأسفوا فالصبر أجدر بالفتى إذا أبرم الرحمن ما كان قاضيا
هنيئاً له بالبشر والفوز انه غدا مكرماً في جنة الخلد راضيا

ولــه أيضاً مؤرخاً

يا طالب الإمداد دونك روضة قد حل في أرجائها القمر المنير
الفرد عبد القادر الحسنيّ من هو في الحقيقة وارث القطب الشهير
تاقت لحضرته الكريمة نفسه فحوى بحسن جواره حسن المصير
بشرى لمن وافى رحاب ضريحه يرجو اغاثته اذا عز النصير[1]

(١) مغيث المستغيثين هو الله رب العالمين جلّ وعلا « إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم » .

فبسرّه تقضى الحوائج كيفما كانت بعون عناية الملك القدير
ولذا لسان الحال قال مؤرخاً حيٌّ بدار الخلد مولانا الأمير

ومن رثاه العالم المجيد ، والشاعر الذي حكى شعره شعر لبيد ، فقال

انما الدنيا وان طال مداها ليس للمرء بقاء في حماها
دأبه الفكر بما يعمرها وهو منقول الى دار سواها
لو درى مقدار ما يحيا بها آثر الزهد ولم يعشق غناها
هو منها دائماً في خطر وترى خاطره في مشتهاها
انه عما جرى منه بها غافل كالعين لم تنظر قذاها
لا يلم من لامه في حبها حيث يعطي نفسه فيها هواها
هي شوهاء عجوز انما تتجلى كعروس في حلاها

الى أن قال :

فجعتنا بأمير كامل كان يهدي كل نفس لهداها
هو عبد القادر الشهم الذي قد حوى بين الملا عزاً وجاها
سيد انْ ذكرت أوصافه يعبق المحفل من طيب شذاها
أصله في الأرض أضحى ثابتاً وله فرع تسامى لسماها
كان ذا علم وحلم وتقى ووقار وسماح لا يضاهى
كان للآداب سوقاً أهلها ربحت انفسُهم منه مناها
كان في الغرب وفي الشرق حمى يرتجي الناس به دفع أذاها
ودمشق الشام منه قد خلت كسماء فقدت شمس ضحاها
اسفا لو يُقبل الموت الفدا لفدته كل نفس برضاها
أي عين قد بكته دهرها فلتلك العين عذر في بكاها
قبره لو انه يدري بما حازه ساكنه تاه وباهى

الى آخر القصيدة . وممن رثاه أيضاً الشيخ ابراهيم الأحدب :

أصم نداء الخطب المجد مسمعاً ... وراع المعالي والعوالي بما نعى
وهذا منار العز لفح سمومه ... وماصدّ عن هام العلى حين صدعا
تداعى له ركن الفخار وقد هوى ... به كوكب العلياء هولاً بما دعا
فلا كان يوم السبت يوم مصائب ... فقد جاء ظهراً فيه للنجم مطلعا
وقد راع أصحاب العبا وقع حادث ... بفقد امام جل في الكون موقعا
والوى بعبد القادر الدهر عاديا ... على قدر ساء الكرام وروعا

الى آخرها ، وهي طويلة تنوف عن ستين بيتاً .

وممن رثاه تاج الأدباء وقطب مدار الشعراء ، محمد افندي الهلالي الحموي فقال :

سهام قضاء الله ليس لها ردّ ... وكأس الردى ما من إذاقته بدّ
بلى كل شيء هالك غير وجه من ... له الحكم حتما لا شريك ولا ضد
محال اذا جاء المقـدر حيلة ... لمستعصم من أن يلمّ بد كد
عنـاء حياتي كلها بعد سيد ... به فجع الإسلام والعلم والمجد
واظلمت الأوطان حين بجسمه ... تنورت الأكفان وابتهج اللحد
سقى وابل الرضوان اعطر مرقد ... حوى بحر فضل ما لتياره حد
كأن لم يكن برّ كأن لم يكن تقى ... كأن لم يكن صدق كان لم يكن رشد
طوى الكل بعد النشر بعض من الثرى ... فلم يبق إلا الذكر والشكر والحمد
مضى الجود والاحسان والعفة انقضت ... وصاحبها العرفان والحلم والزهد
مضى ابن بني الزهراء حقاً لجده ... فيا حبذا الأبناء والأب والجد
معز اليتامى والأرامل كنزهم ... اذا الضبع الشهباء ذلت بها الاسد
بروحي بروحي آه لو يفتدى بها ... أمير بأمر الله جد به الجد
هنيئاً لجنات النعيم بقرب من ... أرانا جحيم الحزن من بعده البعد

هنيئاً لمحيي الدين قدس سرّه ... بجار حماه اليمن للجار والسعد
مصاب اصاب الدين لو ان بعضه ... على أحد لاندكّ من هوله أحد
قيامة رزء لو ترى الناس بالبكا ... محاجرهم جرحى وأعينهم رمد
لهم زحل (١) بالذكر لله والدعا ... وأدمعهم سحب وأهوالهم رعد
سكارى وما هم بالسكارى وانما ... وفاة ابن محيي الدين حق بها الوعد
سرى نعشه فوق الرقاب وحوله ... ملائكة الرحمن أنوارهم تبدو
لقد جل عن أن يدفنوه بروضة ... هي الروح والريحان والمسك والند
تقي نقي جاور الله في البقا ... وأقبل بالبشرى على القادر العبد
وقور غيور ناسك متواضع ... على انه المقدام والأسد الورد
على أنه البسام يوم كريهة ... إذا عبست من تحت فرسانها الجرد
فتى من رجال الله كان على العدى ... حساماً صقيلا لايفل له حد
فتى كان لايخشى من الخصم سطوة ... وليث الشرى (٢) حاشا يروعه القرد
فتى في سبيل الله كان مجاهدا ... وليس له إلا رضى ربه جهد
همام كميّ كم ازاح ملمة ... بسيفٍ رقابُ المعتدين له غمد
هزبر هصور في الجزائر كم له ... وقائع لايقوى على حصرها عدّ
سراج على سرج الجواد كأنما ... من الرعب والارهاب يقدمه جند
نعيناه للمحراب والحرب والندى ... فكل علاه الحزن والسهد والوجد
عطاء ولا منّ وعفو ولا حقد ... وجبر ولا كسر وودّ ولا صد
حسان مزايا بانتقال حليفها ... تعطل جيد المجد وانفصم العقد
لحى الله دارا للزوال نعيمها ... وأولها مهد وآخرها لحد
غرور حياة وهي غراء حية ... بأنيابها سم يمازجه الشهد

---

(١) كذا في الأصل ، ولم يظهر لي معناها ، ولعلّ أصلها : لهم زَجَلات الذكر والزجلات : صوت الناس وضجيجهم .

(٢) الشرى : مأسدة جانب الفرات يضرب بها المثل فيقال : « هو كأسد الشَّرَى .

فتاة تراها وهي شر عجوزة ... كما الدهر لم يصرم حبائلها الشد
تصيد البرايا واحداً بعد واحد ... فلم ينج منها لا كريم ولا وغد
مجـربة تبا لهـا من خؤونة ... فلا موثق منها يدوم ولا عهد
عروس ولكن المحال حليها ... لها المين مرط والخداع لها بُرد[1]
لعوب كما الصهبا بألباب أهلها ... تروح بهم طوراً وطوراً بهم تغدو
فما نصحت إلا وغشت وهكذا ... قياس قضاياها بنا العكس والطرد
شكونا ونرد[2] الدهر ليس بسامع ... وهل تنفع الشكوى إذا حكم النرد
فليس لنا إلا التوكل والرضى ... بما قد قضاه الواحد الأحد الفرد
فصبراً جميـلا انها لمصيبة ... يذوب أسىً من حرّها الحجر الصلد
ولكن إذا في نار حزن ثوى الحجا ... خبت ومع التسليم أخمدها البرد
وآل رسول الله أولى من الورى ... بأن يتحلوا بالوقار ويعتدّوا
هم الحسنيون الألى صوت صيتهم ... به ألسن الاحسان مابرحت تشدو
هم الكاظمون الغيظ والصابرون هم ... رياحين زهراء النبي إذا عدّوا
وهم عُدّتي في شدتي وذخيرتي ... بدنياي والاخرى هم القبل والبعد
ولا سيما أنجال من قد مضى ومن ... رحيق شراب الانس طاب له الورد
مصابيح فضل عظم الله أجرهم ... ولاساءهم من بعد مَن فقدوا فقد
وأبقاهم الرحمن للناس رحمة ... سحائبها يروى بها الغور والنجد
نعم كلهم نجب كرام ثوابت ... لدى الروع حتى ان أصغرهم طود
وأكبرهم من دونه الدهر همة ... بغيرة ندب أوحد ماله ندّ
محمد السامي سمـاء مقامه ... على الشمس لا نكر هناك ولا جحد
أمير وجيه الوجه والجاه كوكب ... منير به العلياء تم لهـا السعد
لاحسانه تصبو العفاة وحسنه ... تحن له ليـلى وتشتاقه هند

---

(١) المِرْط : كل ثوب غير مخيط ، وكساء من صوف وغيره يؤتزر به ، والبُرد : ثوب مخطّط ، وكساء من الصوف الأسود يلتحف به .

(٢) النرد : لعبة وضعها أحد ملوك الفرس ، وتعرفها العامة بلعب الطاولة (فارسية) .

بديع معان عن اداء بيانها لقد كلت الأقلام والألسن اللد
كفى بشذاه سيرة وسريرة فما الشيح ما القيصوم والبان والرند
ومـا غايتي بالمدح إلا تشرفي بأروع من بيت القصيد هو القصد
إليه سرت أسرار والده الذي بعدن مع الأبرار طاب له الخلد
وسار إلى المأوى بتاريخه وقد دعاه بجنات البقا رجب الفرد
سنة ١٣٠٠ ﻫ

عليه من الرب الرحيم السلام ما بكت مقلة وابتل من دمعها خد
وما ابن هلال راح ينشد قائلا سهام قضاء الله ليس لها رد

وممن رثاه مصطفى افندى رشدي :

قد طالما حاربتُ ضمن ضمائري جيش الخطوب ولا تجوب بخاطري
بل طالما خاطبت خطبي قائلا خاطرت ويحك ما الزمان بقاهري
هل كيف يقهرني الزمان ولي إلى فخر العلا نسب بود باهر
فأجاب وا أسفا على حامى الحمى مَه يافتى واندب بدمع وافر
ناديت مات المجد بل مات الندى من بعد ذي النعماء عبد القادر

إلى أن قال بعد أبيات كثيرة :

مذ قيل فاز بجنة أرخت كم بجنان خلد فـــاز عبد القادر
سنة ١٣٠٠

وممن رثاه طيب الله ثراه الشاعر الشهير عمر افندي البربير فقال :

لِمَ اسودت الدنيا ولم يك غاسق وأظلمت الآفاق حتى المشارق
خليلي رعاك الله قل لي ما الذي لقد صار في الدنيا فانك صادق
فهل آن خلي للقيامة وقتها ونفخ بصور ثم يصعق صاعق
وبعث الورى والحشر ثم وانه تقوم لرب العالمين الخلائق
أرى الكون مسوداً أرى الشمس لم تبن أرى البدر لم يسفر وما هو شارق
وان نجوم الأفق غير طوالع فلم يبد مسبوق ولم يبد سابق

وأين السما غير الظلام فلا يُرى ... ولو جـَدّ بالتحديق والوثق وامق
أزالت وإلا بالظـلام تحجبت ... فما شأنها قل لي فصدري ضائق
ومالي أرى الأطواد ليست بحالها ... فكم قدهوى طود وكم دك شاهق
ومالي أرى الأطيار خرسا ولم يكن ... عن الصدح والتغريد يسكت ناطق

إلى أن قال :

وما لم أزل فيه إلى أن أجابني ... وأدمعـه من مقلتيه دوافق
بصوت خفي قد يدق سماعه ... اجابة باك وهو بالدمع شارق
وقال نعم أودى خليفة مالك ... ومالك هذا العصر من لا يسابق
وجيه أولي التدقيق وهو أميرهم ... له نشرت فيهم عليه البيـارق
هو الشمس عبد القادر السيد الذي ... على فضله أهل العلوم تصادقوا

إلى آخر ما قال وقد أسهب فيها وأطال في حق هذا السيد المفضال .

ومن رثاه أيضاً خليل افندي البربير البيروتي فقال :

خطب ألم بنا أجرى العيون دما ... لقد شكى الخلق من أهواله ألما
فليندب المجد في الأكوان مظهره ... إذ راع ركن العلا والعز فانهدما
يا للمصيبة من خطب سطا وعدا ... فلم نجد أحدا من حزنه سلما
يا للنوائب من هول به كسفت ... شمس الهدى فكسا آفاقنا ظلما
رزء تداعت به شم الجبال وقد ... ألوى بها زعزع أضحت به عدما
يا للرزيئـة من رزء بوقعتـه ... انار في كل قلب بالأسى ضرما
كادت به الأرض من حزن تميد كما ... غدت هشيما به من هول ما صدما
هل بعدذا الخطب ما بين الأنام يرى ... خطب به كل جفن يرسل الديما
أو هل نرى بعده في الكون مزعجة ... تخفي السرور وتبدي الحزن والسقما
كلا لعمري فهذا الخطب صدمته ... قد زعزعت كل رأس قد غدا علما
أضحى به رجب يبدي لنا عجبا ... عشنا به فرأينا رزءه دهـما
شهر أصم به في الكون قد ظهرت ... نوائب أوقرت أسماعنا صمـما

يد المنون به اغتالت أمير علا فاغتالت المجد والمعروف والكرما
نتيجة الدهر عبد القادر العلم المـــولى الذي في البرايا قدره عظما
السيد السند الشهم الذي عظمت اخلاقه فاغتدى بين الملا علما
دوح السيادة تاج المجد بهجته ثغر المعالي بها قد كان مبتسما
انسان عين أولي العلياء سيد من سيب المكارم منهم سح وانسجما
أمير مجد سما هام السهى[1] شرفا وكان للعز والعلياء خير حمى
أمير حزم حكت آراؤه شهبا لكل مارد خطب رائع رجما
غوث الطريد وغيث اللائذين الى حمـــاه يمطرهم من جوده نعما
ناديه مصدر أنواع الندى أبدا ما مَنّ يوماً بما يعطي ولا سئما
أربى على كل ذي فخر بنسبته لسبط خير رسول بالفخار سما
بمجده سادت السادات وافتخرت وعقـــدهم بعلاه كان منتظما
أقواله درر أفعـــاله غرر وجه المعالي بها قد كان متسما

هذا وكان المترجم معظماً عند سائر ملوك البلاد الافرنجية فـــكانوا يطلبون صورته ويطلبون أن يكتب عليها ، فكتب على بعضها ما صورته :

لئن كان هذا الرسم يعطيك ظاهري فليس يريك النظم صورتنا العظمى
فثم وراء الرسم شخص محجب له همة تعلو بأخمصهـــا النجما
وما المرء بالوجه الصبيح افتخاره ولكنه بالفضل والخلق الأسمى
وإن جمعت للمرء هذي وهذه فذاك الذي لا يبتغي بعده نعما

وله نظم بديع ، ونثر فائق رفيع ، غير انها بعضها في الرقائق ، وأكثرها في الحقائق ، تدل على سمو معارفه ، وعلو عوارفه ، نفعنا الله به في الدارين بجاه محمد سيد الكونين . آمين .

---

(١) كوكب خفيّ من بنات نعش الصغرى ، ومنه المثل « أريها السهى وتريني القمر » للذي يسأل عن شيء فيجيب جوابا بعيدا .

الشيخ عبد القادر بن أحمد بن عطاء الله بن اسكندر الحلبي الحنفي المقري

أحد الحفاظ والقراء الموجودين بحلب الشهباء . ولد بها سنة ثلاث وخمسين ومائة والف ، وقرأ القرآن العظيم وحفظه وجوده على الشيخ المقري المتقن أبي محمد عبد الرحمن بن ابراهيم المعري نزيل حلب ، ولازم أبا عبد الله محمد بن صالح بن رجب المواهي القادري وقرأ عليه الدرر الفقهية والجامع الصغير في الحديث وسمع عليه الكثير من الأحاديث وغيرها ، وأخذ عنه الطريقة القادرية . وبعده لازم ولده أبا المواهب اسماعيل المواهي وجدد عليه الأخذ في الطريقة وغيرها ، وسمع عليه الكثير من الأحاديث الشريفة ، ولازمه السنين العديدة وانتفع بمجالسه ، وكان ينشد الموشحات والقصائد في حلقة ذكره والخلوة الأربعينية ويلازمه غالب الأوقات . وكان متوطناً في قلعة حلب وخطيباً بجامعها المعروف بجامع النور . وكان من القوم الأخيار ذوي الفضائل والآثار ، واجتمع به سنة الف ومائتين وخمس خليل افندي المرادي مفتي دمشق بحلب ، وشهد بفضله وعلمه وكماله . وتوفي المترجم المرقوم بعد ذلك ولم أقف على تعيين وفاته [١] .

الشيخ عبد القادر بن عبد الرحمن بن عبد القادر بن أحمد بن ابراهيم بن أحمد بن ابراهيم برهان الدين الدمشقي الصالحي البقاعي الأصل العدوي المعروف بالسقطي الحنفي

إمام الفضائل وعمدة ذوي الفواضل ، العالم المحقق والهمام المدقق ، عمدة الأكابر ونخبة ذوي المفاخر .

ولد بصالحية دمشق في منتصف رجب سنة اثنتين وثلاثين ومائة والف ، ونشأ

(١) في تاريخ حلب الشهباء أنه توفي في حدود (سنة ١٢٢٥ هـ) رحمه الله تعالى .

بها وقرأ القرآن الكريم على الشيخ علي بن سليم الصالحي ، وأخذ عن شيخه المذكور وعن العلامة الشيخ علي كزبر والعلامة عبد الله البصروي والعلامة الشمس محمد بن عبد الرحمن الغزي ، وأجاز له الماجد محمد بن عيسى كنان الكناني والشمس محمد بن ابراهيم التدمري والشيخ علي البرادعي ، وأخذ العربية والعقائد عن محمد بن أحمد قولقسز والعلامة الشيخ موسى بن أسعد المحاسني ، وسمع حديث الرحمة من علاّمة الوجود ابن عقيلة المكي ، والعلامة محمد بن الطيب المغربي وأجازوه جميعاً ، وحضر دروس العلامة الكبير الشيخ اسماعيل ابن الأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي . وأخذ عن صاحب الترجمة أجلاء دمشق وعلماؤها ، وتوفي سنة خمس ومائتين والف ، ودفن بقاسيون رحمه الله تعالى . وتولى وظيفة مشيخة الحرم السليمي ودرس بالمدرسة العُمرية وتولى إمامتها ، وقبره قريب من قبر الشيخ موفق الدين والعلامة الشيخ عبد الرحمن الداودي .

الشيخ عبد القادر بن يحيى بن عبد الرحمن بن محمد بن زين الدين بن عبد الكريم الدمشقي الشافعي الشهير كأسلافه بالكزبري

العالم الهمام ، والعامل الإمام ، ولد بدمشق في اليوم السابع عشر من جمادى الآخرة سنة تسع وثمانين ومائة والف ونشأ بها ، وأخذ عن علمائها الكرام كالشيخ محمد الكزبري والشيخ أحمد العطار وغيرهم . مات سنة تسع وعشرين ومائتين والف ودفن في مرج الدحداح .

الشيخ عبد القادر بن صالح بن عبد الرحيم بن محمد بن وهبة بن عيسى بن محمد رشيد بن عبد الرزاق بن محمد بن خالد بن شمس الدين ابن أبي محمد رشيد بن شمس الدين بن عثمان بن أحمد شهاب الدين ابن تاج الدين عبد الرزاق بن أبي النصر محي الدين بن محمد نصر بن عبد الرزاق بن العارف بالله عبد القادر الجيلاني قدس الله سره

الشافعي الدمشقي الشهير بالخطيب . ولد بدمشق سنة خمس عشرة ومائتين والف ، وقرأ على بعض العلماء الدمشقيين ثم انقطع للعلم وسافر إلى الأزهر وأخذ عن العلماء المصريين ، إلى أن صار يشار اليه ويعتمد عليه ، ثم عاد إلى وطنه دمشق الشام ، ولم يزل معدوداً من السادة العلماء الأعلام ، إلى أن توفي رحمه الله خامس شهر رمضان سنة ثمان وثمانين ومائتين والف ودفن في مرج الدحداح .

السيد عبد القادر بن أحمد بن عبد القادر الكوكباني

قال في البدر الطالع : هو شيخنا الإمام المحدث الحافظ المسند المجتهد المطلق . ولد كما نقل من خطه سنة الف ومائة وخمس وثلاثين ، نشأ بكوكبان ، ثم ارتحل إلى صنعاء ، فأخذ عن أكابر علمائها كالعلاّمة السيد محمد بن اسماعيل الأمير . وإني أذكر وأنا في المكتب مع الصبيان اني سألت والدي رحمه الله من أعلم الناس بالديار اليمنية فقال السيد عبد القادر يعني صاحب الترجمة . وبالجملة فلم تر عيني مثله في كمالاته ، ولم أجد أحداً يساويه في مجموع علومه ، ولم يكن بالديار اليمنية في آخر

مدته له نظير ، وهو رحمه الله تعالى من جملة من رغبني في تأليف شرح المنتقى ، فشرعت فيه في حياته وعرضت عليه كراريس من أوله فقال : إذا كمل على هذه الكيفية كان في نحو عشـــرين مجلداً وأهل العصر لا يرغبون فيما بلغ من التطويل إلى هذا المقدار ، ثم أرشدني الى الاختصار ففعلت ، فكمل بحمد الله وبيضته في أربع مجلدات ، ولم يكمل إلا بعد موته بنحو ثلاث سنين . وترجمه في النفس اليماني والروح الريحاني بقوله : السيد الإمام إنسان عين الأعلام ، صدر العلماء المعتمدين بدر الأئمة المجتهدين ، له العلوم الزاخرة ، والأحوال الشريفة الفاخرة ، والأخلاق النبوية والسيرة المحمدية ، من مشايخه الشيخان العلامتان عبد الخالق بن أبي بكر ومحمد بن علاء الدين المزجاجيان ، ومن أهل الحرمين السيد الإمام العلامة محمد بن الطيب المغربي الفاسي . وله من الأساتذة الكملة نيف وثمانون شيخـــا ، ومن المؤلفات ما يزيد على الأربعين مؤلفاً : منها حاشية القسطلاني وحاشية الجلالين وحاشية المطوّل ومختصره وشرح كفاية المتحفظ ، ومن مشـايخه أيضاً محمد حياه السندي المدني ، وقد ترجمه وامتدحه عمدة من العلمـــاء الأعلام ، منهم القاضي العلامة قال في جملة ترجمته : تسامى له السند العالي مع النسب الغالي ، مظهر السنة النبوية على رؤوس الأشهاد ، مبكتاً لأهل البدعة في الحاضرة والباد . ولقد قام بهذا الواجب أتم قيام ، وذب عن سنة جده بين الأنام ، وأدخلها إلى أذهان الفقهاء المقلدين ، وقبلها من له الفهم المكين ، والذهن السمين وسلك طريق المتقين ، ومال عن الاعتساف وآض إلى الانصاف ، فلله دره من عالم هَدَى وأمَالَ عن طريق الردى. امتدحه السيد العلامة علي بن محمد بن علي بن أحمد اليمني بقصيـــدة أبان فيها أوصـــافه الجميلة ، وأياديه الجزيلة . توفي رحمه الله سنة الف ومائتين وسبع .

السيد عبد القادر بن السيد درويش بن السيد محمد
ابن السيد حسين بن السيد يحيى الشهير
بابن حمزة الدمشقي الحنفي الحسيني

أحد أعيان دمشق الشام وأوحد علمائها الأعلام ، كان نبيهاً ذكياً وفقيهاً زاهداً تقيا ، عالماً عاملاً ماجداً فاضلا .

ولد بدمشق سنة خمس وثلاثين ومائتين والف ، ونشأ بها في الانكباب على التحصيل والطلب ، والتضلع في علوم الشريعة والأدب ، وحضر دروس الشيوخ الأعلام والسادة الفضلاء الكرام ، كالشيخ سعيد الحلبي والشيخ عبد الرحمن الكزبري والشيخ حامد العطار والشيخ محمد أكرم الأغواني . وله مؤلفات كثيرة ، منها رسالته في التوحيد المسماة بالرسالة الحمزاوية بالتوفيق بين الماتريدية والأشعرية ، ورسالته في فضل آل البيت ، ورسالة في الرد على من قال ان قراءة الفاتحة خلف الإمام أحوط . وقد ولي أمانة الفتوى أيام حسين افندي المرادي مفتي دمشق الشام . مات رحمه الله تعالى بدمشق سنة تسع وسبعين ومائتين والف ، عاشر شهر رمضان المبارك ودفن في مرج الدحداح .

الشيخ عبد القادر افندي بن عبيد الله الكردي
ثم الماوراني البغدادي الحيدري

قد ترجمه عثمان افندي الحيدري بن سند فقال ما ملخصه : البليغ المنطيق المفلق السري ، جمع الفصاحة في برود كلماته ، والنباهة في مطاوي مبدعاته ، إذا أخذ في أخبار الماضين وجدته بحراً عجّاجا ، وإن سرد الأحكام أبدع تقريراً وإنتاجا ، كأنما الأحكام في صدره مرقومة ، واللطائف

في لسانه مصورة منظومة . (إلى أن قال) : اجتمعت به سنة أربع عشرة بعد المائتين والألف فرأيته قد استكمل من الكمال أعلاه ومن العلم أولاه . طلب العلوم على جهابذة سادة وأفاضل قادة ، وكان لطيف المجالسة حسن المؤانسة ، له شعر ذو أمثال سائرة ، وتشبيهات بديعة نادرة ، وفوائد أدبية ونوادر قريضية [١] :

وإذا نظرت إلى نوادر شعره ... أبصرت فيه فصاحة لا توصف

يذر النوادر للبيان كأنها ... دور بعقد أو جمان [٢] يوصف

تولى قضاء البصرة مرتين ، فكان للقضاء والحكم بالحق قرة عين .

وقد مدحه عثمان افندي سند سنة الف ومائتين واثنتين وثلاثين بقوله :

حكَمٌ إذا حققت فيه رأيته ... لا جهل فيه ولا تعسف أو شطط

كم حكمة أبدى لنا في مشكل ... لو لم يزله لكان ليلا لم يغط [٣]

ما أشار إلى معنى إلا أبداه ولا مشكل إلا أجاب إذ ناداه ، ولا غرو فآباؤه كلهم نجوم ، وأعمامه ولاة المنثور والمنظوم . توفي رحمه الله بعد الخمس والثلاثين والمائتين والألف . رحمه الله تعالى .

عبد القادر بن أحمد بن محمد بن مسلم بن ابراهيم بن عيسى بن مسلم الصمادي

القادري شيخ الطائفة الصمادية بدمشق الشام ، ومرشد الفرقة القادرية ذات الاحترام ، كان مستقيم الأطوار مقصوداً لبلوغ الأوطار ، مشتغلا بالطريق والاستمداد حسن السلوك والارشاد ، زاهداً عابداً خاشعاً متواضعا ، نبيها فقيها عالما بعلمه فائقا في فهمه . مات سنة ثمان وعشرين ومائتين والف ، ودفن في باب الصغير قرب قبر الشمس الكزبري .

---

(١) شعرية .

(٢) الجمان : اللؤلؤ ، والواحدة : جمانة .

(٣) لم ينخ ، ولم يبعد .

الشيخ عبد القادر بن الشيخ ابراهيم بن الشيخ مصطفى الخلاصي الحنفي الدمشقي الطبيب

ولد في دمشق الشام وأخذ عن والده علم الطب حتى برع به ، ثم قرأ بقية العلوم على شيوخ دمشق وأجازوه بما تجوز لهم روايته به . وكان كثير الاستفادة حسن الإفادة ، ذكياً بارعاً عارفاً بدقائق الطب ، استاذاً قد انتهت اليه رئاسة معرفة الأمراض وتشخيصها وكان له في رؤية المرضى أمور خارقة للعادة تدل على كمال علمه ومعرفته . وكان كثير التردد على والدي المرحوم وكان يسأله كثيراً عن بعض مشكلات ، وقد أخذ عنه واستجازه فأجازه . وكان حسن الهيئة لطيف المعاشرة جميل الملاطفة غزير العلوم . شرح الدر المختار وألفية ابن مـالك وله عدة تآليف وجملة من التصانيف . مات بدمشق سنة الف ومائتين و . . . . ودفن بباب الصغير .

الشيخ عبد القادر الديلاني النقشبندي الخالدي

إمام في العلم والعبادة ، قد استوى على عرش القناعة والزهادة ، ثم أقبل على الطلب إقبال المشغوف وحضر دروس الأفاضل حضور الملهوف ، واعتصم بحبل العمل وفاز من دهره بالأمنية والأمل ، وساد بين النـاس وكان مشهوراً باللطف والإيناس ، ثم بعد مضي أيام الطلب وفوزه بما رجا وطلب ، أخذ الطريقة الشريفة النقشية عن عالم الوقت والعصر الشيـخ خالد شيخ الحضرة العلية ، فخدمها حق الخدمة واجتهد بها اجتهاداً عالي الهمة ، ولم يزل إلى أن وجد به الأستاذ كمال الاستعداد للإرشاد ، فخلفه وأذن له باعطاء الطريق لذوي الأهلية لنوال المراد ، وكان الأستاذ كثيراً ما يحيل تربية المريدين اليه ويعتمد في عمل اللوازم عليه . توفي سنة الف ومائتين ونيف وأربعين .

السيد عبد القادر البرزنجي النقشبندي الخالدي

العالم العامل الزاهد الورع العابد الخاشع الناسك . أخذ عن علماء عصره ، ثم أخذ الطريقة النقشبية عن عالم زمانه ومرشد وقته وأوانه الشيخ خالد شيخ الحضرة ، ولما وجد فيه الأهلية أذن له في الإرشاد . توفي سنة الف ومائتين وخمس وأربعين تقريبا .

القاضي عبد القادر الرضوي لاورتقباوي من أدباء الهند والعجم

غواص لجج البيان ، المقرط بدرر بدائمه الآذان ، فمن لطيف شعره :

صدر الورى فخر أهل الهندقاطبة	علامة العصر مولانا غلام علي
لقد أقر على الأفلاك أخمصه	وجل في المنصب العالي عن البدل
في قلبه من سنا العرفان بارقة	وفي يديه زمام العلم والعمل
أملى لنا سبحة المرجان مرحمة	وأثبت المنة العظمى على المقل
أتى بمعجزة غراء ناسخـــة	صحائفاً صنفت في الأزمن الأول
كجده باهر الإعجاز حيث محا	كتابه صحفاً من معشر الرسل
أبقى إله الورى فينا إفـــادته	ما نضر الغيث نبت السهل والجبل

السيد عبد القادر افندي بن السيد تقي الدين القدسي الحلبي الكاتب الثاني في المابين (١)

قد ترجمه سعادة أحمد عزت باشا في كتابه المسمى بالعقود الجوهرية في مدائح الحضرة الرفاعية فقال :

صاحب الخصائل الممدوحة والآداب والمعرفة ، تدفق ذكاء وتجسم حياء

(١) في الديوان الملكي .

قد صيغت أخلاقه من النسيم ، وتهذبت أطواره بحكم التجاريب من الحديث والقديم ، فهو من بيت شرف وعز مستديم . كان أبوه نقيب حلب الشهباء ، وجده مفتيها ومرجع العلماء ، فهم فيها عماد الشرف والمحامد ، وركن الطارف والتالد .

ولد حفظه الله بحلب سنة ست وأربعين ومائتين والف ، وترعرع في حجر والده ونشأ على حال عظيم من الكمال والتقوى والأدب ، وتلقى علوم العربية والفقه وغيرها من علوم السنة عن أفاضل حلب ، ثم أتقن بعدها اللغة التركية والفارسية ، وأحسن المنثور والمنظوم في اللغتين العربية والتركية ، وله فيها الآثار الحسنة ، والأفكار المستحسنة ، ومن أعظمها انه ترجم كتاب البرهان المؤيد مؤلف حضرة الغوث الرفاعي رضي الله عنه من العربية إلى التركية ، ورسالة رحيق الكوثر التي هي من كلام الغوث الرفاعي الأكبر أبدع فيها كل الابداع ، وترجم المجالس الأحمدية . وله غير ذلك من المآثر العديدة والآثار الحميدة ، ما تتزين به الصحائف والأوراق وتهتز لها الأغصان بالأوراق . وقد تقلب منذ نشأ في خدمة الدولة العثمانية حتى أحرز المراتب العلية والمناصب السنية ، وهو الآن الكاتب الثاني في المابين للجناب العالي السلطاني لا زال ملحوظاً بالأنظار الخفية والجلية بكل غدوة وعشية ، وله نظم رقيق ونثر بكل مدح حقيق ، ومن نظمه تخميسه على قصيدة حسن افندي البزار الموصلي في مدح السيد أحمد الرفاعي قدس الله سره آمين وهي :

يا سادتي فضلكم في الصحف مكتوب   وحبكم بلسان الشرع مندوب
والحمد لله اني فيه مسلوب   قلبي اليكم بأيدي الشوق مجذوب
والصبر عن قربكم للوجد مغلوب

ولست أبغي براحاً عن مودتكم   حسبي أعدّد خيلاً في عشيرتكم

وقد فنيت بكم من فيض همتكم ... لا أستفيق غراماً في محبتكم

وهل يضيق من الأشواق مسلوب

عسى باسعافكم أستحصل الأملا ... فالصبر مرٌ وفيكم للمحب حلا

كم ذا أقول وقيد البعد قد ثقلا ... يا قلب صبراً على هجر الأحبة لا

تجزع لذاك فبعض الهجر تأديب

لعل يوماً بلطف منهم يصلوا[1] ... أسير هجر وحبل الوصل يتصل

فلا تحد عنهمو مهما بدت علل ... همو الأحبة إن صدوا وإن وصلوا

بل كل ما صنع الأحباب محبوب

والقصيدة طويلة ذكرها بتمامها صاحب العقود الجوهرية ، وهي تدل على كمال صاحب الأصل والتخميس ، والأصل مذكور بتمامه في ترجمة صاحبه[2] توفي في الآستانة سنة الف وثلاثمائة وعشر تقريبا .

الشيخ عبد الكريم البرزنجي

من سلسلة طيبة طاهرة ذي نسبة باهية باهرة ، لهم الفضل الأعلى ، والقدر الأجل الأجلى . وقد ترجمه الإمام الكامل والهمام العالم العامل ، أديب العصر وزينة كل قرية ومصر ، السيد عثمان بن سند العراقي في كتابه أصفى الموارد فقال : العالم الذي عرفت العلوم مقداره وأرتعه روض الدقائق نوره وبهاره ، والمحقق الذي أقعده التحقيق على ربوة الصدارة ، والمدقق الذي نشر فضله على النيرين ازاره ، والنسيب الذى شرف الجوزاء

(١) نصب (يصلوا) على إعمال أن قبلها مقدرة .

(٢) نقل هذه الترجمة الأستاذ الطباخ ، وعزاها إلى المؤلف ، وذيّلها بما كتبه ابن أخي المترجم السيد تقي الدين إلى الشيـخ راغب ، بما تولاّه عمه من المناصب في ديار الشام وفي الآستانة ، وكان نائباً في المجلس النيابي (سنة ١٢٩٢ هـ وسنة ١٢٩٣ هـ) وتولى مناصب في تركية ، عيّن آخرها كاتباً ثانيـاً في الديوان الملكي وبقي فيه إلى تاريخ وفاته (سنة ١٣٠٩ هـ) .

ذكره والشريف الذي أعرق في الشرف سره ، والسيد الذي مكانه من السؤدد صدره . قرأ على السادة الأفاضل وأخذ عنه ذوو الفضائل والفواضل ، ممن طار ذكرهم في الأقطار وافتخرت بهم مصرهم على الأمصار . وممن قرأ عليه وجلس للأخذ عنه بين يديه ، العالم الشهير والفاضل النحرير ، والعارف بالله والمقبل عليه في سره ونجواه الشيخ خالد شيخ الحضرة النقشبندي الكردي الشافعي ، فقرأ على المترجم كتباً جمة ، وحضر مجالس علومه بالجد والاجتهاد وعلو الهمة ، وكان رفيع المقام شامخ القدر والاحترام ، ليس له من عيب لقالٍ سوى انه في عصره فرد بلا مثال ، وإقباله على الله دائم ولا تأخذه فيه لومة لائم . ولم يزل كذلك إلى أن توفي رحمه الله تعالى وذلك في السليمانية عام الف ومائتين واثنى عشر ودفن بها .

الشيخ عبد الكريم بن محمد بن عبد الجبار بن محمد الحلبي الحنفي الماتريدي

أبو محمد كمال الدين العالم الواعظ الفقيه والإمام الفاضل النبيه . ولد سنة أربع وعشرين ومائة والف وقرأ القرآن العظيم ، واشتغل بالأخذ والتلقي والسماع والقراءة ، فقرأ على والده وسمع عليه الكثير من الأحاديث وكتب المتون والأسانيد وانتفع به ، وعلى أبي الفتوح علي بن مصطفى الميقاتي الدباغ والبدر حسن بن شعبان السرميني وقاسم بن محمد النجار وأبي عبد الفتاح محمد بن حسين الشهاب وأبي محمد عبد الكريم بن أحمد الشراباتي وأبي المحاسن يوسف بن حسين بن درويش الدمشقي الحسيني المفتي والنقيب بحلب وأبي الثنا محمود بن شعبان البرستاني وأبي محمد عبد السلام بن مصطفى الحريري وآخرين ، وأجازوه ، وارتحل إلى دمشق وسمع بها على أبي النجاح أحمد بن علي المنيني الخطيب في جامع بني أمية وشرف الدين موسى ابن أسعد المحاسني وأبي الفدا العماد اسماعيل بن محمد جراح العجلوني

وأبي الحسن علي بن أحمد كزبر وأبي الثناء محمود بن عباس الكردي العبدلاني نزيل دمشق وآخرين وسمع منهم غالب المسلسلات كالأولية وغيره وأجازوا له وكتبوا له بخطوطهم ودخل القدس وأخذ بها عن أبي الارشاد مصطفى ابن كمال الدين بن علي البكري الصديقي الدمشقي الخلوتي وأجاز له بخطه في أواسط سنة ستين ومائة والف وانتفع به وقرأ عليه البعض من تآليفة ، وسمع عليه الكثير واستقام عنده أياما ، ثم ارتحل الى مصر بقصد الأخذ والتلقي وقرأ بها على النجم الحفناوي والبدر حسن بن أحمد المدابغي والشمس محمد بن محمد الدّفري والشهاب أحمد بن عبد الفتاح الملوي والزين أبي حفص عمر بن الطحلاوي وسمع عليهم غالب كتب الأحاديث الشريفة والمسلسلات وأولها حديث الرحمة ، فإنه سمعه من جميع شيوخه كما هو مصرح في إجازاتهم ، ولازمهم مدة أشهر وقرأ عليهم ، وكتبوا له بخطوطهم الإجازات المؤرخة سنة أربع وستين ومائة والف ، وعزم على الحج من مصر وحج تلك السنة ، وسمع الأولية وبعض المسلسلات من أبي عبد الله محمد بن محمد الطيب المغربي الفاسي المالكي نزيل المدينة المنورة وأجاز له بخطه ، ثم عاد إلى حلب ودرس بها ووعظ بجامعها الأموي الكبير . توفي بعد الخمسة والمائتين والألف .

الشيخ عبد الله الدهلوي المعروف بشاه غلام علي بن شاه عبد اللطيف الدهلوي

شيخ مشايخ السادة النقشبندية [١] ، وأستاذ أهل الطريقة الفاضلة العلية ، وهو من رجال الحدائق الوردية ، في حقائق أجلاء النقشبندية . فقال

(١) نسبة إلى نَقْشَبَنْد ، كلمة فارسية ، ومعناها نقّاش ، رسّام ، والمراد عندهم : ربط النقش ، وهو صورة الكمال الحقيقي بقلب المريد ، كما في (ص ٨) من الحدائق الوردية للخاني .

شاه (١) العارفين ، ومليك المرشدين الـــكاملين ، مظهر علوم الدين ، ومُظهر سر الهداية واليقين ، المحقق بمقام التلوين في التمكين ، شيخ مشايخ الديار الهندية ، ووارث المعارف والأسرار المجددية ، سباح بحار التوحيد ، سياح قفار التجريد ، قطب الطرائق ، وغوث الخلائق (٢) ، ومعدن الحقائق . نال قدس الله سره من العلوم الإلهية ما نال ، ومن المقامات العلية مالا يخطر ببال . وذلك ان هذا العزيز ، بعد ما بلغ سن التمييز ، أكب على تحصيل الفضائل ، والتحلّي بأحسن الشمائل ، حتى صعد بهمته إلى سماء علوم الرسوم ، فتناول من ثرياها أعظم النجوم ، إلى أن أصبح في كل علم إماماً ، فزاد إقداماً على الترقي في المعالي واهتماما ، فصعد النظر إلى قمر المعارف ، فرأى نوره مستمداً من شمس أستاذه العارف ، فقصد على جنائب العزم جنابه ، ويمم بالهمم الكبار رحابه ، فأقبلت به نسمة القبول ، على حرم مراحم الوصول ، إلى ذلك المقام المأمول ، مقـــام المرشد العظيم ، فحنا عليه بقلبه السليم ، حنو المرضعـــات على الفطيم ، وجعل يمده بمدده الروحاني ، ويربيه بنفيس نفسه الرحماني ، ويرقيه إلى مدارج الأخيار ، ويقيه أغيار الأغيان (٣) وأغيان الأغيار ، حتى إذا جذبه إلى مقام حق اليقين ، وانتهى به إلى سدرة منتهى المقربين ، عاد إلى عالم الشهادة وقد خلع عليه خلع السيادة ، وأصبح من غيث إحسانه غوث زمانه ، وعهد اليه بعده بإرشاد المسترشدين عنده ، فوفى عهده ، وصدق وعده ، وكان خير خلف ، لأشرف سلف . قام بتأييد الشريعة المحمدية ، وتجديد معالم السنة السنية ، واداء حقوق الحقائق ، واحيـــاء

(١) كلمة فارسية ، ومعناها ملك ، وسلطان ، ورئيس .

(٢) غوث الخلائق هو الله الخالق المالك ، جلت قدرته ، وقد تقدم مثل هذا الغلوّ من قبل ، وحذرنا من خطره وضرره .

(٣) غان على قلبه : نغشته الشهوة .

جميع الطرائق ، القادرية والسهروردية والكبروية ، والجشتية والنقشبندية ، رافعاً لواءهـا بين الخلائق [١] ، فأقبلت القلوب تستظل بظله ، ولبت الألباب نداء فضله ، وانتهت اليه رتبة الإرشاد ، ورحلت اليه الأبدال [٢] والأوتاد [٢] ، فنال ببركته كل مريد أقصى المراد .

شذرة من خبره وذرة من أثره

ولد قدس سره عام ثمان وخمسين ومائة والف في قصبة بتاله ضلـع پنجاب وجاء تاريخ ولادته **مظهر جود** وهو من آل البيت الكرام غير اني لم أقف على نسبه الشريف . وكان والده الشريف الشاه عبد اللطيف عالماً عارفاً صالحاً زاهداً كبير الشأن قادري الطريقة ، تلقاها عن العارف الكبير الفائز بصحبة الخضر عليه السلام [٣] الشاه ناصر الدين القادري قدس سره ، واشتغل بالرياضات الشاقة والمجاهدات التامة . وكثيراً ما كان يخرج إلى الصحراء فيذكر الله تعالى ويتغذى بالنبات بقي مرة أربعين يوماً

(١) جاء (في ص ٣) من كتاب الحدائق بعنوان : (طليعة) ما موجزه : اعلم أن الطريقة النقشبندية . . هي طريقة الصحابة الكرام (رضي الله تعالى عنهم) على أصلها لم يزيدوا فيها ولم ينقصوا منها ، بكمال التزام السنة ، وتمام اجتناب البدعة اهـ قلت : إذا كان الأمر على ما يقول ، لزمهم العمل بكتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، أفليس بها غنى عن هذه الطرائق ، وعن رفع لوائها بين الخلائق ؟ ألم يكن الصحابة الكرام على هدى من ربهم ؟ فلماذا نبتدع ما لم يكن موجوداً في عهدهم ، ثم نعزوه اليهم ؟

(٢) واحده : بدل ووتد ، وهو اصطلاح صوفي لمن يطلقون عليهم أوتاد الأرض ، وكلّما قضى واحد منهم ومضى إلى ربّه ، بُدّل بواحد آخر غيره ، وليس في الشريعة لذلك اسم ولا مسمّى .

(٣) قدّمنا أن الخضر عليه السلام لو كان حيّاً لآمن بالنبي وَصحبه كغيره ، والتاريخ والحسّ ينفيان وجوده .

لم يكتحل طرفه بنوم ، ولم يذق الطعام إلا ليلاً قليلاً ، ومع ذلك لم ينو الصيام مقاومة لرعونة نفسه ، وكان له انتساب أيضاً للطريقة الجشتية والشعارية ، ورأى والده في منامه قبل ولادة الشيخ قدس الله سره سيدنا عليا كرم الله وجهه فقال له : سم ولدك باسمي فلما ولد سماه عليا ، إلا أنه لما بلغ قدس الله سره سن التمييز سمى نفسه تأدبا غلام علي ، ورأت أمه في المنام رجلاً جليلاً يقول لها : سميه عبد القادر ، قال مترجمه الشيخ عبد الغني المعصومي : ويمكن أن يكون هذا العزيز هو الغوث الجيلاني رضي الله عنه وسيأتي أن رسول الله ﷺ سماه في المنام عبد الله .

وكان قدس سره في الذكاءِ آية باهرة ، حفظ القرآن المجيد في شهر واحد ، وأكب على تحصيل العلوم معقولها ومنقولها ، حتى أصبح عالم عصره . وكتب المترجم في بيان أحوال نفسه فقال : إني بعد تحصيل علم الحديث والتفسير تشرفت في أعتاب حضرة الشهيد قدس سره ، فبايعني على الطريقة العليه القادرية بيده المباركة ، ولقنني الطريقة العلية النقشبندية فتشرفت بالحضور في حلق الذكر ، والمراقبة عنده خمس عشرة سنة حتى تفضل على هذا الحقير بالإجازة المطلقة في الإرشاد العام ، وقد ترددت أول الأمر في انه هل يرضى الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه أن اشتغل في الطريقة النقشبندية أولا ، فرأيته في واقعة جالساً في مكان وحضرة الشاه نقشبند في مكان تلقاءه ، فخطر لي حينئذ أن أحضر عند شاه نقشبند فقال الغوث الجيلاني في الحال : المقصود هو الله تعالى فاذهب فلا مضايقة ، وكان لي جهة تعيش فتركتها ، فاشتدت عرى الفاقة عليّ فاعتصمت بالتوكل واتخذته سجية ، ولم يكن يومئذ عندي غير خلق حصير أفترشها ، ولبنة أتوسدها ، فبلغ بي الضعف أقصاه ، فلفرط ما نالني أغلقت باب حجرتي ، وقلت هذا قبري حتى يأتي الله بالفتح أو بأمر من عنده ، فما لبثت أن فتح الله تعالى علي يد من لا أعرفه ، فمكثت في زاوية القناعة خمسين سنة اهـ .

قيـــل : لما أغلق باب الحجرة وقال ما قال أدركته العناية الإلهية ، فجاءه شخص وقال له : افتح الباب ، فقال : لا أفتح ، فقال له : إن لي معك شغلاً فافتح لي ، فلم يفعل ، فألقى له من خصاص الباب جملة من الدراهم الهندية المعروفة بالروبية وذهب ، فمن ذلك اليوم لم تنقطـــع الفتوحات عنه .

ولما توفي شيخه حضرة الشهيد قام مقـــامه في مسند تربية المريدين وإرشاد الطالبين فأكب الناس عليه ، وشدوا الرحال اليه ، من أماكن بعيدة من الروم والشام والعراق والحجاز وخراسان ومـــا وراء النهر ، بل من أقصى أرض الخطا إلى غاية أرض المغرب ، بعضهم بأمر رسول الله ﷺ كحضرة مولانا خالد والشيخ أحمد الكردي والشيخ اسماعيل المدني ، وبعضهم بإشارة السادات كالشيخ محمد جان ، والبعض برؤيتهم له في المنام . وكان موصوفاً بأعلى مراتب الأخلاق الحميدة ، فمن السخاء بحيث كان يوجد في رباطه دائماً ولا ينقص عن مائتي مريد إلا قليلا ، وكان يقدم لهم كفايتهم على أتم وجه ، ولم يدخر لغد قط ، ومن الحياء والتواضع بأنه لم يضطجع ماداً رجليه أبدا ، ولم ينظر وجهه في المرآة ، وإذا دخل إلى داره كلب ليطعم شيئاً يقول إلهي من أنا حتى أكون واسطة بينك وبين أحبـــابك [١] فأسألك بحرمة مخلوقك هذا وكل من قصدني إلا ما رحمتني وقربتني اليك . ومن التمسك بالسنة المطهرة ما لا يدرك شأوه ، ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما لا يهاب معه الأمراء والملوك كما يعلم ذلك من مطالعة مكتوباته ، حتى انه لما حضر السيد اسماعيل المدني بأمر رسول الله ﷺ إلى رحابه وأحضر معه بعض آثار نبوية بإشارة منه

(١) ضرب الله تعالى مثلاً للذين كذّبوا بآياته بالكلب في أسوأ أحواله ، فقال تعالى : فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث ، ذلك مَثَل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصَص لعلهم يتفكرون (الأعراف/ ١٧٦) .

عليه السلام أن يضعها في المسجد الجامع الذي في دهلي ، فوضعها ، عرض ذلك إلى حضرة الشيخ ، فقال له انه وإن تكن بركات فخر العالم ﷺ في ذلك المكان محسوسة ولكن لا يخلو من ظلمة الكفر ، ففتشوا ذلك المكان فإذا فيه صورة بعض الأكابر ، فرفعوا الأمر إلى السلطان وأزالوا التصاوير منه .

وكان قليل النوم جداً ، فإذا قام إلى التهجد أيقظ النوام ثم يتهجد ويجلس للمراقبة ، ويتلو من كلام الله تعالى ما شاء . وكان ورده في كل يوم عشرة أجزاء ثم يصلي الصبح جماعة في وقت الغلس ، ثم يلتفت إلى حلقة الذكر والمراقبة إلى وقت الإشراق . وكان رباطه لا يستوعب المريدين لكثرتهم ، فلذلك كان يكرر الأذكار لطائفة بعد طائفة ، ثم يجلس لقراءة الحديث والتفسير إلى قرب الزوال ، فيتناول الغداء . وكان إذا أرسل اليه أحد الأغنياء طعاماً نفيساً لا يأكله بل يكره أيضاً أن يأكل منه المريدون ، وإنما يهديه لجيرانه ، ومن كان حاضراً عنده من أهل البلدة ، وربما ترك أواني الطعام في مكانها فيأخذها من شاء فيأكلها . نعم لو أرسل اليه شخص دراهم ولم يكن مظنة شبهة يخرج أولاً زكاتها على مذهب الإمام الأعظم من جواز إخراج زكاة المال إذا بلغ النصاب قبل الحول ، لأن صدقة الفرض أفضل من النفل ، ثم يعمل فيما بقي حلواء وغيرها ويرسل بها إلى فقراء الشاه نقشبند ، وفقراء والده ، ويؤدي ما كان عليه من دين في نفقة رباطه ، ويعطي من قصده من ذوي الحاجة ، وربما يأخذ الشخص من هذه الدراهم شيئاً في حضوره فيطلع عليه ويعرض عنه بوجهه ولا يتعرض له . وكان بعد تناول الغداء يقيل قليلا ، ثم يشتغل بمطالعة الكتب الدينية والحقائق وغيرهما والتحارير الضرورية ، ثم إذا صلى الظهر قرأ درسي حديث وتفسير إلى العصر ، فيصلي ثم يقرأ حديثاً وتصوفاً كمكتوبات الإمام الرباني وعوارف المعارف ورسالة القشيري ، ثم يجلس

في حلقة الذكر والتوجه العام إلى الغروب ، وبعد صلاة المغرب يتوجه لخواص السالكين ، ثم يتناول العشاء حتى إذا صلى العشاء أحيا عامة ليله بالذكر والمراقبة ، فإذا غلبه النوم اضطجع في مصلاه وربما نام وهو جالس ولم يعلم أنه مد رجليه لفرط حيائه كما تقدم . وكان لا يجلس إلا محتبياً كما نقل عن النبي ﷺ وكبار الأولياء كالغوث الجيلاني حتى توفي على هذه الحالة . وكان حريصاً على إخفاء الصدقة فإذا فتح عليه بشيء يقسمه على الفقراء وهم في المراقبة لئلا يشعر أحد منهم بالآخر ، وكان يلبس الخشن من الثياب ، ولو أهدي اليه ثوب نفيس باعه واشترى عدة أثواب وتصدق بها ، وهكذا في غير ذلك ويقول لأن يكتسي جماعة خير من واحد . وورد في الصحيحين عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها أخرجت يوماً ازاراً ورداء خشنين وقالت : قبض رسول الله ﷺ في هذين .

وكان رضي الله عنه شديد الشفقة على المسلمين يكثر من الدعاء لهم وأكثر ما يكون في جوف الليل ، وكان له جار يسمى حكيم قدرة الله يصرف أكثر أوقاته في غيبته ، فحبس يوماً فسعى كل السعي في خلاصه ولم يذكر ذلك له ، وكان مجلس المترجم كمجلس سفيان الثوري لا ترفع فيه الأصوات ولا تنتهك المحارم ، مبرأ عن حديث الدنيا فلا يذكر فيه الأمراء ولا الفقراء ، وقد استغاب بعض الحاضرين في مجلسه شخصاً فذكره وقال : أنا أحق بما قلتـه منه ، ونال شخص في حضوره من سلطان الهند وكان صائماً فقال : وا أسفاه لقد فسد صومي فقيل له : أنتم ما ذكرتم أحداً بسوء ، فقال : نعم ولكن سمعت ، والذاكر والسامـع في الإثم سواء ، وكان عاشقاً لرسول الله ﷺ فانياً فيه بحيث إذا سمع اسمه الكريم اضطرب وغاب . وقد أحضر له خادم اقدامه يوماً ماء للتبرك وقال له : أنت منظور رسول الله ﷺ فارتعد عند سماع هذا الكلام ، ثم قـام فقبل الخادم وقال له : من أنا حتى أكون منظور رسول الله ﷺ وبالغ

في إكرامه ، وكان شديد الحرص على اتباعه ﷺ في اقواله وأفعاله قوي التمسك بالسنة دؤوباً على مطالعة حديثه ، حتى توفي وسنن الحكيم الترمذي على صدره ، ولم يبلغه أنه ﷺ فعل شيئاً إلا وتأسى به .

وكان له في القرآن المجيد ذوق عظيم ، وكان كثير التلاوة له كثير المحبة لسماعه ، وكان يحب سماعه من أحد خلفائه العظام الشيخ أبي سعيد المعصومي ويتأثر تأثراً بليغا ، فإذا ازداد من السماع اضمحل وتلاشى له ، وقال : حسبي لا طاقة لي بأكثر . ويحب سماع أشعار القوم والمثنوي ويحصل له من ذلك وجد ، غير أنه كان لثباته وكمال تمكنه لا يظهر عليه ، ويقول : رقص أبو الحسين النوري يوماً والجنيد جالس قال : « إنما يستجيب الذين يسمعون » فقال الجنيد : « وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب » فالجنيد كان في غاية الثبات . ومن جملة كلامه الدال على علو مقامه ، قوله : إن التخلق بالأخلاق الحسنة واجب على كل أحد ، وهي الحلم والتواضع والشفقة والنصيحة والموافقة للأصحاب والإحسان والمداراة والإيثار والخدمة والالفة والبشاشة والكرم والمروءة والتودد والمودة والجود والعفو والصفح والحياء والسخاء والوفاء بالعهد والسكينة والوقار والثناء والدعاء إلى الله تعالى دائماً وحسن الظن وتصغير النفس واحتقار ما عندك واستعظام ما عند غيرك .

وأما المقامات فأولها الانتباه ثم التوبة ثم الإنابة ثم الورع ثم محاسبة النفس ثم الارادة ثم الزهد ثم الفقر ثم الصدق ثم الصبر ثم الرضى ثم الاخلاص ثم التوكل . وأما الأحوال فمن ذلك المراقبة ثم القرب ثم الرجا ثم الخوف ثم الحياء وهو حصر القلب عن الانبساط ثم الشوق ثم الانس ثم الطمأنينة ثم اليقين ثم المشاهدة وهي آخر الأحوال ، واليها الإشارة بقوله ﷺ : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » **ومن ذلك ما كتبه في إجازته** للشيخ أبي سعيد المعصومي والشيخ بشارة الله ، ولغرابة

اسلوبها نقلتها بتمامها فقال : **بعد الحمد والصلاه** ، من المعلوم أن المقامات والاصطلاحات التي هي في طريقة الإمام الرباني مجدد الألف الثاني ، مقررة ، ينبغي أن تشاهد في كل درجة منها كيفيات وأحوال وأنواع وأسرار تلك الدرجة ، وإلا فاختيار الطريقة عبث ، فلم إضاعة العمر ، وإن لم تكن المقامات العشر التي أولها التوبة وآخرها الرضا لازمة للباطن فما الفائدة من هذه الطريقة ، فإنه يحصل في سير لطائف عالم الأمر كيفيات كثيرة ففي سير لطيفة القلب المفيدة لمراقبة الأحدية الصرفة بعد مراقبة المعية ، يحصل الفناء والاستغراق وقطع العلائق والآمال وغيرها ، وفي سير لطيفة النفس المفيدة لمراقبة الأقربية والمحبة ، يحصل الاستهلاك والاضمحلال ، وفناء أنا وغيره ، وفي سير عالم الخلق ينهل الفيض الإلهي على العناصر الثلاثة ما عدا عنصر التراب ، وتوجد المناسبة لتجليات اسم الباطن والملأ الأعلى وتهذيب اللطيفة القالبية ، ويصير الاحسان في الكمالات الثلاثة بالصفاء ولطافة نسبة الباطن ، وتحصل في الحقائق السبعة ، وسعة الأنوار وبداهة الأمور النظرية ، وزيارة حضرة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وثبوت أذواق المحبة الذاتية ، فإن أدرك سالك هذه الطريقة هذه العلوم والمعارف فهو مبارك ، وإلا فقد اكتسب العجب والأنانية فويل له . وكل شيء يحصل في الصحبة من هذه الحالات فهو حسن ، وإلا فهو تحقير للطريقة ، ويلحق المشايخ من ذلك الشخص عار ، والمريدين عجب وترذيل للطريق ، ودعوى الانتظام في سلك المشايخ هداهم الله سبحانه إلى رضانه واشتياق لقائه آمين . وإذ قد وصل ولله الحمد صاحباي حضرة المولوي بشارة الله وحضرة الحافظ أبو سعيد سلمهم الله تعالى وجعلهم مرجعاً لإشاعة أشعة الطريقة لهذه المقامات ، والمرجو من الله سبحانه وتعالى أن يتفضل على بقية أصحابي الأعزاء وأحبابي وعلى هذا الذليل المقصر ، بالتوفيق للاستقامة واتباع السنة ومحبة المشايخ ، والترك والانزواء ، واليأس من الخلق ،

والترقي لهذه الحالات ، فإني مع تمام الخجل أكتب لأن المرشدين يكتبون في الإجازات هاتين الكلمتين ، فأقول : يد هذين العزيزين التي هي أحسن من يدي ، هي يدي ، وبيعة خدمتهم التي هي أقوى ذريعة للسعادة والنجاة بيعتي ، بارك الله بهما ، بشرط أن يعرضوا عن أهل الدنيا ، ويلازمون بقدم مكسورة باب الحق ، مع صدق الوعد الكريم المطلق جل سلطانه ، فإنه أركان طريقي وتربية توجهات حياتي ، اللهم وفقني وإياهم لمرضاتك ومرضات حبيبك ﷺ ، واجعل آخرتنا خيراً من الأولى آمين .

وكان رضي الله عنه يقول : إني أحب الشهادة في سبيل الله تعالى ولكن أتذكر ما حصل للناس في شهادة شيخنا مرزا جان جانان رضي الله عنه من البلاء ، إذ قحطوا ثلاث سنين ، ومات بذلك خلق كثير ، ووقع قتل وحروب لا تعد ، فأترك سؤالها . وقد غلب عليه البواسير آخر مرضه ، وكان الشيخ أبو سعيد وقتئذ في مدينة لكهنو فأرسل اليه في برهة يسيرة كتباً كثيرة يحثه على الحضور ليكون قائماً مقامه ، وأن يستخلف مكانه نجله الشيخ أحمد السعيد أحد خلفاء حضرة مرشد المكرم ، فترك أهله وأتى مخفا ، فلما تشرف بلقائه قال له : كان مرادي إذا لقيتكم أبكي كثيراً ولكن أتيتني في وقت لا يمكنني فيه ذلك ، ثم التفت بكليته اليه وأوصى له بخلافة الارشاد العام . وكان من عادته المستمرة أنه إذا حصل له شائبة مرض أوصى قلماً وأكد لسانا بمداومة الذكر وتحسين الأخلاق وتقوية النسبة الشريفة ، ومجاملة المعاملة مع الجميع ، والاعراض عن الاعتراض بلو ولم على مجاري القضاء ، وملازمة الاتحاد مع الاخوان ، والتفرغ للعبادة مع الفقر والقناعة والرضى والتسليم والتوكل ، فجدد هذه المرة تلك العادة المستمرة ، وقال : إذا قضي الأمر فاحملوني إلى المكان

الذي فيه الآثار النبوية التي في جامع دهلي ، واطلبوا لي من صاحبها الشفاعة [١] وأوصاهم أن ينشدوا أمام جنازته هذين البيتين :

وفدت على الكريم بغير زاد ... من الحسنات والقلب السليم

فحمل الزاد أقبح ما رأينا ... إذا كان القدوم على الكريم

فلما كان وقت الاشراق من يوم الاثنين ثاني عشري صفر أمر بحضور أبي سعيد من داره سريعا ، فنظر اليه ثم وضع رأسه في صدره ، وهو جالس على هيئة الاحتباء وقتئذ ، فالتحق بالرفيق الأعلى ، فغسل بأمواه الأنوار ، وكفن بأثواب الأسرار ، وحمل على أطراف الأصابع إلى المسجد الجامع ، وقد انفضت لأجله المجامع وهرعت لرباطه الناس حتى غصت بالمشيعين الشوارع ، فصلى عليه الإمام أبو سعيد ووضعوه تبركا عند الآثار النبوية ، ثم أتوا به الخانقاه فدفنوه في الجانب الأيمن من البقعة المباركة التي ضمت المرحوم مرشده الشهيد . وكان لمشهده في دهلي يوم مشهور ، وأرخ أدباء الهند ذلك بتواريخ متعددة أحسنها تاريخان ، أحدهما نثر وهو « نور الله مضجعه » وثانيهما ضمن مقطوعة بالفارسية وهو قوله : « في روح وريحان وجنات النعيم » فنظمتها تبركا به فقلت [٢] في الأول :

حضرة القطب الدهلوي ... رغب الحق مرجعه

فلهذا إذ أرخوا ... نوّر الله مضجعه

١٢٤٠ ٩١٨ ٦٦ ٢٥٦

وقلت في الثاني :

الدهلوي الشاه عبد الله ذا ... الغوث العظيم

---

(١) النبي صلوات الله عليه هو صاحب الشفاعة ، ولكن مالكها هو الله تعالى ، فتطلب منه ، كالخلق والرزق والاحياء والاماتة .

(٢) أي قال العلاّمة الشيخ عبد المجيد الخاني مؤلف الحدائق الوردية ، وهذه الأبيات في اواخر هذه الترجمة ، ولها عنده تتمة . رحم الله الجميع .

أرخه في روح وريحـــــان وجنـــات النعيم ١٢٤٠

ومن ذلك بيت فيه تاريخ ولادته وحياته ووفاته قدس سره :

بظهر جود جاء مُدّة عيشه إمام قضى قل نوّر الله مضجعه

وله رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة متقلبه ومثواه خلفاء حنفاء هم علماء الأولياء ، وأولياء العلماء ، ملؤوا الخافقين إرشاداً (١) والثقلين إمداداً . انتهى بتصرف

الشيخ عبد الله أبو الكمال بن عطا الله بن عبد الله بن بركات الحلبي الشافعي الكتبي

الفاضل الأديب والشاعر البارع الأريب . ولد بأحد الجمادين سنة أربع وسبعين ومائة والف ، وقرأ القرآن العظيم على مصطفى بن سليمان الحموي المقري وأبي بكر بن عمر الحلبي وحفظه برواية حفص ، واشتغل بالأخذ والتحصيل ، فقرأ على والده العربية وتخرج عليه ، وقرأ بقية العلوم على جمـــاعة منهم أبو محمد مصطفى بن أبي بكر الكوراني وأبو محمد عبد القـــادر بن عبد الكريم الدري وأبو اليمن محمد بن طه العقاد وأبو عبد الله محمد بن حجازي الخفـــاف ومحمد بن يوسف الاسبيري المفتي وزين الدين عمر بن عبد الله الخفاف وقاسم بن علي المغربي المالـــكي التونسي ، وسمع صحيح البخاري بطرفيه (٢) على عماد الدين اسماعيل بن محمد المواهبي وحضر دروسه وأجازه بخطه ، وسمـــع حديث الرحمة المسلسل بالأولية من أبي الفتوح محمد كمال الدين بن مصطفى البكري الصديقي ، وهو ابن ثمـــاني سنين ،

---

(١) في طبقات الأمم للقاضي صاعد بن أحمد الأندلسي (المتوفى سنة ٤٦٢ هـ) مانصه : فكان (الهند) عند جميع الأمم ـ على ممّر الدهور وتقادم الأزمان ـ معدن الحكمة ، وينبوع العدل والسياسة ، وأهل الأحلام الراجحة ، والآراء الفاضلة ، والأمثال السائرة ، والنتائج الغريبة ، واللطائف العجيبة اهـ .

(٢) رواية ودراية .

هو ووالده لما قدم حلب وأجازه بخطه ، وسمعه أيضاً من أبي البركات عبد القادر بن عبد اللطيف النيسابوري الطرابلسي ، وأجازه غالب شيوخه ، وتفوق وتنبل ومهر وأقبل على نظم الشعر فنظم ونـثر ، وكان من الأدباء البارعين . ولما سافر العالم المؤرخ الفاضل محمد خليل افندي المرادي إلى حلب سنة خمس ومائتين والف اجتمع المترجم به فأخذ عنه واستجازه ونظم هذه القصيدة يمدحه ويهنيه بعيد الفطر :

أبدت لنا الورقاء من ألحانها ... سَجْعاً ينوب عن السّلاف وحانها
تثني على أيامك الغر الـتي ... هي عندنا الأعياد في أعيانها
فترنحت تلك الغصون صبابة ... وسرت حميا الأنس في عيدانها
وتأرجت أزهارهـا وتبلجت ... أنوارها وافتر ثغر أوانهـا
فالنشر ند والمحاسن غـادة ... وطفى الحباب على عقود جمانها
طارحتها شكوى الغرام وحالتي ... وهوى أقام على حمى أوطانها
أخبار حب قد روتها أدمعي ... وتسلسلت في الخد عن نعمانها [1]
كادت بلطف حديثنا وسماعه ... أن ترسل العبرات من أجفانها
حتى درت ماذا أكابد في الهوى ... وتعرفت صدق الهوى بعيانها
ذكرت لتجديد العهود مواعداً ... يجب الوفاء بها على ندمانهـا
واستقبلت عود الأماني باللقا ... لقدوم عيد الفطر من ابانها
فيه يهنى واحد المجد الذي ... ثنى ذكاء في سمو مكانهـا
المشتري رتب الكمال من العلا ... والواهب الجوزاء من كيوانها
المنتقى من أكرمين أعـاظم ... نالوا الثوابت من لدى دورانها
شم العرانين الفخام إلى السهى ... من غير ما يزهو على أخدانها
فهم الصدور مهـابة وجلالة ... وهم البدور طوالعا في آنهـا
والجود ألقى في ذراهم رحله ... إذ كذبوا الأنواء في هتانهـا

---

(١) النعمان هنا : الدم .

والعلم والتقوى شعار مقامهم … وسنا المحامد مخبر عن شانها
ماثم إلا وارد أو صادر … شكر السحائب في ندى إحسانها
فاذكر مرادك عندهم تلق المنى … وتساعد الأقدار في جريانها
كم رائد في المكرمات مرادهم … ومشمر عن ساعد وبنانها
والموهبات تقول ألسُنُ حالها … إن المواهب في يدي منانها
فبنو المرادي هم أساطين الملا … تعنوهم الفصحاء في أوزانها
لا سيا المولى الخليل المجتلي … نور البراعة من سنا حسانها
العالم النحرير من وضحت له … سبل الهداية سالكاً بأمانها
بحر الفضائل ملتقى مجموعها … هم الهوامع مرتوي ظمآنها
ضوء السراة منارهم نحو الهدى … كنز العفاة الطب من أحزانها
صدر الشريعة والحقيقة نجمها … يبدي الدليل الحق من برهانها
حلى بسلسلة الجواهر فضله … عن مالك قطب العلا سلطانها
طرقاً تعانى جمعها أحيا بها … سَنَنَ الرواة أجاد في إتقانها
وأطاعه الخبر العويص عن النهى … وتنقب الآثار من أكنانها
وأبان عمن في العصور تقدموا … بفراسة يمتاز في عرفانها
وغدا مخلد جلها أسفاره … بعبارة لم تنأ عن سحبانها
قس المخضرمة الذين تخيروا … الكلم النوابغ بانتقا عدنانها
كاسي القريض محاسناً من لفظه … كالخود زينها حلى عقيانها
الملبس الألفاظ لما حاكها … شبه الملوك تتيه في تيجانها
فالنظم يلثم من ثنايا دره … والدر ينظم في ثنا مرجانها
وحلاوة القند[1] الشهي سلافها … وسلاف أهل الشوق خمرة حانها
ونضارة الحسن البهيج نضارها … وغضارة الولدان شرب دنانها
لا زال سيدنا مدير كؤوسها … في سائر الأعياد بدر زمانها
صافي السريرة لا يشاب بشائب … ومنيع ذات مجتني أقرانها

---

(١) القَنْد جمه قنود : عسل قصب السكر إذا جمد (معرب كند الفارسية) .

وتظل تصدح بالثنا لجنـــابه أهل البسيطة شامها ويمانهـــا
وملاحظين جنابه بدعـــائهم لا مِيٌّ مخلصه فتى فتيانهـــا
ما لاح في القصوى هلال الفطر أو طلعت شموس السعد من ميزانها

وكتب يمدحه أيضـــاً

بحقكما هبا فقد سطع الفجر وأذن داعيه ألا وجب الأمر
وفي الطير والافنان شادٍ ومائسٌ غناء ولا هجر ، ووصل ولا هجر
ومن نشرها ريح الصبا زهر الربا إذا ضمها من نحو كاظمة النشر
ودارت حميانا على البر والتقى حميا عفاف ما على ربها حجر
سلافة قوم لم يذوقوا مدامة ولا خامروا خمراً ولا نالهم وزر
نعم سمعوا يوماً أحاديث ماجد هي الدر قد وافى بتنظيمها الثغر
هو البحر يرجى للعواطل دره كما أنه يحوي منـــاهله القطر
ثمال عفاة في المآتم والأسى وحين صروف الدهر حان لها الغدر
بقية أسلاف كرام تقدموا ومن سنن الآداب أن يختم الصدر
إمام المعالي يقتدي أهلها به وقطب العوالي رقه الشمس والبدر
بجد وجـــد ساد أمة جيله وشاد ذرى ما فوق ذروته قدر
غذاه لبان الفضل من هو يافـــع وتوجه التوفيق والفتح والنصر
فدانت له الأعلام من كل وجهة وقيل لأبناء الرجا هذه مصر
فإن قصروا عن شأو علم أمدهم وإن مدت الأوغاد حاولهم قصر
إذا ابن نجيم قاسه بنظائر ترى الفرق مثل الفجر ما دونه ستر
تنائى حبيب إن تدانى حبيبنا وأما زهير أين أنجمه الزهر
وقس يقامي العي عند خطابه وعمرو بن عثمان حوى زيده عمرو
هنيئاً بني شهبائنـــا بقدومه فقد لعبت فينا الصبابه والخمر
وحيا فأحيا بالتحية مغرمـــاً يقلبه ليلا على الكبد الجمر
وباعد أحزانا تحصن جيشهـــا على قلب صب لا يناصره ذمر

فيا من به يستطلع البدر سعده　　وفاقاً لعلياه كما اتضــح الأمر
لأنت مراد الفضل وابن مراده　　وعامر ركن المجد طال لك العمر
بقيت مدى الأيام اربا لأهلها　　يسود بها الراجي ويتضع الغمر
ويثني عليك الحظ أبيض ناصعاً　　وتخرس أعداك الأبالسة الحمر
وعيشك والأيام والدهر والمنى　　رضيٌّ وأعياد وطوعك والأمر

وكتب اليه أيضــاً يمدحه

يا درّ درّ الجمــال ما صنعـــا　　أسيره دون نيله قنعـــا
أعز قومـــاً بعز منصبه　　وكلنا هيبة له خضعـــا
فمن مجيري من أسر غـــانية　　غيداء في القلب طيفها رتعـــا
رخيمة رخصة المعاطف والـــــبنان تشكو من حيلها الجزعا
أهدى إليّ السقام ناظرهـــا　　قاسيت سهداً لكنه هجعـــا
عسالة القدر والمبـــاسم وال　　حديث تشفي الطعان والوجعا
فالغصن في الروض فرع قامتها　　والبدر في أفق وجهها طلعا
كأنه ازدان من محاسن من　　حاز التقى والكمال والورعا
بقيـــة السادة الألى جمعوا　　مناقب العلم والصلاح معـــا
حيث مراد العلياء كوكبهم　　يزهو على الكون كلها لمعـــا
ومن سناه وعز طـــالعه　　نور عليّ على العلا سطعـــا
فخلد الله أصـــل دوحتهم　　وصان باللطف فرعها ورعى
أعني خليل الكرام سيدهم　　ومن نداه السحاب ان همعا
الباسل الشهم والخضم إذا　　داعي الكمالات والنوال دعا
الحائز الرفق والتعطف ان　　وافاه جان فحلمه وسعـــا
والعالم الفاضل الذي ذكرت　　أبحاثه ان ضده منعـــا
والناظم الناثر المجيد بمـــا　　أبرزه الفكر والحجا تبعـــا
الفاظه الدر والجمان حـــلى　　فالقرط في اذن كل من سمعـــا

أو هيَ سِحْرٌ ومن يعارضها | يخال في الحال أنه طبعا
أو هي بنت الكرام روقها | أين الندامى يسقونها جرعا
لازال فوق النسرين طائره | يصدح بالشكر كلما سجعا
ومن يماديه خاسراً حزنا | ثاوي درك الحضيض متضعا
ما افتر نور الخزام مبتسما | عن روق حسن صفاؤه نصعا
وما العطائي جاء معتذرا | وراجيا أن يقال حيث لعا (١)
فان جهد المقل مغتفر | بقيت ما ارتاح مخلص ودعا

وكتب له يمدحه أيضاً

ولهي بكم في غدوتي ورواحي | وَلَهَ العليل إلى شذى الأرواح
وترنمي في مدحكم بين الملا | روحي وندماني وملء الراح
وصدى يراعي إذ يراعي ذكركم | عودي الرخيم ورنة الأقداح
وطرومي اللاتي حوين سناءكم | صفحات غراء الجبين رداح (٢)
ومدادها نقش البنان من الدمى (٢) | والنقط خيلان البياض الماحي (٣)
أبني الأيادي الهاشمية والأكف | الحاتمية والندى المتاح (٤)
الصاعدين إلى الكمال بلا انتها | والمحرزين المجد دون براح
من منكم قطب الوجود مرادنا | روح المكارم بلبل الأفراح
وحفيده علامة العصر الذي | هو جوهر من فالق الاصباح
السائر الأخبار في آفاقه | ذكر يضوع بنشره الفواح
من ليس يرغب عن مدائحه شج | متيم وأطاع فيه اللاحي
ويك اتئد ياعاذلي أنا مغرم | في وصفه أصبو إلى التمداح

(١) يقال للعاثر : « لعاً لك » دعاء له ، أي أنعشك الله وأقامك من عثرتك .
(٢) امرأة رداح : عجزاء ثقيلة الأوراك تامة الخلق .
(٣) الدُّمية : الصورة المزينة فيها حمرة كالدم (ج دُمى) .
(٤) مَن يستقي الماء مغترفا .

سكنت محبته القلوب باسرها　　خلقا بدون تعرض الأشباح
مَن أبان إلى النهى مرموزه　　ان الوفاق بعالم الأرواح
أخلصت تهنيتي له بالصوم في　　هذا الربيع الوارق الأدواح
لرجاء نيل القرب من ساحاته　　ثم التملي بالسنا الوضاح
ظل ظليل في المهامه وارف　　خل خليل بحر كل سماح
لازال يبقى كل عام رافلا　　متوشحا بالمجد كل وشاح
ماأهديت لجنابه تحف الثنا　　من مخلص ثمل المودة صاح
أو مايقول أبو الكمال مصدرا　　ولهي بكم في غدوتي ورواحي

وله مخمسا أبيات الصفي الحلي

سايرتنا إلى الليوث الحوامي　　مرهفات إلى الدماء ظوامي
ما الاعادي إذاعدوا ماالروامي　　ان اسيافنا القصار الدوامي
صيرت ملكنا طويل الدوام

قد وعينا التلويح من كل مور[١]　　وقدحنا من الزناد لموري
لم يشب حزمنا ارتشاف خمور　　نحن قوم لنا سداد أمور
واقتحام الأخطار من وقت حام

من يَفِدْ حيّنا يَعُدْ بسلام　　ليس يخشى من سطوة وملام
ولنا القرن[٢] طائع كغلام　　واصطلام[٣]الأعداءمنوسط لام[٤]
واقتسام الاموال من وقت سام

مات رحمه الله عام الف ومائتين وبعد الخمسة رحمه الله تعالى .

---

(١) لوّح فلاناً بالسيف علاه به وضربه . والمَور : الطريق ،والطعنة تمور إذا مالت يمينأوشمالا .
(٢) القَرن من القوم : سيدهم .
(٣) اصطلم الشيء : استأصله .
(٤) اللام : الهول .

الشيخ عبد الله بن مصطفى بن احمد بن موسى الحلبي الحنفي الشهير كوالده بالجابري نسبة الى القاضي جابر بن احمد الحلبي والد ام جده احمد

الفاضل الأديب الفقيه الكاتب البارع المنشيء ، مولده في ربيع الاول سنة تسع وستين ومائة والف ، وقرأ القرآن العظيم واشتغل بالتحصيل والأخذ ، فقرأ على أبي الهدى صالح بن سلطان وأبي محمد مصطفى بن أبي بكر الكوراني وأبي المواهب اسمعيل بن محمد بن صالح المواهي وسمع الكثير عليهم وعلى غيرهم ، وأجاز له جماعة كأبي جعفر منصور بن مصطفى ابن منصور السرميني وأبي البركات عبد القادر بن عبد اللطيف البيساري الطرابلسي وغيرهم ، وكان يكتب أنواع الخطوط مع الاتقان وكانت الافاضل تشهد بنبله ونجابته .

وفي سنة أربع وثمانين ومائة والف دخل دمشق مع والده وعمه ، ونزل في دار بني المرادي ، وكانوا يشهدون له بالنبل والفضل . وفي سنة أربع وتسعين دخل دمشق المرة الثانية قاصداً الحج بالنسك ، ونزل أيضاً في دار بني المرادي عند خليل افندي صاحب التاريخ ، وكان أيضاً مع والده ، وكان يعرف اللغات الثلاث العربية والتركية والفارسية ، وكانت علماء الروم يحررون ما يكتبه من الترسل التركي ويقيدونه عندهم ، ويشهدون بتفوقه ونبله . وكان مع والده يشتغل بتحرير الوثائق الشرعية والصكوك لدى قاضي قضاة حلب ، وكان والده رئيس العدول والكتاب بالمحكمة الكبرى . ولما صار والده نقيب الأشراف بحلب والمفتي العام بها صار ولده المترجم مكانه رئيس الكتاب ، وشهد الناس بأدبه وعقله ،

واحترمته الصدور والأعيان [1] وكان ينظم القليل من الشعر ، ومن كلامه مشطراً بيتي الجواليقي :

ورد الورى سلسال جودك فارتووا   بزلال فيض فضائل ومراحم
فقصدت مقصدهم وجئتك راجياً   ووقفت خلف الورد وقفة حائم
حيران اطلب غفلة من وارد   ولهان أرجو نجدة من راحم
فاقمت منتظراً ببابك واقفاً   والورد لا يزداد غير تزاحم

وشطرهما أيضاً الأديب أبو بكر بن مصطفى الكوراني الحلبي :

ورد الورى سلسال جودك فارتووا   وكأنهم ظفروا بمنهل حائم
فقصدته مُتَتَبِّعاً وُرّاده   ووقفت خلف الورد وقفة حائم
حيران أطلب غفلة من وارد   كي ارتوي وأنال عطفة راحم
فبقيت ظمآناً اكابد لوعة   والورد لا يزداد غير تزاحم

وقد خمس تشطير الجابري الفاضل عبد الله بن عطاء الله الكتبي الحلبي .

ياذا الذي عنه الأكارم قد رووا   وعلى نداه ورحب كفيه لووا
وبك الملا كعب الايادي قد طووا   ورد الورى سلسال جودك فارتووا
من فيضكم بمكارم ومراحم

امّوا من الأنواء صوباً هامياً   يحيي مرابع للكرام خواليا
واخضل عود الدهر طلقاً باهياً   فقصدت مقصدهم وجئتك راجيا
ووقفت خلف الورد وقفة حائم

اتراك يا حظي الخؤون مساعدي   ارد الظلال بمعصمي وبساعدي
حتى م أبقى في عنا وتباعد   حيران اطلب غفلة من وارد
ولهان أرجو نجدة من راحم

---

(١) قال الأستاذ الراغب ـ بعد أن نقل ترجمة الجدّ له ، اقول : وقد تقلد منصب الإفتاء في حلب (سنة ١٢٠١ هـ) .

لابدع ان جانبت ظلا وارفـا   أو كنت من حر الأوام مشارفا
وافيت اثر الناس بيتك طائفا   واقمت منتظراً ببابك واقفـا
والورد لا يزداد غير تزاحم

مات المترجم المذكور سنة الف ومائتين ونيف [١] .

الشيخ عبد الله بن محمد بن طه بن احمد العقاد الحلبي الشافعي

أبو البركات جمال الدين العالم الفاضل والمحدث الكامل ، شيخ القراء في حلب الشهباء ، زين الثقات ، جمال الرواة .

مولده يوم عيد الأضحى سنة خمس وستين ومـائة والف ، وقرأ القرآن وحفظه وتلاه مجوداً ، وقرأ القراءات السبع من طريق الشاطبية ، واشتغل بالتحصيل والاخذ والانتفاع ، وقرأ وسمع وأخذ الفنون المتنوعة عن كثير من السادة المشايخ في المدة الطويلة ، منهم والده وجل انتفاعه به وعليه ، وأبو السعادات طه بن مهنا الجبريني ، وأبو محمد عبد الكريم ابن أحمد الشراباتي ، ومصطفى بن عبد القادر الملقي ، وأبو عبد الله محمد ابن محمد الاريحاوي ، وأبو عبد الله محمد بن صالح المواهبي ، وأبو محمد عبد القادر بن عبد الكريم الديري ، والشمس محمد بن مصطفى البصيري شيخ القراء بحلب ، والمقري زين الدين عمر بن شاهين ، والتاج عبد الوهاب ابن أحمد المصري ، وأبو عبد الله محمد بن محمد التافلاتي ، ولطف الله بن أحمد الأرضرومي ، وعلاء الدين محمد بن محمد الطيب المغربي ، وأبو عبد الله محمد بن ابراهيم الطرابلسي مفتي الحنفية ، وأبو الحسن عـلي الرابقي ، وأبو داود سليمان بن أحمد الكليسي المفتي ، وأبو بكر بن أحمد الهلالي القادري ، وأبو اسحق عبد الجواد بن أحمد الكيـالي ، وأبو الفرج عبد الرحمن بن

---

(١) وفي تاريخ حلب الشهباء انه توفي بعد (سنة ١٢١٦ هـ) .

عبد الله الحنبلي ، والشهاب أحمد بن عبيد الله العطار الدمشقي ، والشمس محمد حاجي بن علي المفتي ، وعبد الرحمن الدمشقي بن ابراهيم المصري ، والشهاب أحمد بن ابراهيم الاربلي الكردي نزيل حلب ، وأبو عبد الله محمد الصوارني الكردي ، وأبو العدل قاسم بن علي التونسي المغربي ، وأبو جعفر منصور بن مصطفى السرميني ، وأبو الفضل فخر الدين عثمان ابن عبد الرحمن العقيلي ، وأبو عبد الله طاهر الحنفي ، وأبو العباس أحمد ابن أحمد المصري نزيل حلب ، والشهاب أحمد الكعكاك ، وأبو عبد الله محمد بن حجازي السختياني ، وأبو عبد الله محمد الفرضي ، والشيخ شرف الدين المقري ، وأبو عبد الله عبد الكافي بن حسين الامام ، ومحمد بن زكريا المقري ، ومهذب الدين سعيد بن عبد الله السويدي البغدادي ، ومحمد بن يوسف المفتي ، وأبو الاخلاص حسن بن عبد الله النجشي ، وأبو الحسن محمد بن صادق السندي نزيل المدينة المنورة ، وأبو الفيض محب الدين مرتضى بن محمد بن محمد الزبيدي اليمني نزيل مصر وغيرهم .

وسمع الكثير من كتب الأحاديث الصحيحة والمسلسلات لحديث الرحمة وغيره وفضله لا زال في ازدياد إلى أن اخترمته المنية بعد الألف والمائتين وخمس سنوات رحمه الله رحمة واسعة .

عبد الله باشا والي عكا ابن علي آغا الخزندار [١]
احد مماليك احمد باشا الجزار

نقل صاحب المناقب الابراهيمية ، والمآثر الخديوية ، ان المترجم المذكور ، كان لا يركن اليه في أمر من الأمور ، عديم الوفاء ، متقلب الآراء ،

(١) هذه الترجمة لا تخلو من تحامل على عبد الله باشا وتعصب لابراهيم باشا كما يعلم من ترجمة ابراهيم باشا في هذا التاريخ ولا لوم في ذلك سوى على صاحب المناقب الابراهيمية سامحه الله (جميل الشطي) .

لا يرعى عهداً ، ولا يحفظ وداً ، عاكفاً على الملاهي واللذات ، مشغوفاً بسماع الأغاني والأصوات ، فساعدته يد العناية ، حتى تمكن من الولاية ، وطابت له الأيام ، وبلغ القصد والمرام ، وكان دأبه الاهتمام باقامة العمار ، وتحصين عكا بالابراج والأسوار ، وجمع الأموال من جميع الأقطار ، وكان قد استولى عليه الطيش ، واستخفه البطر وطيب العيش ، حتى حاد عن الطريق المحمود ، وتجاوز في الأحكام الحدود ، وأشهر العصيان على الدولة ، ذات الشوكة والصولة ، أملاً بالاستقلال ، وطمعاً في الجاه والأموال ، ولما بلغ حضرة السلطان محمود خان ، ما هو عليه من الجنون والهذيان ، والتمرد والعصيان ، وارتكاب الظلم والعدوان ، غضب من سوء فعاله ، وأرسل عسكراً لتربيته وقتاله ، تحت راية البطل الهمام ، درويش باشا والي دمشق الشام ، فحاصره زمناً طويلاً ، وأذاقه عذاباً وبيلاً ، ولما اشتد عليه القتال ، وأحاطت به الأهوال ، وانقطع عنه الامداد ، من سائر البلاد ، صحا من غفلته ، واستفاق من سكرته ، وداخله الخوف والفزع ، واضطرب من الهلع ، وأيقن أنه إذا طالت عليه تلك الحالة ، يؤخذ أسيراً لا محالة ، فابتدر بالعجل ، لاستدعاء الأمير بشير حاكم الجبل ، وكان من أفراد الرجال ، موصوفاً بالفضل والكمال ، وحسن التدبير وجميل الخصال ، ولقد أجاد من وصفه فقال :

انما أنت واحد غير أني   لست اعطيك منزل الآحاد
فيما ذا يبالغون وهم لا   يبلغون الانصاف بعد الجهاد
لك خوف لو صادف العين في م   الحُلم لصارت تخاف طيب الرقاد
تفخر الناس بالجدود ولكن   انت فخر الاباء والاجداد

وارسله الى الديار المصرية ، ليستميل له خاطر الحضرة الخديوية ، لاصلاح أمره مع الدولة العلية ، وكان محمد علي باشا له وجاهة كبيرة ، ومنزلة عند الدولة رفيعة خطيرة ، فلبى دعوته ، وأجاب طلبته ، وكتب

في شأنه الى القسطنطينية ، واسترضى الدولة بموجب ارادة سنية ، ورفع عنه تلك الشدة ، بعد ما أقام في الحصار مدة ، وصار له عليـــه حق الجميل والاحسان ، على مدى السنين والأزمان ، غير ان عبـــد الله باشا كبرت نفسه بعد ذلك عليه ، وجحد فضل محمد علي باشا وإحسانه اليه ، وحصول العفو له على يديه ، وسلك معه سلوك اللئام ، الذين لا عهد لهم ولا ذمام ، وتكلم في حقه بما لا يليق من الكلام ، فلما بلغ محمد علي باشا هذا الخبر ، زاد به الغيظ والكدر ، وكتب الى حضرة السلطان محمود خان ، يعلمه بهذا الشأن ، ويلتمس من جلالته ، خلع عبد الله باشا عن ولايته ، فلم يكترث بخطابه ، ولا أجابه على كتابه ، واستعظم منه ذلك الأمر ، ورآه من عجائب الدهر ، ولم يعد يمكنه الاصطبار ، على ذلك الذل والعار ، فجهز ولده المعلوم بالعناد ، والمبغوض لدى العبـــاد ، ابراهيم باشا راس الفساد وخراب البلاد ، ان يسير لحرب الديار الشامية ، واردفـــه بالعمارة البحرية ، واصحبه بثلاثين الفـــاً من العسكر ، الذين لا يبالون بالخطر ، ولا يهابون الموت الأحمر ، فسارت العساكر ، بالمهمات والذخائر ، قاصـــدة الديار الشامية ، على طريق البرية ، وأما القائد العـــام ، لهؤلاء العساكر الطغام ، وهو ابراهيم باشا فانـــه نزل في العمارة البحرية ، مـــع باقي الجيوش العسكرية ، وكان من جملة معاونيه ، عباس باشا ابن أخيه ، وابراهيم باشا الصغير ، وغيرهما من القواد المشاهير ، وكانت العمارة المصرية ، مؤلفة من ست عشرة قطعة حربية ، وسبع عشرة سفينة وَسْقِيـَّة ، تحت رياسة أحد القوادين من الضباط المصرية ، عثمان بك نور الدين ، وكان خروجه من بغاز [1] الاسكندرية ، في غرة جمادى الأولى سنة ١٢٤٧ هجرية ، فوصل في خمسة أيام ، إلى حيفا إحدى أساكل [2] بر الشام ، وهي بلدة تبعد عن عكا ثلاث ساعات ، وأهلهـــا

---

(١) هو الخليج ، أو المضيق (تركية) .

(٢) مفردها : إسْكَلَة ، وهي المرفا أو المينا (ج) مرافىء وموانى‌ء .

يبلغون نحو ثلاثة آلاف من النسمات ، ولما ألقت المراكب مراسيها ، نزل ابراهيم باشا اليها وخيم في نواحيهـا ، فتزلزت بقدومه الديار الشامية ، وارتجت من هيبته رجة قوية ، وأما باقي الجيش والعسكر ، الذي سار على طريق البر الأقفر ، فإنه كان قد واصل التسيار ، وجد في قطـع البراري والقفار ، فأشرف على عـكا من الجهة الجنوبية ، في عشرين من تشرين الثاني (سنة ١٨٣١ مسيحية) ، وانضم إلى باقي الجيوش المصرية ، وكان لما بلغ عبد الله باشا هذا الخبر ، وأبصر الجيش والعسكر ، أحاط به الخوف واندعر ، وطار من عينيه الشرر ، ففرق الأموال ، وجمـع الفرسان والأبطال ، وشرع في تحصين القلع والأسوار ، واستعد للقتـال والحصار ، وأرسل يستدعي من حوله من الأكابر والأعيان ، وكتب بخط يده إلى الأمير بشير حاكم لبنان ، يستنجده لهذا الأمر ، ويقول له : ان المشايخ بني الجرار وبني صقر وعرب السلط وبني صخر ينتظرون قدومه اليهم ، ليكون رئيساً عليهم . وفي أثناء ذلك يذكره بالصداقة القديمة والمحبة ، ويثني على أمانته وحفظه المودة والصحبة ، متمثلاً بقول الشاعر :

وأنت الخالص الذهب المصفى   بتزكيـتي ومثلي من يزكي

وكانت عكا في تلك الأيام ، من أشهر مدن بر الشام ، وكرسي الولاة والحـكام ، ذات أبراج حصينة ، وقلاع متينة ، مشحونة بالذخائر والمهمات ، وآلات القتال والجبخانات [١] ، وفيها من رجال الحرب ، وفرسان الطعن والضرب ، نحو خمسة آلاف مقاتل ، بين فارس وراجل ، وكان ابراهيم باشا صاحب الهمة العلية ، قد تقدم نحو عكا في فرقة قوية ، من الفرسان والطوبجية [٢] ،

---

(١) جمع جبخانة : وهو موضع حفظ الأسلحة .
(٢) طوب : مدفع ، والطوبجية : هم مطلقو المدافع . وهي وما سبقهـا : كلمات تركية ، غلب استعمالها في بلاد العرب .

وبنى أتراساً متينة ، على تل هناك تجاه المدينة ، يقال له تل الفخار ، ووضع عليه المدافــع والقنابل الكبار ، وأرسل إلى عبد الله باشا يقول ، ضمن كتاب مــع رسول ، أن يسلم المدينة ، بطريقة أمينة ، ويربح دم العبــاد ، وسلامة البلاد ، ويبادر إلى ملتقاه ، ويعتذر مما جناه ، ويدخل تحت لواء الحضرة الخديوية ، ويعيش باقي أيامه في عيشة رغد ورفاهية ، وعين له أجلا للحضور وتسليم الحدود والثغور ، ان تجاوزه ولم يخضع لأمره ، يضربه بالمدافع ويجعل كيده في نحره ، وحينئذ يأخذه أسيراً ، ويرسله إلى مصر ذليلا حقيراً ، ولا يعود يفيده الندم ، بعد فوات الفرصة وزلة القدم ، فلما وقف على كتابــه ، وفهم فحوى خطابه ، شق ذلك عليه ، وعظم الأمر لديه ، وحــدثه عقله السقيم ، بعدم الطاعة والتسليم ، وتصلب على المحاصرة والمقاومة ، وأصر على المدافعة والمصادمة ، ورفض أمر الصلح والمسالمة ، وسعى بسوء تدبيره ، على خرابه وتدميره ، ولم يعلم ان أيامــه قد مضت ، ومدة أحكامه زالت وانقضت ، واستمرت بينهما المخابرة نحو عشرة أيام ، وعبد الله باشا يحاوله بالكلام ، ولا يقدر عواقب الأيام ، وكان مستر بيتر أبوت ، قنصل دولة الانكليز في بيروت ، لما بلغته هذه الأخبار ، سار قاصداً تلك الديار ، واجتمع في ابراهيم باشا في الخيام ، بعد مسيرة ثلاثة أيام ، وأخذ يلومه بالكلام ، على قدومه الى بر الشام ، بدون رخصــة سنية ، من الدولة العلية ، بقوله له ان هذا العمل ، لا توافق عليه بقيــة الدول ، لا سيما الدولة الانكليزية ، المتحدة مع الدولة العثمانية ، على حفظ الصداقة واخلاص الطوية ، فاغتاظ ابراهيم باشا منه وتأثر ، غير أنه لم يظهر له من غيظه ما اضمر ، وقال له اعلم ، أيها الصديق الأكرم ؟ اني حضرت بالعساكر

الجهادية ، لاستخلاص الديار الشامية ، انتقاماً من عبد الله باشا بأمر الحضرة الخديوية ، فان كان ذلك لا يوافق دولة الانكليز ، فعليها أن تخاطب به جناب والدي العزيز ، فمتى امرني بالرجوع ، عدلت عن هذا المشروع ، والا فلا ارجع بدون ذلك ، ولو قامت علي جميع الممالك ، ثم نهض على الأثر وتوجه قاصداً المعسكر ، ولم يلتفت الى حديث مستر أبوت وكلامه ، ولا اكترث بتعنيفه وملامه ، واستمر على ما كان قد قصد . من ضرب الاسوار وهدم البلد ، فلما انقضت مدة الميعاد المعهود ، وفات وقت الأجل الموعود ، وعبد الله باشا ما زال مصراً على عدم تسليم المدينة ، معتمداً على قوته وعلى اسوارها الحصينة ، استعد ابراهيم باشا وتأهب ، في اليوم الرابع من شهر رجب ، الى ضرب المدينة ، وهدم أبراجها المتينة ، فأرسل الى رؤساء الطوبجية ، وقائد العمارة الحربية ، يأمرهم باطلاق النار ، على الأبراج والأسوار ، فامتثلوا ما أمر ، ولم يمض إلا لمحة بصر ، حتى اطلقت المدافع والقنابل ، على الحصون والمعاقل ، وكان الضرب متواصلاً من الخارج والداخل ، كالغيث الهاطل ، وكان قد أرسل الى الأمير بشير حاكم الجبل ، كتاباً يستدعي حضوره بالعجل ، ليقرره في مركز حكومته ، ويعيش في ظل نعمته ، فلما وقف على هذا الخطاب ، داخله الخوف والاحتساب ، وجمع أكابر لبنان ، ومن يعتمد عليهم من الأعيان ، واستشارهم في هذا الشأن ، فاستقر رأي الجمهور ، على عدم التسليم والحضور ، خوفاً من عواقب الأمور ، فلما ابطأ في قدومه ، واصر على عدم تسليمه ، استشاط ابراهيم باشا غضباً ، وتبدل واسع حلمه لهباً ، وكان قد صمم النية ، على أن يدهمه بالعساكر النظامية ، ويقبض عليه جبراً ، ويستولي على لبنان قوة وقهراً ، ثم توقف وعدل ، عن هذا العمل ، لأن أباه كان أوصاه به قبل خروجه من القاهرة ، بالعساكر الظافرة ، نظراً لما كان وقع له عنده ، من التقرب في المودة ، وذلك عند زيارته الديار المصرية ، وتمثله أمام

الحضرة الخديوية ، في طلب العفو والأمان ، حسبما قررناه قبل الآن ، فكتب الى والده بمصر ، يعلمه بهذا الأمر ، فلما وقف العزيز على هذا الخبر ، داخله الغيظ والكدر ، وتأثر من مخالفة الأمير ، وكتب اليه كتاباً على سبيل التنبيه والتحذير ، يعاتبه على ذلك القصور ، ويتهدده بسوء العاقبة إن تأخر عن الحضور ، ومن جملة فحواه ، ومضمون ما حواه إن لم تحضر إلى خدمة ولدي ابراهيم باشا سريعا ، وتكون لأوامره سريعاً مطيعا ، فليكن عندك يقينا ، اني سأخرب مساكنك وأغرس أرضها عنباً وتينا ، وقد بالغنا في النصيحة ، وحذرناك بأقوالنا الصحيحة ، فاستيقظ من رقادك ، واحذر عاقبة عنادك ، قبل أن تهجم العساكر عليك ، وتأخذ ولايتك من بين يديك . فاضطرب الأمير بشير ، من هذا التهديد والتنذير ، وأثر فيه هذا الكلام ، وخاف عواقب الانتقام ، فصمم على التأهب والمسير ، للورود على ابراهيم باشا من غير تأخير ، وركب من يومه ، في مائة فارس من قومه . ولما أقبل على المعسكر ، خرج إلى ملتقاه أميرالاي (١) العسكر ، وتبعه بحري بك رئيس الكتبة ومصطفى آغا بربر ، وبعض رؤساء العساكر والجنود ، بالموسيقى وإطلاق البارود ، فدخلوا به الأوردي (٢) بموكب عظيم ، ونزل في الخيمة المعدة له قرب خيمة ابراهيم . وكان ابراهيم باشا حينئذ يجول بين الجيوش والقواد ، ويرتب الصفوف والأجناد ، وينشطهم على الهجوم والثبات ، والحرب قائمة على عكا من جميع الجهات . وعند رجوعه في المساء استدعى الأمير اليه ، فطيب قلبه وصفّى خاطره عليه ، ولاطفه بالحديث والكلام ، وأجلسه معه على سفرة الطعام ، وفوض اليه أحكام جبل لبنان ، واتخذه من جملة الحواشي والأعوان ، وكان قد أرسل فريقاً من العساكر ، بالمهمات والذخائر ،

---

(١) قائد اللواء .

(٢) الجيش .

لاستخلاص الثغور والأساكل ، تحت قيادة حسن بك المناسطرلي الرجل الباسل ، فاستولى على صيدا وصور ، وبيروت وطرابلس وباقي الثغور ، وكانت العمارة الرابطة تجاه عكا قد تعطل بعضها من شدة العواصف والأنواء ووقوع الكلل [١] الكبار ، التي كانت تسقط عليها كالأمطار ، من الأبراج والأسوار ، في الليل والنهار ، فأقلعت بأمر ابراهيم باشا إلى الاسكندرية ، في آخر كانون الثاني سنة الف ومائتين وسبع وأربعين هجرية ، والف وثمانمائة واثنتين وثلاثين رومية .

ولما بلغ السلطان محمود خــان ، قدوم ابراهيم باشا إلى عربستان [٢] ووضع يده على المدن والبلدان ، استولى عليه الغيظ والغضب ، وكتب إلى محمد باشا والي حلب ، يقول له من جملة الكلام : اعلم أيهـا الوزير الهمام ، قد انتهى الينا في هذه الأيام ، مجيء ابراهيم باشا بالعساكر المصرية ، لفتح البلاد الشامية ، والاستيلاء على ولاياتها ، ومدنها وباقي ملحقاتهـا ، واستولى على أطراف البلاد ، وانقادت اليه العباد ، فلذلك قد أصدرنا الأوامر والمراسيم ، بتجهيز العساكر وإرسالها إلى تلك الأقاليم ، تحت راية السردار [٣] الأكرم ، حسين باشا الأفخم ، فيجب عليكم ، بوصول أمرنا هذا اليكم ، ان تحصنوا القلاع والمعاقل ، وتجمعوا العساكر والجحافل [٤] ، وتستخلصوا منه تلك الأساكل ، قبل قدوم الجيوش المذكورة ، والعساكر المنصورة . فلما وصل هذا المنشور ، إلى الوالي المذكور ، شرع في تحصين البلد ، بالسلاح والعَدد والعُدد ، وجمع العساكر والجنود ، وعقد الرايات والبنود [٥] ، وسار إلى حمص من غير توان ، في سبعة آلاف عنان ،

---

(١) القنابل .
(٢) بلاد العرب .
(٣) السِّرْدار : أمير الجيش .
(٤) جمع جحفل ، وهو الجيش الكثير .
(٥) الأعلام الكبيرة (جمع بَنْد) .

من الأرناؤوط والهواري والعربان ، وعنـــد وصوله إلى المدينة ، حصن قلاعها بالمدافع والأبنية المتينة ، وأقام بفرسانه فيها ، وعسكر في جهاتها ونواحيهـــا ، منتظراً قدوم العساكر العثمانية ، ومجيء حسين باشا من القسطنطينية ، وأرسل أمامه عثمان باشا كامل ، في أربعة آلاف مقاتل ، بين فارس وراجل ، لقتال العساكر المصرية ، واستخلاص المدن البحرية ، فسار بهمة وحمية ، واستولى على اللاذقية ، ثم تقدم بعزم وثبات ، الى نواحي طرابلس وتلك الجهات ، فالتقاه من عساكر مصر شرذمة ، نحو خمسمائة نسمة ، وكان في مقدمتهم الأمير خليل الشهير ، ابن الأمير الشهابي بشير ، وبمعيته ستمائة بطل ، من عسكر الجبل ، ولما وقعت العين على العين ، اشتعلت نيران الحرب بين العسكرين ، والتقت الفرسان بالفرسان ، والأقران بالأقران ، واختلف الضرب والطعان ، وسالت الدماء على أديم الصحصحان [1] ، وأخذ حده السيف والسنان ، ولم تكن إلا ساعة من الزمان ، حتى تضعضعت من عثمان الأركان ، فولى الادبار ، واستنجد بالفرار ، ورجع بمن معه من الفرسان والأنفار ، الى قلعة الحصن وبلاد عكار ، وهو في حالة الذل والانكسار ، وحينما بلغ ابراهيم باشا هذا الخبر ، ومجيء محمد باشا الى حمص بذلك العسكر ، وهو إذ ذاك محاصر عكا الحصينة ، وقد كاد أن يفتحها ويهدم أسوارها المتينة ، تجهز من يومه وسار ، في أربعة آلاف فارس كرار ، قاصداً تلك الديار ، وترك عكا تحت الحصار ، ثم عجل في السير ، وسابق بسيره الطير ، فادرك عثمان باشا في أرض الزراعة بقرب القصير ، وكان محمد باشا قد أمده بالمهمات والذخائر ، وأضاف اليه فرقة من العساكر ، فناوشه الحرب ، وبادره بالطعن الضرب ، فقهره وكسره ، وفرق جيشه وعسكره ، وفر عثمان باشا من ساحة المعمعـة ، وترك الذخائر والمهمات والامتعة ، ولجأ الى حمص بمن سلم من جنده معه ، بعد ما قتل من عسكره

(١) ما استوى من الأرض وكان أجرد .

نحو الف قتيل ، ومن المصريين نفر قليل ، ثم رجع ابراهيم باشا على الأثر ، بعد ما غلب وقهر ، وفاز وانتصر ، وغنم واسر وبلغ القصد والوطر ، واتى دير القمر ، وترك فيها الفاً وخمسمائة نفر ، من شجعان العسكر ، وعاد الى عكا بعد ذلك الانتصار ، وشدد عليها الحصار ، وكان قد ارسل عباس باشا الى بعلبك في اليوم الخامس عشر من نيسان ، وأصحبه بألايَيْن من الفرسان ، ليقيم محافظاً في ذلك المكان ، وكانت الحرب على عكا قائمة ، والمدافع على أبراجها متصلة دائمة ، حتى هدم أكثر حصونها وأسوارها ، وسقط رونق مجدها وفخارها ، من وقوع الكلل والقنابل ، وهجوم الأبطال والجحافل ، وكانت سكان البلد ، من الشيخ إلى الولد ، في خوف واحتساب ، وقلق واضطراب ، من سقوط الكلل وأصوات البارود ، فكانوا يستترون تحت العقود ، واستمر القتال ، على هذا المنوال ، مدة سبعة شهور ، بلا انقطاع ولا فتور ، وكان المصريون في أثناء الحصار ، يحفرون حفراً تحت أساسات الأسوار ، ويضعون فيها البارود ويضرمونها بالنار ، فتهدم ما فوقها من البنيان .

ولما كان يوم الجمعة الموافق من ذي الحجه سنة ١٢٤٧ هجرية ، صمم ابراهيم باشا النية ، بقيام هجمة قوية ، لينتهي بها الحال ، وتكون واقعة الانفصال ، فجمع أركان حربه اليه ، وأخبرهم بما قد عول عليه ، وأعطاهم الأوامر والارشادات اللازمة ، المتعلقة بكل واحد منهم في تلك المهاجمة ، وعين لها اليوم الثاني من ذلك النهار ، وهو السابع والعشرون من ذي الحجة والثامن والعشرون من أيار ، ولكن لما كان الأحسن قبل القتال طلب التسليم على أحسن حال ، أرسل إلى عبد الله باشا قائداً من العمد ، يطلب اليه أخيراً أن يسلم البلد ، قبل أن تفوته فرصة الأمان ، ويقع في قبضة الأسر والهوان ، وانه غير منفك عن هذا الشأن ، ولو تحزبت عليه جبابرة الأرض ومردة الجان ، فلم يلتفت عبد الله باشا إلى هذا التحذير والتنذير ،

وعده من باب الخوف والتقصير ، وقال للقائد المذكور : ان مدة الحصار لم تتجاوز بعد سبعة شهور ، والمدينة بحمد الواحد الأحد ، مشحونة بالسلاح والعدد ، وفيها من الجبخانات [1] ، والذخائر والعلوفات ، ما يكفيها خمس سنوات ، فمتى جاء الوقت المعهود ، وفرغ الزاد والبارود ، وانقطع عنا الامداد والاسعاف ، ننظر حينئذ في إنهاء هذا الخلاف . فلما عاد القائد إلى مولاه ، وبلغه جواب عبد الله ، تعجب من وقاحته وحار وأمر بإطلاق المدافع على الحصون والأسوار ، فأطلقت طول ذلك الليل ، وانصبت على البلد كعارض السيل ، ولما كان الصباح ، تأهب العسكر للهجوم والكفاح ، فقرعت الطبول ، ولمعت النصول ، وخفقت الرايات ونفخ النفير ، وانقسمت الآليات إلى فرق وطوابير ، وسارت العساكر ، كالأسود الكواسر ، بحسب صدور الأوامر ، طالبة القلاع والابراج ، بدون خوف ولا انزعاج ، وفي مقدمتها هاتف السعد والاقبال ، ينشد قول من قال :

هيا بنا هيا بنا — للحرب نلقى ضدنا
نحن الأسود الكاسرة — نحن السيوف الباترة
من أرض مصر القاهرة — سرنا وقد نلنا المنى
هيا بنا هيا بنا — للحرب نلقى ضدنا
نحن الجهاديون لا — نخشى غباراً إذ علا
ولم ندق في البلا — صدراً إذا الموت دنا
هيا بنا هيا بنا — للحرب نلقى ضدنا
بارودنا شراره — يشوي الوجوه ناره
وسيفنا بتاره — من العدى تمكنا

---

(١) مواضع حفظ الأسلحة ، والأسلحة .

ولم تكن إلا ساعة من النهار ، حتى أشرفوا على الأسوار ، واندفقوا عليها كالبحار ، وكان أول من هجم بأمر ابراهيم ، طابور من الالاي العاشر على برج كريم ، الكائن في الجهة الغربية ، من الأسوار الشمالية ، ثم اتبعه على الأثر ثلاثة طوابير [١] أخر ، تحت قيادة الشجاع الشهير ، ابراهيم باشا الصغير ، وهو والد جناب حيدر باشا وخليل باشا يكن ، أصحاب الخلق الجميل والصيت الحسن ، وانعطفوا بحملاتهم أسرع من البرق ، على الكائنة تجاه الشرق ، وكانت أكثر هذه المواضع ، مثقوبة بكال المدافع . وأما أسد الآساد ، وسيف الجهاد ، وقائد القواد ، فكان سائراً على أثر العساكر ، وبمعيته طابوران من الالاي [٢] الخامس والعاشر ، وكان يجول على ظهر جواده ، بين صفوف فرسانه وأجناده ، وهو يشجعهم بالكلام ، وينشطهم على الهجوم والاقتحام ، ويعدهم بالمكافاة والانعام ، فلله درهم من فرسان وأبطال ، ما أشدهم في الحرب والقتال ، وأثبتهم في ميدان النزال ، على المخاطر والأهوال . وكان الرصاص يتناثر عليهم كالبرد ، من الأبراج ومتاريس البلد وهم ثابتون ثبات الجبابرة ، أو الأسود الكاسرة ، غير مبالين بالخطر ، طمعاً بالنصر والظفر ، وبلوغ القصد والوطر ، بل كانوا يهجمون ، على الأسوار والحصون ، بهمم وعزائم ، أمضى من الصوارم ، وينصبون عليها السلالم ، ويتسلقون فوقها كالضراغم ، هذا ولم ينتصف النهار ، حتى تمكنوا بالقوة والاقتدار ، على أكثر الحصون والأسوار ، ونشروا عليها بيارق الانتصار ، فاستولى الطابور الثاني ، على المراكز والمباني ، التي في الناحية الشرقية ، المتصلة بأطراف الأسوار الشمالية ، واستولى الطابور السادس ، من الالاي الخامس ، على جميع الصوايح ، التي في جهة النبي صالح ، وهكذا استولى الالاي الاحتياطي ،

---

(١) جمع طابور (تركية) وهو فوج أو كتيبة .

(٢) كتيبتان من الجيش .

على المتاريس الواقعة بقرب الشاطىء ، فلما رأى عبد الله باشا ذلك الهول العظيم ، والخطب الجسيم ، ندم على عدم الطاعة والتسليم ، وعلم ان نجمه قد سقط ، وعقد عزه قد انحل وانفرط ، وانه عما قريب يؤخذ أسيراً ، ويقاد أمام عدوه ذليلا حقيراً ، بعد أن كان والياً ومشيرا ، ولكنه أظهر الصبر والجلد ، وسار بالعسكر الى خارج البلد ، بقصد المدافعة والممانعة ، وسد أبواب الهجمات المتتابعة ، فخاض ساحة المعركة ، وجرت بينهم وقعة مهلكة ، قتل فيها من قواد المصريين ، وأبطالها المشهورين ، الشجاع المقدام ، اسماعيل بك القائم مقام ، وبموت هذا الأسد الغضنفر ، ارتد جيش المصريين وتأخر ، وضعفت عزيمته وتقهقر ، فلما رأى ابراهيم باشا أن العسكر ، قد أمسى في ارتباك منكر ، خشي من الهزيمة والانكسار ، بعد ذلك الفوز والاستظهار ، فتقدم نحو جنوده بحرسه ، وهو راكب على ظهر فرسه ، وجعل يحرضهم على الثبات والجهاد ، ويحثهم على الصبر والجلاد ، ويقول هذا يوم الانتصار ، هذا يوم الافتخار ، هذا يوم بلوغ الأوطار ، فكانوا تارة يتقدمون وتارة يتأخرون ، فعند ذلك سل سيفه من غمده ، وانعطف بالحملة أمام جنده ، واقتحم مواكب الأعداء فشق الصفوف والكتائب ، وأظهر بشدة شجاعته وبسالته العجائب ، فتشجعت عزيمة العساكر ، من هيبة هذا البطل الكاسر ، وداخلتهم الحماسة والفتوة ، وكروا على أعدائهم بكل نشاط وقوة ، فسدوا عليهم الطرق والطرائق ، وأثخنوهم بضرب السيوف والبنادق ، وأزاحوهم إلى ما وراء الخنادق ، ثم قويت عزيمة المحصورين ، وانعطفوا بالحملة على المحاصرين ، وحينئذ اختلط الرجال بالرجال ، والأبطال بالأبطال ، والتحم القتال ، واتسع المجال ، وعظمت الأهوال ، وجرى الدم وسال ، وتمكنت الصوارم ، في الرقاب والجماجم ، والحراب والخناجر ، في الصدور

والخواصر ، وكان يوماً من أعظم الأيام ، وساعة يشيب من هولها رأس الغلام ، لأن الدمـــاء كانت تسيل كالمطر ، والجثث تتساقط على الأرض كأوراق الشجر ، والسهول والتلال ، تهتز من ضجيج الرجال ، وأصوات المدافع التي تزعزع الجبال ، حتى خيل للنظار ، في ذلك النهار ، ان الساعة اقتربت ، والأرض ارتجت واضطربت ، والسماء غابت واحتجبت ، والمدينة احترقت وانقلبت ، ولقد أحسن المقال ، وصدق من وصف عــكا في ذلك وقال :

قد قيل ان جهنما تحت الثرى ما لي أراها فوق عكة تضرم
لو لم تكن دار الشقاوة عكة ما أضرمتهـــا بالشرار جهنم

واستمرت تلك المعاركة ، والمهاجمة المتداركة ، من الصباح إلى بعد العصر ، حتى هبت ريح النصر ، وكانت قد كلت جموع عبد الله باشا ، وانحل عزم نشاطها وتلاشى ، وعجزت عن حماية البلد ، ولم يعد لها أدنى ثبات ولا جلد ، فألقوا سلاحهم ، وسلموا أرواحهم ، خوفاً من حلول البوار ، ونزول الدمار ، وطلبوا لأنفسهم الأمان ، واختـــاروا الأسر والهوان ، وانصبت العساكر المصرية كالسباع ، واندفعوا على البلد أشد اندفاع ، بقلوب لا تخشى الموت ولا ترتاع ، وتسلموا باقي الأبراج والقلاع ، واستولوا على مدينة عكا عنوة وقهرا ، بعد انحصار سبعة أشهر براً وبحراً ، وتسلم ابراهيم باشا زمام تدبيرها ، وقبض على عبد الله باشا وزيرهـــا ، وألقاه تحت الحفظ والترسيم ، بعد ما وبخه على فعله الذميم ، وسلوكه الغير المستقيم . وفي اليوم الثاني وهو يوم الأحد ، نزل في قصر البهجة خارج البلد ، وهو أحد القصور ، المختص بعبد الله باشا المذكور ، ولما استقر في ذلك المكان ، خرج اليه الأكابر والأعيـــان ، وطلبوا منه الأمان ، فأجابهم إلى ذلك الشان ، وعاملهم باللطف والاحسان ، ثم أمر

بكتابة الأوامر والمراسيم ، إلى ولاة المدن والأقاليم ، يعلمهم بذلك الفتح والنصر ، وانه استولى على عكا بالقوة والقهر ، فكتبت في الحين ، وأرسلت إلى الولاة والمحافظين ، وهذه صورتها :

بعد السلام عليكم ، المنهى اليكم ، انه نهار أمس ، عند طلوع الشمس ، زحفت عساكرنا المصرية الظافرة ، بالقوة والسطوة القاهرة ، واندفعوا على مدينة عكا اندفاع الأسود الكاسرة ، وبادروها بالمهاجمة ، واقتحموها بالمصادمة والمقاومة ، إلى أن فتحوها بقوة الحرب والنار الدائمة ، وصعدوا أسوارها الرفيعة ، ووطئوا أبراجها المنيعة ، وغدت عساكر الأعداء مقهورة ، أمام عساكرنا المنصورة . ولما تضعضعت منهم الأركان ، ورأوا ما جرى وكان ، ورفعوا الرايات وطلبوا الأمان ، فأجبناهم إلى سؤالهم ، وبلغناهم غاية آمالهم ، وعاملناهم بالرفق والاحسان ، شفقة على الأهالي والسكان ، ورأفة بالبنات والصبيان ، والأطفال والنسوان ، وأخرجنا عبد الله باشا وكتخداه [1] ، وقواد عسكره وزعماه ، واستولينا على عكا قهراً بإذن الله ، ولأجل إعلان هذه البشرى حررنا لكم هذا المنشور ، من ديوان عسكرنا المنصور ، لتعلنوا مضمونه بالشنلك [2] والسرور ، وتواظبوا تأدية الدعوات الخيرية ، إلى حضرة باري البرية ، بدوام بقاء سعادة ولي النعم ، جناب والدنا المعظم . حرر في ٢٨ ذي الحجة سنة الف ومائتين وسبع وأربعين وختمه تحت الامضا : سلام على ابراهيم .

وبعد ذلك استدعى بعبد الله باشا فحضر بين يديه ، وسلم عليه ، واعتذر اليه ، وتصور الموت نصب عينيه ، فلاطفه وطيب قلبه ، وسكن روعه ورعبه ، وأجلسه بالقرب من حضرته ، وقابله بما يليق بمقامه ورتبته ،

---

(١) أمين نفقته ، أو بيت ماله .

(٢) بالفرح والتزين .

ثم أرسله إلى أبيه أسيرا ، وعند دخوله على أبيه وقع على قدميه مستجيرا ، ملتمساً منه الرضى ، والعفو عما قد مضى . فلما رأى حاله ، صفح عنه وأذهب أوجاله ، وأنزله في أحسن السرايات ، وأجرى له ما يلزمه من الحوائج والنفقات ، ثم أرسله بالتكريم إلى دار السعادة ، فبعد وصوله أرسلته الذات الشاهانية شيخاً على حرم المدينة الشريفة ذات السيادة . ولم يزل في المدينة عدة سنين ، حتى توفي بها سنة الف ومائتين ونيف وخمسين [١] .

الشريف عبد الله باشا بن الشريف محمد بن الشريف عبد المعين ابن الشريف عون بن الشريف عبد المعين بن الشريف عون بن الشريف محسن المكي

بدر فضل قد ترقى على مدارج الصعود ، ومشكاة أصل قد اقتبس من نورها طالع اليمن والسعود ، وبحر نوال قد احتوى على أفنان الرغائب ، وجد كمال قد استوى على عرش المناقب ، سرى في معارج السعادة حتى وقف على الأعلى ، وجرى في مناهج السيادة إلى أن كشف الجلي منها والأجلى :

طيب النبوة فيه عنه يخبرنا ... بأنه ثمر من دوح [٢] طوباها
كريم نفس من الاحسان قد جبلت ... منه الطباع وإن الفضل أعلاها
ذات من اللطف صاغ الله عنصرها ... وقد كساها حلاها حين سواها
لم يظفر الوهم يوماً في تصورها ... ولا يزور خيال الوهم مغناها

تردى برداء الفضائل فكان لها مظهرا ، وتصدى لورود الأفاضل فكان لها مورداً ومصدراً ، وجمع المحاسن الداعية لطواف الأحاسن حول

---

(١) يلاحظ أن الألفاظ التركية العسكرية وغيرها ، كانت شائعة ومستعملة ، ومفهومة المعنى إذا لفظت أو كتبت في الجمل العربية ، ولكنا فسرناها للجيل الجديد الذي أبطل استعمالها .

(٢) الدوح جمع دوحة وهي الشجرة العظيمة المتسعة .

كعبة ذاته ، وطبع القلوب على الشغف بديع أفعاله ومليح صفاته ، واشتهر قدره في العالم اشتهار الحسن للقمر ، وانتشر ذكره بين الأنام انتشار العبير في حدائق الزهر ، وتسامى علاه بالمجد إلى أن سما فوق المجرة (١) ، وترامى على أقدامه فرقد (٢) السعد وحفه بأنواع المسرة ، وبسم له ثغر الدهر مبشراً له بنوال مناه ، ورسم له من جلي القدر وعليّ الذكر ما تقر به عيناه ، ولاحظته عين الامداد بايثار البر والندى ، وصافحته يد الاسعاد براحة الارشاد والهدى :

انظر اليه ترى بدراً وشمس علا	وقطب فهم وعلم زان بالعمل
وليس يشبه هطل السيل نائله	هذا الذي جوده قد جل عن ملل
هيهات يحصي ذوو الأقلام ما اجتهدوا	أوصافه الغرّ ذات العز والجزل
حقق ترى جملة الأوصاف شيمته	كأنه قد براها الله في رجل

قد ألبسه الفخار تاج التوقير والاجلال ، وحرسته عين الحماية عن معاكسة الآمال ، وجذبته يد الأماني نحو كل مطلوب ، وجبذته يمين التهاني إلى كل محبوب ومرغوب ، وتهادت بنشر أريجه زهر الربا ، وتوالت بنقل عطر أخباره نسمات الصّبا ، وتبدى في أفق السمو فكان شمسه المنيرة ، وتردى بموجب الثناء فاستوجب قليله وكثيره ، وتكلل بإكليل المعالي فكان لإمارة الحجاز ولي عهدها ، وتسلسل نسبه الشريف في الأعالي فكان لراية الاعتزاز عَليّ مجدها :

هذا هو الشهم الذي حاز العلا	وجلت لنا الألطاف رفعة قصده
والماجد البطل الذي للارتقا	لا زال يرفعه الزمان بجده
تالله هذا للفضائل حلية	وجيد هذا العصر لؤلؤ عقده

---

(١) المجرّة : منطقة في السماء قوامها نجوم كثيرة ، والعامة تسميها « درب التبّانة » .

(٢) الفرقد : نجم قريب من القطب الشمالي يهتدى به ، وبجانبه آخر أخفى منه فهما فرقدان .

فلعمري لقد أنار الله به ربوع الفضائل ، وأدار على محور عليائه مدار شمائل الأفاضل ، ونشر للخافقين أجنحة الثناء عليه ، وجمله بما كمله به من العواطف النبوية الآيلة بالارث اليه ، وخفضت هيبة جلالته العيون عن النظر في محياه ، وحجبت عظمة ذاته المصطفوية الظنون عن توهمها احصاء نعته وحلاه :

فهو الهمام الذي صحت سيادته   واشتق من خير خلق الله عنصره
مهذب فطن كادت فراسته   عما بقلبك قبل القول تخبره
من معدن المجد حقاً كان هيكله ال   عالي وكاد فؤاد اللطف يضمره

هذا وان غوامض فكره تحكي الدراري عدا ، وفرائض شكره لم تبلغ الألسنة لها حدا ، فاق على الكرام بكرمه المشهور ، وراق لديه الإنعام حتى صار به كالعلم المنشور ، ونحته المعالي إلى أن وقفت ببابه ، وتخيرته لأن تكون مقصورة على سموها بجنابه :

ربيع إذا ما زرته زرت روضة   يفتح فيها جوده حدق الزهر
إذا يده البيضاء أخرجها الندى   فقد نلت ما ترجوه من وافر البر
فكم من بيوت شادها فيض كفه   فأضحت تجيد المدح بالنظم والنثر
فحدث وقل ما شئت في شأن فضله   فقد صح عندي انه زينة الدهر

فلا ريب انه عماد بيت قد ارتفعت بالشرف علائمه ، ومفرد وقت قد ارتقت على ذروة المجرة دعائمه ، وملاذ يمن لمن أمّ ساحة اشراق بدره ، ومعاذ أمن لمن يممه مشفقاً من املاق دهره ، كيف لا وهو الذي استرق الأفئده نوالاً ، واستحق الأثنية جمالاً وكمالاً ، مع كونه مجلي دقائق العلوم ، ومولى من تحلى بفهم حقائق المنطوق والمفهوم :

من كان يجهل في الأنام كماله   فأنا الذي أرويه من أنبائه
فيمينه كنز العطية والغنا   وشماله لم تدر جود عطائه

وصفاته نجم السماء يعدها وجبينه للدهر بدر سنائه
وكلامه الدر الثمين وعلمه قد فاق ضوء الشمس في اهدائه

ولد حفظه الله تعالى وأبقاه ، وأعلى في معارج السعادة والسيادة مرتقاه ، في أوائل ذي الحجة الحرام ، سنة الف ومائتين وتسع وخمسين من هجرة جده سيد الأنام ، فبسمت له ثغور الأفراح ، وحل طالع سعده في برج الاقبال والنجاح ، ولحظته عين الرئاسة منذ كان طفلاً ، ونظرته حدقة الفراسة فوجدته لكل رفعة أهلاً ، ولقد تمثل الدهر لوالده المعظم بين يديه ، وغدا يشدوه مهنئاً له بما لديه :

بملاذنا غوث الأنام [١] لك الهنا أبداً وقابلك الزمان بسعده
قد خصك المولى الكريم به وقد ود الهلال يكون خادم عبده

فرفع قدم الصعود منذ كان صبياً ، وارتقع على كاهل السعود فكان من ابتداء أمره علياً . ولم يزل مذ كان في حجر أبيه ، تنميه يد الإجلال وتربيه ، وهو يعرج على مدارج الكمال ، وينتقي أعلى الشمائل والخصال ، ويتخلق بأخلاق السادة ممن سلف ، ويتحقق بحقائق ذوي السعادة والشرف ، وذلك في البلدة المكرمة ، والبقعة الشريفة المعظمة ، مكة التي بها أميطت عنه التمائم [٢] ، وتحلت بعقود حلاه أجياد الفضائل والمكارم ، محوطاً بسور إمارة والده على الأقطار الحجازية ، وكان الذي ولّى والده هذه الإمارة العلية ، حضرة المرحوم السلطان محمود سنة الف ومائتين وسبع وستين . وحينما انفصل والده من الامارة توجه إلى الآستانة العلية بطلب أمير المؤمنين ، فتوجه معه المترجم وكان عمره ثماني سنين ، فقرأ القرآن العظيم وأجاده ، ثم أقبل على طلب العلم فوق العادة ، ونهج مناهج

---

(١) غوث الأنام أو المخلوقات : هو الله الذي لا إله إلاّ هو .

(٢) جمع تميمة ، وهي خرزة أو ما يشبهها ، كان الأعراب يضعونها على أولادهم للوقاية من العين وإماطة التمائم كناية عن الكِبَر .

الصدور والأعيان ، وعرج معارج السادة ذوي الفضل والشان ، واستدام حفظه الله على ذلك ، سالـكا في مستقيم هذه المسالك ، إلى أن عـاد والده الشريف إلى الإمارة العلية ، سنة الف ومائتين واثنتين وسبعين هجرية ، فعاد مع والده لوطنه وبلدته ، ومحل ولادته ونشأته ، فنما بها ونحا نحو المعالي والصعود ، وسما إلى أن استوى على مطالع اليمن والسعود ، ولازم أهل العلم والفضل ، وتحلى بالعبادة واللطافة والعقل ، متكللاً باكليل النباهة والأدب ، متكملاً بجميل المجد وجليل النسب ، حاسماً مادة الخروج عن المنهج الأكمل ، راسماً على نفسه أن يترقى في أطواره عن كل جميل إلى أجمل ، ولم يزل إلى أن طلع في سماء الهداية بدرا ، وارتفع على أسرة العناية فكان لها هامة وصدراً ، وزرع في القلوب حب المحبة ، فأثمرت سنابلها كل سنبلة الف حبة .

وفي سنة الف ومائتين وأربع وسبعين في شهر شعبـان ، توفي والده الشريف وانتقل لأعلى الجنان ، وكان قد بلغ من العمر سبعين سنة ، جعل الله ذروة الفردوس مقره ومسكنه ، وكانت مدة إمارته أولاً أربعة وعشرين عاما ، وثانياً سنتان وجملة امارته ستة وعشرون عاماً تنقص أياما ، وبقي المترجم بعد موت والده مستقيما في البلد الحرام ، وكان له بهـا التقدم ورفعة المقام .

وفي سنة سبع وتسعين توفي أخوه الشريف حسين باشا وكان بعد موت والده على الحجاز أميرا ، فمات شهيداً وفاز مع الذين جزاهم بما صبروا جنة وحريرا ، فتولى حضرة المترجم الامارة بطريق الوكالة ، الى أن حضر الشريف عبد المطلب الى الحجاز أميراً بالأصالة ، ثم في السنة المذكورة في رجب ، توجه الى الآستانة وكان قد توجه له من الخليفة الأعظم طلب ، وفي ذي الحجة من السنة المذكورة ، عـاد بالرخصة الى وطنه وبلدته المشهورة ، وبقي هناك الى سنة تسع وتسعين ، فانفصل الشريف عبد المطلب

آخر شوال فكان المترجم لوكالة الامارة خير أمين ، ولم يزل إلى أن شرف أخوه عون الرفيق باشا من الدار العلية ، فاستوى من إمارة الحجاز على سدتها السنية ، وفي أواخر ربيع الأول سنة ثلاثمائة والف ، عاد سيدنا المترجم إلى دار السعادة بكل تكريم ولطف ، فعينه مولانا أمير المؤمنين السلطان عبد الحميد خان ، عضواً في شورى الدولة مع توجيه الوزارة ذات القدر والشان ، وهو بحمد الله لم يزل عالي القدر ، رفيع المرتبة عميم الشهرة والذكر ، وافر العلم والعمل ، نائلاً من الرغائب كل مرام وأمل . وفي سنة الف وثلاثمائة وسبع في ذي القعدة الحرام ، حينما توجهت لدار السعادة دار العز والاحترام ، تشرفت بالحضور لديه ، والمثول بين يديه ، فأفرغ علي حلة سروره ، وقابلني ببشره وحبوره ، وأنالني من اقباله فوق ما يتعلق به الأمل ، وأولاني من افضاله والتفاته ما ألبسني ثوب الخجل ، وحباني من رعايته ما أغرقني ببحر فضله ، ولا غرو فإن الشيء لا يستكثر على أهله [١] .

الأمير عبد الله باشا فكري بن الأمير محمد افندي بليغ بن الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد المصري رحمهم الله تعالى أجمعين

هذا الأمير حيا الرضوان منه تلك الشيم ، وعامله بالمن والإحسان والجود والكرم ، إن لم يكن فوق أبي تمام [٢] ، فهو نظيره في النثر والنظام ، وإن كل ناطق بلسان ، وعارف بحسن واستحسان ، مجمع على

---

(١) في أعلام الزركلي انه توفي سنة ١٢٩٤ هـ وهنا يذكر المؤلف انه قابله في الآستانة (سنة ١٣٠٧ هـ) ولعلّ هذه الرواية أضبط والظاهر أنه كتبها في حياته ، ولم يذكر من بعد تاريخ وفاته .

(٢) حبيب بن أوس بن الحارث الطائي ، أحد أمراء البيان ، وله ديوان الحماسة وديوان شعره ، وكلاهما مطبوع . (توفي سنة ٢٣١ هـ) .

فضله الذي اقتضى لذكره التخليد ، فالعالم عرفه بعلمه والجاهل قال بالتقليد وهو من منذ لاح هلاله في أوجه ، وحل نجم سعوده في برجه ، يطير صيته في الأقطار ، ويسير ذكره في البلاد والأمصار ، وحينما شرف إلى الشام هو وولده امين بك الهمام حصلت بيني وبينه مودة ، ومجالس اجتماعات لمذاكرة الأدب معدة ، ولقد رأيت من فضله مالم أكن رأيته قبل ذلك ، وشاهدت من بديع كمالاته مالم أكن شاهدته من قبله لسالك . فلعمري هو المعروف بأصله وفصله ، والمشهود له بنبله وفضله ، له المقام الأحظى ، والمعارف التي ملأت سمعاً ولحظاً ، وهو منذ حلت عنه تمائمه ونيطت عليه عمائمه مخطوب الحظوة عند الأنام ، مطلوب الاتصاف بكل فضل ومرام .

تروى محاسن لفظه وكأنها درر وآراء كمثل دراري
ومآثر قد خلدت فكأنها غرروعزم مثل حد غرار [١]

ولد رحمه الله في أوائل شهر ربيع الأول ، من شهور سنة الف ومائتين وخمسين من هجرة السيد المكمل ، ومن غريب الاتفاق الموقع في العجب العجاب ، أن تاريخ ميلاده وافق جمل قوله تعالى [٢] : « قال إني عبد الله آتاني الكتاب » وجمل ذلك الف ومائتان وخمسون ، وهذه الموافقة المتفاءل بها على كماله من أعجب مايكون ، وكان له في الكتابة النفس العال ، والاسلوب الذي ليس له مثال ، حتى قيل فيه انه لو تقدم به الزمان ، لكان له بديمان ، أعني المترجم وعلامة همذان [٣] ، مع الديانة والعبادة ، والورع والزهادة ، والصلاح والتقوى ، والاخلاص في السر والنجوى . ولقد حفظ القرآن المجيد ، وأتقنه وجوده غاية التجويد ، ثم اشتغل في طلب العلم في

(١) الغرار : حد السيف .
(٢) الآية (٣٠) من سورة مريم .
(٣) أحمد بن الحسين بن يحيى الهمذاني أبو الفضل أحد أئمة الأدب ، وقد اشتهر بمقاماته المطبوعة (توفي سنة ٣٩٨ هـ) .

الجامع الأزهر ، والمكان الأنور ، وتلقى العلوم المعروفة المنقولة ، والرياضيات المشهورة المعقولة ، عن سادة أفاضل ، معروفين بالفضائل ، كالشيخ ابراهيم السقا والشيخ محمد عليش والشيخ حسن البلتاني وغيرهم من السادة العظام والعلماء الأعلام ، من أهل الفروع والأصول ، والمعقول والمنقول ، ثم اتصل بخدمة الحكومة السنية ، بعـــد أن أتقن اللغة التركية ، وذلك في أوائل جمادى الآخرة ، سنة الف ومائتين وسبع وستين من الهجرة الفاخرة ، ولم يزل ينتقل من مكان إلى أعلى ، ومن محل إلى أولى ، إلى أن توفي وزير مصر سعيد باشا رحمه أرحم الراحمين ، وذلك سنـة الف ومائتين وتسع وسبعين ، وخلفه الوزير اسماعيل باشا على البلاد المصرية فذهب المترجم المرقوم معه إلى الآستانة العلية ، لاستلام تقليد الولاية واداء التشكر للحضرة السلطانية . وفي عام اثنين وثمانين ترقى إلى رتبة (بيك) المعروفة بالرتبة الثانية ، ولم يزل بعد ذلك يتنقل إلى المقامات السامية ، وفي سنة ست وثمـانين نقل إلى ديوان المالية ، وفي سنة ثمان وثمانين جعل وكيل ديوان المكاتب الأهلية ، وفي سنة أربع وتسعين وجهت اليه رتبة المتمايز ، وفي سنة ست وتسعين صار وكيلا لنظارة المعارف العمومية فكان لها حـائزاً وأي حائز ، وترقى إلى رتبة ميرميران[1] ، ثم ضمت اليه وظيفة الكاتب الأول بمجلس النواب مع بقاء الوظيفة المتقدمة الذكر العالية الشأن ، وفي سنة تسع وتسعين فوضت اليه نظارة المعارف العمومية ، في ضمن النظار الذين كان منهم عرابي باشا صاحب الوقعة المصرية ، وفي سنه تسع وتسعين استقال من وظيفته ، مع بقية النظار الذين كانوا في معيتـه ، بناء على ماحصل من الفتنة والاضطـــراب ، والخلف بين العرابيين وحضرة الخديوي فخيم الجناب ، أثناء الحادثة العسكرية المشهورة ، وفي أواخر السنة المذكورة

---

(١) أمير أو رئيس الأمراء (فارسية) .

عقب الثورة العرابية ، طلب المترجم إلى الضبطية ، وسجن مع المتهمين من العلماء ، وغيرهم من الأكابر والأمراء ، ومَنَعُوا عنه معاشه ، وتكلم فيه بعض حاسديه بكل قباحة ووحاشه ، بما ليس له حقيقة ، ولا أصل ولا طريقة ، وتكرر عليه السؤال ، وتكدرت عليه الأحوال ، ولما ظهرت براءته ، وانفرجت عنه مساءته ، خرج من السجن المعلوم ، وظهرت براءته لدى العموم ، فنظم قصيدة بارعة سارت مسرى الأمثال ، يمدح بها الجناب الخديوي [١] ويتبرأ مما افتراه عليه الجهال ، ولما عرضت على حضرة الخديوي أجلّها ، وأحلها من القبول محلها ، وطلبه للمثول بين يديه ، وأقبل عليه بكليته وأعاد معاشه اليه ، فنظم قصيدة ثانية ضمنها واقعة الحال ، مع التنصل مما نسب اليه والتشكر على مانال ، وفي سنة ثلاثمائة واثنتين توجه إلى الأقطار الحجازية ، لأداء فريضة الحج الشرعية ، فاجتمع بأكابر علمائها ، وأفراد فضلائها وأدبائها ، فاعترفوا له بقدره ، وصدق كل منهم على ارتقائه في سره وجهره ، وله في هذه السفرة رحلة جليلة ، قد احتوت من بديع النظم والنثر على كل نكتة جميلة . وفي سنة ثلاثمائة وثلاث سافر من مصر لزيارة بيت المقدس والخليل والشام ، ومعه حضرة نجله عز تلو أمين بك الشهم الهمام ، فحينما حضر اعترف له الجميع بكماله ، وانه يندر في هذا الوقت وجود مثاله ، وشهد له فقهاؤهم بالتضلع من علوم الشريعة ، وفصحاؤهم بالبراعة في كل بديعة ، ومحدثوهم بصحة الرواية ، وعقلاؤهم بكمال الدراية ، ولا يزال أثره بينهم مأثورا ، وفضله على ألسنتهم مذكورا ، ثم رجع من دمشق إلى بعلبك وأخذ طريق الجبل الى بيروت ، وألوان الزهور في طريقه وأرجها يغني عن الشراب والقوت . وقد كان رحمه الله من الطبقة الأولى في النظم والنثر ، ومن الفرقة الذين انفردوا بالجاه والرفعة والقدر ، قد اشتهر ببراعة القلم في

---

(١) توفيق باشا .

ريعان شبابه أيام كانت مصر خالية من الكتاب ، يقل فيها الناظرون إلى لباب الآداب ، وكان على تأخره في الزمان ، يذهب في نثره مذهب أهل القرون الوسطى من أبنـــاء اللسان ، تمتزج عباراته بالأرواح رقة ، وتسري معانيه إلى عمائق القلوب دقة ، ولا شيء أسلس من سجعه ، إلا ما وهب من طبعه ، وغاية ما أقول ان شهرته رحمه الله في النثر والشعر معلومة تغني عن إطالة الكلام .

وكان من حال شبابه له في أكثر العلوم تضلع والمام ، فكان يكتب للملوك والأعيان ، على لسان الدولة المصرية ذات القدر والشان ، ولا يقدر أحد من أهل الأدب ، أن يقلده إذا أنشأ أو كتب ، فكان هذا الأمر قد انتهى اليه ، ودار مدار قطبه عليه ، وقد نوه بفضله وعلو قدره ، كثير من ذوي مصره وأهالي عصره ، منهم الأديب المـــاهر ، والناظم الناثر ، أحمد افندي فارس صاحب الجوائب والرأي العال ، فقد ذكر في كتابه سر الليال ، حين تكلم على السجع فقال : وممن برع فيه في هذا العصر ، وحق لديه العلو والفخر ، في الانشاآت الديوانية ، وهي عندي أوعر مسلكا من المقامات الحريرية ، الأديب الأريب الفـاضل العبقري ، عبد الله بيك فكري المصري ، فلو أدركه صاحب المثل السائر ، لقال كم ترك الأول للآخر . فسبحان المنعم على من يشاء بما شاء ، ومن أجل تلك النعم الانشاء .

ومن إنشائه كتاب له في زمن جناب اسماعيل باشا الخديوي السابق على لسان سعادة علي باشا مبارك ناظر المعـــارف العمومية الى المرحوم سلطان باشا حين كان مفتش الأقاليم الصعيدية يستحثه فيه على ترويج جريدة روضة المدارس وهي صحيفة استحدثت إذ ذاك في ديوان المدارس .

قال رحمه الله بعد ديباجة الكتاب :

لا يخفى أن تقدم الأمة في طريق التمدن ، ورسوخ أقدامها في ذروة التمكن ، انما يكون بواسطة عظمائها وعلمائها ، وفضلائها ونبلائها ، وهذا انما يمكن الوصول اليه ، والحصول عليه ، بنشر آثار بيانهم ، واستفادة العامة من استفاضة أنوار أذهانهم ، وهذا أيضاً لا يتأتى إلا بالوسائل النشرية ، أي بوسائط الصحف الدورية العلمية والخبرية ، وهذه إنما تستقيم سوقها ، وتنفق سوقها ، بواسطة أعيان الأمة الكرام ، وترويجهم لها عند الخاص والعـــام ، وهذا كما يقال تشبيب بعده مديح ، وتلويح يعقبه توضيـــح وتصريح ، والغرض من هذه الوسائط المتصلة ، والوسائل المتسلسلة ، إنما هي روض المدارس وهي روضة ابتدىء غراسها ، وجنة أنشىء أساسها ، فإن ساعدها الاقبال باقبال سعادتكم عليها ، وتوجيه نظر أولي العوارف والمعارف اليها ، رويت بماء الفضل والافضال ، وانتعشت بنسمات الكمال والجمال ، فعند ذلك تتنوع أشجارها ، وتتضوع أزهارها ، وتينع ثمارها ، وتثبت أصولها ، ويكثر محصولها ، وتتسع مزارعها ، وتعم الأمة منافعها ، وان نالها من الاغماض سموم الادبار ، وأصابها من الإعراض إعصار فيه نار ، خصوصاً وهي قريبة العهد بالوجود ، عاطشة لماء الفضل والجود ، ذبلت أغصانها ، وذوت أفنانها ، وانتثرت أوراقها ، وسقطت ساقها ، وأنتم أولى من يغار للفضل وأسبـــابه ، وينهض ويستنهض غيره لفتح بابه ، لا سيما واقليم الصعيد ، أول ما عمر من هذا القطر السعيد ، وقد صار والحمد لله سلطان الفضل به ظاهراً ، وصادف من العناية العلية الخديوية قوة وناظراً ، والمرتب فيه الآن ، من روضة المدارس نسختان لا غير ، وهو أقل من القليل بالنسبة لمن به من أهل الفطنة والخير (إلى آخره) . ومن إنشائه مقدمة وجيزة له ، في محاسن آثار الداوري المعظم محمد علي الكبير وأخلافه

قال : بك اللهم نستفتح باب النجاح ، ونستمنح أسباب الفلاح ، وبالثناء عليك بجلائل أسمائك ، نستوهب المزيد من جزيل نعمائك ، وباستدعاء صلات صلاتك على خير الشفعاء لديك ، نتقرب به ونستشفع به اليك ، فإنه أكرم الخلق عليك ، باسطين على أبوابك أكف السؤال ، متوسلين إلى جنابك ببضاعة الرجاء وضراعة الابتهال ، أن تديم دولة أمير المؤمنين ، وأمين أمور المسلمين ، خليفة رسولك الأمين ، على من استرعيته من العالمين ، وتعز به الملك والدين ، ابد الآبدين ، وأن تمتع بطول الدوام ، وحصول المرام ، حضرة عزيز مصرنا ، وغرة وجه عصرنا ، وتحفظ له أنجاله الأمجاد ، وتبلغه من حسن أمرهم ما أراد ، وأن تديم توفيقه لما فيه صلاح حالنا ومآلنا ، ونجاح أعمالنا وآمالنا ، وفوز أوطاننا بأوطارنا ، وسمو أقدارنا بأقطارنا ، وأن تعين أمراءه وعماله وأمناءه ، على معاضدته في أعماله الناجحة ، ومساعدته على آماله الراجحة ، وأن توزعنا شكر نعمك ، وتودعنا بر كرمك ، وتهدينا سبيل الرشاد ، وتوفقنا للخير والسداد ، « كي نسبحك كثيراً ، ونذكرك كثيراً ، إنك كنت بنا بصيراً »[1] .

وبعد فلما كان التحدث بالنعمة طاعة ، والشكر عليها واجباً على قدر الاستطاعة ، كان علينا أن نحلي بنان البراعة ، ونطلق في ميدان البلاغة عنان اليراعة ، بذكر ما أنعم الله به على هذه الديار السعيدة الجد في عهد عزيزها الأسعد ، ووالده الماجد وجده الأمجد ، وقد أفادت التواريخ العظيمة باجماعها ، وشهدت الآثار القديمة بلسان ابداعها ، ان هذه الديار ، كانت في سالف الأعصار ، قدوة الأمصار ، في المجد والفخار ، وكعبة الفضل التي يحجها كل ناجب ، من كل جانب ، ومدينة العلم التي يقصدها كل طالب ، من الأجانب ، ليستفيدوا من أهلها عوارف معارفهم ، ويستزيدوا في طرائف لطائفهم ، ويتعلموا عليهم ، ما لم يكن إلا لديهم ، من الصنائع العجيبة ، والبدائع الغريبة ، فهم الذين سهلوا سبل البراعة لسالكيها ،

(١) سورة طه (٣٣ — ٣٥) .

وذللوا أعنة الصناعة لمالكيها ، على حين كان غيرها لم ينشق عن صبح المعارف ظلامها ، ولا انزاح عن وجه التمدن لثامها ، فكانت مصر أم الدنيا تقدماً وتقديماً ، وأهلها آباء الناس تربية وتعليما ، وكان الكل عيالاً عليها ، وأطفالاً بالنسبة إليها ، وناهيك دلالة على فضلها القديم ، ما حكاه أفلاطون الحكيم ، أن سولون الفيلسوف الكبير ، أحد حكماء اليونان المشاهير ، لما قدم إلى اقليم الغربية ، ليمارس العلوم والمعارف الحكمية ، وذلك قبل المسيح عليه السلام ، بنحو من سبعمائة عام ، قال له قسوسها : يا سولون انما أنتم معاشر اليونان بالنسبة إلينا أطفال ، ليس فيكم من شيخ يعد في الرجال ، إلى آخر ما قال . وحسبك من بقاياها ، ما تراه في خبايا زواياها من بدائع الأسرار المرموزة ، في روائع الآثار المكنوزة ، التي سارت بأحاديث فضلها الأيام فهي نجائب ، وعقمت عن انتاج مثلها حبالى الليالي التي تلد العجائب ، فهي أحدوثة الزمان ، وأعجوبة الامكان ، وبكر الفلك الدائر ، ويتيمة الدهر الداهر ، وقد طالما حاولت يد الزمان الغالب أن تعفّي آثارها ، وطاولت همم المتغلبين عليها من الملوك الأجانب دمارها ، فلم تزل منها بقية يغالبهم افناؤها ، ويعاندهم بقاؤها ، حتى شلت عنها يد الأعادي ، وملت منها غوادي العوادي ، وحتى خضعت لديها أرباب الأفكار العالية ، وتقطعت عليها رقاب الأمصار الخالية ، وحتى لقد هرمت الأيام ، وهي متباهية بشبابها ، وتصرمت الأنام ، وهي باقية بين أترابها ، ناطقة ببراعة عبارتها ، شاهدة في اشارة حسن شارتها ، شاهدة لمصر بما لها من قدم المجد المؤيد ، وقدم الصدق في السبق إلى كل سؤدد ، على أنها لو جحد الخصم دعواها وهيهات ، وطالبها خصمها في محافل الفخر باثبات ما فات ، لكفاها أن تقيم شاهديها الكريمين ، من هرميها الهرمين ، فيخبرا بما كان ، من قبل الطوفان ، ويشهدا بما علم من فضلها ، وما كان من مجد أهلها ، وأنهم كانوا أثبت الناس في التمدن قدما ، وأسبقهم إلى

التفنن قدماً ، وأطولهم في محاسن الفضائل باعاً ، وأميلهم إلى محاسن الشمائل طباعاً ، ثم تناولتها الأيادي المتطلبة ، وتداولتها الأعادي المتغلبة ، فبددوا فضلها ، وبددوا شملها ، وأتلفوا ما استطاعوا من تلك المعالم ، وتفننوا في أنواع المظالم ، حتى أصبح مزاج الفضل بها فاسداً ، وسوق العلم فيها كاسداً ، وربع المعالي خالياً ، وبيت الأماني على عرشه خاوياً ولم تزل كذلك إلى أن انتهت إلى المرحوم محمد علي علي الشان ، سقى الله ضريحه سحائب الغفران ، وأحل روحه رياض الرضوان ، فخلصها من مصاعب المصائب ، واستخلصها من نيوب النوائب ، وصيرها موطنه ومأمنه وحماه ، ومنع جانبها من صنوف الصروف وحماه ، وبذل الجد في لم شعثها ، ولم يأل الجهد في تسهيل دعتها ، وأعاد ما سلب الفقر من نضارة نضارتها ، ورد ما غصب الدهر من غضارة حضارتها ، حتى زهت بحسن علاها وحلاها ، ونسيت ما كان من بلائها وبلاها ، إلى آخره .

ومن كلام هذا الشهم المصان عليه سحائب الرحمة والرضوان مقالة تليت يوم توزيع المكافأة على تلامذة المدارس والمكاتب بحضور الخديوي السابق اسماعيل باشا المعظم تلاها أحد التلامذة بحضوره وقد جعل في أثناء المقالة أبياتاً مرتبة في مواضع منها ، فكلما وصل التالي إلى موضع ترنم بما فيه من النظم جماعة من التلامذة بألحان معجبة ، وأنغام مطربة ، صنع ذلك حسب الاقتراح ، والمقالة المذكورة هي هذه (قال) : يا مفيض الجود على الوجود ، ويا جامع الناس ليوم مشهود ، نحمدك اللهم حمداً يكافيء مزيد نوالك ، ونشكرك اللهم شكراً يستتبع دوام افضالك ، ونسألك أن تهدي لسيد الشاكرين ، وأشرف الأولين والآخرين ، صلة صلاة تليق بجنابه ، وتعم جميع آله الكرام وأصحابه :

أزكى صلاة وأسناها يرادفها ... أزكى سلام على المختار هادينا

وآله الطهر والصحب الأماجد من ... بهديهم قد أقاموا للهدى دينا

ونتوسل اللهم بهم لديك ، باسطين أكف الضراعة إليك ، سائلين من فضل كرمك ، متمسكين بحبل نعمك ، أن تديم عزة عصرنا ، وقرة عين مصرنا ، من أعاد لهذه الأوطان العزيزة قديم اشتهارها ، وجدد ما اندرس من معالم فخارها ، وأجرى ما نَضَبَ (قوله نضب أي غار) من منابع يسارها ، فأضحت تباهي سائر بلاد الدنيا وأمصارها ، ونشر أنوار الفنون والمعارف بين أبنائها ، بما أنشأ من المدارس والمكاتب في جميع أنحائها ، وما صرف من جزيل كرمه عليها ، وما عطف من جليل همه إليها ، حتى أصبح نور العلم والعدل في ظل أيامه فاشيا ، وظلام الظلم والجهل بحكمة أحكامه متلاشيا .

في ظل دولة اسماعيل قد ظهرت ... في مظهر الشرف الأعلى معالينا
وساعدتنا الليالي وازدهت فرحاً ... أوطاننا وسعدنا في أمانينا
أدامه الله محفوظ الجناب على ... طول الزمان وهناه المنى فينا
ودام أنجاله في عز دولته ... مدى الليالي فهم عز لوادينا

فحق على جميع أهل الوطن الكريم ، شكر هذا الجناب الخديوي الفخيم ، على ذلك الخير العظيم ، والبر العميم ، ولا سيما نحن أبناء المدارس الميرية ، والمكاتب المحلية ، الأهلية والخيرية ، فقد نشأنا في ظل عدله ، وربينا على موائد فضله ، وتعلمنا كل ما تعلمنا بحسن ارشاده ، وتقدمنا فيما تعلمنا بمساعدته وإسعاده ، فنحن صنائع كرمه ، وربائب نعمه ، وغرس أياديه الكريمة ، وثمرات مساعيه الجسيمة ، غرسنا في أرض افضاله ، وسقانا زلال نواله ، وتولانا بكامل عنايته ، وتعهدنا بعليّ رعايته ، وسنكون بمشيئة الله وعونه أرواح نجاح ، ونثمر بمنه ويمنه للوطن حسن صلاح وفلاح ، وها هو أدام الله أيامه ، وبلغه من جميع الخير ما رامه ، شرع يكافئنا على نعمه بنعمه ، وشرفنا في هذا المحفل الباهر بنقل قدمه ، كرماً على كرم ، ونعمة على نعم ، فعلينا من الواجب البين ، وجوب الفرض

المتعين ، أن نجعل أيامنا ظرفاً لشكر نعمته ، وأجسامنا وقفاً على حسن خدمته ، والسنتنا مدى الدهر ناطقة بمدحته ، وقلوبنا مدة العمر متفقة على طاعته ، ومحبته ، وأن نبذل في تحصيل رضاه غاية امكاننا ، ونجاري إن شاء الله مقاصده الكريمة في نفع أوطاننا ، وحق لنا الآن أن نتهادى بيننا علائم التهاني . ونبشر نفوسنا وأوطاننا بغايات الأماني ، وعلينا أن نعلن بعد شكره وشكر حضرات أنجاله الفخام ، بالثناء على من شرفنا في هذا المقام ، من حضرات الأمراء العظام ، واعلام علماء الاسلام ، وسائر الحضائر الكرام ، أدام الله معاليهم ، وأسعد بهم أيامهم ولياليهم ، وعلينا أيضاً أن نعترف بحسن اجتهاد رؤسائنا معنا في التربية والتعليم ، على وفق مقاصد الجناب الخديوي الفخيم ، ونقوم لهم بواجبات الشكر والتكريم ، شكر الله أياديهم ، وتقبل مساعيهم ، وأعاد لنا وللجميع في مثل هذه الأيام ، عيد هذه العادة الحسنة الخديوية كل عام ، ببقاء ولي النعم ، الخديوي الأفخم ، متعه الله بدوام توفيقه واقباله ، وكامل أشباله الأماجد وأنجاله ، وسائر ذويه الكرام ، وبلغه غاية المرام .

ندعو له وإله العرش يسمعنا   فضلاً ويعلن بالاخلاص داعينا
دعاء صدق إذا الداعي استهل به   يقول سامعه آمين آمينا

ومن كلامه رضي الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة متقلبه ومثواه ، ما كتبه لبعض أصحابه ذكر فيه من أحوال الذين يلبسون لباس العلم على تماثيل الجهل ، وينتحلون النسبة إلى الفضل ، وليسوا منها في كثر ولا قل ، وقد جاء في ذلك الكتاب على ذكر اللغة العربية وقواعدها ، وآدابها وفرائدها ، بما فيه تنبيه لغافل ، وعظة لعاقل ، بعبارات تأخذ بالألباب ، إلى جادة الصواب ، قال رحمه الله في وصف أشخاص : أما فلان وأترابه ، وفلان وأضرابه ، فهم اعجوبة الأيام ، واحدوثة الأنام ، أحوال متناقضة ، وأفعال متعارضة ، فكبر وذقر ، وعجز وفخر ،

وأنف في السماء ، وقدم في الماء ، وحال تحت التراب ، ونفس فوق السحاب ، ان صدقتهم كذبوا ، وان أرضيتهم غضبوا ، وان تباعدت عنهم لاموا وعذلوا ، وان تقربت منهم سئموا وملوا ، كلاب في جلود أسود ، وجوه بيض وقلوب سود ، صغيرة السيئة عندهم كبيرة ، وكبيرة الحسنة لديهم صغيرة ، عيون منتقدة ، وقلوب متقدة ، والسنة حداد ، وأفئدة شداد ، وأجسام صحيحة وقلوب مريضة ، وجهل طويل ودعاوٍ عريضة ، النصح لديهم خيانة ، والسوء عندهم ديانة ، وقد بذلت في مرضاتهم جهدي ، وأجنيتهم مري وشهدي ، وقابلتهم باللطف والعنف ، وعاملتهم بالنكر والعرف ، فلا وأبيك ما زادوا إلا فجورا ، وعتوا عتواً كبيرا ، ومكراً وشرورا ، وكبراً وغرورا ، ولو وقفت عليهم ليلتي ويومي ، وهجرت لديهم راحتي ونومي ، وفديتهم بعشيرتي وقومي ، ثم أطعمتهم من جسمي ، وآثرتهم من العافية بقسمي ، لما بلغت من نفوسهم رضاها ، ولا أديت من حقوقهم على زعمهم مقتضاها ، بل ولو صاحبهم جبريل ، وخاطبهم بالتنزيل ، وأهداهم الجنة في منديل ، وأنزل الشمس اليهم في قنديل ، ونظم لهم النجوم عقودا ، وشق لهم من المجرة برودا ، وصير الانس والجن لهم عبيدا ، وجعل الملائكة لهم بعد ذلك جنودا ، وأطلعهم على غيب السماء والأرض ، وخبرهم بما كان وما يكون إلى يوم العرض لما أصبح عندهم إلا مذموما ، ولا أمسى لديهم إلا ملوما ، ولكان منسوبا للقصور والتقصير ، والاخلال بالقليل والكثير ، قوم هذه طباعهم وتلك أوضاعهم ، من ذا يرضيهم بحال ، ولو فعل لهم المحال إلى آخر ماقال .

ومن ذلك ماكتبه رحمه الله تعالى إلى الأديب الفاضل ، والأريب الكامل **الشيخ عبد المجيد افندي الخاني** ، يصف له رحلته من الشام إلى بعلبك وما رآه من الرياض البديعـــة ، والمناظر الرفيعة ، والمياه الصافية الجارية

والنسمات العليلة السارية مما يشرح الخاطر ويسر الناظر ، فقال : أهدي اليك من منعشات التحية والسلام ، واتلو عليك من مدهشات الشوق والغرام ، مايجمل اجماله لواصفه ، ولا يلزم تفصيله لعارفه ، وأحمد اليك الله سبحانه على كرامة السلامة ، ومنحة الصحة ، حمدا أستفيض به غمام عطائه ، وأستفيد به دوام نعمائه ، وأقص عليك من أمر الرحلة البعلبكية ، نظير ماسلف من خبر الرحلة المكية ، وذلك أنّا سرنا ، يوم ثرنا ، من دمشق في طريق دمر ، نستحث اليها الضمر ، بين مياه تتكسر في مجاريها ، ونسائم تتعثر في مساريها ، وأشجار تميد بأغصانها ، كما تميس الخود بين أخدانها ، وأحاديث عن الشام ومبانيها وبهجة مغانيها ، ولطف أهاليها لاسيما بيت خانيها ، تستطيبها الشفاه ، وتتعطر بها الأفواه :

فان أكُ قد فارقت نجدا وأهله فما عهد نجد عندنا بذميم

وأقول :

يا أهل جلق لازالت مفاخركم في المجد تسمو علاها فوق كيوان
اغنت مكارم خانيها نزيلكم عن أن يعرج في المثوى على خان
ورب واصف خان لي ألمّ به فقلت حسبك ماقصدي سوى الخاني

فلما جاوزنا دمر عرجنا تعريجة ، نبتغي الطريق إلى الفيجة ، وبين يدينا مكار ، جاهل بها ممار ، لايهتدي اليها سبيلا ، ولا يستهدي عليها دليلا ، فمشى يخبط بنا خبط عشواء ، في بهماء دهماء ، لايدري في أي أنحائها يسير ، ولا إلى أي أرجائها يصير ، فما زال يخطونا ويخطي ، ويسرع ويبطي ، حتى وافينا على طريقنا شجرا ، الفينا عنده نفراً ، فسلمنا عليهم ، وجلسنا اليهم وعرفناهم مانحن فيه ، وعرفونا الطريق الذي نقتفيه ، ثم أكلنا ورحلنا ، وانبرى معنا شاب منهم خفيف الخطا ، وأهدى من القطا ، فمضى يتخلل بنا شجر التين ، ذات الشمال وذات اليمين ، حتى وصل بنا إلى درب دمثة الأقدام ، وقال لنا الأمام الأمام ، فقال المكارى عرفت الدرب

بشاراته ، وفهمت اشاراته ، فلا تخافوا دركا [١] ولا نضل من بعد مسلكا ، فلم يكن إلا أن غاب الشاب ، في خلال الغاب ، وسرنا نحو ماقصدنا قاب قوسين أو أدنى ، وتفرقت على المكاري الشعـاب ، فأخطـأ صواب الصواب [٢] وأضل الأسباب ، فسلك ذات اليمين طريقاً ترجح عنده ، وانقلب على عقبه فسلك ضده ، ثم ارتد ثانيا ، ولوى عطفه ثانيا [٣] ، ولعن الحصان الذي تحته وسبه ، وألحق به دينه ومذهبه ، ومن باعه ومن ركبه ، وأمواته وأحياءه ، وعشائره وأحياءه، ووقف بين الطرق وقفة المتخير ، والأحرى في العبارة أن نقول وقفة المتحير ، يتنفس حسرة ، ويتلفت يمنة ويسرة ، بنفس يائسة بائسة ، بين جبـال يابسة عابسة ، في معطشة تجفف الريق في الحلوق ، وتكاد تسيل الدم من العروق ، فصرنا نتردد بين تلك الجبال ، تردد الحب بين جوانب الغربال :

كريشة بمهب الريح ساقطة   لا تستقر على حال من القلق

ثم جاز بنا إلى طريق توخيناه ، « وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله » ، فوافينا خضرة ونضرة ، وجمال سعة ونظرة ، وأشجاراً وأنهاراً ، وأثماراً وأزهاراً ، وحدائق ذات بهجة ، وحقائق تنعش المهجة ، حتى انتهينا الى موضع غدير ، من ماء نمير [٤] ، غزير الموارد ، عذب بارد ، غير مزدحم بالصادر والوارد ، ونهر أحلى من لمى [٥] العذراء ، يعرف بالعين الخضراء ، وجدناه أبهى من العين السوداء ، وأشهى من الوجنة الحمراء ، وأغلى من البيضاء والصفراء ، وأحسن ما تحت الزرقاء ، وفوق الغبراء ، تحف حافتيه أشجـار بديعة

---

(١) الدَّرْك (بسكون الراء وفتحها) اللحاق والتبعة .

(٢) الحق أو اللائق ، « والصواب » الثاني هو ضد الخطأ .

(٣) أي ثنى جانبه .

(٤) عذب كثير .

(٥) سمرة أو سواد في باطن الشفة .

الائتلاف والاصطفاف ، مكللة بآلاف من الفاكهة متنوعة الأصناف ، عليها من رونق الورق المونق ، ثيـــاب سندس خضر واستبرق ، ومن الثمر والزهر ، أنواع زمرد وجوهر ، والنهر بفرط صفائه ، ورقة مـــائه ، ينم على ما بأسفل أجزائه ، من رمله وحصبائه ، كأنها در منثور ، في باطن بلور ، أو كافور مذرور ، في غلائل من نور ، يظفر فيه كل من الحواس الخمس بحصته ، من نعيمه ولذته ، فالباصرة بحسن رؤيته وبهجته ، واللامسة بلطف ملمسه مع برودته ، والذائقة بعذوبته ، والسامعة بخرير تياره ، والشامّة بعبير أشجاره وأزهاره ، فلم نتمالك ان ملنـــا اليه ، وترامينا عليه ، لائذين من خطر ما مر ، عائذين به من ضرر الظمأ والحر ، لنتبوّأ به مقيلا ، ونتفيأ منه ظلاً ظليلاً ، ونتلو « ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلا »[1] ، ونتمثل بقول الأول :

وقانا لفحة الرمضـــاء واد	سقاه مضـــاعف الغيث العميم
يرد الشمس انى واجهتنـــا	فيحجبهـــا ويأذن للنسيم
نزلنا دوحه فحنا علينـــا	حنو المرضعـــات على الفطيم
وأرشفنـــا على ظمأ زلالاً	ألذ من المدامة للنـــديم

إلى آخر ما قال وبالجملة فلا عيب يذكره لهذا المنظر ، سوى اعجاز واصفيه ، عن وصف ما فيه . فلما أخذنا بغيتنا من الراحة والاستقرار ، وخشينا أن ينهار جُرْف[2] النهار ، نهضنا الى الترحال فشددنا الرحال وملأنا المزاود من ذلك الماء الزلال ، ونزعنـــا عنه والنفس نازعة اليه ، حائمة عليه ، مرفرفة حواليه ، ثم سرنا نخبط ، ونصعد ونهبط ، والنهر

(١) سورة الفرقان (الآية ٤٥) .
(٢) جُرْف النهار : أي جانبه .

يبعد ويقرب ، ويشرق نوره ويغرب ، حتى وصلنا الفيجة فوجدناها مغلقة الأبواب ، خالية الدروب والشعاب ، لا يرى سالكها من أنيس ، ولا اليعافير [١] ولا العيس [٢] ، إلا كما قال الأعرابي :

عجائزاً مثل السّعالى [٣] خمسا　　يأكلن مـــا يُلقى لهن همسا

لا ترك الله لهن ضرســـا

كأن الانسان يمر بها في جبانة قبور ، وأرض متناسقة [٤] الصّخور ، أو مساكن قوم بور [٥] فجاوزناها واستمر مريرنا في المسير ، وان كنا لا ندري كيف يكون المصير ، نسأل عن الدرب والسؤال ذل ، إن وجد في طريقنا من يدل ، وما زلنا في صعود وهبوط ، ورجاء وقنوط ، حتى وصلنا إلى رأس السوق ، وكأنا قد ظفرنا ببيض الانوق ، فصادفنا بها مجمع فئام [٦] ، بين قعود وقيام ، فزعموا أن ليس بها دار للمقام ، غير ما سبق اليه بعض مأموري الحكام ، فأخبرناهم بانا لسنا من اولئك الأقوام ، وانا لانبخل ببذل الحطام ، فمضى معنا بعضهم إلى دار لبعض أهاليها ، من خير مبانيها على ما فيها ، وسألنا عما ينبغي للمأكول ، من اللحم والبقول ، فلم نجد غير دجاجـــات أضلتهن أيدي الحدثان ، وافلتتهن مخالب أنسر لقمان ، قد وعين الطوفان وتطاول عليهن تقادم الزمان ، فما زلن يصاولن الأيام ، ويواصلن الصيام ، حتى يبسن وسمجن ، وفني عليهن الحطب ولم ينضجن ، فرغبنا عنهن ، ويئسنا منهن ، وملنا على بقية

---

(١) جمع يَعفور وهو الغزال .

(٢) مفرده أعيس ، والواحدة : عَيساء وهي كرام الابل .

(٣) مفردها : السِّعلاء ، والسِّعلاة ، والسِّعلى : أنثى الغول ، أو الغول .

(٤) على نَسَق واحد .

(٥) البور الفاسد ، الهالك ، ومالا خير فيه ، وقد روعي فيها لفظ المفرد (قوم) .

(٦) الجماعة من الناس (ولا واحد له من لفظه) .

مامعنا من الزاد ، وسارعنا بعد ذلك إلى الرقاد ، فهاجمتنا بالسير الحثيث ، جيوش البراغيث ، تدب الضراء ، وتمص الدماء ، ولله در القائل :

وليلة بتنـــا لدى معشر قد غرت الناس أحـــاديثهم
فما أكلنا عندهم قدر مـــا قد أكلت منـــا براغيثهم

ولكنا غلب علينا النوم ، من تعب ذلك اليوم ، حتى عطس الفجر بالأذان ، وتنفس الصبح باذن الرحمن ، وأقبلت جيوش النهار من شرقها ، وولت رايات الليل الى غربها ، وأشرقت الأرض بنور ربها ، فبادرنا الى المسير ، يدل بنا على الدرب فارس خبير ، جمعنا معه في الطريق لطف التقدير ، لا عمل التدبير ، حتى انفصل عنا منحرفاً لبعض القرى ، بعد أن أشار لنا الى طريق واضحة المسالك لمن يرى ، فمضينا حتى انتهينـا الى الزبداني وهي قرية كثيرة الغراس ، عامرة بالناس ، فمكثنا بها حيناً للاستراحة من تعب السفر ، وأخذنا منها للوازم الغذاء بعض ما حضر ، وأردنا أن نستأجر من أهلها من يرشدنا الى المسالك ، فكأن المكاري [1] أنف من ذلك ، فزعم انه لن يضل بعد الآن ، وانه يعرف باقي الطريق حق العرفان ، وأكد الكذب بالأيمان :

وأكذب ما يكون أبو المثنى اذا آلى يميــناً بالطلاق

فخرجنا ، حتى وصلنا ، رأس عين سائغة صافية ، لدى ظلال سابغة ضافية ، فنزلنا وأكلنا ، واسترحنا وانشرحنا ، ثم سرنا أميالاً ، نعدها طوالا ، فصادفنا رجلين من السفّار [2] ، من أهل تلك الأقطار ، فعرفنا منهما اننا قد انصرفنا عن القصد ببعد ، وانحرفنا بالكلية عن الطريق ولله الحمد من قبل ومن بعد ، فاستصحبنا منهما من ردّنا الى الطريق المقصود ،

---

(١) المُكاري : مكري الدواب ، ويغلب الآن على الحمّار والبغّال .
(٢) جمع سافر ، وهو المسافر .

بعد بذل المجهود ، في الهبوط والصعود . ثم وصلنا سرغاية فنزلنا واسترحنا ، وبتنا حتى أصبحنا ، فاتخذنا دليلاً من أهلها لما عرفناه مما أسلفنا ، فلا يلدغ المؤمن من جحر مرتين بل مرارا ، ولا يلقي المرء بيده الى مهالك التيه اختيارا ، والحاصل انه مشى معنا ساعات من الزمان ، بين جبال ووديان ، في طريق تتلوى تلوي الأفعوان [١] يضل فيها الخريت [٢] ، ويخاف بها العفريت ، الى أن وصلنا الى الصراط المستقيم ، بعون الله الكريم ، فقال من ها هنا طريق بعلبك واضحة الأعلام . ثم ودعنا وانصرف بسلام ، ومررنا حتى وصلناها بنية المقام فيها عدة أيام ، وأعددنا المكاري بالدواب وباقي الاجرة الى دمشق الشام ، وتلونا بعد مفارقة طلعته ، « وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته » ، وفي العزم الجولان ، أياماً في جبل لبنان ثم العودة لبيروت ومنها ان شاء الله للأوطان .

ومن توسلاته العلية حين زيارته للذات النبوية قوله :

يا أكرم الثقلين دعوة آمل	عان ضعيف جاهد مجهود
يا أكرم الثقلين ضيف وافد	ونداك أجدر بالقرى لوفود
يا أكرم الثقلين هـذا سائل	وافى لسدة بابك المقصود
يرجو لبانته ويشكو ضره	ويرى منال السول غير بعيد
ويمد كف الذل روما للعطا	وللاعتصام بحبلك الممدود
فامدد إليه يداً تعوّد جودها	أن لا يرد يدا لطالب جود [٣]

---

(١) الأُفعُوان : مذكر الأفعى وهي الحيّة الخبيثة .

(٢) الدليل الحاذق الذي يهتدي الى مضايق المفاوز وطرقها الخفية .

(٣) هذه الأدعية التي سماها المؤلف توسلات ، لا يملك الاستجابة لها ، وكشف الضر عن ناظمها وغيره إلاّ الله وحده ، وأغرب ما في الأمر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد بلّغ ما نُزّل اليه من ربه ، ومنه قوله تعالى : « قل إنما أدعو ـــ

ومن غرر قصائده ودرره وفرائده ، تهنئته السنية ومدحته البهية ، يمتدح ويهني بها الحضرة التوفيقية يوم جلوسه على الأريكة الخديوية ، وهي بنت ليلتها مع عذوبتها وبلاغتها ، وسهولتها وسلامتها ، وذلك أنها بعد الموكب التوفيقي بليلة عرضت على مسامعه الشريفة الجميلة وهي :

اليوم يستقبل الآمال راجيها ... وينجلي عن سماء العز داجيها
وتزدهي مصر والنيل السعيد بها ... والملك والدين والدنيا وما فيها
قد أطلع الله في سعد السعود سنى ... بدرٍ بلألائه ابيضت لياليها
وقام بالأمر رحب الباع مضطلع ... بالعبء جم شؤون النفس ساميها
ذو همة دون أدنى شأوها قصرت ... غايات من رام في أمر يدانيها
وراحة لو تحاكيها السحائب في ... فيض الندى هطلت تبرا غواديها [(١)]
يزهو بهـا قلم سام يسوس به ... أمر الأقاليم نائيها ودانيها
يجري بما شاء من حكم ومن حكم ... يصبو لحسن مَعانيها مُعانيها
ورافـة بعباد الله كافلة ... بخير ما حدثت نفساً أمانيها
مؤيد بالهدى والحق ملتمس ... رضا البرية لاسترضاء باريها
تربو على وصف مُطْرِيهِ محاسنه ... وهل يعد نجوم الأفق راعيها
توفيق مصر ومولاها وموئلهـا ... وركنها ومفداها وفاديها
وغصنها النضر أنمته منابتهـا ... من دوحة أينعت فيها مجانيها
خديوها ، ابن خديويها ابن فارسها ... أميرها البطل الشهم ابن واليها
رأى الخليفة فيه رأي حكمته ... وللملوك صواب في مراثيها

—— ربي ولا أشرك به أحدا ، قل إني لا أملك لكم ضَرّاً ولا رَشَدا ، قل إني لن يجيرني من الله أحد ، ولن أجد من دونه ملتحدا » الآيات : (٢٠ و ٢١ و ٢٢) من سورة الجن ، ومعنى الملتحد : الملجأ ، وبعد : أفليست هذه الآيات معصية لله فيما أمر ، والرسول فيما بلّغ عن ربه وزجَر ؟

(١) جمع غادية — وهي مطرة الغَداة .

رآه أجدر أن يرعى رعيته | وأن يقوم بما يرجوه راجيها
وأن ينحي عنها ما أحاط بها | من الخطوب التي هالت أهاليها
فجاء مرسومه السامي تطير به | نجائب البرق يطوي البر ساريها
لله يوم جـــلا عن نور غرته | كالشمس مزق برد الغيم ضاحيها
في موكب مثل عقد الدر في نسق | أو كالنجوم الدراري في مساريها
يسير في مصر والبشرى تسابقه | من حيث سار وتسري في نواحيها
يحفه أخواه الماجدان به | مع الوزير شريف النفس عاليها
مشير صدق بحزم الرأي قد غرفت | أفكاره بين باديها وخافيهـــا
لا تنثني عن صواب الراي رغبته | لرهبة كائنا ما كان راعيهـــا
حتى أتى القلعة الفيحاء فانطلقت | فيها المدافع بالبشرى تواليهـــا
واستقبلته صفوف الجند قد نظمت | نظم القلائد زانتها لآليهـــا
داعين تعلن ما في النفس ألسنهم | بدعوة الخير والتأمين تاليهـــا
فلتفتخر مصر اعجاباً بحاضرها | على محاسن ماضيها وآتيهـــا
ايه لقد أبدت الأيام سرّ منى | طالت عليه الليالي في تماديها
وأسعد الطالع الميمون أنفسنا | بخير أمنيـــة كانت تناغيها
هذا الذي كانت الآمال ترقبه | دهراً وتعتدّه أقصى مراميها
ما زال في قلب مصر من محبته | سر تبوح به نجوى أهاليهـــا
تصبو له وأمانيها تطاوعها | في حبه ولياليها تعاصيها
وترتجيه من الرحمن سائلة | حتى استجيب بما ترجوه داعيها
فالحمد لله شكرانا لأنعمه | فالشكر حافظ نعماه وواقيها
يا ابن الذين لهم في المجد قد عرفت | أخبار صدق لسان الحمد راويها

قادوا الجنائب[١] من مصر مسومة ... إلى الحجاز إلى أقصى أعاليها
غرا سوابق مشهوراً سوابقها ... مقرونة بأعاليها عواليها
قُبَّا[٢] ضوامر كالآرام يكنفها ... ليوث حرب بأيديها مواضيها
تموج في زرد الماذي سابحة ... تحدي بأرجلها عدواً أياديها
رموا بهن صدور البيد معنقة[٣] ... على نحور أعاديها عواديها
قد عددوهن أن لا ينثنين عن الـ ... ـهيجاء إلا إذا كفت عواديها
وان يطأن على هام الكماة[٤] إذا ... لف الوغى بهواديها تواليها
فاستنقذوا حرم الرحمن من عصب ... لم يرع حرمة بيت الله راعيها
وأوردوا الخيل نجداً فاستبوه ولم ... تعسر عليها عسير في مساعيها
وكان تأييدها أمر الخلافة في ... مواطن الحرب من جلى معاليها
مولاي دعوة اخلاص يكررها ... داع أياديك أرضته أياديها
هنئت علياء قد وافتك خاطبة ... تختال تيهاً وتزهو في تهاديها
علياء فاقت علواً حل منزلة ... فلم يكن في سواها ما يساويها
رأت علاك فشاقتها حلاك فلم ... تسمح لغيرك من خل يخاليها
وكم سمت نحوها نفس تؤملها ... من قبل لكنها ضلت مساعيها
تجاذبوها فرثت في أناملهم ... حبالها وتمادت في تنائيها
قضوا غراماً ولم يقضوا بها وطراً ... فكان أصل منایاهم أمانيها
فاسلم أقر بك الرحمن أعيننا ... ولا برحت لها مولى تواليها
وأقر سمعك من حلو الثناء حلى ... يلهو بلحن المثاني صوت شاديها
حلى كما انتظم العقد الفريد على ... لبات حسناء تجلوه تراقيها

---

(١) الدابة تقودها إلى جنبك .
(٢) الأقب : الضامر وجمعه : قُب .
(٣) من أعنقت الدابة : إذا سارت سيراً سريعاً ممتدا .
(٤) جمع كمي ، وهو الشجاع أو لابس السلاح .

وهاك غراء من حر القريض إذا | ما أنشدت خلب الألباب تاليها
وفخرها أنها في المدح قد صدعت | بقول صدق فلا حيٌّ يلاحيها
يسهو بها الراكب المزجى مطيته | عن حاجة راح يغدو في تقاضيها
يسائل الناس أي الناس قائلها | وأي برٍّ به الممدوح جازيها
وانمــا حسبها براً وتكرمة | منه قبول واقبال يوافيها
تدري القصائد أني لست أقصدها | إلا وللحب داع من دواعيها
ولا تجافيت عنها قبل من حصر | بحمد ربي ولا ضنت قوافيها
لكنها نفس حر لا تهم بما | لا يستوي فيه باديها وخافيها
تسعى إليك وفرط الشوق قائدها | إلى رحابك والاخلاص حاديها
وافت تهنىء مولاها مؤرخة | توفيق مصر بأيد الله راعيها

سنة ١٢٩٦   ٥٩٦ ٣٣٠ ١٧ ٦٦ ٢٨٧

وله أيضاً رحمه الله تشكراً للحضرة الفخيمة الخديوية بناءً على احسان سموه الى حضرة نجله عزتلو أمين بيك فكري بالنيشان العثماني من الدرجة الرابعة قوله :

لمولاي العزيز عــلي فضل | بنعمته على ولدي الأمين
تحقق في مقام الشكر عجزي | فآثر أن أرى ولدي معيني

ومن ذلك قصيدته التي تلاها يوم فتح المؤتمر العلمي السويدي بحضرة جلالة الملك اسْكار المعظم وأمراء دولته ، ووجهاء الوفد المذكور ، وقبل ذكر هذه القصيدة نذكر فصلاً خفيفاً مما حصل قبل فتح المؤتمر في السويد (Suède) والنرويج (Norvège) فنقول : انه لما وصل الوفد العلمي الى أسْتُكْهُلْم (Stokholm) ونزلوا الأوتيل (الفندق) وكان هناك الكونت لاندبرج فحضر وسلم عليه ومضى بهم الى مكتب المؤتمر محــل اشغاله ، فأطلعهم على المحل المعد لانعقاد المؤتمر في جلساته العامة والخاصة ،

وموضع كل من الوافدين فيه ، وفي ذلك الموضع محل معد للوفد المصري ، وهو في جزء مرتفع عن باقيه بدرجة ، وبه كرسي الملك ، وخلف ظهره كراسي العائلة الملوكية ، وعن يساره موقف من يخطب ، وكراسي لجلوس الوفد المصري ، وهو الجزء المذكور ، وعن يمينه بعض وزرائه ، وسفير العجم في الآستانة العلية محسن خان ، والوفد العثماني وبقية وفد العجم ، وبين يديه الكتب المهداة اليه ، وفي باقي المحل أسفل من هذه الدرجة مواضع باقي الناس أعضاء المؤتمر ، والمحل يسع الخمسمائة نفس ، وفي أعلاه محل مرتفع مشرف عليه لجلوس النيابة ، يسع نحو مائة وخمسين . وقد حضر جلالة الملك في أثناء وجودهم في المحل المذكور ، فرآهم وعرفه بهم الكونت لاندبرج ، فسلم عليهم بيده واحداً واحدا ، وقابل الجميع بغاية البشاشة ، ولما سلم على سعاد تلو المرحوم عبد الله باشا فكري المترجم أظهر له محبته الزائدة ، ومحبة جنـــاب الخديوي المعظم ، وشكره على ارسال هذا الوفد للمؤتمر العلمي الذي كان سبباً لحضور المترجم ، ولما سلم على حضرة نجله عز تلو أمين بك فكري وكان أحد أعضاء الوفد المصري ، قال له أنت ترجماني لوالدك ما دمتما ها هنا ، ولم تكن مقـــابلتهم هذه رسمية . وفي ثاني يوم طلبهم الملك الى سرايته [1] وأرسل اليهم عربات مخصوصة حضرت اليهم لمقابلة جلالته المقابلة الرسمية فتوجهوا بالكساوي التشريفية والنياشين [2] كما أشير عليهم بذلك ، فلمـا دخلوا عليه وجدوه بالكسوة التشريفية والنيشانات فأعلن المسرة والممنونية ، والثناء على الجناب الخديوي الفخيم ، فسلم اليه المترجم المحور الكريم الذي أرسله الخـــديوي لجلالة الملك ، وأجاب رحمه الله قائلاً : مولاي أقدم لجلال مقامك الرفيع الشان تحايا التعظيم والاجلال والثنـــاء الفائق من لدن مولاي خديوي

---

(١) دار الحكومة .

(٢) الأوسمة .

مصر المعظم ، مؤيداً ذلك بتقديم محرر سموه المنطوي على خالص المودة ، المتضمن تعييني وتعيين رفاقي الماثلين بين يدي عظمتكم للحضور في المؤتمر العمومي العلمي الذي توجهت خواطركم الملوكية لانعقاده في هذه المملكة العامرة ، لما يترتب عليه من الفوائد المهمة لنشر العلم وتقدمه واتحـــاده باشتراك القريب والبعيد والشرقي والغربي فيه ، ولم يكن ذلك ليأتي إلا بتوجيه همة الملوك اليه . فلك يا مولاي الفضـــل الجزيل على ذلك المسعى الجميل ، وأختم قولي بتقديم واجب تشكراتي لما نلت من لطف الرعاية الملوكية في هذا الموقف النبيل ، لا زال موقـــع إجلال ومنتهى كمال . وكان ذلك يوم الأحد غرة سبتمبر سنة ١٨٨٩ وانصرفوا

وفي ثالث يوم اجتمع الناس لافتتاح المؤتمر ، وحضر الملك وحضر الناس ، وأخذ كلٌ موضعه ، فافتتح الملك المؤتمر بخطبة حسنة ألقاها وأجاد فيها وفي حسن أدائها ، قال في ضمنها : ان السلطة قبل كانت للقوة والاستبداد ، وليست الآن إلا للعلم ، ومضى فيها حتى أتمها واقفا ، والناس بين يديه وقوف ، ثم جلس ، وخطب بعده المسيو كِرِيمِرْ وافد النمسا ، ثم سفير العجم ، فخطب خطبة باللغة الفارسية ، ثم وافد السلطنة العلية العثمانية أحمد مدحت بيك، فتلا مقالة باللغة التركية . ثم أشير إلى سعادة المرحوم المترجم ، فأنشد قصيدة وهي بألفاظها الرائقة ، ومعانيها الشائقة ، قوله :

اليوم أسفر للعلوم نهـــار ... وبدت لشمس سمائها أنوار
وزهت فنون العلم وازدهرت به ... أفنانها وتناسقت أزهـــار
وغدت لأرباب المعارف دولة ... غراء صاحب ملكها أُسكار
اسكارالثاني الذي اعترفت به الأقـــطار وارتفعت به الأقـــدار
ورعى حقوق العلم يعلي قدره ... فنما بهمته له مقـــدار
ودعا له الفضلاء دعوة ناصرٍ ... للعلم فهو بهم له أنصـــار

هي دعوة طنت بآذان العلى ... وتناقلت أخبارهـا السمّار
عرفت بقيمتها البلاد وأهلها ... وملوكها وتسامـع الأقطار
أمر أمير المؤمنين أعاره ... نظراً وأنظار الكبار كبار
فسرى به في مصر من توفيقه ... نورٌ ومن بركاته أسـرار
وإذا المليك أراد ينجح مقصداً ... نالته من توفيقـه آثار
مولى له في كل مكرمة يد ... ولكل موقع مقصد أنظـار
وأعان كل زعيم مملكة له ... بشؤون أهل بلاده استبصار
يحدو إلى أرض السويد أماثلاً ... من قومه أمثالهم أخيـار
مستظهرين بدعوة الملك التي ... عمت وما لسماعها انـكار
فتسارع العلمـاء تلبية له ... بالطوع تسبقهم له الأخيـار
بفنائهم صيت يشوق سماعه ... ويسوقهم شوق اليه مُثار
سمعوا بشهرته وصيت ثنائه ... سمعا يذكرهم به التكرار
وسما بهم في أستُكُـلْمَ بأمره ... نادٍ تشاخص دونه الأبصار
جمعته من شرق البلاد وغربها ... وجنوبها وشمالهـا الأقدار
ألقت بأفلاذ الكبود اليه من ... أبنائها في حبه الأمصـار
نادٍ به احتفل الأفاضل حفلةً ... بحديثها تتقادم الأعصـار
جمعت لنا من مرة معدودة ... في الدهر لا ينسى لها تذكار
جمعتهم الأقدار جمع سلامة ... والله في أقداره مختـار
متـآلفين بعيدهم بقريبهم ... والفضل أقرب وصلة تمتار
من كل فياض القريحة ورده ... عذب وبحر علومه زخـار
تتدفق الأفكار نحو يراعه ... فيفيض من انبوبه تيـار
من كل معنى شف عنه لفظه ... كالخمر نم بها الزجاج تدار
ومؤزرٍ بالفضل مشتمل به ... منه شعـار زانه ودثار
حبر إذا ولى اليراع بنـانه ... زان الطروس بوشيها الأحبار

ويغوص أعماق المباحث باحثاً عن كشف كل فريدة تختار
درر يروق الطرفَ منها رونقٌ بهج تحار بوصفه الأفكار
لذوي المفاخر من حلاها زينة تبقى ولا يبلى لهن فخار
لا زال ملك الفضل معمور الذرا بذويه ممدوداً له الأعمار

ولما فرغ رحمه الله من قراءتها ، كل من في المؤتمر استحسنها وصفق ، وخاطبه ناس منهم في ذلك اليوم باستحسانها ، وحضر اليه كاتب المؤتمر على أثر الفراغ منها وسارّه بطلب نسختها ، فأخذها في الحفلة وخطب بعد ذلك أناس منهم الموسيو شِفَرْ وافد فرانسا ، وغيره ، وكانت هذه الحفلة خاصة بذلك ليس فيها تقديم موضوعات علمية ، وبعد ذلك صارت الناس تجتمع في المؤتمر في أوقات مخصوصة ، ويقدم كل واحد ما أراد تقديمه ، وقدم المترجم ما أعدّه لذلك ، فقوبل منه بغاية الاستحسان والاعتبار ، وأعطي للمترجم نيشان (وسام) من النوع المسمى (وازا) من الدرجة الأولى ، فشكر الملك على ذلك . وبعد انتهاء المؤتمر والمأمورية ، ورجع كل إلى بلاده ، نظم رحمه الله تعالى قصيدة غراء قالها في البحر ، وهم عائدون إلى وطنهم العزيز ، وهي مدحة سنية لمآثر جناب الخديوي المعظم ، ويقص على مسامعه الزكية بعض أحوال هذا المؤتمر ، وهي :

دنت الديار ودانت الأوطار هـذا المنار وهذه الأنوار
هذا المنار يلوح نجم هداية للناظرين تؤمه الأنظار
والثغر وضاح المباسم باسم للبشر في قسماته آثار
فرح يبشرنا ببشر سروره ان الخديو له به استقرار

فاليوم نلثم من بنان يمينه سحبا موارد فيضهن غزار
من كف فيّاض اليدين يمينه يمنٌ ويسراه ندًى ويسار
ونشنف الاسماع من ألفاظه درّاً غدت اصدافه الافكار
ونرى منار الحق فوق جبينه كالشمس ليس وراءها أستار
نور تلألأ في جبين موفق للحق في توفيقه أسرار
مولاي قد سرنا بأمرك نبتغي لرضاك ما تسمو به الأقدار
نصل المغارب بالمشارق والسّرى بالسير لا ملل ولا اقصار
ونلف أذيال الأباطح بالربى تنتابنا الأنجاد والأغوار (١)
لا البحر ذو الأمواج نخشي بأسه يوماً وليس البر فيه نضار
البحر بر في رضاك يمن به والبر من جدوى نداك بحار
ومدى النهار صباح خير كله بسعود جدك والدجى أسحار
نطوي البلاد بطيب ذكرك نشره عبق ونفحة ريحه معطار
ونؤرج الأرجاء باسمك مدحة طابت بها الأسحار والأسمار
يهتز سامعها بحسن سماعها طربا ويخبر غائباً حضار
ويروح سامعها يميل بعطفه ثملا كأنْ دارت عليه عُقار (٢)
نغشي بها صدر الندي (٣) نديّة يحلو بها الايراد والاصدار
نتلو مديحك معلنين بنشره جهراً فلا كتم ولا أسرار
لا يعتري فحواه (٤) وصمة ريبة تخشى ولا ردّ ولا استنكار

---

(١) الأنجاد والأغوار : ما ارتفع وانحدر من الأرض مفردها نجد وغور .

(٢) الخمرة ، والغريب انها مهلكة للعقول والأبدان ، ومحرّمة بنص القرآن ، ويذكرها أتقياء الشعراء في مقام الاستحسان ! !

(٣) النادي بمعنى المجلس .

(٤) نحوى الكلام : مذهبه ومعناه .

ثم امتطينا للسويد ركائبـا ... لا الركض يجهدها ولا التسيار
تسعى على عجل إلى غاياتها ... كالماء ساعد جريه تيـار
سرع الخطى لا السوط حل بجلدها ... يوماً ولا شدت به أكوار
تذر الرياح إذا جرين وراءها ... حسرى طلايح[1] جريهن غبار
سرنا بهن على العشي فأصبحت ... في أستُكُلْمَ وقد بدا الاسفار
ولقيت صاحب تاجها في قصره ... والوفـد ثم بصحبتي نظار
فدنا وصافح باليمين مردداً ... شكر الخديو يزينه التكرار
فشرعت مقتصداً أجاوبه بما ... ارضـاه لا قلٌ ولا اكثـار
ونحوت مؤتمر العلوم أؤمه ... بالوفد تهوي نحونـا الابصار
حتى إذا احتفل الندي وأقبل الـ ... ـعظماء والعلماء والأخـيار
وتلا به اسكار ربٌ سريره ... قولاً به لذوي النهى اسكار
وأجابه الخطباء كل محسن ... يزري بنظم الدر منه نثار
ودعيت باسمي للمقال موفيا ... حق الوفادة والوفـاء شعار
اقبلت ابتدر القريض يزينه ... مولاي باسمك بهجة ووقـار
حتى استتم الشعر فاصطفقت له الأيـ ... ـدي وذاك بمدحه اشعـار
وتشعبت شعب الفصول مقررا ... في كل فصل للعـلوم قرار
فنحوت بالوفد الذين بصحبتي ... خير الفصول وصحبتي أخيار
ما فيهمو وهل[2] الفؤاد يهوله ... حفل ولا واهي القوى خوار
كل أعد من المعارض ما اصطفى ... للعرض ثَمَّةَ جملةٌ تختـار
وأجاد فيما قد أفـاد بمنطق ... طوع المراد أمده استحضار
في لهجة العرب الفصيحة لفظهم ... حرٌ، وهم في نفسهم أحرار[3]
لا في مقالة قائلينـا وقفة ... عرضت ولا لمقولنا إنـكار

---

(١) الطليح: التعب. يقال: بعير طليح وناقة طليحة. ج طلايح وطلحى.
(٢) وهل: ضعف وفزع.
(٣) حرّ اللفظ خياره وأحسنه.

كالقطر جاد به غمــام مبرق ... داني الهيادب[1] عارض مدرار
نبدي الذي نبدي وكل مطرق ... سمعا ومنطق ذي المقال جهار
حتى نـتم كما نشاء القول في ... امَدٍ اعِدَّ لوقته مقدار
فيقول صاحبهم أما من باحث ... فيما يقول وقوله استفســار
وتصفق الحضار لاستحسان ما ... قلنا ويظهر فيهم استبشار
هاهم رجالك ايها المولى ولا ... منٌّ عليك ونعم من تختــار
لا ابتغي مدحــا لنفسي انني ... بعلاك افخر لاعداك فخــار
هذي محاسن يمن طالعك الذي ... بسعوده قد ســاعد المقدار
ثم انثنينا راجعين يسوقنــا ... لحمــاك أشواق لهن أوار[2]
نأوي لخير حمىً بظلك كلــه ... امن وما للجور فيه جوار
فاسلم لمصر وأهلهــا ليرى بها ... لنمــاء غرس يمينك استثمار
واسلم لانجــال وآل كلهم ... خير وآل الخيِّرين خيــار
واليكها مولاي صنعة ليلة ... لحق العشاء بوشيها الأسحار
حتى كساها الصبح رونق وجهه ... حسناً وألبسها الضياء نهــار

إلى هنــا اقتصرنا على بعض غرره وفرائده ، من شائق نثره ورائق قصائده ، وإلا فرحمه الله ، درره لا تحصى ، وجواهره لا تستقصى ، وكم له من نثر فائق ، ونظم رائق ، والحق يقال انه لغني بشهرته في الآفاق عن التعريف ، وكيف لا وقد سبق رحمه الله فرسان التصنيف والترصيف ، وبالجملة فانه لا يماثله بكل فن مماثل ، ولا يعــادله في الفضل معادل ، وحيث انــه قــد اصيب هذا القطر بفقده وهو من اجلائه ،

(١) جمع هيدَب ، وهو السحاب المتدليّ ، وتراه كأنه خيوط عند انصباب المطر .
(٢) الأوار : شدة حر الشمس ووهج النار .

ولوذعي [١] فاضل من أكابر فضلائه ، وعالم من أجل علمائه ، وأمير من صفوة امرائه ، وأديب حاز السبق في مضمار الفضل والأدب ، وحسيب نسيب زينت اردان فضله سجايا المجد والحسب ، رثاه بعض فضلاء العصر وادباء مصر بقصائد طنانات يلوح عليها من قائليها الحسرات والزفرات ، فقد فَقَدَ هذا القطر بل الدنيا هذا الحبر الفخيم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . ولنذكر الآن بعض قصائد اؤلئك الفضلاء ، تتميا لترجمة من حلت روحه بالملأ الأعلى .

ومن ذلك ماكتبه حضرة العالم الأديب ، والفاضل الأريب ، أخونا عبد المجيد افندي الخاني ، أناله الله أحسن الأماني .

حجب البـدر الذي اد رك في العليـاء ما أدرك
هو عبـد الله فكري فاختبر في وصفـه فكـرك
إذ غدا في كل علم غـاية بالسعـي لا تدرك
يا أمين المجـد صبرا طول الله لنـا عمـرك
عظـم الخطب فأرخ عظـم الله به أجـرك

ومن ذلك قصيدة حضرة الأستاذ العلامة ، والحبر البحر الفهـامة ، الشيخ علي الليثي :

نذم المنايا وهي في النقد أعدل غداة انتقت مولى به الفضل يكمل
تخطت أناساً من كثير نعدهم وغالت وحيدا من قليل يحصّل
ونحن بني الدنيا نباين فعلهـا فلا ننتقي حراً عليه يعول
كأن المنايا في انتقاها خبيرة بكسب النفوس العاليات تعجل
فتم لهـا من منتقى الدر حليةٌ بها العالم العلوي أنسا يهلل

---

(١) اللوذع واللوذعيّ : الذكي الذهن ، الحديد الفؤاد ، الفصيح اللسان .

وتم نظـــام العقد وازينت به نحور بدور الحور وهو مفصل
وكلّ بعبد الله فكـــري مهيم ينافس فيـــه غيرة حيث ينزل

ومنهـــا

لقد كان ذا دين قويم وعفة بها ســـاد أمثالاً لديه تمثلوا
لقد كان ذا بر عطوفا مهذبا سجاياه صفو القطر بل هي أمثل
رقيق حواشي الطبع سهل محبّب الى كل قلب حيث كان مبجل
كريم السجـــايا لا الدنايا تشينه عظيم المزايا اذ يقول ويفعل
شمائله لو قسمت في زمـــاننا على الناس لازدانوا بها وتجملوا

إلى أن قال بعد كلام نفيس

ولولا (أمين) المكرمات الذي الى مخـــايله سر الأبوّة ينقـــل
فتى المجد والعلياء والصدق والحيا وأوفى أمين يرتجى ويؤمـــل
يشم شذى المرحوم منه ويجتلى بغـــرته اليمن الذي يتهلل
لذبْنَا أسى مما عرانا من النوى ونحنا كما ناح الهـــديل المبتل

ومنهـــا

ومذ سمت (١) نفسي الصبر وارتحت للقضا تنفست (٢) والمخبوء في النفس أجزل
فخذها امين الله ماشابهـــا الريا ولا عابهـــا إلاّ امرؤٌ يتقول
وقل لمشير الحزن عني مؤرخا ألا في جنان الخلد فكري المبجل
١٠٦ ٢١٠ ٦٦٥ ٤١٩ ٣٢

وقال حضرة أستاذنا العلامة الفاضل ، واللوذعي الكامل ، الشيخ سليمان العبد أحد أفاضل الجامع الأزهر .

نضا ثوب الحياة وسار (فكري) وكدر بالفراق صفاء فكري
تكبدت القلوب ضرام حزن عليه يذيب وجداً كلّ صخر

---

(١) كلفتها الصبر.
(٢) يقال : تنفّس الصّعداء : أي تنفّس تنفّساً طويلا من تعب أوكرب .

ومصر بموته ارتعدت وضجت وقد شقت عليـه دروع صبر
وصار دم الدموع لهـا خضابا على كف الامى ياويح مصر

إلى أن قال

امين لك المعالي في صعـود وسر أبيك منـه اليك يسري
فحسن نفسك العليـا بصبر فمثلك قدوة بجميـل صبر
سقى الرحمن قبر أبيك غيثـاً من الرحمات عصراً بعد عصر
ورضـوان لِصفو قال ارخ بجنات النعيم مقـر فكري
٣٥٦ ٢٠١ ٣٤٠ ٣١٠

وقال حضرة الفاضل الزاهد ، والإمام النحرير العابد ، الشيخ احمد موافي يرثي المترجم رحمه الله تعالى :

ما العيش يحلو والتفرق مشرب سبل الفراق بها العيون تسيل
ما العيش في دار الغرور بمشتهى وصخور اعمـال الجبال تهيل
من يوم غزو البحر بحر علومنا لم ارج أن يشفى اليَّ غليل
ودّعته وانا الموافي صحبـة أخذت لتغـرب والفؤاد عليل

ومنهـا

في يوم نيخت للرحيل مطيـة صدعت قلوب فالبعاد طويل
عزريل نادى ياجنـود ترحموا رفقا بفكـري للعلوم خليل
لولا الإرادة مانزلت لقبضه اني برفق العـاملين وكيل
ومبشرات الحق وافت نحـوهم من قبل قبض والبشير دليل
في لمحة البصر الخفيف أزورهم وفراقهـم ابدا علي ثقيل

ومنهـا

ففوارس العلم الشريف تصرعت بالنحو جرح والأصول قتيل
جيش المجـاز مع المعاني ادبرا والفحل من فقه البديع فصيل
سبيت لغات والعـلوم أسيرة ويرق حر الفهم وهو جزيل

ولت مسائل قد تقادم عهدها فاليوم عقـل للغبيّ يحيل
دار العلوم على الهمام كئيبـة والقبر مسرور به وخميل [1]

ومنها

لاقت لعبد الله باشـا حوره كانت تئنّ لبعدهـا وتطيل
قد كان في الدنيا يحاسب نفسه فهو الذي عند السؤال نبيل
قال الثرى أرخته وداً به أهـلاً به ظل الجنان مقيل
سنة ١٣٠٧ ١١ ٧ ٢٧ ٧ ٩٣٠ ١٣٥ ١٨٠

وقال حضرة العالم الفاضل الأديب ، والأمير الأفخم الحبيب ، عزتلو علي بيك رفاعة :

دنياي لِمْ تبدلين المدح تأبينا [2] وتمنعين الوفا ظلماً وأبينـا
وتظهرين ازاء العجز مقدرة وان نويت لنا خباً [3] تتـاوينـا
إذا وعدت وأعددت الصفاء لنا تلوين وعدك بالاكدار تلوينا
في روضة العيش كم تدنين من ثمر لمن اذا حان أن تجنيه تجنينا

الى أن قال بعد كلام تركناه خوف الاطالة

مصاب مثلك عبد الله سيء له كل الأنام وملك حل عبدينا
فما مصاب أخي صهطا برزء أخي دار المعز فيا مولاي عزينـا
من خال بعدك عبد الله أن له جواً خلا عنك كنا عنه خالينا

ومنها

أللبيـان نرجي أن يشاد له بيت وبعدك سد الباب بانينا
سل دولة هي انشاء ومقترح أمضى يراعك فيها أم مواضينا

---

(١) ليّن .
(٢) التأبين : الثناء على المرء بعد موته ، ومنه (حفلة تأبين) .
(٣) الخِبّ : الخداع .

هل فوق نثرك ما نزهى بنثرته أو فوق شعرك شعرى أو يمانينا
من للمطول أو جمع الجوامع أو من المواقف توقيفاً وتبيينا
من للتفاسير تأويلا لمشتبه أو للتواريخ توقيتاً وتأوينا
هل للشفا وحديث المصطفى طرق بها طبيبُ النهى يأتي بشافينا

ومنها

سل آستانة عن تركي منطق من سما عشائرها وهو ابن عشرينا
لو كان فيها لجارى كل ذي قلم يختال بالفكر ترصيفاً وترصينا [١]
ينشي القوافي فتحلو في مباسمنا ذوقاً كأن بها الصهباء تنشينا

الى ان قال

وأنت يا نفحات البرزخ [٢] انجهي لوجهه وانفحي [٣] ورداً ونسرينا
وأنت يا حور جنات زففن له تبارك الله هاك المهر « ياسينا »
وأرخيه فما كفؤ يؤرخه في رحمة الله عبد الله فكرينا

سنة ١٣٠٧ ٩٠ ٦٤٨ ٦٦ ١٤٢ ٣٦١

أصيب رحمه الله بداء السكتة بعد ظهر الخميس في اليوم السابع من ذي الحجة الحرام ، وفي الساعة الثانية من صباح يوم الأحد عاشر الشهر المذكور وهو يوم النحر وافاه الأجل المحتوم ، والقضاء المعلوم ، وذلك سنة الف وثلاثمائة وسبع ، فنحرت عليه في يومه القلوب ، وشقت المرائر وازدادت الكروب ، وامتلأت مصر بالأحزان ، وأظلم العصر في كل مكان ، وشيع محمولاً على هامات الوقار ، والسكينة والتبجيل والاعتبار ، والمحاجر تودعه ودموعها تنحدر ، والقلوب تكاد من شدة تألمها إذ ذاك

---

(١) الترصيف : التنظيم ، والترصين : الإتمام والإتقان .

(٢) ما بين الدنيا والآخرة .

(٣) نفح الطيبُ : انتشرت رائحته .

تتفطّر ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، عوضه الله الجنة وأسكنه دار النعيم [١] .

السيد عبد الله بن محمد بن اسماعيل الامير الصنعاني رحمه الله تعالى

هو من رجال البدر الطالع : ولد سنة ستين ومائة والف ، وبرع في جميع العلوم ، وهو أحد علماء العصر العاملين بالأدلة الراغبين عن التقليد لمذهب من المذاهب ، مع قوة ذهنه وجودة فهمه ، ووفور ذكائه ، وحسن تعبيره وصدق وفائه ، وخبرته بمسالك الاستدلال ، ومتانة دينه وصيام نهاره وقيام الليال ، وله شعر كثير ، قد جمع في مجلد كبير ، وبلغني انه نظم بلوغ المرام ، وشرحه فوق المرام [٢] ، وليس له شغل سوى العلم والحديث والقرآن ، وتحرير المسائل وتقرير الدلائل واقامة البرهان ، ومن نظمه في مطلع قصيدة :

لله درك أيها البدر الذي ... يهدي إلى نهج الصواب الظاهر

ابرزت من تيار علمك درة ... في سلك تبرقعه [٣] بحر زاخر

انتهى . قال في النفس اليماني في ترجمته :ومنهم ولد شيخنا السيد الجليل ، العالم النبيل ، فخر الإسلام ، وزينة الليالي والأيام ، السيد عبد الله صار من العلماء الأعلام ، والنبلاء الفخام ، أحد ائمة العصر ، وحامل لواء الفضل والفخر ، له اليد الطولى في العلوم النقلية والعقلية ، وجودة النظر والنقادة

---

(١) من مؤلفاته : الفوائد الفكرية لمكاتب المصرية ، الفصول الفكرية ، في المالكة الباطنية ، مباحث في علم الهيئة ، شرح بديعية محمود صفوت ، نظم اللآل في الحكم والأمثال ، وهي كلها مطبوعة .

(٢) ومنظومة : عمدة الأحكام للمقدسي ، تقارب ألف بيت ، ورياض الربيع ، في المعاني والبيان والبديع ، وله نظم كثير (الأعلام) وغيره .

(٣) كذا ولعلها ، تبر قعر .

في الأحاديث النبوية ، مشتغلاً بذلك غاية الاشتغال ، حتى نال من العلم الشريف أعلى منال ، مواظباً على الافادة في جميع أوقاته ، مقبلاً على الطالبين في حركاته وسكناته ، تاركاً للتعصبات المذهبية ، والانتصارات التعصبية ، يدور مع الحديث حيث دار لا يعتريه ملل ، ولا يجنح نحو راحة ولا يميل نحو كسل ، فاكهته النظر في الزبر والاسفار ، والمطالعة عنده أعذب من نسمات الاسحار ، جعل العلم له جليساً ، وفي الخلوة نديماً وأنيساً ، فهو فارس ميدان العلوم ، والحائز قصب السبق ان تأخرت الفهوم ، مع اخلاق شريفة ، وشيم لطيفة ، يسمح بها للمتعلمين ، ويمنحها للمتفهمين ، فهم لها عاشقون ، وبها متخلقون ، وعليها معولون ، مع حسن نية ، وسلامة طوية ، وهمة علية ، يحلو منه الاطناب والايجاز ، وابداء فصيح الحقيقة والمجاز ، وطاعته تسر الودود ، وتسوء كل همّاز حسود ، حاز من الرتب الشريفة أعلاها ، ومن الأوصاف السنية أغلاها واحلاها ، من رآه أحبه بمجرد النظر ، فكيف إذا خالطه في الحضر والسفر ، تالله لقد اقر الله به عين كل وافد ، وكبت بطلعته البهية عين العدو والمعاند ، واطلع شمس معرفته على كل جاحد ، ففط بكفك على الشمس أيها الحسود ، ولم نفسك أيها المعاند لأنها لام الجحود ، توفي رحمه الله ، واحسن مثواه ، سنة الف ومائتين وأربع وأربعين [٢] .

الشيخ عبد الله بن الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ محمد الكزبري الشافعي الدمشقي

عالم أوحد ، وفاضل مفرد ، من أهل بيت قد نشأوا على العلم والعمل ، وبرعوا فيه حتى صار لهم عوضاً عن المال والخَوَل [١] ، فما منهم إلا

(١) الخَوَل : جمع خَوْلي : العبيد والإماء وغيرهم من الحاشية ، وهو يستعمل بلفظ واحد للجميع .

(٢) في نيل الوطر أن وفاته سنة ١٢٤٢ .

من هو محدث فاضل ، متورع زاهد عابد كامل ، قد افتخر بهم مصرهم على الأمصار ، وتاه بهم عصرهم على غابر الأعصار .

ولد رحمه الله سنة الف ومائتين وإحدى وعشرين ، ونشأ من أول عمره على الطاعة والدين ، ناهجاً منهج والده الهمام [١] ، إلى أن صار معدوداً من أفراد العلماء الأعلام ، وبعد وفاة والده جلس في مكانه تحت قبة النسر ، يقرأ صحيح الامام البخاري في شهر رجب وشعبان ورمضان كل يوم بعد العصر ، ولم يزل مثابراً على ذلك ، سالكا أعلى المناهج والمسالك ، إلى أن سقته المنية كأس الحمام ، وجرحت بفقده قلوب أهالي الشام ، وذلك سنة ألف ومائتين وخمس وستين ودفن بتربة باب الصغير ، رحمة الله تعالى عليه .

الشيخ عبد الله بن مصطفى بن عبد الله بن محمود العبدلاني الكردي الدمشقي

كان حسن الأوصاف ، جميل الانصاف ، يميل الى الحق ميل الصب الهائم ، ولا تأخذه في الله لومة لائم ، قرأ على العلماء الأفاضل ، إلى أن حاز على أجل الفضائل ، ولازم والدي مدة طويلة ، واستجازه فأجازه اجازة عامة جليلة [٢] وكان محبوباً بين الناس ، مشهوراً بالجمال والكمال والإيناس ، كثير الطاعة والعبادة ، حريصاً على الإفادة والاستفادة ، مات في شهر رمضان سنة ثمان وسبعين ومائتين وألف ودفن بمقبرة باب الصغير قرب قبر الصحابي الجليل سيدنا بلال بن رباح الحبشي رضي الله تعالى عنه .

---

(١) أخذ العلم عن والده وعن الشيخ عبد الرحمن الطيبي والشيخ حامد العطار والشيخ سعيد الحلبي وغيرهم (عن مجموع خطي) .

(٢) وأخذ عن العلامة الشيخ حسن الشطي ، واختص بالعالم الشيخ أحمد مسلم الكزبري ، وصار معيداً له في درسه العام تحت قبة النسر ، وتولى المترجم إمامة وتدريس جامع سنان باشا خلفاً المرحوم الشيخ أحمد البغال ، (عن روض البشر الشطي) .

السيد عبد الله بن عابدين الدمشقي الحنفي الماتريدي

إمام قد تحلى بالفضائل ، وارتدى بأجمل الشمائل ، وأكب على العلم والطلب ، إلى أن نال المرام والأرب ، وكان شهماً فاضلاً ، عالماً عاملاً ، حسن الاعتقاد ، جميل المعاملة والوداد ، ذا تقوى وعبادة ، وصيانة وزهادة ، وكان مقدم الطريقة النقشية ، في جامع بني أمية ، وله أحوال عجيبة ، ومكاشفات غريبة ، وكرامات مشهودة ، وصفات محمودة . توفي يوم الجمعة في صلاة العصر في السجدة الثانية من الركعة الثانية في اليوم التاسع عشر من شعبان سنة تسع وخمسين ومائتين والف ودفن في مقبرة باب الصغير قرب قبر المرحوم السيد محمد عابدين المشهور .

الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن احمد أبي العباس
إمام السادة الحنفية فى جامع بني أمية

كان رجلاً صالحاً تقياً نقياً ، عابداً زاهداً ، متباعداً عن الناس ، له في التمسك بطاعته تعلق وإيناس ، وكان مقدم الطريقة الشاذلية بعد موت والده رحمه الله . فأرشد كل سالك ، ونهج بالمريدين أحسن المناهج والمسالك ، وكان كثير الوداد ، معتصماً بحبل الصواب والسداد ، دائم الإقامة ، على حالة الاستقامة ، حسن السيرة ، صافي السريرة . مات رحمه الله سنة ستين ومائتين والف ، ودفن في مقبرة باب الصغير رحمه الله تعالى .

الشيخ عبد الله بن حجازي بن ابراهيم الشافعي
الازهري الشهير بالشرقاوي

العلامة النحرير ، والفهامة الشهير ، والأصولي الفقية ، والفاضل النبيه ، شيخ الاسلام ، وعمدة الأنام ، من طلع في فلك الأزهر بدراً ، وتقدم

على صلة الأفاضل ذوي الفضائل علماً وجلالة وقدرا، فكان في جبهة الدهر غرة، ولأهل العصر روضة فَرَحٍ ومسرّة.

ولد ببلدة تسمى الطويلة بشرقية ببلبيس في حدود الخمسين بعد المائة والألف، ونشأ على غاية الكمال واللطف، فلما ترعرع وحفظ القرآن، قدم الى الجامع الازهر المصان، وسمع من الملوي والجوهري والحفني والدمنهوري ومن الشيخ يوسف الحفني والبليدي ومحمد الفارمي وعلي الصعيدي وعمر الطحلاوي وعطية الاجهوري، وسمع الموطأ على علي بن العربي الشهير بالسقاط، وأخذ الطريقة على الشيخ محمود الكردي بكمال الاحتياط، ودرس الدروس بالجامع الأزهر، وقرأ بغيره أيضاً وحقق ودقق وحرّر، وله تأليفات دالة على علو قدره، ورفعة مقامه وسمو ذكره، من ذلك حاشية على التحرير، وشرح نظم الشيخ يحيى العمريطي وشرح العقائد المشرقية والمتن له أيضاً، وشرح مختصرٍ في العقائد والفقه والتصوف مشهور في بلاد داغستان، وشرح رسالة عبد الفتاح العادلي في العقائد، ومختصر الشمائل وشرحه له، ورسالة في لا إله إلا الله، ورسالة في مسألة أصولية في جمع الجوامع وشرح الحكم والوصايا الكردية في التصوف وشرح ورد السحر للبكري، ومختصر المغني في النحو، وغير ذلك [1]. وبعد موت الشيخ العروسي حولت اليه مشيخة الأزهر إلا أنه كان له معارضون كثيرون فلم يتركوا له راحة لدعوى استحقاقها للشيخ مصطفى الصاوي، وبقي هذا الاختلاف وعدم الراحة إلى أن توفي الشيخ مصطفى الصاوي فسلمت للمترجم من غير منازع. ولم يزل في منصبه مع اختلاف وشقاق من واقعات اقتضاها الحال، إلى أن مرض مدة، ومات يوم الخميس

---

(١) ومن مؤلفاته أيضاً: «التحفة البهية في طبقات الشافعية» (من سنة ٩٠٠ إلى سنة ١١٢١ هـ.) و«تحفة الناظرين في من ولي مصر من السلاطين».
وتجد المصادر الكثيرة لترجمته في الأعلام للزركلي ومعجم المؤلفين لكحالة.

ثاني شهر شوال سنة سبع وعشرين ومائتين والف وصلي عليه بالأزهر ودفن في مدفنه الذي بناه لنفسه ومقامه شهير رحمة الله تعالى عليه .

الشيخ عبد الله بن محمد بن عيسى بن سعيد الدمشقي الصالحي الشهير بالكناني

شيخ الطريقة الخلوتية ، وإمام ذوي ارشادهـا في دمشق المحمية ، وكان يغلب عليه في بعض الأيام ، غيبة وجذبة واصطلام ، فكان في تلك الحالة يتكلم بما هب ودرج . وليس عليه في كلامه حينئذ ملام ولا حرج ، وله كشوفات كلية عجيبة ، واخبارات صائبة غريبة ، ولي والحمد لله منه اجازة في اذكار الطريقة المرقومة واذن عام في اعطـاء الطريق لأهل الاعطاء المستحقين . وشاهـدت كثيراً من كشوفاته ، وسمعت منه كثيراً من اخباراته الخارقة للعادة ، التي لم يتخلف منها شيء عن ماأفاده ، وكنت أطالع لديه بعض عبارات في كلام الســادة الصوفية (١) ، فيسمع ولكنه لم يتكلم بشيء بالكلية . ولد في صالحية دمشق الشام سنة ثمان ومائتين والف ، ونشأ بها ، وأخذ الطريق عن جده الشيخ عيسى ، وكان يقيم الاذكار بزاويتهم الكائنة في صالحية دمشق . مات رحمه الله يوم الاثنين بعـد الظهر في عشرين من ذي الحجة الحرام سنة اثنتين وتسعين ومائتين والف ، ودفن بقاسيون قرب مقام الشيخ محمد بن مالك صاحب الألفية .

الشيخ عبد الله المعروف بالمرادي بن طاهر بن عبد الله ابن مصطفى بن القطب مراد

الدمشقي الحنفي الشهير بالمرادي النقشبندي صدر صدور الشام ، وبدر العلماء الأعلام ، الشهم الكبير ، والهمام الشهير .

---

(١) كان الأستاذ المؤلف رحمه الله صوفيا قبل أن يكون سلفيا ، ولما صـار سلفيا اقتصر على أذكار الكتاب والسنة ، ورأى فيهما مايكفي ويغني عما عداهما .

ولد بدمشق ونشأ بها ، وقرأ على علمائها ، إلى أن صار من أوتادها وأقطابها [١] ، فسعى منصب الافتاء اليه ، وعول في أمره عليه ، ودام له أحد عشر شهراً ثم فصل عنه ولم يزل على تقواه وعبادته ، وتقدمه بين الناس ورئاسته ، إلى أن نشبت به أظفار المنية ، فحالت بينه وبين المرام والأمنية ، فمات مخنوقاً في قلعة دمشق الشام سنة اثنتي عشرة ومائتين والف ودفن في مقبرة الدحداح رحمه الله تعالى .

الشيخ عبد الله بن سعيد بن حسن بن احمد المشهور بالحلبي

فرد الشام وعالمها ، وصدرها وفاضلها ، قد طلع في أفقها بدراً تحرس مجده الثواقب ، وارتفع في أهلها قدراً تتنافس به ذوو المعالي والمناقب :

إذا مابدت للطرف غرة وجهه	رأيت بها الشمس المنيرة والبدرا
وان رمت ان تدري علاه فانه	هو الغاية القصوى هو الآية الكبرى
له خلق كالروض يزهو بزهره	وكيف يساوي الزهر أخلاقه الزهرا
فهذا الذي فوق السماكين قدرقى	واحرز من دون الورى الفخر والقدرا

لقد انفرد بعلو الهمة ، واقتصر عليه الخاص والعام في الأمور المهمة ، وكانت الحكام تفضله وتهابه وتعظمه ، وترفع مكانه وتجله وتحترمه ، وتعتمد في المهمات عليه ، وتستند في حل المشكلات اليه ، فقوله في المهمات فصل

---

(١) أي من أركانها وأعيانها ، وللعلامة الشهير السيد محمد عابدين رسالة مطبوعة في مجموعة رسائله : اسمها « إجابة الغوث ، ببيان حال النقبا والنجبـــا والأبدال والأوتاد والغوث » وفيها صفاتهم وعاداتهم ، ومراتبهم ، وبلدانهم ، وأعمالهم ، وعدد كل صنف منهم . وخير ما وصف به الأبدال : سخاء الأنفس ، وسلامة القلوب ، والنصيحة لأمتهم ، ومن صفاتهم أيضـــاً أنهم : يعفون عمن ظلمهم ، ويحسنون إلى من أساء اليهم ، ويتواسون فيما آتاهم الله » .

الخطاب ، وحكمه مدار الحق على مركز الصواب ، قد طار صيته وفاق وملأ ذكره الأقطار والآفاق ، فلا ريب أنه عين الأعيان ، وفرد الدهر والزمان ، قد تصدر بعد موت والده للاقراء والتدريس ، فما عداه في الشام مرؤوس وهو بمفرده الرئيس ، ولم يزل في كل يوم يسمو مقامه إلى العلا وينمو قدره وفخره بين الملا ، ويقصده الناس من كل جـانب ، لقضاء الحوائج ونيل المآرب ، فليس من عظيم ولا كبير ، ولا حاكم ولا وزير إلا وينقاد لكلامه ، ويعترف بعلاه واحترامه .

وكان يقرأ صحيح الإمام البخاري، تحت قبة النسر في جامع بني أمية في كل يوم جمعة من شهر رجب وشعبان ورمضان ، إلى سنة الف ومائتين وسبع وسبعين ، فوقعت في الشام حادثة النصـارى ، التي جعلت الناس سكارى وماهم بسكارى [١] ، فتبدل النهار على الشام ليلا ، ومال الغم والهم عليها ميلا ، وانفرط نظامها وتشوش قوامها ، واختل تشييدها ، واعتل رشيدها ، وانحطت في فلكها إلى الحضيض ، ووقعت في النكد الطويل العريض ، وتلا قارئها على أهلـها من كبير وصغير ، « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير » [٢] ، فارتجت من المترجم جوانب ناديه ، وارتبطت في عنقه طوال أياديه ، وأضحت منازله قد بان عنها الانس والحبور ، وألوت بهجتها عنهـا ساعد الصّبـا وكف الدبور ، فبكت العيون عليه دمـاً ، وعـاد قدره ومقامه عدما ، وصـار بعد أن كان مخدوم أحرار الدهر لا يخدمه من كان لهم خدما ، فسحقاً لزمان لم يرع حقوقه ، ولم يحفظ عليه شروقه ، فنفاه فؤاد باشا المرسل من جانب السلطان لهذه القضية ، إلى المغوصا قلعة

---

(١) تجد تفصيل هذه الحودات المؤسفة ، في ترجمة أحمد باشا والي ومشير دمشق ونقلبه العجيب الغريب (ص ٢٦٠ ـ ٢٨٠) من (ج ١ من حلية البشر) .

(٢) سورة الشورى (الآية ٣٠) .

في قبرص أعدت لذوي الجنايات الكلية ، ومعه جملة من ذوات الشام ، من أهل القدر والاحترام ، واستقام إلى سنة ألف ومائتين وثلاث وثمانين منفياً [١] ، ثم عاد إلى الشام رفيعاً عليا ، إلا أنه قد تولى الدرس في جامع بنى أمية ، صاحب الأصالة محمد افندي المنيني ذو النسبة العثمانية ، ولم يزل المترجم في رفعة وعلو ، وقدر ذي سمو ، إلى أن دعته المنية للدار الآخرة ، والمنزلة الفاخرة ، وذلك في ثالث ذي القعدة الحرام سنة ست وثمانين ومائتين والف . توفي في قرية برزة قرية من قرى دمشق الشام ، وفي صبيحة تلك الليلة أحضر إلى الشام ، وصلي عليه في جامع بني أمية ودفن عند قبر أبيه في مرج الدحداح بمشهد عظيم ، وكانت ولادته في دمشق الشام سنة ثلاث وعشرين ومائتين والف وكان عمره ثلاثا وستين سنة رحمه الله تعالى .

الشيخ عبد الله بن صالح بن حيدر الكردي الاشكتي ثم الدمشقي الشافعي

الحبر الفقيه ، والبحر المحقق النبيه ، ولد بدمشق سنة ثمان وسبعين ومائة وألف ، ونشأ في حجر أبيه وأخذ عنه وعن العلامة الشمس الكزبري

---

(١) أرخ ولادته تلميذه السيد محمد عابدين بقصيدة مطولة ، وتاريخها :

يقول نظمت أبياتي فأرخ بعبد الله في شهر الصيام

وأرخ عودته من منفاه تلميذه الشيخ عبد السلام الشطي بأبيات ، تاريخها :

فلقد تكامل فضله سبحانه مذ جاء بالتاريخ شيخ الشام

تفرد بالعلوم النقلية والعقلية ، تخرج عليه أكثر علماء دمشق ، وكثيراً ما كانت الحكومة تعرض عليه إفتاء دمشق وقضاءها فلم يقبل . لقب بزمنه بشيخ علماء الشام ورئيسها ، كان يجتمع في مجلسه كل ليلة جماعة من العلماء والتجار ، يستفيدون من وعظه وإرشاده ، ويعشقون مشربه وأخلاقه . اه من منتخبات التواريخ للتقي الحصني .

واستفاد وأفاد ، وارتفع مقامه وساد ، توفي رحمه الله تعالى سنة أربعين ومائتين والف ودفن في مرج الدحداح .

عبد الله بن ابراهيم بن حسن بن محمد أمين بن علي ميرغني بن حسن بن مير

خودر بن حيدر بن حسن بن عبد الله بن علي بن حسن بن أحمد بن علي بن ابراهيم بن يحيى بن عيسى بن أبي بكر بن علي بن محمد بن اسماعيل ابن مير خودر البخاري بن عمر بن علي بن عثمان بن علي المتقي بن الحسن بن علي الهادي بن محمد الجَواد الحسيني المتقي المكي الطائفي الحنفي الملقب بالمحجوب .

نقل الامام الجبرتي أنه ولد بمكة وبها نشأ وحضر في مباديه دروس بعض علمائها كالشيخ النخلي وغيره ، واجتمع بقطب زمانه السيد يوسف المهدلي وكان إذ ذاك أوحد عصره في المعارف ، فانتسب إليه ولازمه ، وبعد وفاته جذبته عناية الحق وأرته من المقامات ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فحينئذ انقطعت الوسائل وسقطت الوسائط فكان أويسيا تلقيه من حضرة جده ﷺ كما أشار إلى ذلك السيد مرتضى عندما اجتمع به بمكة في سنة ثلاث وستين ومائة وألف وأطلعه على نسبه الشريف وأخرجه إليه من صندوق . قال وطلبت منه الاجازة وإسناد كتب الحديث فقال : غني عنه قال : فعلمت أنه أويسي المقام ، ومدده من جده عليه الصلاة والسلام . وانتقل إلى الطائف بأهله وعياله في سنة ست وستين وشرف تلك المشاهد ومآثره شهيرة ، ومفاخره كثيرة ، وكراماته كالشمس في كبد السماء ، وكالبدر في غيهب الظلماء ، وأحواله في احتجابه عن الناس مشهورة ، وأخباره في زهده عن الدنيا على ألسنة الناس مذكورة .

ومن مؤلفاته كتاب فرائض وواجبات الاسلام لعامة المؤمنين ، وقد كتب على ظهرها بخطه الشريف :

فروض الدين أنواع وهذا الدر هافيها
فعض بناجذ فيهـــا وقل يا رب صافيهـــا

وهذه النبذة عجيبة في بابها جامعة مسائل العقائد والفقه ، وشرحه شيخنـا المذكور شرحاً نفيساً ، ومنها سواد العين في شرف النبيين ، ولها قصة في ضمنها كرامة قال في آخرها انه فرغ من تأليفها في رجب سنة سبع وخمسين ومائة والف ، ومنها السهم الداحض في نحر الروافض ، وهذه ألفها بعد خروجه من مكة لقصة جرت بينه وبين أهلها في جمادى سنة ست وستين ومائة والف ، ومنها الفروع الجوهرية في الأئمة الاثنى عشرية ، ومنها الدرة اليتيمة في فضائل السيدة العظيمة ألفها سنة أربع وستين ومائة والف ، وكتب بخطه الشريف على ظهرها :

لله در مؤلف درست به درر المـــلا
كم درة يتمت بـــه حتى أفـــاقت للألى
يارب فاعل مقـــامه كالدر في تاج العـــلا

ومن مؤلفاته الكوكب الثاقب وشرحه وسماه رفع الحاجب عن الكوكب الثاقب ، وله ديوانان متضمنان لشعره أحدهما المسمى بالعقد المنظم على حروف المعجم ، والثاني عقـد الجواهر في نظم المفاخر ، ومنها المعجم الوجيز في أحاديث النبي العزيز ﷺ اختصره من الجامع وذيله ، وكنوز الحقائق والبدر المنير وهو في أربعة كراريس ، وقد شرحه العلامة سيدي محمد الجوهري وقرأه دروساً ، ومنهـــا شرحه صيغة القطب ابن مشيش ممزوجـاً وهو من غرائب الكلام ، ومنها مشارق الأنوار في الصلاة والسلام على النبي المختار .
توفي رضي الله عنه سنة سبع ومائتين والف رحمه الله تعالى .

الشيخ عبد الله ابو محمد بن محمد بن رجب الحلبي الحنفي الشهير بالفرضي

العالم الحيسوب ، والفاضل الذي هو الكل كال منسوب ، والعامل الهمام النقي ، والكامل الامام النقي . ولد سنة أربع وأربعين ومائة والف ، وقرأ القرآن العظيم وأخذ الفرائض عن صهره الشمس محمد بن حسين الفرضي وأبي اليمن تاج الدين محمد بن طه العقاد ، وقرأ عليه وسمع منه في الحديث والنحو وغيره ، وتفقه على أبي محمد عبد الوهاب العداس وأبي عبد الله محمد بن يوسف الأسبيري المفتي وأبي محمد مصطفى بن أبي بكر الكوراني الحلبي ، وكان أحسن أهل بلدته وأمهرهم علماً في وقته ، وكان في الفرائض متقناً ماهراً حفاظاً . توفي رحمه الله تعالى بحلب ليلة الأحد الثالث والعشرين من رجب الفرد سنة الف ومائتين وخمس[١] .

السيد عبد الله الكيلاني نسباً الشمزيني الهكاري النقشبندي الخالدي

الحبر العلامة ، والولي الفهامة ، المرشد الكامل ، والمقصد الكل آمل ، صاحب الأخلاق المصطفوية ، والشمائل المرضية ، الفاضل الذي لا يبارى ، والهمام الذي لا يجارى ، كان من أهل الإقبال ، والتجرد الى ما ينفعه في المآل ، ولما أتى حضرة الأستاذ مولانا خالد الى بغداد دار السلام ، رحل المترجم إليه ، وأخذ الطريقة العلية عليه ، فجاهد في الله حق جهاده ، واجتهد فيما يوصله الى مراده ، حتى فاز بالفتوحات الربانية ، والاسرار القدسية الرحمانية ، وخلفه خلافة مطلقة وأذن له بالإرشاد ، وإفادة العلم للعباد ، ثم رجع إلى وطنه بأمر حضرة مولانا قدس سره وشرع في الارشاد ،

---

(١) لم أجد له ذكراً في تاريخ حلب الشهباء .

وسلك منهج السداد ، وانتفع به الناس في تلك البلاد [١] ، وله من الخوارق والكرامات العظام ، ما شهد له بها الخاص والعام ، ولم يزل مثابراً على دعوة الناس إلى الله ، وارشادهم إلى ما يوصل كلاً منهم إلى مناه ، إلى أن توفي رحمه الله في سنة الف ومائتين وفوق الخمسين تقريبا .

الشيخ عبد الله الارزنجاني المكي الخالدي النقشبندي

الفاضل العالم العامل ، والولي المرشد الكامل صاحب الانفاس القدسية ، والإلهامات الربانية ، مربي السالكين ، ومهذب الواصلين ، المتوجه بكليته إلى مولاه ، والمعتمد عليه لا على سواه ، قد اعرض عن الدنيا وما فيها لعلمه بأنها على شفا جرف هار ، ولم يزل من المستغفرين بالأسحار ، وترك الأوطان مع الجلالة والاحترام ، واختار التذلل في المسجد الحرام . ذكر السيد ابراهيم الحيدري بأن المترجم سلك على يد حضرة مولانا خالد قدس سره ورباه أحسن التربية ولازم خدمته ، ثم خلفه خلافة مطلقة وأذن له بالارشاد . وكان قدس الله سره من أكابر الأولياء والخلفاء ، وله مقام الصحو والبقاء ، سلك على يد كثير من الأعلام ، واشتهر بالولاية بين الأنام ، وكان حضرة مولانا خالد ملتفتاً إليه بالتوجه التام ، وكان كثير المودة له حتى إنه قدس سره في بعض حجاته قال له إني أتيت هذه المرة لأجلك يا عبد الله فانكب على قدميه . توفي سنة الف ومائتين وبعد الأربعين .

---

(١) له ترجمة وجيزة في « الحدائق الوردية ، في حقائق أجلاء النقشبندية » للشيخ عبد المجيد الخاني رحمه الله ، وهي قوله : زهرة علماء المنقول والمعقول ، السيد الشيخ عبد الله القادري نسبا ، الشمزيني وطنا ، الهكاري ، قدم سنة تسع وعشرين إلى بغداد قاصداً حضرة مولانا للسلوك لديه ، فلم يزل في مجـاهدة حتى ألقى الفتوح مفاتيحه اليه . (اهـ ص ٢٥٩) .

الشيخ عبد الله بن الشيخ عبد الرحمن الكردي الخالدي النقشبندي

العالم الفاضل النحرير ، والمرشد الكامل الكبير ، مالك أزمة التقرير والتحرير ، جامع المعقول والمنقول ، حاوي الفروع والأصول ، فهو الكامل العابد ، والولي بن الولي الناسك الزاهد ، أخذ الطريقه الخالدية أولاً وسلك فيها ثم سافر الى حج بيت الله الحرام ، وزيارة خير الأنام ، عليه أفضل الصلاة وأتم السلام ، وبعد عوده من الحجاز ، خلفه شمس الحقيقة في الحقيقة لا المجاز ، وعلم الشريعة الواضحة ، وقطب الطريقة الناجحة ، قطب العارفين بالله شيخنا ومولانا خالد قدس الله تعالى سره خلافة مطلقة في الطريقة النقشبندية وأذن له بالارشاد العام ، ونشر العلم بين الأنام ، ولم يزل على وصيته عاملاً بها في ظاهره ونيته ، الى أن توفي سنة الف ومائتين وزيادة على الأربعين رحمه الله تعالى .

الشيخ عبد الله بن محمد الكردي البيتوشي الألاني الخانلي الشافعي

نشأ في بيتوش وقرأ فيها القرآن ، وحصل العلم على اجلاء علماء بلاد بابان ، فممن أخذ عنه الامام ابن الحاج ، وعُني بالأدب فنفق به وراج ، ثم رحل من بلاده الى بغداد ، ثم الى الشام فاستفاد وافاد ، وكان في أول أمره على اقدام الطلب ساعياً ، ولطاعته وعبادته وإقباله على الله مراعيا . وكان كثير المطالعة في كتب الحقائق ، شديد التمسك بأسفار الوعظ والرقائق . ثم آثر الاشتغال بالعلوم الرسمية ، وأكثر من الالتفات الى العلوم الآلية واللغوية ، وله شعر يسحر الألباب برقته ، ويدع الأديب مشتغلا بحيرته ، جمع إلى الرقة الجزالة ، ونزل من البلاغة منزل البدر من الهالة ، ألف المؤلفات الجمة الفوائد ، وانفرد بأبحاث هي لعمري الفرائد ، توطن في

هجر البحرين ، فدعي في علمائها عين الانسان وانسان العين ، وأهدى الاعيان والملوك كواعب العذارى من بنات الافكار ، فحير في بداعتها مصاقع هاتيك الأقطار ، ونظم أيام محاصرة صادق خان للبصرة تراجم الزواجر نظماً ضاهى به عقود الجمان ، وشرحه شرحاً حل من البيان محل الروح من الانسان (١) ، ولما خرج من الأحسَاءِ فاراً بدينه توطن البصرة ، ولم يزل في رفعة وقدر ، له بين العلماء والأعيان من أرفع الأماكن الصدر ، إلى أن توفي رحمه الله سنة عشرين ومائتين وألف .

الشيخ عبد الله افندي بن عيسى افندي الكردي الشافعي الحيدري

العالم العامل الورع الزاهد العابد المعتزل عن الناس والمقبل على الله . ولد في بغداد ، وطلب العلوم على العلماء الجهابذة الأمجاد ، وجنى ثمر الفوائد ببنان فكر وقاد ، وتعطر به من الفضل الحيدري كل محفل وناد ، وكان في المعقول والمنقول ، آية الفروع والأصول ، ولي تدريس المدرسة العلوية ، أواخر أيام دولة سعيد باشا فقرت به عيون العلماء ذوي المراتب العلية ، توفي بعد الألف والمائتين وثلاث وثلاثين كما ذكر ذلك عثمان افندي سند رحمه الله تعالى .

الشيخ عبد الله الهراتي النقشبندي الخالدي

العالم العامل ، والمرشد الكامل ، صاحب الأنفاس القدسية ، والمعاني

---

(١) ولد المترجم ونشأ في بيتوش (التابعة لمنطقة سردشت ، في الكردستان الايراني) وهاجر إلى بغداد ومات في الأحساء . له كتب منها « شرح الفاكهي على قطر ابن هشام » و « منظومة كفاية المعاني ـ ط » في النحو ، وثلاثة شروح لها طبع أحدها ، وله نظم حسن (الأعلام الزركلي) .

الأنسية ، والكمالات العالية ، والتحقيقات السامية . قال في المجد التالد : ان المترجم قد لازم حضرة مولانا خالد النقشبندي وخدمه حضراً وسفراً ولم يتخلف عن أمره وأدى حق السلوك والخدمة في مرضاته ، وكان من أخص خدامه ومريديه في حياته وبعد مماته ، وكان قد اختار مقام التجريد ولم يتزوج لأنـــه كان على قدم الغوث [١] الأعظم حضرة شاه عبد الله الدهلوي قدس سره ، فإنه لم يتزوج إذ كان على قدم رسول سيدنا عيسى ﷺ في مقام التجرد كما أن حضرة مولانا خالد قدس سره كان على قدم خاتم النبيين وسيد المرسلين ، نبينا وسيدنا حبيب رب العالمين ، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف ، فان كل ولي من الأولياء على قدم نبي من الأنبياء على ما ذكره السادة الصوفية ، أفاض الله علينا وعليهم من بركاته القدسية . ولما سافر حضرة مولانا خالد إلى الهند ومر ببلدة هرات [٢] لقي الشيخ عبد الله الهراتي هناك فقال له إلى أين تذهب فقال مولانا خالد : إلى سلطان الأولياء شاه عبد الله الدهلوي لإصلاح حالي ، فقال الشيخ عبد الله الهراتي : وأنا معك ، فأجابه مولانا خالد بقوله انتظر رجوعي ، فقال الشيخ عبد الله المذكور : أذهب الى العراق وأنتظرك هناك ، فجاء إلى الموصل وقرأ بعض العلوم ، فلمـــا سمع برجوع حضرة الشيخ مولانا خالد أتى إلى السليمانية ولازم خدمته ، وذهب معه إلى بغداد والشام ، وسلك أحسن السلوك وتخلف خلافة مطلقة . وبعد وفاة حضرة مولانا خالد قدس سره بمدة زمان ، توجه حرمه مع ولده الشيخ نجم الدين طاب ثراه إلى بغداد ، وتوجه الشيخ عبد الله معهم بخدمتهم ، ولم يزل مع سلوكه في الطريق على أحسن سلوك ملازماً لخدمة من يلوذ بالأستاذ ، إلى أن توفي سنة ألف ومائتين ونيف وأربعين .

(١) إن لفظ (الغوث) في الكتاب والسنة وكلام العرب ، مستعمل بمعنى الطلب من المستغاث به ، ومغيث العباد في الشدائد ، هو الله رب العالمين .

(٢) مدينة في أفغانستان ، سكانها سنيون ، بينهم طائفة من الشيعة ، شهيرة بجامعها الراقي عهده إلى القرن الخامس عشر (م)

السيد عبد الله بن محمد بن عبد الله اسعد

نجيب أبدى المحاسن وأبدع ، ومن سلسال حياض النباهة تضلع ، ولبيب سلك مسالك المعارف ، فملك منها كل تليد وطارف ، بعزم غير ذي كلال ، وجد وجد به مكنون در الأفضال ، تابعاً في ذلك آباءه ، وجاعلاً في الاستفادة آناءه ، وله الذهن الوقاد ، والذكاء الذي أورده على الأدب أحسن إيراد ، فمن نظمه الأنيق المطلع ، وشعره الذي من روض فكره اطلع ، قوله :

يا ساكنين المنحنى من أضلعي ... منوا على قلبي وعظم توجعي
بالله ان جزتم بوادي رامة ... ورأيتم تلك الظباء بلعلع
ونظرتم تلك الأثيلات[١] التي ... بين العقيق[٢] وبين ذاك الأجرع
ووجدتم تلك الأحبة عندها ... ردوا السلام عليهم بتوجع
قولوا لهم عبد الإله معذب ... يبكي الفراق يصب سيل الأدمع

وقوله مادحاً الشيخ عمر بن عبد السلام الداغستاني

أشذى نسيم في سحر ... حاكت روائحه الزهر
من ظبي حسن آنس ... أنست محاسنه تتر
رشأ رقيق خصره ... ككلامه مهما نثر
ذو رقة من دونها ... غنج الحبوش إذا خطر
كم رمت ألثم ثغره ... من فوق أسنان درر
فحمى عقيق شفاهه ... بسهام أهداب النظر

---

(١) شجر يكثر قرب المياه في الأراضي الرملية ، أوراقه دقيقة ، وأزهاره عنقودية .

(٢) العقيق : واد قرب المدينة ، أكثر الشعراء من ذكره ، وما انضم اليه في هذه الأبيات هي مواضع في الحجاز يتغنى بها الشعراء ، وعندها يذكر منشدها قول الشاعر :

وما حبّ الديار شغفن قلبي ... ولكن حبّ من سكن الديارا

يا حسنه من أغيــد ... أسر الأحبــة بالحور
شهدت ملاحتــه له ... مذ قلت هـذا كالقمر
لكنه مــذ قسته ... بمحاسن المولى الأبر
أرخى حجاب خفائه ... وأجاب ما هــذا بشر
لله در كماله ... وبهائه ذاك الأغر
بهر العقول بسحره ... وبيــانه المنشي سُوَر
ما خلت لباً في الورى ... تتلى عليـه ولا انبهر
فكأنما انشــاؤه ... آي الشفا لمن استغر
واهاً له هــلا رقى ... مضنى بهـا بين البشر
كم أشتكي لسامري ... ذاك السراج المفتخر
رب الفضــائل من له ... في الشعر نظم معتبر
مولى النجــابة والفصا ... حة والبلاغة ان شعر
دامت لنــا أوقاته ... في نشأة تجلو الكدر
ما غردت ورق اليرا ... ع بمدحــه بين الغرر

المرحوم عبد الله البوي بن يحيى بن ابراهيم البوي

من أفاضل هذا البيت الكمل ، والمتقدم من جوامع فضلهم في الصف الأول ، حاز بنبله لطائف أجداده ، وفـاق على أقرانه وأنداده ، أثره كالبدر مشرق ، وكالقصر مفدق ، ينبي على أنه في حلبة المجد لم يقصر ، وانه في الكمالات متقدم وإن كان ظهوره في العصر المتأخر ، فمن محاسن نظامه ، ومستعذب كلامه ، قوله :

ما عذب قلبي وما أثار به النار ... إلاك أيامن يفوق ضوء الأقمار
كم أسهد طرفي لذا تزايد وجدي ... بالسقم فحسبي من المحبة أكدار
يا مالك قلبي ومن تحكم فيه ... رفقاً بمحب سوى جمالك ما اختار

أواه إلى كم أبيت منك بقلب ‌ ‌ في الناس وحق الهوى تلهب بالنار
لو شمت غرامي لجدت لي بمرامي ‌ ‌ يا بره سقامي ولم تزدني أضرار
من لي بغزال إذا بدا كهلال ‌ ‌ قد صاد فؤادي ولم ينلني أوطار
دع عنك عذابي ولا تمل لبعادي ‌ ‌ يا كل مرادي ويا نزيهة أبصار
ناهيك بأني إذا أطلت صدودي ‌ ‌ سلسلت دموعي على خدودي أنهار
يا بدر فهل كان في لقاك وصول ‌ ‌ بالله فقل لي ولا تدعني محتار

وهذا الوزن من بحر السلسلة ووزنه فعلن فعْلُن فاعلن فعو فعلاتن كما ذكره السيد كبريت والسيوطي ورشيد الدين الاسواني في شرح مقامته الحصيبية رحمهم الله تعالى .

المرحوم عبد الله بن عبد الكريم بن محمد الخليقي

فرع زكي من طيب مغرس ، وحديقة مجد بالفضل تنفّس ، شبيه أبيه مهابة وجلالة ، وتابع سلفه إصابة وكالة ، وله ابن سامي الذكر ، مثله في علاء القدر ، فهو درة بين جوهرين ، وقمر حف بفرقدين ، كلل هام مجده بجواهر أدبه ، وأتى من حديقة فكره بنظم لا بأس به ، فمن ذلك قوله :

لقد وافى لزورة قبر طه ‌ ‌ اخو العليا وأهل للصدارة
ونال شفاعة الهادي المرجى ‌ ‌ وكانت عنده أسنى تجارة
هو المولى عزيز الله خان ‌ ‌ ومن اضحى الفخار له شعاره
رئيس ماجد فرد همامٌ ‌ ‌ بليغ في الفصاحة والمهارة
مقام قدومه عام شريف ‌ ‌ غدا تاريخه حسن العبارة
بتاج للهنـا يزهو ببيت ‌ ‌ وفيه من المسرة والبشارة
ينادينا لسان الحال جهراً ‌ ‌ عزيز الله مقبول الزيارة

السيد عبيد الله كدك المدني

ماجدٌ الكمال قرينه ، والوقار خدينه ، صاحب فصاحة ولسن ، ومكانة في الأدب منها تمكن ، ومشاركة في فنون المعارف ، ومطارحة في فنون اللطائف ، فما صدحت به عنادب قريحته وافهامه ، في غياض طروسه على أملد[1] أقلامه ، قوله من قصيدة مجيباً بها حضرة الأديب السيد عمر بن عبد السلام المدرس ، مكللة بدرر غزلها ونسيبها وهي قوله بقوله :

ولّى زماني وانقضى منعمي | لم يبق لي ذوقي ولا منعمي
كلا ولا قلبي يعي ذرة | حقى ولا سمعي ولم أعلم
من مربع قد زرته إذ عفا | خِلّي منه ليت لم اقدم
ان الزمان المعتدي قد رمى | قلبي بسهم صائب مسهم
بالعضب بل بالرمح مع خنجر | أوْمَى اليَّ ليت لم يعزم
لو كان رمحاً لاتقيت التي | يا هل ترى عن أيها أحتمي
قالوا تصبر وارتجز واحتسي | صرفا عقارا خلصت عن دم
قد عتقت من كرمة زانها | كأس من البلور في معصم
تسقي الأخلا من رحيق غدا | بمزوجها مسك رضاب الفم
فصحت واشوقاً لذاك الرضا | ب المشتهى من لي بذا المبسم
إنّي لَمَنْ قد خانه دهره | من للحزين المسهد المعدم
قالت أنا الخود التي جاد بي | حبي لا أصغي إلى لُوَّمِي
لا أختشي قول العذول الغبي | كلا ولا أرجع عن مغرمي
إني إلى مغناك مأمورة | بالسعي كي أحظى فقلت اسلمي
أهلا وسهلا قد صفا وقتنا | ياحبذا الحظ السني فاقدمي

---

(١) الأملد : الناعم الليّن من الناس أو الغصون .

ان أقبلت كغصن بان النقـا   والنهد باد فوق صدر سمي
أو ادبرت فخصرهـا ناحل   من عظـم ردف تحته مرتمي
عيناي من أعينهـا قد رأت   سحراً لهاروت غـدا ينتمي
والقوس من حاجبها حاجب   عين الرقيب الأعين المقحم
لاعذر لي ان لم ابس فاهـا   وان اغض الطرف لم أسلم
كيف وهي بنت لفكر الأديـب اللوذعي البارع الأكرم
مفتي اللبيب البارع المقتـدى   وابن الهمام الفارس الضيغم
سراجه الوهـاج مستوضحا   ايضـاح تلويح لمستفهم

ومنهـا

أهدى إلى ذي ورم عاجز   رهين غم في الحشـا مؤلم
سليل نظـم رائق ينتقي   در المقال الأعـذب الأفخم
مستمهرا كشف نقاب لها   من نظـم در فائق أقوم
يا أيها المفضـال ياذا النهى   اني لمـا كلفت لم أقحم
لكنني الفت نظما جـرى   من غير ما قصد ولم يسلم
موجود هـذا الخل أبذلته   فاقبل وعامل بالرضا واحلم
واسلم ودم في عيش عز علا   أعـلى مقام دائم مكرم

وهذه قصيدة السيد عمر بن السيد عبد السلام المدرس

زار عذيب القلب والمبسم   عشاقه في الحلك المظـلم
وشرف المجلس من وصـله   في غفلة الحـراس واللوّم
ذو طلعة تخجل بدر الدجى   قد سلبت عقل الشجي المغرم
كأنه ظبي النقا إذ رنا   يسبي بلحظ فاتر أحـوم
يهتز تيها كالقنـا قدّه   من طعنة العاشق لم يسـلم
وجنته ورد وقد عمهـا   خال الى العنبر قد ينتمي

قد صانها خشية عشاقه بسحر طرف للنهى موهم

وجيده ازرى بجيد الظبي لما بدا في حسنه الاقوم

في صدره رمان نهد حلا غض الجنى مستعذب المطعم

ودونه أسود خال له به عن القطف ولمس حمي

منعطف الأعطاف ذو رقة ذل لها كل فتى ضيغم

فقلت أهلا يابديع الحلا ومرحبا بالزائر المكرم

انعمت بالوصل على عاشق ذي صبوة للعشق مستسلم

يا أبيضا حل سويدا الحشا حبك والله ثوى اعظمي

فهش ضحكا بشفاه حوت راحا حلت طيبة المنسم

فبان من ياقوتها لؤلؤ منتسق في سلكه الانظم

وأنعش الأحباب من ليلة طابت لنا من وصله المنعم

في ساعة أحبب بها ساعة شفت فؤاد المدنف المسقم

فانشرح الخاطر شوقا الى مدح اخي المجد العلي المحكم

غواص بحر الفضل بالفكر من يرفل في برد العلى المعلم

شهم اذا ما ذكرت ذا رفعة تراه أسنى طالب مقدم

منها

يا أيها الماجد يامن له نظم الى الدر غدا منتمي

دونكم نظما غدا فاترا من أحقر عن فضلكم معدم

يرجوكم نظما لكي يغتدي وجه كتابي منه في ميسم

فعاملوه بالرضا انه هدية الادنى الى القرم (١)

وقابلوه بقبول ولا تلقوه اذ ليس بمستعظم

---

(٢) السيد ، على التشبيه بالقَرْم من الابل امظم شأنه وكرمه .

لازلتم في رفعـــة دائما ما أخفت الشمس سنا الأنجم
وما تجلت غـــادة في الحمى بين الصفا والحوض من زمزم

السيد عبيد الله بن صبغة الله بن ابراهيم بن حيدر الحيدري النقشبندي الخالدي مفتي الحنفية العام بمدينة السلام

الحبر العلامة ، والنحرير الفهامة ، جـامع المعقول والمنقول ، محرر الفروع والأصول ، زمخشري زمـانه ، وحريري وقته وأوانه ، الفصيح البليغ الهمام ، والجهبذ اللوذعي الإمام ، الذي هو كأحد فصحاء العرب العرباء ، والأديب الذي فاق المتأخرين والقدمـــاء ، الشاعر المفلق في اللغات الثلاث العربية والتركية والفارسية ، والولي النبوي المرشد الكامل ذو الأخلاق الأحمدية ، العارف بالله ، والمتوجه بكله إلى مولاه ، صاحب الأنفاس القدسية ، واللطائف الأنسية ، فانه منذ نشـأ وميز ، فاق على أقرانه وتميز ، وأقبل على التحصيل والطلب ، وجعله لفوزه عنـــد الله أقوى سبب ، وتمسك بالتقوى والعبادة ، وسرى في مناهج السيادة والسعادة . وفي سنة ست وعشرين ومائتين والف لما عاد حضرة الأستاذ ، والعمدة الملاذ ، مرشد الأمة المحمدية ، للطريقة العلية النقشبندية ، مولانا خـالد إلى الأراضي العراقية ، من الأماكن الهندية ، تشرف المترجم بخدمته ، وانتسب إلى طريقته ، وتحمل مع حضرة الشيخ المشاق ، في الرحلة إلى الآفاق ، ولازم خدمته ، وبذل في مرضـــاته همته ، وقرأ عليه حتى اعترف بالمتن ، وترقى على يديه حتى ترك الأهل والوطن ، وذهب مع حضرة الشيخ الإمام ، إلى السليمانية وإلى دمشق الشام ، وسلك السلوك التام ، وهجر المآكل والملابس والراحة والمنام ، وأمره حضرة الأستاذ بحمل الماء على ظهره وتسبيله في أسواق بغداد وأزقتها وسقي العطـاشى

من حاضر وباد ، فامتثل الأمر العالي ، وفعل ذلك مدة عشرين يوماً على التوالي ، ثم أمره ببيع الماء من دون تسبيل ، ففعل ذلك عشرة أيام من البكرة إلى الأصيل ، مع كونه أجل العلماء ، وأفضل الفضلاء [١] في الأماكن البغدادية ، والنواحي العراقية ، ثم بعد مدة رأى الأستاذ عليه لوائح الاسعاد ، وأمر في باطنه أن يخلفه في مكانه وأن يفوض اليه أمر الارشاد ، وأكثر خلفاء بغداد سلكوا أولا على يديه ورباهم ، ثم خلفهم حضرة الأستاذ وحباهم ، وكان حضرة الشيخ قدس سره يثني على المترجم أحسن الثنا ، ويقول بأنه وصل إلى غاية درجة الفنا ، وانه من جملة أفراد لايوجد لهم نظير ، إلا في حلقة شاه نقشبند ذي القدر الكبير ، وناهيك بهذه الشهادة من هذا السيد ذي المكارم ، الذي لاتأخذه في الله لومة لائم ، وله من الخوارق والكرامات أشياء كثيرة ، معروفة في محله شهيرة ، كما ذكر مايدل على ذلك صاحب المجد التالد . ولم يزل المترجم يترقى في درج الكمال ، ويكرع كؤوس الصفا من دنان الجمال ، إلى أن دعاه داعي المنون إلى من أمره بين الكاف والنون ، وذلك في سنة الف ومائتين وزيادة على الأربعين .

---

(١) أليس هذا من العجيب الغريب ؟ أديب كبير ، وشاعر في اللغات الثلاث العربية والتركية والفارسية ، ثم هو من أجل العلماء وأفضل الفضلاء ، يكلّف حمل الماء على ظهره ، وسقي المارّة في مدينة بغداد مدة عشرين يوما ، ثم بيعه عشرة أيام من دون تسبيل ، من البكرة الى الأصيل ، ولمن يترك نشر الدين والعلم والأدب باللغات الثلاث ؟ ألسقائين والحمالين ؟! وهل يمكنهم ذلك ؟؟ اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، وأبعدنا عما يخالف العقل والنقل ، يا عليم يا حكيم .

الشيخ عبيد الله بن عبيد الله بن صبغة الله ابن ابراهيم الحيدري

العالم الذي ترك الدنيا وراءه ، وطوى على محبة الآخرة أحشاءه ، أعمل نفسه في المجاهدة والرياضة ، لكي يروي من ماء الوصول إلى الله رياضه فمنع الطرف الكرى ، وحمد مع القوم السرى ، وتعانى العلوم الرسمية ، ثم أقبل على العلوم الالهية ، قرأ القرآن وهو ابن ثمان أو سبع ، وتعانى تحصيل الفضائل فاجتمعت عنده أي جمع ، وأخذ عن نادرة الزمان ، وشيخ الوقت والأوان ، مولانا الشيخ خالد الطريقة النقشبندية ، فنال منها غاية المراد والأمنية ، إلى أن صار خليفة شيخه في زورائه [١] ، وعين وجوه أتباعه وأوليائه ، يدعو إلى طريقته الخالدية ، واقتفاء آثاره المرضية ، مع تواضع وأدب ، وهمة في الاقبال والطلب ، ولقد مدحه عثمان افندي سند سنة الف ومائتين وثلاث وثلاثين بقصيدة أولها وهي طويلة :

أناس دعاهم للمعالي عليّهم ... وأخلصهم للعلم موسى وجعفر

إذا افتخروا فالفخر فيهم ومنهم ... وَمَنْ جَدُّهُ المختار لاشك يفخر

توفي رحمه الله تقريباً سنة الف ومائتين ونيف وأربعين .

الشيخ عبد اللطيف بن مصطفى بن حجازي بن محمد بن عمر الحلبي الحنفي

أبو محمد زين الدين الفقيه الصالح الديّن ، مولده سنة احدى وثلاثين ومائة والف ، وقرأ القرآن العظيم وتلاه مجودا واشتغل بالأخذ والقراءة

---

(١) مدينة بغداد .

والسماع ، والحضور على الأجلاء ، والسادة الفضلاء ، منهم ابو عبد الفتاح محمد بن الحسين الزمار والبدر حسن بن شعبان السرميني وأبو الثنا محمود بن شعبان البزستاني وأبو محمد عبد الكريم بن احمد الشراباتي وأبو الصفا خليل ابن مصطفى الغنجراني وغيرهم . وارتحل إلى قسطنطينية في أوائل سنة ستين ومائة والف ، وقرأ بها نخبة الفكر في أصول الحديث على المحدث الشهاب أحمد بن علي الغزي الشافعي نزيل القسطنطينية ، وسمع منه الكثير ولازمه وحضر بقراءة الغير صحيح البخاري والبعض من صحيح مسلم في جامع أيا صوفيا الكبير ، وأجاز له بخطه في السنة المذكورة بما تجوز له روايته ؛ وقرأ الفقه وسمع بقسطنطينية على الشهاب أحمد السليماني المصري وأجاز له بخطه في عاشر شعبان سنة احدى وستين ، وسمع الأولية من المذكورين ومن أبي عبد الله محمد بن أحمد الأريحاوي شارح الكنز والشمس محمد بن حسن ابن همات الدمشقي وآخرين . وأخذ عنه خليل افندي المرادي سنة الف ومائتين وخمس وسمع منه حديث الأولية بسماعه من أشياخه وأجازه بالإجازة العامة ، كما رأيت ذلك بخطه . وتوفى المترجم سنة الف ومائتين ونيف [١] .

عبد اللطيف بن عبد السلام بن عبد القادر بن محمد الحلبي الشافعي

الإمام ابو محمد علم الدين المسند المعمر البركة التقي النقي الصالح العمدة الهمام . مولده في حلب في شهر رجب الفرد سنة عشرين ومائة والف ، وسمع الكثير من الفنون والعلوم على الكثير من الأفاضل السادات كمحمد أبي عبد الفتاح الزمار وأبي الفتوح علي بن مصطفى الدباغ والبدر حسن بن شعبان السرميني وأبي عبد الكريم محمد بن عبد الجبار الواعظ وأبي السعادات طه

---

(١) لم يَزِدْ في تاريخ حلب الشهباء عليها الا الوفاة (سنة ١٢١٠ هـ) .

ابن مهنا الجبريني وأبي محمد عبد الكريم بن أحمد الشراباتي وعبد الرحمن البكفالوني وأخويه عبد الوهاب وياسين أولاد مصطفى البكفالوني وأبي المحاسن يوسف بن الحسين الدمشقي المفتي والنقيب في حلب وروى عالياً عن الشمس محمد بن هاشم الدري وأبي داود سليمان بن خالد النحوي وأبي الحياة خضر ابن محمد بن عمر الفرضي وأبي محمد عبد القادر بن عمر الإمام الحلبي وقد أخذ عنه واستجازه خليل افندي المرادي مفتي دمشق الشام حينما كان في حلب سنة الف ومائتين وخمس وتوفي بعدها ولم أقف على تاريخ وفاته[١] رحمه الله تعالى .

الشيخ عبد اللطيف بن الحاج حسين بن الشيخ عطية بن الشيخ عبد الجواد القاياتي من اولاد الشيخ ياسين القاياني ينتهي نسبه الى سيدي أبي هريرة الصحابي الجليل رضي الله عنه

المرشد الكامل المشهور ، والفاضل الذي هو بكل فضيلة مذكور ، نسل السادة الأمجاد ، ونخبة القادة الأجواد ، من ارتفع قدره في الأنام وسما ، وطلع بدر علاه في أفق السما ، وتوجهت له في المحبة القلوب ، وتوسلت به ذوو الحوائج لنوال المطلوب ، ودفع الكروب ، فهو العامل الكامل ، والفاضل المعروف بالفضائل .

ولد رضي الله عنه ببلدته المعروفة بالقايات ، فلما صار عمره سبع سنين ، وميز الشمال من اليمين ، أقبل على قراءة القرآن ، إلى أن أتمه بالتجويد والاتقان ، توجه إلى الجامع الأزهر ، والمحل الأنور ، ثم دأب على الطلب ، وتمسك للتقدم بأقوى سبب ، فأخذ العلم عن جملة أجلاء ، وسادة قادة

---

(١) في تاريخ حلب الشهباء انه توفي (سنة ١٢٠٥ هـ) .

علماء ، منهم الإمام ، عمدة الأنام ، العالم التقي ، والعامل النقي ، المرشد إلى الله ، والمعتمد على مولاه ، الشيخ عبد العليم السنهوري نسبة إلى سنهور بلدة بالفيوم ، ومنهم الهمام العلامة ، والإمام الفهامة ، الورع الزاهد ، والناجح العابد ، الشيخ محمد الشنويهي المدفون ببلدة شنويه من أعمال القليوبية وأخذ عن غيرهما من السادة الأعلام والقادة الكرام ، وأجازوه بكل ما تجوز لهم روايته ، وتعزى إليهم درايته ، وكتبوا له خطوطهم ، وقد شهدوا له بالكمال ، وانه من الأفاضل ذوي الرفعة والإجلال . ثم بعد تضلعه من العلوم ، وتمكنه من تحقق المنطوق والمفهوم ، رجع إلى بلدته القايات لارشاد أهلها ، وابعادها عن جهلها ، ونصرة الدين ، وارشاد الواردين والقاصدين ، وزجر العصاة والمفسدين ، فبذل جهده في العبادة والتقوى ، وانتهت إليه في تلك الأماكن رئاسة العلم والإرشاد والفتوى ، وسلك أحسن المسالك في الإرشاد ، وعمر أماكن العبادة وشاد ، وأقبل عليه الناس من كل جانب ، وامتثلوا أمره امتثال الفرض والواجب ، ومع كونه مطبوعاً على اللطف والجمال ، كان كل من رآه ينظر إليه بعين الهيبة والإجلال ، وكان شديد الغيرة إذا انتهكت المحارم ، فلا تأخذه في الله لومة لائم ، متمسكاً بالتقوى ، والسبب الأقوى ، ثم انه اجتمع بقطب زمانه ، وفرد وقته وأوانه ، الولي الأمي ، والعالم العامل اللدني ، الشريف الصمداني ، واللطيف الرباني ، العارف بالله سيدي ابراهيم الشلتامي العمراني ، فطلب منه الطريق فدله على استاذه عبد العليم فرحل إليه في الحال ، وطلب منه أن يتكرم عليه بطريق السادة ذوي الكمال ، فلقنه الذكر وأمره بالتردد على الأستاذ الشلتامي لتقارب بلديهما فجد واجتهد ، إلى أن حصل له الفتح والمدد ، في مدة يسيرة وبرهة قصيرة ، ثم أذن له بالتلقين ، وارشاد المريدين ، فاشتهرت الطريق به الشهرة التامة ، وحصلت منه الهداية العامة ، وظهرت كراماته ، وبهرت اشاراته ، وكان في الكرم بحراً ، وفي العلم والفضائل حبرا ،

ورعاً زاهداً ، تقياً عابداً ، متخلقاً بالأخلاق الأحمدية ، متحققاً بالحقائق المحمدية ، كثير التواضع والحلم ، غزير العمل والعلم ، حسن الخلق والخلق ، جميل اللطافة والرفق . وقد أفرد مناقبه بالتأليف ، ولده الروحي الجامع بين الشريعة والحقيقة ، والناهج منهج السنة والطريقة ، العالم الإمام ، والجهبذ الهمام ، سيدي الشيخ خليفة السفطي ، أحسن الله قراه ، وجعل الجنة مأواه ومثواه ، ولم يزل يعلو مقامه ، ويسمو احترامه ، إلى أن دعاه داعي المنون ، لمقامه العالي المصون ، وذلك في رابع عشر صفر سنة ثمان وخمسين ومائتين والف ودفن ببلدة القايات وبني له بها مقام كبير ، ومسجد عظيم شهير ، بمنارة عالية ، وعمارة سامية[1] ، والقايات (بقاف بعدها الف ثم ياء بعدها الف فتاء مثناة من فوق) بلدة من بلاد الصعيد تابع القطر المصري .

السلطان الغازي عبد المجيد خان بن السلطان الغازي محمود خان

ولد سنة الف ومائتين وسبع وثلاثين ، وجلس على تخت السلطنة بعد موت والده السلطان محمود تاسع عشر ربيع الأول سنة الف ومائتين وخمس وخمسين ، فجهز الجيوش لقتال عساكر محمد علي باشا واخراجها من الشام ، وأعانه على ذلك دولة انكلترا ، وكانوا عرضوا على السلطان محمود الاعانة فأبى ، فلما توفي وتسلطن ولده السلطان عبد المجيد قبل اعانتهم فأعانوه ، وسير جيوشه إلى الشام فهزموا عساكر ابراهيم باشا وأخرجوهم من الأراضي الشامية ، وأرادوا التوجه إلى مصر والاسكندرية لإخراج محمد علي باشا فتوسطت دولة انكلترا بالصلح الى أن اتموه بشرط أن تكون الاسكندرية

(١) كيف غفلوا عن الحديث الصحيح : لعن الله زوارات القبور ، والمتخذين عليها المساجد والسرج .

ومصر وأقطارهما لمحمد علي باشا ولأولاده من بعده ، وضربوا عليه خراجاً معلوماً يدفعه في كل سنة ، ويرجع إلى الدولة الشام والحجاز وتم الأمر على ذلك .

وكانت مدة تملكه الأقطار الشامية قريباً من تسع سنين وفي مدة السلطان المترجم المومى اليه قوي الاتحاد مع دولتي فرانسا وانكلترا ، فحسنوا له احداث القوانين المسماة بالتنظيمات الخيرية ، فصدر منه الفرمان[١] السلطاني بذلك سنة خمس وخمسين ومائتين والف ، وهي سنة جلوسه على تخت السلطنة . وفي سنة تسع وستين ومائتين والف كانت الحروب العظيمة بين السلطان عبد المجيد والروسيا المسماة بحرب القرم[٢] ، وسببها انه وقع اختلاف بين طائفتي الروم واللاتين في القدس من عدة سنين بسبب كنيسة القيامة وبعض الأماكن المقدسة ، فكانت كل طائفة منهما تدعي لنفسها حق الرياسه والتقدم على الأخرى بالاستيلاء على مفاتيحها ، ثم أخذت هذه المسألة تتعاظم بينهما وتمتد يوماً بعد يوم إلى أن آل الأمر إلى النزاع والجدال في سنة ثمان وستين ومائتين والف ، فوقع الباب العالي في ارتباك وحيرة من جهة تسكينها واخماد نارها ، لأن الروسيا كانت تحامي عن حقوق الروم ، وفرانسا تحتشد لطرف اللاتين ، فتداخل سفير انكلترا في صرف هذا المشكل ورسم ترتيباً لائتلاف الملتين المتخالفتين ، فقبلته فرانسا ولم تقبله الروسية ، لأن مقصدها التوحد ، ولم يكن مقتصراً على المحاماة عن حقوق الروم بل كان لها غايات أخرى طالما كانت تجتهد على نوالها

---

(١) المنشور السلطاني .

(٢) القرم [Crimée] شبه جزيرة في روسيا شمالي البحر الأسود ، فيها جرت الحرب بين روسيا وبين تركيا وفرنسا وانكلترا والبيامونته (١٨٥٤-١٨٥٦ م) وهي اليوم من جمهوريات الاتحاد السوفياتي التي زرناها (عام ١٩٥٤ م) .

وتترقب الفرص لاستحصالها ، وهي ابعاد الدولة العثمانية من قارة اوروبا والاستيلاء على أقاليمها وولاياتها ، فانتهز امبراطورها نقولا تلك المنازعة فرصة مناسبة لنوال بغيته وبلوغ أربه ، فبعث سفيراً إلى القسطنطينية لمقابلة السلطان عبد المجيد ، بعد أن كان بعث جيشاً يبـلغ مائة وأربع وأربعين الفاً إلى نهر الطونة ليكون مستعداً لوقت اللزوم والحاجة ، فلما وصل السفير المذكور إلى القسطنطينية رفض مواجهـة فؤاد باشا وزير الخارجية ، ودخل رأساً على الحضرة الشاهانية ، وعرض عليه مطالب الامبراطور نقولا في المسألة المتعلقة بالأماكن المقدسة ، وان جميع الروم الذين هم من تبعة الدولة العلية تكون تحت حمايته من الآن وصاعدا ، وان بطرك الروم القسطنطيني وباقي أساقفة الطائفة يكون انتخابهم وتغيرهم منوطاً به ، وان الشكاوى والدعاوى التي تصدر عليهم من جهة تصرفاتهم تعرض عليه لينظر فيها ، فاستعظم السلطان هـذه المطالب ورفضها لأنها مخلة بناموس السلطنة ، ومغايرة للأصول وقوانين الدول ، فانثنى السفير راجعاً من حيث أتى ، وأعلم الامبراطور نقولا بواقعة الحال ، فاستشاط غضباً وأصدر أمراً إلى العساكر التي أرسلها إلى أطراف الطونة أن تعبر النهر وتستولي على تلك الأطراف ، فاجتازت النهر وشنت الغارات على إمارات الأفلاق والبغدان ، واستولت عليها ، ولما تحقق الباب العالي قدوم ذلك الجيش إلى أطراف بلاده علم ان مقاصد الروسيه في تطلبها لم تكن إلا وسيلة لاشهار الحرب ، فجهز جيشاً وأرسله إلى تلك الحدود تحت قيادة عمر باشا المجري لردع الروسيين ، ولما تأكدت الدول الاوربا وية بغية الروسية ومقاصدها بادرت انكلترا وبروسيا والنيمسا إلى عقد جمعية للنظر باجراء الوفاق بين الدولتين ، وأرسلت كل دولة منها معتمداً من طرفها إلى مدينة آتينا حيث وافاهم سفير من طرف الروسية وآخر من طرف الدولة العليـة ، وعقدوا هناك مجلساً في سنة الف ومائتين وسبعين لم يأت بالمرغوب ،

فلما لم يكن سبيل للصلح أشهر الباب العالي الحرب ، وصدم سليم باشا العساكر الروسية في الأناطول ، وانتصر عليهم في عدة مواقع ، وهاجمهم عمر باشا في الروم ايلي وانتصر عليهم أيضاً ، وأما العمارة التي للروسية في البحر الأسود فصدمت العمارة العثمانية واستظهرت عليها بعد حرب شديد فأتلفتها ، وكانت مؤلفة من سبعة فركاتات وباخرتين وثلاث مراكب حربية ، ثم ان انكلترا وفرانسا لما تيقنتا سوء نتائج هذه الحرب احتشدتا لمعونة السلطان وأعلنتا الحرب على الروسية ، وفي سنة احدى وسبعين ابتدأتا في نقل رجالهما ومهماتها إلى ساحة الحرب ، واشتبكتا في القتال ، وأما باقي دول اوروبا فكانت محافظة على الحيادة ، وكانت دولة انكلترا قد أرسلت عمارة بحرية إلى بحر بلتيك [1] فاستولت على قلعة بومارستود ثم على جزيرة ألاند ولكنها لم تقدر على استخلاص القلعة نظراً لحصانتها . وإذ كانت سيواسطبول أعظم قوات الروسية التي يعول عليهـا في البحر الأسود ، ووجهت انكلترا وفرانسا قواهما لافتتاحها والاستيلاء عليها فأرسلتا فرقاً من عساكرهما يبلغ عددها ستين الفاً وكان أكثرها فرنساويين ، فنزلوا في بوباسرايا ، وبينما كانوا يتقدمون إلى سيواسطبول صادفهم العساكر الروسية فاقتتل الفريقان قتالاً شديداً إلى أن دارت الدائرة على الروسيين ، فانهزموا عند نهر الماء ، وكان جيش عساكر الروسية يحاصر مدينة سلستره ، ولم تقدر على أخذها ، فخرجت عليهم العساكر العثمانية من المدينة واقتحمتهم فانتصرت عليهم وفرقتهم ، فذهبوا عن المدينة خائبين وانضموا إلى آخرين ، وقصدوا القرم لنجدة حصار قلعة سيواسطبول التي إليها وجهت الروسية كل قوتها من المهمات والعساكر والذخائر ، وصادم جيش من الانكليز جيشاً للروسيين عند بالاكلا فانتصروا عليهم بعد مـا فقد منهم خلق كثير ، فكان جيش للروسية محاصراً في الكرمات وعددهم ستون ألفـاً ، فخرجوا من

---

(١) بلطيك (Baltique) بحر في اوروبا يصله بالأطلسي بحر الشمال .

مكان حصارهم واقتحموا العساكر العثمانية والانكليزية والفرنساوية ، ودارت بينهم معركة شديدة الخسران على الفريقين ، وانجلت بانهزام الروسية وألزموهم حصن المدينة ، ولم يكن حينئذ في قوة الدول المتحدة الاستيلاء على سيواسطبول مع أنهم كانوا يزيدون في قوتهم الحربية ويكثرون هجماتهم وقنابرهم ، ولم يقدروا على استخلاص تلك القلعة أو أن يمنعوا المساعدات التي كانت تأتيها من داخل البلاد ، ولقد قاست العساكر المتحدة لا سيما الانكليز في شتاء سنة إحدى وسبعين وشتاء اثنتين وسبعين أهوالاً وشدائد يكل اللسان عن وصفها وتعدادها ، فإن الأمراض والأوجاع قد أخذت في العساكر كل مأخذ ، وأهلكت كثيراً منهم فضلاً عن الجوع والتعرض لبرد تلك البلاد ، والابخرة المنتنة التي كانت تتصاعد من جثث القتلى والحيوانات . أما إيطاليا فقد هيأت جنودها للحرب وانضمت إلى الدول المتحدة ، فأرسلت خمسة عشر ألف مقاتل بعد ما تعهدت لها إنكلترا بدفع مبلغ مليون ليرة على سبيل الإعانة واشتهرت رجالها في تلك المجامع بالشجاعة والثبات ، وفي خلال ذلك هلك الامبراطور نقولا سنه اثنتين وسبعين ومائتين وألف ، وجلس ولده اسكندر الثاني مكانه ، وفي خلال ذلك وقعت وقعـة هائلة بين الروسية والعســاكر المتحدة ، كانت الدائرة فيهـــا على الروسية ، واستولت جيوش فرانسا على قلعة ملاكوف ، وإذ لم يبق للروسية استطاعـة على حفظ مراكزهم تركوا سيواسطبول في مساء ذلك النهار ، وعولوا على الهزيمة والفرار ، ودخلت العساكر المتحدة إلى القلعة وامتلكتها ، فانفتحت حينئذ مخابرات الصلح ، وعقدت جمعية في باريز سنة ثلاث وسبعين ومائتين والف حضرها اثنان من طرف كل دولة من الدول الست المتحاربة ، وهي إنكلترا وفرانسا والعثمانية والنيمساوية وروسيا وسردانيا ، وامضت شروط الصلح متضمنة أربعة وثلاثين بندا أخصها أن الدولة العلية يكون لها الامتيازات التي لباقي دول اوروبا من جهة القوانين والتنظيمات السياسية ، وانها تكون

مستقلة في ممالكها كغيرها من الدول ، وأن البحر الأسود يكون بمعزل عن جولان مراكب حربية فيه من أي جنس كان ، ما عدا الدولة العثمانية والروسية فإن لهما حقاً في إدخال عدد قليل من المراكب الصغيرة الحربية لأجل محافظة أساكلها ، وأن لا يكون للدولة العثمانية ولا للروسية ترسانات [١] بحرية حربية على شواطىء البحر الأسود الى مواطنها ، وانتهت الحرب التي لم يكن لها داع سوى المطامع .

وفي سنة اثنتين وسبعين كانت فتنة عظيمة بمكة المشرفة بين أهالي مكة وعساكر الدولة بسبب ورود أمر يمنع بيع الرقيق ، وانتهت في رمضان بالقبض على الشريف عبد المطلب بن غالب أمير مكة ، وتولية الشريف محمد بن عون ، والكلام عليها طويل .

وفي سنة أربع وسبعين وقعت فتنة في جدة بين أهالي جدة والنصارى الذين بها ، بسبب اختلاف بعض أهل المراكب في وضع بنديرة [٢] الاسلام والانكليز على بعض المراكب والكلام عليها أيضاً طويل .

وفي سنة سبع وسبعين كانت فتنة بالشام بين النصارى وأهل الشام الكلام عليها أيضاً طويل ، قد ذكرت بعضه في ترجمة أحمد باشا الشهيد ، وكان ابتداء الفتنة في هذه السنة بين النصارى والدروز في جبل لبنان فآل الأمر إلى وقوع حرب بين الفريقين ، وكانت النتيجة ردية على النصارى بسبب اختلافهم وعدم انضمام بعضهم لبعض ، وعدم انقيادهم لبعضهم ، ففتكت بهم الدروز ، ثم ما زال الأمر يتفاقم إلى أن وقع الأمر في الشام ، وكانت فتنة كبرى ، وداهية عظمى ، فأرسل الباب العالي فؤاد باشا ليمهد الأمور وينتقم من المذنبين ، وأرسلت فرانسا عشرة آلاف جندي

---

(١) الترسانة والترسخانة : مستودع الذخائر وأدوات الحرب ، مصنع المراكب (تركية) .
(٢) الراية (ايطالية) .

للمحافظة ومنع التعدي ، وكذلك باقي الدول الافرنجية ، منها من أرسل مراكب حربية ، ومنها من أرسل نواباً لإصلاح الحال وتمهيد الأمور ، وغب اجراء ما لزم اجراؤه استحسنت الدولة العلية باتفاق الدول وضع نظامات جديدة لأهل هذا الجبل ، وأن تتحول أحكامه لمشير من الطائفة النصرانية من غير أهالي الجبل ، ليكون متصرفاً بها ويخابر رأساً الباب العالي ، فتوجهت المتصرفية لداود باشا الأرمني .

ومن خيرات السلطان عبد المجيد وفتوحاته المعنوية تجديد مسجد النبي ﷺ بالمدينة المنورة فانه كان على بناء السلطان قايت باي ، وكان مسقفاً بالخشب ، فطالت مدته وحصل فيه خراب ، فصدرت إرادة مولانا أمير المؤمنين السلطان عبد المجيد خان بهدمه وتجديده سنة الف ومائتين وسبعين ، فهدم وجدد وجعل سقفه قبباً وطواجن كالمسجد الحرام ، وتمت عمارته بعد مضي أربع سنين ، فجاء على صفة لم ير الراؤون أحسن منها ، وله عمارات كثيرة في الأماكن المأثورة بالحرمين الشريفين ، وله تجديد ميزاب للكعبة المشرفة سنة خمس وسبعين ومائتين والف . وتوفي السلطان عبد المجيد في سابع عشر ذي القعدة سنة الف ومائتين وسبع وسبعين وعمره أربعون سنة ومدة سلطنته ثنتان وعشرون سنة وستة أشهر .

الشيخ عبد المجيد بن الشيخ محمد صلاح الدين بن الشيخ عبد الله الحنبلي الشهير بأبي شعر الدمشقي

شهم سما في سماء المكارم ، وطلعت شمس فضائله في أفلاك الأكارم ، فكان فرد ذوي الذكر والتقوى ، والعبادة في السر والنجوى ، والطاعة في كل أحيانه ، والاقبال على الله في سره وإعلانه ، كثير الطواف والسعي ببيت الحمد والشكر ، دائم التوجه إلى مولاه كأن كل لياليه ليلة القدر ،

مع عشق بالله وهيام ، وولوع ومحبة وغرام ، قد شرب من صافي الشراب ، فسكر وعن الأغيار غاب . مات رحمه الله سنة ثمان وستين ومائتين والف ودفن في مقبرة باب الصغير وقبره ظاهر .

الشيخ عبد المجيد بن الشيخ محمد بن الشيخ محمد الخاني النقشبندي

همام حظه من الأدب وافر ، وإمام وجه أمانيه طلق سافر ، ما زال من الرفعة في أعذبها شرعة ، ومن الحظوة في اسوغها جرعة ، له في اللطائف والطرائف من الرضوان روضان ، ومن بداعة النظم والنثر من المرجان مرجان .

ولد في حدود الستين والمائتين والالف . وبعد أن أتم القرآن وجوده قرأ النحو والصرف ، وحضر جملة من العلوم على سادة لهم اليد الطولى في المنطوق والمفهوم ، منهم الأمير الكبير ، والفاضل الشهير السيد عبد القادر الجزائري ، ومنهم علامة الشام الشيخ محمد الطنطاوي ، ومنهم والده [1] ، واشتغل في علم الأدب إلى أن حاز على الأرب . وفي

---

(١) في أول « الحدائق الوردية » المطبوع ، ترجمة المؤلف بقلم الشيخ محي الدين الخاني ، جاء فيها ما ملخصه : ولد عام (١٢٦٣ هـ) . ونشأ في مهد جده ، وأتم قراءة الكتاب المجيد مع التجويد على الشيخ علي المذوري الحمصي ، وأخذ عن جده طرفاً من النحو والفقه والتفسير ومصطلح الحديث والفتوحات والجامع الصغير ، ولقنه الذكر قبل بلوغه السن بسنين ، ولازم في المعقول والمنقول العلامة الطنطاوي ، كما سمع من العارف بالله تعالى الأمير عبد القادر الجزائري اكثر صحيح البخاري في دار حديث دمشق الشام ، وحضر عند والده اكبر الدروس لا سيما اكثر كتب الحديث الستة بسنده الهندي الخالدي ، والدمشقي الكزبري ، وأتم كتب حقائق الصوفية كاصطلاحات العارف القاشاني ، ومواقف الأمير ، وشرح فصوص الحكم ، حتى تضلع من التصوف الأكبري . ومما أنشأه : سبع مقامات قد أسند روايتها إلى سعد بن بشير مع أبي حفص المصري . ثم أورد له نماذج من قصائده وأبياته ، ونشر له هذه الترجمة في حياته ، رحمهما الله تعالى .

عام ألف وثلاثمائة وأربعة عشر سافر إلى الآستانة وكان لجده معاش مقداره ألف وخمسمائـــة قرش في كل شهر ، وبعد موت جـــده انتقلت لأبيه وما زالت تتناقص إلى أن صارت تسعمائة وخمسين قرشاً ، فأراد المترجم إرجاعها الى اصلها فلم يمكن ، غير أنهم وجهوا على والده ثلاثمائة قرش قيد حياة ، فجاء المترجم إلى الشام بعد ما مكث في الآستانة نحواً من سنتين ، ولم يمض مدة بعد حضوره إلا وقد توفي والده ، فانقطعت الثلاثمائة ، وأما المعاش الأول فإنـــه تخاصم مع عمه الشيخ احمد عليه ، وكل منهما يدعيه لنفسه وأنه أحق به ، وطال الخصوم الى أن أصلح بينهما مفتي الشام صالح افندي قطنا مناصفة ، فيه وفي مشيخة التكة النقشية .

وللمترجم نظم ونثر كثير ، ومن ذلك قصيدتـه الرائية المؤرخة في كل شطر ، التي بارك بها لسمو خديوي مصر ، بمسند الخديوية . ومطلعها :

اللطف في أرجاء مصر يشير	اني بتوفيق العزيز بشـــير
سنة ١٢٩٦	سنة ١٢٩٦

وما أرشق ما قال منها :

دانت اليه الآصفية منصبـــاً	ودنا سروراً منـــبر ومرور
سنة ١٢٩٦	سنة ١٢٩٦

ومن القصائد الحماسية ، قصيدته البهية البائية ، ومطلعها :

تجلى من العلم الإلهي كواكبه	لنا وبنا سارت الينا مواكبه
ونحن وإن جر الخمول ذيوله	علينا فإنا للوجود منـــاقبه
وما الكون إلا شاعر وصفاتنا	مشارقه تشدو بها ومغـــاربه

وما أعلى ما قال منها :

توهم أهل الجهل إدراك شأونا	ومن نال هذا الفضل تسمو مراتبه
وهب أنهم قد أمطروا منه قطرة	فمن بعد ما انهلت علينا سحائبه

ومن ذلك قصيدته الغراء الرائية ومطلعها :

نحن الملوك على الأمـــره   في دولة الفقر المسرة
من ساح في ساحاتنـــا   نحمي من الأغيـــار سره
أو غاب عن غاباتنـــا   حرم الحمـــاة من المعرة

ومن غزلياته وحسن اقتباساته :

أما وليال من ذوائبها عشر   ومانسخت بالفرق من صورة الفجر
وما كتبت بالمسك في وجناتها   فخالاتها تختال بالشفع والوتر
وسين جبين فوق نون حواجب   على قمر والليل فيه إذا يسري
وما نفثت بالسحر من لحظاتها   وذا قسم لا ريب فيه لذي حجر
إذا كان من أهواه عني راضياً   فلا رضيت عني الأنام إلى الحشر

ومن موشحاته وطيب رشحاته :

سلم الله غزالاً سلمـــا   بعيون كحلت بالنعس
وفم أتقنه الله فمـــا   فيه عيب غير طيب اللعس

دور

ربرب[1] رُبي في وادي زرود   ما لوى الجيد إلى ماء اللوا
لو رآه البدر يهوى للسجود   وهو لا يعلم ما معنى الهوى
ذو محيا خاله فوق الخدود   ملك الزنج على العرش استوى
كل من علمه منع اللمـــا   جاهل قدر حيـــاة الأنفس
ماله من مشبه نفسي ومـــا   لي فدا ذاك الرضاب الألعس

ومن مقطفاته ما كتب به إلى أحد الفضلاء الكرام ، وقد ذهب إلى بيت المقدس ووعده بالعود إلى دمشق الشام :

---

(١) أصل الرّبرب : القطيع من بقر الوحش ، وربرب : من مشاهير المغنين في العهد العباسي ، كان أحذق الناس بالضرب على آلات الطرب .

أمرت بآية الإمراء عبداً   تلهى بالعهود إذا تلاها
وما قالوا له إيه إذا ما   تحدث عنك إلا قال آها

ومن ذلك وقد عارض صاحب العقد الفريد في قوله :

ان يوم الفراق أفظع يوم   ليتني مت قبل يوم الفراق

فقال :

من تمنى الممات قبل الفراق   ما له في شرع الهوى من خلاق
كيفما كان قد تصبر حتى   ذاق يوم الفراق بين الرفاق
لو يكن صادق المحبة مثلي   مات خوفاً من ذكر يوم الفراق

ومن تطريزه في كل كلمة ما كتبه إلى رئيس كتاب ولاية سورية الجليلة :

سلام على أقمار دهر ترى لهم   وضاءة حسن ساطع يوم تلمح
حرقت لهم مستعطفاً يوم أقبلوا   فؤادي نـدّا دائماً يتفوّح

ومن ذلك ما أنشده عند دخوله إلى بيروت مقرظاً جرائدها السبع عام ثلاثمائة والف فقال :

ثمرات مقتطف الجنان بشيرها   بلسان مصباح التقدم قائل
ظل المعارف وارف في روض بيـروت وحزب الفضل فيه قائل

وكان والده رحمه الله يقرأ في كل يوم ثلاثا وجمعة صحيح البخاري صباحاً في حجرته في جامع السويقة وبعد موته جلس المترجم في مكانه . ثم بعد موت عمه الشيخ أحمد سافر المترجم إلى الدار العلية لتكون المشيخة والمعاش له بمفرده فلم ينجح ووجهت المشيخة على الجامع والمعاش على عمه الشيخ عبد الله ، وتوفي المترجم في الآستانة وذلك سنة الف وثلاثمائة وخمس عشرة .

الشيخ عبد العزيز بن أحمد ولي الله الدهلوي [١] رحمه الله تعالى

سلطان إقليم المعاني ، ومالك أزمة البيان وبديع الزمان الثاني ، ومؤيد مذهب النعمان ، ومسدد أقوال ذوي المعرفة والشان ، مصنفاته لا تحصى ، ومؤلفاته تجل عن أن تستقصى ، فمن نظمه ما كتبه إلى السيد العلامة حسين اللندني الهندي وهو هذا :

هنيئاً قد أقرّ الله عيني ... بأخبارٍ أتتني من حسين
فتىً ان عدت الأعيان قالت ... له الأعيان إنك أنت عيني
فدام بقاؤه ما لاح برق ... واطرب صوت قمري وعين

ثم أتبعه بهذا النثر

روض ممطور ، ودر منظوم في رق منشور ، وقراضات ذهب ساقطها اليراع من الأحرف النورانية فهي نور على نور ، وشمس من الكلام أطلعها أفقها في بروج من القراطيس ، وكواكب من حسن الانتظام تبلجت في سماء البلاغة وتدبجت فما هي إلا أجنحة الطواويس . وردَتْ من تلقاء قطب فلك الكرم ، ينبوع مكارم الأخلاق والشيم ، ربيع الوفاد ، وثمال المرتاد ، ومقصد الحاضر والباد ، ربوة الفخر العليا وبهجة الحياة الدنيا ، دوحة المجد التي سقاها ماء النبوة ريّا ، من كرُمَ جدُّه وسما في سماء المعالي جدّه ، وتغلغل في الشرف صيته وشرف مجده ، لا زال للصريخ نصرة ، وللعصر البهيم غرة ، ما جن غاسق وجن عاشق وطلع نجم

---

(١) ابن عبد الرحيم العمري الفاروقي الملقب : سراج الهند ، مفسّر ، عالم بالحديث ، أرخ مولده بقوله : « غلام حليم » من تصانيفه « فتح العزيز » في التفسير لم يتمه ، و « بستان المحدثين » و « التحفة الاثنا عشرية » ورسائل في موضوعات مختلفة . (من أعلام الزركلي) وكان من الأجدر أن يوضع بعد ترجمة السلطان عبد العزيز كما أشار إلى ذلك الجدّ المؤلف .

ولاح في برجه ، ونجم طلع وفاح في مرجه ، على محب حل حبه منه محلّ الروح وملك ما يغدو منه وما يروح ، بل حب مازج القلب فما تشابها ولا تشاكل الأمر ، بل اتحدا فلم يقل : « رق الزجـاج ورقت الخمر » إلى غير ذلك ، والسلام .

ألا وإن هذا الهمام له من النظم أعلاه ، ومن النثر أجمله وأجله وأحلاه ، لقد سرى في الناس حسن معناه ، وسلم له الكل بأنه نال من الكمال مناه ، فظهر ظهور القمر ، ومهر في المعارف حتى بهر . توفي رحمه الله تعالى سنة الف ومائتين ونيف .

السيد عبد المحسن بن حمزه بن السيد علي الدمشقي الحنفي الشهير بابن عجلان الشريف الحسني

نقيب الأشراف بدمشق الشام . ونخبة أعيانها وأشرافهـا الكرام ، المتحلي بحلى الأدب والكمال ، والمستوي على عرش اللطافة والجمـال ، أحد فضلاء الأفاضل المعروفين ، وأوحد السادات الأوائل المشهورين ، المشار اليهم بعلو الذكر ، وسمو القدر ، فلا ريب أنه ممن علا قدره وفاق ، وعم ذكره النواحي والآفاق .

ولما توفي والده السيد حمزة ولي نقابة الأشراف مكانه [١] ومشى على نسق والده من التقوى والديانة والصيانة .

فائدة

النقابة معناها الرئاسة قال في القاموس : النقيب ضمين القوم وعريفهم وقال في مادة عرف : والعريف كأمير من يُعَرِّف أصحابه ، والعريف

(١) علّق في (روض البشر) على هذه الترجمة بما نصه : قلت المحفوظ أن والد المترجم تولى فتوى دمشق لا نقابتها كما يعلم من ترجمته ، وكما أفاده السادة بنو عجلان ، والله أعلم .

رئيس القوم . وقيل ان النقيب دون الرئيس ، وعلى كل حــال فنقيب الأشراف رئيسهم . نقل صاحب الشرف المؤبّد أن هذه النقابة على الأشراف وضعت في الأصل لصيانتهم عن أن يتولى عليهم من لا يكافئهم في النسب ولا يساويهم في الشرف ، ويختار لها أجلهم بيتاً وأكثرهم فضلا وأجزلهم رأيا ، لتجتمع فيه شروط الرياسة والسياسة ، فيسرعوا إلى طاعته برياسته ، وتستقيم أمورهم بسياسته ، ويلزمه لهم بتقلدها اثنا عشر حقاً (أحدها) حفظ أنسابهم من داخل فيها وليس منها أو خارج عنها وهو منها . (والثاني) معرفة أنسابهم وتمييز بطونهم ويثبتهم في ديوانه على التمييز . (والثالث) معرفة من ولد منهم من ذكر أو انثى فيثبته ومعرفة من مات فيذكره . (والرابع) أن يحملهم على الآداب التي تضاهي شرف أنسابهم وكرم محتدهم لتكون حشمتهم في النفوس موفورة ، وحرمة رسول الله ﷺ فيهم محفوظة . (والخامس) أن ينزههم عن المكاسب الدنيئة ويمنعهم عن المطالب الخبيثة حتى لا يستقل ولا يستضام منهم أحد . (والسادس) أن يكفهم عن ارتــكاب المآثم ويمنعهم من انتهاك المحارم ليكونوا على الدين الذي نصروه أغير ، وللمنكر الذي أزالوه أنكر ، فلا ينطلق بذمهم لسان ولا يشنؤهم إنسان . (والسابع) أن يمنعهم من التسلط على العامة لشرفهم والتشطط عليهم لنسبهم فيدعوهم ذلك إلى المقت والبغض ويبعثهم على المناكرة والبعد وأن يندبهم إلى استعطــاف القلوب وتألف النفوس ليكون الميل اليهم أوفى والقلوب لهم أصفى . (والثامن) أن يكون عونا لهم في استيفاء حقوقهم حتى لا يضعفوا عنها وعونا عليهم في أخذ الحقوق منهم حتى لا يمنعوا أهلها منها ، ليصيروا بالمعونة لهم منتصفين وبالمعونة عليهم منصفين ، فإن من عدل السيرة فيهم إنصافهم وانتصافهم . (والتاسع) أن ينوب عنهم في حقوقهم في بيت مال المسلمين . (والعاشر)أن يمنع نساءهم أن يتزوجن إلا من الاكفاء لشرفهن على سائر النساء صيانة لأنسابهن وتعظيما لحرمتهن . (والحادي عشر)

أن يقوّم ذوي الهفوات منهم ويقيل ذا الهيئة منهم عثرته ويغفر بعد الوعظ زلته . (والثاني عشر) أن يراعي وقوفهم بحفظ أصولها وتنمية فروعها ويراعي قسمتها عليهم بحسب الشروط والأوصاف ويزداد على ذلك في النقابة العامة خمسة أشياء أخرى : (أحدها) الحكم بينهم فيما تنازعوا فيه . (والثاني) الولاية على أيتامهم فيما ملكوه . (والثالث) إقامة الحدود عليهم فيما ارتكبوه . (والرابع) تزويج الأيامى اللاتي لا يتعين أولياؤهن أو قد تعينوا فعضلوهن . (والخامس)إيقاع الحجر على من عته منهم أو سفه وفكّه إذا أفاق ورشد انتهى ملخصاً من الأحكام السلطانية للإمام الماوردي .

ثم ان المترجم كان مستقيما ، وكان لأهل النسب والشرف قدر عظيم في أيامه لملاحظته لهم بعين الاجلال والتعظيم . مات عقيما في شعبان سنة ثلاث وستين ومائتين والف ودفن في مدفنهم المعروف بمدفن بني عجلان .

الشيخ عبد الملك القلعي الحنفي مفتي السادة الحنفية بمكة المشرفة

وهو الشيخ عبد الملك بن القاضي عبد المنعم بن القاضي تاج الدين محمد القلعي ، فارس ميدان الأفاضل ، وعنوان شرف الفضائل ، عمدة الأعيان ، ونخبة ذوي القدر والشان ، فقيه السادة الحنفية ، ومحدث الديار الحجازية ، ومدار كرة المعقول والمنقول ، ومنار فلك القادة الفحول . ولد في مكة سنة الف ومائة ونحو الخمسين وأخذ عن والده وعن العلامة السيد سعيد سنبل . وعن الفهامة الشيخ عبد الله الشبراوي الأزهري وغيرهم ، وولي الافتاء بمكة المكرمة وكانت له الصدارة في العلوم ، من منطوق ومفهوم ، وكانت وفاته سنة تسع وعشرين ومائتين والف ودفن في مقبرة المعلى .

الشيخ عبد المنعم بن شيخ الإسلام الشيخ أحمد العماوي المالكي الأزهري المصري

شيخ الإسلام والمسلمين ، وعمـــدة الأعلام المتقدمين ، ينبوع العلم والعرفان ؛ المطبوع على الفضائل والاحسان ، من افتخرت به الأفاضل وهرعت اليه الأكابر والأماثل ، آخر طبقة الأشياخ من أهل القرن الثاني عشر ، تفقه على الشيـــخ الزهار وغيره من أهل مذهبه المعتبر ، وحضر الأشياخ المتقدمين كالدفري والحفني والصعيدي والشيخ سالم النفراوي والشيخ الصباغ الاسكندري والشيخ فارس وأمثالهم من الموجودين، وانتفع الناس بعلمه الأنور ، ولم يزل ملازماً لإقراء الدروس في الأزهر ، مـع العفة والديانة ، والمروءة والصيانة ، والانزواء عن الناس والرضى بحالته ، والقناعة بما لم يشغله عن ديانته ، ليس بيده من التعلقات الدنيوية سوى النظر على ضريح سيدي صفوة الأكابر ، أبي السعود المعروف بأبي العشائر ، ولم يتجرأ على الفتيا مع أهليته لذلك ، وسلوكه في أحسن المسالك ، ولم تمل نفسه لزخارف الدنيا وسفاسف الأمور ، مع التجمل في الملبوس والمركوب وإظهار الغنى والحبور ، وكان يصدع بالحق ولا يلتفت الى مكابره ولا يتردد إلى بيوت الحكام والأكابر ، إلا لضرورة داعية ، فيدخل مع مروءة وهمة عالية ، ولم يزل كذلك حتى دعاه الحمام ، الى دار السلام ، وذلك ليلة الخميس حادي عشر ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين ومائتين والف وعاش أربعاً وثمـانين سنة ، وصلي عليه في الأزهر ودفن في تربة المجاورين .

عبد الهادي بن السيد سليم الدمشقي الفاروقي
الشهير بالعمري الحنفي

كان من مشاهير صدور الشام ، وأعيانها العظماء الفخام ، له صولة عظيمة ، وهيبة جسيمة ، وجـــلالة في قلوب الناس سامية ، وشهرة في الأماكن جميلة وافية .

ولد بدمشق الشام ، ونشأ على أتم مرام ، حتى ساد وبرع ، وسما على كاهل الكمال وارتفع ، وصار عضواً في المجلس الكبير ، وكان عليه تولية وقف سيدي علي بن عايل الفاروقي العمري ذي المقام الشهير ، ثم بعد ذلك ترك الاختلاط بالأكابر وذوي السياسة والأعيان ، وانزوى في بيته للصلاة والعبادة وتلاوة القرآن ، إلى أن توفي في شهر ربيع الثاني سنة اثنتين وثمانين ومائتين والف ودفن في مرج الدحداح [١] .

الشيخ عبد الوهاب بن الحسن البوسنوي
السراي المعروف ببشناق

ترجمه الجبرتي بقوله : العمدة الفاضل الواعظ ، قدم مصر سنة تسع وستين ومائة والف ووعظ بمساجدها وأكرمه العلماء للجنسية ، ثم توجه إلى الحرمين وقطن بمكة ورتب له شيء معلوم على الوعظ والتدريس ، ومكث مدة ، ثم حصلت فتنة بين الأشراف والأتراك فنهب بيته وخرج هارباً إلى مصر ، فالتجأ إلى علمائها فكتبوا له عرضاً الى الدولة ، بمعرفة ما جرى عليه ، فعين له شيء في نظير ما ذهب من متاعه ، وتوجه الى الحرمين فلم يقر له

(١) في روض البشر للشطي : قلت وخلف ولده المولى الجليل سليم افندي العمرى ، أحد أعيان دمشق ، الذي صار كوالده عضواً في مجلس الادارة الكبير (وتوفي ٣ شوال سنة ١٣٢٣) .

بمكة قرار ، ولم يمكنه الامتزاج مع رئيس مكة لسلاقة لسانه واستطالته في
كل ما دب ودرج ، فتوجه إلى الروم ومكث بها أياماً حتى حصل لنفسه شيئاً
من معلوم آخر ، فأتى إلى مكة ، وصار يطلع على الكرسي ويتكلم على
عادته في الحط على اشراف مكة وذمهم والتشنيع عليهم وعلى أتباعهم ،
وذكر مساويهم وظلمهم ، فأمره شريف مكة بالخروج منها الى المدينة
فخرج اليها ، وقد حنق غيظاً على الشريف ، فلما استقر بالمدينة ضم اليه
بعض الاوباش ومن ليس له ميل الى الشريف ، فصار يطلع على الكرسي
ويستطيل بلسانه عليه ويسبه جهراً ، وغره مرافقة اولئك معه وأن
الشريف لا يقدر ان يأتي لهم بحركة ، فتعصبوا وزادوا نفوراً ، وأخرجوا
الوزير الذي هو من طرف الشريف ، وكاتبوا الى الدولة برفع يد الشريف
عن المدينة مطلقاً ، وانه لا يحكم فيهم أبداً ، وانما يكون الحاكم شيخ
الحرم فقط ، وارسلوا بالمعروض مفتي المدينة الى الدولة العلية ، فكتب
لهم على مقتضى طلبهم خطاباً الى أمير الحاج الشامي والى الشريف ، ولما
احس الشريف بذلك تنبه لهذه الحادثة وعرف ان أصلها من أنفار بالمدينة
احدهم المترجم ، واستعد للقاء أمير الحاج بعسكر جرار على خلاف عادته ،
ورام مناوءته ان برز منه شيء خلاف ما عهد منه ، فلما رأى أمير الحاج
ذلك الحال كتم ما عنده ، وأنكر أن يكون عنده شيء من الأوامر في
حقه ، ومضى لنسكه ، حتى إذا رجع إلى المدينة تنمر وتشمر وكاد أن
يأكل يده من التندم والحسرة ، وذهب إلى الشام . ولما خلت مكة من
الحجاج جرد الشريف عسكراً على العرب فقاتلوه ، وصبر معهم حتى ظفر
بهم ، ودخل المدينة فجأة ، ولم يكن ذلك يخطر ببالهم قط فما وسعهم إلا
أنهم خرجوا للقائه ، فآنسهم بأنه ما أتى إلا لزيارة جده عليه الصلاة والسلام ،
وليس له غرض سواه . فاطمأنوا بقوله ، وشق سوق المدينة بعسكره
وعبيده حتى دخل من باب السلام ، وتملى من الزيارة ، وأقبلت عليه أرباب

الوظائف مسلمين ، فأكرمهم وكساهم ، فلما آنس منهم الغفلة أمر بإمساك جماعة من المفسدين فقبض على بعضهم ، واختفى باقيهم وتسللوا وهرب منهم جماعة بالليل خفية ، وكان المترجم احد من اختفى في بيته ثلاثة أيام ، ثم غير هيئته وخرج حتى أتى مصر ، ومشى على طريقته في الوعظ ، وعقد له مجلساً بالمشهد الحسيني ، وخالط الأمراء ، وحضر درسه الأمير يوسف بك، ومال إليه ، وألبسه فروة ودعاه الى بيته وأكرمه ، وتردد إليه كثيراً ، وكان يجله ويرفع منزلته ويسمع كلامه وينصت إلى قوله ، واستمر بمصر ، وسكن في حارة الروم ، ورتب له بالضربخانة [1] كل يوم مائـة نصف فضة ، وعلا جاهه وارتفع قدره عند أبناء جنسه ، إلى أن وقع له مـا وقع مع اسماعيل باشا ، تغير خاطره بسببها عليه فحبسه ثلاثة أشهر ثم اخرجه بشفاعة الدفتردار [2] وانزوى خاملاً في داره إلى أن مات في أوائل شعبان في الطاعون سنة خمس ومائتين والف رحمه الله تعالى .

الشيخ عبد الوهاب الشبراوي الشافعي الأزهري

الإمام العمدة الفقيه الصالح ، والهمام النخبة النبيه الفالح ، تفقه على أشياخ العصر ، وحضر دروس الشيخ عبد الله الشبراوي والحفني والبراوي وعطية الاجهوري وغيرهم ، وتصدر للإقراء والتدريس والإفـادة بالجوهرية وبالمشهد الحسيني وحضر درسه الجم الغفير من العامة ، واستفاد منه الكثير من الناس ، وقرأ كتب الحديث كالبخاري ومسلم ، وكان حسن الالقاء سلس التقرير جيد الحافظة جميل السيرة مقبلاً على شأنه ، ولم يزل ملازمـاً على حالته حتى اتهم في اثارة الفتنة وقتل في القلعة شهيداً بيد الفرنسيس في أواخر جمادى الأولى سنة اربع عشرة ومائتين والف ولم يعلم له قبر رحمه الله .

---

(١) دار ضرب المسكوكات .

(٢) كبير المحاسبين .

الشيخ عبد الوهاب بن احمد بن يوسف الحلبي الشافعي السعدي

أحد المشايخ السعدية بحلب ، مولده بها بعد الخمسين ومائة والف ، وقدم دمشق الشام سنة ثمان وسبعين ومائة والف ، وأخذ الطريقة السعدية عن الشيخ الكامل والعمدة الفاضل ، أبي عبد الله محمد سعد الدين بن مصطفى ابن البرهان ابراهيم السعدي الجباوي الدمشقي الميداني ، وكتب له الإجازة على عادتهم ، وخلفه وأمره بالإرشاد والتسليك ، وكتب له العلماء خطوطهم على الإجازة ، وكان صالحاً عابداً زاهداً تقياً مرشداً نقياً مشتغلاً بالخلوات والرياضات والتسليك للمريدين من القاصدين والمريدين ، سالكاً للطريق على منهج التوفيق . وفي سنة الف ومائتين وخمس ، اجتمع به في حلب حضرة العالم الفاضل خليل افندي المرادي وتبرك به وشهد كل بكمال الآخر ، ومات بعد ذلك ، ببضع سنين في حلب ، ولم أقف على تعيين تاريخ وفاته .

الشيخ عثمان بن ابراهيم الشامي الدمشقي

صدر العلماء ، وخاتمة السادة والفقهاء ، وبدر سماء الزمان ، وشمس إشراق الأفاضل الأعيان ، الإمام الكامل ، والهمام الفاضل ، كعبة المكارم ، ونخبة الأكارم .

ولد سنة تسع وأربعين ومائة والف ، وأخذ عن العلامة الملوي والإمام الطحاوي والهمام الدمنهوري وحضر دروس الشمس محمد الأيوبي الأنصاري الشهير بالرحمتي . مات سنة تسع عشرة ومائتين والف وبلغ سنه سبعين سنة رحمه الله تعالى .

السيد عثمان بن احمد الصنافي المصري

الحبر الفريد ، والبحر الوحيد ، والنبيه اللبيب ، والوحيد الأديب ، والكامل النادر ، والناظم الناثر ، نشأ في ظل النعمة والرفاهية ، وقرأ النحو

والمنطق وبقية الفنون بهمة متعالية ، ولازم الشيخ علي الطحان والشيخ مصطفى المرحومي وغيرهما حتى مهر ، وتاه به عصره وافتخر ، وكان يباحث ويجادل ، ويناقش في مشكلات المسائل . ويورد من الابحاث العقلية ، ونوادر الفروع النقلية ، ما يشهد له بكمال علمه ، وتمام فهمه ، وقرأ العروض والقوافي وأحسن النثر والنظام ، وحكى شعره بدائع ابي الطيب المتنبي ونوابغ ابي تمام ، وكان فيه نوع من اللهو والخلاعة ، واشعاره لها ميل إلى البلاغة والبراعة ، وله تخميس على البردة ومن قوله :

نظرت إلى حبي وكنت مفلساً ... فلم ار فيه للفلوس سوى السوى
فقلت له أين الدراهم قال لي ... على انني راض بأن أحمل الهوى

ومن نظمه تشطير البيتين لعثمان الشمسي وهما :

واغيد لؤلؤي الجسم ذي هيف ... بوجنة أشرقت منها الفؤاد صبا
البدر طرته والغصن قامتــه ... متمم الحسن فيه كم أرى عجبا
كأنمـا خاله من نار وجنتــه ... قدزاد حسناً ومن أعلى الخدود ربا
وحين خاف اللظى في الخد يحرقه ... انقض يرشف شهداً جاوز الشنبا

وله رحمه الله تعالى :

ليس لي في القريض ياقوم رغبه ... بعد هـذا الذي كساني رعبه
اشهد الله أنني تبت عنــه ... توبــة حرّمت عليّ المحبــة
حينما فـيه شعر نائب قاض ... ابعد الناس بالفصاحة نسبه
كان فيه جزاؤه صفع وجــه ... أو قفاء أو كان قتلا بحربــه
لا جزاه الإله في الناس خيراً ... لا ولا فرج المهيمن كربــه
حيث أهدى إلى البرية داء ... مستمراً اعيا فحول الأطبــه
يا عديم الآراء مـــا أنت إلا ... آدمي برؤية البغل أشبــه
كيفما تدعي الفصاحة جهــلا ... أو ما تدر أنها دار غربــه
عش جهولاً ومت بجهلك حتفاً ... ياخبيثاً بأخبث الأرض تربــه

فلعمري ما قلته ليس شعراً بل نباح وأنت كلب بن كلبه
ثم أستغفر الله مما قد جناه اللسان إن كان سبه

وله في اسماعيل افندي الكسدار :

ياخليلي افديك من كسدار كوسج الذقن عاري الذقن شعرا
من يكن قرنه كقرنك هذا فليكن بيته كايوان كسرى

ولم يزل رافلاً في حلل السعادة ، حتى حلت بساحة شبابه الشهادة وتوفي مطعوناً بمليج وهو ذاهب لموسم المولد الأحمدي بطندتا في شهر رجب وقد ناهز الأربعين ، وحضروا به الى مصر محمولاً على بعير ، فغسل وكفن ودفن بها عند والده سنة أربع ومائتين والف .

الشيخ عثمان بن محمد الحنفي المصري الشهير بالشامي

الامام الكامل ، والهمام الفاضل ، قال الجبرتي : ولد بمصر وتفقه على علماء مذهبه كالسيد محمد أبي السعود والشيخ سليمان المنصوري والشيخ حسن المقدمي والشيخ الوالد حسن الجبرتي ، وأتقن الآلات ، ودرس الفقه في عدة مواضع وبالأزهر وانتفع به الناس ، وقرأ كتاب الملتقى بجامع قوصون ، وكان له حافظة جيدة واستحضار في الفروع ، ولا يمسك بيده كراساً عند القراءة ، ويلقي التقرير عن ظهر قلب مع حسن السبك ، وألف متناً مفيداً في المذهب . ثم حج وزار قبر النبي ﷺ وقطن بالمدينة ، وطلب عياله في ثاني عام وباع ما يتعلق به وتجرد على المجاورة ، ولازم قراءة الحديث والفقه بدار الهجرة ، وأحبه أهل المدينة وتزوج وولد له أولاد ثم تزوج باخرى ، ولم يزل على ذلك حتى توفي في السنة العاشرة والمائتين والألف[١] ، ودفن في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام .

(١) في فهرس الفهارس انه وقف له على اجازة كتبها سنة ١٢١٣ هـ .

الشيخ عثمان الكردي الطويلي الخالدي النقشبندي

مركز دائرة الارشاد ، الراقي في درجـات السداد ، المولى المرشد الكامل الأحوال ، والهمام المعدود من اكابر الرجال ، صاحب الكرامات الظاهرة ، والأنفاس القدسية الزاهرة ، هو أول خليفة خلفه حضرة مولانا خالد قدس سره وفاز بنظره وأنفاسه القدسية ، وصل الى مقام الفناء [١] وحاز الأسرار الربانية ، وله كرامات كثيرة باهرة ، وخوارق عجيبـة ظاهرة ، شهد بولايته الخاص والعام ، واشتهر قدره ومقـامه بين الانام وسلك على يديه كثير من العلماء الأعلام ، وأكابر أهل التقوى والفضل ذوي الاحترام ، وقد أسلم كثير من اليهود والنصارى على يده ، وحازوا بالتفاته ونظره التنوير والاستمداد من مدده ، وسلكوا في زاويته ونالوا مقامات الرجال ، وكان الغالب على المترجم حال السكر والجلال ، وعدم الصحو الا في نوادر الأحوال [١] ، وبقي على حاله ، مترقياً في كماله ، الى أن اخترمته المنية ، ودعاه الأجل الى الدار السنية ، سنة الف ومـائتين ونيف وثلاثين وهو من رجال المجد التالد .

الحاج عثمان بن الحاج عبد الله بن الحاج فتحي بن عليوي المنسوب الى بيت الطحان ويشتهر بالحافظ عثمان الموصلي المولوي

ترجمه أحمد عزت باشا العمري الموصلي في كتابه العقود الجوهرية في مدائح الحضرة الرفاعية ، فقـال : ولد في بلدة الموصل الخضراء سنة

---

(١) ألا ليت هؤلاء الرجال الذين يتحلون بكريم الخصال والفعال ، يصرفون وقتهم كله بالدعوة الى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، فهذا المقام هو أجلّ المقامات وأكملها ، وهو سبيل الرسل عليهم الصلاة والسلام ، « قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ، وسبحان الله ، وما أنا من المشركين » سورة يوسف (الآية ١٠٨) « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » الأنعام (٩٠) .

احدى وسبعين ومائتين والف ، وقبل أن يبلغ من العمر سبع سنين توفي أبوه وبقي يتيما وفقـد نور بصره على صغره ، فرآه والدنا المرحوم محمود افندي الفاروقي وكان اذ ذاك طفلا ، وتفرس به أن يكون للتربية أهلا ومحلا ، فأخذه الى بيته العامر، واعطاه منها إلى أحد الدوائر ، وخصص له فيها من يحفظه القرآن ، بصورة الاتقان ، مـع ما ينضم الى ذلك من طيب الألحان ، فأتقنها كلها ، وحفظ أيضاً جانبـاً وافراً من الأحاديث النبوية ، والسير المصطفوية ، ورتب له من يلقي عليه علم الموسيقى حيث انه قد رزق الصوت الحسن ، وحفظ اذ ذاك من رقائق الأشعار ، وغرائب الآثار ، ما جمع فأوعى لأنـه كان سريع الحفظ ، لطيف اللفظ ، فنشأ قطعة من أدب ، وفرزدقـة من لباب العرب ، لأنه في الحقيقة ضرير ، لكنه بكل شيء بصير ، ينظر بعين الخاطر ، ما يراه غيره بالناظر ، وبقي بخدمة المرحوم الوالد الى ان توفاه الله ، وجعل الجنـة مثواه ، فتوجه إذ ذاك الى بغداد وكنت إذ ذاك فيها فنزل عندي ، يعيد ويبدي ، وفاء للحقوق التي لا زال يبديها ، ولا يخفيها ، مترديا بظاهرها وخافيها ، فتلقيته ملاقاة الأب والأخ ، وقلت له بخ بخ ، فتهادته فيها اكف الأكابر وحفت به عيون الأصاغر ، فأصبح في بغـداد فاكهة الأدباء ، ونقل الظرفاء ، وشمـامة الأوداء ، واشتهر بحسن قراءة المولد الكريم ، على صاحبه أفضل الصلاة والتسليم ، فأومض فيها برق اسمه ، وعلا مبـارك كعبه ورسمه ، فتركته على هـذه الصورة في الزوراء ، تهب عليه ريح الرخاء ، حيث يشاء ، وأمسى عند كل ذي عين ، جلدة ما بين الأنف والعين ، وحفظ فيها نصف صحيح الإمام البخاري على المرحوم الشيـخ داود افندي ، وبعد وفاته اكمل حفظ النصف الثاني على بهاء الحق افندي الهندي مدرس الثاني في الحضرة الأعظمية . ثم انه بعد ما قضى فريضة

الحج ، وفاز بالعج [١] والثج [١] ، رجع الى مسقط رأسه الموصل الخضراء وقرأ فيها القراءات السبع على حيدرة الوطن ، محمد افندي الحاجي حسن ، وأخذ الطريقة القادرية من حضرة المرشد الكامل العارف الفاضل المرحوم السيد محمد افندي النوري ، وبرخصته بل بعد استشارته واستخارته توجه راحلاً منها الى مركز الخلافة العظمى وخصص له ببلدته خير معاش ، يستوجب الانتعاش ، وأخذ فيها الطريقة الرفاعية ، من حضرة صاحب السماحة الصارم الهندي ، الشيخ أبي الهدى السيد محمد افندي ، وهو لم يزل الى الآن ، على ما عليه كان ، من انقياده في زمام الوفا ، واستناده لسواري الأنس والصفا ، تتجاذبه أيدي الكبراء ، وتتهاداه قلوب الأوداء ، وتتلاعب به أفكار الشعراء ، وترتاح معه أذهان البلغـــاء ، وتصغي الى نغماته اسماع الخطباء ، فهو بالليل اريب [٢] ، وبالنهار خطيب ، يرقى ذروة المنابر ، فتهرع اليه الأكابر والأصاغر ، فيسيل جامد دموعها ، ويهيـج كامن ولوعها ، ويمنعها لذيذ هجوعها ، خوفاً من رجوعها ، وأما شعره فمثل شعوره ، يتساقط فراش المضامين على مشكاة نوره ، يذوب نظمه حلاوة ، ويكتسي نثره طـــلاوة ، فليس على عينه غشاوة ، واذا غنى ظننت الموصلي ابراهيم [٣] ، أو قرأ حزباً من القرآن الكريم ، تخيلت أبياً [٤] يترنم بصوته الرخيم ، وبالجملة فهو نسخة جامعة ، وكرة لامعة ، مع ما ينضم الى ذلك من الوفاء ، وكرم الطبع والصفاء ، ومن نظمه يمـــدح

---

(١) رفع الأصوات بالتلبية ، وسيل دماء الأضاحي .

(٢) ماهر بصير .

(٣) أبو إسحاق النديم ، من ندماء الخلفاء العباسيين : المهدي والهادي والرشيد ، كان ينظم الأبيات ويلحنها ويغنيها (م سنة ١٨٨ هـ) .

(٤) ابي بن كعب الأنصاري ، كان من أحبار اليهود فأسلم ، وصار من كتاب الوحي ، أخرج له البخاري ومسلم أحاديث كثيرة ، وكان أحـــد القراء المشهورين رضي الله عنه (م : سنة ٢١ هـ) .

السيد الرفاعي :

بباب الرفاعي بت استبق الركبا ... ليصبح جفني لاثما ذلك التربا [1]

امـام له في الخافقين مفاخر ... بها امتاز بين الأولياء ولا ريبا

فمنهـا إذا نادى محبوه باسمه ... على النار أطفوها ولو أوقدت لهبا

ومنها سيوف الهند تنبو لبأسه ... وأسد الشرى[2] ترتاع من ذكره رعبا

وأعظمهـا تقبيل يمنى نبينـا ... بها لم يكن من قومه غيره يحبى

أمدت له في محفـل خير محفل ... وقد صيرت كل الكـرام له حزبا

تردى بأثواب المحبـة والحجا ... ومن شرع طه المصطفى أخذ اللبا

أرى ذل حالي فيه خير معزتي ... وأبكي وتعـذيبي أراه به عذبا

لقد جئته مستبقيا سيب جوده ... أناديه يامن قد شغفت به حبا

بجدك ذي الخلق العظيم ومن سما ... علي الرسـل إذ كل لدعوته لبا

بوالدك الكـرار باب علوم من ... اماط عن التوحيد في بعثه الحجبا

بريحانتي خير الوجود وفاطم ... وما قد حواه ذلك البيت من قربى

أتيتك ياشيخ العواجز راجيـا ... منائحك العليا التي تنعش القلبا

أيدهشني ياآل طـه بحبكم ... خطوب واني قد عرفت بكم صبا

احبة قلبي ما لعثمان ملجـأ ... سواكم وأنتم ملجأ الكون في العقبي

عليكم صلاة الله ما انهل وابل ... بواسط أوهبت بارجائهـا النكبا

وأبياته كثيرة ، وقصائده شهيرة ، أطال الله بقاه آمين انتهى . هذا ولما سافرت إلى الآستانة العلية ، في أوائل ذي القعدة الحرام سنة الف وثلاثمائة وست هجرية ، اجتمعت بهذا المترجم ذي الشمائل البهية ، فرأيته شاعر الزمان ، وناثر الأوان ، يصبو القلب اليه ويحن ، وينثني له غصن

---

(١) هذا خلاف السنّة في زيارة القبور ، وقد نهى الرسول (ص) عن التمسح بترابها وعن دعاء أصحابها بما لايدعى به إلاّ الله عز وجل .

(٢) الشّرى : مأسدة جانب الفرات يضرب بها المثل ، فيقال « هو كأسد الشرى » .

البراعة ويرجحن (١) ، ففي أوصافه للروح عبق ، ومن الطـافه يروق كأس المصطبح والمغتبق (٢) ، وله أخلاق أقطعها الروض أنفاسه ، وشيم يتنافس بها المتنافسون لطافة ونفاسة ، وقد أنشدني أفانين من غزلياته تهزل برونق الصدغ في لباته ، وأطربني في ألحـانه ، ولا اطراب المختار بحانه ، يتلاعب بصوته تلاعب الأنامل بالأوتار ، ويحرك القلوب إلى أن تكشف عن محيا غرامها حجب الأستار ، وكانت أريحيات غرامه تستفزه وصبوة مدامه تستهزه ، فلا يزال ، هـائما بغزال ، ولا يريم (٣) ، عن عشق ريم ، وشعره يشعر بانه حليف الجوى ، ويعرب عن حاله اعراب الدمع عن مكتوم سر الهوى ، ولطفه أرق من العتاب بين الصحاب ، وأوقع من الراح ممزوجا بماء السحاب ، ولله دره حينما شكالي العذول والهجـر والصدود وشداني على صوت الكمام (٤) وصوت العود :

لو أن بالعذال مابي	ماعنفـوني بالتصـابي
كلا ولو ذاقوا الهوى	مثلي لما ملكوا خطابي
ويلاه من بعـد المزا	ر فانه شر العقـاب
قسما بخلوات الحبيـب	وطيب وقفات العتاب
وتذللي يوم النـوى	لمنيـع ذياك الجناب
وبوقفتي أشكو هـوا	ي له بألفاظ عذاب
أبكي وأسرق أدمعي	خوف العواذل في ثياب
ما للمحب أشـد من	نار التباعد من عذاب
بأبي غزال لين الأ	عطاف معسول الرضاب

(١) يهتز ويميل .

(٢) ما يُشرب في الصَّبوح والعشي .

(٣) لايميل .

(٤) آلة لهو ذات أوتار تشبه الرّبابة ، والكمنجة : (فارسية) .

مياس غصن قوامه يزري ببانات الروابي
ريان من ماء الصبا سكران من خمر الشراب
جعل التجافي دأبه وجملته وهواه دابي
قال العواذل عندما أبصرن بالأشواق مابي
قد كنت من أهل الفصا حة لاتحول عن الصواب
فأجبتهم والقلب من نار الصبابة في التهاب
الحب قد أعيا فصيـح القول عن رد الجواب
وتراه ان حضر الحبيـب لديه يأخذ في اضطراب

وغير هذا كثير ، لايكاد يحصيه قلم التحبير ، وعلى كل حال فهو حلية العصر ، ونادرة الدهر ، قضي له بالأدب الوافر منذ طلع من مهده طلوع البدر السافر ، فظهر رشده قبل أوانه ، ولا ريب أن الكتاب يعرف بيانه من عنوانه . وقد أسمعني من نثره خطبته التي ابتدأ بها تخميسه لقصيدة المرحوم عبد الباقي افندي العمري المسماة بالباقيات الصالحات وهي :

أحمد من أسبغ علينا من سوابغ المانحات نشبا ، وبلغنا بالباقيات الصالحات اربا ، ونظمنا في سلك مدائح اهل العبا ، وأصلي وأسلم على حبيبه المجتبى ، وآله الذين تمهدت بهداهم فدافد (١) وربا ، وصحبه الذين بمجاراتهم جواد الضلال كبا ، وبعد فيقول العبد العاجز الفقير ، ذو الباع القصير ، المتوسل لعلاه بحب آل علي ، عثمان بن الحاج عبد الله الرفاعي الموصلي : لما كانت مدائح آل المصطفى هي من أعظم الوسائل ، للنجاة يوم العرض والمسائل ، وكان ممن أحرز قصب السبق في هذا المضمار ، الجدير بأنواع الفضائل والفخار ، فاروقي الأرومة والنجار الذي اشتهر بالآفاق ، وفاق أدباء عصره على الاطلاق ، المرحوم عبد الباقي افندي الموصلي وذلك في

(١) المكان المرتفع والفلاة .

قصيدته البائية الموسومة بالباقيات الصالحات التي تنشر لديها برود القصائد ، وتنثر عندها أفئدة الفرائد ، وكانت كالعروس العذراء ، ما افتضها شاعر ، ولا اقتحمها ناثر ، لما تحصنت به من حسن السبك والإنشاء ، خصوصاً فيما أثارته من مؤثرات الرثاء ، والمعفر بغباره وجه الغبراء ، قدمت على تخميسها مقراً بعدم استطاعتي ، وقلة بضاعتي ، وذلك لكوني محب بيتهم ، ومقتبساً من نور زيتهم ، لهذا شمرت ساعد الجد لتسميطها[1] طلباً للثواب ، ومحبة لآل النبي الأواب ، وأسأل المولى جل وعلا ، أن يتقبل منا قولاً وعملا ، ويجعلنا مظهر قوله تعالى : « والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملا [2] » ، ثم قال التخميس العبهري[3] ، على بائية العمري ، وهو :

مذ شب زند الفكر بعد أن خبا قمت لمدح آل طه معربا
مسمطاً أوصافهم فيما احتبى هذا الكتاب المنتقى والمجتبى
في نعت آل البيت أصحاب العبا

تجلب للكونين أوفى غيرة بشرح رزه نال خير عترة
من قبل أن تحويه أغلى فكرة بالقلم الأعلى بيمنى قدرة
في لوح عزة بنور كتبا

روض معانيه غدا مؤرجا مذ جدولت أسطره نهر الحجا
جبينه بالحسن قد تبلجا لاح به فرق العلا متوجا
مرصعاً مكللا مذهبا وقد غدا حاجبها مزججا
وطرفها أمسى كحيلا أدعجا وثغرها أضحى بسيما أفلجا

---

(١) سمّط الشيء : لزمه ، والشاعر : نظم الشعر مسمطاً ، أي مخمساً .

(٢) الكهف (الآية ٤٦) .

(٣) العبهر : النرجس ، والياسمين .

وكمها مطرزاً مديحا وعقدها منقحاً مهذبا
عذب على التالي يسوغ حفظه
يلتذ مهما جال فيه لحظه صفا وطاب واستلان غلاظه
فرق معناه وراق لفظه يحكي صفا الودق إذا ما انسكبا
حور معانيه الحسان لم تزل تلبس من مدائحي أبهى الحلل
إذ صغت من تفصيل هاتيك الجمل ثنا إذا أنشدته له ثنى ال
وجود عطفاً وتهادى طربا غصن مديحي ماس في رطيبه
كأنما نشر الكبا[١] يسري به مذ فاح نفح الطيب من ترتيبه
ريح الصبا تضمخت بطيبه بطيبه تضمخت ريح الصبا[٢]

قاضي القضاة سراج الدين علي خان الذي تقلد أمر القضاء في بندر كلكته سنة ألف ومائتين وتسع وعشرين

قدوة المحققين ونخبة المدققين ، الفائق بعلمه وعمله والواثق من الله بنواله بغية أمله ، قد برع في زمانه حتى صار مقصد أهل عصره وأوانه ، وقصده الناس للاستفادة من كل جانب وكان أجل راغب في عمل الرغائب ، وكان أديباً ماهراً ناظماً ناثراً ، قد أتقن العربية مع لغته الفارسية والهندية . ومن جملة نثره الدال على كمال علوه وقدره ، تقريظه على كتاب الحديقة ذات المعاني الرقيقة :

يا من ذكر اسمه الأسمى خير الأذكار ، والفكر في أسمائه الحسنى خير الأفكار ، صل على مذكرك الأقدم الأول ، وكلمتك الأتم الأكمل ، محمد

(١) الكباء : عود البخور ج كبى .
(٢) له تخميس على لامية البوصيري التي مطلعها : (جاء المسيح من الإله رسولا) وأول التخميس : (العقل يشهد إذ يجيء دليلا) واسمه « الهدية الحميدية الشامية » و « مجموعة سعادة الدارين » و « الأبكار الحسان ، في مدح سيد الأكوان » و « المراثي الموصلية » معجم المطبوعات (ص ١٣٠٩) .

المبعوث الى كافة الامم ، وآله وصحبه الذين نبغوا من ضنضىء الكرم ، وفازوا بأعلى درجات الحكم . وبعد فهذا الكتاب المسمى « بحديقة الأفراح لإزاحة الأتراح » المحتوي على مباهج قرائح البلغاء ، المشتمل على نتائج أفكار الفصحاء ، تذكرة لأولي الألباب ، وتبصرة لذوي الآداب ، قد ألفه الإمام البارع اللوذعي الألمعي ، وحيد عصره وفريد دهره ، العالم الرباني الأوحد الأديب الأمجد ، الشيخ الأجل أحمد بن محمد الأنصاري اليمني الشرواني ، لازالت إفادته شاملة للخواص والعوام مادامت غياهب الليالي وأنوار الأيام [١] .

وله نثر فائق وشعر رائق ، غير أني لم أقع منها إلا على ما كان باللغة الفارسية فلم أكتبه . توفي المترجم المرقوم رحمه الله تعالى سنة ألف ومائتين ونيف وثلاثين .

علي بن محمد العنسي جمال الدين اليمني

هو من رجال الحديقة وأهلها ذوي الآداب الأنيقة ، فقال في ترجمة المرقوم الذي هو في سلك الأفاضل منظوم : عليّ المجد والمقام واحد في صناعة النثر والنظام ، ثمرات أفنان نفائس آدابه فرائد ، وجداول طيباته جارية بالجواهر لكل ملم بغياض فنونه ووارد ، ألفاظه بخندريس الرقة وشراب الجزالة ممزوجة ، ومعانيه الباهرة يبهر حسنها عقل من شاهد مروجه . فمن لطائفة قوله مجاوباً الفقيه الأديب أحمد الرقيحي :

---

(١) وبعد هذا النثر ، قرظه أيضاً بثلاثة عشر بيتاً باللغة الهندية ، أما كتاب « حديقة الأفراح» فقد ذكر مؤلفه في مقدمته أنه رتبه على ستة أبواب ، فالباب الأول منه في لطائف لطفاء اليمن و(٢) في نبغاء الحرمين و (٣) في بلغاء مصر والشام والعراق و (٤) في نبهاء الروم والمغرب و (٥) في أذكياء البحرين وعمان و (٦) في أدباء الهند والعجم .

كذا يتجنى[١] في الهوى فارغ القلب ... اذا رحت أشكو العتب غالط بالعتب

أيا ملزمي ذنباً وليس بمذنب ... سواه ألا اصفح عن شج مغرم صب[٢]

رضيت بما ترضى علي ولم أقل ... جرى الدمع ياقوتاً ولا قلت ماذنبي

فديتك لولا ان لي فيك صبوة ... لما شرقت عيني من المدمع الغرب[٣]

لقد آن أن ترضى عن المغرم الصب ... وتصفح عما قد أتيت من الذنب

فلولاك لم أبكي بجمر أدمعي ... عقيقاً ولا أشتاق للرمل والكثب[٤]

ولا بت في دهم الليالي اشهبها ... سميراً دموعي الحمر يا منيتي شربي

ولا رحت مسلوب الكرى واجب الحشى[٥] ... أعذب بالإيجاب منك وبالسلب

أما وجفون منك تلتذ بالكرى ... وتنشد أجفان الأنام ألا هبّي

ونور جبين تحته نون حاجب ... وقدّ على ردف كغصن على كثب

لقد تركت قلبي عيونك في الهوى ... رهين غرام لا يفيق عن الحب

عجبت لها وهي التي بفتورها ... على ضعفها تضني وان صحفوا تصبي[٦]

أتدعى عيوناً وهي في فعلها بنا ... أسودٌ وما غاباتهن سوى الهدب

وأعجب من ذا ان خصرك ناحل ... وفيه شفاء الواله المغرم الصب

لي الله مالي في الهوى من مساعد ... ابث اليه ما الاقي من الكرب

---

(١) تجنّى عليه : رماه بذنب لم يفعله .

(٢) الصبّ : العاشق .

(٣) استغرب الدمع : سال .

(٤) الكثب الرمل : اجتمع ، وانتثر بعضه على بعض .

(٥) وجب القلب : وجف وخفق .

(٦) صحّف الكلمة : اخطأ في قراءتها وروايتها ، او حرّفها عن وضعها .

ووا حزني من تائه في جماله ... عليّ ومن أسياف عينيه واحزني
فتنت ببدر كمل الله حسنه ... منازله في الطرف مني وفي القلب
وظبي كناس بالغضا من جوانحي ... له مرتع لا بالغضا موضع السرب[١]
يقولون صحبي هل سلوت وقد نأى ... فقلت نعم عن صحة الجسم واللب
وقالوا وهل تقضي لبانة عاشق ... فقلت نعم أقضي ولكن به نحبي
رعى الله دهراً كان لي فيه مسعداً ... بلقياه ما خمري سوى لفظه العذب
ويجمعنا روض به الطير مطرب ... وساقيه نهر فوقه راقص القضب
تراه بأنواع الزهور مطرزاً ... كنظم صفي الدين طرز بالكتب

وقوله مكاتباً الفقيد أحمد الرقيحي

تبدت فغاب البدر بالأفق واستخفى ... وماست فكاد الجو يسرقها لطفا
وأرخت دجى شعر فقلت لصاحبي ... أليلتنا قد أرسلت وارداً وحفا[٢]
ولاح عليها قرطها وهو خافق ... فبتنا نرى الجوزاء في أذنها شنفا[٣]
حبابية[٤] الألمى[٥] مدامية اللمى ... يدير الحميا كأس أجفانها الوطفا[٦]
أغالط فيها واشياً ومفندا ... لأكتم حبي والصبابة لا تخفى
فإن قلت آهاً العذيب فإنما ... أردت الشنيب[٧] العذب لهفاً له لهفا
وإن همت في بان الحمى وكثيبه ... فما رمت إلا قدها اللدن[٨] والردفا
اما وأبيها ما رأتني بخالها ... أخا لوعة إلا زهت وانثنت عطفا

---

(١) السرب : الماشية ، والقطيع من الظباء .
(٢) الوحف : الشعر الكثير الأسود الحسن .
(٣) الشنف : ما علق في الأذن من الحلي .
(٤) الحباب : الفقاقيع التي تعلو الماء أو الخمرة .
(٥) الألمى : الذي بشفته لمى ، واللمى (بتثليث اللام) سمرة أو سواد في باطن الشفة يستحسن .
(٦) وطف يوطف وطفا : كثر شعر حاجبيه وعينيه .
(٧) الشنيب : أبيض الأسنان حسنها ، والمشائب : الأفواه الطيبة .
(٨) اللين .

ومال بها خمر الشبيبة والصبـا — فصدت ولولا الصد لم تعرف الحتفا

أتوردني من طعن عسالها[1] الردى — وتمنعني من طعم معسولها الرشفا

واولا حلى نظمي وأحمر مدمعي — لما طوقت جيداً ولا خضبت كفا

أرى خدها يا طرف للحسن جامعاً — فأجري عليه مدمعي أبدا وقفا

ويا فرعها قد كنت أصل ضلالتي — وكم ضل سار في الظلام إذا التفا

لئن ضعفت خصراً وجفناً وموثقاً — فقدزاد ذاك الضعف جسمي به ضعفا

نديمي قد بان الفريق وفرّقت — يد البين عن الف معنى الحشا إلفا[2]

فعلل بذكراها فؤادي واسقني — سلافاً يحاكي شعر شمس الهدى لطفا

وقوله مكاتباً بعض خلانه

عوفيت من نار أشواقي ومن كلفي — ما ذا تريد بهذا البين من تلفي

يا نازح الدار والذكرى تقربه — أضنيت نازح در الدمع بالذرف

ويا حبيبـاً همى دمعي لفرقته — والغيث إن تحتجب شمس الضحى يكف

سل الدجى هل رآني راقداً وسل الـــعذال هل شهدوني خالي الأسف

تركتني ما لسقم فيّ من طمـع — قد صرت للبين ذا روح تردد في

كم قلت بعدك للطرف القريح وقد — رمته يا بدري العذال بالسرف

انفق ولا تخشَ اقلالاً فقد كفلت — لك الصبابة والأشواق بالخلف

يا من إذا قال ظبي البيد يشبهه — جيداً قضينا لظبي البيد بالخرف

مالي ودهم الليالي فيك أسهرها — تطول عمداً لتضنيني على كلفي

والله ما أنصفتني في معـاملة — أحببتها وتجد السعيَ في تلفي

بالله أين ليال باللقـا قصرت — يكاد دمعي بها يا بدر يعثر في

تلك الليالي التي يرتاح إن ذكرت — قلبي الـكليم ارتياح المجد بالشرف

---

(١) رمح عسّال : يهتز ليّنا ، ولعله أراد قوامها .

(٢) الالف : الصديق والمؤانس .

أعني به شرف الدين المعد إذا عد الكرام كبسم الله في الصحف

وقوله مكاتباً أحد الأئمة الأعلام :

او فتشوا عن قلبي المرهون وتحرشوا جمر الغضا المكنون
لتيقنوا اني حفظت وضيعوا عهد الهوى وابنت خير أمين
فعلام قالوا مال عنا وارعوى عنا وخان وكان غير خؤون
ما ملت لا والله بل مالوا وقد شهدت ركائبهم بصدق يميني
هزت قدودهم وقالوا للصبا هزواً أعند البان ميل غصون
هل أنكروا ميل الغصون فيطلبوا برهان دعوى العاشق المفتون
فإذا شرى برق الغوير وبعته دمعي رجعت بصفقة المغبون
وافرط أشواقي وشدة لوعتي وتهتكي في حبهم وجنوني
لا بد لي من أن أقول صدقتم والله يعلم حرقتي وأنيني
وإذا بكيت على الربا فتضاحكت أنفاسها بمباسم النسرين
قالوا عيون السحب ترسل دمعها والدمع دمعي والعيون عيوني
أحبابنا والله ما صنع العدى ما تصنعون بقلبي المحزون
أيصيبني كيد الأعادي عندكم أسفي واخلاص الهوى من ديني
ولشقوتي قد كنت أعتقد الهوى هـذا الذي أخلصت فيه يقيني
لولا هواكم لم أقل جنح الدجى والبرق يذكي لوعتي وشجوني
ياباروقاً ألقى سناه على الربا ولهيبه في قلب كل حزين
قف بالحمى الغربي لكن واضعاً خداً ومن لي ان وضعت جبيني
واسأل بروج الحي عن أقمارها وبرغم أنفي ان تراها دوني
وبهجتي البدر الذي لو قسته بالشمس لا يرضى ولا يرضيني
لم يكفه سهري فعلم طيفه ظلماً وقد غضب الكرى يشكوني
خذ في التجني كيف شئت تحكماً وامطل وان كنت المليّ ديوني
لا أستطيع أقول لست بمنصف يا بدر اجلالاً لبدر الدين (١)

---

(١) له ديوان شعر سماه : كأس المحتسي من شهد المتنبي ، والروض الأقحواني ، في الشعر الزهواني ، وعنوان الشرف . عن « البدر الطالع للشوكاني » وغيره .
وفي معجم المؤلفين : ولد بصنعاء وتوفي بالحيمة في جمادى الأولى أو الآخرة عام ١١٢٩ هـ .

الشيخ علي بن أحمد المغربي اليشرطي الشاذلي الترشيحي

شيخ الطريقة ، ومعدن السلوك والحقيقة ، ولد في بيزرت[١] من أعمال تونس الغرب ، سنة الف ومائتين واحدى عشرة . ووالده الحاج أحمد اليشرطي ، قيل نسبته إلى بني يشرط قبيلة بالمغرب ، قيل انها تنسب إلى سيدنا الحسن بن علي سبط رسول الله ﷺ، وكان قائداً كبيراً للجيش التونسي، ولم يترك ولداً غير المترجم المشار اليه ، فالتفت المترجم من صغره الى الطلب وحضور دروس العلماء والفضلاء إلى أن نال مطلوبه وملك مرغوبه . ثم أخذ الطريقة الشاذلية عن استاذ العصر ، وفرد الدهر ، الأستاذ الكبير والعالم الشهير ، أبي محمد بن حمزة ظافر المدني ، فاشتغل بهمة قوية وسيرة مرضية ، ودأب على الذكر في السر والجهر ، وكان مقدماً عند الشيخ على الجماعة لما شاهده منه من كمال الانقياد والطاعة ، ولم تزل مرتبته تتعالى ، وخوارقه في الطريق تتوالى ، إلى أن تأهل للارشاد وارتقى مقامه وساد ، وبعد وفاة شيخه واستاذه وعمدته وملاذه ، قصد مكة المكرمة للنسك ، وبعد أن أتم حجه وعجه وثجه ، توجه لزيارة أشرف انسان ، وأفضل مخلوق من ملك وانس وجان ، وجاور في تلك البلدة الشريفة ذات الرتبة العالية المنيفة ، أربع سنوات ، وكان يحج في كل عام ، ثم بعد التمام يرجع لمدينة خير الأنام ، ثم قصد زيارة القدس الشريف ، فلما وصل يافا في مركب شراعي تعسر عليه النزول اليها لأن النوء كان شديداً غير لطيف ، فطلع إلى عكا وكان قد مرض لشدة ما أصابه من الأهوال والعناء ، فذهب منها إلى ترشيحا لتبديل الهواء ، وكان ذلك سنة الف ومائتين وست وستين ، وأخذ أمره من ذلك العهد بالانتشار ، فقصدته الناس من القرايا والأمصار ، وأخذوا عنه الطريق باذلين همتهم في حفظ ذلك العهد الوثيق ، وفي كل يوم يشتهر أمره ويزداد علوه وقدره ، إلى أن انتشر الطريق في الآفاق ، فلم يدخل الانسان من

---

(١) بيزرت أو بنزرت (Bizerte) مرفأ عسكري في تونس .

البلاد السورية إلى محل إلا ويجد مرشداً منهم قد وقف للترغيب على ساق ، وفي حدود سنة الف ومائتين وثمانين أيام ولاية رشدي باشا الشرواني رأى منهم اجتماعاً منافياً للسياسة العثمانية ، فنفاه هو وبعض جماعته إلى الجزيرة القبرصية ، ولم يزل بها ثلاثة أعوام إلى أن تداخل في الرجا في احضاره الأمير عبد القادر الجزائري فاستجلبه الى الشام ، وقد أجرت الحكومة عليه شديد التنبيهات في ترك ما كانوا يفعلونه من الاجتماع وانه من الممنوعات . ثم عاد إلى عكة ورجع ، بعد أن أعطى المواثيق بأنه ترك ما كان عليه ونزع ، ثم بعد ان انفصل ذاك الوالي المشار اليه رجع المترجم الى ما كان من الظهور عليه ، إلى أن وجهت الولاية على رشدي باشا وكان قد حصل من جماعته في بعض المحلات أمور مذمومة واعتقادات مشؤومة ، فاستحضر الوالي المترجم تحت الحفظ إلى الشام وأراد نفيه إلى فزان[1] ، وقبض على نحو عشرين شخصاً من جماعته المعدودين من خلاصة الإخوان ، فبذل الأمير عبد القادر رجاه لحضرة الوالي المرقوم أن يجعله محبوساً في داره ، وأن يسمح عن نفيه رحمة لذله وانكساره ، فحقق الوالي رجاه لما له عنده من الفضل والجاه ، وأما جماعته فانه نفاهم إلى فزان وأذاقهم بذلك الذل والهوان ، ثم إن حضرة الأمير بعد مدة أطلقه من حبسه ، وأرجعه إلى محله مشمولاً بسروره وكال أنسه .

وحاصل الكلام في سيرة هذا المترجم المفضال فانها اختلفت فيه أقوال الرجال ، فمنهم من طعن به وزاد ، ومنهم من برأه من كل مايوجب اللام والفساد ، وان الحق يقال ماعلمنا عليه سوى مايوجب الكمال ، غير أن بعضاً من جماعته قد خرجوا في الظاهر عن دائرة الأدب ، وتكلموا بما هو لكل ملام سبب ، وتركوا في الظاهر كل مأمور ، وارتكبوا أقبح

---

(١) اسم يطلق على مجموعة الواحات الكبري الواقعة في صحراء افريقية الوسطي ، عاصمتها مرزوق .

الأمور . ثم ان المنفيين إلى فزان أحسنت عليهم الدولة بالاطلاق فرجعوا إلى الشام ، ولم يزل بعض أهل هذه الطريقة يفتخرون بمخالفة الشريعة الغراء ، وبترك كل مأمور به وبفعل كل مايوصل فعله إلى كل شقاء ، ويقولون بان الشريعة حجاب ، وفعل المنكرات موصل إلى رب الأرباب ، فلاطوا بالأبناء وزنوا بالأمهات ، وأكلوا الحرام وانهمكوا في المنكرات ، واعتقدوا بأنفسهم أنهم صوفية الزمان ، وان من سواهم قد ألبس نفسه ثياب الحرمان ، ويفسرون كلام الله ورسوله بكل تفسير فاسد ، ويقولون بأن هذا التفسير قد ألقاه اليهم الوارد ، فما أعظمها مفسدة في الدين ، وما أجسمها فتنة على المسلمين ، فياعباد الله من يقول بان المنهي عنه طريق الوصول ، وهو المرضي عند الله تعالى وعند الرسول ؟ وأما المأمور به فهو حجاب ، ولا يتمسك به إلا المحجوبون عن طريق الصواب !! فإننا نبرأ إلى الله من هذا الاعتقاد ، ونعوذ به مما يوصل إلى كل شر وفساد ، ونتمسك بما جاء به النبي الأمين ونقول « ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين »[١] ثم ان كثيراً من الناس قد شكا هؤلاء الجماعة إلى المترجم ، فيقتصر على قوله عظوهم وعرفوهم أن هذا أمر محرم [٢] وإذا وعظهم انسان ، يسخرون به ويعدونه من أهل الجهالة والخسران ، نسأل الله العفو والعافية ، والمعافاة الدائمة والنعمة الوافية ، وأن يحفظنا والمسلمين من مخالفة الملة والدين . وفي ليلة الأربعاء التاسع عشر من رمضان المبارك توفي هذا المترجم عام الف وثلاثمائة وستة عشر رحمه الله تعالى .

---

(١) سورة آل عمران (الآية ٥٣) .

(٢) رأينا أناساً ممن ينتسبون إلى هذه الطريقة ، يحافظون على الصلوات ، ويجتنبون المحرّمات ، وعلمنا أن أناساً آخرين ، يرتكبون الفواحش والمنكرات ، وقد انقرض هؤلاء الإباحيّون أو قلّوا ، وسيلاقون ربّهم على ما عملوا .

الشيخ علي بن محمد القناوي المصري الشافعي الخلوتي

العالم الفاضل ، والحبر البحر الكامل ، صاحب الكشوفات والأحوال والثبات في طريق السادة الرجال ، والسياحات الطويلة ، والإرشادات الجليلة ، نشأ في طلب العلوم ، إلى أن صار يعتمد عليه في المنطوق والمفهوم ، ثم أخذ الطريقة الخلوتية عن العارف بالله شيخ الشيوخ في مصر محمد بن سالم الحفناوي الآخذ لها عن إمام أهل الوجدان السيد مصطفى البكري الصديقي الآخذ لها عن كعبة ذوي العرفان السيد الشيخ عبد الغني النابلسي. وكان المترجم المذكور يكرر التردد إلى زبيد وصنعاء اليمن وفي كل مرة يتلقونه بالإجلال والتكريم والمهابة والتعظيم ، ويجتمع عليه في كل ليلة من الخاص والعام ، جمعية كبرى مع معاملتهم بالأدب التام ، ويدخلون معه في حلقة الذكر ، مع اعتقادهم لولايته واخلاصه في السر والجهر ، ولقد اتفق له أنه وصل في بعض وفاداته إلى زبيد وأقام الذكر المذكور على الصفة المذكورة من اجتماع الناس بغاية الخضوع والانقياد والتسليم ، وكان عنده من يقف في الحلقة وينشد من كلام القوم بالنغمات الرائعة ، والحركات في الصوت الفائقة ، بحيث يغيب الإنسان عن شعوره ، ولا يفرق بين آصاله وبكوره ، بل تأخذه نشأة وجدانية ، وغيبة عرفانية ، وكان من جملة الحاضرين ، رجل من أكابر العلماء المتصوفين ، المشغولين بذكر الله ، المعرضين عما سواه ، فلما حدا الحادي وشدا ذلك الشادي ، ولم يكن ذلك الرجل من قبل قد عرف في الذكر طريقة الإنشاد ، فحينما سمع ذلك وقع في الأرض يرتعد أشد الارتعاد ، ولم يزل يبكي بكاء غزيراً ، حتى أحدث له ذلك رعافاً مسترسلاً كثيراً ، فكان ذلك سبب انعدامه ، وشربه كأس حمامه . قال صاحب التاج المكلل وقد اختلف العلماء في حكم النغم والغناء على أحد عشر قولا ، ومذهب

الإمام العلامة ابن حزم الظاهري الحل مطلقاً ، قال لأن التحريم لا يثبت إلا بنص صحيح صريح ولم أقف عليه ، وخالفه الجمهور ، والمسألة فيها رسائل مضبوطة مبسوطة من علماء المذاهب . انتهى كلامه ناقلاً عن النفس اليماني . ثم قال : والذي ترجح عند المحققين من أهل الحديث ان الذكر بالصفة المذكورة بدعة وأي بدعة ، وفيها من إساءة الأدب مع الله سبحانه والتشبه بالفرق الذين يذكرون الله في معابدهم على نغمات العود والوتر ما لا يقدر قدره ، فلم يثبت حديث واحد ولو ضعيفاً في جواز ذكر الله تعالى على هذه الصفة المشار اليها فلا خير فيه ولا أجر عليه ، بل هو ضرر محض ووزر صرف ، ومنكر واضح . نعم لا دليل على تحريم السماع من السنة فهو باق على أصله من الحل حتى يقوم دليل صحيح يدل على حرمته ودونه خرط القتاد ، ورحم الله القناوي أي المترجم المذكور فقد اجترأ جرأة عظيمة على فعل الذكر بهذه الصفة من الحادي وانشاد الأشعار مع كونه من أهل العلم المتارين ، وهذا الصنيع منه دليل على ان الإنسان لا يخلو من عصيان ، ولو بلغ من العلم والعمل نهاية الإمكان . هذا وقد نشر هذا المترجم هذه الطريقة على هذه الصفة بأمر شيخه الحفناوي في الآفاق ، فدخل خراسان وأطراف الهند والعراقين وصنعاء اليمن وغير ذلك من المحلات ، وهو في الجميع متلقى بالإعزاز والإكرام ، والقبول والاحترام ، وكلامه مقبول ، وعلى العيون والرؤوس محمول ، وكان حلو العبارة ، لطيف الإشارة ، لا يفتر في وقت من الأوقات ، عن الأخذ بنوع من أنواع العبادات ، وكان إذا تكلم في تفسير حديث أو آية قرآنية ، يتكلم من الفتح الإلهي والواردات العرفانية ، ثم قال : وعندي ان الذكر الإلهي ، والفكر القدسي لا يجتمعان مع شيء من البدعة ، وان اجتمعا كان ذلك من تلبيس ابليس ، وتدليسه لأهل التدريس ، ولهذا قال في النفس اليماني بعد المبالغة في الثناء عليه : وغير خاف ان الفقهاء لا سيما أهل مدينة ذمار ينكرون بعض ما يقع من طريقة

السيد المذكور انتهى . قلت : ولكن الحق معهم في ذلك وان قيل فيهم ما قيل انتهى كلام صاحب التاج المكلل .

أقول : لقد سقط التاج ، وتجاوز معتدل المنهاج ، إذا كان ما ثبت على قوله حديث واحد ولو ضعيفاً في جواز ذكر الله تعالى على هذه الصفة ، فليت شعري أين الحديث المثبت حرمة ذلك ومنعه ألم يدر أن الأصل في الأشياء الاباحة[1] فمن أين له هذا الإنكار ، وعلى أي مذهب استند من مذاهب الأئمة الأخيار ، والأغرب من ذلك دعواه ان السماع مباح ولكن وقوعه على الذكر ليس من الفلاح ، مع ان الذكر من أفضل مطلوب فهل اذا اقترن به الإنشاد المباح خرج عن دائرة المندوب ، وان اجتماع ذلك من تلبيس ابليس وتدليسه لأهل التدريس ، مع ان الحرمة لا تثبت إلا بدليل ذي رفعة وهو قد قال بأنه لا دليل على تحريم السماع من السنة فكيف يحكم بحرمته في الأذكار ، وعلى كل حال فهو كلام لا يلتفت اليه ، ولا يعول أهل الإنصاف عليه ، وان قاله كثير من الناس ، الواقعين في غفلة الالتباس ، ولو كان هذا المحل يحسن فيه اطالة الكلام ، وذكر أدلة المجوزين وابطال قول المعترضين لقمنا بواجب حق المقام ، خصوصاً وقد ملأت هذه المسألة بطون الدفاتر ، وقام ببيان حكمها كثير من السادات الأكابر ، خصوصاً في كتب الصوفية الفضلاء ، ذوي الكشف عن حقائق الأشياء ، فالأولى التسليم لذوي الكمال ، وعدم التعرض لهم بحال ، وإلا فاللائم مطرود ، وعن موائد الإكرام مبعود . توفي المترجم المرقوم سنة الف ومائتين وزيادة لم أقف على تعيينها .

---

(١) نعم ، إن الأصل في الأشياء الإباحة إذا كانت أموراً دنيوية ، ما لم يرد دليل على الحرمة كما يقول علماء الأصول ، ومن ذلك قوله تعالى : « قل لا أجد فيما أوحي إليّ محرما على طاعم يَطعمُه إلاّ أن يكون ميتة أو دما مسفوحا » الآية ١٤٥ من سورة الأنعام ، وأما الأمور الدينية فالأصل فيها المنع والحرمة حتى يرد النص بالإذن ، لأن الأولى من حق العباد ، والثانية من حق الله على عباده ، وقد أكمل المولى سبحانه دينه ، وأتم علينا نعمته ، ورضي لنا الإسلام دينا ، كما قال جل شأنه : « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام دينا » الآية ٣ من سورة المائدة .

الشيخ علي بن محمد بن علي الشوكاني

ولد يوم عاشوراء من محرم عام سبعة عشر ومائتين والف ، قال في البدر الطالع : هو حسن الفهم جيد التصور قوي الادراك . وكان لا يقول بالتقليد ، بل يعبد الله بالاجتهاد والأخذ من الدليل من غير تقييد بمذهب امام مجيد ، وله مطالعة في الكتب الحديثية ، والسنن المحمدية ولا يميل إلى سواها ، ولا يلتفت لما عداها ، ومن مؤلفاته : كتاب الدرة الفاخرة ، الشاملة سعادة الدنيا والآخرة ، وجمع فتاوى والده في مجلدين وسماه الفتح الرباني ، في فتاوى الشوكاني ، وهو مجموع مشتمل على أبحاث شريفة ، ورسائل مجموعة لطيفة ، ومسائل مفيدة ، ومذاكرات فريدة ، تتعلق بالفروع والأصول ، من معقول ومنقول [1] مات سنة الف ومائتين .

الشيخ علي بن محمد الشوكاني جد الشيخ علي المتقدم والد والده ترجمه بعضهم فقال :

هو والد قاضي القضاة الشيخ محمد بن علي الشوكاني وقد ترجمه في البدر الطالع ترجمة حافلة ، حسنة نافعة ، وأوصل نسبه الشريف بعد التنقيح الكامل ، والتصحيح الشامل ، أبا عن جد إلى سيدنا هود عليه السلام . وقال ان الشوكاني نسبة إلى شوكان اسم موضع . وبعد ما بسط الكلام ، في هذا المقام ، قال انه من قرية هجرة شوكان ، وهذه الهجرة قرية معمورة بأهل الفضل والصلاح ، والدين والفلاح ، ولهم عند سلف الأئمة

---

(١) ومن تصانيفه : تكميل الحجة والبيان ، في شرح بيتي إمام الزمان ، والقول الشافي السديد ، في نصح المقلد ، وارشاد المستفيد (عن هدية العارفين ، وإيضاح المكنون للبغدادي) وتوفي قبل سنة ١٢٥٠ (معجم المؤلفين) .

جلالة عظيمة ، ورئاسة في العلوم جسيمة ، منهم العلامة الحسين بن علي الشوكاني وأحمد بن سعيد الهبل ومحمد بن أحمد الهبل وحسن بن صالح الشوكاني وغيرهم . وقد برع في علم الفقه والفرائض وكان من بقية السلف الصالح في التفسير والحديث ، ودرس وأفتى وولاه الامام المهدي العباس ابن الحسين القضاء بالجهات الخولانية ، ثم اعتذر عنه فولاه القضاء بصنعاء . قال في البدر الطالع : ولقد كان رحمه الله من عجائب الزمن ، ومن عرفه حق المعرفة تيقن أنه من أولياء الله تعالى . توفي رحمه الله تعالى سنة ألف ومائتين واحدى عشرة .

الشيخ علي بن قاسم بن حَنَش وزير الامام المهدي

قال في التاج المكلل : ولد سنة ألف ومائة وثلاث وأربعين ، وسكن بصنعاء ، وهو من نوادر الدهر في جميع أوصافه ، وله في العلم حظ وافر ، وفي الأدب قدر باهر ، وقد رأى نفسه أميراً ، كما رآها فقيراً ، تارة في اليفاع [1] ، وتارة في أخفض البقاع ، ومن محاسن كلامه : الناس على طبقات ثلاث فالطبقة العليا العلماء الأكابر ، وهم يعرفون الحق من الباطل وان اختلفوا لم ينشأ عن اختلافهم فتنة لعلمهم بما عند بعضهم بعضاً ، والطبقة السافلة العامة وهم على الفطرة لا ينفرون عن الحق وهم أتباع من يقتدون به ان كان محقاً كانوا مثله وان كان مبطلا كانوا كذلك ، والطبقة المتوسطة هي منشأ الشر وأصل الفتن الناشئة في الدين ، وهم الذين لم يكبوا على العلم حتى يرتقوا إلى رتبة الطبقة العليا ، ولا تركوه حتى يكونوا من أهل الطبقة السافلة ، فانهم إذا رأوا أحداً من أهل الطبقة العليا يقول بقول لا يعرفونه مما يخالف عقائدهم التي أوقعهم فيها القصور ، فوّقوا

---

(١) اليفاع المكان المرتفع اهـ .

إليه سهام التقريع ، ونسبوه إلى كل قول شنيع ، وغيروا فطرة أهل الطبقة السفلى عن قبول الحق بتمويهات باطلة ، فعند ذلك تقوم الفتن الدينية على ساق انتهى . قال صاحب التاج : وقد صدق ، فان من تأمل ذلك وجده كذلك [١] مات رحمه الله تعالى عام تسعة عشر ومائتين والف .

السيد علي بن عبد الله بن احمد جلال الصنعاني

قال في التاج : ولد سنة تسع وعشرين ومائة وألف ، وقرأ على علماء صنعاء كصاحب البدر التمام والسيد عبد القادر الكوكباني . قال الشوكاني رحمه الله تعالى : برع في الحديث والتفسير وشارك في الفروع مشاركة قوية وتتبع الأدلة فعمل بها ولم يقلد أحداً ، وانتفع به الطلبة في جميع الفنون ، وأخذوا عنه جميع العلوم الميسرة للاجتهاد ، وفيهم من النبلاء جماعة كثيرون ، وهو من محاسن العصر ونوادر الدهر ، مكب على العلوم في جميع الأوقات قوي الحفظ سريع الفهم ، جعله مولانا الامام من جملة قضاة صنعاء وعظمه بما يستحقه ، بعد أن عَرَّفْتُهُ بجلالة مقداره وأشرتُ إليه بتوليته ، وقد

---

(١) قال الأستاذ الزركلي في الأعلام : علي بن قاسم حَنش الذيبيني ثم الصنعاني : فاضل ، من المشتغلين بالتاريخ . ولد في مدينة (ذيبين) باليمن ، وانتقل إلى حصن كوكبان ، وجال في البلاد اليمنية ، وحج ، ثم استقر في صنعاء ، وتوفي بها . كان المهدي العباسي يقرّبه ويرشحه الوزارة ، لعقله وفضله ، ثم سخط عليه فسجنه سبع سنين ، وأخرجه المنصور بالله علي بن العباس (سنة ١١٩٤ هـ) له تتمة تاريخ محسن بن الحسن ، وقد وصل هذا إلى سنة ١١٧٠ هـ فأتمه صاحب الترجمة إلى سنة ١١٨٩ هـ ذاكراً فيه الحوادث وبعض التراجم (نيل الوطر ج ٢ ص ١٥٠ والبدر الطالع ج ١ ص ٤٧٢) وفيه : اشتغل بتاريخ دولة الإمام المهدي العباسي بن منصور بن علي ، فأملى حوادثها من حفظه ، وشرع في تاريخ ولده المنصور بالله علي بن العباس ، فمات بعد الشروع في عمله .

دار بيني وبينه مباحثات نافعة ومراجعات جيدة واسعة ، ومطارحات أدبية ومذاكرات علمية ، وترافقنا في القراءة على شيخنا المغربي في الكشاف وفي شرح بلوغ المرام . توفي رحمه الله تعالى سنة الف ومائتين وأربعين انتهى ببعض تصرف .

أمير المؤمنين علي بن الامام المهدي العباس بن المنصور الحسين بن المتوكل

خليفة العصر ونتيجة الدهر ، تولى امارة اليمن بالعدل والانصاف ، وسار فيهم سيرة ذوي الكمال والعفاف ، وأفرغ عليهم حلة الأمان ، ورفع عنهم يد الظلم والطغيان ، وترجمه العلامة الشوكاني وأطال بما هو بعض صفات هذا الإمام المفضال ، وذكر في ضمنها بأنه بعد وفاة قاضي القضاة يحيى بن صالح السحولي عرض على العلامة الشوكاني تولية القضاء في مكان يحيى المرقوم فقال الشوكاني يذكر عبارة المترجم بنفسها ونص قوله : بينما كنت مشتغلاً بالتدريس في علوم الاجتهاد والإفتاء والتصنيف منزوياً عن الناس لا سيما أهل الأمر وأرباب الدولة ، فاني لا اتصل بأحد منهم كائناً من كان ، ولم تكن لي رغبة في سوى العلوم ، كنت أقرأ للطلبة في اليوم الواحد ثلاثة عشر درساً منها ما هو في التفسير كالكشاف وحواشيه ، ومنها ما هو في الأصول كالعضد وحواشيه والغاية وحاشيتها وجمع الجوامع وشرحه ، ومنها ما هو في المعاني والبيان كالمطول والمختصر وحواشيهما ، ومنها ما هو في النحو كشرح الرضي والمغني ، ومنها ما هو في الفقه كالبحر وضوء النهار ، ومنها ما هو في الحديث كالصحيحين وغيرهما ، مع ما يعرض من تحرير الفتاوى ويمكن من التصنيف ، فلم أشعر إلا بطلب من الخليفة بعد وفاة القاضي السحولي بنحو اسبوع ، فقصدت مقامه العالي فذكر لي أنه قد ترجح عنده وضعي في مقام المرحوم القاضي السحولي ، فاعتذرت إليه بما كنت

فيه من الاشتغال بالعلم ، فقال القيام بالأمرين ممكن ، وليس المراد إلا القيام بفصل ما يصل من الخصومات إلى ديوانه العالي في يومَيْ اجتماع الحكام فيه ، فقلت له ستقع مني الاستخارة لله والاستشارة لأهل الفضل ، وما اختاره الله فالخير فيه ففارقته ، وما زلت متردداً نحو اسبوع ، ولكنه وفَدَ إليّ كل من ينتسب إلى العلم في مدينة صنعاء ، وأجمعوا على أن الإجابة واجبة ، وإنهم يخشون أن يدخل في هـذا المنصب الذي إليه مرجع الأحكام الشرعية في جميع الأقطار اليمنية من لا يوثق بدينه وعلمه وأكثروا من هذا ، ووجهوا إليّ الرسائل المطولة بطلب القبول ، فقبلت مستعيناً بالله ومتوكلا عليه ، ولم يقع التوقف على مباشرة الخصومات في اليومين فقط ، بل استغرقت الدعاوى جميع الأوقات إلا قليلاً ، قد أفرغها للنظر في شيء من كتب العلم أو لشيء من التحصيل في تتميم ما كنت شرعت فيه ، واشتغل الذهن شغلاً كبيراً وتكدر الخاطر كدراً كثيراً ، ولا سيما وأنا لا أعرف الأمور الاصطلاحية في هذا الشأن ، ولم أحضر عند قاض في خصومة ولا في غيرهـــا ، بل كنت لا أحضر في مجالس الخصومة عند والدي رحمه الله تعالى من أيام الصغر فما بعدها ، ولكن شرح الله الصدور وأعان على القيام بحق الأمور . ثم إن الخليفة حفظه الله تعالى ما ترك شيئاً من التعظيم والاجلال إلا وفعله ، وكان يجلني اجلالاً عظيماً ، وينفذ حكم الشريعة على قرابته وأعوانه بل على نفسه . وفي رمضان سنة أربع وعشرين ومائتين والف توفي السلطان المذكور بدار الاسعاد ، وقمت إماماً عليه بالناس ، ووقعت البيعة لولده مولانا الامام المتوكل على الله أحمد بن المنصور في الليلة التي مات فيها الإمام ، وكنت أول من بايعه ، ثم كنت المتولي لأخذ البيعة له من إخوته وأعمامه وسائر أقاربه وجميع أعيان العلماء والرؤساء ، وكانت البيعة منهم في أوقات ،

والله المسئول أن يجعل فيه للمسلمين صلاحاً وفلاحاً انتهى كلامه . قال صاحب التاج المكلل :

ان الولاية ليس فيها راحة　　الا ثلاث يبتغيها العاقل
حكم بحق أو ازالة باطل　　أو نفع محتاج سواها باطل

سلكنا الله على الطريق المستقيم ، وهدانا لما يرضيه انه هو البر الرحيم .

وكانت وفاة المترجم المذكور قريباً من ألف ومائتين وثلاثين .

الشيخ علي بن حسين السقطي الدمشقي الصالحي

العالم النجيب ، والفاضل الأديب ، زبدة ذوي الكمال ، ونخبة أهل الصدق في الأقوال والأفعال ، ولد بصالحية دمشق سنة ثمان وعشرين ومائتين والف ونشأ بها ، وقرأ على عمه العلامة الشيخ عبد الغني السقطي وعلى والدي المرحوم الشيخ حسن البيطار وعلى الشيخ عبد الرحمن الطيبي وعلى الشيخ سعيد الحلبي وعلى الملا أبو بكر الكردي . وكانت عليه خطابة العمرية والتدريس والامامة [1] ، توفي سنة تسع وثمانين ومائتين وألف ودفن بقاسيون في مقبرة أسلافه .

الشيخ علي بن محمد سعيد بن عبد الله بن الحسين بن مرعي بن ناصر الدين الدوري الشافعي البغدادي المعروف بالسويدي

ولد سنة سبعين ومائة وألف ، وكان رحمه الله شيخ القراء والمحدثين ، وامام العلماء المتورعين ، السيد المفضال المتحلي بالأدب والكمال ، الصدر

(١) وقد أخذ عنه جماعة وانتفعوا به ، منهم الشيخ محمد التكريتي وغيره ، ومن أولاده : الشيخ سعيد والشيخ عبد القادر والشيخ عبد الوهاب اﻫ (من روض البشر للشطي) .

الرئيس العلامة البارع الناهج منهج سيد كل نبي شارع . انتفع به جل من كان في عصره ، واعترف الجميع بسمو مقامه وقدره . أخذ عن الشيخ العجلوني وأخذ هو عنه ، وأخذ كذلك عن والده الشيخ محمد سعيد ، وعن العلامة الشيخ عبد الرحمن الكزبري الكبير ، وعن السيد مرتضى الزبيدي [١] . مات رحمه الله سنة سبع وثلاثين ومائتين وألف .

علي بن عبد الرحمن بن علي بن موعي الطيبي الشافعي الدمشقي

ولد بعد المائتين والألف ، ونشأ في حجر والده وأخذ عنه ما عنده من العلوم ، حتى فاق عليه كما هو مشهور ومعلوم ، وتمكن في الآلات خصوصاً في علم الفلك والميقات ، والمساحة والحساب والمواريث ، والفقه

---

(١) ترجمه علاّمة العراق السيد محمود شكري الألوسي في كتابه « المسك الأذفر » المطبوع في بغداد سنة ١٣٤٨ قال ما ملخصه : كان أعلم أهل مصره في الحديث ، مع المشاركة التامة في سائر العلوم ، وكان له قوة حافظة وطلاقة لسان ، لا تكاد توجد في غيره من الاقران ، وكان حسن السيرة طاهر السريرة ، هيناً لينا ، تقياً نقيا ، محبوباً من الخواص والعوام . وقد نال مزيد القرب لدى الوزير الكبير ، سليمان باشا الصغير ، درّس ووعظ وأفاد ، وألّف مؤلفات ، منها : « العقد الثمين في العقائد » وقد طبع بمصر ، وهو أعظم مؤلفاته وأشهرها ، وكتاب في الرد على الإمامية ، ورسالة في الخضاب ، وكتاب في تاريخ بغداد ، و « سبائك الذهب ، في معرفة أنساب العرب » و « ذخر المعاد ، في معارضة بانت سعاد » و « الكوكب المنير ، في شرح المناوي الصغير » .

توفي بدمشق ، ودفن بسفح قاسيون . قال السيد محمود شكري : وقد أرخ وفاة المترجم ابن عمه الملاّ محمد سعيد السويدي بأبيات آخرها قوله :

مذ وسد اللحد نادانا مؤرخه   ان المدارس تبكي عند فقد علي

وأعقب صاحب الترجمة ولده العالم الفاضل صاحب المؤلفات الشيخ محمد أمين المتوفى في نجد (سنة ١٢٤٦) عائداً من الحجاز ، تغمدهما الله برحمته .

والتفسير والتوحيد والحديث [١] . مات في رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وألف ودفن في مقبرة سيدي ارسلان على جادة الطريق .

علي بن عثمان الطولقي من أعمال الجزائر

الشريف المشهور ، ذو العمل المبرور ، والسعي المشكور ، والأفعال الحسنة والأحوال المستحسنة ، مقدم الطريقة الشريفة الرحمانية القائم بوظائفها طبق السنة المحمدية ، ومربي المريدين على النهج القويم المتين ، مع الأعمال الصالحة والأفعال الناجحة ، والأطوار المستقيمة والأوراد المستديمة والأذكار المتوالية والرياضات المتتالية ، هذا هو الخليفة في الطريق والمرشد الكامل على التحقيق ، كيف لا وهو العالم العامل المتصف بأعلى الفضائل والشمائل . ولما كان فرد المعقول والمنقول وأوحد ذوي الفروع والأصول ، طلبه افتاء الناحية الشمالية من دائرة بسكره ، لأن يكون مفتياً بها لكمال علمه وإدراكه في فهمه ، وسخائه وجوده وشرف آبائه وجدوده ، لأنه من سلالة عائلة فضائلهم لاتحصى ، وهم من شرفاء الساقية الحمراء في المغرب الأقصى ، وكانت ولادته عام ألف ومائتين واثنين وثلاثين . وإنه من حين تمييزه التفت إلى جهة الكمال وتأدب بآداب أفراد الرجال ، وأخذ عن مشايخ زمانه إلى أن اشتهر في فضله وشأنه ، ولم يزل يسمو وقدره ينمو ، الى أن خطبته المنية عام ألف وثلاثمائة وستة عشر عن أربع وثمانين سنة رحمه الله تعالى .

---

(١) كان والده يقول : فاقني ولدي في سائر العلوم سوى علم الفقه ، وقد أفتى ودرس باذن والده وأشياخه ، وانتفع به الطلبة . وكانت وفاته في حال حياة والده المنوه به ، في رجب سنة خمس وخمسين ومائتين والف ، عن تسع وثلاثين سنة . وقد أعقب المترجم ولديه العلامة الشيخ محمد مفتي حوران المتوفى سنة ١٣١٧ والشيخ محمود الفرضي الشهير المتوفى سنة ١٣٣٠ رحمهم الله تعالى (عن ولد حفيده الأستاذ عمر الطيبي) .

الشيخ علي بن عمر بن أحمد بن عمر بن ناجي بن فنيش العوني البهي الشافعي المصري

الإمام الفاضل الفالح والهمام الناسك الصالح القانع المتجرد والتقي المتعبد . ولد بالمنية إحدى قرى مصر وأول من قدمها جده فنيش ، وكان مجذوباً من بني العونه العرب المشهورين بالبحيرة ، فتزوج بها . وحفظ المترجم القرآن وقدم الجامع الأزهر وجوده على بعض القراء ، واشتغل بالعلم على مشايخ عصره ، ونزل طندتا ودرس العلم بالمسجد المجاور للمقام الأحمدي ، وانتفع به الطلبة وآل به الأمر الى أن صار شيخ العلماء هناك ، وتعلم غالب من بالبلد علم التجويد منه ، وهو فقيه مجود ماهر حسن التقرير جيد الحافظة ، يحفظ كثيراً من النقول الغريبة [١] وفيه أنس وتواضع وتقشف وانكسار . وكان كفيف البصر لا البصيرة ، وورد مصر أيضاً في المحرم من سنة وفاته ، ثم عاد إلى طندتا وتوفي بها في ثاني عشر ربيع الأول ، ولم يمرض كثيراً ، وذلك سنة أربع ومائتين وألف ، ودفن بجانب قبر سيدي مرزوق من أولاد غازي في مقام مبني عليه ، رحمه الله تعالى ونفعنا به .

الامير علي بن عبد الله الرومي ثم المصري مولى الامير أحمد كتخدا صالح

الأمير المبجل والنبيه المفضل ، قال الجبرتي : اشتراه سيده صغيراً وأقرأه القرآن وبعض متون الفقه ، وتعلم الفروسية ورمي السهام ، وترقى حتى عمل خازندار [٢] عنده ، وكان بيته مورداً للأفاضل ، فكان يكرمهم

---

(١) له « الرقائق المنظمة ، على الدقائق المحكمة » و « هداية الصبيان ، لفهم بعض مشاكل القرآن » عن الجبرتي وغيره .

(٢) وكيل الخزينة .

ويحترمهم ويتعلم منهم العلم ، ثم أعتقه وأنزله حاكما في بعض ضياعه ، ثم رقاه إلى أن عمله رئيساً في باب المتفرقة ، وتوجه أميراً على طائفته صحبة الخزينة إلى الأبواب السلطانية مع شهامة وصرامة ، ثم عاد إلى مصر ، وكان ممن يعتقد في شيخنا السيد علي المقدسي ويجتمع به كثيراً ، وكان له حافظة جيدة في استخراج الفروع . وأتقن في رمي النشاب الى أن صار أستاذاً فيه وانفرد في وقته في صنعة القسي والسهام والدهانات ، فلم يلحقه أهل عصره .

ثم ان المترجم حصل له ضرر بعينيه فعالجها كثيراً فلم يفد فصبر واحتسب ، ومع ذلك فيرد عليه أهل فنه ويسألونه فيه ويعتمدون على قوله ويجيد القسي تركيباً وشدا ، ولقد أتاه وهو في هذه المضرة رجل من أهل الروم اسمه حسن فأنزله في بيته وعلمه هذه الصنعة ، حتى فاق في زمن قليل أقرانه ، وسلم له أهل عصره ، وحينئذ طلب منه أن يأذن له فيها ، واجتمع أهل الصنعة في منزله لحضور هذا المجلس ، فأرسل إلى السيد محمد مرتضى الزبيدي شارح القاموس ، وطلب منه أن يكتب له شيئاً يناسب المجلس ، فكتب عن لسانه ما نصه :

الحمد لله الذي علم الإنسان ما لم يعلم ، وهدى بفيض فضله إلى الطريق الأقوم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأكرم ، الناصر لدين الحق بالسيف والسنان المقوم ، وعلى آله وصحبه ما رمى مجاهد في سبيل الله سهما وإلى الجنة تقدم . أما بعد فيقول الفقير إلى الله تعالى علي بن عبد الله مولى المرحوم أحمد كتخدا صالح غفر الله ذنوبه وستر عيوبه ، ورحم من مضى من سلفه وجعل البركة في عقبه وخلفه . اعلموا اخواني في الله ورسوله ان كل صنعة لها شيخ واستاذ وقالوا صنعة بلا أستاذ يدخلها الفساد ، وان صنعة القوس والنشاب بين الأقران والأصحاب على مر الأحقاب شريفة ،

وطريقة بين السلف والخلف مقبولة منيفة ، إذ بها تعمير باب الجهاد ، وفتح قلاع أهل الكفر والفساد . وقد أمر الله نبيه ﷺ في الكتاب بإعداد القوة ، وفسر ذلك برمي النشاب حيث قال جل ذكره « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم »[١] وروى مسلم في صحيحه عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول في تفسير هذه الآية ، ألا ان القوة الرمي فكرره ثلاث مرات ، وذلك زيادة لبيانه وتفخيما لشانه ، والأمر من الله يقتضي الوجوب ، وهو فرض كفاية على المسلمين لنكاية أعداء الدين ، وثبت أن رسول الله ﷺ رمى بالقوس وتقلد بالسيف وطعن بالرمح ، وكانت عنده ثلاث قسي معقبة تدعى بالروحـاء وقوس من شوحط تدعى البيضـاء وأخرى تسمى الصفراء ، وثبت ان كل شيء يلهو به المؤمن باطل إلا ثلاثاً ، فذكر احداهن الرمي بالقوس ، وفي الأخبار الصحيحة ان الله تعالى ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صانعه المحتسب فيه الخير والرامي به والممد له ومنبله ، فارموا واركبوا ولأن ترموا أحب إليّ من أن تركبوا . وروى البخاري عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنـــه ان رسول الله ﷺ مر على نفر من أسلم ينتضلون فقال ارموا بني اسماعيل فإن أباكم كان راميا . وورد في فضـل الرمي أحاديث كثيرة ، منها في صحيح مسلم عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من تعلم الرمي ثم تركه فليس منا وقد عصى . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من تعلم الرمي ثم نسيه فهي نعمة سلبها . وروى النسائي عن عمرو ابن عقبة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من رمى بسهم

---

(١) الأنفال (الآية ٦٠) .

في سبيل الله بلغ العدو أو لم يبلغ كان له كعتق رقبة . وصح ان النبي ﷺ كان يخطب وهو متكىء على قوس ، وجاء جبريل عليه السلام يوم أحد وهو متقلد قوساً عربياً ، ويروى عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ من اتخذ قوساً عربياً نفى الله عنه الفقر . والأحاديث في ذلك كثيرة ، وفي الكتب شهيرة . وقد ثبت ان أول من رمى بالقوس العربية آدم عليه السلام نزل جبريل عليه السلام من الجنة وبيده قوس ووتر وسهمان فأعطاها له وعلمه الرمي بها ، ثم صار إلى ابراهيم عليه السلام ثم صار إلى ولده اسماعيل عليه السلام وإليه ينتهي اسناد شيوخ هذا الفن .

ولما كان الأمر كذلك رغبه الراغبون في صنعة القسي واجتهدوا في تركيبها وأبدعوا في اتقان السهام التي يرمى بها ، امتثالاً لأمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ ، واسعافاً لاخوانهم المسلمين من الغزاة والمجاهدين ، وكان من بينهم الرجل الكامل الحسن السمت والشمائل ، حسن بن عبد الله مولى علي ، قد طال اجتهاده في هذه الصنعة من مد القوس واطلاقها والاختلاس وحمل الأوتار والجلة [١] والكشتوان وفرض سية القوس من سائر أنواعها العربية والمعقبية والواسطية والخراسانية والشامية ، وما يتعلق بها من تنجير الخشب وتركيبه ، ونشر اللحام وتوقيعه ، والتوقيع والحزم والرقع والتنوير والدهان مما عليه عمل الأستاذين من سالف الزمان ، فلما رأيت منه هذا الإتقان في صنعته والإذعان بحسن معرفته ، والاحكام مع التفقه في سائر الأوقات لأصول صناعته ، صدرت مني هذه الإجازة الخاصة له بشهادة الإخوان في هذه الصنعة الشريفة البيان [٢] ، كما أجازني به الشيخ

(١) جِلّة : حزمة صغيرة من الخيوط والوتر .

(٢) كانت هذه الصنعة في تلك العهود من قسيّ ونشّاب ومنجنيق من الآلات التي تُرمى بها القذائف من أجلّ الصناعات وأكملها ، ولكن الرماة في عهدنا هم الذين يحسنون رمي القذائف النارية من أدوات الحرب في القرن العشرين ، كالدّبابات والمصفحات والرشاشات ، وتتبعها الطائرات الحربية والمدفعية الثقيلة ، للدفاع عن الأوطان ، ولحماية السكان ، من الأذى والعدوان .

الصالح الكامل الماهر البارع المرحوم عبد الله افندي بن محمد البسنوي ، بحق أخذه لذلك عن شيخه المرحوم الحاج علي الالباتي ، عن شيخه محمد الاسطنبولي ، بإسناده المتصل إلى عبد الرحمن الفزاري ، والإمام صاحب الاختيار مؤلف الايضاح المعروف بالطبري ، بحق أخذهما عن أئمة هذا الفن المشهورين طاهر البلخي واسحاق الرفاء وأبي هاشم البارودي ، بأسانيدهم المتصلة عن شيخ إلى شيخ إلى أن ينتهي ذلك إلى سيدنا اسماعيل عليه الصلاة والسلام ، وحسبك من علوّ سند ينتهي إلى هذا الإمام.
وأوصيه كما أوصي اخواني ونفسي المخالطة بالأدب الجميل ، وتواضع النفس وحملها على مكارم الأخلاق ، وأن لا يرفع نفسه على أحد ، وأن لا يحقر أحداً من خلق الله ، وأن يجعل دأبه لزوم الصمت والادمان ، والقناعة بالقليل مع المداومة على ذكر الله بالسكينة والوقار ، وأن يسمي الله في أول مسكه في صنعته ، ويستمد من الله القوة والحول ولا يضجر ، ولا ييأس من روح الله ، ولا يسب نفسه ولا قوسه ولا سهامه ، ولا يحدث نفسه بالعجز فانه يصل إلى ما وصل إليه غيره فان الرجال بالهمم ، ففي الحديث : « المؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير » وأن يديم النظر إلى معرفة العيوب العارضة للقسي والسهام وعقد الأوتار ، ويتعاهد لذلك وكيفية إزالة العيب ان حدث ، وأن لا يبيع سلاح الجهاد لكافر ، ويفتش دين من يشتري ان كان رجلاً ، أو صبياً فيحتاج ذلك إلى اذن والده ، فاذا علم اسلامه ووثق به فيأخذ عليه العهد أن لا يرمي به مسلماً ولا معاهداً ، ولا كلباً ولا شيئاً من ذوات الأرواح إلا أن يكون صيداً أو ما يجب به قتله ، وأن لا يعلم صنعته إلا لأهله الذي يثق بدينه ، فقد روى أنه لا يحل منع العلم عن مستحقه ويجب اعطاؤه بحقه ، لا سيما إن كان عارفاً بقدر العلم راغباً فيه طالباً

لوجه الله تعالى ، لا للمباهاة والمفاخرة ، ويجب عليه أن يروض تلامذته ويؤلف بينهم ويحرضهم على العمل ، ولا يعاتبهم إلا في خلوة ، وهو مع ذلك لازم الهيبة كثير السكوت متأنّ في الأمور غير عجول للجواب ، والتقوى أصل كل شيء وهو رأس مال الانسان .

ونختم الكلام بالحمد والثناء للرب المالك المنان ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد ولد عدنان ، وعلى آله وصحبه الأعيان انتهى .

وسمع المترجم على السيد المرتضى المذكور أكثر الصحيح بقراءة كل من الشريفين الفاضلين سليمان بن طه الاكراشي وعلي بن عبد الله بن أحمد ، وذلك بمنزله المطل على بركة الفيل ، وكذلك سمع عليه المسلسل بالعيد بشرطه ، وحديثين مسلسلين بيوم عاشوراء تخريج السيد المذكور . وأشياء أخر ضبطت عند كاتب الأسماء ، وأخذ الإجازة من الشيخ اسماعيل بن أبي المواهب الحلبي ، وكان عنده كتب نفيسة في كل فن من الفنون ، وكان لطيفاً رقيقاً حسن المعاشرة . مات سنة خمس ومائتين وألف رحمه الله تعالى .

السيد علي البكري المصري

قال الإمام الجبرتي ما ملخصه : كان مجذوباً أقام سنين متجرداً ويمشي في الأسواق عرياناً ويخلط في كلامه ، وبيده نبوت طويل يصحبه معه في غالب أوقاته ، وكان يحلق لحيته . وللناس فيه اعتقاد عظيم وينصتون إلى تخليطاته ، ويوجهون ألفاظه ويؤولونها على حسب أغراضهم ومقتضيات أحوالهم ووقائعهم .

وكان له أخ من ذوي الكمال فحجر عليه في داره ومنعه من الخروج ، وألبسه ثياباً ورغب الناس في زيارته ، وذكر مكاشفاته وخوارق كراماته ،

فأقبل الناس عليه من كل ناحية وترددوا لزيارته من كل جهة ، وأتوا إليه بالهدايا والنذور وجروا على عوائدهم في التقليد ، وازدحم عليه الخلائق خصوصاً النساء ، فراج بذلك أمر أخيه واتسعت دنياه ، ونصبه شبكة لصيده ، ومنعه من حلق لحيته فنبتت وعظمت ، وسمن بدنه وعظم جسمه من كثرة الأكل والراحة ، وقد كان قبل ذلك عريانا شقيانا تعبانا ، غالب لياليه بالجوع طاويا من غير أكل ، بالأزقة في الصيف والشتاء ، وقيد به من يخدمه ويراعيه في منامه ويقظته ، وقضاء حاجته ، ولا يزال يحدث نفسه ويخلط ألفاظه وكلامه ، وتارة يضحك وتارة يشتم ، ولا بد من مصادفة بعض الألفاظ لما في نفس بعض الزائرين وذوي الحاجات ، فيعدون ذلك كشفاً واطلاعاً على ما في نفوسهم ، ولا يبعد أن يكون كذلك لأنه كان من المجاذيب المستغرقين .

وسبب نسبتهم إلى البكري أنهم كانوا يسكنون بسويقة البكري لا أنهم من البكرية ، ولم يزل هذا حاله حتى توفي سنة سبع ومائتين وألف ، واجتمع الناس لجنازته من كل جهة ، ودفنوه بمسجد الشرايبي بالقرب من جامع الرويعي ، وعملوا على قبره مقصورة [١] ومقاماً يقصد للزيارة نفعنا الله بعباده الصالحين .

الشيخ علي بن محمد الاشيولي الشافعي المصري

العالم الهمام والفاضل عمدة العلماء الأعلام ، حفظ القرآن والمتون واشتغل بالعلم ، وحضر الدروس وتفقه على أشياخ الوقت ، ولازم الشيخ عيسى البراوي ، ومهر في المعقول وأنجب وتصدر ودرس ، وانتظم في

(١) ما كان ينبغي أن يدفن في المسجد ، بل في مقبرة المسلمين كغيره ، ويزار كما يزار سائر الأموات ، ويدعى له بالدعاء المأثور لأهل القبور .

سلك الفضلاء والنبلاء ، وصار له ذكر وشهرة ووجاهة . وحدثته نفسه بمشيخة الأزهر ، وكان بيده عدة وظائف وتداريس مثل جامع الآثار والنظامية ، ولم يزل حتى تعلل ، وتوفي سنة إحدى عشرة ومائتين والف ، انتهى من الجبرتي ملخصا .

الشيخ علي المعروف بالخياط الشافعي الأزهري

الشيخ الإمام العمدة الهمام ، الفقيه الصالح النبيه الفالح . حضر أشياخ الوقت وتفقه على الشيخ عيسى البراوي ولازم دروسه وبه تخرج ، واشتهر بالعلم والصلاح ، وأقرأ الدروس الفقهية والمعقولية وانتفع به الطلبة ، وانقطع للعلم والإفادة . ولما وردت ولاية جده محمد باشا توسون طلب إنساناً معروفاً بالعلم والصلاح ، فذكر له الشيخ المترجم ، فدعاه اليه وأكرمه وواساه وأحبه وأخذه صحبته إلى الحجاز وتوفي هناك سنة ثماني عشرة ومائتين والف .

الشيخ علي النجاري (١) المعروف بالقباني الشافعي مذهباً المكي مولداً

الإمام العمدة المحقق والهمام النخبة المدقق ، والفاضل العامل والزبدة الكامل . وهو ابن أحمد تقي الدين بن السيد تقي الدين ، ينتهي نسبه إلى أبي سعيد الخدري ، وهو سعد بن مالك بن دينار بن تيم الله بن ثعلبة البخاري أحد بطون الخزرج وينتهي نسب أخواله إلى السيد أحمد الناسك ابن عبد الله بن ادريس بن عبد الله بن الحسن الأنور بن سيدنا الحسن السبط رضي الله تعالى عنه .

---

(١) في الأعلام كما هنا (النجّاري) نسبة إلى بني (النجّار) من الخزرج ، وفي معجم المؤلفين (البخاري) مع أنه قال في ترجمته : (المدني الأصل) ج ٧ ص ١٢ .

ولد المترجم بمكة سنة أربع وثلاثين ومائة والف ، وقدم إلى مصر مع أبيه وأخيه السيد حسن سنة إحدى وسبعين ومائة ، فليلة وصولهم مرض أخوه المذكور وتوفي صبح ثالث يوم ، فجزع والده لذلك جزعاً شديداً وتشاءم ، وعزم على السفر إلى مكة ثانياً ، ولم يتيسر له ذلك إلاّ أواخر شوال من السنة المذكورة ، وبقي المترجم واشتغل بتحصيل العلوم وشراء الكتب النافعة واستكتابها ، ومشاركة أشياخ العصر في الإفادة والاستفادة ، مع مباشرة شغل تجارتهم من بيع الإرساليات التي ترد اليه من أولاد أخيه من جدة ومكة ، وشراء ما يشتري وإرساله لهم ، إلى أن تمرض وانقطع ببيته الذى بخطة عابدين قريباً من الأستاذ الحنفي ، سنة تسع ومائتين . وكان عالماً ماهراً وأديباً ناثراً شاعراً ، تخرج على والده وعلى غيره بمكة ، وعلى كثير من أشياخ العصر المتقدمين ، كالشيخ العشماوي والشيخ الحفني والشيخ العدوي وغيرهم ، وتخرج في الأدب على والده وعلى الشيخ علي بن تاج الدين المسكي وعلى الشيخ عبد الله الادكاوي وغيرهم .

وله مؤلفات : منها نفح الاكام على منظومته في علم الكلام ، ومنها تقريره على الرملي وهو مجلد ضخم ، ومنها شرح بديعيته التي سماها مراقي الفرج في مدح عالي الدرج ، وله ديوان شعر صغير غالبه جيد وكان في مدة انقطاعه لا يشتغل بغير المطالعة وتحصيل الكتب الغريبة ، وقيد ولده السيد سلامة باشغال تجارتهم ، وولده السيد احمد بملازمته واستماعه فيما يريد مطالعته ، وكانت داره في غالب الأوقات لا تخلو من المترددين ، إلى أن توفي ليلة السابع والعشرين من رجب سنة إحدى وعشرين ومائتين والف ، وعمره سبع وثمانون سنة وصلي عليه في الأزهر ودفن بمقبرة أخيه بباب الوزير ، وتأسف عليه الناس لكرمه وعلمه وزهده وورعه ولين جانبه ولطافته وكثرة حب الناس له ، رحمة الله عليه .

الشيخ علي الحصاوي الشافعي الازهري نسبة الى بلدة بالقليوبية تسمى الحصة

الإمام العلامة الفقيه النحوي الأصولي النبيه ، حضر إلى الجامع الأزهر صغيراً وحفظ القرآن والمتون ، وحضر دروس الأشياخ ذوي القدر المصون ، كالشيخ علي العدوي الشهير بالصعيدي والشيخ عبد الرحمن النحريري الشهير بالمقري ولازم الشيخ سليمان الجمل وبه تخرج ، وحضر على الشيخ عبد الله الشرقاوي مصطلح الحديث ، وكان يحفظ جمع الجوامع مع شرحه للجلال المحلي في الأصول ومختصر السعد ، ويقرأ الدروس ويفيد الطلبة ، وكان إنساناً حسناً مهذباً متواضعا ، ولا يرى لنفسه مقاما ، عاش معانقاً للخمول في جهد وقلة من العيش مع العفة وعدم التطلع لغيره ، صابراً على مناكدة زوجته ، وأصيب بداء الفالج وانقطع بسببه عن الدروس أشهرا ، ثم انجلى عنه يسيراً مع سلامة حواسه ، وعاد إلى الإقراء والإفادة ، ولم يزل على حسن حاله ورضاه وانشراح صدره وعدم تضجره وشكواه للناس ، إلى أن توفي في شهر جمادى الثانية سنة إحدى وثلاثين ومائتين والف .

الشيخ علي المعروف بأبي زكريا البولاقي الازهري الشافعي

الورع الفقيه والزاهد النبيه ، علم العلماء وراية الفضلاء ، كان ملازماً لإقراء الدرس ببولاق ، ويأتي الى الجامع الازهر في كل يوم يقرأ الدروس ويفيد الطلبة ، ويرجع إلى بولاق بعد الظهر . وكان له حمار يركبه ، فلما مات حماره صار يأتي ماشيا ، ولم يتخلف عن عادته إلى أن تعوض عنه غيره ، وكان متواضعاً ذليــلا خاشعا ، لا يرى لنفسه قدراً ولا يترك شيئاً ولا يفعله ترفعاً وكبرا ، ناهجاً منهج السنة مربياً لنفسه إلى أن عادت مطمئنة ، توفي يوم الخميس ثامن شهر ذي القعدة سنة الف ومائتين واثنتين وثلاثين .

الشيخ علي افندي بن ابي الفضائل الشيخ علي افندي العمري الفاروقي

كان عالماً أديباً وشاعراً لبيبا ، وفاضلا اماماً وسيداً هماما .

ولد سنة ثمانين ومائة والف ، قال السيد عبد الباقي افندي العمري : لما حاولت الاطلاع في أثناء مطالعتي بعد إمعان النظر واعمال الفكر ، بكتاب الروض النضر ، في ترجمة أدباء العصر ، المنسوب لحضرة عم والدي المرحوم عثمان عصام افندي الدفتري بن أبي الفضائل علي افندي العمري ، على ما يعجبني فيطربني ، فما وقفت على أجمل وأحسن وألطف وأرق وأجزل وأبلغ وأفخم وأدق من هـذه المقطوعة العلية الشان ، عند أرباب هذا الشان ، التي ذكرهـا في ترجمة صنوه وشقيقه المبرور ، علي افندي سليل المذكور أبي الفضائل ، فما ترك بها قولا لقائل وهي قوله :

طرة النهر سرحتها النسائم ... وعلت منبر الغصون الحمائم
ساجلتهـا بلابل الدوح حتى ... شق ورد الربا جيوب الكمائم
ما ترى الشرق سل مرهف فجر ... قد تعرّى براحة الأفق قائم
وسطا في الظلام حتى تبدى ... فلقـاً فالدماء فيه علائم
فاختلس فرصة الزمان بروض ... يضحك الزهر من بكاء الغمائم
وتنبه لساعة الأنس وانهب ... صفوة العيش واطرح كل لائم
واجتلي كأس مبسم من غزال ... بابلي اللحاظ حلو مـلائم
مائس العطف كلما راح يخطو ... وده الصب فوق جفنيه دائم
ذي دلال تمهد الحسن حتى ... قلدتـه زهر النجوم التمائم
نفثت مقلتاه سحراً فأمسى ... كل صب محلول عقد العزائم
وعلى غصن قـده كم تمنى ... طائر القلب لو غدا فيه حائم
جال ماء الجمال في روض خد ... فيه إنسان مقلتي ظل عائم

لا تلمني إن سمته بيع روحي فعلى كل حالة أنـــا سائم
فسقى الله ملعبا قد تقضى حادث الدهر كان لي عنه نائم
بعتاب ارق من خـد ورد نبهت جفنه أيادي النعـــائم

وله قصائد وأشعار ، أرق من نسمات الأسحار . توفي رحمه الله تعالى سنة الف ومائتين وأربع وأربعين .

السيد علي الخزام بن حسين برهان الدين بن عبد العلام بن عبد الله شهاب الدين المبارك بن السيد محمود الصوفي الصيادي الرفاعى

كان رجلا تقياً صالحاً نقياً ، خاشعاً عابداً متواضعاً زاهداً ، كريم الطبع علي القدر لين الجانب رحب الصـدر ، مقبلاً على الطريق اقبال الشفيق على الشقيق .

ولد رحمه الله ورضي عنه وارضاه ، سنة ست وثلاثين ومائة والف ، ونشأ في حجر والده وقد لاحظته عين العنـاية والعطف ، وبعد موت والده علا قدره وعظم أمـــره بين الناس واعتقدوه وحصل لهم به كل إيناس ، وجذبته يد العناية وأكرمه الله بالولاية ، ورزقه الكشف والتمكين والقوة واليقين ، والتصرف الخارق والسر البـارق . توفي رحمه الله سنة سبع وأربعين ومائتين والف ودفن بمقبرة خان شيخون .

الشيخ علي بن ابراهيم الإمام

الإمام الفاضل والسميدع الكامل ، قطب العلوم ومحور المنطوق والمفهوم . قال صاحب التاج المكلل : لا أعلم أنه غضب قط ولا خاصم في شيء منذ عرفته إلى أن مات ، وليس له نظير في حفظ الأشعـــار لأهل الجاهلية والإسلام الأخيار ، وكتب من نفائس الكتب بخطه شيئاً كثيراً ، وكنت

أعجب من سرعة مايتحصل له من ذلك مع شغله بالتدريس ، فسألته في بعض الأيام عن ذلك ، فقال إنه لايترك النسخ يوماً واحـــداً ، وإذا عرض له مايمنع فعل من النسخ شيئاً يسيراً ولو سطراً واحداً أو سطرين فلزمت قاعدته هذه ، فرأيت في ذلك منفعة عظيمة انتهى . مات المترجم المذكور سنة سبع ومائتين والف رحمه الله تعالى .

الشيخ علي بن ابراهيم حفيد صاحب سبل السلام

ذكر له الشوكاني ترجمة حسنة وقال : له مصنفات ، منهـــا « السر المصون في نكتة الإظهار والإضمار » ولد سنة الف ومائة وإحدى وأربعين ونشأ من أول أمره على الطـــاعة والعبادة والتقوى والزهادة ، وله في التصوف اليد العالية والمعارف السامية ، ودأب على السلوك في أول أمره إلى أن حصل على مطلوبه وحـــاز على مرغوبه . وكان له في الوعظ أسلوب حسن له في القلوب تأثير يسري على الكبير والصغير . توفي رحمه الله عام الف ومائتين وثلاثة عشر .

القاضي علي بن احمد بن عطية من علماء الزمار

قال صاحب التاج المكلل : ولد عام الف ومائتين وثمانية . قال العلامة الشوكاني : له ميل إلى العمل بالأدلة وفهم ثاقب وادراك تام . مات في ذمار سنة الف ومائتين واثنتين وخمسين .

الشيخ علي بن اسماعيل فهمي

عالم عامل وزاهد فاضل ، قال صاحب التاج : كان من علماء صنعاء من تلامـــذة احمد قاطن وغيره ، بارع الذكاء فائق بين النبلاء ، جيد

الادراك حسن الأخلاق ، كريم الصحبـــة . كان له معرفة تامة بغرائب المسائل . قال الشوكاني : وكان مجتهداً يميل إلى الدليل ، ولا يعمل إلا بمقتضى السنة والتنزيل . مات سنة الف ومائتين وثلاث وعشرين .

السيد علي بن اسماعيل من نسل الإمام المتوكل على الله

كان من أكابر العلماء وأحاسن الفضلاء ، قال الشوكاني : وفد إلى صنعاء وسمع مني رسالتي المسماة « الدر النضيد في اخلاص التوحيد » وكذلك حضر معنا في قراءة مؤلفي المسمى « إتحاف الأكابر باسنـاد الدفاتر » وكَتَبَ المؤلَّفَيْنِ بخطه ، وبالجملة فقد دار بيني وبينه من المساجلات الأدبية والمكاتبات الشعرية ، مايكثر سرد بعضه ، وقد رقمت بعض ذلك في مجموع شعري ، مات سنة الف ومائتين وتسع وعشرين رحمه الله تعالى .

الشيخ علي خضري الدمشقي

كان من الأولياء الصالحين وأهل الكرامـات الناجحين ، وللناس به اعتقاد جميل وكانوا يحلونه لمحبته كل محل جليل ، ولد بقـــرب الألف والمائتين ، ونشأ على أحسن حال وأتم منوال ، تسعى الناس إليه ويتبركون بلثم يديه ، وكثيراً مايتكلم بالكلام ، وكل من كان حاضراً يحمل كلامه على ماقصده من مصلحته ورام ، وربما أن سألوه أجاب ولم يخطيء الواقع والصواب ، ولم يزل مقبولاً معروفاً لامجهولاً ، مقصوداً في قضاء المآرب من كل ناحية وجانب ، إلى أن توفي سنة الف ومائتين وستين تقريباً ، ودفن في زاويته المعروفة به على جادة طريق سويقة ساروجـا ، وقبره بها مشهور معروف والتبرك به كثير مألوف ، مقصود للزيارة رحمه الله رحمة واسعة على ممر الأوقات والساعات .

الشيخ على افندي الحسيبي

ولد سنة الف ومائة وخمس وخمسين ، ونشأ ناهجاً منهج الكمال إلى أن بلغ أوج الاعتدال ، وكان عالماً لطيفاً فاضلاً شريفاً ، من أكابر الأعيان ذوي القدر والشان . مات رحمه الله سنة اثنتين وأربعين ومائتين والف ، ودفن في مقبرة الدحداح وكتب على قبره :

حَسْبُ الحسيبي الانْتِمَاء لمن غدا — يغدو شفيع المنتمي والأجنبي
لا سيا وهو السمي لجده — صنو النبي الهادي علي المنصب
بوفاته وافته رحمة ربه — وحباه مولاه الرضى مع من حبى
مذ للبقا الداعي دعاه مؤرخا — جنات عدن قد زهت بابن النبي[1]

الشيخ علي الشهير بالطحان الازهري المصري

قال الجبرتي : الإمام العلامة الفقيه ، النحوي الاصولي الجدلي ، النحرير الفصيح المتقن المتفنن حضر شيوخ العصر ، ولازم الشيخ الملوي والجوهري ، وكان معيد الدروس الأخير وبه تخرج ، وكان يقرأ الكتب ويقرر الدروس بدون مطالعة ، إلا أنه كان يغلب عليه الملل والسآمة وحب البطالة غالب أيامه ، ولا يتعفف عن الدنيا من أي وجه كان ، ويطلبها وإن قلت ، وكانت سليقته جيدة في النثر والنظم .

---

(١) بعد أن نقل الأستاذ الشطي هذه الترجمة ، وعزاها الى الأستاذ الجد ، وصلها بقوله : قلت إن صاحب الترجمة هو ابن القاضي الأديب السيد محمد العطار ، ووالد الوجيه الكبير احمد افندي الحسيب ، وقد كان المترجم يتولى النيابات في محاكم دمشق ، ويوقع على وثائقها هكذا : (علي حسيب) كما رأيت ذلك بخطه الحسن ، فاشتهار أسرته الآن بالحسبي ، إنما هو بالنسبة إليه ، وعلى كل حال فان لهم فضيلة ووجاهة ، وبيتهم من بيوت دمشق المعروفة ، وقد عرف المترجم شعر نوه به السيد كمال الدين في تذكرته ، كما سبق لوالده نظم أشار إليه المولى خليل افندي المرادي في تاريخه ، رحمهم الله تعالى أجمعين ا هـ باختصار من (روض البشر) .

وله منظومة في الفقه ، ومنظومة في المنطق ، ومنظومتان في التوحيد كبرى وصغرى ، ومنظومة في العروض ، ومنظومة في البيان ، ومنظومة في الطب ، وله لاميتان على محاكاة لامية ابن الوردي كبرى وصغري ، وحاشية على شرح الملوى على السمرقندية . توفي في أواخر شعبان سنة سبع ومائتين والف .

الشيخ علي الحصاوي الشافعي المصري الازهري

الفقيه الفريد والعلامة المفيد ، كريم الأوصاف جميل الانصاف ، حسن الشمائل المعروف بالفضائل ، مفيد الطلبة بالفقه والمعقول ومقيد أركان الفروع والأصول ، مع شهادة الشيوخ بفضله ، ووثوقهم بعلمه ونقله ، وكان على طريقة المتقدمين في الانقطاع للافادة والاستفادة مع التقشف وعدم الرفاهية والرضى بما وجد من غير زيادة ، وتمرض بالحمى ولم ينقطع عن ملازمة الدروس ، حتى توفي في منتصف جمادى الثانية سنة خمس وعشرين ومائتين والف وصلي عليه في الأزهر ، ودفن في تربة المجاورين في الصحراء رحمه الله تعالى .

الشيخ علي بن محمد بن احمد بن علي الديركوشي الشافعي

العالم الإمام العامل والفقيه الفرضي الورع التقي الصالح الكامل ، ولد بديركوش قرية من أعمال حلب عام ستة وثلاثين ومائة والف ، وقرأ على والده وعلى الشهاب احمد بن محمد بن الحسن الديركوشي المفتي ، وتفقه وأحسن الأخذ ، وافتى بديركوش وراجعه أهاليها بأمورهم ، وكان صالحاً أديباً ديناً قليل المعاش قانعاً بما يحصل له من زراعته ، راضياً بالكفاف والراحة ، له تعشق بالعلم والعمل والمطالعة والإفادة والاستفادة ، وكان ممن أخذ عنه العالم الفاضل محمد خليل افندي المرادي سنة خمس ومائتين والف كما نقلت ذلك من خطه ، ولم يزل على ترقيه إلى أن توفي سنة الف ومائتين و[1] ودفن في محلته رحمه الله تعالى .

---

(١) في تاريخ حلب الشهباء : في حدود سنة ١٢١٠ (ج ٧ / ١٤٩) .

الشيخ علي افندي الشافعي بن الشيخ محمد سعيد بن أبي البركات الشيخ عبد الله السويدي البغدادي

قطب مدار العلماء في زمانه وعمدة السادة الفضلاء في وقته وأوانه ، خادم السنة والكتاب مع تقوى وزهادة وخضوع وخشوع وعبادة ، وجود وسخاء وكرم واتصاف بمعالي الشيم . قال صاحب جلاء العينين قال في النزهة من ترجمة طويلة مانصه : وكان لأهل السنة برهانا وللعلماء المحدثين سلطانا ، مارأيت أكثر منه حفظاً ولا أعذب منه لفظاً ولا أحسن منه وعظا ، ولا أفصح منه لساناً ولا أوضح منه بيانا ، ولا أكمل منه وقاراً ولا آمن منه جارا ، ولا أكثر منه حلما ولا أكبر منه بمعرفة الرجال علما ، ولا أغرب منه عقلاً ولا أوفر منه في فنه فضلا ، ولا ألين منه جانبا ولا آنس منه صاحبا .

اختارت روحه وهو في دمشق الشام من الملأ الأعلى فريقا ، وهو يقرأ قوله تعالى « أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » [١] وجاء تاريخ وفاته :ـ اسكنه الله تعالى أعلا جنانه ـ : « إن المدارس تبكي عند فقد علي » انتهى ، وذلك سنة الألف والمائتين والسابعة والثلاثين في السابع والعشرين من رجب الأصم ، أحله الله تعالى دار النعيم الأتم . وله تأليفات مفيدة ورسائل عديدة ، ومن أجلها كتاب « العقد الثمين في بيان مسائل الدين [٢] » وقد شرحه ولده الفهامة محمد الأمين ، أسكنه الله في جنته وأسبغ عليه سوابغ نعمته ، آمين .

---

(١) سورة النساء الآية (٦٩) .

(٢) وسبائك الذهب ، في معرفة أنساب العرب ، وذخر المعاد ، في معارضة بانت سعاد ، وتاريخ بغداد ، في الوقائع وتراجم العلماء ، والكوكب المنير ، في شرح المناوي الصغير اهـ من معجم المؤلفين (ج ٧ / ٢٠٠)

السيد علي خزام بن السيد خزام بن السيد الكبير الشيخ علي الخزام بن السيد حسين برهان الدين الخزامي الصيادي الرفاعي الخالدي

قد ترجمه السيد ابو الهدى افندي الصيادي في تنوير الأبصار فقال : ولد عام ستة وثمانين ومائة والف ، وأمه من بني العابد ، وهم عائلة لهم نسب صحيح للسيد محمد أبي عابد الخابوري الحسيني رضي الله عنه ، وهو صاحب المرقد العامر بدير الخابور ، وأصل عشيرة آل العابد بحران الرها ، يقال لهم عبادده معروفون بصحة النسب للإمام زين العابدين رضي الله عنه ، ويقال لما ولد السيد علي كان عمر أبيه احدى وعشرين سنة ، فكان بعد أن كبر إذا مشى مع أبيه يظن أنه أخوه . نشأ ببني خالد ربيب الكرم والتقوى ، ورضيع الصدق والطريق الأسوى ، بيته منهـل الواردين ومرجع الوافدين :

لا عيب فيه سوى السخا وطباعه ... بذل الوجود كسائر الموجود
لم يبغ غـير الله في أعماله ... وكذا طباع الآل أهل الجود

وقد اشتهر في قبيلتنا وثبت عند فصيلتنا ، أن من ضاع له شيء وأكل من زاد المترجم بالنية ، يرد الله عليه ضائعه ، والسارق إذا أكل من طعامه وذهب لشغله لا يتيسر له سرقة شيء باذن الله تعالى . ولما بلغ الأربعين داوم على صيام الأشهر الحرم وست شوال ، الى أن توفاه الله تعالى .

تزوج بامرأتين الأولى خالدية والثانية عبادية من أخوال آل العابد . مات المترجم المرقوم سنة سبع وأربعين ومائتين وألف ، رحمه الله تعالى ودفن بمقبرة خان شيخون عند أقاربه .

السيد علي بن السيد خير الله الصيادي
شيخ المشايخ بحلب الشهباء رحمة الله عليه

قد ترجمه صاحب تنوير الأبصار فقال : شيخنا الكامل الفاضل الصالح الناجح ، الحسيب النسيب الشريف الغطريف ، ابن عمنا وأحد أعيان بيتنا رفيع المنزلة مقبول الجاه ، وهو السيد علي بن السيد خير الله بن السيد محمد بن السيد خير الله المتصل النسب بسيد من رقي أعلى الرتب . ولد رحمه الله تعالى بحلب ونشأ بحجر والده ، رضيع ثدي الولاية ربيب مهد السيادة والعناية ، ولا زالت تحفه الوقاية الربانية وتشمله الأنظار المحمدية ، حتى كبر وأحرز مشيخة المشايخ بعد أخيه السيد رحمه الله تعالى ، وظهر واشتهر وعلا شانه وقدّمه أقرانه ، وطاب قلبه وعذب لسانه، وحسنت اشاراته وتواترت بالديار الحلبية كراماته . كان جمالي المشرب جلالي الجناب ، رفيع المكانة ، رقيق الطبع سليم القلب ، مبارك المال ، جليل المقام ، له أحوال قدسية ومحاضرات أنسية ، وكلمات شريفة ونـكات لطيفة ، ومريرة عامرة وسيرة زكية طاهرة . يسر الله توبة كثير من العصاة على يديه ، وقاد قلوب العامة والخاصة اليه . وروى له الجم الغفـير الكرامات الكثيرة ، (منها) أن رجلا معروفاً من أهل حلب رد شفاعته في نازلة وأغلظ الجواب ، فخرج من مجلسه مغير الخاطر فقبل أن يصل المترجم قدس الله روحه الى بيته ، ألمّ بالرجل ماغص عظيم ، فما مضى ذلك اليوم إلا وتوفاه الله تعالى . وهذه قصة متواترة في الشهباء أشهر من أن ينبه عليها .

(ومنها) أنه صب ماء في قنديل نفد زيته فأضاء الى الصباح باذن الله تعالى . (ومنها) أن رجلاً من ذوي البيوت يقال له عبد الكريم ، مازح المترجم بكلمة أخذ منها شيئاً في نفسه ، فقام من المجلس ولم يشعر أحد أنه اغبرّ خاطره ، ففي الحال أصابت الحمى عبد الكريم المومى اليه ، فعالج نفسه بالأدوية مدة فما أفاد ، فألهمه الله تعالى بعد تلك المدة أن اغبرار خاطر صاحب الترجمة هو السبب فيما ألمّ به ، فذهب لحضرته المباركة وقبل يديه وسأله العفو ، وذكر له القصة فعفا عنه ، وأمر له بماء فشربه ، وانصرفت عنه الحمى ليومها بقدرة الله سبحانه وتعالى . (ومنها) انه كان خارج داره ورجع ليلاً وخادمه أمامه بيده القنديل ، فوجدا عند الباب شخصاً من الجن وصل رأسه الى قرب حائط الدار ارتفاعاً ، فخاف الخادم خوفاً شديداً ، فقال له لا تخف وأخذ القنديل وضرب به الشخص ، فسقط ، وفي الصباح جاء اتباعه فوجدوا رماداً أمام الباب ، فعرفوه أنه الجني . وهذه من غرر كراماته ، وكراماته كثيرة لا تعد . لبس الخرقة من أبيه العارف بالله السيد خير الله الثاني ، وسند خرقتهم معروف ، وقد أخذ منه الإجازة بالطريق السيد أبو الهدى أفندي صاحب (تنوير الأبصار) توفي السيد المترجم قدس الله روحه بحلب سنة تسع وثمانين ومائتين وألف ، ودفن بزاويته المباركة التي أنشأها بمحلة بانقوسا ، وقد أرخه الكثير من الفضلاء منهم الحاج مصطفى الانطاكي الحلبي وبيت التاريخ قوله :

ولدى زيارتنا له أرخ نرى نور الرفاعي من مقام عليّ

الشيخ علي الخاني الادلبي الشاعر المشهور

أديب قد تحلى كلامه بقلائد العقيان [١] ، ونظامه ببلاغـة قس [٢] وفصاحة سحبان [٣] ، وأريب جرت في بحوره سفن الأذهان فلم تدرك قراره ، وعجزت أفكار النظراء والبلغاء عن أن يدركوا تياره ، فلا ريب انه الفصيح الذي إن تكلم أجزل وأوجز ، وأسكت كل ذي لسان ببلاغتة وأعجز ، ما برز في موطن شعر الا وكان فارس ميدانه ، ولا في محفل إنشاء نثر الا وكان المشار اليه في بديعه وبيانه ، فهو للأدب حدقة الانسان ومن رآه علم أنه ليس الخبر كالعيان ، كيف لا وهو الفريد الذي تلألأت بمعاني بيانه السطور والطروس ، واهتزت لبديع براعته وعبارته الأعطاف والرؤوس .

ولد سنة ألف ومائتين وست عشرة . وكان جواداً كريماً ، مهاباً بين الناس عظيما ، جميل المعاملة والإحسان ، كثير التودد للأحباب والإخوان . ومن نظمه هذا الموشح ، الذي تردى بكل جمال وبكل حسن توشح ، وهو :

طالع الاسعـاد باد عند ما ضم شمس الحسن برج الاطلس
وجلا صبح جبين أنجمـا فوق بدر تحت فرع حندس

دور

(١) ما جعل في العنق من الذهب الخالص وقد شبه أدبه به .
(٢) قس بن ساعدة الايادي : خطيب جاهلي ، يضرب به المثل في البلاغة . كان موحداً وداعياً إلى التوحيد .
(٣) سحبان وائل : خطيب فصيح يضرب به المثل ، اسلم في زمن النبي (ﷺ) ولم يجتمع به ، وأقام في دمشق أيام معاوية ، وهو خطيب العرب غير مدافع ، وكان إذا خطب لم يعد حرفاً ولم يتلعثم ولم يتوقف ، ولم يفكر ، بل كان يسيل سيلاً . عن طبقات الخطباء لأبي نعيم .

راحة الأرواح في أيدي الصباح　　قهوة الراح كأقداح الصبوح
في رياض باغتباق واصطباح　　للشجي راح وريحان وروح
هاتها بكراً إذا ما الفجر لاح　　عتقت في دنها من قبل نوح
بنت شمس زوجت ماء السما　　ولدت منه الجواري الكنس
فانتشائي كان منها مغنما　　وبذكراها نديمي مؤنسي

دور

حي من صافي الحميا يانديم　　واملِ بدر الكأس من شمس المدام
وانشد الألحان بالصوت الرخيم　　واترك العذال تهذي بالملام
إنها العيش الرغيد المستقيم　　غادة تمحي شموساً في الظلام
مزجها الصهباء من عذب اللما　　تنهل الصب حياة الأنفس
فابسطن للجيد منها معصما　　عند ما تسهو عيون الحرس

دور

والثمن أنفاس عطر يستطاب　　من خديد خاله المسكي طيب
وتنزه ناظراً تحت النقاب　　جنة تزهو على رغم الرقيب
واغتنم وقتاً من الهجران تاب　　حبذا وقت إلى الوصل منيب
واغتباق الغيد فيه خيما　　في ربا ضم القدود الميس
نم هنيئاً في حراس حيثما　　حاجب الهيفاء رام عن قسي

دور

لذ في العذراء لي خلع العذار　　واطراحي في خبا ذات الخدور
منشدي في الحان ألحان الهزار　　في رياض نجمها زهو الزهور
وردها يروي حديث الاحمرار　　عن شقيق الخد عن بسم الثغور

طرف حور العين أمسى مغرما　　في رباها في عيون النرجس
عنبرت نفح الشذا بل إنمـــا　　عطرت من عرف عطر النفس

وله أيضاً رحمه الله ، وحباه في دار الرضوان مرامه ومناه .

حتى م يا ظبي الكناس[1]　　احنو اليك وأنت ناسي
أغريت بي سقم الجفو　　ن فحل مني كل آس
ونسيت عهـــداً لم أكن　　أبداً له وأبيك ناسي
مولاي لا تمتــد في　　هجري فقد عجز المواسي
مرني فأمرك بالذي　　تهوى على عيني ورامي
هذي الرياض قد انجلت　　في حلتي ورد وآس
فاجل المدام اخـــا الهـــلا　　ل وحيّني منهـــا بكاس
واستنطق الوتر الرخـــــيم　　عن الفؤاد ومـــا يقاسي

وله أيضاً

ياصاحبي عج بالمطيّ على الحمى　　فعسى تلوح لناظريّ شموسه
فهناك يستملي ابن مقلة[2] فضة　　مني فيكتب والخدود طروسه
وأريك شوقاً لو يقاس بغيره　　بتوقد الجمرات كنت تقيسه
بان الخليط فلا تسل عن حالتي　　ما حال من قد بان عنه أنيسه
ودّعته ورجعت عنه كأنني　　ذو نشوة دارت عليّ كؤوسه
لم انس إذ غنى له الحادي ضحى　　وتراقصت تحت الهوادج عيسه
ورمى ابن عم الظبي لي بإشارة　　أخذ الفؤاد بهـا فهاج رسيسه

---

(١) الكناس : بيت الظبي .
(٢) محمد بن مقلة ، اشتهر بخطه وقد نقله من الوضع الكوفي .

ولـــه

يا وردة من فوق بانه ... سِرُّ الأحبة من أبانَــه ؟
اخفيته جهدي وقــد ... علقت في قلبي مكانــه
وكتمت أمر صبابتي ... وسدلت أستار الصيانــه
مــا كنت احسب أن يكو ... ن الدمع يوماً ترجمانــه
لولا وضوح الأمر مــا ... اغرى بنا الواشي لسانــه
ولوى عنانــك عن شج ... شوقاً إليك لوى عنانــه
ياظبية البان الذي ... عند القلوب لها مـكانــه
قد اسكرتني مقلتــا ... ك كأن في الخمار حانــه
وكرعت من ماء الصبــا ... ففضحت لين الخيزرانــه
أجريت ذكرك بالحمى ... وقد اجتلى طرفي جنانــه
فلوى القضيب معاطفــا ... نظم الندى فيهــا جمانــه
واحمرَّ خد شقيقهــا ... وافتر ثغر الأقحوانــه [1]

ولـــه

قد نضى طرفه الكحيل حسامه ... فسل الله يافؤادي السلامــه
فاتك قد سطا بألحاظ ريم ... بلغته من القلوب مرامــه
ناقض للعهود ليس يراعي ... ذمة للذي يراعي ذمامــه
قد تعشقته بديع جمــال ... يملأ العين بهجة ووسامــه
ما تذكرت عيشه الغض إلا ... أمطلت ادمعي عليه غمامه
يانسيماً من عنبر اللطف أهدى ... طيب أنفاسه إلينا شمامــه
هي عني اقاح تلك الروابي ... ثم قبل ثغوره البسامــه

(١) نبات من أجل أزهار الحدائق ، يشبهون به الأسنان .

والو عطف القضيب نحو أخيه ليطيل اعتناقه والتثامه
واقتطف من حديقة الحسن ورداً نقطت فوقه من المسك شامه
وارتشف من خلال تلك الروابي قاطر الشهد قطرته مدامه
واعتنق في منمنم البرد خوطا رنحت خمرة الشباب قوامه
ثم لاعب له ذؤابة شعر قد تدلت فقبلت أقدامه

وله

يازورة سمح الخيال بها فبات معانقي
خاض الدجنة طارقا أكرم به من طارق
وَأَتَمَّ ساحة عاشق في جنح ليل غاسق
وأتى يجدد بالصبا بة عهد صب شائق
فجرت لطائف بين معشوق هناك وعاشق
وخلالها قُبَلٌ تلذ ورشف ريق رائق
وسألت ذاك الريم عن سبب الصدود السابق
فانهل منه ما يريك الطلّ فوق شقائق
وافترلي ياقوته عن لؤلؤ متناسق
وصفا هنالك مورد بين العذيب وبارق

وله

بروحي ساق قد جلا تحت فرعه جبيناً كبدر التم عند شروقه
سقاني بنجلاويه كأساً من الهوى فأسكرني أضعاف سكر رحيقه
وقال افترع بكر الأماني تغزلاً فلي منظر يهديك نحو طريقه
فوجهي مثل الروض باكره الحيا جني أقاحيه وغض شقيقه
وإن أشبه التفاح خدي حمرة فلي نونة تحكي مناط عروقه
النونة طابع الحسن ويسمى أيضاً جب يوسف اهـ .

ولــه

رشق الفؤاد بأسهم لا تخطه ... ريم يشوق الريم مهوى قرطه
من ذا عذيري من هوى متلاعب ... قد راح يمزج لي رضاه بسخطه
أعطيته قلبي وقلت يصونه ... فأضــاعه يا ليتني لم أعطه
وثناه عن محض المحبة رهطه ... فعناه قلبي في الهوى من رهطه
وقد اشترطنا أن ندوم على الوفا ... ما كنت أحسبه يخل بشرطه
كيف الخلاص ركبت بحراً من هوى ... شوقاً اليه فشط بي عن شطه
علقته ريان من ماء الصبــا ... كالروض أخضله الغمام بنقطه
غض الشباب وهذه وجناته ... قد كاد يقطر ماؤها من فرطه
يجلو عليك صحائفاً وردية ... رقم الجمال بها بدائـع خطه
وتريك هاتيك المعاطف بانة [١] ... تهتز لينـــاً في منمنم مرطه
وتخامر الألباب منه فــكاهة ... تلهي حليف الكأس عن اسفنطه [٢]
لو بت أستملي لطــائفه التي ... ضاهت برونقها جواهر سمطه [٣]
لدهشت إعجاباً بلؤلؤ لفظه ... ومددت كفك طامعاً في لقطه

ولــه

لا تكن ويك طامعاً في سلوّي ... فالهوى قد نمــا أشد نموّ
شفني ذلك الشويدن حبــا ... ورمــاني بسهم ذاك الرنو
قمر في ابتدائه تم حسنــاً ... وسما في الكمال أوفى سمو
وقضيب غض النبات رطيب ... عل [٤] من خمرة الشباب وروّى

---

(١) البانة : شجرة معتدلة القوام ، يشبه بها القدّ لطوله .
(٢) الاسفِنط والاسفَنط : المطيّب من عصير العنب خاصة .
(٣) السمط : الخيط ما دام اللؤلؤ أو الجوهر منتظما فيه .
(٤) علّ : شرب ثانية أو تباعا .

حبه خط في فؤادي سطراً أمد الدهر ليس بالممحوّ
يمزج الصدّ بالوصال دلالاً فترى منه قسوة في حنو
وهواه ما زال يوري لهيباً بين جنبي ما له من خبو
يا سقى الله عهدنا في ليال قد جنينا بها ثمار الدنو
جمعت شملنا بكأس سلاف هي أصفى من دمعة المحو
كلما قلت يابن ودي خذها قال لي هات يا عدوّ عدوّي

وفي سنة الف ومائتين وإحدى وأربعين امتدح المترجم متسلم حمص محمد آغا خير الله ، وكان رجلاً كريماً حسن السيرة جميل الشهرة ، إلا أنه لم يجازه عليهـا ، فبحسب التقدير لم يمض على ذالك مدة حتى قتل الممدوح في شوارع البلد ، وأما المادح فإنه قد تمرض وتحول فمه والعياذ بالله تعالى . وهذه القصيدة التي مدح بها الممدوح المرقوم أعلاه مضاهياً بها بانت سعاد لكعب بن زهير الصحابي الجليل رضي الله تعالى عنه :

أسيف لحظيك تجلوه الصياقيل أم مشرفيٌّ ابن خير الله مسلول
منه رأينا لديك الأسد صاغرة منهم حلا لك بعد العز تذليل
لله ريم بدا من ليل طرته بدر تلالا به بشرى وتهليل
حكى الغزالة منه الالتفات حكت منه المحيا سناماً فيه تأفيل
كم من كمي له ما بين معترك الـ أحداق والقلب متبول ومبتول (١)
ما السحر والخمر بالألباب أفتك من فتان طرف به هاروت مشغول
فرح معافى سليم القلب من حرق والجفن من قرح فالحب قتيل
ولا تعرض إذا هز القوامَ رشا من شك أحشاءه الخطيُّ مقتول
ودم خلياً وإن تعشق فدم هدفاً لناقد فسهام الطرف مرسول

(١) تبله وأبتله الحُب أو الدهر : أسقمه أو ذهب بعقله ، فهو متبول . وبتل الشيء : قطعه وأبانه عن غيره ، فهو مبتول .

اليك نصحي ولكن من وعاه فبا م لانعام يزدان عندي فيه تمثيل
بآية النور من صبح الجبين الى رب المحاسن لي بالليل تبتيل

إلى أن قال متخلصاً إلى المدح :

كأنه موج هندي يَهزّ به محمد ودجى الهيجاء مسدول
لعضبه ومض برق والغبار حكى مزنا وقطر دم العاصين مهطول
يلقى الكماة ابن خير الله يتركهم بلها ولب عميد الجيش مذهول
بغير درع يلاقي الدارعين ولا تهوله بعواليها الجحافيل
فصاله فصّل الأكباد فيه وما ردّت مضاربه تلك السرابيل
عليه ما شق أن يلقى الألوف به وشق قلب خميس فهو مغلول
بالبيض صلت ظباه عندما ركعت فأسجدت هامها الشم البهاليل [1]
فيهم يذكرنا أقوام أبرهة لما رمتهم مراميها الأبابيل
صدورهم في لظى من نار لهزمة [2] من حرها فلهم بالويل تعويل
برد وسمر القنا جمر وقائمه سود لها في بياض الطرس تسجيل
بهامهم أسمرت لما استقت بدم فهامهم لعواليه أكاليل
كأن عنتر يعني في مقالته هذا الأمير وما في الصدق تأميل
له النفوس وللطير اللحوم وللـ وحش العظام وللفرسان ما نيلوا

إلى آخرها ، وهي قصيدة طويلة ولولا سآمة خطها المنقول عنه مع تحريفها لنقلتها بتمامها وكمالها [3] هذا وإني لم أقف على تاريخ موت المترجم رحمه الله تعالى ؟

---

(١) جمع بُهلول ، وهو السيد الجامع لكل خير .
(٢) اللهزمة : عظم ناتىء في اللحى تحت الأذن وهما لهزمتان ، والجمع : لهازم .
(٣) إن هذه المقطوعات الشعرية والغزلية ، قد اشتملت على أدقّ المباني وأرقّ المعاني وفيها من بدائع الوصف والتمثيل ، ما لم يبلغه من سحر الشعر إلاّ القليل ؛ ولكن أهل هذه المنظومات قد فتنوا بتعاجيه القد والخد والنهد والصبا والجمال ، وراحوا يهيمون بكل واد من أودية الخيال ، ولو أنهم وجّهوا وجهة صالحة ، لكان لنا من بليغ شعرهم في عصر الانحطاط ، ما يرفع أمتهم إلى سماء المجد والسؤدد ، ويعيد لها عهدها الأول ، الأغر المحجّل .

السيد الحاج عمر لطفي افندي بن الحاج محمد افندي بن الحاج عمر افندي بن الحاج علي افندي ، شيخ الإسلام ومفتي السادة الانام ، أدام الله وجوده وأغدق عليه انعامه وجوده

فهو قمر رفعة قد طلع في أفق الشريعة بدرا ، وقطب مدار ملة قد اجتبته أن يكون لها هامة وصدرا ، وسماء فضل اشراق نجومها بالهداية موصوف ، وشمس عدل لا يعتري سناها مدى الدهر كسوف ، قد تحلى به جيد الأبد فكان له عقد انتظام ، وتجلى على كرة الأمد فكان لها غاية المرام ، أورق عوده في رياض دار السعادة وأزهر ، وارتقت سعوده في سماء السيادة فأشرق نجمها وأزهر :

لما بدا خفيت له شمس الضحى ... في ثوب غيم ترتديه وتكتسي
نطقت فضائله فأخرس دونها ... نطق الفصيح وحار فكر الكيّس

ولد هذا السيد الهمام ، وكانت ولادته لهذا الدهر بمنزلة شهر رمضان إذا ظهرت به ليلة القدر :

بمولده طاب الزمـــان وأهله ... ولا ريب قرت مقلة المجد والعدل

وذلك في سنة الف ومائتين وإحدى وأربعين أطال الله بقاه وأدامه نعمة للعالمين . وكانت ولادته الشريفة في قرية صندمة (قرية من قرى بودروم) لا زالت عين العناية ترعاه بما يقضي له بالقدر الموسوم . وإن جده الأعلى كان قد هاجر من اغريبوز من بلاد المورة ، إلى بودروم المعلومة المشهورة ، فصارت نسبتهم اليها بين الناس مذكورة . ثم ان المترجم حفظه الله هو

من أحفاد القابودان الأسبق المرحوم سليمان باشا المعظم ، وإن والدته هي المصونة فاطمة خانم بنت الحاج عمر افندي المفتي المكرم . فلم تزل التربية في حجور السمو ترقيه ترقية الذهب الابريز ، وتربيه تربية النمو إلى أن زكا إدراكه وبلغ سن التمييز ، فنهج على قدم الهمة منهج التقديم ، وقرأ على شيخه محمود افندي كتاب الله العظيم ، ثم حضر على الحاج علي افندي العلائيه لي ، مقداراً من علم الصرف ، باذلاً همته في الطلب حتى كأنه لم يغمض له خوف التقصير طرف :

تكمل في علم العلا وهو يافع وجاز بلوغ الرشد وهو رشيد
وأفصح عن فصل الخطاب بمنطق لديه لبيد ضارع وبليد

وفي آخر سنة الف ومائتين وثلاث وخمسين غرة رجب ، قدم به المرحوم والده الى دار السعادة لأجل التحصيل والطلب ، فوضعه في مدرسة الطب من مدارس حضرة المرحوم السلطان سليمان ، عليه أكمل الرحمة وأتم الرضوان ، عند خاله أبي بكر افندي عليه رحمة المعيد المبدي ، ثم رجع والده الى دار إقامته وترك المترجم في دار السعادة ليفوز بسعادته ، ففي السنة المذكورة في غرة شوال ، ابتدأ في قراءة الصرف وعلم الحال ، على الحاج مصطفى افندي القسطموني الهمام ، وكان في كل فن إماماً وأي إمام ! فاستعمل لعظيم الجد همته الكبرى ، وأدرك في جده واجتهاده الأنجم الزهرا :

ومن يسعى إلى طلب المعالي فلا عجب إذا ركب البحارا

وفي سنة الف ومائتين وأربع وستين ، من هجرة رسول الأنبياء ونبي المرسلين ، أيام شيخه شيخ الإسلام وعمدة السادة وإمام الأنام ، حبر الأفاضل وبحر الفضائل ، عارف حكمت بك قد فتح للتلامذة باب الامتحان ، في مدرسة مولانا المرحوم السلطان بايزيد خان ، فكان له في ذلك

الامتحان المقام الأول ، وفي الامتحان العسكري كان له المحل الأرقى الذي عليه المعول ، ولا زال مجتهداً في تحصيل العلوم ، مكباً على أسباب التوصل الى دقائق المنطوق والمفهوم . وفي عام الف ومائتين وستة وستين حصل امتحان الرؤوس الهمايوني [١] وكان هذا الهمام ، من جملة مائة وخمسة عشر عالماً من العلماء الكرام ، فكان له من بينهم الفضل الأعلى والقدر الأتم الأجل الأجلى ، والجواب الصائب السديد والرأيُ الفائق الرشيد ، مع لطيف خلق يسعى اللطف لينضم اليه ، وشريف صدق يقف الكمال متحيراً لديه ، وجميل طبع أرق من نسيم الصبا في الصباح ، وأعذب من مذاق الظفر على مناهل النجاح :

همام جد في طلب المعالي ... ونال من العلا جل الأماني
فبدر علاه مكتمل منير ... وشمس نداه دائمة التداني
فدام ممتعاً بدوام عز ... وإنعام على طول الزمان

وفي شوال من السنة المذكورة ، تعين في سنجاق سيروز مأموراً للامتحان في أخذ العساكر المنصورة . وفي سنة الف ومائتين وسبع وستين قرأ علم الصرف لجم غفير في جامع المرحوم السلطان بايزيد خان ذي المقام الشهير . وفي سنة تسع وستين دخل في سلك المأمورين في الفتوى خانه [٢] الجليلة . وفي أربع وسبعين تعين نائباً في محكمة الغلطة الجميلة ، فاحتاط غاية الاحتياط وعن كل مخالف تحاشى . وفي سنة ثمان وسبعين تعين نائباً في محكمة المرحوم داود باشا . وفي زمان المرحوم حسام الدين افندي شيخ الاسلام ، تعين نائباً في محكمة چلبي افندي فأجرى الأحكام على أوفق مرام . وفي أثناء ذلك تعين مقرراً في الدرس الذي يقرأ

(١) السلطاني أو الملكي .
(٢) دار الفتوى .

في حضور الحضرة السلطانية ، وقد نال في قراءته الحظ الوافر وتمـام الالتفات من الذات الشاهانية . وصدرت الإرادة بتعيينه مفتياً في المجلس العسكري في الطوبخانة [١] العامرة وترفيع رؤوسه إلى حركة التمشي المعروفة الباهرة . وعند رجوع الشهيد المرحوم حضرة السلطان عبد العزيز خان من سياحته الأورباوية ، عينه استاذاً لابنه يوسف عز الدين افندي ولمن معه من أشبال الذات الشاهانية [٢] . وبعد سنتين أحسن اليه ببابة أدرنه وحاز من الالتفات الزيادة . ونظراً لمحظوظية الذات الشاهانية من درسه أحسن اليه بخمسة وعشرين الفاً غير العطية المعتادة . وبعد ثلاث سنين ونصف من إفتائه في الطوبخانة تعين مفتياً في دار الشورى العسكرية ، وبقي في الشورى أربع سنين مـع مشيخة أولاد الذات السلطانية ، ثم انفصل حسب الايجـاب من الوظيفتين المذكورتين ، وتعين عضواً في التدقيقات الشرعية فكان لوظيفته قرة عين . وبعد أربعة أشهر لما تشكلت العدلية تعين رئيساً في مجلس الحقوق باسكدار وبقي إلى سنة اثنتين وتسعين وعليه أمورها تدار ، فتعين حسب الطريق قاضيـاً في اسلامبول ، وبعد مرور ثلاثة أشهر أحيلت لعهدته باية أناطول . فترك الرياسة من نفسه ، وكانت مدة قضاء اسلامبول قد ختمت فانفصل منها وجعلهـا من فكره كأمسه . وعند محاربة الروسية بقي مدة في قصره الموجود في الشاملجة البهية ، وفي أثنائها كان يتعين تارة رئيساً وتارة عضواً في المجـالس التي تشكل في باب المشيخة الإسلامية . وتعين كذلك مأموراً في المجلس الذي تشكل في سراية يلدز [٣] العالية . وفي الف وثلاثمائة نال عطية عظمى من صاحب المقام الشامخ المظيم الشان ، مولانا أمير المؤمنين السلطان الغازي

---

(١) مصنع المدافع .
(٢) الملكية . السلطانية .
(٣) دار الحكومة ، وأصل معنى (يلديز) : نجم أو كوكب .

عبد الحميد خان ، مع الاذن له باداء فرض الحج الشريف ، فتوجه مصحوباً بجميع عائلته إلى وطنه ومحل ولادته ، لكي يغنم دعـــاء والدته ويدخل عليها السرور بزيارته ، ومن هناك توجه الى مكة ذات القدر السامي والاحترام فأدى فرائض الحج . ثم في السابع والعشرين من ذي الحجة الحرام ، توجه مـــع المحمل الشامي نحو المدينة المنورة لزيارة خير الأنام ، فوصل اليها في عاشر المحرم سنة الف وثلاثمائة وواحدة ، وزار أشرف قبر وصلى لديه [١] الجمعة مرتين وأثنى على الله تعالى وحمده بأعظم المحامد . ثم توجه براً مع المحمل المصري فاستقام بمدينة مصر للزيارة خمسة عشر يوماً ، ثم توجه الى الاسكندرية فمكث بها ستة عشر يوماً ، ومنها ركب في الوابور [٢] النمساوي فأجرى الكرانتينة [٣] في بلدة بيرة ، ثم توجة الى ازمير واستقام بها اثنين وعشرين يوماً بكل تعظيم وتوقير ، وفي ثالث شهر رجب توجه في الوابور قاصداً الآستانة العلية ، وعند وصوله توجه رأساً إلى السراية السلطانية ، للتشرف بتلك الرحاب ، والتشكر لحضرة ذلك المقام المهاب . ثم رجع لمنزله الذي كان استأجره بجهار شنبه إلى أن مضى الشتاء ، وفي الصيف عاد الى الشاملجة لقصره ، وما زال داعياً لمولانا أمير المؤمنين بدوام تأييده ودوام بقائه ونصره . وفي سنة الف وثلاثمائة وثلاث صار بالفعل قاضي عسكر اناطول البهية ، وحسب الطريق عند ختـام المدة كانت الحضرة المعظمة تدعوه للعطايا الخاقانية . وفي الخامس عشر من جمادى الأولى سنة ست دعي في الساعة الخامسة ليلاً بواسطة احد المقربين ، الى الحضور لدى سيدنا الأعظم أمير المؤمنين ، فعندما دخل السراية العـالية بشر بمشيخة الاسلام ، فوجهت في الحال عليه بتمام الفضل وجزيل الإنعام ،

(١) أي في المسجد النبوي

(٢) القطار .

(٣) المحجر الصحي . (فسرنا هذه المفردات لمن لم يعرفها من النشء الجديد) .

وفي الصباح توجه بموكب حافل إلى باب المشيخة الإسلامية ، فاستوى على منصتها وكان لها به تمام البشرى والأمنية ، ودارت كؤوس التهـــاني بين الأنام ، وأشرق بدر الأماني على كرة الإسلام . وارتشف ثغر السرور كأس حمياه وأزاح بدر الحبور اللثام عن محياه ، وشدا شادي الفخار والارشاد معلناً بوصفه على رؤوس الأشهاد :

شهم له شيم يريك إذا انجلت في ليلك الداجي شموساً تشرق
ومكارم فيه تدلك انهـــا خلق وفي طبع الغمام تخلق
أولى الملا عزاً وأعلاهم علا وأبرهم للمسلمـــين وأرفق
سبق الكرام وقد تأخر عصره عن عصرهم فهو الأخير الأسبق

فهيهات لمثلي أن يستقصي صفات هذا الفرد الهمام ، وان كان البحر مداداً والشجر أقلام .

ثم انني في عام الف وثلاثمائة وسبعة حينما تشرفت بزيارة الدار العلية ، كحلت بصري بإثمد النظر لذات هذا المترجم البهية ، فرأيت إنساناً قد صاغه الله من جوهر الكمال ، وأفرغ عليه حلة البها والجمال ، ومنّ عليه بالشمائل ذات الفضائل ، وأجلسه على ذروة الرفعة فكان لكل سائل من أعظم الوسائل ، وحينما رآني قام وبش إلي ، وحياني أجمل تحية وسلم علي ، وأولاني من معروف إقباله ما أولى ، وحياني بما أحياني به وان لم أكن أهلا ، وسمعت منه ما يشهد له بأنه شيخ الكل في الكل ، ولم يسعني حينما رأيت ما رأيت سوى بذل جهد المقل ، ولم تزل تتكرر زيارتي لحضرته ، وإذا مدة تساهلت بالزيارة أخجلني بشديد معاتبته ، أدام الله تعالى وجوده ، وأغدق عليه انعامه وجوده ، وقد كنت حين وفودي على كعبة علاه الشريفة ، مدحت سيادته بهذه القصيدة فأحببت إثباتها في ترجمته المنيفة ، وهي :

تجلت فلاح البدر من خلل الشعر فتاة سبت عقل الشجيّ ولم تدر
وحدثنا عن نشرها مسك ثغرها حديثاً رواه الخال عن خدها البدر
وورد محياها البديع حكى لنا بأنّ رضاب الثغر يغني عن الخمر
عذولي لحاك الله دع عذل مغرم إلى الحشر حاشا أن يفيق من السكر
وكن عاذري في حب عذراء لو ترى سناها الأوضحت الدليل على عذري
بروحي فتاة حسنها فتنة الورى ولكن في أحداقها آية السحر
وفي مهجتي من صدها وبعادها حرارة ملتاع حكت لهبة الجمر
ممنعة ما نال منها محبهـــا وصالاً سوى ما كان في الوهم والفكر
ولو شامها في النوم مغرى بحبها لأيقظه من نومه صادح القمري
أما وسيوف باترات بجفنهـــا واسمر قدٍ يزدري طعنة السمر
وشامات حسن قد بدت فوق وجنة وجيد به صدري غدا عادم الصبر
ورمـــان صدر قد حمته أراقم تقول لحظي أنت أسود من شعري
وتيه دلال زانه ميل قـــامة وحسن تثن قد ثنى للفنا صبري
لقد سلبت تلك الفتاة حشا شتى[1] وصدت ،وسيف الصد قلب الشجي يفري
وقبل هواها كنت لا أعرف الهوى ومذ شمتها أصبحت في قبضة الأمر
وذقت كؤوس الهون منذ علقتها وما نلت منها بعد صبري سوى هجري
فيا طلعة البدر المنير أما كفى محباً تمنى الموت من شدة الجور
لقد طال ما أولاه هجرك من عنا وإن الهوى القاه في لجة البحر
فقالت وما تبغي ، أجبت وأدمعي على صفحات الخد تنهل كالقطر
أروم اقترابي منك عطفاً ومنة فحسبي الذي قد ذقت من صبري المر
أجابت وقد شامت بياض عوارضي أما آن بعد الشيب ترك الهوى العذري
إلا مَ ترى حب الغواني فضيلة وأنت تجيد المدح في النظم والنثر

(١) بقية الروح في المريض والجريح .

عليك بمدح الشهم فرد أولي العلا ... حمى من به قد لاذ من نوب الدهر
امام الهدى مردي العدا فائق الندى ... مهاب جليل فاضل واسع الصدر
غدا عمري" الاسم والعدل في الورى ... فمن ذا الذي يحكيه في السر والجهر
ومن لطفه لطفي تلقب ياله ... هماماً له باللطف مستحسن الذكر
تولى على الاسلام شيخاً لفضله ... فباهت به أيامنا سالف العصر
ملا ذكره الآفاق شرقاً ومغرباً ... فليس له ند" بشام ولا مصر
تنافس هذا العصر فيه وكيف لا ... ينافس فيه كل عصر مدى العمر
تدانت له زهر الأماني لكي ترى ... له الشرف الأعلى على كرة البدر
فما هو إلا مظهر الحلم والنهى ... وما هو إلا منبع الجود والبر
سليل التقى والعدل والعلم والنقا ... فريد الذكا والمجد والرشد والقدر
فقل مكثراً ما شئت في نظم مدحه ... ومالك ان قصرت وجه الى العذر
أياديه يحكي البدر جود نوالها ... وراحته تسمو حباء على البحر
لقد فاق أهل العصر علماً وحكمة ... وقلد جيد الدهر عقداً من الشكر
أخو همة فاقت على همم الملا ... وأوصافه تسمو على الأنجم الزهر
أخال بأن الأرض جهلاً بقدره ... لدى سيره لم تبدل الترب بالتبر
أرق من الماء الزلال شمائلا ... وألطف من جسم النسيم إذا يسري
إذا ازدان ذو قدر عظيم بقدره ... فنيه وفي آبائه زينة الدهر
وإن مر" ذكر الأكملين فذكره ... كبسملة التالي غدت مبدأ الذكر
به ضاء وجه الدهر وازداد بشره ... فحقاً هو الموسوم بالكوكب الدري
ودانت له الأيام تحبوه ما يشا ... وكل ليالي عمره ليلة القدر
لقد ضاق صدر الدهر عن كتم فضله ... وهيهات يخفى البدر في ليلة البدر
فيا سيداً ساد الورى بجميله ... وأوصافه الحسنى وأخلاقه الغر
لك الراية البيضاء في كل موكب ... كذا السيرة الحسناء بالحمد والشكر

وإني على مر الزمان لكم فتي دعاء بما ترجون في السر والجهر
فجد واعف عن عبد أتاك مقصراً وإن صاغ للمدح الثريا مع الزهر
فلا زلت مرفوع المقام مدى المدى ولا زال من عاداك في الذل والقهر
ولا برحت آيات مجدك ترتقي لها الموضع الأعلى على هامة الدهر

توفي هذا الفرد الكامل والأوحد الفاضل ، في الدار العلية عام الف وثلاثمائة وأربعة عشر .

السيد عمر بن عبد السلام المدرس الداغستاني صاحب اللآلىء الثمينة في أعيان شعراء المدينة

أديب لأشتات الفضائل جامع ، وأريب اشراق بدره في سماء المعارف لامع ، شمائله تزري بأنفاس الشمول والشمال ، وفضائله قد تحلت بأنواع الحسن وأفنان الجمال ، لا تسأم أصحابه لطيف مؤانسته ، ولا تمل أحبابه ظريف مجالسته ، مع فصاحة وبلاغة ولسن ، وتجمل بكل خلق جميل حسن ، ورقيّ من معالي المكارم ذراها ، وتمسك من أعالي العزائم بأوثق عراهـا ، دأب في كسب المآثر فتى وكهلا ، وسلك من مسالكها حزنا وسهلا ، حتى قيد منها كل شاردة ، وشيد مبانيها فكانت لطلابهـا أبهى عائدة ، ولله در نثره الرائق ، ونظمه البديع الفائق . فمن لطائفه العالية ، وطرائفه السامية ، قوله مخاطباً الأديب الكامل ، السيد عمر حيدر المدني بهذه المسمّطة [1] :

يوم عيد الوصل إذ أوفى لنا الحب الوعود
وتبدّى بالحيـا من محيـاه يجود

(١) المُسمّط من الشعر ما كان مقسماً على أجزاء عَروضية مقفاة على غير رَويّ القافية ، ويسمّى أيضاً المخمّس » .

حل في منزل أنسي مسعداً سعد السعود
وتثنت في رياض الصفـــو أغصان القـــدود
وغدت ضاحكة بالأنس أزهار الخدود

دور

بالتلاقي والوفـــا قد أحسن الدهر المســي
يا خليلي فـــامل من دنّ التهـــاني اكؤســي
لا تؤخر مطلـــبي عجل بها كي نحتسي
نمـــزج الأفراح بال أرواح ثم الأنفس
ما علينـــا من عذول هان أو واش حسود

دور

هاتهـــا صفراء مِثل الـــتبر في كأس اللجين
ليس يحلو مزجهـــا إلاّ بريق الشفتـــين
من لمى ذاك الرشـــا النفار ساجي المقلتين
كم له قـــد قلت أو ف الوعد ان الوعد دين
وهو نفار عن الوصل كما الظبي الشـــرود

دور

ما ترى طير الصفا يشدو على غصن السرور
ونسيم القرب قد هبـــت وفـــاحت بالعطور
ومن البشر غـــدا مبـــتسما ثغر الزهور
أنس المجلس إذ واصلنـــا ذاك الغرور
وهو في تم البهـــا كا لبدر بل أضحى يسود

دور

يا لها ساعة إقبـــا ل بها جاد الزمان

وبلغنـــا القصد والمأ مول مع حور الجنان

فاختلع فيها عذاراً (١) واغتنم وقت التهاني

لا تؤخر ســاعة الأنـــس إذا وافت لآن

إنما الدهر هبــات قلّ فاحرص أن تعود

دور

وانشدن لي مدح حاوي الفخر والعز النبيل

الأديب المــاجد الأر وع ذي الفضل الأثيل (٢)

عامر الأفضــال محمو د البها الندب الكميل

حيدر العليا سراج الفضـــل والشهم الفضيل

دام في عيد المسرا ت وفي عيش البرود (٣)

فأجـابه بقوله

أم قلــبي كعبة الريـــم المفدى في زرود

عرفات البعد طــالت وهواه لي يقــود

بمنــاه بت في نســـك الهوى أوفي الصدود

جمرات الهجر منــه ألهبت قلبي الوقود

ليته يوفي ضمــان القـــرب بولي بالسعود

دور

راح يسعى نحــوه قلب المعنى المستهام

وغـــدا فيه جسيمي لابساً ثوب السقــام

(١) من معاني العِذار : الحياء ، ومنه يقال : خلع عذاره أي اتّبـع هواه ، وانهمك في الغي .

(٢) الأروع : الشهم الذكي . والأثيل : الأصيل في العرف .

(٣) البُرود : جمع بُرد : الثياب المخطّطة الغالية ، وعيش البرود : كنــاية عن النعم والرفاهية .

وحطيم البعد أضحى يحطم القلب دوام
قد جرى زمزم دمعي وانتهى في الانسجام
علّ أوقات اللقا من فاتني يوماً تعود

دور

قيدوا قربان قلبي بعد ان حلوا المدى
أضجعوه كي يريقوا نفسه يوماً سدى
غاب شخصي عن عياني ما تراه ان بدا
ان تراه لانحاً ما ذاك إلا للردى
حشوه صار خيالاً مذ غدا رهن الصدود

دور

ليس يدري شخص جسمي مذ فني إلاّ الهوى
وكذاك السقم يدري حيث فيه قد ثوى
ما زجت روحي هواها والهوى بي قد هوى
لست أصغي لعذول بملام لي كوى
جار عذري غرامي أرعدت منه الرعود

دور

هذه حالة خل قد توالاه السقام
ما له إلا سراج الفضل والشهم الهمام
بحر آداب وفهم شمس آيات النظام
عقد أجياد المعالي تاجها بين الأنام
يا سمياً ساعد المضنى على رغم الحسود

دور

فانتخب لي فرصة نحسو بها كأس الأدب

من صَبوح وغَبوق وخلاعات الطرب
يا سراجاً للتهاني يا ضيا عين الأرب
امزج الكأس بماء البشر واطفي ذا اللهب
واجل عن قلب صداه خلني من ذي القيود

وله رحمه الله أيضاً من الموشح

قل لأحباب لنا رقدوا والشجي أودى به السهد
زاد منه الوجد والكمد صد عنه الشادن[1] الشرِد
ساعدوا المُضنَى في هوى لُبنَى
وافهموا المعنى ولي اسعدوا

دور

كم تكونوا في الكرى يا نيام وتروموا وصل بدر التمام
أنا والنجم وورق الحمام حالنا في الليل مطرد
لا نعي لو ما في هوى الأملى
لا نرى نوماً ولا نجد

دور

وسميري البدر في الأفق إذ تجلى في دجى الغسق
حوله الأنجم كالفرق وهو فيهم ملك سيد
في الورى مطلوب وجهه محبوب
حسنه المرغوب لا يجحد

دور

ليس إلا أنهم ضعفوا عن غرام ليس يتصف

(١) الشادن : إذا أطاق فهو ولد الظبية .

تركوا العشق وما ألفوا	مـا لهم مثلي أنا جلد
فـأنا الصبـار في الدجى سهـار
وصبـا الأسحـار لي تشهـد

دور

خافق القلب صريع الهوى	قد وهى مني قوي القوى
من جفا ظبي سبا وثوى	في كنـاس حوله أسد
وصـله قصـدي قربـه سعـدي
بعـده يردي وقـد يجهـد

دور

كيف أسلو لغزال سكن	وسط قلب بهواه افتتن
حجبوه فانتمت بي المحن	ليتهم لي باللقـا بعدوا
ونقضي الوعـد بالهنـا والسعـد
والأسى من بعـد لا يرد

دور

هات روح مهجتي يا نديم	واملأ الكأس براح قديم
كيف لا أصبو لها وأهيم	ولهـا القلب متقد
هـاتهـا حمرا خمرة بكرا
تنعش السكرى وقـد تـبرد

دور

والدجى ذو شعر أجعد	مائساً في ردنه الأسود
في رياض ذات زهر ندي	عرفها للهم قد يطرد
غصنهـا ممشوق ماؤهـا مدفوق

والرشــا المعشوق لا يبعد

دور

هي حقاً راحة الأنفس فارتشفها جذلا واحتسي

من يدي ذي هيف ألعس[١] ان تثنّى زانه الميد

حسنــه باهر خــدّه ناضــر

ثغــره زاهــر ومنتضــد

دور

قده كالغصن في ميله لحظه كالسحر في كحله

وهو مثل الشمس في حله خصره في الردف مستند

جفنــه قتــال كالظبــا يختــال

عنــبري الخــال منفرد

وقال هذه الموشحة والحديث شجون

هملت سحب دموعي عندما طرز البرق ذيول الحندس

فأسالت من بكاهــا عندما مقطراً من صـاعدات النفس

دور

تتصــابى بلييلات اللقــا حيث مرت مثل نسمات البكر

ياليــالي سلفت لي بالنقــا وهي شامات بوجنات السحر

إذ بها بدر السما قد أشرقا وهو يمر على بدر البشــر

وعيون النجم في شزر اللمى نظرت أنجم تلك الأكؤس

فشفيت الجرح من راح اللمى[٢] بالتشــامي للغزال الألعس

دور

(١) الألعس : الذي في شفته سواد مستحسن .

(٢) اللمى (بتثليث اللام) سمرة أو سواد في باطن الشفة يستحسن .

أحور يخجل بالطرف الظبا　　وعجيب من سقيم في كحل
قده ريان من مـــاء الصبا　　يتثنى في كثيب من كفل
لطفه ألطف من ريح الصبـــا　　ظلمه عندي أحلى من عسل
قلت ياظبياً سبـــاني ورمى　　بعيون نعّس كالنرجس
أورثت بالنبل قلبي وَرَمَـا　　فاطف عنه لهباً ذا قبس

دور

فانثنى عني نفوراً معرضـــا　　بعد ذاك الأنس منه والطرب
مذكيا في منحنى ضلعي الغضا[١]　　وأدام الصد من غير سبب
وقلاني وملاني مرضـــا　　فلذا أمسيت منه في تعب
مغرماً في ذا الذي فاق الدمَى[٢]　　مسهداً في الليل حتى الغلس
فكأني ودموعي كالدما　　قد توكلت بحفظ الكنس
آه من حـال التجافي والنوى　　قد رمى البعد فؤادي بالقلق
أعرض الحب وهجراني نوى　　ما أمر الصدّ من ساجي الحدق
هو في أنس بجيران اللوى　　وأنا صب بوجدي في حرق
أذكر الوصل وأيام الحمى[٣]　　قائلاً قولي الكئيب المؤنس
يا زمانا كان سعدي قد حمى　　فيه أنسي عن رقيب النحس

وله مجاوباً الشيخ عابد السندي عن قصيدته وهي

قد صحا الجو والربى[٤] قد تبسم　　زهره والنسيم عنه تنسم

(١) شجر من الأثل ، خشبه من أصلب الخشب ، وجمره يبقى زمناً طويلاً لا ينطفىء .
(٢) الدمى جمع دُمية ، الصور المزينة ، فيها حمرة كالدم .
(٣) الحمى : ما يُحمى ويدافع عنه ، والحماء : ما حُمي من الشيء ، ويقال : هو حماء لك ، أي هو فِداء عنك .
(٤) الرُّبى : ما ارتفع من الأرض ، ومفردها : ربوة (مثلثة الراء) .

إلى آخرها وهي قصيدة طويلة فأجابه المترجم المذكور بقوله :

جاد غيم السما لنا وتبسم عن سنا بارق له غير جهنم
وغدا في الهواء يسحب بردا بطراز البروق أصبح معلم
واختفت تحت ذيله الشمس حتى أصبحت لا ترى كمثل الملثم
فتراه يجري والرعد سوق خلفه كالحادي إذا ما ترنم
فكأن السماء غارت فغطت وجهها حينما الربى قد تبسم
فانظر الروض في حلاه تحلى لابساً سندساً عليه منمم
وكأن الأغصان ياصاح اعطا ف عليها خدود الأزهار تلثم
ذاك قد لاح أحمراً وترى ذا أصفراً فاقعاً وأخضر أدهم
أو كمثل الأجياد يبدو عليها عقد ودق من غير سلك منظم
فتهب الصبا عليها فتأتيـ ـها بأخبار كل عطف منعم
فترى ذا يميل شوقاً لهذا كقدود ببعضها تتلازم
ولصدح الحمام في القلب صدع إن بدا شادياً بعود وزمزم
وخصوصاً إذا تغنى بترقيـ ـق سجوع منه القلوب تهيم
يذكر الصب عهد ما كان منه مـ ـع صحب له يزيلون للهم
فإذا ما بكى الحمام تراني باكياً والدموع كالسحب تسجم
قائلاً آه يا حمام أفدني هل رجوع لعهد أنس تقدم
ما أظن الرجوع إلاّ محالا أي ورب بحق علياه يقسم
فانهضنْ بي يا صاح نحو عقيق ماؤه يذهب الأسى مثل مرهم
واملأن لي من مائه كل كأس إنه مخجل العتيق المختم
واروني ان في حشاي أموراً من أمور منها أخو الصبر يهتم
وأغثني بوجه كل مليح مخجل الشمس بالجمال المتمم
ان تثنّي تقول للبان بن عنـ ـه فإني أخشي قوامك يقصم

أو تبدى تقول للبـــدر بادر　　لاختفاء فوجه ذا البدر أعظم
وإذا هش قلت للدُّر حو　　ل ثناياه إنها منك أنظم
وله مبسـم حوى خمر ريق　　خمرة الكرم عنده ليس تكرم
إنْ رآه الأقاح ظل حيـاء　　ذابلاً خاملاً من الصمت أبكم
وهلال السماء لمـا رآه　　بات يحكي قلامة منـه تقلم
وجنتـاه كالورد كالزهر كالنسرين مثل الشقيق والجمر مضرم
فاعجبن من جمع اللظى مع زهر　　كيف حلاّ بهـا وكل منقم
ومياه الجمـال جالت عليهـا　　وهي تحكي من التودد عندم[١]
كم قلوب تروم منهـا وروداً　　مثل صاري القطا[٢] إذا هو حوم
فترى أسهم اللواحظ تبـدو　　من حنـايا حواجب وتقوم
فتقول الأمان من هذه الأجفـــان ان المنون فيهـا مكتم
ذي عيون كالسحر تخلب للألبـــاب كالخمر تسكر العقل الاحزم
كم بكى النرجس الغضيض عليها　　غيرة بالندى الهمي وتظلم
الفرار الفرار من قبل طحو[٣]　　في الهوى انه لدى الناس معظم
عن قتـال يا أعين الظبي كفى　　واتركي الحرب إنمـا السلم أسلم
كم معنى في حب ذا الظبي أضحى　　منجداً يطلب الوصـال وأتهم
فترى البعض منه يحظى بقرب　　وترى البعض بالتبـاعد مغرم
فهو كالشمس كل شخص تراه　　مبصراً حسنها الذي الكون قد عم
عوذوه بالطور والنجم حفظاً　　وبطه كذا تبـارك مع عم
ثم خطوا من الشوارب خطاً　　فوق كنز اللمى يلوح كطلسم

---

(١) العندم : خشب نبات يصبغ به ويقال له أيضاً : دم الأخوين .
(٢) صَرى يصري الشيءُ : علا وسفل : (ضدّ) وصرى القومَ : تقدّمهم ، وصرى عنهم تأخّر (ضدّ) .
(٢) طحا يطحَى القمرُ : أشرق ، والطاحي : المرتفع ، وطحَى يطحي الشيءَ : بسطه .

أو كمسك الختام فوق رحيق ‏ ‏ ‏ في شفاه منهــا الشفاء تنسم
ليت جيداً له كما الظبي جيــدا ‏ ‏ ‏ بات من فوق ساعد لي ومعصم
وفمي فوق خـــده تارة أو ‏ ‏ ‏ فوق ثغر يقول يا عطر من شم
وعلى نحره أمرغ نحـــري ‏ ‏ ‏ وأداوي مكسور قلبي بالضم
وبزندي منه أمنطق خصراً ‏ ‏ ‏ مثل عود فيــه غرامي خيم
قانعاً عن نجــد الروادف اني ‏ ‏ ‏ لست حقــاً ممن بذلك يتهم
انني في الهوى عفيف سليم ‏ ‏ ‏ انعش الروح بالجمــال وأسلم
حبذا حبــذا المحيا إذا ما ‏ ‏ ‏ لاح لي وهو في ابتهاج ومبسم
فتراني أصبو إليــه اشتياقاً ‏ ‏ ‏ لا لقصد من الخنــا أو لمأثم
غير اني أهوى بأني أجلي ‏ ‏ ‏ لمراة الفؤاد بالحسن عن غم
هكذا هكذا المحــب وإلا ‏ ‏ ‏ عاد ما كان مغنما منه مغرم
أفعار علي ان كنت أهوى ‏ ‏ ‏ رشأ ناعس المحاجر أحرم
فاتهامي بحبــه غير عيب ‏ ‏ ‏ انه منجح لديّ ومغـنم
كل من لم يحب الغيد لم يعــــرف صفاء الهوى مما هو مذمم
حيني يا أخا المحبــة واسند ‏ ‏ ‏ لي حديثاً من الصبابة محكم
واشرحنْ لي متن الغرام وأظهر ‏ ‏ ‏ لي ما كان منه مخفي ومبهم
وأفدني بوصف كل مليــح ‏ ‏ ‏ بارع الحسن بالجمـال معمم
حسن الجيـد والشمال كريم ‏ ‏ ‏ خيمه منه بالمحاسن أكرم
مثل خيم[١] الأديب رب المعالي ‏ ‏ ‏ والمعاني التي بهــا قد تقدم
مفرد العصر جيد الشعر رب النثـــــر كالزهر لاح غير مكمم
بارع من خزائن الفضل والمجـــــد كذا العلم صار أغنى وأغنم
نظمه في الأذواق والخلق منه ‏ ‏ ‏ ذاك أحلى وذاك باللطف أحلم

---

(١) الخيم : الطبيعة والسجية .

عابد الله بالخلوص صديق   صادق الود طرسه عنه ترجم
ماهر في الآداب نابغة الوقـت وكل بأنه الفرد يعلم
وذكاء في النور مثل ذكاء   ان تجلى وقت الضحى لا تغيم
حاذق دافق القريحة حبر   كم أديب منه الفنون تعلم
شاعر أظهر البدائع لما   في رقاب الألفاظ حقاً تحكم
وغدا معدن المعارف بحر الظرف باللطف والتحايف قد طم

ومن قوله مراسلاً والده من الصعيد :

سهرت على الأحباب شوقاً لياليا   فهل بهم من شدة الشوق ما بيا
وهل عندهم مثلي غرام ولوعة   ووجد ببحر القلب قد صار طافيا
وهل هم كمثلي في الظلام تدرعوا   ثياب سهاد غادر النوم جافيا
سقى الله جيران العقيق ولعلع   ملث[1] سحاب هامع القطر هاميا
وحيا مغاني الأنس أوفى تحية   تدوم لهم ما دام شوقي وافيا
سقى ورعى أيامنا ولياليا   تمضت بوصل في حماها حواليا
لقد هاجني التذكار نحو ربوعها   كما هاجت الارواح ورقا[2] شواديا
تبيت على الأغصان تصدح سحرة   بحسرة شوق تترك الصب باكيا
فهل منزل الأحباب بعدي عامر   وإلا كجسمي صار بالبين باليا
وإلا كصبري شفه الافتراق بل   أدام إلهي منزل الأنس عاليا
فإني لمشتاق إلى لثم سوحه   لأني أراه من هيامي شافيا
متى أكحل الأجفان من تربه متى   أشم ثرى يغدو به العقل صاحيا
متى عيني السكرى بدمع وحرقة   تقر بقرب يترك العيش هانيا
إذا هب من أرض الحجاز نسيمها   يظل كنيران الغضا لي صاليا
وقد كنت أرجوه يبرد لوعتي   ويطفي لظى شوق لقلبي كاويا

---

(١) لث يلث لثاً وألث بالمكان : أقام فيه وألث عليه : ألح ، والمطر دام أياما .
(٢) الحمام .

سلوا الفرقدين النيرين سلوا السهى ... كذاك اسألوا عني السهيل اليمانيا

سلوا أنجم الجوزا سلوا القطب بل سلوا ... سما كا ، سلوا عني النجوم الدراريا

أردد فيها الطرف في غسق الدجى ... وأرقبها في طول ليلي مراعيا

وأشكو إليها ما بقلبي من جوى ... وأشهد أن العهد ما زال باقيا

وأذكر ساعات اللقا ومضيها ... كوامض برق في الدجى كان شاريا[1]

وأذكر قربي من ديار أحبتي ... فقد صرت عنهم بالتباعد نائيا

رماني زماني بالتفرق والنوى ... وبالبعد عنهم بعد ما كنت دانيا

لعل الذي قد دبر الكون أمره ... يقصر أيام النوى والليا ليـا

ويجمع كلا عن قريب فإنه ... سميع مجيب للذي بات داعيا

فلا تقطعوا عني دعاكم فإنه ... لاكسير سعد يترك العبد واليا

وحياكم المولى بأزكى تحية ... تفوق من العَرف الشذي غواليا

ومن قوله مجاوباً العلامة الشيخ علي الفرضي :

أبا الحسن اعذرني فاني آيب ... وسامح محبا للسماح يراقب

فانك أهل الحلم والفضل والنهى ... وذو همم تحكى بذاك السحائب

بعثت بأبيات إلي كأنهـا ... من الحسن في أفق البيان كواكب

زعمت بها اني سلوت الوداد إذ ... تأخرت عنكم لا ، ومن هو واهب

فكيف معاذ الله أصبح ساليا ... لخدْني الذي لي معه تصفو المشارب

ولكن صروف الدهر أضحت تعوقني ... بأن التقي معكم وتقضى المـآرب

واني لمشتاق اليكم ومهجتي ... وحق إلهي للقـاء تطالب

وما كان تأخيري من الهجر والقلا ... ولا القلب في اخلاصه الودّ كاذب

وكل الذي أبصرتمو من تأخري ... لأمر به عقلي من الهم غـائب

وهذي الدنا ليست تجيء على الهوى ... ولا تشتهي أن قد تنال المطالب

---

(١) شرى البرقُ : لمع وكثر لمعانه .

تكدر ما بين الأحبة ان رأت ... على راح صفوقد تصافت حبايب
وقولي صدق ليس فيه تخالف ... لأني امرؤقد طال مني التجارب
فسامح ولوأخطأت ياخيرصاحب ... فذلك عند الأكرمين مناقب
فإني خجول منك أقوى خجالة ... وفي أضلعي من شدة الشوق واجب
فلا زلت أهلاً للسماحة والعلا ... ورب البها والعز ما حن صاحب

ومن قوله

يا ساكني وادي الأجارع جودوا ... بلقـاكم فتصبري مفقود
جودوا عليّ مع الصبا برسائل ... تطفي فؤاداً في حشاه وقود
فلعله يأتي يُشَنِّف أدمعاً ... بلت بواكفها[1] الهميّ خدود
وعساه أن يطفي لهيب أضالع ... نحلت فشابهها انتحالا عود
لأشم منها نفحة عطرية ... بشميم أزهار الحجاز تجود
كيف اصطباري عن تنشق عَرفكم[2] ... أظننتم ان الحشا جلمود
أم تحسبوني بالسوى متبدلاً ... لا والذي بحقيقة معبود
أم غير ذكركم ثوى في خاطري ... أم غير قربكم الهني أرود[3]
أم غير حب لقائكم أهوى مَنَا[4] ... يا منيتي إلا اللقـاء فجودوا
اني إذا جن الظلام يزورني ... وجد وسهد للسها مشهود
ومسامري وجد مقيم مقعد ... وله حديث من جوى[5] مسرود
وقريحة الأجفان تبكي حسرة ... إذ فر عنها النوم فهو شرود

---

(١) الواكف : المطر المنهلّ .
(٢) العَرْف : الرائحة الطيبة ، ويقال : ما أطيب عَرفه .
(٣) اطلبُه وأسعى له .
(٤) يقال : داري مَنَا داره : أي حذاءها ومقابلها والمُنية والمِنية ، جمعه مُنًى ومِنًى : البغية وما يُتمنّى .
(٥) الجوى : شدّة الوجد من حزن أو عشق .

وتقول اين النوم قلت لها سرى	ليرى حبيباً قد حوته زرود
فتجيب ما هذاالسرى جنح الدجى	في الصبح قد قيـل السرى محمود
اني مريض هواكم هل طيفكم	يأتي إليّ يعودني ويعـود
ليكون للنـوم الهني وسيلة	كيف الهناء لمن جواه شديد
كيف الهناء لمن رمته يد النوى	عن ربعه المأنوس وهو بعيـد
والبين أبعده وبين مرامـه	لجج بحـار بل مفاوز بيد
لكنني أرجو المهيمن عودتي	فهو الكريم وبابه مقصود
لأفوز في يوم اللقـاء بجيرتي	فيكون عيـداً كملته سعود

وان قصائد المترجم كثيرة ، ومعروفة وشهيرة ، وفي سنة الف ومائتين وواحدة قد رحل إلى الآستانة العلية ، دار السلطنة السنية ، وألف بهـا كتابه « اللآلىء الثمينة ، في أعيان شعراء المدينة » ولم أقف على تاريخ مماته ، أسبغ الله علينا وعليه جميل هباته .

الشيخ عمر بن الشيخ طه بن الشيخ أحمد بن عبيد الله ابن عسكر بن احمد الحمصي الأصل الدمشقي المشهور بالعطار

امام عالم متقن ، وهمام فاضل متفنن ، قد ساد أهل عصره بعلومه ، وزاد على أهل مصره بإدراكه لمنطوق العلم ومفهومه ، فألف وصنف ، وقرّط المسامع وشنف ، وتذاكر مع علماء الأمصار ، فاتفقت على فضله أسماعهم والأبصار ، ووضعته علوم المعقول على مفرقها تاجا ، وأطلعته في شامهـا سراجاً وهاجا ، وتبسم به ثغر التصوف والحقيقة ، فكان لذوي المعارف

حديقة وأي حديقة ، مع أخلاق لو مزج بها البحر لطابت عذوبته ، ولطافة لو توجهت على الصخر لظهرت ليونته ، وشيم هي في المكارم غرر وأوضاح[١] وهمم كادت أن تتناول بساعد سموها البدر الوضاح . وكان ولوعاً بالمحادثة والمذاكرة ، مطبوعاً على شغل المجالس بالمحاضرة ، كثير السياحة والجولان ، في الأمصار والبلدان ، وقد أخذ عن عدة أفاضل ما منهم إلا من سما وترقى في الفضائل ، من دمشقيين ومصريين . ومدنيين ومكيين ، وغيرهم من فرس وأغوان وأتراك وداغستان . وكلهم أجازوه وشهدوا بفضله وذكائه ونباهته ونبله ، غير أن عبارته كانت أحسن من كتابته وإن كان كل منها دالاً على فضالته .

وله عدة تصانيف وجملة تآليف ، قد شرح الفصوص[٢] شرحاً غير مغموص ، وله ردّ متين على منتقص العارف محي الدين ، وله عدة رسائل هي للمقصود من أعظم الوسائل[٣] .

وكان حسن الصورة والكلام لايمله جليسه مدى الأيام ، وله شجاعة مشهورة وجسارة على المدح مقصورة . قد لازمه في آخر عمره المرض وجعله لسهامه الصائبة كالغرض ، ولم يزل ملازماً له حتى وافاه حِمامه ، وترنم على أفنان الجنان حمامه . وذلك عام ألف وثلاثمائة وثمانيـة من الهجرة الشريفة السامية ، وبلغ من العمر نحو السبعين ، رحمه الله وبلغه مرامه ومناه .

---

(١) الأوضاح : جمع : وَضَح . وهو الضوء وبياض القمر والغرّة .

(٢) فصوص الحِكم لابن عربي .

(٣) منها ، رسالة : أين الإسلام ؟ نبذة أدبية اجتماعية تمثل حالة المسلمين ـ مصر ... وتحقيق معنى الوجود ، وترتيب العوالم العلوية والسفلية ، وشرح الإيساغوجي في المنطق ، وشرح الاظهار في النحو (من معجم المطبوعات ومنتخبات التواريخ) .

الشيخ عمر المجتهد بن الشيخ احمد المجتهد الدمشقي الميداني الحنفي

شيخٌ حرم العلم وامامُه ، ومن في يديه ناصيته وزمامه ، لديه تنشد ضالة مشكل المسائل ، وتوجد شوارد الفواضل والفضائل ، فليس يباريه في التحقيق مبار ، ولا يجاريه في التدقيق مجار ، إلاّ وقف حسيراً ، ووعى عنه أخيراً ، ولو لم يكن لمآثره ولمفاخره ناشر ، سوى شيخيه الإمامين الجليلين والعالمين الفاضلين ، الشيخ عمر اليافي الخلوتي والشيخ خالد النقشبندي العثماني لكان ذلك كافياً ، وبمقامه وعلاه وافيا ، وقدّمه على السادة الأفاضل ، وأغناه عن قول كل قائل ، فإنهما شهدا له بالعلم والاجادة ، والتقوى والعبادة .

ولد رضي الله عنه سنة تسع وستين ومائة والف[1] ، ونشأ في حجر العلم والعبادة ، والفضل والزهادة ، والافادة والاستفادة ، وكان من صغره تلوح عليه لوائح السعادة ، أخذ الفقه عن شيخه السيد محمد هبة الله افندي التاجي ، والنحو عن السيد محمد شاكر العقاد الشهير بمقدم سعد ، والحديث عن عمدة السادة الأخيار ، الشيخ احمد العطار ، وقرأ كثيراً من العلوم ، على مشايخ سوى هؤلاء كما هو في ثبته معلوم ، وكان رضي الله عنه دائم الأذكار ، في الليل والنهار ، حسن الأخـلاق والشمائل ، حفّاظاً لأحكام مشكلات المسائل ، كثير العبادة والتقوى ، دائم الالتفات إلى الله في السر والنجوى ، قد علا صيته وفاق ، وملأ النواحي والآفاق ، وقد طلب لأمانة الفتوى في دمشق مرتين فلم يقبل ، ويقول دعوني مما أحاسب عليه وأسأل وكان مهابا معظما عزيزاً مفخماً ، يهـابه كلّ من يراه ، ويتبرك به كل من قصده ونحاه .

---

(١) في روض البشر (ولد سنة ١١٧٨ هـ) .

توفي رضي الله عنه في اليوم السابع والعشرين من شهر شعبان المعظم سنة أربع وخمسين ومائتين والف ، وصلى عليه الفاضل المقدام ، والعالم الهمام الشيخ سعيد الحلبي وحضر جنازته عدد لايحصر ولا يحصى ، ولا يعلم ولا يستقصى ، ودفن بتربة باب الصغير ، وكان قد أوصى قبل موته أن يكتب على ضريحه البيتان المنسوبان للامام الشافعي قدس الله سره ، وهما :

ولما دنا عمري وضاقت مذاهبي جعلت رجائي نحو عفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظما

الشيخ عمر افندي الديار باكرلي والد طاهر افندي مفتي دمشق الشام

إمام العلوم العربية وعَلامها ، والمنشورة به في الخافقين أعلامها ، منهج السالك ، لأرقى المسالك ، وملهج البيان ، في بديع التبيان ، خطيب منبر المعقول والمنقول ، وكعبة طواف حجاج بيت المعاني والأصول ، العابد الورع الزاهد ، وعموم الناس له مابين شاكر وحامد ، خاتمة المحققين ، ونخبة المدققين دليل أهل الفضل واليقين ، إلى الزهد والصلاح ، والتقوى التي أشرق نورها في أسرة وجهه ولاح ، وله إلمام بالمعقول وافر ، طلع في المنقول بأفق بدره السافر ، وكان لايجيل ذهنه وفكره ، في غير مسائل العلم التي خلدت في صحائف الأيام ذكره ، توفي رحمه الله نهار الأحد في ثامن رجب الفرد سنة ثلاث وستين ومائتين والف ودفن في مقبرة الدحداح .

الشيخ عمر بن السبيعي الشافعي الأشعري الدمشقي

كان رجلاً من أهل العبادة ، والطاعة والزهادة ، كثير الصيام ، مواظباً على التهجد والقيام ، له شغف بتلاوة القرآن ، والاذكار الواردة

عن السيد المصان ، ملازم على دروس العلم من صغره ، وعلى العمل بمقتضاه إلى نهاية عمره ، وله شهرة بين الناس بالتقوى والصلاح ، والاستقامة على نهج الفلاح ، محبوب في القلوب ، مؤتمن في كل مطلوب ومرغوب ، مستقيم الأطوار ، معدود من الأخيار [١] ، توفي رحمه الله يوم الاربعاء خامس شهر ربيع الثاني سنة أربع وثلاثمائة والألف من غير مرض ، بل كان في حانوته مشتغلا في تجارته ليس به أدنى مرض بل صحته في كمالها فأصابه وجع قليل في معدته فذهب إلى بيته فصادفته المنية عند وصوله ودفن يوم موته في مقبرة باب الصغير . وكان مشهد جنازته غريباً في كثرة الحاضرين وازدحام المشيعين ، رحمة الله تعالى علينا وعليه وعلى المسلمين أجمعين .

الشيخ عمر افندي بن عبد الغني افندي بن محمد شريف بن محمد الدمشقي العامري الشهير بالغزي

مفتي السادة الشافعية بدمشق الشام . ولد بدمشق الشام ليلة الاثنين ثاني ذي الحجة الحرام سنة مائتين بعد الألف ، ونشأ في حجر والده وقرأ القرآن ، وبعد اتقانه حضر على العلماء ، والسادة الفضلاء ، منهم الشيخ حسن المكي والسيد محمد شاكر العقاد وغيرهم من الأفاضل الكرام [٢]

---

(١) وفي منتخبات التواريخ ما خلاصته : نشأ بدمشق ، واشتغل بالتجارة ، وطلب العلم فلازم العلامة الشيخ محي الدين العاني وغيره ، وجد واجتهد ، وكان فقيهاً ورعاً معتقداً . حج سنة ١٢٩٧ ودرس وانتفع به جماعة . وأعقب المترجم ولديه هما الشيخ محمد والشيخ عبد الله المتوفيان بعد سنة ١٣٢٠ هـ انتهى .

(٢) في روض البشر للشطي ما ملخصه : قرأ على والده وعمه السيد كمال الدين مبادىء العلوم ، وأخذ صحيح البخاري بالإجازة العامة عن القدس محمد الكزبري والشهاب أحمد العطار والعلامة علي الشمعة والشيخ عبد القادر حفيد الأستاذ عبد الغني النابلسي ، وقرأ كثيراً من الكتب في العلوم العربية والدينية والعقلية على العلامة السيد محمد شاكر العقاد ، وبه انتفع وعليه تخرج . وقرأ أيضاً من هذه العلوم على العالمين —

والسادة العظام ، الى أن صار من أفراد ذوي التحقيق على التحقيق ، وساد أرباب التدقيق بنظره الدقيق . مد للرياسة كفا وساعدا ، فصادف الدهر له على مرامه مساعداً ، وتبرجت له هيفاء المعالي والمعارف ، من بروج مجده العريق بكل فضل تالد وطارف ، فهو الطود الشهير والعمدة الكبير ، عين أعيان دمشق الشام ونخبة ذوي المقامات العالية والاحترام .

وفي سنة ألف ومائتين وست عشرين وجه عليه افتاء الشافعية بدمشق والتدريس في المدرسة الشامية مكان أسلافه ، وشرح منظومة جده البدر الغزي في النحو ، وسماها « الكواكب الدرية شرح الدرة المضية » وبلغ من الفضل والجاه ماتقدم به في دمشق على من سواه . وصار عضواً مقدماً بمجلس شورى الشام نيفاً وعشرين سنة بدون انفصال ، واشتهر بالآفاق وانعقد على جلالته الاتفاق ، ونبل قدره وارتفع صيته وذكره . وكان مفرداً بالذكاء والمعارف وموصوفاً بالشمائل العالية واللطائف ، مهاباً جسوراً لايهاب حاكماً ولا وزيراً . دخلت مرة مع والدي الى المجلس الكبير وكنت غلاماً صغيراً ، فوضعني المترجم بجانبه وجعل لي قدراً كبيرا ، وكان المجلس قد غص بأهله واجتمع فيه أعيانه من فرعه إلى أصله ، ولم يكن في البلدة مجلس سواه ، يجلس فيه الوالي وحاكم الشرع والمفتي وسائر الأعيان ذوي القدر والجاه ، فبعد أن جلسنا قليلاً وجدت أوراقاً كثيرة قد أهملت في زوايا الإهمال ولم ينظر إليها بحال ، فقلت له سراً سيدي ما هذه الأوراق المعرض عنها أنظرتم بها وتم الشغل منها ، فرفع صوته وقال :

ـــ الجليلين الشيخ عبد الرحمن الطيبي والشيخ سعيد الحلبي . ونظم الشعر ، وألف مؤلفات منها : شرح منظومة جده البدر في النحو ، سماها : الكواكب الدرية ، وهداية الأنام الى خلاصة احكام الاسلام ورسالة في التكرار الواقع في القرآن ، وشرح على الأجرومية : ورسالة في المناسك وديوان شعره . قال والده محمد افندي (الملخصة عنه هذه الترجمة) : جمعته له ، وله غير ذلك اه .

ولم يخش من كبير ولا وال ، هذه الأوراق الواردة من السلطان ، المشتملة على أوامر لا تناسب الأوان ، فألقيناها في البطال ولم نعمل بها بحال ، ولم يخش من حاكم ولا كبير ولا قاض ولا وزير .

وفي اليوم الخامس من ربيع الثاني سنة سبع وسبعين ومائتين والف ، نفي من دمشق إلى جزيرة قبرص ووضع في قلعة الماغوصة أيام حادثة النصارى ، ومات بها ثاني رمضان في السنة المذكورة ودفن في جامعها ، وكان عمره سبعاً وسبعين سنة رحمه الله .

الشيخ عمر التغلبي بن عبد القادر بن عمر بن علي ابن سعد الدين بن محمد

ابن محب الدين بن سعد الدين بن محمد بن الشيخ محمد أبي تغلب بن سالم بن محمد بن نصر بن منتصر بن علي بن عثمان بن حسين بن قاسم بن محمد بن سيف الدين الرجيحي بن سابق بن هلال بن الشيخ يونس الشيباني الكبير والد السيد سعد الدين الجباوي المدفون في قرية جبا من أعمال دمشق الشام ابن الشريف عبد الله بن الشريف سعيد بن السيد عبد الرحمن بن السيد أحمد بن السيد ادريس الأكبر بن السيد محمد بن السيد عبد الله بن السيد حسين بن السيد علي ابن السيد عبد الله بن السيد عمر الغازي بن السيد موسى بن السيد يحيى بن السيد الإمام الكامل علي الهادي ابن السيد محمد الجواد بن السيد علي الرضى ابن السيد موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي الأصغر زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام علي زوج فاطمة الزهراء بنت سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد ﷺ .

ولد بدمشق سنة الف ومائة وعشر ونشأ في السلوك والطريق والعلم والتحقيق والبراعة والتدقيق ، وأخذ عن العلماء العظام والسادة الأعلام ، وكان شيخ

السجادة التغلبية في دمشق المحمية، واشتهر وفاق وعم ذكره الآفاق، وأخذ عنه الكثير والجم الغفير، وله كرامات وأخبار غيبية ومكاشفات، مات سنة خمس عشرة ومائتين والف [١]، ودفن في مرج الدحداح .

الشيخ عمر بن عمر بن عبد القادر بن عمر التغلبي الدمشقي ولد الشيخ عمر المتقدم

كان شهيراً في الأمور الخارقة للعادة، كثير التقوى والعبادة، حسن الإرشاد ظاهر الامداد .

ولد بدمشق ونشأ بها وصار من أجلائها وأعيانها، ذا هيبة وجلالة، وعظمة وفضالة، عفيفاً ديّناً صالحا توفي ثاني عشر رمضان المبارك سنة تسع وسبعين ومائتين والف ودفن في مرج الدحداح عند قبور أسلافه [٢] رحمهم الله تعالى .

الشيخ عمر بن محمد بن محمد بن عمر الدمياطي الأصل

اليافوي الشهرة والمولد الغزي الوطن، الحنفي الخلوتي البكري شيخ الطريقة الخلوتية بالشام .

ولد بثغر يافا في ساحل الشام سنة ثلاث وسبعين ومائة والف ونشأ بها، ثم قدم دمشق واستوطنها وأقام بها الأذكار، وأخذ عن قطب الوجود،

---

(١) قال صديقنا الأستاذ جميل الشطي ـ بعد أن نقل هذه الترجمة : قلت أخبرني بعض أحفاد المترجم أن جده هذا أخذ عن العارف النابلسي، وعاش مائة وأربع سنوات، وتوفي سنة ١٢٢٠ هـ وأرخ وفاته الشاعر البربير، بأبيات آخرها قوله :

فالأرض ناحت عليه والسماء بكت   بالدمع مذ قلت تاريخي قضى عمر

(٢) وفي روض البشر للشطي أيضاً : قلت : وهذا المترجم الثاني : أعقب كلاً من الشيخ يونس والشيخ محسن التغلبي المتوفى سنة ١٣٦١ هـ رحم الله الجميع آمين ا هـ . ملخصاً .

وصفوة أهل الشهود ، شيخ الطريقة ومعدن الحقيقة ، القطب الرباني والهيكل الصمداني ، السيد مصطفى البكري الصديقي ، قطب الديار المصرية والشامية ، وعن العلامة الشيخ السفاريني والعلامة البخاري والعلامة الشيخ أحمد الباقاني وصار عمدة الأولياء ، وزبدة الفضلاء . ومن نظمه في مدح الشيخ الأكبر قدس سره :

أقبل إلينا صادقاً   وبعهدنا كن واثقا
نسقيك كأساً رائقاً   صرفاً تصفى من كدر
سلمى السحارى تنجلي   في المشهد الأسنى العلي
وقد تحلت من حلي   عقد اللآلي والدرر
يا حبذا ذاك الجمال   الحاوي أنواع الكمال
قد جل حسناً عن مثال   وعز عن درك البصر
فانهض وجرد هما   وللتداني يمما
وارتع بروضات الحمى   واقطف لمى ذاك القمر
وغب بوجد عن وجود   وطب إذا طاب الشهود
ان اللقا عذب الورود   فلا تكن ممن صدر
فاحرم وزمزم واستلم   للكعبة الحسنا التزم
يا سعد عبد قد غنم   وحج شوقاً واعتمر
ما الكون يا ذا غيرها   ان رمت فادخل ديرها
وان تغنى طيرها   ألفيت عيناً في الأثر
ان رمته تدنو للطريق   باكر لها تسقى العقيق
ان انتسابي للصديق   . . . وأنا عمر

توفي رحمه الله في ذي الحجة الحرام سنة ثلاث وثلاثين ومائتين والف ودفن في مقبرة الدحداح وقبره ظاهر مشهور يزار ويتبرك به . وقد رثاه العالم الأديب والماهر اللبيب الشيخ امين الجندي الحمصي رحمه الله بقوله :

قسيّ المنايا ما لأسهمها رد ... فما حيلتي والصبر قد دكه البعد
دهيت برزء لا يطاق غناؤه ... وكرب وحزن ما لغايته حد
غرام وحزن واحتراق ولوعة ... وتذكار عهد يستفزّ به الوجد
وشوق إذا ما الدهر أطفأ حره ... تزايد ما بين الضلوع به الوقد
ونفس لفقد الالف أمست جزوعة ... إذا ما نحاها البين أتلفها الصد
وقلب على جمر الأسى متقلب ... وطرف كليل حله الدمع والسهد
حمام الحمى هل أنت بالنوح مسعفي ... فإني لفقد الالف أشدو كما تشدو
لقد كان شملي كالثريا فأسرعت ... بتشتيته الأيام وانتثر العقد
أخلاي صرف الحادثات أراعنا ... فعادت علينا عاديات الأسى تعدو
انطمع في دار مريع زوالها ... وكأس المنايا منه ليس لنا بد
فيا عين لا تبقي من الدمع طارفاً ... ولا تالداً وابكي وان مسك الجهد
ويا نفس لا تبغي الاقامة بعد ما ... ترحل عن أوج العلا العلم الفرد
هو ابن رسول الله والعلم الذي ... لسؤدده السامي انتمى الفخر والمجد
هو البحر إلا أن تيار لجه ... يفيض فيهدي دره الجزر والمد
هو الروض أنساً والنسيم لطافة ... هو الطود . . . .
هو السيف لا تخفى مقاتله على ... خبير ولا ينبو لقائمه حد
امام يحاكي ليلة القدر فضله ... ببرهان صدق لامراء ولا جحد
همام لقطبانية العصر حائز ... وفي المنصب الأعلى له الحل والعقد
فتى لبني الصديق أضحى خليفة ... الى الحق يدعونا ونحن له جند
نشا بحجور الخلوتية راضعاً ... لبان المعالي والكمال له مهد
إلى أن كساه الله أفخر خلعة ... تجسم فيها العلم والحلم والزهد
هدانا لورد المنهل العذب منة ... فيا حبذاك المنهل العذب والورد
فطبنا بذكر الله في حال سيرنا ... سميراً وحادي الشوق ما بيننا يحدو

وهمنا بدعد ثم هند وزينب ... وسلمى ولا هند لدنيا ولا دعد[(١)]

تعاظم عن بث المقال مقامه ... فحسبي لديه الذكر والشكر والحمد

لئن ختمت فيه ولاية عصرنا ... فإن ختام المرسلين له جد

وإن غاب منه الجسم عنا فسره ... مدى الدهر فينا أن نوح ومذ نفدو

ففيه لمن عزى يقال لك البقا ... قضى العارف اليافيّ والجوهر الفرد

أقام على نهج الطريقة وهي في الـــحقيقة عن نهج الشريعة لم يعد

ومات شهيداً وهو حي بمالنا ... بناه من المجد الذي ما له حد

وهل مات من القى علينا كواكباً ... من الهدْي يزهو في مطالعها السعد

فقل لجهول راح ينكر فضله ... ثكلتك فالجعلان يقتله الورد

أيبصر خفاش الضلال الضيا وهل ... ترى الشمس إذ لاحت عيون الورى الرمد

فيا بحر فضل كيف وارتك حفرة ... ويا بدر هدْي كيف غيبك اللحد

لقد ثلم الاسلام بعدك ثلمة ... مدى الدهر والأعوام ليس لها سد

رعى الله أمراً كان بالأمس صادراً ... عن السيد البكريّ لم يحكه عهد

وعز بشارات أتت منه لي على ... لسانك تتلوه العناية والرفد

---

(١) اتى في هذا البيت من الرثاء، على أسماء دعد وهند وزينب وسلمى اثباتاً ونفياً، وذاك عند أهل التصوف يسمى مقامات وأحوالا، فالاثبات في مقام الوجود، والنفي في حال الشهود، وكذا البقاء والفناء، ولكن الكناية بهــذه الأسماء عن الذات الإلاهية، لا يجوز بحال، ولا ندعوه سبحانه إلاّ بما دعا به نفسه، « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها، وذروا الذين يُلحدون في أسمائه » وقد نزه تعالى نفسه في سورة الاخلاص عن أن يلد أو أن يولد، أو يكون له ند أو ضد، كما نزه ملائكته عن أن يكونوا اناثاً، وأن يكونوا بنات الله، فقال في سورة النجم: « انّ الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى، وما لهم به من علم » وقال في سورة النحل: « ويجعلون لله البنات سبحانه، ولهم ما يشتهون » فمن أين لهم ان الملائكة اناث؟ ومن أين لهم انهم بنات الله؟؟ وهذا تقوّل على ملائكة الرحمن، بلا علم ولا برهان، « كبرت كلمة تخرج من أفواههم، إن يقولون إلاّ كذباً ».

ولي منك وعد أخروي مقرر بحضرة سيف الله ما فوقه عهد
يكاد له الانجاز يسبق بالوفا نعم هو آس في الحقيقة لا ورد
أمولاي هب اني عبيد مقصر وأن ذنوبي ليس يحصرها العد
اما عنكم أخذي وأنتم وسيلتي إلى الله وهو الغوث في كل ما يبدو
وكيف ولا أرجو بلوغ مقاصدي وراجي نداكم لا يخيب له قصد
دنوت فأقصاني النوى عن ظلالكم فأبت فأدناني التحبب والود
جعلتم لي الاطلاق قيداً بحبكم فذلي بكم عز وغيي بكم رشد
واني وان أدعى على سر سركم أميناً ولكني لعبدكم عبد
فلا زال هتّان الرضى هامياً على ضريح به الفيض الإلهي يمتد
وأرواح غفران وعفو ورأفة يروحه من نشره المسك والند
لمن كان في العش اصطفاه مؤرخاً بباء بها حسن الختام به يبدو
وصل بتسليم على الرحمة التي بها في التناهي يرحم القبل والبعد
مع الآل والأصحاب من في سما العلا مناقبهم بالفضل لم يحصها العد
مدى الدهر ما الجندي صاح من الأسى قسي المنايا ما لأسهمها رد

الشيخ عمر بن عبد الله بن عبد العزيز بن أحمد بن أبي العباس ابن ابراهيم بن عبد الرحمن

السفرجلاني الدمشقي الشافعي الشاذلي .

ولد سنة الف ومائة و ... وأخذ الطريق عن والده وبعد موت والده كان شيخ الطريقة مكانه وأخذ عن عمه أيضاً توفي سنة الف ومائتين وسنة واحدة ودفن بباب الصغير .

الشيخ عمر البابلي الشافعي المصري الأزهري

قال الجبرتي في ترجمته هو :الإمام العلامة والحبر المدقق الفهامة،ذو الفضائل والتحقيقات المهمة الذكي الألمعي النحوي الفقيه، البياني المنطقي الأصولي النبيه . تفقه على علماء العصر وحضر الشيخ عيسى البراوي والشيخ الصعيدي والشيخ احمد البيلي والشيخ عبد الباسط السنديوني وتمهـــر في العلوم ، وقرأ الدروس وأخذ الطريقة الخلوتية على شيخنا الشيخ محمود الكردي ولقنه الأسمـــاء ولازمه في مجالسه وأوراده ، ملازمة كلية ولوحظ بانظاره ، وتزوج بزوجة الشيخ احمد أخي الشيخ حسن المقدسي الحنفي ، وكانت مثرية فترونق حاله وتجمل بالملابس وعرفته الناس ، وماتت زوجته المذكورة لاعن عصبة فحاز ميراثها ، والتزم بحصة كانت لها بقرية يقال لها دار البقر ، فعند ذلك اتسعت عليه الدنيا وسكن داراً واسعة ، واقتنى الجواري والخدم ومواشي وأبقاراً وأغناماً ، واستأجر أرضاً قريبة يزرعها بالبرسيم تغدو اليها المواشي وتروح كل يوم من أيام الربيع ، ثم تزوج ببنت شيخه الشيخ محمود بعد وفاته ، وأقام منعما معها في رفاهية من العيش مع ملازمته للاقراء والإفادة إلى أن أدركه الأجل المحتوم . توفي سنة خمس ومائتين والف بالطاعون [١].

الشيخ عمر بن مصطفى الحلبي

الولي المستغرق المجذوب صاحب الأحوال والكرامـات ، مولده بعد الأربعين والمائة والألف ، ونشأ بكنف والده من صغره مجذوبا ، وشوهدت

(١) في آخر ترجمة الشيخ عمر البابلي ـ من تاريخ الجبرتي ـ ما يأتي : وكان إنساناً حسناً ، جم الفرائد والفوائد ، مهذب الأخلاق لين الطباع ، حسن المـــاشرة جميل الأوصاف ، رحمه الله تعالى (اهـ من ج ٢ ص ٢٢٣) .

له كرامات وأشياء غريبة في أول أمره ، ثم نما حاله وترقى ، واعتقده الخاص والعام من الناس ، وظهرت له كرامات يطول تعدادها ، وكأنه لايشك في ولايته ، وكان يدور في شوارع حلب ويطلب من الناس الدراهم ويعطيها لأمهات الأولاد اللاتي مات عنهن أزواجهن لاعن شيء ، فسخره الله تعالى لهن ، وكانت هؤلاء النساء تكلفه الزيادة عن وسعه فيتحمل ويأتيهم بالمطلوب ، وكان الناس يعرفون له هذه الحـالة فيعطونه ولا يبخلون عليه ، مع اعتقادهم غاية الاعتقاد ، ويطلبون رضـاه ودعاه ، وكان مقبول الأطوار مستعذب الحركات والأحوال . مات رحمه الله بعد خمس ومائتين والف .

الشيخ عمر الحريري الرفاعي شيخ السجادة المباركة الرفاعية بحماة الشام

قد ترجمه صاحب تنوير الأبصار السيد أبو الهدى افندي فقال : هو السيد عمر بن السيد حسن بن السيد محمد بن السيد أبي بكر بن السيد محمد ابن السيد احمد بن السيد عبد الباسط بن السيـد محفوظ بن السيد عبد الباسط بن السيد عبد الدائم بن السيد الكبير ابراهيم بن السيد ارسلان ابن السيد أبي بكر منصور بن السيد ابراهيم بن السيد علي بن السيد حسن ابن السيد خميسي بن السيد سعيد بن السيـد داود بن السيـد مطر شيخ الخرقة بحماه ، بن السيد الزاهد محي الدين الحريري نزيل حماه بن السيد يحيى النجاب بن القطب الكبير السيد أبي الحسن برهان الدين علي الحريري نزيل بصرى بحوران الشام بن السيد عبد المحسن بن الحسن سبط النفس النفيسة الرفاعية بن القطب الاجل السيد مهد الدولة عبد الرحيم الرفاعي الحسيني الكبير .

ولد بحماه ونشأ بحجر والده الشيخ الكامل الفاضل السيد حسن الحريري وقرأ القرآن وشيئاً من العلوم العربية والفقه والحديث ، ولبس الخرقة الرفاعيه من أبيه ، واجتهد وخلَفَ والده بالمشيخة في زاويته ، وعلا أمره وشاع في البلاد ذكره ، وكان كثير الصلاة على النبي ﷺ ، وكان أسخى من الغيث الهاطل ، حسن الأخلاق غيورا في الله ، صاحب دين وعزم مكين ، وحسن وفا ، وجمال لطف وصفا ، عذب المكالمة رقيق المنادمة ، وبه انتشرت الطريقة الرفاعية وأخذ عنه جماعة من الأفاضل الأكابر ، منهم السيد ياسين بن السيد حسين الرفاعي شيخ مشايخ الطريقة الرفاعية بمحروسة مصر ، وغيره من السادات . وكان يقيم الذكر بزاويته بحماه يوم الخميس بعد العصر ، فيجتمع عنده عالم عظيم ، ويمد لهم السماط ويستمر إلى الليل . وقد القى الله محبته في القلوب ، وجمع عليه كلمة الناس واعتقده الخاص والعام ، وكان له خوارق عادة ، وكرامات بلغت في العد الزيادة ، توفي المترجم بدمشق الشام سنة ثمانين ومائتين وألف ودفن بزاوية بني الحريري بصالحية دمشق انتهى ملخصاً من الكتاب المذكور أعلاه مع اختصار وبعض تصرف .

بحمده تعالى : قد انتهت تعليقاتي على هذا الجزء الثاني

من « حلية البشر » بعد صلاة العشاء من يوم الجمعة

(في ١٨ شوال سنة ١٣٨٢ هـ و ٢٣ / ٣ / ١٩٦٣ م)

وتراجع فرائده وفوائده في الصحف التالية

ويليه الجزء الثالث وأوله :

السيد محمد بن السيد أحمد بن السيد إسماعيل بن الشهاب أحمد المنيني

وكتبه الضعيف :

محمد بهجة البيطار



بسم الله الرحمن الرحيم

الموجز

[لما اشتمل عليه هذا الجزء الثاني - من حلية البشر ، في تاريخ القرن
(الثالث عشر ــ من فوائد وفرائد)

قدمنا في الجزء الأول خلاصة ماتضمنه من فوائد وفرائد جعلناها مدخلاً له ، واقتصرنا في آخره على ذكر أسماء الأعلام المترجمين . وجرياً على هذه الطريقة نقدم في ختام هذا الجزء الثاني منه أيضاً موجز ما اشتمل عليه من الطرائف ، ليكون المطالع على علم بها مجملة ، من بعد مارآها مفصّلة . فقد نشرنا ترجمة الأستاذ الجد المؤلف (في ج ١) بعد المقدمة ، كما أوضحنا في المقدمة رأي بعض الفضلاء الأجلاء في طبع الأصل على حاله ، والاعتذار عن المؤلف في كل ما يُرى فيه مجال للنظر ، أو موضع للنقد ؛ على أن كل ما وجد عليه مأخذ ، فالمؤلف رحمه الله غير مؤاخذ به ، إذ العهدة على

القائل لا على الناقل . ورأى مجمعنا العلمي العربي الجليل الذي تفضل بطبعه ، أن الاصل يكون مبيّناً لحال ذلك العصر الذي كتب فيه ، فلم يسعنا إلّا القبول والامتثال ، وعلى الله الاتكال.

ونوّجه الآن أنظار القرّاء الكرام إلى ما أشرنا إليه ، مما ينبغي الاطلاع عليه : في ترجمة الشيخ راغب بن الشيخ صالح الاسطواني (المتوفى سنة ١٢٩٣ ﻫ) أنه تَولّى خطابة الجامع الأموي بعد وفاة والده وتصدّر للتدريس ، وكان فصيح البيان. وفي سيرة السيد رجب آل خزام الرفاعي الصيادي (ص ٦٢٧) عجائب وغرائب كإبراء المقعد والمجنون والملووق ، وكإزالة الخوف والضرر ، في أشد ساعات الخطر ، وقد ذيلت ذلك بقولي : لو ثبت ذلك كلّه ، لكان رحمة من الله تعالى يظهرها على أيدي بعض الصالحين من عباده ، بأسباب روحية أو مادية ؛ وكم ذا رأينا ممن قعد بهم المرض عن القيام ، ومن منعهم من الكلام ، ومن هدّت قواهم الآلام ، قد أنفقوا ما يملكون أجوراً للأطباء والمشايخ ، وشراء الأدوية والعقاقير ، فلم يفدهم ذلك ... والصواب هو الأخذ بالاسباب ، والتوكل على رب الارباب ، جلّت حكمته . وفي (ص ٦٢٨) أثرنا عن منتخبات

التواريخ للتقي الحصني ، في ترجمة رحمة الله النابلسي من أحفاد الشيخ عبد الغني قوله : وقد أثنى المؤرخون عليه وعلى آبائه وأجداده الأئمة الاعلام ، وذكروا مؤلفاتهم وآثارهم ، وقد تقدم ذكر أكثر رجالهم في كتابنا ، من الضوء اللامع ، والكواكب السائرة ، والمحبي والمرادي والغزي اهـ ملخصا (ج ٢ / ٨٥٦).
وللأمير رضوان المصري يد طولى في علم الفلك والميقات وفن الارصاد .

قلت : إن رجال الفضاء في عصرنا قد دخلوا في دور العمل ، وارتفعوا بصواريخهم مئات الاميال ، وبلغوا بطائراتهم أقاصي الشرق والغرب في ساعات قليلة ، وقد كان ذلك يحتاج إلى سنين طويلة . «علّم الانسان مالم يعلم» اهـ (ص ٦٣٠) .
وعلّقت على ترجمة مؤلف أشهر مشاهير الاسلام في السياسة والحرب رفيق بك العظم : إني استشرته إذ كان بدمشق : أيطبع (حلية البشر) بتمامه أم مختصره ؟ فكان موافقاً لرأي المجمع العلمي بطبع الأصل على حاله ، والتعليق عليه . (توفي رحمه الله بالقاهرة سنة ١٣٤٣ هـ ولم يرزق أولاداً) . ونقل المؤلف أن وفاة زين العابدين أبي عبد الرحمن جمل الليل المدني

كانت (سنة ١٢١١ ﻫ) ونقلت عن الأعـلام ومعجم المؤلفين وفهرس مخطوطات الظاهرية وغيرها ، أنه توفي (سنة ١٢٣٥ ﻫ) والفرق بعيد كما ترى . وترجم المؤلف بعد هذا ، لزين العابدين ابن محمد بن زين العابدين الشاعر المدني ، وأورد له ولمؤلف « عقود اللآلىء الثمينة في أعيان شعراء المدينة » مسـاجلةً في قصيدتين رائقتين ، فذيلناهمـا بتفسير لغوياتها الكثيرة . ووصفنا البحرين وعُمان وتهامة ونجد في ترجمة القاضي سالم الدرمكي . وفي ترجمة الشيخ سعيد القاسمي والد شيخنا الجمـال ، تعريف بكتابه المسمّى « بدائع الغُـرف ، في الصنائع والِحرَف » الذي طبعه بدمشق السيد ظافر ابن أستاذنا وهو مهم (ص ٦٥٥) ومن لطائف الشيخ سعيد قصيدتان نظمها في عام تأخر برده عن وقته المعتاد ، صاغ الأولى في قالب السؤال من فصل الشتاء والثانية في جوابه واعتذاره المتضمن وعظ الموسرين ليتفقـدوا أولي الفاقة ، وقد نشرهما المؤلف له وقبلها أبيات منوّعة . وقد علقنا على ترجمة سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود الذي افتتح جميع الديار النجدية والبلاد العارضية ، والحسا والقطيف والبلاد الحجازية وغالب جزيرة العرب ، وكانت تلك البلاد

قد غلبت عليها الامور الجاهلية ، فوصل اليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب الداعي إلى التوحيد الخالص ، وما زال الوافدون من سعود يفدون صنعاء إلى حضرة الامام المنصور وولده الامام المتوكل بمكاتيب إليهما بالدعوة إلى التوحيد ، وهدم القبور المشيدة والقباب المرتفعة ، ثم وقع الهدم للقباب والقبور المشيدة في صنعاء ، وفي كثير من الأمكنة المجاورة لها ، وفي جهة ذمار وما يتصل بها) اه ملخصاً ، وقد علقت عليها بما ورد في الصحيح عن أبي الهيّاج الأسدي قال : قال علي بن أبي طالب : ألا أبعثك على مابعثني عليه رسول الله ﷺ : أمرني ألا أدع قبراً مشرفاً إلاّ سويته ، ولا تمثالاً إلاّ طمسته اه قلت : ومن المؤسف عدم الاهتداء بهدي الأنبياء والصالحين والاكتفاء بتشييد القبور ، وجعلها كالقلاع والقصور ، والصلاة عندها ، والطواف حولها ، ونذر النذور لسدنتها ، والتمسح بترابها ، ودعاء أصحابها بما لايدعى به إلا الله عز وجل ، وكل ذلك منهيّ عنه أشد النهي (ص ٦٦٦) . وفي ترجمة سعيد الخالدي الشاذلي الترشيحي اليشرطي أعجب العجب ، فهو بعد دراسة المعقول والمنقول ، والفروع والأصول ، سنين

عديدة ، وكانت لـــه صفة الزهد والبعد عن الدنيا وأهلها ،
أخذ الطريقة الترشيحية وسافر إلى مقرها في عكا ، وعاد منها ،
فانقلبت حاله ، وساء مآله ، والتزم الزندقة والإباحة المطلقة ،
ودعا الى الآثام ، وعدم التقيد بحلال أو حرام ، وترى سيرته
المزرية ، وإباحيته المخزية (في ص ٦٦٩ إلى آخر ص ٦٧٣) .
وتجد في تاريخ حياة السلطان سليم الثالث كلمة عن الإنكشارية
(ص ٦٧٦) Janissaires . وفي تعليقنا على ترجمة السلطان سليم
ترى تناقضاً ظاهراً في كلام المؤرخين عن عزله وقتله ،(ص٦٧٨) .
ونقلنا عن التقي الحصني صورة توضح الدروس القيمة التي كان
يلقيها الشيخ سليم العطار في التكيتين السليمية والسليمانية ،
وفي جامع بني أمية . (وفي ص ٦٩٣) ترجمة سليمان شيخ
طائفة العميان ، بالشنواني ، ومسيره ومصيره . وصدع الشيخ صادق
الواعظ بالحق ، ونصحه وتذكيره للسلطان عبدالعزيز وللأعيان ، ودفع
الأذى عنه بحكمة شيخ الاسلام ، (ص ٧٠١) . وفي آخر
ترجمة (الواعظ) مطلب قصة محمد بهاء الله رئيس البابية ،
وعقيدتهم ، في رسالة ألفها المترجم الواعظ ونشرت في (الحلية)
معرّبة عن التركية (ص ٧٠٢ الى ص ٧٠٧) وقد اجتمـــع

الأستاذ البيطار المؤلّف بولد الباب عباس افندي بعكا ، وجرى بينهما ذكر أبيه فنفى عنه دعوى الألوهية والنبوة ، وذيّلنا هذا الفصل بمجمل ترجمة البهـــاء والعباس من أعلام الاستاذ الزركلي . الشيخ صالح التميمي : عربي المحتد ، نجديّ الاصل نَجَفي المنشأ ، وقد طبع ديوان شعره في النجف (١٩٤٨ م) وقال احد محققي ديوانه : « ان التميمي يعلو بشعره ما وسعه العلو ، ثم يهبط ويسفّ حتى تكاد تنكر أنه هو » وقد عاش في عهد داود باشا والي بغداد ، وكان أقرب الشعراء مجلساً إليه ، وأكثرهم دالّة عليه ، فقد جعله في جملة كتاب الديوان ، فكان من شعرائه . وقد أخذنا ملخص ترجمته من مجلة مجمعنا العلمي العربي (م ٢٤ / ٣٠٦ و ٣٠٧) ومن أعلام الزركلي (م : ٣ / ٢٧٦) ونشر له في الحلية قصيدة همزية في مدح الامام علي كرم الله وجهه ، مع تخميسها للسيد عبد البـاقي العمري الشاعر المشهور (ص ٧١٢ ــ ص ٧١٦) . وللعلامـــة الجليل الشيخ صالح المنير ترجمة بقلم أخيه الشيخ عارف، تدل على معرفة زمانه وسلطانه ، وعلى سعة اطلاعه وطول باعه ، فقد تأهل

للتدريس في حياة والده وشيوخه ، واجتمع عليه الطلبة ، وانتفع به جماعة كثيرون ، وكانت دروسه للخاصة والعامة في الجامع الأموي وفي المدرسة الاخنائية شمالي الجامع ، وله يد في تأسيس المدارس الابتدائية ، وعين عضواً في مجلس المعارف مرات ، وتوجه إلى دار السلطنة مراراً ، واجتمع برجالها . وكان جمع همته لمطالعة التوراة والانجيل ، حتى صارت له فيهما ملكة ، فكان كثيراً ما يذهب الى الكنائس والبيع ويجادلهم بالتي هي أحسن . ولما وقعت المجادلة بين البروتستانت في جريدتهم (النشرة الأسبوعية) وبين اليسوعية في جريدتهم (البشير) صار المترجم حَكَماً بينهم ، وكتب في ذلك رسالة طبعتها الجريدة المذكورة ثم أفردتها وجعلتها رسالة مستقلة ، ولما سمع صاحب الترجمة أنّ في مصر والاسكندرية محافل للبروتستانت فُتحت للمباحثة مع المسلمين توجه قاصداً المحافل المذكورة في جمع من العلماء فجادل القسُس وتغلب عليهم علماً ، ثم آب راجعاً الى دمشق وكان كثيراً ما تنشر له الجرائد مقالات من قلمه ، خصوصاً الجوائب في الاستانة والجنان في بيروت ، واشتهر بذلك رحمه الله اﻫ من تعليقنا (ص ٧٣٠ و ٧٣١) .

وفي ترجمة الشيخ صالح المغربي الشهير بالسمعوني الذي هاجر من الجزائر ــ بعد استيلاء الفرنسيين عليها ــ إلى دمشق الشام، كتبنا ما يأتي: أحييت الجزائر، ذكر الأمير عبد القادر، في جهادها الاخير، الذي لم يسبق له نظير، إلى أن كتب الله لها الاستقلال التام، (وكان الفرح باستقلالهـا الوطني يوم الخميس (في ٥ ج٢ سنة ١٣٨٢ هـ ــ ١ تشرين ٢ سنة ١٩٦٢م) فعطلت عنـدنا المدارس والدوائر الحكوميـة، وشادت بذكره إذاعات العـالم (ص ٧٣٣). ومن أكمل التراجم وأجلّها ترجمة الامام الكبير في التفسير والحديث والفقـه والاصول والتاريخ والأدب والشعر والكتابة والتصوف والحكمة والفلسفة وغيرها، صدّيق خان أبو الطيّب بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني القِنَّوجي البخاري، قال في ترجمة نفسه: «ألقى عصى الترحال في محروسة بهوبال، فأقام بهـا وتوطن وتموّل، واستوزر وناب، وألّف وصنف» وتزوج بملكة بهوبال، ولقب بنواب، عالي الجاه أمير الملك بهادر. له نيف وستون مصنفاً بالعربية والفارسية والهندية، وقد نشر المؤلف أسماء كتبه المؤلفة، على ترتيب حروف المعجم.

وجاء في أثناء ترجمة طـاهر افندي الخربوتلي مفتي دمشق الشام حادثة يندر مثلها وهو إصرار علي افندي المرادي مفتي دمشق الشام وابن مفتيها حسين افندي على الاستقالة مـــن الفتوى ، وتوسط والد الجدّ المؤلف الشيخ حسن البيطار بتأكيد عليه في ذلك ، فقبلت وساطته على أن يكون هو المفتي وأولاده من بعده ، وعلى أن تكون لهم براءة من السلطـان بذلك ، فأبى رحمه الله كل الاباء ، وقـال — بعد حوار مع رئيس المجلس الكبير إذ ذاك عثمان بك ، — وكان صاحب الحل والعقد ، — إنما قصدت أنه إذا أراد السلطان عزلي لاقدرة لأحد على إبقائي ، وأنا عندي منصب لايعزلني منه أحد وهو منصب العلم فلا أختار غيره عليه ، على أني لا آمن على نفسي وهذا منصب خطر ، وإن عزمتم علي في ذلك يكون سبباً لقطع الوصلة بيني وبينكم . فلما ظهر عليه التغير كثيراً أضربوا صفحاً عن التكلم معه في هذا الخصوص ، وتفرقوا ثم اجتمعوا بعد ذلك (ص ٧٤٨ و ص ٧٤٩) . وفي آخر (ص ٧٨١) جمع بين الشهر الميلادي والعام الهجري (١١ / تموز سنة ١٣١٣) سهواً . الشهيد السيد عبد الحميد الزهراوي ، ترجمه المؤلف

بصفحتين ، وذيلت الترجمة بأربع صفحات ، وصفت فيها
حياته ومجملاً من حياة شهداء العرب الذين أعدمهم السفّاك
جمال باشا (سنة ١٣٣٤ هـ ـ ١٩١٦ م) وفيها عظات وعبر
(إلى ص ٩٧٦) . وفي ولاية السلطان عبد الحميد أسهب
المؤلف رحمه الله في ذكر الحوادث والفتن التي حدثت في عهده
كفتنة الهرسك في بلاد الروملي التي استولى فيها الروس ـ
بدعوى الانتصار للهرسك ـ على كثير من المدن العثمانية
(والكلام على هذه الفتنة طويل قد أفرد بالتأليف) وكان هذا
الخلل قد دخل على المسلمين بعد خلع السلطان عبد العزيز ،
وفي سنة ١٢٩٦ أعطت الدولة العثمانية جزيرة قبرس إلى الانكليز
وهي التي افتتحها الصحابة في زمن معاوية (رض) . وفي سنة
٩٦ أيضاً خلع والي مصر اسماعيل باشا بن ابراهيم باشا بن
محمد علي باشا . وفي سنة ١٢٩٧ استولى الفرنسيون على تونس
بالخديعة والحيلة (ص ٨٠٠) ، وكتبت في ذيل هذه الصحيفة
بحمد الله وشكره ، قد استقلّ الشمال الافريقي العربي كلّه
استقلالا تامّاً . وفي سنة ١٢٩٩ هـ استولى الانكليز على القطر
المصري بعد أن ساعدوا الخديوي توفيق باشا في فتنة عرابي باشا

وأبقوه على ولايته . وفي سنة ١٢٩٧ ظهر رجل في السودان يسمّى محمد بن أحمد ، وكان قبل ظهوره مشهوراً بالصلاح ومن مشايخ الطريق ، ولمّا وقع بينه وبين العساكر المصرية المتملكين للسودان خلاف تدخل الانكليز وقاتله بجيشه وجيش مصر ، وكانت الغلبة في تلك الوقائع كلها له عليهم ، وكان أمره معهم عجيباً ، يأتونه بالعساكر الكثيرة والمدافع والآلات الشهيرة التي لايطيق أحد مقابلتها ، فيقابلهم بجيوشه السودانيين ، وليس معهم إلاّ السيف والرمح والسكاكين ، فيهجمون على تلك العساكر في موضعهم ومحط جيشهم ولا يبالون بمدافعهم وآلاتهم حتى يخالطوهم ويقتلوا أكثرهم من قرب طعناً بالرماح وضرباً بالسيوف والسكاكين ، ويشتتون شملهم ، ومثله عثمان ذقنة الذي ولاه محمد أحمد على جماعة في براري السواكن ، فقد جاءه الانكليز والعساكر المصرية سنة ١٣٠٢ بنحو سبعين مركباً مشحونة بالعساكر الكثيرة والآلات والاستعدادات الوفيرة ، وخرجوا لقتاله في البر قريباً من سواكن فهزمهم وقتل أكثرهم وشتت شملهم ، وغنم أكثر أموالهم ودوابهم وذخائرهم وأسبابهم (وفي ص ٨٠٣ مباحث في المهدي المنتظر) لم أرَ أبدع ولا

أمتع منها ، فقد ذكر كثير من العلماء الذين ألفوا رسائل في ظهور المهدي وعلاماته ، أن من علامات ظهوره خروج السودان (قال) : منهم الجلال السيوطي والعلامة ابن حجر والعلامة المتقي والعلامة السيد محمد بن رســـول البرزنجي في كتابه المسمّى : الإشاعة في أشراط الساعة ، وقد بحثت هذه الرسائل في المهدي المنتظر وزمانه ومكانه وهَدْيه بحثاً وافياً بالموضوع ، ونقل عن العلامة ابن خلدون ص ٨١٠ كلاماً نفيساً أورد فيه أسماء بعض من ادعوا المهدوية وفشلوا في دعواهم ، إذ الأوصاف لاتنطبق عليهـــم . وقال المؤرخ ابن خلدون (٨١٣) : وقد كانت بالمغرب لهذه العصور القريبة نزعة من الدعاة إلى الحق والقيام بالسنة ، لاينتحلون فيها دعوة فاطمي ولا غيره ، وإنما ينزع منهم في بعض الأحيان الواحد فالواحد إلى إقامة السنة وتغيير المنكر ، ويعتني بذلك ويكثر تابعوه ، وأكثر ما يعتنون باصلاح السابلة الخ ثم وصف من نهضوا في المغرب والمشرق كالعراق لإقامة الدين على اختلاف العضور ، ومنهم سهل ابن سلامة الانصاري ، (قال) وعلق مصحفاً في عنقه ، ودعا الناس الى الأَمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل بكتاب الله

وسنة نبيه ﷺ ، فاتبعه كافة الناس من بين شريف ووضيع من بني هاشم فمن دونهم ، ونزل قصر طاهر واتخذ الديوان وطاف ببغداد ، ومنع كل من أخاف المارة، الى آخر القصة (ص ٨١٥) وبعد هذا كله ذكر المؤلف أن الناس على دين ملوكهم ، وضرب لذلك الامثال ، ثم نقل عن الامام الطرطوشي أنه قال في كتابه المسمى « سراج الملوك » : ان الخليفة إذا عدل في بيت المال ، وساوى نفسه بالمسلمين في الاَخذ من بيت المال بقدر الحاجة كان المسلمون كلهم عسكراً للإسلام اه (ص ٨١٧) ثم ذكر المؤلف قواعد وحقائق في كون الناس على دين ملوكهم ورؤسائهم يتبعونهم في الخير والشر ، والنفع والضر ، والامانة والخيانة ، وتم هذا البحث المهم بمقاصده (ص ٨٢٠) . وقد ترجم للشاعر الكبير عبد الحميد الرافعي الشهير في مطلع شبابه ، فقال : هو الشاب الأديب الخ فاستدركنا بأنه رحمه الله قد بلغ أكثر من سبعين عاماً ، وبأنه قد وصف إِذ ذاك بشيخ الشعراء ، ونادرة الادباء ، ونابغة الفيحاء . وقد احتفلت جمهرة من الكتاب والشعراء (سنة ١٣٤٧) ببلوغه سبعين عامـاً من عمره ، وله أربعة دواوين شعرية . وكانت وفاته في طرابلس (سنة ١٣٥٠ ه)

والأسرة الرافعية من أشهر بيوتات العلم في ديار الشام ومصر ، وقد تولى كثير من رجالها مناصب القضاء والافتاء في الديار المصرية والممالك العثمانية ؛ لخصت ترجمته من مجلة المنار (م ٣٠ / ٦٢ ـ ٧٤) ومن معاجم الأعلام (ص ٨٢٢) .

وفي ذيل ترجمة الشيخ عبد الحميد السباعي مفتي حمص بيان لمذهب الشيعة الامامية الأثني عشرية نقلته عن كتبهم ، كما ترجمت للشيخ محمد بن عبد الوهاب ونقلت كلمة في جهاده واجتهاده عن كتب العقائد والتاريخ ، والسباعي مفتي حمص هو الذي ذكر الفريقين ، ففسّرت كلمته فيها (ص ٨٢٣ ـ ٨٢٥) .

وذيلنا ترجمة عبد الرحمن بن سليمان مؤلف تاريخ « النفَس اليماني » بذكر مؤلفاته عن أعلام الزركلي . وفي ترجمة الشيخ عبد الرحمن بن محمد الكزبري محدث الديار الشامية ـ ما يهم المحدثين والمؤرخين ، فقد قال المؤلف في المحدث الكزبري : (المتوفى ١٢٦٢) أخذ عنه علماء الشام ، وغيرهم من العرب والاعجام ، ومن جملة من أخذ عنه سيدي الوالد فانه روى عنه صحيح الامام أبي عبد الله البخاري الجعفي من أوله الى آخره ، وقد أجازه به وبجميع ما تجوز له روايته عن مشايخه مما هو مذكور في ثبته ،

قال الجد المؤلف : وأنا حضرته ولله الحمد على والدي في الدرس العام في جامع كريم الدين بين العشاءين من أولـه الى آخره ، وأجازني به وبجميع ما تجوز له روايته عن مشايخه ، وقد أردت أن أذكر سندي من هذا الوجه لعلوه عن غيره فاني اخذته من طرق كثيرة، ولكن هذا السند من أعلاها إسناداً فأقول : أروي صحيح البخاري عن والدي، وذكر تواريخ ولادات هؤلاء الرواة لصحيح البخاري ووفياتهم من والد المؤلف الى الإمام محمد بن اسماعيل البخاري أبي عبد الله المولود سنة ١٩٤ المتوفى سنة ٢٥٦ انتهى . وبعد موت والده وجه عليه تدريس البخاري الشريف تحت قبة النسر ، في شهر رجب وشعبان ورمضان بعد العصر كلّ يوم، وعامة العلماء تحضره للأخذ عنه، وقد استمرّ هذا التدريس تحت قبة النسر ، في أيام هذه الأشهر الثلاثة بعد العصر ، الى سنة وفاة الشيخ سليم بن أحمد بن عبـد الرحمن الكزبري (م : سنة ١٣٣١) وجلس مكانه ولده الشيخ محمد علي ولم تطل مدته رحمهم الله تعالى . وذيلنا ترجمة الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الوهاب بذكر كتبه المطبوعة (ص ٨٣٩) . وفي ترجمة الشيخ عبد الرحمن الطيبي أنه دُعي هو ووالد المؤلف

الشيخ حسن البيطار ، لحضور ختان أولاد السلطان عبد المجيد (سنة ١٢٦٣) وبعد عودهما توفي المترجم في عام ١٢٦٤ هـ وكان من الأعلام رحمه الله وإيانا . وذيلنا صفحتي (٨٤٩ و ٨٥٠) بما كتبه صديقنا الشيخ محمد جميل الشطي في ترجمة جدّه لأمه الشيخ عبد السلام الشطي رحمهما الله. ومن مواضع العِبر والعظات أن الذي كان قائماً بخلع السلطان عبد العزيز بن السلطان محمود الثاني هو حسين عوني باشا ، وكان السلطان عبد العزيز هو الذي رقّاه وأعلى قدره إلى أن جعله رئيساً على العساكر كلها؛ بل جعله مقدّما على جميع أهل الرتب والمناصب ، وكان خلع السلطان عبد العزيز سبباً لاضطراب كثير ، وحوادث شتى، (ص ٨٥٤) وهذا مصداق : اتق شر من أحسنت إليه ، وفي حوادث عصرنا ما يدل عليه ، ونقلنا عن روض البشر للشطي في ترجمة الشيخ عبد الغني الغزي ، انه هو شقيق كمال الدين الغزي صاحب طبقات الحنابلة والتذكرة الكمالية والوارد الأنسي وغيرها ؛ وهو جد جميع الموجودين الآن (سنة ١٣٢٤) من بني الغزي ، وللمترجم أدب وشعر ، (ص ٨٦٣) . وذيلنا ما كتبه المؤلف عن الشيخ عبد الغني السادات بأسماء تآليفه التي

ذكرها الشطي في روض البشر . وفي ترجمة الشيخ عبد الغني الغنيمي الميداني تسمية لمؤلفاته في التوحيد والفقــه الحنفي والعربية ، وقصائد غر ، ونثر كالدر ، وكان له مزيد اختصـاص بجدّنا الأعلى الشيخ حسن والد المصنف ، وينعته بالعالم الرباني والوالد الروحاني ، وما أورده عنه يدل على سعة علمه وأدبه (ص ٨٦٧ ــ ٨٧٢) . ثم أورد المؤلف ترجمة أخيه الشقيق الشيخ عبد الغني ، وهو جدّي لوالدي وشقيق جدّي لوالدتي مؤلف هذا التاريخ ، ولهما لوالدي الشيخ بهاء الدين تراجم وجيزة في منتخبات التواريخ لدمشق (ج ٢ ص ٧٦٠ و٧٦١). ثم إني كتبت في ذيل ترجمة هذا الجد للوالد ما نصّه : (فائدة) الحفيد هو ولد الولد مطلقاً ، كما في كتب اللغة ، فأنا حفيد الشقيقين عبد الغني وعبد الرزاق اهـ وهذا نصّ لسان العرب : الحفيد ، ولد الولد والجمع حُفداء (ج ١٣ / ١٥٣ طبعة : دار صادر ودار بيروت) والسبط ، واحد الأسباط ، وهو ولد الولد ، ابن سيده : السبط : ولد الابن والابنة (ج ٣٠ / ٣١٠) من لسان العرب أيضاً ، فتبين أن ولد الابن وولد البنت : يقال لكل منهما حفيد وسبط ، (ولكني آثرت لفظ الحفيد ، ليكون

نصّاً على أني من آل البيطار أباً واماً ، وخالاً وعماً) قال المؤلف:
قد اجتمعت معه (أي مع شقيقه هذا وهو أكبر منه سنّاً)
فسألني عن قول السيد أحمد بن إدريس: لو أطال الله عمر رجل
من زمن أبينا آدم إلى قيام الساعة وهو يقول : لا إله إلا الله
محمد رسول الله ، ورجل قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله،
في كل لمحة ونفس ، عدد ما وسعه علم الله ، مرة واحدة ، في
القيمة يسبق ذاك ، ما المقصود من هذه العبارة ، وهل هي على
ظاهرها أم سلك فيها مسلك الحقيقة والإشارة ؟ فأجاب المؤلف
رحمه الله عن هذا السؤال بل الإشكال بجواب مطوّل بل مفصّل،
وفيه من الفوائد والفرائد ما لا يستغنى عن قراءته والاستفادة منه،
(ص ٨٧٤ _ ٨٨١) . وقد ترجم للأمير ، العالم المجاهد الكبير
عبد القادر الحسني الجزائري ترجمة عارف بفضله ، وجهاده
ونبله ، ترجمة استغرقت عشرات الصفحات (ص ٨٨٣_٩١٥)
وفي كتاب ولده الأمير محمد باشا ترجمة حياته رضي الله عنه
مفصلة من ابتدائها إلى انتهائها . وترجم له المؤرخ محمد بيرم
التونسي في كتابه صفوة الاعتبار . وللسيد عبد القادر الكوكباني
اليماني ترجمة حافلة ، جديرة بالمطالعة (ص ٩١٨) . وترجم

للشيخ عبد القادر الخلاصي (ص ٩٢٢) بأنه طبيب ماهر ، وبأنه شرح الدر المختار والفية ابن مالك، وله عدة تآليف . وكتبنا في ص ٩٢٨ على كلمة (فلان) غوث الخلائق ما نصه : غوث الخلائق ، هو الله الخالق المالك جلت قدرته ، وقد تقدم مثل هذا الغلو من قبل، وحذرنا من خطره وضرره، وذيلنا (ص٩٢٩) ـ على دعوى أن الطريقة (الفلانية) هي طريقة الصحابة الكرام ـ بكلمة قلنا في آخرها : لماذا نبتدع ما لم يكن موجوداً في عهدهم ، ثم نعزوه إليهم ؟ وكتبنا على لفظي الأبدال والأوتاد ، انه ليس في الشريعة لذلك اسم ولا مسمّى . وفي نفس الصحيفة أيضاً : قدمنا أن الخضر عليه السلام لو كان حياً لآمن بالنبي وصحبه كغيره ، والتاريخ والحسّ ينفيان وجوده . وفي (ص ٩٣٧) : النبي ﷺ هو صاحب الشفاعة ، ولكن مالكها هو الله تعالى ، فتطلب منه وحده ، كالخلق والرزق والاحياء والاماتة . وذيلنا (ص ٩٣٨) ـ نقلاً عن طبقات الأمم لصاعد بن أحمد الأندلسي (المتوفى سنة ٤٦٢ هـ) ما نصه : فكان (الهند) عند جميع الأمم ـ على مر الدهور وتقادم الأزمان ـ معدن الحكمة ، وينبوع العدل والسياسة ، وأهل

الأحلام الراجحة والآراء الفاضلة، والأمثال السائرة، والنتائج الغريبة، واللطائف العجيبة. وللشيخ عبد الله أبي الكمال الحلبي الكتبي قصائد يمدح بها العالم المؤرخ محمد خليل المرادي لما سافر إلى حلب، فاجتمع هذا المترجم به وأخذ عنه، واستجازه، وقد استغرقت قصائده الغرّ في مدحه صفحات. ومما يثير العجب أن ترى في تراجم بعض الفضلاء، الاقتصار على ذكر أسماء مشايخهم الأجلاء، دون أن يدوّن لهم أنفسهم شيء من مآثرهم أو أعمالهم، كما ترى في ترجمة الشيخ عبد الله ابن محمد بن طه بن أحمد العقاد الحلبي شيخ القرّاء في حلب الشهباء، فقد عدّ له ما يقرب من أربعين شيخاً، آخرهم أبو الفيض محب الدين مرتضى بن محمد بن محمد الزبيدي اليمني نزيل مصر، قال: وغيرهم، وختم الترجمة بقوله: وسمع الكثير من كتب الأحاديث الصحيحة والمسلسلات، إلى أن اخترمته المنية بعد الألف ومائتين وخمس سنوات، رحمه الله رحمة واسعة اهـ (ص ٩٤٨). وقد ذيلنا المفردات التركية الواردة في ترجمة عبد الله باشا والي عكة بما يقابلها في اللغة العربية ليكون النشء الجديد على علم بها، وترجمته من (ص ٩٤٨ إلى ص ٩٦٣)

ومن أجلّ التراجم وأكملها وأفضلها ترجمة الكاتب الكبير ، والشاعر الشهير ، عبد الله باشا فكري (ص ٩٦٨ ـ ١٠٠٢) ففيها شذرات من نشأته الأزهرية ، وارتقائه إلى اسمى المناصب الحكومية ، وابتلائه بالسجن وقطع المعاش عنه في الفتنة العرابية ، ورحلته لزيارة بيت المقدس والخليل والشام ، وفي صحبته ولده أمين بك الشهم الهمام ، وكتابته على لسان الدولة المصرية للملوك والأعيان ، وما أبدع ما كتبه إلى صديقه الشيخ عبد المجيد الخاني واصفاً رحلته من الشام إلى بعلبك (ص ٩٧٩ ـــ ٩٨٥) ، ومن غرر قصائده تهنئته للحضرة التوفيقية يوم جلوسه على الاريكة الخديوية ، بقصيدة أربت على ستين بيتاً وهي بنت ليلتها ! ومن بدائعه قصيدته التي تلاها يوم فتح المؤتمر العلمي السويدي فنالت غاية الاستحسان ، وقد أتبعها بقصيدة أخرى وصف فيها المؤتمر وصفاً بالغاً ، إلى (ص ٩٩٦) وختمت ترجمته بايراد بعض المراثي التي رثاه بها أكابر العلماء والشعراء ، الى (ص ١٠٠٢) . وقلنا (في ص ١٠٠٨) : للعلامة ، الشهير السيد محمد عابدين رسالة مطبوعة في مجموعة رسائله ، اسمها : « إجابة الغوث ببيان حال النقبا والنجبا والابدال والاوتاد

والغوث » وفيها صفاتهم وعاداتهم ومراتبهم وبلدانهم وأعمالهم الخ .
وفي ترجمة الشيخ عبد الله الحلبي عظة وعبرة ، لذوي الفضل
والشهرة ، (ص ١٠٠٨ ــ ١٠١٠) . وذيلت ترجمة السيد
عبيدالله الحيدري مفتي الحنفية العام بمدينة السلام ، وقد وصف
بأنه من أجلّ العلماء ، وانه شاعر في اللغات الثلاث العربية
والتركية والفارسية ، قلت : أليس من العجيب الغريب أن
يكلف حمل الماء على ظهره وسقي المارّة في مدينة بغداد مدة
عشرين يوماً ، ثم بيعه عشرة أيام ، من دون تسبيل ، من
البكرة الى الاصيل !! ولمن يترك نشر الدين والعلم والادب :
ألسقائين والحمالين ؟ وهل يمكنهم ذلك ؟؟ ص ١٠٢٥ والله
المستعان على ما يصفون . وفي ص ١٠٣٦ : عمارات كثيرة في
الاماكن المأثورة بالحرمين الشريفين ، من آثار السلطان
عبد المجيد . وفي ص ١٠٣٧ لخصت ترجمة الشيخ عبد المجيد
الخاني من أول « الحدائق الوردية » المطبوع . وترجمة عبد العزيز
ابن أحمد ولي الله الدهلوي (ص ١٠٤١) . وفي ترجمة السيد
عبد المحسن بن حمزة الشهير بابن عجلان نقيب الاشراف بدمشق
الشام بيان واف لمن يتقلدها ، وقد عدّ اثني عشر حقاً للاشراف

عليه ، وزاد للنقابة العامة خمسة أشياء أيضاً (ص ١٠٤٤ و ١٠٤٥)
ونقل المؤلف عن كتاب (العقود الجوهرية) لاحمد عزت باشا
العمري الموصلي ترجمة الحاج عثمان الموصلي المولى الشهير بالحافظ ،
وفيها من قوة استعداده وحفظه ومزاياه ما يندر مثله في غيره ،
(ص ١٠٥٢ ــ ١٠٥٩) وقاضي القضاة سراج الدين علي خان
الذي تقلد أمر القضاء في بندر كلكته ، قد أتقن اللغة العربية
مع لغته الفارسية والأُوردية ، وكان بهذه اللغة أديباً ماهراً ،
ناظماً ناثراً . وبعد تفسير اللغويات في قصائد علي بن محمد العنسي
جمال الدين اليمني أثرنا عن البدر الطالع للشوكاني أسماء مؤلفات
المترجم (ص ١٠٦٤) . وفي ترجمة علي اليشرطي (نسبة الى
يشرط قبيلة بالمغرب) البيزرتي (Bizerte) مرفأ عسكري في
تونس) الذي أقام في عكة وترشيحا من سواحل الشام ، —
وصف لبعض المنتسبين لطريقته لم يسمع أبشع ولا أشنع منه ،
ويقف عن ذكره اللسان والقلم ، ويكاد ينفطر القلب من شدة الغيظ
والألم ، وتأمله ان شئت (ص ١٠٦٦ و ١٠٦٧) . وبينا في ذيل
(ص ١٠٧٠) الفرق بين الامور الدينية والامور الدنيوية في
الحل والحرمة . ولخصنا ترجمة الشيخ علي البغدادي المعروف

بالسويدي من كتاب « المسك الاذفر » لعلامة العراق السيد محمود شكري الألوسي (ص ١٠٧٧) . وكتبنا في ص ١٠٨٢ ما يأتي : كانت هذه الصنعة في تلك العهود من قسيّ ونشّاب ومنجنيق — من الآلات التي ترمى بها القذائف — من أجلّ الصناعات واكملها ، ولكن الرماة في عهدنا ، هم الذين يحسنون رمي القذائف النارية من أدوات الحرب في القرن العشرين ، كالدبابات والمصفحات والرشاشات ، وتتبعها الطائرات الحربية والمدفعية الثقيلة ، للدفاع عن الأوطان ، ولحماية السكان ، من الاذى والعدوان . ومن الفوائد التاريخية أن علي أفندي الحسيبي (المتوفى سنة ١٢٤٢) هو ابن القاضي الاديب السيد محمد العطار ، ووالد الوجيه الكبير أحمد افندي الحسيب ، وقد كان المترجم يتولى النيابات في محاكم دمشق ، ويوقع على وثائقها هكذا : (علي حسيب) كما رأيت ذلك بخطه الحسن ، فاشتهار أسرته الآن بالحسيبي انما هو بالنسبة اليه (ص ١٠٩٣) وقد نقلناه عن (روض البشر) للشطي . وقد ترجم للشاعر المشهور الشيخ علي الخانمي الادلبي وأورد له من الشعر ما يشبه السحر ، فعلقت عليه بما يأتي : إن هذه المقطوعات الشعرية والغزلية ،

قد اشتملت على أدق المباني وأرق المعاني ، وفيها من بدائع الوصف والتمثيل ، ما لم يبلغه من سحر الشعر الا القليل ، ولكن أهل هذه المنظومات قد فتنوا بتشابيه القد والخد والنهد والصبا والجمال ، وراحوا يهيمون بكل واد من أودية الخيال ، ولو أنهم وجهوا وجهة صالحة ، لكان لنا من بليغ شعرهم في عصر الانحطاط ما يرفع امتنا الى سماء المجد والسؤدد ، ويعيد لها عهدها الأول الأغر المحجل ، (ص ١١٠٦) . ومن غرر الشعر قصيدة المؤلف التي أنشأها مادحاً بها صديقه شيخ الاسلام الحاج عمر لطفي ومهنئاً إياه ـ لما زاره في الاستانة ـ بالمشيخة الإسلامية ، وترجمته التي ختمت بالقصيدة من (ص ١١٠٧ ـ ١١١٥) . وأما السيد عمر بن عبد السلام المدرس الداغستاني فمن بعد أن ترجم له المؤلف وأورد له موشحات وقصائد من بدائع الشعر (من ص ١١١٥ ـ ١١٢٩) ختم ترجمته بقوله : وإن قصائد المترجم كثيرة ، ومعروفة وشهيرة ، وفي سنة ١٢٠١ قد رحل إلى الاستانة العلية ، دار السلطنة السنية ، وألف بها كتابه « اللآلىء الثمينة ، في أعيان شعراء المدينة » . ونقلنا من معجم المطبوعات ، ومنتخبات التواريخ أسماء ما طبع من مؤلفات الشيخ عمر العطار

(ص ١١٣٠) ونبهنا في (ص ١١٣٩) عند قول الشاعر من قصيدة طويلة :

وهمنا بدعد ثم هند وزينب   وسلمى ، ولا هند لدينا ولا دعد

ان الكناية بهذه الأسماء عن الذات الإلهية لا يجوز بحال ، ولا ندعوه سبحانه إلا بما دعا بـه نفسه « ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه » . ونختم هــذه الفوائد بما كان من حال الشيخ عمر بن مصطفى الحلبي الولي المجذوب ، فقد كان يدور في شوارع حلب ويطلب من الناس الدراهم ، ويعطيها لأمهات الأولاد اللائي مات عنهن أزواجهن لا عن شيء ، فسخره الله تعالى لهن ، والحمد لله رب العالمين .

وكتبه

محمد بهجة البيطار

فهرس الجزء الثاني

من حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر

****

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق



حلية البشر

في

تاريخ القرن الثالث عشر

تأليف

الشيخ عبد الرزاق البيطار

١٢٥٣ - ١٣٣٥ هـ

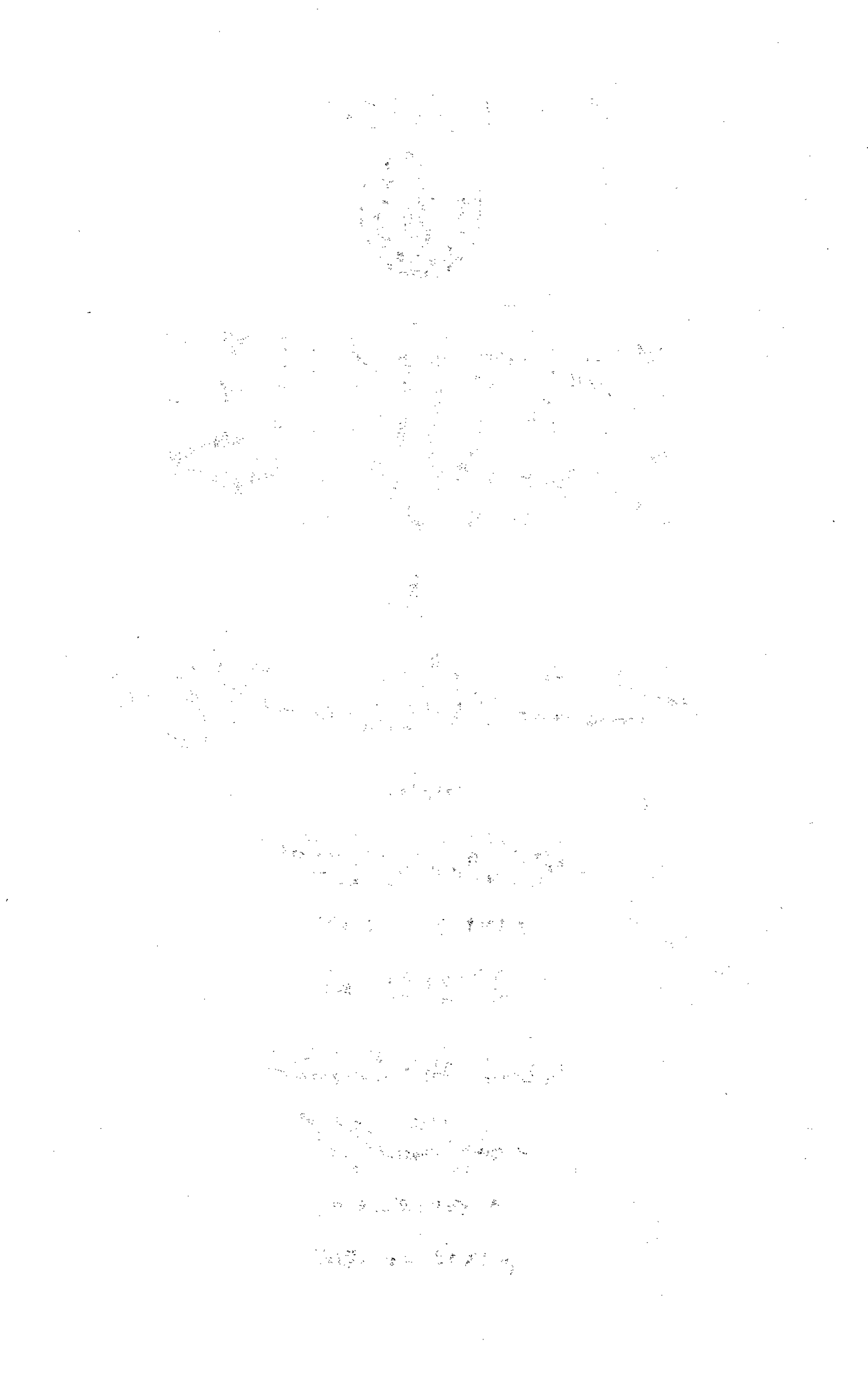
الجزء الثالث

حققه ونسقه وعلق عليه حفيده

محمد بهجة البيطار

من أعضاء المجمع العلمي العربي

١٣٨٣ هـ = ١٩٦٣ م



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

حرف الميم

السيد محمد بن السيد احمد بن السيد اسماعيل بن الشهاب احمد المنيني قدس الله سره ، مفتي السادة الحنفية بدمشق المحمية

بحر كمال لاستمداد جداول الفضائل ، وروض جمال قامت له أغصان المعارف على سوقها في الخمائل ، إذا جلى كواعب كلماته فضحت الكواكب نورا ، وإذا أديرت كؤوس مذاكراته كان ما سواها هبـاء منثورا . أطلع في سماء الشام قمر الهداية ، وسور حصون طلابها بالوقاية والنقاية ، وغاص لجج البحر المحيط فاستخرج لهم فرائد الدرر ، وكحل عيونهم بإثمد تنوير الأبصار فالتقطوا عوائد الغرر . إذا نثرت عقود طبعه وانتشر أرج شميمها بين الطلول ، ترنحت غصون الدوح وتاهت بمـا يزري بالشمائل والشمول :

شمائل لا جيب الزمان معطراً حكاها ولا خدّ الشمول موردا

فلا ريب أن قدره أعلا من النجوم العالية ، ومسك مداده يرخص شذاه الغالية . فاخرت مصره الأمصار بإشراق شمسه ، وعصره الأعصار بتحليه

بجمال أنسه ، فهو روض تقبل الأرض فيه ثغور الزهور ، وتطرز برود آدابه مع كونها تنسب لنفسها القصور . فحق لنا أن ننعته بأنه إنسان عين الزمان ، بل عين إنسان نوع الانسان ، وسر الليالي المضمر في خاطر الدهر ، بل بدرها الذي طلع في أفق هذا العصر . كشاف رموز الحقائق عن كنوز معاني الكشاف ، وَصّاف شمائل ذوي الرقائق بما اشتمل عليه من بديع الأوصاف ، كعبة طواف علماء القطر بل الأقطار فلذلك انتسب الافتاء إليه ، ومحراب اعتكاف ذوي القدر والاعتبار فمحور قطبهم دائر عليه . فلا غرو أنه وحيد الآفاق بالاتفاق ، وفريد أولي الأخلاق بالاطلاق ، وقد بوأه الله في الحديث تكرمة رفيعة الرواية والسند ، وبرأه الله من نسبة الكلالة حيث ورث المجد عن أكرم أب وجد :

يا سائلي عنه لما ظلتُ أمدحه هذا هو الرجل العاري من العار
لو زرته لرأيت الناس في رجل والدهر في ساعة والأرض في دار

ولد حفظه الله في دمشق الشام في رمضان ، من سنة الف ومائتين وإحدى وخمسين من هجرة سيد الأنام . وبعد أن أتم قراءة القرآن بالإتقان ، أقبل على العلم بهمة ذات قدر وشان . ولازم دروس الأفاضل ، إلى أن تحلى بالفضائل والفواضل ، ورقى معارج السيادة ولاحظته عيون السعادة ، وخطبته المناصب ليكون لها سيداً ولتكون له مولى ، ورفعته المراتب على كاهلها حيث وجدته لها أهلا .

ولم يزل يصعد سلم الكمال ، إلى أن استوى على عرش الرفعة والاجلال ، فقيل لمنصب الافتاء ائته طوعاً أو كرها فأتاه طوعاً من غير مهلة ، وقال إني أقسم بمن قسم له بي ما أعطيتم الشيء إلا أهله ، ولقد رجع الأسد الى غابه ، وجلس الإمام في محرابه ، وقال لسان الحال هذه بضاعتنا ردت الينا ، فلا عتب لنا ولا ملام علينا .

وكان ذلك بعد وفاة العلامة السيد محمود افندي حمزه ووقوع اضطراب عظيم بين الناس ، إلى أن استند الافتــاء اليه بعد مدة وزال الخلاف والباس ، وذلك في السنة الخامسة بعد الثلاثمائة والألف ، فلا زال العلم له أعلا حلية وهو للعلم أحسن حصن وأمتن كهف .

وانه قد حاز على ما كان لجده الشهاب من الخطبة في جامع بني أمية ذات الجلالة والقدر ، واقراء صحيح البخاري بعد صلاة الجمعة تحت قبة النسر . فهذا الدرس وهذه الخطبة كان أولها في هذا البيت لجده حضرة الشهاب ، ولم تزل فيهم إلى أن آلت إلى هذا المترجم المهاب ، قــال الشهاب المنوه به عليه رضوان ربه في كتابه المسمى بالقول السديد في اتصال الأسانيد : إعلم أنني أنا العبد الحقير العاجز الكسير ، فقير رحمة ربه وأسير وصمة ذنبه ، أحمد بن علي بن عمر بن صالح بن أحمد الطرابلسي الأصل المنيني المولد الدمشقي المنشأ العــدوي الحنفي : ارتحل والدي من طرابلس الشام الى صالحية دمشق ، وبعد أن استعد لإقراء العلوم ، وصار حجة في معرفة المنطوق والمفهوم ، رحل إلى قرية منين قرية من قرى دمشق ، واستمر بها الى أن توفي في سنة ثمان ومائة والف ، ودفن بهــا وقبره معروف ظاهر مشهور . واشتهر أنه كان من ذرية العارف بالله عدي بن مسافر ، من ذرية ذي النورين عثمان بن عفان ، هكذا اشتهر في هذه البلاد ، وفي وطنه الأصلي بين أقربائه في مــدينة طرابلس الشام انتهى ملخصا .

ونقل العالم المؤرخ خليل افندي المرادي بأن الشهاب المذكور بعد وفاة شيخه أبي المواهب درس بحجرته داخل مدرسة السميساطية [1] الى

---

(١) قوله السميساطية بمهملات مصغرة نسبة لأبي القاسم السميساطي علي بن محمد بن يحيى الحبشي من أكابر الرؤساء بدمشق المتوفى سنة اثنتين وأربعمائة ، وسميساط قلعة على الفرات بين قلعة الروم وملطيه . وأما العمرية فهي المدرسة التي في سفح قاسيون على نهر يزيد ، بناها الشيخ أبو عمر الكبير والد قاضي القضــاة شمس الدين الحنبلي سنة سبع وستمائة ا هـ (المؤلف)

أن توجه عليه تدريس العادلية الكبرى ، فانتقل اليها ودرس بها ، وأقام على الافادة في المدرسة المذكورة والجامع الأموي مدة عمره ، فدرس في الجامع المذكور في يوم الأربعاء في البيضاوي ، وفي يوم الجمعة بعد صلاتها صحيح البخاري ، وبين العشاءين في بعض العلوم ، الى أن قال : وأعطي رتبة السليمانية المتعارفة بين الموالي ، وصارت عليه تولية السميساطية والعمرية ، وأحدث له في الجامع الأموي عشرون عثمانياً وربط عليه خطابة في الجامع المذكور ، وصار بينه وبين الخطيب محمد سعيد بن أحمد المحاسني المجادلة في ذلك والشقاق وشاعت في وقتها ، الى أن استقر أمرها على الشهاب المرقوم انتهى بتصرف .

أقول : ان تقييد العادلية بالكبرى هو احتراز عن الصغرى فانها في الصالحية في سفح قاسيون غربي دار الحديث الناصرية ، وأما هذه فانها تعرف بالعادلية الجوانية الكبرى [1] تجاه المدرسة الظاهرية ، قال الأسدي في تاريخه : في سنة خمس عشرة وستمائة : الملك العادل أبو بكر بن أيوب بن محمد بن شادي بن مروان بن يعقوب الرويني ، ثم التكريتي ثم الدمشقي السلطان الملك العادل : ولد ببعلبك سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة وقيل أول سنة أربعين ، ثم نشأ في خدمة نور الدين الشهيد مع أبيه وإخوته وحضر مع أخيه صلاح الدين فتوحاته ، وقاتل وفتح فتوحات كثيرة ، وتوفي عن خمس وسبعين سنة . وكانت وفاته سنة ستمائة وخمس عشرة خارج دمشق ، فحمل الى قلعة دمشق وبها أظهروا موته ودفنوه بها ، ثم نقل الى تربته بمدرسته العادلية المرقومة التي وجه تدريسها على الشهاب أحمد المنيني

---

(١) هي مقرّ المجمع العلمي العربي الذي أنشئ بدمشق (عام ١٩١٩ م) أيام الحكومة العربية الأولى ، ولا زال مجتمعاً لرئيسه وأعضائه ، ومصدراً لمجلته ، وقد صدر الجزء الأول من المجلد الثامن والثلاثين (في كانون الثاني سنة ١٩٦٣ م وشعبان سنة ١٣٨٢ هـ) .

المومى اليه ، وانتقل اليها ولم تزل تحت توليته ومحل إقامته وتدريسه ، الى أن توفي يوم السبت تاسع عشر جمادى الثانية سنة اثنتين وسبعين ومائة والف ، ودفن في تربة مرج الدحداح وقبره ظاهر مشهور يزار ويتبرك به ، وخلفه في التولية على المدرسة المرقومة والتدريس بهـا أولاده السادات عبد الرحمن افندي وعلي افندي واسماعيل افندي ، ولم يزل ذلك ينتقل في أولاده الى أن آل ذلك الى المترجم المومى اليه أطال الله بقاه ، فلقد أحيا مآثر من سلف ، وكان لهم خير خلف ، ولقد كنت مدحته بهذه الأبيات وإن كانت بمقامه غير وافية ، فأحببت ذكرهـا في هذه الترجمة السامية وهي :

يا عذولي اليك عني فـدائي	بهوى الغيد قد غدا متنائي
خل عذلي واعذر فتى ذا عناء	بفتـاة تسبي النهى عذراء
قد سئمت الغرام بعد هيامي	ونبذت الهوى لجلب هنائي
إن أهل الهوى لكل هوان	وامتحان ونكبة وبـكاء
وحنين وزفرة وصـدود	وعذاب لاذقته وشقـاء
ليت شعري وهل ترى كلُّ هذا	ذاتُ حسن شيئاً من الأشياء
ظن قومي بأن داء غرامي	مستديم إلى حلول عزائي
مذ رأوا علتي وقد لاح للمو	ت عليهـا أدلة الحكماء
فغدا يخلص الغرام الى أن	بت منه مجملاً بشفـائي
إن هذا لمذهب فيه قلبي	قد تهـنى وذاك فيه بلائي
طالمـا نصلة القدود فرتني	وسيوف اللحظ اعترت أحشائي
قل لساجي للعيون يعنى معنى	بورود الخدود ذات الصفاء
ولذات الدلال تختار صبـا	ما صبا للتأنيب والنصحـاء
قد كفاني ما ذقت من حر وجدي	وشفـاني الإله من لأوائي
يا شبيه القناة قدّاً ولينـا	كم أطلت الجفا تروم شقائي

إنني كنت للجهال رقيقـاً ... لست أرجو ما دمت منه شفائي

ثم أصبحت رق حب إمام ... ذي كمال ورفعة وبهـاء

من حباه الإله كل حِبـاء ... منه قلب الحسود في برحاء

وتعالت به دمشق وتاهت ... ثم قالت ذا سيـد الفضلاء

هو حبر الأنام مفـتي دمشق ... ثاقب الفهم نافـذ الآراء

مذ دعته الأيام للدين تاجـا ... حسد الأرضَ فيه أوجُ السماء

رتبة قد لاذت به وتحلت ... بالمنيني محمـد العلمـاء

لو أعـار الظلام أخلاقه الغـر ... لأغنت به عن الأضواء

ذي يراع يبدي إذا أمطر الطر ... سُ فنوناً جلت عن الإحصاء

بمعان تحـكي جمال لآل ... كنجوم في الليلة الظلمـاء

لو نظمت النجوم فيه عقوداً ... ما قضيت من الحقوق منائي

عاتبي دع لوم المحب وسرْبي ... لهمام ذي رتبة عليـاء

فعليه اني قصرت ثنـائي ... واليه وجهت كل نـدائي

ليس يحلو الثناء إلا على من ... نال فضلاً مستوجباً للثنـاء

ان لي في مدحيه حسن وفاء ... منقذ لي من شـدتي وبلائي

واقتراب قد نلت منه ابتعاداً ... عن همومي وكربتي وعنائي

دام ما دام يشرق البدر ليلاً ... عالي القدر قـاهر الأعداء

بنبي قد فـاق كل نبي ... ورسول قد فـاز بالإسراء

فعليه السلام مـا جن ليل ... وأنار الصبـاحُ أفقَ السماء

توفي رحمه الله في ظهر يوم الأربعاء غرة شهر شعبان المبارك عام الف وثلاثمائة وستة عشر ودفن في تربة مرج الدحداح رحمه الله تعالى [١] .

---

(١) وكان أمناء الفتوى عنده كلٌّ من الشيخ محمد البيطار والشيـخ أبي الخير عابدين والشيخ أبي الخير الأسطواني والشيخ عبد المحسن الأسطواني كما في « المنتخبات » و « أعيان دمشق » ونحن الآن في آخر سنة ١٣٨٢ والشيخ عبد المحسن بحمد الله لا يزال حيا ، وهو فوق المائة ببضع سنين .

السيد محمد افندي بن السيد عمر افندي شيخ السجادة الرفاعية بحماة المحمية ابن السيد حسن بن السيد محمد الحريري الرفاعي . وينتهي نسبه إلى (إمام الأولياء وتاج العرفاء مولانا) السيد احمد الكبير الحسيني الرفاعي رضي الله عنه . من حفيده القطب الكبير السيد علي أبي الحسن الحريري الرفاعي رضي الله تعالى عنهم أجمعين

قال صاحب العقود، الجوهرية ، في مدائح الحضرة الرفاعية : ولد المترجم المومى اليه سنة أربع وسبعين ومائتين والف في بلدة حماة ، وتوفي والده وهو صغير ، وكفله أخوه لأبيه الرجل الكامل السيد الشيخ أحمد افندي ، ونشأ على حال من الكمال والأدب ، وتلقى علوم العربية عن علماء حماة الشام ، وحضر الى دار السعادة اسلامبول وأكرم في رتبة الموالي المعروفة برتبة أزمير ، وأجيز في الخلافة في الطريقة العلية الرفاعية من صدور الصدور والفائض النور ، حضرة السيد محمد أبي الهدى افندي نقيب أشراف حلب المقيم بدار السعادة ، وتربى بتربيته وسلك على يديه واستفاض من معارفه [١] وله فيه المدائح الجميلة والقصائد الجزيلة وهو من بيت في الديار الحموية والبلاد الشامية ، غني عن التعريف لاشتهاره كالشمس في رابعة نهاره ، وهو الآن مقيم في بلدته حماه ، مواظب على قراءة الأوراد والأذكار أطراف الليل وآناء النهار ، مشتغل باعلاء كلمة الارشاد الرفاعية في زاويتهم الزاوية الحريرية . لا زال موفقاً لخدمة الشريعة الغراء مدى الآناء . ومن نظمه مشطراً أبيات سيدي أبي الهدى افندي :

---

(١) وصفه السيد محمد أبو الهدى افندي في كتابه تنوير الأبصار ، فقال : هو أديب أريب لبيب ، رشيق الشعر ، حسن المحاضرة ، شهم متين الطور ، سخيّ الطبع ، عارف بأصول الطريقة الرفاعية الخ (ص ١١٨) .

شيخ الورى غوث الخليفة [١] أحمد ... سامي الذرا الفرد الأجل الأوحد
فجر العراق وصبحه البادي ومن ... كالشمس مظهر فضله لا يجحد
ذاك الرفـاعي الحسيني الذي ... من ذكره النار الوقودة تخمد
والطائل الباع الذي في حجه ... مدت له من حجرة الهادي اليد
وتنور الحرم الشريف براحة ... من أجلها خلق الوجود الموجد
تلك اليد العليـا التي لقبوله ... برزت له بعد المكانة تشهد
الله أكبر ذلك المجـد الذي ... من دونه حط العلى والسؤدد
شرف عظيم ليس يدرك حده ... أولاه أحمدَنا الحبيبَ محمدُ

رفع الله مقامه ورفع في مدارج التوفيق أعلامه آمين .

محمد سعد بن محمد سعد الشهير بالمصري صاحب تحفة أهل الفكاهة

إمام علي القدر والمقام ، همام قد انقاد له هام النثر والنظام ، لآلىء أفنان آدابه فرائد ، وحدائق فنونه مفتحة الأزهار لكل قاصد ووارد ، ألفاظه بزلال الجمال ممزوجة ، ومعانيه الباهرة في قراطيس الأفئدة مدروجة . فمن لطائف هذا البليغ الماهر ، المزري دره الثمين بالجوهر البـاهر ، ما كتبه على طرة كتابه المسمى بتحفة أهل الفكاهة [٢] ، في المنادمة والنزاهة :

إذا ما شئت أن تحيا سعيداً ... وتظفر باللطـافة والنزاهه
فطالع سفرنا السامي المسمى ... بتحفة من هموا أهل الفكاهه

وكان فراغه حفظه الله من تأليف هذا الكتـاب في شهر رجب الحرام سنة الف ومائتين وخمس وتسعين . ومن قوله حفظه الله :

---

(١) قدمنا في الجزءين الأول والثاني مراراً أن غوث الخليفة على الحقيقة هو الله وحده سبحانه وتعالى .

(٢) لم أر لمؤلفه ترجمة فاسجلها ، وقد قتصر في معجم المطبوعات على ذكر هذا الكتاب .

نادمتني ضحى وكان عليها حلة تشبه السماء صفاء
فتوهمت ان مجلس أنسي زاد فيه لنا السماء ضياء

وقال أيضاً :

منجّم الحسن لما أن رأى قمري واستكسف القدّ منه قاس بالملك
وقال دائرة الخصر النحيل به موهومة ولذا قامت على الفلك

وقال أيضاً :

ألا إن أنسي وابتهاج أحبتي هما مطلبي الأعلا وغاية بغيتي
وظني لأنسي حيث بان منغص فلا كان من أخشاه عند مسرتي

وكتب الى بعض الأحباب ، وكان ذلك جواباً لهم على مراسلتهم :

كتبت أشكوك بينا مستصعباً من ملالك
وليتني كنت رقماً حتى أمر ببالك

أما بعد فقد ورد كتابك الكريم المشحون باللطائف ، ويا حبذا ذاك الرقيم ، فقمت له إجلالاً على قدم الفرح ، وزال إذ ذاك ما كان عندي من الترح ، وها انا أرسلت جوابه في غاية الإجادة لأشكر مآثر السيادة ، والتمس رسالة هي نصف المشاهدة وزيادة ، أراني الله ضياء محياك الباهر وأنشقني عرفك العاطر ، بمنه وكرمه آمين . ومن قوله في اسم اسمعيل تطريزا :

الخد فيه الورد والنسرين والثغر منه اللؤلؤ المكنون
سمحت بك الدنيا وضنّ بك الوفا فانا الحزين الساهر المفتون
ما بالني أخلصت فيك مودتي وتقول لي لا خنتني وتخون
إن كنت قد أخطأت سبل بني الهوى في أي مؤتمر عليك تبين
عنفتني فازددت فيك تولها وأذعت أسراري وكنت أصون
يحلو فمي اني ذكرتك مرة ويشوقني لحديثك التلحين
لم يحكني قيس غراماً والذي أنا مرتجيه على هواك يقين
أنت الذي يا ظبي قد علمتني بين الأنام الشعر كيف يكون

من لي بان ترضي الرقاد لناظري   وإلام أنت به علي ضنـين
يا حسنه الراقي الكمال محله   في الخلق ولدان وحور عين
نادي وقل هذا الذي قد صانني   مـا كل اسمعيل عز أمين

وله في اسم أحمد لطيف :

أيهـا الظبي المفدى   منعش القلب الحزين
حبذا فيك التصـابي   يا ابن أنس العـاشقين
ما لـكي قد كان مني   سفه فيك يقـين
داره منك بعفو   واصفح الصفح المبين
لا تكن مر التجـافي   متن أشواقي متـين
طالمـا أنفقت شعراً   فيك حيناً بعد حين
يا ترى أحظى بوصل   منك أو أبقى رهين
فتـدارك نار شوقي   يا لطيف العالمين

ومن لطائفه قوله في عوّاد وعوده :

وعود في يدي رشأ كسته   وضاءة وجهه نوراً بهيـا
إذا ما خلته يحنو عليه   تقول البدر يختطف الثريا

وقال الصفي الحلي في العود :

غنى على العود شادٍ سهم ناظره   أمسى به قلبي المضنى على خطر
دنا إلي وجسّت كفه وتراً   فراحت الروح بين السهم والوتر

وقال أيضاً :

فتن الأنام بعوده وبشجوه   شاد تجمّعت المحـاسن فيه
حتى كأن لسـانه بيمينه   طربـاً وان يمينه في فيه

وقال أيضاً :

وعود به عاد السرور لأنه   حوى اللهو قدما وهو ريان ناعم

ليطرب في تغريده فكـأنه   يعيد لنا ما لقنته الحمـائم

وقال برهان الدين القيراطي :

أقول إذ جس عوداً مطرب حسن   يريك يوسف في أنغام داوود
من ضوء وجهك تبقى الأرض مشرقة   ومن بنانك يجري الماء في العود

وقال شرف الدين القيرواني :

سقى الله أرضاً أنبتت عودك الذي   ذكت منه أغصان وطابت مغارس
تغنت عليه الورق والعود أخضر   وغنت عليه الغيد والعود يابس

وقال البرهان القيراطي :

سمع غنى فـأغني   بصفـات الحسن ذاتي
قلت إذ حرك عوداً   عـارف بالنغمات
أنت مفتـاح سروري   يا سعيد الحركات

وقلت ونحن على مائدة السماع ، متناولين من ألوانه الشهية ما يغذي الأرواح والأسماع ، وكانت واقعة الحال ، مناسبة لهذا المقال :

عجباً لعواد على العود انحنى   وغدا يتيه تواجداً وهياما
وتكلما حتى فؤادي كلـمـا   وتشاكلا لذوي السماع كلاما
وتراقصا رقص المشوق لألفه   والحب أثر فيهما الأسقامـا
وتعانقا وتشاكيا أمر الهوى   حتى بكينا رحمة وغرامـا

وقلت أيضاً :

وعواد بحب العود أضحى   معنى ليس يصغي للمليم
بديـع مفرد ظبي رشيق   سمـا لطفاً على مَرّ النسيم
فلما جسه أبدى حنينـاً   وقال ارحم ضنا جسم سقيم
تعطف ضاربي كرماً وجوداً   فقلبي بات ملقى في الحمـيم
لعمري قد أذاب القلب وجدا   وأبـكانا وحقك يا نديمي
وضاربه انحنى وحنى عليـه   حنو الثـاكلات على اليتيم

محمد بن محمد يوسف بن عبد الكريم الأنصاري

أديب ماجد ، ولبيب قد أقام على أدبه الف شاهد ، وهو من رجال اللآلىء الثمينة في أعيان شعراء المدينة ، فقال في ترجمة هذا الكامل والجهبذ الفاضل : الشبل بن الليث والقطر بن الغيث ، الصادقة نجابته والفـائقة لبابته ، الذي أقر عين أبيه ببنائه في المكارم على مبانيه ، وارتدائه برداء معانيه ، فلله دره من نجل أفرح والده وأبكت حاسده . وأخبرني بعض بني عمه أن له كتاباً في محاسن الحبوش على منوال كتاب الطراز المنقوش ، لم أقف عليه لأنقل منه بعض نظمه . ولكن رأيت له هذه الأبيات الدالة على وفور حظه في الأدب وسهمه ، وهي قوله :

سبت عقلي مهفهفة بنجد … فتـاة من بني شرف ومجد
تمَايَلُ في مزعفرة عليها … يفوح عبيرهـا مسك بند
فقلت أيوسف في الحسن أنتي … فقالت يوسف في الحسن ندي
فقلت لها رشا أنتي فقالت … أراك تعرض الغزلان عندي
حكيت من الظبا عيناً وجيداً … ولكن مـا لهم قدّ كقدّي
فقلت لهـا أخد مثل ورد … فقالت لا يحاكي الورد خدي
فكيف تقول خدي مثل ورد … يباع مع الوصايف بيع زهد
وحقك ليس يشبهـني فاني … جميع الحور والولدان جندي
وأهل الحسن كلهم عبيـدي … ويشهد لي بذا ثغري وخدي
فبـادر بالتحية قلت أهلاً … ببدر زارني من غير وعد
فبت ملذذاً في طيب عيش … ونجمي طالع في برج سَعدي

ان هذه القصيدة قد أذكرتني بقصيدة كنت أنشأتها لواقعة لطيفة فأحببت ذكرها هنا لأدنى مناسبة وهي :

مَرّبى محبوب قلـبي … وانثـنى وهو يهب

قلت قف يا نور عيني   انني مضنى محب
قال لي أية شيء   ترتجي ممن تحب
قلت صل صبا معنى   قال وصل الصب صعب
قلت عدني قال دعني   وعد من تهواه عيب
قلت في أحشاي نار   قال لي دعها تشب
قلت ما تصبو لحالي   قال لي هيهات أصبو
قلت أحشاك حديد   قال ذا سهل ورطب
قلت هل تهوى هواني   قال أهوى وأحب
قلت قلبي ذابَ وجدا   قال هل عندك قلب
قلت خف يوم حساب   قال ذا والله قشب
قلت ما لي فيك طب   قال ما للحب طب
قلت قتل الصب صعب   قال بل سهل وعذب
قلت ما هذا التجافي ؟   قال لي تيه وعجب
قلت هل ذنب لهجري   قال لي كلك ذنب
قلت هل تدري بعيشي   قال أحزان وندب
ثم ولى وزفيرُ الْـوَجْد في الأحشا يهب
من لولهان مهان   عمره هم وكرب
خانني بدري ودهري   يا إلهي أنت حسب

ثم ان هذا المترجم له أبيات كلها درر ، وقصائد كلها غرر . توفي في أوائل القرن الثالث عشر ، ولم أقف لتعيين وفاته على أثر .

محمد أمين الزللي المدني الخطيب

ناظم جواهر الكلام ، وناثر أزهار البيان بأنامل الأقلام ، تقدم في مضمار البلاغة وما تأخر ، وذلل صعاب البراعة بأدبه وما تعذر ، فهو

العالم بشمار الأشعار والمقتنص لأبكار الأفكار ، فمن بديعه المستجاد وصنيعه الذي أبدع فيه وأجاد ، قوله :

أنا في الحب معنى والذي أهوى مهنى
ولسان الدمع أبدى من غرامي ما استكن
وفؤادي قد وهبا وجداً وعظمي زاد وهنا
واشتياقي قد براني وحشى الأحشاء حزنا
وزفيري وشهيقي أحرق الجسم وأفنى
وجفا النوم جفوني فغدت للسهد سكنى
يا لودي من لقلبي من مليح يتجنى
من مجيري من مليك أسر القلب وعنى
آمر في الحب ناه فرض الحب وسنا
ونضى سيف جفاه وبما أرجوه ضنا
ليت شعري ما عليه لو شفا بالوصل مضنى
وعفا عن شؤم ذنبي كرماً منه ومنا
وتلافى بالتلافي مبتلى فان معنى
ورضي عني فإني صرت كالعبد وأدنى
أيظن الهجر يسلي ويظن القلب يثنى
لا ومن قدر في الحب بأن يبقى وأفنى
ما تسليت ولو أمست لي الجفوة سجنا
لا ولا أهوى سواه إن دنا أو صدعنا
كيف أسلوه وقلبي نحوه حنّ وأنّا
واصطباري فر من بين يدي والعقل جنا
يا حبيبي هات قل لي أي ذنب كان منا
الذي أغراك حتى ملت عما قد عهدنا

ما الذي أوجب هذا هـات بالله أفدنا
ان يكن ذاك دلالاً ما أحيلاه وأهنا
أو لذنب كان انا عنه تبنا ورجعنا
أو وشى واش مريب أو حسود قد تعنى
فلقد أبلغته بالهجـ ـر فينا ما تمنى
حبذا ان كان يرضيك ولو انا تلفنا

ومن الاقتباسات الشعرية الدالة على رفعته العلية قوله :

يا معشر العشاق أوصيكم حقاً وإني لمن الناصحين
والنجح في نصحي لكم فاسمعوا وصية العاني حليف الأنين

ومن قوله :

سواي محب للمواثيق ناكث وإني على عهد الصبابة ماكث
وإن تنس عهد الحب اني لحافظ لود قديم لم يغيره حادث
وأقسم أني لا أميل عن الهوى وما أنا في هذي الألية حانث
فكيف سلوي واستياقي دائم اذا رث منه باعث جد باعث
وان عقد العذال في كتب لومهم فصولا فلي في حلهن مباحث
وإن سلموا حال الجدال تركتهم وإلا فلم أبرح بعلم أباحث
وشتان ما بيني وبين مؤنبي لأني مجد في الهوى وهو عابث
وإن كان صبري عن فؤادي راحلا فجيش غرامي في سويداه لابث
فيا يوسفي الحسن يا من محبه غدا وهو من يعقوب للحزن وارث
ويا ناهبا عقلي وسالب صحتي بطرف مريض الجفن للسحر نافث
رويدك لا تصدع بصدك مهجتي فقد أزعجتني من جفاك الحوادث
وصلني ولا تصغي لقول عواذلي فما هم وما قالوه إلا خبائث
وذرهم يخوضوا في الملام فإنما عداوتهم للعاشقين توارث

ومن قوله :

ما أبصر الطرف بمصر وشام في الظرف والبهجة والاحتشام
مثل رشيق صاد أحشاي إذ صادفته يعطف غصن القوام
ما بين سلع ورياض بهـــا قد رقص الغصن وغنى الحمام
وصفقت أوراقـــه فرحة إذ نثر الدر عليهـــا الغمام
فصرت مبهوتاً لما عـــاينت من حسنه عيناي والقلب هام
ولم أطق تـــأخير رجل إلى خلف ولا تقديم أخرى أمام
فمذ رأى من حالتي ما رأى أيقن اني دنف مستهـــام
وجاء نحوي مقبلاً مسرعـــاً مبتسم الثغر وأدّى السلام
فقلت يا أهلاً ويا مرحبـــاً بمخجل الشمس وبدر التمام
وكاد أن يعطف عطفاً إلى روض لشمل الأنس فيه انتظام
لولا صديق ظنه إذ بدا له رقيبـــاً فتوقى الملام
وراح عني خجلاً مفزعـــاً وخلف الأحشاء فيها ضرام

☆ ☆ ☆

لا توقعوا أنفسكم في الهوى فهو هوان وعذاب مهـــين
فامتثلوا الأمر وعنه انتهوا إني لكم منه نذير مبـــين

وقال :

تبدي لنا ملفتـــاً جيده ومن عادة الظبي أن يلتفت
ومرّ وأسرع في مشيه فخلنـــاه من شرك منفلت
غزال غزاني وأبدى السرو ر لذاك حتى عذولي شمت
وصـــال بأسمر من قدّه وأبيض من جفنه منصلت
فلا بدع إن صرت من لحظه جريحـــاً وعقلي به قد بهت
وأمسيت لم أدر أين الطر يق ولا الفرق ما بين سبع وست
وأسرعت ان سار في خطة اليـــه وإن يلتفت التفت
فكل يميل الى حسنـــه إذا ما بدا وإذا مـــا نعت
فيا ليته جاد لي باللقـــا على رغم أنف الزمان المشت
وإن سمح الدهر يوما به فلم التفت طول دهري لست

وقوله :

مذ غبت يا بدر عن هذي المطالع ما ... أبقيت إلا غراماً في الضلوع ثوى
فالجسم عندي وعيني في الطريق وها ... قلبي لديك يعاني حرقة وجوى
والشوق ولّى عليّ الحزن إذ عزل الـ ... ـصبر الجميل ونومي للفرار نوى
والدمع خطط لي ثوب الضنى بيد ... حمراء لما رأى جسمي سليب قوى
فكم يقاسي العنا قلبي وقلبك يا ... روحي مهنا لأنواع السرور حوى

وان هذا المترجم من أعيان حديقة الأفراح لإزالة الأتراح . وقد ترجمه مؤلفها فقال : صاحبنا الأديب ، محمد أمين الزللي المدني الخطيب ، واحد أدباء العصر ، والجوهر الفرد الذي ما ظفر بمثله جوهري في الدهر ، اجتمعت به عام الف ومــائتين واثنين وعشرين في بندر جدّة ، فرأيت من أخلاقه ما أوجب علي حمده ، شمائله تدل على اللطافة ورقته أرق من السلافة ، ما الدر النظيم بأفخر من عقد نظامه الثمين ، وما أرج النسيم بأضوع من روائح منثوره الذي هو في الحقيقة سحر مبين ، فمن لطائفه قوله :

لاح الصباح براية بيضــاء ... وسطا ففرق عسكر الظلماء
والروضة الغناء قام هزارها ... يشدو فأشجانا بطيب غناء
والغصن لاح لنا بتاج أزاهر ... متكلل بجواهر الانـــداء
فانهض وبادر للخلاعة واغتنم ... صفو الزمان ولا تكن متناني
واقرن صبوحك بالغبوق ولا تدع ... فرص السرور بغدوة ومساء
واعقد ببنت الحان واجعل مهرها ... عقلي وأشهد سائر الندمــاء
واستجلها بكراً تقلد جيدهـا ... بعقود در بل نجوم سماء
واشهد محاسنها إذا ما أهديت ... من كأسها في حلة اللألاء
وافضض ختام كؤوسها واكشف لثا ... م عروسها وانشق لطيف شذاء
واعدل عن العيدان وارشفها على ... رقص الغصون ونغمة الورقاء
وإذا سألتك ما اسمها متلذذاً ... قل لي فديتك في جواب ندائي

هي راحة الأرواح والروح التي ... قامت بها أجساد كل هناء
لا بل هي الراح التي من شأنها ... جلب السرور ودفع كل عناء
راح تشابه لونهـا وإناؤها ... وتشاكلا في رقة وصفـاء
راح اذا ظهرت بيوم مشرق ... أخفت أشعتها ضيـاء ذكاء
راح اذا ما أبرزت من خدرها ... في ظلمـة لم تفتقر لضياء
راح يفوق المسك طيب شذائها ... يغنيك عن ند ونشر كباء (١)
فاشرب هنيئاً واسقنيهـا قهوة ... حمراء وسط زجاجة بيضـاء
من كف ساق في لماه ولحظه ... وحـديثه نوع من الصهباء
وبخده ورد حمـاه بأسهم ... عن قطفه باللحظ والإيمـاء
فاذا رنا هش العيون أو انثنى ... فضح الغصون بقامة هيفاء
واذا بدا والبدر حال تمامه ... لم يدر أيها رآه الرائي
فعليك يا هذا بها واليك عن ... قول العواذل يا أخا السراء
واركض بميدان الخلاعة والهوى ... طلق العنان برغم كل مرائي
ودع المساجد عنك والزم عادة الا ... دبا وخل ثقالة الفقهـاء
واصرف زمانك كله في شربها (٢) ... صرفاً وحاذر مزجها بالمـاء
وامزج زجاجتها اذا ما عفتها ... بلماه فهو دواء هـذا الداء
أو من لمى عذراء ذات مقبل ... عذب شهي فيه برء ضنـائي
تسبي وتستلب العقول اذا رنت ... للعاشقين بعينهـا الكحلاء
واعص النصيح ولا تخف احداً سوى ... مولاك في السراء والضراء
واخضع وذل له ولذ بجنابـه ... ينجيك من سوء وشوم بلاء
واعدد توبة تخلص من قبل أن ... يزف (٣) الرحيل وأنت في الاهواء

---

(١) الكباء : العبرة .
(٢) هذا كله لا يقوله عاقل ، ولكن هذه الصبوة ، قد ختمها بالتوبة ، كما ترى في ختام هذه الأبيات ، من الاستعداد لما هو آت ، عفا الله عنه
(٣) يزف : يسرع .

فلعل أن يمحى بصادق فجرها ديجور ليلة جرمك الليـلاء

ان هذا المترجم قد توفي بعد الألف والمائتين والاثنين والعشرين ولم أقف على تعيين وفاته ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

السيد محمد يوسف البلجرامي الحسيني هو من رجال الحديقة وقد ترجمه بها فقال

ومن قوله أيضاً :

اعطف ورق لحاليه يا ذا الشفاه الحاليه
لا تبل قلبي بالتجني فهو نار حاميه
خذ يا حبيبي ما ملكت وان أردت فؤاديه
واحيرتي واحرقتي ان زدت في هجرانيه
ارحم فديتك ذلتي وكآبتي وبكائيه
جرعتني غصص الجفا وتركت روحي باليه
ها حالتي يامنيتي تنبيك عن أشجانيه
يا من حفظت وداده وأضاعني ووداديه
حرمت طيب النوم يا تياه عن أجفانيه
يكفيك اني مدنف حتى العذول رثى ليه
أواه مما نابني آه وآه ثانيه
ما ضر لو أطلقتني من لوعتي وعنائيه
سوفت بي ومطلتني وجحدت دين وصاليه
عرج عليَّ ولا تعذبني وشرف داريه
والله روحي عن غرا مك قط ما هي ساليه
داوي بوصلك مهجتي لا ذقت مثل غراميه

قال حسان هندوستان المعروف بازاد، في كتابه سبحة المرجان :
هو قسطاس المعقولات، ونبراس المنقولات؛ بل هو ملك كريم، وعلى الخزائن حفيظ عليم . علمه الله من تأويل الأحاديث، وأدار عليه كؤوس العناية بالتثنية والتثليث[١] فمن لطائفه قوله فيمن ورد روضه .

قد شرف سيدي رفيع المقدار   روضي ليرى به جمال الأزهار
رحبت به وقلت أهلا سهلا   حياك الله أنت نور الأنوار

ويعجبني قوله :

سرت الي وكان البدر ملتمعاً   وكابدت في سراها أي معسور
فقلت أهلا بمن جلت عنايتها   بهـا تيسر لي نور على نور

انتهى . توفي في القرن الثالث عشر ولم أقف على تاريخ وفاته[٢] رحمه الله .

الشيخ محمد علي الجيلاني المعروف بالحزين نزيل نبارس

هو من رجال حديقة الأفراح ، قد ترجمه مؤلفها بقوله :

عالم توجه الله بتاج الكمالات وألبسه حلة الشرف والكرامات ، عارف أوضحت شمس معارفه البازغة منهج الفلاح ، عابد صرف شريف عمره في طاعة ربه المنّاح . أديب، ديوان نظمه باللسان الفارسي نزهة الأبصار ،

---

(١) في الأعلام : محمد يوسف بن محمد أشرف الحسيني الواسطي البلكرامي : فاضل من أهل بلكرام (في الهند) ، له كتاب « النوع النابت من الأصل الثابت » في التوحيد الشهودي ، قال صدّيق حسن خان : وقفت عليه فوجدته في بابه ، خطيباً في محرابه ، وله شعر بالعربية والفارسية اه قوله : التوحيد الشهودي . قال الشبلي من أئمة التصوف : ومنهم مَن هو مكاشف بالحقيقة ، فيضمحل إحساسه بما سواه » من الرسالة القشيرية في علم التصوف .

(٢) في الأعلام : (توفي سنة ١١٧٢ هـ) .

بليغ ،لطائفه باللسان العربي درر وأنوار . فمن جيد شعره قوله من لاميته المشهورة التي مدح بها الامام المرتضى كرم الله وجهه :

وليس عنك سواد العين منصرفاً مهما تشاهد بالتدعيج والكحل
اسمع كلامي ودع لامية سلفت الشمس طالعة تغنيك عن زحل
فمن أنيني حمام الأيك في طرب قد اقتدى بزفيري واقتفى رقلي
مني الأنين ومنكم ما يليق بكم بذلت جهدي لكم لا بد من بدل [١]
فوالذي حجت الزوار كعبته وكم هنالك من داع ومبتهل
جرى مجاري دمعي حب حضرته وأشرق الشوق في صدري بلا طفل
ليس اصطباري ببعد الدار عن سكن بل من نحولي يا غوثي ومن فشلي
وكم دعوتك يا كهفي ومعتمدي مستنصراً فأتني بالنصر عن عجل

توفي في القرن الثالث عشر ، ولم أعلم تاريخ موته رحمه الله .

قاضي القضاة الأمجد محمد نجم الدين خان

هو من أفراد أعيان الحديقة ، وإنسان حدقة أهل المجاز والحقيقة ، قد ترجمه صاحب الكتاب المذكور وإن كان فضله بين الأنام مشهور ، فقال : نجم الهداية الثاقب مظهر المكارم والمناقب ، غطمطم [٢] العلوم العقلية والنقلية ، وسفينة النجاة لمن اهتدى بأنجم فضائله الجلية . نثاره شذور العسجد ، ونثاره من وقف عليه لم يلهج بغير الصلاة والسلام على محمد . فمن لطائفه قوله :

---

(١) قال صاحب الحديقة أحمد بن محمد الأنصاري اليمني الشرواني ــ بعد هذا البيت : سبحان المنعم ، هذا البيت غاية في اللطف ، وما أحسن قوله منها : فوالذي الخ وليته ترجم لهؤلاء الأدباء تراجم كاملة ، أو ذكر تاريخ وفياتهم على الأقل .

(٢) الغطمطم : البحر العظيم ، والرجل الواسع الأخلاق .

اسلمى جمال كشمس الضحى | لها جبهة قل هلال بدا
لها قامة مثل مروة تميل | يداها كأغصانه بالصبا
وكانت لها حلة مع صفـــا | عن القلب ما زال تجلو الصدا
لقد فـــارقتني بلا باعث | وداع الى نقض ذاك الهوى
وما لاحظت خدمتي كالعبيد | ولم توف أصلا عهود الحمى
ولي دونها هيأة الاضطراب | كحوت عن الماء جاز الثرى
جرى من عيوني سيول الدما | إلى الله أشكو جرى ما جرى
فيا ثاقب اصبر ولا تجزعن | لأن النسا قلّ فيها الوفـــا

انتهى . مات المترجم في أوائل القرن الثالث عشر .

المولوي محمد باقر النوايتي المدراسي

قد ترجمه صاحب الحديقة فقال : نابغة الدكن وجريرها ، وريحـــانة الظرائف وزهيرها ، بقر الفنون بأنفاسه الطويلة في النثر والنظم ، وذبح الطروس بنفائس المدائـــح وزخارف الذم ، فأهدى إلى السواد الأعظم المدح المليح ، وأزجى إلى الفرقة الامامية الذم القبيح . فمن لطائف نثره ما كتبه إلى السيد العلامة الأديب صفي الاسلام ، مفتي الشافعية بالمدينة المنورة أحمد بن علوي باحسن جمل الليل :

سلام به نور المحبة لامـــع | ونشر تباشير الهوى منه ساطع

على من جميل خلقه الذكي هو المسك ما كررته يتضوع ، وحسن صيته العلي كبرق بدا من جانب الغور يلمع ، المتروي بمنهل المجد الروي والمتحلي بملبس الشرف الجلي ، الرافل في مطارف النسب الفاخر والحافل بطرائف الحسب الزاهر . المتسنم ذروة العز الشامخ المتسلم لصفوة الفخر الباذخ ، المتميز بمزايا الشيم الرضية والمتحيز بزوايا الهمم السنية ، نخبة الفضلاء الأمجاد

رنقاوة الأدباء الأجواد ، المنسوب إلى اليمن الميمون كالسهيل ، مولى السيد أحمد باحسن جمل الليل ، أنار الله مهجته وأدام بهجته . وبعد فلا يخفى على ضميركم الذي هو ملواح كل فلاح ومصباح كل صلاح ، ان التعارف المتحقق في معهد الأرواح ، يورث التحالف في مشهد الأشباح ، ويثبت تارة مضمون الغرام الأمين بالخط الشعاعي المتصل بالوجه الحسن ، ويجدد أخرى تلك النسبة المتناهية الكتمان ، بابلاغ المحاسن إلى مسامع الخلان . وإن اشتهر انتشاء الحب من العين سراً وعيانا ، فالاذن تعشق قبل العين أحيانا . إلى غير ذلك والسلام انتهى . توفي المترجم المذكور في القرن الثالث عشر ولم أقف على تعيين وفاته .

السيد العلامة محمد بن اسحاق

هو من زهرات أفنان حديقة الأفراح ، ترجمه صاحبها مع السادة الملاح ، فقال : باب مدينة العلم ومعدن الكرم والحلم ، نثره أبهى من الدر المنثور ، ونظمه أفخر من قلائد النحور . فمن لطائفه قوله :

أيا بارق الجرعا هل الجزع ممطور … وهل بالغواني ذلك السفح معمور
وهل ذلك الروض النضير نضارة … بمين الرضا من ساكن السفح منظور
وهل كسيت فيه الغصون قطيفة … مطرزة خضرا وأزرارها نور
ازاهير تغدو بعد حين كأنها … دراهم في حافاتها ودنانير
فلله ذاك الروض كم عبرت به … نسيم الصبا في طيها المسك منشور
يكبر من يأتيه حتى طيوره … لها فيه تهليل كثير وتكبير
إذا رقصت أغصانه فحمامه … مزامير في أرجائه وطنابير
سقاها الحيا طول المدى فهي جنة … لأن الحسان اللاعبات بها حور
كواعب لا تفتر عن حرب عاشق … بتدبير رأي فيه للصب تدمير
يجهزن جيش الانكسار لحربه … وما هو إلا لحظ عين وتفتير

وغيداء أما اللحظ منهـا ففاتك   وأما اريج الثغر منها فـكافور
إذا ابتسمت أو كلمت مغرماً يرى   من الدر منظوم بفيهـا ومنثور
يحافظ مضناها على حبه لهـا   وياليت مضناها على ذاك مشكور
لها في الجفا جزم على رغم انفه   وفي وصلها تقديم رجل وتأخير
بطول تجنيها وتفتير لحظهـا   فؤادي مسجور هناك ومسحور
شكوت لها هجري وقلت لها متى   بطيب التداني منك يسعد مهجور
فيا هذه عطفاً على ذي صبابة   له في الهوى شأن لحسنك مشهور
أسرت منامي بعد اطلاق مدمعي   وكم في الهوى يشكو طليق ومأسور
وأرسلت قلبي المستهام مع الصبا   إليك فعاد القهقرى وهو مقهور
هبي انه ضيف ألمّ بداركم   وللضيف إكرام عليك وتوقير
على كل حال أنت عندي حبيبة   وعذرك مقبول وذنبك مغفور

انتهى كلام الحديقة . ثم ان المترجم المذكور رحمه الله تعالى قد كانت وفاته في أوائل القرن الثالث عشر لكنني لم أقف على تعيين تاريخها .

محمد الجرموزي

قال في حديقة الأفراح لإزالة الأتراح : بليغ ماهر يزدري دره الثمين بالجوهر الباهر ، فمن لطائفه قوله مكاتب حسين بن علي الوادي وهو إذ ذاك بصنعاء :

الغيمُ أرخى أدمعـاً لا تفيق   وألبس الأغصان ثوبـاً أنيق
ودبّج الأرض فمن أخضر   أو أصفر أو أحمر كالعقيق
وكلما مرت بنـا نفحة   أهدت من الأزهار مسكاً سحيق
روت حديثاً عاد دمعي له   مسلسلاً بالود لمـا يستفيق

ان الربا قد كللت بالندى　　　وانتظم المنثور بين الشقيق
يا أيها الوادي الذي نشره　　　قد ملأ الأرجاء نشراً فتيق
بعدك عني والوفـا شيمتي　　　مالي إلى السلوان عنه طريق

انتهى . مات المترجم بعد الألف والمأتين ولم اقف على تاريخ موته .

السيد محمد بن صلاح الهادي

قال احمد بن محمد الانصاري اليمني الشرواني في حديقته المشمولة بأنواع الأماني : علم الهدى ، والإمـام الذي ما ضل من تبعه واقتدى ، فمن لطائف قوله :

لست أنسى رقة العيش الذي　　　زاد في الرقة حتى انقطعا
في ربا الشجعة كنـا جيرة　　　واخلائي وأخداني معا
جنة عندي رباهـا زخرفت　　　سيما والكرم فيهـا أينعا
وسقى الله ليبلات الحمى　　　وكلاه وحماه ورعا
وصديقاً زارني من بعد ما　　　بجلابيب الظلام ادّرعا
قطع البيداء نحوي مسرعا　　　والفيافي والموامي قطعا
زار كالطيف اختلاساً ومضى　　　ثم ما سلم حتى ودعا
اودع القلب أسى إذ ودعا　　　فجميل الصبر مني امتنعا
وسعى الحادي به مستخفرا　　　بعد ان فارقتكم لأسمعا
أو ظننتم أن جفني هاجع　　　فلعمري بعدكم مـا هجعا
عيل صبري إذ رحلتم جزعـا　　　وفؤادي ذاب فيكم ولعـا
كان ينهاني الحيا أن اشتكي　　　فغرامي لحيائي منعـا

انتهى . مات في القرن الثالث عشر في أوله رحمه الله تعالى .

القاضي محمد بن احمد مشحم

ممن تزينت الحديقة بطلعته وتحلت بصفته وحسن ترجمته ، قال منشيها وبطراز البراعة موشيها : عدل عن الجور وفيما حكم عدل ، واتقن فن البلاغة بصائب رأيه الأكمل ، فمن لطائفه قوله مجاوباً الفاضل الأديب محمد ابن خليل السمرجي الجداوي :

ازهر الربا اهديت أم لؤلؤ العقد ... أم الزهر جاءت في بديع من السرد
ام الروض لا ، فالروض ماء وتربة ... وعشب وذا شيء يجل عن الحد
ام النسمات العاطرات تأرجت ... بأعبق من مسك فتيق ومن ند
ام الخمر في كأس الطروس أدرتها ... أم الشهد ام أحلى من الخمر والشهد
ام الريق من فتانة الثغر والرنا ... بعيدة مهوى القرط مياسة القد
ام الطرس وافى أم بدا قمر الدجى ... ام الشمس قد لاحت على شرف السعد
ام الغادة الهيفاء في الحلي أقبلت ... تميس بأزهى من مرنحة الملد
وجاءت بخل لا يخل بوده ... ولا يرتضي إلا الثبوت على العهد
بثغر كما يزهو الأقاح ملاحة ... وخد كما التف الشقيق على الورد
وجيد كما تزهو ظبا السفح لفتة ... وطرف كما تبدو الظباء من الغمد
ام السحر لا استغفر الله انه ... حرام وذا حل فياطيب ما أهدي
وما هي إلا بنت فكر فريدة ... تبختر من وشي البلاغة في برد
نفائس افكار أتت لم أجد لها ... جزاء سوى الشكر المكلل بالحمد
ودر قريض رمت ادراك شأوه ... فقصر عنه في تطلبه كدي
حلى صاغها من حاز كل فضيلة ... بها قد حلا جيد المكارم والمجد
اخو الأدب الغض الذي جمعت به ... المحاسن حتى صار يعرف بالفرد
أديب أريب ألمعي مهذب ... ذكي ، سجاياه تجل عن الحد
له خلق أزهى من الروض باسما ... وذهن دقيق الفكر أمضى من الحد

أعيذ سجاياه التي طاب ذكرها ... بآي المثاني السبع من سورة الحمد
لأنفاسه في الطرس أي تضوع ... تصعد منه دائمـاً عبق الند
فلله ما أهديت يابدر من يد ... وكم لك أيضاً قبلها من يد عندي
أياد توالت منك عجلى كأنهـا ... شرار أطارته الأكف على الزند
وإني في عجزي عن الشكر سائل ... مسامحتي فيما أعيد وما أبدي
بمالك في سمعي وطرفي وخاطري ... من الصيت والمرأى المعظم والود
فودك في قلبي ألذ من المنى ... وذكرك أحلى في لساني من الشهد
فدم زينة الآداب بدر كمالها ... ودرة تاج العصر واسطة العقد

انتهى . توفي رحمه الله تعالى في القرن الثالث عشر (١) .

عز الاسلام محمد بن محسن القرشي كاتب بندر المخا

هو ممن احتوت الحديقة عليه ووجّهت وجهة الترجمة إليه ، فقال مصنفها وجامعها ومؤلفها : مصدر الغرائب ومظهر العجائب ، منهل أدبه صافي ومختصر المطول من بدائعه مغني اللبيب وكافي ، فمن لطائفه قوله :

لقد نثرت أيدي السحائب لؤلؤا ... فنظمها كف الرياض بلا سلك
وقلد أجياد الغصون عقوده ... فشا كلها نظم الأديب بلا شك
كذلك ألفاظ الحبيب وقد دنا ... بمستلطف الاعذار بعد الجفا يحكي

انتهى . توفي المترجم رحمه الله في أثناء القرن الثالث عشر .

---

(١) قال في الأعلام : ناقلاً عن « تحفة الإخوان » و « البدر الطالع » : فقيه يماني ، له نظم جيد ، من أهـل صعدة ، اشتهر في صنعاء ، وولي الخطابة والقضاء في بعض المدن أيام المنصور الحسين بن المتوكل وابنه المهدي العباس . وتوفي بصنعاء . صنف رسائل جمعت في مجلد ، منها « منتهى التهاني في إسناد كتب من أنزلت عليه المثاني » قال الشوكاني : ولعلّ مجموعة أشعاره عند ولده « (توفي سنة ١١٨١ هـ) اهـ .

الشيخ محمد بن عبد الله بن مصطفى الخاني
الشافعي النقشبندي الخالدي (١)

عالم غير أنه بعلمه عامل ، ومرشد الا أنه بارشاده كامل ، كأنما بينه وبين القلوب نسب ، وبينه وبين الحياة من موت الجهل أقوى سبب . له فضل قد اعتلا على هام المناقب ، وأدب نبوي تتوقد به نجوم الليل الثواقب ، وشمائل قد كاثرت رمل النقا ، وفضائل قد أربت على الجواهر في الرونق والنقا . مـع ماله من كرم يخجل الأجواد ، وسخاء هو في الأعناق كالأطواق في الاجياد . لم ترو صحاح التواريخ كأحاديثه الحسان ، ولم تحرر كآثاره في صحائف الحسن والاحسان . وجاه قد استوى على سماء القبول ، وقدر قد احتوى على ما يفوق المأمول . وهو من رجال الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية ، لحفيده الأديب الكامل والأريب الفاضل ، عبد المجيد افندي فقـال في ترجمة هذا السيد الأستاذ والسند العمدة الملاذ : فاتحة الأتقياء المهتدين ، وخاتمة الخلفاء المرشدين ، وقبلة أولياء العلماء ، ورحلة علماء الأولياء ، روض المعارف الوارف ، يأوي الى ظل فضله وفضل ظله كل عارف ، جامع فرق الارشاد ، وفارق جمع الامداد . منهل أنواء الأنوار الشعشعانية ، ومظهر اسراء الأسرار الربانية . الى رقيق أخلاق يعرفها كل من له في الطريق خلاق ، وأنفاس تشف عن علو كشف وأذواق ، ربى بها من السالكين نفوساً شموسا ، فأشرقوا في فلك الهداية أقماراً وشموسا . وكرم وكرامات تثبت ماله من جلالة الهمم والمقامات ، فهو الكوكب الذي قابل بقابليته المحمدية ضياء شمس الذات الخالدية ، فانطبعت في لوح مرآته الصقيلة كافة صفاته الجلية الجليلة ، فأشرق في سماء

---

(١) له رحمه الله ترجمة وافية ، في كتاب « الحدائق الوردية » تأليف حفيده الشيخ عبد المجيد الخاني (ص ٢٦١ الى ص ٢٧٢) .

الولاية بدرا وفي دولة الهداية صدرا ، وأصبح منه فصلاً في وصل ، والنسخة الثانية المقابلة على الأصل ، وورثه رشداً فرضاً وردا .

ولد قدس الله سره وأناله بقربه تمام المسرة ، سنة ثلاث عشرة ومائتين والف في خان شيخون ، محل مشهور في طريق حلب على مرحلة من حماه ، منه سيدنا العارف الكبير الشيخ قاسم الخاني صاحب كتاب سير السلوك الى ملك الملوك ، وشرح عنقاء مغرب لخاتمة الأولياء المحمديين الشيخ الأكبر محيي الدين ، قدس الله سره ورزقنا نظره وبره ، آمين . وكان أبوه عبد الله معززاً في قومه موقرا في أهله ، دمث الأخلاق حسن الأوصاف . توفي هذا العزيز ، والجد الأمجد في سن التمييز ، واشتغل بقراءة القرآن والكتابة وهو في حجر والدته الصالحة التوابة الأوابة ، الصوامة القوامة ، الذاكرة الشاكرة . ثم ارتحل قدس الله سره مع والدته الى حماة المحمية ، واشتغل بتحصيل العلوم الشرعية والآداب المرضية . فتفقه في مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه على العالم الفاضل الشيخ خالد السيد ، والعالم الفاضل الشيخ عبد الرحيم البستاني ، وقرأ النحو وطرفاً من الآلات على العالم الفاضل الأديب الشيخ حمود زهير ، ولازم العبد الصالح الشيخ فارس — الذي كان في حلبة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أول فارس — مدة ست سنين ، ثم أخذ الطريقة العلية القادرية من السيد الشيخ محمد الكيلاني الأزهري قدس سره ، واشتغل بها وبتعليم الناس الأحكام الشرعية ، وصرف قصارى الهمة لاحياء السنة السنية ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بنفسه ، فكم أزال من بدعة ومحا من ضلاله ، حتى كان يحضر الناس قهراً الى المسجد ويعلمهم فرائض الدين ، والتوبة من المعاصي وتجديد الاسلام والعقود ، فحصل على يده نفع عظيم ، واشتهر في أرجاء حماة اشتهار الشمس في رابعة النهار ، وصار يعبر عنه بمهدي الزمان . وكان جلوسه في جامع الجامع للعلوم والعرفان ، الولي

الكامل بلا دفاع الشيخ علوان الحموي قدس الله سره ، واقامته كانت في زاويته ، وحصل له بذلك مدد عظيم من روحـــانيته ، ولم يزل كذلك إلى أن شرف الديار الشـــامية قطب دائرة الارشاد وبحر الهداية والامداد ، ذو الجناحين وعلامة الثقلين ، أبو البهاء ضياء الدين ، حضرة سيدنا ومولانا الشيخ خالد قدس الله سره العزيز ، فتشرف بأخذ الطريقة العلية النقشبندية عنه ، كما ذكر ذلك في البهجة السنية ، ودخل الرياضة حالاً في جامع العدّاس ، فأدركته جذبة من جذبات الحق التي توازي عمل الثقلين ، فحصـــل له بعد ثلاثة أيام النسبة المعبر عنها بالوصول والفناء ، [١] وهو دوام مقام الإحسان ، ولم يزل في ذكر وفكر يترقى إلى أعلا المقامات ، حتى أتم الأربعينية ، فاستأذن بالذهاب إلى أهله في حماة فأذن له ، ثم لم يبرح أن عاد فأدخله الرياضة ثانياً ، فلما تمّت عاد إلى أهله أيضاً ثم رجع فدخل الرياضة ثالثاً ونفسه متشوقة إلى ختم المقامات والترقي في مقام الأولياء، فبعد أن أكمل الرياضة انقلب إلى أهله فمكث غير بعيد ، إذا بأمر من حضرة مولانا قدس الله سره بحضوره وعائلته إلى دمشق الشام، فلم يتأخر عن الإجابة لحظة ، وذلك سنة احدى وأربعين ، فأقبل عليه قدس الله سره ، لمـــا رأى من علو همته وصفاء فطنته وفطرته ، ووفور علمه وتوقد ذكاء ذكائه وفهمه ، وكان قد ابتدأ يقرأ النهاية شرح المنهاج في فقه الإمام الشافعي رضي الله عنه ، لعلامة الدنيا شمس الدين الشيخ محمد الرملي الأزهري نور الله مرقده ، صباحاً في مدرسة داره ، ويعيد له الدرس سليل العلماء عمر أفندي الغربي رحمه الله ، فلما حضر الجد الأمجد جعله محله وسر به سروراً عظيما ، وبشره بأنه سيصير شيخ الشام ، وقد حقق الله بشارته كما سبق الألماع بذلك . في ترجمة حضرة مولانا قدس الله سره العزيز .

---

(١) أشار القوم بالفناء الى سقوط الأوصاف الذميمة ، وأشاروا بالبقاء الى قيـــام الأوصاف المحمودة ، كما تراه في رسالة القشيري ، (ص ٤٦) .

ولما توفي خليفة جامع المرادية المشهور بالسَّوِيقة ، العالم الفاضل والمرشد الكامل ، ملا خالد الكردي قدس الله سره ، عينه لمكانته عنده مكانه وخلفه خلافة مطلقه ، وأذن له بالارشاد وتلاوة الذكر الخوجكاني والتوجه الاخوان في الجامع المذكور ، وكتب له صك الخلافة وختمه بخاتمه الشريف انتهى .

ولم يزل في ذلك المكان المذكور يرشد الناس إلى فضائل الأمور ، مع تقوى وعبادة وقناعة وزهادة ، وذكر وقيام وصلاة وصيام ، إلى أن توفي رحمه الله وأعلا في مدارج السعادة مرتقاه ، وذلك سحر يوم الاثنين تاسع عشر صفر الخير سنة تسع وسبعين ومائتين وألف ، ودفن أعلا الله مقامه وبلغه في دار الجزاء مرامه ، بتربة كعبة الاسعاد وختم الارشاد سيدي الشيخ خالد الحضرة في صالحية دمشق . وقد رثاه حفيده عبد المجيد افندي بهذه المرثية الجليلة وإن كانت في حقه حقيرة وقليلة :

متى يسعف الصبر الجميل ويسعد ... وحزن على حزن يقيم ويقعد

أثار بقلبي ما أثار من الجوى ... فنيرانه بين الجوانح توقد

ورزء يذوب الصخر من صدماته ... ويرجف قاف منه والبحر يجمد

فكم أورث الألباب بحران دهشة ... الى أن غدت في صدقه تتردد

وشق قلوباً لاجيوبا مشقة ... ومزق أكباداً له تتكبد

وأرسل من أهواله سحب عبرة ... بلا فترة بل حين تصدر تورد

على فقد جد طالما جد في العلا ... وأصبح للدين الحنيف يجدد

على العلم والارشاد والزهد والتقى ... على الجود والامداد والخير يفقد

على الأمر بالمعروف والنهي زاجرا ... عن المنكر المطلوب فيه التقيد

على بحر عرفان موارده صفت ... لكل مريد فيه لله مورد

على شمس أسرار تضيء هداية ... وتحيي الطريق المجتبى وتؤيد

على صائم الأيام وهي هواجر   يجـاهد في الله ولله يجهد
على قائم الليلات وهي دياجر   يقسمها ذكراً وفكراً ويسجد
على مرشد يهدي الى الحق نوره   فمن جاءه يسعى فبالله يسعد
على وارث القطب المعظم خالد   بصدق له الذكر الجميل يخلد
فمن لدروس العلم يحيي دروسها   بتحرير تقرير يحل ويعقد
ومن لعلوم القوم يظهر سرها   بذوق له العلم اللدني مسنـد
ومن للطريق الخالدية بعده   يشيد من أركانهـا ما يشيد
فيا طالما أحيـا مآثر قطبه   وآثاره الكبرى بذلك تشهد
وعزز من قاموا بحق مقامه   فكانت بهم تحمى الطريق وتحمد
كواكب إرشاد أضاءت على الورى   اذا غاب منهم مرشد لاح مرشد
هم الشيخ اسمعيل قدس سره   وحضرة عبد الله والجد الامجد
محمد الخـاني والمظهر الذي   له في مقامات الولاية مشهد
له العلم في هلك الطريق وملكه   وما يصلح الأحوال فيه ويفسد
تفرد عن أقرانه بمنـاقب   كبار وهمّ الأولياء التفرد
فقد كان في علم الحقيقة مفرداً   كما هو في علم الشريعة مفرد
فطوبى له من عارف جد عارف   الى الله يهدي السالكين ويرشد
له مسجد بالذكر والفكر عامر   وقوم كرام ركع فيه سجد
له الجود والايثار والزهد والتقى   له الورع الأولى به والتجرد
صبور على التقوى غفور لمن أسا   شكور اذا أقوى[١] وقور ممجد
تقلد في الارشاد أكبر منصب   بهمته الكبرى التي لا تقلد
كراماته في كل ملك شهيرة   وخيراته في كل وقت تجدد
بديع بيان في حديث تصوف   بتفسير فقه نحوه الحق يقصد
وبهجته أسنى كتاب مؤدب   فآياته تتلى لنـا وتجوّد
ولا عيب فيه غير ان وجوده   عزيز فمن أمثاله ليس يوجد

---

(١) أقوى إقواءً : نزل في قواء أي قفر ، وأقوى الرحل : افتقر

أعد له الله مقـــام شهوده جزاء شهادات له تتعدد
وأحيا الليالي ساهد الطرف ساجدا فأضحى له دار النعيم تمهد
بنفسي أفدي فرقداً حل مرقدا وأعظم به من مرقد فيه فرقد
عجبت لقوم وسدوه بلحده وما فتتت منهم قلوب وأكبد
وأعجب منه أن بحراً يقله سرير ويحويه من الأرض مرقد
علوم وعرفان وزهد ورحمة وجود وإرشاد وتقوى وسؤدد
فيا ليتني ما ذقت صاب مصابه ولا كان لي في عالم الكون مولد
عليه من الله تحية رحمة وهتان رضوان وعفو مسرمد
ومني له حسن الثنـــاء لأنه هو السيد المنشي الفخار المشيد
فلا أثمرت في روض طرسي براعة براعة لفظ كاللآلي ينضد
إذا كنت لا أبكي دما لفراقه واندبه ما زلت أنشي وانشد
واشكره مـــا دمت حياً لعلني أكافي أياديه الكبار واحمد
وأنى لذهني أن يكافىء فضله وان عليه كل آن له يد
عهدت اليه أن يجيد رثاءه وعهدي به عند المهمات ينجد
فحال الجريض اليوم دون قريضه لعمرك ان الحزن للذهن يخمد
فصادمت أحزاني وقلت مؤرخا توفي حصن الأتقياء محمد
وإلا فما دام المصاب مصاحبي متى يسعف الصبر الجميل ويسعد

الشيخ محمد بن محمد بن عبد الله الخاني
الشافعي النقشبندي الخالدي

شمس معارف العوارف ، المشرقة في أفق سماء العواطف ، والكوكب الذي به يستنار ويهتدى ، والمرشد الذي به الوصول إلى المأمول يقتدى ، من أطلع الآمال في أفلاك المنى ، وأظهر الافضال في عالم الدنا ، واستوى على اوج الرفعة متوجاً بالفضائل ، واحتوى لله دره على اعلا الأوصاف

والشمائل ، ومعاليه فوق السماك ذراها ، وكمال علمه لا يبارى ولا يضاهى ، ولأتباعه باتباعه الحظ الأوفر ، واليد البيضاء التي دونها المطاول قصّر ، ولقد ادرج ترجمته ولده الفاضل ، وشبله الماجد الكامل ، عبد المجيد افندي في كتابه الحدائق الوردية ، في حقائق اجلاء النقشبندية ، بقوله ، الإنسان الكامل بالكمالات الإلهية ، في مواقف فتوحات الأسرار القدسية ، مفتاح غيب عروش الكلم ، المكنونة في نقوش فصوص الحكم ، بيت قصيد نظم السلوك ، إلى ملك الملوك ، قوت قلوب الطالبين ، وقوة سامع الراغبين ، الكبريت الأحمر الموزون بالموازين الذرية لفضله المتكفل بكشف السر الغامض ، في قرب النوافل ومكتوبات الفرائض ، المضنون به على غير أهله ، قاموس لغة الخواص ، فيه من متن اليواقيت والجواهر بلغة الغواص ، من آل إليه عهود إحياء العلوم ، بتنزلات الوجود لتدبيرات مواقع النجوم ، وانتهت بمعرفة منطق الطير وترجمان أشواق الحضرة الاشارة إليه ، وامتاز بتمييز اصطلاحات واردات طريق الخلوة في الجلوة عما لا يعول عليه ، كشاف أسرار التنزيل الجامع ، المؤيد من فتح الباري بالآيات البينات المطالع ، القائمقام الرابع ، سيدي الوالد الماجد ، لا زال مقامه مظهر جمع الفوائد ، ومشكاة مصابيح سنن المقاصد ، ومغناه مغني اللبيب القاصد ، بإرشاده إلى الطريق المحمدية ، ومنهج روضة السيرة الخالدية الحامد[١] .

ولد أدامه الله تعالى في دمشق الشام خلال شهر رجب ، عام سبعة واربعين ومائتين والف ، وقرأ أوائل القرآن المجيد صحبة نجل حضرة مولانا الشيخ نجم الدين على والده ، واتمه عند العبد الصالح المرشد الفالح ، الشيخ علي الجزوري أحد خلفاء والده قدس الله سره ، وكان سنه وقتئذ خمس سنين ، وأجاز له بركة عصره وعالم مصره ، المحدث الحجة الثبت الشيخ عبد الرحمن الكزبري نور الله ضريحه ، جميع ما تجوز له وعنه روايته بعد ما اسمعه طرفاً من دلائل الخيرات ، وهو في تلك السن ودعا له بالفتوح والبركة ، وحضر دروس

---

(١) هذه تشذرات جامعة لأسماء أكثر من ثلاثين كتاباً ، غالبها في التصوف ، ومنها ما هو في الحديث والعربية

والده كلها من نحو وفقه وحديث وتفسير وكلام وتصوف وحساب وفرائض ، وتخرج على يد شيخ الكل في الكل المرحوم شيخنا الشيخ محمد الضتندتائي ، فقرأ عليه حاشية الخضري على ابن عقيل وحاشية الصبان على الاشموني في النحو ، والتحفة في فقه الإمام الشافعي رضي الله عنه بحواشي ابن قاسم العبادي ، وجمع الجوامع بحواشي البناني ، والآيات البينات لابن قاسم المشار إليه ، مع مراجعة الأطول في الأصول ، وأشكال التأسيس في الهندسة ، وتشريح الأفلاك للبهاء العاملي في الهيئة ، والشنشوري في الفرائض ، وشرح المختصر بحواشيه ، وطرفاً من المنهج بحواشي البجيرمي ، وشرح الملوي على السلم بحواشي الصبان ، وبعض ابن قاسم الغزي بحواشي الباجوري في الفقه ، وشرح الجوهرة بحواشي الأمير الكبير ، وشرح العقائد النسفية للسعد بحواشي الكمال بن أبي شريف ، وشرح المسايرة للمشار إليه في الكلام ، وشرح الملوي على السمرقندية بحواشي الخضري ، والأمير ، ورسالة الوضع بحاشية العصام ، وآداب البحث والكافي في العروض بحواشي الدمنهوري ، والرقائق في الدرج والدقائق ، ورسالة الربع المجيّب ، وشرح اللمعة في الكواكب السبعة .

وحضر دروساً من البخاري تحت قبة النسر لدى المحدث المشهور الشيخ عبد الرحمن الكزبري وأجاز له يوم ختم الدرس بالإجازة العامة ، وقرأ عليه شرح العقائد النسفية وغيره . وسمع حديث الأولية من العلامة المرشد الكامل أحد خلفاء حضرة مولانا خالد قدس الله سره ، الشيخ اسماعيل البرزنجي قدس الله سره ، وأجاز له بالإجازة العامة ، وسمعه أيضاً من الإمام الكامل والهمام الفاضل الشيخ محمد التميمي أحد العلماء الأزهريين ، وتلقى الطريقة العلية النقشبندية عن والده سنة أربع وخمسين ومائتين والف ، ولما حضر إلى الشام حضرة العارف بالله الأمير السيد عبد القادر الجزائري الحسني لازمه ملازمة كلية ، وحضر دروسه في الحقائق ، وكان له منه الالتفات التام ، أطال الله عمره مدى الليالي والأيام ، وأحسن اليه في البدء والختام ، انتهى ما نقلته من

ترجمة هذا الهمام من الحدائق الوردية باختصار . ومن أراد الزيادة فعليه بذلك الكتاب فانه نهاية الأوطار [١] .

المرحوم محمد سعيد بن حماد الحمادي المدني

هو من الكمل الأمجاد ، الذين أصبح لسان الفضل وهو لعلاهم حماد ، فالحق انه في الأقدمين ، من النفر الأكرمين ، « والسابقون السابقون ، أولئك المقربون » [٢] ، فقد أتى في الأدب بمحاورات ، كالأنجم الزاهرات ، ومحاسن ، ماؤها العذب غير آسن ، فمما نطق به لسان يراعه ، وأبداه فم محبرته من محبر إبداعه ، قوله :

يا سعد عرج على سكان ذي سلم ... ينبوك عن جيرة حلوا حمى الحرم

فسل خبيراً بهم ينبيك عن ثقة ... ليس المعبر عن رؤيا بمتهم

فكم ترعرع في بحبوح روضتها ... غصن تروحه الأرواح بالنعم

تكسو معاطفه أنوارُ بهجتها ... مطارفاً حكْتُها في صنع محتكم

كأنها الزهر في الزرقاء إذ برزت ... في هيكل بالبَها والزين منتظم

وقوله من أخرى :

فاح نشر الربا وقد عم طيبه ... وتغنى بغصنه عندليبه

---

(١) قال الأستاذ الشطي وقد أورد خلاصة ما جاء في « الحدائق » من ترجمة مؤلفها لأبيه : ومنذ (سنة ١٢٩٥) عقد في جامع السويقة ، وفي داره ، دروساً في الحديث من الصحيحين والسنن وغيرها ، علاوة على دروسه الأخرى . ولما توفي الأمير المشار اليه ، (الأمير عبد القادر) أقامه وصياً على أنجاله القاصرين ، فأحسن خدمتهم ، وحفظ أموالهم احتسابا . وكان كوالده يكتسب من الزراعة قال الشطي : ولم يزل المترجم على حالته الحسنى إلى أن توفي في خامس جمادى الأولى (سنة ١٣١٦ هـ) ودفن في مقبرة مولانا خالد في سفح قاسيون رحمه الله تعالى .

(٢) سورة الواقعة (١٠ و ١١) .

مذ تراءت أنامل السحب تولي ... من نثار الحيا فحيا خصيبه
وتمشت أرواحه ساحبـــات ... من ذيول البلال ما تستطيبه
في بساط يريك أنوار بسط ... فوق متن الوهاد ماس قضيبه
وعليه من أبدع الله منهـــا ... كل وصف فلا يرى ما يعيبه
تتهـــادى بقامة مثل بان ... وعليه بالجور يجـــنى كثيبه
ذات فرق يلوح كالصبـــح لما ... شق عنه الدجا فبان مشيبه
قد أماطت نقابها عن محيا ... أي لب يسبى به لا يذيبه
فاسقني صاح صرف راح التصافي ... كي يداوى من الحشا ما يريبه

وله من موشحة :

شعشعت أرجاء ذي سلم ... حين حيت من حمى الحرم
غـــادة تسبي حجى الأمم ... مثلهـــا في الخلق لم يشم
من رآهـــا يقسم ... بر فيها القسم
انها في الحسن قد برعت ... إذ لأسباب البهـــا جمعت
أفرغت في الزين مذ طلعت ... بدر تم حف بالأنجم
ثغرهـــا المبتسم ... لؤلؤ منتظم
ذات فرق صبحه انبلجا ... تحت فرع خلته السبجا[١]
في محيا يخطف المهجـــا ... ان بدا للشمس تنكتم
وصفه المستعظم ... ليس يحصيه فم
يا له لمـــا انجلى فجلا ... عن فؤادي الهم والوجد
رونق للطرف منه جلا ... جل من أنشاه من عدم
روضه المزدحم ... ناضر معتصم
بت تحييني رواسمه ... وتحييني بواسمه

(١) الخرز الأسود ، والسواد .

وترويني مباسمه وعيون الصفو لم تنم
والوفا منسجم ما حكته الديم

حيها من ليلة سلفت عن وجوه قط ما انكسفت
سجها بالفيض لي وكفت من صنوف البسط والنعم
لم يعبها ندم لم يرعها سدم

وله من قصيدة يمدح بها السيد بن عمار المغربي رحمهما الله تعالى :

تسعى إلي بمنظر متبلج الشمس تدهش من سناه وتفقد
ذي ناظر ساج كحيل فاتر فعلُ الظُبى يعزى اليه ويسند
ناشدتها بالود هل أنت التي يا هذه الأرواح فيكي تنقد
أم أنت يابدر البسيطة من غدت أحرارنا وهُمُ لحسنك أعبُد
فرنت بصارم لحظها ذاك الذي أبدًا بغير قلوبنا لا يغمد
ثم انثنت تختال في حلل الصبا تيهاً يذوب لها الأصم الجلمد
وتبسمت عن مبسم عذب الجنا يفتر عنه لؤلؤ متنضد
تشدو بلفظ رق حتى خلته سحراً ينفثه الحيا ويعقد
تبدي من القول البديع بدائعاً جيد الزمان بعقدها متقلد
مفهوم ما تبديه يا هذا استفق ألمثل فضلي في البرية يجحد

وله مخمساً

قمر تلألأ في الدجى من حجبه يزهو على الغيد الحسان بعجبه
رفقاً بصب قد أقر بذنبه يا محرقاً بالنار قلب محبه
مهلاً فان مدامعي تطفيه

من أجل من أهوى تركت مصالحي اعرضت عن قول العذول الناصح
إن شئت تقتلني وأنت مسامحي احرق بها جسدي وكل جوارحي
واحذر على قلبي فانك فيه

توفي رحمه الله في أوائل القرن الثالث عشر ودفن بالمدينة .

الحكيم محمد مؤمن بن محمد بن قاسم الجزائري الشيرازي الماتريدي (١)

أديب لبيب ماهر ، سيف ذهنه صقيل باتر ، وحكيم حاذق ، ثاقب فهمه كاشف عن دقائق الحكمة والحقائق ، حاز من الكمالات الحظ الأوفر ، وحير الأفكار بما انتخبه في نظمه ونثره من كل معنى نادر وأندر ، مجاميعه كنوز الفوائد ، ورسائله بين الرسائل فرائد . فمن شعره الدال على فكره الثاقب ، قوله مادحاً أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه ، وأعلا مقامه وقدره :

دع الأوطان يندبها الغريب	وخل الدمع يسكبه الكئيب
ولا تحزن لأطلال ورسم	يهب بها شمال أو جنوب
ولا تطرب اذا ناحت حمام	ولاحت ظبية وبدا كثيب
ولا تصبو برنات المثاني	وألحان فقد حان المشيب
ولا تعشق عذارى غانيات	يزين بنانها كف خضيب
ولا تلهو بحب صبيح وجه	شبيه قوامه غصن رطيب
ولا تشرب من الصهباء كأساً	يكون مديرها ساق أديب
ولا تصحب حميا أو قريبا	فكل اخ يعادي أو يعيب
ولا تأنس بخل أو صديق	وذرهم انهم ضبع وذيب
ولا تفرح ولا تحزن بشيء	فلا فرح يدوم ولا خطوب

(١) ترجمه في معجم المؤلفين فقال : الجزائري الأصل ، الشيرازي ، الشيعي ، صوفي أديب شاعر . ولد بشيراز ، ونشأ بها ، وتوفي بالهند ، من آثاره : مجانس الأخبار ومجالس الأخيار ، في سبع مجلدات ، مقامات العارفين في شرح منازل السائرين ، ديوان شعر ، خزانة الخيال المشحونة من طرق المعاني والألفاظ الموزونة بأمثال اللآل ، في ثلاث مجلدات ، وطيف الخيال في مناظرة العلم والمال وشرحه اهـ (ج ٦٩/١٢) وفاته سنة ١١١٨ هـ .

ولا تجزع اذا مـــا ناب هم ... فكم يتلو الأسى فرج قريب
وسكن لوعة القلب المعنى ... وأنشده إذا غلب الوجيب
عسى الهم الذي أمسيت فيه ... يكون وراءه فرج قريب
ولا تيأس فان الليل حبلى ... فعلّ ليومهـــا شأن عجيب
وحسبك في النوائب والبلايا ... مغيث مفزع مولى وهوب
جواد قبل أن يرجى يوامي ... غياث قبل أن يدعى يجيب
تكلمت الظبـــا معه وشمس ... وثعبان وحيتـــان وذيب
وردت بعد ما غربت وغابت ... له شمس السماء ولا عجيب
كريم يستحي من مؤمن قـــد ... رجاه أن يمـــاطل أو يخيب
أمـــير المؤمنين أبو تراب ... علي المرتضى البر الحسيب
عليه تحيتي ما جن ليل ... وجن من النوى دنف غريب

وله في رثاء الحسين سلام الله عليه قصيدة مخمسة وهي من غرر قصائده والمذكور هنا بعضها :

جاء شهر البكاءِ فلتبك عيني ... بحنيني على مصاب الحسيني
وإمـــام الأنام من غير مين ... وابن بنت الرسول قرة عيني

آه واحسرتا لرزء الحســـين

آه فلنبك من دم قد أراقوا ... وبدور قد اعتراهم محـــاق
وسقوا طعم علقم لا يذاق ... خير رهط على البرية فاقوا

آه واحسرتا لرزء الحسين

خطفتهم بروق بيض المنايا ... وأصابتهم ســهـــام البلايا
عن قسي القضا فدعني الا يا ... لائمي في البكا لعظم الرزايا

آه واحسرتا لرزء الحسين

هم بـــدور وغربهم كربلاء ... هالهم كرب أرضها والبلاء

خسفوا إذ لهم سنا واعتلاء ما لهذي البدور منها انجلاء

آه واحسرتا لرزء الحسين

كم بها صادت البغاث نسورا كم بها صارت السروج قبورا

كم بها استوسد الكرام صخورا كم بها رضت الخيول صدورا

آه واحسرتا لرزء الحسين

وردته الخطوط منهم وقالوا هل الينا بسرعة ثم مالوا

عنه اذ حلّ في فناهم فحالوا بينه والفرات ثم استطالوا

آه واحسرتا لرزء الحسين

وعدوا النصر ثم خانوا عهودا اوثقوا عقدها وصادوا أسودا

بذلوا دونه النفوس سعودا حينما شاهدوا الجنان شهودا

آه واحسرتا لرزء الحسين

غاب فتيان أهله والكهول فغدا السبط يشتكي ويقول

وله مدمع عليهم همول هل بقي من يعين يا قوم قولوا

آه واحسرتا لرزء الحسين

لست أنسى الحسين فرداً وحيدا ورضيعاً له سعيداً مجيدا

قصدوا بالنصال منه وريدا وسقوه الردى فأضحى شهيدا

آه واحسرتا لرزء الحسين

ومن جملة قوله ونظامه وبديع شعره وكلامه :

معاشر اخواني سلام عليكم لقد دمعت عيناي شوقاً اليكم

ولاغرو إن جسمي ثوى أرض غربة فروحي وقلبي ثاويان لديكم

ومن مقاطيعه قوله

علا هلالي على تلال فضاء منه فضاء مهمه

فقيل نور فقلت نور وقيل نجم فقلت مه مه

توفي رحمه الله في القرن الثالث عشر .

ابو مفلح محمد بن عبد الله البيلولي

عالم قد استوى على ذروة الكمال ، وأديب قد اكتسى شعره ونثره حلة الجمال ، قد فاق في عصره الأفاضل ، واشتهر بالكمالات والفضائل ، فمن بديع كلامه ورفيع نظامه ، قوله :

عطر الأرجاء لما نسما   شمأل الصهباء عند الغلس
وأتت شمس الضحى تنسخ ما   يقرأ الليل لنا من عبس

دور

طاف بالكاس من الغيد فتى   وعلى نهج التجني ما فتي
فتن الألباب لما التفتا   وحسا الكأس بطرف الشفة
وأنا ما بين حتى ومتى   صده تيه الهوى عن الفتي
وكؤوس الراح بين الندما   عبقت بالعرف أفق المجلس
خمرة صفراء في البلور ما   أشبه الحان بروض النرجس

دور

بادر اللذة واجمع شملها   بمدام وغلام مطرب
ذي لحاظ ناعسات كم لها   من فنون السحر ما يلعب بي
ترف الأرداف عاني حملها   دنف الخصر وذا من عجب
كلما اترع كأسا قال ما   أنت بالشارى حياة الأنفس
فابذل الجهد وكن مغتنما   لنفيس الوقت طيب الأنفس

دور

فرص الأيام كن منتهزا   مبتداها قبل قطع الخبر
ورحاب الأنس عج منتجزا   قبل أن تمضي كلمح البصر
واجن من زهر الهوى محترزا   من جنايات هجوم الكبر

لا تخف لوماً ويمم حيث ما   لاحت اللذات كالمختلس
ما مضى أنس ووافى مثل ما   كان فالدهر لنا بالحرس

قال صاحب الحديقة : وهي طويلة لم أقف إلا على هذا القدر. توفي المترجم في الف ومائتين ونيف رحمه الله تعالى .

المرحوم السيد محمد بن سهل العلوي المدني رحمه الله تعالى

سهل الخلق والكلام سامي الرفعة والمقام ، علوي المجد والنسب من قوم رفعهم الفضل على كاهل الحسب ، فلا ريب أنه نال من العلوم أقصى مرامه ، وتوطد من الفخار أعلا مقامه ، وقد رأيت أن هذه الأبيات إليه منسوبة ، وعلى رفيع ذكائه محسوبة ، فدونكها فاجتل جمالها ، فان نسيم اللطف إلى صوب الحسن أمالها :

سلام من المضنى الذي ما سلاكم   ولا قصده في الدهر إلا لقاكم
سلام عليكم في سلام مضاعف   سلام محب قصده أن يراكم
سلام محب ماله من يعينه   ولا مال عنكم قلبه لسواكم
بعثت سلامي نحوكم وتشوقي   أسلي به نفسي وأرجو رضاكم
خيالكم في العين ما زال حاضرا   وإن غبتم عني فقلبي فداكم
جفا جفن عيني فيكم لذة الكرى   فلا العيش يهنا لي إذا لم أراكم
أروم اللقا والبعد يمنع دونكم   فهيهات عيني عمرها أن تراكم
واني على العهد القديم لثابت   ومالي في الدنيا حبيب سواكم

مات في القرن الثالث عشر ولم أقف على تاريخ وفاته رحمه الله .

السيد العلامة محمد بن اسحق بن محمد اليمني

باب مدينة العلم ولباب الكرم والجود والحلم ، نثره أبهى من الدر المنثور ونظمه أفخر من قلائد النحور ، فمن جميل لطائفه وأحاسن طرائفه قوله :

أيابارق الجرعا هل الجزع ممطور ... وهل بالغواني ذلك السفح معمور
وهل ذلك الروض النضير نضارة ... بعين الرضا من ساكن السفح منظور
وهل كسيت فيه الغصون قطيفة ... مطرزة خضرا وأزرارها نور
أزاهير تغدو بعد حين كأنها ... دراهم في حافاتها ودنانير
فلله ذاك الروض كم عبرت به ... نسيم الصبا في طيها المسك منشور
يكبر من يأتيه حتى طيوره ... لها فيه تهليل كثير وتكبير
إذا رقصت أغصانه فحمامه ... مزامير في أرجائه وطنابير
سقاها الحيا طول المدى فهي جنة ... لأن الحسان اللاعبات بها حور
كواعب لا تفتر عن حرب عاشق ... بتدبير رأي فيه للصب تدمير
يجهزن جيش الإنكسار لحربه ... وما هو إلا لحظ عين وتفتير
وغيداء أما اللحظ منها ففاتك ... وأما اريج الثغر منها فكافور
إذا ابتسمت أو كلمت مغرماً يرى ... من الدر منظوم بفيها ومنثور
يحافظ مضناها على حبه لها ... ويا ليت مضناها على ذاك مشكور
لها في الجفا جزم على رغم أنفه ... وفي وصلها تقديم رجل وتأخير
بطول تجنيها وتفتير لحظها ... فؤادي مهجور هناك ومسحور
شكوت لها هجري وقلت لها متى ... يطيب التداني منك يسعد مهجور
فيا هذه عطفاً على ذي صبابة ... له في الهوى شأن لحسنك مشهور
أمرت منامي بعد اطلاق مدمعي ... وكم في الهوى يشكو طليق ومأسور
وأرسلت قلبي المستهام مع الصبا ... إليك فعاد القهقرى وهو مقهور
هبي أنه ضيف ألم بداركم ... وللضيف إكرام عليك وتوقير
على كل حال أنت عندي حبيبة ... وعذرك مقبول وذنبك مغفور

المرحوم محمد بن امين بن عبد الله جلبي المدني رحمه الله

هو من رجال اللآلىء الثمينة وذوي المعارف المكينة ، ولقد قيل في وصفه تنبيهاً على شذرة من كماله ولطفه ، أقسم بالقمر إذا اتسق وحل في

دارة الصفا آمنا من كدر السحب والشفق ، انه لهو البليغ الذي أتى بالكلام المعجز السمين ، والفصيح الذي لم يعرض لمعانيه ما يخل ولا يشين . فمن بديع كلامه وبديه نظامه ، قوله :

أحبّ العـــذول لتكراره ‏ حديث الحبيب على مسمعي
وأهوى الرقيب لأن الرقيب ‏ يكون إذا كان حبي معي

ومن هذا المعنى قول الأديب أحمد بن القاسم الجداوي :

من أجل ذكرك لذّ لي التفنيد ‏ قل للوائم في الملامة زيدوا
أهوى اللوائم كالرقيب فرؤيتي ‏ وجه الرقيب لرؤيتي لك عيد
من ذا رأى صبا يحب عذوله ‏ ورقيبه ويرى هو المحمود

ومن كلامه

تزايد بي الأنين فليت شعري ‏ أأحبابي بما ألقـــاه تدري
فكم آه يصعدهـــا فؤادي ‏ ويشفعها بآه الموت صدري

ومنها :

فساعات التداني من حبيب ‏ ألذ لدي من نغمـــات زمر
ولا شيء يعـــادل ذاك أصلا ‏ إذا ما كان وصلاً بعد هجر

وهي قصيدة طويلة ، سوى أن الكاتب قد حرفها فتركت بقيتها . مات رحمه الله أوائل القرن الثالث عشر .

الشيخ محمد الكزبري بن الشيخ عبد الرحمن الدمشقي الشافعي
قال السيد محمد عابدين :

مدرس الحديث الشريف تحت قبة النسر في جامع بني أمية في دمشق المحمية ، نفعنا الله تعالى بصالح دعواته وأعاد علينا من بركاته ، وأدام به النفع العميم انه جواد كريم . ولد في ثالث عشر شعبـــان سنة الف ومائة وأربعين ونشأ في حجر والده جامعاً لطـــارف مجده وتالده ،

مرتضعاً من ثديه لبان العلوم ، محلياً جيده من دره المنظوم ، مع عفة وصيانة وورع وديانة ، وتقوى وعفاف وحلم وإنصاف . وتفقه عليه وعلى خال والده الامام الشهير بالشافعي الصغير ، الشيخ علي بن أحمد الكزبري [١] وأخذ الحديث عنهما وعن العلامة الشهاب أحمد المنيني ، ثم لزم الامـام العلامة الثاني علي افندي الداغستاني ، وقرأ عليه في أنواع العلوم من معقول ومنقول ، وفروع وأصول ، والعلامة المحقق الشيخ عبد الرحمن بن جعفر الكردي وغيرهما حتى نبه ونبل وتجمل واكتمل ، وفاق أقرانه وشرف زمانه . ولم يزل مثابراً على تعلم العلم وتعليمه وتوضيحه وتفهيمه ، مكباً على الطاعات والعبادات مثابراً عليها في جميع الأوقات ، محباً للمساكين والفقراء والمنتمين إلى السادة الكبراء ، كثير الصدقات والمبرات ، متواضعاً للصغير والكبير ، لين الجانب للعظيم والحقير . ذا هيبة ووقار يعلو وجهه نور أهل الآثار ، كثير البكاء والخوف من مولاه ، أماراً بالمعروف نهاء عن المنكر لا يخشى لومة لائم في الله . محيياً لبقع المدارس والمساجد بالدروس والعبـادات ، وأنواع الطاعات ، ذا إتقان وتحقيق وترقيق وتدقيق ، بذهن سيال ولسان فصيح المقال ، مقصوداً من جميع الجهات والأقطار ، مشهوراً بها كالشمس في رابعة النهار . قد انتفع به الجم الغفير والخلق الكثير ، من قاطنين وأغراب ، قد ارتكبوا لأجله غارب الاغتراب ، حتى انه لم يوجد الآن في دمشق من طالب ، إلا وهو من فيض بحره كارع وشارب .

وهو إمام دمشق الكبير وكوكبها الذي به تنير . حج مرتين الأولى سنة الف ومائة وثمان وتسعين ، والثانية عام الف ومائتين وعشرة . وكان والده قد أذن له بافادة الطالبين في حياته ، وجلس مكانه بين العشائين

---

(١) هو كزبر ، ونسبه المترجم (الكزبري) اليه ، وأصله من صفد ، كما « في تعطير المشام » لشيخنا القاسمي ، نقلاً عن الشيخ عبد القادر الكزبري من أقرباء المترجم .

في الأموي سنة الف ومائة وخمس وثمانين بعد وفاته ، فأقرأ في ذلك الوقت كتباً عديدة يأتي ذكرها ، آخرها صحيح مسلم ، قرأ منه نحو الثلثين ، ثم قطع لضعف عرض له في بصره ، ثم أتمه في داره .

وكانت عليه وظيفة التدريس في مدرسة سليمان باشا العظم ، فأقرأ فيها كتباً كثيرة ، منها صحيح مسلم وسنن أبي داود وتفسير البيضاوي والتحفة على المنهاج وغير ذلك .

وفي سنة عشر جاءته قبة النسر تسعى من غير طلب وفوق منبرها بلبل فصاحته خطب . فشرع بقراءة الجامع الصحيح ، ووشح جيد الفضلاء بأجيد توشيح ، وأنار مصابيح الجامعين ، وأبدى ما تشنف به الآذان وتقر به العين . وهو في الثلاثة أشهر رجب وشعبان ورمضان من كل عام . وكان درساً عظيماً جامعاً لكل خاص وعام ، مضماراً لفرسان أذهان الأعلام . وقد أشرت الى ذلك في ضمن موشحة كنت تطفلت بها على مدح جنابه ، والوقوف في أبوابه وأعتابه . حيث قلت :

من به قبة ذاك الجامــع   لم تزل في كل عام تسعد
حين يروي في الصحيح الجامع   لحديث المصطفى أو يسند
ياله من خير درس جامع   ولأهل العلم فيه مشهــد
فكأن الوجه منه حينما   ينثر الدر على الملتمس
قمر عن جانبيه العلمـــا   كنجوم أشرقت في الغلس

وقد وصل الآن فيه إلى باب الشهادات ، وذلك مقدار ثلث الكتاب[١]

توفي رضي الله تعالى عنه ليلة الجمعة لتسع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة إحدى وعشرين ومائتين والف في داره الكائنة في محلة الشاغور ، وصلى عليه ولده ضحوة النهار من ذلك اليوم في الجامع الأموي المعمور ، ودفن بتربة باب الصغير .

---

(١) هذه الترجمة مأخوذة عن « العقود اللآلي ، في الأسانيد العوالي » للعلامة الشهير السيد محمد عابدين ، من مجموع مطبوع فيه عدة رسائل له ، رحمه الله ورضي عنه .

السيد محمد امين بن عمر بن عبد العزيز بن احمد بن عبد الرحيم عابدين الدمشقي

هو الشيخ الإمام العالم العلامة ، والجهبذ الفهامة ، قطب الديار الدمشقية ، وعمدة البلاد الشامية والمصرية . المفسر المحدث الفقيه النحوي اللغوي البياني العروضي الذكي النبيه . الدمشقي الأصل والمولد ، الحسيب النسيب الشريف الذات والمحتد ، ابن السيد عمر الشهير بابن عابدين الحسيني إمام الحنفية في عصره ، والمرجع عند اختلاف الآراء في مصره . صاحب التـآليف العديدة والتصانيف المفيدة ، منها حاشيته الشهيرة رد المحتار على الدر المختار ، التي اشتهرت في سائر الأقطار ، في خمس مجلدات كبار . ومنهـا ثبته المشهور الفائق . ومنها منحة الخالق على البحر الرائق ، وحواشيه على شرح الملتقى للعلائي ، وحواشيه على النهر الفائق ، وحواشي على القاضي البيضاوي التزم أن لا يذكر فيها شيئاً ذكره المفسرون . وحواشي على حاشية الحلبي على الدر تتبع فيها المحشي المذكور ، سماها رفع الأنظار عما أورده الحلبي على الدر المختار . والعقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية . وحاشية على المطوّل . والرحيق المختوم شرح قلائد المنظوم في الفرائض ، وتنبيه الولاة والحكام في حكم شاتم خير الأنام أو أحد أصحابه الكرام . وشرح على رسالة البركوي سماهـا ذخر المتأهلين ، وشرح على منظومة رسم المفتي .

وله من الوسائل في تحرير المسائل نيف وثلاثون رسالة معلومة في ثبته فمن أرادها فليراجعها . وله قصيدة في مدح النبي ﷺ قد أرسلها ضمن مكتوب للحضرة الشريفة النبوية صحبة ركب الحاج الشريف سنة عشرين ومائتين والف ، لكي تقرأ أمام الحضرة الشريفة المحمدية ، وهي :

لبيك يا قمرية الأغصـان فلقد صدعت القلب بالألحان

لبيك يا من بالبكا أشبهتني ... لكن بلا فقد من الخلاّن
نوحي فنوحي في بحار مدامعي ... تعلو سفينته لدى الطوفان
وترنمي واحيي فؤاد معذب ... بتذكر الأحباب في نيران
ان رمت كتمان الهوى متكلفاً ... هيجت مني بالبكا أشجاني
حتى حكت مني الدموع سوافحا ... غيثاً همى بدعاء ذي عرفان
يا صاحبيّ أليس يعذر بالبكا ... صب كئيب نازح الأوطان
يقضي الليالي بالهموم وبالأسى ... مكسور قلب زائد الأحزان
أي والذي هو عالم بضمائري ... ليحق لي أبكي مدى الأزمان
فلقد مضى عمري القصير ولم أفز ... بزيارتي أرض اللوى والبان
بالله هل تريان أسعد لحظة ... وأخوض رمل أولئك القيمان
وأشم نفح الطيب من أرض الحبيـ ... ـب وترجع الأرواح للأبدان
وأخب في أرض الحجاز وبارعى ... مولاي عهد أولئك الكثبان
أرض من المسك العبير تكونت ... والنور جللها كما الهميان
وازم مع حادي المطيّ قلائصا(١) ... إشراقها تغني عن الأرسان
سكرت بترنام الحداة فما درت ... كم مهمه قطعت من الوجدان
عنقاً فسيحاً سيرها من وجدها ... وتحنّ باكية بدمع قان
وتكاد تستبق الهوادي أرجل ... منها تسير بسيرة العجلان
لم تعرف الادلاج والتعريس(٢) مذ ... كانت تئن بأنة اللهفان
حتى طوت أرض الحجاز وشاهدت ... أنوار طيبة مورد الظمآن
وأتت إلى أرض السفوح ترومها ... وتطيبت بالروح والريحان
يا نوق سبحان الذي أدناك من ... أرض الحبيب وجل من أقصاني
في كل عام تبلغين مقاصداً ... وتشاهدين منازل القرآن

---

(١) جمع قلوص من الابل : الطويلة القوائم ، والباقية على السير .
(٢) عرّس القوم : نزلوا من السفر للاستراحة ، ثم يرتحلون .

والحظ يقعدني وسوء الفعل ير ... ميني باشراك الزمان الجاني
أواه من جور الزمان وظلمه ... فلقد تجاوز غاية الطغيان
كيف السبيل إلى النجاة ونيلها ... من شر دهر غادر خوان
مالي من الأهوال حسن تخلص ... إلا بمدحي المصطفى العدنان
خير الخلائق سيد الرسل الكرا ... م وما له في فضله من ثاني
ياخيرمن ركب المطي وأكرم الـ ... ـكرما ببذل الجود والاحسان
يا منبـع الأنوار يا شمس العلا ... يا منبع الاسلام والايمـان
يا من رقى أوج السما وعلا على ... أعلا العلى بترفـع جثماني
ودنا من الرحمن عز وجل قر ... ب مكانة من غير قرب مكان
والجذع حن تشوقاً لفراقه ... والضب جاء مسلماً بلسان
تالله مثلك ما رأت عين ولا ... أذن وعت في حادث الأزمان
قد كان جيد الدهر قبلك عاطلا ... حينـا وقد حليته بجمان
قد جئت فرداً والأعادي جمة ... وأتيت بالتمييز والرجحان
لم تخش في التبليغ لومة لائم ... حاشاك من زيغ ومن نقصان
وترى إذا حمي الوطيس مشمرا ... عن ساق عزم فارس الفرسان
أطدت أركان الشريعة بعد ما ... هدمت فعادت أعدل الأركان
وبنيت بنياناً رصيناً محكما ... وهدمت أس عبادة الأوثان
وهديت أهل الأرض بعد ضلالة ... كانوا بهـا من نزغة الشيطان
وجليت سحب الفكر عن أفق الهدى ... ومحوت ليل الزور والبهتان
تالله ما الشمس المنيرة في الضحى ... والبدر ليلة سبعة وثمـان
بأجل هديا أو سنا ممـا به ... قد جئت أو يدنوه بالبرهان
لا تدرك الألفاظ منك مدى ولو ... أبدى الثناء عليك كل لسان
هل تدرك المداح وصف من الذي ... أثنى عليه الله في القرآن
هذا الكريم بن الكريم بن الكر ... يم بن الكريم عطية المنان

هذا نبي الله خير عباده زين الخلائق نخبة الأعيان
هذا شفيع المذنبين ملاذهم يوم القيمة صفوة الرحمن
وبه تلوذ الأنبياء جميعهم حتى الكليم ومكرم الضيفان
كن لي مغيثاً يا شفيعاً بالورى يوم الزحام وشدة الميزان
إن لم تكن لي يوم لا مال ولا ولد ولا من والد يرعاني
فلباب مَن آتي وليس مشفعاً إلا جنابك يا مغيث العاني
فلأنت باب الله واسطة الرجا أنت الوسيلة والقريب الداني
أنت الملاذ لنا وأنت عياذنا أنت المشفع بالمسيء الجاني
أشكو اليك قساوة القلب الذي كالصخر في لج الردى أرساني
أرجوك تلحظني ختام الأنبيا ء بلحظة أغدو بها بأمان
وكذاك لي أبوان مع شيخ غدا لي ناصحاً بالجهد قد رباني
يرجون منك تسامحاً وشفاعة تنجيهم من لاعج النيران
وصلاة باريك المهيمن والسلا م كما الغيوث عليك كل أوان
مع آلك الغر الكرام وحزبهم من قد علوا شرفاً على كيوان
وعلى ضجيعيك الامامين الجليـ ـلين اللذين هما لنا شمسان
السيد الصديق ذي الفضل الذي ترك اللذائذ في رضى الديان
والأشجع الفاروق قهّار العدا ليث الحروب وقامع العدوان
وعلى ابن عفان الذي حاز العلى حاوي الفضائل جامع القرآن
وعلى علي ذاك عالي القدر من قد كان بحر العلم والعرفان
وعلى بقية صحبك الغر الكرا م وتابعيهم في مدى الأكوان
وأبي حنيفة ذي الفخار ومالك والشافعي وأحمد ذي الشان
والتابعين لهم وأقطاب الوجو د وصاحب الوقت القريب الداني
لا سيا ختم الولاية من به فاز الوجود معطر الأردان
واختم لناظمها إلهي بالرضى والعفو والاحسان والغفران

وقوله أيضاً يمدح النبي ﷺ

أشكو إلى الله ما ألقاه من نصب ... مستشفعاً بشفيع الخلق كلهم

محمد من محا المولى ببعثته ... ليل الضلال بصبح طارد الغسم [1]

فقام يدعو بأمر الله مبتدراً ... بالنصر متزراً في أرفع الهمم

حتى غدت ملة الإسلام ظاهرة ... ظهور نار بدت ليلاً على علم

مؤيداً بكتاب باهر عجزت ... عنه ذوو اللسن مثل الدر منتظم

ومعجزات توالت قبل مبعثه ... فكان يبصرها بالعين كل عمي

فالضب كلمه والجذع حن له ... والبدر شق له من باهر الحكم

والشمس قد وقفت من بعد ما غربت ... والسحب قد وكفت لما دعا بفم

والماء من كفه قد طاب منبعه ... فكان أعظم ماء سائغ شبم

بتفلة لعلي مذ شكا رمداً ... لم يشك من بعدها في العين من ألم

وقد كفى الالف من صاع الشعير وقد ... حلا وزاد بتفل ماءَ بئرهم

أروى ثلاثين الفاً في تبوك بما ... ءليس يروي سوى شخص من الأدم

سراقة خلفه ساخت قوائمه ... وكم أباد من الأعداء كل كمي

وفي حنين رمى بالترب أعينهم ... ففر جحفلهم مع جملة الريم

كذا رمى ملأ راموا المحال فمن ... أصيب كان ببدر آخر العصم

ومذ حكى بعضهم بالهزؤ مشيته ... ما زال مرتعشاً للموت ذا ندم

ومذ أوى الغار والصديق صاحبه ... فالعنكبوت غدا بالنسج ذا همم

وبين قوم ذراع الشاة حدثه ... عن سمه بكلام غير منبهم

وعن مصارعهم في القتل أخبر في ... بدر فكان كما قد قال ذو العصم

وعاش فرداً أبو ذر ومات كذا ... طبقاً لاخباره الخالي عن التهم

نعى النجاشي وكسرى يوم موتهما ... وقد كفى عدداً من كف تمرهم

وقد رأى أنس طبقاً لدعوته ... مالاً وعمراً وأولاداً من الخدم

---

(١) من غسَم الليل وأغسم ، إذا أظلم ، والغَسَم : السواد والظلمة .

قتادة عينه من بعد ما سالت ... عادت بأحسن ما كانت من القدم

كذاك عين علي مذ شكت رمدا ... بالتفل في دهرها لم تشك من ألم

ورب كف له فيها الطعام غدا ... مسبحاً والحصا من أعظم الشيم

وكم له معجزات غيرها ظهرت ... تربو على النجم في عد وفي عظم

فاق النبيين في علم وفي عمل ... لذا غدا بينهم كالمفرد العلم

من مثله وإله الخلق خاطبه ... فوق الطباق وجبريل من الخدم

ولا يفي عشر ما قد حاز من شرف ... ذوو المديح وما قد نال من كرم

كالدهر في همم والطود في عظم ... والبحر في كرم والدر في كلم

منيع حصن لو البدر استجار به ... في ليلة التم بالنقصان لم يضم

لو كان في فضله شخص يشابهه ... لقلت مثل كذا للسائل الفهم

يكاد من يمنه يجلي الظلام به ... ولو من الدهر من ضر ومن نقم

فليس بعد الذي في النجم من عظم ... وبعد ما في الضحى مع نون والقلم

فمبلغ العلم فيه أنه بشر ... وانه خير خلق الله كلهم

فيا رسولاً به الرحمن أنقذنا ... وقد حمانا بركن غير منهدم

ياخاتم الأنبياء الغر ياسندي ... يوم الزحام إذا ما الخلق في غمم

يا من إذا لاذ مأسور الذنوب به ... غداً ، غدا آمناً كالصيد في الحرم

وانني بت في كرب بنازلة ... غدت بكلكلها تسطو على سقمي

ألم بي بأسها الضاري فآلمني ... وجل صبري غدا من أوهن الرمم[1]

(١) جرى العلماء على مثل هذا التوسل والاستشفاع في شعرهم ونثرهم مع اعتقادهم أن النفع والضر ، بيد الله عز وجل « وان يمسسك الله بضر ، فلا كاشف له إلا هو ، وإن يردك بخير ، فلا رادّ لفضله » وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما : (إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله) وقد وقعت ـ بعد وفاته (ﷺ) ولحوقه بالرفيق الأعلى ـ بين الصحابة الكرام معارك دامية كوقائع الجمل وصفين والنهروان ، وتناظر الشيخان في قتال مانعي الزكاة ، وفي ارسال جيش أسامة ولم يستغيثوا به ﷺ في هذه الشدائد ولم يستفتوه في شيء منها ، وكل هذا معلوم من الدين والتاريخ بالضرورة ، ومن العقل والحس والوجدان بالبداهة ، فيجب ردّ ما يتجدد من الوقائع والحوادث الى الوحي المنزل وسنة النبي المرسل ، وما عرف من سنن الصدر الأول للاسلام .

والدهر جار على ضعفي ولا جلد ... به يكون اتقاء الحادث العمم
قرعت بابك أرجو الله يرحمني ... فأنت غوث الندا حصن لمعتصم
وقدرجوتك في التفريج من كرب ... فأنت برٌّ رؤوف ظاهر الشيم
وأنت اقبل من ترجى شفاعته ... عند الإله وأرعى الناس للذمم
حاشا يخيب رجائي من جنابك يا ... من عمَّ بعثك جوداً سائر الأمم
أعطيت جاهاً عريضاً لا مرام له ... وعم بعثك جوداً سائر الأمم
والكون من أجلك الرحمن أبرزه ... وجهل جودك فينا غير منفصم
اني محب وإن قصرت من طمعي ... وحسن ظني برب واسع الكرم
وقد غدوت من الزلات في خجل ... وقد قرعت عليها السن من ندم
بلغت جهدي بمدح فيك أنظمه ... أرجو شفاعتك العظمى بمزدحم
عساك تحنو على ضعفي إذا نشرت ... صحيفتي عند ربي بارىء النسم
حيث النبيون في رعب وفي وجل ... جثوا على ركب من بطش منتقم
وأنت تسجد حتى أن يقال فقم ... سل تعط واشفع تشفع نافذ الكلم
فتخرج الناس من حر الزحام ومن ... حر السعير وقد صاروا كما الحمم
إقبل هدية نجل العابدين فقد ... غدا بمدحك معدوداً من الخدم
صلى عليك إله الخلق ما كشفت ... بك الكروب وزاحت ظلمة الغمم
وآلك الغر والأصحاب أجمعهم ... من ارتجي بنداهم حسن مختتم

وله معمى في عبد الغني

يا بديع الجمـال يا ذا التثني ... لحظك الجؤزري سبا العقل مني
انني فيك لم أزل ذا هيـام ... وانا رقك الغ هجري وصلني

وله في سعيد

رب حسناء ما لها من شبيه ... حين ترنو بالعارض المصقول
أسعدت أرباب الهوى بوصال ... يوم عيد من بعد سلب العقول

وله في نار

سباني كحيل المقلتين بلحظه ... وما زال من حظي بوصلي ضنينا

فيا نفس صبراً من قساوة قلبه فبدري بلا يد عسى أن يلينا

ولـه في غلام

بأبي أحور اللواحظ ألمى ما روى لي من الوصال غليلا

مال بالقلب بعد لثغة راء تيمتني وصيرتني عليلا

وله في دخان قهوة

بعذار له وخال سباني وسقاني فوق الضنا كأس صده

عم دون العذار بالند خالا فهو بالخال حاز غاية قصده

ولـه

ياذا القوام السمهري ومن قد زال من شغفي به رسمي

أمنن عليَّ بضم خصرك إذ ضمي له يحيا به جسمي

جسمي كخصرك في النحول وذي جنسية هي علة الضم

ولـه

مرت مواشط نسمة الأسحار كيما ترجل جمة الأشجار

والقطر جللها بسندس برده وتزينت بلآلىء الأزهار

والنهر صفق والطيور ترنمت في غصنها من نغمة الأوتار

ولـه ملغزاً

فما اسم ثلاثي إذا عدَّ لفظه قريب بعيد يختفي ثم يظهر

له رتبة علياء عزَّ ارتقاؤها وحسن بلا غين له العين تبصر

وفي محكم القرآن قد جاء ذكره بوصف به قد جاء يزهو ويزهر

ومن ضل عن رشد له كان هاديا ويسلو به ذو لوعة حين يسمر

ويسحب ذيلا حين يسطو على العدا كرمح به نار الحشاشة تسعر

إذا ما تهجيت الحروف فصدره ومبدؤه عن عجزه متأخر

ويبدو لنا من قلبه جنة العدا بها نتقي المكروه منهم وننصر

ويبدو لنا أيضاً حديث عن الذي غدا لا يبالي بالذي منه يصدر

وإن كنت يوماً طارحاً ثلث أصله ... ففي غور نجد ما بقي منه ينظر

وإن قلب الباقي تراه حديث من ... به لعب الشيطان أو كان يسخر

ويبدو إذا صحفته فعل من غدا ... عطوفاً على صب له كان يهجر

ومن أصله إن كان قد بال صدره ... تراه أتى جما من الناس يكثر

وله

ومن عادة الأيام رفعة جاهل ... وما حقت العلياء إلا لعارف

عفونا عن الأيام عن كل ما مضى ... بعصمة أفعال تسامت بعارف

وله غير ذلك من النظم والمراثي والتهاني والمديح والقواعد والضوابط رحمه الله تعالى آمين ولنكتف بهذا المقدار وإن كان قطرة من بحر أو شذرة من عقد نحر .

ولد رحمه الله تعالى سنة ثمان وتسعين ومائة والف بدمشق ونشأ بها وقرأ القرآن ثم جوده على الإمام القدوة الشيخ سعيد الحموي شيخ القراء بها ، وقرأ عليه الميدانية والجزرية والشاطبية بعد ما حفظها قراءة تدبر وإمعان وبحث وإتقان ، وحفظ القرآن العظيم عن ظهر قلب ، وتلقى منه القراءات بأوجهها وطرقها حتى جمع عليه . وقرأ عليه طرفاً من النحو والصرف وفقه الإمام الشافعي رحمه الله تعالى ، وحفظ متن الزبد وكان شافعي المذهب وقتئذ ، ثم لزم شيخه الشيخ شاكر العقاد رحمه الله تعالى وقرأ عليه في المعقولات ، وألزمه شيخه المذكور بالتحول لمذهب الامام الأعظم أبي حنيفة النعمان عليه الرحمة والرضوان ، فتفقه عليه ، وقرأ عليه الفرائض والحساب حتى مهر في فن الأصول والحديث والتفسير والتصوف والمعقول ، وقرأ عليه في الفقه الملتقى والكنز والبحر لابن نجيم وصدر الشريعة ، والدراية والهداية وبعض شروحها وغير ذلك ، ثم شرع في قراءة الدر المختار على شيخه المذكور مع جماعة ، من جملتهم علامة زمانه وفقيه عصره وأوانه الشيخ سعيد الحلبي ، وبقي ملازماً له الى أن اخترمته المنية رحمه

الله ، ولم تتم قراءة الدر فأتمه مع بعض من حضر معه من إخوانه على الشيخ سعيد الحلبي المذكور ، ضاعف الله تعالى لنا وله الأجور ، وقرأ على الشيخ سعيد غير ذلك من الفقه وغيره من الفنون . وحين أتم الدر عليه استجازه فأجازه . هذا وكان شيخه السيد شاكر يتفرس فيه الخير ويأخذه معه ويحضره دروس أشياخه ويستجيزهم له فيجيزونه ، وكان ذلك باشارة حصلت له من الشيخ عبد النبي أحد علماء الهند وصلحائها المشاهير حين قدم إلى دمشق ، فذهب مع شيخه لزيارته ، ولما دخلا عليه جلس شيخه وبقي المترجم واقفاً بين يدي شيخه كما هو دأبه معه ، فطلب الشيخ عبد النبي من شيخ سيدي المترجم أن يأمره بالجلوس ، وقال له : إني لا أجلس إلا أن يجلس هذا الغلام ، وقال إني أشم منه رائحة أهل البيت ، وانه ستقبل يده ويظهر فضله بين الناس وينتفع بفضله . فأمره شيخه حينئذ بالجلوس ، فجلس ، ومن وقتئذ زاد اعتناء شيخه به . وأحضره مرة درس شيخه العلامة شيخ الحديث الشيخ محمد الكزبري واستجازه له فأجازه ، وكتب له الاجازة ، وكذلك حضر دروس الشيخ أحمد العطار مع شيخه فاستجازه له فأجازه عام ستة عشر والف ومائتين .

وفضائله لاتنكر وشمائله لاتحصى ولا تحصر ، وعباداته وورعه وإقباله على الله ، يقضي له بالسعادة والفوز عند مولاه . توفي رضي الله تعالى عنه سنة اثنتين وخمسين ومائتين والف ، عن أربع وخمسين سنة ، وأقيمت عليه صلاة الموت في جامع سنان باشا ، وتقدم للصلاة عليه إماماً العلامة الهمام والعمدة النخبة الامام ، علامة العصر وفرد القطر ، الشيخ حامد العطار رحمه الله تعالى . ودفن بمقبرة باب الصغير بالتربة الفوقية إلى جانب قبر الامام أبي حنيفة الصغير ، العمدة العلائي صاحب الدر المختار ، وقبره مشهور هناك ، عليه جلالة يقصد لطلب الحوائج [1] ويزار . رحمه الله تعالى .

---

(١) الحوائج إن كانت دنيوية تطلب من أهلها ، وإن كانت أخروية فليتذكر السائل والداعي قوله تعالى : « وإذا سألك عبادي عني ، فاني قريب ، أجيب دعوة الداع اذا دعان » .

الشيخ محمد بن محمد بن عبد الله المغربي الأصل المدني المالكي

الفاضل الذي خفقت رايات علمه ، واستخرج دقائق مشكلات المسائل بثاقب فهمه ، وانتفع بفضله الخاص والعام ، وكان له في جميع العلوم مشاركة والمام . فهو المحدث الفقيه ، العالم العلامة النبيه ، أوحدي العصر ألمعي الدهر ، عمدة الأمثال ونخبة ذوي الكمال ، من استوى على عرش الافضال ودار عليه مدار ذوي اللطف والجمال .

ولد عام تسعة عشر ومائة والف . وصار علم المدينة ومنارها وشمس تلك الأقطار ونهارها . وقد أخذ عنه بركة الشام وعمدة الأنام ، ولوذعي السادة النقاد السيد شاكر العقاد ، في مكة المشرفة ، فأجازه بجميع ما تجوز له روايته عن مشايخه الأمجاد . وكانت وفاته رحمه الله تعالى نهار الجمعة حادي عشر جمادى الأولى سنة الف ومائتين وسنة واحدة ، ودفن في تربة المدينة المنورة المعروفة بالبقيع . وكان رضي الله عنه قد أقعد قبل موته بسنتين وأربعة أشهر واستمر الى أن مات .

محمد علي باشا الأرنأوطي خديوي مصر القاهرة

كان أصله من الأرنأوط ، وقدم عسكريا مع عساكر الترك القادمين لأخذ مصر من الفرانسيس لما استولى الفرانسيس عليها وكان الفرانساويون قاصدين التوصل من هناك إلى افتكاك الهند من الانكليز لما كان بينهم من الحروب والعداوة ، بل وكانت سائر أوربا إذ ذاك ضد الفرنساويين حسبما تقدم ذلك في محله . فحينئذ عاضدت انكلترا الدولة العثمانية على حرب فرانسا وإخراجها من مصر ، وكان المترجم كامل الأوصاف للرياسة فتقدم اليها بنفسه على بني جنسه ، وانقاد له الجميع . وقررت ولايته الدولة على دفع خراج معلوم سنويا وذلك سنة ١٢١٩ ، فوجد مصر في نهاية درجة

الفقر والبربرية والجهل ، بل حتى ان الأمراض الوبائية من الطاعون قد تمكنت فيها وصارت عادية تفني من الناس سنويا خلقاً كثيراً ، حتى قل العمران ولم يبق من مآثر تقدم المصريين سوى الامم في التواريخ . نعم وجد للعلوم الشرعية بقية آثار في الجامع الأزهر من العلماء ، وذلك كله لما مر عليها من تقلبات الدهر والظلم والجور والاستبداد والحروب في الأيام الخالية .

فشمر عن ساعد الجد ووافقه البخت وفتح لمصر عصراً جديدا ، فنظم فيها جيشاً نظامياً من أهلها ، ورتب الأداء على الأهالي على قانون غير مجحف ، وألزمهم بتعمير الأرض وفتح الترع وإنشاء المدارس العلمية للعلوم الرياضية والحربية ، وأحضر المعلمين من أروبا [1] وأحيا المارستانات وألزم الأهالي بالنظافة ، وتوسيع الطرقات والبناءات ، وأرسل التلامذة إلى أروبا لتعلم الفنون ، وأحيا نمو العلوم الشرعية ، وسهل أبواب التجارة ، وأنشأ معامل السلاح والسفن ، وترجمت الكتب النافعة في فنون شتى من لغات شتى الى العربية ، فنشأ في مصر جيل جديد وعصر جديد ، بسطت فيه طرق العمران والتمدن والقوة في مدة يسيرة ، فافتتح النوبة وسنار واستولى على الشام والحجاز ، وافْتَكَّهُ من الوهابي ، بل امتد بالاستيلاء إلى قرب الآستانة في الأناطولي ، وخشيت شوكته من عصيانه على الدولة العثمانية ، فتعصب الانكليز إلى الدولة في الظاهر لتوطيد أركانها ، وفي الباطن خشية من إنشاء دولة إسلامية شابة ذات قوة مثل تلك ومركزها مصر ،

---

(١) وكان يحتم على مَن يدخل في خدمته من الإفرنج أن يتزيوا بالزي العربي (المصري) ويتكلموا اللغة العربية ، ويؤلفوا بها أو ينقلوا كتبهم اليها . واعتزل الأمور لابنه ابراهيم باشا سنة ١٢٦٤ هـ (١٨٤٨ م) وأقام في قصر رأس التين بالإسكندرية مريضاً ، الى أن توفي بها ، ودفن بالقاهرة . ومما كتب في سيرته « البهجة التوفيقية — ط » لمحمد فريد ، و « محمد علي — ط » لإلياس الأيوبي و « محمد علي وعصره — ط » لعبد الرحمن زكي ، و « محمد علي الكبير — ط » لشفيق غربال . اهـ من الأعلام الأستاذ الزركلي .

فتخشى أن تمتد من هناك إلى الهند الذي هو روح الانـكليز ، لا سيما إذا عاضدته إحدى الدول الأروباوية مثل فرنسا ، فلذلك حاربته مع الدولة العثمانية التي هي إذ ذاك على ضعف شديد من حرب الروسيا والثورات الداخلية واستقلال اليونان وغير ذلك ، فقهروا محمد علي ، ولكن لإتمام مقصد انكلاتيرة لم تسمح للدولة بالاستيلاء التام على مصر لمراعاة المقاصد المشار اليها أيضا ، فكان الأوفق لها إبقاء مصر على شبه استقلال ليضعف كل من الجهتين ، وبقي محمد علي والياً على مصر على أن تكون الولاية في ذريته من أكبر إلى أكبر ، ويؤدي خراجاً سنويا للدولة ، ويعينها عند وقوع حرب معها بالعساكر الذين يبلـغ عددهم الأربعين ألفاً ، وكذلك يعينها بالسفن ، وان الرتب العالية في مصر يعين هو أصحابها ، وتوليهم الدولة ، والسكة والخطبة تكون باسم السلطان العثماني أيضـاً ، وأخرج الحجاز عنه إلى الدولة ، وكذلك الشام ، وبقي على ذلك إلى أن ضعف بالسن ، فتنـازل عن الولاية لإبنه الأكبر وهو رئيس جيوشه وحروبه ابراهيم باشـا سنة ١٢٦٥ ، وكان على قدم أبيه ، وتوفي المذكور في تلك السنة .

الشيخ محمد سعيد بن حمزة بن طالب بن عبد الله بن الشيخ الإمام الفاضل الهمام فريد السادة الاعلام شمس الدين محمد الشهير بابن المنقار الحنفي الدمشقي الميداني

عالم ذو صلاح وبركة وفلاح ، من أصول علماء وأسلاف فضلاء ، قد اشتغل من أول عمره في العلم والطاعة حسب القدرة والاستطاعة ولوائح البركة تظهر عليه وتشير كال الإشارة إليه ، وله تأليفات كثيرة ، وتقريرات هي بمعرفة بركته جديرة . ولد في ثمانية عشرة خلت من شهر ذي الحجة الحرام سنة ثلاثين ومائتين والف ، ومات تاسع وعشرين شوال سنة الف وثلاثمائة وأربعة ودفن بتربة باب الصغير رحمه الله .

محمد سليم باشا الصدر الاعظم والي دمشق الشام عوضاً من رؤوف باشا

وهو الصدر الذي اشترك في اهلاك الانكشارية في الآستانة وتنظيم العسكر الجديد ، دخل الشام في سنة الف ومائتين وست وأربعين ، واخاف الناس وفعل موجبات الارهاب ، وذلك بسبب حادثة وقعت هذه السنة قبل مجيئه مع سلفه رؤوف باشا الصدر ، وهي أن السلطان أمر بأن يضع الصليان على حوانيت البلد . فنزل جماعة من مشايخ الطريق ومعهم راية وأولاد وغيرهم لأجل أن يشفعوا عند الباشا في ذلك ، فلما وصلوا الى باب السرايا خرج جماعة من التفنكجية من أهل الموصل وكركوت الذين أظهروا أنواع الفساد والفسق في هذه البلاد ، فضربوا الناس فمات منهم جملة جماعة ، فقام عليهم أهل البلد وصاروا كلما رأوا منهم واحداً قتلوه ، وأمر رؤوف باشا بخروجهم من البلد لعلمه بفسادهم ، وعظم أمر الصليان على أهل البلد وكان الوزير رجلا له من اسمه مظهر من الرأفة والحلم ، فكتب للدولة يستعطفها في رفع الصليان عن أهل الشام ، فعزله السلطان بسبب ذلك ، وأمر سليم باشا بوضع الصليان [1] فلما دخل إلى البلد مكث نحو شهر وهو يحصّن

---

(١) جاء في خطط الشام للأستاذ كرد علي رحمه الله ما يأتي : لما جاء (سليم باشا) عاصمة الشام ، أراد أن يضع على كل سكرة أي عقار في دمشق « مصريتين » كما هو الحال في الآستانة فسارت باشارة الأعيان وكانوا عند المصائب الشديدة تتحد على الأغلب كلمتهم ، اتقاء شرعظيم يقعون فيه أو تقع البلاد ... فضرب الوالي العامة من أبراج القلعة بالقنابل ،حتى إذا ضاق عليه الخناق جاء في بعض رجاله الى دار قرب باب البريد ، فتأثره العامة ، وهدموا على رأسه سقف المخدع وأحرقوه (إلى أن قال :) وقصارى القول : إن سليم باشا مبيد جيش الانكشارية الذي عجنت طينته بالدماء ، فقتله أعيان دمشق مخافة أن يبطش بهم كما بطش في حماة ، خافوه ووجدوا فرصة للنيل منه ، لما جاء يطبق قانون الاحتساب ، فأثاروا الرأي العام عليه ، ففعلوا ، وربما كانوا يريدون الاكتفاء بتهديده ليحملوه على الهرب ، ولكن الأمر خرج —

القلعة ويجمع العساكر ، ثم جمع أعيان البلد وذكر لهم أمر الصليان ، فأطاعوه بعد تمهيد العوام وتخويفهم من مخالفة أمر السلطان لكونه محتاجاً إلى جمع المال بسبب ما حصل له في العام الماضي من قتاله مع المسكوب ، ووصولهم إلى إلى قرب اسلانبول ، وأخذهم كثيراً من بلاد الإسلام ، وصلحه معهم على أن يدفع لهم أموالاً بليغة ، مما يطول شرحه فأطاع غالب أهل البلد ، فخرج جماعة من أتباع الباشا مع كتبة في نهار الجمعة التاسع من ربيع الثاني سنة الف ومائتين وسبع وأربعين ، وصاروا يكتبون عدة الحوانيت حتى وصلوا إلى محلة العمارة والعقيبة بعد العصر ، فقام جماعة من الاسفـاه فأغلقوا الحوانيت وقالوا هذه جزية ونحن لا نقبلها ؟ وقفلوا حوانيتهم ، وكان ذلك سبب الفتنة . فلما سمع الباشا بذلك وكان رجلاً أحمق سفاكا للدماء ليس له تبصرة في الأمور ، أمر في الحال بجمـع العساكر وغلق أبواب القلعة ، وصار يضرب المدافع على البلد ، وغالب أعيان أهل البلد عنده ، فطلبوا منه التؤدة في الأمر وانهم يظفرونه بمن خالف أمره ، فلم يقبل منهم حتى خرج العسكر يوم السبت من السـرايا ، وتغلبوا على بيوت القنوات الجوانية وجامع العدّاس ونهبوها ، وصاروا يطلقون الرصاص على الناس من البيوت . وفي ليلة الأحد صار يضرب المدافع والقنابر على البلد ، فاجتمع أهل البلد وأشقياؤهم وحاصروه في السرايا إلى بعد العصر ، فاستعان أهل البلد بحرق المواضع التي تغلب عليها العسكر ، وتوصلوا إلى السرايا ، فلما تيقن انه مأخوذ لا محالة ، خرج بعد المغرب ليلة الاثنين من السرايا مع العسكر ، وأحرق سوق الجديد وسوق الأروام ، حتى وصل الحريق إلى قريب من ضريح سيدي خليل ، ودخل هو مـع بعض العسكر إلى

ـــ من أيديهم الى ايدي العامة ، فقتلوه غير حاسبين للعاقبة حسابا ، فكان قتله على غير رضى العقلاء من الأعيان ، بيد أن قتله كان مخيفاً لمن يأتي بعده من الولاة اه (ج ٣ ص ٤٠ ـ ٤٣) ويراجع بعد هذا : (الحكم على موقف البلاد في نصف قرن) (ص ٤٣ و ٤٤ ج ٣) .

القلعة ، وبعض العسكر دخل الى خان الدالاتية ، وجامع المعلّق الذي قبالة الخان تحت القلعة ، فحاصرهم أهل البلد ، وذلك بعد أن نهب أهل البلد ما في السرايا والكلار [١] والدوالك ، وأحرقوهم ، واحترق معهم بعض البيوت المجاورة للسرايا ، ولم يزالوا محاصرين لهم في الموضعين حتى فني الزاد من عند من كان في الجامـــع ، فطلبوا الأمان ، فأخرجوهم بأسوء حال من شدة الجوع والنتن من الأموات عندهم ، وقتلوا بعضاً منهم . ثم تفرغ أهل البلد الى حصار الباشا في القلعة بضرب المدافع والقنابر ، كما فعل معهم أولاً وحاصروه حصاراً شديدا ، وقتل من الفريقين خلق كثير ، ونصبوا المدافع قبالة حمام الملكة في الدرويشية ، وعند باب الحديد المقابل لباب السرايا وتحت القلعة ، وهدموا جانباً عظيما من البرج المقابل لباب السرايا بالمدافــع واللغم ، إلى أن فني الزاد من القلعة وأكلوا خيلهم ، فطلب الباشا الأمان وانه ينزل ويجلس الى أن يأتي الأمر من السلطان كيف يفعل ، فخرج من القلعة في تاســع عشر جمادى الأولى ومعه نحو الف رجل من عسكره ، اجتمعوا بأهل البلد مدة أيام قليلة ، ثم سافروا ونزل الباشا مع بعض خواصه في دار بني الكيلاني التي في العصرونية ، وجعلوا عليه حجبة من أهل البلد . ثم ليلة الجمعة في ثالث وعشرين من جمـــادى الأولى في نصف الليل ، دخل عليه تلك الحجبة فقتلوه وقتلوا خمسة ممن معه كالكيخية والخازندار [٢] وخاله ، ونهبوا ما معهم وجردوا بقية جماعته من ثيابهم وأطلقوهم بلا قتل ، وألقوا الباشا في سوق العصرونية على خشبة ، وحمل بعض السفهاء رأسه ودار به في البلد ، نسأله سبحـــانه السلامة . وأما قاضي قران فنجا بمن معه ، وكان قد لجأ هو وجماعة تحت قيادته إلى الجامع المعلق ، وكان من القواد الأشداء ، ودافعوا عن أنفسهم ،

---

(١) مستودع الأطعمة .

(٢) أمين الصندوق ، وقد جاء في صبح الأعشى ما ملخصه : (الخزندار) مركب من لفظين أحدهما عربي وهو خزانة ، وهي ما يخزن فيه المال ، والثاني فارسي وهو دار ومعناه ممسك الخزانة ، والمراد المتولي لأمرها اهـ (م ٥ ص ٤٦٢) .

حال كون سليم باشا كان يطلق المدافع على المدينة من القلعة ، ووقع الخوف في قلوب النصارى أثناء تلك الحوادث ، فأمنهم علي آغا خزنة كاتبي وصانهم مع الاسرائيليين من تعديات الجهال . ولما قتل سليم باشا أقام الدمشقيون حكومة موقتة ، وأخذوا يتوقعون بطش الدولة بهم ، على انها اشتغلت عنهم بمحاربة ابراهيم باشا ابن الخديوي محمد علي باشا ، وعدلت عن تأديبهم وولت على دمشق علو باشا ، فاطمأن القوم وقصة ابراهيم باشا تقدمت في ترجمته في حرف الألف مع الباء .

الشيخ محمد بن الشيخ عبد الجليل بن الشيخ مصطفى ابن الشيخ اسماعيل بن الشيخ القدوة الشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي

الامام العالم العامل ، والجهبذ الفاضل الـكامل ، خاتمة المتعبدين ، وكهف السلف الصالحين ، حصل أنواع العلوم ، وأتقن سبيل الأخذ من المنطوق والمفهوم .

ولد في دمشق الشام ، ولم يزل مثابراً على الإفادة والاستفادة إلى أن توفي نهار الخميس في ٢٠ شعبان سنة ١٢٥٢ ودفن بقاسيون في مدفن بني النابلسي .

الشيخ محمد افندي بن الشيخ عبد الله افندي الرومي الحنفي الدمشقي

الامام العمدة العارف الذي هو من بحر المعارف غارف ، صاحب الآثار الحسنة والشهرة العالية المستحسنة . كان إمام أهل التحقيق وكعبة طواف ذوي التدقيق ، زاهداً في الدرهم والدينـــار كثير الخوف حسن الأطوار ، دائم البكاء والابتهال لا يلتفت لجاه ولا لمال . تهدى اليه الهدايا الفاخرة فلا يقبلها ويقول من أكرمني فليدلني على ما ينفعني في الآخرة . وكانت تشهد له المشايخ بالمقام الكبير ، ويقولون على رؤوس الأشهاد هذا الفاضل في زمننا ليس له نظير . توفي رحمه الله في عشرين رمضان سنة

اثنتين وخمسين ومائتين والف ، ودفن في مقبرة باب الصغير بقرب مقام سيدنا عبد الله بن زين العابدين من جهة الغرب . وبقرب قبره أم سلمة وأم حبيبة زوجتا رسول الله ﷺ ورضي الله عنهما وعنا بهم أجمعين .

الشيخ محمد افندي بن الشريف اسماعيل افندي العجلاني الدمشقي الميداني

مفخر الشرفاء الكرام ونخبة ذوي النسب العظام ، يتصل نسبه الشريف بسيدنا رسول الله ﷺ . كان ذا أخلاق كريمة ومروءة عالية فخيمة ، وشمائل جميلة ، وله التفات إلى اكتساب ما يحصل به أنواع الفضيلة . ولا ينكر ذلك عليه لأنه من نسل من ينسب كل كمال اليه . توفي يوم الأربعاء عند الضحوة الكبرى ثالث عشر شوال سنة ثلاث وخمسين ومائتين والف ، ودفن بمدفنهم المعروف بمدفن بني العجلاني . وهو في سوق الغنم تجاه مقبرة باب الصغير .

الشيخ محمد بن المرحوم الشيخ محمد المغربي الازهري المالكي

عالم وقته وأوانه وجهبذ عصره وزمانه ، المحدث العمدة في العلوم والفاضل الذي تحل لديه مشكلات المنطوق والمفهوم ، محط رحال السادة وكعبة طواف القادة ، وحرم اعتكاف ذوي المعارف ومحراب توجه أهل المُلَح واللطائف . من سار في الآفاق ذكره وشاع في الناس علاه وقدره ، الناهج في الكمال منهج الأوائل واللاهج بالأدب والتقوى وأنواع الفضائل .

حضر من الغرب سنة الف ومائة وإحدى وستين تقريباً ، ونزل في الجامع الأزهر والمقام الأبهى والأبهر ، فتعلق بأذيال العلم تعلق الوالدة بالولد إلى أن امتزج به امتزاج الروح بالجسد ، وأخذ عن الشيوخ الأكابر والجهابذة الذين حازوا المعالي كابراً عن كابر ، ولم يزل معتكفاً على الطلب والاستفادة ، إلى أن شهدوا له بأنه صار مستحقاً للتأليف والاقراء والإفادة ، فخرج من

الأزهر بعد الاستئذان وطـاف في الأمصار إلى أن وصل إلى حلب ذات القدر والاعتبار ، فوجد الناس في قيل وقال وجدال كاد أن يوقع أصحابه في حيز الوبال ، فقال ما هذا الأمر الذي دَهى ودهم فقالوا اختلفنا في حديث ذكره صاحب المختار وليس له غيرك من حكم ، فان صاحب المختار قد ذكر في مادة عكك بأن النبي ﷺ قال طوبى لمن رأى عَكّا ، وبعض الناس قد سلمه اعتماداً على ناقله وبعض الناس قد ردّه ولم يعتمد على مثبته وقائله . وقال بأنه ليس من كلام الذات المحمدية ، ولا عليه طلاوة الأحاديث النبوية ، فاحكم بيننا بالانصاف فورودك علينا من كمال الاسعاف ، فقال لهم دعوني الآن وسأكتب رسالة في هذا المرام ، تزيل عنكم بعون الله الشكوك في هذا الحديث وأمثاله والأوهام . وقد ألف لهم رسالة قاطعة بأن هذا الحديث ليس من كلام النبوة ، بل هو كذب مختلق مصنوع ، وقد ذكرت هذه الرسالة بتمامها آنفاً لداعية دعتني إلى ذلك ، وهي أن كثيراً من الجهال وبعض من يدعي الطلب ، قد تداولوا هذا الحديث وهو طوبى لمن رأى عكة ، وذلك سنة ثلاث وثلاثمائة والف ، وحكموا بصحته اعتماداً على ناقله وهو محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي في كتابه مختار الصحاح ، ومرادهم بذلك التوصل إلى أمر كان ينكره كثير من الناس عليهم ، مع أن ذكر المرقوم لذلك لا يدل على انه حديث لأنه نقل من هو أعلم منه وأفضل ، أحاديث كثيرة حكم عليها أهل الاسناد بأنها موضوعة ، لغايات قصدوها فأرادوا ترويجها فوضعوا لهـا أحاديث مكذوبة .

قال ابن الجوزي ما أحسن قول القائل إذا رأيت الحديث يباين المعقول ، أو يخالف المنقول ، أو يناقض الأصول ، فاعلم أنه موضوع ومعنى مناقضة الأصول أن يكون خارجاً عن دواوين الإسلام من المسانيد والكتب المشهورة . ثم ان الواضعين للحديث أقسام بحسب الأمر الحامل لهم على الوضع ، أعظمهم ضرراً قوم ينسبون إلى الزهد وضعوه حسبة أي احتساباً للأجر عند الله في زعمهم الفاسد ، فقبلت موضوعاتهم ثقة بهم وركوناً اليهم ، لما نُسبوا إليه من الزهد والصلاح ، ولهذا قال يحيى القطان ما رأيت الكذب في أحد

أكثر منه فيمن ينسب إلى الخير أي لعدم علمهم بتفرقة مـا يجوز لهم وما يمتنع عليهم ، أو لأن عندهم حسن ظن وسلامة صدر فيحملون ما سمعوه على الصدق ، ولا يهتدون لتمييز الخطأ من الصواب ، ولكن الواضعون منهم وان خفي حالهم على كثير من الناس فإنـه لم يخف على جهابذة الحديث ونقاده ، وقد قيل لابن المبارك هذه الأحاديث المصنوعة فقال تعيش لها الجهابذة « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »[1] ومما وضع حسبة ما رواه الحاكم بسنده إلى أبي عمار المروزي أنه قيل لأبي عصمة نوح بن أبي مريم من اين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة وليس عند اصحاب عكرمة هذا ، فقال إني رأيت الناس قد اعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي ابن اسحق فوضعت هذا الحديث حسبة ، وكان يقال لأبي عصمة هذا نوح الجامع ، قال ابن حبان جمع كل شيء إلا الصدق . وروى ابن حبان في الضعفا عن ابن مهدي قال قلت لميسرة بن عبد ربه من أين جئت بهذه الأحاديث من قرأ كذا فله كذا ، قال وضعتها لأرغب الناس فيها ، وكان غلام خليل يتزهد ويهجر شهوات الدنيا ، وغلقت أسواق بغداد لموته ، ومع ذلك كان يضع الحديث ، وقيل له عند موته حسّن ظنك ، قال كيف لا وقد وضعت في فضل عليّ سبعين حديثاً ، وكان ابو داوود النخعي أطول الناس قياماً بليل وأكثرهم صياماً بنهار ، وكان يضع ، قال ابن حبان وكان ابو بشر احمد بن محمد الفقيه المروزي من أصلب أهل زمانه في السنة واذبّهم عنها ، واقمعهم لمن خالفها ، وكان مع هذا يضع الحديث ، وقال بن عدي كان وهب بن حفص من الصالحين مكث عشرين سنة لا يكلم أحداً وكان يكذب كذبـاً فاحشاً ، وجوزت الكرّامية (وهم قوم من المبتدعة نسبوا إلى محمد بن كرّام السجستاني) الوضع في الترغيب والترهيب ، دون ما يتعلق به حكم من الثواب والعقاب ،

---

(١) سورة الحجر (الآية ٩) .

ترغيباً للناس في الطاعة وترهيباً لهم عن المعصية ، واستدلوا بما روي في بعض طرق الحديث من كذب علي متعمداً ليضل به الناس ، وحمل بعضهم حديث من كذب علي أي قال انه شاعر أو مجنون ، وقال بعضهم إنما نكذب له لاعليه ، وقال محمد بن سعيد المصلوب الكذاب الوضاع : لا بأس اذا كان كلاما حسناً أن يضع له اسناداً !

وجميع ذلك خلاف اجماع المسلمين الذين يعتد بهم ، بل بالغ الشيخ ابو محمد الجويني فجزم بتكفير واضع الحديث ، ووضعت الزنادقة جملاً من الأحاديث يفسدون بها الدين ، فبيّن جهابذة الحديث أمرها ولله الحمد ، روى العقيلي بسنده إلى حماد بن زيد قال وضعت الزنادقة على رسول الله ﷺ أربعة عشر الف حديث منهم محمد بن سعيد المصلوب في الزندقة ، فروى عن حميد عن أنس مرفوعاً أنا خاتم النبيين لا نبي بعدي إلا أن يشاء الله ، وضع هذا الاستثنا لما كان يدعو اليه من الالحاد والزندقة والدعوة إلى التنبي . ومن الواضعين من يضع الحديث انتصاراً لمذهبه كالخطابية والرافضة وغيرهم ، وروى ابن حبان في الضعفاء بسنده إلى عبد الله بن يزيد المقري أن رجلاً من أهل البدع رجع عن بدعته ، فجعل يقول انظروا هذا الحديث عمن تأخذونه فانا كنا إذا رأينا رأياً جعلنا له حديثاً . وقسم من الواضعين وضعوا أحاديثهم تقرباً لبعض الخلفاء والأمراء موافقة لفعلهم وآرائهم ، أو ترغيباً لهم في بلاد يعدونها لا قدر لها ، فيضعون لهم أحاديث دالة على فضلها ورفعة قدرها ، ترغيباً لهم بها ، كالأحاديث الموضوعة في عكا على اختلاف أنواعها ، وقسم كانوا يتكسبون بذلك ويرتزقون منه في قصصهم كأبي سعيد المدايني .

(فائدة) قال النسائي الكذابون المعروفون بوضع الحديث أربعة: ابن أبي يحيى بالمدينة ، والواقدي ببغداد ، ومقاتل بخراسان، ومحمد بن سعيد المصلوب بالشام . ومن الموضوع الحديثُ المروي عن أبي بن كعب مرفوعاً في فضل القرآن سورة

سورة من أوله إلى آخره ، وقد أخطأ من ذكره من المفسرين في تفسيره كالثعلبي والواحدي والزمخشري والبيضاوي ، قال العراقي لكن من ابرز اسناده منهم كالأولين فهو أبسط لعذره إذ أحال ناظره على الكشف عن سنده ، وان كان لا يجوز له السكوت عليه .

(تنبيه) ورد في فضائل السور مفرقة أحاديث بعضها صحيح وبعضها حسن وبعضها ضعيف وليس بموضوع ، وإنما ذكرت هذا التنبيه لئلا يتوهم أنه لم يصح في فضائل السور شيء . واعلم ان السور التي صحت الأحاديث في فضلها الفاتحة ، والزهراوين ، والأنعام والسبع الطوال مجملا ، والكهف ويس والدخان والملك والزلزلة والنصر والكافرون والاخلاص والمعوذتان وما عداها لم يصح فيه شيء .

ومن الموضوعات أيضاً أحاديث الأرز والعدس والباذنجان والهريسة ، وفضائل من اسمه محمد وأحمد ، وفضل عين سلوان ، وعسقلان ، ووصايا علي ، وضعها حماد بن عمر ، والنصيبي ووصيته في الجماع ، وضعها اسحق ابن نجيح الملطي .

(والحاصل) أن الموضوع تحرم روايته مع العلم بوضعه ، واثباته في كتاب مع عدم التنبيه عليه بأنه موضوع في أي معنى كان ، سواء كان في حكم من الأحكام ، أو في قصة أو في ترغيب أو في ترهيب ، وسواء كان معناه صحيحاً أو باطلا ، لحديث مسلم : من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين .

ويعرف الوضع للحديث باقرار واضعه أنه وضعه ، كحديث فضائل القرآن فان ميسرة قد اعترف بوضعه ، وقال البخاري في التاريخ الأوسط حدثني يحيى اليشكري عن علي بن حدير قال سمعت عمر بن صبح يقول أنا وضعت خطبة النبي ﷺ ، وقد استشكل ابن دقيق العيد الحكم بالوضع باقرار من ادعى وضعه ، لأن فيه عملا بقوله بعد اعترافه على نفسه بالوضع ، قال بعضهم : وهذا ليس باستشكال منه إنما هو توضيح وبيان ، وهو ان الحكم بالوضع بالاقرار ليس بأمر قطعي موافق لما في نفس

الأمر ، لجواز كذبه في الاقرار . ويعرف الوضع أيضاً بغير ذلك مما هو مذكور في كتب مصطلح الحديث ، كركاكة اللفظ أو المعنى ، قال الربيع ابن خيثم : ان للحديث ضوء كضوء النهار تعرفه ، وظلمة كظلمة الليل تنكره ، وقال ابن الجوزي : الحديث المنكر يقشعر له جلد الطالب للعلم ، وينفر منه قلبه في الغالب ، قال الترمنيني :

والكذب المختلق الموضوع   على النبي فذلك الموضوع

أي المكذوب على النبي ﷺ فهو مختلق ومبتكر من عند واضعه فهو موضوع ومحطوط المنزلة فلا معول عليه بالمرة لأنه من جملة الأكاذيب ، ولا تجوز روايته إلا لتعريف حاله ، لا بنحو قال النبي ﷺ ، بل بنحو : هذا الكلام موضوع وليس بحديث ، والكذب عليه ﷺ من الكبائر ولو في ترغيب أو ترهيب ، ويعرف الوضع باقرار أو بركاكة .

وإنما أطلت الكلام في هذا المقام ، لئلا يظن الانسان ان نقل من هو معروف بالعلم والفضل لكلام مسند إلى النبي ﷺ يدل على انه حديث ولا يحتاج الى نظر ولا الى استدلال ، فهذا قصور لا ينبغي التعويل عليه ، لأن كثيراً من أفاضل العلماء قد نقلوا أحاديث في الترغيب والترهيب وفضائل القرآن سورة سورة ، وقد تناقله أصحاب التفاسير وأهل الرقائق في كتبهم ، ومع ذلك قد نبه المحدثون النقاد عليها بأنها موضوعة مكذوبة على النبي ﷺ ، فما كل ما صدر بقال ﷺ يقتضي أن يكون حديثا ، إلا أن يجده الانسان في كتب الحديث المسندة ، وإن كان الناقل له عمدة كالواحدي والواقدي والزمخشري والبيضاوي وغيرهم ، وصاحب مختار الصحاح في نقل الحديث المتقدم ، ونحن لا نقول بأنهم هم الذين وضعوا الأحاديث التي ذكروها في كتبهم مما نبه العلماء عليها بأنها موضوعة ، بل نقلوها اعتماداً على قائليها من غير أن ينظروا بها ، فقد تبين لك مما تقدم أن هذا الحديث الذي ذكره صاحب المختار موضوع ليس بحديث ، وذلك لا يطعن في مقام ناقله كما عرفت ولا في علمه ، وها هي الرسالة للمترجم المذكور بحروفها :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي حمَى حمى السنة المحمدية بأئمة جهابذة نقاد ، ونشر أعلامها وأسس بنيانها بأطواد الأفراد ، وخص هذه الأئمة المصطفوية بشرف سلاسل الاسناد ، ونضر وجوههم في الدارين فرقوا مراقي الاسعاد ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الآمر بحفظ سنته ، وصونها عن الحرف الوضاع وكل ذي إلحاد ، وعلى آله وصحبه ما سلسل محدث وارسل وعنعن وأفاد ، وعلى التابعين لهم من كل حافظ متقن ضابط خبير بالمدارك نقاد .

أما بعد فيقول فقير مولاه الغني ، محمد بن محمد المغربي الأزهري مُنِح فتحَ الجواد : لما وردنا موارد حلب العذبة الأوراد سنة ١١٧٣ ، لازاحة ما على القلب من الانكاد ، وحللنا في منزل رحب في مقعد صدق يزري بإرم ذات العماد ، عند جناب رفيع سيد طويل النجاد ، باذخ شامخ الأوتاد ، فرآه يسابق بشاشته كل وارد من الوراد ، طيب الشمائل ، عذب المناهل نخبة الأفراد ، بيض الله غرة أحواله وأثمر أغصان آماله . وألبسه حلل الارشاد والسداد ، ورد علينا سؤال حديث مضمونه التنويه بفضل عكا الشهيرة عن التعريف بين الحاضر والباد ، فكتبت عليه بأنه موضوع وكل ما ورد فيها وفي عينها فهو مفترى عند أعلام الاسناد ، ولما رأيت الجوهري وتابعه صاحب المختار أوردا طوبى لمن رأى عكا ، هززت عطفي لتحقيق الحق وارشاد الأمجاد ، وسميت الرقيم : تحذير أعلام البشر من أحاديث عكا وعينها المسماة بعين البقر ، وينحصر المسطور في مقدمة وخاتمة ، فيها تمام القصد ، وقد لبست حلة الانصاف التي هي سنة علماء السنة والله الهادي وعليه اعتمادي وبه الحول والقوة ومنه المنة .

(المقدمة) لا يخفى على الممارس ان أئمة الذين ذكروا ضوابط يعرف بها وضع الحديث كسماجة ألفاظه أو برودة معانيه ، أو

مخالفة للمحسوس أو لظواهر النصوص ، أو لبلوغه في الحد مبلغاً يخرجه عن حده ، فان لكل شيء حدا ، صرحوا بأن أحاديث البلدان لم يثبت منها إلا نزر يسير ، وحذروا من أحاديثها غاية التحذير ، وصرحوا بأنه لا يجوز أخذ حديث من أي كتاب كان ، بل اشترطوا شروطاً يعرفها النبيل الخبير ، وفي هذا المقام مهامه فسيحة يتيه فيها القطا ويحتاج معانيها إلى عون الملك الخبير .

(القصد) في ذكر الحديث الذي ورد عليّ في فضل عكا وليس هو عندي وقت هذه الكتابة ، وإنما مضمونه أنها بلد على جبلين فمن دخلها رغبة فيها غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ومن خرج منها رغبه عنها لم يبارك له في خروجه ، وبها عين من شرب منها أو اغتسل فيها فهو طاهر إلى يوم القيامة ، أقول : أمّا أولاً فبرودة هذه المعاني لا تخفى على الممارس المعاني ، وأما ثانياً فقد اشتمل هذا الحديث على أمور فاسدة ، كونها على جبلين كذب ومين ، فاني دخلتها وهي شهيرة عند الناس بينها وبين الجبال بون بعيد ، وكون الداخل إليها رغبة فيها ينال تلك المغفرة التامة لا يصح ، لأنه لم يثبت فيما هو أفضل منها بالنصوص القواطع ، فكيف يثبت فيما لا فضل له أصلا ، ومما يؤيد ذلك قول المنلا علي القاريء في آخر كتابه في الموضوعات لما أورد حديثاً مضمونه أن الصلاة في بيت المقدس بخمسين ألفاً أن هذا الفضل محال ، وان روي في سنن ابن ماجه ، فان الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ لم يثبت فيها هذا الفضل ، فكيف يثبت في بيت المقدس ، قال وإنما الذي ثبت في بيت المقدس أن الصلاة بخمسماية ، فإذا تأملت ما قرره المنلا علي رحمه الله تعالى ، علمت أن مدعي هذه المغفرة يحتاج الى مغفرة لقرينة مكفرة ، وأما دعوى أنه أمر جائز في العقول ، وقد لا يثبت للأفضل شيء ويثبت للمفضول ، فجوابه أن السنة وفضائلها لا تثبت بتجويز العقول ، وشهد لما قلناه ما ذكره الحافظ ابن حجر في فتحه ، أن كل احتمال لا يقبل في

مدارك الحديث ، ومما يدلك على رد قوله غفر الله له ما تقدم الخ أن الحافظ
ابن حجر العسقلاني الف رسالة في الفضائل المكفرة للذنوب المتقدمة والمتأخرة ،
ولم يعرج فيها على حديث عكا ، وأما نقل الناجي له في رسالته إنْ صحّ
نسبتها له ، فالناجي ليس من أئمة هذا الشان ، الذين لهم القدح المعلا كما لا يخفى
على من عرف أهل هذا اللسان ، وكون عينها من شرب منها أو اغتسل
كان طاهراً إلى يوم القيامة ، هذا أدهى وأمر ، فما معنى طهور الشارب
والمغتسل إلى يوم القيامة ، فان كان من الجنابة ولو أجنب بعد ، فهذا مذهب
أهل المعمودية ، وهو منابذ لصريح الشريعة المحمدية ، وان كان طاهراً من
الذنوب ، فهو شيء لم يثبت للشارب المغتسل من زمزم المرغوب ، وان
كان غير ذلك فلا ندريه .

والحاصل أنه لا معنى له فقبح الله واضعه ، فانه ما أراد إلا تنقيص
رسول الله ﷺ ، وهو اما جاهل مفسد ، أو زنديق ملحد . وأما حديث
الجوهري وصاحب المختار : طوبى لمن رأى عكا فهو من وادي الأول
فان المساجد الثلاثة التي شرفها الله تعالى بالنص والاجماع لم يرد فيها طوبى
لمن رآها ، ولا يغتر بذكره في الكتابين المذكورين ، فان أصحابها ليس
لهما قدم في السنة ، ولا يجوز أخذ حديث من كتاب إلا بعد مراجعة أصوله
المعتمدة ، والقاعدة السابقة في البلدان تردّه ، والبينة على المدعي ، فان
قواعد الأئمة لا تعارض إلا بنقل ثابت عن أثبات الأمة ، وهـذا الإمام
الرافعي إمام السنة والتفسير والفقه المجمع على جلالته ، أورد احاديث في
كتاب : التدوين ، في مناقب قزوين ومرو وبخارى ونصيبين ، فأقامت عليه
علماء ، الأمة القيامة ، ورموه بقوس واحدة مع أنه إمام علامة . والاغترار
بكل ما سطر ليس على الفضل علامة ، وطوبى هذه ليست طوبى الجنات
بل هي طوبى تحتها عقارب وحيات ، وكم من حديث فيه طوبى لا يساوي
عند الأعلام طوبة ، وامـــا عينها عين البقر ، ففضلها مفترى منكر ،
غير معتبر .

وأما الحديث الطويل الذي آخره : واختار من العيون أربعا ، فذكر فيها عين عكا ، فقد قال السيوطي وابن عراق وصاحب مثير الغرام منكر بالمرة . وهذا صاحب مثير الغرام وصاحب الأنيس الجليل ، قد ذكرا فضائل مدن الشام على ما فيها ، ولم يذكرا لعكا فضيلة مع انها بهذا الصدد ، فلو ثبت لها أدنى فضيلة لطرزا بها كتابيهما ، فانهما لم يصنعا كتابيهما إلا لنشر المحاسن الشامية ، وأي محاسن أعظم من غفران الذنوب وطهارة الأبد ؟ لاجزى الله الواضعين خيراً في الدنيا والآخرة، الذين ينسبون لرسول الله ﷺ ما لا يليق بمنصب الفضلاء ، فضلاً عن مقام سيد الأنبياء .

(الخاتمة) لا يهولنك ويعظم عليك قولنا سابقاً لا يغتر بذكر الجوهري وصاحب المختار فتقول هذه جرأة على الجهابذة الأخيار ، فاعلم انه ليس كل قيل يقال ، ولا كل ميدان تجول فيه الرجال ، فكم من همام جهبذ في علم لا قدر له في علم الآخر ، وهذا القاضي البيضاوي سيد المحققين قد أودع تفسيره أحاديث السور ، وغالبها موضوع باجماع المحدثين أهل النظر ، وهذا الجلال المحلي على جلالة محله ، نقل حديث أنا أفصح من نطق بالضاد وكذا شيخ الإسلام تلميذه ، وهو موضوع عند النقاد ، ولو تتبعنا أمثال هذه لأسهبنا وأبعدنا كل الابعاد . ولقد كنت نظمت أبياتاً قبل هذه الرسالة ، فأحببت ذكرها لتتميم المقالة وهي :

أقول لأرباب الحديث تبصروا ... حديثي فقولي عندكم غير مفترى

أحاديث عكا لايشك بأنها ... أباطيل لاتعزى الى سيد الورى

كقزوينهم واسكندرية مثلها ... ومرو ، ولو كان الحديث مسطرا

وما صاحب المختار يروى حديثه ... ولا الجوهري من بالصحاح تجوهرا

وأما الإمام الحبر مجد زمانه ... فذاك من الحفاظ ممن لها درى

وما الرافعي مع مجده ورسوخه ... بتدوينه المعروف يرويه من قرا

أفاد أحاديثاً لقزوين مدحة ... فزيفها الأعلام ممن رقى الذرى

ومن شرطه أن لا اغترار بكل ما يسطر في كتب إلى أن ينقرا
فهذا سبيل الراسخين سلكته مخافة يوم العرض من وصمة الفرى
وأهدي صلاة مع سلام لأحمد وآل وصحب ما رياض تعطرا

(تذييل) : لا يغتر بأحاديث الخُطب ولا كتب التواريخ ولا القصص ولا الرقائق ولا كتب اللغة حتى تراجع أصولها ، وتحقق فصولها ، وهذا المقام واسع المدى فياض الندى ، وفي هذا القدر كفاية والله ولي العنـاية ، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ماطابت بذكره الأفواه ، قال مؤلفها رحمه الله : تمت في ذي القعده سنة ١١٧٢ وقد تم نقلها من نسخة منقولة عن نسخة مؤلفها .

توفي المترجم المرقوم رحمه الله تعالى بعد المائتين بقليل ولم أقف على مكان موته ودفنه .

الشيخ محمد سعيد افندي بن الشيخ عبد الستار بن الشيخ ابراهيم الاتاسي الحنفي مفتي مدينة حمص الشامية

عالم لايبارى وفاضل في ميدان الفضائل لايجـارى ، ولد سنة أربع عشرة بعد المائتين والألف ونشأ في حجر والده المرقوم ، فأخذ عنـه أكثر المتداول من الكتب والفنون ، الى أن صار كعبـة المسائل وبغية المقاصد والوسائل ، نافذ القول ، قوي القوة بالقوي المتين والحول . وكان رحمه الله مهاباً جسوراً فصيح اللسان ، وولي منصب الافتاء في حمص عن أهلية واستحقاق . وله شعر أرق من نسيم الصبا ونثر ألطف من خلـع العذار في زمن الصبا ، وتحقيقات أنيقة وأبحاث رقيقة ، وتقييدات علية وتدقيقات سنية . ولم يزل مثابرا على السلوك في منهج الفضائل مقصودا لحل مشكلات السادة الأفاضل ، إلى أن ألحقته المنية بمن مضى وأحلته في ساحة العفو والرضى . وذلك غرة محرم الحـرام سنة ست وسبعين بعد المائتين والألف من هجرة سيد الأنام .

الشيخ محمد الخشني الشافعي المصري الأشعري الازهري

العالم المشهور بالصلاح والفاضل المعروف بالتقوى والفلاح ، نزل في الجامع الأزهر والمكان الأرفع الأنور ، فحفظ القرآن الشريف وأتقنه غاية الإتقان ، ثم التفت إلى طلب العلم مع العمل والاذعان وقد لاحظته عين الرعاية والاسعاد والبسته ثوب العناية والاستعداد ، فتخرج على الشيخ عطية الأجهوري وغيره من أشياخ العصر ، كالحفني والعدوي من أفاضل شيوخ مصر . وكان مسكنه في خطة السيدة نفيسة ، ويأتي في كل يوم إلى الأزهر فيقرأ دروسه ، ثم يعود إلى داره متقللاً في معيشته ، متمسكا بتباعده عن الناس وعزلته . وهو آخر الطبقة العالية والمشيخة السامية ، ولما نزلت به دواعي المنية وأرادت أن تلحقه بالعصابة العلية ، تمرض شهوراً بمنزله الذي في المشهد النفيسي ذي الشأن ، وكان دائما يسأل عن الشيخ البجيرمي سليمان ، يقول لا أموت حتى يموت هذا الهمام ، لأني رأيت النبي ﷺ في المنام ، وقال له أنت آخر اقرانك موتا ، فعلمت أن موتي قبله لايتأتى ، ولم يكن بقي من اقرأني سوى هذه الذات العلية فلذلك أسأل عنه أهو حي أم اخترمته المنية ؟ ثم مات البجيرمي بقرية مصطية ومات هو بعده بثلاثة أشهر عددية ، وكانت وفاته في يوم الاثنين خامس وعشرين من ذي الحجة الحرام سنة إحدى وعشرين ومائتين والف من هجرة سيد الأنام . ولم يحضروا بجنازته الى الأزهر ، بل صلي عليه في المشهد النفيسي ودفن في ذلك المقام الأنور .

الشيخ محمد بن يوسف بن بنت الشيخ محمد بن سالم الحفناوي الشافعي الازهري

العمدة الفاضل حاوي الكمالات والفضائل ، عين الأعيان ونخبة الاقران . ولد سنة ثلاث وستين ومائة والف وتربى في حجر جده وتخلق بأخلاقه ،

وحفظ القرآن والألفية ، وأكثر المتون المتداولة . وحضر دروس جده وأخي جده الشيخ يوسف الحفناوي ، وحضر أشياخ الوقت كالشيخ علي العدوي والشيخ أحمد الدردير والشيخ عطية الاجهوري والشيخ عيسى البراوي وغيرهم ، وتمهر وأنجب ، وأخذ طريق الخلوتية عن جده ولقنه الأسماء . ولما توفي جده ألقى الدروس في محله بالأزهر ، ونشأ من صغره على أحسن طريقة وعفة نفس ، وتباعد عن سفاسف الأمور الدنيئة ، ولازم الاشتغال بالعلم ، وفتح بيت جده وعمل به ميعاد الذكر كعادته ، وكان عظيم النفس مع تهذيب الاخلاق والتبسط مع الاخوان والممازحة ، مع تجنبه ما يخل بالمروءة ، وله بعض تعليقات وحواش وشعر مناسب ، ولم يزل على حالته إلى أن توفي يوم السبت رابع شهر ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين ومائتين والف ، وصلي عليه في الأزهر في مشهد عظيم ، ودفن مع جده في تربة واحدة بمقبرة المجاورين ولم يخلف ذكورا .

الشيخ محمد الحصافي المصري الازهري الشافعي
الفقيه النحوي الفرضي

فقيه عصره نبيه مصره ، ونحوي زمانـــه وفرضي وقته وأوانه ، من ارتقت في معالي الفضائل ملكته وافتخرت به أقرانه وطبقته ، وعرف بالزهادة والعبادة واستوى على منصة السيادة ، حضر أشياخ الطبقة الأولى ، ودرس العلوم في الأزهر وبلغ به الطلبة مراداً ومأمولا ، وأجاد في الإفادة من معقول ومنقول ، وكان متباعداً عن الاختلاط منعكفاً في زوايا الخمول ، منعزلاً عن الدنيا كما أنها منعزلة عنه . قانعاً بما قسم الله له راضياً منه ، لا يدعى إلى وليمة ، ولا يفرح بمادحه ولا يلوم مُلِيمه ، ولا ينهمك على شيء من الأمور . ولم يزل على حالته حتى جاءه الأجل المسطور . توفي يوم الأثنين ثالث عشر شوال سنة اثنتين وعشرين ومائتين والف رحمه الله تعالى .

الشيخ محمد بن عبد الفتاح المالكي الازهري
من أهالي كفرحشاد بالمنوفية

مدار العلوم والمعارف ومنار الآداب واللطائف ، العمدة المفضل والصفوة المكمل ، ذو التقوى والعبادة والرفعة والسيـــادة . قدم من بلده صغيرا فجاور بالأزهر المنير وحضر على أشياخ الوقت ولازم دروس الشيخ الأمير . وبه تخرج وتفقه ونال درجة علية ، وقرأ على غيره من السادة المالكية ، وأنجب في المنقولات وتمهر في المعقولات ، وصارت له ملكة واستحضار وشهرة كلية في الأماكن والأمصار . ثم رجع الى بلده فأقام بهـــا يفيد ويفتي في كل واقعة كلية أو جزئية ، ويرجع اليه في القضايا والدعاوى ولا يقبل جعالة ولا هدية . فاشتهر ذكره في الاقليم واعتقدوا فيه الزهد والعفاف ، وانه اذا أفتى أو قضى لا يحول عن الحق والانصاف ، لأنه لا يقبل شيئاً بحال ولا يروم سوى رضا الحق المتعال ، فهرعت الناس اليه وصـــاروا لا يعولون في قضاياهم إلا عليه ، ولا يعتمدون على سواه ولا يرومون إلا إياه ، ولم يزل على هـــذه الحالة الرضية والمنقبة السامية العلية ، حتى كان المولد المعتاد بطندتا فذهب ابن الشيخ الأمير إلى هناك ، فأتى المترجم لزيارته والسلام عليه ، ونزل في الدار التي هو نازل فيها ، فانهدمت جهته التي هو بها وسقطت عليه ، فمات شهيداً مردومـــاً ومعه ثلاثة أنفار من أهالي قرية العكروت ، فسبحان الحي الدائم الذي لا يموت ، وذلك في أوائل شهر ذي الحجة الحرام ، سنة اثنتين وعشرين ومائتين والف رحمهم ذو الجلال والإكرام .

الشيخ محمد بن عبد الرحمن اليوسي المغربي المالكي

الناسك العابد والصالح الزاهد ، والعالم العامل والفاضل الكامل . ورد إلى مصر وحج ورجع ، فهرعت الناس إلى زيارته والتبرك به ، وكان قليل الاختلاط بالناس كثير المذاكرة العلمية محفوظ المجلس مما لا يعني ، متمسكا بالسنة والعمل بها ، متواضعاً متذللا لين الجانب حسن المعاشرة جميل المجاوبة . ولم يزل عالي الهمة وافر المروءة ملازماً للطاعة والتقوى ، والأعمال الجميلة العالية ، إلى أن تعلل وتمرض ولازمه المرض سنين ، وتوفي يوم الثلاثاء ثامن عشرين المحرم وصلي عليه في الجامع الأزهر في مشهد عظيم ، ودفن بجانب الخطيب الشربيني بتربة المجاورين وهي القرافة الكبرى رحمه الله تعالى وذلك في سنة ثمان وعشرين ومائتين والف من هجرة من له الفضل والشرف .

الشيخ محمد الأسناوي الشهير بجاد المولى الأزهري

العالم المجيد والكامل المفيد ، جاور بالأزهر وحضر دروس الشيوخ الأفاضل ، ولازم الشيخ عبد الله الشرقاوي ، فحضر دروسه ومجالس أذكاره ، وتلقى عنه الطريقة الخلوتية ، وألبسه التاج وتقدم في خطابة الجمعة والأعياد في الجامع الأزهر ، بدلاً عن الشيخ عبد الرحمن البكري ، عند ما رفعوها عنه ، وخطب بجامع عمرو بمصر العتيقة يوم الاستسقاء عند ما قصرت زيادة النيل سنة ثلاث وعشرين وتأخر في الزيادة عن أوانه ، ولما حضر محمد باشا خسرو والي مصر وصلى صلاة الجمعة في الأزهر في سنة سبع عشرة ، خلع عليه بعد الصلاة فروة سمور ، فكان في كل جمعة يلبسها للخطبة فقط وفي الاعياد ، وكان ملازماً على اقراء الدروس للطلبة ، واشتهر ذكره ونما أمره في أقل زمن ، وكان فصيحاً في التقرير والالقاء لتفهيم الطلبة ، ولم يزل على حالة حميدة في حسن السلوك والطريقة ، إلى أن توفي في شهر ذي الحجة سنة تسع وعشرين ومائتين والف وقد ناهز الأربعين رحمه الله تعالى .

الشيخ محمد بن أحمد عرفة الدسوقي المالكي الأزهري

العلامة الأوحد والفهامة الأمجد ، محقق عصره ومدقق دهره ، الجامع لأشتات العلوم والمنفرد بتحقيق المنطوق والمفهوم ، بقية الفصحاء ونخبة الفضلاء ، والمتميز بالفضائل وجميل الشمائل .

ولد ببلدة دسوق من قرى مصر ، وحضر إلى مصر وحفظ القرآن وجوده على الشيخ محمد المنير ، ولازم حضور دروس الشيخ علي الصعيدي والشيخ الدردير ، وتلقى الكثير من المعقولات عن الشيخ محمد الخفاجي ولازم الشيخ حسنا الجبرتي في مدة طويلة ، وتلقى عنه بواسطة الشيخ محمد بن اسمعيل النفراوي علم الحكمة والهيئة والهندسة وفن التوقيت أيضاً ، وحضر عليه أيضاً في فقه الحنفية ، وفي المطول وغيره برواق الجبرت بالأزهر ، وتصدر للاقراء والتدريس وافادة الطلبة ، وكان فريداً في تسهيل المعاني وتبيين المباني ، يفك كل مشكل بواضح تقريره ، ويفتح كل مغلق برائق تحريره ، ودرسه يجمع أذكياء الطلاب والمهرة من ذوي الافهام والألباب ، مع لين جانب وديانة وتواضع وحسن خلق وصيانة ، وجمال وتلطف وعدم تكلف ، جارياً على سَجيته الأصلية وطريقته الفطرية ، لا يرتكب ما تكلفه غيره من التعاظم وفخامة الألفاظ في التكلم ، ولهذا كثر الآخذون عليه والمترددون إليه ، وله تأليفات واضحة العبارات ، سهلة المأخذ كاشفة لغوامض الاشكالات .

فمن تآليفه حاشية على مختصر السعد على التلخيص ، وحاشية على شرح الشيخ الدردير على سيدي خليل في فقه المالكية ، وحاشية على شرح الجلال المحلي على البردة ، وحاشية على الكبرى للامام السنوسي ، وحاشية على شرحها للصغرى ، وحاشية على شرح الرسالة الوضعية . هذا ما عني بجمعه وكتابته وبقي مسودات لم يتيسر له جمعها [1] ولم يزل على حالته

---

(١) هذه التآليف كلها جمعت وطبعت كما في معجم الأعلام (ج ٦/٢٤١) ومعجم المطبوعات (ص ٨٧٥) .

في الافادة والافتاء والإلقاء ، إلى أن مرض وتوفي يوم الأربعاء الحادي والعشرين من شهر ربيع الثاني سنة ثلاثين ومائتين والف ، وصلي عليه في الأزهر في مشهد حافل أنور ، ودفن في تربة المجاورين في المدفن الذي بداخل المحل الذي يسمى بالطاولية ، وقام بمؤنة تكفينه وتجهيزه ومصاريف جنازته ومدفنه السيد محمد المحروقي ، وكذلك مصاريف منزله في ثلاثة أيامه ، وأرسل من قيده لذلك من أتباعه بادارة المطبخ ولوازمه من الأغنام والسمن والأرز والعسل والحطب والفحم ، وجميع ما يحتاجون اليه للمقرئين والمعزين وغير ذلك مما يحتاج اليه . وقد رثاه عمدة الأخيار الشيخ حسن العطار رحمه الله تعالى بقوله :

أحادث دهر قد ألم فأوجعا ... وحل بنادي جمعنا فتصدعا
لقد صال فينا البين أعظم صولة ... فلم يخل من وقع المصيبة موضعا
وجاءت خطوب الدهر تترى فكلما ... مضى حادث يعقبه آخر مسرعا
وحلّ بنا ما لم نكن في حسابه ... من الدهر ما أبكى العيون وأفزعا
خطوب زمان لو تمادى أقلها ... بشامخ رضوى أو ثبير تضعضعا
وأصبح شأن الناس ما بين عائد ... مريضاً وثان للحبيب مشيعا
لقد كان روض العيش بالأمن يانعا ... فأضحى هشيما ظله متقشعـــا
أيحسن أن لا يبذل الشخص مهجة ... ويبكي دماً إن أفنت العين أدمعا
وقد سار بالأحباب في حين غفلة ... مرير المنايا عاجلا متسرعـــا
وفي كل يوم روعة بعد روعة ... فلله ما قاسى الفؤاد وروّعا
عزاء بني الدنيا بفقد أئمة ... لكأس مرير الموت كل تجرعا
يميناً لقد جل المصاب بشيخنا الـــ ... ـــدسوقي وعاد القلب بالهم مترعا
وشابت قلوب لا مفارق عندما ... تنكرت الأسماع صوت الذي نعا
فللناس عذر في البكاء والأسى ... عليه وأما في السواء فتجزعا
وكيف وقد ماتت علوم بفقده ... لقد كان فيها جهبذيا[1] سميذعا[2]

---

(١) الجهبذ : الناقد .

(٢) الكريم الشريف .

فمن بعده يجلو دجنة شبهة ويكشف عن ستر الدقائق مقنعا
وإن ذو اجتهاد قد تعثر فهمه فياليت شعري من يقول له لعا[1]
يقرر في فن البيان بمنطق بديع معانيه يتوج مسمعا
وسار مسير الشمس غر علومه ففي كل أفق أشرقت فيه مطلعا
وأبقى بتأليفاته بيننا هدى بها يسلك الطلاب للحق مهيعا
وحل بتحريراته كل مشكل فلم يبق للاشكال في ذاك مطمعا
فأي كتاب لم يفك ختامه إذا ما سواه من تعاصيه ضيعا
ومن يبتغي تعداد حسن خصاله فليس ملوماً إن أطال وأشبعا
فللصدق عون للمقال فمن يقل أصاب مكان القول فيه موسعا
تواضع للطلاب فانتفعوا به على انه بالحلم زاد ترفعا
وكان حليما واسع الصدر ماجدا تقياً نقياً زاهداً متورعا
سعى في اكتساب الحمد طول حياته ولم نره في غير ذلك قد سعى
ولم تلهه الدنيا بزخرف صورة عن العلم كيما ان تغر وتخدعا
لقد صرف الأوقات في العلم والتقى فما ان لها يا صاح أمسى مضيعا
فقدناه لكن نفعه الدهر دائم وما مات من أبقى علوماً لمن وعى
فجوزي بالحسنى وتوج بالرضا وقوبل بالاكرام ممن له دعا

الشيخ محمد المهدي الحفني الأزهري

الأستاذ الفاضل الفريد والملاذ الكامل المجيد ، الإمام العلامة والهمام الفهامة ، والجهبذ الفقيه والسميدع النبيه ، علامة عصره وفريد مصره ، كان والده من الأقباط فأسلم قبل بلوغه على يد الشيخ الحفني ، فحلت عليه أنظاره وأشرقت عليه أنواره ، فحضنه الشيخ ورباه وزاد في وداده ، وأنزله بمنزله مع خاصته وأولاده ، ولما ترعرع اشتغل بطلب العلم وكان جيد الهمة حسن الفهم ، فلازم دروس الشيخ وأخيه الشيخ وغيرهما من السادة الأعلام ،

(١) يقال للعاثر « لعاً لك » دعاء له أي أنعشك الله وأقامك من عثرتك .

كالشيخ العدوي والشيخ عطية الاجهوري والشيخ الدردير والبيلي والجمل والخرشي والشيخ عبد الرحمن المقري والشرقاوي وأمثالهم من القادة الفخام ، واجتهد في التحصيل وجد في منهج التوصيل ، ولازم مجالس الذكر بعد وفاة الشيخ الحفني خليفة الدردير المكين ، وتصدر للتدريس سنة الف ومائة وتسعين ، ولما مات الشيخ محمد الهلباوي سنة اثنتين وتسعين جلس مكانه في الأزهر ، وقرأ شرح الألفية لابن عقيل وغيره من العلم الأنور ، ونما أمره واشتهر ذكره ، وبَعُدَ صيته في الآفاق وطار قدره وفاق ، ولم يزل أمره ينمو واسمه يسمو ، مع حسن السمت ووجاهة الطلعة ، وجمال الهيئة وبشاشة الوجه وطلاقة اللسان وسرعة الجواب ، واستحضار الصواب في ترداد الخطاب ، ومسايرة الأصحاب ، وصاهر الشيخ محمد الحريري على ابنته ، وأقبلت عليه الدنيا وتداخل في الأكابر ونال منهم حظاً وافراً بحسن معاشرته ، وعذوبة ألفاظه وتنميق كلماته ، ومعاملة كل انسان بما يليق به .

ولما وقع الطاعون في مصر سنة خمس ومائتين وألف خصه اسماعيل بك كتخدا[1] حسن باشا الجزائرلي بما أحبه مما انحل عن الموتى من اقطاعات ورزق وغيرهما ، فزادت ثروته ونمت شهرته ، ولما حضرت الفرنساوية إلى مصر واستولت عليها خافتهم الناس وهرب كثير من العلماء والاعيان ، فكان للمترجم عندهم قدر عظيم وجاه جسيم ، فلا تهان جماعته ولا ترد شفاعته ، ولا زالت تعلو شهرته في مصر حتى صار يلقب عند الأجانب وعند الأهالي بكاتم السر ، وجعلوه رئيس الديوان ، إذا حكم قابله الجميع بالرضى والأذعان ، وكان يخدمه كبراء الناس وعظماؤهم ، ويلتجىء إليه أعيانهم وعلماؤهم ، وكان يؤمن من أراد ويرده إلى الوطن والبلاد ، فلا يعارضه أحد ولا يصل إلى من احتمى به هم ولا نكد ، فحسن صنعه وعم نفعه .

ولما انتقل الحكم إلى العثمانيين ، بقي على حاله وقدره المكين ، ولما كان آخر المحرم سنة ثلاثين ومائتين والف توعك المترجم أياما ، ثم عوفي

(١) وكيل النفقة .

وذهب إلى الحمام وهنأه الناس بالعافية ، وذهب إلى جيرانه يتحدث عندهم كعادته ، فخرج ليلة الجمعة الثاني من شهر صفر ودخل عند عثمان بن سلامة السناري ، فتحدث عندهم حصة من الليل ، ثم قام ذاهباً إلى داره ماشياً على أقدامه حتى وصل إلى داره ومضى نحو ساعة ، وقد جامع زوجته واضطجع فحركوه فإذا هو ميت فجهزوه وصلي عليه في الأزهر ودفن عند الشيخ الحفني بجانب قبره ، فسبحان الحي الذي لا يموت ، وكان عمره نحواً من خمس وسبعين سنة .

وحاصل أمر المرحوم المترجم انه كان من فحول العلماء يدرس الكتب الصعاب في المعقول والمنقول ، بالتحقيق والتدقيق ، وانتفع عليه الكثير من الطلبة إلى أن صاروا مدرسين مميزين على أقرانهم من أهل العصر ، ولو أنه استمر على طريقة أهل العلم السابقين وبعض اللاحقين ، ولم يشتغل بالانهماك على الدنيا وكثرة المداخلة مع الأكابر وذوي الحكومة ، لكان نادرة عصره ونقطة مدار مصره ، ولكن ذلك أداه الى قطع الاشتغال ، حتى انه إذا ابتدأ كتاباً كان في الغالب لا يتمه ، ولا ألف كتاباً ولا رسالة في فن من الفنون مع كمال أهليته لذلك [١] . ثبت الله قلوبنا على التقوى وحفظنا من كل تقصير في السر والنجوى ، وعصمنا والمسلمين مما يضر ويشين .

الشيخ محمد بن محمد [٢] بن عبد القادر بن عبد العزيز المالكي الازهرى الشهير بالامير الكبير

العالم العلامة الفاضل الفهامة ، صاحب التحقيقات الرائقة والتأليفات الفائقة ، شيـــخ شيوخ أهل العلم وصدر صدور أهل الفهم ، المتفنن في العلوم كلها ، نقليها وعقليها وأدبيها . اليه انتهت الرياسة في العلوم بالديار

---

(١) قال في معجم المؤلفين ، من آثاره : « تحفة المستيقظ الآنس ، في نزهة المستنيم الناعس » (ج ١٢ ص ٥٧) .

(٢) في تاريخ الجبرتي وغيره بن أحمد بن عبد القادر الخ .

المصرية ، وباهت مصر ما سواها بتحقيقاته البهية . استنبط الفروع من الأصول ، واستخرج نفائس الدرر من بحور المعقول والمنقول ، وأودع الطروس فوائد وقلدها عوائد وفرائد .

وشهرته بالأمير إنما جاءته من جده الأدنى أحمد ، وسببه ان أحمد وأباه عبد القادر كان لهما أمرة بالصعيد ، وأخبر المترجم عن نفسه أن أصلهم من المغرب ، نزلوا بمصر عند سيدي عبد الوهاب أبي التخصيص كما أخبر عن ذلك وثائق لهم . ثم التزموا بحصته بناحية سنبو وارتحلوا اليها ، وقطنوا بها وبها ولد المترجم . وكان مولده في شهر ذي الحجة سنة أربع وخمسين ومائة والف باخبار والديه ، وارتحل معهما الى مصر وهو ابن تسع سنين وكان قد ختم القرآن فجوده على الشيخ المنير على طريقة الشاطبية والدرة ، وحبب اليه طلب العلم ، فأول ما حفظ متن الآجرومية وسمع سائر الصحيح والشفاء على سيدي علي بن العربي السقاط ، وحضر دروس أعيان عصره ، واجتهد في التحصيل ، ولازم دروس الشيخ الصعيدي في الفقه وغيره من كتب المعقول ، وحضر على السيد البليدي شرح السعد على عقائد النسفي ، والأربعين النووية ، واستمع الموطأ على هلال المغرب وعالمه الشيخ محمد التاودي بن سودة بالجامع الأزهر سنة وروده بقصد الحج ، ولازم المرحوم حسنا الجبرتي سنين ، وتلقى عنه الفقه الحنفي وغير ذلك من الفنون كالهيئة والهندسة والفلكيات والأوفاق والحكمة ، بواسطة تلميذه الشيخ محمد بن اسماعيل النفراوي المالكي ، وكتب له إجازة مثبتة في برنامج شيوخه ، وحضر الشيخ يوسف الحفني في آداب البحث وبانت سعاد ، وعلى الشيخ محمد الحفني أخيه مجالس من الجامع الصغير والشمائل والنجم الغيطي في المولد ، وعلى الشيخ أحمد الجوهري في شرح الجوهرة للشيخ عبد السلام ، وسمع منه المسلسل بالأولية ، وتلقى عنه طريق الشاذلية من سلسلة مولاي عبد الله الشريف ، وشملته إجازة الشيخ الملوي ، وتلقى

عنه مسائل في أواخر أيام انقطاعه بالمنزل ، ومهر وأنجب وتصدر لإلقاء الدروس في حياة شيوخه ، ونما أمرهُ واشتهر فضله ، خصوصاً بعد موت أشياخه ، وشاع ذكره في الآفاق وخصوصاً بلاد المغرب ، وتأتيه الصلات من سلطان المغرب وتلك النواحي في كل عام ، ووفد عليه الطالبون للأخذ عنه والتلقي منه ، وتوجه في بعض المقتضيات إلى دار السلطنة ، وألقى هناك دروساً حضره فيها علماؤهم ، وشهدوا بفضله واستجازوه فأجازهم بما هو مجاز بهِ من أشياخه .

وصنف عدة مؤلفات اشتهرت بأيدي الطلبة وهي في غاية التحرير ، منها مصنف في فقه مذهبه سماه المجموع حاذى به مختصر خليل ، جمع فيه الراجح في المذهب وشرحه شرحاً نفيسا ، وقد صار كل منهما مقبولاً في أيام شيخه العدوي ، حتى كان إذا توقف شيخه في موضع يقول هاتوا مختصر الأمير ، وهي منقبة شريفة ، وشرح مختصر خليل ، وحاشية على المغنى لابن هشام ، وحاشية على الشيخ عبد الباقي على المختصر ، وحاشية على الشيخ عبد السلام على الجوهرة ، وحاشية على شرح الشذور لابن هشام ، وحاشية على الأزهرية ، وحاشية على الشنشوري على الرحبية في الفرائض ، وحواش على المعراج ، وحاشية على شرح الملوي على السمرقندية ، ومؤلف سماه النيرين فيما يتعلق بالقدرتين ، وإتحاف الإنس في الفرق بين اسم الجنس وعلم الجنس ، ورفع التلبيس عما يسأل به ابن خميس ، وثمر الثمام في شرح آداب الفهم والافهام ، وحاشية على المجموع ، وتفسير سورة القدر [١] . ومن نظمه قوله متغزلاً :

أيها السيد المدال ضـاعت	في الهوى ضيعتي وأنسيت نسكي
بالك الله لا تمل لسوائي	وتحكم ولو بما فيه فتكي
وانظر الحق في علو غنـاه	كل شيء يمحوه غير الشرك

---

(١) أكثر هذه المؤلفات مطبوع كما في معجم المطبوعات وغيره .

ولة في التشبيه

يا حسن لون الشمس عند غروبها ... في روض أنس نزهة للأنفس
فكأنه وكأنه في ناظري ... ذهب يجول على بساط سندس

وله أيضاً

تخيلت أن الشمس والبحر تحتها ... وقد بسطت منها عليه بوارق
مليح أتى المرآة ينظر وجهه ... ففي وجهها من وجهه الضوء دافق

وله أيضاً

يامالك القلب من بين الملاح وان ... توهم الغير ان القلب مشترك
إني أغار على حظي لديك فغرّ ... أيضاً على قلب صب فيك مرتبك
وقل لهم ينتهوا عمـــا تسوله ... نفوس سوءهم طرق الردى سلكوا
توهموا أنهم حلوا وقد ملكوا ... ويعلم الله ما حلوا وما ملكوا
يا سيد الكل يا قطب الجمال ومن ... في دولة الحسن يروى انه الملك
ما كان قلبيَ يهوى الغير يا أملي ... فابعث رميمي َإذ أهل الهوى هلكوا
واسقط البين وارفع حجب شأنك لي ... ليشتفى خاطر بالفكر يعترك
بلطف ذاتك لا تقطع رجاء فتى ... على عيوب له بالعهد يمتسك

وله أيضاً

دع الدنيا فليس بهـــا سرور ... يتم ولا من الأحزان تسلم
ونفرض انه قد تم فرضا ... فغم زواله أمر محـــتم
فكن فيها غريباً ثم عي ... إلى دار البقـــا ما فيه تغنم
وان لا بـــد من لهو فلهو ... لشيء نافـــع والله أعلم

وله غير ذلك من النظم المليح والذوق الصحيح ، واللسان الفصيح .
وكان رحمه الله رقيق القلب لطيف المزاج ، ينزعج طبعه من غير انزعاج ،
يكاد الوهم يؤلمه وسماع المنفر يوهنه ويسقمه . ولا زال تضعف قواه وتتراخى
أعضاه وتزيد شكواه ، ويتراخى ويتعلل ويزداد أنينه ومرضه ويتحمل ،

وداعي المنون يدعوه ولا يدعه ويرفعه على كاهل الرحيل ولا يضعه .
إلى أن توفي يوم الاثنين عاشر ذي القعدة الحرام سنة اثنتين وثلاثين ومائتين والف من هجرة سيد الأنام ، وكان له مشهد قد انتهى فيه الاجتماع والازدحام، ودفن في الصحراء بجوار مدفن الشيخ عبد الوهاب العفيفي بالقرب من عمارة السلطان قايتباي وكثر عليه الأسف ولم يكن مثله فيمن خلف[١] .

الشيخ محمد الشنواني الازهري الشافعي

حبر العلماء الأعلام وبحر الفضلاء الفخام ، شيخ الاسلام وعمدة الأنام ، الفقيه العلامة والنحرير الفهامة ، شيخ الجامع الأزهر والمكان الأبهى الأنور ، النحوي الأصولي الفقيه والمحدث المفسر النبيه ، حضر الأشياخ الأوائل والسادة الأفاضل ، كالشيخ فارس وكالصعيدي والدردير والقرماوي ، وتفقه على الشيخ عيسى البراوي ، ولازم دروسه وبه تخرج ، واقرأ الدروس وأفاد الطلبة بالجامع المعروف بالفاكهاني ، مهذب النفس كثير التواضع والانكسار والبشاشة لكل أحد من الناس ، ويشمر ثيابه ويخدم بنفسه ويكنس الجامع ويسرج القناديل .

ولما توفي الشيخ عبد الله الشرقاوي اختاروه للمشيخة فامتنع وهرب إلى مصر العتيقة ، فأحضروه قهراً عنه وولوه المشيخة . ولم يزل ملازماً لجامع الفاكهاني كعادته وأقبلت عليه الدنيا فلم يتهنّ بها ، واعترته الأمراض ولازمه داء الزحير أشهراً ، ثم عوفي ثم لازمته الحمى وانقطع بها في داره ، إلى أن توفي يوم الأربعاء رابع عشرين محرم الحرام سنة

---

(١) في تاريخ الجبرتي ـ بعد هذه الترجمة ما يأتي : وخلّف ولده العلامة النحرير ، الشيخ محمد الأمير ، وهو الآن أحد الصدور كوالده ، يقرأ الدروس ويفيد الطلبة ، ويحضر الدواوين والمجالس العالية ، بارك الله فيه اهـ من ج ١٢/١٦١ على هامش تاريخ الكامل لابن الأثير الجزري .

ألف ومائتين وثلاث وثلاثين ، وصلى عليه في الأزهر في مشهد عظيم ، ودفن في تربة المجاورين .

وله عدة تآليف منها حاشية جليلة على شرح الشيخ عبد السلام على الجوهرة وتقلد مشيخة الأزهر بعده الشيخ محمد بن الشيخ أحمد العروسي من غير معارض ولا منازع [(١)] .

الشيخ محمد بن احمد بن محمد المعروف بالدواخلي الأزهري الشافعي

العمدة الكامل والعالم العامل . ولد بمصر وتربّى في حجر أبيه وحفظ القرآن واجتهد في طلب العلم ، وحضر الأشياخ من أهل وقته كالشيخ محمد عرفة الدسوقي والشيخ مصطفى الصاوي والشيخ عبد الله الشرقاوي . وبرع في المعقول والمنقول ، وأقرأ الدروس من سائر الفنون ، وتداخل في قضايا الدعاوى بين الناس ، واشتهر ذكره وعلا قدره ، وكان له لدنياه والمال والجاه ميل كثير ، ولا يقنع بالكثير فضلاً عن اليسير ، وتقلد النقابة بعد موت الشيخ محمد بن وفا ، وركب الخيول ولبس التاج الكبير ، ومشى أمامه الخدم والمقدمون ، وازدحم بيته بأرباب الدعاوى والتشكيات ، وعمر داره وأنشأ تجاهها جامعاً عظيما ، وداخله الغرور ، وظن أن الدهر يديم له المسرة والحبور .

فأول ما ابتدأه الدهر من نكباته أن مات ولده أحمد ، وقد ناهز البلوغ ولم يكن له من الذكور غيره ، فاختل نظام معاشه ولازمه الكدر ودفنه في جامعه الذي بناه تجاه بيته ، وبنى عليه بناء ومقصورة مثل المقامات التي تقصد للزيارة ، ثم انه التفت إلى مناصبه ، ورجع إلى سلوك مذاهبه ، وخالط الوزراء وتداخل مع الكبراء ، إلى أن صار من أعيان

---

(١) ولبس الخلع من بيوت الأعيان مثل البكري والسادات وباقي أصحاب المظاهر اهـ من الجبرتي في (من مات سنة ١٢٣٣) .

الرؤوس ورؤوس الأعيان ، يشار اليه ، ويعتمد في جليل الأمور عليه ، ويفصل القضايا والخصومة ، ولا يعارضه الباشا ولا غيره من ذوي الحكومة . وتطاول على رؤوس الكتبة الأقباط . وسلك في غروره جهة الافراط ، إلى أن ضاق صدر الوالي منه وأعرض بالكلية عنه ، وأمر بنفيه إلى دسوق ، وذلك سنة احدى وثلاثين فأقام بها أشهراً ، ثم توجه بشفاعة السيد المحروقي إلى المحلة الكبرى ، فلم يزل بها منحرف المزاج مستعملا للعلاج ، مع كونه يراجع السيد المحروقي في أن يشفع له عند الباشا في الاذن بالحج أو بالعود إلى مصر ، فلم يؤذن له ، ولم يزل في المحلة إلى أن توفي في منتصف شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وألف ، رحمه الله تعالى وعفا عنا وعنه بمنه وكرمه (١) .

الشيخ محمد سعيد بن ابراهيم الحموي

العلامة الفاضل والجهبذ الكامل ، ولد في حماة سنة ألف ومائة وخمس وخمسين ، وبعد بلوغه اكب على طلب العلم الشريف ذي المقام السامي المنيف ، إلى أن حصل منه مطلوبه واقتطف من ثمراته مرغوبه ، وقد أخذ عن سادات أكابر وقادات على مثلهم تجتنى المفاخر ، منهم الشيخ حسن الحموي ابن كديمة والشيخ منصور الحلبي الخلوتي وأبو الطيب المغربي المدني والشيخ صالح الجينيني والشيخ عبد الرحمن العيدروسي والشيخ أحمد الملوي والشيخ محمد الحفني والشيخ أحمد الجوهري والشيخ عمر الزاهد الدمياطي والشيخ حسن الرشيدي والشيخ عبد الله الحواط الحموي والشيخ فرج الحموي والشيخ يوسف الفقيه والشيخ عمر الكردي وعلي افندي الداغستاني والشيخ محمد التافلاتي المغربي وغيرهم .

---

(١) ملخصة من تاريخ الجبرتي في وفيات (سنة ١٢٣٣) .

وأخذ عنه غب أن توطن دمشق الشام سيدي من لنا إليه شريف القرابة ، السيد محمد عابدين ، وأجازه بما تجوز له روايته عن مشايخه المرقومين وغيرهم .ولا زال على افادته واستفادته وتقواه وطاعته ، إلى أن توفي خامس عشر ذى الحجة الحرام ،سنة الف ومائتين وست وثلاثين رحمه الله تعالى .

الشيخ محمد بن محمد الجديني الشافعي خطيب قرية كفرسوسيا

فقيه زاهد وفقير صابر عابد ، ذو تقوى وصلاح وسكينة ونجاح ، نشأ في العلم والطلب ولم ينظر في تحصيل الدنيا إلى سبب ، قرأ على كثير من العلماء والسادة الفضلاء ، لكنه لازم شيخنا العلامة الفاضل والجهبذ الكامل ، الشيخ محمد بن مصطفى الطنطاوي ، فانتفع به كثيراً إلى أن صارحقيقاً بالعلم وجديرا ، وحينما فصل الشيخ سعيد الخالدي من خطابة القرية المرقومة تولى خطابتها المترجم ، فترقى على سلفه وتقدم ، وكان كثير التردد إلي ويعتمد في بعض أموره المهمة علي ، وقرأ عندي رسائل الربع المقنطر والمجيّب إلى أن صار به كما رام وأحب ، وكان فقير الحال ظاهر اللطف والجمال ، جميل العشرة نظيف القشرة . ولم يزل على منهاجه القويم إلى أن خطبته المنية إلى جوار الكريم ، فتوفي ليلة الجمعة ثاني وعشرين من ذي القعدة الحرام سنة الف وثلاثمائة واربع . وفي ليلة الجمعة صلى العشاء بالجماعة بغاية الاعتدال ، فتوعك في الليل قليلا ومات في الحال ، رحمه الله تعالى .

الشيخ محمد بن مصطفى بن محمد الانطاكي الحنفي السمرّجي

العالم العامل ، الفقيه الورع المتدين ، الفاضل الكامل الزاهد العابد المتفنن ، ولد سنة سبع وعشرين ومائة والف ، وقرأ على المحقق الشيخ حسن

الانطاكي ، وأبي عبد الله محمود بن محمد الانطاكي ولازمه كثيراً وسمع عليه الحديث وغيره وأخذ عنه وانتفع به ، وأجازه هو وغيره من أهل العصر بخطوطهم ، وفاق وتنبل وحصل الفضل الذي لا يجحد ، وبرع في الفقه والأصول والفروع ، ولازم العلماء واستفاد ، ثم درس واقرأ وأفاد ، وكتب مسائل الفتوى وراجعته الناس ، وأقبلت عليه العلماء والمُفْتُون ، وعليه قرأ جماعة من ذوي الطلب ، وكان كثير الفضل والديانة ، والزهادة والعبادة والتقوى وحسن السلوك ، وجمال اللطف والمعاشرة ، توفى سنه الف ومائتين وبضع سنين رحمه الله تعالى .

الشيخ محمد بن عثمان بن محمد بن عثمان الحلبي الحنفي الشماع

فرد زمانه وعالم عصره وأوانه ، زبدة الأفاضل وخزانـة الفضائل ، الفقيه الفرضي البياني ، والأصولي المنطقي المُعاني للمعاني ، والمحدث الخبير والناقد الشهير .

ولد بحلب سنة اربع ومائة والف ، وقرأ غالب الفنون على البرهان ابراهيم بن مصطفى الحلبي المَداري ، وأبي عبد الله جابر بن عودة الحوراني الشافعي ، وأبي المحاسن يوسف بن حسين الدمشقي الحسيني المفتي ، وأبي عبد الله محمد بن الحسن بن همات الدمشقي الحنفي وأبي عبد الله محمد بن ابراهيم الطرابلوسي [١] ثم الحلبي وتفقه عليه ، وتخرج في المســائل الشرعية والعقلية ، وقرأ على غيرهم من الأجلاء ، وروى بالسند العالي عن المعمر المسند الكبير زين الدين بن عبد اللطيف الشعيفي الجلّوصي كاتب الفتوى الحنفي المتوفى سنة سبع وعشرين ومائة والف ، وكتب مسائل الفتوى وراجعه المستفتون واعتمدوه واعتبره العلماء المفتون . ولم يزل محترم القدر مرفوع الرقبة مشهور الذكر ، عليّ المقام سني الاحترام ، حسن الإفادة وافر العبادة صادق الزهادة ، لا يشغله هواه عن الإقبال على مولاه ، إلى أن توفي سنة الف ومائتين وأربع رحمه الله تعالى ونفعنا به .

---

(١) كذا في الأصل .

الشيخ محمد بن حجازي بن محمد الحلبي الشافعي

العالم الفاضل المتقن والعامل الجهبذ المتفنن ، النظار الأصولي الفقيه ، والنحوي الصرفي الجدلي النبيه .

ولد سنة إحدى وأربعين ومائة والف ، واشتغل بالأخذ والقراءة ، فقرأ على أبي الثناء محمود بن شعبان البزستاني الحنفي ، وأبي عبد الله محمد بن كمال الدين الكبيسي ، ولازم تاج الدين محمد بن طه العقاد وبه تخرج في أكثر العلوم ، وسمع منه أكثر صحيح البخاري وشيئاً من صحيح مسلم وغيرهما من كتب الحديث ، وأخذ عنه القراءات من طريق الشاطبية وانتفع به ، وأخذها أيضاً عن أبي عبد اللطيف محمد بن مصطفى البصري شيخ القراء بحلب ، وأبي محمد عبد الرحمن بن ابراهيم المصري ، وقرأ على أبي السعادات طه بن مهنا الجبريني شيئاً من أصول الحديث وشيئاً من صحيح البخاري ، وحضره في دروسه الفقهية ، وقرأ المنطق وأخذه عن الشهاب أحمد بن ابراهيم الكردي الشافعي مدرس الأحمدية بحلب ، وقرأ المختصر في المعاني والبيان على أبي الحسن علي بن ابراهيم العطار والفية الأصول للسيوطي ، وشرح السراجية ، وقرأ على أبي محمد عبدالقادر الديري المنهاج بطرفيه ، وشرح المنهج للقاضي زكريا الأنصاري ، وقرأ الكثير على الأجلاء وسمع منهم وأتقن وفضل ومهر ونبل ، ودرس وأفاد ، وأقرأ جماعة كثيرين وأخذوا عنه وما منهم إلا من انتفع به واستفاد ، وكان من العلماء المشهورين والفضلاء المذكورين ، وكان يحترف ويأكل من شغله ، ولا يقبل من أحد إلا ما دعت الضرورة اليه ، يغلب على حاله الزهد والعفاف والرضى برزق الكفاف . وكان قليل الاختلاط بغيره ، لا يألف إلا ما يفوز منه بخيره ، كثير العبادة والتقوى شديد الاقبال على عالم السر والنجوى ، دائم التفكر في الله لا يشغله عنه سواه .

مات بعد سنة خمس ومائتين والف [١] .

الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن فتيان بن محمد بن فتيان بن عثمان الحلبي الشافعي العقيلي

الخلوتي العالم الفقيه الفاضل والألمعي اللوذعي الكامل ، والعامل الهمام والجهبذ الامام .

ولد سنة سبع وأربعين ومائة والف وقرأ القرآن العظيم وحفظه على شيخ القراء الشمس محمد بن مصطفى البصيري الحلبي ، وعلى والده عبد اللطيف المقري ، والشهاب أحمد البصراوي وغيرهم . وتفقه على أبي محمد عبد الهادي المصري ، وعلى الشيخ أبي عبد الوهاب بن أحمد المصري وقرأ عليه التحرير والشربيني ، وقرأ المنهاج والمنهج وغيره من كتب المذهب على أبي محمد عبد القادر بن عبد الكريم الديري . ولما قدم حلب أبو عبد الله محمد بن محمد الطيب الفاسي المغربي وعقد مجلس الاقراء والتحديث ، سمع منه الصحيح للامام البخاري وأجاز له ، وسمع الشمائل على أبي محمد عبد الكريم ابن أحمد الشراباتي وأجاز له أيضاً ، وسمع أيضاً على أبي اليمن محمد بن طه العقاد وغيره . وقرأ في العربية على أبي العدل قاسم بن علي التونسي المالكي وعلى أبي عبد الرحمن محمد بن أحمد المكتبي وأخذ عنه بعض الطرائق ، وقرأ في الفرائض على أبي الفضيل عثمان بن عبد الرحمن العقيلي

(١) أضاف الأستاذ الطباخ – بعد نقله هذه الترجمة – ما نصه ، اقول : وله من المؤلفات منظومة في علم الفرائض ، سماها « العقود البرهانية » شرحها الشيخ عبد الله الميقاتي المتوفى سنة ١٢٢٣ وشيخ مشايخنا العلامة أحمد الترمانيني المتوفى سنة ١٢٩٣ في أربع كراريس ، وشرحها شيخنا الفاضل الشيخ كامل الهبراوي شرحاً أفاد فيه وأجاد ، وقد قرظت هذا الشرح المفيد في جملة من قرظه اهـ (ج ٧) من تاريخ حلب .

الحلبي ، وأجاز له غالب شيوخه بالاجازة العامة ، وأخذ الطريقة الخلوتية عن أبي الفتوح محمد كمال الدين بن مصطفى البكري الصديقي ، والرفاعية عن قريبه الشهاب أحمد بن محلول الزنار والطريقة العقيلية عن أقاربه عن أسلافهم ، وتفوق وفضل وتفقه ونبل ، ودرس في جامع التوبة خارج باب النيرب ، وأقام الذكر والتوحيد في مقام ولي الله تعالى جاكير ، وكان بحلب من المشايخ المعروفين بالفضل والصلاح ، وكان من جملة من أخذ عن المترجم وانتفع به وبعلومه مفتي دمشق الشام محمد خليل أفندي المرادي ، وأجازه بما تجوز له روايته عن مشايخه ، وذلك سنة خمس ومائتين وألف حين كان في حلب . وما زال المترجم على حالة صالحة واستقامة راجحة ، إلى أن دعاه داعي المنون إلى دار من أمره بين الكاف والنون ، وذلك سنة ألف ومائتين و (١) .

الشيخ محمد بن عبد الكريم بن احمد بن محمد علوان بن عبد الله الحلبي الشافعي الشهير كاسلافه بالشراباتي مفتي الشافعية بحلب

العالم المحدث الفقيه البركة الورع الصالح أحـــد الفقهاء المشهورين من المتأخرين .

مولده سنة احدى وثلاثين ومائة وألف ، واشتغل بالقراءة والتلقي والسماع والاستفادة فقرأ على والده وعلى أبي السعادات طه بن مهنا بن يوسف

---

(١) في تاريخ حلب للأستاذ الطباخ — بعد نقل هذه الترجمة وعزوها إلى حلية البشر ما يأتي ، اقول : وكانت وفاته سابع رجب (سنة ١٢١٠) كما هو مسطور على لوح قبره في تربة الشملة ، وبجانب قبر الشيخ محمد المترجم ، قبر والده الشيخ محمد ، وكان فاضلاً صالحاً متقللا من الدنيا ملازماً العبادة وتلاوة الأوراد ا هـ .

الجبريني وغيرهم ، وسمع صحيح البخاري على أبي عبد الله محمد بن صالح ابن رجب المواهي ، وأخذ عن محمد بن محمد الطيب المغربي الفاسي المالكي عند قدومه إلى حلب وسمع منه ، ومن أبي عبد الله محمد بن محمد التافلاتي المغربي ، وأجاز له الأستاذ أبو الارشاد مصطفى بن كمال الدين البكري الصديقي الدمشقي ، وجمال الدين محمد بن أحمد عقيلة المكي وأبو البركات عبد الله بن الحسين السويدي البغدادي عند دخولهم حلب ، وسمع منهم حديث الرحمة وأجازوه مع أخيه مصطفى ، وسمع الكثير منهم ، وحصل الفضل الذي لا ينكر ودرس وأقرأ الفقه والحديث وغالب الفنون .

وكان يستقيم بجامع عُبيس بساحة بزّة [١] وأفتى مدة سنين ، وصار رئيس الشافعية بحلب ، وتردد إليه الناس للاستفتاء ، وكان متواضعاً صالحاً وعالماً فاضلاً ، لين الجانب حسن المناقب ، جميل المعاشرة حسن المحاضرة . توفي رحمه الله تعالى يوم السبت خامس عشر شوال سنة ثلاث ومائتين وألف .

الشيخ محمد بن محمد الاريحاوي الحلبي الشافعي

العالم المحقق العامل الامام المدقق الكامل . مولده بأريحا سنة تسع وثلاثين ومائة وألف ، وقرأ بها بعض المقدمات ، وارتحل إلى مصر وأقام بها ولازم الشيوخ ، وقرأ على الكثير معظم الفنون ، واشتغل بالأخذ والتلقي والسماع والتحصيل ، وأخذ عن كثير ، منهم النجم الحفناوي ، والشهاب أحمد بن عبد الفتاح الملوي ، وأبو علي الحسن بن أحمد المدابغي ، وأبو مهدي عيسى البراوي وغيرهم ، ودأب واجتهد حتى اتقن وفضل ومهر ،

---

(١) في تاريخ حلب : لا زال هذا الجامع عامراً تقام فيه الجمعة ، وهو عامر بالمصلين الأوقات الخمس ، وقد اعتنى أهل تلك المحلة في ترميمه فجزاهم الله خيراً .

وأذن له شيوخه بالافتاء والتدريس ، وأجازوا له ، ثم عاد إلى حلب بفضل وافر ، وأقام بها ينشر الفضائل ويفيد الأفاضل ، وتصدر للافادة والاقراء ، ولازمه جماعة كثيرون وانتفعوا به ، ثم ضرب عن ذلك صفحاً ورام ما هو أعظم ربحاً ، واعتزل الناس واشتغل بالعبادة والسكون ، وانزوى في داره مع الورع والزهد التام ، واعتقده الناس وأقبلوا عليه ، وكانت فضائله مشهورة وأحواله مذكورة . ولم يزل على حالته الحسنة حتى مات في صفر سنة أربع ومائتين وألف ودفن بتربة الشيخ أبي نمير خارج باب قنسرين .

الشيخ محمد مكي بن موسى بن عبد الكريم الحلبي الحنفي

العالم الفقيه الأصولي المقري الضابط الصالح أبو الاتقان ، أحد القراء والحفاظ المشهورين ، والفضلاء البارعين بحلب .

مولده بها سنة خمس وأربعين ومائة وألف ، وكان جده من دمشق وارتحل إلى حلب ، ومات بها قرأ القرآن العظيم وهو ابن ثمان عشرة سنة ، وحفظه على الأجلاء من القراء ، كالشمس البصري ومحمد بن عمر الشاهين وعبد الغني المقري بمحلة الجديدة وعلي المصري وأتقن الحفظ وضبطه ، وحفظ الشاطبية وقرأ السبعة من طريقها على الشمس البصري شيخ القراء المذكور ، وشرع بالأخذ والاشتغال بالعلوم ، فقرأ الفقه والأصول والعقائد والمنطق والنحو والصرف والمعاني والبيان وغالب الفنون على جماعة ، وأسمع الحديث على جمع ، منهم أبو عبد القادر محمد بن صالح بن رجب المواهبي ، قرأ عليه الدرر وشرح النخبة في أصول الحديث والتوضيح لابن هشام وشرح الألفيـــة للأشموني والشفاء للقاضي عياض ، وعلى والده عماد الدين اسماعيل أكثر من نصف الهداية ، وشرح الجوهرة في التوحيد ، وسمع عليه

صحيح البخاري ، ومنهم قاسم بن محمد النجار قرأ عليه عدة كتب فقهية ، وأبو الحسن علي بن ابراهيم العطار قرأ عليه الدر المختار للحصكفي والقدوري ، وطالع عليه كتباً كثيرة كالبحر والذخيرة وشرح الكنز لابن سلطان والبدايع ، وقرأ عليه النصف الأول من الهداية أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الطرابلسي ، وأخذ الأصول عن محمد حاجي بن علي الكليسي مفتي الحنفية بحلب ، وقرأ على أبي محمد يوسف بن أحمد الجابري وعلى أبي الثناء محمود بن سفيان البزستاني وأبي محمد عبد الرحمن بن مصطفى البكفالوني والشيخ رضي الدين بن عثمان الشماع .

ودخل دمشق وسكن المدرسة المرادية في جوار الجامع الأموي ، ولازم زين الدين مصطفى بن محمد بن رحمة الله الأيوبي الدمشقي ، وحفظ عليه نصف الكنز ، ثم لما عاد إلى حلب أتم حفظه على شيخه محمد المواهبي ، وأجاز له غالب شيوخه بالاجازة العامة ، وكتبوا له خطوطهم ، وتفوق وضبط القراءة بوجوهها وحفظها وتلا ورتل القرآن العظيم أحسن ترتيل ، وكان من القراء الموصوفين بالتقوى والديانة والفضل . واجتمع بالسيد خليل أفندي المرادي سنة خمس ومائتين وألف ، وأخذ كل عن الآخر وأجاز كل الآخر بالاجازة العامة ، ولم يزل على حالة صالحة وعبادة راجحة ، إلى أن توفي سنة ألف ومائتين ونيف [١] .

الشيخ محمد بن عمر بن شاهين الحلبي الحنفي الرفاعي الشاذلي

شهاب الدين أبو الفضل ، الصوفي الزاهد الورع ، العالم الفاضل المقرىء ، أحد الأجلاء من القراء والمشايخ النبلاء .

مولده سنة ست وثلاثين ومائة وألف ، وقرأ القرآن العظيم وحفظه

---

(١) في تاريخ حلب : المتوفى بعد سنة ١٢٠٥ .

على أخيه عبد القادر ، ثم جمع على أبيه وعلى الشمس البصيري بالروايات السبع وقرأ القراءات وأتقن وضبط ، وقرأ الحديث والفقه على أبي محمد عبد الوهاب بن أحمد المصري الأزهري نزيل حلب ، وأخذ عنه الطريقة الشاذلية ، وتخلف بعده . وقرأ على أبي السعادات طه بن محمد الجبريني وأبي محمد عبد الرحمن بن مصطفى البكفالوني وغيرهم ، وأخذ الطريقة الرفاعية عن خير الله بن أبي بكر بن الصياد الرفاعي ، والطريقة القادرية عن أبي علي عمر بن ياسين بن عبد الرزاق الكيلاني الحموي ، والطريقة الخلوتية عن أبي محمد عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد البخشي . وأجازه الجميع وكتبوا له خطوطهم ، وخلفوه وأذنوا له بالارشاد ، ولازم الطريقة الشاذلية بعد شيخه عبد الوهاب المذكور ، وأقام الأذكار والتوحيد ، واختلى كعادتهم ، وأقرأ القرآن العظيم بالروايات ، وأخذ عنه القراآت وبقية الفنون أناس كثيرون وانتفعوا به ، وأخذ عنه الطريق جمع كثير . وبالجملة فقد كان من خيار الناس وعلمائهم وفضلائهم ، توفي رحمه الله تعالى سنة ألف ومائتين ونيف [1] .

السيد محمد بن عبد الله الخالدي المالكي الجزائري

العالم الأستاذ والعمدة الملاذ ، ترجمه ولده الفاضل الشيخ محمد ، وقد نقلت من خطه بأنه يتصل نسب المترجم بسيدنا الحسن سبط رسول الله ﷺ ، وأنه ولد عام الف ومائتين وثمانية عشر في جبل هلالة من جزائر المغرب ، ونشأ بها وقرأ القرآ ن على والده ، وكان رحمه الله تعالى عالماً عاملا ، تقياً فاضلا ، فلما حفظ القرآن وأتقنه مجوداً أبدع اتقان ، توجّه إلى بلدة مازونة سنة الف ومائتين وخمس وأربعين واشتغل بالعلوم الشرعية ، وحفظ

---

(١) في تاريخ حلب : المتوفى سنة ١٢١٩ .

متن الشيخ خليل في مذهب الإمام مالك وقرأ بعض شروحه ، وبعدها توجه إلى قسنطينة سنة الف ومائتين واثنتين واربعين ، وهي بلدة عظيمة بينها وبين مدينة الجزائر نحو خمس مراحل لطلب العلوم التي ترام ، والأخذ عن علمائها الأعلام ، وفي سنة الف ومائتين وست وأربعين رجع إلى الوطن ، واشتغل بنشر العلوم وفصل القضايا بين الناس ، كما كان ذلك دأب والده قدس الله سره .

وفي سنة اثنتين وخمسين توجه إلى أداء فريضة الحج الشريف ، وجاور في المدينة المنورة سنتين ، ثم قدم إلى مصر القاهرة للمجاورة في جامعها الأزهر ، فأخذ عن اكابر علمائها المحققين كشيخ الإسلام العلامة الشيخ ابراهيم الباجوري والشيخ محمد عليش المالكي والشيخ السقا والشيخ المبلط وغيرهم ، وأجازه كل منهم بما حواه ثبت الشيخ محمد الأمير أو صحت له روايته عن غيره إجازة عامة ، وفي عام ثمانية وستين قصد دمشق الشام وجعلها له دار مقام ، وعكف على التدريس في مدرسة دار الحديث ، في المنقول والمعقول ، وتصدر للافتاء ، وفصل القضايا بين المهاجرين من المغاربة بأمر سيدنا المرحوم الأمير السيد عبد القادر الحسني ، وكان من قبل قد أخذ الطريق الخلوتية ، وصاحب جملة من أهل الله تعالى منهم المرحوم سيدي علي بن عيسى البكري الخلوتي في بلاد الغرب ، ولما توجه إلى مكة المشرفة تلقن الطريقة السنوسية الادريسية على سيدي الشيخ محمد السنوسي ، وفي الديار الشامية لازم سيدي الشيخ محمد المبارك البكري الخلوتي ، حتى توفي قدس الله سره العزيز ، ثم اشتغل بالطريقة الشاذلية وصحب بعض أهلها كالأمير السيد عبد القادر الجزائري ، ولم يصده الاشتغال بالعلم الظاهر عن المجاهدة في علم الله تعالى ، وكان لي معه حضور واجتماع ، ومذاكرة وملاطفة وعشرة قوية ، ومحبة كثيرة وتودد غزير ، وكان عابداً صالحاً تقياً فالحا ، مكباً على العلم والعمل ، وكان مقيماً في مدرسة دار الحديث في العصرونية من

دمشق المحمية ، في الصف الشرقي من الطبقة السفلى ، وكان كثير العزلة عن الناس مقبلاً على المجاهدة والاقبال على ما يعنيه ، إلى أن خطبته المنية لدار نوال الأمنية ، في أواخر جمادى الثانية سنة الف ومائتين وثلاث وثمانين في دمشق ودفن بها .

الشيخ محمد بن المرحوم الشيخ حسن القبرستاني الشافعي

مولده في قبر الست سنة الف ومائتين وعشرين ، والنسبة إليها قبرستاني على غير قياس ، وأصل اسمها قبل دفن الست بها راوية ، وهي قرية من جهة الشرق إلى القبلة من الشام ، بينها وبين الشام نحو ثلاثة أميال ، وقد دفن في هذه القرية السيدة زينب أم كلثوم بنت الإمام علي بن أبي طالب ، أمها فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ تزوجها عمر رضي الله تعالى عنه وأصدقها أربعين ألفا ، ولدت له زيداً الملقب بذي الهلالين ، ولم يبق للامام عمر منها ولد ، ودفنت بهذه القرية وسميت القرية باسمها ، وقبرها في وسط القرية ، داخل جامع عظيم معمور بالعمارة اللطيفة ، وقبرها الشريف في وسط الجامع معمور بالعمارة اللطيفة ، وله شهرة عظيمة يقصد في كل وقت للزيارة ، وينذر لها في الحاجات [١] وما ذكره في محاسن الشام من أن قبرها الشريف في باب الصغير ، غير معروف عند أهل دمشق ، وكان المترجم المذكور خطيباً وإماماً فى ذلك الجامع ، وكان عالماً أديباً لطيفاً صاحب همة عالية ، وكان قد قرأ على والدي التحفة لابن حجر الهيثمي من أولها إلى آخرها ، وقرأ عليه أيضاً عـدة فنون كالنحو والتوحيد والمعاني والبيان والفرائض والحساب وغير ذلك ، وكان في كل يوم يحضر من القرية المرقومة إلى الشام

---

(١) المؤلف رحمه الله يصف الواقع ، ولكنه يعلم ما ورد في الأحاديث الصحيحة من الوعيد الشديد على اتخاذ القبور مساجد ، وأما النذر لشفاء مريض أو ردّ غائب ونحو ذلك ، فلا يكون إلاّ لله وحده ، والنذر للمخلوق لا يجوز ولا يؤكل منه شرعا ، ويقال : اللهم تقبل هذا النذر أو الصدقة ، وتفضل بجعل ثوابها لفلان

لأجل الدرس ولا يقطع في صيف ولا في شتاء ولا في خريف ولا في ربيع ، حتى انه ربما يكون في بعض أيامه منحرف المزاج ولا يترك الدرس ، وكان لطيف المعاشرة حسن العبارة كريماً في بيته بشوشاً كثير المذاكرة في المسائل العلمية خصوصاً في مسائل الفرائض والمناسخات ، فإنه كان صاحب ولع عظيم في ذلك . وكان حسن الاخلاق طيب الأعراق ، متواضعاً منقطعاً للطلب والعبادة والمطالعة والعمل ، وكان يعتمد عليه في الاستفتاء فكانت أهالي القرايا القريبة إليه من أهل المرجين والغوطة يحضرون إليه ويعتمدون عليه ، ويسألونه عن قضاياهم ، ويأخذون منه الفتوى لاقناع خصمهم ، فيقنع بها بعد تحققها ولا يردها . وكان لا يفتي في مسئلة سواء كانت مما يتعلق بالعبادات أو المعاملات إلا بعد المراجعة والوقوف على النص .

وبالجملة فانه كان قليل المثال خصوصاً في القرايا فان وجود مثله نادر ، وما زال على عبادته وتقواه واقباله على مولاه في سره ونجواه ، وتمسكه بالافادة والاستفادة وسلوكه في مناهج السادة القادة ، إلى أن دعاه إلى الآخرة والدار الفاخرة ، هادم اللذات ومفرق الجماعات . وذلك قريباً من سنة ألف ومائتين وثمانين ، ودفن هناك في القرية وقبره ظاهر معروف مشهور .

الشيخ محمد بن الشيخ مصطفى بن الشيخ يوسف ابن الشيخ علي الطنطاوي الازهري

انسان طرف الفضل ومقلة مآقيه ، وفارع هضبة البيان وراقي مراقيه ، زرّت على الفضل أطواقه : وما اهتاجت الا للكمال أشواقه ، ترقى في معارج العلوم إلى أن استوى على عرش المنطوق والمفهوم ، فلا ريب أنه في النباهة آية ، لم تفته من مطالبه غاية ، فكل خاطر ينفد الا خاطره ، وكل سحاب ينفد الا سحاب يسح من فكره ماطره . تحلى بالصيانة والزهد ،

وبذل في الاقبال على الديانة الجهد ، ان أطلق لسانه في التقرير والبيان ، تذكرتَ قول حجة الاسلام : ليس في الامكان ، وان جلس في مجلس عمه السرور ، وخالَه الحاضرون أنه من اللطف والرقة مفطور . له من النباهة مكان مكين ، يطلع له من كل ناحية على جيش البلاغة كمين ، ومع وقاره الذي يعرف ، يبدو له من النكات ما يستملح ويستطرف .

ولد في طنطا سنة احدى وأربعين ومائتين وألف ، ومات أبوه وعمره أربع سنين ، وماتت أمه وعمره ست سنين ، وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ، على الشيخ محمد الشبرويشي ، ثم دخل جامع السيد البدوي للطلب ، فقرأ على السيد محمد أبي النجا المشهور صاحب الحاشية والشيخ عبد الوهاب بركات والشيخ علي حمزة مدة ، وانتفع بهم وأجازوه بالاجازة العامة ، ثم سافر مع أخيه الأكبر إلى بلاد الروم وبلاد الترك ، ثم دخل حلب وقرأ على الشيخ أحمد الترمنيني وغيره ، وأجازوه ، ثم رحل إلى الشام سنة ألف ومائتين وخمس وخمسين ، وقرأ على الشيخ سعيد الحلبي والشيخ عبد الرحمن الطيبي والشيخ عبد الرحمن الكزبري ، وأخذ طريقة النقشية على المرشد الكامل الشيخ محمد الخاني الخالدي ، فانتفع به حتى صار إذا ذهب إلى مكان يجعله خليفة عنه ، ثم إنه في سنة ألف ومائتين وستين عاد إلى مصر ، ودخل الجامع الأزهر ، وانقطع للطلب بهمة وجد واجتهاد ، فقرأ على شيخ الأوان الشيخ ابراهيم الباجوري والشيخ ابراهيم السقا والشيخ عليش المغربي والشيخ مصطفى البلتاني والشيخ مصطفى المبلط والشيخ محمد الخضري ، وأكثر قراءته عليه في العلوم الغريبه كالميقات والفلك والجبر والمقابلة ، إلى أن صار إماماً في العلوم العقلية والنقلية ، مع شدة ذكائه وحفظه ، ثم رجع إلى الشام واستوطن دمشق في محلة الميدان سنة ألف ومائتين وخمس وستين ، وجلس في حجرة في جامع سيدنا صهيب الرومي ،

فأقبل عليه الطلبة ، ولم يزل يقرىء الطالبين إلى سنة ألف ومائتين واثنتين وسبعين ، توفي والدي فحضرت عنده في دروسه كلها ، ولم أزل أقرأ عليه إلى سنة ألف ومائتين وثمان وسبعين .

رحل المترجم المرقوم إلى داخل البـلد بأمر حضرة الأمير السيد عبد القادر الجزائري ، فاستأجر له داراً وعين له معاشاً ، وأرسل إليه جميع أولاده للقراءة عنده ، فكان يقرؤهم ويقرىء غيرهم في حجرته في مدرسة البدرقية ، وكان مع ذلك يشتغل بحساب جداول مما يتعلق بالجيوب وغيرها ، مما له تعلق بعلم الفلك والميقات والربع المقنطر والجيب والاسطرلاب[1]، وقد قرأت عليه جملة رسائل مما يتعلق بذلك .

وفي سنة ألف ومائتين وتسعين حصل خلل في بسيطة منارة جامع بني أمية المسماة بمأذنة العروس ، فحسب المترجم سائر أعمالها وجعل لها جداول بعدة الأعمال ، ورسم غيرها وأزالها ، ووضع بسيطته في مكانها ، وكنت في معيته حين رسمها من ابتدائها إلى انتهائها . وله أيضاً رسالة حسبها في رسم الربع المقنطر ، لعرض دمشق الحـلـ وقد رسمت عدة أرباع على حسابها . والحاصل أنه في كل علم عمدة ولكل مشكلة عدة ، رقيق القلب رحيم ، سخي الكف كريم ، غير أن دهره قد عانده وعاكسه في آخر أمره وما ساعده ، وهذا من دأبه مع أهل الفضائل ، وذوي المآثر والشمائل ، إلا أن المترجم يقابل ذلك بالتسليم والرضى ، ويعلم أن ذلك مما جرى به القدر والقضاء . ومن نظمه في مديح راشد باشا والي ولاية سورية لأمر اقتضى ذلك :

أضحت دمشق ببهجة ومسرة ... تزهو على كل البلاد بنضرة
تهفو القلوب إلى محاسنها التي ... خصت بهـا من بين كل مدينة
وغدت تطاول كل قطر بالذي ... حازته من مخزون أعلى رتبة
فأقرت الأقطار طراً أنهـا ... من بينها خصت بكل فضيلة

---

(١) ينظر التعليق السابق على هذه الأرباع والآلات الفلكية ، (ج ٢ ص ٦٣٠ من الحلية) .

وبلاد سوريا اكتست من حسنها ... حللا فعمت أهلهـا بمسرة
لا تعجبوا والي حماهـا راشد ... بل مرشد والرشد أعلى خلة
ومحمديّ الخلق وهو محمد ... ولذاته كل القلوب أحبت
أحيا بها العدل الذي ياطالما ... تاقت له كل النفوس وحنت
والأمن قد عم الأنام جميعهم ... فتقلدوا منه بأوفى منة
شهم تهاب الأسد سطوته فما ... أبقى لأهل الشر أدنى شوكة
وبحلمه وسع البرية كلهـا ... وله على الأعداء أعظم سطوة
متهلل بالبشر تلقـاه وقـد ... ملئت قلوب الخلق منه بهيبة
ورث المكارم كابراً عن كابر ... متحلياً منهـا بأعظم حلية
سحبان عند بيانه هو باقل ... والبحر عند نداه أصغر قطرة
لا عَيب فيه غير أن نزيله ... لا ينثني إلا بأعظم غبطة
لمـا خشيت الظلم لذت ببابه ... فظفرت من عدل بأعلى بغية
وحباني من اكرامه ببشاشة ... ولطافة من غير سابق عرفة
فأخذت في شكري لأنعمه فما ... أديت شكراً واجباً للنعمة
فعلمت أني لا أطيق سوى الدعا ... لجنابه كيما أفوز بسنة
فأقول يارب العباد أدم له ... عزاً وجنبه لكل كريهة
وافسح لنا في عمره ياربنـا ... وانله مـا يرجوه من أمنية
فإليك يا رب البيان قصيدة ... بصفاتكم جملت وان تك قلت
نرجو القبول تفضلا وتكرمـا ... والعفو عن تقصيرهـا بالمرة
أبقاك ربي سالمـاً كل المدى ... ما غرد القمري فوق الأيكة
ومحمد الطنطاوي أنشأ قائـلا ... أضحت دمشق ببهجة ومسرة

وله قصائد كثيرة وتقييدات شهيرة ، لا يحسن استقصاؤها للخروج عن المطلوب من الاختصار ، وكذلك لو اردت أن أذكر عفته وتفصيل تعيين الحكومة له مقادير من المعاش ولم يقبلها ورعاً وزهداً ، لأدى المقام إلى

الخروج عن المرام . وفي سنة خمس وثلاثمائة والف رسم بسيطة في ميدان دمشق الشام في جامع الدقاق المعروف بكريم الدين إلا أن البسيطة التي في جامع بني أمية كان حسابها على الأفق الحقيقي ، وأما هذه الثانية فإنها على الأفق المرئي ، فلذلك كانت الثانية أحسن من الأولى ، لأنها لا تحتاج إلى الالتفات لدقائق الاختلاف ، وتم عملها ورسمها وحفرها ، وصنع لها مكان في المنارة لوضعها فيه في أول برج الجدي ، فعاجله المرض قبل ذلك ، وتوفي غرة جمادى الأولى عام الف وثلاثمائة وستة ، ودفن في تربة باب الصغير قرب مدفن سيدنا بلال من جهة الغرب ، ولم يتخلف عن جنازته إلا ما ندر من السوقة والأخيار والأعيان ، سقى الله ثراه صبيب الرحمة والغفران ، وبعد موته بقليل قد وضعت في مكانها ، والأوقات تستفاد منها بغاية الضبط ، جزاه الله خيراً وأعظم له منة وأجرا[1] .

محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد الاريحاوي الشافعي الشهير كوالده بالعاري أبو عبد الرحمن شمس الدين

الشيخ العالم الفاضل المفتي الفقيه الشهير النسابة خاتمة اجلاء بلدته . مولده بها سنة ثمان ومائتين والف ، وقرأ على جده ووالده وانتفع بهما وأخذ عنهما الكثير وسمع عليهما ، ورحل إلى ادلب وسمع بها الحديث

---

(١) في منتخبات التواريخ لدمشق في ترجمته رحمه الله وبالجملة : إن صاحب الترجمة تفرد في علم الهيئة السماوية والفلك بعد ابن الشاطر (الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٧) الذي أخذ عنه علماء الغرب ودونت مؤلفاته ، وللمترجم آثار كثيرة ، منها في حساب البسيط والربع ورسمه ، رسائل كثيرة لم نقف عليها ، وله كشف القناع ، وله تحريرات مهمة على جميع الكتب التي كان يقرؤها ، تشهد بعلو باعه وفضله ، (مات سنة ١٣٠٦) .

وغيره عن الشهاب احمد الكاملي المفتي ، وأخذ الطريقة الرفاعية القصيرية عن العماد اسماعيل بن محمد القصيري وحصلت له بركته ، وأفتى بأريحا بعد والده وخطب ، وأم بجامعها قدر ستين سنة ، ودخل عام حجه دمشق الشام ، وكان له نظر دقيق وشعر رقيق . فمن شعره مخمساً قصيدة الإمام الشيخ عبد الرحيم البرعي :

على الاحباب قلبي ان أنّـا　　وصرت بهم حليف ضنى معنى
ولمـا أن بدا ليلي وجـنا　　سمعت سويجع الاثلات غنـا
على مطاولة العذبات رنا

وأجرى دمعه من فوق خد　　على إلف له يبكي لفقد
ولمـا بان منه عظيم وجد　　أجابته مغرّدة بنجد
وثنت بالإجابة حيث ثنى

فزاد بيَ الهوا وجفوت قومي　　ولم أعرف متى أمسي ويومي
وكيف العاذلون يرون لومي　　وبرق الأبرقين أطار نومي
وأحرمني طروق الطيف وهنا

وجهز فاتني للحرب جيشاً　　وعقلي زاده التعنيف طيشا
ذكرت مغانيـا جمعت قريشاً　　وذكرني الصبا النجدي عيشا
بذات البان ما أحلى واهنى

وأنعش ذلك التذكار حسي　　وطابت بالتهاني منه نفسي
ومذ راق الطلا وأدير كأسي　　ذكرت أحبتي وديار أنسي
وراجعت الزمان بهم فضنا

وأورثني عقيب البشر هما　　وأقلقني فزدت لذاك غما
وصرت كأنني اسقيت سما　　وكاد القلب أن يسلو فلما
تذكر أبرق الحنان حنا

وعاد له مرور بعد ضيق　　بهم بساكني وادي العقيق

انادي لاعدمتك من صديق ترفق بي فديتك يا رفيقي

فمـــا عين سويهرة كوسنا

اعلل منك نفسي بالأمـــاني لأحظى من حبيبي بالتداني

فساعدني على ما قد دهاني وقف بي بالطلول وبالمغاني

لأندب يا فتى طللا ومغنى

فقد يجدي البكا لشج محب ويبلغ راحة من غير كرب

فلا تلم الشجي بغير ذنب لعل النوح يطفي نار قلب

يقلبه الهوى ظهراً وبطنا

أقام بي السقام فلا تلمني ومن عذل فديتك خل عني

فان الحب فيهم صار فني اعيذك ما بليت به فإني

على أثر الفراق شجي معنى

ودمع العين فاض كفيض سحب وصرت مولعـــاً أبكي بندب

قتيل صبابة وأسير حب أشارك بالصبابة كل صب

إذا ما الليل جن عليه جنا

متى ألقى السرور مع التهاني وأحظى بالذي حقا سباني

وحين سكرت من صافي الدنان ولمت بجيرة الحي اليماني

ولوعاً زادني كمداً وحزنا

ومن عظم المصائب لست أدري وقد ضيعت في العصيان عمري

وداني موصل أبداً بدهري ولو بسط الهوى العذري عذري

لما قاسيت سنة قيس لبنى

وروحي لم تزل تهوى لربع تفرق أهـــله من بعد جمع

وعادت عبرتي تجري بهمع أكاتبهم وقد بعدوا بدمع

فرادى في محاجره ومثنى

وعيني لا يفارقها سهادي   بعشق أحبتي منعوا رقادي
أضر بي الغرام وكم أنادي   فلا أدري أهم ملكوا فؤادي
بعقد البيع أم ملكوه رهنا

غدا شغفي بهم سراً وجهرا   وفي حبّي لهم شرفت قدرا
فما لي غيرهم في الكون ذخرا   ثملت بهم وما خامرت خمرا
معتقة وما دانيت دنا

لزمت حماهم فازددت فضلا   لأنهم زكوا فرعاً وأصلا
ومنذ لقيتهم ناديت أهلا   ألا يا ساجع الأثلات مهلا
ففي الأيام ما أكفى وأهنا

تقرب يا فتى لتنال نفعا   من المحبوب وانح إليه سرعا
ولا تندم على ما فات قطعا   تأن ولا تضق بالأمر ذرعا
فكم بالنجح يظفر من تأنى

وكم رزق الإله لكل جان   واحرم بعض ذي عقل وشان
وليس لحكمه في الملك ثان   فبالأرزاق يرزق كل عان
بلا سعي ويحرم من تمنى

ومن لم يشكر النعماء فظ   غليظ الطبع لم ينفعه وعظ
لأن الشكر للانعام حفظ   ولم يفت الفتى بالعجز حظ
ولا بالحزم يدرك من تمنى

فلا تعجل ولازم للتأني   تنل ما تشتهيه من التمني
وخذ مني النصيحة واحك عني   وان تر ما ترى مني فإني
لهجت بمنصب الحسن المثنى

احاول مدح من جا بالمثاني   ومن هو عمدتي فيما دهاني
مدى الأيام في طول الزمان   لساني ينتقي زبد المعاني
ويودعهن شمس الكون ضمنا

ومالي مسعف عند المصير سوى الماحي المظلل في الهجير
به ألقى النجاة وكل خير ومدح محمد غرضي وغيري
إذا غنى حكى الرشأ الأغنا

فطه للنوائب أرتجيه (١) ومن ألم وشر أختشيه
لهجت بذكره فنشدت فيه رعى الله الحجاز وساكنيه
وأمطره العريض المرجحنا

وأكرم ساحة دامت صفاه بخير العالمين وازدهـاه
وأسعد بقعة كثرت رخاه وأخصب روضة ملئت وفاه
ومرحمة واحسانا وحسنا

وأرضا تربها خير البطاح وقاصدها يبشر بالنجاح
نمت شرفا بسلطان الملاح وقبرا فيه من ملأ النواحي
هدى وندى وإيمانا ويمنا

أجل المتقين ومصطفاهم ملاذ العاجزين وملتجاهم
ختام الأنبياء وقد علاهم إمام المرسلين ومنتقاهم
وأكثر غيثهم طللا ومزنا

وأجملهم خصالاً ثم وصفا وأكملهم نهى وسنا ولطفـا
غدا للواردين عليه كهفا وأسرعهم إلى الملهوف عطفا
وأسمعهم لداعي الخير أذنا

---

(١) يقول تعالى في سورة الجن : « فلا تدعوا مع الله أحدا » ويقول أيضاً في نفس السورة : « قل اني لا أملك لكم ضرّا ، ولا رشدا » فلماذا لا نخص الدعاء بمن له الأمر كله ؟ « آمنا به وعليه توكلنا » .

وأفضل واطىء حزناً وسهلا　　وافخر من نشأ طفلا وكهلا
وأطهر من زكا نسباً ونسلا　　وخير مفارس الأكوان أصلا
واطيب منشأ وأعز غصنا

رسول الواحد الملك المهيمن　　غياث الخائفين[١] بكل موطن
من الأهوال ينقذ كل مؤمن　　نمته دوحة قرشية من
مدائحها ثمار الخير تجنى

شفيع للأنام بلا محال　　وركن للخلائق في مآل
وكم في الحرب أردى من رجال　　أتى والجاهلية في ضلال
وكفر تعبد الحجر الأصنا

وكانوا غافلين وقد أضلوا　　وعن طرق السبيل الحق ضلوا
وما قد حرم الباري أحلوا　　فجاء بملة الإسلام يتلو
مثاني في الصلاة الخمس تثنى

فحازوا منه تقريباً ووصلا　　وإيماناً ومطلوباً وسؤلا
وعلمهم فروضاً ثم نفلا　　وبدلهم بجور الشرك عدلا
وبالخوف الذي وجدوه أمنا

فطاب لهم به إذ ذاك عيش　　وقد ألفته في البيدا وحوش
ومدته ملائكة جيوش　　لقد خسرت بفرقته قريش
وكان لهم لو اعتقدوه ركنا

أتاهم منذراً فأبوا وهموا　　باخراج له وطغوا فذموا
وللايمان أصلا لم يؤموا　　دعاهم واعظاً فعموا وصموا
فأعقب وعظهم ضرباً وطعنا

(١) غياث الخائفين والمستغيثين ، هو الله رب العالمين « اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم » الأنفال .

فحينئذ أهابوه جهارا ومنهم من نأى عنه نفارا
فولوا خوف سطوته فرارا وأمضى الحكم في القتلى بوارا
وفي الأسرى مفاداة ومنا

وأمسكهم جميعاً بالنواصي فلم يجدوا طريقاً للخلاص
وأوثق منهم دان وقاص وانزل باغضيه من الصياصي
ولم يترك لهم في الأرض قرنا

فلم يلقوا لمهربهم سبيلا وكم أدمى من الأعدا قتيلا
وفوق القرب صيره جديلا غدا متقلداً سيفاً صقيلا
ومعتقلا أصم الكعب لدنا

فقاتلهم وحاربهم بجد ويرمي بالنبال كقدح زند
وأرعبهم وأذهلهم بجند وصابحهم وراوحهم بأسد
على جرد طحن الأرض طحنا

أذاقهم الهوان مع الوبال وأثخنهم جراحاً بالقتال
ونكس كل أعلام الضلال وكم رفعت له الهمم العوالي
مراتب في عراص المجد تبنى

فأحمد كان للأسرار معدن رفيقاً بالذي للحق يذعن
فأنعم في المضيق به وأحسن وكم للهاشمي محمد من
محامد عمت الأقصى وأدنى

ولولا المصطفى ما كان ركب ولا كون ولا بعد وقرب
ولا شمس ولا شرق وغرب ولو وزنت به عجم وعرب
جعلت فداه ما بلغوه وزنا

مغيث للعصاة لهم طبيب إذا ما الدمع منهمل سكيب

وذو قدر له جاه رحيب إذا ذكر الخليل فذا حبيب
عليه الله في التوراة أثنى

وكان لمن تولاه وَصُولا وحاز بليلة الاسرا وصُولا
وكرمه وآتاه قبولا وبشرنا المسيح به رسولا
وحقق فضله وسمى وكنى

فكرر فضله تحظى وتظفر بكل القصد والاحسان وانشر
ولازم دائماً للمدح واشعر وإن ذكروا نجيّ الطور فاذكر
نجي العرش مفتقراً لتغنى

نبي قد سعى للحق سعياً حميداً مخلصاً أمراً ونهيا
أبان الشرع إثباتاً ونفياً وان الله كلم ذاك وحيا
وكلم ذا مشافهة وادنا

وقربه وأدناه اليه ونور حارت الأفكار فيه
فليس كصاحب الوجه الوجيه وموسى خر مغشياً عليه
واحمد لم يكن ليزيغ ذهنا

وما أحد حوى شرف المعاني سوى المنعوت ذكراً في البيان
ونال مسرة حين التداني ولو قابلت لفظة لن تراني
بما كذب الفؤاد فهمت معنى

كفانا المصطفى يوماً عبوسا بشير في الوجود بدا عروسا
وللرسل الكرام غدا رئيسا وإن يك خاطب الأموات عيسى
فان الجذع حن لذا وأنا

وشق البدر للمختار شقا وسبحت الحصا بيديه صدقا
وجا بالمعجزات الغر حقا وسلمت الجماد عليه نطقا
فأنى يستوي الفتيان أنّى

أغثني في المعاد بنيل ورد من الحوض المعد لخير وفد
بك المسكين يبلغ كل قصد وصل بالأنس منك رجاء عبد
بعيد الدار يطلب منك اذنا

مدحتك راجياً أن لاتكلني إلى أحد فمدحك صار فني
أنلني ما أريـد من التمني وعجـل بافتقادك لي فإني
ضعفت جوارحاً وكبرت سنا

وقد أصبحت مغموراً بسكري فلا أصغي لموعظـة وزجر
وعاندني الزمان وحط قدري حججت فلم أزرك فليت شعري
متى بمزارك الجـاني يهنى

عظيم الشان لم أر بي شفوقاً سواك ولم أجد خلا صدوقا
فأدرك عبـدك الراجي وثوقاً يكاد يذوب إن ذكروك شوقا
اليك فهل بجاهك منك يدنى

غريق في الذنوب له نحيب بجنح الليل مدمعـه صبيب
وللأشجان في الأحشا لهيب عسى عطف عسى فرج قريب
فقد وصل الأحبة وانقطعنا

يهيج حزنه لمعان ومض وقد هجر الكرى ولذيذ غمض
فأتحفنا برفـع بعـد خفض وشرفنا بوطىء تراب أرض
بزورتنا بحط الوزر عنـا

وأذهب كل ضر أشتكيـه وباعدني عن الفعـل الكريه
وأوصلني مقـاماً أرتجيـه وقل عبدالرحيم ومن يليـه
معي يوم الخلود يحل عدنا

سميك محمد يرجوك تدني له والناس في ضيق وغبن
وبالعاري يلقب بالتكني ويوم الحشر إن سألوك عني
فقل عدوه منا فهو منا

وأبلغني المنى وافرج لكربي وأصلحني أيا قصدي وحسبي
كذاك أبي وأهلي واشف قلبي وقم بجميع اخواني وصحبي
وعم أبا من الأنساب وابنا

اليك من التجا قد حاز فتحا وفوزاً في المآل ونال ربحا
وظلا في النعيم كذا وطلحا فما ضر امرؤ يرجوك نجحا
لمطلبه ويحسن فيك ظنا

حويت المجد في تنزيل وحي نفيت الإصر عنا كل نفي
جمعت الخير في أمر ونهي وكل الأنبياء بدور هدي
وأنت الشمس أشرقهم وأسنى

وأنت امامهم ذرب فصيح وسيدهم وذا خبر صحيح
وهم بعض الرياض وأنت دوح وهم شخص الكمال وأنت روح
وهم يسرى اليه وأنت يمنى

وأمتك التي حقاً تباهت على من قد تقدمها وتاهت
وفضلك فيه أقوالي تناهت عليك صلاة ربي ماتناغت
حمام الأيك أو غصن تثنى

توفي رحمه الله بعد الألف والمائتين[١] ودفن خارج أريحا عند والده .

---

(١) قال الاستاذ الطباخ في تاريخ حلب : لم أر ترجمة لأخيه في الكتاب المذكور ، ولا لأبيه على ان أباه من رجال القرن الثاني عشر ، وقد ترجمه العلامة المرادي في سلك الدرر ، (ثم قال) : وأما عبدالرحمن أخو المترجم فقد كان عالماً فاضلاً أيضاً ، وتولى إفتاء الشافعية بحلب ، وكانت وفاته (سنة ١٢٤٥) .

وكان عالماً بأنساب الناس وأصولهم حافظاً للأخبار والوقائع ، قوي الحافظة حسن النادرة جميل الأخلاق كريم الاعراق خاتمة علماء وفضلاء أهل أريحا ونبلائها ، ولم يترك مثله في نواحيه رحمة الله عليه .

الشيخ محمد بن عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن عبد الرزاق بن ابراهيم بن احمد العمري العقيلي الحلبي الشافعي وتقدم بقية نسبه في ترجمة أخيه عبد الرحمن أبي البركات وأبيه عثمان أبي الفضل في حرف العين

وهو العالم الفقيه الفاضل الدين الصالح الورع الزاهد ، المتفنن العابد ، مولده سنة ثلاث وستين ومائة والف ، ونشأ بكنف والده وقرأ القرآن العظيم وحفظه وتلاه ، وجوده وحفظ الشاطبية ، وأخذ القراءات المرواة السبع بالاتقان من طريق الشاطبية ، واشتغل بتحصيل العلوم ، واخذ وانتفع بوالده وتخرج عليه وأكثر من الاستفادة لديه وسلكه وأجازه بالإجازة العامة ، ونشأ كما شاء وأجاز له جماعة من المحدثين غب القراءة والسماع ، منهم عطا الله بن احمد المصري نزيل مكة ، وابو محمد عبد الكريم بن احمد الشراباتي الحلبي ، والشهاب احمد بن عبيد الله العطار الدمشقي ، وابو جعفر منصور بن مصطفى السرميني الحلبي ، وآخرون ، ولما مات والده في المحرم سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف قام خليفة بعده ، كما خلفه ولزمه تلامذة والده وأحبابه ، وأقام الأذكار والتوحيد واشتغل بالقاء الدروس ، واجتمع بالسيد خليل المرادي سنة خمس ومائتين وألف وأخذ كل منهما عن الآخر واستجاز كل الآخر ، وكان على طريق مستقيم ومنهج قويم . ولم يزل على قدم التقوى والعبادة والافادة والاستفادة وإقامة الأذكار وارشاد الناس في (الليل والنهار) إلى أن اختار الآخرة والرحلة إلى الدار الفاخرة ، وذلك في سنة ألف ومائتين و . [١]

---

(١) كانت وفاته رحمه الله (سنة ١٢٤٥) كما في تاريخ حلب .

الشيخ محمد الملقب بالجديد البغدادي الخالدي الحنفي النقشبندي

الولي المرشد الكامل والعالم الفقيه الصوفي ذو الشمائل ، العارف بالله المقبل عليه في سره ونجواه ، صاحب العلوم الربانية والأنفاس الأنسية القدسية ، كان عند مولانا خالد من أعظم الخلفاء وأكبر الفقهاء ، المشهور في الفقه بأبي يوسف الثاني ، صاحب التحقيقات والتدقيقات في مشكلات المعاني ، وكان يرشد ويدرس الفقه والحديث والتفسير وكتب التصوف في الزاوية الخالدية في بغداد ، وبيته ملتصق بها ، ولا يخرج إلى بيته من الزاوية إلا بعد صلاة العشاء ، وتأتيه الفقهاء أفواجاً أفواجاً للقراءة عليه ، والاسترشاد به .

سلك أولاً وتربى على يد عبيد الله الحيدري ، ثم بعد كاله خلفه حضرة مولانا خالد خلافة مطلقة ، وجعله قائماً مقامه في الزاوية البغدادية ، وأمر جميع الخلفاء كالسيد عبد الغفور وموسى الجبوري وغيرهما من خلفاء العراق بأن يكونوا في طاعته ولا يعدلوا عن أمره ، وكانوا يعدونه بمنزلة شيخ الطريقة بأجمعها مولانا خالد شيخ الحضرة ، وكان يمنع المريدين بأن يدخل بعضهم في حجرة بعض ، ويأمر كلا منهم بالاشتغال بالذكر وحده ، ولا زال يراقبهم ويأمرهم بطلب العلوم الشرعية ، وجعل لهم وقتاً مخصوصاً لمذاكرة الفقه والتصوف والعقائد ، وسائر الأوقات بعد اداء الفرائض للاشتغال بالذكر .

وكان يأمر الخلفاء ويقول لا تخلفوا إلا العلماء ، كما كان دأب شيخنا حضرة مولانا خالد قدس سره لا يخلف إلا العلماء الأعلام ، ودام على حاله مترقياً في أحواله إلى أن سار إلى رمسه ، وصار في حديقة قدسه ، وكان ذلك في سنة ألف ومائتين وست وأربعين من الهجرة .

الشيخ محمد حافظ الأرفله الخالدي النقشبندى

العالم العامل والكامل الفاضل ، قطب دائرة الارشاد ومنهج الفضل وملهج السداد ، من حسنت في العالمين سريرته وسمت أوصافه وسيرته ، نشأ على

العلم والعمل ولازم الطلب حتى اكتمل ، ثم لازم خدمة قطب الزمان ونادره الأوان ، مولانا خالد شيخ الحضرة النقشبندية في السليمانية وبغداد والشام ، وأحسن الخدمة على وجه التمام ، وسلك على يديه ورباه مع الالتفات إليه ، ثم خلفه خلافة مطلقة ، وأذن له بالارشاد ، وخصه بأنه إن مر أحد غيره من الخلفاء في ارفه فلا يسوغ له أن يرشدوا أحداً في مكانه . وكان فصيحاً بليغاً شاعراً مفلقاً ، مع علمه الغزير ، وغالب أحواله الجلال . وكان ممن لا تأخذه في الله لومة لائم ، وله الهمة العلية والأنفاس الأنسية ، ومقام التمكين [١] والميل إلى عين اليقين [٢] ، وهو لدى حضرة شيخه من المقربين ، وله كثير من الخلفاء والمريدين ، وقد حكى الشيخ محمد حافظ قدس سره أن حضرة مولانا خالد قدس سره قال للمترجم مرة : أي مقدار من الدراهم يكفيك كل يوم ؟ فقال المترجم يكفيني كل يوم خمسون قرشاً ، فقال له حضرة مولانا قدس سره ارفع البساط الذي تجلس عليه كل يوم ترى خمسين قرشاً خذها واصرفها في قضاء حوائجك ، فبكى محمد حافظ وقال ياسيدي : ما تبعتك للدنيا وإنما تبعتك للآخرة ، فازداد قبولاً لدى حضرة مولانا قدس سره ، ولهذا المترجم أصول عجيبة ومآثر غريبة . توفي قدس سره سنة ألف ومائتين وقريب من الأربعين .

الشيخ محمد الإمام البغدادي النقشبندي الخالدي

العالم الورع العابد الهمام الناسك الزاهد ، صاحب النفحات العلية والفيوضات الربانية ، كان من الورع والتقوى والزهد والعبادة على جانب عظيم ، ولازم

---

(١) عند القوم : صاحب التمكين وصل ثم اتصل .

(٢) وعندهم أن علم اليقين ، ما كان بشرط البرهان ، وعين اليقين ما كان بحكم البيان ، وحق اليقين ما كان بنعت العيان ، كما في الرسالة القشيرية في علم التصوف (ص ٥٥)

خدمة مولانا خالد شيخ الحضرة وأخذ عنه ، ثم خلفه خلافة مطلقة وأذن له بالارشاد ، وقدمه على غيره للإمامة ، (وكان من الأولياء الكاملين وذوي الرفعة والتمكين) ، وهو لدى شيخه المرقوم من الواصلين والمقربين . توفي رحمه الله تعالى سنة الف ومائتين وثلاثين تقريباً رحمه الله تعالى ، ودفن في بغداد في جوار سيد الطائفتين سيدنا الجنيد البغدادي قدس سره .

الشيخ محمد القزلري الشهرزوري النقشبندي الخالدي

العالم المحقق والفاضل المدقق ، جامع المنقول والمعقول محرر الفروع والأصول ، نشأ مكباً على الطاعة وطلب العلم إلى أن صار من ذوي البراعة ، وأخذ الطريقة النقشبندية على إمام العارفين الشيخ خالد شيخ الحضرة العلية ، واجتهد في أداء حق الخدمة وسلك على يده وأحسن عمله وعلمه ، ثم خلفه خلافة مطلقة وأذن له بالارشاد فشرع في تسليك الطريق وبذل وسعه وأفاد ، وأقر بولايته الخاص والعام واشتهر فضله في الأنام . توفي سنة الف ومائتين ونيف وثلاثين .

الشيخ محمد ناصح الخالدي النقشبندي

العالم العامل والمجهد الكامل ، والمرشد الامام والناصح الهمام . أخذ الطريقة النقشبندية على الامام العارف بالله حضرة مولانا الشيخ خالد الحضرة وانتفع به واستفاد وأفاد ، وأرشد العباد ، وكان ذا دين وتقوى وعبادة وصيانة وديانة ، ودام على ذلك إلى أن توفي في الشام سنة الف ومائتين وخمس وأربعين تقريبا .

الشيخ محمد المجذوب العمادي المشهور بسيد الخالدي النقشبندي

إمام فاضل عالم عامل ، ناسك عابد تقي زاهد ، رفيع المقام جميل الكلام ، ذو سيرة حسنة وأخلاق مستحسنة ، اشتغل في العلم من زمن الصبا وما مال إلى غير الكمال ولا صبا ، بل كان ولوعاً بالفضائل مقصوراً على خدمة الأفاضل . إلى أن أخذ الطريق على حضرة مولانا خالد ثم خلفه خلافة عامة فأرشد وأفاد وسلك وأجاد ، مع تواضع وخشوع وتذلل كأنه عليه مطبوع . توفي رحمه الله سنة الف ومائتين واثنتين وأربعين تقريبا . وكان أكثر أخذه عن خاتمة العلماء المحققين الشيخ يحي المزوري العمادي الخالدي ، وكان غـــالب أحواله السكر والجلال وقلة الصحو ، ولذلك حينما قوي عليه الحال قل إرشاده وافادته العلوم الشرعية . وكان يوما يدرس على رأس جبل وفي أثناء التدريس انجذب وصعق ، ثم وقع من أعلى الجبل متدحرجاً إلى أسفله ، وبعد نحو ساعة أفاق وقام ، ولم يتألم . وله كرامات كلية وخوارق كثيرة سنية . نفعنا الله ببركاته وعلومه الربانية بجاه محمد وآله .

الشيخ محمد بن محمد بن ابراهيم بن أحمد الصوي المغربي المالكي الشاذلي القسنطيني

الإمام الفاضل والعالم العامل ، والتقي العابد والنقي الزاهد ، كان إمام عصره ونخبة أهل إقليمه ومصره . برع في سائر الفنون وفاق وطـــار ذكره في الآفاق . ولد سنة اثنتين وعشرين ومائتين والف ، واشتغل في تحصيل العلوم ، الى أن صار مرجـع أهل المنطوق والمفهوم ، وقرأ على سادة أجلاء وقادة فضلاء . منهم الشيـــخ أحمد العباسي قاضي قسنطينة والشيخ محمد طبال مفتيها .

ولما أخذت فرانسا اقليم الجزائر من أميرها الأمير السيد عبد القادر ونقله الفرنسيس الى امبواز بالتكريم ، نظرت الحكومة الفرنساوية في احضار من يكون للأمير المرقوم مؤنساً في محله فأرسلوا الى الجزائر بذلك ، فوقع الاختيـــار على المترجم المرقوم لعلمه وأدبه وعلو شأنه ، وحين وصوله وروده على الأمير عالي المقام دخل عليه من السرور ما لا يرام ، وقال له في الحال على طريق البداهة والارتجال :

أهلاً وسهلاً بالحبيب القـــادم　　　هذا النهار لديَّ خير مواسمي

وهي قصيدة طويلة أثبتها ولده الأمير محمد باشا في كتابه الذي جمعه في مناقب والده الأمير المرقوم ، فجاوبه المترجم في الحال بقوله :

سلام عليكم طال شوقي اليكم　　　وقلبي سواكم في البرية ما أحب
سلام يفوق المسك نشر عبيره　　　يعمكم والآل يا سادة العرب
أتيتكم عبداً وقصدي زيارة　　　لعلي أؤدي ما عليَّ لقد وجب
فمنوا على العبد الذليل بدعوة　　　ينال بها حسن الختام مع الأرب
وكان مرادي ان ألاقيكم على　　　بساط عزيز الملك والحرب في نشب
وما كان في ظني أرى سيدي كما　　　رأيت ألا لله ما تصنع النوب
فصبراً لحكم الله راج ثوابه　　　فإن ثواب الله يأتي على التعب

وله قصائد كثيرة ومقاطيع شهيرة . توفي رحمه الله تعالى سنة أربع وتسعين ومائتين والف ، ودفن في تربة أسلافه خارج قسنطينة .

الحاج محمد بن الحروبي النلمي المغربي المالكي
أحد وزراء الامير عبد القادر

العالم العامل والصدر الجهبذ الكامل ، والتقي العابد والنقي المجاهد . كان كاتب الأمير السيد عبد القادر في بلاد الجزائر حينما كان الأمير بهـــا خليفة ، ثم جعله والياً في ايالة صطيف ، ووقع في أسر الفرنسيس ، ثم

أطلقوه وهاجر الى الشام ، وتوطن دمشق ، الى أن انتقل الى بروسا لزيارة الأمير السيد عبد القادر حينما أطلقته فرنسا من أسرها ، وهاجر الى بروسه المعروفة الآن ببرصه [١] ، ولم يزل هناك مع الأمير الى أن رحل الأمير من بروسه لكثرة الزلازل بها ، وجاء الى دمشق الشام فحضر المترجم معه الى دمشق ، واشتغل بالعلم والافادة والتقوى والعبادة ، وقد انتفع به كثير من الناس . وكان لطيفاً جميلاً حسن المعاشرة طلق اللسان ، عالي المروءة واسع الهمة ، حفاظاً كثير المحاضرة ، جسوراً لا يهاب من شيء . وكنت أذهب اليه مع والدي للزيارة فأرى له من الهيبة والجلالة حظاً وافرا . وكان يزور والدي كثيرا ، ولم يكن بينهما سوى المحاضرة والمذاكرة ، والتأسف والاتعاظ ، وذكر سير السلف وما كانوا عليه من العبادة . توفي رحمه الله سنة تسع وسبعين ومائتين والف ودفن في تربة الدحداح .

الملا السيد الشيخ محمد صالح الكوردي الشافعي الأشعري

العالم الذي هو نهاية السول ، في علمي المعقول والمنقول ، والفاضل الذي لا يدرك غور أبابه [٢] والفاضل الذي تقتطف البلاغة من إيجازه وإطنابه ، والمعلم الذي سلسال تحريره ازال عطاش الأفهام ، وأوابد أمثال تقريره هي الأوراد ضاحكة في الاكام . كم مشكل أميط بفكره جلبابه ، وأفق ابحاث سقط منه على معارضيه شهابه ، ودرس عاطل جملت بفرائده رقابه ، ومعضل دعي له إذ كان ليث غابه ، وبدر سمائه وقطر سحابه ، بذل شبابه وسخا به في العلم ونظم سخابه [٣] وقرأ عليه الجهبذ الكامل والعالم العامل

---

(١) بروسا (Brousse) مدينة في تركية آسيا ، كانت عاصمة لبني عثمان قبل القسطنطينية .

(٢) الأباب : الماء

(٣) السخاب : قلادة من قرنفل ونحوه ، ليس فيها لؤلؤ ولا جوهر .

من رفع الله في الانام قدره مولانا الشيخ خالد شيخ الحضرة ، فاستفاد وأفاد ومما قدره وساد ، ولم يزل في عبادة وتقوى وزهادة ، إلى أن زهد في الدنيا واختار عليها الأخرى ، وذلك في الف ومائتين ونيف وعشرين .

الشيخ محمد بن قسيم السنندجي الشافعي الاشعري
ترجمه الشيخ أسعد عثمان سند فقال :

العالم الذي علت في العلوم قدمه ، وزان بقلب تدقيقه من الدرس معصمه ، نادرة الزمان وحسنته وبهجة صباحه وغرته ، جقمينية وقوشجية عطر فنائه ونديه ، مبدي خفيات إشاراته بتحقيقاته وتدقيقاته ، إذا قرر اذاق أريا [١] وإذا اشكل أمر توقد رأيا ، الفلكي الذي حقق علوم الفلك وازال عن وجود معانيها كل حلك :

سعى إلى العلم بالأفلاك مرتقيا ... لو لم يكن قمراً لم يسع في فلك
ياقطب علم رأينا من معارفه ... شمساً إذا طلعت لم تبق من حلك
سموت بالله نظّاراً بطرف هدى ... قلبـاً من العلم كالاكليل للملك
نالت سنندُج اذ تسمو بها شرفا ... يقول للشمس هذا الفخر ليس لك

الحقيق بالتصدير والحري على كل سيد وسري ، الجاد في تحقيق المباحث العلمية ، الشاد نطاق الفكر في خدمة الآثار المحمدية . لا غرو ان عُدّ ذكاء أفلاك المآثر السنية ، جمع مع العلم الزاخر عفة وبياض عرض وصفاء سرائر ، ونشر من الافادة مـا كل لسان به دائر وروض كل جنان به ناضر :

أشار إلى البحوث فقلن أهلا ... بواحد عصره أدبـاً وفضلا
وحيي سنة الهادي المقفى ... بتقرير أرانا الحزن سهـلا

---

(١) عسلا .

وأبدى الحق مفترّ المحيا كروض جاده ودق وطلا
بوجه سنندُج أمسى منيرا كبدر لاح في أفق وهلا
وسل على يد الإبداع سيفا فعادت بعد ذاك السل شلا

فهو الإمام الذي له الإفادة اضحت في نحر الاصابة القلادة ، والسيد المبرز فضلا على أولئك السادة ، والسامي مجداً قارنه إقبال وسعادة ، والمدعو في تلك الاقمار السابق في مضمار الاعتبار ، تعانى العلوم الرسمية بالقلب والقالب ، وطار إلى النكت بجناح الفكر وغالب ، ونظم في لبات الأيام عقوداً راق لها الانتظام ، وحسن وجوه الاثار المحمدية ، وحرر الأبحاث الفقهية تحريراً شكرته فيه الافهام ، وطار إلى دقائق الأصلين ، وصار من تحقيقها المعطس والعين . وسقى من التقرير المصفى ما أرانا منه المحصول والمستصفى ، وافاد من الاسناد ، ما أرانا ابن الصلاح وفتح الجواد :

ولقد طلبت من الزمان قرينه فضلا فما اسطاع الزمان قرينا
علم رأيت الفضل فوق صباحه أبداً يلوح لدى العيون مبينا
ووجدت كل الناس في تشبيهه فرقاً كما استقرأتهم وتبينا
قوم رأوه البحر في تقريره لو لم يكن بالجزر يوصف حينا
وسواهم خال الرياض علومه ولطالما من زهرهن عرينا

توفي رحمه الله عام الف ومائتين واثنى عشر من هجرة سيد البشر .

السيد محمد بن السيد اسماعيل بن السيد محمد بن السيد درويش الحسيني الحنفي الموصلي ولادة ومنشأ ومدفنا

إمام حسنت به الأيام وهمام استوى من الفضل على السنام ، شيخ المعارف وإمامها ومن في يديه زمامها ، كعبة الأفاضل وقطب دائرة الفضائل ، فارس العلم وحامل لوائه ، وكوكب إشراقه وشمس سمائه ، شرح الله

لمكارم الأخلاق صدره ، وطاول به زمانه وعمره ، وهو في كل علم وافر النصيب ، وفي كل عمل عال روضه خصيب .

ولد في سنة الف ومائتين وسنة واحدة ، ومنذ ميز وشب اكب على الاستفادة والطلب ، ولازم اكابر العلماء حتى ارتقى الى رتبة الفضلاء ، وكان له في الأدب اليد العالية والمعرفة السامية ، فمن نظامه قوله :

ما بين غرته والجيد والعنق ... نور يفوق على المصباح والشفق
بدر إذا ما تجلى وانجلى كسفت ... شمس النهار وخرت انجم الأفق
في ثغره وعذاريه ووجنته ... شهد وآس وورد بالحياء سقي
وفي الجبين هلال السعد منسطع ... والشعر كالمسك أو نوع من الغسق
والطرف من نرجس والريق من ضرب ... والخال كالعنبر الملقى على الورق
إذا تأملتهناديت معتجباً ... سبحان من خلق الإنسان من علق
يالائمي في الهوى اقصر ففي كبدي ... نار إذا لمتني تزداد بالحرق
فالماء لم تطف ما في القلب من وهج ... لعل تطفى بدمع سال من حدق

وله تخميساً

أقبل الشيب والشباب تولى ... والحشا ذاب في الهوى وتسلى
ان لي مانعاً لديك وإلا ... كل يوم أريد أن أتملى

بك والدهر بيننا يتعذر

ببياض خد نقي سباني ... وبخال وحمرة ومعاني
كيف أسلو وقد سلوت جناني ... والليالي تقول لي بلساني

لا تلمني فالاجتماع مقدر

وله مخمسا

جسدي غدا في الحب منعدم القوى ... وصدى الفؤاد زوى لدي وما ارتوى
فأرى ألذ العيش وصلاً في الهوى ... وأمر ما لاقيت من ألم النوى

قرب الحبيب وما إليه وصول

واحسرتي قلب المشوق تكلما ووشى العذول لدى الرشا وتكلما
حالي وحالك يا منى قلبي هما كالعيس في البيداء تشكين الظما
والماء فوق ظهورها محمول

وله في مدح الامام علي رضي الله عنه :

أرى صفو عيشي بالخطوب تكدرا وأيسر أمري بالزمان تعسرا
ولكن أنادي ان فؤادي تحيرا أياسيدي أنجد عبيدك في الورى
بهمتك العظمى جعلت فداكا

يقينك لا يزداد ان كشف الغطا ورأيك حاشا منه أن يصدر الخطا
أنادي إذا جار الزمان وان سطا أباحيدر الكرار يا وافر العطا
فقير أتى يبغي جزيل عطاكا

سموت علوما في الملا ومناقبا وشيدت للدين القويم مراتبا
وأصبحت صهراً للنبي وصاحبا فجد وأجرني[1] كي أقول مخاطبا
لقلبي لك البشرى بلغت مناكا

وله أيضاً

هزوا القدود فخلتهن رماحا واستلوا من غمد العيون صفاحا
ورموني عن تلك الحواجب أسهما تصمي ولكن ما ألقى قداحا
آهاً على تلك الوجوه تحجبت عني وكانت كالصباح صباحا
فلذا تذوب تكاد حبة مهجتي شوقاً إذا البدر استعار ولاحا
يا قلب كيف وقد فقدت أحبة تركوك بعد بعادهم ملتاحا
هم عودوا كبدي اللهيب وعلموا عيني النحيب وعذلي الافضاحا
وتحجبوا عن ناظري ولم أجد أبداً لبـــاب لقاهم مفتاحا
زعم الوشاة بأني بحت بسرهم حاشاي الا ادمعـا ونياحا

---

(١) « قل إني لن يجيرني من الله أحد » سورة الجن ، (الآية ٢٢) .
« وهو يجير ولا يجار عليه » المؤمنون . (الآية ٨٨) فهو سبحانه مجير المستجيرين .

وتحـدثوا بسهام طرفي بعدهم ... اني وقد أجري دماً وقراحا
وشاعوا اني قد سلوت ودادهم ... كذبوا وما قصدوا به اصلاحا
لم استطع ولو استطعت سلوتهم ... هلا يود ذوو الوثاق سراحـا
أني وأيم الله لست بناقض ... تلك العهود ولو ثخنت جراحا
ياخاطفين ممن الحب فؤاده ... ومجرعين من الصبابة راحـا
عطفـاً على ذي لوعة متحير ... هجر الديار وغادر النصاحـا
يهوى الغصون لأنهـا كقدودكم ... وإذا ترنمت الحمامة ناحـا
ذو غصة هجر القرار ولم يزل ... طول الزمان لأجلكم كداحا
وجد الممات حياته في حبكم ... ويرى الخسارة في الغرام رباحا

وله دوبيت

رأى الرّوض الخد يزهو فادعى ... وقال لعمري إنه لشقيقي
فصاح به بدر السما وهو قائل ... تأن لقد اخطأت فهو شقيقي

وله

يقولون عذالي اخال بخدّ من ... بذلت له من قلبك الحبة السودا
فقلت نعم قد حصن الخال خده ... كما حصن الكافور بالحبة السودا

وله

فتنت بمكحول فقلت لناصحي ... وفي السمع وقر عن نصوح وواعظ
فما اكتحل المحبوب من أجل سنة ... ولكن لقتلي سن سيف اللواحظ

وله أيضاً

لما تزاهي بخال فوق وجنته ... وحكمته معاني الحسن في الناس
افتى بسفك دمي المضنى محاسنه ... بنقطة من مداد فوق قرطاس

وله أيضاً

الجنبذ [1] الورد في فيك ادعى شبها ... فقلت زوّرت فيما تدعيه فمه

(١) الجنبذة : المرتفع من كل شيء .

فما ارعوى عن مقال في تزوره ... فشق من غيرة أيدي الزمان فمه

ولـه أيضاً

إذا التجأ اللهيف حذار خصم ... إلى باب الملوك يرى السكينة

فكيف أخاف معتدياً واني ... لملتجىء إلى باب المدينة

ولـه أيضاً

دع الدنيـا وزهرتها لوغد ... وجانبها إذا كنت الرشيدا

اترجو الخير من دنيـا اهانت ... حسين السبط واختارت يزيدا

توفي سنة ألف ومائتين واحدى وخمسين ودفن بمقبرة الموصـل رحمه الله تعالى .

الشيخ محمد بن أبي بكر بن محمد المغربي الطرابلسي الشهير بالاثرم

الشيخ الفاضل والعمدة الامام الـكامل ، ولد بقرية انكوان من أعمال طرابلس في حدود سنة خمس وأربعين ومائة والف وبها نشأ ، وكان مبدأ أمره أنه توجه إلى تونس برسم التجارة ، فاجتمع على رجل من الصالحين هناك ولازمه ، فلما قربت وفاته أوصى اليه بملبوس بدنه ، فلما توفي جمع الحاضرين وأراد بيعه ، فأشار إليه بعض أهـل الشان أن يضن به ولا يبيعه ، فتنافس فيه الشارون وتزايدوا فدفع الدراهم من عنـده في ثمنه وابقاه ، وكان المتوفى فيما قيل قطب وقته فلبسه الوجد في الحال ، وظهرت له أمور هناك واشتهر أمره ، وأتى إلى الاسكندرية فسكنها مدة ، ثم ورد مصر في أثناء سنة خمس وثمانين ومائة ، وحصلت له شهرة تامة ، ثم عاد إلى الاسكندرية فقطنها مدة ، ثم عاد إلى مصر ، وهو مع ذلك يتجر في الغنم وأثرى بسبب ذلك وتمول ، وكانت الأغنام تجلب من وادي برقة ، فتشارك عليها مشايخ عرب أولاد علي وغيرهم ، وربما ذبح بنفسه بالثغر

فيفرق اللحم على الناس ويأخذ منهم ثمن ذلك . وكان مشهوراً باطعام الطعام والتوسع فيه في كل وقت ، وربما وردت عليه جماعة مستكثرة فيقرمهم في الحـــال ، وتنقل له في ذلك أمور ، ولما ورد مصر كان على هذا الشان لا بد للداخل عليه من تقديم مأكول بين يديه . وهادته أكابر الأمراء والتجار بهدايا فاخرة سنية ، وكان يلبس أحسن الملابس وربما لبس الحرير المقصب ، يقطع منها ثياباً واسعة الاكام فيلبسها ، ويظهر في كل طور في ملبس آخر غير الذي لبسه أولاً ، وربما حضر بين يديه آلات الشرب وانكبّت عليه نساء البلد ، فتوجه إليه بمجموع ذلك نوع ملام ، إلا أنّ أهل الفضل كانوا يحترمونه ويقرون بفضله وينقلون عنه أخباراً حسنة . وكان فيه فصاحة زائدة وحفظ لكلام القوم وذوق للفهم ، ومناسبات للمجلس ، وله اشراف على الخواطر فيتكلم عليها فيصادف الواقع .

ثم عاد إلى الاسكندرية ومكث هناك إلى أن ورد حسن باشا ، فقدم معه وصحبته طائفة من عسكر المغاربة ، ولمـــا دخل مصر أقبلت عليه الأعيان وعلت كلمته وزادت وجاهته ، وأتته الهدايا ، وكانت شفاعته لا ترد عند الوزراء ، ولما كان آخر جمادى الأولى من هذه السنة توجه إلى كرداسته لإيقاع صلح بين العرب وبين جماعـة من القافلة المتوجهين إلى طرابلس ، فمكث عندهم في العزائم والاكرامات مدة من الأيام ثم رجع ، وكان وقت شديد الحر فخلع ثيابه فأخذه البرد والرعدة في الحال ، ومرض نحو ثمانية أيام ، حتى توفي نهار الثلاثاء ثالث جمادى الثانية سنة ألف ومائتين وسنة . وجهز وكفن وصلي عليه بمشهد حافل بالأزهر ، ودفن تحت جدار قبه الإمام الشافعي في مدافن الرزازين ، وحزنت عليه الناس كثيرا ، وقـــد رآه أصحابه بعد موته في منامات عدة تدل على حسن حـــاله في البرزخ رحمه الله .

الشيخ محمد بن علي بن عبد الله بن أحمد المعروف بالشافعي المغربي التونسي نزيل مصر

العالم الفاضل والجهبذ الكامل ، ولد بتونس سنة اثنتين وخمسين ومائة وألف ، ونشأ في قراءة القرآن وطلب العلم ، وقدم إلى مصر سنة إحدى وسبعين وجاور بالأزهر برواق المغاربة ،وحضر علماء العصر في الفقه والمعقولات ، ولازم دروس الشيخ علي الصعيدي وأبي الحسن القلعي التونسي شيخ الرواق ، وعاشر اللطفاء والنجباء من أهل مصر وتخلق بأخلاقهم ، وطالع كتب التاريخ والأدب ، وصار له ملكة في استحضار المناسبات الغريبة والنكات ، وتزوج وتزيا بزي أولاد البلد وتحلى بذوقهم ، ونظم الشعر الحسَن ، فمن ذلك ما أنشدني لنفسه يمدح الرسول ﷺ :

هذا الحمى وعبيره المتعطر ... فعلام دمعك من جفونك يمطر
وأنخ مطاياك التي أوصلتهـــا ... إدلاجها بهجيرهـــا إذ تعسر
فلكم قطعت بها بساط مفاوز ... ونقطت أسطره التي تتعذر
ودفعتها في كل حزن شامخ ... سامي السرى عنه البزاة تقصر
حتى أتت بك قبر أفضل مرسل ... فلها عليك فضائل لا تنكر
عين العناية مهبط الوحي الذي ... جاءت به الرسل الكرام تبشر

ومنها

ما نال معجزة نبي غيره ... إلا به فهو النبي الأكبر
أدناه بالمعراج خالقه إلى ... حيث الأمين يقول : زد وأقصر

حتى رأى المولى بعيني رأسه [١] أرأى السوى المولى بعين تبصر ؟

وله يمدح الشريف مساعد شريف مكة سنة سبع وسبعين بقوله :

لعلياك تأتي عيسها ورجالهـا خفافاً وتغدو مثقلات رحالها
ولولاك لم تعجم سطور سباسب بأقلام عيس قد برتها جبالها
إذا توج الحادي بمدحك لفظه نرى الأرض تطوى للركاب رحالها
وان فكروا في حسن معناك والدجى اضاءت لهم أيمانها وشمالهـا
لعمري لقد احييت ما كان دارسا من المكرمات المستطاب نوالهـا
وقمت لدين الله خير معاضد فحاق لاعداك الغداة نكالهـا

وله مضمنا بيت المتنبي

وقالوا نأى من كنت مغرى بحبه وتزعمه خـلا ونعم خليلي
ولو كان خلا ما نأى عنك ساعة ولم يرض في شرع الهوى ببديل
فقلت دعوني لا تهيجوا بلابلي بقـال على ما نابني وبقيل
وان رمتمو ارشدي فقولوا وأقبلوا فأي فتى يهدى بغير دليل
فقالوا اقترح صبراً عليه أو البكا فقلت البكا أشفى إذاً لغليلي

---

(١) من المعلوم أن حديث المعراج قد ورد في سورتي النجم والتكوير ، ففي الأولى ، قال تعـالى : « ما كذب الفؤاد ما رأى ، أفتمارونه على ما يرى ، ولقد رآه نزلة أخرى » أي ان النبي ﷺ رأى جبريل في صورته التي خلق عليها مرتين ، مرة وهو في غار حراء في بدء النبوة ، والثانية في ليلة المعراج ، وهذه في سورة التكوير « ولقـد رآه بالأفق المبين » أي رأى جبريل بالأفق الأعلى ، وقال سبحانه في سورة النجم : « علمه شديد القوى » أي علم صاحبكم جبريل عليه السلام وهو شديد القوى العلمية والعملية ، فيعلم ويعمل . وكانت عائشة رضي الله عنها تقول : لم ير رسول الله ﷺ ربه ، وتحمل الآية على رؤيته جبريل عليه السلام ، وفي صحيح مسلم عن أبي ذر قال : سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك ؟ فقال : نور أنى أراه ، وفي رواية : رأيت نورا ، قال ابن كثير : وقوله تعالى : « ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى » هذه هي المرة الثانية التي رأى رسول الله ﷺ فيها جبريل على صورته التي خلقه الله عليهـا ليلة الإسراء اهـ .

وله

أيد الحق بجـــده ملجأ في كل شـــده
فكفى بالمرء اثمـــا أن يضيع الحق عنده

وله

أطال اشتياقي قرقف الشفة اللعسا وأيقظ وجدي سحر مقلته النعسا
وأخمد صبري حين شب جماله لهيباً نفت عني حرارته الأنسا
فُتنّا به مذ صاغه الله فتنة وأصبح يحـكي في سماحته الشمسا
ومذ سأل العذال عنه لهوتهم ببيت به لغز به استخونوا الحدسا
فآخره عشر لأوله كما بدا عدّ ثانية لثالثه خمســـا

واللغز في اسم محمد وله غير ذلك . توفي رحمه الله في يوم الجمعة ثالث شعبان من السنة الثانية بعد المائتين والألف .

الشيخ محمد مصطفى بن جاد المصري

الشاب الصالح والناجح الفالح العفيف الموفق . ولد بمصر ونشأ بالصحراء بعمارة السلطان قايتباي ، ورغب في صناعة تجليد الكتب وتذهيبها ، فعانى ذلك ومارسه عند الأسطى أحمد الدقدوسي ، حتى مهر فيها وفاق أستاذه وأدرك دقائق الصنعة ، والتذهيبات والنقوشات بالذهب المحلول والفضة والاصباغ الملونة والرسم والجداول والاطباع وغير ذلك ، وانفرد بدقيق الصنعة بعد موت الصناع الكبـار مثـل الدقدوسي وعثمان افندي بن عبد الله ، عتيق المرحوم الشيخ حسن الجبرتي والشيخ محمد الشناوي .

وكان لطيف الذات خفيف الروح محبوب الطباع مألوف الأوضاع ، ودوداً مشفقاً ، عفوفاً صالحاً ملازماً على الأذكار والأوراد ، مواظباً على استعمال اسم (لطيف) العدة الكبرى في كل ليلة على الدوام صيفاً وشتاء سفراً وحضراً ، حتى لاحت عليه أنوار الاسم الشريف وظهرت فيه أسراره وروحانيته ، وصار له ذوق صحيح وكشف صريح ومَرَاء واضحة . وأخذ على شيخنا الشيخ محمود الكردي طريق السادة الخلوتية ، وتلقن عنه الذكر

والاسم الأول ، وواظب على ورد العصر أيام حيـاة الأستاذ ، ولم يزل مقبلا على شأنه قانعاً بصناعته ، ويستنسخ بعض الكتب ويبيعها ليربح فيها ، إلى ان وافاه الحمام ، وتوفي سابع شهر ذي القعدة من سنة سنتين ومائتين والف . بعد أن تعلل أشهراً رحمه الله وعوضنا فيه خيرا .

الشيخ محمد الكيالي الحلبي الأصل والمولد الحنفي القادري الحسني

من أولاد (سيدنا الغوث الأعظم والقطب الأكرم) السيد عبد القادر الجيلاني قدس الله سره ، ولد المترجم رضي الله عنه بحلب سنة ألف ومائتين وأربعين تقريباً وبها نشأ ، ثم هاجر إلى دمشق واستقام بها ، وكان من الصالحين العابدين المعتقدين المواظبين على اذكار الطريقة . توفي أوائل ربيع الأنور سنة ألف ومائتين وأربع وتسعين ودفن في تربة سويقة صاروجا وقبره هناك معروف اهـ [١] .

الشيخ محمد بن اسماعيل بن احمد الربعي

فاضل المعي وكامل لوذعي ، ومرشد أستاذ وعارف ملاذ ، قيل فيه من بعض واصفيه :

المعي يرى بأول رأي آخر الأمر من وراء المغيب
لوذعي له فؤاد ذكي مـــاله في ذكائه من ضريب
لا يروي ولا يقلب كفا واكفّ الرجال في تقليب

ولد رضي الله عنه سنة ألف ومائة وثلاثين تقريباً ثم انكب على طلب

(١) هذه الترجمة تحتاج إلى تحرير لأن بني الكيالي ينتسبون إلى الشيخ احمد الرفاعي، وإذا قلنا أن السهو من الناسخ والصواب الشيخ محمد الكيلاني فالاشكال باق . لأن العائلة الكيلانية لا يوجد منها أحد ساكن في الشهباء في هذا التاريخ .
كتبه محمد راغب طباخ

العلوم إلى أن صار من أعيان العلماء والجهابذة النبلاء ، له إجازة من العلامة عبد الخالق المزجاجي وقرأ عليه من الحديث كثيراً ، منها سنن الترمذي من أوله إلى آخره ، ولازم السنة وأخذ في الحديث ، وله كتب ورسائل في علوم عديدة ، وبالجملة فهو حقيق بقول الشاعر :

لقد حسنت بك الأيام حتى　　كأنك في فم الدهر ابتسام

مات رضي الله عنه سنة ألف ومائتين ونيف .

السيد محمد بن محمد الشامي الأصل الصنعاني الوطن والوفاة الحنفي

العالم الذي لا يبارى والفاضل الذي في ميدان الفضل لا يجارى ، أوحد النبلاء ومفرد العلماء ، لا زال يكلف نفسه طريق الصلاح ويقودها إلى التقوى والنجاح ، إلى أن صار ذلك له عادة وصار يعده الناس أوحد السادة ، وتفنن في العلوم والمعارف وتكمل في الفنون والعوارف ، لسانه رطب بذكر الله لا يعول على غيره ولا يعتمد على سواه ، يكره الاجتماع مع الناس كراهة زائدة إلا ان كان لمذاكرة أو فائدة ، مات سنة ألف ومائتين وإحدى وخمسين .

الشيخ محمد بن علي بن حسين العمراني الصنعاني

عالم أديب ومجتهد أريب ، متمكن في المعقول ومتضلع في المنقول ، ولد سنة ألف ومائة وأربع وتسعين ، ثم اشتغل بالطلب إلى أن حصل منه على الأرب ، فعقب تمكنه من مطلوبه ووقوعه على أتم مرغوبه ، سلك طريق الاجتهاد والعمل بالدليل ، وترك التقليد والعمل بقول الأئمة ذوي القدر الجليل ، وقد تخرج على يد الفاضل والمجتهد الكامل محمد بن علي بن

محمد بن عبد الله الشوكاني ، وكان يقدمه على من عداه لقوة ذهنه وسرعة فهمه ، وجودة ادراكه العالي وحسن لطفه الحالي ، وسمع منه أكثر مصنفاته وغالب مؤلفاته ، وكان أكثر اشتغاله في علم الحديث ورجاله إلى أن صار من أعظم أهل هذا الشان ، وله تأليف على سنن ابن ماجه جعله أولاً كالتخريج ثم تجاوز ذلك إلى شرحه ، قال في الديباج : توفي المترجم المرقوم سنة ثلاث وستين ومائتين وألف [١] رحمه الله تعالى ودفن بزبيد .

السيد محمد بن السيد حسين حوتي الصنعاني

أوحد العلماء والسادة الفضلاء ، ذو المجد الظاهر والقدر الباهر ، ولد سنة ألف ومائة وخمسين ، وأخذ العلم عن جماعة ، منهم العلامة السيد محمد بن اسماعيل الأمير والقاضي أحمد قاطن وغيرهما ، وصار أحد علماء صنعاء ذوي الإفادة ، ودرس في فنون ، وكان مائلاً الى العمل بالأدلة تاركاً للتقليد ، له مباحث علمية جيدة ، وكان حسن السيرة صافي السريرة ، جميل الاخلاق لين المعاملة محبوباً بين الناس ، مقبولاً مقدما ، اعترف شيوخه بفضله وكانوا يقدمونه في المجالس ، ويحدثون الناس بكثرة علومه ، وتخريجه ومعرفته واتساع ذكائه وفكره ، توفي سنة ألف ومائتين واحدى عشرة سنة من الهجرة النبوية .

الشيخ محمد بن حسن دلامة الذماري

العالم الأستاذ والعمدة الملاذ ، نخبة الأنام وحسنة الليالي والأيام ، ولد

---

(١) وفي فهرس الفهارس : متوفى سنة ١٢٦٩ والعمراني نسبة الى عمران باليمن ، وفي أعلام الأستاذ الزركلي من ترجمته : نفي الى زبيد (سنة ١٢٥٠ هـ) وسافر الى مكة ، فأقام ثلاث سنوات ، واستدعاه الشريف حسين بن علي بن حيدر ، صاحب أبي عريش (باليمن) وبالغ في اكرامه ، فمكث نحو سنتين . ورحل إلى زبيد ، فلما دخلتها الباطنية ، هاجم بعضهم داره فقتلوه . له تاريخ « ترجم فيه علماء عصره ، و « عجالة ذوي الحاجة » حاشية على سنن ابن ماجه ، و « التعريف ، بما في التهذيب من قوي وضعيف » مجلدان في رجال الحديث اه .

تقريباً سنة ألف ومائة وخمسين ، وكان حسن المحاضرة عارفاً بالبحث والمناظره ، رقيق الحاشية ذا شهرة منتشرة فاشية ، كثير الميل الى النظر إلى الولدان ذوي الصور الحسان ، مع عفة وصيانة وحماية من كل خيانة ، ناهز الستين من الأعوام وهو كالشاب في الوجد والغرام . ويغلب على الظن أن العشق قتله وأورده منهله ، لأنه الى حين موته وهو يتهيم بالملاح والوجوه الصباح ، ولذلك تسلط عليه السقم والمرض حتى كأنه لسهام الأسقام غرض ، ومع ذلك فانه كان لا يكره من نسبة ذلك إليه ، ولا ينقبض إذا ذكر ذلك بين يديه ، وكان كل من كاتبه يكاتبه بعبارة العشق والنوى ، والوجد والهوى ، ويذكر له الجمال وفعله والغرام وأهله ، وهو يتلذذ بذلك ويجاوبهم سالكاً هذه المسالك ، ومعلوم أن الموت بالعشق بشروطه شهادة وموجب للفوز والسعادة ، وكان يعاتبه بعض الناس مزاحاً بقصد الهزل والمداعبة فيقول :

لحظ النجوم بمقلتيه فراعها ما أبصرت من حسنه فتردت
فتساقطت في خده فنظرتها عمدا بمقلة حاسد فاسودت

ومقصوده بذلك ان اللائمين له يكلمونه حسدا وكلامهم لا يسري عليه فيخرجون ووجوههم مسودة ، كما نظر هذا الناظم النجوم لما تساقطت في خد الحبيب نظرة حاسد فاسودت ، الا انه فرق بين السوادين ، مات المترجم سنة الف ومائتين وتسع رحمه الله تعالى .

الشيخ محمد بن الحسن بن عبد الله الظفري الصنعاني

عالم صنعاء وفرد العلماء ونخبة الفضلاء وعمدة النبلاء ، ولد في سنة الف ومائة وست وسبعين . قال في البرج الطالع في ترجمته : برع في العلوم الآلية ، وشارك في غيرها ، وله فهم جيد وادراك قوي ، وسمت حسن وعقل رصين . وكان مجتهداً يعمل بالسنة والكتاب ولا يأخذ بقول

مجتهد ولا يعد التقليد من الصواب ، بل يتقيد بالنصوص الصحيحة والدلائل الصريحة .(١) توفي سنة الف ومائتين وسنة واحدة .

السيد محمد بن حسن المعروف بالمحلسب

عالم زمانه العامل وفاضل أوانه الكامل ، من استوى على عرش الفضائل واحتوى على سامي الشمائل ، ولد سنة الف ومائة وسبعين ، وأخذ العلوم عن جماعة من علماء صنعاء المتقنين ، فروى عنهم واستفاد وأعطى وأجاز وأفاد ، وشارك في علم السنة مشاركة قوية حتى صار يعمل بالأدلة من الكتاب والسنة المحمدية ، وكان حسن الطاعة بعيداً من الاضاعة ، متعبداً صالحاً زاهداً ناجحاً ، لين الجانب قريب الاجابة لكل طالب ، توفي سنة الف ومائتين وسبع وخمسين .

القاضي محمد بن حسن بن علي الذماري

الشيخ العابد والصالح الزاهد ، العامل الهمام والألمعي الامام ، ولد سنة الف ومائتين قال في البدر الطالع : له ذهن قوي وفهم سوي ، وذكاء كأنه شعلة نار ، وادراك فاق به على الأخيار ، وشعر رائق ونثر فائق ، حضر الأكابر وأخذ عنهم كابراً عن كابر . وله مؤلفات عديدة ، ومصنفات بكل حسن فريدة ، وتقريرات فائقه وكتابات رائقة (٢) توفي سنة الف ومائتين ونيف وستين .

---

(١) يظن كثير من الناس أن العمل بالكتاب والسنة وبالاجتهاد ، هو فتح لباب الفوضى والفساد ، وهذا خطأ لا يحتمل الصواب ، وإنما القصد أن ينظر العلماء فيما يجد ويتجدد من الحوادث والنوازل ، وما يسخر للانسان من مخترعات البر والبحر والجو ، فيستنبطون لها من الكتاب والسنة الأحكام ، من حلال وحرام ، على قاعدة جلب المصالح ، للأمة ودرء المضار والمفاسد عنها ، هـذا هو الطريق الوسط بين الجمود والتقليد ، وبين التهور أو التدهور المسمى بالتجديد !

(٢) في معجم المؤلفين : من آثاره « الاقتصاد » في التراجم .

الشيخ محمد بن احمد مشحم الصفدي الاصل الصنعاني المولد

قال في البدر الطالع : ولد سنة الف ومائة وست وثمانين ، وقرأ في سائر العلوم ، وشارك في سائر الفنون ، له ذهن قويم وفهم جيد مستقيم ، وذكاء متوقد وحسن تصور باهر وقوة إدراك مفرط ، وهو ممن لا يعول على التقليد بل يعمل بما ترجحه الأدلة ، ولاّه مولانا الامام المنصور بالله القضاء بصنعاء من جملة قضاتها ، ثم حج ثم نقل إلى قضاء الحديدة ، ثم رغب عن القضاء لما حصل من الفتن بتهامة ، ورجع إلى صنعاء وأخذ في فنون الحديث ، ثم انتقل إلى رحمة الله تعالى في رجب سنة الف ومائتين وثلاث وعشرين ، رحمه الله تعالى .

الشيخ محمد بن أحمد الشاطبي الصنعاني

العالم العامل والجهبذ الكامل ، شمس سماء العلوم وكوكب اشراق المنطوق والمفهوم ، ولد سنة الف ومائتين وعشرة وقرأ على المشايخ في الآلات والحديث ، وله مشاركة في باقي العلوم [١] ، وهو قوي الفهم صحيح التصور من عباد الله الصالحين ، ومن العاملين بالأدلة ، السائرين على الطريقة النبوية ، الموثرين لها على الرأي [٢] وكذلك والده العالم الفاضل ، الزاهد العابد الشيخ أحمد الشاطبي المرقوم أكثر الله أمثالهما ، وجعل الجنة مأواهما .

قرأ نيل الاوطار وفتح القدير وارشاد الفحول على مؤلفها ، وقرأ في كثير من مجاميع الحديث من الأمهات وغيرها ، وبالجملة فهو من أكابر العلماء وأحاسن الفضلاء توفي سنة ألف ومائتين و . . . .

---

(١) في الأعلام : ولد وعاش في صنعاء ، وتوفي بالواعظات (من بلاد تهامة) له كتابان في « الطب » و « الفرائض » .

(٢) قدمنا في ترجمة (المعروف بالمحذب) قبل صفحة ما يغني عن الإعادة والزيادة .

الشيخ محمد بن احمد بن حسن بن عبد الكريم الخالدي الشافعي الشهير بابن الجوهري

الإمام الالمعي والذكي اللوذعي ، من عجنت طينته بماء المعارف وتآخت طبيعته مع العوارف ، العمدة العلامة والنحرير الفهامة ، فريد عصره ووحيد دهره ، وهو أحد الاخوة الثلاثة وأصغرهم ويعرف هو بالصغير .

ولد سنة إحدى وخمسين ومائة وألف ، ونشأ في حجر والده في عفة وصون وعفاف ، وقرأ عليه وعلى أخيه الأكبر الشيخ احمد ، وعلى الشيخ خليل المغربي والشيخ محمد الفرماوي وغيرهم من فضلاء الوقت ، وأجازه الشيخ محمد الملوي بما في فهرسته ، وحضر دروس الشيخ عطية الأجهوري في الأصول والفقه وغير ذلك ، فلازمه وبه تخرج في الالقاء ، وحضر الشيخ علي الصعيدي والبراوي ، وتلقى عن الشيخ حسن الجبرتي كثيراً من العلوم ، ولازم التردد عليه والأخذ منه مع الجماعة ومنفردا ، وكان يحبه ويميل إليه ويقبل بكليته عليه .

وحج مع والده في سنة ثمان وستين وجاور معه ، فاجتمع بالشيخ السيد عبد الله الميرغني صاحب اللطائف ، واقتبس من فوائده واجتنى من ثماره ، وكان آية في الفهم والذكاء ، والغوص والاقتدار على حل المشكلات ، وأقرأ الكتب وألقى الدروس بالأشرفية ، واظهر التعفف والانجماع عن خلطة الناس ، والذهاب والترداد إلى بيوت الأعيان ، والتزهد عما بأيديهم ، فأحبه الناس وصار له أتباع ومحبون ، وساعده على ذلك الغنى والثروة وشهرة والده وإقبال الناس عليه ومدحتهم له وترغيبهم في زيادته ، وتزوج ببنت الخواجا الكريمي وسكن بدارها المجاور لبيت والده بالأزبكية ، واتخذ له مكاناً خاصاً بمنزل والده يجلس فيه في أوقات ، وكل من حضر عند أبيه في حال انقطاعه من الاكابر أو من غيرهم للزيارة أو للتلقي ، يأمره بزيارة

ابنه المترجم والتلقي عنه وطلبهم الدعاء منه ، ويحكي لهم عنه مزايا وكرامات ومكاشفات ومجاهدات وزهديات ، فازداد اعتقاد الناس فيه . وعاشر العلماء والفضلاء من أهل عصره ومشايخه وقرنائه ، وتردد عليهم وترددوا عليه ، ويبيتون عنده ويطعمهم ويكرمهم ويتنزه معهم في أيام النيل مع الحشمة والكمال ، ومجانبة الأمور المخلّة بالمروءة .

ولما مات اخوه الكبير الشيخ احمد وقد كان تصدر بعد والده في اقراء الدروس ، أجمع الخاص والعام على تقدم المترجم في اقراء الدروس في الأزهر والمشهد الحسيني في رمضان ، فامتنع من ذلك ، وواظب على حالة انجماعه وطريقته واملائه الدروس بالأشرفية . وحج في سنة سبع وثمانين ومائة ألف ، وجاور سنة وعقد دروساً بالحرم وانتفع به الطلبة ، ثم عاد إلى وطنه وزاد في الانجماع والتحجب عن الناس في أكثر الأوقات ، فعظمت رغبة الناس فيه ، وورد هداياهم مرة بعد أخرى ، وأظهر الغنى عنهم فازداد ميل الناس إليـه ، وجبلت قلوبهم على حبه واعتقاده .

وتردد الأمراء وسعوا لزيارته افواجا ، وربما احتجب عن ملاقاتهم ، وقلد بعضهم بعضاً في السعي ، ولم يعهد عليه أنه دخل بيت أمير قط ، أو أكل من طعام أحد قط ، إلا بعض أشياخه المتقدمين ، وكانت شفاعته لا ترد عند الأمراء والأعيان ، مع الشكيمة والصدع بالأمر والمناصحة في وجوههم إذا أتوا إليه ، وازدادت شهرتـه وطار صيته ، ووفدت عليه الوفود من الحجاز والغرب والهند والشام والروم ، وقصدوا زيارته والتبرك به ، وحج أيضاً في سنة تسع وتسعين لما حصلت الفتنة بين أمراء مصر ، فسافر بأهله وعياله وقصد المجاورة ، فجاور سنة واقرأ هناك دروسا ، واشترى كتباً نفيسة ، ثم عاد إلى مصر واستمر على حالته في انجماعه وتحجبه عن الناس ، بل بالغ في ذلك ، ويقرىء ويملي الدروس بالأشرفية ، وأحياناً بزاويتهم بدرب شمس الدولة ، وأحياناً بمنزله بالأزبكية .

ولما توفي الشيخ أحمد الدمنهوري وتولى مشيخة الأزهر الشيخ عبد الرحمن العريشي الحنفي ، باتفاق الأمراء والمتصدرين من الفقهاء ، وهاجت حفائظ الشافعية ، ذهبوا إليه وطلبوه للمشيخة فأبى ذلك ، ووعدهم بالقيام لنصرتهم وتولية من يريدونه ، فاجتمعوا ببيت الشيخ البكري واختاروا الشيخ أحمد العروسي لذلك ، وأرسلوا إلى الأمراء فلم يوافقوا على ذلك ، فركب المترجم بصحبة الجمع إلى ضريح الإمام الشافعي ، ولم يزل حتى نقض ما أبرمه العلماء والأمراء ، ورد المشيخة إلى الشافعية ، وتولى الشيخ أحمد العروسي وتم له الأمر كما تقدم ذلك في ترجمة العريشي ، ولما توفي الشيخ أحمد العروسي كان المترجم غائباً عن مصر في زيارة سيدي أحمد البدوي ، فأهمل الأمر حتى حضر وتولى الشيخ عبد الله الشرقاوي بإشارته .

ولم يزل وافر الحرمة معتقداً عند الخاص والعام ، حتى حضر الفرنساوية واختلت الأمور وشارك الناس في تلقي البلاء ، وذهب ما كان له بأيدي التجار ونهب بيته وكتبه التي جمعها ، وتراكمت عليه الهموم والأمراض ، وحصل له اختلاط ، ولم يزل حتى توفي يوم الأحد حادي عشرين شهر ذي القعدة الحرام عام الف ومائتين وخمسة عشر بحارة برجوان ، وصلي عليه بالأزهر في مشهد حافل ، ودفن عند والده وأخيه بزاوية القادرية بدرب شمس الدولة . وبالجملة فكان من محاسن مصر والفريد في العصر ، ذهنه وقاد ونظمه مستجاد ، وكان رقيق الطبع لطيف الذات ، مترفهاً في مأكله وملبسه .

ومن مؤلفاته مختصر المنهج في الفقه ، وزاد عليه فوائد ، واختصر الاسم وسماه النهج ، ثم شرحه وهو بالغ في بابه ، ومنها شرح المعجم الوجيز لشيخه السيد عبد الله الميرغني ، وقد اعتنى به وقرأه درساً ، ومنها شرح عقيدة والده المسماة منقذة العبيد في كراريس أجاد فيه جداً ، ورسالة في تعريف شكر المنعم ، وشرح الجزرية ، والدر النظيم في تحقيق

الكلام القديم ، ونظم عقائد النسفي ، وعقيدة في التوحيد وشرحها بشرحين ، واللمعة الألمعية في قول الشافعي باسلام القدرية ، وتحقيق الفرق بين علم الجنس وبين اسمه ، واتحاف الكامل ببيان تعريف العامل ، وزهر الأفهام في تحقيق الوضع وما له من الأقسام ، وحلية ذوي الأفهام بتحقيق دلالة العام ، واتحاف الطرف في بيان متعلق الظرف ، والروض الأزهر في حديث من رأى منكم منكراً ، ورسالة في تعريف الشكر العرفي ، وثمرة غريس الاغتناء بتحقيق أسباب البناء ، والدر المنثور في الساجور[1] ، واتحاف الآمال بجواب السؤال في الحمل والوضع ، لبعض الرجال ، واتحاف الأحبة في الضبة أي المفضضة ، ورسالة في التوجه واتمام الاركان ، ورسالة في زكاة النابت ، ورسالة في ثبوت رمضان ، ورسالة في أركان الحج ، ورسالة في مُد عجوة ودرهم ، ورسالة في مسألة الغصب ، وحاشية على شرح ابن قاسم المبادي إلى البيوع ، والروض الوسيم في المفتى به من المذهب القديم ، ورسالة في النذر للشريف ، ورسالة في اهداء القرب للنبي عليه السلام ، ورسالة في الأصولي والأصول ، ورسالة في مسألة ذوي الأرحام واتحاف اللطيف بصحة النذر للموسر والشريف . وله غير ذلك منظومات وضوابط وتحقيقات [2] رحمه الله تعالى .

الشيخ محمد بن محفوظ بن منفاخ الدمشقي الصالحي المعروف بابي تنالة

قطب الشام وبركة الأنام ، صاحب الكرامات الكثيرة والكشوفات الشهيرة ، والاخبارات العجيبة الواقعة المصيبة ، وكان كثير الأحوال

---

(١) الساجور : خشبة تعلق في عنق الكلب ، ويقال : في أعناقهم سواجير ، أي أغلال .

(٢) انتهى من « عجائب الآثار في التراجم والأخبار » الجبرتي (ج ٧ ص ١٩١ — ٢٠٢). وذكر له في معجم المطبوعات » : إتحاف أولي الألباب ، بشرح ما يتعلق في (سيّ) من الإعراب — وهو شرح على منظومته في إعراب (لا سيما) — مصر سنة ١٢٧٨ هـ .

مع الهيبة والجلال ، دائم الاصطلام على ممر الأيام ، لا يتقيد بلباس ولا بمعرفة قدر أحد من الناس ، قد أسكره شراب المحبة ، وقصره على الشخوص إلى الأحبة . وكان كثير القعود في الطريق أمام المحل الذي دفن فيه ، ويطلب من المارين الدراهم فمن لم يعطه شتمه بملء فيه ، ولكن من الغريب وأعجب العجيب ، ان من مر عليه ولم يكن معه شيء من الدراهم لم يتعرض له بل يمر عليه وهو له باسم .

ولد بدمشق الشام ونشأ بها وهو على حالة الجذب والاصطلام ، ولم يزل يقوى عليه الحال ويترقى في مدارج الجلال ، ويزداد تصديق الناس لحاله ويحكمون بنواله لمرغوبه حسب آماله ، إلى أن مات رضي الله عنه يوم عيد عرفة سنة سبع عشرة ومائتين والف ، وحضر جنازته الجم الغفير والعدد الكثير ، ودفن في حجرته في جامع السكة جانب حمام العفيف ، ويعرف الجامع الذي دفن فيه بجامع العفيف ، وقبره فيه ظاهر في الجهة الشرقية من الرواق الشمالي ، وعليه شعرية حائلة بين القبر ومصلى الناس ، وهو مقصود بالزيارة يزوره الناس ويتبركون به ، ومن جملة ما رقم عند قبره الشريف رفع الله قدره المنيف :

اعط المعية حقهـــا ... والزم له حسن الأدب
واعـــلم بأنك عبده ... في كل حال وهو رب

الشيخ محمد بن سعيد سنبل الدمشقي

العالم العامل والفاضل الكامل . ولد بدمشق وبها نشأ وأخذ عن والده المذكور ، وعن الشيخ سعيد سفر وعن العلامة أحمـد الجوهري وأخيه محمد الطاهر ووالدهما وعن العلامة محمـد عارف بن حجار وعن العجيمي والدمنهوري ، واشتهر بالعلم والصلاح والفضل . توفي عـام ثمانية عشر ومائتين والف رحمه الله تعالى .

الشيخ محمد المهدي المغربي الزواوي المالكي
مقدم الطريقة الخلوتية

شيخ الطريقة ومعدن السلوك والحقيقة ، صاحب الفيوضات الالهية والكشوفات الربانية ، العارف بالله والمقبل بكليته على مولاه ، المرشد الامام والمسلك الهمام .

ولد في المغرب سنة الف ومائتين ، ثم لما استولى الفرنسيون على الجزائر وتوابعها هاجر بعياله إلى دمشق الشام سنة ثلاث وستين ومائتين والف ، واستقام في حارة الخضيرية ، وكان يقيم الأذكار ويسلك المريدين في مدرسة الخضيرية . وقد أخذ عنه كبراء دمشق وعلماؤها وحكامها وفضلاءها . وأخذ عنه الوزير الكبير والمشير المعظم الخطير ، صاحب الدولة أحمد عزة باشا ، وكان والي دمشق ومشير الأوردي الهمايوني [١] الخامس ولم يزل ملازماً للطريق على أتم حال وأكمل منوال ، إلى أن دخلت سنة الف ومائتين وسبع وسبعين ، فكان ما كان من حادثة النصارى المعروفة بفوق العادة ، وقد أمرت الدولة باطلاق الرصاص على الوالي المرقوم لنسبتها القصور اليه ، وترتب هذه الفتنة على اهماله وعدم مدافعته ، ولم تتمكن الدولة من اطفاء نار الفتنة إلا باعدامه كما ذكرت ذلك باطول من هذا الكلام في ترجمة الوالي المذكور ، [٢] فمات شهيداً مظلوماً ودفن بمقبرة بني الزكي بصالحية دمشق ، جوار سيدي محي الدين قدس سره . ومن المشهور أن صاحب الترجمة كان يقول له يا أحمد ستموت شهيداً ، ولما أرادوا قتله عرضوا عليه الماء فلم يقبل وقال أنا صائم ولم أفطر إلا في الجنة ، مات

---

(١) الجيش السلطاني .

(٢) تجد ترجمته المفصلة ، وذكر هذه الحوادث والفجائع التي حدثت في عهده في (ج ١ ص ٢٦٠ — ٢٨٠) من هذا التاريخ ، وتعليقاتنا عليها .

المترجم سنة ثمان وسبعين ومائتين والف ، وحضر غسله الأفاضل والأعيان والأماثل وذوو الشأن ، ولما وضع نعشه على الأعناق ازدحم عليه الناس حتى صارت كالبساط تحته ، وانسدت الطرقات فلم يجد الانسان طريقاً للسلوك ، وصلى عليه الألوف من النـاس في جامع بني أمية ، ودفن في قاسيون في مقبرة سيدنا نبي الله ذي الكفل ،وقبره معروف مشهور عليه مهابة ونور .

الشيخ محمد أبو القاسم بن عربي المغربي الفلالي

الأسمر المشهور بالشرف ،الصوفي الصالح والمرشد الناجح ، بركة الأنام وعمدة الاسلام ، القدوة الكامل والنخبة الفاضل ، معتقد الصالحين ومعتمد الناجحين . كان اماما في القراآت السبعية ، وكان ملازماً لتلاوة الدلائل في الصلاة على خير البرية . وكان كثير التواضع مهاباً مقبول الدعوة مجاباً ، له اليد الطولى في كلام القوم ، ومواظبة كلية على القيام والصوم ، وكان أسمر اللون طويل القامة ،ذا هيئة حسنة جميلة ،ملازماً لمقام الشيخ الأكبر . وكانت وفاته في منتصف رمضان المبارك سنة سبع وثمانين ومائتين والف ، ودفن في تربة ابن الزكي جوار جامع سلطان العارفين الشيخ الأكبر قدس سره .

الشيخ محمد بن صالح بن عبد القادر بن ابراهيم ابن السيد شرف الدين

الحنفي الشهير بالكيلاني نسبة إلى سيدنا عبـد القادر الكيلاني الحسني ، ولد المترجم سنة ثلاث وسبعين ومائتين والف ، ونشأ في حجر والده واجتهد في العلم والطلب ونال بحمد الله غاية الأرب ، واجازه السادة الأفاضل والقادة ذوو الشمائل ، واستفاد وأفاد ، وألف الكتب والرسائل وأجاد . ومن جملة تأليفاته « نسمات الأسحار في فضائل العشرة الأبرار » والحاصل أنه

كان من السادات الصالحين والأفاضل المتقدين ، ناهجاً منهج أسلافه مشهوراً بين الناس في حسن أوصافه ، وكان خاشعاً متواضعاً مهاباً مقبول الكلمة ، وكانت وفاته رحمه الله في دمشق سنة أربع وأربعين ومائتين والف ، ودفن بسفح قاسيون بتربة سيدنا ذي الكفل [١] .

الشيخ محمد أنيس بن حسن بن مصطفى الطرابلسي الأصل الدمشقي المولد الحنفي

أحد أمناء الفتوى بدمشق الشام لدى مفتيها العالم العلامة السيد محمود أفندي حمزه كان المترجم المرقوم على قدم صالح ودين راجح ، وتقوى وعبادة وصلاح وزهادة ، وحلم وعمل من غير ملل ولا كسل ، مات في الخامس والعشرين من رمضان سنة خمس وتسعين ومائتين والف ودفن قرب تربة بني حمزة .

السيد محمد نسيب بن السيد حسين بن السيد يحيى نقيب الأشراف ابن السيد حسن نقيب الاشراف بن السيد عبد الكريم نقيب الاشراف الحسيني

الدمشقي الحنفي المشهور بابن حمزة . من أفاضل الصدور ، والأعيان ذوي القدر العالي المشهور ، الامام الشريف والعالم العامل الزاهد العفيف ، صاحب الفواضل والعرفان فريد العصر والأوان .

---

(١) جاء في روض البشر للأستاذ الشطي بعد ختام هذه الترجمة ما يأتي :
قلت : أثبت العلامة المرادي في تاريخه ، تراجم جملة من أسلاف صاحب الترجمة وأثنى عليهم ، وذكر في ترجمة جد المترجم السيد عبد القادر بيان سبب انتقالهم من حماة الى دمشق وذلك سنة ١١٤٣ هـ .

ولد بدمشق خامس عشر صفر سنة احدى ومائتين والف ، ونشأ بها معتكفاً على الطلب والعلم والأدب ، مع العفة والصيانة والتقوى والديانة ، أخذ عن السيد شاكر العقاد الشهير بمقدم سعد ، وعن الشمس محمد الكزبري وعن الشيخ محمد عيد العاني والشيخ عبد الكريم الطاراتي وعن الشيخ أحمد المحللاتي وعن غيرهم ،وله من النثر والنظام ما يزدري بكلام ابن نباتة وأبي تمام [١].

---

(١) أقول : ههنا ترك الأستاذ المؤلف الجد رحمه الله تعالى صفحتين لم يملأهما بشيء ، ولكنه في آخر الصفحة الثانية ذكر سنة وفاته ، فرأيت أن أثبت هنا ترجمة المترجم بقلم ولده العلامة محمود أفندي حمزة مفتي دمشق الأسبق في شرحه على بديعية والده المترجم ، (نقلاً عن روض البشر للأستاذ الشيخ محمد جميل الشطي رحمه الله) :

قال ما مختصره : ولد في منتصف صفر سنة احدى ومائتين وألف ، وتوفي والده وعمره سنتان ، فكفله أخوه السيد محمد سعدي ، ونشأ في حجره ، وتعلّم القرآن الكريم وهو ابن خمس ، وتعلم الخط بنوعيه وهو ابن سبع ، ثم اشتغل بطلب العلم ، فأخذ التجويد وشيئاً من الفقه عن الشريف حسن المكي ، والفقه والنحو والعروض عن العلامة السيد شاكر مقدم سعد ، وكان أغلب قراءته عليه ، وسمع الحديث من العلامة الشمس محمد الكزبري ، ثم قرأ الأربعين النووية والتوحيد والنحو والصرف والمعاني والبيان على العلامة الشيخ محمد عيد العاني ، وأخذ الفقه أيضاً ، والتفسير والنحو كالدر والبيضاوي والفاكهي عن العلامة الشيخ سعيد الحلبي ، وطرفاً من الفرائض والحساب عن النحرير الشيخ أحمد المحللاتي الفرضي . وأخذ الطريقة الخلوتية عن الأستاذ الشيخ عبد اللطيف العمري . ثم درس في الفقه والنحو والتجويد والعروض مدة في داره ، وفي مسجد جدّه الحافظ كمال الدين الكائن بزقاق النقيب ، وانتفع به جماعة .

وقد نظم رحمه الله بديعية ضمنها ذكر الولد الشريف ، طبعت سنة ١٣٠١ وله شرح لطيف على الكافي ، في العروض والقوافي ، وديوان شعر ، سماه « قريضة الفكر » . وكان له الرغبة التامة في مطالعة كتب الأدب ، واشعار العرب ، والفهم الثاقب في المستظرفات من الأعمال اليدوية . وكان حسن السيرة والسريرة لدى الخاص والعام ، مع الإعراض التام عن مزاحمة الناس في المناصب . وأخيراً أجبر على جعله من اعضاء المجلس الكبير بالشام ، وكان كثيراً ما يحال اليه من المجلس المذكور ومن غيره معضلات القضايا ، فيحلها أحسن حل مع رضا الطرفين .

مات غاية ذي الحجة الحرام سنة خمس وستين ومائتين والف، ودفن بمقبرة مرج الدحداح بجوار أجداده قرب مزار سيدنا أبي شامة المقدسي.

الشريف محمد بن محمود بن حسين بن محمد بن أمين الدمشقي الحنفي

المعروف بمحمد أفندي الشريف المكي، ولد بدمشق سنة ثلاث ومائتين والف، ونشأ بها واشتغل مدة بالطلب على العلماء الدمشقيين، كالشيخ سعيد الحلبي والشيخ عبد الرحمن الكزبري والشيخ عبد الله الكردي وغيرهم، وأخذ الطريقة النقشبندية عن الشيخ خالد الحضرة الكردي، وكان يشتغل خياطاً مدة طويلة، ثم تركها لضعف في بصره ولكبره، وكان فقيراً صالحاً. ثم وضع نائبا في المحكمة الكبرى بدمشق، فكان بعد ذلك عرضة

ـــ وكان له القبول التام عند الوزراء العظام، وهم يزورونه ويحترمونه. وقد حج البيت الحرام سنة ١٢٥٧، وصار بينه وبين الشريف فاخر محبة ومودة.

وكانت وفاته في الساعة الخامسة من نهار الخميس، سلخ شهر ذي الحجة سنة ١٢٦٥ ودفن بمرج الدحداح، رحمه الله تعالى. انتهى

ومن شعر المترجم منظومة نسبه الحسيني التي أولها:

بعد ابتداء بسم الله أحمده حمداً يليق به والشكر يعضده

وقال مشطّراً هذين البيتين المشهورين:

(أيها الحامل همّا) لا يكن عيشك ضنكا
كلّ ما تلقاه منا (برضانا خلّ عنكا)
(لا تدبر لك أمراً) تلق بالتدبير هلكا
سلّم الأمر الينا (نحن أولى بك منكا)

قال الأستاذ الشطي: وقد أعقب المترجم أولاده الخمسة: العابد الزاهد سليم أفندي المتوفي سنة ١٣٠١. والعلامة الدراكة محمود أفندي مفتي دمشق المتوفي سنة ١٣٠٥، والخليل النبيل أسعد أفندي المتوفي سنة ١٣٠٧، وراغب أفندي، ومحي الدين أفندي، وبنو حمزة بدمشق من أكابر وجهائها وأفاضل علمائها اهـ مختصراً.

للكلام ، وكثر عليه الانتقاد ونسب اليه مالا يليق بمقام من يتولى الأحكام . مات يوم الأحد خامس عشر جمادي الأولى سنة ثمان وسبعين ومائتين وألف ، ودفن في مقبرة مرج الدحداح رحمنا الله وإياه [١] .

الشيخ محمد بن عمر البرْجكلي ثم الدمشقي الحنفي الشهير بالصوفي

ولد في برْجيك سنة ثلاث ومائتين وألف ونشأ بها ، وفي سنة ثلاثين ومائتين وألف قدم دمشق الشام واستوطنها . وكان زاهداً عابداً متفقهاً في دينه حسن الكتابة في أنواع الخطوط ، وكان له محل في جارة حمام القاضي يأخذ الناس عنه الكتابة فيه ، وكان جميل المنظر ذا هيبة ووقار ، لايتكلم إلا في الوعظ والرقائق والمذاكرة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأنواع الاذكار . وكان معتقداً عند الخاص والعام يتبرك به ويطلب دعاه ، وكان شافعي المذهب صوفي المشرب ، مات في اليوم التاسع من ذي الحجة الحرام سنة خمس وثمانين ومائتين وألف ، ودفن في مرج الدحداح [٢] .

الشيخ محمد كمال الدين بن محمد شريف بن أبي المعالي محمد الغزي الدمشقي الشافعي مفتي الشافعية في دمشق الشام

حامل علم العلم الباذخ ، وحامي حمى الفضل الذي هو فيه راس وراسخ ، منبع الكمالات والفضائل ، ومربع ذوي المعارف والفواضل ، من ارتوى من نمير العوارف ، وتحلى بحلية الجمالات واللطائف .

(١) ذيّل هذه الترجمة الأستاذ الشطي بقوله : أعقب صاحب الترجمة أولاداً ، أكبرهم وأفضلهم أبو الخير افندي رئيس الكتاب بالمحكمة المذكورة ، (محكمة الباب) ثم مميز الأوراق بها ، المتوفى (سنة ١٣١٩) وهو والد محمد أفندي مدير الأيتام السابق المتوفى (سنة ١٣٥٥) .

(٢) علّق على هذه الترجمة الأستاذ الشطي بقوله : المترجم هو والد الفاضل الشيخ سعيد الصوفي الخطاط المعروف المتوفى بعد سنة ١٣١٠

ولد في دمشق في اليوم السابع والعشرين من جمادى الآخـرة سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف ، ونشأ في حجر والده ، واشتغل عليه وعلى غيره من السادة الفضلاء والأئمة النبلاء ، منهم الشيـخ احمد البعلي الحنبلي مفتي الحنابلة بدمشق والعلامة صالح الأزهري والعلامة محمد البخاري ومحمد ابن عبدالله بن محمد بن فيروز الحنبلي والعـلامة البصير عن محمد سفر وعن العلامة أبي الطيب احمد بن عبدالله السويدي وأخته أم الخير رقية وعن محمد سعيد السويدي ويوسف الزرقاني ومحمد بن علي الشنواني وابراهيم بن خطاب البجيرمي الشافعي والعلامـة عبدالعـليم المالكي والسيد مصطفى الأيوبي الأنصاري الرحمتي والشيخ التافلاتي مفتي القدس ومحب الله الهندي وابن منجا الطرابلسي واسماعيل القاضي واسماعيل أبو الفدا المواهبي .

وله تأليفات منيفة ورسائل شريفة ، منها التذكرة الكمالية ، المسماة « بالدر المكنون » والجمان المصون من فرائد العـلوم وفوائد الفنون ، ومنها الورد الأنسي والوارد القدسي ، في ترجمة العارف عبدالغني النابلسي . وشاعت فضائـله في أقطار البلاد وانتفع به الحاضر والباد ، حتى ذاع ذكره بين أكابر الحكام ، وشاع قدره بين الخاص والعـام ، مات في السابـع والعشرين من صفر سنة اربع عشرة ، ومائتين وألف ودفن في الدحداح [1] .

---

(١) ذكر الأستاذ الشطي آباء هذا المترجم إلى شهاب الدين أحمد الغزي العامري الدمشقي الهاشمي (قال) : وأحمد هذا هو جدّ بني الغزي الأعلى الذي قدم دمشق من غزة بني هاشم وتوفي (سنة ٨٢٢) . وتولى (المترجم) إفتاء الشافعية بدمشق بعد والده في محرم (١٢٠٣) ، وألف مؤلفات لطيفة أغلبها في التاريخ والأدب ، فمنها « النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل » جعله ذيـلاً على طبقات العلامة العليمي ، مبتدئاً من رأس القرن العاشر حتى رأس القرن الثالث عشر ، (قال الشطي) : وقد وفقني الله تعالى ، فاختصرت طبقات العليمي ، فذيل المترجم الغزي ، فمشاهير الحنابلة من بعده إلى عصرنا الحاضر ، وسميت « مختصر طبقات —

الشيخ محمد امين الكردي الشافعي المجاور في مسجد جامع الأقصاب

عالم عامل وزاهد فاضل ، معتكف على التقوى والديانة متصف بالخلوة والصيانة ، له شهرة عالية وآثار في الكمال وافية ، ذو هيبة وجمال ولطف وكمال ، له مواظبة على التفكر والمراقبة ، مات في دمشق سنة ثلاث وسبعين ومائتين وألف ، ودفن في مرج الدحداح رحمه الله .

— الحنابلة » وطبعت بدمشق (سنة ١٣٣٩) وهو معروف مشهور ، (قال) : ومن مجاميع صاحب الترجمة ، التذكرة الكمالية التي تنقل منها في بعض التراجم ، وهي عشرون جزءاً ، وسماها : (الدر المكنون والجمال المصون ، من فرائد العلوم وفوائد الفنون) وقد اطلعت على بعضها وفيها السواد والبياض : وتشتمل على فوائد وتراجم وآداب شتى . ومن مجاميعه (المورد الأنسي ، في ترجمة الشيخ عبد الغني النابلسي) وله غير ذلك من المصنفات التاريخية ، والمجامع الأدبية ، وشعره كثير ، ونثره غزير ، وقد أورد الشطي نماذج من شعره ونثره ، ومن ذلك ما كتبه الى العالم الأديب الشيخ أحمد البربير :

ياسيدي زدت بمادي إلى	أن صار جسمي للتجافي خيال
أنقصت حظ الصب مع أنه	لم ير في خلق إلا الكمال

فأجابه المترجم بقوله :

مولاي ياذا المكرمات التي	في نظمها والحسن تحكي اللآل
ومن رقي هام العلى وانتهى	لفضله بين الورى الانتهال
عن حباكم رق فضل غدا	بحبكم ذا وله واختيال
كُفّوا بساط العتب حلماً ولا	تؤاخذوني بمطال المطال

وكانت وفاة المترجم في صفر سنة ١٢١٤ عن واحد وأربعين عاما .

الشيخ محمد بن أحمد وهبي الحنفي الدمشقي المعروف بابن سنان (١)

الحائز حميد الخصال والمستوي في المكان على منصة الاعتدال ، والمحتوي من العلوم على المرام وكان له ذكر جميل في كل مقام ، وكان له حظ وافر وقبول عال وكان معدوداً من ذوي من الكمال ، مات بدمشق سنة أربعين ومائتين وألف ودفن في مقبره مرج الدحداح .

---

(١) ظفر صديقنا الأستاذ المؤرخ الشيخ جميل الشطي بهذه « التذكرة الكمالية » التي وصفها في ترجمة مؤلفها الشيخ محمد كمال الدين الغزي ، فكانت كنزاً ثميناً ، عثر فيه على تراجم لم يكن مثلها في غيره ، ومنها ترجمة ابن سنان هذه التي كتب فيهـا مؤلف « حلية البشر » هذه الأسطر القليلة ، وانا ننقل ترجمته باختصار قليل عن « روض البشر » وقد أثرها هو عن « التذكرة الكمالية » فقال : هو محمد بن سنان بن أحمد ابن سنان بن عثمان بن أحمد القرماني المحتد ، الدمشقي المنشأ والمولد ، الحنفي . الشيخ الفاضل ، الكاتب المنشيء الهمام ، أبو المكارم فخر الدين الشهير بابن سنان . كان مولده بدمشق في سابع عشري رمضان (سنة ١١٣٩) . ونشأ بها في حجر والده ، وقرأ القرآن العظيم على الشيخ علي المصري مؤدب الأطفال ثم طلب العلم ، فقرأ مبادىء الفقه والعربية على الشيخ علي بن حمزة البغدادي نزيل دمشق ، ولازم في الفقه والعربية خالي الزين مصطفى بن محمد الرحمتي الأيوبي ، وبه انتفع وعلى يديه تخرج وأجاز له بخطه . وحضر دروس الحديث على كلّ من جدي الشمس محمد بن عبد الرحمن الغزي والعماد اسماعيل بن محمد العجلوني ، والشهاب أحمد بن علي المنيني ، والعلم صالح بن ابراهيم الجينيني ، وكتب له الأخير إجازة وقفت عليها . وحضر دروس التفسير والحديث والعربية على كل من العلامة علي بن أحمد الكزبري ، والشرف موسى بن أسعد المحاسني ، والجمال عبد الله بن زين الدين البصروي والشيخ محمد بن أحمد قولقسز ، وحضر دروس الهداية في الفقه على كل من المولى حامد بن علي العمادي ، والمولى علي بن محمد المرادي مفتي دمشق ، في التكية السليمانية . (ثم قال) : وحج صاحب الترجمة (سنة ١١٦١) ، واجتمع بعلماء الحرمين الشريفين وكان له من الوظائف كتابة وقف التكية السليمانية ، وكتابة وقف الغازي مراد باشا ، وكان ملازماً للصلوات الخمس مع الجماعة في الجامع الأموي (ثم قال) وكان جمع كتباً نفيسة ونظم شعراً قليلا ، وكانت وفاته فجأة (سنة ١٢١٠) ولعل سنة الوفاة هذه أصح مما جاء في الحلية : (سنة ١٢٤٠) والله أعلم .

السيد محمد علاء الدين بن السيد محمد عابدين
ابن السيد عمر بن السيد عبد العزيز

ابن السيد أحمد بن السيد عبد الرحيم بن السيد نجم الدين بن السيد الشريف العالم العامل والولي الفاضل ، محمد صلاح الدين الشهير بعابدين ، ابن السيد نجم الدين الثاني بن السيد محمد كمال بن السيد تقي الدين الشهير بالمدرس ، بن السيد مصطفى الشهابي بن السيد حسين بن السيد رحمة الله ابن السيد أحمد الثاني بن السيد علي بن السيد أحمد الثالث بن السيد محمود ابن السيد أحمد الرابع بن السيد عبد الله بن السيد عز الدين بن السيد عبد الله الثاني بن السيد قاسم بن السيد حسن بن السيد اسمعيل بن السيد حسين ابن السيد أحمد الخامس بن السيد اسماعيل الثاني بن السيد محمد بن السيد اسماعيل الأعرج بن السيد الإمام جعفر الصادق بن السيد الإمام محمد الباقر ابن السيد الإمام علي زين العابدين بن حضرة السيد الإمام سيد الشهداء حسين بن السيدة الطاهرة البتول فاطمة الزهراء بضعة سيد المرسلين وزوجة سيدنا علي بن عم سيد الأولين والآخرين .

ولد المترجم المرقوم في دمشق الشام في ثالث ربيع الأول سنة أربع وأربعين ومائتين وألف ، ومن حين تمييزه اشتغل في قراءة القرآن ، إلى أن أتقنه غاية الاتقان ، ثم اشتغل في الطلب ونال منه ما رام وطلب ، وقصد البيت الحرام للنسك والعبادة ، أربع مرات وهو عازم على الزيادة ، وأخذ عن جملة من العلماء ، وعصبة من الفضلاء ، ما بين دمشقيين ومصريين وروميين وحجازيين . من أجلهم سيدي والده السيد الشيخ محمد أمين عابدين وسيدي والدي الشيخ حسن البيطار ، والشيخ سعيد الحلبي ، والشيخ عبد الرحمن الكزبري ، وشيخ الأزهر الشيخ ابراهيم الباجوري والشيخ عليش والشيخ ابراهيم السقا والشيخ المبلط والشيخ المنصوري وغيرهم من السادة

المصريين ، وعن الشيخ جمال والمرغني والشيخ محمد الكتبي وعن الشيخ دحلان مفتي الشافعية بمكة المكرمة ، وعن الشيخ يوسف الغزي رئيس المدرسين بالمدينة المنورة ، وعن كثير من الواردين من عراقيين وروميين، ومن جملة من أخذ عنه في الشام أيضاً الشيخ عبدالرحمن الطيبي والشيخ حسن الشطي والشيخ حامد العطار والشيخ هاشم التاجي ، وغيرهم من السادات الأجلاء العظام والقادات الفضلاء الكرام ، وأفاد واستفاد وحصل مارام واراد .

وله من التأليفات الشريفة : كتاب معراج النجاح على متن نور الإيضاح في مجلد كبير ، وكتاب قرة عيون الأخيار تكملة حاشية رد المحتار على الدر المختار ، لوالده العلامة السيد محمد امين عابدين ، ورسالة إغاثة العاري لزلة القاري ، وكتاب الهدية العلائية ، وكتاب مثير الهمم الأبية إلى ماأدخلته العوام في اللغة العربية .

وقد سافر إلى الاستانة العلية دار مملكة الدولة الاسلامية ، ووظف بها عضواً في الجمعية العلمية ، الشعبة من ديوان أحكام العدلية ، سنة خمس وثمانين ومائتين وألف . ثم بعد ثلاث سنين قدم استعفاء ، وحضر للشام بمعاش شهري ، ونيشان (وسام) من الرتبة الرابعة وباية إزمير ، ثم تعين رئيساً للجمعية الخيرية في الشام ، ثم صار نائباً في طرابلس الشام سنتين ونصفاً ، أولها شوال سنة اثنتين وتسعين ومائتين وألف ، ثم أرسل اليه من الدولة فرمان[1] مولوية ادرنه من بلاد الخمسة باية مجردة سنة أربع وتسعين ومائتين وألف ، ثم في سنة إحدى بعد الثلاثمائة والألف أرسل له فرمان[1] باية بورسه من بلاد الخمسة موصلة الحرمين الشريفين ، ثم في ثامن محرم الحرام سنة أربع بعد الثلاثمائة والألف وجهت

(١) براءة سلطانية .

عليه باية مكة المكرمة والنيشان عـالي الشان المجيدي من الصنف الثالث ، وهو إلى الآن رئيس ثان في مجلس معـارف ولاية سورية الجليلة . ولم يزل مشتغلاً في الإفادة ، والإرشاد مع التقوى والعبادة ، وإغاثة الملهوف وإعانة المحتاج .

ولم يزل يترقى في درج الكمال ويتعلق بأسباب النجاح والنوال ، ويشتهر في الآفـــاق ذكره ويعلو في الأنام قدره ، إلى أن مرض في يوم الجمعة مستهل شوال ولم يزل يزداد مرضه إلى أن توفي يوم الاثنين حادي عشر شوال قبيل طلوع الشمس ، وذلك سنة ست وثلاثمائة وألف ، وصلي عليه الظهر في الجامع الأموي . وحضر جنازته جم غفير وجمـع كثير ، حتى كاد أن يقال حضر جنازته أهل البلد ولم يتخلف عنها كبير ولا ولد ، فغصت الطرقات من الازدحام وعلت الأصوات بالبـكاء الذي لا يرام ، ودفن بمقبرة باب الصغير بالقرب من والده رحمـــة الله تعالى عليه وعلى المسلمين أجمعين .

الشيخ محمد شمس الدين بن حسن بن يوسف الدمشقي الحنفي الخلوتي المعروف بالطباخ

شيخ الطريقة الخلوتية وعين الحقيقة الجلوتية ، المربي الناصح والمرشد الناجح ، ولد بدمشق ونشأ بهـــا في حجر والده بالأدب والصيانة والعفة والأمانة . أخذ الطريقة الخلوتية عن والده وهو أخذها عن السيد نصري عن الشيخ مرجان ، عن القطب عيسى بن كنان ، عن القطب الكـــبير الشيخ العباسي ، عن الهيكل الصمداني الشيخ احمد العسالي الرباني ، واشتغل المترجم في الطريق والأذكار . والإرشاد في الليل والنهار ، إلى أن توفي سنة سبع وثلاثين ومائتين وألف ودفن في الدحداح .

الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن محمد حجازي الشافعي البقاعي الشهير بالكفرسوسي

أحد العلماء العظام وأوحد الفضلاء الكرام ، العالم الفاضل والعامل الكامل ، كان من الأماجد الأعيان والمقدمين ذوي القدر والشان ، توفي يوم عاشوراء سنة تسع وعشرين ومائتين وألف ودفن في الدحداح [1] .

الشيخ محمد الزهري بن عمر بن محمد بن محمد بن عمر الدمياطي الأصل الدمشقي

الحنفي المعروف باليافي الخلوتي ، شيخ الطريقة الخلوتية بدمشق المحمية الشيخ الصالح المؤدب المرشد الناصح ، الورع الزاهد والناسك العابد ، الخاشع .

ولد بدمشق ونشأ بها ، وأحيا الطريقة الخلوتيـة وأقام الاذكار ، واشتهر صلاحه وزهده وورعه وتقواه في هـذه الديار ، وشاع صيته في سائر الأقطار ، وكان ذا هيبة ووقار ، أخذ الطريقة الخلوتية عن أبيـه وألبسه الخرقة وأذن له في الاذكار ، وأعطاه الطريق لمستحقه ، ولا زال عاملاً بما أوصاه به والده إلى أن خطبته المنية سنة سبعين ومائتين وألف ، ودفن في تربة الدحداح عند والده .

السيد محمد سعيد افندي الكيلاني بن السيد محمد بن السيد صالح بن السيد عبد القادر بن السيد ابراهيم

ابن السيد شرف الدين بن السيد احمد بن السيد علي الهاشمي بن السيد

---

(١) ذيل هذه الترجمة الأستاذ الشيخ محمد جميل الشطي بقوله : المترجم هو ابن العلامة الشيخ عبد الرحمن الكفرسوسي الذي تولى فتوى الشافعية بدمشق ، وتوفي سنة ١١٧٩ كما في تاريخ سلفنا المرادي ، رحمهم الله تعالى .

احمد شهاب الدين بن السيد قاسم شرف الدين بن السيد يحيى محي الدين بن السيد حسين نور الدين بن السيد علي علاء الدين بن السيد شمس الدين بن السيد يحيى سيف الدين ، وهو أول من نزل حماه واستوطنها ، بن السيد احمد ظهير الدين بن السيد محمد ابو النصر بن قاضي القضاة السيد عبد الرزاق ابو صالح بن القطب الأعظم ، والغوث الفرد الأفخم ، السيد عبد القادر الجيلاني قدس الله روحه ونور مرقده وضريحه .

ولد المترجم سنة سبع وثلاثين ومائتين وألف في دمشق الشام ، ونشأ في الطاعة والتقوى والصيام والقيام ، إلى أن جلس على سجادة المشيخة العلية في الطريقة القادرية ، وأرشد وأفاد وخدم طريقة جده حسب المراد ، وجعل داره مورد المريدين ومأوى القاصدين ، وهو من أعيان دمشق الشام وصدورها ذوي القدر والاحترام . ومن حين أن شب خطبته المناصب ورفعته على أعلى المراتب ، إلى أن صار عضواً في مجلس ادارة ولاية دمشق ذات الرعاية والحفظ والحماية ، ومع ذلك فهو لطيف متواضع ليس على طالبه حاجب ولا مانع ، حسن العبادة كثير الوداد ، مساعد لمن يقصده على المراد ، سيرته حسنة وشمائله مستحسنة ، حاتمي الكرم علوي الهمم ، صحيح النسب رفيع الحسب أعلا الله علاه ورفع على درجات القرب مرتقاه .

الشيخ محمد عيد بن محمد بن محمد احمد العاني الدمشقي الشافعي

ولد بدمشق الشام ونشأ بها في حجر والده ، وكان شهيراً في العلم والصلاح وسلوك منهج السعادة والفلاح ، مستقيم الأطوار أشهر من الشمس في رابعة النهار . مات غرة جمادى الأولى سنة ثمان وأربعين ومائتين وألف ودفن في تربة الدحداح .

الشيخ محمد بن مصطفى بن محمد بن رحمة الله بن عبد المحسن ابن القاضي جمال الدين الأيوبي الانصاري الدمشقي الحنفي المعروف بالرحمتي نسبة الى جده رحمة الله

ولد بدمشق سنة ست وسبعين ومائة وألف ، ونشأ في حجر والده ، وكان حسن المجالسة لطيف المؤانسة ، مفنناً في العلوم دقيق النظر مابين المنطوق والمفهوم .

رحل الى المدينة المنورة واستقام بها وأخذ عن فضلائها ، ومن أجلهم صهره العلامة احمد افندي الياس مفتي المدينة المنورة ، وأخذ أيضاً عن محمد افندي ميرغني مفتي مكة المكرمة ، وقرأ الشفا الشريف للقاضي عياض درساً عاماً تجاه الحجرة الشريفة بتوجيه من السلطان محمود ، وأقام في المدينة الى سنة خمس وعشرين ومائتين وألف ، ثم عاد الى دمشق الشام .

وقد أخذ عن والده الحديث المسلسل بالحنفيين ، ورواه عنه ، ووالده يرويه عن الأستاذ عبد الغني النابلسي ، عن والده الشيخ اسماعيل، عن والده عن الشيخ اسماعيل عن شمس الدين بن طولون عن لسان الدين محمود عن والده سري الدين عبد البر بن الشحنة عن زين الدين بن قطلوبغا عن أمين الدين القاهري عن موفق الدين محمد بن محمد الأكفاني عن عز الدين أحمد بن المظفر عن حافظ الدين محمد بن محمد عن شمس الأئمة محمد بن عبد الستار عن بدر الدين عمر بن عبد الكريم عن ركن الدين عبد الرحمن الكرماني عن شمس الدين محمد بن الحسن عن عبد الرحيم بن عبد العزيز عن القاضي أبي زيد عبدالله بن عيسى الدبوسي عن أبي جعفر السمرقندي عن أبي الحسن علي النسفي عن الامام الكبير أبي بكر بن محمد بن الفضل عن أبي محمد عبد الله بن محمد بن يعقوب السندموني عن

أبي حفص عن احمد أبي حفص الكبير عن أبي عبد الله محمد بن الحسين الشيباني عن تقي الدين احمد بن محمد الشمني عن محمد بن الحسن عن الامام الأعظم أبي حنيفة النعمان عن عبد الله بن أبي حبيبة عن أبي الدرداء قال كنت رديف رسول الله ﷺ فقال يا أبا الدرداء من شهد أن لا إله إلا الله واني محمد رسول الله وجبت له الجنة ، قلت وإن زنى وإن سرق ؟ قال فسار ساعة فأعاد الكلام عليّ فقلت وإن زنى وإن سرق قال ﷺ وإن زنى وإن سرق ، وإن رغم أنف أبي الدرداء ، قال فكان أبو الدرداء يحدث بهذا الحديث جميعه ، ويضع اصبعه على أنفه ويقول : وإن رغم أنف أبي الدرداء . مات المترجم بدمشق سنة خمسين ومائتين والف ودفن في الدحداح [1].

الشيخ محمد نجيب بن احمد بن سليمان بن احمد بن محمد الدمشقي الحنفي الشهير بالقلعي

البدر الذي سرى في سماء المعارف فاهتدى بنوره كل مريد صادق عارف ، وحيد الفضائل والكمال محمود الشمائل والخصال ، من سمت أوصافه وخلائقه وزكت شيمه وطرائقه . وساد على أقرانه وأحرز قصب السبق في ميدانه ، وتحلى بأحاسن الشيم وتوشح بجلباب الفضائل والكرم ، فهو الأوحد البارع في الكمال والأمجد السامي ندوة الافضال ، العلامة العارف الحائز رتب المعارف ، قطب الدائرة الكونية وفقيه الديار الشامية ، وإمام مذهب النعمان ومعتمد هذا الشان .

(١) في روض البشر للأستاذ الشطي عن (حلية البشر وغيره) ما ملخصه : ولد سنة ١١٨١ (ثم قال) : ان صاحب الترجمة ساد وبرع ، وأقام بالمدينة المنورة ، يستفيد ويفيد ، حتى أقرأ كتاب الشفاء تجاه الحضرة النبوية بتوجيه سلطاني ، وألف المؤلفات النافعة . الى أن عاد الى الشام سنة ١٢٢٥ ، فدرس في الجامع الأموي ، وكانت وفاته سنة ١٢٥٠ ودفن بمقبرة الباب الصغير اهـ قلت : ليتنا نقف على أسماء مؤلفاته إذ لم تطبع .

ولد بدمشق سنة ستين ومائة والف ، ونشأ متطوراً بطور الكمال متحلياً بأنواع الجمال ، واشتغل بأنواع العلوم من فروع وأصول ، ومعقول ومنقول ، وأخذ عن جملة من العلماء الأعلام ، والأئمة الكرام ، من دمشقيين ، وحجازيين ، ومصريين ، وعراقيين ، ومن أجلهم السيد مصطفى ابن شمس الدين محمد بن رحمة الله بن السيد عبد المحسن الأيوبي الأنصاري الدمشقي الحنفي ، وعن السيد عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس والشيخ مصطفى بن ابراهيم الحلبي محشي الدر المختار ، واعلا أسانيده في أخذ الأحكام الفقهية عن السيد مصطفى الأيوبي المولود سنة ١١٣٥ المتوفى سنة ١٢٠٥ عن العارف بالله الشيخ عبد الغني النابلسي المولود في ذي الحجة سنة ١٠٥٠ المتوفى سنة ١١٤٣ عن والده الشيخ اسماعيل النابلسى المولود سنة ١٠١٧ المتوفى سنة ١١٦٣ عن الشهاب احمد الشوبري المولود سنة ... المتوفى سنة ١٠٦٦ عن عمر بن نجيم المولود سنة ... المتوفى سنة ١٠٠٥ عن الشهاب احمد بن يوسف الشلبي المولود سنة ٨٨٠ المتوفى سنة ٩٤٧ عن الثر عبد البر بن الشحنة المولود سنة ٨٥١ المتوفى سنة ٩٢١ عن الكمال محمد بن عبد الواحد المولود سنة ٧٨٨ المتوفى سنة ٨٦١ عن علاء الدين البرامي المولود سنة ... المتوفى سنة ٧٧٠ عن السيد جلال الدين الكبير المولود سنة ؟ المتوفي سنة ٧٤٥ عن الامام أبي عبد الستار محمد بن عبد الستار الكردري المولود سنة ٥٥٩ المتوفى سنة ٦٤٣ عن البرهان علي بن أبي بكر بن عبد الجليل المرغيناني صاحب الهداية المولود سنة ؟ المتوفى سنة ٥٩٣ عن فخر الاسلام علي بن محمد بن الحسين البزدوي المولود سنة ٤٠٠ المتوفى سنة ٤٨٣ عن شمس الأئمة عبد العزيز بن احمد بن نصر بن صالح الحلواني المولود سنة ... المتوفى سنة ٤٤٨ عن القاضى أبي علي الحسين ابن الخضر النسفي المولود سنة ٣٤٤ المتوفى سنة ٤٢٤ عن الامام أبي بكر محمد بن الفضل البخاري المولود سنة ٣٠٧ المتوفى سنة ٣٨٨ عن عبد الله

ابن محمد بن يعقوب السيدموني المولود سنة ٢٥٨ المتوفى سنة ٣٤٠ عن الأمير أبي عبدالله محمد بن أبي حفص احمد بن محمد البخاري ولد سنة ... وتوفي سنة ٢٧٢ عن والده أبي حفص المولود سنة ١٥٠ المتوفى سنة ٢١٧ عن الامام محمد بن الحسن الشيباني المولود سنة ١٣١ المتوفى سنة ١٨٩ عن سيدنا سراج الأمة أبي حنيفة النعمان بن ثابت المولود سنة ٨٠ المتوفى سنة ١٥٠ عن حماد بن مسلم المولود سنة ... المتوفى سنة ١٢٠ عن ابراهيم النخعي الكوفي المولود سنة ... المتوفى سنة ٩٦ عن علقمة بن قيس بن مالك النخعي الفقيه ، ولد في حياة رسول الله ﷺ وتوفي سنة ٦٣ عن عبد الله بن مسعود ابن الحارث بن غافل بن حبيب المتوفى سنة ٣٢ عن النبي ﷺ المولود عام الفيل والمتوفى سنه ١١ بعد الهجرة .

هذا وان والدي يروي عنه ماتجوز له روايته عن مشايخه ، ويروى عنه بالسند الحديث المسلسل بالأولية ، كما يرويه هو عن الشيخ محمد عقيله قال وهو أول حديث سمعته منه ، عن الشيخ محمد بن عبد العزيز المنوفي قال وهو أول حديث سمعته منه ، عن أبي الخير بن عموس قال وهو أول حديث سمعته منه ، عن شيخ الاسلام الشريف زكريا بن محمد الأنصاري قال وهو أول حديث سمعته منه ، عن الحافظ ابن حجر العسقلاني قال وهو أول حديث سمعته منه ، عن الحافظ زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم العراقي قال وهو أول حديث سمعته منه ، عن الصدر أبي الفتح محمد بن محمد الميدومي قال وهو أول حديث سمعته منه ، عن أبي الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم الحراني قال وهو أول حديث سمعته منه ، عن الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي قال وهو أول حديث سمعته منه ، عن أبي سعيد اسماعيل النيسابورى قال وهو أول حديث سمعته منه ، عن أبي صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن قال وهو أول حديث سمعته منه ، عن أبي طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي

قال وهو أول حديث سمعته منه ، عن أبي حافد احمد بن محمد بن يحيى البزار قال وهو أول حديث سمعته منه ، عن عبد الرحيم بن بشر بن الحاكم النيسابوري قال وهو أول حديث سمعته منه ، عن سفيان بن عُيَيْنَة قال وهو أول حديث سمعته منه ، عن عمرو بن دينار ، عن أبي قابوس مولى عبدالله بن عمرو بن العاص ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال : الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء قال الترمذي حديث حسن صحيح .

توفي المترجم المرقوم في اليوم السابع والعشرين من شهر شعبان المعظم سنة إحدى وأربعين ومائتين والف ، ودفن في باب الصغير قرب قبر سيدنا أوس بن أوس الثقفي الصحابي الجليل رضي الله عنه [1] .

السيد محمد عطا الله الأيوبي ، بن محمد سعيد ، بن الشهاب أحمد ، بن محمد نجيب ، بن ابراهيم ، بن القاضي عبد المحسن ، بن القاضي جمال الدين يوسف ، ابن شهاب الدين أحمد ، بن ولي الدين محمد ، بن شهاب الدين أحمد ، بن يوسف جمال الدين بن تقي الدين ، بن أبي بكر عين الملك ، بن رمضان الاخلاطي ، بن زين الدين عبدالقادر أبي عبد الله محمد ، بن محمد بن ابراهيم ، بن يوسف ، بن عبد الرحمن ، بن عمير ، بن كثير بن زيد ، بن حسان ، بن سالم ، بن عبد الرحمن ، ابن ابراهيم ، بن الاشعث ، بن ثعلبة ، بن سهل بن سهيل ، بن أبي القاسم الجنيد ، بن مقدم ، بن شرحبيل ، بن عمير ، بن نظير ، بن مطعم اليثربي ، ابن الصحابي الجليل أبي أيوب خالد بن زيد الخزرجي الانصاري ، رضي الله تعالى عنهم ونفعنا بهم أجمعين .

ولد يوم الثلاثاء غاية جمادى الآخرة ، سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وألف ، ونشأ يتيما ، وعند بلوغه سبع سنين اشتغل بقراءة القرآن إلى أن أتقنه ،

(١) في روض البشر : وقد اشتهر بعض ذرية صاحب الترجمة بالشيخ نجيب ، وبعضهم بقنبازو ، وهم أسرة معروفة بدمشق .

ثم اشتغل بطلب العلم إلى أن وقع على مقصوده منه ، على أفاضل دمشق الشام ، وفي سنة الألف والمائتين والخمسين خدم الشريعة المطهرة في محكمة الباب مدة سبع سنوات ، ثم خاف على نفسه من وقوعه بالغلط فخرج منها ، وأقبل على مولاه وادبر عما سواه ، مات يوم الخميس في الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وثمانين ومائتين وألف .

الشيخ محمد المغربي السوسي ثم الدمشقي المالكي

ولد بسوس سنة نيف وثمانين ومائة وألف ، وقرأ وأتقن ، ثم انتقل إلى دمشق واستوطنها وحضر على علمائها ، وكان صالحاً معتزلاً عن الناس مشتغلا بنفسه ، وكان فقيهاً عالماً بفن القراءة مات بدمشق نهار السبت سادس عشر ذي الحجة الحرام سنة خمسين ومائتين وألف ودفن في باب الصغير .

الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن الشيخ محمد الكزبري الشافعي الدمشقي

ولد سنة ألف ومائتين وتسع وأخذ عن والده ونشأ في حجره ، وأخذ عن غيره من العلماء ، إلى أن فاق والده كما قيل ، وصار له ذكر بين الناس جميل ، وقصده الناس للطلب والحيازة على الأرب ، إلا أن المنية قد استعجلته ومن بين الناس قد اخذته ، سنة ألف ومائتين وتسع وأربعين ودفن بباب الصغير .

الشيخ محمد بن سليمان الجوخدار الدمشقي الحنفي

ولد سنة ألف ومائتين وثمان وعشرين تقريبا ، وأخذ عن شيخ الشام الشيخ سعيد الحلبي ، وعلى الشيخ عبد الرحمن الكزبري ، وعلى غيرهم من الشيوخ ، حتى برع واشتهر وعد من العلماء الأعلام والسادة الكرام ، وكثر

طالبوه حتى أن صار من أكثر العلماء طلبة [١] وفي سنة ثمان وسبعين بعد المائتين والألف صار نائباً بمحكمة الباب بدمشق الشام ، فتغير طوره وتكدر ذكره ، وانكشف شمس اقباله وظهر للناس تبدل أحواله . نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة . ولم يزل نائباً في محكمة الباب إلى أن نعق عليه غراب المنية بالذهاب ، مات رحمه الله سنة ثمان وتسعين ومائتين وألف ودفن في باب الصغير قرب قبر الشيخ هاشم التاجي .

الشيخ محمد بن سعيد المنير بن محمد أمين الحنفي الدمشقي الشهير بالمنير

ولد بدمشق سنة ثلاث وعشرين ومائتين وألف ، ونشأ بها وأخذ العلوم عن السادة الفحول ، ونال مرامه فوق المأمول ، من أجلهم الشيخ سعيد الحلبي والشيخ عبد الرحمن الكزبري والشيخ عبد الرحمن الطيبي ، والشيخ ابراهيم الباجوري ، وعن الشيخ عبد اللطيف افندي مفتي بيروت ، وكان نبيل المحاضرة جميل المعاشرة ، كثيراً ما أقرأ الطلبة في جامع بني أمية دروساً عامة وخاصة ، وكذلك في جامع السنانية . وحج ثلاث مرات وقرأ الشفا درساً عاماً في حرم النبي ﷺ [٢] . مات في الساعة

---

(١) في « روض البشر » : وممن أخذ عنه شيخنا العلامة الشيخ بكري العطار ، والشيخ محمد خطيب دوما ، وحسين افندي الغزي ، والشيخ نجيب العطار ، وغيرهم ممن لا يحصى ، (قال) ثم أنه نقل من محكمة الباب الكبرى الى محكمة السنانية ، لأسباب أوجبت ذلك ، فلما صار المفتي محمود افندي الحمزاوي وكيلاً عن القاضي محمود عزيز افندي (سنة ١٢٩٠) أعاد المترجم الى نيابة الباب ، فلم يزل فيها على على حالته العلمية والقضائية حتى توفي (سنة ١٢٩٧) .

(٢) في (روض البشر) نقلاً عن بن أخي المترجم الأستاذ الشيخ عارف ، ماملخصه : وكان له حرمة وهيبة وكلمة مسموعة ، وكان ينتخب عضواً في المجالس الملكية . وكان والد المترجم السيد سعيد المنير عالماً فاضلاً مقيماً على التدريس والإمامة في محراب الشافعية بالجامع الأموي ، توفي (سنة ١٢٢٩ هـ) قال الشطي : وقد أعقب المترجم ولده الوجيه سعيد افندي المتوفي سنة ١٣٢٣ هـ .

الثانية من ليلة الاثنين في الليلة التاسعة والعشرين من ربيع الآخر سنة إحدى وتسعين ومائتين وألف ودفن في مقبرة باب الصغير .

القاضي شمس الدين محمد افندي الجابي الحنفي العثماني الدمشقي

عين أعيان الذوات الدمشقية ، وحلية سادات الأقطـار الشامية ، روض المعارف والاجلال وروح دوح المطارف والافضال ، ذو الأوصاف العلية والأحوال الجلية ، بدر ذوي التحقيق المستضاء بنور افضاله ، وشمس أولي التدقيق المستنار بإشراق سناء كماله ، الجامـع بين طرفي المنقول والمعقول ، والقاطف بأنامل افهـامه ثمرات الفروع من رياض الأصول ، ولد عام مائتين وثمانية بعد الألف . وقرأ على والدي المرحوم كتباً جمة ، وفنوناً عديدة بكل جد وهمة ، وكان جل انتفاعه عليه ، وأكثر تردده اليه ، ثم توجهت اليه عين عناية المناصب ، وخطبته لترتفع به على أعلى المراتب ، فذهب إلى بغداد قاضياً ، ثم بعدها توجه اليه قضاء المدينـة المنورة . وفي شوال عام اثنـين وتسعين ومائتين وألف وجه عليه قضاء الاستانة العلية [1] ، وأرسل لحضرته الفرمان العالي الشان مع نيشانين فاخرين ، وألبسة رسمية ، وعند حضور ذلك حضر الوزراء الفخام والأعيان الكرام ، للتبريك له بذلك ، فـكان فرد الشام وعمدة الأعيان العظام ، مات رابع شهر رمضان المبارك سنة ألف ومائتين وثمان وتسعين ، ودفن في مقبرة باب الصغير رحمه الله تعالى .

---

(١) في (روض البشر) : وفي سنة ١٢٦٠ صار من أعضاء مجلس الشورى الكبير ، وما زال يتقلب في الرتب العالية والأوسمة العثمانية ، حتى حاز رتبة قضاء استانبول العلية (سنة ١٢٩٣) ولم يكن حازها من أهل الشام أحد قبله . (ثم قال) : وقد أعقب الوجيه الفاضل عارف أفنـدي المتوفى بالاستانة (سنة ١٣٠٤) وهذا هو والد الفاضل الـكامل عثمان أفنـدي المتوفى في حدود سنة ١٣٣٠ رحمهم الله .

وقد مدحه أديب عصره ولبيب اقليمه ومصره ، عبد الباقي أفندي الفاروقي العمري حينما شرف المترجم الى بغداد قاضياً فقال : لما شرف من دمشق الشام إلى دار السلام ، جناب قاضيها السيد المولى محمد افندي جامع أشتات الفضائل وابن جابيها ، وذلك بواسطة مشيرها وواليها ، وبالاشارة العلية من حضرة شيخ ملة الاسلام ومفتيها ، واستبشرت بمبارك قدومه أهالي الزوراء قاصيها ودانيها ، وقصدته مصاقع شعراء العراق بقصائدها المشحونة بتهانيها ، قلت مهنئاً ومؤرخاً عام تشريفه بغداد وحلول ركابه بناديها ، بهذه القصيدة المزرية بتأليف جواهرها وتنظيمات لئاليها ، مرصعاً مصارعها بنعت ولي نعم هذه الأمم ومولى مواليها . شاكراً من تلك الأيدي على هذه النعمة فضل أياديها ، فقال :

ظهر الدين طالعاً من أكنه ... كهلال عنه أميطت دجنه

وحمدنا عند الصباح سراه ... حيث قد جاء مطلقاً للأعنه

ونفى الجور عدل قاض بحق ... وقع آرائه كوقع الأسنه

ولأهل الزوراء من غير زور ... كم وكم منحة أتت إثر محنه

فأذاقت قطر العراق على مر ... الليالي أحلى من المن منه

وقضت حاجة ليعقوب كانت ... من قديم بنفسه مستجنه

بقضاء المولى محمد هذا الـ ... ـمصر لما لربّه بث حزنه

وشقيق النعمان جاء من الشا ... م فخلناه شامة فوق وجنه

واذا جاء الحق من بعد يأس ... ذهب الباطل المورث هجنه

يا لندب رد الشريعة بكراً ... فغدت شبة وكانت مسنه

جبر الكسر من قلوب اليتامى ... فهي لم تخش بعد ذلك وهنه

وقد انتاش الشرع شرع أبيه ... من يدي هاتك من الشرع صونه

ثاقب رأيه بنصل حجاه ... شاهد الزور ليس يأمن طعنه

غوث أهل الكمال بل هو غيث ... كم بيوم النوال جاد بمزنه

خلقه كالنسيم والعقل منه　　مستقيم ونفسه مطمئنه

حسن كله تقول المعالي　　لا تلمني إذا تعشقت حسنه

لم يخف وهو عندنا من سوى سحـ　　ـر عيون المَهَا ، لك الله ، فتنه

بيض الله وجهه ما ازدهته　　من سواد العراق خضراء دمنه

أخذ الزهد والتقى عن أويس　　والهدى عن سفيان بن عيينه

صام عن أكل السحت حتى وقا　　ه شر يوم الحساب والصوم جنه

شهد الحق أنه مثل ما قد　　قلت فيه ويشهد الله انه

ويح قوم من قبله سجنوا الحـ　　ـق وفيه قد أطلق الحق سجنه

وتعاطى إظهاره من خفاء　　بعد ما أدغموه من غير غنه

فيه شيخ الاسلام ما ضَنّ الكن　　ظن خيراً فأحسن الله ظنه

ومنها

كنز فقه بصدره درر البحر الذي فيه غنيتي مستكنه

ومنها

ذو فنون أفنان دوح علاها　　فوقها العندليب أظهر فنه

ومنها

بيته بيت عصمة وفناه　　حرم فيه يبلغ الدين أمنه

بابه باب حطة رفع الا　　له على عاتق السموات ركنه

هو للدين حصنه وحري　　بالمعالي من شاد لله حصنه

طود فخر رأس تطاول حتى　　طاولت منه قنة العرش قنه

ومنها

واشاراته العلية تكسو　　شامخات الرؤوس أسنى منه

ومنها

خصه الله بالكمال فأعطى　　للزبرقان ليلة التم ثمنه

إلى أن قال

عش مدى الدهر كم أمتّ بهذا ال　　قطر من بدعة وأحييت سنه
ولسان الدين انتضى ينشد الحـــق بثغر قد أضحك البشر سنه
من يدي قاضي النار بشراك أرخ　　أنجد الحق حكم قاضي الجنه

١٢٦٥

الشيخ محمد بن أحمد بن محمد أبي الفتح العجلوني الجعفري الشافعي الدمشقي

ولد بدمشق يوم الاثنين في اليوم العشرين من شهر رجب سنة ثلاث وثلاثين ومائتين والف ، ونشأ بها بالأدب والصيانة والزهد والقناعة والديانة ، أخذ عن والده المرقوم ، وعن عمه الشيخ صالح بن محمد أبي الفتح ، وعن الشيخ عبد الرحمن الكزبري ، وعن الشهاب أحمد العطار ، وأخذ الطريقة الشاذلية عن والده وعن عمه المرقوم الشيخ صالح ، وأخذ الطريقة المحيوية عن ابن عمه الشيخ عبد الحليم العجلوني . وكان مهاباً محترماً من أعيان دمشق الشام . مات في الليلة الأولى من ذي الحجة الحرام سنة ثمان وثمانين ومائتين والف ، ودفن في مقبرة باب الصغير .

الشيخ محمد المصري المجذوب

كان مقيما في مدرسة الشميصاتية شمالي جامع بني أمية في الأودة (الحجرة) التي عند المطاهر ويصعد اليها بدرج ، كان ملازماً لهذه الحجرة لا يخرج منها في ليل ولا في نهار ، وكان لا يقبل من أحد شيئاً سوى الطعام في بعض الأوقات ، مع انه كان محبوبا عند الناس ، وله هيبة وجلالة ، إذا كان طوره متغيرا لا يجسر عليه أحد اجلالا له وخوفا منه . وكان له اخبارات

غيبية وكشوفات علية ، وظهر له كرامات تثبت انه عند الله من ذوي الرتب والعنايات . وعلى كل حال فان أطواره كانت غريبة وأحواله كانت عجيبة ، واستقامته لا يقدر عليها أحد إلا من لاحظته عين المدد . توفي رحمه الله ثاني عشر رجب سنة احدى وسبعين ومائتين والف ، وحضر غسله وجنازته والصلاة عليه الأعيان والكبار والأصناف والتجار ، فكانت جنازته من أعجب العجائب وأغرب الغرائب ، ومـــا ترى من أحد إلا ودموعه تتساقط من عيونه تساقط البرد ، كأنه له والد أو ولد ، ودفن في باب الصغير عند قبر سيدنا بلال رضي الله عنه .

الشيخ محمد بن محمد بن محمود بن حبيش المقدسي المعروف بابن بدير

الامام الصالح العالم العامل الناجح ، الورع الناسك العابد التقي النقي الزاهد ، الفاضل المتقن واللوذعي المتفنن ، أخذ عن الشيـــخ محمد الميهي والشيخ عيسى البراوي المتوفى سنة ١١٨٣ وعن الشيخ محمد الرُزي والشيخ محمد الفارسكوري والعلامة الملوي والعلامة الشيخ أحمد الجوهري والشيـــخ محمد الحفني والشيخ أحمد الراشدي والشيخ أحمد الدمنهوري والشيـــخ علي الصعيدي والعلامة محمود الكردي والشيخ مصطفى أبو النصر وغيرهم .

مات رحمه الله تعالى في الثامن والعشرين من شعبان سنة عشرين ومائتين والف عن نيف وستين سنة ، وقد أخذ عنه الشيـخ محمد الكزبري وابن فتح الله البيروتي وغيرهما ، ولا ريب انه كان أوحد الفضلاء ومفرد العلماء ونخبة الصلحاء .

الشيخ محمد بن عثمان افندي العقيلي

أحد شيوخ دمشق الشام ونخبة السادة العلماء الأعلام ، بحر الحقائق وكنز الدقائق ، الفقيه ذو العرفان كعبة طواف أهل مذهب النعمان ، أخذ

على والده عثمان افندي ، وهو عن الشيـــخ طه بن مهنا الشافعي الحلبي الشهير بالجبريني ، وهو عن علامة الزمان سيدي عبد الله بن سالم البصري ، وانتفع به خلق كثير وجم غفير ، فأخذ عنه الشيخ سعيد الحلبي الدمشقي وأجازه ، والشيـــخ مصطفى الأيوبي الأنصاري الحنفي الشهير بالرحمتي ، وغيرهما من العلماء والسادة الفضلاء . مات رحمه الله سابع جمادى الاولى سنة تسع ومائتين والف .

الشيخ محمد بن احمد الحلواني مفتي ثغر بيروت

شيخ الاسلام مفتي الأنام ، التقي الزاهد والهمام الماجد ، نخبة الأئمة الكرام وعمدة السادة الأعلام ، المتقن المحقق والمتفنن المدقق ، الجامع بين طرفي المعقول والمنقول ، والمتضلع في معرفة الفروع والأصول . أخذ عن الفضلاء الأفراد وشاع ذكره في الأمصار والبلاد ، ثم ترك الافتاء وقدم الى الشام ، واشتغل في الافادة والطاعة والصلاة والصيام والقيام ، ولقد قرأ على سيدي الوالد ، وتلقى عنه الفنون والفوائد . مات رحمه الله تعالى سنة أربع وسبعين ومائتين والف . ودفن بجبانة باب الصغير قرب ضريح سيدنا أوس الثقفي رضي الله عنه [١] .

الشيخ محمد الدسوقي الدمشقي

امام علم رقى في الأنام منارُه ، وارتفعت على طود الاقبال ناره ، وهمام طيب الكون أرج نشره ، وملأ الآفاق جميل ذكره ، وتعلم الناس

---

(١) لخص ترجمته هذه وأشار اليها في (روض البشر) فقال : كان عالماً عاملاً ورعاً نقيا ، لا تأخذه في الحق لومة لائم ، وولي إفتاء ثغر بيروت ، وعزل عنه لحادثة وقعت له مع النصارى ، وقد أخذ العلم عن كثيرين ، من أجلهم محدث الديار الشامية الشيخ عبد الرحمن الكزبري ، وقد انتفع فه جم كثير ، وجم غفير .

منه حقيقة التقوى والعبادة والعفه والزهادة (١) . مات رحمه الله في شهر محرم الحرام سنة تسع عشرة ومائتين والف ، ودفن في مقبرة باب الصغير .

الشيخ محمد بن شاكر بن محمد بن اسماعيل الدمشقي الحنفي الشهير بالسكري (٢)

الامام الهمام الفاضل الكامل ، ولد بدمشق الشام ، ومذ نشأ شرع في تحصيل العلوم ، ثم سافر إلى مصر ودخل الجامع الأزهر ، فأخذ عن العلماء المصريين كالشيخ ابراهيم الباجوري والشيخ السقا والشيخ عليش وأمثالهم ، ثم بعد أن علا قدره وأشرق بدره ، عاد إلى وطنه دمشق الشام ، وأخذ عن فضلائها الفخام ، كالشيخ عبد الرحمن الكزبري والسيد محمد عابدين وسيدي الوالد ، ثم تولى إمامة جامع المرحوم درويش باشا

---

(١) قال أستاذنا العلاّمة المحقق الشيخ جمال الدين القاسمي في تاريخه تعطير المشام من ترجمته : ولما أكمل المادّة على أشياخه اشتهر فضله ، وتصدى للاقراء ، وانتفع به الجم الغفير ، وكان غالب دروسه في حجرة في جامع حسّان ظاهر باب الجابية ، وهناك يقرىء الدروس الليلية والنهارية ، وكان خطيباً به وإماما ، وكان لخطبته التأثير العظيم في القلوب بحيث لا يتمالك من البكاء من حضرها لقوة حاله وصلاحه ، (ثم قال) : ورأيت في مجموعة وفيات انه توفي رحمه الله في ١٣ محرم سنة ١٢٤٢ : فيكون توفي في منزلة (هدية) قافلاً من الحج ، والله أعلم وقال : وكان في الركب يومئذ العلامة الشيخ خالد النقشبندي فعاده مرارا ، وكان يجله ويعظمه كثيرا لمعرفته وصلاحه وعلمه ، رحمهما الله تعالى اه ويرى القارىء هنـــا الاختلاف في تاريخ الوفاة ومحلّها .

(٢) قال الأستاذ الشطي : ترجمه انا ولده الأستاذ الفاضل الشيخ سعيد بما خلاصته : العالم الفقيه الصالح القدوة كان متضلعاً في العلوم متفنناً ورعاً زاهدا ، يغلب عليه حب الانزواء والعزلة ، ولد في حدود (سنة ١٢٣٠) بدمشق ، ومن مشايخه كل من العلامتين الشيخ حسن الشطي والشيـخ هاشم التاجي وأقرانهما ، ثم رحل الى القاهرة .

وخطابته ، وكان ملازماً لحجرته في الجامع المرقوم لإقراء الدروس وإفادة الطالبين (١) ، ثم قبل وفاته بثلاثة أشهر ولي تدريس التكية السليمية بعد موت المرحوم عبد الرحمن افندي البوصنهلي ، فقرأ الدرس مدة ثلاثة أشهر (٢) ثم مرض مرض الموت ، وكانت وفاته يوم عيد الأضحى سنة ثلاث وتسعين ومائتين والف ودفن بباب الصغير .

الشيخ محمد الدمشقي الحنفي المعروف بسكر

أحد الأفاضل وأوحد الأماثل ، ولد في دمشق ونشأ بها ، وكان عالماً عاملاً متفنناً فاضلاً ، له اليد الطولى في العلوم العقلية والنقلية ، خصوصاً في المعاني والبيان ، فانه كان مرفوع الرتبة على الاقران ، غير انه قد أخره الدهر لفقره ، وخفض له اعلام تعظيمه وقدره ، وكان ذا طاعة وعبادة وتقوى وزهادة . توفي بدمشق سنة نيف وستين (٣) ومائتين والف ودفن بباب الصغير .

الشيخ محمد بن الشيخ محمد المبارك المغربي الجزائري الدلسي الحسني المالكي الدمشقي (٤)

كعبة الافراد الآتي من الابداع بما أراد ، والناظم لمنثور الأدب والراقم

---

(١) ومن قبل أقام في حجرته المعروفة في المدرسة السميصاتية ، وصار يقرأ فيها الدروس الخاصة ، فانتفع به خلق كثير .

(٢) أو ستة أشهر كما في ترجمة ولده له .

(٣) ذيلها في (روض البشر) بقوله : (أو سبعين) .

(٤) هو أديب لغوي صوفي ، ولد ببيروت ، وتعلم بدمشق ، وتوفي سنة ١٣٣٠ ، ودفن في المزة بظاهر دمشق ، نبغ في اللغة والأدب وبرع في المناظرات والمحاضرات والمساجلات ، وهو أحد ناشري العلم والتعليم في مدرسة الريحانية ، ومؤسسها ، تخرج على يده كثير من الأدباء والبلغاء (قال الأستاذ التقي الحصني الذي نلخص هذه السطور عن كتابه « منتخبات التواريخ » وكنت أحد تلامذته في تلك المدرسة اهـ (أقول : وأنا كنت أحد تلاميذه في الريحانية) جزاه الله عنا خير الجزاء ، وله رسائل ومحاورات أدبية كثيرة . (انظر مؤلفاته في آخر الترجمة) .

في كتاب دلائله على فضائله ما يقضي له بأسمى الرتب . ولد سنة ثلاث وستين ومائتين والف ، وقرأ على السادة الأفاضل ذوي الفضائل والفواضل ، الى أن برع وفاق ، واشتهر في الآفاق ، وأتى من المنظوم والمنثور بما يدهش العقول ويشرح الصدور ، ومن جملة ذلك مقامته التي توصل بها الى مديح من كانت ذاته الشريفة مطلعا للهمم ومشرعاً للكرم ، حضرة مولانا الأمير السيد عبد القادر الحسني الجزائري التي سماها غناء الهزار في محاورة الليل

١٠٥١ ٢٤٤

والنهار ، والسجعة الأولى من التسمية يؤخذ من حساب حروفها تاريخ إنشائها وترصيفها ، وهي بحروفها لتدل على قدر مبدعها وموصوفها : حمداً لمن فتح أبواب الخير في جميع الأوقات ، ويسر أنواع البر وقدر أصناف الأقوات . وصلاة وسلاماً على من واظب على بث الحكمة ودأب ، وعلى آله الذين تنافسوا فيما جاء به من العلم والأدب ، ما تعاقب الغدوّ والمساء ، وضحكت الأرض من بكاء السماء .

وبعد فاني تفكرت ذات يوم في اختلاف الليل والنهار ، وما أودع الله فيهما من لطائف الحكم والأسرار ، مصغياً لما يترجمه لسان الحال ، لأسند ذلك اليه دون انتحال ، فرويت عنه من أنبائهما بدائع وغرائب ، وقد قيل ان في الليل والنهار عجائب :

من لم يؤدبه والداه أدبه الليل والنهار

فصغت تلك المعاني ، في مقامة رقيقة المباني ، مشحونة بغرر من نتائج الأفكار ، ودرر تزهو على البنات الأبكار ، يزداد بها الأديب علماً وتبياناً ، ويرتاد منها الأريب أدبا وعرفانا . وأبرزتها في معرض المحاورة ، لتجنح اليها أرباب المحاضرة ، فهي فكاهة أحلى من عيش الصبّا ، ونفثة أرق من نفحة نسيم الصبّا . وشحنتها بمدح أمير تتحلى بوصفه البراعة ، وتنطلق في تقييد شمائله الشريفة أيدي اليراعة . فلله فوائد كفرائد اللؤلؤ

في السلك ، أو رحيق مختوم ختامه مسك ، وذلك انه ابدى الضيــاء والدجى ما هو للعين قرة ، فكلما أسفر ذاك عن بياض الغرة ، قابله هذا بسواد الطرة ، ثم استنجد كل منهما صاحبه ، بعد أن رشق خصمه بسهام صائبة . وإذا بالليل حمل على النهار ، فجعل حمرة وردته كصفرة البهار . وخطر يجر ذيول تيهه وعجبه ، مرصعاً تيجان مفاخره بدرر شهبه ، وقد كساه بدر الكمال برد الجمال ، ولوائح الهيبة والجلال ، تلوح عليه في ذلك الجال ، فصدر النقول بأحاسن رواياته ، وحير العقول بمحــاسن كناياته . ثم قال : « والليل اذا يغشى » « ان في ذلك لعبرة لمن يخشى » ففتح باب المفاضلة في هذا الفصل ، وعقد أسباب المناضلة بقوله الفصل ، فان الحرب أولها كلام ، ثم تنجلي عن قتيل أو رهين كلام . فانتدب اليه النهار ، ممتطياً صهوة الفخار ، وقد ازورت مقلتاه ، واحمرت وجنتاه ، وصاح إذا أديرت كؤوس المنايا ، (أنا ابن جلا وطلاع الثنايا) فأدهش الأفكار بعظيم وثباته ، ورسوخ قدمه في الهيجاء وثباته ، وتقدم في ذلك الميدان وجلّى ، مترنماً بقوله تعالى : « والنهار إذا تجلى » واستدل على كماله من الفرقان بسورة النور ، والشمس ترسم آية جماله بالذهب على رقه المنشور ، ولما استوى على عرش سنائه ، واطلع أنوار طلعته في أرضه وسمائه ، أعرب عن مكنون الحقائق ، وأغرب في كشف الأسرار والدقائق ، فابتدر إليه الليل ، ومال عليه كل الميل ، وجعل النجوم له رجوما ، وما غادر من مغانيه اطلالاً ولا رسوما ، ثم صعد على منبره ثانيا ، وقد أمسى الفخر لعطفه ثانيا ، وقال : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا » فأسدى إليّ من عوارفه براً ونيلا ، أحمده على أن جعلني خلوة للأحباب ، وجلوة لعرائس العرفان بين أولي الألباب ، وخلقني مثوى لراحة العباد ، ومأوى لخدمة المقربين والعبّاد ، أتردد على أرباب المجاهدة بفنون الغرائب ، وأتودد الى أصحاب المشاهدة بعيون الرغائب ، تدور عليهم بدور الانس والسمر ،

وتحييهم بشذا نفحاتها نسمات السحر ، فأحيانُ وصلي بالتهـــاني مقمرة ، وأفنان فضلي بالأماني مثمرة :

ومـــا الليل إلا للمجد مطية ومبدان سبق فاستبق تبلغ المنى

فوجم النهار لبراعة عبارته ، وبلاغة معنى رمزه وإشارته ، وتنفس الصعداء بنفح الصّبا في الصباح ، فأطفأ بأنفاسه العاطرة نور المصبـــاح ، ثم خرج للمبارزة من بابها ، إذ كان من فرسانها وأربابها ، فشمر للحرب العوان ، غير ناكل ولا وان ، ناشراً راية مجده البيضاء ، وأسنته لامعة بين الخضراء والغبراء ، وقال له أيها الليل ، هلا قصرت من اعجابك الذيل ، ولئن دارت رحى الحرب ، واستعرت نار الطعن والضرب ، فلأبرزن مخدراتك وهي عن الوجوه حاسرة ، وأنت تتلو « تلك إذاً كرة خاسرة » وهل دأبك إلا الخداع والمكر ، وترقب الفرصة وأنت داخل الوَكر ، ان كنت تجمع المحب بالحبيب ، إذا جار عليه الهوى وحار الطبيب ، فكم يقاسي منك في هاجرة الهجر ، ويئن أنين الثكلى حتى مطلع الفجر .

ولله در القائل

اقضّي نهاري بالحديث وبالمنى ويجمعني والهم بالليل جامع

نهاري نهار الناس حتى إذا بدا لي الليل هزتني إليك المضاجع

وإن كنت مَغْنى الأنس والراحة ، تفعل بعقول الناس فعل الراحة ، فهل حسبت أن السكون خير من الحركة ، وقد اجمع العالم أن الحركة بركة ، وان افتخرت ببدرك الباهر الباهي ، فإنما تنافس بوزير شمسي وتباهي ، وهل له عند اشراق بهجتي من نور ، او لطلعته من خدور البطون ظهور ، فأنشدك الله أينا أحق بالفخر ، فقد حصحص الحق ووضح الفجر ، أما لك في قوله تعالى بينة وتبصرة « فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة » وهل يستوي الأعمى والبصير والظلمات والنور ، أم هل يستوي الأحياء وأصحاب القبور ، ولقد أبدع من قال :

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي

ألم تعلم أينا أبهى محيا ، وشتان ما بين الثرى والثريا ، ولا ريب أن الحسن في الجميل ، عنوان على أنه رب الاحسان والجميل ، وقد قال من نؤمل بره ونرجوه (اطلبوا الخير عند حسان الوجوه) فأنا مفتاح خزائن الأرزاق ، وبي يستفتح باب المنعم الرزاق ، وهل يخفى حسني وجمالي على انسان ، أو يحتاج فضلي وكمالي إلى برهان ، وعرضي عار عن الدنية والعار ، ونور البدر من ضيائي مستعار ، ولولاي ما تميز الحسن من القبح ، ولا أحيا ميت الكرى نسيم الصبح ،

وليس يَصحُّ في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

وان ذكرت الذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً مُعَرِّضاً بكل غافل لاه ، فلي في كل مجال « رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله » ، واين من احتجب بظلمات بعضها فوق بعض ، ممن اضحى ينظر في ملكوت السموات والأرض ، فان أولي الألباب ، رأوا الدنيا دار الأسباب ، فلزموا الأدب مع الله باستعمالها وقلوبهم عاكفة على الباب ، وقد اتحفني الله بالصلاة الوسطى فأوتر بها صلواتي ، وشرع فيها الإسراء لأسرار اختصت بها أهل جلواتي ، وكفاني شرفاً شهر رمضان ، الذي أنزل فيه القرآن ، فياله من شهر أيامه للخيرات مواسم ، وهي للجبـــاه غرر وللثغور مباسم ، فمآثري مشهورة في القديم والحديث ، وبها نطق الكتاب العزيز والحديث ، ومحاسني واضحة لأولي الأبصار ، وهل تخفى الشمس في رابعة النهار ؟ ثم انحدر من منبره ، وقد أيَّد حديث خبره بآية مخبَره ، ولمـــا جن الليل ، اجلب عليه بالرجْل والخيل ، فسد ما بين الخافقين بسواده ، وطفق يرمي بسهام جداله وجلاده ، مقدماً بين يدي نجواه سورة القدر ، آية على ما حازه من كمال الرفعة والقدر ، ثم قال سحقاً لك أيها النهار ، لقد أسست بنيانك على شفا جرف هار ، تناضلني ومني كان انسلاخك وظهورك ، وتفاضلني وبي أرخت أعوامك وشهورك ، كيف اطعت هواك في عقوقي ، وأضعت جميع مطالبي وحقوقي ، ألم يأن لك أن تخشع للذكر ، فتعترف لي برتبة التقديم في الذكر ، وهل الأعمى سوى المحجوب عن المحبوب ،

فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب ، كيف تعيرني بلون السواد ، وهل يقبح السواد إلا في الفؤاد ، أم كيف تعيبني بالخداع والحرب خدعة ، مع أنك تعلم أني في عز ومنعة ، أما تشهد الأنام من هيبتي حيارى « وترى الناس سكارى وما هم بسكارى » فأنا البطل الذي لا يصطلى لي بنار ، ولا يؤخذ لقتيلي مدى الدهر بثار ، فكم أرّقت أسوداً كاسرة ، وأرقت دمـــاء ووجوه يومئذ باسرة ، وكم أوريت نار الوغى تحت العجاج ، وقد اكفهرت الوجوه واغبرت الفجاج ، وليت شعري أنّى لك بالحياة دون الورى ، والحي من أحياه الله ولو كان تحت أطباق الثرى :

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميّت الأحيـــاء
إنما الميت من يعيش كئيباً كاسفاً باله قليل الرجـــاء

وافتخارك بالصلاة الوسطى ، ليس إنصافـــا منك ولا قسطا ، وهب انك انفردت بتلك الصلاة ، فأين أنت مما اشتملت عليه من وافر الصّلات ، اما علمت أن الركعة فيّ تضاعف أجورها ، ويعظم فضلها ويزهو نورها ، وهل فرضت في زمنك منهـــا فريضة ، حتى تطاولت عليّ بدعواك الطويلة العريضة :

وما أعجبتني قط دعوى عريضة ولو قام في تصديقها الف شاهد

وأما افتخارك بفضيلة شهر رمضان ، وما نزل فيه من السبع المثاني والقرآن ، فهل صح لك صيامه إلا بي بدأ وختاما ، وقد اختصصت باحياء لياليه تهجداً وقياماً ، على اني محل النية ونية المرء خير من عمله ، لأنهـــا بمثابة الروح له وبها يحظى الراجي ببلوغ أمله ، فكيف تدعي التفرد بجمع فنون المجد والفضل ، ولم تخف يوم الفصل وما أدراك ما يوم الفصل ، هل في مطالع سعودك أشرقت بدور العيدين ، أم على جناح جنحك أسرى بنور طلعة الكونين ، وهل في اسحـــارك يقول الرب هل من سائل ، ويجود على أهل مناجاته بأعظم الوسائل ، أم فيك نزل الكتـــاب المنزه

في فضله عن المشاركة ، والحق تعالى يقول : « إنا أنزلناه في ليلة مباركة » وحسبي من المفاخر أول ليلة من رجب التي تأكد مبتدأ فضلها بالخبر ووجب ، وكيف لا وفيها قد حملت آمنة بمن به الأمة من العذاب آمنة ، فهي فاتحة الليالي النيرة الزاهرة ، وواسطة عقدها بحسن خاتمة النبوة الباهرة ، فاكفف عن الجدال وامسك ، ولا تجعل يومك مثل امسك ، وسالم من ليس لك عليه قدرة ، فانه ما هلك امرؤ عرف قدره ، واني أستغفر الله عز وجل ، وأسأله الأمن من كل وَجَل . فبرز اليه النهار بروز الأسد من غابه ، وقد استل سيف سطوته من قرابه ، وقال ما كل سوداء تمرة ، ولا كل صهباء خمرة ، فوالذي كساني حلل الحسن والجمال ، وخلع علي خِلَعَ الفضل والكمال ، لأمحون طرة الدجى بغرة الضياء ، ولأثبتن ما خصصتُ به من السنا[1] والسناء[2] ، ألست مظهر الهداية والدلالة ، وهو مظهر الغَواية والضلالة ، فكم أظهرت منه عيباً كان غيبا ، فابيضت عينه حزنا واشتعل الرأس شيبا ، وما ارعوى عن ظلمة ظلمه ، ولا رجع الى الانصاف في نثره ونظمه ، ثم أقبل عليه ، وأنشد مشيراً اليه :

يا مشبهاً في فعله لونه لم تعدُ ما أوجبت القسمه
خُلقك من خَلقك مستخرج والظلم مشتق من الظلمه

كيف تزعم أيها العبد الآبق ، انك لي في حلبة الشرف سابق ، وقد قال الواحد القهار : « ولا الليل سابق النهار » متى قام على منابر العلا بنو حام ، أو جلس أحدهم في ديوان الفخر بين أبناء سام ، إن أنت ورب البيت إلا كافر ، وبشموس أنوار الشهادة غير ظافر ، لو كنت من السعداء لفزت بدار النعيم ، ولولا شقاؤك لما شابهت سواد طبقات الجحيم ، فكيف جعلت في الفضل حالي دون حالك ، وأي فخر لمن وجهه اسود حالك . لقد سمعت أقاويلك التي قدمتها بين يديك ، وأتيتَ بها حجة لك وهي حجة عليك ، ولا جرم أن لسان الجاهل مفتاح حتفه ، وكم

(١) الرفعة . (٢) الضياء .

من باغ قتل بسيف بغيه وحيفه ، أما انسلاخي منك فمن أبدع الطرف لي والطرر ، وهل يحق للأصداف أن تفتخر على الدرر ، وأما تقدمك علي فمن العادة ، تقدم الخدم بين يدي السادة . أو ما ترى أن النبي محمداً فاق البرية وهو آخر مرسل . وأمـــا حديث الإسراء ففي مجلسي روته الأمة ، ثم بلغه الشاهد للغائب بعد أمة ، فما لاحت أسراره إلا في مرآة مطالعي ، ولا زاحت أستاره إلا بأنوار طوالعي ، وما أشرتَ اليه من بقية لياليك ، التي سطعت بها نجوم معانيك ومعـاليك ، فأينْ أنت من يوم عرفة ، الذي أفرده بالمزايا من عرفه ، وأين أنت من يوم عاشوراء ، الموسوم بأزكى الفضائل دون مراء ، وناهيك بسمو شأن العيدين ، فمـا أعظمها من موسمين سعيدين ، وكيف تباهيني بظهور ليلة القدر منك مرة في كل عام ، ولي في كل اسبوع يوم تمتد فيه موائد الجود والانعـام ، وهو معلوم شهير ، يعرفه الكبير والصغير ، وفيه ساعة يستجاب فيهـا الدعاء ، ويستجاد الثناء على رب العزة والسناء ، هذا ولو تأملت ما لي من المناقب والمآثر ، لما تجارأت على مجاراتي في معترك المفاخر ، أفي معاهدك كانت الصحابة تتلقى القرآن ، وتتملى بأنوار رسول الله في كل آن ، أم في مشاهدك وردت وقائع الجهاد ، وعُبِدَ الله تعالى على رؤوس الأشهاد ، فأحاديث فضلي سارت بها الركبان ، وماست بنسيم لطفها معاطف البان ، وقدري فوق ما تصفه الألسن ، وفيَّ مـــا تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ، فاضرب صفحاً عن تمويهك وغشك ، فإن هذا ليس بعُشك ، ودع عنك قول الزور والمين ، فقد بَان الصبـــح لذي عينين . فوثب اليه الليل ، وهجم عليه هجوم السيل ، وقد امتطى جواده الأدهم ، وتعمم بعمامة سوداء وتلثم ، فأنسى بفتكاته عنترة بني عبس ، إذْ أمسى يتوعد عمارة بالأسر والحبس ، ثم ضرب خباء عزه الباذخ ، وقدح زناد عزمه الراسخ ، وقال : « فلا أقسم بالخنس ، الجوار الكنس » لقد تزيا المملوك بزي

الملوك ، وادعى مقام الوصول صاحب السير والسلوك ، طالما منحته جميل ستري ، وهو لا يبالي بهتك أستاري ، وأودعت سره في خزانة سري ، وهو يبوح بمصون أسراري ، أف له من فاضح ، أما يكفيه ما فيه من الفضائح :

انمّ بما استودعتَه من زجاجة ترى الشيء فيها ظاهراً وهو باطن

وعلام جعل السواد على النقص علامة وهو مشتق من السؤدد لدى كل علامة ، أما درى اني حزت من الكمال الحظ الأوفر حتى تحلى بوصف العنبر والمسك الأذفر ، وهل يُزري بالخال سواده البارع ، أو يُغري بالبرص بياضُه الناصع ، وفي لون المشيب عبرة وأي عبرة ، فكم اجرت من الآماق أعظم عَبرة ، فما كل بيضاء شحمة ، ولا كل حمراء لحمة ، على أن السواد حلية أهل الزهد والصلاح ، وهل يسترقّ الأسودَ الاسودُ احداق الملاح ، بيد أن الحر لا يبالي بالجمال الظاهر ، وإنما يباهى بالفعل الجميل والقلب الطّاهر ، ثم أنشد ، وزفيره يتصعد :

وما الحسن في وجه الفتى شرف له إذا لم يكن في فعله والخلائق

فأفاض النهار ، في حديث يفضح الأزهار ، وقال ما أشبه الليلة بالبارحة ، والغادية بالرائحة ، كم تدعي ياهذا أعلا المقامات ، وأنت كثيف الحجاب أسير المنامات ، وهل يقرَنُ أوقات الغفلة بأوقات الحضور ، إلا من ليس له في الحقيقة أدنى شعور ، انك لفي واد وأنا في واد ، ولكم بين لئيم وجواد ، تجمع بين المعشوق والعاشق ، وتسترهما بردائك عن الرقيب والطارق ، ولقد قال مترجماً عن ذلك من سلكتَ به هاتيك المسالك :

بتنا على حال يسر الهوى وربما لا يمكن الشرح
بوابنا الليل وقلنا له إن غبت عنا هجم الصبح

وهل يترنم بذكرك إلا غافل ، وأنّى يغترّ بك عاقل ونجمك آفل ، وقد قدمت أني الك فاضح ، وما ذا عليّ في ذلك والحق أبلج واضح ،

فاني نظرت إليك بنور علام الغيوب ، فظهر لي مـا بطن في سرك من العيوب ، فجعلت مطويّ معايبك كتاباً منشورا ، ومنظوم كواكبك هباء منثورا ، فأنا الناقد البصير ، والله الولي لي والنصير ، وتعرُّضي لمحو دعاويك ، واثبات جرائمك ومساويك ، من الواجب علي ياحليف الكرى ، لخبر من (رأى منكم منكرا) فإلى متى تتبجّح بما لا طائل تحته ولا معنى ، اسمع جعجعة ولا أرى طِحنا ، وحتى متى تعنف من لامك عن اتباع هواك ، وأنت تدعي رتبة الكمال فهلاّ نهاك نُهاك ، فتنبه من غفلتك أيها الليل ، قبل أن تدعوَ بالثبور والويل ، وإلا فرقت طلائع سوادك في كل طريق ، ومزقت سوابغ دروعك أي تمزيق ! فاسودّ وجه الليل ، وانقلب بحشف وسوء كيل ، وندم على مناقشة النهار ، ندامة الفرزدق [1] على النوّار ، ولما سُقط في يده ، ورزىء في عَدَده وعُدَده ، قال من ينصفني من هذا الجاني ، فانه اضطرني إلى الجهر بالسوء والجأني ، حتى يرمقنى بلحاظه ازورارا ، ويرشقني بسهامه عتواً واستكبارا ، وعلام يخفي دلائل فضلي وهي ذات وضوح واشتهار ، ولقد صدق من قال كلام الليل يمحوه النهار ، وما نمّ بسره وباح ، حتى عطس أنف الصباح ، فأسفر عن محاسن غرته ، وقد برقت أسارير مسرته ، وطلع بين يديه حاجب الشمس ، فاستنقذ من الليل ما استأمره من الحواس الخمس ، وقال له كم ذا تدعي أنك غبين ، وتشكى مني وأنت المفتري المبين ، وهب أني ظلمتك فأنت البادي ، وهل قابلتك إلا بما واجهتني به في المبادي ، وان رمت التقاضي ، لدى الحاكم

(١) همّام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي أبو فراس ، كان يقال : لو لا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب ، ولو لا شعره لذهب نصف أخبار الناس ، وهو صاحب الأخبار مع جرير والأخطل ، كان شريفاً في قومه عزيز الجانب ، وكان أبوه من الأجواد الأشراف ، وكذلك جدّه ، وقد جمع بعض شعره في ديوان مطبوع ، ومن أمهات كتب الأدب والأخبار ، « نقائض جرير والفرزدق » مطبوع في ثلاثة مجلدات ، ونوار هي ابنة عين بن ضبيعة بن عقال المجاشعي ، وكانت ابنة عم الفرزدق اهـ من كتب المعاجم والتراجم .

أو القاضي ، فهلم إلى حضرة الأمير ، « ولا ينبئك مثل خبير » فانه لا زالت عين العلا به قريرة ، موسوم بحسن السيرة وطيب السريرة ، فقال له على الخبير سقطت ، وضالةَ الحكمة لقطت ، واني معترف بعدله في فصله ، مغترف من بحر جوده وفضله ، فهو الامام العادل ، والعالم العامل ، فأمليا عليه سورة الواقعة والمجادلة ، فحضهما على حسن المعاملة ودوام المجاملة ، وقال لهما جانحاً إلى الصلح في جواب سؤاله : بعد حمد الله والصلاة على محمد وآله ، انكما كفتا ميزان أصحاب الرقائق ، ودفتا كتاب أرباب الحقائق ، بكما يتحلى المرء بحلا سعادته ، ويتخلى من فضول طبيعته وعادته ، فأنتما في الشرف رضيعا لبانٍ ، وفي مضمار المجد والفخر فرسا رهان . هذا وإن كنتما ابنَتَيْ ضَرّتين ظلمة ونور ، فأبوكما هو الزمــان الذي عليه افلاك الوجود تدور ، فليشدّ كل منكما عضده بأخيه ، وليحذر من تفريطه في جنبه وتراخيه ، وعليكما باطّراح رداء الافتخار ، فان العبد لا يسود إلا بالافتقار ، بارك الله فيكما وبلغكما المرام ، ومنحكما كمال التوفيق وحسن الختام . ولما أصلح ما بين الليل والنهار ، وبوأهما مهاد الألفة بعد الوحشة والنِفار ، ورداً من رشده موارد الائتلاف ، وطرحا أعبــاء التعصب والاختلاف ،فقلت مادحاً لحضرته الشريفة ، مستمداً من علومه وأسراره المُنيفة :

قد أسفرت بين العذيب وَحَاجر — خود سبت أهل الهوى بمحاجر
هيفاء طرتها غدت تحكي دُجى — ليل وغرتهـــا كصبح زاهر
يفتر جوهر ثغرها عن لؤلؤ — أجريت منه عقيق دمع هامر
لله خالٌ عم روضة خدها — لطفاً على ورد جنيٍّ عـاطر
لما بدت تختال تيهاً خلتها — بدراً على غصن رطيب ناضر
أمرتْ فؤادي في الغرام وأطلقت — دمعي ومالي في الهوى من ناصر
ضنت بحسن وصالها يا ليتها — منّت عليَّ ولو بطيفٍ زائر
انّى يشاهد طرف صب ما درى — طعم الكرى طيف الغزال النافر

يا عاذلي كن عاذري في حبها فالوجد أفنى مهجتي ومرائري
قد طاب فرط تهتكي في الحي بعـــد تنسكي والذل لذ لخاطري
هيهات يصحو من سلافة عشقها يا صاح صاح أسكرتْ بنواظر
أربتْ على كل الملاح لطافة وتفردت ببديع حسن باهر
كالشمس إن سفرت وغصن البان ان خطرت وإن نظرت فأخت جآذر
يصفو بطيب وصالها وقتي كما يحلو المديح بذكر عبد القادر
مولى حكت أخلاقه في لطفها مسرى النسائم في رياض أزاهر
بزغت به شمس المعارف بعد ما أفلت فأرشد كل لاه حائر
أكرم به براً غدا بحراً طما في كل علم باطن أو ظاهر
ان عدت العلماء فهو إمامهم ويرى لدى الأمراء أعظم آمر
ان الكمال بأمره في أمره والفضلَ طوعٌ يديه دون تناكر
ان رمته في حل مشكلة جلا سر الحقيقة في أرق مظاهر
وإذا سألت عن السماحة كفه أنباك عن قطر وبحر زاخر
ولو اطلعت عليه في يوم الوغى لرأيت ليثاً أي ليث كاسر
قد حـــاز أنواع المعالي جملة بوراثة من كابر عن كابر
وعليه أسرار الكتاب تنزلت فغدا يحررها بأيدي شاكر
فانظر مواقفه وحسبك أنها تروي حديث صحيحه المتواتر
الله أكبر كم بهـــا من آية شهدت له بفضـــائل ومآثر
يا مفرداً في جمع أشتات العلى قد فقت كل مفاضل ومفاخر
لله درك سيداً أوصـــافه عزت وجلت عن وجود نظائر
ته يا زمان به وطاول ان تشأ نجم السها بمناقب ومفاخر
فهو ابن طه خير من وطىء الثرى فبخٍ بخٍ شرف وطيب عناصر
سعدت بسيرة فضله أوقـــاته فتقلدت منه عقود جواهر
أيامه جُمَعٌ كما أمست ليـــا ليه ليالي القدر ذات بشائر

من أمّه في حاجة يحظى بوقـــت اجابة ومديد فضل وافر
لا زال بدراً في سماء المجد محفـــوفاً بغُرٍّ كالنجوم زواهر
ما قال ممتدحاً مؤرخ شكره هام الوجود بسر عبد القادر
٥٢٥ ٤٦ ٥٠ ٢٦٢ ٧٦ ٣٣٦

وجملة ذلك خمس وتسعون ومائتان والف

ومن قوله مهنئاً أخاه الشيخ محمد الطيب بولده جعفر مؤرخاً ولادته :

نجم بدا في طالع الاسعاد من أفق الهنا يزهو بأبهى منظـَر
أم ذا هلال هل أول ليلة باليمن من ثاني ربيـع الأنور
أم ذا غلام لاح يا بشراي في مهد الهنا يرنو بطرف أحور
رشق الحشا بسهام قوس حواجب وسطا وصال من القوام بأسمر
وأماط عن وجه البهاء لثامه فسبا النهى يا حسنه من جؤذر
وافتر ثغر جمـــاله متبسما فروت ثناياه صحـاح الجوهر
أفديه من نجل كريم قد زكا فرعاً وطاب لطيب ذاك العنصر
فاهنأ به يا ابن المبارك وارتشف راح التهاني من لماه الكوثري
وانشق شذاه فانه ريحـــانة تزري بنشر فتيت مسك أذفر
لا غرو في طيب بدا من طيـّب وهو ابن فاطمة وبضعة حيدر
قد لاح بين الشمس والقمر المنـــير سناه منجلياً بأبهى مظهر
لا زال قرة أعين لهما ومنـــية أنفس ما فاح ريا العنبر
وشدا لسان الحال فيه مؤرخا نيل المنى في رشف وجنة جعفر

ومن قوله مشطراً أبيات الشاب الظريف ، ابن العفيف التلمساني :

للعاشقين باحكام الغرام رضى ولو أحلهم المحبوب نار غضا
ان العذاب لعذب فيه عندهم فلا تكن يافتى بالعذل معترضا
روحي الفداء لأحبابي وإن نقضوا ميثاق ود عليهم كان مفترضا
ماضرهم لو رثوا لي في الهوى ورعوا عهد الوفيّ الذي للعهد ما نقضا

قف واستمع سيرة الصب الذي قتلوا   بأسهم ليس يُخطيي رشقُها غرضا
قد كان يرجو بأن يحظى بقربهم   فمات في حبهم لم يبلغ الغرضا
رأى فحب فرام الوصل فامتنعوا   فبات يشكو زماناً بالبعاد قضى
سقاه كأس النوى رغماً وجرعه   فسام صبراً فأعيا نيله فقضى

وقد كنت شطرت هذه الأبيات قبله وهي مع التشطير :

للعاشقين بأحكام الغرام رضى   بما ارتضى لو عليهم بالحمام قضى
والذل في الحب عز عندهم حسن   فلا تكن يافتى للعزل معترضا
روحي الفداء لأحبابي وان نقضوا   زمام صب لذيذ العيش قد رفضا
ماذا عليهم ترى لو أنهم حفظوا   عهد الوفي الذي للعهد ما نقضا
قف واستمع سيرة الصب الذي قتلوا   من غير ذنب سوى حب له وفضا
من بعدما جرعوا كأس الهوى فطموا   فمات في حبهم لم يبلغ الغرضا
رأى فحب فسام الوصل فامتنعوا   فاستعوض الدمع عند المنع والحرضا
وحاول النفس سلواناً لهم فأبت   فرام صبراً فأعيا نيله فقضى

وكنت قد نظمت وخمسها وهما مع التخميس

ياصاح فزتُ بنجدة   والأنس جاد بعودة
فأدر كؤوس مودة   وافى الحبيب بوردة
وغدا يميس بقده
نمتْ لآلي ومضها   عن حسن مورد حوضها
وروت شذا فى عرضها   فسألته عن روضها
فأشار لي من بعده

وقد خمسها الأديب الشيخ محمد بهاء الدين بن أخي عبد الغني افندي .

حيا بزاهر طلعة   والخال فاح بندة
لما هممت بشمة   وافى الحبيب بوردة
وغدا يميس بقده
صوب الحيا من فيضها   يهمي بعنبر أرضها

لمع السنا من ومضهـــا فسألته عن روضهـــا
فأشار لي من خده (١)

الشيخ محمد المصيلحي الشافعي المصري

الإمام العلامة المتفنن المعمر الضرير ، أحد العلماء العظام والسادات الكرام ، قال الشيخ الجبرتي : ادرك الطبقة الأولى وأخذ عن شيوخ الوقت ، وادرك الشيخ محمد شنن المالكي وأخذ عنه وأجازه الشيخ مصطفى العزيزي والشيخ عبد ربه الديوي والشيخ أحمد الملوي والحفني والدفري والشيخ علي قايتباي والشيخ حسن المدابغي ،وناضل ودرس وأفاد وقرأ وانتفع عليه الطلبة . ولما مات الشيخ احمد الدمنهوري وانقرض أشياخ الطبقة الأولى نُوّه بذكره واشتهر صيته وحف به تلامذته وغيرهم ، ونصبوه شبكة لصيدهم وآلة لاقتناصهم ، وأخذوه إلى بيوت الأمراء في حاجاتهم ، وعارضوا به المتصدرين من الأشياخ في الرياسة ، ويرى أحقيته لها لسنه وأقدميته . ولمـا مات الشيخ أحمد الدمنهوري وتقدم الشيخ أحمد العروسي في مشيخة الأزهر ، كان المترجم غائباً في الحج فلما رجع وكان الامر قد تم للعروسي أخذه حمية المعاصرة ، وأكثرها من اغراء من حوله ، فيحركونه للمناقضة والمناكدة ، حتى انه تعدى على تدريس الصلاحية بجوار مقام الإمام الشافعي المشروطـة لشيخ الأزهر بعد صلاة الجمعة ، فلم ينازعه الشيخ أحمد العروسي وتركهـــا له حسماً للشر وخوفاً من ثوران الفتن ، والتزم له الاغضاء والمسامحة في غالب الأطوار ،

---

(١) وله (غير هذه المحاورة) عدة رسائل مطبوعة منها : أبهى مقامة ، في المفاخرة بين الغربة والإقامة ، وبهجة الرائح والغادي في أحاسن محاسن الوادي ، وهي في وصف وادي دمشق ، وغريب الأنباء في مناظرة الأرض والسماء : ولوعة الضمائر في رثاء الأمير عبد القادر ، ومعارج الارتقاء الى سماء الإنشاء ، والمقامة اللغزية ونضرة البهار ، في محاورة الليل والنهار وهي هذه ، و « المقامات العشر لطلبة العصر » . توفي رحمه الله تعالى بدمشق (سنة ١٣٣٠ هـ) .

ولم يظهر الالتفات لما يعانونه أصلاً حتى غلب عليهم بحلمه وحسن مسايرته ، حتى انه لما توفي المترجم ورجع اليه تدريس الصلاحية لم يباشر التصدر في الوظيفة ، بل قرر فيها تلميذه العلامة الشيخ مصطفى الصاوي ، وأجلسه وحضر افتتاحه فيهـا ، وذلك من حسن الرأي وجودة السياسة . توفي المترجم ثاني عشر شوال سنة إحدى ومائتين والف ، وصلي عليه بالأزهر في مشهد حافل ودفن بالمجاورين رحمه الله تعالى .

الشيخ محمد كاظم الأزري البغدادي

أديب زمانه ولبيب وقته وأوانه . ولد سنة الف ومائة وخمسين ومهر في علوم الأدب ، وجلس من معرفته على أوج الرتب ، وتوفي سنة الف ومائتين وثلاثين ومن قوله :

أي عذر لمن رآك ولامـا ... عميت عنك عينه أم تعامى
أو لم ينظر اللواحظ تهدي ... سقما والشفاه تشفي السقاما
لا هنيئاً ولا مريئـاً لقوم ... شربوا من سوى لماك مداما
أترام توهموهـا عصيرا ... من محياك حين شبت ضراما
ما لمن يترك السلافة في فيـــك حلالاً ويستحل الحراما
ان للناس حول خديك حوما ... كالفراش الذي على النار حاما
بأبي أنت من خليل ملول ... لم يدم عهده إذا الظل داما
لك خد ومبسم علم الور ... د ابتهاجاً والاقحوان ابتساما
أي وعينيك مـا المدام مدام ... يوم تجفو ولا الندام نداما
لا تقسني بالورق ياغصن اني ... أنا من علم النواح الحماما
أيها الريم ما ذكرتك إلا ... واحتقرت الاقمار والآراما
لست أدري والصدق بالحر أحرى ... اضراماً قد شب لي أم غراما
ان تصلني فصل وإلا فعدني ... ربما علل السراب الأواما

لم يكن طبعك الوشاة ولكن صلب المـاء فاستحال ضراما
لو ملكنا ملك العراق ومصر دون لقياك مـا بلغنا مراما
ألف الله فيك مختلفات الـ حسن جمعاً وقال كوني غلاما

ولــه أيضاً

هزوا القدود فأخجلوا سمر القنا وتقلدوا عوض السيوف الأعينـا
وتقدموا للعاشقين فكلهم طلب الأمان لنفسه إلا أنـا
وبخده وبثغره وعذاره حمر العقيق وبارق والمنحنـا
لا خير في جفن إذا لم يكتحل أرقاً ولا جسدٍ تجافيه الضنا
وأنا الفداء لبابليّ لحاظه لا تستطيع الأسد تثبت ان دنا
لما انثنى في حلة من سندس قالت غصون البان ما أبقى لنا
ياقلبه القاسي ورقة خصره لم لا نقلتِ إلى هنـا من ها هنا
أقوى علي من الحديد فؤاده ومن الحرير تراه غصناً ألينا
شبهته للبدر قال ظلمتني ياعاشقي والله ظلماً بينـا
من أين للبدر المنير ذوآبة أم شامة أو ورد خد يجتنى
البدر ينقص والكمال بطلعتي فلأجل ذلك صرت منه أحسنا

ولــه أيضاً

هل بعد اندية الحمى من نادي يحمى النزيل به ويروي الصادي
خلت الديار من الذين عهدتهم وتنافرت ظبيات ذاك الوادي
طاروا بأجنحة الشتات كأنمـا نادى بتفريق الفريق منادي
وعدوا الرحيل عشية ووفوا به بئس الوفاء لذلك الميعاد

الشيخ محمد بن محمد الشهير بالحوت
الشافعي الشامي البيروتي

أحد العلماء الأفاضل والنبلاء ذوي الفواضل ، ولد سنة ثلاث ومائتين وألف ونشأ في العلم والعبادة والتقوى والزهادة ، وسار بين أمثاله واشتهر

في فضله وكماله . وأخذ عن الشيوخ العظام والسادة الكرام ، وانتفع به الجم الغفير [١] وعلى كل حال ففضله معلوم شهير . مات سنة سبع وسبعين ومائتين وألف ، ودفن في تربة سيدنا عمر المشهورة الآن بالباشورة .

الشيخ محمد النيومي الشهير بالعقاد المصري الشافعي

قال الجبرتي الإمام العلامة والجهبذ الفهامة الفقيه النبيه الأصولي المعقولي ، الورع الصالح ،أحد أعيان العلماء النجباء الفضلاء ،تفقه على أشياخ العصر ، ولازم الشيخ الصعيدي المالكي ، ومهر وأنجب ودرس وانتفع به الطلبة في المعقول والمنقول ، وألف وأفاد وكان انساناً حسناً جميـل الأخلاق مهذب النفس متواضعاً ، مشهوراً بالعـلم والفضل والصلاح ، لم يزل مقبلاً على شانه محبوباً للنفوس ، حتى تعلل بالبرقوقيـة في الصحراء وتوفي بها سنة اثنتين ومائتين والف ، ودفن هناك بوصية منه رحمه الله تعالى .

السيد الشيخ محمد المبارك المغربي الجزائري الدلسي الحسني المالـكي

ولد سنة ألف ومائتين وثلاث وعشرين ، ولدى تمييزه اشتغل بحفظ القرآن ثم في تحصيل مالا بد منه من علوم الدين ، ثم عكف على العبادة والتقوى في السر والنجوى ، وكان في بداية أمره يأوي إلى غابة كثيرة الوحوش والسباع ، يعبد الله فيها أياماً ثم يرجع إلى أهله يتزود لمثلها ويرجع

---

(١) هو محمد بن محمد درويش (ابو عبدالرحمن) الحوت ، له : « أسنى المطالب ، في أحاديث مختلفة المراتب » و « حسن الأثر ، فيما فيه ضعف واختلاف من حديث وخبر وأثر » و « الدرة الوضية ، في توحيد رب البرية » والثلاثة مطبوعة متداولة .

لمكانه ، حتى نادته هواتف العنايات بلطائف الاشارات ، وطابت سريرته واستنارت بصيرته ، وتخلى من أوحاله وتحلى بجميل أحواله ، فأخذ الطريقة البكرية الخلوتية عن صاحب المآثر الأحمدية ، المرشد الكامل والولي الفاضل ، سيدي الشيخ علي بن عيسى ، ولازم المجاهدة مدة على يده ، فلما دنت وفاته أوصى به خليفته الأكبر سيدي الشيخ محمد المهدي السكلاوي ، فتولى تربيته ، حتى فتح الله عليه فاشتغل بالارشاد ونفع العباد ، وشهر الطريقة وشيد معالمها ونهج منهج الحقيقة وأرشد اليها رائمها ، حتى سار صيته في الأقطار وقصدته الناس من صغار وكبار ، فبذل في نصح الخلق همته وأحسن لهم نيته ، وجمعهم على الملك الحق وسلك بهم مسلك الصدق ، وتخرج على يده عدد كثير ووصل إلى مقصوده من لاحظته عين عناية اللطيف الخبير ، وسمعت من كثير ممن كان له تردد اليه ، أن طائفة من الجن أخذوا عنه واهتدوا على يديه ، وكانوا يتلقون من حكمه ومعارفه ويأخذون عنه معالي نصائحه ولطائفه [1] ، وكان له في السخاء والكرم والعطاء ، اليد الطولى والقدح المعلّى ، يعطي قاصده العطاء الجزيل ويغمر بوافر فضله ومديد احسانه الوارد والنزيل ، ينفق دائماً على جماعته المتجردين ويحسن الى الفقراء والمساكين ، منزله مأوى لليتامى والأرامل ، تلتمس فيه أنواع الفضائل والفواضل .

ولما قصدت الأمة الفرانساوية بلاد الجزائر جمع جموعاً من العباد وسار

---

(١) قال تعالى في أول سورة الجن من كتابه الكريم « قل أوحي اليّ أنه استمع نفر من الجن ، فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبًا ، يهدي إلى الرُّشد فآمنا به » فالآية صريحة في أن الله سبحانه وتعالى هو الذي أوحى الى نبيه باستماع الجن للقرآن وهو صلوات الله عليه لم يعلم ذلك إلا عن طريق الوحي ، لا أنه اجتمع بهم وعلمهم ، فكيف يكون لواحد من أمتــه مالم يكن له (ﷺ) ؟ (وما آفة الأخبار إلاّ رواتها) .

بهم الى المدافعة عن الوطن والجهاد ، وما زال يحرض الناس على القتال ويساعدهم في الهمـــة والنفس والمال ، إلى أن ظهر الكفار على الاسلام لحكمة أرادها الملك العلام ، فقصد بلاد الشام مهاجراً بأهله وقرابتــه ، وتبعه خلق كثير من مريديه وأهل عصابته ، واستوطن دمشق الشام ، وكان له بها من الله زيادة فتح وانعام ، وأخـبر أنه لما استشرف عليها شاهد أولياءها قد أقبلوا يسلمون عليه ، وأظهروا الفرح والسرور بقدومه وقدموا أنواع التهاني اليه ، وخرج لملاقاته جملة من أشراف البلدة وعلمائها ، وتجارها وعوامها وعظمائها ، فاستأنسوا به الاستئناس التام واشتهر فضله لدى الخاص والعام ، واجتمعت عليه القلوب وصار مقصوداً في التوسل به بدفـع الهموم والكروب ، فأقام في دمشق عامين ، ثم توجه لبيت الله الحرام لأداء فرض الحج وزيارة خير الأنام ، وفي خدمته خمسة وأربعون نفراً من أحبابه ومريديه وأصحـابه ، وبعد رجوعه لداره ، اتخذ لنفسه خلوة في منزله لايخرج منها إلا لقضاء أوطاره ، إلا يوم الخميس فانه جعله لزيارة القاصدين ومذاكرة الواردين ، وكثيراً مايقرأ عليهم كتب الرقائق ويستخرج لهم من كنوزها لآلىء الدقائق ، ليزيدهم في فعـــل المأمور ترغيبـا ، وعن المآثم ترهيبا ، ثم يعود لخلوته ليلة السبت بالهمة العاليـة والقوة السامية ، ولم يزل على ذلك حتى قدم على السيد المالك .

وأخبرني ولده السيد محمد الطيب عن والدته بنت الشيخ محمد المهدي شيخ المترجم المرقوم ، أنها دخلت عليه مرة في خلوته لتحظى برؤيته وتغنم جميل زيارته ، فلما أشرفت عليه اعترتها هيبة عظيمة وقشعريرة جسيمة ، حتى لم تطق أن تسلم عليه ولا أن تنظر اليه ، وسمعته يطلب من النبي ﷺ الشفاعة ويقول له اضمنّي يارسول الله ، ثم حمـد الله وقال يارسول الله اضمن أولادي ثم حمد الله ، وقال يارسول الله اضمن أزواجي ثم حمــد الله ، وقال يارسول الله اضمن كل من تعلق بي وتلقى وردي وبقي طويلا

وهو يتضرع اليه ﷺ في قبول مسئلته ، ثم حمد الله وأثنى عليه وقال هذا جل آمالي ، ورجي منك يارسول الله ورأس مالي .

ثم سمعته يخاطب والدها ويذكر له بعض الأسرار والمكاشفات[1] ، وبعد فراغه من ذلك كله سرى عنها ذلك الحال وزال عنها الشتات ، فأقبلت عليه فتلقاها بالرحب والبشاشة والسرور والهشاشة ، وكان يعظمها جداً حرمة لأستاذه وقدوته وملاذه ، ولما يرى فيها من الخير والصلاح والفوز والفلاح ، وعزم عليها أن لاتحدث بهذا الحديث أحدا ، ما دام موجوداً في قيد الحياة وإن طال المدى ، فما ذكرت ذلك لسواه حتى توفاه الله .

وأخبر الشيخ المحفوظ ابن عم الأستاذ الشيخ محمد المهدي وكان رحمه الله رجلا صالحاً تقياً ناجحاً ، انه توجه يوماً مع المترجم وشيخه الشيخ محمد المهدي في بلاد المغرب من قرية الى أخرى وهو ساع في خدمتها لينال ثواباً وأجراً ، فوقفت بغلة الشيخ قرب قبر في الطريق ، فقال الشيخ مأأصابها من البلاء ؟ فقال المترجم ان الله كشف لي عن صاحب هذا الضريح ، وهو الذي استوقف الدابة يلتمس منك صالح الدعاء ، فدعا له فانطلقت ، والى نحو المطلوب توجهت ، ثم مرا في طريقهما على شجرة عظيمة ، فقال الشيخ للمترجم ليت شعري في أي زمان غرست هذه الشجرة الجسيمة ، ومن غرسها في هذا المكان فهل من يعرف ذلك الآن ؟ فأطرق المترجم غير طويل ، ثم قال أيها الأستاذ الجليل : إن الله أنطقها لي فأخبرتني أنها غرست في التاريخ الفلاني وإن غارسها فلان ابن فلان الفلاني .

---

(١) قال في الرسالة القشيرية : ومن ذلك الغيبة والحضور ، فالغيبة غيبة القلب عن علم مايجري من أحوال الخلق ، لاشتغال الحس بما ورد عليه ، ثم قد يغيب عن احساسه بنفسه وغيره ، بوارد من تذكر ثواب ، او تفكر عقاب .

وأخبر عنه أيضاً هذا الرجل الصالح ان المترجم جاء يوماً الى استاذه المرقوم ، يخبره بوفاة أخ له في الله في مكة من رجال الغيب الكرام ، ويستأذنه في التوجه الى بيت الله الحرام ، للصلاة عليه وتشييع جنازته وحضور دفنه في تربته ، فأذن له فغاب ، وبعد برهة رجع وآب .

وطلب منه مرة بعض أصحابه زيارة الشيخ الأكبر والدعاء بالمرغوب في فسيح رحابه ، فقال له : هل يكشف لك عن روحانيته عند زيارته ، فقال لا ، فقال له : الرجل هو الذي يجتمع بالولي عند الوقوف بحضرته ، وبعد انتقال المترجم الى الدار الآخرة جـاء بعض أولاده لزيارة جده والد والدته وشيخ المترجم المذكور الشيخ محمد المهدي ، وفي يده كتاب الابريز في مناقب الشيخ الدباغ عبد العزيز ، فأمره أن يسمعه منه شيئاً ، فقرأ عليه جملة من كراماته وعلومه المستجادة ، فقال له : لو سطر أحد مآثر والدك ومناقبه لبلغت هذا المبلغ وزيادة ، وحدث ولده انه كان يوماً عند الأمير السيد عبد القادر الجزائري ، وعنده رجل من أهل فاس يسمى الشيـخ عمر بن سودة ، فقال له الأمير : ان والد هذا الشاب كان في المجاهدة من أضراب أبي يزيد البسطامي ، وأبي سليمان الداراني . وبالجملة لو أردت أن أستقصي أحوال هذا السيد الجليل لأدى المقام الى الاسهاب والتطويل ، وما ذكرته يدل على بعض مقامه ، وعلى رفيع رتبته ووجوب احترامه ، مات رحمه الله سنة تسع وستين ومائتين والف ، ودفن في سفح قاسيون في جوار نبي الله ذي الكفل ، على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم السلام .

الشيخ محمد العطار بن . . . . بن الشيخ ابراهيم الحسيبي جد بني الحسيبي

عالم عامل وهمام فاضل ، قد أجمع الناس على طيب أصله وصحة كماله وفضله ، قد اتصف بصفات من سلف وساد في معالي شمائله فيمن خلف ،

وارتفع مقامه وعلا قدره واحترامه ، وصار مقصوداً في مشكلات المسائل وموروداً في أخذ الفضائل .

ولد سنة الف ومائة ونيف وثلاثين ، واشتغل في العلم والعبادة والتقوى والزهادة ، الى أن برع وفاق واشتهر في الآفاق . تولى القضاء بمدينة غزة هاشم ، وكان في أحكامه تقياً بعيداً عن المحارم ، وكان السيد محمد التافلاتي قاضي القدس الشريف ، فوقع بينهما في مسألة من المسائل اغبرار اقتضى اللوم والتعنيف ، فكتب السيد محمد التافلاتي رسالة في تعنيفه وأرسلها اليه ، فغب وصولها شرحها وردها من غير مهلة عليه ، وابتداء هذه الرسالة قوله : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم « لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم » [١] جناب الأخ الأمجد الشيخ محمد التافلاتي حفظه الله تعالى ، وصلت مكاتبتك الينا ولم يسبقها منا اليك كتاب ، وابتدأتنا بمخاطبتك ولم يتقدم في هذه المدة منا اليك خطاب ، فتلقيناها تلقي الأحباب بالسعة والترحاب ، وحين رأيناها نزلت منا منزلة الأضياف ، عجلنا قراها بما يجب لها عندَ أهل الإنصاف :

سوداءَ شمطاءَ اللمم وافت بتيه وعجب
لما علمت جهلها أنكحتها فحل الأدب

فما مكثت إلا بقدار ما يمكث الطيف ، ولا لبثت إلا كما تلبث سحابة الصيف ، حتى نهضت :

مسرعةً تقول قطني قطني مهلا رويداً قد ملأت بطني

وألبستها خلعاً حكت قطعاً من الليل مظاما ، كما يليق ذلك بشأنها فلم تكفر لنا أنعما ، فالرجاء اذا وصلت أيها الشيخ اليك ، وألفيت بكراً عذراء ، بين يديك ، أن تتقبلها بقبول حسن ، وأن تكفلها وتهجر لأجلها الوسن ، وإذا نسبتها فقل عربية قرشية ، شامية قدسية ، رملية

---

(١) سورة النساء /١٤٧ .

غزية . وإياك أن تنسبها لأمها الغريبة ذات اللامة التي أكسبتك فوق ما اكتسب ببغلته أبو دلامة [١] ، وأزرت بك في الشرق والغرب ، ازراء الطيلسان بابن حرب ، وستشتهر بها عند كل قريب وبعيد ، كما اشتهر بِشَاتِهِ سعيد ، فإذا ورد عليك بذلك الخبر ، فلا قلم سواك في البشر .
وتذكّر ما أنشده سيدي عمر :

ولقد أقول لمن تحرش في الهوى عرضت نفسك للبلا فاستهدف

وأنت حيث فتحت هذا الباب ، وابتدأت هذا الخطاب ، تكرمت عليك بالجواب ، لئلا تحقر نفسك إذا لم تجاب ، واعلم بأنني كما قيل :

ولست بمفراح اذا الدهر سرني ولا جازع من صرفه المتقلب
ولا مبتــغ للشر والشر تاركي ولكن متى أحمل على الشر أركب

ولا يظن أحد أن إقدامك على هذا الأمر لجرأة في الخلد ، فالعير كما لا يخفى تقدم من خوف على الأسد ، ولولا ما أرشدنا سبحانه وتعالى اليه بقوله عز وجل : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه » وخشية ما قيل :

إذا المرء لم يكرم كريماً ولم يهن لئيما ولم يبرز إلى من يحاوبه
فذاك الذي إن عاش لايعتنى به وإن مات لاتبكي عليه أقاربه

لمَا فوقت من قسي الملام نحوك سهما ، ولا أفدتك من شهب الكلام رجما ، على أنني أتيقن الملامة ، وأتحقق على ذلك الندامة ، إذا طاشت السهام في ظلك الزائل فلم تر فيه مرمًى ، وتساقطت شهب ثواقب الكلام عليك فلم تجد لك رسما ، غير أني أختاص بقوله تعالى في محكم التنزيل « ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل [٢] » هـذا

---

(١) أبو دُلامة : عبد أسود من موالي بني أسد بالكوفة ، نادم السفاح والمنصور والمهدي من الخلفاء العباسيين ، كان يقول الشعر ، وكان الخلفاء يخافون لذعات لسانه . توفي سنة ٧٧٦ أو سنة ٧٨٦ .

(٢) الشورى / ٤١ .

وان كان يقع لا على شيء منك الفَنَد ، لأنك ماتحت الواحد في العدد ، فالوهم يصورك وتشير إليك الأفكار ، ليعتبر بذلك غيرك من ذوي الأبصار ، وقد حملني على ذلك قول من تقدم : ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يتهدم ، وكيف لا أناضل المناضل ، وأنازل المنازل ، وقد أعددت بحمد الله للكفاح أتم عدة وأمضى سلاح ، ولكن أحببت أن أوضح لكل واقف على هذا المجال ، ماحصل عليه وبسببه هذا الجدال ، ليظهر لمتأمله حقيقة الحال ، ويعلم أن الرجال تعرف بالحق ولا يعرف الحق بالرجال ، فأقول : ملخص ذلك أن الشيخ المذكور ، هو مفتي القدس التافلاتي المشهور ، ضاقت عليه في بيت المقدس الأحوال ، واشتد الضنك عليه بها واستطال ، فنزل الى اسكلة يافا ليقرع باب الفرج وصار يدرج بها مع من درج ، فما ترك باباً يُتوهم منه حصول رزق حتى عالجه ، ولا وجد انساناً يظن خيره إلا خالطه ومازجه ، فلما أعيته المطالب واستحالت عليه المآرب واستدت في وجهه المسالك وتقطعت أحبال مانصب من الشبائك ، ولم يصطد عقعقاً ولا بوما وأصبح من كل خير محروما ، فعزم على الرجوع بخفي حنين [١] وهو بهمومه أشغل من ذات النحيين [٢] وقد كان آلى أن يجيب كل من يستفتيه على وفق مايرضيه ، وأقسم أن لايرد سائلا يأتيه ولو ألقاه الجواب في التيه ، فسمع انساناً يذكر حادثة على سبيل المحادثة فسقط عليه سقوط الذباب ، ووقع دونه وقوع الغراب ، فجعل يفتيه قبل أن يسأله ، ويقلب له الأجوبة عساه أن يوافق ماأمله ، وكان الرجل عن جميع أجوبته مستغنيا ، ولم يكن على حالة من الأحوال مستفتيا ، ولكن فهم حاله فرثى اليه ، واستطلع مرامه فعطفته الرحمة عليه ،

---

(١) مَثَل يُضرب لكل يائس وقانط ومكد مجمع الأمثال (ج ١ ص ٢١١) .

(٢) مَثَل يقال في مشغول إذا استمنته ، مجمع الأمثال : ج ١ ص ٣٢٧ . والنِّحْي والنَّحي والنِّحي : الزق الذي فيه السمن خاصة .

فاستفتاه بحادثة واقعة في غزة ، بما ملخصه في بكر بالغة تزوجها غير كفؤ برضاها ، وولدت منه ولداً فقام وليها يطلب فسخ النكاح هل يجاب إلى ذلك ، فأجاب الكفاءة شرط صحة انعقاد النكاح ، وهذا النكاح المشروح في السؤال لم ينعقد أصلاً كما هو المختار للفتوى ، كما صرح به قاضي خان ، وصاحب التنوير ، واتفقت عليه فتاوى المتأخرين ، لفساد الزمان ، وإذا طلب الولي الفسخ أم لم يطلبه رضيت المرأة أم لم ترض فالفسخ واقع لعدم انعقاد النكاح من أصله ولو ولدت أولاداً ، والنقل به مستفيض لم يخل منه كتاب من كتب المذهب ، والله سبحانه وتعالى أعلم ، فأخذها السائل وأرسلها للولي بغزة هاشم وحرضه على إجراء مافيها من الأحكام ، فأخذها واستكتب مفتي غزة فكتب عليها ، ثم عرضها على هذا العبد الضعيف ، لكونه انتصب لفصل الأحكام بين كل وضيع وشريف ، وكان الزوج غائباً ، فأجبته أنك تحتاج إلى خصم لتثبت عليه عدم الكفاءة ، فاستفتى علماء غزة فأجابوه كما أجبت ، غير أن مفتيها قال ليس لذلك سبيل الا بنصب مسخر ، ولكن ينبغي أن تنظر في الصور ، في الصور التي يجوز فيها نصب المسخر ، فأجبت بأن هذه الصورة ليست منها فانفصل المجلس على أن المفتي والعلماء يراجعون كتب المذهب ، وحرر الولي ذلك الى يافا وأخبره المستفتي بما حصل وصدر في طرفنا ، فاستشاط من الغضب وامتلأ من الغيظ ، وصار وجهه كالمسافر في أشهر القيظ ، ثم كتب سؤالاً آخر كالأول ولكن زاد فيه ونقص ، وما أراد بذلك إلا إرضاء السائل ليطيب من عيشه ماتنغص ، ثم كتب جواباً غير الأول وبسط فيه المقال ، وأكثر من نقل الأقوال ، وذكر رواية الحسن ونقل ترجيحها والعمل بها عن أئمة أعلام ، وساق أسماء من عول عليها واعتمدها من العلماء العظام ، ثم قال : والحاصل أن هذا النكاح لم ينعقد من أصله وهو باطل ، والباطل يجب اعدامه ، ثم قال في آخرها : هذا

خلاصة مذهب الامام النعمان ، نعوذ بالله من الحظوظ الموجبة لغضب الرحمن ، كأنه يشير الى توقفنا وتوقف علماء غزة أنه من الحظوظ الموجبة لغضب الرحمن ، ويدل على كونه أرادنا بذلك أنه حرر مكاتبة للولي ، وأرسل له فتوى أخرى ثالثة داخل تلك المكاتبة ، والفتوى صورة سؤالها في نكاح فاسد باطل ، لكون الزوج غير كفؤ للزوجة ، هل للزوجة أن تفسخ هذا النكاح ولو بعد الدخول ، ولو كان زوجها غائباً ، وهل يجب على القاضي التفريق والفسخ ولو كان الزوج غير حاضر ؟ والحاصل أنه اتسعت دائرة القيل والقال ، وتفاقم أمر الجدال ، وتعددت الرسائل واتخذت الوسائل ، وطال الكلام في هذا المقام ، وكثرت المخاطبة واللوم والمجاوبة ، وانتقل مركز القضية لغير هذه الكيفية ، ومن جملة ماقاله المترجم :

يا أيها الشيخ الذي بزخرف القول اشتهر
خف عالم الأسرار أن يبدي الذي منك استتر
فلتصبحن عبرة مشتهراً بين البشر

ومن قوله

اذا أنت ضيعت الصنيع ولم تكن تقابله إلا بسوء فلا عجب
فقد جاء في معنى الحديث الذي رووا ولا يصلح المعروف الا لذي حسب

وقال أيضاً في رسالته المذكورة :

ألا أيها الشيخ الذي أكثر الدعوى كذبت وايم الله في السر والنجوى
أما تستحي أن قلت ماليس فاعلا فأكبر به مقتاً وأعظم بها بلوى

وقال بها أيضاً :

أعد نظراً فيما كتبت ولا تكن بشقشقة للأفضلين منازعا
فحسبك ماتهذي به لك زاجراً وحسبك أن تُخزى ويكفيك رادعا

وقال أيضاً :

يا للشريعة من مفت لقد فتنا وضل اذ فارق المفروض والسننا

أراد يكتم ماتحوي طويتـــه   فضاق ذرعاً وعن أثقاله وهنا
وقـد تردى بما أخفت مريرته   فأصبح الكتم منها للورى علنا

وقد استشهد بهذه الأبيات الثلاثة :

عجوز تمنت أن تكون فتية   وقديبس الجنبان واحدودب الظهر
وأضحت بلا عقل يصون حجابها   فباحت بما في السر وانكشف الستر
وجاءت الى العطار تبغي تحسنا   وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر

وقال أيضاً :

فتباً لشيخ يزعم الحق باطلا   وباطل ما يأتيه يزعمـه حقا
فبعداً له من مفسد ما أضره   على الملة الزهرا وسحقاً له سحقا

وقال أيضاً :

ولو نسب الزمان لتـافلات   تغير وجهـــه وبدا القتام
وأصبح صبحه ليـــلا بهيماً   ودام على أهاليـه الظـــلام

وقال أيضاً :

لو أن طينـــة آدم   مزجت بتربـــة تافـــلات
ما كان في أولاده   أهـــل التقى والمكرمات
ولا أتـــاه الصـــالحـــــون بنسله   والصالحات

ولو أردت أن أذكر رسالة التافلاتي وشرحها للمترجم العريض الطويل ، لأدّى المقام الى الاطناب والتطويل . مات المترجم في الاستانه سنة تسع ومائتين وألف ودفن هناك رحمة الله عليه[١] .

---

(١) بعد أن لخص في « روض البشر » هذه الترجمة ، عقبها بقوله ، قلت : المترجم هو جدّ آل الحسيبي الوجهاء المعروفين بدمشق ، وقد تقدمت ترجمة ولده علي افندي حسيب ، وحفيده أحمد افندي في حرفهما .

الشيخ محمد افندي الشافعي المصري كاتب الرزق الاحباسية (١)

العمدة المفرد والنجيب اللبيب الأوحد ، والناهج منهج الصلاح والمتمسك بعرى التقوى والفلاح ، كان حسن الأخلاق قد اشتهر في النواحي والآفاق . وكان يجيد حفظ القرآن بالقراءات العشر مع الإتقان . مات رحمه الله ثامن ربيع الثاني سنة اثنتين ومائتين والف .

محمد بن الحسن بن عبد الله الطيب المصري

الشاب الأديب المهذب الأريب ، والكامل اللبيب والوحيد النجيب ، نشأ في الرفاهية والنعم وعانى طلب العلم فنال منه ما أخرجه من ربقة الجهل والنقم ، وتعلق بالعروض وأخذه عن الشيخ محمد بن ابراهيم العوفي المالكي فبرع فيه ، ونظم الشعر إلا أنه كان يعرض شعره للذم بالتزامه فيه ما لا يلزم في قوافيه ، كتب اليه صاحبنا المتقن العلامة السيد اسمعيل بن سعد بن اسمعيل الوهبي المعروف بالخشاب على ديوانه :

قل للرئيس أبي الحسين محمد ... خدن المعالي والسري الأمجد
والحاذق الفطن اللبيب أخي الذكا ... اللوذعي الألمعي الأوحـد
ألزمت نفسك في القريض مذاهبا ... ذهبت بشعرك في الحضيض الأوهد
وتركت ما قد كان فيه لازماً ... هلا عكست فجئت بالقول السدي
كدرت منه بما صنعت بحوره ... فغدت مشارع ليس يمحوها الصدي

(١) هذه الوظيفة تلقاها بالوراثة عن أبيه وجده ، وعرفوا اصطلاحها وأتقنوا أمرها وكان محمد افندي هذا ، لا يغرب عن ذهنه شيء يسأل عنه من أراضي الرزق ، بالبلاد القبلية والبحرية مع اتساع دفاترها وكثرتها ، ويعرف مظناتها ، ومن انحلت عنه ومن انتقلت اليه ، مع الضبط والتحرير والصيانة والرفق بالفقراء في عوائد الكتابة اهـ من الجبرتي ، قلت هذا مثال صالح الموظف المستقيم ذي الخلق الكريم .

فإذا نظمت فكن لنظمك ناقداً　　نقد البصير بذهنك المتوقد
أولا فدع تكليف نفسك واسترح　　من قولهم ما شعره بالجيد
ولئن عنفت عليك فيما قلته　　فلقد بذلت النصح للمسترشد

فلما قرأها ضحك ولم يزد على ان قال له أنت في حل ، وكان رحمه الله قد علق غلاماً من أبناء الكتاب فكتب اليه أيضاً السيد اسمعيل صاحب الأبيات المتقدمة :

إني أجلك أن تصبو بمبتذل　　على تسنمك العلياء من صغر
امسك عليك وحاذر من اخاء فتى　　قميصه مذ نشا ينقد من دبر

وكتب اليه أيضاً الماهر الأديب ، والذكي الأريب ، طه بن عرفه مقرظاً على ديوانه بيتين في غاية الحسن :

لك لفظ كأنه الدر نظماً　　صدف القلب عن سواه منيا
لو تجلى منه الجمال الإناثي　　لترضاك للفؤاد صفيا

ومن شعره رحمه الله تعالى :

نار الخليل اذا بدت في مهجتي　　ورشفت ذاك الثغر برد حرها

توفي رحمه الله في غره شعبان سنة خمس ومائتين والف .

محمد افندي بن سليمان افندي بن عبد الرحمن افندي بن مصطفى افندي جليان المصري

قال الجبرتي : الصنو الوجيه والفريد النبيه نشأ في عفة وصلاح وخير ، وطلب العلم وعانى الجزئيات والرياضيات ، ولازم الشيخ حسن الجبرتي وقرأ عليه كثيراً من الحسابيات والفلكيات والهيئة والتقويم ، ومهر في ذلك وانتظم في عداد أرباب المعارف ، واشترى كتباً كثيرة في الفن ، واستكتب وكتب بخطه الحسن ، واقتنى الآلات والمستظرفات ، وحسب

وقوم الدساتير السنوية عشرة أعوام مستقبلة بأهلتها وتواريخها وتواقيعها ، ورسم كثيراً من الآلات الغريبة والمنحرفات ، وكان شغله وحسابه في غاية الضبط والصحة والحسن .

وكان لطيف الذات مهذب الأخلاق قليل الادعاء جميل الصحبة ، وقوراً . مات بالطاعون في شعبان سنة خمس ومائتين وألف وتبددت كتبه وآلاته .

الشيخ السيد محمد أبو العرفان بن علي الصبان الشافعي الأشعري المصري

الامام الذي لمعت في أفق الفضل بوارقه ، وَروّى أفئدةَ الواردين عذبُ شراب عرفانه ورائقُه ، لايدرك بَحْرَ وصفه الاغراق ، ولا تلحقه حركات الافكار ولو كان لها في مضمار الفضل السباق ، العالم النحرير واللوذعي الشهير .

ولد بمصر وحفظ القرآن والمتون ، واجتهد في طلب العلم وحضر أشياخ عصره وجهابذة مصره ، فحضر على الشيخ الملوى شرحه الصغير على السلّم ، وشرح الشيخ عبدالسلام على جوهرة التوحيد ، وشرح المكودي على الألفية ، وشرح الشيخ خالد على قواعد الاعراب ، وحضر على الشيخ حسن المدابغي صحيح البخاري بقراءته لكثير منه ، وعلى الشيخ محمد العشماوي الشفا للقاضي عياض وجامع الترمذي وسنن أبي داوود ، وعلى الشيخ أحمد الجوهري شرح أمّ البراهين لمصنفها بقراءته لكثير منها ، وعلى الشيخ السيد البليدي صحيح مسلم وشرح العقائد النسفية للسعد التفتازاني وتفسير البيضاوي وشرح رسالة الوضع للسمرقندي ، وعلى الشيخ عبدالله الشبراوي تفسير البيضاوي وتفسير الجلالين وشرح الجوهرة للشيخ عبد السلام ، وعلى الشيخ محمد الحفناوي صحيح البخاري والجامع الصغير وشرح المنهج والشنشوري على الرحبية ومعراج النجم الغيطي وشرح الخزرجية

لشيخ الاسلام ، وعلى الشيخ حسن الجبرتي التصريح على التوضيح والمطوّل ومتن الجغميني في علم الهيئة وشرح الشريف الحسيني على هداية الحكمة قال : وقد أخذت عنه في الميقات وما يتعلق به ، وقرأت فيه رسائل عديدة ، وحضرت عليه في كتب مذهب الحنفية كالدر المختار على تنوير الأبصار وشرح ملا مسكين على الكنز ، وعلى الشيخ عطية الاجهوري شرح المنهج مرتين بقراءته لأكثره ، وشرح جمع الجوامع للمحلى ، وشرح التلخيص الصغير للسعد ، وشرح الأشموني على الألفية وشرح السلم للشيخ الملوي وشرح الجزرية لشيخ الاسلام والعصام على السمرقندية وشرح أم البراهين للحفصي وشرح الاجروميه لريحان آغا ، وعلى الشيخ علي العدوي مختصر السعد على التلخيص وشرح القطب على الشمسية وشرح شيخ الاسلام على ألفية مصطلح الحديث بقراءته لأكثره وشرح ابن عبدالحق على البسملة لشيخ الاسلام ومتن الحكم لابن عطاء الله ، رحمهم الله تعالى أجمعين .

قال : وتلقيت طريق القوم وتلقين الذكر على منهج السادة الشاذلية الاستاذ عبد الوهاب العفيفي المرزوقي وقد لازمته المدة الطويلة وانتفعت بمدده ظاهراً وباطناً ، (قال) : وتلقيت طريق ساداتنا آل وفا ، سقانا الله من رحيق شرابهم كؤوس الصفا ، عن ثمرة رياض خلفهم ونتيجة أنوار شرفهم ، مربح الأكابر والأصاغر ومطمح أنظار أولي الأبصار والبصائر ، أبي الأنوار محمد السادات بن وفاء ، نفحنا الله وإياه بنفحات جده المصطفى ، وهو الذي كناني على طريقة أسلافه بأبي العرفان ، وكتب لي سنده عن خاله السيد شمس الدين أبي الاشراق ، عن عمه السيد أبي الخير عبد الخالق ، عن أخيه السيد أبي الارشاد يوسف ، عن والده الشيخ أبي التخصيص عبد الوهاب ، عن ولد عمه السيد يحيى أبي اللطف ، الى آخر السند هكذا نقلته من خط المترجم رحمه الله تعالى .

ولم يزل المترجم يخدم العلم ويدأب في تحصيله حتى تمهر في العلوم

العقلية والنقلية ، وقرأ الكتب المعتبرة في حياة أشياخه ، وربى التلاميذ ، واشتهر بالتحقيق والتدقيق والمناظرة والجدل ، وشاع ذكره وفضله بين العلماء بمصر والشام ، وكان خصيصاً بالمرحوم الشيخ حسن الجبرتي والد صاحب التاريخ ، اجتمع به من سنة سبعين ومائة وألف ، ولم يزل ملازماً له مع الجماعه ليلا ونهاراً . واكتسب من أخلاقه ولطائفه ، وكذلك بعد وفاته لم يزل على حبه ومودته مع ولده الشيخ عبد الرحمن الجبرتي ، وانضوى الى استاذنا السيد أبي الأنوار بن وفا ولازمه ملازمة كلية ، وأشرقت عليه أنواره ولاحت عليه مكارمه وأسراره .

ومن تآليفه حاشيه على الاشموني التي سارت بها الركبان ، يشهد بدقتها أهل الفضائل والعرفان ، وحاشية على شرح العصام على السمرقندية ، وحاشية على شرح الملوي على السلّم ، ورسالة في علم البيان ، ورسالة عظيمة في آل البيت ومنظومة في علم العروض وشرحها ، ونظم اسماء أهل بدر ، وحاشية على آداب البحث ، ومنظومة في مصطلح الحديث ستمائة بيت ، ومثلثات في اللغة ، ورسالة في الهيئة ، وحاشية على السعد في المعاني والبيان ، ورسالتان على البسملة صغرى وكبرى ، ورسالة في مفعل ، ومنظومة في ضبط رواة البخاري ومسلم [١] وله في النثر كعب علي ، وفي الشعر كأس ملي ، فمن نظمه في مدح الأستاذ أبي الأنوار بن وفا ، ويستعطف خاطره عليه بتقصير وانقطاع وقعا منه قوله :

عبيد جنى ذنباً ورحب الحمى حلا … فهل من رضا عنه تجود به فضلا

اليك أبا الأنوار قد أبت مخلصاً … ومن ذا الذي يا سيدي قط مازلا

أعيذك أن يسعى لبابك عائذ … وتكسوه من أجل ذنب له ذلا

أعيذك أن ترضى حقارة لائذ … لسالف جرم تاب منه وإن جلا

إذا أنت بالغفران والصفح لم تجد … فمن منه نرجو العفو والصفو والبذلا

---

(١) وهذه التآليف مطبوعة متداولة إلا قليلاً منها .

وكيف وأنت الصدر من سادة حووا … مكارم أخلاق العلا ما طووا غلا
ومن مَعْشرٍ هُمْ نسل أشرف مرسل … دعا لجميل الصفح أكرم بهم نسلا
اولئك آل المصطفى وبنو الوفا … كنوز الصفا مزن العطاء الذي انهلا
وهم بركات الكون شرقاً ومغربا … وغوث اللهافى (١) والهداة لمن ضلا
بهم عند أستاذ الوجود توسلي … ومن أم سادات الوفا لم يخب أصلا
هو المقصد الأسنى لمن كان آملا … هو المنهل الأصفى لمن كان مغتلا (٢)
هو الكعبة العظمى لحج اولي النهى … فمن بيته يدخل يكن آمناً جذلا
أجل بني الدنيا وأبهرهم سنا … وأبهجهم سمتاً وأشرفهم أصلا
وأمضاهم عزمـاً وأبسطهم يدا … وأوفرهم حزماً وأوسعهم عقلا
وأثبتهم قلبـاً وأكملهم تقى … وأبلغهم نطقـاً وأفضلهم نبلا
غزير المزايا طيب الجسم خير من … حططنا بوادي حيه الأقدس الرحلا
همام له ألقى الزمان سلاحه … وأمسى له دون الورى تبعاً كلا
جواد إذا هلت سماء سمـاحه … على ما حل أضحى كان لم ير المحلا
لحا الله أوقاتا ببعدي تصرمت … أبيت ولي قلب بنار النوى يصلى
وأقوام سوء دينهم رفض دينهم … وديدنهم شحن الصدود بما يقلى
إذا ما دعوا للخير صموا وإن دعوا … لسيئة مدوا لسانا يداً رجلا
ولله أيام بهـا كنت أجتني … ثمار الرضا والحظ مجتمع شملا
وأنظم في روضات أنسي بوده … لآلىء مدح بين منثورهـا تجلى
اسوّد اشعاري بسؤدد ذكره … وأرجع مبيض المحيا بما أولى
فيا ليت شعري هل يعود لي الهنا … وأحظى بآمـالي وأطرح الثقلا
ويا واحد الأعصار لا عصره فقط … ويا ملـكاً مثواه في الفلك الأعلا
أأجفى ولي ود مديد المدى ولي … اليك انتماء ليس يبلى وان أبلى

(١) الهيف والهفان : المسكين للتحسّر والهفان واللاهف : المكروب ، والملهوف المظلوم ينادي ويستغيث . يقال : رجل لهفان وامرأة لهفى من نساء لَهافى ولُهُف .
(٢) الشديد العطش .

أأجفى ولي في ذا الجناب مدائح ... على مدد الأزمان آياتهـــا تتلى
وما زهر روض صافحته يد الصبا ... وهادت بريا نثره الوعر والسهلا
وغنت على أفنانه ساجعـاته ... فنوناً من الألحان تسترق العقلا
وسطرت الأنداء في ورقـــاته ... أحاديث في الأشجان عن ورقه تملى
بأبهج من شعر مدحتك طيه ... وحاشا للفظ أنت معناه أن يعلى
لقد قلت قولي ذا واعلم أنه ... إذا لم يكن حظ يضيع وإن جلا
على أن حظي أن يعود رضاك لي ... وإقبالك الشافي لمن كان معتلا
ولا شافعاً لي غير حلمك سيدي ... وأسلافك السادات أسنى الورى فضلا
سلمت وما لاقت عداك سلامة ... وطبت ونال الحاسد الخزي والذلا
ودمت كما ترضى لشانيك غيظه ... وللخل جود من ندى دائم وبلا
على جدك الهـــادي صلاة إلهه ... وتسليمه ما عين استحسنت شكلا
وآل وصحب ما ترنح بالصبــا ... معاطف أغصان وما هيجت خلا

وله قصائد شتى ، ومراث وتهنئات بأعياد وغيرها ، ومن قوله مهنئاً جناب الشيخ حسن الجبرتي في غلام ، سنة أربع وسبعين ومائة والف :

نهنيك بالنجل السعيد الذي بدا ... من الغيب بالأفراح والسعد والندى
أتاك فغنى بالهنا بلبل الرضا ... وقام على غصن المسرات منشدا
وأشرق من أفق العلا كوكب المنى ... فأمسى ببشراك الزمان مغردا
فطب سيدي نفساً بما ترتجي له ... وقر عيوناً بالذى يكمد العدا
فان لسان المجد قال مؤرخاً ... نهنيك بالنجل السعيد الذي بدا

وله أيضاً قصائد غراء في مدح الأستاذ أبي الأنوار بن وفا ، مذكورة في المدائح الأنوارية ، ومن كلامه تهنئته للأجل الشيخ أبي الفوز ابراهيم السندوبي تابع السيد المشار اليه بقدومه من سفره :

بروحي حبيباً في محاسنه بدا ... فخرت له أهل المحاسن سجدا
وراح يثنيـــه مدام دلاله ... فخلناه من راح الدنان تميدا

ومر بنا في عسكر من جماله فقطع أحشاء وفتت أكبدا
مليح أعار النيرين سناهما وعلم غصن البان كيف تأودا
وشاكي سلاح يرهب الأسد لحظه ويرعب خطي القنا والمهندا
وحلو اذا ما افتر باسم ثغره أرانا عقيقاً حف دراً منضداً
كسا الله خديه من الورد حلة وأسكن في فيه الزلال المبردا
نسيم وغصن رقة ورشاقة وأما شذا فالروض كلله الندى
فسبحان من سواه للناس فتنة وصوره في دولة الحسن مفردا
شغفت به قدماً ولذ هواه لي على رغم غمر لامني فيه واعتدى
وفي حبه أنفقت عمري جميعه ولم أخش في شرع الصبابة ملحدا
ولم ينسني ذكراه شيء سوى علا أبي الفوز ابراهيم شمس ذوي الهدى
امام له في كل مجد وسؤدد مآثر لاتستطيع انكارها العدا
ومولى أجل الله في الناس قدره وتوجه تاج القبول وأيدا
ونابغة دراكة من بيانه وآرائه المعروفة السحر والهدى
جواد له بذل الجزيل سجية وبحر ندى عن موجه يؤخذ الندى
يرى عرض الدنيا وان جل باطلا لهذا يرى للمجتدي الفضل والندى
تسير له قبل الجسوم قلوبنا فلا تنثني إلا وعنها انجلى الصدى
يمازج عز الجد منه تواضع ولطف به فيه نسيم الصبا اقتدى
اليه انتهى جمع الفضائل سالماً فأصبح للأقران مولى وسيدا
ولا غرو إن حاز الكمال جميعه فمن يتبع السادات يزداد سؤددا
ومن لأبي الأنوار استاذنا انتمى ينال من الآمال ما كان أبعدا
هو السيد السامي على أهل عصره هو السند الحامي إذا عدت العدا
هو الجوهر الفرد الذي بوجوده تجدد إيوان العلا وتشيدا
هو المقصد الأسنى لمن كان آملاً هو المنهل الأصفى لمن كان ذا صدى
هو المورد المقصود من كل وجهة هو الشرف النامي على مدد المدى

محط رحال العارفين وقطبهم ... وكعبة أهل الفضل حالاً ومبتدا
همام حباه الله كل حميدة ... فأصبح بين العالمين محمدا
وأورثه مولاه شامخ رتبة ... لآبائه آل الوفا أبحر الندى
مصابيح مصر بل صباح الوجود بل ... حياة الورى أزكى البرية محتدا
كنوز المعاني والحقائق والتقى ... شموس سموات الولاية والهدى
خلاصة آل المصطفى ولبابهم ... وسر بني الزهراء بضعة أحمدا
هم بركات الكون شرقاً ومغربا ... هم ملجأ العاني إذا خطب اعتدى
هم القوم لا ينقاس غيرهم بهم ... ومن ذا بسادات يقايس أعبدا
اذا أطلق السادات كانوا بني الوفا ... فيا حبذا فخراً صمياً وسؤددا
أبا الفوز خذها بالقبول تكرما ... وان كنت كالمهدى الى الكنز عسجدا
وقابل بحسن العفو سوء قصورها ... فذنب المحب العفو عنه تأكدا
على خير رسل الله خير صلاته ... وتسليمه ما شارق غاب أو بدا
وآل وأصحاب وكل متابع ... لمنهاجهم ما ناح طير وغردا
وما المخلص الصبان قال مؤرخا ... أبو الفوز بشراه السرور مؤبدا

وله في ديباجة سلام

يانسيم الصبا تحمل سلامي ... لحبيب به شفاء سقامي
وإليه بلغ تحية صب ... مستهام ما خان عهد الغرام
لم يكن ناسياً وداداً قديما ... لا ولا سامعاً ملام لئام
ذو اشتياق الى لقاء محب ... فاق نوراً على بدور التمام
وجه مولى حاز المحاسن طراً ... فهو شمس الكمال بين الأنام

وله أيضاً

ترحلتم عنا وشطت دياركم ... وبدلتمونا بالصفا غاية الكدر
وأعدى علينا الشوق جيش خطوبه ... وأصبح حزب الصبر ليس له أثر
فإن تسألوا عنا فإنا لبعدكم ... كجسم بلا روح وعين بلا بصر

ولولا رجاء النفس لقيا حبيبها　　لما بقيت منا معـان ولا صور

ولـه متغزلاً

وحق صبح المحيا مع دجى الشعر　　وجنة الخلد مع راح اللمى العطر
ومقلة بفنون السحر قد كحلت　　وقامة رشحتهـا خمرة الخفر
وعرف عنبر خال وابتسام فم　　من اليواقيت عن ثغر من الدرر
ما غير البعد عهدي في الغرام ولا　　نسيت وداً مضى في سالف العصر
لي في المحبة شرع غير منتسخ　　ومذهب في التصابي غير مندثر
إن كنت ملت الى السلوان يا أملي　　فلا تمتعت من خديك بالنظر
كيف السلو وأنت الروح في جسدي　　والعقل في خلدي والنور في بصري
كيف السلو لظبي ما نظرت له　　إلا رأيت شقيق الشمس والقمر
غصن من البان قد رقت شمائله　　ورق في حبه ذو البدو والحضر
بديع حسن يقول الناظرون له　　تبارك الله ما هـذا من البشر
الى محاسنه تصبو العقول وفي　　هواه يحلو مرير السقم والضجر
شاكي السلاح شديد البأس ذو مقل　　تعد أسهمها في أسهم القـدر
ريم ولكن تخاف الأسد سطوته　　وكل أهل الهوى منه على خطر
يغزو النفوس بجيش من لواحظه　　وعسكر من جمال غير مقتـدر
محاسن حار فيهـا لب ناظرها　　وفتنة دهشت منها ذوو الفكر
كأنما ذاته في لطفهـا خلقت　　من نفثة السحر أو من نسمة السحر
يغنيك عن كل ذي حسن محاسنه　　ومن يرى العين يستغني عن الأثر
أفديه من رشأ ما مثله أحد　　عدمت في حبه حلمي ومصطبري
أطال هجري بلا ذنب أتيت به　　وساءني بعد صفو الود بالكدر
أصغى الى قول أعدائي وشمتهم　　مع ان قول الأعادي غير معتبر
يا أحمد الفعل الا في تقلبه　　دع التقلب واجبر قلب منكسر
وأحي بالوصل نفساً فيك ميتة　　وأبر بالود جسماً من جفاك بري

يامن هو الآية الكبرى لناظره　　رفقاً بصب غدا من أكبر العبر
تكاد تحرقه نيران مهجته　　لولا سخاء سحاب الجفن بالمطر
إن كان عندك شك أنني دنف　　فسل دموعي وسل سقمي وسل سهري

وله أيضاً

أهابك أن أجيبك لا لعجز　　ولكن المحبة أخرستني
وأحتمل المكاره لا لذل　　ولكن الصبابة أحوجتني
وقدري لست تجهله ولكن　　غرامي باعني لك بيع غبن
فكن يا ابن الأكابر أهل عرف　　ولا تكثر عليّ من التجني
فلي جسم كساه الشوق سقماً　　ولي قلب علاه كل حزن
ولي في مذهب العشاق حال　　يطول بذكرها شرحي ومتني

وله غير ذلك كثير ، وفضله وعلاه شهير ، وكان في مبتدأ أمره وعنفوان شبابه وعمره ، معانقاً للخمول والإملاق متكلا على مولاه الرزاق ، يستجدي مع العفة ، ويستدر من غير كلفة ، وتنزل أياماً في وظيفة التوقيت بالصلاحية بضريح الامام الشافعي رضي الله عنه ، ثم ترك ذلك .

ولما بنى محمد بك أبو الذهب مسجده تجاه الأزهر تنزل المترجم أيضاً في وظيفة توقيتها وعمر له مكاناً بسطحها سكن فيه بعياله فلما اضمحل أمر وقفه تركه واشترى له منزلاً صغيراً بحارة الشنواني وسكن به ، ولما حضر عبد الله افندي القاضي المعروف بططرزاده وكان متضلعاً من العلوم والمعارف ، وسمع بالمترجم والشيخ محمد الجناحي واجتمعا به ، أعجب بهما وشهد بفضلهما وأكرمهما ، وكذلك سليمان افندي الرئيس ، فعند ذلك راج أمر المترجم وأثرى حاله ، وتزين بالملابس وركب البغال ، وتعرف أيضاً باسماعيل كتخدا حسن باشا ، وتردد اليه قبل ولايته ، فلما أتته الولاية بمصر زاد في اكرامه وأولاه بره ورتب له كفايته في كل يوم

بالضربخانة[١] والجزية ، وخرجاً من كلاره[٢] من لحم وسمن وأرز وخبز وغير ذلك وأعطاه كساوي وفراء ، وأقبلت عليه الدنيا ، وازداد وجاهة وشهرة ، وعمل فرحاً وزوج ابنه سيدي علي فأقبل النـاس عليه بالهدايا وسعوا لدعوته ، وأنعم عليه الباشا بدراهم لها صورة ، وألبس ابنه فروة يوم الزفاف ، وكذا أرسل اليه طبلخانته[٣] وجاويشيته[٤] وسعاته فزفوا العروس وكان ذلك في مبادىء ظهور الطـاعون ، فتوعك الشيخ المترجم بالسعال وقصبة الرئة ، حتى دعاه داعي الأنام ، وفجأه الحمام ليلة الثلاثاء من شهر جمادى الأولى سنة ست ومائتين وألف ، وصلي عليه بالأزهر وكان محفل جنازته مجمع الأفاضل :

مضت الدهور ومـا أتين بمثله ... ولئن أتى لعجزن عن نظرائه

ودفن بالبستان رحمه الله تعـالى ، انتهى من كلام الجبرتي مـع بعض تغيير .

محمد خليل أبو المودة بن السيد العـارف علي بن السيد محمد بن القطب السيد محمد مراد المعروف بالمرادي

ابن علي الحسيني الحنفي الدمشقي مفتي دمشق الشام أعاد الله علينـا من بركاتهم : الإمام السيد السند ، والهمام الفهـامة المعتمد ، فريد عصره ووحيد شامه ومصره ، الوارد من زلال المعارف ، الصاعد لأعلى ذروة العوارف ، نبعة صافيها ومبتدأ مَعِينها ، المؤيد بأحكام شريعة جده حتى ابان صبح يقينها ، من بيت العلم والجلالة والسيادة ، والعز والرياسة والسعادة ، ولا ريب أنه كان شامة الشام ، وغرة الليالي والأيام ، اورق

(١) دار ضرب المسكوكات .

(٢) بيت المؤونة .

(٣) هم الضاربون على الآلات .

(٤) رتبة عسكرية معروفة (فارسية) هذه الكلمات التركية ، كانت مألوفة .

عوده بالشام وأثمر ، ونشأ بها في حجر والده والدهر أبيض أزهر ، وقرأ القرآن على الشيخ سليمان الدبركي المصري ، وطالع في العلوم والأدبيات واللغة التركية والانشاء والتوقيع ، ومهر وأنجب واجتمعت فيه أشتات الفضائل ومتفرقات الشمائل ، مع لطيف خلق يسعى اللطف لينظر اليه ، ورقيق جمال يقف الكمال متحيراً لديه .

ولما توفي والده المرحوم آل اليه إفتاء الحنفية في الديار الدمشقية ، ونقابة الأشراف ، واشتهر بين الخاص والعام بحسن الأوصاف ، واستوى على العلوم العقليـــة والنقلية ، وملك بنقد ذهنه جواهر المعارف والعوارف السنية ، فكانت تتيه على سائر البقاع به بقاع الشام ، ويفتخر به عصره على بقية الأعصار والأعوام ، فلا تزال تصدح ورق الفصاحة في ناديه ، وتسرح اليه وفود روّام البلاغه فتباكره وتغاديه ، ونور فضله باد ، وموائده ممدودة لكل حاضر وباد ، كما قيل :

كالشمس في أفق السماء وضوءها يغشى البلاد مشارقاً ومغاربا

وكان رحمه الله مغرمـــاً بصيد الشوارد ، وقيد الأوابد ، واستعلام الأخبار وجمع الآثار ، وتراجم العصريين ، على طريق المؤرخين . وكان يراسل فضلاء البلدان البعيدة ، ويواصلهم بالهدايا والرغـــائب العديدة ، ويلتمس من كل منهم تراجم أهل بلاده ، وأخبار أعيان أهل القرن الثاني عشر بحسب وسع همته واجتهاده . الى أن بلغ مطلوبه وحصل مرغوبه ، ورقم ما رام فجاء بحمد الله على أتم مرام ، وسمـــاه « سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر » .

وله أيضاً كتاب عظيم أرخ فيه المفتين في دمشق من أيام السلطان سليم ، وسمـــاه : « عرف البشام [1] فيمن ولي فتوى دمشق الشام »

(١) البَشَام جمع بشامة : شجر طيّب الرائحة .

وقد ختمه بترجمة ذاته ، فأحببت ذكرها بلفظها لدلالتها على رفيع مقامه وصفاته ، فقال رحمه الله :

لا مزية فتذكر ولا محمدة فتشكر ، ولا فضل فيقال ، وليست عثرة واحدة فتقال ، ولا سيئة واحدة فتغفر ، وليس سهم واحد من المعائب يرده من الاغضاء مغفر ، ولا طيب خلق ولا جمال ، يوضح بيانه بالتفصيل والاجمال ، ولا جملة كمالات ، ولا محاسن كلمات ، يشهد به البادي والحاضر والسامع والناظر ، ولا فضائل ولا معارف ، تنقدها بيد الاختبار من الأذكياء الصيارف ، ولا فواضل ولا أدب ينسل اليه من كل حدب ، ولا سماحة بنان وحماسة جنان ، ولطافة بيان وعذوبة لسان ، يعترف بها كل ملسان ، ويقر لها كل إنسان ، وتتشنف بسماعها الأذهان ، ويرويها فم كل زمان في كل آن . وقد اقترفت الذنوب ، وارتكبت العيوب ، وغدوت منها ملآن الذنوب ، واقترفت الاساءة ، واعترفت بالبطالة ، ورفضت الأصدقا ، وجانبت الأودا ، وخبطت خبط عشوا ، وكنت كخاطب في الليلة الظلما ، ووصفت فما أنصفت ، وأطلت الكلام وما أفدت ، وجنحت للأماني ، وتبعت في الأفعال زماني ، ونصبت الآمال الكواذب ، أشراك الرغبات والمطالب ، وجهلت الكريم وعرفت الوضيع ، وسامرت الوغد وتركت الرفيع ، وجبت الجهل وسلكت حزنه والسهل ، وصرفت أوقاتي للإضاعة فقلت البضاعة ، وتبعت الأهواء النفسية ، وفعلت في أيام شيخوختي أفعال الطفولية ، لا أميز الخسيف من الشريف ، ولا الربيع من الخريف ، ولا الفاضل من المفضول ، ولا الناقل من المنقول ، ولا الاقبال من الأقيال ، ولا الجهد من الجهر ، ولا الجمر من الخمر ، ولا الحبر من الحبر ، ولا الجبر من الجبر ، ولا القضا من الفضا ، ولا العلا من الغلا ، ولا النهار من البهار ، ولا الأشجار من الأسحار ، ولا العرار من الغرار ، ولا الحلال من الخلال ، ولا الحمار من الخمار ولا الملاح من الملاح ، ولا الصبا

من الصباح ، ولا الريا من الرياح ، ولا النوى من النواح ، ولا الفلا من الفلاح ، ولا السما من السماح ، ولا القرا من القراح ، ولا الربا من الرباح ، ولا العقار من العقار ، ولا يوح من نوح ، ولا الحد من الحد ، ولا الجد من الجد ، ولا الوجد من الوخد ، ولا الشمع من السمع ، ولا قابوس من فانوس ، ولا الشاعر من المشاعر ، ولا القاضي من القاصي ، ولا الضد من الصد ، ولا الحامد من الجامد ، ولا الصائغ من الصانع ، ولا الناظر من الباصر ، ولا الصابر من الصائر ، ولا الجابر من الحاير ، ولا المعنى من المغنى ، ولا القاصي من القاصر ، ولا الزاهي من الزاهر ، ولا الوافي من الوافر ، ولا الهاجي من الهاجر ، ولا الهامي من الهامر ، ولا الآمي من الآمر ، ولا الراسي من الراسخ ، ولا النامي من الناسخ ، ولا الساري من السارق ، ولا العالي من العالم ، ولا الشاكي من الشاكر ، ولا الصابي من الصابر ، ولا السالي من السالك .

فكيف أترجم ويذكر حالي المبهم المعجم ، وأنمت بمقـــال وكلام ، وتجري بخصوصي مياه الأقلام ، ويقال عنّي مادح نفسه يقريك السلام ، وانخرط في سلك من ذكرته ، وسمط من وضعته ونشرته ، وأصف نفسي لشيء يمحضه التكذيب ، وانشىء مقالاً يصير هدفاً للتمريض والتأنيب ، ولا يخفى أن الجهل شلل في يد الرياسة ، آفة في رجل الرجولية ، صمم في سمع الأريحيـــة ، قذى في عين المروءة ، بخر في فم الفتوة ، فلج في سن السيادة ، لكنة في لسان الشهامة ، بهق في وجه السعادة ، صداع في رأس الكياسه ، علة في جسم المعالي ، مرض في قلب المجد والفضل ، قوة في قلب السيادة ، متـــانة في يد الفتوة ، ابتسام في فم الشهامة ، جلاء في عين المعالي ، وضاءة في وجه الكيـاسة والرياسة ، فصاحة في لسان السعادة ، صحة في جسم الدولة ، ونعمة مغبوطة ومنحة بها المفاخر مربوطة ، فياليتني ارعويت ، وما تصدّيت وادعيت ، ولكني وإن كنت

الموصوف بهذه الأوصاف المذكورة ، والنعوت الغير المحمودة والمشكورة ، فأفتخر بجدي وأبي ، وبنجاري ونسبي ، لابأدبي ونشبي ، فرونق الأخلاق بالأسلاف ، وإن طابت تربة الكرْم تحسن السلاف ، والذَّنبُ اختلاجه بسلامة الرأس ، والبناء لايقوم إلاّ بالأساس ، والأفق الصافي لايطلع إلا زُهرا ، والتربة الطيبة لاتنبت إلا زهرا ، وبصحو الجو يصحو النهار ، ومتى عذبت العيون تصفو الأنهار :

شمس كأن عليه من شمس الضحى نوراً ومن فلق الصباح عمودا

وناهيك بهذا البيت ، الخالي عن لوّ النقـائص واللّيت ، فقد خرج منه رجال وأي رجال ، بضيق عن حصر أوصافهم كل مجال ، خضعت لهم من الأقيال شم الأنوف والمعاطس ، وتناولوا من المعالي والمفاخر مالا تلامسه كف ملامس ، أضاء بدر علاهم وأشرق ، ونجم نجم هداهم وتألق ، إن حرروا حرروا رقاب المعاني ، وإن حبّروا ذلت لهم أعناق المباني ، فمآثرهم حسنات ظاهرة ، وأنفاسهم زكية طاهرة ، فكم سِفْرٍ أودعوه حكماً نبوية ، وكم من علم حققوا دقائقه اللفظية والمعنوية ، لم تخل أناتهم برهة عن طاعة ، ولا عن اجتهاد فوق الاستطاعة ، رجال لاتلهيهم تجارة ، ولا تفي بوصف محاسنهم عبارة ، ولا يشق أحد لأحد منهم غباره ، أحاطوا بالفضل إحاطة الهالة بالبدر ، وافتخر بهم المجد افتخار الليالي بليلة القدر :

قوم اذا ذكروا لم تلق بينهم الا هماماً تردّى المجد واتّزرا

صيد غطـارفة غرّ لبابهم تأوي الصناديد والحكام والوزرا

الى أن قال : وأما ايضاح حالي في اقامتي وترحالي ، وذكر شيوخي والأساتذة ، ومن تخرجت عليه بالفنون من الجهابذة ، وتقلباتي مع الدهر في كل آن وشهر ، وذكر تلاعب الأيام بي ، وصرفي لردع بوائقهـا اجتهادي وتعبي ، وذكر ماوليت من المناصب العالية ، والرتب الشـامخة السامية ، وما حباني الله به من النعم والدولة ، والحشمة والجاه والصولة ،

ومؤلفاتي وآثاري ، ونظامي ونثاري ، وذكر من نظمتني واياه أيدي الأقدار ، في هذه الدار وغيرها من الأجلاء أولي الفضل والمقدار ، وما وقع لي وجرى بالارادة الالهية ، والحكمة الأزلية ، فقد يطول ذكره هنا ويتعذر ، ويصعب بيانه وشرحه ويتعسر .

وقد ذكرت جميع ذلك في سفر مطول ، وأوضحت أمري به فهو عليه المعول ، ولما عزل ابن العم عبد الله بن الطـاهر من فتوى دمشق الشام ، وبقيت البلدة خالية عمن يصونها ، ومفتقرة لمن يحرس رباعهـا وحصونها ، ويتولى أمرها ، ويطفىء برأيه من البوائق المدلهمة جمرها ، وينشر مسائلها ، وينقح رسائلها ، ويتصدر في دستها السامي الأركان ويتصدى لحل مشكلاتها حسب الامكان ، كنت في قسطنطينية فوليت هذا المنصب بعده برأي رجالها ورؤساء الدولة ، وكان مفتيها الحلاحل[١] الغطريف[٢] ، شيخ الاسلام محمد شريف ، وهو العلامة والبحر الزخار ، وطود الفضائل والفخار ، لا برح السعد يراوح ناديه ، وتزاحم القلانس والتيجان على لثم بابه وأياديه ، فقد أحلني مكان بنيه ، ومن يحنو عليه ويدنيه :

وألبسني ثوب المكارم معلماً   وتوّجني من فضله وكساني

وكانت توليتي للمنصب المذكور من طرف الدولة في اليوم السابع من شعبان سنة اثنتين وتسعين ومائة وألف ، وأنا حينئذ في البلد المذكورة قسطنطينية دار السلطنة العلية ، صانها الله من كل آفة وبلية ، ثم قدمت مفتياً لبلدتي دمشق ذات النيربين والشرف ، التي أكرمها الله تعالى بالبركة والشرف ، وأنخت بقاعها من المسير المطايا وأنا متوكل على مجزل العطايا ،

---

(١) السيد في عشيرته ، الشجاع التام .
(٢) السخي والسريّ والسيد والحسَن .

وغافر الذنب والخطايا ، ورجوته ودعوته أن يوفقني في هذا الأمر لما يرضاه ، ويداركني باللطف فيما قدره وقضاه ، انه خير مجيب لمن دعاه ، وأكرم مسؤول لمن رجاه ووعاه ، لأني لست من هذه الحمائم ، ولا قطرة تلك الغمائم ، ولا من نور هـذه الكمائم ، ولا من درر تلك الأسلاك ، ودراري هذه الأفلاك ، ولكني أقول متمثلاً بقول من يقول :

لعمر أبيك مانسب المعلّى ... الى كرم وفي الدنيا كريم
ولكن البلاد اذا اضمحلت ... وصوح نبتها رعي الهشيم

وقد أثبت هنا من أشعاري ، التي نسجتها يد أفكاري ، نبذة حرية بالمحو ، لايستر عوارها الا الاغضاء والعفو ، عارية عن الجزالة والحلاوة ، خالية عن البلاغة والطلاوة ، فمن ذلك قولي مفتخراً وأنا في الروم :

أما نحن أبناء السراة الأكامر ... لنا في الندى والحلم جم المآثر
نجود بما نحوى ونعفو عن السوى ... ونصفح عن زلات باغ وقاصر
ونحن أناس لايغـير عهدنا ... تغلب محتـال وصولة فاجر
نعف متى نقوى ونغضي تكرما ... ونظهر في الحالين مافي السرائر
وآباؤنا صيد غطارفـة لهم ... جلابيب مجد نسجها بالمفاخر
هم القوم سادوا منذ شادوا دعائماً ... من العز منها الركن ليس بدائر
فلا يجد الملهوف غير مقامهم ... اذا اشتد خطب أو بدا جور جائر
أزاحوا من العدوان ليلاً لقد دجى ... بصبح من الايمان أسفر ظاهر
فكم أشهروا يوم الوطيس مهنداً ... يحز نجوداً سترت بالمغـافر
فوارس في الهيجا متى طرفا امتطوا ... رؤوس العدى تلقاها تحت الحوافر
وان جردوا عضباً وهزوا أسنة ... ترى في الوغى يبدو انهزام العساكر
وليدهم يردي الكماة اذا انتحى ... يذل له خوفاً أشـد القساور
وليس خضاب في أنامله بدا ... ولكنه بالبطش دامي الأظافر
فلم يلف في نعمائهم غير حامد ... ولم يبق في الدنيا لهم غير شاكر

ففي دستهم أقيال قوم أجلة ... وفي أفق العلياء هم كالزواهر
وآياتهم جل المصاقع لم تزل ... ترددها للناس فوق المنابر
متى أمّ من أم القرى وافد قرا ... سطور القِرى والجود غب البشائر
أو اجتازهم راج سماحة جودهم ... رأى لطف مفضال وهمة ناصر
وفي الشام ما شام الغريب ببابهم ... أذى حاجب وغد وسطوة ناهر
بهم جلق والروم تسمو وتزدهي ... ولم يبق ذكر فيهما للأواخر
فياروم هل تبغين بعد فراقهم ... كراماً ويا ذي الشام غيرك فاخري
وفي الروم قسطنطينة تبتغيهم ... وجلق تبغيهم همـا كالضرائر
فأي مكان ضمهـم كان موئلا ... يضم قروماً(١) من خيار أكابر
فلو حاتم أدى المكارم حقها ... وشاهدهم أضحى كنادم حائر
وفي صمم اذن المناصب بعدهم ... وقد عميت حزناً عيون المفاخر
فغيثاً لقفر الفقر يهمع جودهم ... وناديهم مأوى لعـائذ زائر
واني وان شط المزار وأبعدت ... منازل من أهوى وكدر خاطري
أخو همة قعسا يؤم ومؤتسى ... وفرع لأصل بالشرافة طاهر
ولست بمغبون إذا سر حاسدي ... وصرت قطيناً في نوادي الأصاغر
وإني امرؤ ما ذل يوماً لماجد ... ولا هاب آلاف الأسود الخوادر
ولم يخش دهراً قد أعز أذلة ... وما راعه إلا عيون الجآذر
لها موقع في القلب انى له دوا ... فوا عجباً من جرح أحور فاتر
ولا يشتكي ضيم الخطوب وإن دهت ... ويشكو صدوداً من نفور وهاجر
فقل لفخور يحسب المجد هينا ... ويظهر أرفاداً لباد وحاضر
أتبغي منالاً يشمخرّ اعتلاؤه ... ويسمو وأنت اليوم ليس بقادر
أأنت ابن من لولاه لم يك كائن ... وأول مخلوق وآخر آخر
أأنت ابن من فيه العوالم تزدهي ... ولم يبق في إرساله شرك كافر

---

(١) جمع قَرْم ، وهو السيد العظيم .

أأنت ابن من في الحشر يرجى ومن أضا　　به الكون لما كان مثل الدياجر
اليه انتمائي وانتسابي فعلّني　　أفوز بعفو شامل لي وساتر
وليس قريضي محصياً لشمائل　　حواها وعن ذا ضاق صدر الدفاتر
عليه صلاة الله ثم سلامه　　وآل وأصحاب كرام أكابر
مدى الدهر ما اشتاق الغريب لألفه　　وهبت جنوب في رياض أزاهر

وقال رحمه الله

أدر ذكره ان الفؤاد لذو ضنى　　وإن له ذكر الرسول شفاء
وروّح نفوس العاشقين بنعته　　ففيه لداء العاشقين دواء

وقال

يا رب إن ذنوبي　　كثيرة ليس تحصر
وفيك كل يقيني　　بأن عفوك أكثر

وقال

إذا ما دهتك صروف الزمان　　ووافاك منه سقام وخطب
فداوم على الصبر تلقى المرام　　وفيه مع الفوز للداء طب

وقال رضي الله عنه مشطراً أبيات ابن عبد ربه

ودعتني بزفرة واعتناق　　وأثارت لواعج الأشواق
وتهادت عند الفراق عشيا　　ثم قالت متى يكون التلاقي
وبدت لى فأشرق الوجه منها　　يتسامى بزائد الاشراق
وارتنى طلوع شمس وبدر　　بين تلك النهود والأطواق
يا سقيم الجفون من غير سقم　　قد فتكت القلوب بالإحداق
فتنة العاشقين أنت لهذا　　بين عينيك مصرع العشاق
إن يوم الفراق أصعب يوم　　أورث القلب زائد الأحراق
كل من في هواك عانٍ ينادي　　ليتني مت قبل يوم الفراق

انتهى كلامه ملخصا . وله ديوان شعر ، ذو جمال وقدر .

ومن مكاتباته للسيد المرتضى الزبيدي رحمهما الله تعالى قوله كما ذكره الجبرتي:

أحمد الله على كل حال ، في حالتي المقام والترحال ، وأصلي على نبيه وآله الطاهرين ، وأصحابه السامين بالفضائل والفواضل والظاهرين ، وأهدي السلام العاطر ، الذي هو كنفح الروض باكره السحاب الماطر ، والتحايا المتأرجة النفحات ، الساطعة اللمحات ، النافحة الشميم الناشئة من خالص الصميم ، وأبدي الشوق الكامن وأبثه ، وأسوق ركب الغرام وأحثه ، الى الحضرة التي هي مهب نسائم العرفان والتحقيق ، ومصب مزن الإتقان والتدقيق ، ومطلع شمس الافادة والتحرير ، ومنبـــع مياه البلاغة والتقرير ، وموئل العائذ ، ومطمح اللائذ ، وكعبة الطائف ، ومنتدى التحف واللطائف ، ومجمع مجرى العمل والعلم ، وملتقى أنهر الملاطفة والرأفة والحلم ، وروض المكارم الوريق الوارف ، وحوض العوارف والمعارف ، المنهل الصـــافي ، والظل السابغ الضافي ، صانها الله من البوائق وحماها ، وحرس من الخطب الفادح حماها ، ولا برح السعد مخيما في رباعها ، واليمن والأمن مقيمين في بقاعها ، هذا وإن عطف مولانا الأستاذ عنان الاستفسار والاستخبار عن حليف آثاره ، وأليف نظامه ونثاره ، وسمير تذكاره ، في ليله ونهاره ، والمشتاق لمرآه ، والواله بهواه ، والمقيم على عهده ، والمتمسك بوثيق ودّه ، والمتمسك بعرف نده ، والصانع عقود تمداحه ، في مسائه وصباحه ، فهو بمنه تعالى رهين صحة وعافية ، وقرين نعمة وآلاء وافية ، يستأنس بأخبارك ، ويتوقع ورود رسائلك وآثارك ، وقد مضت مدة ولم يجر بين البين ماء محـاورة ومراسلة ، وأدى هذا الجدب لقحط غلال المواصلة ، وعلى كل حال فالقصور من الجانبين ، واعتقاد ذلك يحسم مادة العتاب بين المحبين ، ثم الباعث لتحرير الأسطار ، وغميقة الاعتذار ، وإجراء فيض النفس المدرار ، تفقد الأحوال ، واستدعاء المراسلة ببليغ تلك الأقوال ، وللشغل الشاغل ، الذي ما تحته طائل ، اقتضى تأخير المراسلة لهذا الحين ، والتقصي من الجواب ،

عن استنشاق أوراد ورياحين ، والله يشهد أن غالب الأوقات ، ذكراك نقل وأقوات ، وقلبك شاهد على ما أقول ، وحجة المحبة ثابتة بأقوى دليل ونقول .

ولقد كنت حرضت الأستاذ لابرح وجوده للسائل نفعا ، والدهر لما يقول مجيبا سمعاً ، لجمع تراجم المصريين والحجازيين ، ومن للأستاذ الوقوف على ترجمته وحاله من أهل الأمصار ، من أبناء القرن الثاني عشر ، ووعد حفظه الله بالانجاز ، ولسبب الشواغل الطـارئة في هذه السنين الموجبة لتكدير الافكار ، ورخص أسعار الأشعار ، واخلاق برد الفضائل وذاك الشعار ، أوجب قطع المراسلة وتأخير المطلوب والمأمول ، ولم يفز المحب بمرام من ذلك ومسؤول . ولما كنت في الروم قبل ذلك العام ، جرى ذكر الأستاذ لدى حضرة أحد رؤسائها الأجلة الصناديد القروم ، فأطال بالمدح وأطنب ، ثم جرى ذكر التاريـخ وفقدانه في هذا الوقت وعدم الرغبة اليه من أبناء الدهر ، مع انه هو المادة العظمى في الفنون كلها ، فتأوه تأوه حزين ، وكان في مجلسه أحد الأفاضل المولعين باقتناص الأخبار ، فقال إن الأستاذ أبا الفيض مرتضى بلغه الله مرامه ، وقرن بالنجاح آماله وبالسعود أيامه ، قد باشر تأليف تاريـــخ عظيم باشارة هذا وأشار إلي ، فقلت نعم قد كنت حرضت الأستاذ بجمع ذلك ولا أدري كيف فعل ، هل أوقد الطروس تلك المصابيح والشعل ، أم عاقه الزمن بأحواله ، قال لا بل شعر الوزير الكبير المقتول اسمعيل باشا الرئيس وذكره في ترجمته ، ثم انه أطال على الأستاذ في الثناء ، وأطال طرف المدح في حلبة ذلك المجلس الى المساء ، فسرني هذا الخبر الطارىء ، من ذلك الرجل الاخباري ، وطرت بأجنحة السرور والأماني ، وقلت قد صافاني زماني ، ولما عدت لبلدتي دمشق دامت معمورة ، وبالخيرات مغمورة ، وقعت باشراك الشواغل المتبادرة ، وتركت من الفنون كل نادرة ، وحرصت على تدبير أمورهـا

خوف القال والقيل ، وصرفت أوقاتي للاضاعة حتى في المقيل ، وأروم من واهب النعم ، ومسدي الخير ومسدل الكرم ، أن يهبني لطفاً في مسعاي والأمور ، وعونا في نظام الجمهور ، انه خبير بصير ، واليه المصير . وكان هذا الشغل الشاغل سبباً أعظم لتأخير المراسلة ، والاستخبار من الأستاذ عن إتمام التراجم وتحصيلها ، والآن بادرت لنسخ هذه الأسجاع ، بيد اليراع ، وحررته عجلا ، ورقمته خجلا ، فالمأمول تبييض مسودات التراجم ، وإرسالها حتى تكمل بها مادة التاريخ ، وبحسن توجهاتكم القلبية ، مع هذه الأشغال الدنيوية ، بلغ من التراجم نحو ثلاث مجلدات ضخام ، ونحوهاوزيادة باقية في المسودات ، هذا ما عدا تراجم أبناء العصر وشعرائه الذين في الأحياء ، ومن نظمتني وإياه الأقدار وامتدحني بنظام او نثار ، فتراجمهم وآثارهم مجموعة بمجلد آخر ، وعلى كل حال فالأستاذ له الفضل التام ، في هذا المقام ، وإن شاء الله تعالى بآثاره يتم الكتاب على أحسن نسق ونظام ، وجل القصد أن يكون هذا الأودّ المحب مشمولاً بالأدعية الصالحة ، لتنطق بالثنا منه على كل جارحة ، والمأمول ستر عواره المتبادر ، والاغماض عما أظهره الفكر القاصر ، والذهن الفاتر ، وألقته أفواه المحابر ، على صفحات الدفاتر ، ولك الثناء العاطر ، والسلام الوافر ، والشوق المتكاثر ، من القلب والخاطر ، ما همى وادق ، وذرشارق ، وصدح يمام ، وناح حمام ، وسح ركام ، وفاح خزام والسلام . وتاريخه في اواخر ربيع الثاني سنة مائتين والف . انتهى كلام الرسالة [1] قال الجبرتي رحمه تعالى وما أدرى ما فعل الدهر

---

(١) في « روض البشر » من ترجمته : ثم ان المترجم تولى نظارة الجامع الأموي سنة ١١٩١ وفتوى الحنفية بدمشق سنة ١١٩٢ وجاء تاريخ فتواه (أفتى الخليل) ، ونقابة الأشراف بها سنة ١٢٠٠ ، وصار بدمشق صدر الصدور ، اليه ترجع مهمات الأمور ، وألّف مؤلفات أدبية تاريخية ، منها : (عرف البشام فيمن ولي فتوى دمشق الشام) ، وقد رأيته فوجدته يشبه نفحة المحبي ، (ومنها) رسالة ترجم بها بعض علماء حلب ، نقل عنها الأستاذ البيطار في تاريخه ، (ومنها) معجم ، ترجم به من لقيه من العلماء ، (ومنها) كتاب سماه « إتحاف الأخلاف ، بأوصاف الأسلاف » . أما تاريخه الذي نوّه به العلاّمة الجبرتي ، وهو : « سلك الدرر ، في أعيان القرن الثاني عشر » فقد طبع واشتهر اه .

بتاريخه المذكور ، لأنه انتقل المترجم بعد ذلك لأمور أوجبت رحلته منها إلى حلب الشهباء ، كما ذكر لي ذلك في مراسلاته في سنة خمس ومائتين وألف ، وهناك عصفت رياح المنية بروضه الخصيب ، وهصرت يد الردي يانع غصنه الرطيب ، فاحتضر وأحضر بأمر الملك المقتدر ، لا زال جدثه روضة من رياض الجنان ، ولا برح مجرى لجداول الرحمة والرضوان . وذلك في اواخر صفر الخير سنة ست ومائتين وألف ، من هجرة مظهر الرحمة واللطف .

محمد أبو عبد الله بن الطالب بن سودة المري الفاسي التاودي المالكي

الإمام الفقيه المحدث البارع المتبحر عالم المغرب قال العلامه الجبرتي ولد بفاس سنة ثمان وعشرين ومائة وألف ، وأخذ عن أبي عبد الله محمد بن عبد السلام بناني الناصري شارح الاكتفاء والشفاء ولامية الزقاق وغيرها ، والشهاب أحمد بن عبد العزيز الهلالي السجلماسي ، قرأ عليهما الموطأ وغيره ، والشهاب أحمد بن مبارك السجلماسي اللمطي ، قرأ عليه المنطق والكلام والبيان والأصول والتفسير والحديث ، وكان في أكثرها هو القارىء بين يديه مدة مديدة ، وأذن له في اقراء الصحيح في حياته فألقى دروساً بين يديه ، وكان يوده ويسر به ويقدمه على سائر الطلبة . ولما توفي ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة خمس ومائة وألف بالطاعون ، تزاحم ذوو الوجاهات فيمن يلحده في قبره ، فكان الشيخ هـو المتولي لذلك دون غيره ، وتلك كرامة له ، ورضوا بذلك ، قال : وكلمته يوماً في شأن الحج متمنياً له ذلك فقال لي مشيراً إلى شيخه عبد العزيز الدباغ ان الناس قالوا لي جعلناك في حق فلا تخرج من هذه البلدة ، وأنت ستحج واعطيك ألف دينار وألف مثقال إن شاء الله تعالى ، قال : ولم تكن نفسي تحدثني بالحج يومئذ ولم يخطر بالبال ، ومن جملة مشايخ المترجم الفقيه المتواضع صاحب التآليف أبو عبد الله

محمد بن قاسم جسوس ، لازمه مدة وقرأ عليه كتبا ، منها رسالة ابن أبي زيد ، ومختصر خليل ثلاث مرات ، مع مطـالعة شروح وحواش ، والحكم والشمائل وجميع الصحيح من غير فوت شيء منه ، ومنهم حافظ المذهب الفقيه القاضي أبو البقاء يعيش ابن الزغاوي الشاوي ، قرأ عليه طرفاً من الصحيح وغيره . توفي سنة خمسين ومائة وألف ، كان منزله بالدوخ في أطراف المدينة ، فنزل به اللصوص ليلا فدافع عن حريمه وقاتلهم حتى قتل شهيداً رحمه الله ، ومنهم قاضي الجماعة ومفتي الأنام أبو العباس احمد بن احمد الشدادي الحسني ، قرأ عليه المختصر الخليلي من أوله الى الوديعة أو العارية ، وسمع عليــه بعض التفسير من أوله ، ومنهم الفقيه الزاهد القاضي أبو عبــد الله محمد بن احمد التاق قرأ عليه رسالة بن أبي زيد والحكم ، والتفسير من أوله إلى سورة النساء ، ومنهم الإمام الناسك الزاهد ابو محمد عبد الله محمد بن جلون ، قرأ عليه الآجرومية وختم عليه الألفية مرتين ، والمختصر الخليلي من أوله إلى اليمين ، ولم يكن له نظير في الضبط والاتقان والتحرير ، وهو أول شيخ أخذ عليه وذلك قبل البلوغ ، وكان إذا قام من درسه عرض على نفسه ما قاله فيجده لا يدع منه حرفاً واحدا ، ومنهم سيبويه زمانه ابو عبد الله سيدي محمد بن الحسن الجندوز ، قرأ عليه الألفية فكان يملي من حفظه في اثنائه الشروح والحواشي ، وشروح الكافية والتسهيل والرضي والمغني والشواهد وغير ذلك مما يستجاد ويستغرب ، وقرأ عليه السلم والتلخيص ، ومن انصافه أنه لما قرب أواخره بلغه أن الشيخ ابن مبارك يريد أن يقرأه ، فقام مع جماعة وذهب إليه ليسمع منه ، وهذا من حسن انصافه واعترافه بالحق ، ومنهم أبو العباس احمد بن علال الوجاري ، قرأ عليه الالفية بلفظه ثلاث مرات ، وشيئاً من التسهيل و المغني ، وقد ذكر له بعض الشيوخ عن ابن هشام ، أنه قرأ الألفية ألف مرة ، فقال له بعض من سمعه وكم قرأتها ؟ قال أما المائة فجزتها ، فهؤلاء عشرة شيوخ . كذا لخصتها من إجازة المترجم للشيخ احمد بن علي بن عبد الوهاب بن الحاج الفاسي في تاسع جمادى الثانية سنة ثلاث وألف .

وحج المترجم فقدم مصر سنة إحدى وثمانين ورجع عام اثنين وثمانين ومائة وألف، وعقد درساً حافلاً بالجامع الأزهر برواق المغاربة، فقرأ الموطأ بتمامه وحضر غالب الموجودين من العلماء، وأجاد في تقريره وأفاد، وسمع عليه الكثير أوائل الكتب الستة والشمائل والحكم وغيرها، وأجاز، ولقي بمكة أبا زيد عبد الرحمن ابن اسلم اليمني، وأبا محمد حسين بن عبد الشكور صاحب الشيخ عبد الله الميرغني، والشيخ ابراهيم الزمزمي، وغيرهم. وبالمدينة أبا عبد الله محمد بن عبد الكريم السمان، وأبا الحسن السندي، وعبد الله جعفر الهندي، وغيرهم. وأجازوه وأجازهم، وعاد الى مصر واجتمع بأفاضلها كالجوهري والصعيدي وحسن الجبرتي والطبلاوي والسيد العيدروس والشيخ محمود الكردي وعيسى البراوي والبيومي والعريان وعطية الاجهوري، وكان صحبته ولداه سيدي محمد وهو الأكبر وسيدي ابو بكر، خالي العذار جميل الصورة، وتردد على الشيخ حسن الجبرتي كثيراً وتلقى عنه بعض الرياضيات، وترك عنده ولديه المذكورين مدة إقامته بمصر، فكنا نطالع معهما سوية صحبة الشيخ سالم القيرواني والشيخ أحمد السوسي، ونسهر غالب الليل نراعي المطالع والمغارب وممرات الكواكب، بالسطح حذاء خيط المساترة، ونراجع الشيخ فيما يشكل علينا فهمه وهو معنا في ناحية أخرى، وأوقفت سيدي أبا بكر على طريق رسم ربع الدائرة المقنطر والمجيب.

ومن تأليف المترجم حاشية على البخاري في أربع مجلدات [١]، وحاشية على الزرقاني شارح خليل، وشرحان على الأربعين النووية، ومناسك حج، وشرح الجامع لسيدي خليل، وشرح تحفة ابن عاصم في القضاء والأحكام [٢]، والمنحة الثابتة في الصلاة الفائتة، وفتح المتعال فيما ينتظم منه بيت المال، وحاشية على ابن جزي المفسر، وحاشية على البيضاوي لم تكمل، وشرح المشارق للصاغاني [٣] ومنظومة فيما يختص بالنساء، أولها:

---

(١) في معجم المطبوعات: طبع حروف فاس جزء ٤ (سنة ١٣٣٠).
(٢) طبع فاس ج ٢. وأسئلة وأجوبة، وبهامشها أسئلة وأجوبة لعبد القادر الفاسي
(٣) طبع (سنة ١٣٠١).

الحمد لله العلي الصمد ثم صلاته على محمد
وبعد فالقصد بهذا النظم تحصيل نبذة من المهم

إلى أن قال

الدم صفرة وكدرة ترى من قبل من تحمل حيض قد جرى
مثل أقل الطهر والمعتاده عادتها تمكث مع زياده
ثلاثة ان لم تجاوز أكثره وبعد طاهر لدى من حرره

إلى آخرها . وكلفه سلطان المغرب خطة القضاء في ثلاث ومائتين وألف فقبلها كرهاً ، وكانت فتاويه مسددة وأحكامه مؤيدة ، مع غاية التحرز والصيانة والانتقان . وبالجملة فكان عين الأعيان في عصره ومصره ، شهير الذكر وافر الحرمة مهيب الصورة ، يغلب جلاله على جماله ، قليل التبسم . ولما توفي محمد سلطان المغرب ووقع الاختلاف والاضطراب بين أولاده ، اجتمع الخاصة والعامة على رأي المترجم ، فاختار المولى سليمان وبايعه على الأمر بشرط السير على الخلافة الشرعية ، والسنن المحمدية ، وبايعه الكافة بعده على ذلك ، وعلى نصرة الدين وترك البدع والمظالم والمكوس والمحارم ، وكان كذلك .

ولم يزل المترجم على طريقته الحميدة ، حتى توفي سنة سبع ومائتين وألف ، وكان قد توفي قبله ولده السيد محمد سنة أربع وتسعين ومائة وألف ، وتوفي بعده ولده السيد أبو بكر سنة عشر ومائتين وألف .

الشيخ محمد بن داود بن سليمان بن أحمد بن خضر الخربتاوي المالكي الأزهري

قرأ على والده ، وحضر دروس شيخنا الشيخ علي العدوي الصعيدي وبه تخرج وأنجب في العلوم ، وله سليقة جيدة في النثر والنظم ، وحصل كتباً نفيسة المقدار زيادة على الذي ورثه من والده ، قال الشيخ الجبرتي :

وله محبة في آل البيت ومدائح كثيرة ، وهو ممن قرظ على شرح القاموس لشيخنا السيد محمد مرتضى تقريظاً بديعاً ، وهو أحمد من أبدى من صنائع الحكم محكم المصنوعات ، وأسدى من سوابغ النعم أنواع المبدعات ، سبحانه من إله أفاض علينا جوده وافضاله ، وأزال عن قلوبنا رين الرين والجهالة ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي خص بجوامع الكلم ومجامع الحكم ، وعموم الرسالة ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ذوي الإحسان والجلالة ، وبعد فلما من الله على العبد الضعيف بالاطلاع على هذا الشرح الشريف ، المسمى بتاج العروس من جواهر القاموس ، الذي ألفه أعلى أرباب الكمال والكلام ، لسان الحق الناطق ببيان الحلال والحرام ، يد الزهادة ومنهج الطريقة ، فهو السري بل البرهان على الحقيقة ، من سلك مسالك التحقيق ، وتتبع مواضع الفصل والتدقيق ، حتى فاز من بغيته بالسهم المعلى ، وجليت عليه غواني المعاني فتملى وتحلى ، اعني به سيدي ومولاي ، ومالك أزمة ولاي ، من هو لي عمدتي ومعيني ، السيد محمد مرتضى الحسيني ، أدام الله للعالمين انسه ، وأشرق عليهم في هذا الوجود بجوده شمسه . وكان حفظه الله تعالى قد أشار بوقوفي على هذا الطراز المحلّى ، والقدح المعلّى ، وأن أكتب عليه بما تسمح به القريحة الخائفة لقصورها من الفضيحة ، فنظرت فعلمت أن ذلك سبيل ليس لمثلي أن يسلكه ، ولا لمن كان على قدري أن يقود زمامه ويملكه ، لا سيما وقد قرظ عليه فحول الأئمة الأعيان ، الذين تعقد عليهم الخناصر في كل زمان ومكان ، فأحجمت من ذلك احجاماً مخافة واحتشاماً ، ثم علمت أن أمره قد ورد على سبيل الإيجاب ، وان قاضي الانصاف لا يرضى الا بشهادة الحق وقول الصواب ، فأقدمت بعد الجموح ، ودخلت إلى رحبات التوكل من باب الفتوح ، وتأملت ما فيه من العجب العجاب ، وتذكرت قول العلي الوهاب في محكم الكتاب ،

« هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب » وقلت فيه في الحال ، معتمداً على الملك المتعال :

تاج العروس الذي أبداه سيدنا ... المرتضى العالم النحرير ذو الهمم
لما بدا أرخص التيجان كلهم ... لما حوى من عظيم الفخر والشيم
واجمعَ اهل الهدى أن لا نظير له ... من التآليف في عرب وفي عجم

ثم غلب علي الرشد أن أحذو حذو شيخنـــا محيي النفوس سيدي العيدروس فقلت وعلى الله توكلت :

صاح ان شئت كل علم نفيس ... فانظرن ما حواه تاج العروس
شرح شيخ الاسلام تاج المعالي ... مرتضى العارفين راس الرؤوس
سيد الاكملين أعظم شهم ... حاز فضلا قد جل عن تقييس
شرحه الجامع المهذب أبدى ... من خبايا العلوم ما قد تنومي
قلت لمـــا رأيته يا ابن ودي ... نشر روض أم ذاك عطر عروس
ام حياة النفوس من أسكرتني ... بسلاف من ريقها المأنوس
بنت سبع وأربع وثلاث ... ان تجلت ازرت ضياء الشموس
قال هذي لآليء قــد جلاها ... ماجد عارف زكي الغروس
بحر بَر البيان رب المعاني ... حبر علم البديع محي النفوس
وهو نجل الزهراء وابن حسين ... وعلي أكرم بهم من هموس
وهو في الزهد كابن أدهم حقا ... وهو في العلم كالإمام السنوسي
يا ابن طه يا مرتضى يا كريما ... دعوة دعوة تزيل نحوسي
نجدة نجدة فقد ضاق صدري ... من زمان مقلب معكوس
ليس يخفاك والدي وعلاه ... في مقام التأليف والتدريس
وعلو الاسناد ذاك شهير ... عند أهل الكمال بالعيدروسي
سيدي والدي صديقي عزيزي ... من على بابه طروق الرؤوس
فبحق الشيخين يا خير شهم ... دعوة علها تضيء شموسي

أنت حصني الحصين يا ابن حسين ... في مقامي ورحلتي وجلوسي
كيف أخشى العدى وأنت ملاذي ... أو أخاف الردى وأنت أنيسي
دمت في عزة وفتح ونصر ... من إله مهيمن قدوس
وصلاة مع السلام دواما ... تغش طه النبي تاج العروس
ما غدا قائلا أسير ذنوب ... صاح ان شئت كل علم نفيس

وفي آخره : كتبه خجلا وجلا مرتجي غفر المساوىء الفقير الحقير محمد بن داود الخربتاوي المالكي ، في عاشر شهر رجب الفرد سنة أربع وثمانين ومائة وألف [1] . ولم يزل المترجم مقبلا على شانه ، مواظباً على دروسه وحفظه واتقانه ، متباعداً عن الناس ، ليس له بغير العلم والتقوى استئناس ، إلى أن دعته المنية ، إلى الدرجات العلية ، في سنة سبع ومائتين وألف ، غمره الله ببحر الرحمة واللطف .

الشيخ محمد بن عبد الحافظ افندي ابو ذاكر الخلوتي الحنفي المصري

الأجل الصالح والناسك الفالح ، العارف بالله . أخذ الطريق عن السيد مصطفى البكري والشيخ الحفني ، وحضر الفقه على العلامة الشيخ محمد الدلجي والشيخ أحمد الحماقي ، وأدرك الاسقاطي والمنصوري ، ولم يتزوج قط ، وكف بصره سنة إحدى وثمانين ومائة والف ، وانقطع في بيته إحدى وعشرين سنة بمفرده ، وليس عنده قريب ولا غريب ولا جارية ولا عبد ، ولا من يخدمه في شيء مطلقا ، وبيته متسع جهة التبانة ، وبابه مفتوح دائما ، وعنده الأغنام والدجاج والأوز والبط والجميع مطلوقون في الحوش ، وهو يباشر علفهم واطعامهم وسقيهم الماء بنفسه [2] ، ويطبخ طعامه بنفسه ،

(١) من آثاره : المواهب العلية ، لحل ألفاظ الأجرومية ، الحاشية المرضية على ابن تركي والشبراوي (معجم المؤلفين) .

(٢) كذا في الأصل .

وكذلك يغسل ثيابه ، واشتهر في الناس بأن الجن تخدمه وليس ببعيد لأنه كان من أهل المعارف والأسرار ، ويأتي اليه الكثير من الطلبة للأخذ عنه والتلقي منه . وكان له يد طولى في كل شيء ، ومشاركة جيدة في العلوم والمعارف ، والأسماء والروحانيات والأوفاق ، واستحضار تام في كل ما يسأل عنه ، وعنده عدة كثيرة من السنانير ، ويعرفها بالواحدة بأسمائها وأنسابها وألوانها ، ويقول هذه تحفة بنت بستانة ، وهذه كمونة بنت ياسمين ، وهذه فلانة أخت فلانة ، الى غير ذلك .

توفي رحمه الله تعالى في شهر شوال سنة سبع ومائة (١) وألف كما ذكر ذلك العلامة الجبرتي رضي الله عنه وأرضاه آمين .

السيد محمد افندي البكري الصديقي شيخ سجادة السادة البكرية ، ونقيب السادة الأشراف في مصر المحمية

نادرة الزمان ، وغرة وجه العصر والأوان ، إنسان عين الأقاليم ، فريد عقد المجد النظيم ، جامع الفضائل والمحاسن ، ومظهر اسم الظاهر والباطن ، من لبس رداء النجابة في صباه ، ولاح عنوان المكارم على صحائف علاه ، ولم تقصر عليه أثواب مجده التي ورثها عن أبيه وجده ، فعلى جبينه نور النسب ، وعلى رأسه لواء المجد يصونه عن كل عطب :

مستيقظ الحزم واري العزم ثاقبه   همومه حين يتلوهن همات
صافي الطوية من غل يكدرها   وأول المجد أن تصفو الطويات

الحسيب النسيب والنجيب الأريب ، تقلد بعد والده المنصبين . وورث عنه السيادتين ، فسار فيهما سيرة الملوك ، ونثر فرائد المكارم من اسلاك السلوك ، فجوده حدث عن البحر ولا حرج ، وبراعة منطقه تنتج سلب

---

(١) قوله : (ومائة) هو سبق قلم ، والصواب (ومائتين) كما في تاريخ الجبرتي فيمن توفي (سنة ١٢٠٧ هـ) وكتبه : محمد بهجة البيطار

الألباب والمهج ، مع حسن منظر تتزاحم عليه وفود الأبصار ، وفيض نوال تضطرب لغيرتها منه البحار ، وقد اجتمع فيه من الكمال ما تضرب به الأمثال ، واخباره غنية عن البيان ، مسطرة في صحف الإمكان ، زمانه كأنه عروس الفلك ، فكم قال له الدهر أمّا الكمال فلك ، ولم يزل كذلك إلى أن أذنت شمسه بالزوال ، وغربت بعد ما طلعت من مشرق الاقبال ، وقطفت زهرة شبابه ، وقد سقتها دموع أحبابه ، ورثاه الألمعي الفاضل السيد عبد الله المزاريقي وأرخه بقوله :

لقد مات من كانت موارد فضله ... تعم جميع الخلق في القرب والبعد
محمد البكري من فاز وارتقى ... كما بشر التاريخ في جنة الخلد

وكانت وفاته ليلة الجمعة ثامن عشر ربيع الثاني ، وخرجوا بجنازته ودفن عند أجداده بجوار الامام الشافعي رضي الله عنه . وبالجملة فهو كان مسك الختام قلما تسمح بمثله الأيام .

ولما مات تولى سجادة الخلافة البكرية ابن خاله سيدي الشيخ خليل افندي ، وتقلد النقابة السيد عمر افندي الاسيوطي ، ومن نظمه مادحاً خليل افندي المرادي مفتي دمشق الشام :

ينقضي الدهر والهوى لا يزول ... من فؤاد بعشقه مشغول
كل حين يمر بي من نهار ... هو عندي دهر عنيد طويل
والهوى يورد الفتى كل صعب ... وعلى عكس قصده مجبول
وعذولي قد لج يعذل جهلا ... أوَ هل يعرف الغرام جهول
وألذ الأيام ما لاح فيه ... قمر طالع وغصن يميل
قد حكته الغصون ليناً وقدّاً ... باعتدال وفاتها التمثيل
جمع الحسن كله مثل ما قد ... جمع الفضل والفخار خليل
فرع أصل نما فأثمر فضلا ... وذكاءً ما ان حكاه مثيل
ألمعي حاز السيادة كسبا ... كل فضل بذاته موصول

خصه الله بالكمال فأضحى ما له من سوى الكمال خليل
وهو طود العلوم من كل فن وسواه عند الأنام الجهول
قل لمن رام أن يحاكيه جهلا أوَ يحكي شمس الضحى قنديل
لست أدري أرأيه أم ذكاه صاحِ أمضى أم سيفه المسلول
الرشيــد الحميد نجل علي المرادي النقشبندي الجليل
شب في كسبه المعاني فأضحى طوعه الدهر طائعاً ما يقول
طاهر الذيل قد تبرأ ممــا بعضه قد تعاب منه الذيول
فاق بالحلم والتواضع والجو د وخلق الفتى اليه يؤول
وإذا كانت الطباع كراما لاح منها للمكرمات دليل
قد تسامت به مراتب مجد ساميات مــا نالهن فحول
وأرانا من معجز القول شعراً ليس إلا به تحاكى الشمول
رق معنى وراق لفظاً فأزرى نسمة الروض إذ سقته السيول
كل معنى يستعبد الذهن وحياً وبحسن الخطاب تدري العقول
وبخط أزرى بكل نضيد زانه في طروسه التشكيل
لو تحلى تاج الملوك بحرف منه أضحى من حرفه اكليل
باسط الكف للأنام جميعاً وسواه بقبضهــا مشغول
تخجل السحب عند جودنداها حين تهمي وغيثهــا مهطول
وأرى المال يكسب المرء عزاً دائماً عندما البخيل الذليل

إلى أن قال :

قيل ماذا تاريخه حين أفتى قلت قد أرخوه أفتى الخليل
دام في عزه ومجد أثيل بدره التم ما اعتراه أفول
واليك الكمال أهدى قصيداً باعتــذار ففكره مشغول
بنت حين من ساعة من نهار حيثما العذر عندكم مقبول
لا تقابل أصدافهــا بعقود من نظام يردهــا التخجيل

مات رحمه الله سنة ثمان ومائتين والف . كما ذكره الشيخ الجبرتي

الشيخ محمد السقاط الخلوتي المغربي الأصل ثم المصري خليفة الشيخ محمود الكردي

قال الإمام الجبرتي : العمدة الصالح الورع الصوفي الصوري نزيل مصر ، جاور بالأزهر وحضر على الأشياخ في فقه مذهبه وفي المعقول ، وأخذ الطريق على شيخنا الشيخ محمود المذكور ، ولقنه الأسماء على طريق الخلوتية والأوراد والأذكار ، وانسلخ من زي المغاربة وألبسه الشيخ التاج ، وسلك سلوكا تاما ، ولازم الشيخ ملازمة كلية بحيث انه لا يفارق منزله في غالب أوقاته ، ولاحت عليه الأنوار وتحلى بحلل الأبرار ، وأذن له الشيخ بالتلقين والتسليك . ولما انتقل شيخه رحمه الله تعالى صار هو خليفته بالاجماع من غير نزاع . وجلس في بيته وانقطع للعبادة ، واجتمع عليه الجماعة في ورد العصر والعشاء ، ولقن الذكر للمريدين وسلك الطريق للطالبين ، وانجذبت القلوب اليه واشتهر ذكره وأقبلت عليه الناس ، ولم يزل على حسن حاله ، حتى توفي في منتصف شهر ربيع الأول سنة تسع ومائتين والف ، وصلى عليه في الأزهر الجم الغفير رحمه الله تعالى .

الشيخ محمد شمس الدين بن عبد الله بن فتح الفرغلي المحمدي الشافعي السبرباني المصري

نسبة إلى سبرباي قرية بالغربية قرب طندتا وبها ولد ، ونسبه يرجع إلى القطب سيدي الفرغلي المحمدي من ولد سيدنا محمد بن الحنفية ، قال الجبرتي في ترجمته : هو العمدة الفاضل والصفوة الكامل ، العالم الفقيه والعامل النبيه ، تفقه على علماء عصره وأنجب في المعارف والفهوم وعانى الفنون ، فأدرك من كل فن الحظ الأوفر ، ومال إلى فن الميقات والتقاويم فنال من ذلك ما يرومه ، وألف في ذلك وصنف زيجاً مختصراً دل على سعة باعه

ورسوخه في الفن ، ومعرفة القواعد والأصول ودقائق الحساب ، ونهج مسلك الأدب والتاريخ والشعر ففاق فيه الأقران ، ومدح الأعيان ، وله المزدوجة المسماة بنفحة الطيب في محاسن الحبيب ، التي نظمها باسم الأمير حسن بك رضوان ، فكان طوداً راسخاً وبحراً راسخاً ، مع دماثة الأخلاق وطيب الاعراق ، ولين العريكة ، وحسن العشرة ، ولطف الشمائل والطباع . وكان ولي نيابة القضاء ببلده ، وبالجملة فكان عديم النظير في اقرانه لم أر من يدانيه في أوصافه الجميلة .

وله مصنفات كثيرة منها (الضوابط الجليلة في الأسانيد العلية) ألفه سنة ست وسبعين ومائة وألف ، وذكر فيه سنده عن الشيخ نور الدين أبي الحسن سيدي علي بن الشيخ العلامة أبي عبد الله سيدي محمد العربي القامي المغربي الشهير بالسقاط . وسليقته في الشعر عذبة رائقة ، وكلامه بديع مقبول في سائر أنواعه ، من المدح والرثاء والتشبيب والغزل والحماسة والجد والهزل . وله ديوان جمع فيه أمداحه ﷺ سماه (عقود الفرائد) وقد قرظ عليه الشيخ عبد الله الأدكاوي في سنة تسع وسبعين ومائة وألف بقوله :

هكذا من أراد نظم الفرائد ... أو نحا نحو حوك برد القصائد
هكذا هكذا عقود المعاني ... لا عقود المخدرات الخرائد
تلك صواغها البنان وهذي ... صاغها فكر شمس فضل الأماجد
فرغلي الأروم نامي ذرى المجـــد بديع الفهوم سامي المشاهد
الاريب الذي أتاح له اللـــه المعاني لذي العقود مصايد
واللبيب الذي لقد قيد اللـــه له في قريضه كل شارد
من معان لو حاز منها أبو الطيـــب[1] معنى لقال حزت المحامد

(١) أحمد بن الحسين أبو الطيب المتنبي الكوفي ، نشأ بالشام ، وتنقل في البادية يطلب الأدب ، ووفد على سيف الدولة في حلب ، فمدحه وحظي عنده ، وقصد العراق وبلاد فارس ، ومدح عضد الدولة مليكها ، ثم قتل بالقرب من النعمانية من سواد بغداد سنة (٣٥٤ هـ) . وديوان شعره مطبوع ، وعليه شروح وافية .

أو نحا نحوها الوليد [١] لقلنا والداً صرت يا سنيّ الموارد
أوشذا مثلها حبيب [٢] لحاز الحسـن طرا وقد سما للفراقد
اين منها بدائع ابن سناء [٣] الملـك حسنا مرونقا ومقاصد
أين منها ما زخرفوه من القو ل وقالوا هنا محط الفوائد
ذاك والله ضاع وصفاً وهذا ضاء إذ ضاع منه أسنى الفوائد
بمديح الذي قد اختاره الاله رئيساً على جميع الأعابد
أحمد المصطفى الظهور فأمّ خير أمّ ووالد خير والد
صلوات مطيبـات توالى تربه ما صلى وسلم عابد
وتعم الآل الكرام والأصـحاب جميعاً ما خر لله ساجد

وله في رثاء شيخه القطب الحفنى قصائد طنانة ، وله جملة أراجيز ، منها أرجوزة في تاريخ وقائع علي بيك ومحمد بيك . وله قصيدة من بحر الطويل ضمنها ما وقع للأمير مصطفى بك مولى محمد بك في سنة أربع وتسعين في طريق الحجاز حين ولي أميراً على الحج ، وهي بديعة سلسلة النظم ، حاوية وقائعه التي جرت له مع العربان ، وحلاوتها أوردت منها جملة ، وسماها تغريد حمـام الأيك ، فيما وقع لأمير اللوا مصطفى بك وهي هذه :

---

(١) أبو عبادة البحتري الطائي ، خرج من ديار الشام إلى العراق ، فمدح جعفراً المتوكل على الله ، وخلقاً من الأكابر والرؤساء ثم عاد إلى بلده منبج من أعمال حلب ، وتوفي بها (سنة ٢٨٤ هـ) له ديوان شعر وكتاب الحماسة ، وكلاهما مطبوع .

(٢) حبيب بن أوس الطائي أبو تمّام ، أحد أمراء البيان ، ولد بجاسم من قرى حوران ، ونشأ بمصر ، واستقدمه المعتصم إلى بغداد ، فأجازه وقدمه على شعراء عصره . ديوان شعره ، وديوان الحماسة كلاهما مطبوع .

(٣) هبة الله بن جعفر بن سناء الملك السعدي ، مصري المولد والوفاة ، كان وافر الفضل جيد الشعر ، كتب في ديوان الإنشاء بمصر ، له : « دار الطراز » في عمل الموشحات ، وديوان شعر . توفي سنة ٦٠٨ هـ .

إمارة حج البيت في سالف العصر هي المنصب الأعلا وحقك في مصر
وخدمة وفد الله جل جلاله هي النعمة العظمى لمغتنم الأجر
تنافس فيها الأولون وعظموا امارتها في الخافقين مدى الدهر
وقام بها الأهلون وافتخرت بها ملوك بني عثمان في البر والبحر
وهان علىٰ الحجاج من فقد مالهم وما عندهم انفاقه أنفس العمر
وطاب لهم نوم العقنقل بعد ما استراحوا على تلك الأرائك القصر (١)
ولذ لهم بعد الفرات ودجلة ونيل الهنا شرب الأجاج مع المر
وصاموا وهاموا في جمال حبيبهم وظلوا سكارى لا بكأس ولا خمر
وأقلتهم صوت المنادي فأعلنوا إجابته في عالم الغيب والذر
وفي عالم الملك المشاهد طلقوا منامهم شوقاً إلى البيت والحجر
وشدوا على العيس الرحال وأخلصوا سرائرهم لله في السر والجهر
وساروا وزند الشوق بين ضلوعهم له شرر أذكى لهيباً من الجمر
وخلوا ديار الانس بعد مسيرهم يغرد فيها بلبل الدوح والقمري
وفيها من الغادات كل خريدة إذا ابتسمت تغنيك عن طلعة الفجر
وحجوا وطافوا البيت سبعا وعرفوا وزاروا رسول الله ثم أبا بكر
وعادوا إلى الأوطان ليس عليهم ذنوب ولا اثم كما جاء في الذكر
وفي عام الف تم ، ثم ومائة وأربعة من بعد تسعين في الحصر
تولى أمير الحج مفرد عصره كريم السجايا ذو المهابة والفخر
أمير اللوا كنز الصفا مصطفى الوفا مبيد العدى بالمرهفات وبالسمر
بديع الحلى مولى الأمير محمد أبي الذهب المحفوف بالعز والنصر
أمير اللوا من كان سلطان عصره فريداً وحيداً بالتكلم في مصر
وكان كبدر التم في أفق العلا وكان هلال السعد في غرة الدهر
فسار على نهج العلا مصطفى الوفا وشيد أركان الإمارة بالفخر

(١) لعله : (في القصر) .

وشدّ جواد العزم والحزم والقوى وعظم شأن الحج في ذلك العصر
وأنفق أموالاً عليه كثيرة وفاز بتحصيل الثواب مع الأجر
وقضى شؤوناً بالحجاز تعلقت وأحكمها بالعقل والنقل والفكر
وقد وضع الأشياء طراً محلها ودبرها تدبير مجتهد حبر
وجهز ما يحتاجه من ذخائر ووجهها نحو السويس على الظهر
وسير منها جانباً نحو جدة وأرسل باقيها إلى ينبع البر
وقرر حقاً في الوظائف أهلها وقلد أجيادَ المناصب بالدر
وأمسى خلي البال بعد اشتغاله وأصبح بعد الكل في راحة السر
وقد عملت أرباب دولة عزه على كل أمر مقتضاه بلا كبر
وفي شهر شوال المبارك زينت لموكبه أطلال مصر من الفجر
وسرت به الآفاق وابتهجت به جميع القرى والسعد وافى مع البشر
وأضحت بقاع الأرض مخضرة الربا وأضحت رياض الزهر مبهجة الثغر
وسلمه شيخ الكنانة محملا قد افتخرت مصر به غاية الفخر
ونالت بنو عثمان حظاً به على جميع ملوك الأرض في البر والبحر
وسار به كالبدر عند تمامه وأتباعه الأمجاد كالأنجم الزهر
وماس به يهتز في حلة البها على صافن مثل النسيم إذا يسري
وبين يديه الدفتدار [1] وحوله صناجق [2] مصر في ازدهاء وفي فخر
ومن خلفه الفرسان من كل جانب أحاطت به مثل الكواكب بالبدر
بأسلحة كالبرق تخطف عمر من دنا نحوه بالسوء والغدر والشر
وما زال يسعى مع سلامة ربه بمحمل طه ذي الفتوحات والنصر
إلى أن دنا من حصوة طاب ريحها ونسمتها تشفي العليل من الضر
وأنزله فيها وبات بها وقد دعته إلى مصر دواعي الهوى العذري

---

(١) كبير المحاسبين .

(٢) الأعلام .

وأصبح فيها قائماً هائماً له ... حنين الى الجوزا وشوق الى بدر
وبات بها والقلب خيم باللوا ... وأم القرى ذات الفضائل والفخر
وأصبح منها سائراً متوكلا ... على الله رب البيت والركن والحجر
وفي بركة الحج الشريف أتى بها ... محط رحال الوفد من سائر القطر
أقام بها حتى انقضت يا أولي النهى ... مهماته طرا وأعلن بالشكر
وغلق واستوفى جميع الذي له ... وللعرب العربا من الذهب التبر
وغلق أيضاً بعد ذا مال صرة ... أعدت لأشراف الحجاز مدى الدهر
وأقبلت الحجاج من كل جانب ... عليه وأضحى ملجأ العبد والحر
وفي سابع العشرين دقت طبوله ... وسار كبدر التم في رابع العشر
وصحبته الحجاج طرا بأسرهم ... وزوار طه ملجأ الناس في الحشر
وودعه شيخ الكنانة قائلا ... تعود الينا بالسلامة والجبر
وتنظر مصراً في السرور وفي الهنا ... ونحن بخير سالمين من الضر
وبالحج فافعل كل ما أنت أهله ... من الخير والإحسان والحلم والبر
ولا تنسنا في البيت من صالح الدعا ... وفي حجر اسماعيل يا طيب النشر
وفي عرفات والمحصب من منى ... وفي الروضة الغرا تجاه أبي بكر
وفي ينبع مع بدر والقاع فاحترس ... من العرب العرباء في الورد والصدر
ولا تأمن الصفرا ونقب عليها ... فانها يا ذا العلا بقعة الشر
وكل قليل يا أمير اللوى لنا ... فوجه بشيراً عاقلا كاتم السر
ومن بعد ذا كل الصناجق أقبلت ... تميس دلالا في ثياب الهوى العذري
وعانقهم مذ عانقوه وودعوا ... وأدمعهم فوق المحاجر كالقطر
وأحبابه طرا تقول له مع السلامة يا ذا العز والمجد والقدر

وهي طويلة . توفي المترجم في شهر ربيع الأول سنة عشر ومائتين وألف من هجرة النبي ﷺ .

استدراك

الشيخ محمد بن حسن بن ابراهيم الشهير بالبيطار الدمشقي الميداني

فات مؤلفنا العلاّمة أن يترجم لشقيقه الأكبر الشيخ محمد البيطار، مع انه ترجم لولده الشيخ محمود، وإنا ننقل ترجمته عن منتخبات التواريخ للتقي الحصني، وروض البشر للأستاذ الشطي، ومما كتبه هو بقلمه رحمه الله تعالى.

قال في منتخبات التواريخ (ج ٢ ص ٨٥٨) : ومن الأسر الشهيرة في العلم والفضل في حي الميدان ودمشق (بنو البيطار) خرج من رجال هذا البيت جماعة من أجلة العلماء، والشعراء، تقدم ذكرهم في كتابنا في العصر الأخير، وهم الشيخ محمد أمين الفتوى، وله ذرية كبيرة نجيبة، والمؤرخ الشهير الشيخ عبد الرزاق وله أحفاد نجباء، والشيخ عبد الغني وله ذرية أدباء، والشيخ سليم أحد أركان رجال هذا البيت. مات (سنة ١٣٤١ هـ) وقد أعقب ذرية نجيبة، عرفنا منهم الشيخ جميل إمام جامع الدقاق، وحسني بك المحاسب المركزي لمالية دمشق. واشتهر منهم بالفضيلة والعلم، الشاعر الشهير الشيخ بهاء الدين، وهو والد صديقنا الشيخ محمد بهجة من علماء دمشق، ومن مدرسي الحرم المكي اليوم (أي من سنة ١٣٤٤ هـ إلى سنة ١٣٤٩ هـ) اهـ. بتصحيح قليل

وذكره الأستاذ الشطي في وفيات سنة ١٣١٢ هـ فقال : ان المترجم من كبار علماء دمشق وفقهائها وهو أمين الفتوى بها أكثر من ثلاثين سنة، ثم نقل ترجمته عن التقي الحصني وزاد عليها زيادات جعلها بين هلالين، ونحن نثبتها كما وردت، قال : هو محمد بن حسن (بن ابراهيم) الشهير بالبيطار الدمشقي الميداني (الشافعي ثم) الحنفي، الشيخ المعمّر أمين الفتوى بدمشق. (ولد في حدود سنة ١٢٣٠) وقرأ على والده، وبه كان أكثر انتفاعه، وأدرك الطبقة العليا من الشيوخ الأعلام، وأخذ عنهم حتى برع في جميع العلوم المنطوق منها والمفهوم، (وتولى أمانة الفتوى في دمشق بزمن أمين افندي الجندي والعلامة الحمزاوي والسيد المنيني) وانفرد في الفقه، وأصوله،

(ونال رتبة ازمير المجردة) فاشتهر فضله وعم نفعه ، وقصدته الناس في أمر دينهم ودنياهم ، وفي كل اختلاف بينهم ، حتى كانوا يستفتونه وهو سائر في الطريق ، فيقف لهم ويفتيهم ، وقد اشتهر أنه أعلم من بعض المفتين . وكان يرزقه الله من حيث لا يحتسب ، وكانت وفاته سنة ١٣١٧ (صوابه عام اثني عشر وثلاثمائة والف) انتهى .

وهذه شذرة من كلامه ، تدل على جلالة قدره وعلو مقامه ، وهي إجازة له من شيوخه الكثيرين ، في قراءته لكتاب (إحياء علوم الدين) قال رحمه الله تعالى : قد أخذت هذا الكتاب عن أساتذة فضلاء ، وجهابذة كرماء ، ما بين مكيين ومدنيين ومصريين وشاميين ، ورومين ، ولكن لا أذكر منهم إلا من أرضعني بلبانه ، وربأني بتأديبه وإحسانه ، وعندي هو من أجلهم بل أجلهم ، ومن أحسنهم هو بل أحسنهم ، بركة الوقت في زمانه ، (الى أن قال) : قد أخذت بالإجازة كتاب إحياء علوم الدين عن والدي المرحوم حسن بن ابراهيم البيطار ، عن شيخه الإمام الشيخ صالح الزجاج ، عن محدث الشام الشيخ محمد الكزبري ، عن الصالح والده القطب الشيخ علي الكزبري ، عن العارف بالله تعالى الشيخ عبد الغني النابلسي ، عن شيخه عبد الرحمن الكزبري وعن خاله الشيخ عبد الباقي الحنبلي ، عن الشمس الميداني ، عن الشهاب الطيبي ، عن الكمال بن حمزة ، عن القاضي أبي حفص الحنبلي ، عن سليمان بن المحب ، عن محمد بن العماد ، عن أبي سعد السمعاني عن محمد بن ثابت عن مؤلفها الإمام الزاهد ، الفقيه المقدام زين الدين ، أبي حامد ، محمد بن محمد بن محمد ابن أحمد الغزالي ، حجة الإسلام (إلى أن قال) فانتقل الى رضوان الله تعالى عن خمس وخمسين سنة اهـ وقد أجاز الشيخ محمداً أخوه في الطلب والتحصيل على والده الشيخ حسن البيطار ، عن الشيخين عبد الرحمن الكزبري وحامد العطار ، بشرطه المعتبر .

السيد محيي الدين باشا بن السيد الأمير عبد القادر بن السيد محيي الدين الجزائري الحسني المتصل نسبه بسيدي عبد القادر الجيلاني الحسني رضي الله عنه

انني لم أجد عبارة تفي في حقه بالمدح ، غير أني أرسلت اليراع يجول في ميدان الفتح ، ومن أين لي ان اترجمه بما يليق ، أو ان اصفه بما هو به حري وحقيق ، وهو الأمير الذي ورث الإمارة عن أبيه وجده ، والشهير الذي استوى على عرش الفضائل باجتهاده وجدّه ، والأديب الذي يمتزج كلامه بإجزاء النفس لطافة ، والأريب الذي رق طبعه حتى حاكى النسيم رقة ونحافة ، تحلى بالمكارم فكانت مقصورة عليه ، وتجلى على عرش الكرائم المنتسب أكرمها إليه ، ولقد لحظته عين السعادة فقصرته من كل محبوب على الأعلا ، وجذبته يد السيادة لكل مرغوب فقلدته منه بالأولى ، ورفعه ساعد العلم إلى ذروة الكمال ، ووضعه صائب الفهم الثاقب على نقطة الاعتدال ، فله من الملح ما يزري بنوافث السحر ، ومن المنح ما ينقل ذوي الحاجات إلى الغنى بعد الفقر ، وان سألت عما ناله من رقيق الاخلاق وانيق اللطف والارتفاق ، فهو واحد هذا العصر بل نادرة الزمان وثمرة الدهر ، وأمّا طلاوة نظمه ونثره ، وحلاوة قريضه وشعره :

يستنّبط الروح اللطيف نسيمه أرجاً ويوكل بالضمير ويشربُ

فلعمري ان عقود ألفاظه أحلى من عقود النحور ، وابكار معانيه لومازجها النسيم لأزالت ملاحتها ملوحة البحور ، فما من جارحة إلا وهي تود لوكانت أذناً فتلتقط ثمين جواهره ، أو عيناً لا تنفك عن مطالعة طرائفه ونوادره ، أو لساناً يدرس محاسنه وشمائله ، أو قلما يرقم مآثره وفضائله . وبالجملة فقد نال في الأدب رتبة عجز غيره عن استعلامها فضلاً عن علمها ، وحاز فهمه الشريف منحة كلّ غيره عن استفهامها دون فهمها ، تنتهي إليه محاسن الألفاظ وتزدهي معانيه على غمزات

الألحاظ ، فأشعاره قد طارت في الآفاق ، وانعقد على كمال جمالها الاتفاق ، لا يُبلي جِدّتها الجديدان ، ولا تزداد إلا حسناً على تردد الأزمان ، قد كادت الأيام تنشدها طربا ، والأنام توردها حلية وأدبا ، ونثره يقطر ظرفاً ويمزج بالراح رقة ولطفـا ، لسان الراغب في مدحه عن مراده قاصر ، وقلم الكاتب عن استيفاء حليته في ميدان جولانه حائر ، فلا ريب انه عين الزمان ويمينه ، لو حلف الدهر ليأتين بمثله حنثت يمينه ، فهو بحر كله جود ، وحـبر كل فضل في ذاته موجود ، مع تواضع يفرغ على مجالسه جلباب السرور ، ولطف يجلب لمؤانسه كل حبور ، ومنطق تحامى عن النطق بما يعاب ، ووجه بشوش يوهم المسيء له انه بفعله أصاب ، غير ان يده قد صالت على ماله ، فلا ترد يد مستمنح خالية من نواله ، كثير المروءة والفتوة ، يميل في أموره إلى الحزم والقوة . حسن المجالسة عذب الاستشهاد ، لا يأتي جليسه بمعنى من العلوم إلا واستشهد له بأبيات من حفظه أو نظمه حسب المراد .

وقد أخبرني حفظه الله حينما سألته عن مقدار ما يحفظه من الأبيـات الشعرية ، فقال : ما ينوف على عشرين ألف بيت من نظمه ونظم غيره زيادة على المحفوظات النثرية ، يهوى الاطلاق والطرب ومذاكرة العلوم ، ويأبى الترفع والتحجب والتمسك بأحوال ذوي الرسوم ، ويقول بأن رفعة القدر والشأن ، ليس بالعجب والكبر وسلاطة اللسان ، وكيف لا يكون كذلك وهو فرع شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، قد اتصلت بسيد الرسل وسند الأنبياء.

وأما والده فهو علم الفضل والإنصاف ، وشرف النعوت والأوصاف ، افتخر به الآباء والبنون ، وتجملت بفضائله الشهور والسنون ، شهرته من الأنام شهرة القمر ليلة بدره ، ومحلته من الكمال حيث يستمد كل ذي قدر من قدره ، وهذا المترجم نتيجة ذلك الأصل ، فلذا تفرد في زمانه في الكمال والفضل ، تحقق بأنواع العلوم الحديثة والقديمة ، وتعشق في الطريق الواضح فكان لا يسلك غير الطريقة القويمة ، وناهيك بهذا الشرف العظيم والفضل الجسيم .

ولد حفظه الله في ثالث ربيع الثاني سنة تسع وخمسين ومائتين والف باقليم الجزائر ، ونشأ في حجر والده عمدة السادة الأكابر ، وحفظ القرآن عن ظهر قلب وهو ابن ثمان سنين وشهور ، وأقبل على حفظ المتون في أنواع العلوم ما بين منظوم ومنثور ، ثم قرأ فقه المالكية على الشيخ محمد بن عبد الله الخالدي المغربي وعلى غيره من العلماء الأخيار ، وقرأ جملة من الفنون على الفاضل الدمشقي الشيخ محمد الجوخدار . ثم قرأ على الإمام الكامل والهمام الفاضل الشيخ محمد الطنطاوي الأزهري الكتب الكبيرة في أنواع العلوم ، وحضر على والده الحديث والتوحيد ، وأجازوه جميعاً بما تجوز لهم روايتــه من منثور ومنظوم . ولما رأى فيه والده الأهلية للتدريس العام ، أمره بأن يقرأ درساً بحضرته وحضرة العلماء الكرام ، فامتثل أمر والده المبرور ، وكان يرى على وجهه حين حضوره في درسه البشر والسرور ، وأجازه على ذلك ترغيباً له بجائزة سنية ، وتفرس به الترقي إلى الرتب العليــة ، وكان سنه إذ ذاك ثمانية عشر ، حتى تعجب من نبله وفصاحته وجسارته من حضر ، وفي سنة احدى وثمانين ومائتين والف ، أنعم عليه السلطان الغازي عبد العزيز خان ، برتبة ازمير مع النيشان العثماني من الرتبة الثالثة ذات القدر والشأن .

وفي عام اثنين وثمانين في ثالث ذي الحجة الحرام من الهجرة النبوية ، توجه للسياحة في البلاد الافرنجية ، فتوجه إلى رومة وبلاد ايطاليا ، ثم إلى مملكة سويسرة ، ثم إلى عاصمة الفرنسيس ، وفي ثاني يوم وصوله زار الامبراطور نابليون الثالث فأكرمه وعامله بغاية الاقبال والتأنيس ، ودعاه إلى مائدته وبالغ في مودته ، ثم استأذن منه في السياحة في أنحاء مملكته ، فدارها ثم رجع إلى العاصمة فاستأذن من الامبراطور في الرجوع إلى أهله وبلدته ، فجدد اكرامه وأهداه نيشاناً وودعه بكل اقبال ، فتوجه إلى البلاد المصرية فساح بها مدة ثم رجع إلى محل اقامته بعد ذلك الترحال ، وكان مدة ذلك

ستة أشهر هلالية ، فعاد إلى حاله وكماله بهمة قوية . ثم في سنة تسع وثمانين في شهر رجب ، وقع بين دولة فرنسا وألمانيا للقتال أعظم سبب ، فانتشبت بينهما نار الحرب ، وتقابلت الدولتان بالسفك والطعن والضرب ، وآل الأمر في مدة أربعة أشهر إلى انتصار ألمانيا على الدولة الفرنساوية ، وتكبدت فرنسا خسائر ومشقات قوية ، فخطر في بال المترجم أن الحرب يطول بين الدولتين ، فينتهز الفرصة لتخليص وطنه الجزائر من يد فرنسا ويزيل عن الوطن الكدر والغين ، فتوجه بقصد الزيارة في الديار المصرية ، فحينما وصل إلى مدينة اسكندرية ، توجه منها إلى تونس الغرب ولم يعلم أحد نيته الخفية ، فأكرمه حاكمها صادق باشا وشاع ذكره في ذلك القطر عرضاً وطولا ، وأنزله ذلك الحاكم عنده وأهداه نيشاناً من الرتبة الأولى ، فقصد المترجم التوجه منها إلى الجزائر ، فلم يتمكن من ذلك نظراً لما ناله من الاشتهار ، الذي ملأ تلك النواحي والأقطار ، فحرر لرؤساء الجزائر نحو المائتي كتاب ، لكي يتهيأوا لمحاربة فرنسا عند قدومه المستطاب ، وأرسلها من تونس مع الرسل الخفية ، ثم ودع الباشا مظهراً له قصد الرجوع إلى الديار الدمشقية ، فتوجه إلى مالطه ، وحين وصوله إليها أخفى نفسه وتنكر ، ولبس لباس الدراويش وظهر في غير ذلك المظهر ، وتوجه إلى طرابلس الغرب ، فحينما وصلها أرسل ثقله مع بعض الخدم في البحر إلى مدينة قابس ، وهو قد توجه براً متكبداً لمشقات لم يكن على مثلها بمارس ، إلى أن وصل لبلاد الجريد ، ومكانهما عن حدود الجزائر غير بعيد ، فهناك أظهر حاله للناس ، ولم يخش على نفسه من بأس ، ومن عجيب ما اتفق له أن شخصاً من المنصورة (قرية من قرى جريد) كان مرافقاً له من طرابلس متوجهاً إلى قريته ومحل إقامته ، فكان يسأل رفقاء المترجم عنه ، فيقولون له رجل من أشراف الجزائر كان في الحجاز ، فيقول لهم هذا ابن ملك أو أمير حقيقة لا أقصد المجاز ، ولم يمكنهم اقناعه بحال ،

إلى أن وصلوا إلى قريته ، فقال لهم ان عدم نزولكم عندي من المحال ، فنزلوا عنده فما استقر به المجلس حتى جاء للسلام عليه حاكم البلد ، وبعده نحو الأربعمائة فارس من ذوي الشجاعة والجلد ، وكان قد أرسل لهم يخبرهم بوصوله ، فسلموا عليه وعاهدوه على القيام معه حسب مأموله ، ثم انه سأل عن رفيقه صاحب الدار ، فقال له رجل من أقـاربه انه يقدم لحضرتك عن عدم حضوره جميل الاعتذار ، حيث انه من نحو سنتين قتل شخصاً وفر لطرابلس ، والآن قد رجع خفية لرؤية عائلته ثم يرجع ، فلما رأى حاكم البلد والخيل معه ظن انهم حضروا للقبض عليه ففر منهم ، فعند ذلك تذاكر المترجم مع حاكم البلد وطلب منه الصفـح عنه حيث انهم ضيوفه ، فأجابه الحاكم بأنه ان يسمح عنه أهل المقتول فأنا أسمـح عن حق الحكومة ، فأحضروهم وكلموهم أن يسمحوا على الدية ، فسمحوا في الحال بلا دية نظراً الى خاطر المترجم ، ثم فتشوا على الرجل فبعد الجهد وجدوه مختبئاً في مكان ، فأحضروه عند الحاكم وأخبره الحاكم بأن أهل المقتول قد سمحوا عنه ، وكذلك هو نظراً لخاطر المترجم ، فعندها قال الرجل لأتباع المترجم كيف رأيتم فراستي في الدرويش ، مع كونكم أجهدتم أنفسكم في إقناعي فما قدرتم ، وقد أشار الى ذلك في قصيدة طويلة أرسلها الى أخيه سعادة محمد باشا :

طوراً تراني مختف متنكراً كيما أرى من ماء قصدي أستقى
والبدر لا يخفيه جنح دجنة والمسك لا يخفى وإن لم يفتق

وسأورد بعض هـذه القصيدة عند ذكر نظمه ، ولنرجـع الى ذكر بعض ما وقع له في الجزائر ، فانه لما وصلت كتبه إلى رؤساء الجزائر من تونس ، استبشروا ولم يعد لهم صبر لانتظـار قدومه ، فتراسلوا وتؤامروا وأظهروا العصاوة على دولة فرنسا ، وانتشب القتال بينهم في كل مكان ، فلما وصل اليهم بايعوه على السمع والطاعة ، ووقعت بينه وبين الجيوش

الفرنساوية مقاتلات عديدة ، ما عدا التي وقعت بأمره في عدة أماكن ولم يحضرها ، وقد قتل ألوف من الفرنساوية ، ولكن حيث ان الباري لم يقدر خلاص الجزائر من اليد الفرنساوية تصالحوا هم وألمانيا ، وأرسلوا في الحال جيوشاً جرارة لمحاربته ، فتيقن عند ذلك بعدم اقتداره على مقاومتهم ، والتمست دولة فرانسا من حضرة والده إرسال أمر ونصيحة له ، فعندها رجع الى حدود تونس بمن معه ، ثم بقيت أهـالي الجزائر في تونس ، ورجع هو الى الشام ، وبقي في ثغر صيدا نحو السنة ، ثم رجـع الى دمشق عند والده ، وقد سألته بعد مدة معاتباً له عن عدم إخباره لي بما عزم عليه من السفر الى الجزائر ، وما ترتب على ذلك ، فاعتذر لي بأن هذا من الأمور المكتومة التي لا يمكن إبداؤها لأحد ، وأخبرني أيضاً حفظه الله انه لما خطر له هذا الخاطر ، ورأى أن أسباب اغتنام الفرصة متسهل بواسطة الخلاف الذي وقع بين فرانسا وألمانيا ، عظم عليه الأمر واشتد عليه الخطر ، وعلم ان دون ذلك مسالك جسيمة ومهالك عظيمة ، وشديد مشقات عميمة ، تباطأت عزمته وفترت همته ، فجرى على فكره نظم هذه الأبيات ، فلما أتمها وقرأها عادت له همته أعظم من الأول وهي :

على ماذا الخمول وأنت قرم ... مطاع في العشـائر لا تمارى
وانك لا تنـال المجد حتى ... تقود عرمرماً يملا القفـارا
تعوض من شدا الشادي صهيلا ... وعن طيب الغوالي اعتض غبارا
وأطيب من عناق الخود حقاً ... عناق مدرع يورى الشرارا
فقومي سـادة عرب كرام ... بغير الحرب ما نالوا فخارا

ثم انه في سنة ست وتسعين ، أنعم عليه حضرة مولانا السلطان الغازي عبد الحميد خان برتبة مير ميران [١] الرفيعة ، ثم في سنة ثلاثمائة وثلاث ، رقـاه الى رتبة روملي بيكلر بيكي ، وكان قد عين له بعد انتقال والده

(١) أمير الأمراء .

معاشاً في كل شهر خمسين ليرة عثمانية من الخزينة السلطانية ، حيث انه رفض معاش دولة فرانسا التي طلبت منه أن يكون من رعيتها هو واخوته ، وتعيد لهم معاش والدهم على التمييز والاستحقاق لا على التسوية .

ولنورد شيئاً من شعره وبديع نثره الذي هو أرفع من الدر قدرا ، وأضوع من المسك نشرا ، فمن ذلك وكان متنزهاً في صالحية دمشق بحديقة الشيخ الأكبر في فصل الربيع ، فقال :

لله در الصالحية مذ بدت	محفوفة بحدائق النـوار
فكأنما هي غادة حفت بها	سود المحاجر في جمال نَوَار[1]
حوت المفاخر اذ غدت للحاتمي	داراً فأضحت مطلع الأنوار

ومن نظمه حفظه الله موريا باسم فائق :

يقول معذبي هل حسن وجهي	لبدر التم يشبه أو يطابق
فقلت وحق من أعطاك حسناً	ملكت به القلوب لأنت فائق

وله متغزلاً حفظه الله :

دعوني فالغرام أذاب قلبي	وأحرق مهجتي هجران حبي
أيا أهل الهوى كرماً أعينوا	جريح لواحظ وقتيل حب
أنا المفتون واويلاه حالي	غريب في الهوى عن كل صب
ملاح الشرق تيهوا قد أخذتم	أسيراً في الغرام أمير غرب
رويت الحرب عن آباء صدق	فها أنا ذا الأسير بغير حرب
لعمرك ما خشيت سواد جيش	فمالي قد خشيت سواد هدب

ومن نظمه تشطير هذه الأبيات ، وانه يصعب تشطيرها لشدة ارتباطها :

أنا والحب ما خلونا ولا طر	فة طيف يا صاح هذا عجيب
ما تواصلنا ساعة ولا طر	فة عين إلا علينا رقيب
ما خلونا بقدر ان مكن الدهـ	ـشة اني عن السلام اجيب

(١) زوجة الفرزدق .

ليس لي فرصة وقد فني العمـــــر بأني أقول انت الحبيب
بل خلوتا بقدر ما قلت انت الـ ح فلاح فقلت سيب النسيب
ومرضت فعادني قلت جاء الـ ح فوافى فقلت كيم الطبيب

ومن نظمه أطال الله بقاه ، وجعل في مدارج السعادة مرتقاه :

تأمل في بديع الحسن واعذر به صبا لقــد خلع العذارا
من احداق الورى قد صاغ خالا ومن أجفانها جعل العذارا
له لحظ ينـــادي من رآه هلموا واتركوا عشق العذارى

وله دام علاه تخميس على لامية العجم أوله :

الله عظم مقداري من الأزل وزادني شرفاً كالشمس في الحمل
وان رماني العدابالنقص والزلل أصالة الرأي صانتني عن الخطل
وحلية الفضل زانتني عن العطل

ولي جدود لبند المجد قد رفعوا عدت جميع الورى طبعاً له تبع
واني مقتفٍ آثار ما شرعوا مجدي أخيراً ومجدي أولاً شرع
والشمس رأد الضحى كالشمس في الطفل

وله أحسن الله اليه ، وأسبل جميل امتنانه علينا وعليه ، موريا في اسم خنجر:

يا قاتلي بلحاظ سيوفها لي أشهر
اني لأضعف عنها يكفي لقتلي خنجر

وله ألبسه الله حلة السرور ، وأجلسه على ذروة الحبور :

اشرب على البدرين شمس مدامة بدر السماء وبدرنا في المجلس
واغنم زمان الأنس لا تسمع لمن يلحو المتيم في ارتشاف الأكؤس
ما العيش إلا راحة في راحة تجلى عليك من الغزال الألعس
يا أيها الظبي الذي ملك الحشا وغدا له شغل بقتــل الأنفس
ارحم أميراً في هواك أهنته وغدا ذليـلا للعيون النعس
ما هاب من جيش يضيق به الفضا وبدا طعيناً بالقـــدود الميس

ومن نثره كتابه لأخيه الأمير محمد باشا كتبه له من ثغر صيدا :

ان اطرب من خفق الأعواد ، ومن ترجيع البلابل على الأعواد ، ومن كؤوس الحميا يطوف بها بهي المحيا ، في روض زاهر ، غض الأزاهر ، ومن نقر المثاني والمثالث ، ومن وصل أليفيّن ليس بينهما ثالث ، سلام عطري النشر ، يبشر قتيل الفراق بالنشر ، ويؤذن مطوي أيام التلاقي بالنشر ، تتحمله وتؤديه ريح الجنوب ، من مشوق تتجافى عن المضاجع منه الجنوب ، إلى ذي المنصب العالي ، وواسطة عقد المعالي ، وفريدة سمط اللآلي ، والبدر المنير في مدلهمات الليالي ، إذا امتطى صهوة جواد ، ازرى بكل فارس بطل جواد ، فكأنه بدر فوق نسر ، أو أسد ممتط النمر ، وإذا جرد بسّام هنديه في يوم بالقتال حالك ، قال النحس لأبطال أعدائه اليوم يا سوأة حالك ، له يد أحوالها كعدة البنان ، ليست إلا لمسك عنان ، أو هز هندي وسنان ، أو تحبير رسائل ، أو اعطاء سائل ، أو تقبيل عدو خاضع ، ذليل منكسر متواضع ، أعني الأخ الشقيق والبر الرفيق ، وارث المفـــاخر كابراً عن كابر ، الأمير محمد باشا ابن الأمير عبد القادر ، لا زال الدهر له يساعد ، ويمده باليد والساعد . أما بعد إهداء التعظيم الواجب ، من صميم قلب بالفراق واجب ، فإن تفضلتم بالسؤال عن حالي ، فهو لله الحمد بمر الصبر حالي ، مُتَسَلِّقٍ بتعظيم المقدار ما أوجبته حكمة الأقدار ، والدهر ذو إحاله فلا يدوم على حاله ، فمن ذا الذي أساءه وما سره وأين يوجد من نفعه وما ضره ، وفي مطالعة أخبار من سلف ، تسلية وموعظة لمن بعدهم قد خلف .

ومن نثره ونظمه أيضاً جبل الله القلوب على محبته ، وأدام لهم إشراق طلعة سعادته ، ما كتبه إلي يدعوني للحضور في قريته المعروفة بالكَفرين ، الواقعة في ناحية المرج ، بينها وبين دمشق نحو أربع ساعات ، وصورة ما كتبه :

فديتك عجل اللقيا وبادر ‏ ‏ فانك سيدي للكون بادر

فذا زمن الربيع أتى وحيا ... بأنواع اللطائف والأزاهر
فأضحى الروض يضحك من سرور ... وكل مُنىً سواك لديَّ حاضر
فديتك أنت تعلم ان حظي ... من الدنيا هواك به أفاخر
فلا تمهل بحق الود واسرع ... فها طرفي لنحو الطرق ناظر

حضرة عالم الأدباء وأديب العلماء ، العالم الأديب العلم ، فارس المنبر والقلم ، نخبة عصرنا وزينة مصرنا ، من جبل الله القلوب على محبته ، فغبطته الناس على عَليِّ مرتبته ، أخي وصديقي ومناي من الدنيا ورفيقي ، الشيخ عبد الرزاق افندي البيطار ، حفظه الله في الاقامة والاسفار . مولاي : اني خرجت الى القرية لأنزه الخاطر ، وأجلو برؤية الخضرة صدى الناظر ، فوجدت الربيع قبل وصولي قد وصل اليها ، وهيأ كل ما تشتهيه الأنفس وتفضل عليها ، وكسا الأرض بالحلل الخضر ، والأغصان بالتيجان البيض والحمر ، وطيبها نسيم الصبا بالمسك الأذفر ، وبعده ريح الغرب بالعطر والعنبر ، فأسرعت اليها شعراء الأطيار ، لأجل اداء التهنئة بما نالته من الأوطار ، فأطربت القلوب بتسجيعها ، وشنفت الآذان بلطيف ترجيعها ، وماست الأزهار من الطرب ، ورقصت الأغصان فرحاً ولا عجب ، فعندها اصطفت ندماني ، وابتدوا بضرب المثالث والمثاني ، ثم بعد أن أطربوا الفؤاد ، وأزالوا الهموم برائق الانشاد ، أخذوا في المذاكرة ، وشرعوا في المحاورة ، فكان أول شيء ذكرُهم لبعض ألطافكم ، وما حزتموه من بديع أوصافكم ، فتنغض على الحضور بسبب إبطائكم السرور ، وقد كان حصل وعدكم الشريف بأنكم تتفضلون علينا بالتشريف ، فطلب مني جميعهم إرسال رسالة لتحثكم على سرعة الإجابة بدون إطالة ، فبادرت بإرسال هذا الكتاب ، وأملي أن تكون رؤية طلعتكم هي الجواب ، وبصحبتكم صاحب القلب السليم ، سيادة أخيكم الشيخ سليم ، وشاديكم قرة العين ، النجيب السيد حسين ، وها هي جياد الخيل واصلة لأعتابكم ،

وواقفة مسرجة ملجمة ببابكم . وأسأل الله أن يديم سرورنا بكم على الدوام ، ما فاح على الرياض مسك ختام . وغب وصولنا اليه ، وتمثلنا بعد السلام بين يديه ، أنشدنا وقال :

أهـلاً بمقدم سادة قد شرفوا — ولذي الوداد بقربهم قد اسعفوا
حازوا اللطائف والفضائل كلها — سروا الفؤاد وللمسامع شنفوا
دامت مسرتهم ودام علاهم — فعلى مودتهم فؤادي أوقفوا

فقلت له على الارتجال ، مع اعترافي بأني ضيق المجال :

يا أكمل الناس في فضل وفي شرف — أنت الأمير على السادات والأمرا
حويت كل مقام عز مطلبـــه — ونلت كل كمال في الورى ذكرا
حييت بالبشر والإقبال ذا شغف — وليس ينكر ذا ان منك قد صدرا
لا زلت تاجاً على هام العلا أبدا — ودام من رام ضراً فيك محتقرا

ولقد أنشدنا لنفسه أيضاً حينما شدا الشادي على العود ، قصيدة مطلعها سعد السعود ، وكان الوقت صافيا ، والمقت بحمد الله قافيا .

بشير للصفاء غـــدا ينادي — هلموا فالأيادي في أيادي
أنا قطب السرور عليّ دارت — نجوم البسط يا أهل الوداد
إذا بأصابعي حركت عودي — غرست رياض أنس في الفؤاد

فأنشدته ما أنشأته في الحال ، حينما انحنى العواد على عوده ومال ، وأجاد وأطرب ، وانبأ عن وجده وأعرب ، وكان سعادته أمرني أن أقول شيئاً من هذا المعنى .

عجباً لعواد على العود انحنى — وغدا يتيه تواجداً وهيامـــا
وتكلما حتى فؤادي كلمـــا — وتشاكلا لذوي السماع كلامـــا
وتراقصا رقص الشجي لدى النوى — والحب أثر فيهما الأسقامـــا
وتعانقا وتشاكيـا أمر الهوى — حتى بكينا رحمة وغرامـــا

وفي أثناء حضوري عنده قال أجز هذا البيت وهو قوله :

قدم الربيع فلا تكن متواني عن نهب وقت مسرة وتهـاني

فقلت :

فالأرض قد لبست رداءاً أخضرا متلونـاً ببدائع الألوان

وقال :

وبدا يميس كغادة قد حليت وتزينت بالدر والعقيان

فقلت :

والبدر أشرق والرياض تنورقت والنهر ساح على حصى المرجان

وقال :

وبلابل الروض الأنيق لقد شدت تسبي العقول بسائر الألحان

فقلت :

وتجاوبت خطباء أنواع الطيو ر بشدوها في منبر الأغصان

وقال :

وتمايلت قضب الرياض تميس اذ هب النسيم مبشراً بأمان

فقلت :

تهتز ان مر النسيم تمايـلا كمتيم دنف الحشا ولهان

وقال :

فكأنها الأحباب بعد تشتت وتباعد قد عدن للأوطان

فقلت :

وتعانقت لحنوهـا ولشجوها وتزايدت لعناقها أشجـاني

وقال :

والزهر بين معصفر ومفضض ومذهب صاف وأحمر قـاني

فقلت :

قم يا معنى للرياض مبادرا واطرب وقل والله طاب زماني

وقال :

وانظر عجائب صنع رب قادر سبحانه من مبدع منان

فقلت :

مثل الزهور تفتحت كما ترى ... ما قد جرى في مجلس الندمان

وقال :

ورد ونسرين ومنثور زهـــا ... قد فاخرته شقائق النعمان

فقلت :

والطل ينثر كالعقود لئالئـــا ... في الجيد ينظمها كنظم جمان

وقال :

يا أيها الساقي المفدى هاتهـــا ... وأدر كؤوسك لا تكن متوانـــي

فقلت :

صرفاً بها عنا تزيح همومنـــا ... واطرح ملام مؤنب النشوانـــي

وقال :

خمراً معتقة غدت منسية ... في الدن طول تعاقب الأزمان

فقلت :

وبخمر فيك امزج كؤومي علها ... تطفي حرارة قلبي الولهان

وكنت مرة في صحبته بروضة ذات ادواح ، قد أقيمت بها مواكب افراح ، فجاء غلام حسن المحيا ، فقبل يده وسلم وحيا ، ثم بعد حصة قبل ذيله وذهب وخلف في القلوب أعظم غصة ، فحينما غاب أنشد سيدي المترجم في الحال . على الارتجال :

فديت بديع حسن قد سباني ... بطلعته وبالقـــد الرشيق

ولم أنس الوداع له ودمعي ... دماً يجري وقلبي في حريق

فمبسمه ووجنته ودمعـــي ... عقيق في عقيق في عقيق

ومنه الخصر مع شفة وعهد ... رقيق في رقيق في رقيق

فأنشدته أبياتاً كنت أنشأتها من هذا المعنى وتخلصت منهـــا بمدحه الشريف وهي :

ايا روحي وريحاني وراح ... إلى م وأنت لم ترحم جراحي

فجيدك والمحيـــا والثنايـــا ... صباح في صباح في صباح

وقربك والوصال وبعد ضدي ... صلاح في صلاح في صلاح

وعمري والملام وسوء هجري نواح في نواح في نواح
وسقمي والغرام وفقد صبري فلاح في فلاح في فلاح
وضمك والعناق ولثم خد رباح في رباح في رباح
وعطفك وابتسامك واقتبالي سماح في سماح في سماح
وعذالي ولوامي وضدي قباح في قباح في قباح
وثغرك والعيون وحمر دمعي ملاح في ملاح في ملاح
وتعذيبي وابعادي وقتلي مباح في مباح في مباح
وإني لست أشكو منك حالي ولكن بُحتُ في أصل افتضاحي
لقطب المجد محيي الدين باشا علي القدر في كل النواحي
فمها عشت في الدنيا فإني عليه قصرت شكري وامتداحي
له دام العلا ما ضاء بدر ومن عاداه مقصوص الجناح

وأنشدته أيضاً حفظه الله ورفع في الخافقين قدره وعلاه ، قولي :

هلال الحسن هلّ على جبيني ومن فرقي بدت شمس الكمال
فما لي لا أتيه على الندامى وأسمى ساحباً ذيل الدلال
دموع العاشقين عقود نحري ووصلي دونه حد النصال
ولب أولي الهوى في قيد أسري ولا يحلو لهم إلا وصالي
فكم بنصال قدي باد قرم وكم لحظي فرى مهج الرجال
فجيدي ثم نحري والمحيا هلال في هلال في هلال
وأخلاقي وألفاظي وحظي كمال في كمال في كمال

وقد اتفق لي أني مرة كنت في داره المعمورة فناولني غلام عنده وردة ، وقال أنشدني شيئاً مناسباً لذلك ، ووقف فقلت له بعد إطراق قليل :

وافى الحبيب بوردة وغدا يميس بقده
فسألته عن روضها فأشار لي من خده

فخمسها سعادة الباشا في الحال بقوله :

نلتُ الهناء بروضة قد تم لي بأحبة لما غدوا بمسرة
وافى الحبيب بوردة وغدا يميس بقده

قد شابهته بلونهـــا فكأنه وكأنهـــا فرع بأصل قد زها
فسألته عن روضهـــا فأشار لي من خده

ومرة كنت مع سعادته في البويضية قرية من قرى دمشق ، فجلس غلام معه بعيداً مني ولم يسمح بالتداني فقلت له :

كم ذا تـــذل متيما وتـــذيقه ألم النوى
فأجـــابني متبسما ان الهوان مع الهوى

وقد خمسها سعادته أيضاً فقال :

أفدي مليحاً قد سمـــا وأذلـــني واستعظما
فســألته مستفهما كم ذا تـــذل متيما
وتـــذيقه ألم النـــوى
وترى لقاه محرمـــا وعذابه عذبا فمـــا
أقساك يا حلو اللمـــا فأجـــابني متبسما
ان الهوان مـــع الهوى

وقد أسمعني حفظه الله وأدام بقاه وعلاه ، قصيدته التي مدح بهـــا والده وهنأه بها بعيد الفطر ، سنة الف ومائتين وثلاث وتسعين :

زمان الأنس والافراح مـنا دنا إذ منيتي بالوصل مَنـــا
فبادر للصفاء وللتصابي فمن خوف التقاطع قد أمنـــا
وياساقي المدام ادر وعجل فطير الروض بالبشرى تغـــنا
وناول رفقتي كأساً فكأسا بظل حديقة بالزهر غنـــا
بها طير وظبي قد تبارا فذا يشدو على غصن تثـنى
وذا شاد تثنى فوق عود ولم اسمع بظبي قبل غنـــا
تثنى مفرد في الحسن فاعجب بلا ثان فكيف به تثـنى
إذا أبدى الدلال وهز قدا فلا تسأل عن الصب المعـنى
غدا ملك الملاح بلا اعتراض وقالوا كلهم إنا أطعنـــا
له قتل الخلائق صار فرضا وسيفَ اللحظ للعشاق سَنـــا
فهل للعاشقين له نصير بسحر عيونه انا فتنـــا

ترى عشاقه سكرى غرام كأنهم سقوا دنّا ودنـــا
تراهم في النهار وهم حيارى وويلهم إذا ما الليل جَنـــا
تبارك من براه بـلا شبيه فلاعجب إذا ماالصب جُنـــا
ولا أنسى مراجعة تقضت بأول وهلة لما التقينـــا
رنا شزراً إلي وقال مهـلا فمالك من نجاة إنْ طَعَنّـــا
فقلت له فديتك لا أبالي سأصبر في الغرام فمن تأنى
وابلغ منك مقصودي بلطف وإلا بالمهند وهو أدنى
فماس يتيه من قولي دلالا وقال اراك قد اخلفت ظنـــا
فإن معاشري فرسان حرب ولا يخشون يوم الروع طعنا
فقلت له ألم تسمع بقومي فقد جعلوا الوغى والفتك فنا
وقد ذاعت مفاخرهم وشاعت تناقلهـا الرواة بكل مغنى
وسل عنا الفرنجة فهي تنبي بما قاست من الأهوال منـــا
وقائد معشري بطل همام غدا لي والداً وبه افتخرنـــا
بعبد القادر المولى تسمى لعمرك في اسمه قد لاح معنـى
وفي الأسماء للأشخاص فأل كذا نقل الرواة وقد صدقنـــا
أمير قد تفرد في البرايا غدا لجميع أهل العصر ركنـــا
له الجود العميم بكل قطر به أهل الفضائل قد سعدنـــا
له جد وجد ثم جد بهم نال الفخار وما تمنـى
فجد فاق أهل الأرض طرا وشرّف ذكره سهلا وحزنـــا
وجد في المعارف والمزايا به نال العلا فناً ففنـــا
وجد منه يدني كل قاص فلو طلب النجوم لما بعدنـــا
أمير في الشجاعة لا يضاهى إذا ما السيف في الهامات رنـــا
يسير إلى الوغى فرحاً بشوق ويقتحم الكتائب مطمئنـــا
بسالته بكل الأرض شاعت بها أعداء دولته شهدنـــا

إذا ما لاح ممتطياً لطرف　　تخضب بالدماء بدت كحنـا
ترى بدراً على شفق وبرق　　بيمنى قد غدت نحساً ويمنا
بهـا لعدو سدته هلاك　　وأضحت للصديق منى وأمنا
وإن شئت العلوم فكل فن　　غدا فيه فريداً لا يثنى
أيا مولى تفرد في المزايا　　ولم أعلم له في الفخر دنا
تفضل بالقبول فدتك نفسي　　فأنت أحق من بالصفح منا
ودم في عزة وعلو شان　　بك الأعياد يا سندي تُهنا

وقد دعاني في عيد من الأعياد لأن أكون معه أيام العيد في بعض منتزهاته ، فأرسل لي هذا الكتاب الشريف ، المحتوي على كل معنى لطيف ، فقال : الأستاذ المعظم والملاذ المفخم ، الحائز للفضائل والمتمم للفواضل ، سيدي وأخي الشيخ عبد الرزاق افندي ، وبعد : فإنني أهديكم من السلام أعطره ، وأبث إلى صديقي من الشوق أوفره ، هذا وإن عيد الفطر قد اقترب ، والنفوس متشوقة إلى التنزه والطرب ، لأن شهر الصيام يضني الأجسام ، ولذلك قد صممت الجماعة على التوجه لمحل مخلصكم بالأشرفية بعد الغروب بساعة ، وحيث ان حضرتكم واسطة عقدنا ، وعروتنا الوثقى الرابطة لودنا ، ولا يتم إلا بوجودكم سرورنا ، وإن غبتم عنا غاب بسطنا وحبورنا ، وبمشاهدتكم يكون لنا عيدان ، بمجلس النايات والعيدان ، فبادروا الى المحفل الزاهر ، واجتنوا من البستان الأزاهر ، وسرحوا الناظر في الروض الناضر ، ولا تنقضوا علينا بعدم تشريفكم المسرة ، وتجلبوا لأهل ودادكم ببعادكم المضرة ، لأنكم قطب دائرة أفراحنا ، وطلعتكم البهية مزيلة أتراحنا ، فبادروا لإسعافنا بتشريفكم وإتحافنا والسلام :

أهنيك يا بدر السيادة والفخر　　بعيد سعيد بعد ما نلت من أجر
فدم ملجأ للناس في العلم والنهى　　يُهنى بكم عيد الضحية والفطر
فلا زلت يا مولاي ترفل دائماً　　بثوب الهنا والعز ما رجع القمري

ثم انه بعد الغروب ، مر علي في عربيته فبادرت الركوب ومرت مع حضرته مصغياً لكلامه ، مقتطفاً أزهار نثره ونظامه ، بمحاضرة تهز المعاطف اهتزاز الغصون ، ورونق لفظ لم يدع قيمة للدر المصون . وفي ثاني يوم صباح العيد ، باركت له في الموسم السعيد ، ثم قدمت هذه القصيدة ، لطلعة حضرته السعيدة ، فتناولها مني بيد القبول ، وأجرى لها من البشاشة ما يفوق المأمول ، وهي :

اما والهوى العذري المقيم على عذري ... بها كل برهان حكى طلعة البدر

لئن كان لي قلب يميل لغيرها ... فلا زلت طول الدهر في غصة الهجر

فتاة لها روحي وهبت ومهجتي ... وإن قبلت أسديتها ميتنا شكري

أرى الموت في شرع الغرام بحبها ... حياة ومن لم يقض في الحب ذو كفر

رماني عذولي بالسلو ولامها ... على صلتي من لي بضد عَمَنّى ضري

أأسلو وقلبي كلما مر ذكرها ... أسال جفوني من يواقيتها الحمري

ألم يكف هذا الدهر سقمي ولوعتي ... فساعد في تسليط ضدي على غدري

رعى الله أيام الوصال وطيبها ... ويا ليت لو أنفقت في نيلها عمري

لقد كان لي ممن أحب رعاية ... فصار لها قلب يزيد على الصخر

ولم أنس مذ جاذبتها من ذوائب ... فمالت كغصن البان تيها على صدري

وقبلتها تحت الوشاح وأدمعي ... على نحرها المزري بشمس الضحى تجري

ولله ما أجراه رشح رضابها ... بلبي كأني سفت خمراً على خمر

ثوت في فؤادي حين شامته خالياً ... ولكن على صعب النوى أحكمت قصري

سقى الله مغناها سواكب عبرتي ... فيغدو بدمعي منبت الورد والزهر

فليس لها في الحسن والله مشبه ... وليس لمحيي الدين ثان بلا نكر

أمير العلا بحر الندى صفوة الملا ... عليه يد النعماء قد قصرت شكري

تملكني عن أصله فهو سيدي ... واني له المملوك في صورة الحر

أيا ابن النبي الهاشمي محمد ... لقد راق للأسماع في مدحكم شعري

اليك يحق المدح إذ أنت أهله ... وأنت لعمري كعبة النظم والنثر
وأنت الذي قد أعجز العقل دركه ... وهيهات أن تدري النهى لجة البحر
واني لكم أهديت عذراء فكرة ... تفاخر إن أبدت حلاها سنا الفجر
وتفصح ان شامت قبولاً بقولها ... وحقك يامولاي قد زدت في مهري
فلا زال شهر الصوم يحكيك قدره ... ولا زلت تحكي منه في ليلة القدر
وأعطاك ربي ما تروم وما تشا ... ودامت لك الأيام باسمة الثغر
ولا زلت للأعياد عيداً وللعلا ... علاء وللدنيا ضياء مدى الدهر

وفي العيد الذي بعده كنت في معيته في بعض المتنزهات فأراد ملاطفتي بخطابه لي بهذه الأبيات وهي :

ألا يا واحد الفضلاء اني ... لغيرك ليس لي في الود منزع
وقد كانت توافى كل عيد ... قصائدك التي للشان ترفع
فلم غيرت عادة ذي وداد ... بحبك دون كل الناس يقنع
وأكثرت المدائح والتهاني ... لغيري ان هـذا الأمر أفظع

فأجبته في الحال :

ألا يا أوحد الأمراء طرا ... ويا من سادأهل العصر أجمع
تفرقت المحاسن في البرايا ... وأنت لكل مـا نالوه مجمع
فمها كان مني من مديح ... فمالي في السوى والله مطمع
فأنت على الحقيقة جل قصدي ... وأنت لكل مدح راق مطلع

وقد آن أن نذكر بعض القصيدة التي وعدنا بها عند ذكر سفره إلى الجزائر .

بُعد الأحبة عن عياني محرقي ... يا ويح قلب المستهام الشيّق
ياقلب هل تقضي زمانك بالأسى ... اربأ بنفسك واشفقَنْ وترفق
كم تقطعن الليل بين تنهد ... وتحسر وتفكر وتحرق

ومنهـــا

هل نلتقي يا أهل ودي ساعة يا أهل ودي ساعة هل نلتقي
فأبثكم شكواي من ألم النوى تبا له بمتيم لم يرفق
أنا ذلك الصب الذي وحياتكم وحياتكم لسواكم لم يعشق
هل تحفظون ذمام خل عنده ان السلوّ سجية لم تخلق

ومنها في الحماسة :

اني ورثت شجاعة الآباء في صغري وان بفعالهم لم الحق
اني اجتهدت وخانني دهري فلا عار علي برد سعي المخفق
لله أشهب كالشهـــاب علوته لولا اللجام غدا لشهب يرتقي
وطلبت سهم الموت قدماً جاهداً لكنه لتعـــاستي لم يرشق
إنا أناس لا نرى موت الفتى فقداً إذا كان برمـــح أزرق
ونرى عناق مدرع يوم الوغى أشهى وأبهى من عناق مقرطق
والشرب من جاري الدماء ألذ من صَهْبَاءِ ماء في الدنان معتق
وغبار يوم الحرب أعبق عندنا من نشر مسك في ثياب ممنطق
من كان معشره أمانيهم كذا فاذا تحدث بالبسالة صَدَق

وهي طويلة تنوف عن ثمانين بيتاً ، وله حفظه الله من قصيدة يمدح بها والده :

فؤادي في حب الحسان تعذبا وما أحسن التعذيب منهم وأعذبا
ألا في سبيل الحب روحي وهبتها لبدر تمام بالهلال تنقبـــا
سبى العقل مني بل جميعي جملة وفرق صبري مثلما افترقت سبا
صبا كل قلب في الأنام لقده إذا ما انثنى كالغصن حركه صبا

ومنها :

أيا ربة الحسن البديع ترفقي بصب على جمر الغرام تقلبا
ولا تسمعي قول الوشاة فانه الى غير ذاك الحسن في الحب ما صبا

صليه واصلي قلب واشيه حسرة فكم نمق التزوير عنه وأطنبا

ومنها :

أيا ويح من بالحب ذاب فؤاده وعلق بدراً في البروج محجبا
يرى الموت أدنى من نوال مرامه ونيل نجوم الأفق أيسر مطلبا
مهاة أسود الحرب تحرس خدرها يرى دونها سمر الأسنة والظبا
وما العيش إلا أن تكون ممتعا بوصل حبيب عن سواك تحجبا

ثم انه كان قد قدم معروض الاستئذان من الحضرة العلية ، والذات الشاهانية ، حضرة مولانا بهجة الأنام وروح جسم الليالي والأيام ، السلطان عبد الحميد خان ابن السلطان عبد المجيد خان ، أيد الله صولته وأبد دولته ، ما أشرقت الشمس وضاء النهار وطاب الأنس بين الرياض والأزهار ، بأن يتشرف بأعتابه وأن يكون مأذونا في السعي لواسع رحابه ، فحصل له الاذن العال بكل تعظيم وإجلال ، أن يشرف من غير إطالة لكي يحظى بمطلوبه وينال آماله ، فأحكم العزم وعلى السفر عول ، وتوجه عام خمس وثلاثمائة والف في ربيع الأول ، وخرج لوداعه أهل البلد ، وكاد أن يقال ما بقي منهم أحد :

لا تطلبن القلب بعد رحيلهم مني فقد ذهب الفؤاد بأسره
يا ليت يوم البين من قبل النوى لم تسمح الدنيا بمولد شهره

ثم انه لم يمض أيام من وصوله الى الدار العلية ، إلا وقد وجهت عليه الذات الشاهانية رتبة الفريقية[١] مع الياورية[٢] العظمى ذات المقام الاسمى ،بعد نقله من الملكية الى العسكرية ، ومعاملته بالمعاملة التي تليق بطلعته البهية ، وأمره حضرة مولانا السلطان ، بأن يبقى في الدار العلية ليكون تحت نظره العالي الشان ، وبعد نحو سنة أرسله أفندينا السلطان الى الشام في

(١) رتبة الفريق ، وهو قائد الفرقة العسكرية .
(٢) ياوَر : معاون ، مساعد .

مسألة سياسية ، فجلس في الشام أياماً ثم أخذ عياله ورجع بهمة قوية ، وفي شهر رمضان عام الف وثلاثمائة وستة ، أمرني بكتابه الشريف بالتوجه لحضرته ، لما علم من كثرة شوقي لرؤية إشراق طلعته ، وأرسل لي مصروف الطريق ونفقة العيـــال ، فامتطيت جواد العزم على التوجه نحو التداني والوصال ، وودعت الأهل والأولاد والاخوان الكرام ، وتوجهت في سنة الف وثلاثمائة وست ســـادس ذي القعدة الحرام ، وحينما وقف الوابور (القطار) في موقفه من الدار العلية ، وجدت حضرة عطوفة المترجم مقبلاً علينا بقاربه بهمة قوية ، فعلمت أنه قد تنزل من مقامه العـــال ، لأجل أن يجبر الخاطر بجميل الاستقبال ، فوقف عند الوابور متبسماً تبسم السرور وهو في ملابسه الرسمية ، الدالة على فخـــامة رتبته العلية ، فنزلت من الوابور اليه ، وحييته بما يجب وجلست في قاربه لديه ، فخلع عليَّ خلعة سروره وبشره ، وصنع بي ما يوجب عليَّ دوام حمده وشكره :

شهم يدل على كريم أصوله طيب النبوة في جميل صفاته

كل المطـــالب دونه فلو انه طلب السماك لحل في عتباته

بدر السعادة والسيادة والعلا محيي لدين الجود بعد ممـــاته

فلله دره من همام قد تشرفت الصفات بذاته ، وإمـــام قد تحلت العبارات ببديع صفاته ، فلعمري ما تليت آيات أوصافه إلا وركع لهـــا القلم وسجد ، ولا قرأت أحاديث سنده إلا وتفردت في صحيحهـا بعلو السند ، فهو الذي حديثه في الفضل مرفوع ، وغيث سحـــابه الهاطل لا مقطوع ولا ممنوع ، ولقد وجه إلي خطابه التأنيسي الذي يستحق أن يرسم بنور البصر ، في عنوان صحائف الأذهان والفكر ، ثم خرجت معه من القارب الى الركوب في عربته ، وأخذت تسير بل تطير بنا الى داره ومحلته ، وكان قد قال لي من جملة الكلام ، إياك أن تتأمل العود الى الشام قبل مضي عام ، وفي ثاني يوم من وصولي عين لي معاشاً لنفقة

الأهل والولد ، وأخبرني بذلك لكي أستريح من كل هم ونكد ، مع انه مدة مكثي عنده ما قطع عني عطاءه ، ولا منع عني يوماً حباءه ، ولم يقيد حفظه الله إجراء هذا المعاش بمدة من الأيام ، بل جعله من إحساناته المعتصمة بحبل الدوام ، ثم انه بعد أن رآني قد استرحت من النصب ، ونفضت ثوب السفر من غبار التعب ، أخذ يطوف بي كل يوم في مكان ، ويدخل بي إلى أمكنة لم يدخلها سوى أهل الرفعة والشان ، ويجمعني بأكابر أعيانها ، ويدخل بي أحسن رياضها وجنانها ، ولم يبق مكان من أمكنتها أو سراي (١) من سراياتها إلا وقد دخلته معه وقوبلت من أهله بالرحب والسعة ، وقد أخذني حفظه الله وأعلا مقامه وعلاه ، إلى مكان في البحر يقال له بيق اضا ، ليس لداخله منه إلا السرور والرضى ، فلا ريب أن ذلك المكان ما كأنه إلا قطعة من الجنان ، تدرقت حواشيه وتأنق واشيه ، فتنظمت عقوده وتنمنمت بروده ، وراضته اكف المطر ودبّجته أيدي الندى بأفانين الدرر ، واخرجت أرضه آثارها ، وأبدت مخبآتها وأسرارها ، والقيان في زينتها وزخارفها تتيه في وشيها ومطارفها ، والولدان تزهو جمالا ، وتميل لطفاً ودلالا ، فلعمري ان ذلك المكان هو كالعين من الانسان ، قد تضوعت بالأرج الطيب ارجاؤه ، وتبرجت في ظلل الغمام صحراؤه ، وتنافجت بنوافج المسك أنواره ، وتعارضت بغرائب النطق أطياره ، وتنظمت بيوتها على طرز بديع ، يزري بجمال الزهور في أيام الربيع ، فجلسنا في ذلك المكان سحابة النهار ، نشرح الصدر ونجلو الأبصار ، وفي شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثمائة والف أرسل حضرة مولانا السلطان أمير المؤمنين عبد الحميد خان لحضرة المترجم خبراً بالحضور ، فتوجه إلى مكانه السامي المعمور ، فحينما حضر لديه وتمثل في أعتابه بين يديه ، أظهر له سروره وبشره وحبوره ، وقال له قد عينتك عضواً في مجلس التفتيش العسكري الكائن في المابين ،

(١) دار الحكومة .

فعند ذلك أحضر المترجم قلبه ورفع اليدين ، ودعا له بما فتح الله به في الحال ، وأبدى من التشكر والثناء على العواطف الشاهانية ما لم يكن يخطر في ذلك الوقت ببال ، حيث أنه لم يزل يخصه برعايته ، ويلحظه بعين عنايته ، ويقربه من رفيع سدته ، ويدنيه من منيع حضرته ، ويرفع حجاب الوسائط بينه وبينه ، ويمنع عنه همه وكدره وغينه . أبقاه الله له وللأنام حصناً حصيناً ، ووقاه ما يضره وأدامه لنا سلطاناً أميناً .

ثم انني حينما دخل المحرم سنة سبع وثلاثمائة والف قدمت له قصيدة تبريكاً بالعام ، أحببت ذكرها هنا تتميماً للمرام ، وهي .

ألفت الهوى طفلاً وكهلاً وأشيبا ... ومارمت لي دينا سواه ومذهبا
ولم أر شخصاً مثل شخصي متيما ... ولم أدر قلباً مثل قلبي معذبا
رعى الله من بات الفؤاد بحبها ... حريقاً على جمر الغضا متقلبا
إذا ما محيا البدر قابلها صبا ... إليها وأبدى للمغيب وغربا
ممنعة لا يمكن الطرف أن يرى ... جمال محياها البديع المحجبا
جفتني ومن لي من جفاها وليس لي ... أخلاي ذنب في جفاها تسببا
ومذ صوبت قلبي بسهم صدودها ... رأيت سهام القتل أولى وأقربا
اشابت شعوري ثم مني تنكرت ... ومنها مشيبي كان من زمن الصبا
شغفت بها حباً ومالي مأرب ... سواها ولا أرضى سوى الحب مأربا
ولم أنس مذ قالت دلالاً ومحنة ... أراك بدعواك الغرام مكذبا
وسهدي وسقمي وانتحالي وأدمعي ... شهود عدول رامت الصدق مركبا
وقالت باني في الغرام سلوتها ... ولست أرى السلوان في الحب مذهبا
فلا عشت ان مر السلو بخاطري ... ولا أم لي إن كنت أسلو ولا أبا
وكيف ترى المشغوف يسلو حبيبه ... وهيهات يسلو الصب مهما تعذبا
وكان على سمعي حديث ملامها ... ألذ على المحرور من نسمة الصبا
وما أجمل التأنيب فيمن تحبه ... وما أعذب التعذيب فيه وأطربا

اما والهوى العذري قلبي بحبها ... أسير ولا يرضى من الأمر مهربا
أبى الله إلا شقوتي في غرامها ... ولم يرج من يشقى سوى الذل مطلبا
رأيت نواها لي مبيداً وليتها ... تنيل المعنى من جنى الوصل مأربا
فبالله دعني عاذلي لا تلم فتى ... يرى الموت في شرع الصبابة أقربا
وحاشاي أني ارهب الموت في الهوى ... ولكن أرى هجري من الموت اصعبا
فشقي لجيبي في الهوى ليس نافعا ... فمن لم يشق القلب كان مكذبا
فما العز إلا بالحبيب وعطفه ... وما الذل إلا أن تكون مخيبا
افاتنتي بالوصل عطفاً تكرمي ... على مغرم لازال مضنى معذبا
وليس له ذنب يقود الى الردى ... سوى الحب ان الحب يدعو إلى الحبا
فبالله يا ذات الجمال وما الذي ... أمالك عن وصلي وهجري أوجبا
يميناً بمحي الدين باشا أبو الهدى ... سليل الندى من فاق شرقاً ومغربا
لأنت منى روحي ولم تر مقلتي ... سواك غدا في ذروة الحسن كوكبا
كما ان هذا الشهم شمس أولي العلا ... وفي فضله باح الزمان وأعربا
سما في المعالي واستقر بأوجها ... جمالاً وإجلالاً ومجداً ومنصبا
لقد ورث المجد المؤثل والعلا ... عن الغوث فرد الكون من قد تقطبا
أبيه الذي دانت له مهج الورى ... وكان لدى كل الأنام محببا
أبي الفضل عبد القادر الحسني الذي ... له كان متن الدهر للعز مركبا
هو ابن علي وابن سيد من سما ... محمد المختار أفضل مجتبى
فهذا هو الفخر الرفيع مقامه ... هنيئاً له قد فاز بالعز والحبا
فلا ريب ان الله أعطاه ما رجا ... وكمله خلقاً وخلقاً ومنسبا
فما هو إلا في البرية أوحد ... بآداب خير الخلق طرا تأدبا
همام أعاد الفضل من بعد ما قفا ... وجدد رسم الجود من بعد ما نبا
له شيم تسمو الى ذروة العلا ... فقل ما تشا حمداً عليه مرتبا
تجمع فيه الجود والعلم والتقى ... لذا كان من ظل الأنام مقربا

أجل ملوك الأرض قدراً وقدرة خليفة خير الخلق شرقاً ومغربا
سليل العلا عبد الحميد الذي سما وقر على عرش الصعود وطنبا
فبشرى لمحي الدين باشا بنعمة عليها دوام الشكر مولاه أوجبا
فأين الجبال الشم من عظم قدره وان له من سيد الرسل منسبا
إذا الناس قد راموا مديحاً بفعلهم فعنه لسان المدح لبى وأعربا
وإن ذكر السادات يوماً فذكره كبسملة القرآن ممن تأدبا
فللشمس ان شامت بوارق حسنه حياء به مالت الى جهة الخبا
له هيبة بين الأنام وطلعة غدت في سماء العز للعين كوكبا
يغص العدا ان فاح عطر ثنائه كأنك تغريهم على السم مشربا
وفي قلبهم مهما تقدم للعلا من النار مقدار عليهم تلهبا
فقل للأعادي خاب ظنكم به فقولوا لموت الغيظ أهلاً ومرحبا
غدا رأيه في المشكلات مقدماً إذا خابت الآراء كان المصوبا
يرى بذله للمال لو جل هيناً وكان لديه الحمد أعلا وأكسبا
رأت جوده سحب السماء فأيقنت بأن نداه كان أغلا وأغلبا
وإن هز في يوم الوغى سمهريه فليس لمن يبغي من الموت مهربا
وأسد الشرى تخشى مواقع بطشه ففي يده اليمنى المنية والحبا
ضحوك اذا استمطرت هاطل جوده وإن هب ريح الحرب حياه مرحبا
إذا نشرت يوماً دواوين مدحه أذاعت لنا عطراً من المسك أطيبا
أرق من الراح الشمول شمائلا ولطفاً ولكن زاد عن نسمة الصبا
به قد غدا حمدي بهيجاً ومدحه لديّ غدا من نغمة العود أطربا
بمالي وأهلي أفتديه ومهجتي وإن لامني اللاحي العذول وأنبا
لأني به قد نلت كل مآربي ولست سواه أرتجي العمر مطلبا
فيا سيداً ساد الأنام بسؤدد ويا جيداً في جوده الدهر أطنبا
تهن بما ترجو ودم في سيادة تكون لمن والاك عزاً ومنصبا

فلا زلت في أثواب سعدك رافلا وشانيك ما دام الزمان مخيبا
وأبشر بعـــام عمه منك نفحة يضوع لهـــا نشر القرنفل والربا

وحينما وقفت لديه ، وتلوتها بين يديه ، هش وبش وقابلني بسروره ، وأفرغ علي حلة حبوره ، وحباني من نعمه ، وأولاني ما يدل على مزيد كرمه ، ولم أزل عنده في دار السعادة متقلباً على فرش السعادة ، فائزاً بكل مطلوب ، حائزاً على كل مرغوب ، ولما كمل لي في ضيافته عام ، وما كأنه إلا لحظة أو منام ، أذن لي بالسفر الى الوطن والأهل ، فأخذت في تهيئة الأسباب على مهل . ثم ودعته بعد أن أودعته قلبي ، وفارقته وقد فارقني صبري ولبي :

لأصبر كرها لا احتمالاً فربمـــا صروف الليالي مسعدات بأسعد
وأبعث أنفاسي إذا هبت الصبا تروح بتسليم عليه وتغتدي

ولم أبرح بحمد الله موصولاً بصلاته ، ممتعاً بجميل نعمه وهبـــاته ، مسعوداً بحسن شمائله ، مقصوداً بشريف كتبه ورسائله ، أطال الله مدته وعمره ، ورفع في الدارين حضرته وقدره ، وأناله كل مُنى ، وقصر أيامه ولياليه على السرور والهنا ، وأهلك حاسده وضده وجعل السعد خادمه وعبده . هذا وانني لم أزل أقابل بره الدائم بالثناء الجميل ، وأصرف مدة العمر عليه بالدعاء الجليل .

وغاية جهد أمثالي ثنــــاء يدوم مدى الليالي مع دعاء[١]

---

(١) أقول : هكذا هكذا يكون الإخاء ، رحم الله المؤلف وصديقه الباشا فقد كانا زينة المجالس ، وقرة عين المجالس ، وقد أسعدني الحظ مرة بالتشرف بزيارة الباشا مع سيدي الجد ، فرأيت من سروره بصديقه الحميم ، وعنايته به ورعايته له ، ما يفوق حدّ الوصف . وكانت وفاة المترجم بعد السنة التي توفي فيها المؤلف ، في شهر ربيع الأول سنة ١٣٣٦ هـ تغمدهما المولى برحمته .

السيد الشيخ شهاب الدين محمود بن السيد عبد الله افندي الألوسي البغدادي (١)

ينتهي نسبه الشريف من جهة الأب إلى سيدنا الحسين، ومن جهة الأم

(١) تنتسب هذه الأسرة إلى (ألوس) بالقصر على الأصح، وهي قرية على الفرات، قرب عانات، والألوسيون سادة أشراف، وهم - على ثبوت نسبهم - من أبعد الناس عن التفاخر بالأنساب، ومن مأثور كلام أبي الثناء شهاب الدين - محي مجدهم التليد، ومشيّد أركان فضلهم الطريف - قوله في روح المعاني عند تفسير قوله تعالى: « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » : « ... فالحزم اللائق بالنسيب أن يتقي الله تعالى، ويكتسب من الخصال الحميدة ما لو كانت في غير نسب لكفته » اهـ.

قال صديقنا السمي العلامة الأستاذ محمد بهجة الأثري في ترجمة السيد محمود الألوسي (١٢١٧ - ١٢٧٠) هو طود العلم وعضد الدين وفحل البلاغة وأمير البيان، وعين الأعيان وإنسان عين الزمان، قرأ على والده العلوم العربية، وحصل طرفاً جليلاً من فقه الحنفية والشافعية، وأحاط خبراً ببعض الرسائل المنطقية والكتب الحديثية، وأتم دروسه على كثير من علماء مصره، وقد استجاز شيوخه المذكورين في هذه الترجمة وغيرهم فأجازوه في علوم اللغة والدين والآداب والفقه والحديث وغيرها من المعقول والمنقول؛ وكانت خاتمة اجازاته على يد الشيخ علاء الدين، وكان قد لازمه نحو (١٤) عاماً، في يوم مشهود حضره جلّة العلماء والأدباء والوجهاء، وكان في زمن أبيه - هوالسيد عبد الله صلاح الدين الألوسي المتوفى سنة ١٢٤٦ وكان عالماً مدرسا - محافظ كتب مدرسة الشهيد علي باشا التي كان والده فيها ثالث المدرسين. وفي شهر رمضان سنة ١٢٥٠ هـ دعي للوعظ في جامع الجيلي فأجاب مكرها، واتفق أن حضر درسه وسمع وعظه الوزير علي رضا باشا والي بغداد، فدهش واستغرب وأعجب بحسن بيانه، وقوة عارضته وفصاحة لسانه، وفي. أثناء ذلك شرح « البرهان في إطاعة السلطان » فقدمه إليه، فأجازه عليه بتوليه أوقاف مدرسة مرجان، وهي مشروطة لأعلم أهل البلد، وجلب له رتبة « تدريس الأستانة » من السلطان، ثم نصبه مفتياً للحنفية - وكان قد وعده بذلك يوم سمع وعظه - فهنأه الشعراء بقصائد رنانة أثبتت في مجموعة « حديقة الورود ».

وفي هذا الحين أخذ يكتب تفسير « روح المعاني » في أوقات الفراغ، وابتاع داراً من أكبر دور بغداد، ملاصقة لجامع الشيخ عبد الله العاقولي في الرصافة، حيث تسكن أسرته اليوم، وجعل قسما منها مأوى لروّاد العلم، فقصد من أطراف العراق وكردستان، وتهافت عليه الطلاب تهافت الظماء على الشراب، فكان يدرسهم ويواسيهم، —

— كما كان بدرٌ على سائليه ماناله يده من الذهب ، وما بلغ اليه علمه من الفضل والأدب . وتخرج فريق من أهل الفضل به ، فذاع صيته في الآفاق ، وراسله أكابر الكتاب والعلماء ، ومدحته الأدباء والشعراء بأبلغ آيات المديح وأبرع جمل الثناء . وممن بالغوا في إطرائه ومدحه من الشعراء المشاهير ، عبد الغفار الأخرس وعبد الباقي العمري وأحمد عزة باشا العمري ، وعبد الحميد الأطرقجي وصالح التميمي وغيرهم .

ثم لم يزل ذلك الوزير يعلي شأنه ويقدمه ، حتى قلده من أيادي السلطان (بنشان) ، وذلك بعد أن وردت عدة أسئلة من إيران أحجم عنها علمــاء الزمان ، فنهض هو للاجابة عنها ، فكان أبا حسن تلك القضية ، وفارس حلبتها المجلي عن اشكالاتهــا ورموزها كل خفية .

وفي سنة ١٢٦٧ توجه الى الآستانة ، وكان قد أتم تفسيره فاصطحبه معه ، وأول من التقى به هناك شيخ الإسلام عارف حكمة صاحب خزانة الكتب الشهيرة في المدينة المنورة ، فعرض عليه تفسيره ، ودارت بينهما مباحثات علمية ومناقشــات أدبية ومحاورات فنية ، دلت على سعة اطلاعهما وغزارة مادتهما وتوسعهما في علوم الدين والأدب ، وأجاز كل صاحبه ، وبعد لأي ما صدرت إرادة السلطان عبد المجيد باعطائه مبلــغ خمسة وعشرين الف قرش استنبولي ، وله مثلها أو ما يزيد عليها في كل عام من بيت المال ، وأنعم عليه صاحبه شيخ الإسلام بخمسين الف قرش استنبولي من خالص ماله . ثم آب إلى وطنه بعد أن غاب عنه (٢١) شهرا ، وقد فصّل رحلته هذه في ثلاثة كتب سيأتي ذكرها . وما زال بيته مثابة للناس إلى أن توفي يوم السبت ٢٥ ذي القعدة سنة ١٢٧٠ هـ ، فرثاه الشعراء في كل صقع بقصائد شجية مثلوا بها الأسى والحزن ، وقد عني بجمع ذلك مع ما قيل في مدحه بعض تلاميذه في كتاب كبير أسموه (حديقة الورود في مدائح أبي الثناء محمود) ، ودفن في مقبرة معروف الكرخي على يسار الذاهب الى مسجده ، تاركاً خلفه ذكراً حسنا ، وذرية طيبة ، وأنجالاً كراماً حفظوا مجد بيته الى يومنا هذا . اهـ ملخصاً من كتاب السمي الأثري (أعلام العراق) المطبوع سنة ١٣٤٥ هـ .

مؤلفاته :

(١) « روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني » وهو أعظم مؤلفاته شأناً وأجلها قدرا .
(٢) « الأجوبة العراقية عن الأسئلة الإيرانية » يحتوي على ثلاثين مسألة مهمة .
(٣) نهج السلامة إلى مباحث الإمامة .

(٤) « الأجوبة العراقية عن الأسئلة اللاهورية » وهو رد على الشيعة أيضا .

(٥) النفحات القدسية في الرد على الإمامية .

(٦) « شرح البرهان في إطاعة السلطان » مخطوط .

(٧) الطراز المذهب في شرح قصيدة مدح الباز الأشهب ، لعبد الباقي العمري .

(٨) « شرح القصيدة العينية » للعمري ، في مدح الإمام علي رضي الله عنه ، لعبد الباقي أيضا .

(٩) الفيض الوارد على روض مرثية مولانا خالد .

(١٠) « غرائب الاغتراب » وهو الرحلة الكبرى الجامعة لتراجم الرجال ، والأبحاث العلمية والأدبية التي جرت بينه وبين عارف حكمة شيخ الإسلام .

(١١) نشوة الشمول في السفر الى استامبول .

(١٢) نشوة المدام في العود الى مدينة السلام .

(١٣) « كشف الطرة عن الغرة » في اللغة .

(١٤) شهيّ النغم في ترجمة شيخ الإسلام وولي النعم .

(١٥) « الفوائد السنية من الحواشي الكلنبوية » في الآداب والمناظرة .

(١٦) « دقائق التفسير » مجموعة فريدة في بابها .

(١٧) « شجرة الأنوار ونور الأزهار » من ذرية الزهراء عليها السلام .

(١٨) سُفرة الزاد لسَفرة الجهاد .

(١٩) بلوغ المرام من حل كلام ابن عصام .

(٢٠) « شرح سلم العروج » في المنطق .

(٢١) « حاشية شرح القطر » في النحو .

(٢٢) مقامات الألوسي .

وله رحمه الله علاوة على ما ذكر حواش وتعليقات ورسائل وفتاوي كثيرة ، انتهبت كثيراً منها أيدي الضياع ، وانتسخ بيده كتباً جمة ، وجمع مجاميع مهمة ، يجد الباحث شيئاً منها في الخزانة النعمانية وخزائن كتب أحفاده .

وقد أنجب هذا الإمام أربعة من الأبناء كانوا خلفاء كراماً له ، وهم السادة عبد الله ، وعبد الباقي ، ونعمان خير الدين ، وأحمد شاكر ، فتولى كل منهم مناصب التدريس والقضاء ، وتخرج على أيديهم العلماء الأجلاء ، وتسلسل العلم في أولادهم وأحفادهم ، وصدق فيهم قول القائل :

نجوم سماء كلما انقضّ كوكب بدا كوكب تأوي اليه كواكبه

إلى سيدنا الحسن ، بواسطة الشيخ الرباني والهيكل الصمداني ، سيدي عبدالقادر الجيلاني قدس سره . وقد كان رحمه الله خاتمة المفسرين ونخبة المحدثين ، أخذ العلم عن فحول العلماء ، ومنهم والده العلامة ، ومنهم الشيخ علي السويدي ، ومنهم الشيخ خالد النقشبندي ، والشيخ علي الموصلي ، وغيرهم من السادة والأفاضل القادة ، كان رضي الله عنه أحد أفراد الدنيا يقول الحق ولا يحيد عن الصدق ، متمسكاً بالسنن متجنباً عن الفتن ، حتى جاء مجدداً وللدين الحنيفي مسددا ، وكان جل ميله لخدمة كتاب الله ، وحديث جده رسول الله ﷺ ، لأنهما المشتملان على جميع العلوم ، وإليهما المرجع في المنطوق والمفهوم ، وكان غاية في الحرص على تزايد علمه وتوفير نصيبه منه وسهمه ، واشتغل بالتدريس والتأليف وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، ودرس ووعظ وافتى للحنفية في بغداد المحميّة ، وأكثر من املاء الخطب والرسائل ، والفتاوى والمسائل ، وخطه كأنه اللؤلؤ والمرجان ، والعقود في أجياد الحسان ، قلد الإفتاء سنة ثمان وثلاثين ومائتين وألف ، وأرسل إليه السلطان بنيشان (١) ذي قدر وشان ، قال نجله السيد أحمد في ترجمته المسماة بأرج

ــ وقد تركوا عشرات المصنفات في العلوم والفنون الدينية والعربية . غير أن الملاحظ في هذه الأسر العلمية في العراق ومصر والشام ، وغيرها من أقطار الإسلام ، أنه كان يكثر فيهم المفسّر والمحدث والفقيه والمختص بالعلوم العربية ، فصار يكثر فيهم الطبيب والمهندس والزراعي ، والمختص بالعلوم القانونية والمدنية ، (ولكل عصر دولة ورجال) .

ومن أراد الاطلاع على تراجم نبغاء هذه الأسرة الألوسية الجليلة ــ وعلى مآثر رجالها ومفاخرهم ، ومصنفات كلّ منهم ــ وجد ذلك كلّه في كتاب « أعلام العراق » لصديقنا السميّ الأثري ، وقد ألفه إحياء لذكرى أستاذه أبي المعالي السيد محمود شكري الألوسيّ الشهير ، (المتوفى سنة ١٢٤٢) وهو حفيد السيد محمود صاحب التفسير الكبير ، (روح المعاني) رحم الله الجميع ، وجمعنا بهم في دار كرامته .

(١) بوسام .

الند والعود ، كان عالماً باختلاف المذاهب ، مطلعاً على الملل والنحل والغرائب ، سلفي الاعتقاد ، شافعي المذهب كآبائه الأمجاد ، إلا أنه في كثير من المسائل يقتدي بالإمام الأعظم ، ثم في آخر أمره مال إلى الاجتهاد (قال) : ومن مؤلفاته ما هو أعظمها قدراً وأجلها فخرا ، تفسيره المسمى « بروح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني » أيد فيه مذهب السلف الأماثل ، ومنها شرح السلم في المنطق ، ومنها نزهة الألباب في غرائب الاغتراب ، ومنها نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول ، ونشوة المدام ، وكتاب الأجوبة العراقية ، والفيض الوارد ، وغير ذلك . وقد مدحه السيد عبد الباقي افندي العمري بقوله :

نزلوا بالسفح من وادي زرود ... ونزلنـا بالغضا ذات الوقود
فانقضت منهم أويقات اللقـا ... وقضت بالموت أيام الصدود
لو تراني يوم سارت عيسهم ... من خفوق خلتني بعض البنود
بخلوا عن أن تراهم في الكرى ... مقلتي يا مقلتي بالدمع جودي
وعدوا والوعد منهم خلّب ... رب برق ما به غير الرعود
أين آرام المصلى والنقـا ... من وفا وعد وانجاز وعودي
أنكروا دعوى صباباتي بهم ... وشؤون الدمع من بعض الشهود
صوب العَبرة تصعيد الحشا ... نار وجد جاوزت حد الصعود
ومحال حر وجدي ينطفي ... بسوى رشفي لمى ثغر بَرُود

إلى أن قال :

ومتى روض الأماني قد ذوى ... بثنا المولى الشهاب اخضرّ عودي
وغصون القصد فيه ازهرت ... بورود كقدود وخدود
فانثنى ينظم منه قلمي ... درراً تزري بقرطي كل خود
قبله مـا نظرت عين ذكا ... سيد في قومه غير مسود
خندف العليا بـه قد أنجبت ... فأتى خير وليد من ولود

ومنها :

فلقت أقلامه صبح هدى ... رفعت فسطاطه فوق عمود

جند الأرواح في تخبيره ... فهو مشغول بترتيب الجنود

مسلم أذكى مصابيح الهدى ... وبخاري الثنـــا بعد همود

وأحاديث على سلسلهـــا ... ألحق الآباء منهـــا بالجدود

حجة بالغة برهانهـــا ... قام من غير دفوع وورود

توفي رحمه الله حادي وعشرين من ذي القعدة الحرام سنة الف ومائتين وسبعين رحمه الله تعالى . وقد أرخ وفاته الإمام الأديب الشيخ عبد الباقي افندي العمري المذكور آنفاً بقوله :

قبر به قد توارى خير مفقود ... فاغتم حزناً عليه كل موجود

أبو الثناء شهاب الدين فيه ثوى ... فيا لمثوى برفد الفضل مرفود

كجدّه كان سيفاً يستضاء به ... فحاز في الرشد حداً غير محدود

مضى تغمـــده المولى برحمته ... فليفتخر لحـــده فيه بمغمود

من بعده لا فقدنا من بنيه فتى ... لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

تفسير روح معاني الذكر نضّدها ... كعقد در بأيدي الفكر منضود

على تبحره في العلم شاهدة ... كفى بها شاهداً في حق مشهود

أجاب أعلام ايران بأجوبة ... برهانها غير مدفوع ومردود

حور الجنان به حفت مؤرخة ... جنات روح المعاني قبر محمود

ودفن رحمه الله تعالى بالقرب من الشيخ معروف الكرخي ، وقبره مشهور يزار ، وبلغ عمره نحو ثلاث وخمسين سنة .

الشيخ محمود الصاحب أخو الشيخ خالد الحضرة

العالم الكامل والعابد العامل ، عمدة الأفاضل ونخبة ذوي الشمائل ، ولد في بلدة السليمانية سنة الف ومائتين ، وقرأ القرآن والمحرر الإمام اليافعي الشافعي على السيد عبد الكريم البرزنجي ، نسبة الى قرية برزنجة من بلاد السليمانية ، وقرأ على أخيه مولانا خالد ، وأخذ عنه الطريقة النقشبندية

وانتفع . وفي سنة الف ومائتين وست وثلاثين لما قدم مولانا خالد الى دمشق ، أقامه في محله لإعطاء الطريق وإرشاد المسترشدين ، ثم في سنة الف ومائتين وثمان وثلاثين حضر الى الشام لعدم قدرته على فراق أخيه ، ثم هاجر إلى مكة وأقام بها سبع سنوات ، ثم رجع الى دمشق واستقام في التكية السليمانية يرشد المريدين ، إلى أن توفي رحمه الله سنة الف ومائتين وسبع وثمانين ودفن قرب قبر أخيه .

السلطان محمود خان بن السلطان عبد الحميد خان

ولد سنة الف ومائة وتسع وتسعين ، وفي سنة الف ومائتين واثنتين وعشرين جلس أخوه السلطان مصطفى على تخت الملك ، وما استقر أمره ولا صفا له دهره ، فأمر بقتل السلطان سليم ، وبقتل المترجم ذي القدر العظيم ، فنفذ أمره في الأول ، وأما الثاني وهو المترجم لما جاءه جنود السلطان مصطفى الذين يريدون قتله ، أراد الفرار فرشقه أحدهم بخنجر أصاب يده ، فهرب وصعد على سطوح السرايا ، فلما نظرته جماعة مصطفى باشا البيرقدار وكان من عصبة السلطان محمود ، وضعوا له سلماً فنزل الى صحن الدار ، حيث كان البيرقدار ، وعندما نظر البيرقدار الى المترجم فرح به فرحاً عظيماً وحمد الله تعالى على خلاصه من أخيه ، وصار يقبل قدميه ، ثم دخل به القاعة وأجلسه على تخت السلطنة في رابع جمادى الأولى سنة الف ومائتين وثلاث وعشرين ، وأرسل البيرقدار المشار اليه جنداً قبضوا على السلطان مصطفى وأمر بحبسه ، فلما تم جلوس السلطان محمود جعل مصطفى باشا البيرقدار صدراً أعظم ، وسلمه زمام الأحكام ، فأخذ يجتهد في أخذ الثأر من الذين قتلوا السلطان سليم ، ثم شرع في تنظيم العسكر الجديد ، وأرسل وطلب اجتماع أهل الحل والعقد من رجال الدولة ، فلما حضروا أخذ يبين لهم شدة الاضطرار لتعليم العساكر صناعة الحرب وإنفاذ أوامر السلطان ،

طالباً رأيهم في ذلك ، فصادقوه مذعنين لأمر السلطان ، وتعهدوا بالمساعدة في كل ما يؤول لنجاح المملكة ، وفي الحال أخذ الصدر الأعظم في وضع ترتيبات جديدة أوجبت الملام عليه من كثيرين ، وأضمروا له السوء وصاروا يطعنون فيه جهاراً ويدعونه بالكافر ، وعلقوا أوراقاً في الأسواق وعلى باب داره مكتوباً فيهـا قد قرب موت الصدر الأعظم ، وساروا بأسلحتهم يطلبون قتل العساكر الذين تعلموا التعليم الجديد ، فأخذوهم بغتة وشتتوهم وأحاطوا بمنزله وطرحوا فيه النار ، ووقعت أمور يطول الكلام بذكرها .

وانقسم الناس فريقين فريقاً يريد التعليم الجديد وفريقاً يكرهه ، وقتل بسبب هذه الفتنة خلق كثير ، وأحرقت دور كثيرة ، وحاصروا الصدر الأعظم في الدار التي كان فيها ، وأطلق عليهم الرصاص وقتل كثيراً منهم ، ثم التهبت عليه صناديق من بارود وكانت في داره ، فمات بسبب ذلك ، وكان قد أخرج جواريه ونساءه قبل ذلك ، فأحيلت الصدارة الى يوسف باشا ، وكان ذلك في سنة ثلاث وعشرين ومائتين والف ، وعزل شيخ الاسلام عطا الله افندي وأحيلت المشيخة الى عرب زاده محمد عـارف افندي ، وكتب السلطان مصطفى وهو محبوس كتاباً إلى عساكر الانكشارية يحرضهم على الغيرة وإرجاعه الى سلطنته ، فوقع ذلك الكتاب في يد بعض العلماء فذهب به الى شيخ الاسلام ، فجمع كثيرا من العلماء وأخذوا يتحدثون في عواقب هذه الأمور ، ويتشاورون في إطفاء هذه الفتنة ، وظهر لهم انه اذا بقي السلطان مصطفى في قيد الحياة لا تنطفي الفتنة ، فاختاروا رجلاً من بينهم يقال له منيب افندي كان قاضي اسلامبول ليعرض على السلطان محمود رأي العلماء ، ويلتمس منه قتل السلطان مصطفى ، فسار منيب افندي الى السلطان محمود وعرض عليه ذلك ، فقال السلطان محمود ان هذا أمر محال ، وكيف يتصور ان يصدر أمري بقتل أخي مع كوني قادرا على منعه من هذه الأعمال ، وصار بينه وبين السلطان محمود محاورة

كثيرة في ذلك ، فقال له منيب افندي في أثناء تلك المحاورة : قد جاء في الحديث الشريف : اذا اجتمع خليفتان فاقتلوا أحدهما [١] فشق ذلك على السلطان محمود ، وحول وجهه الى شباك هناك ولم يجبه بشيء لشدة أسفه على أخيه ، فقال منيب افندي ان السكوت اقرار ، ففي الحال أرسل منيب افندي الى (كبير البستانجية) وقال له : إن مولانا السلطان قد صدر أمره الشريف بقتل أخيه السلطان مصطفى ، فاذهب وأتم أمره ، فذهب البستانجي باشي ومعه جماعة من أعوانه الى الموضع الذي كان فيه السلطان مصطفى ، فأحسّ بهم وعرف مقصدهم ، فاختبأ بين فرش كانت هناك ، فدخلوا فوجدوه وراء الفرش فقتلوه خنقاً ، وكان العلماء الذين اجتمعوا عند شيخ الاسلام ينتظرون رجوع الجواب اليهم ، فلما أبطـأ ظنوا عدم قبول السلطان فدخلوا جميعاً على السلطان محمود ترويجاً لكلام منيب افندي ، فلما دخلوا قبل أن يبتدئوا الحديث رأى السلطان محمود من الشباك إخراج أخيه ميتاً ، فتألم كثيرا والتفت اليهم وعيناه ممتلئتان دموعاً ، فعزوه ودعوا له بطول العمر ، وكان ذلك في شهر جمادى الأولى سنة ثلاث وعشرين ومائتين والف ، ومدة سلطنة مصطفى سنة وشهران وعمره ثلاثون سنة .

ولما استقرت السلطة للسلطان محمود كانت أمور الدولة في غاية الارتباك ، وكانت عساكر الروسية تتقدم إلى جهـة الطونَة بسرعة ، فبعث جيشاً لمصادمتهم فلم يجد نفعا ، فطلبت فرانسا أنْ تتوسط في الصلح ، فرفض السلطان مداخلتها لتأثره من الشروط التي عقدها نابليون مع الروسية سراً في تيلسيت ، التي مضمونها اقتسام اوربا بينهما مع بلاد الدولة العلية ، واستمر الحرب ، مع كون الغلبة على العثمانيين ، إلى أن وقع خلاف بين فرانسا وروسيا

---

(١) في رواية لمسلم والنسائي : مَن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده ، وثمرة قلبه ، فليطعه ان استطاع ، فان جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر .

ونشرت بينهما راية الحرب ، وذلك سنة الف ومائتين وثمان وعشرين ، فالتزمت الروسيا أن تخرج عساكرها من حدود الدولة العلية ، وعقدت مع الباب العالي صلحاً موافقاً للدولة جدا ، فاغتنم السلطان محمود فرصة هذا الصلح لتسكين الثورات في ولايتي بغداد وايدين وغيرهما ، فانه في سنة الف ومائتين وست وعشرين أظهر سليمان باشا والي بغداد العصيان ، فأرسل إليه السلطان محمود من قتله .

وفي عام الف ومائتين وسبعة وثلاثين تجاهر اليونان في المورة بالعصيان على الدولة ، وكانوا يهجمون بمراكبهم على سواحل البحر ، فيقتلون ويسلبون وينهبون ويأسرون ، وبيان ذلك مع الاختصار أن بلاد المورة وهي قطعة من بلاد الروملّي كانت ولاية من ولايات الدولة العلية ، فلما اقتضى نظر السلطان محمود قتل الينجارية وتبديل وجاقهم بالعساكر النظامية الموجودة الآن ، ضعفت عساكر الدولة وقلت ، وطمع فيها الأعداء من كل جانب ، فحاربها الروس وملكوا بلاداً من أراضيها ، وممن ثار عليها في تلك المدة أهل المورة ، وطردوا ولاة الدولة العلية ، وقتلوا أكثر المسلمين الذين كانوا في تلك البلاد متولدين ومتوطنين منذ قرون طويلة ، وكان المسلمون هم أهل الأراضي والأملاك والمزارع ، وكانت نصارى المورة بصفة خدامين عندهم ، فلا زال أمر النصارى يتقوى بواسطة الكنائس ورؤسائها لما يجتمعون في أعيادهم ومواسمهم ، وينصح بعضهم لبعض بالاستقلال ، وشرعوا في تعليم أولادهم الحروب والرمي بالرصاص ، وأتقنوا أسباب الشجاعة بأنواعها سرا ، وتعلموا الصنائع التي يتولد منها الغنى ، فأرسلوا أولادهم إلى بلاد أوروبا لتعليم الصنائع ، والمسلمون في غاية الغفلة والبله ، يتركون تربية أولادهم للنساء والخاصي المعبر عنهم بالأغوات ، فلذلك تنشأ أولادهم ، عقولهم بين عقول النساء والخاصي ، وما ألذ وأحسن ما قاله الشاعر المتنبي في هذه المناسبة حيث قال :

لقد كنت أحسب قبل الخصى ... أن الرؤوس مقر النهى
فلما تبين لي عقله ... علمت أن النهى كلها في الخصى

ولما ظهر للسلطان محمود ما حصل لمسلمي المورة من القتل والسبي والنهب إلا من فرّ منهم وهاجر إلى بلاد الإسلام ، جهز جيشاً عرمرماً من عنده ، وأمر محمد علي باشا والي مصر بتجهيز جيش آخر من عنده ، فاجتمع الجيشان في بلاد المورة تحت قيادة ولده ابراهيم باشا ، يزيد على خمسة وعشرين ألفا ، وعمارة بحرية ، فأيس الأروام من النجاة ونوال الاستقلال ، فاستنجدوا بالدول الأروباوية ، فبادرهم كل من فرانسا وانكلترا بتوسط الصلح ، فلم يقبل السلطان سؤالهما ، فعند ذلك أطلق كل منهما نار حربه على عمارتي الدولة ومحمد علي فأحرقوهما ، وكان ذلك سنة الف ومائتين وإحدى وأربعين ، ولما بلغ السلطان محمود ذلك التجأ لقبول ما اشترطاه من إبطال الحرب واستقلال الأروام . وكان أخذ المورة من يد المسلمين هو أكبر أسباب خروج الروملّي بأجمعه من الدولة العلية ، وفي سنة إحدى وأربعين أيضاً شرع السلطان محمود في تعليم بعض العساكر التعليم الجديد ، وشرع يدبر تدمير الانكشارية وأبطال وجاقهم ، [1] فأبرز أمراً سلطانياً يتضمن القدح في وجاق الانقشارية ، وبيان الخلل الواقع منهم ، وتقلبهم على الدولة ، وقتلهم بعض السلاطين ، وأمر سليم باشا الصدر الأعظم أن يجمع العلماء في بيت شيخ الإسلام ويتلو عليهم الأمر الشاهاني ففعل ذلك ، فأجابوا بالامتثال بما يصدر به الأمر السلطاني ، وتعهدوا بانفاذه ، وكان مع الحاضرين جماعة يميلون الى الانقشارية ، فتعصبوا لهم سرا ، وأخبروهم بما صار عليه الاتفاق ، فهجموا على بيت الصدر الأعظم وبعض العظماء من رجال الدولة ، وأخذوا ينادون في شوارع اسلامبول ويقولون اليوم قتل العلماء ورجال الدولة وكل من كان السبب في وضع النظام الجديد ، ويقتلون كل من صادفوه منهم ، وينهبون البيوت ويضرمون فيها النار ، ففر الصدر الأعظم منهم ، وجاء إلى السلطان محمود وأخبره بتلك الحوادث ، فأمره أن يجمع الطوبجية [2] وسائر أهل الإسلام

---

(١) الوُجاق : النَّسَق من الجند وغيرهم (تركية) .

(٢) الطوبجية : مطلقو نيران المدافع .

أمام باب السرايا ، فاجتمع في ذلك النهار جمع غفير من العلماء ورجال الدولة ، ينتظرون خروج السلطان إليهم ، فلما خرج إليهم أخذ يحدثهم بكلام يهيج به نخوتهم ، فأقسم جميعهم على أنهم يهرقون دماءهم في صيانة أوامره وتنفيذها ، والتمسوا منه إخراج الصنجق [١] الشريف النبوي ليهجموا على العصاة ، فأراد السلطان أن يكون معهم ، فتوسلوا إليه أن لايتنازل إلى ذلك ، وأرسلوا منادون في شوارع المدينة ويدعون أهل الاسلام للاجتماع تحت الصنجق [١] الشريف ، فلما علم بعض الانقشارية بذلك أرسلوا أناساً من جماعتهم ينادون لاجتماع الانقشارية ، فلما قرعت أصوات المنادين آذان أهل الإسلام أسرعوا إلى فسحة السرايا أفواجاً أفواجـــا ، ففرقوا عليهم السلاح ، وسلم السلطان الصنجق الشريف لشيخ الاسلام قاضي زاده طاهر افندي [٢] وعاد إلى كرسيه الملوكي ، وكان يشرف على الجميع أمام السرايا ، وسار سليم باشا الصدر الأعظم أمام تلك الجموع التي كانت أكثر من خمسين ألفا ، وشنوا الغارة على الانقشارية صارخين الله أكبر على الأشقياء ، وهجموا عليهم واطلقوا المدافع والرصاص ، وكان يوماً مهولاً عظيما ، فقتلوا منهم نحو عشرة آلاف ، والباقون فروا إلى قشلهم وتحصنوا فيها ، فهجم عليهم العساكر والأهالي وطرحوا فيها النار فاحترق كثير منهم ، ومن بقي ولوا الأدبار ، ثم قبضوا على كثير منهم فقتلوهم وطرحوهم في فسحة ات ميدان ، وبعد ذلك دعا السلطان اليه العلمـــاء ووكلاء الدولة وأخذ يريهم أثواب السلاطين العظام الملطخة بالدماء ، الذين قتلهم العصاة الانقشارية طالباً ثمن دم السلاطين ، فأجاب العلماء أن ثمن دم كل سلطان خمسة وعشرون الف نفس ، فصدرت الأوامر بتدمير الانقشارية في الآستانة العلية وفي جميـع الجهات ، فقتل منهم عدد كثير وارتاحت الدولة والناس من مظـــالمهم ،

---

(١) السنجق : اللواء ، العَلَم .

(٢) زاده طاهر افندي : أي ابنه (تركية) .

وألحق بهم بعض الدراويش من البكطاشية لكونهم يميلون اليهم ويساعدونهم ويفعلون في تكياتهم أفعالاً شنيعة محرمة وبدعا مسترذلة ، فأمر السلطان بقتل أكثرهم وهدم تكياتهم ، وأخذت الدولة في تكثير العساكر النظامية والجد في تعليمهم ، وأبطلت وجاق الانقشارية ، وفي أثناء تلك المدة غير السلطان محمود لبسه ، ونزع العمامة والجبة ، وتزيا بزي العسكر الجديد على هيئة الأوروباويين ، وبالطربوش الصغير ، ولم يبال بأقوال المعترضين .

ذكر القتال مع الروسية

وفي سنة ثلاث وأربعين ومائتين والف ، زحفت العساكر الروسية لمحاربة الدولة العلية عند نهر الطونة ، وسار جيش إلى جهة الأناطول ، فأرسلت الدولة عساكر لمصادمتهم تحت قيادة الصدر الأعظم سليم باشا ، فوقع بين الفريقين حرب شديدة ، وتغلبت عساكر الروسية وهزموا عساكر الدولة ، واستولوا على جملة أماكن ، وتقدمت عساكرهم إلى شوملة ، وأقاموا الحصار على سليسترة واستولوا على مدينة وارنة ، فعزل السلطان الصدر الأعظم سليم باشا وأمر بنفيه ، وأقيم في الصدارة محمد عزت باشا ، وسارت بعض عساكر الدولة إلى جبل البلقان ، فتركت الروسية محاصرة شوملة ، وكانوا قد استولوا على سليسترة ، وكانت عساكر الروسية التي في الأناطول تتقدم ، فملكوا القرص وبايزيد وطبراق وأرض روم ، واستأمروا صالح باشا ، وجاء جيش الروسية فيه مائة وستون الف مقاتل وحاصروا أدرنة حصاراً شديداً ، إلى أن استولوا عليها ، ولما اشتد الأمر على رجال الدولة وعلى السلطان محمود اضطربت الأمور اضطرابا كثيرا ، إلا أن السلطان محمود أظهر الثبات وقوة الجنان في وسط تلك الأخطار المحدقة به وبدولته ،

ثم تداخلت دول أوروبا في الصلح ، وأتموه بشروط ، سنة خمس وأربعين ومائتين والف ، ومآل تلك الشروط استقلال الاروام وتنازل الدولة عن إقليم السرب والأفلاق والبغدان لملوك من أهل تلك البلاد ، تحت نظارة ملك الروسية ، وعن بعض جزائر عند فم نهر طونة ، وعن بعض اراض في الاناطول [١] مع غرامة حربية قدرها مائة وعشرة ملايين فرنك ، قال بعض مؤرخي الفرنج : وربما استغرب القارىء كيف ان الدولة التي سادت على أغلب ممالك العالم وأوقعت الرعب في قلوب جميعهم ، لم تستمر في نموها وتقدمها ، حتى التزم سلاطينها إلى أن يرتضوا هذه الشروط ، فإذا نظر الى هذا الأمر بعين خالية عن الغرض يحق الاستغراب من وجه آخر ، وهو : كيف أمكن هذه الدولة أن تحتمل هذه الصدمات الشديدة والمقاومات المريعة من أعدائها مع وجود الخلل في داخليتها ، بسبب أصحاب البغي والفساد وقلة الأموال ، ولم تتزعزع أركانها بل استمرت في سلك الثبات العجيب ، ولم تستطع قوة أو سبب آخر أن يثنيها ، وإذا ضممنا الى هذه الأسباب الخلل الذي أوقعه وجاق الانقشارية ، وعدم تمام انتظام الترتيب العسكري الجديد ، وعدم تمرن الجيوش بفنون الحرب وملاقاة الأهوال ، لربما حق العجب كيف لم تنقرض هذه الدولة أصلا ، واستطاعت أن تناضل الى هذه الدرجة ، مستهينة بكل الموانع التي تعرضت لها ، فهذا أعظم برهان على عظمها وسطوتها ، انتهى كلامه .

---

(١) في « تاريخ الدولة العلية العثمانية » لمحمد فريد بك ، ما يأتي : وعينت الدولة مندوبين من قبلها اجتمعوا مع مندوبي الروسية في مدينة بخارست ، وبعد مداولات طويلة ، توصل الفريقان الى امضاء معاهدة عرفت في التاريخ باسم معاهدة بخارست ، أمضيت في ١٦ جمادى الأولى (سنة ١٢٢٧ الموافق ٢٨ مايو سنة ١٨١٢) . أما شروطها إبقاء ولايتي الافلاق والبغدان تابعتين للدولة ، ورجوع الصرب الى حوزتها مع بعض امتيازات قليلة الأهمية عديمة الجدوى ، وحفظت الروسيا لنفسها اقليم بساربيا وأحد مصبات الدانوب اه ص ٢٩٩ من الطبعة الثانية .

وأقول أن ههنا سراً إلهياً لتأييدها ، وهو سر بركة الاسلام وسر بركة النبي ﷺ ، وسريان روحانيته لتأييد ملته وأهل دينه ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ذكر استيلاء الفرنسيس على الجزائر

وفي سنة خمس وأربعين ومائتين والف ، استولت الفرنسيس بقوة جبرية على جزائر الغرب مدّعين أن أهلها كانوا يقبضون على مراكبهم التجارية ويربطون عليهم البحر في تلك الجهات ويفتكون بهم ، فلما بلغ الباب العالي ذلك أرسل طاهر باشا قبودان باشا إلى الجزائر يتعاطى الصلح بينهم وبين أحمد باشا والي الجزائر ، فلما وصل وأراد النزول إلى البر منعته الفرنساوية ، فعاد راجعاً إلى القسطنطينية ، والجزائر المذكورة كانت في حكم الدولة العلية من حين تملكها السلطان سليمان ، فلما طالت المدة صار الولاة الذين فيها يتوارثون الولاية بالتغلب ، ويدفعون خراجاً للدولة ، ويكون تحت أمر الدولة ظاهراً ومتغلبين باطناً ، فلما احدثت الدولة العساكر السلطانية بالتعاليم الجديدة امتنع والي الجزائر من تعليم عساكرها ، ولم يمتثل أمر السلطان في ذلك ، فقيل أن السلطان محمود هو الذي سلط عليه الفرنسيس لتأديبه فجاؤوا بجيوش كثيرة وحاصروا الجزائر إلى أن قبضوا على الباشا المتولي عليها وذهبوا به إلى بلادهم ، وتملكوا الجزائر وحصنوها بالعساكر ، فلما تملكها الفرنسيس لم يرجع تلك الجزائر لحكم الدولة بل استولى عليها وبقي على ذلك إلى عصرنا هذا [1] .

---

(١) الحمد والشكر له تعالى ، على أن استقلت الجزائر وسائر الشمال الإفريقي العربي . وقد زففنا هذه البشرى من قبل ، واليوم نقدّم ما هو أجلّ وأكمل ، وهو أنه انعقد مؤتمر عامّ للقارّة الافريقية كلها ، واجتمع رؤساء ثلاثين دولة في أديس بابا عاصمة الحبشة ، ووقعوا ميثاق الوحدة الإفريقية لبلادهم كلّها ، وأهمها السعي لتحرير أي بقعة بقي فيها أثر الاستعمار ، ولم يكن للظالمين من أنصار ، وقد انتهى المؤتمر في اليوم الثالث من شوال (سنة ١٣٨٢ هـ ، ٢٦ /٥ سنة ١٩٦٣ م) .

ذكر القتال بين محمد علي باشا والسلطان محمود

وفي سنة سبع وأربعين ومائتين والف، وجه محمد علي باشا والي مصر جيوشه براً وبحراً لتملك الشام وجعل قيادتها لولده ابراهيم باشا، فحاصر عكا وافتتحها مظهراً الانتقام من عبد الله باشا والي عكا لأسباب كانت بينهما، وفتح في طريقه غزة ويافا وحيفا [١] فلما بلغ الدولة ذلك غضبت وأرسلت تأمر محمد علي باشا برجوع العساكر، وأنه إذا كان بينهما دعوى يقدمان إلى الباب العالي فيحكم بينهما، فلم يمتثل لأوامر الدولة، فأبرزت الدولة فرماناً [٢] بعصيان محمد علي باشا، وتنزيله عن ولاية مصر، وصدر الأمر السلطاني لوالي حلب بجمع العساكر لمحاربة ابراهيم باشا، وخرج حسين باشا بعساكر من الاستانة، وحصل القتال بين الفريقين خارج طرابلس، فهزمهم ابراهيم باشا واستولى على الأقطار الشامية. وقبض على عبد الله باشا والي عكا وأرسله إلى الاسكندرية لأبيه محمد علي باشا، ولما وصل ابراهيم باشا إلى داريا قرب دمشق خرج إليه علي باشا وزير دمشق، واشتبك الحرب بينهما فهزمهم ابراهيم باشا، وخرج أهل دمشق يسألونه الأمان فأمنهم ودخلها، وتقدم إلى حمص واشتبك القتال بينه وبين والي حلب، وكان يوماً عظيماً وحرباً شديداً من أشهر الوقائع، قتل فيه خلق كثير، واستولوا على المهمات جميعها، وانهزم والي حلب ورجع إليها، فقفلت في وجوههم الأبواب، فساروا الى انطاكية، ولما وصل ابراهيم باشا الى حلب خرج أهالي حلب لاستقباله، فدخلها وتسلم ما كان فيها من الذخائر والمهمات، وأمن أهلها، ثم سار الى انطاكية وحاربهم فيها ثم الى بوغاز [٣] بيلان، ولما بلغ الباب العالي تقدم العساكر

---

(١) لقد احتلها وغيرها الصهيونيون منذ أربعة عشر عاما، إلى اليوم، وما زالت دول الاستعمار تؤيدهم وتحميهم، ولعل الله يحدث بعد ذلك أمرا.

(٢) فرمانا: أمراً سلطانيا.

(٣) بوغاز: خليج، مضيق، مَصب.

المصرية سير رشيد باشا الصدر الأعظم بالجيوش لحربهم ، فتقدم قونية ، والتقى الجيشان واشتبك القتال ، وانهزمت عساكر الدولة وقبض على رشيد باشا الصدر الأعظم ، وأتي به الى ابراهيم ، فقابله بكل إكرام ثم خلى سبيله ، وامتدت هذه الفتنة والحروب الى سنة خمس وخمسين ومائتين والف ، ثم صدرت الأوامر السلطانية الى حافظ باشا ليسير لمحاربة ابراهيم باشا ، فالتقى الجيشان بالقرب من مرعش واقتتلا ، ووقعت الهزيمة أولاً على عساكر ابراهيم باشا [١] ، وكان في واد عسر فجمع العساكر وخرج بهم من ذلك الوادي ، وصعد إلى تل كان تجاه معسكر حافظ باشا ، وأخذ يطلق عليهم المدافع فعطل أكثر مدافعهم وفرق صفوفهم ، ثم هجم عليهم بعساكره هجمة هائلة ، فانهزموا أمامه تاركين مدافعهم ومهماتهم عائدين الى مرعش ، وقتل من الفريقين خلق كثير ، وهذه الوقعة من أشهر تلك الوقائع التي وقعت في تلك الحروب ، وأعقبها ابراهيم باشا بفتح أكثر الجهات في تلك البلاد ، ولم تصل أخبارها إلى القسطنطينية إلا بعد وفاة السلطان محمود بثمانية أيام . ومن فتوحاته المعنوية اعتناؤه بأهل الحرمين كمال الاعتناء ، فانه صدرت الإرادة الشاهانية من دولته بتحرير ما كان يصرف لهم من قمح الجراية ، فوجدوا أكثر ذلك بيد الأغنياء والتجار كانوا يأخذونه من الفقراء بالفراغ بعوض حقير ، فصار الفقراء ليس لهم شيء ، فصدر الأمر الشاهاني [٢] بنقض ذلك وإبطاله ، وتجديد كتابة دفتر بأسماء المستحقين ، فحصل تجديد ذلك في المدة التي كان فيها محمد علي باشا بمكة .

ومن خيراته وفتوحاته المعنوية انه جدد لأهل الحرمين خيرات ومرتبات زيادة على الذي كان مرتباً لهم من أسلافه ، وذلك انه في سنة إحدى

---

(١) في تاريخ « الدولة العثمانية » الذي تقدم ذكره ، تفصيل هذه الحوادث والوقائع ، والحروب وأمر تنظيم الانكشارية ، وما أجراه السلطان محمود من الاصلاحات الداخلية (ص ١٩٧ — ٢٣٧) .

(٢) السلطاني .

وخمسين بعد المائتين والألف رتب مرتبات للعلماء والخطباء بالحرمين الشريفين ، وللقائمين بخدمة المسجدين الشريفين مثل المؤذنين والفراشين والكناسين والبوابين ، وجعل للجميع مرتبات جزيلة من النقود الجليلة ، بعضها شهريات وبعضها سنويات ، واشترى لذلك عقارات كثيرة ، وأوقفها ليصرف من غلاتها جميع المرتبات المذكورة ، فصارت حسنة جارية الى هذا الوقت يحصل منها كال النفع والإعانة للمذكورين على معاشهم ، ومن وقت هذا الترتيب كان ابتداء وضع المدير والمديرية بمكة والمدينة ، ولم يكن ذلك موجوداً قبل ذلك ، ثم ان ولده مولانا السلطان عبد المجيد ضم إلى ذلك الترتيب مثله في مدة سلطنته ، وكانت مدة سلطنة السلطان محمود اثنتين وثلاثين سنة وعمره خمس وخمسون سنة ، وكانت وفاته تاسع عشر ربيع الأول سنة خمس وخمسين ومائتين والف .

الشيخ محمود بن محمد بن علي الأنطاكي الحنفي

الامام العلامة والهمام الفهامة ، أحد السادة الأعلام والقادة الكرام ، الفاضل المتقن والكامل المتفنن . ولد سنة أربعين ومائة والف ، وقرأ على جماعة من الأفاضل ذوي المعرفة والفضائل ، وانتفع بالعلامة أبي محمد الحسن الانطاكي وتفوق واشتهر ، وأقرأ ودرس ولزمه جماعة من أهل العلم وتخرجوا على يديه ، وانتفعوا كثيراً عليه ، وأخذ عنه وسمع من فوائده العلامة محمد خليل افندي المرادي سنة الف ومائتين وخمس ، ومات المترجم بعد ذلك رحمه الله تعالى .

السيد محمود بن المرحوم السيد نسيب افندي مفتي دمشق الشام (١)

إمام تصدر في محراب العلم والإمامة ، وهمام تسنم صهوة جموع الفضل

(١) ابن حسين بن يحيى بن حسن بن عبد الكريم ، المعروف كأسلافه بابن حمزة الحسيني ، وأصل جدّه الأعلا من حرّان .

فملك زمامه ، رفع للعلوم أرفع راية ، وجمع بين الرواية والدراية ، فأصبح وهو كاسر الوسادة ، بين الأئمة والسادة ، يشنف المسامع بفرائد كلامه ، ويشرح الخواطر بما تسطره أنامل أقلامه ، فلا ريب انه عين الزمان ويمينه ، لو حلف الدهر ليأتين بمثله حنثت يمينه ، فما من فضل إلا وهو في ذاته موجود ، ولا من مرغوب إلا وهو له مطلوب ومقصود ، قد أجمع كل ناطق بلسان وعارف بحسن واستحسان ، على فضله الذي اقتضى لذكره التخليد ، فالعالم عرفه بعلمه والجاهل اعتقده بالتقليد ، وهو من منذ لاح هلاله في أوجه ، لا زال بحر فضله آخذاً في مده وموجه ، بزغ من أفق دمشق وبها برع ، وترق إلى أن بلغ فوق ما يتعلق به الطمع .

وكان قد ولد سنة أربع وثلاثين ومائتين والف [١] في دمشق الشام ، ونشأ في كنف والده السيد الهمام ، وأحسن القراءة والكتابة وهو ابن اثنى عشر ، ثم جد في طلب العلوم على السادة الغرر ، حتى برع وفاق أقرانه ، وفضل أترابه وأخدانه ، وتخرج على مشايخ عصره الأفاضل ، حتى احتوى على أنواع الفضـــائل ، وأتقن علم الفقه والتفسير والكلام والحديث والأصول والعربية والمنطق والبيان والفرائض والحساب والعروض والحكمة ، وله مطالعة قوية في كلام السادة الصوفية ، وعلا شأنه في الآداب وفـاق ، وطار صيته في الأقطار والآفاق [٢] . وعين في أيام شبابه نائباً في محكمة البزورية ، ثم في محكمة السنانية ، ثم في محكمة الباب الكبرى ، ثم في سنة ست وستين صار عضواً في مجلس إيالة دمشق الشام الكبير [٣] عقب وفاة والده ، وفي سنة تسع وستين عين مديراً لأوقاف إيالة الشام ، وبعد مرور سنة أحيلت لعهدته رياسة مجلس الزراعة ، وفي سنة تسع وستين

---

(١) في ترجمته لنفسه أن ولادته كانت (سنة ١٢٣٦ هـ) .

(٢) كان عجيباً في كتابة الخطوط الدقيقة ، كتب سورة الفاتحة على ثلثي حبة الرز والخط واضح ، وأغرب من ذلك كتابته على ورقة بمساحة فص الخاتم أسماء شهداء بدر .

(٣) مجلس إدارتها .

صار ناظراً للويركو [١] ، ثم ذهب من دمشق مع عارف باشا واليها الأسبق الى خربوت حين عين كتخدا [٢] الايالة هناك ، ثم عاد الى الشام وأعيد لعضوية المجلس الكبير . ثم في سنة ثلاث وسبعين أضيفت له مأمورية الدفتر الخاقاني [٣] في ايالة الشام ، علاوة على كونه عضواً في المجلس المذكور ، وفي سنة سبع وسبعين عين في هيأة المجلس الذي أسسه المرحوم فؤاد باشا حين وقعت الشام في ورطة [٤] الفتنة التي وقعت من رعاع دمشق وقراهـا ، ومن الفرقة الدرزية ، وحرقوا محلة النصارى ، ووقع ما وقع من السفك والنهب [٥] وكان في ذلك الوقت حضرة الأمير السيد عبد القادر الجزائري قد بذل في حماية النصارى جهده ، وأوسع لهم عطاءه ورفده ، وذلك كان منه رحمة بأهل الشام ، لما يعلم أن ما وقع منهم موجب للمجـازاة والملام . وكان هذا الأمير له رعـاية بالمترجم المرقوم وحسن تودد ، فحينما حضر فؤاد باشا إلى الشام غب الواقعة ، خفض رؤوسها وأذل نفوسها ، وشتت شملها ، وأثقل حملها ، بيد أن الأمير المرقوم كان حينئذ عين الشام وهامها ، وسيدها وهمامها ، لا تعتمد الوزارة والقناصل إلا عليه ولا تجنح في مهماتها إلا إليه ، فرتبته هي المرفوعة ، وكلمته هي المسموعة ، فحينما أزمعت الوزارة على نفي الأعيان ، وإيقاع كثير من الناس في حضيض الذل والهوان ، ضم حضرة الأمير حضرة المترجم إليه وشهد به لتخليصه أنه كان للحماية والوقاية ممن يعتمد عليه ، فعلا قدره وحسن في الحكومة

---

(١) الويركو : الرسوم والتكاليف .

(٢) كَتْخُدَا : وكيل ، أمين ، معتمد ، رئيس .

(٣) مديرية دائرة قيود الأملاك والأراضي العمومية .

(٤) الورطة : كلّ أمر تعسّرت النجاة منه .

(٥) تولى المترجم السيد محمود حمزة افتاء دمشق وظل به الى آخر حياته ، وأهداه نابليون الثالث امبراطور فرنسا — على أثر حادثة الستين المشهورة — جفتا بطقم ذهب ، إقراراً بجميله لما أتاه من الخير والمساعدة لمسيحي دمشق ، ولكونه ميالاً الى الرياضة والصيد لتجديد قواه ، فكانت هذه الهدية أقبل لديه . واشتهر في الرمي ولا يخطىء به اهـ منتخبات التواريخ .

ذكره ، واستثنى من التكاليف والنوائب ، ولاحظته عين العناية في نوال المآرب ، فأدامت له الرعاية اجلاله ، ولم يزل عضواً في مجلس الايالة ، واضطره الأمر الى أن قال في أهل بلده ووطنه ما لا يقال ، مما هو موجب للملام الشديد ، والاعتراض الذي ما عليه من مزيد ، وربما يعتذر عنه بأن ذلك كان منه وسيلة للخلاص ، مما وقع لغيره من الخواص، ونص ما قاله وهو فيه معذور ، ولا يبعد أن يقال أنه عليه مقهور ومجبور :

اشرقت بالعدل أنوار الشآم ... مذ فؤاد الملك والاها نظام
أشرقت من بعد ما قد أظلمت ... برهة لا ينجلي عنها ظلام
مدة يسطو بها قوم على ... معشر الذمة ظلماً واحتكام
لا يرى أمر بمعروف ولا ... نهيهم عن منكر أدى ملام
غير قوم اقعدتهم قلة ... عن أداء الفرض في هذا المقام
بادروا بالردع لكن لم يفد ... في حمى جمع النصارى بالتمام
واستقام البغي فينا سبعة ... يالها من سبعة سود قتام
لا أزال الله عن مملكة ... ظل سلطان ولا حدّ الحسام
كان فينا حاكم بل لم يكن ... حيث أعطى موضع القصد الصيام
ان للأحكام وقعاً باهرا ... حكمة الحكام إبراء السقام
كم جرعنا غصصاً في شامنا ... مذ خلت عن حاكم يرعى زمام
فانتضى للحق سيفاً قسور ... عادل مولى غيور ذو اهتمام
شمس أفق الوكلا سيدهم ... فرقد في الوزرا بل تاج هام
ملك عثمان به مفتخر ... بل ملوك الأرض من سام وحام
عَدّل القطر الشآمي عدله ... وصحا من بغيهم قوم نيام
رأيه القداح في أهل الشقا ... جالب فيه القضا حط وسام
علمه في الكون لو قسمه ... لن ترى في الخلق وحشياً يذام
عزمه في الصخر لو أنفذه ... ذاب ذاك الصخر وانهل انسجام

حلمه في الأرض لو وزعـــه لن ترى فيها هياجاً واضطرام
وعده بالخير حقـــاً ناجز أي ومن زين بالطوق الحمام
أنصف المظلوم من ظالمه ويلكم من غدركم أهل الشآم
يا اهيل الشام ما ذا غركم إذ غدرتم ملة حازوا زمام
يا وحوشاً صادفت في غابها آمناً واستقبلته بالسهـــام
ويحكم ما خفتم سلطانكم ان مولاكم عزيز ذو انتقام
خنتم قول الرسول المصطفى في حديث صح من أحلى الكلام
ان من اجرى دماهم لم يرح ريح طوبى حبذا تلك المشام
حرم الأعراض مع اموالهم والدما عهداً إلى يوم القيام
إذ لهم من كل حق مالنـا وعليهم ما على أهل السلام
بئسما خنتم به قرآنكم بئسما عاملتموهم باللئـــام
أي قرآنٍ محلٌ فعلكم أي برهان على وزر حرام
فتككم بالآل محفوظ لكم وهو منقول لنا من ألف عام
أي علم زانكم بين الورى أي فضل كنتم فيـه أمام
جبنكم أصغره طَودُ حرا عقلكم أكبره أوهى المشام
حلمكم ذاك الحماريُّ الذي شاع بالأمثال ضرباً بالأنام
أي إقدام لكم يوم الوغى أي إقدام لكم عند الصدام
أي آراء لكم محمودة انكم اطيش من فرخ النعام
ما لكم من خصلة محمودة غير وضع النقص في القوم الكرام
أحسن الحالات عندي لكم ان تزافوا جحفلاً ورد الحمام
أيد الله على اقليمكم ذا المشير الناظر السامي المقام
اذ قوام الدين والدنيا معا بانبعاث الرسل أو عدل الإمام
بئس مصر قد خلت من حاكم جور سلطان ولا عدل عوام

وقد علمت أنه لولا ضرورة المقام ، لكثر المتصدون للرد وابطال هذا

الكلام ، ولكن كان مقصود الناظم الخلاص ، مما دهى غيره ولات حين مناص ، غير انه نهج منهج الغلو ، وتنازل عن منازل الرفعة والعلو ، وهجا أهل الشام من قديم وحديث ، وطيب وخبيث ، مع ان رسول الله لم يقل ذلك ، ولا سلك بأهل الشام هذه المسالك ، بل مدحها وأهلها ، وأوصى بها وأجلّها ، وهب انه أذنب بعض أهل الشام ، فلا ينبغي تقبيح الخاص والعام ، بل الفاعل بالذم أحرى ، وقال الله تعالى : « ولا تزر وازرة وزر أخرى » ومن طالع صحيح البخاري وكتب التاريخ المعتمدة ، وجد أن قصة الحسين ليست لأهل الشام مستندة ، على أن يزيد الملعون لم يكن من أهل الشام ، وليس له بها من قرابة ولا نسب ، وإضافة هذه القصة لأهل الشام خالية عن المعرفة وموجبة للعجب ، ولكن طوبى لمن عقل لسانه وكفه ، وأطلق بالخير بنانه وكفه ، ولو سكت الكليم لرأى العجائب ، ولو صمت يوسف لعصم النوائب ، وليت شعري من في الشام الآن ممن كان في ذلك الزمان ، ما بقي بها إلا مهاجر أو غريب ، وانكار ذلك أمر غريب . ويكفي العاقل أن يتخلص من المكروه بجميل أحواله ، بدون أن يلقي أخاه في أوحاله ، فعلى كل حال لم يكن المترجم ممدوحاً بذلك ، بل سلك أوعر المناهج والمسالك ، والملام إنما يكون على ذوي المضرة والباس ، لا على جميع الناس . فكيف يجوز أن يؤخذ زيد بجريمة غيره ، وأن يعامل بالقبيح على معروفه وخيره :

ليس الفتى كل الفتى   إلا الفتى في أدبه
وبعض أخلاق الفتى   أولى به من نسبه

ولولا أن أهل الشام الآن من شيعة آل البيت ، لقوبلت هذه القصيدة بكيت وكيت ، ولكن الحب يدعو الى الصبر ، وان تحمّل الانسان ما يوغر الصدر ، على أن القبيح لا يقابل بالقبيح ، وإلا فما فضل المليح على القبيح ، وما هي إلا زلة عالم ، وجهت على قائلها لسان اللائم .

هذا وإنه في سنة أربع وثمانين في أيام ولاية المرحوم راشد باشا قد فصل إفتاء الشام عن المرحوم أمين افندي الجندي ، ووجه الى المترجم ، وفي سنة تسع وتسعين أضيفت له أيضاً مديرية معـــارف الولاية الجليلة ، وأول رتبة وجهت اليه باية ازمير المجردة ، سنة اثنتين وسبعين ، وفي سنة احدى وتسعين بدلت برتبة البلاد الخمس ، مع الوسام المجيدي ، من الطبقة الثالثة ، وفي سنة ست وتسعين رفعت درجة لـكي تكون موصلة لبـــاية الحرمين الشريفين ، وأعطي النيشان (١) العثماني من الطبقة الثالثة أيضا ، ثم وجهت عليه رتبة الحرمين الشريفين سنة تسع وتسعين . ثم في سنة الف وثلاثمائة وجهت عليه باية استانبول مع النيشان المجيدي من الطبقة الثانية ، مع انه في اصطلاحهم من مقتضى الباية المذكورة انها لا تعطى لمن يكون خارج الآستانة ، وارتفع قدره ومقامه ، وشاع ذكره واحترامه ، وتعاظم جاهه وإن كان به بخيلا ، وزاد إقباله عند الناس وإن كان لا يعد من سواه إلا ذميا قليلا .

ومن تآليفه تفسير القرآن الكريم بالحروف المهملة سماه درر الأسرار ، وكتاب في اللغة سماه « دليل الكمل الى الكلام المهمل » ومنظوم غريب الفتاوى ، والفتاوى المحمودية نثراً في أربع مجلدات ، ونظم الجامع الصغير للامام محمد في ثلاثة آلاف بيت ، ونظم مرقاة الأصول لملا خسرو ، والنور اللامع في أصول الجامع ، والقواعد الفقهية ، والطريقة الواضحة الى البينة الراجحة ، والتفاوض في التناقض ، ورفع المجانة (٢) في حكم الغسل في الإجانة (٣) ورفع الستور عن المهاياة في المأجور ، ورفع الغشاوة عن أخذ

---

(١) النيشان : الوسام .

(٢) المجانة ، من مَجن مجونا الشيءُ : غلظ وصلب ومجونا ومُجْنا ومَجانة : مزح وقلّ حياءً فهو ماجن . والمجن : خلط الجد بالهزل .

(٣) الاجّانة والجمع : أجاجين ، إناء تغسل فيه الثياب ، جرّة كبيرة .

الأجرة على التلاوة ، ورسالة في مصطلح صاحب الهداية ، وتنبيه الخواص ، ورسالة في خلل المحاضر والسجلات ، وجامع الأسانيد ، والأحاديث المتواترة ، ورسالة في بيان المرصد والكدك ومشد المسكة والحكر ونحوها ، ورسالة في الماس والزمرد والياقوت ، وأرجوزة لطيفة في فن الفراسة ، ومجموعة صغيرة في مسائل فقهية ، وله ديوان شعر بديع [1] ، قد أجاد فيه أنواع البديع ، فمن نظمه مادحاً حضرة العارف بالله الأمير السيد عبد القادر الجزائري قوله :

هذا بريد اليمن والتوفيق ... وافاكم في محفل التصديق
وافى يترجم عن بشير خلفه ... في موكب التشويف والتشويق
يا سادتي يا آل طه مِقْوَلي ... في مدحكم عار عن التشديق
ومتى أحاول مدحةً لسواكم ... ألقاه مكتسباً من التمطيق
حيث المديح الى علاكم والسوى ... جزؤ من التطبيق والتلفيق
لكنه في الغير يسهل مأخذا ... ويجول طرفي فيه كل طريق
وأرى يراعي صار سهماً صائدا ... خشن المعاني عند كل فريق
وإذا يغصْ يوماً لدر مديحكم ... ويلاه كم يحتار في التطريق
ويعود صفراً من مآمِلَ أمَّها ... من بعد روم الدر والتعميق
فأعَضّ اصبع نادم حرصاً على ... ما فاته متتابع التصفيق
وأقول علك يا يراعي واهن ... أو قد نسيت مسالك التدقيق
قد كنت لي نعم المسامر في الدجى ... ما هكذا شرط الاخاء صديقي
غواصٌ تيار المعاني مخرجا ... من معدن الألفاظ كل رقيق
فأجابني مهلاً فهذا مركع ... لا مرتع لسوابق المنطيق
هذا الهمام الشهم شمس الغرب من ... حجبت بها المدّاح عن تحديق
هذا الذي اعيى الفَرَنج فِرِنده ... والرمح بالتحليق والتخريق

---

(١) مؤلفاته هذه مطبوع أكثرها كما في « الأعلام » وفي « معجم المطبوعات » .

هذا الذي امراه قد شهدت له ... منهم لدى التطويل والتوثيق
هذا الذي ان قابلوه قلوبهم ... تقضي من التصفيق والتخفيق
هذا الذي حاز العلوم مع التقى ... وكذا السخا زهداً مع التوفيق
هذا الذي شكرت شمائله الورى ... طراً سوى البطريق والزنديق
إن كنت تطمع في انحصار خصاله ... فلقد وقفت مواقف التضييق
فعجبت من قلم يهذب ربه ... إذ قال قولة ناصح وشفيق
واجبته ياذا اليراع مسلّم ... ما قد نقلت ومحكم التنسيق
أنا لم أرُم عرض المديح لسيد ... كَلّتْ بحضرته يد التنميق
لكنني أبغي الوفود مهنئا ... لقدوم مولود غدا تمليقي
وتفاؤلاً بالصدق منه تيمنا ... وتبركا سماه باسم عتيق
أهلا بمن وافى أمانا للملا ... من فتنة التحريق والتغريق
إذ قد روينا في الحديث مصححا ... أن الأمان بكم على التحقيق
تاريخ حمد في جمادى عامنا ... لُقبتَ عبد الله بالتصديق
يا أيها المفضال يا غوث الورى ... ياكعبة الراجي لكل مضيق
كم أشرقت في الغرب أقمار لكم ... والآن قد بزغت من التشريق
فلذاك محمود يزف عروسة ... غصت قوافيها من التدقيق
تمشي على استحيا رضيعة يومها ... وافت حما كم خشيه التعويق
ترجو مسامحة القصور لسنها ... لو لاه كم أبدت من التعشيق
لا زلت بدراً والكواكب حوله ... منظومة التدوير والتحليق

ثم كتب في إمضائه بخط يده : عبودية الداعي لكم بطول البقا وسمو الارتقا ، مدى الأيام ، محمود الحراني غفر الله له ولوالديه آمين .

ومن مشايخ المترجم الشيخ عبد الرحمن الكزبري والشيخ سعيد الحلبي والشيخ حامد العطار والسيد محمد عابدين والشيخ نجيب القلعي ووالده نسيب افندي ، وغيرهم من المشايخ العظام والقادة الكرام ، فأتقن وحقق وتضلع

في العلوم ودقق ، وكان كثير المذاكرة حسن المحاضرة ، ذا نطق فصيح وذكاء راجح مليح ، وحافظة جيدة سامية ، وتقريرات نحو الصواب وامية .

وقبل موته بنحو أربع سنين لازم داره ، وجعل مطالعة العلوم وتحقيق المسائل مركزه ومداره ، وكنت لا اجتمع معه في جمعية ، إلا ويذاكرني في مشكل المسائل خصوصاً في الاصطلاحات الصوفية ، ولم يزل صيته يعلو وقدره يسمو ، إلى أن دعاه داعي المنون إلى حضرة من أمره بين الكاف والنون ، وذلك منتصف ليلة الاثنين تاسع شهر محرم الحرام سنة خمس وثلاثمائة والف ، وصلى عليه في جامع بنى أمية ما ملأ الجامع مع اتساعه من علماء ووزراء وفضلاء وغيرهم ، ثم ساروا به في موكب عظيم إلى تربة الفراديس المعروفة بمقبرة الدحداح .

وفي تلك الليلة اجتمع من أعيان البلدة وصدورها جملة في دار الشيخ سليم افندي العطار ، وسطروا عرض محضر إلى الوالي وكان غائباً في مدينة صيدا ، وقدموه له في توجيه الافتاء إلى أخيه أسعد افندي ، وكتب بموجبه مضبطة في مجلس إدارة الولاية ، ثم في ثاني يوم كتب عرض محضر آخر وختم بأختام جماعة آخرين بطلب توجيه الافتاء إلى حضرة محمد افندي المنيني ، وقدم كذلك إلى الوالي ، فأرسل الوالي الأوراق جميعاً الى باب المشيخة مع كتابة منه خاصة سرية تجنح لتقديم منيني افندي على أسعد افندي ، ثم انه كثر بين الناس القيل والقال ، وتفرقت الكلمة واتسع على الناس المجال ، الى أن مضى أيام ، فجاء الأمر من المشيخة بتوجيه الافتاء على محمد افندي المنيني الهمام ، فانقطع الخصام والجدال ، ولم يكن إلا ما أراد ذو الجلال . ومن جملة من رثى المترجم المرقوم منير زاده [١] محمد صالح افندي فقال :

كل نفس ذائقة الموت حتما   وإلى الله ترجـــع الناس حتما

(١) منيّر زاده ، أي ابن المنيّر (تركية) .

ومنها :

كيف لا تبكي العالمون دماء　　لفقيد قد أورث الخلق غمـــا
سيد القطر واحد العصر فضلا　　مع حسن الأعمال قد فاق علما
فهو محمود طاب حياً وميتاً　　وغدا الاسم فيه طبق المسمى

الشيخ محمود بن علي بن منصور بن محمد بن عبود الحلبي الشافعي الشهير بابن قَنْصَه

وهو اسم أم جدّهم الشيخ نور الدين . كان المترجم عالماً فقيهاً مقرئاً مجيداً من مشاهير القراء والحفاظ في حلب ، ولد بهـا سنة خمس وأربعين ومائتين والف ، وقرأ القرآن العظيم وحفظه على أبي محمد عبد الرحمن بن ابراهيم المصري نزيل حلب ، والشيخ فتيان ، وعلى والده وتفقه بالأول ، وقرأ العربية والفقه أيضاً وبعض الفنون على أبي محمد عبد القـــادر بن عبد الكريم الديري وأبي علي حسين بن محمد الديري الحلبي ، وسمع على أبي اليمن محمد بن طه العقاد وأبي السعادات طه بن مهنا الجبريني ، وسمع على الأول صحيح البخاري إلى كتاب الحج ، وأجـــازه شيخه أبو محمد عبد الرحمن المصري وغيره ، وأتقن وبرع وجود وأحسن التلاوة والحفظ ، وأثرى ونال حظاً من الدنيا . ولم يزل في ارتقاء وعلو وتقدم وسمو ، الى أن اخترمته المنيّة في حدود عشرة ومائتين والف رحمة الله تعالى عليه [١] آمين .

محمود بيك بن خليل بك بن أحمد بيك بن عبد الله باشا العظم الدمشقي

الأديب الذي في ميدان الأدب لا يجارى ، والأريب الذي في لطفه

(١) نقل هذه الترجمة في تاريخ حلب الشهباء ولم يزد عليها شيئـــا ، غير أنه ذكر (فنصة) بالفاء لا بالقاف .

وجماله لا يبارى ، والفصيح الذي فاقت فصاحته والمليح الذي تسامت ملاحته ، واللبيب الذي استوى على أوج الرقائق ، والنجيب الذي لم يدع منهلاً في المعارف إلا وكرع منه الكأس الرائق .

ولد في سنة اثنتين وخمسين ومائتين والف ونشأ في حجر والده ، وقرأ القرآن وتعلم الكتابة الحسنة ، وقرأ بعض الفنون على بعض الأفاضل ، إلى أن صار له يد طولى ، ثم انفرد في دار وحده ، وكان غنياً غنى مفرطا من جهة أمه ، إلا أنه سلط عليها يد الاتلاف من غير إدارة ولا إنصاف ، والدنيا كانت تعاكسه في كل مراد وتجذبه الى خلاف ما أراد ، وما زال على حاله لا يصغي الى من يريد أن ينشله من أوحاله ، إلى أن قل ماله وبدا له ممن كان يتردد عليه اهماله ، فاختار العزلة في أكثر أوقــاته ، والانفراد عن أحبابه وذوي التفاته ، الى أن شرف الى الشام العــارف الكبير والهمام الشهير ، الشيخ محمد الفاسي المغربي المالـكي الشاذلي ، فأقبل عليه وتوجه بكليته اليه ، وأخذ منه الطريقة الشاذلية ، وحصل له منها نفحات رحمانية ، وكنا نجتمع معه في أوقات كثيرة هي بأن تذكر بأنها من الأعمار جديرة ، لأن تجليه كان جالباً للفرح مذهباً للترح ، موجبــاً للسرور مخرجاً من الغم والكدور . وكان حسن المعاشرة جميل المذاكرة ، لطيف العبارة ظريف الاشارة ، كثير الابتسام عذب الكلام ، ملاطفته تذهب البؤس عن كل عبوس . وكان له قلم عال سبوق سيال ، وله تأليفات أدبية ، ورسائل عن العيب أبية ، خصوصــاً وقد اشتغل بعد الطريق بمطالعة كلام السادة الصوفية ، ذوي المعارف والأسرار الإلهية .

فمن مؤلفاته كتاب « رسائل الأشواق في وسائل العشاق » في ثلاثة مجلدات ، وهو كتاب يشتمل على العبارات الرقيقة والقصــائد الأنيقة ، وأنواع الموشحات والمقاطيع العاليات ، وكثير من فنون الشعر مما لا يوجد بغيره من كتب النظم والنثر ، ويشتمل على حكم ومواعظ ونوادر ونكات ،

وله شرح مناجاة سيدي العارف بالله الشيخ عبد الغني النابلسي بلسان عال جميل ، وله عدة دواوين شعرية (١) ، تدل على معارفه العلية ، وله كتاب في التصوف سماه البحر الزاخر والروض الزاهر ، ومن كلامه في مدح النبي ﷺ :

سلوني فأحكام الهوى بعض حكمتي ... وأحكام آيات الغرام مزيتي
بدا لي به نور الحقيقة ظاهراً ... فشاهدت ذاتي تنجلي لبصيرتي

ومنها :

فمحبوب قلبي ان تأملت واحد ... انست به للانفراد بوحدتي
مظاهر أسماء له قد تعددت ... ولا ثم إلا واحد في الحقيقة
فطوراً بليلى والرباب تغزلي ... وطوراً بزيد واللوى والثنية
فلم يبق شيء ما تعشقت حسنه ... وما ثم كون ما تراءى لمقلتي
إلى أن رأيت الكل بالكل فانياً ... وذاتي هي المقصود من كل صورة

وهي تقارب المائتي بيت كلها قد بلغت في الحسن مبلغاً عظيماً ، ومن قوله في الفخر والحماسة :

عديني وامطلي مهما تشاني ... ففي التعليل تعليل لداني
وتسويف الملاح إذا تمادى ... على المضنى ألذ من الشفاء
بعادي في الهوى عين اقترابي ... وغاية مقصدي وبه مناني
فما أحلى العذاب لكل صب ... إذا أمسى الذي يهواه نائي
له في كل وقت طيب وصل ... يجيء به التخيل والتراني
يشاهد من يحب بلا رقيب ... ولا واش عليه ولا مرائي

---

(١) له ديوان شعر منها مطبوع .

ومن شعره القوي في الفخر والحماسة قوله :

سل الخطّار والبتار عني ... وسل جود السحائب عن سخائي
ظمئت فما شربت الماء صرفاً ... ولا أدليت دلوي في الدلاء

إلى أن قال :

ولي نفس الملوك بجسم عبد ... تنزّهُ أن يــذل له ثرائي

فلم أترك لقاهـــا عن ملال ... ولا عن علة تركت لقاني
ولكنا نرى للعز أهلا ... وأهلا للمذلة والشقـــاء
رويدك أين تبلغ من لحاقي ... أمامك أيها العادي ورائي
سل الخطار والبتار عني ... وسل جود السحائب عن سخائي
ظمئت فما شربت الماء صرفا ... ولا أدليت دلوي في الدلاء
أأشرب والزلال يخاض فيه ... ومن نهر المجرة كان مائي
ولما ان سموت إلى الثريا ... انفت بأن أسير على الثراء
فما رتب العلا الا حظوظ ... مقسمة على أهل الولاء
وحسبك فاقتنع بالبعض منها ... ولا تلقي بنفسك للبلاء
وإياك التطلع نحو مجدي ... ولا تقس الغياهب بالضياء
فاني لست أقنع بالتهاني ... ولا يرضى بغايتها رضائي
واني سوف ابتكر المعالي ... وأبلغ من نهايتها منائي
ولي نفس الملوك بجسم عبد ... تنزه أن يذل له ثرائي
ولكني أرى في قوم سود ... رضوا بالغيم عن زرق السماء
سأصبر صبر مرتاض كريم ... وأجعل كل ما أرجو ورائي

ومن قوله رحمه الله تعالى في النصائح والمواعظ

يا مهجتي مهلا إلى كم تتعبي ... وإلى متى بهوى الظبا تتعذبي
خلي معاناة الصبابة والهوى ... وعن المحبة فاذهبي لا تذهبي
ان الهوى فيه الهوان فقللي ... ذكر الغزالة والغزال الربرب
كم ذا تداري الكاشحين بجبهم ... وعلى الغضا وعن الهدى تتقلبي
وإلى متى هذا النحيب وذا البكا ... فلقد يشك من الجوى أن تعطبي
ان كنت لا تصغي لقولة ناصح ... فتقطعي بهواهم وتأربي
في مذهبي ترك الصبابة في الصبا ... شرع أدين بدينه في مذهبي
ودعي كؤوس الراح لا تعني بها ... وتهذبي ان كنت لم تتهذبي

ان الندامة في المدامة أودعت أن تقبلي نصحي وإلا جربي
ودعي المليح وقولهم يا حسنه لم يبق ذو لب به الا سبي
ان لاح لاح البدر من أطواقه أو فاح اهدى طيبا من طيب
يزري بأغصان الأراك قوامه ان قام يخطر خطرة المتعجب
من شعره وجبينه غار الضيا حسداً له وانشق قلب الغيهب
ودعي هوى سلمى وزينب فالهوى ضرب من الهذيان يجهله الغبي
ان تبد قل للشمس قولة ناصح بالله يا شمس النهار تحجبي
هي كالغزالة ان بدت وتلفتت لكنها حجبت بقلب العقرب
لا يشجينك بارق متألق فلعله برق وليس بصيب
وتكلفي للجد في طلب العلا من جد فاز علا بأرفع منصب
يا صاح خذ قولي ودع ما غيره حتى تسمى بالأجل الأنجب

وله كثير في كل نوع من أنواع الشعر مذكور في ديوانه ومجاميعه ، وفي آخر أمره ضاقت يده ولم يبق عنده من ثروته الواسعة شيء لا من دراهم ولا من دنانير ولا من عقارات ، ومع ذلك تراه ضاحكا راضياً كأنه ما أصابه شيء قط ، وكنت كلما نصحته قبل ذلك يعتذر لي لأن مراد الله لا بد من وقوعه . وكان حضرة الأمير السيد عبد القادر الجزائري يصله كثيراً ويساعده ، ولم يزل الى أن توفي في نصف رجب الحرام الذي هو من شهور سنة اثنتين وتسعين ومائتين والف ، وتأسف الناس عليه ، وكانت وفاته في حياة والده (١) ودفن في تربة أسلافه ، ومدته من العمر أربعون سنة .

الملا محمود بن غزاني الكردي السليماني الشافعي الأشعري

العالم الذي عد في أقرانه الأول ، والبليغ الذي يفوق مختصر بيانه المطول ، والإمام الذي هو الحسن المشهور ، والهمام الذي هو بكل كمال

(١) والمترجم هو والد المؤرخ الشهير رفيق بك ، وعثمان بك العظم .

مذكور ، قد استفاد وأفاد وأعاد فأجاد ، فهو من أناس حمدوا سعيا ، ومن غرر راقت بهم وجوه الدنيا ، وهو من عيون أهل السليمانية الاكراد وساداتهم الأمجاد ، الذين تحلوا بحلي الشرف ، وابرزوا في دروسهم الطرف ، وأشار إليهم الفضل ببنانه وضم عليهم بأجفانه ، فهو لا شك من أقمار تلك البلدة ، ومن أبحرها بما ألقاه وأمده ، وإن لم يشن الجزر مده ، فلله فاضل كساه الفضل برده ، ولطيف عباراته ألطف من الشمول ، وعفيف على أوصافه يشرق القبول ، وتقي سارت محاسنه ، وعزت به مواطنه :

يا طالباً تحف العلوم عليك ما يرويه محمود من الآثار
كم جوهر أبدى بحلقة درسه ترويه عنه عواطل الأفكار
عيناً لآثار النبي وجدته أو ما تراه كل يوم جار

عانى العلوم الرسمية طفلا ، فقالت له أهلا وسهلا ، وناشدته المحافل بالآثار الحميدة ، فوضع في جيدها كل فريدة ، وجلا فيها من العلوم كل خريدة ، وكان قد نادته السعادة فأجابها وماء صباه غريض [1] ، وروض قوته بالأنس اريض [2] ، وأنشدها من بنات أفكاره ما هو السبر لعلو اعتباره :

ياعلوما وافيتها وشبابي ما نضاه عن كاهلي الملوان
لك طرفي مرأى وقلبي مرعى ما تسامى من ذينك النيران

فما زال يفيد بالجوهر الفريد ، ويظهر كل كال ويحضّ الناس على طريق الجمال ، ويأمر بالتقوى والعبادة ، والعفة والزهادة ، إلى أن حال حين وفاته ودعته المنية لمماته ، وذلك في عام الف ومائتين واثني عشر من هجرة سيد البشر .

---

(١) الغريض : الماء الذي يورد باكرا ، وكل أبيض طري .
(٢) أرضَ المكانُ : كثر عشبه وازدهى وحسن في العين فهو أريض .

الشيخ محمود بن الشيخ محمد بن الشيخ حسن البيطار
ابن أخي شقيقي الشيخ محمد

إمام عالم عامل وهمام عابد كامل ، حفظ القرآن في صغره ، ثم دأب على أخذ الفنون إلى كبره ، قرأ على جده والدي مدة ، وعلى والده وقد بذل اجتهاده وجده ، وتفقه على مذهب سيدنا أبي حنيفة النعمان .

وفي سنة الف ومائتين وثمانين جلس في أمانة الفتوى في دمشق الشام ، وقرأ على الإمام الفاضل الشيخ محمد الطنطاوي وعلى الشيخ محمد الخاني وحضر عندي مدة طويلة في الفقه والمعاني والبيان والنحو .

وكانت ولادته سنة الف ومائتين وثلاث وخمسين تقريباً ، وتوفي صباح الاثنين قبيل الفجر خامس عشر رجب عام الف وثلاثمائة وستة عشر ، ودفن في تربة الحصني في باب الله رحمه الله تعالى .

السلطان مراد الخامس بن السلطان عبد المجيد
ابن السلطان محمود خان

تولى الملك سنة ثلاث وتسعين ومائتين والف سابع شهر جمادى الأولى ، وبيان ذلك أنه اجتمع يوم الاثنين ليلة الثلاثاء سادس جمادى الأولى من السنة المرقومة ، حضرة الصدر الأعظم وشيخ الإسلام خير الله افندي ومدحت باشا مأمور المجالس العالية وعموم الوكلاء ، في الباب السرعسكري (١) وعقدوا مجلساً مخصوصاً ووجهوا حضرة السرعسكر (١) باشا إلى دائرة حضرة مولانا السلطان مراد خان (٢) فأبدى لعظمته قائلا انه بالاتفاق العمومي صار

---

(١) قائد الجيوش .

(٢) ولد السلطان مراد الخامس في ٢٥ رجب سنة ١٢٥٦ ، وارتقى منصب الخلافة في ٧ جمادى الأولى سنة ١٢٩٣هـ ١٨٧٦ م وكان متعلماً مهذباً ميالاً للاصلاح : محباً للمساواة بين جميع أصناف رعيته ، مقتصداً في مصرفه ، غير ميـال للسرف والترف ، يشهد بذلك الفرمان الذي أرسله الى الباب العالي بابقاء الوزراء وجميع المأمورين في وظائفهم ، ومبيناً فيه خطة الإصلاح الذي يريد اجراءه اهـ من ترجمته في تاريخ الدولة العثمانية لمحمد فريد بك (ص ٣٢٠ ـ ٣٢٦) وترجمته في هذا التاريخ .

خلع السلطان عبد العزيز خان [١] استناداً على الفتوى الشريفة التي اعطيت من جانب المشيخة الإسلامية ، وصورتها : إذا كان زيد الذي هو أمير المؤمنين مختل الشعور ، ولا قسم له في الأمور السياسية ، وقد صرف الأموال الأميرية على مصاريفه النفسانية ، على نوع يفوق طاقة وتحمّل الملك والملة ، واجرى اخلال وتشويش الأمور الدينية والدنيوية ، وضر الملك والملة ، وكان بقاؤه مضراً بحق الملك والملة ، هل يلزم خلعه ؟ الجواب : يلزم . كتبه الفقير حسن خير الله عفي عنه .

وحينئذ قد دعيت ذاتكم الهمايونية [٢] لسرير السلطنة العثمانية ، فقام في الحال مستصحباً معه السر عسكر المومى إليه ورديف باشا رئيس دار الشورى العسكرية ، وذهب إلى قرغولخانه طولمه بغجه ، وأبقى هناك حضرة رديف باشا المشار إليه راكباً قايق [٣] السر عسكر إلى اسكلة [٤] سركه‌جي ، ومنها شرف بحضوره الباب السر عسكري ، فاستقبله حضرة الذوات المشار اليهم المنتظرين قدوم ذاته المحفوفة بالسعد والاقبال ، وهكذا أجرى حضرة ذي الدولة والسياسة الشريف عبد المطلب افندي والصدر الأعظم وشيخ الإسلام وعموم وكلاء السلطنة السنية والعلماء الفخام وأمراء العسكرية الكرام ، أمر البيعة الجزيل الاحترام ، وبعد أن تقدم الدعاء من طرف حضرة شيخ الإسلام والشريف عبد المطلب افندي بتوفيق الحضرة السلطانية ، اطلقت المدافع مائة طلق وطلقا من كل من السفن الهمايونية ، والمحلات الموجودة بها المدافع ، وزينت الدُّونَنما [٥] الهمايُونية ، والسفن

---

(١) السلطان عبد العزيز سلطان بني عثمان (١٨٣٠ – ١٨٧٦) كان مسرفاً ، وقد انسلخت في أيامه بعض البلاد كرومانيا وصربيا عن تركيا .

(٢) السلطانية أو الملكية .

(٣) زورق .

(٤) مرفأ ، ميناء .

(٥) السفن الحربية .

العثمانية عموماً برفع البيارق [١] وكانت سناجق [٢] السفن الحربية السلطانية مكللة بالاسم السامي الهمايوني تموج بنسائم العظمة والشان على هام البشر والسرور ، ونادى المنادي على رؤوس الأشهاد ، بجلوس ذي السلطنة والإسعاد ، فكل من سمع هذه المناداة من التبعة العثمانية بادر إلى الباب السر عسكري ، وبمقتضى المساعدة السلطانية السنية لم يجر على أحد رسوم الابعاد ، إلى أن جرت البيعة العامة السلطانية للمترجم المرقوم ، ففي الوقت ارتفعت الأصوات بالدعوات المجابات ، من ذوي العلوم المجتمعين في الديوان خانه العسكرية [٣] ، بالأصوات المرتفعة ، فنهضت الذات السلطانية في الحال لحل الدعاء بذاته ، وتلا من جملة الحاضرين لفظة آمين ثم انه نظر إلى العموم بعين البشر والسرور ، وأبدى التسليمات المفرغة على الحاضرين أنواع التلطيف ، ثم انه بعد ذلك خرج من الدائرة التي حصلت بها البيعة ، ومعه الصدر الأعظم والسر عسكر ومدحت باشا ، وكان صدى أصوات العساكر وطلبة العلم وعموم الأهالي بقولهم فليعش سلطاننا سنين عديدة ، ولا زال الأمر كذلك إلى أن ركب العربة ، ومنذ قيامه من الباب السر عسكري إلى أن شرف بالوصول للسرايا [٤] ، الهمايونية كانت الأهالي في الطريق تكثر التهاليل وتهتف فليعش سلطاننا كثيرا ، وكان يحيي الجميع بالسلام .

ولما شرفت عظمته بالوصول إلى سرايا بشكطاش استقبلته الخدمة الخاصة الواقفة بموقع التعظيم هاتفة بالدعاء القديم الذي هو ما شاء الله ، عش سلطاننا بدولتك كثيرا ثم نصب التخت العثماني في مكان الديوان ، والموسيقى الهمايونية أخذت تصدح بلذيذ الألحان ، وأتباع الحضرة السلطانية مصطفة بالترتيب والاتقان ، فأجرى جميع الحاضرين من الوكلاء وغيرهم والأفندية والبطاركة

---

(١) الأعلام .

(٢) الألوية أو الأعلام .

(٣) دار القيادة العسكرية .

(٤) دار الحكومة .

والحاخامات وغيرهم من سائر الملل المختلفة إيفاء البيعة واعطاء المقام حقه ، ثم انه بعد أن صار جلوس السلطان مراد وشاع خبره لدى الخاص والعام ، حصل التبليغ والافادة من طرف حضرة رديف باشا المشار إليه المأمور المخصوص على العساكر الشاهانية ، إلى حضرة السلطان عبد العزيز [١] بمعرفة افندية مكتب الحربية السلطاني ، المأمورين من المساء بمحافظة ساحل بشكطاش الهمايونية ، وبمعرفة حضرة آغا دار السعادة الشريفة دولتلو عنايتلو جوهر آغا المتصف بالحماية والحمية الملية والصلابة الدينية ، قائلا : أن الملة العثمانية المعظمة خلعتك من السلطنة وبايعت سلطاننا السلطان مراد خان ، وصدرت الإرادة السنية بإقامتكم في سرايا طوب قبو ، فبناء على ذلك توجه حضرة عبد العزيز افندي الموما إليه إلى السرايا المذكورة ، مع متعلقاته ومنسوباته بخمسة قوارب متفرقة ، وبقي في السرايا المرقومة إلى أن توفي بعد أيام ، كما هو مذكور في ترجمته .

ثم ان السلطان المترجم المرقوم وقع في شعوره خلل مسقط له عن أهلية الملك فاقتضى المقام خلعه ، بعد استفتاء شريف من المشيخة الإسلامية ، فكان الافتاء بوجوب خلعه إبقاء لاستقامة الدولة وحفظ الملة وحقوقها ، فبناء على ذلك خلع بعد جلوسه على عرش الملك ثلاثة أشهر وثلاثة أيام ، وتولى مكانه حضرة السلطان الأفخم والخاقان الأعظم السلطان عبد الحميد خان ، أدام الله دولته مدة الدوران ، وكان خلع السلطان مراد يوم مبايعة السلطان عبد الحميد ثالث شهر شعبان سنة ثلاث وتسعين ومائتين والف .

---

(١) المولود (سنة ١٢٤٥ هـ سنة ١٨٣٠ م) وقد بويع بالسلطنة (سنة ١٢٧٧ هـ سنة ١٨٦١ م) وكانت فاتحة أعماله أنه أقرّ الوزراء في مراكزهم ما عدا ناظر الجهادية رضا باشا ، فانه أبدل بنامق باشا ، ثم خلع من السلطنة بفتوى من شيخ الإسلام حسن خير الله ، اتفق على اصدارها بعض نظار الدولة أو وزرائها باتهام السلطان بالاختلال ، وإلى الله المآل . انظر تاريخ الدولة العثمانية (ص ٢٨٧ ـ ٣٢٠) وترجمته في هذا التاريخ (حلية البشر) ج ٢/٨٥٢ ـ ٨٥٤ .

الشيخ محي الدين بن محمد الدمشقي المعروف بالنابلي وبابن الدمشقي

الخطيب والمدرس والإمام في جامع القلعي في محلة سوق القطن ، وكان لطيف الكلام حسن المعاملة ، عليه سيما أهل الصلاح ، دائباً على العلم والعمل . مات بدمشق خامس ذي القعدة الحرام سنة ثمان وثمانين ومائتين والف رحمه الله تعالى .

الشيخ محيي الدين بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن هديب[1] الدين بن فرج الدين بن عضد الدين الدمشقي الشافعي الشهير بالعاني ، ونسبته إلى عانة قرية من قرى بغداد دار السلام

ولد بدمشق الشام سنة إحدى وعشرين ومائتين ، والف ، ونشأ في كنف والده وأخذ عنه وعن الشيخ سعيد الحلبي وعن الشيخ عبد الرحمن الكزبري وعن الشيخ عبد الرحمن الطيبي وعن الشيخ حامد العطار وعن الشيخ هاشم التاجي وعن غير هؤلاء من الفضلاء الكبار والعلماء الأخيار ، واشتهر بين الناس بالصدق والصلاح والرفق والنجاح ، والزهد والتقوى بالسر والنجوى ، والتفكر الموصول والدعاء المقبول ، والهمة العالية والطاعة السامية والكشف عن المغيبات ، والإخبار بالصدق عما هو آت ، وكان له قرناء يذكرون له من الشمائل ما لم يكن لكمل الأولياء ، إلى أن استوى على عرش علاه وظن أنه لا أحد يساويه في حلاه ، فصار يصدق لهم على أقوالهم ، ويذكر لهم من ممدوح صفاته ما لم يكن خاطراً في بالهم ، وكأنه لم يتنبه لما قيل من بديع الأقاويل :

لا تصاحب من الأنام لئيما ربما افسد الطباع اللئيم

(١) « كذا » .

فالهواء البسيط في جمرة القيـــــظ سموم وفي الربيع نسيم
وابغ منهم مجانساً يوجب الفــــم فقديصحب الكريم الكريم
واعتبر حال عالم الطير طرا كل جنس مع جنسه مضموم

فخضعوا إليه وخفضوا رؤوسهم ، وأطاعوه وجعلوه رئيسهم ، وشدوا في وسطهم الإزار ، للاعانة والانتصار ، وتوجه كل منهم إلى مكان ، يمدحه فيه ويقول ليس في الإمكان ، فعلا قدره وانتشر في الناس ذكره ، إلى أن صار إذا عمل أكبر الكبائر ، يقول الناس هذه لا تعد من الصغائر ، لأن الشيخ له أحوال ، لا نعرف ما يقصد عند بعض الأفعال ، فهو من أهل الكشف والشهود ، ونحن من أهل الحجاب المسدول والممدود ! ! فحينئذ أطلق أقواله وأظهر أفعاله ، وأتى بما لا يصدر مثله عن أهل الشقا فضلا عن ذوي الطاعة والتقى ، ومـــا ضره إلا من كان يجلس حوله ، ويستصوب له قوله وفعله :

لعمرك لا يغني الفتى طيب أصله وقد خالف الآباء في القول والفعل
فقد صح أن الخمر رجس محرم وما شك خلق أنه طيب الأصل

فسلك سبيل خلاف الصواب ، معتمداً على شهرته من غير ارتياب :

ما كل من حسنت في الناس سمعته وحاز ذكراً جميلا أدرك الأملا

فالانسان كل الانسان ، هو الذي كل أعماله قد وزنت بميزان ، فلا يعتمد على قول أي قائل زان أو شان ، إلا ان وجده موافقاً للسنة والقرآن .

هذا وإني مرّة قد دخلت الى داره ومحل قراره ، فما زال يذكر لي العلماء والسادة الفضلاء ، الى أن توصل الى ذم الفاضل الأوحد ، والعالم العامل المفرد ، قطب الأولياء ، وكعبة الأصفياء ، سيدي الشيخ خالد شيخ الحضرة النقشبندي ؛ فطعن في حقه وأكثر ، فما وسعني إلا أن قلت الله أكبر ؛ وفارقته وأنا مما صدر في غاية الهم والكدر ، فلما رأى

مني ذلك حقد علي ، وصار يتفقد فرصة يوجه بها سهام أذيته إلي [١] .

وكانت وفاته بدمشق في الليلة الثانية والعشرين من رمضان المبارك ليلة الثلاثا نصف الليل سنة تسعين ومائتين والف ، ودفن في مرج الدحداح بالذهبية ، وكانت جنازته حافلة ، وخلف ثلاثة أولاد من خلف مثلهم ما مات ، نسأل الله العفو والعافية ، والنعمة الكافية الوافية .

السيد محي الدين بن السيد مصطفى بن السيد محمد المغربي الجزائري المالكي

الشيخ العالم العامل ، والفرد الأوحد الفاضل ، بقية السلف الصالحين ، وقدوة الأولياء العارفين ، روح مجمع أهل الكمال ، ودوح أهل المعارف والأحوال ، وتاج الأتقياء ، وعلم الأصفياء ، ومعراج الأولياء ، ومربي المريدين والفقراء ، غيث الأنام وغوث الإسلام ، وبقية السلف وعمدة الخلف ، محي معالم الطريق بعد دروسها ، ومظهر آيات التوحيد بعد أفول أقمارها وشموسها ، خلاصة أهل العرفان والمتخلق بمقام الاحسان ، فريد أهل التحقيق في المعارف ، ووحيد أهل التدقيق في العوارف ، من تفجرت ينابيع الحكم على لسانه ، وفاضت عيون الحقائق من خلال جنانه ، وانبثت أشعة أنواره في الكائنات ، وانبعثت جيوش أسراره في الموجودات ، وتوالت هباته وتواصلت بركاته ، وسطت شموس معارفه وزكت عروس عوارفه ، فهو الذي خطف بيد مواهبه قلوب السالكين ، فعكف بها في مساجد المشاهد ورقا بأرواح المريدين ، العفيف الحسيب والشريف النسيب . ينتهي نسبه إلى النبي ﷺ وقد تقدم نسبه مسلسلاً في ذكر ترجمة ولده الأمير السيد عبد القادر فارجع اليها إن أردتها .

---

(١) اقتصرنا من الترجمة على ما تقدم ، واستغنينا عن إيراد قصة خاصة جرت بين المترجم والمؤلف لم نر منها فائدة عامة ، ولذا طوينا ذكرها .

ولد المترجم المرقوم سنة تسعين ومائة والف ، ونشأ في حجر والده وتفقه عليه ، ثم رحل إلى مستغانم فأخذ عن علمائهـــا ، وحضر الكتب المطولة على فضلائها ، وأجازوه بما تجوز لهم روايته ، وحصلت لهم درايته ، إلى أن صار مسموع الكلمة مهاباً مطاعاً ، كثير الطاعة صـــادق اللهجة مطواعا ، ما نال أحد دعوته إلا رأى بركتها في نفسه وماله ، ولا حصّل امرؤ توجهه ورضاه إلا ورأى غاية الاستقامة في أحواله ، ردّد الاختلاف إلى بيت الله الحرام ، وزيارة قبر النبي عليه الصلاة والسلام ، وكان رضي الله عنه مجاب الدعوة ، عظيم الجاه رفيع السطوة ، كم له من كرامة هي على علوّ مقامه أعظم علامة ، منها ما جرى له مع حاكم وهران محمد بن عثمان ، التركي الشهير ببوكابوس ، وذلك أن أربعة من رؤساء الحشم يعرفون بأولاد بُونَقَّاب ، قصدهم الحاكم المذكور أن يفتك بهم فنفروا من وهران ، والتجأوا للحماية عند المترجم المذكور فوضعهم في بيت الأضياف ، ولما علم الحاكم بهم أرسل اليهم رجلا معروفاً بالمرسلي آغة الزمالة ، ومحمد بن داوود نائب آغة الدوائر في أربعمائة فارس ، فوصلوا الى بلدته المعروفة بالقيطنه وأحاطوا بمنزل الأضياف ، وفيه أولئك الرؤساء الأربعة ، وكان الشيـــخ المترجم قد صلى الصبح في مسجده ورجع الى داره ، فسمع ضجيج الناس وأصوات البارود وصهيل الخيل ، فخرج مسرعاً من بيته ، فوجد العسكر محيطاً بهم في بيت الأضياف ، فتقدم الى الباب وقـال اخرجوا اليهم ، ولا تخافوا فان كل واحد منكم بمائة من هؤلاء الظلمة ، فامتثل الرؤساء أمره وخرجوا ، وفي أيديهم السيوف ، فوقع الرعب في قلوب أولئك الفجرة ، وانكشفوا عن البيت ، فركب كل من الأربعة على فرس عري ولحقوهم ، فقتلوا ابن داوود والمرسلي أثخنوه بالجراحات ، وتفرق العسكر شذر مذر ، لا يلوي أحد منهم على الآخر ، واستمروا على وجوههم الى وهران ، وأخبروا سيدهم ، وفي الحين أصيب في عينيه ، ولما عجز الأطباء عن معالجته وعلم انه انمـــا أصيب بانتهاكه حرمة الشيخ المرقوم

وجرأته عليه ، أرسل بعض خواصه اليه ، يستعطفه ويستقيله من عثرته ، ويستغفره من زلته ، ويسأله العفو عنه والدعاء له ، فدعا له وعفا عنه كما هو معلوم من حسن معاملته ، ورقة طبيعته ، فعافاه الله وشفاه ، وأخبر ولد المترجم السيد عبد القادر ان والده المرقوم أخبره بعد هذه الواقعة أن هذا الحاكم مثل له في الرؤيا في صورة كبش فذبحه وسلخه ، فكان الأمر كما قال ، وذلك ان باشا الجزائر أمره بتجهيز الجيوش وسوقها الى نواحي قسنطينة ، وهناك يستكمل تعلقات القتال وينهض لقتال صاحب تونس ، فلما خرج الى مبره على مسافة مرحلتين من وهران ، وتلاحقت الجموع ، ورأى كثرتهم ، سولت له نفسه نقض الطاعة لحكومة الجزائر ، ودعته الى الاستقلال ، فجمع أعيان القبائل وأمرٌ لهم ذلك ، فأجابوه لمطلوبه ظاهراً لاستثقالهم السفر من وطنهم الى تونس ، وأصبح راجعاً الى وهران حاضرة ولايته ، وأمر بقتل من معه من الجند التركي فقتلوا ، وبعث الى تلمسان وأمر عسكر بقتل من بها من الجند ، وأعلن بالدعاء لنفسه ، فاتبعه الدوار والزمالة والغرابة ومن والاهم ، وامتنع الحشم جميعا ، فطار الخبر الى باشا الجزائر ، فبعث اليه جيشاً فدخلوا وهران وقبضوا عليه وذبحوه وسلخوه وملؤا جلده قطناً وبعثوا به الى الجزائر ، فوضع على سورها فكان عبرة لمن اعتبر ، وإخافة لمن نظر .

وله رضي الله عنه كرامات كثيرة ويد طولى هي بنوال المطلوب حقيقة وجديرة ، حج رضي الله عنه ثلاث مرات ، وكان في طريقه يجتمع بالعلماء والأفاضل والسادات والأماثل ، فيفيدهم ويستفيد ، وكان قاصراً نفسه على ما يفيد من العلم والتقوى لا من الطارف والتليد ، ومر في آخر حجاته على بغداد ، فزار جده وأخذ الطريق عن شيخ السجادة القادرية ونال أقصى المراد ، ثم رجع إلى الوطن وقد أفرغ الله عليه حلة المنن ، ولم يزل يعلو مقامه ويسمو احترامه ، ويزكو علاه ويعم نداه ، الى أن دعاه داعي المنية للتوجه للمقامات العلية ، يوم الأحد ثالث ربيع الأول سنة تسع وأربعين ومائتين والف من الهجرة .

الشيخ محي الدين بن عبد العزيز الشافعي الدمشقي الشهير بالادلبي

كان فريداً ماهراً في جميع الفنون ، قد قرت بفضله وكماله العيون وحسنت الظنون . ولد في دمشق الشام ، ثم طلب العلم الى أن صار من علمائها الأعلام ، وبعد أن تكمل وحصل من الفضائل ما بها الى كل رفعة توصل ، ولي في الشام قضاء الشافعية ، وكان ذا أخلاق حسنة وصفات سنية ، نبيلا نبيها تقياً فقيهاً ، مواظباً على الإفادة ملازماً للتقوى والعبادة معروفاً بكل اتقان مقصوداً في الفنون العربية كعلم البديع والمعاني والبيان . توفي رحمه الله تعالى في اليوم الثامن عشر من المحرم سنة ثمــان وسبعين ومائتين والف ، عن نيف وسبعين سنة ، ودفن في مقبرة باب الصغير .

السيد مرتضى الزبيدي بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق
ابن عبد الغفار بن تاج الدين بن حسين بن جمال الدين بن ابراهيم
ابن علاء الدين بن محمد بن أبي العز بن أبي الفرج بن محمد
ابن محمد بن محمد بن علي بن ناصر الدين بن ابراهيم بن
القاسم بن محمد بن علي بن محمد بن عيسى بن علي
ابن زين العابدين بن الحسين السبط

الامام الفاضل والهمام الكامل ، قال صاحب عجائب الآثار في ترجمة هذا السيد المعدود من الأخيار ، هو علم الأعلام ، والساحر اللاعب بالافهام ، الذي جاب في اللغة والحديث كل فج ، وخاض من العلم كل لج ، المذلل له سبل الكلام الشاهد له الورق والأقلام ، ذو المعرفة والمعروف وهو العلم الموصوف ، العمدة الفهــامة والرحلة النسابة العلامة ، الفقيه المحدث اللغوي النحوي الأصولي ، الناظم الناثر .

ولد سنة خمس وأربعين ومائة والف ، كما سمعته من لفظه ورأيته بخطه ، ونشأ ببلاده ، وارتحل في طلب العلم ، وحج مرارا ، واجتمع بالشيخ عبد الله السندي ، والشيخ عمر بن أحمد بن عقيل المكي ، وعبد الله السقاف ، والمسند محمد بن علاء الدين المزجاجي ، وسليمان بن يحيى ، وابن الطيب ، واجتمع بالسيد عبد الرحمن العيدروس بمكة ، وبالشيخ عبد الله ميرغني الطائفي في سنة ثلاث وستين ، ونزل بالطائف بعد ذهابه الى اليمن ورجوعه في سنة ست وستين ، فقرأ على الشيخ عبد الله في الفقه وكثيراً من مؤلفاته وأجازه ، وقرأ على الشيخ عبد الرحمن العيدروس مختصر السعد ، ولازمه ملازمة كلية وألبسه الخرقة وأجازه بمروياته ومسموعاته ، قال وهو الذي شوقني الى دخول مصر بما وصفه لي من علمائها وأمرائها وأدبائها وما فيها من المشاهد الكرام ، فاشتاقت نفسي لرؤياها ، وحضرت مع الركب ، وكان الذي كان ، وقرأ عليه طرفا من الإحيا وأجازه بمروياته ، ثم ورد الى مصر في تاسع صفر سنة سبع وستين ومائة والف ، وسكن بخان الصاغة ، وأول من عاشره وأخذ عنه السيد علي المقدسي الحنفي من علماء مصر ، وحضر دروس أشياخ الوقت كالشيخ أحمد الملوي والجوهري والحفني والبليدي والصعيدي والمدابغي وغيرهم ، وتلقى عنهم وأجازوه ، وشهدوا بعلمه وفضله وجودة حفظه ، واعتنى بشأنه اسمعيل كتخدا عزبان وأولاه بره ، حتى راج أمره وترونق حاله ، واشتهر ذكره عند الخاص والعام ، ولبس الملابس الفاخرة وركب الخيول المسومة ، وسافر الى الصعيد ثلاث مرات ، واجتمع بأكابره وأعيانه وعلمائه ، وأكرمه شيخ العرب همام ، واسماعيل أبو عبد الله ، وأبو علي وأولاد نصير وأولاد وافي وهادوه وبروه ، وكذلك ارتحل الى الجهات البحرية مثل دمياط ورشيد والمنصورة وباقي البنادر العظيمة مراراً ، حين كانت مزينة بأهلها عامرة بأكابرها ، وأكرمه الجميع ، واجتمع بأكابر النواحي وأرباب العلم والسلوك ، وتلقى عنهم وأجازوه وأجازهم .

وصنف عدة رحلات في انتقالاته في البلاد القبلية والبحرية ، تحتوي على لطائف ومحاورات ومدائح نظما ونثرا ، لو جمعت كانت مجلداً ضخما ، وكناه سيدنا السيد أبو الأنوار بن وفا بأبي الفيض ، وذلك يوم الثلاثا سابع عشر شعبان سنة اثنتين وثمانين ومائة والف ، وذلك برحاب ساداتنا بني الوفا يوم زيارة المولد المعتاد ، ثم تزوج وسكن بعطفة الغسال مع بقاء سكنه بوكالة الصاغة .

وشرع في شرح القاموس حتى أتمه في عدة سنين في نحو أربعة عشر مجلدا ، وسماه تاج العروس ، ولما أكمله أولم وليمة حافلة جمع فيها طلاب العلم وأشياخ الوقت بغيط المعدية ، وذلك في سنة احدى وثمانين ومائة والف ، وأطلعهم عليه واغتبطوا به وشهدوا بفضله وسعة اطلاعه ورسوخه في علم اللغة ، وكتبوا عليه تقاريظهم نظما ونثرا ، فممن قرظ عليه شيخ الكل في عصره الشيخ علي الصعيدي ، والشيخ أحمد الدردير ، والسيد عبد الرحمن العيدروس ، والشيخ محمد الأمير ، والشيخ حسن الجداوي ، والشيخ أحمد البيلي ، والشيخ عطية الاجهوري ، والشيخ عيسى البراوي ، والشيخ محمد الزيات ، والشيخ محمد عبادة ، والشيخ محمد العوفي ، والشيخ حسن الهواري ، والشيخ أبو الأنوار السادات ، والشيخ علي القناوي ، والشيخ علي خرائط ، والشيخ عبد القادر بن خليل المدني ، والشيخ محمد المكي ، والسيد علي القدسي ، والشيخ عبد الرحمن مفتي جرجا ، والشيخ علي الشاوري ، والشيخ محمد الخربتاوي ، والشيخ عبد الرحمن المقري ، والشيخ محمد سعيد البغدادي الشهير بالسويدي ، وهو آخر من قرظ عليه ، وكنت إذ ذاك حاضرا ، وكتبه نظما ارتجالا ، وذلك في منتصف جمادى الثانية سنة أربع وتسعين ومائة والف وهذا نصه :

شرح الشريف المرتضى القاموسا وأضاف ما قد فاته قاموسا
فقدت صحاح الجوهري وغيرها سحر المدائن حين ألقى موسى
إذ قد أبان الدر من صدف النهى في سلك جوهرة اللهى تأنيسا

وبنى أساساً فائقاً واختار في   اتقانه مختـــاره تأسيسا
فأثار من مصباح مزهر نوره   عـــين الغبي فأبصرته نفيسا
فهو الفريد فلا يثنى جمعه   اذ لا يحاك كمثــله تدليسا
فلسان نظمي عاجز عن مدحه   فالله ينشر نـــثره تقديسا
ويديم مولاي الشريف بعصرنا   في كل قطر للهـــداة رئيسا
وإذا توجـــه لي بلمحة نظرة   اني سعيد لا اصير خسيسا
أهدي الصلاة مع السلام لجده   هدياً جزيلاً لا يطاق مقيسا
والآل مع صحب وهذا المرتضى   ومن ارتضى ومن اصطفاه انيسا

وقد ذكرت بعض التقريظات في تراجم أصحابها ، ومنها تقريظ الشيخ علي الشاوري الفرشوطي ، أذكره لما فيه من تضمن رحـــلة المترجم إلى فرشوط ونصه : بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين .

الحمد لله منطق البلغاء بأفصح البيان ، ومودع لسان الفصيح حلاوة التبيان ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد ولد عدنان ، وعلى آله وصحبه ما تعاقب الملوان ، وبعد فإن للعلوم شعباً وطرائق ، وهضاباً وشواهق ، يتفرع من كل أصل منه فنون ، ومن كل دوحة فروع وغصون ، وان من أجل العلوم معرفة لغات العرب ، التي تـكاد ترقص العقول عند سماعها من الطرب ، وكان ممن كيل له ذلك بالكيل الوافر ، وطلع في سمائها طلوع البدور السوافر ، ومر في ميدانها طلق العنان ، وشهد له بالفصـــاحة القلم واللسان ، حلية أبناء العصر والأوان ، ونتيجة آخر الزمان ، العدل الثبت الثقة الرضى ، مولانا السيد الشريف المرتضى ، متعنا الله بوجوده ، وأطال عمره بمنه وجوده ، وقد مَنّ الله علينا وشرفنا بقدومه الصعيد ، فـكان فيه كالطالع السعيد ، فحصل لنا به غاية الفرح ، وقرت العين به واتسع الصدر وانشرح ، وقد أطلعني على بعض شرحه على قاموس البلاغة فإذا هو شرح حافل ، ولـكل معنى كافل ، وقد مدحه جمع من السادة العلماء الأعلام ،

خصوصاً شيخنا وأستاذنا العلامة البطل الهمام ، خاتمة المحققين بالاتفاق ، أوحد الأئمة المجتهدين الحذاق ، استاذنا الشيخ علي الصعيدي العدوي ، وناهيك به من شاهد ، وكل الف لا تعد بواحد ، فهو مؤلف جدير بأن يثنى عليه ، وحقيق بأن تشد الرحال اليه ، كيف وهو صياغة نبراس البلاغة ، وفارس البداعة والبراعة . الذي قلت فيه حين قدم فرشوط بلدتنا :

قد حل في فرشوطنا كل الرضى　　مذ جاءها الحبر النفيس المرتضى
أكرم به من طود فضل شامخ　　من نسل من نرجوهمو يوم القضا
جاد الزمان بمثله فحسبته　　من أجل هذا قد يعود بمن مضى
عجباً لدهر قد يجود بمثـله　　ورواؤه قدماً تولى وانقضى
أحيا فنون العـلم بعد فنائها　　وأزال غيهبها بتحقيق أضا
لا سيما عـلم اللغات فانه　　قد شيد الأس الذي منه نضا
أمست به فرشوط تفخر غيرها　　وتبلجت أقطارها حتى الفضا
لما تولى ذاهباً من عنـدنا　　فكأن في أحشائنا نار الغضا

وقد اجتمع السيد السند العظيم بأمير المنهل العذب الرحيق الذي قصد من كل فج عميق كهف الأنام ، الليث الهمام ، شيخ مشايخ العرب الشيخ همام لا زالت همته هامية ، ودواعيه إلى فعل الخير نامية ، فأحله من التعظيم بمكانه الأقصى ، متأدباً معه بآداب لا تعد ولا تحصى ، وهو جدير بذلك :

فما كل مخضوب البنان بثينة　　ولا كل مسلوب الفؤاد جميل

أعاد الله علينا من بركاته وصالح دعواته ، في خلواته وجلواته ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم .

قائل هذا النظم والنثر العبد الفقير ، إلى مولاه الغني القدير ، علي بن صالح بن موسى الشهير بالشاوري جنبه الله شرور نفسه ، وجعل يومه خيراً من أمسه ، والله ولي التوفيق انتهى .

وقال سيدي الجبرتي في ترجمته للمترجم المرقوم وكتب للمرحوم الوالد يسأله الإجازة والتقريظ بقوله .

أمولاي بحر العلم يامن سناؤه يفوق ضياء الشمس في الشرق والغرب
ويا وارث النعمان فقهاً وحكمة وزهداً له قد شاع في البعد والقرب
عبيدكم الظمآن قد جاء يرتجي ملاحظة منها يفوز بقضا الارب
ويسأل في هذا الكتاب إجازة بتقريظه حتى يفوق على الكتب
حباكم إله العرش منه كرامة وعيشاً هنيئاً في أمان بلا كرب
وقابلكم بالجبر يوم حسابه بحسن وجازاكم بفضل وبالقرب
وينصب في الآفاق أعلام علمه ويقرن بالتوفيق إخلاصه القلبي
وصلى إله العرش ربي على الرضا محمد المبعوث للعجم والعرب
واتبعه بالآل والصحب كلهم نجوم الهدى يحيا بذكرهم قلبي

ولما أنشأ محمد بيك ابو الذهب جامعه المعروف به بالقرب من الأزهر ، وعمل فيه خزانة للكتب ، واشترى جملة من الكتب ووضعها بها ، أنهوا إليه شرح القاموس هذا ، وعرفوه أنه إذا وضع بالخزانة كمل نظامها وانفردت بذلك دون غيرها ، ورغبوه في ذلك ، فطلبه وعوضه عنه مائة الف درهم فضة ، ووضعه فيها . ولم يزل المترجم يخدم العلم ويرقى في درج المعالي ويحرص على جمع الفنون ، التي أغفلها المتأخرون ، كعلم الأنساب والأسانيد وتخاريج الأحاديث ، واتصال طرائق المحدثين المتأخرين بالمتقدمين ، وألف في ذلك كتباً ورسائل ومنظومات واراجيز جمة ، ثم انتقل الى منزل بسويقة اللالا ، تجاه جامع محرم افندي بالقرب من مسجد شمس الدين الحنفي ، وذلك في أوائل سنة تسع وثمانين ومائة والف ، وكانت تلك الخطة إذ ذاك عامرة بالأكابر والأعيان ، فأحدقوا به وتحبب إليهم واستأنسوا به وواسوه وهادوه ، وهو يظهر لهم الغنى والتعفف ويعظهم ، ويفيدهم بفوائد وتمائم ورقى ، ويجيزهم بقراءة أوراد وأحزاب ، فأقبلوا عليه من كل جهة وأتوا إلى زيارته من كل ناحية ، ورغبوا في معاشرته لكونه غريباً وعلى غير صورة العلماء المصريين وشكلهم ، ويعرف باللغة التركية والفارسية ، بل وبعض لسان

الكرج ، فانجذبت قلوبهم إليه وتناقلوا خبره وحديثه ، ثم شرع في إملاء الحديث على طريق السلف في ذكر الأسانيد والرواة والمخرجين من حفظه على طرق مختلفة ، وكل من قدم عليه يملي عليه الحديث المسلسل بالأولية ، وهو حديث الرحمة برواتـه ومخرجيه ، ويكتب له سنداً بذلك واجازة وسماع الحاضرين فيعجبون من ذلك ، ثم ان بعض علماء الأزهر ذهبوا إليه وطلبوا منه اجازة ، فقال لهم لا بد من قراءة أوائل الكتب ، واتفقوا على الاجتماع بجامع شيخون بالصليبة الاثنين والخميس تباعداً عن الناس ، فشرعوا في صحيح البخاري بقراءة السيد حسين الشيخوني ، واجتمع عليهم بعض أهل الخطة والشيخ موسى الشيخوني إمام المسجد وخازن الكتب ، وهو رجل كبير معتبر عند أهل الخطة وغيرها ، وتناقل في الناس سعي علماء الأزهر مثل الشيخ أحمد السجاعي والشيخ مصطفى الطائي والشيخ سليمان الاكراشي وغيرهم للأخذ عنه ، فازداد شأنه وعظم قدره ، واجتمع عليه أهل تلك النواحي وغيرهـا من العامة والأكابر والأعيان ، والتمسوا منه تبيين المعاني ، فانتقل من الرواية إلى الدراية ، وصار درساً عظيما ، فعند ذلك انقطع عن حضوره أكثر الأزهرية ، وقد استغنى عنهم هو أيضا ، وصار يملي على الجماعة بعد قراءة شيء من الصحيح حديثاً من المسلسلات أو فضائل الأعمال ، ويسرد رجال سنده ورواته من حفظه ، ويتبعه بأبيات من الشعر كذلك ، فيتعجبون من ذلك لكونهم لم يعهدوها فيما سبق في المدرسين المصريين ، وافتتح درساً آخر في مسجد الحنفي وقرأ الشمائل في غير الأيام المعهودة بعد العصر ، فازدادت شهرته ، واقبلت الناس من كل ناحية لسماعه ومشاهدة ذاته ، لكونها على خلاف هيئة المصريين وزيهم . ودعاه كثير من الأعيان إلى بيوتهم وعملوا من أجله ولائم فاخرة ، فيذهب إليهم مع خواص الطلبة والمقرىء والمستملي ، وكاتب الأسماء فيقرأ لهم شيئاً من الأجزاء الحديثية ، كثلاثيات البخـاري أو الدارمي أو بعض المسلسلات بحضور الجماعة وصاحب المنزل وأصحابه وأحبابه وأولاده ، وبناته ونسائه من خلف الستائر ، وبين

أيديهم مجامر البخور بالعنبر والعود مدة القراءة ، ثم يختمون ذلك بالصلاة على النبي ﷺ على النسق المعتاد ، ويكتب الكاتب أسماء الحاضرين والسامعين حتى النساء والصبيان والبنات واليوم والتاريخ ،ويكتب الشيخ تحت ذلك :صحيح ذلك ، وهذه كانت طريقة المحدثين في الزمن السابق كما رأيناه في الكتب القديمة .

يقول الحقير اني كنت مشاهداً وحاضراً في غالب هذه المجالس والدروس ، ومجالس أخر خاصة بمنزله وبسكنه القديم بخان الصاغة ، وبمنزلنا بالصنادقية وبولاق ، وأماكن أخر كنا نذهب اليها للنزهة مثل غيض المعدية والأزبكية وغير ذلك ، فكنا نشتغل غالب الأوقات بسرد الأجزاء الحديثية وغيرها ، وهو كثير بثبوت المسموعات على النسخ ، وفي أوراق كثيرة موجودة الى الآن . وانجذب اليه بعض الأمراء الكبار مثل مصطفى بك الاسكندراني وأيوب بك الدفتردار ، فسعوا إلى منزله ، وترددوا لحضور مجالس دروسه ، وواصلوه بالهدايا الجزيلة والغلال . واشترى الجواري وعمل الأطعمة للضيوف ، وأكرم الواردين والوافدين من الآفاق البعيدة . وحضر عبد الرزاق افندي الرئيس من الديار الرومية إلى مصر ، وسمع به فحضر اليه والتمس منه الإجازة وقراءة مقامات الحريري ، فكان يذهب اليه بعد فراغه من درس شيخون ، ويطالع له ما تيسر من المقامات ويفهمه معانيها اللغوية .ولما حضر محمد باشا عزت الكبير رفع شأنه عنده وأصعده اليه وخلع عليه فروة سمور ، ورتب له تعييناً من كلاره[١] لكفايته من لحم وسمن وارز وحطب وخبز ،ورتب له علوفة جزيلة بدفتر الحرمين والسائرة وغلالاً من الأنبار ، وانهى إلى الدولة شأنه ، فأتاه مرسوم بمرتب جزيل بالضربخانة[٢] ، وقدره مائة وخمسون نصفاً فضة في كل يوم ، وذلك في سنة احدى وتسعين ومائة والف ، فعظم أمره وانتشر صيته . وطلب إلى الدولة في سنة أربع

---

(١) كلاره : بيت مؤونة (من مخصّصاته) .

(٢) دار ضرب المسكوكات .

وتسعين ، فأجاب ثم امتنع ، وترادفت عليه المراسلات من أكابر الدولة ، وواصلوه بالهدايا والتحف والأمتعة الثمينة في صناديق . وطار ذكره في الآفاق ، وكاتبه ملوك النواحي من الترك والحجاز والهند واليمن والشام والبصرة والعراق ، وملوك المغرب والسودان وفزان والجزائر والبلاد البعيدة ، وكثرت عليه الوفود من كل ناحية ، وترادفت عليه منهم الهدايا والصلات والأشياء الغريبة ، وأرسلوا اليه من أغنام فزان وهي عجيبة الخلقة عظيمة الجثة يشبه رأسها رأس العجل ، وأرسلها إلى أولاد السلطان عبد الحميد ، فوقع لهم موقعا ، وكذلك أرسلوا له من طيور البيغا ، والجواري والعبيد والطواشية ، فكان يرسل من طرائف الناحية إلى الناحيـة المستغرب ذلك عندها ، ويأتيه في مقابلتها اضعافها ، وأتاه من طرائف الهند وصنعاء اليمن وبلاد سرت وغيرها أشياء نفيسة ، وماء الكاري والمربيات والعود والعنبر والعطر شاه بالأرطال ، وصار له عند أهل المغرب شهرة عظيمة ومنزلة كبيرة واعتقاد زائد ، وربما اعتقدوا فيه القطبانية العظمى ، حتى ان أحدهم إذا ورد إلى مصر حاجاً ولم يزره ولم يصله بشيء لا يكون حجه كاملا ، فإذا ورد عليه أحدهم سأله عن اسمه ولقبه وبلده وخطته وصناعته وأولاده وحفظ ذلك أو كتبه ، ويستخبر من هذا عن ذاك بلطف ورقة ، فإذا ورد عليه قادم من قابل سأله عن اسمه وبلده ، فيقول له فلان من بلدة كذا ، فلا يخلو اما أن يكون عرفه من غيره سابقاً أو عرف جاره أو قريبه ، فيقول له فلان طيب فيقول نعم سيدي ، ثم يسأله عن أخيه فلان وولده فلان وزوجته وابنته ويشير له باسم حارته وداره وما جاورها ، فيقوم ذلك المغربي ويقعد ويقبل الأرض تارة ويسجد تارة ، ويعتقد ان ذلك من باب الكشف الصريح ، فتراهم في أيام طلوع الحج ونزوله مزدحمين على بابه من الصباح إلى الغروب ، وكل من دخل منهم قدم بين يدي نجواه شيئاً مّا ، أو تمراً أو شمعاً على قدر فقره وغناه ، وبعضهم يأتيه بمراسلات وصلات من أهل بلاده وعلمائها وأعيانها ، ويلتمسون منه الأجوبة ، فمن ظفر منهم

بقطعة ورقة ولو بمقدار الانملة فكأنما ظفر بحسن الخاتمة ، وحفظها معه كالتميمة ، ويرى انه قد قبل حجه ، وإلا فقد باء بالخيبة والندامة ، وتوجه عليه اللوم من أهل بلاده ، ودامت حسرته الى يوم ميعاده ، وقس على ذلك ما لم يقل .

وشرع في شرح كتاب إحياء العلوم للغزالي وبيض منه أجزاء ، وأرسل منها إلى الروم والشام والغرب ليشتهر مثل شرح القاموس ، ويرغب في طلبه واستنساخه .

وماتت زوجته في سنة ست وتسعين فحزن عليها حزناً كثيرا ، ودفنها عند المشهد المعروف بمشهد السيدة رقية ، وعمل على قبرها مقاماً ومقصورة ، وستوراً وفرشاً وقناديل ،[١] ولازم قبرها أياماً كثيرة ، وتجتمع عنده الناس والقراء والمنشدون ، ويعمل لهم الأطعمة والثريد والكسكسون والقهوة والشربات ، واشترى مكاناً بجوار المقبرة المذكورة وعمره بيتاً صغيراً ، وفرشه وأسكن به أمها ، ويبيت به أحيانا ، وقصده الشعراء بالمراثي فيقبل منهم ذلك ويجيزهم عليه ، ورثاها هو بقصائد وجدتها بخطه بعد وفاته في أوراقه المدشتة ، على طريقة شعر مجنون ليلى ، منها قوله :

اعاذل من يرزأ كرزئي لا يزل ... كئيباً ويزهد بعده في العواقب
أصابت يد البين المشت شمائلي ... وحاقت نظامي عاديات النوائب
وكنت إذا ما زرت زبدا سحيرة ... اعود إلى رحلي بطين الحقائب
أرى الأرض تطوى لي ويدنو بعيدها ... من الخفرات البيض غير الكواعب
فتاة الندى والجود والحلم والحيا ... ولا يكشف الأخلاق غير التجارب
فديت لهـــا ، ما يستذم رداؤها ... عميدة قوم من كرام أطايب
عليهـــا سلام الله في كل حالة ... ويصحبه الرضوان فوق المراتب
مدى الدهر ما ناحت حمامة أيكة ... بشجو يثير الحزن من كل نادب

(١) اذا كان القبر روضة من رياض الجنة فهل ينقصه الفرش والنور والستور ؟ وان كان غير ذلك فهل تغني هذه عن الميت شيئا ؟

وقوله أيضاً :

يقولون لا تبكي زبيـدة واتئد — وسل هموم النفس بالذكر والصبر
وتأتي لي الأشجان من كل وجهة — بمختلف الأحزان بالهم والفكر
وهل لي تسلٍّ من فراق حبيبـة — لها الجدث الأعلى بيشكر من مصر
أبى الدمع الا أن يعاهـد أعيني — بمحجرها والقدر يجري إلى القدر
فاما تروني لا تزال مدامعي — لدى ذكرها تجري إلى آخر العمر

وقوله أيضاً :

خليلي ما للأنس أضحى مقطعاً — وما لفؤادي لا يزال مروّعا
أمن غير الدهر المشت وحادث — ألمّ برحلي أم تذكرت مصرعا
وإلاّ فراق من اليفة مهجتي — زبيدة ذات الحسن والفضل أجمعا
مضت فمضت عني بها كل لذة — تقر بها عيناي فانقطعا معا
لقد شربت كأساً سنشرب كلنا — كما شربت لم يجد عن ذاك مدفعا

وقوله أيضاً :

خليلي هل ذكرى الأحبة نافع — فقد خانني الصبر الجميل العواقب
وهل لي عود في الحمى أم تراجع — لوصل بتلك الآنسات الكواعب
لقد رحلت عني الحبيبة غدوة — وسارت الى بيت بأعلى السباسب[1]
أقول وما يدري أناس غدوا بها — الى اللحد ماذا أدرجوا في السباسب
فأخرت عنها في المسير وليتني — تقدمت لا ألوي على حزن نادب

وقوله أيضاً :

زبيدة شدت للرحيل مطيها — غداة الثلاثا في غلائلها الخضر
وطافت بها الأملاك من كل وجهة — ودق لها طبل السماء بلا نكر
تميس كما ماست عروس بدلهـا — وتخطر تيها في البرانس والأزر
سأبكي عليها ما حييت وإن أمت — ستبكي عظامي والأضالع في القبر
ولست بها مستبقياً فيض عبرة — ولا طالباً بالصبر عاقبة الصبر !

---

(١) جمع سبسب ، وهي المفازة ، الأرض البعيدة المستوية .

وقوله أيضاً :

نعم الفتاة بهـــا فجعت غدية ⁂ وكذاك فعل حوادث الأيام
شدت مطايا البين ثم ترحلت ⁂ وتمايلت أكوارهـــا بسلام
رحلت لرحلتها غداة تحملت ⁂ أحلامنا من قاعد وقيـــام
ما خلفت من بعدها في أهلها ⁂ غير البكا والحزن والأيتـــام
يا لهف نفس حسن أخلاق لها ⁂ جبلت عليه ووصلة الأرحـــام
وإطاعة للبعل ثم عنـــاية ⁂ صرفت لإطعـــام ولين كلام
تلك المكارم فابكها مارنحت ⁂ ريح الصبا سحراً غصون بشام[1]
يا وارداً يوماً على قبر لهـــا ⁂ قف ثم راجع من شج بسلام
وقُلَنْ لها قد كنت فيا قد مضى ⁂ تأتي له عند اللقا بمقـــام
واليوم مالك قد هجرت فهل لذا ⁂ سبب فقولي يا ابنة الأعلام

وغير ذلك تركته خوفاً من الإطالة ، وفي هذا القدر كفاية في هذا المقام .

ثم تزوج بعدها بأخرى وهي التي مات عنها وأحرزت ماجمعه من مال وغيره .

ولما بلغ ما لا مزيد عليه من الشهرة وبعد الصيت وعظم القدر والجاه عند الخاص والعام ، وكثرت عليه الوفود من سائر الأقطار ، وأقبلت عليه الدنيا بحذافيرها من كل ناحية ، لزم داره واحتجب عن أصحابه الذين كان يلم بهم قبل ذلك إلا في النادر لغرض من الأغراض ، وترك الدروس والاقراء واعتكف بداخل الحريم ، وأغلق الباب ورد الهدايا التي تأتيه من أكابر المصريين ظاهرة . وأرسل اليه مرة أيوب بك الدفتردار مع نجله خمسين اردبا[2] من البر ، وأحمالاً من الأرز والسمن والعسل والزيت ، وخمسمائة ريال نقود ، وبقج كساوي أقمشة هندية وجوخاً وغير ذلك ، فردّها ، وكان ذلك في رمضان ، وكذلك مصطفى بك الاسكندراني وغيرهما ، وحضرا اليه ، فاحتجب عنهما ولم يخرج اليهما ، ورجعا من غير أن يواجهاه .

---

(١) البَشام : واحدته بشامة ، شجر طيب الرائحة ، وتتخذ عيدانه لاخراج ما دخل من الطعام بين الأسنان .

(٢) الإرْدَبّ : جمه أرداب ، مكيال ضخم في مصر يساوي ٢٤ صاعاً .

ولما حضر حسن باشا على الصورة التي حضر فيها الى مصر ، لم يذهب اليه بل حضر هو لزيارته وخلع عليه فروة تليق به ، وقدم له حصانا معدوداً مرختاً بسرج ، وعباءة قيمتها الف دينار ، أعد ذلك وهيأه قبل زيارته له ، وكانت شفاعته عنده لا ترد ، وإن أرسل اليه إرسـالية في شيء تلقاها بالقبول والاجلال ، وقبّل الورقة قبل أن يقرأها ووضعها على رأسه ونفذ ما فيها في الحال .

وأرسل مرة الى أحمد بك الجزار مكتوبا وذكر له فيه انه المهدي المنتظر ! وسيكون له شأن عظيم ، فوقع عنده بموقع الصدق لميل النفوس الى الأماني ، ووضع ذلك المكتوب في حجابه المقلد به مـع الاحراز والتمائم ، فكان يسر بذلك الى بعض من يرد عليه ممن يدعي المعارف في الجفور والزايرجات ، ويعتقد صحته بلا شك ، ومن قدم عليه من جهة مصر وسأله عن المـترجم فإن أخبره وعرفه أنه اجتمـع به وأخذ عنه وذكره بالمدح والثناء أحبه وأكرمه وأجزل صلته ، وإن وقع منه خلاف ذلك قطب منه وأقصاه عنه وأبعده ومنع عنه بره ، ولو كان من أهل الفضائل ! واشتهر ذلك عنه عند من عرف ذلك منه بالفراسة ، ولم يزل على حسن اعتقاده في المترجم حتى انقضى نحبهما .

واتفق أن مولاي محمدا سلطان المغرب رحمه الله وصله بصلات قبل انجماعه الأخير وتزهده وهو يقبلها ويقابلها بالحمد والثناء والدعاء ، فأرسل له في سنة إحدى ومائتين صلة لها قدر ، فردها ، وتورع عن قبولها وضاعت ، ولم ترجع الى السلطان ، وعلم السلطـان من جوابه فأرسل اليه مكتوباً قرأته ، وكان عندي ثم ضاع في الأوراق ، ومضمونه العتاب والتوبيـخ في رد الصلة ، ويقول له انك رددت الصلة التي أرسلناها اليك من بيت مال المسلمين ، وليتك حيث تورعت عنها كنت فرقتها على الفقراء والمحتاجين ، فيكون لنا ولك أجر ذلك ، إلا أنك رددتها وضاعت ، ويلومه أيضاً على

شرحه كتاب الإحياء ويقول له كان ينبغي أن تشغل وقتك بشيء نافع غير ذلك ، ويذكر وجه لومه له في ذلك ، وما قاله العلماء ، وكلاماً مفحماً مختصراً مفيداً رحمه الله تعالى .

وللمترجم من المصنفات خلاف شرح القاموس [١] وشرح الإحياء [٢] تأليفات كثيرة ، منها كتاب الجواهر المنيفة في أصول أدلة مذهب الامام أبي حنيفة [٣] رضي الله عنه مما وافق فيه الأئمة الستة ، وهو كتاب نفيس حافل ، رتبه ترتيب كتب الحديث من تقديم ما روي عنه في الاعتقاديات ، ثم في العمليات ، على ترتيب كتب الفقه ، والنفحة القدسية بواسطة البضعة العيدروسية ، جمع فيه أسانيد العيدروس ، وهي في نحو عشرة كراريس ، والعقد الثمين في طرق الالبـاس والتلقين ، وحكمة الاشراق الى كتاب الآفاق . وشرح الصدر في شرح أسماء أهل بدر في عشرين كراساً ألفها لعلي افندي درويش ، وألف باسمه أيضاً التفتيش في معنى لفظ درويش ، ورسائل كثيرة جدا ، منها رفع نقاب الخفا عمن انتمى الى وفا وأبي الوفا ، وبلغة الأريب في مصطلح آثار الحبيب [٤] ، وإعلام الأعلام بمناسك حج بيت الله الحرام ، وزهر الاكام المنشق عن جيوب الالهام بشرح صيغة سيدي عبد السلام ، ورشفة المدام المختوم البكري من صفوة زلال صيغ القطب البكري ، ورشف سلاف الرحيق في نسب حضرة الصديق ، والقول المبثوت في تحقيق لفظ التابوت ، وتنسيق قلائد المنن في تحقيق كلام الشاذلي أبي الحسن ، ولقط اللآلي من الجوهر الغالي ، وهي في أسانيد الأستاذ الحفني ، وكتب له إجازته عليها في سنة سبع وستين ، وذلك سنة قدومه الى مصر ، والنوافح المسكية على الفوائح

---

(١) طبع بمصر سنة ١٣٠٦ .

(٢) طبع بفاس سنة ١٣٠٢ وبمصر سنة ١٣١١ .

(٣) طبع بالاسكندرية سنة ١٢٩٢ .

(٤) طبع في مصر سنة ١٣٢٦ .

الكشكية ، وجزء في حديث نعم الأدام الخل ، وهدية الاخوان في شجرة الدخان ، ومنح الفيوضات الوفية فيما في سورة الرحمن من أسرار الصفة الإلهية ، وإتحاف سيد الحي بسلاسل بني طي ، وبذل المجهود في تخريج حديث شيبتني هود ، والمربي الكابلي فيمن روى عن الشمس البابلي ، والمقاعد العندية في المشاهد النقشبندية ، ورسالة في المناشي والصفين ، وشرح على خطبة الشيخ محمد البحيري البرهاني على تفسير سورة يونس مستقل على لسان القوم ، وشرح على حزب البر للشاذلي [١] وتكملة على شرح حزب البكري للفاكهي من أوله ، فكمله للشيخ أحمد البكري ، ومقامة سماها إسعاف الأشراف ، وأرجوزة في الفقه نظمها باسم الشيخ حسن بن عبد اللطيف الحسني المقدسي ، وحديقة الصفا في والدي المصطفى ، وقرظ عليها الشيخ حسن المدابغي ، ورسالة في طبقـــات الحفاظ ، ورسالة في تحقيق قول أبي الحسن الشاذلي وليس من الكرم ، الخ وعقيلة الأتراب في سند الطريقة والأحزاب ، صنفها للشيخ عبد الوهاب الشربيني ، والتعليقة على مسلسلات ابن عقيلة ، والمنح العلية في الطريقة النقشبندية ، والانتصـــار لوالدي النبي المختار ، وألفية السند ، ومناقب أصحاب الحديث ، وكشف اللثام عن آداب الإيمان والاسلام ، ورفع الشكوى لعالم السر والنجوى ، وترويح القلوب بذكر ملوك بني أيوب ، ورفع الكلل عن العلل ، ورسالة سماها قلنسوة التاج ألفها باسم الأستاذ العلامة الصالح الشيخ محمـــد بن بدير المقدسي ، وذلك لما أكمل شرح القاموس المسمى بتاج العروس ، فأرسل اليه كراريس من أوله حين كان بمصر ، وذلك سنة اثنتين وثمانين ليطلع عليها شيخه الشيخ عطية الأجهوري ويكتب عليها تقريظاً ففعل ذلك ، وكتب اليه يستجيزه ، فكتب اليه أسانيده العالية في كراسة وسماها قلنسوة التاج ، وأولها بعد البسملة الحمد لله الذي رفع

---

(١) طبع في مصر سنة ١٣٣٣ . وله : نشوة الارتياح في بيان حقيقة الميسر والقداح . طبع ليدن سنة ١٣٠٣ كما في معجم المطبوعات .

متن العلماء وشرح بالعلم صدورهم ، واعلا لهم سنداً وصحح الحسن من حديثهم فصار موصولاً غير مقطوع ولا متروك أبـداً ، وحمى قلوبهم عن ضعف اليقين في الدين ، فلم تضطرب ولم تنكر الحق بل صارت لافادته مقصداً . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وآله ائمة الهدى ، وصحبه نجوم الاهتدا ، ما اتصل الحديث وتسلسل ، وسلم من العلل ، والشذوذ سرمدا . وبعد فهذه قلنسوة التاج ، صنعت بافخر ديباج ، بل غنية المحتاج وبل صدى المزاج ، وزهرة الابتهاج والقصر المشيد بالأبراج ، والمصباح المغني عن أبي السراج ، بل الدرع الموصوف بلآلي عوالي غوالي ، أحـاديث موصولة الى صاحب الاسراء والمعراج ، رصعت باسم الكوكب الوضاح المستنير بأضواء مصباح الفلاح ، المتشح باردية أسرار التحقيق والمتزر بملاءة أنوار التوفيق ، المنصف في جدله غير محـاب لقريب والآتي من تقريره بالعجب العجيب ، ذي المناقب التي لا يستوعبها البنان واللسان ، ولا يبلغ اداء شكره ، ولو اطلقت اللسان بالثناء عليه على مر الزمان ، صاحبنـا الفاضل العلامة الجمال محمد بن بدير الشافعي المقدسي رحمه الله آمين .

ان الهلال اذا رأيت نموه ايقنت ان سيصير بدراً كاملا

اضاء الله بدر كماله ، وحرس مجده بجلاله ، وهذا أوان الشروع في المقصود بعون الملك المعبود وكتب في آخرها مانصه :

اجزت له ابقاه ربي وحاطه بكل حديث حاز سمعي باتقان
وفقه وتاريخ وشعر رويتـه وما سمعت أذني وقال لساني
على شرط اصحاب الحديث وضبطهم بريئاً عن التصحيف من غير نكران
كتبت له خطي واسمي محمد وبالمرتضى عرفت والله يرعاني
ولدت بعام ارخوا فك ختمه وبالله توفيقي وبالله تكلاني

وكتب معها جواب كتابه ما نصه : امعاطف اغصـان النقا تترنح ، ام القلوب بميلانها الى المحبوب تتروح ، ورنات أوتار العيدان بانات أهل

الغرام والشوق ، أم هيجان البلابل بسجوع البلابل وتغريد ذات الطوق ، أم دعوة روح القدس تهتف بميت فيقوم حيا ، أم مقدم عيس حبيب أحيا تدانيه عشاق معاليه وحيا ، ما هـــذه الا صدى تشبيب نسيم بث الشوق واهداء التحيات ، كلا بل نفحات عبهر الثناء وارسال تحف التسليمات الى بمد ماء الحب من ميم مد بحره البسيط ، والفيض للمجتدي من رشحات قاموس بره المحيط ، من نثر لآلىء القول البديع على مفارق مهارق الصباحة والملاحة ، ونشر ملاءة الاحسان على غرة طلعة تاج عروس الفصاحة ، مردي فارس البراعة في الميدان اذا اقتعدها سلهبا[١] سبوحا ، المطر غارب النجابة والاتقان بجلالة قدر تخضع له من الفلك الاطلس برجا ، هو الذي اذا قال أقال عثار الدهر ، وقـــال تحت افياء ظلال دوحة الفخر ، واذا رقم فصفحة الفلك بالزواهر ، مرقومة ، واذا رسم فجبهة الأسد بايات الحرس مرسومة ، وشاهدي ما شاهدته في كتابــه المنيف الواصل الي ، وخطابه الشريف الوارد علي ، فعين الله على منشىء تلك الفصاحة سلمت من الحصر ، الا وان وردها الحضر أعيا البدو والحضر ، وقد صدر اليه ما أشار على المحب في ختام خطابه ، وعرج عليه هضما لنفسه فلم يك الا كالمسك يتنافس فيه ورّاد جنابه . ولو ان فيوضات العلوم والمعارف من غير حماكم لا تستماح ، وبمدات المنح والعوارف من غير حيكم لا تستباح ، ولكن رأى الإطاعة في ذلك مغنما ، وتحقق التباطؤ في مثل ذلك مغرماً ، فأشرق افق سعد القبول بمقياسه ، وسعى قلم الاجازة في الخدمة على كراسه ، وعطر بيان أسانيد العوالي فردوس الأسناد بأنفاسه ، وهبت غالية نسائم كائم اللطائف ، وهبت بارقة غمائم المشارق والمراشف ، وتمايلت أفنان الاتصال برماح علو الاسناد ، وسقى قلم التحرير رياض الاجازة من جريال

---

(١) السلهب من الخيل : الطويل ، وفرس مُسْلَهِبٌ : ماض ، ومنه قول الأعرابي في صفة الفرس : وإذا عدا اسلهبّ .

الامداد ، فدونكها اجازة خاصة ، على مدارج كمالاتك تامة ، كأنها عروس جليت بالتاج ، وحليت بأفخر ديباج ، ولولا مخافة طول العهد ، والتماس السعد في الحث على انجاز الوعد ، بتنضد تاج الملفقات ، لكانت مفلقات الكلم المتفرقات ، بغيث ذكركم المنسجم مجلدات ، فهي بطاقة تحمل في كل كلمة غريدة بان ، وتنفث السحر في عقد البيان ، فامتط غارب سنامها ، واهتصر ثمرات نظامها ، دمت لذروة المعالي متسنما ، ولأنفاس رياض السعادة متنسما آمين .

أقول : والشيخ محمد بدير المذكور، هو الآن فريد عصره في الديار المقدسة ، يبدي ويعيد ويدرس ويفيد ، بارك الله فيه مدى الأيام ، وامتع بوجوده الأنام آمين .

وللمترجم أشعار كثيرة جوهرية النفثات صحاح ، وعرائس أبيـــات ذات وجوه صباح ، منها قوله من قصيدة يمدح بها الاستاذ العلامة شمس الدين السيد محمد أبا الأنوار بن وفا أطال الله بقاه ، ويذكر فيها نسبه الشريف منها :

مدحت أبا الأنوار أبغي بمدحه	وفور حظوظي من جليل المآرب
نجيباً تسامى في المشارق نوره	فلاحت بواديه لأهل المغارب
محمد الباني مشيد افتخـــاره	بعز المساعي وابتذال المواهب
ربيب العلا المخضل سيب نواله	سماء الندى المنهل صوب السحائب
كريم السجايا الغر واسطة العلا	بسيم المحيا الطلق ليس بغاضب
حوى كل علم واحتوى كل حكمة	ففات مرام المستمر الموارب
به ازدهت الدنيا بهاء وبهجة	وزادت جمالاً من جميع الجوانب
مخايله تنبيك عما وراءهـــا	وأنواره تهديك سبل المطالب
له نسب يعلو بأكرم والد	تبلج منه عن كريم المناسب

وهي طويلة ذكرها في خاتمة رفع نقاب الخفاء . ومن كلامه في مدح المشار اليه قوله :

زار عن غفلة من الرقباء في دجى الليل طيف حب نائي
يا لها زورة على غير وعد نسخت آيهـا ظلام التنائي
بت منهـا منعما في سرور ومحا نورها دجى الظلمـاء
وتجلى إشراقها بوصـال مهديا للقلوب كل هنـاء

ويقول في مديحها :

عمدة مـاجد مكنى أبا الأنـوار رب الفخار نجل الوفاء
أشرف العـالمين أصلا وفصلا مفرد العصر نخبة الأصفيـاء

ويقول فيها :

أشرقت في قلوبنا من سناه نـيرات بهية الأضواء
هو روح الإله في كل مجلى هو تاج الجمال للعليـاء
هو بدر البدور في كل أوج هو نجم الهدى وشمس الضحاء
هو باب المنى فتحاً ونصراً منه تمت مظـاهر النعماء
هو رجائي وعدتي ونصيري واعتمادي في شدتي ورخائي

ومدحه صاحبنا يتيمة الدهر ، وبقية نجباء العصر ، الناظم الناثر السيد اسماعيل الوهبي الشهير بالخشاب ، بهذه القصيدة الغراء اللامية وهي :

ذاك المحيا وذاك الفاحم الرجل بآ بلبي وتلك الأعين النجل
وبي غزالاً إذا شمس الضحى أفلت أراه شمساً وجنح الليل منسدل
أغن أغيد وضـاح الجبين له خد اسيل وطرف كله كحل
نشوان لم يحتس صرفاً مشعشعة لكنه بالذي في ثغره ثمل
أقام في كبدي الوجد المضرّ به حتى تحلل فيما تسفح المقل
وفي الجوانح أذكى صده حرقاً تكاد من حرها الأحشاء تشتعل
حملت فيه الذي تعي الجبال به وما لقيس بما قاسيته قبل
كم بت فيه وأشواقي تؤرقني ودمع عيني على خدي ينهمل
وعاذل جاء يلحاني فقلت له دعني بمدحي إمام العصر أشتغل

محمد المرتضى الراقي ذرى شرف　　تلوح من دونه الجوزاء والحمل
السيد السند الثبت الموضح ما　　للعجز قد تركت ايضاحه الأول
صدر الشريعة مصباح البرية من　　يضيق عن وصفه التفصيل والجمل
أحيا معالم علم كنت أنشدها　　انا محبوك فاسلم أيها الطلل
وقام في الله للاسلام منتصراً　　وكاد لولاه يصفي الحادث الجلل
أعيا أكف الكرام الحافظين له　　في رقم صالح قول أثره عمل
للخط أولا فللخطي راحته　　فما له عنها إلا الندى شغل

ومنها :

ضرائب من معال لم يخص بها　　الاه منها سواه حظه العطل
ياابن الذي قدغدا جبريل خادمه　　وبشرت قومها قدما به الرسل
خذها اليك وإن كانت مقصرة　　حسبي علا انها حبلي بكم تصل
ما قالها في بني العباس شاعرهم　　أستاذ أهل القريض المادح الغزل
لازلت مبلغ مثلي ما يؤمله　　وللمروّع أمناً إن عرا وجل

فأجابه بقوله :

اعقـد لآل أم نجوم ثواقب　　أم الروض فيه الورق جاءت تخاطب
والا عروس في ملاء محاسن　　لها الصون عن عين الحواسد حاجب
والانظام من حبيب ممجد　　أخي الفضل من دانت لديه الغوارب

وهي طويلة ، وله أيضاً :

إذا ما هب سلطان المريسي　　وأبدى الجو وجهاً للعبوس
فزعت بمفرد الكافـات يأتي　　بجمع حاصل هو كاف كيسي
به أصبحت أرفل في كساء　　به أمسيت في كن نفيس
به تجلى من السمراء كأسي　　إلي على يدي غزلان خيس[1]
فارشف تارة منهـا وطورا　　من الثغر الشنيب بلا مقيس

---

(١) الخيس : الشجر الملتفّ واسم موضع .

ولـه في المعنى :

إذا ضم قطر الجو عنا معاشنا ... وهبت رياح بالعشية بارده
قصرت على كاف الكتاب مطالعاً ... ومقتبساً منه فوائد شارده

ولـه أيضاً :

قد عد قوم في الشتاء لذائذا ... كافية تكفي لدى الأنواء
كالكيس والكانون والكن الذي ... يأوى له العاني وكأس طلاء
ثم الكتاب وسادس الكافات من ... شمس تضيء دنت وكاف كساء
ولدي ان الكيس يجمع كل ما ... ذكروا من الأفراد والأجزاء

ولـه في المعنى :

لـكاف الكيس فضل مستمر ... يفوق به على الكافات طرا
إذا ظفرت به كفاك يومـاً ... تـنى سائر الـكافات قسرا

ولـه أيضاً في المعنى :

إذا هب سلطان المريسي [1] غدوة ... وجلل آفاق السماء سحاب
وضاق لتحصيل الأماني مذاهب ... فنعم جليس الصالحين كتاب

ولـه أيضاً :

كاف الكياسة مع كيس اذا اجتمعا ... يوماً لمرء غلا في العصر سلطانا
بالكيس يصبح مقضياً حوائجه ... وبالكياسة يولى الكيس احسانا
والكيس منفردا مضن بصاحبه ... والكيس منفرداً يوليه مجانا

ولـه في اجازة :

اجزت لمن حوى قصب الفخار ... وجلى في العلوم فـلا مجاري
رواياتي جميعـاً عن شيوخ ... ثقات أهل فضل واختبار
لهم بين الملا صيت ومجـد ... وفخر واعتماد في اشتهـار
ومنظومي ومنثوري جميعـاً ... وان لم اك أهلا لاعتبـار

---

(١) المدّرس : المجرّب في الحروب .

وحسن الظن بالاغضا كفيل ورعي العهد مع بعد المزار
فانت المفرد العلم المنادى ومثلك من اصاخ الى اعتذار
ولا تغفل محبك من دعاء بنيل القصد في تلك الديار
ويرجو المرتضى منكم قبولا عسى يعطى الرضى عند القرار
بجاه المصطفى خير البرايا امام المرسلين المستجار
على عليائه أزكى سلام وصحب ما أضت شمس النهار

وله في اسماء أهل الكهف على الخلاف الوارد فيهم :

بتمليخ مكسلمين مشلين بعده دبرنوش مرنوش اشداء للكهف
وخذشادنوشاسادس الصحب ذاكرا كفشطيوش في رواية ذي العرف
نوانس سانينوس مع بطينوشهم مكرطونش تلك الروايات فاستوف
وكشفوطط كندسلططنوس هكذا روينا وارنوش على حسب الخُلف
وبنيونس كشنيطط اربطانس ومرطوكش عند الاجلة في الصحف
وكلبهم قطمير سابع سبعة فخذو توسل يا أخا الكرب والرجف (١)

ومن كلامه أيضاً :

توكل على مولاك واخش عقابه وداوم على التقوى وحفظ الجوارح
وقدم من البر الذي تستطيعه ومن عمل يرضاه مولاك صالح
وأقبل على فعل الجميل وبذله الى أهله ما اسطعت غير مكالح
ولا تسمع الأقوال من كل جالب فلا بد من مثن عليك وقادح

ونظمه كثير ، ونثره بحر غزير ، وفضله شهير وذكره مستطير .
وكنت كثيراً ما أجتلي وجه وداده ، وأوقد نار الفكرة بقدح واري زناده ،
واستظل بدوحه المريع ، واستمد من بحره السريع ، وأسامره بما يذكرنا
عهود الرقمتين ، وأتنزه من صفات فضله وذاته في الربيعين ، كما قيل :

---

(١) التوسل النافع بالايمان الصادق ، والعمل الصالح ، مع الإخلاص في النية لله رب العالمين ، والأبيات الأربعة التي بعدها تكفي وتغني .

وكانت بالعراق لنا ليـــال   سرقناهن من ريب الزمـــان
جعلناهن تاريخ الليـــالي   وعنوان المسرة والأمـــاني

وبالجملة فانه كان في جمع المعارف صدراً لكل ناد ، حتى قوض الدهر منه رفيع العماد ، وأذنت شمسه بالزوال ، وغربت بعد ما طلعت من مشرق الاقبال ، كما قيل :

وزهرة الدنيـــا وإن أينعت   فانها تسقى بمـــاء الزوال

وقد نعاه الفضل والكرم ، وناحت لفراقه حمائم الحرم ؛ وأصيب بالطاعون في شهر شعبـــان ، وذلك انه صلى الجمعة في مسجد الكردي المواجه لداره ، فطعن بعد ما فرغ من الصلاة ، ودخل الى البيت واعتقل لسانه تلك الليلة ، وتوفي يوم الأحد ، فأخفت زوجته وأقاربها موته حتى نقلوا الأشياء النفيسة والمال والذخائر ، والامتعة والكتب المكلفة ، ثم أشاعوا موته يوم الاثنين ، فحضر اسماعيل بك طبل الاسماعيلي ، ورضوان كتخدا [١] المجنون وادعى ان المتوفى أقامه وصيا مختارا ، وعثمان بك ناظراً بسبب أن زوج أخت الزوجة من أتباع المجنون ، يقال له حسين آغا ، فلما حضروا وصحبتهما مصطفى افندي صادق ، أخذوا ما أحبوه وانتقوه من المجلس الخارج ، وخرجوا بجنـــازته وصلوا عليه ، ودفن بقبر أعده لنفسه بجانب زوجته بالمشهد المعروف بالسيدة رقية ، ولم يعلم بموته أهل الأزهر ذلك اليوم ، لاشتغال الناس بأمر الطاعون ، وبعد الخطة ، ومن علم منهم وذهب لم يدرك الجنازة ، ومات رضوان كتخدا في أثر ذلك ، واشتغل عثمان بك بالإمارة لموت سيده أيضا ، وأهمل أمر تركته فأحرزت زوجته وأقاربها متروكاته ، ونقلوا الأشياء الثمينة والنفيسة الى دارهم ، ونسي أمره شهورا ، حتى تغيرت الدولة وتملك الأمراء المصريون الذين كانوا بالجهة القبلية ، وتزوجت زوجته برجل من الاجناد من أتبـــاعهم ،

---

(١) كَتْخُدا : كلمة فارسية : معتمد ، وكيل ، أمين .

فعند ذلك فتحوا التركة بوصاية الزوجة من طرف القاضي ، خوفاً من ظهور وارث ، وأظهروا ما انتقوه مما انتقوه من الثياب وبعض الأمتعة والكتب والدشتات ، وباعوها بحضرة الجمع ، فبلغت نيفاً ومائة الف نصف فضة ، فأخذ منها بيت المال شيئا ، وأحرز الباقي مع الأول ، وكانت مخلفاته شيئاً كثيراً جدا ، أخبرني المرحوم حسن الحريري وكان من خاصته وممن يسعى في خدمته ومهماته ، انه حضر اليه في يوم السبت وطلب الدخول لعيادته ، فأدخلوه اليه ، فوجده راقداً معتقل اللسان ، وزوجته وأصهاره في كبكبة واجتهاد في إخراج ما في داخل الخبايا والصناديق الى الليوان ، ورأيت كوماً عظيما من الأقمشة الهندية والمقصبات والكشيمري والفراء ، من غير تفصيل نحو الحملين ، وأشياء في ظروف وأكياس لا أعلم ما فيها ، قال : ورأيت عدداً كثيراً من ســاعات العب الثمينة مبدداً على بساط القاعة ، وهي بغلافات بلادها ، قال فجلست عند رأسه حصة وأمسكت يده ، ففتح عينيه ونظر إلي وأشار كالمستفهم عما هم فيه ، ثم غمض عينيه وذهب في غطوسه ، فقمت عنه ، قال : ورأيت في الفسحة التي أمـام القاعة قدراً كثيراً من شمع العسل الكبير والصغير ، والكافوري والمصنوع والخام ، وغير ذلك مما لم أره ولم التفت اليه .

ولم يترك ابنا ولا ابنة ، ولم يرثه أحد من الشعراء ، وكان صفتـه ربعة نحيف البدن ذهبي اللون متناسب الأعضاء ، معتدل اللحية قد خط الشيب في أكثرها ، مترفهاً في ملبسه ، ويعتم مثل أهل مكة عمامة منحرفة بشاش أبيض ، ولها عذبة مرخية على قفاه ، ولها حبكة وشراريب حرير طولها قريب من فتر ، وطرفها الآخر داخل طي العمامة ، وبعض أطرافه ظاهر ، وكان لطيف الذات حسن الصفات ، بشوشاً بسومـاً ، وقوراً محتشما ، مستحضراً للنوادي والمناسبات ، ذكياً لوذعياً فطناً ألمعيـا ، روض فضله نضير ، وماله في سعة الحفظ نظير .

وكانت وفاته رحمه الله تعالى في شهر شعبان المعظم سنة خمس ومائتين والف ، ودفن في جانب زوجته بالمشهد المعروف بالسيدة رقية في القبر الذي أعده لنفسه هناك كما تقدم [١] جعل الله مثواه قصور الجنان ، وضريحه مطاف وفود الرحمة والغفران ، وعوضه جنة ونعمة وخيراً وأجرا ، وعوض المسلمين عنه خيرا ، وجمعنا جميعاً وإياه في مستقر رحمته آمين .

مريم بنت محمد بن طه العقاد الحلبية الشافعية

ام عمران المقرية المسندة الصالحة الكاملة العالمة العاملة ، مولدها في حلب سنة ست وخمسين ومائة والف . قرأت القرآن العظيم وبعض المقدمات على والدها ، وحفظت متون الفنون الى أن بلغت مرادها ، وكان جل انتفاعها على والدها ، وأجازها جملة من المحدثين والعلماء الكاملين ، منهم العلامة الجينيني وغيره من علماء عصرها . وقد اجتمع بها العلامة محمد خليل افندي المرادي حينما كان في حلب عام الف ومائتين وخمسة ، وأثنى عليها وشهد بعلمها وفضلها ، ولم أقف على تاريخ وفاتها [٢] رحمة الله عليها آمين .

الشيخ مراد بن الشيخ محمد بن الشيخ حسن الشطي الحنبلي

ولد سنة تسع وثمانين ومائتين والف بدمشق ، ونشأ بها في حجر والده ، وقرأ لديه جملة صالحة من فن الفرائض والحساب وغيره ، وقرأ على الشيخ طاهر بن صالح المغربي ، وعلى الشيخ بدر الدين بن يوسف المغربي ، وحضر مجالس حديثية عند الشيخ بكري بن الشيخ حامد العطار ، واستجاز من غيرهم . وأقبل على تحصيل الفنون وضروب الآداب ، وبرع في فن الهندسة

(١) نقل المؤلف معظم هذه الترجمة عن المؤرخ الجبرتي معزواً اليه ما نقله عنه .

(٢) في تاريخ حلب للأستاذ الطباخ أن وفاتها كانت (سنة ١٢٢٠ هـ) .

والخط على اختلاف ضروبه [١] مع صلاح وعفاف وحياء ، وكنت أشاهد منه لطفاً وكمالا ، وأدباً زائداً واحتفالا ، ومحاضرة حسنة (وكمالات مستحسنة) وكان له همة ونظر في معالي الأمور ، وقد جمع مسودة في طبقات الحنابلة المتأخرين ، وجمع منظومات قريبه الأديب الشيخ عبد السلام الشطي في ديوان ، وغير ذلك من مجاميع بديعة . بيد أنه قطع عليه الطريق الأجل ، وناداه عجلا فقـــال أجل ، وذلك في شهر ذي القعدة عام أربعة عشر وثلاثمائة وألف ودفن بتربة الذهبية من مرج الدحداح رحمه الله تعالى .

السلطان مصطفى خان بن السلطان عبد الحميد خان

ولد سنة ألف ومائة وثلاث وتسعين ، وجلس على تخت الملك في الحادي والعشرين من ربيع الأول سنة ألف ومائتين واثنتين وعشرين فهابه الكبير والصغير والجليل والحقير ، وحصل الخوف لجميع أهل الاستانة منه ووقع الرعب في قلوب الجميع ، ثم أطلقت المدافع علامة على جلوس السلطان مصطفى ونودي في المنابر باسمه ، وتقدم المفتي شيخ الإسلام وقائمقام موسى

---

(١) وتلقى علم الهيئة والربع المجيّب عن الحافظ الشيخ حسين موسى نزيل دمشق ، والجبر والمقابلة عن العلامة الشيخ محمد الطيبي ، ولازم أخيراً العلامة الأستاذ الشيخ طاهر الجزائري ، وانتفع به كثيراً ، كان لهـــذا الأستاذ آمال فيه ، وطالما ذكره بألم وحسرة ، وقد قرأ عليه تيسير الوصول في الحديث ، وأجازه به وبغيره ، وكان عارفاً باللغتين الفارسية والتركية ، وأحسن آثاره مدبجات عبد المنعم الأندلسي المحفوظة في دار الكتب الظاهرية بدمشق . وألف رسائل لطيفة منها : « كشف المغيّب ، في العمل بالربع المجيّب » و « تحفة النسّاك في فضائل السواك » و « الفضائل المتقابلة في الجبر والمقابلة » وكان له شعر قليل ، فمنه قوله :

خالق النـــاس بخلق حسن	ترتقي أسنى المقام الأحسن
واعتبر في حال أهل الزمن	وانتبه من غمرات الوسَن
وتيقن أن زرع الإحن	موجب حقا لحصد المحن

اهـ من « أعيان دمشق » في القرن الرابع عشر الهجري للشطي .

باشا إلى الجموع التي كانت مجتمعة في فسحة آت ميدان ، وأخبروهم أن السلطان مصطفى قد وعد بإبطال ما كان مهتماً به السلطان سليم من وضع النظام الجديد وبارجاع العوائد القديمة ، فلما سمع الجميع هـذا الحديث تفرقوا ، وبعد أن جلس السلطان مصطفى على تخت السلطنة سلم زمام الأحكام بيد القائمقام كوسج موسى باشا والى المفتي شيخ الإسلام عطا الله أفندي ، ولما بلغت هذه الأخبار الصدر الأعظم چلبي مصطفى باشا وكان رئيس الجيوش التي خرجت لقتال الروسية كما تقدم ، حزن لذلك وغضب غضباً شديداً هو ومن معه من العساكر ، وكان من جملتهم مصطفى باشا البيرقدار ، فعقدوا صلحاً مع الروسية ، ورجعوا بالعساكر ليتداركوا هذا الأمر ، وأرسلوا للعساكر الانكشارية يقولون لهم نحن قادمون لنجدتهم واتمام رغبتهم ليطمئنوا بذلك ، وما دخلوا القسطنطينية الا بعد مشاق ، وأراد البيرقدار مصطفى باشا ارجاع السلطان سليم والقبض على السلطان مصطفى ، وطلب من الصدر الأعظم المساعدة على ذلك ، فأنكر عليه ذلك مبينا سوء عواقب الأمور ، فغضب البيرقدار غضباً شديداً وأمر بحبسه وبلغ الخبر السلطان مصطفى فأرسل أناساً يقتلون السلطان سليم ، فدخلوا عليه وهو يصلي صلاة العصر ، فلم يمهلوه إلى أن يتم الصلاة بل وثبوا عليه وطرحوه إلى الأرض ، فنهض حالاً عليهم كالأسد وصرعهم ، وكان قوياً جداً ، ثم تغلبوا عليه وخنقوه حتى مات ، ورجعوا به إلى السلطان مصطفى مسرعين وطرحوه ميتاً أمامه ، وكان ذلك سنة ثلاث وعشرين ومائتين وألف ، وعمر السلطان سليم ثمان وأربعون سنة ثم أرسل أناساً وأمرهم بخنق أخيه السلطان محمود ، وكان البيرقدار قد هجم بجماعة مسرعين لإنقاذ السلطان سليم فوجدوه قد مات ، فاهتموا بأمر السلطان محمود ، وقال لهم البيرقدار عليكم بنجاة السلطان محمود لأنه هو الوارث الوحيد لتخت السلطنة الباقي من سلالة آل عثمان ، فأخذت العساكر تطلب السلطان

مصطفى ، وتبحث عن السلطان محمود ، وان السلطان محمود لما جاءه جنود السلطان مصطفى الذين يريدون قتله أراد الفرار فرشقه أحدهم بخنجر أصاب يده فهرب ، وصعد على سطوح السرايا ، فلما نظرته جماعة البيرقدار وضعوا له سلماً فنزل إلى صحن الدار ، حيث كان البيرقدار ، وعندما نظر إليه البيرقدار فرح فرحاً عظيما وحمد الله تعالى على خلاصه من أخيه وصار يقبل قدميه ، ثم دخل به القاعة وأجلسه على تخت السلطنة ، وأرسل جنداً قبضوا على السلطان مصطفى وأمر بحبسه فلما تم جلوس السلطان محمود جعل مصطفى باشا البيرقدار صدراً أعظم ، وسلمه زمام الأحكام ، فأخذ يجتهد في أخذ الثار من الذين قتلوا السلطان سليم ، ثم شرع في تنظيم العسكر الجديد ، وطلب اجتماع أهل الحل والعقد من رجال الدولة ، فلما حضروا أخذ يبين لهم شدة الاضطرار لتعليم العساكر صناعة الحرب ، وانفاذ أوامر السلطان طالباً رأيهم في ذلك ، فصادقوه مذعنين لأمره ، وتعهدوا بالمساعدة في كل ما يؤول لنجاح المملكة ، وفي الحال أخذ الصدر الأعظم في وضع ترتيبات جديدة أوجبت الملام عليه من كثيرين ، وأضمروا له السوء ، وصاروا يطعنون فيه جهاراً ويدعونه بالكافر ، وعلقوا أوراقاً ، ولا زال الأمر في اضطراب إلى أن قتل السلطان مصطفى المترجم باشارة من السلطان محمود ، سنة ألف ومائتين وثلاث وعشرين رحمه الله تعالى . وفي ترجمة السلطان محمود زيادة تفصيل وبيان فليراجع هناك .

الشيخ مصطفى بن احمد حسين بن احمد بن عبد الرزاق الحلبي الولي المستغرق

المجذوب المشهور صاحب الأحوال الغريبة الباهرة ، والكرامات البديعة العالية الظاهرة ، كان كثير الإنشاد ، من أقوال السادة الأمجاد ، ومن

الموشحات الأنيقة ، والمواليا الرقيقة ، وله حافظة قوية ، ونغمات لطيفة ندية ، ما رآه انسان الا وأحبه ، ورام دنوه وقربه ، وكان يرد عليه من الناس مال كثير ، فيدفعه في الحال لمستحقيه من مسكين وفقير ، وكان معتقداً عند الخاص والعام ، وكراماته مشهورة مشهودة للأنام . توفي بعد ألف ومائتين وخمسة في حلب ، ودفن بها رحمه الله تعالى ونفعنا به .

الشيخ مصطفى بن محمد بن ابراهيم بن محمد الطرابلسي الحلبي المولد والمنشأ الحنفي

العالم الفاضل ، والمتقن الكامل ، المولى السيد الشريف ، البليغ الأديب اللطيف ، نخبة البلغاء ، وكعبة طواف الفضلاء والرؤساء . ولد بحلب في شوال سنة ست واربعين ومائة وألف ، ونشأ بكنف والده الشمس محمد نقيب الأشراف ومفتي الحنفيه بحلب ، أحد العلماء والفقهاء المشهورين بعصره ، وقرأ عليه الكثير من الكتب وانتفع به وسمع عليه الكثير وأخذ عنه ، واشتغل على غيره بالأخذ والتحصيل وقرأ عليهم ، كأبي السعادات طه بن مهنا الجبريني وأبي عبد الفتاح محمد بن الحسين وقاسم بن محمد البكرجي ، وأجازه أبو البركات عبد الله بن الحسين بن مرعي السويدي البغدادي عام دخوله حلب حاجاً سنة سبع وخمسين ومائة وألف ، وأبو عبد الله علاء الدين محمد ابن محمد الطيب الفامي المالكي نزيل المدينة المنورة ، وسمع منهما الحديث المسلسل بالأولية . وأجازه الشهاب أحمد الملوى المصري وأبو عبد الله محمد بن علي الجمال الحلبي تلميذ والده فبرع وفاق ، وانعقد على فضله الاتفاق ، وحصل له الفضل الذي لا ينكر ، والاتقان الذي لا يجحد بل ينشر ويذكر ، وأقبل على الأدب ومطالعة كتب اللغة والعربية واشتغل بها حتى ضبط الكثير منها وحفظ غالبها ، وجمع كتاباً في اللغة لم ينسج على منواله ،

ولم يسبق إلى مثاله ، جعله أبواباً وفصولاً وتفرغ لجمعه وتحريره عدة سنين ، حتى جاء كتاباً وافياً مفيداً سهل المأخذ كثير الفائدة . وقدم دمشق ودخلها غير مرة ، وسمع من أبي يحيى علاء الدين علي بن صادق الداغستاني ، وسمع الكثير من العلماء واستفاد من فوائدهم ، ثم ارتحل إلى حلب وامتحن لما قامت الأشراف وقوي جانبهم ، وخرج من حلب واستقام مدة في مدينة صيدا وتلك النواحي ، ثم دخل القسطنطينية ، وكان قد مات والده في تلك الأيام [١] واجتمع بعلمائها وأعيانها ، وتقلبت به الأحوال بعد ذلك ، واستقر آخر أمره في بلدته الشهباء إلى أن اخترمته المنية ، سنة نيف وعشر ومائتين وألف ودفن هناك رحمة الله تعالى عليه .

الشيخ الملا مصطفى بن جلال الدين الكلعنبري النقشبندي الخالدي

العالم الفاضل الألمعي ، والحبر الكامل المرشد اللوذعي ، مرشد السالكين ، ومفيد الواصلين ، الخليفة لحضرة المولى الأستاذ ، والحبر البحر الملاذ ، حضرة مولانا خالد فخلفه عنه خلافة مطلقة وأذن له بالإرشاد ، فأفاد بالشريعة والحقيقة حسب المراد ، ولم يزل إلى أن توفي سنة ألف ومائتين و .

الشيخ مصطفى زين الدين الحمصي صاحب معارضات الشيخ هلال

لقد ترجمه الإمام الأديب ، والهمام اللبيب ، محمد خالد أفندي چلبي الحمصي بقوله : أديب فريد ، وشاعر مجيد ، كان رحمه الله أديباً عاقلاً فاضلاً ، فطناً ذكياً ودوداً صالحاً ورعاً تقياً . ولد بحمص وبها نشأ ، ولما

---

(١) كانت وفاة والده محمد أفندي مفتي حلب (سنة ١١٨٤ هـ) كما رأيته في مجموعة لبعض بني الطرابلسي اهـ من تاريخ حلب الشهباء للأستاذ الطباخ .

كبر وشب حفظ القرآن وتعلم الخط والحساب ، ثم تعلق على العلوم فأخذ بقسم وافر من كل منها ، وقرأ كثيراً من كتب الأدب والتواريخ ، وطالع أكثر دواوين الشعراء وأقوال البلغاء ، فحفظ منها في مدة يسيرة ما يعجز عن حفظه غيره في أعوام كثيرة ، وكان مع ذلك قد منح حسن الصوت وجودة الحفظ ، فتعلق على العلوم الموسيقية فبرع بها ، وأحبه أعيان البلدة وأكابرها ، فكان سمير العلماء ونديم الشعراء والبلغاء ، ثم زادت شهرته وبعد صيته وتولع به الخاصة والعامة ، فاعتنقه الشيخ الفاضل والمرشد الكامل ، أبو النصر بن الولي العارف بالله الشيخ عمر اليافي ، صاحب المنظومات الدرية والقدود البهية الموسومة في البكرية ، فنزل عنده منزلة عظيمة ، وحلت عليه أنظاره الكريمة ، ثم رحل مع الشيخ المذكور وتخرج بصحبته ، وصار منشد ذكره وحضرته ، فسافر معه إلى الاستانة العلية ، ونزلا عند عبد الله باشا أحد وزراء الدولة العثمانية ، وذلك في زمن السلطان ساكن الجنان السلطان عبد العزيز بن السلطان محمود خان تغمدهما الله بالرحمة والرضوان ، فحصل لهما الاقبال التام ، ووجهت على الشيخ مصطفى رتبة روس ايبك بواسطة الباشا المذكور ، وانتظمت له الأمور ، وأحبه عبد الله باشا فحبسه عن المسير ، ونال منه الخير الكثير ، ثم سافر معه إلى المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم السلام ، وأقام عنده مدة طويلة بمزيد الانعام ، ورجع بعد ما طاف البلاد المصرية .

فرأى في تلك المدة بدور المنظومات الهلالية [١] طالعة ، وأنوارها

---

(١) نسبة إلى الشاعر الشهير محمد بن هلال بن محمود بن مصطفى بن اسماعيل ملا زاده المعروف بالهلالي . ولد بحماة (سنة ١٢٣٥ هـ) ونشأ بها ، وأخذ العربية والعلوم الدينية عن علمائها ، وتفنن في الأدب وأساليبه ، ونظم الشعر والموشحات ، ونادم الأدباء والظرفاء ، وتوجه إلى دمشق فطاب له المقام ، وعاشر أدباءها ، وأقام بها إلى أن توفي (سنة ١٣١١ هـ) ودفن في مقبرة الدحداح . وترجمته في مقدمة ديوانه المطبوع بحماة (سنة ١٣٣٠ هـ) رحمه الله .

لامعة ، والناس منها بين اعجاب واطراب ، وإطناب واسهاب ، فأخذ في معارضته ، وشمر إلى مبارزته ، ولكن تركه في واد وسلك في واد آخر ، وعن تلك الخطـــة رجع وتقهقر ، وعدل عن التغزل في الحور والبدور ، إلى وصف الموائد والقدور ، إلى غير ذلك مما ستقف على معانيه ، وتتأمل رصانة مبانيه ، من المنظومات الفائقة ، والأدوار الرائقة ، والكلام الذي فاق بسلاسته وعذوبته كل كلام في هذا الباب ، وأعجز فحول الشعراء عن مضاهاته وحير منهم الألباب ، حتى قال قائلهم ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ان هذا لشيء عجاب ! ومن ثمة أوغر عليه صدر الهلالي حنقاً ، وازداد تضجراً وقلقاً ، تأسفاً على اهمال نظمه الذي فاق الدر المنثور ، ونبذه خلف الظهور ، وتولع الناس بما يعارضه به الشيخ المذكور ، على أن الشيخ مصطفى لم يكن مقصوراً على النظم في المآكل ، إنما كان يأتي بذلك على سبيل التفكه والمداعبة . وكان له نظم جيد رقيق ، والذي يدعوه أيضاً لسلوك هذه الخطط واقتفاء تلك الرسوم ، كثرة ولعه في حب المآكل واللحوم ، فانه كان رحمه الله اكولا عظيما ، وقد قيل من أحب شيئاً أكثر من ذكره ، وسوف نأتي على نبذ من مهمات أمره ، مع ما فيه ، فانه كان رحمه الله مسامراً نديماً حافظاً ، إذا جالسك يملأك نكات وأخبارا ، وملحاً واثارا [١] .

توفي رحمه الله عام ألف وثلاثمائة وتسعة عشر اثر نزلة صدرية ، لم تنجع فيها حيل المطببين ، وله من العمر ما ينوف على السبعين ، وكانت موتته على هيئة تشعر بحسن الختام ، والفوز بدار السلام ، وذلك حيث كان رحمه الله رحمة واسعة في نهاية مرضه وقد أصبح يوم الجمعة ، حتى إذا كان قبيل الصلاة رأى في نفسه خفة وراحة فطلب ماء ليتوضأ معولاً على

---

(١) جمعت معارضاته للهلالي في كتاب « تذكرة الغافل عن استحضار المآكل » وهو مطبوع .

النزول إلى الجامع ، وكان قريباً لبيته ، ولما أتي له بالماء توضأ محسناً للوضوء ، وحيث أتم أمر بفرش مصلاه ، وشرع في صلاة سنة الجمعة قبل المسير ، فقبض قبل التشهد في السجود الأخير ، ودفن في عصر ذلك اليوم ، وكان له مشهد عظيم مشى في جنازته أكابر البلدة وأعيانها . وقد أرخ موته العلامة المحقق والحبر المدقق ، نخبة الفضلاء الكرام وعمدة العلماء الأعلام ، اتامي زاده السيد خالد أفندي مفتي حمص الأسبق ، قائلاً ـ وقد رقم على القبر :

هـــذا الضريح لمصطفى   مداح خير المرسلين
من لابن زين الدين يعـــزى   نسبة في العالمين
لبى المهيمن ساجداً   لمــا رأى عين اليقين
العفو أرخ واقر   ولنعم دار المتقين

ومن نظمه البديع الرقيق مطرزا باسم رفيق :

رماني بسهم من لحاظ فواتك   غزال له دانت أسود المعارك
فما البدر يحكيه ولا الغصن إن بدا   أو اختال في ثوب البها في مسالك
يلذ لي التعذيب في حب من غدا   وأصبح من دون البرية مالكي
قليت الكرى لما شواني بحبه   أراقب زهر الليل ضمن الحيالك

ومن كلام الشيخ هلال موشح لازمه .

بالله يا باهي الشيم   رفقــاً بولهان
ما شاقه ذكر العلم   لولاك والبان
أظهرت سري المكتتم   ما بين دمعي والسقم
في لوحه خط القلم   ان الهوى حكم حكم

دور

بدر منير أم ملك   أم أنت إنسان
ما خاب راج ام ّلك   بالقرب احسان

كم من جهول ام" لك ‏ ‏ نال الشقا مع من هلك

سبحان من قد كملك ‏ ‏ في كل حسن تم لك

دور

أهوى الجمال المطلقا ‏ ‏ أيان ما كان

اذ مذهبي ان اعشقا ‏ ‏ حورا وولدان

أدهشتني عند اللقا ‏ ‏ يا بدر حسن مشرقا

يدري بذا من حققا ‏ ‏ ان الفنا عين البقا

دور

وا لوعتي من علما ‏ ‏ غزلان نعمان

عن حبهم منع اللمى ‏ ‏ ظلماً وعدوان

يا تاركين المغرما ‏ ‏ في حبهم يبكي دما

سكران من حر الظما ‏ ‏ يبغي السراب الأوهما

دور

سكرى لدى محو الأثر ‏ ‏ للدن أدنان

حيث المعاني والصور ‏ ‏ راح وريحان

كالشمس في روض القمر ‏ ‏ تجري لأبهى مستقر

طور على طور انجبر ‏ ‏ من لن تراني قد ظهر

وقال المترجم في معارضته

بالله يا شاوي اللحم ‏ ‏ قدم لجوعان

ما همه غير اللقم ‏ ‏ يملي لجسمان

أحييتني بعد العدم ‏ ‏ خاروف محشي محترم

ويا صديرا قد ألم ‏ ‏ كنافة تبري السقم

دور

رز دفين ما كلك أم لحم خرفان
ما جاع بطن لذّ لك بطول أزمان
سبحان من قد دعبلك يا ضلع محشي يا ملك
ما أسمنك ما أسمنك ما أدهنك ما أدهنك

دور

أكل المحاشي مطلقا شفاء أبدان
اذ مذهبي ان أشرقا سمناً وأدهان
قد هاش بطني مذلقا قطايفاً وقيمقا
بالله كسر فستقا واحشي بها المفرقا

دور

ما آن أحظى بالكما بالله ما آن
عليّ بها أن أصدما مع لحمة الضان
لا سيما لا سيما رز لديه قدمـــا
والسمن فيها عوما فابلع وكبر لقما

دور

قلبي على كشك الفقر لا زال ولهان
اذ تحته ذاك الزفر من كل ألوان
فاصرف أخي للنظر عن غير أكل مفتخر
ما اللفت عندي والجزر الا غـــذاء للبقر

ومن كلام الشيخ هلال من الموشح

قلبي كووا عزا حووا وعلى العرش من الحسن استووا

دور

دار من تهوى ودع في كل دار مدّع في الحب جهلا غير دار

فالهوى كأس على العشاق دار فيه من فازوا وفيه من هووا

دور

ليت شعري من لقلبي أمرضوا هم إلى الآن غضاب ام رضوا
غرضي هم أعرضوا أم أغرضوا بالتجني أم على قتلي نووا

دور

آه من نار جفاهم والصـــدود بعـــد جنات وفاهم بالعهود
يا ترى عيشي بهم يوماً يعود بعد ما أغصانه الخضر زووا

وقال المترجم معارضاً له

لحماً شووا خبزاً طووا بيضاً قلوا وعلى السمن القباوات استووا

دور

مذ رآني شيخنا المفشي جار راح للمحشي وبالكوسى استجار
أيها القطر انعقد مذ أنت جار لصدور للكنافات حووا

دور

أيها الاخوان للأكل انهضوا وذروا الجوع وعنه أعرضوا
وعلى الخاروف بالكف اقبضوا بأصابيع على الصحن هووا

دور

لحـــة الضان شفاء للكبود ليس كاللفوف نفاخ الجلود
وكذا البيرق الزاكي الجدود من كرام الكرم عنه قد رووا

وللشيخ هلال موشح صبا

بدت لنا في طالع الاسعاد يمحو سناها الليل
شمس على غصن رطيب نادي تزهو بجر الذيل
أخا الأشجان دع الأحزان
وساقينا لنا قد آن منه الوفا بالكيل
ويا أغصان على كثبان أجيبوا داعي الألحان بالميل كل الميـــل

دور

لم أنس مسراها بلا ميعادي   في غفلة الحراس
وقولها برقة الانشاد   بشراك زال الباس
عبير فاح هزار صاح   ونادى قم بنا يا صاح   للأنس والإيناس
ونجم لاح بشمس الراح   وقد أهدت لنا الأفراح   وللعذول الويل

دور

ريح الصبا من حي ذاك الوادي   زر ، ربة الأستار
بنت الخبا ذات الجمال البادي   فضاحة الأقمار
فلو يا خال نظرت الخال   وشعرا مد للخلخال
سلاسل الأقدار   ودرا حال بثغر حال   فتاة طرفها بالحال
تردي غزاة الخيل

والمترجم معارضاً له

الجسم لا يقوى بغير الزاد   ولا يشد الحيل
ولحمة الخاروف لحم نادي   والدهن منه سيل
انا الزحان بالأسنان   لكل الأكل يا اخوان   للجوع مالي ميل
ولي مصران في جسمان   دواما لم يزل ملآن   في يومه والليل

دور

خاروفنا المحشي عن الاكباد   حقاً يزيل الباس
وقرعنا اليقطين ذو الامداد   طابت به الأنفاس
ودهن ساح بلحم راح   يقيت الجسم والأرواح
بالرز والقلقاس   وعطر فاح بالتفاح
وكفي لم يزل مساح   للتمر عندي كيل

دور

بالبيرق عج طيب الأجداد   ان منك جوع ثار

وشيخنا المفتي مُرَوّي الصادي　　من سمنه المدرار
اذا ما انسال كسيل سال　　رحيق منه كالسلسال
تجلى بــه الأكدار　　ورز غال بسمن عال
عليه اللحم لما انهال　　يحكي ظلام الليل

وللشيخ هلال رحمه الله موشح

روح صب ولهان　　حور بين الولدان
والشادي يدعو الساقي　　يا سلطان الندمان
لاحت من خلف الأستار　　شمس تزري بالأقمار
لو حلت شهب الازرار　　عن صدرها النوراني
ما هند لكن حسنى　　ذات الأوصاف الحسنى
ما اسنى منها الحُسنى　　مقرونا بالاحسان

دور

قلت رفقاً بالمهجات　　قالت عن عجب هيهات
كم من جنات الوجنات　　أكباد في النيران

دور

من لي بالظبي الاغيد　　ذي القد الزاهي الاملد
ما أحلاه بعد الصد　　إذ حياني أحياني

دور

وحد مولى قد ولاّه　　قلباً لم يبرح يهواه
بدر عوذت مجلاه　　بسم الله الرحمن

وللمترجم رحمه الله معارضاً له :

من لحم الزاهي الضان　　قدم محشيّ الخرفان
وادر لي يا ساقي　　كأساً من الأدهان

دور

جاءتنا من بيت النار　　كبة تجلو الأكدار
والسمن منهـا مدرار　　يطفو فوق الصواني

دور

ما للذي الجوع المضنى　　غير ذي الدهن الاسنى
شيخنا المفتي يعنى　　في أول الألوان

دور

قلبي لتلك الفتات　　كم به قامت حسرات
فابعدوا صحن الكرات　　يا صحبي عن أعياني

دور

من لي وافى بعد الصد　　البيرق الزاكي الجد
منه أكلي بلا عد　　لا يكفيني الألفان

دور

جل مولى قد أعطاه　　طولاً في أصل مبناه
قرع لو يحشى ناداه　　كفى امرع القاني

وللشيخ هلال موشح :

ما أسعد الصبحية　　بالطلعة البدرية
والشمس منها تجري　　كواكب درية

دور

عن ذي الجمال السامي　　لم تلمني لوامي
لا والعذار اللامي　　والطرة السنية

دور

من لي به من اغيد　　ريم يصيد الأصيد
حلو التثني مفرد　　ذو قامة خطية

دور

وافى مدير الخمر والخدالزاهي الزهري
فانهض لشم العطر من وردة جورية

دور

إن لم تعدني عدني فالشوق داء مضني
يا يوسفي الحسن أحزاني يعقوبية

دور

للحان والألحان والراح والريحان
هي اخا الأشجان نسكر مع الجمعية

دور

إن كنت بالأفراح ماحي دجى الأتراح
فاشرب عجوز الراح من راحة الصبية

وقال المترجم من الموشح معارضاً :

عقولنـــا مسبية بالكبة الصينية
والسمن منها يجري سحائب سخية

دور

شوقي نمـــا للبامي إذ غاصت بالألحام
والدهن منها طامي مشارب هنية

دور

سبحان من قد أوجد يبرقنا الزاكي الجد
على نعماه يحمد بكرة وعشية

دور

بعماء ضمن الصدر قد كللت بالقطر
حمرا سناها يزري بالأنجم الزربة

دور

قـــد لذ لي بالجبن قطائف لو تدني
عليها أمسى بطني ذا نعمة شجيه

دور

لموسم الخرفان ما زات كالولهان
نعم به قلقاني ذا همــة عليه

دور

ادر لي كاس الراح من دهنه السياح
فقد نفت أتراحي نفحاته العطريه

وللشيخ هلال موشح

بادر فنور الراح في الأقداح قد لاح كالارواح بالأشباح

دور

فهي المداما كم برت أسقاما كفوا الملاما معشر النصاح

دور

فاشرب زلالا لا تخف ازلالا والكأس لالا سقط زند الراح

دور

كانت وجرمي قبل خلق الكرم بالشهب ترمي مــارد الأتراح

دور

يسعى بها من للبرايا افتن ان ماس يطعن طعنة الارماح

وقال المترجم

ادر كؤوس القطر بالأقداح فالصدر وافى وانجلت اتراحي

دور

بصما اذا ما القطر فيهـــا عاما فلا ملاما شربه كالراح

جبن تلالا في حشاها جالا والسمن سالا منعش الأرواح

دور

لو كان قسمي صدرها بل رسمي لكان جسمي يزهو كالمصباح

دور

حيا وقد رن والحشا له حن ما السلوى ما المن كسمنه الفواح

وللشيخ هلال موشح :

نبه الندمان صاح ان داعي الأنس صاح
حيث من أيدي الملاح لاح نور الكاس لاح
سيما والغيم يسجم دمعه فوق البطاح
ورياض الزهر يبسم عن ثغور من أقاح

دور

كوكب الحسن أدارا في الدجى شمس النهار
طور خديه انارا منه لي نور ونار

دور

يا كليم العشق كلم عاذلي ما العشق عار
فالهوى العذري يعلم اهله خلع العذار

وقال المترجم :

قدم الخرفان ناحي ان داعي البطن ناح
حيث من لحم الاضاحي راح هم الجوع راح

دور

سيما والدهن يصدم شربه يشفي الجراح
وكماج الخاص يؤدم مع قبوات ملاح

دور

منسف الرز اثارا ... بسناه الاعتكار
وعليه السمن دارا ... فانتشق شم البهار

دور

وعلى المحشي فدمدم ... صاح واخلع للعذار
والى الكبة قــدم ... قد سبتنا باحمرار

وللهلالي مهنئاً بقدوم والي سوريا أحمد جودت باشا :

صادح الأفراح بالافصاح صاح ... اذ محا الظلماء مصباح الصباح
ولأرباب التهـاني والصفا ... فتح الفتاح أبواب النجـــاح
بقدوم النير الاعلا الذي ... منه سورية حياهـــا الفلاح
وحماة الشام أضحت تنجلي ... كعروس ذات عقد ووشاح
بوزير الوزراء المجتبى ... آصف الهمــة الشاكي السلاح
احمد الشان العظيم الجد في ... جودة الكف لمن منه استماح
لسن من كأس لفظ مسكر ... بمعان هي للأرواح راح
علم العــلم بصيت صوته ... ما على الصابي اليه من جناح
ببديع وبيان في صفا ... خمرة قد مزج السحر المباح
فهلموا يا ذوي الحزم فقــد ... جاء أمر الجد وانزاح المزاح
ولسان البشر نادى أرخوا ... في حماة الشام بدر الحق لاح

وقال المترجم :

ساح دهن اللحم فوق النار ساح ... أي راح أي عطر حين فاح
وعن القوم المعازيم الأولى ... أولموا قد راح هم الجوع راح
بقدوم الكبش ذو القرنين من ... لفساد البطن لقيــاه صلاح
وبه السفرة صاحي أسفرت ... اذ من الالية لاح النور لاح
بعظـيم بارك كالزق في ... جوفــه رز ولحم مستباح

احمر الاجناب اذ بالسمن جا روا عليه لا ولم يخشوا جناح

كلما الأيدى أزالت قطعـــة فج منها نشأة تبري الرياح

ليت شعري من بهارات ذكت تلك أو من حيث مرعاه الشياح

نشأتي من كأس دهن منه لي قد سلا الساقي ولا من كأس راح

لو بأكلي أمزج القطعة من لية مع هبرة هلا مبـــاح

لو رآه صاحب التقشيف و الزهد قال اليوم عنه لا براح

وللشيخ هلال :

ربح المتاجر لاكتساب معالي حسن الثناء على جميل خصال

للفضل اهل لا يقوم بغيرهم بيت سوى اهليه فيه خالي

يا خاطب العلياء جد فانهـــا حسناء ذات تمنـــع ودلال

فمن الورى ما هم حلا للمجد من شنف ومن عقد ومن خلخال

ما الليث الا من حمى الغابات لا من يحتمي بعرينة ودحال

عقد به الخود المليحة جيدها حال وعقـــد بالمليحة حالي

بشرى لمحكمة التجارة والهنا ء لها بصارم عضبها الفصال

إلى آخر القصيدة كما هي مذكورة في ديوانه رحمه الله .

وللمترجم رحمه الله :

أكل المحاشي صنعتي وفعالي والرز لي فيه وسيع مجال

للأكل أهل لا يجاوز غيرهم أيديهم فيـــه كما الفصال

يا طابخ الضلع السمين أما ترى جوعي ومخمصتي وسيئة حالي

أنعم به ولك الثواب فانه لا شك يكفيني أنا وعيالي

ما العشق الا أن تهيم بكبة حمراء تهدا لا بذات حجال

والليث من صدم الموائد بل جثا متربعـــا لا مبتغي لنزال

والقرن من بالكف يقبض رقبة الخاروف لا من يردي للأقيال

دعني ومن ألحان شاد مطرب … طربي بوصف الأكل والأشكال
والعود ان تضرب به فيسؤني … وعلى الطناجر ان نقرت حلالي
ما رنة القانون ابغي انمـا … ابغي لرنـة صدرنا المتلالي
وكذاك قعقعة المعالق فوقه … وكذا الصحون بصنعة الاكال
وتلذذي بتعدد الألوان مع … سلطاتها وكذلك الابقال
وتغزلي بسوى الكنافة لم يكن … لا بالصبي وربة الخلخـال

الشيخ مصطفى زين الدين ابو البركات بن محمد بن رحمة الله ابن عبد المحسن بن جمال الدين الأيوبي الأنصاري نسبة إلى سيدنا ابي أيوب الأنصاري رضي الله عنه

هو الفاضل الإمام ، والحبر الهمام ، فقيه العصر ، ويتيمة الدهر ، عقد تاج الأفاضل والكمالات ، ومن بنى فوق ذرى المجـد غرفات ، الإمام العلامة ، والمدقق الفهامة ، العابد الصالح والفالح الناجح ، الحنفي الدمشقي الشهير بالرحمتي .

ولد بدمشق ليلة الأربعـاء الرابع والعشرين من محرم الحرام سنة خمس وثلاثين ومائة وألف ونشأ في حجر والده ، وقرأ عليه وعلى فقيه عصره العلامة الشيخ صالح بن الشيخ ابراهيم الجينيني والعلامة الشيخ محمد التدمري وفريد الدهر محمـد أفندي فولقسز وأجازه سيدي العارف بالله الشيخ عبد الغني النابلسي وسيدي السيد مصطفى البكري الصديقي والشيخ محمد الغزي والشهاب أحمـد المنيني والشيخ علي كزبر والشيخ عبد الكريم الشراباتي الحلبي والشيخ عبد الله البصروي الدمشقي وغيرهم من مشاهير العلماء الأعلام ، وأفاضل السادات الكرام ، فطلب وانتفع وأقرأ ونفع ، وقدم لنفسه صالح العمل ، وكان بالله حسن الأمل ، كثير الذكر والعبادة ، شديد الإقبال على الله . يألف الزهادة ، وقرأ حديث الأولية

وأوائل الكتب الستة على العالم العلامة السيد عمر بن السيد أحمد بن السيد عقيل السقاف باعلوي ، سبط العلامة عبد الله بن سالم البصري المكي ، وكذلك على الشيخ عبد الرحمن الفتني والشيخ محمد بن الطيب المغربي والشيخ عبد الله السويدي . ورحل إلى مصر وأخذ عن علمائها منهم الشهاب الشيخ أحمد الملوي والشيخ حسن المدابغي والشيخ محمد بن سالم الحفني والشيخ محمد الدفري ، وقد كان في جانب عظيم من الورع والرضى بالقليل وتهذيب النفس ، وصار علم الشام وفقيهها ، وانتفع به الخلق الكثير من أهلها . وكانت ترفع له الأسئلة فيجيب عنها نثراً ونظماً ، وكان مولعاً بحب النبي ﷺ حتى ذهب بعياله من دمشق مع القافلة وجاور في المدينة المنورة سنة سبع وثمانين ومائة وألف ، وكانت شهرته في قطر الحجاز بالقطب الشامي ، وانتفع به أهل تلك البلاد ، وأجاز لأهل عصره ومن أدرك جزأ من حياته بجميع مروياته ، كما كتبه في إجازته للسيد محمد كمال الدين الغزي مفتي الشافعية بدمشق المسطرة بخطه ، سنة ألف ومائتين وسنة واحدة ، ومن قوله حين إجازته للسيد محمد شاكر العقاد :

ولست بأهل ان أجاز وانما ... تعديت طوري والحجاغير عاذري
وجاريت دهراً لا مردّ لحكمه ... قضى بارتقاء الدون مرقى الأكابر

ولقد ترجمه صاحب اللآليء الثمينة فقال : علامة زخرت بحار علومه ، وفهامة غزرت أنهار فهومه ، فأزهار رياض علومه اخجلت شقائق النعمان ، وجعبة أفكاره ملئت من درر فقه النعمان ، له فيه اليد البيضاء ، والراية الخضراء ، برع بجد ساد فيه ، وشاد قصور مغاني معانيه ، وجلس في مجلس الإفادة والتدريس ، وأبدع بكل تحرير نفيس ، ولعمري انه الجهبذ الذي لديه من المسائل كل ما ند على غيره أوفر ، وعنده من سائر العلوم حظ أوفر ، والفاضل الذي لسان الثناء عنه كليل ، وكثير المديح فيه قليل ، فمن نظمه الذي هو لمقدمات البيان نتيجة ، ولوجوه الاحسان غرر بهيجة ، قوله :

وقالوا سموم في المدينة محرق ... فقلت سموٌّ بالمكارم مغدق
وقالوا بها حمىً تذيب لحومنا ... فقلت حمىً عنا الجحيم تغلق
تذب لظى عنا وتكشف بأسنا ... محببةً منا من الأم أشفق
وقالوا بها اللأوا فقلت هي الألى ... بصبر عليها بالشفاعة نطلق
وان ضاقت الأحوال أو زاد سعرها ... فأنا لفي فضل الإله لأوثق
فنداَّن ، والله المهيمن كافل ... ونصبر والمولى يمن ويرزق
وان أشكلت فينا أمور عظيمة ... فأنوار طـه بالمواهب تشرق
فلا عجب تشتاقه النوق في الفلا ... تمد له أعناقهـا وهي تخفق
حبيب إله العرش موصل جوده ... وقاسم فيض الله إذ هو يطلق
فهل يشتكي ضيما منيخ ركابه ... بساحة بحر بالعطايا يدفق
عليه صلاة الله في كل لحـة ... وآل كرام أصلهم عنه ينطق
كذاك حماة الدين أصحابه ومن ... لآثارهم يقفو من الله يفرق

وله اذ ختم كتاب الشفاء ، عند باب الوفود بروضة سيد الشفعاء :

كتاب جامع أشتات علم ... بأوصاف النبي هو الشفاء
فكم نور بدا منه فجلى ... ظلام الجهل وانكشف الغطاء
أفاض عياض فيه بحر فضل ... على ظمأ القلوب فزال داء
وكم يتلو علينا فيـه آيا ... بنور ضيائهـا ملء الفضاء
وكم أثر رواه لنـا مبينا ... مناقب من سما وله ارتقاء
عليه صلاة ربي مع صـلاة ... وتسليم به زاد العـلاء
وجاد على عياض من نداه ... بوفر العفو يتلوه الرضاء
وعم بلطفه عبداً ضعيفاً ... بأبواب الوفود له التجاء
مع الأحباب والأصحاب طراً ... وقادهم إلى الحسنى ففاؤا

وكانت وفاته بعد العصر في خامس ذي الحجة الحرام سنة خمس ومائتين وألف ، ودفن بمنزلة يقال لها السيل ، فانه ذهب إلى الطائف لزيارة سيدنا

ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، ثم قصد الحج الشريف فأدركته المنية في الطريق ، ودفن هناك رحمه الله تعالى .

الشيخ مصطفى بن عبد الوهاب الصلاحي الدمشقي الحنفي الصالحي

العالم الأديب ، والشاعر اللبيب : ولد في صالحية دمشق وتعلم حتى برع في العلوم منطوقها والمفهوم . ومات رحمه الله في ثالث ربيع الثاني سنة خمس وستين ومائتين وألف ، ودفن في مقبرة قاسيون .

الشيخ مصطفى بن محمود بن معروف بن عبد الله ابن مصطفى الدمشقي الحنبلي

المعروف بابن شطي [١] الصالح الورع الزاهد العابد ، أحد علماء دمشق الشام وعظمائها السادة الأعلام . ولد بدمشق سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف

(١) البغدادي الأصل الحنبلي الدمشقي ، كان والده الحاج محمود جلبي قدم دمشق من بغداد ، مع أخويه الحاج عمر جلبي والحاج خضر جلبي تجاراً ، في نحو (سنة ١١٨٠ هـ) فنزلوا في ديارهم المعروفة بهم قرب المدرسة الباذرئية ، وجعلوا تجارتهم في خان أسعد باشا في سوق البزورية ، — وبعد أن نقل الأستاذ محمد جميل الشطي في روض البشر ، خلاصة ترجمته بقلم حفيده الشيخ عبد السلام الشطي — ذيلها بقوله : ثم عكف المترجم على العبادة والتلاوة ، مشتغلاً بالتجارة مع أخويه المذكورين ، بورع تام وإحسان عام ، فاشتهر أمرهم وارتفع ذكرهم ، وامتدحوا بالمدائح الغراء ، منها قصيدة بديعة مذيلة بنثر لطيف ، بعث بها العلامة الشيخ محمد السيري المقدسي ، إلى المترجم وأخيه ، وقد نقل ذلك العم محمد مراد أفندي في كشكوله ، قال السيري :

سقى الله وادي الشام ذا الرفع والهبط بواكر غيث بين عال ومنحط

وهي قصيدة طويلة ، وصف فيها الشام وأهلها وصفاً جميلاً صادقاً ، خلص منه الى الثناء البالغ على فضل الأخوين من آل الشطي وكرمهما ، وأعقبها بنثر لطيف يماثل النظم ، وصفاً ومديحاً .

ونشأ بها وأخــذ الفقه عن العلامة الشيخ مصطفى السيوطي الحنبلي مفتي الحنابلة بدمشق ، وأخذ الحديث الشريف عن العلامة الشمس الشيخ محمد الكزبري ، والعلامة الشهاب أحمد العطار ، والعلوم العربية عن العلامة عبد القادر الميداني ، والعلامة السيد محمد شاكر العقاد الشهير بمقدم سعد . مات رحمه الله ليلة الجمعة غرة رجب الحرام سنة تسع وستين ومائتين وألف ، ودفن بسفح قاسيون قرب مغارة الجوعية .

الشيخ مصطفى الكردي الشافعي الدمشقي

الشيخ العالم الفاضل النبيه الورع الزاهد العفيف المتيقظ . ولد بدمشق سنة احدى وسبعين ومائة وألف ، وأكب على العلوم وأخذ عن العلماء ذوي القدر المعلوم ، ومن جملة من أخذ عنه وانتفع به غاية النفع والدي المرحوم وغيره من العلمــاء الأفاضل ، والفضلاء الأكامل ، مات بدمشق سنة تسع وثلاثين ومائتين وألف ، ودفن في مرج الدحداح .

الشيخ مصطفى بن عبد الجليل بن أحمد بن عبد اللطيف بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد شمس الدين بن تقي الدين بن أبي بكر بن عبد الهادي الدمشقي الحنفي العمري

نسبة إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولد المترجم في دمشق ومنذ نشأ لاحت عليه لوائح الأحوال ، إلى أن صار يعد من الابدال [1] ، وكان لا يخبر بخبر الا ووقع كما أفاد وأخبر ، وكان لا يتقيد بالأحوال الظاهرية ، وكان له في بعض الأيام تطورات قوية ، ويتكلم بكثير من

---

(١) ذيّلنا من قبل على مثل هــذا الكلام ، وفسّرنا لفظ (الأبدال والأوتاد : ج ٢ ص ٩٢٩) .

الكلام لا يعلم له مرام ، مات غرة ذي الحجة سنة خمس وستين ومائتين وألف ودفن في مرج الدحداح .

الشيخ مصطفى بن سعد بن عبده الحنبلي المعروف بالسيوطي

مفتي الحنابلة بدمشق الشام ، أوحد الفضلاء الأعلام ، ولد في بلدة أسيوط من بلاد مصر في ربيع الأنور سنة أربع وستين ومائة وألف ، ونشأ بها ، ثم قدم دمشق بعد المائتين ، واستوطنها واشتغل بها في العلم والطلب ، وحاز على المرام والأرب ، وأخذ عن جملة من أفاضلها الكرام وعلمائها الأعلام ، وأخذ عن جملة من المصريين والمكيين ، والروميين ، والعراقيين ، وله من التاليفات كتب عديدة ، ورسائل في الحسن والاتقان فريدة ، منها شرح « كتاب الغاية [1] » بخمس مجلدات ، أتى فيه بالعجب

---

(١) هو « غاية المنتهى ، في الجمع بين الإقناع والمنتهى » تأليف الفقيه العلامة الشيخ مرعي بن يوسف الحنبلي المتوفى (سنة ١٠٣٣ هـ) وقد قال العلامة الشيخ محمد ابن أحمد السفاريني المتوفى (سنة ١١٨٨ هـ) : « وعليك بما في الكتابين الإقناع والمنتهى ، فاذا اختلفا ، فانظر ما يرجحه صاحب الغاية ، وقد طبع كتاب « الغاية » في مطبعة دار السلام بدمشق الشام (سنة ١٣٧٧ هـ) في ثلاثة أجزاء ، على نفقة الشيخ علي بن الشيخ عبد الله بن قاسم الثاني ، حاكم قطر ، فالجزء الأول بتحقيق وتعليق الأستاذين محمد جميل الشطي ومحمد زهير الشاويش ، وأما الثاني والثالث ، فبتصحيح الأستاذ زهير فقط ، لانشغال الأستاذ الشطي (رحمه الله تعالى) وفي طليعة (ج ١) مقدمة بقلم صديقنا العلامة الجليل الشيخ محمد بن مانع ، ومقدمة الطبع للأستاذين الشطي والشاويش ، وتراجم الثلاثة مؤلفي الغاية ، والإقناع ، والمنتهى ، منقولة من « مختصر طبقات الحنابلة » للشيخ محمد جميل الشطي ، ثم ترجمة جدّه الأعلى الشيخ حسن الشطي المتوفى (سنة ١٢٧٤ هـ) لأن الكتاب مذيل بمختصر حاشية العلامة الشيخ حسن ، على كتاب الغاية وشرحه للشيخ مصطفى السيوطي (صاحب هذه الترجمة) . وقد كانت وفاة صديقنا الشيخ محمد جميل في المحرم من (سنة ١٣٧٩ هـ) ودفن في مقبرة الدحداح ، وقد ترجم نفسه في آخر كتابه « روض البشر » اقتداء عن سبقه من المؤلفين والمؤرخين ، وهي في (ص ٢٦٧) بعنوان : « ترجمة المؤلف » رحمه الله الجميع .

العجاب ، وبين فيه اختلاف الروايات والأقوال والمباحث تبيينا واضحاً ، وفي سنة خمس عشرة ومائتين وألف ، ولي افتاء الحنابلة بدمشق الشام ، وفي سنة اثنتين وعشرين ومائتين وألف ولي نظارة الجامع الشريف الأموي ومن جملة من أخذ عنه المترجم المرقوم الشيخ احمد البعلي ، ولد في ثامن رمضان سنة ١١٠٨ وتوفي سنة ١١٨٩ ، عن أبي المواهب الحنبلي مفتي الحنابلة بدمشق الشام ، ولد في رجب سنة ١٠٤٤ وعاش ٨٢ سنة وتوفي سنة ١١٢٦ ، عن والده الشيخ عبد الباقي الحنبلي مفتي الحنابلة بدمشق الشام ، ولد سنة ١٠٠٥ وعاش ٦٧ سنة وتوفي سنة ١٠٧٣ ، عن الشيخ احمد بن علي الوفائي الحنبلي مفتي الحنابلة بدمشق ، ولد سنة ٩٣٦ وعاش ٩٩ سنة وتوفي سنة ١٠٣٥ ، عن الشيخ موسى الحجاوي مفتي الحنابلة ولد .... وتوفي سنة ٩٦٠ ، عن القاضي برهان الدين ابراهيم بن عمر نجم الدين بن مفلح مفتي الحنابلة بدمشق ، ولد سنة ٩٠٣ في ١٤ ربيع الآخر وعاش ٦٦ سنة وثلاثة أشهر وثمانية وعشرين يوماً وتوفي سنة ٩٦٩ ، عن والده نجم الدين عمر بن ابراهيم بن مفلح الحنبلي مفتي الحنابلة بدمشق الشام ، ولد سنة ٨٤٨ وعاش ٧١ سنة وتوفي سنة ٩١٩ ، عن والده القاضي برهان الدين ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن مفلح الحنبلي مفتي الحنابلة ، ولد سنة ٧٤٩ وعاش ١٠١ سنة وتوفي سنة ٨٤٨ [١] ، عن جده شرف الدين عبد الله ابن محمد بن مفلح الحنبلي مفتي الحنابلة ، ولد سنة ٧١٦ وعاش ٥٧ سنة وتوفي سنة ٧٦٣ ، عن الشهاب أحمد بن تيمية الحنبلي مفتي الحنابلة ، ولد يوم الاثنين ١٠ ربيع الأول سنة ٦٦١ وعاش ٦٧ سنة وثمانية أشهر وتوفي سنة ٧٢٨ ، عن أبي الحسن علي بن احمد الشهير بالفخر ابن البخاري الحنبلي مفتي الحنابلة ، ولد سنة ٥٩٥ وعاش ٩٥ سنة وتوفي سنة ٦٩٠ ، عن أبي علي

---

(١) على هذا ، عاش (٩٩ سنة) .

حنبل بن عبد الله الرصافي الحنبلي ولد سنة ٥١٤ وعاش ٩٠ سنة وتوفي سنة ٦٠٤ ، عن أبي القاسم هبة الله بن محمد الشيباني ولد سنة ٤٣١ وتوفي سنة ٥٢٥ ، عن أبي علي الحسن بن علي بن الشيخ محمد التميمي المعروف بابن المذهب ولد سنة ٣٥٥ وعاش ٨٩ سنة وتوفي سنة ٤٤٤ ، عن احمد ابن جعفر بن حمدان بن مالك بن شبيب بن عبد الله القطيعي ، ولد سنة ٢٧٤ وعاش ٩٦ سنة وتوفي سنة ٣٦٧ ، عن عبد الله بن الإمام احمد بن حنبل ولد سنة ٢٠٣ عاش ٨٧ سنة وتوفي سنة ٢٩٠ ، عن والده الإمام الجليل احمد بن حنبل ولد سنة ١٦٤ وعاش ٧٧ سنة وتوفي سنة ٢٤١ ، عن سفيان بن عيينة ، ولد سنة ١٠٧ وتوفي سنة ١٩٨ ، عن عمرو بن دينار ، ولد سنة ٤٣ وعاش ٨٠ سنة وتوفي سنة ١٢٣ ، عن ابن عباس ، ولد قبل الهجرة وعاش ٨٣ سنة وتوفي سنة ٦٨ ، عن النبي ﷺ ولد عام الفيل وعاش ٦٣ سنة وتوفي يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول سنة ١١ من الهجرة عن جبرائيل عن رب العزة .

وتوفي المترجم المرقوم أعلاه في دمشق الشام ، ليلة الجمعة عند طلوع الفجر ثالث عشر ربيع الثاني سنة ثلاث وأربعين ومائتين وألف ، ودفن في مقبرة مرج الدحداح وقبره ظاهر معروف رحمه الله تعالى .

الشيخ مصطفى بن عبد الله بن محمود الكردي الأصل
العبدلاني الشافعي الدمشقي
الشهير بالكاتب

ولد بدمشق سنة خمس عشرة ومائة وألف ، نشأ في حجر المجد والعز العالي ، وتربى في مهد السعد والمعالي ، أخذ عن والده المذكور ، ولزم العلامتين الملا حسن بن موسى الباني والملا الياس الكوراني ،

وعن العلامة الشيخ عبد الغني النابلسي وسمع منه حديث الأولية ، وأبو المعالي الغزي الشافعي العامري وابن كنان وأعطاه الطريقة الخلوتيه ، والشيخ اسماعيل العجلوني والشيخ أحمد المنيني ، وحضر على الشيخ عبد الكريم الغزي الشافعي العامري ، والعلامة محمد المرادي . مات بدمشق سنة اثنتين ومائتين وألف في ذي الحجة الحرام .

الشيخ مصطفى الخياط الشافعي الأشعري المصري

عالم زمانه وأوحد أوانه ، قال الجبرتي : أدرك الطبقة الأولى من السادات العظام ، والأفاضل الكرام . ولد سنة ثلاث عشرة ومائة وألف ، ثم أقبل على العلم والعمل ، وتجنب عن الإهمال والكسل ، وأخذ عن رضوان أفندي ، والشيخ محمد النشيلي ، والكرتلي ، والشيخ رمضان الخوانكي ، والشيخ محمد الغمري ، والشيخ حسن الجبرتي ، ومهر في الحساب والتقويم وحل الازياج والتحاويل والحل والتركيب ، وتداخل التواريخ الخمسة ؛ واستخراج بعضها من بعض ، وتواقيعها وكبائسها وبسائطها ومواسمها ودلائل الأحكام والمناظرات ، ومظنات الكسوف والخسوف ، واستخراج أوقاتها ودقائقها ، مع الضبط والتحرير وصحة الحدس وعدم الخطأ ، وأقر له أشياخه ومعاصروه بالاتقان والمعرفة ، وانفرد بعد أشياخه ، ووفد عليه طلاب الفن وتلقوا عنه وأنجبوا ، وأجلهم عصرينا وشيخنا العلامة المتقن الشيخ عثمان بن سالم الورداني وشهد به الشيخ حسن الجبرتي انه فريد عصره في الحسابيات ، وكان يستخرج في كل عام دستور السنة من مقومات السيارة ومواقع التواريخ وتواقيع القبط والمواسم والأهلة ، ويعرب السنة الشمسية لنفع العامة . وله مؤلفات وتحريرات في هذه الفنون ، منها جداول حل عقود مقومات القمر بطريق الدر اليتيم لابن المجدي ،

وهو عبارة عن تسهيل ما صنفه العلامة رضوان أفندي في كتابه أسنى المواهب في عشرة كراريس ، ولا زال يشتغل في صناعة الخياطة وتفصيل الثياب وهو جالس في زاويته ، يكتب ويمارس مع الطلبة والصناع في وسط المكان ، يفصلون الثياب ويخيطونها ويباشرهم أيضاً فيما يلزم مباشرته ، إلى أن توفي سنة ثلاث ومائتين وألف في بيته جهة الرميلة وقد جاوز التسعين انتهى ملخصاً .

الشيخ مصطفى بن أحمد المعروف بالصاوي الشافعي الأزهري

العمدة الإمام ، خاتمة العلماء الأعلام ، ومسك ختـــام الجهابذة ذوي الأفهام ، ومن افتخر به عصره على الأعصار ، وصاح بلبل فصاحته في الأمصار ، يتيمة الدهر وشامة وجه أهل العصر ، العالم المحقق والنحرير المدقق ، بديع الزمان والتاج المرصع على رؤوس الأقران ، الناظم الناثر والفصيح الباهر . كان والده من أعيان التجار بمصر ، وأصل مرباهم بالسويس بساحل القلزم ، وصاوي نسبة إلى بلدة بشرقية بلبيس تسمى الصوة على غير القياس ، وهي بلدة والده ، ثم انتقل منها إلى السويس ، وكان يبيع بها الماء .

وولد بها المترجم فارتحل به الى مصر وسكن بحارة الحسينية مدة ، وأتى بولده المترجم إلى الجامع الأزهر ، واشتغل بالقراءة فحفظ القرآن والمتون ، واشتغل بالعلم ، وحضر دروس الأشياخ ، ولازم الشيخ عيسى البراوي ، وتخرج به ومهر ، وأنجب وأقرأ الدروس ، وشهد له الفضلاء . وكان لطيف الذات مليح الصفات ، رقيق حواشي الطبع ، مشاراً إليه في الافراد والجمع ، مهذب الأخلاق جميل الأعراق ، اللطف حشو إهابه والفضل لا يلبس غير جلبابه ،

لو مثل اللطف جسما   لكان للطف روحـــا

إذا نزل بناد ارتحلت الهموم ، وارتضع من أخلاف أخلاقه نبت الكروم ، تقاريره عذبة رائقة وتحاريره فائقة ، ذهنه وقـاد ونظمه مستجاد ، فمن نظمه قوله :

أقبل الأنس يجتلى بسرور ... وتولى الحزن الذي نحن فيه
وتناءت همومنـا بعد قرب ... وتناهت لذات ما نرتجيـه
واجتمعنـا بليلة هي تزري ... بالضحى إذ صحا وما قد يليه
ودت الشمس أن يكون لها مثـ ... ـل ضيا حسنها فما نرتضيه
واجتلونا المدام أشهى مدام ... مع نديم يا حسن ما نجتليه
حيث كانت أكوابنا كنجوم ... كلما قد شربتهـا قلت إيه
واحتسينا كاساتها فطربنـا ... بشذاهـا وراق ما نحتسيه
واجتنينا من نظم در حبيب ... نثره رائق كخمرة فيـه
فرعى الله ليلة قد تقضت ... بالهنا والمنى وعز وتيـه
وسقى الله عهدنا قطر سحب ... رائقـات تجلو المرابع تيه
مذ صفا ودّنا برغم حسود ... مع كيد العذول ذي التشويه
يالها ليلة حكت جنة الخلـ ... ـد وفيهـا ما نفسنا تشتهيه
ليلة الأنس هل تعودي لصب ... صبة الوجد دائمـاً تعتريه
تجمعي شمله بأحمد من قـد ... حمد الله فعل ما يصطفيه
هاك تجلى إليك خود عروس ... ثوبها العز والبهـا ترتديه
وهي تتلو عليك يا خير مولى ... ليس مهري سوى الرضا فاعطنيه

وله أيضاً :

نزلنا بهذا القصر والنيل تحته ... فلله قصر قد تعاظم بالمد
مع العالم النحرير أكرم ماجد ... إمام همـام جامع علم فرد
فأين ابن هاني من فصاحة نطقه ... وأين أويس لا يضاهيه في الزهد

تأمل فما أثر كعين مشاهد ... وأبصر فما قرب لديه كما البعد
وما هو إلا البحر لكنه حلا ... وما هو إلا البر بالدين والعهد
وأعني به شيخي البراوي من به ... تحلى زمان العز في الجيد بالعقد

ومنها :

أقول لمن رام الوصول لقدره ... تمنيت أمراً مستحيلاً بلا حد
فهذا مقام ليس يعطى لغيره ... وحاشاه أن يحصى بسرد ولا عد
فيا أيها الملتاذ [١] ان رمت علمه ... تحدث عن البحر المحيط عن الجهد
ومن لي وقد قصرت في مدح سيدي ... ومعظم اسنادي وذي الحل والعقد
كذلك مولانا الشريف محمد ... هو العلوي الأصل قد فاز بالسعد
وينسب للمختار أشرف مرسل ... عليه صلاة الله طابت كما الند

وله :

لحاظك تزري بالحسام المهند ... وريقك لا يرويه غير المبرد
وطرفك ذا السفاك قد سفك الدما ... وقدك ذا السفاح في الصب معتدي
فيا وجهه كم قد هديت لحسنه ... ويا شعره كم قد أضليت مهتدي
ومالي لا أصبو بضوء جبينه ... وثغر شهي باللآلي منضد
ولام عذاريه تدور بخده ... كنام آس مع بنفسجه الندي
وخضرة ريحان بعارضه الذي ... يعارض قلبي في هواه وأكبدي
يريك ربيعاً بالبهاء بنانه ... على ورد خديه الزهي المورد
أروم حياة وهو يطلب قتلتي ... بسيف معد للقتال ومرصد
فيا حسن لولاك ما كان محسن ... فأحسن لمضنى ساهر الجفن مسهد
يبيت يعاني أعظم السقم دائما ... سلوا ليله واستشهدوا الشهب تشهد
ويسند ارسال السحاب لدمعه ... مسلسل أحزان بوجد مجدد
يقول العذول ارجع فإني ناصح ... ورأيي لا يروى سوى عن مسدد
فقلت له دعني فرأيك فاسد ... وقولك بهتان بزور مفند

(١) مَن أسرع في عَدْوِه ليلحق به .

ولـــه :

من لمضنى أحشـــاؤه تتلاهب ما الفضا مثلها ولا يتقارب
جفنه ساهر وحزنٌ جفـاه مستمر ودمعه يتساكب
يا خليليه من حوادث دهر حاربته فصار يدعى المحارب
لو رآه المتيمون لصاحوا ما لهذا بالصد أضحى يعاقب
فرعـــاه الإله من مستهام ما أراد الوصال إلا يراقب
وحبيب ممنع ذو جمـــال وطبيب لمهجة الصب ماطب
حسن محسن بذات وفعل كل حسن لذاته يتناسب
حيثما وجهه له حسنـــات ان جنى الذنب فهو ليس يحاسب
يا غزالاً رفقاً بصب كئيب قد نآه الزمان ممن يحابب
وخف الله من محبيك وارحم من تلظى وغير شكلك ماحب

ولما عمر الشيخ عبد الرحمن الجبرتي داره التي بالصنادقية بالقرب من الأزهر ، سنة إحدى وتسعين ومائة وألف ، عمل المترجم أبياتاً وتاريخاً رقمت بطراز مجلس العقد الداخل وهي :

خليلي هذا الروض فاحت زهوره ولاح على الأكوان حقاً ظهوره
وزاد ثنـــاءً عبّق الجو طيبه فمنك عبير المسك طاب عبوره
سما في سماء الكون فابتهج العلا برفعته وازداد سراً سروره
ألم تر أجســام الوجود تراقصت وجـــاء التهاني باسمات ثغوره
مكان على التقوى تأسس مجـده ومن سور التوفيق والهدي سوره
وفردوس عدن فاح فوح نسيمه وحفته ولدان النعيم وحوره
ومجلس أنس كل ما فيه مشرق ومقعد صدق قد تسامى حبوره
بناء يروق العين حسن جمـــاله ورونقه يشفي الصدور صدوره
ومن مجـــد بانيه تزايد بهجـــة وقلد من در المعـــاني نحوره

عزيز بني بيت المكارم فانثنت　　تغني به حمداً ومدحاً طيوره
وأحيا رسوم المجد والفخر والتقى　　وزانت بأعلام الكمال سطوره
فلا زال فيه الفضل تسمو شموسه　　وتنمو على كل البدور بدوره
ودام به سعد السعود مؤرخاً　　حمى العز بالمولى الجبرتي نوره

وله في صيوان :

وصيوان حوى غرأ وفخرا　　عليه من البهـا حسن متمم
كروض الأنس فيه الورق غنت　　وبلبـال السرور لهـا ترنم
على الإيوان يزهو بارتفـاع　　ويهـزو بالخيـام وبالمخيم
فتحسبه وذا الإشراق فيـه　　سمـاء الجود قد ظلت مكرم
يقول السعد في تاريخه بي　　على مجـد الوزير العز خيم

ومن نثره ما كتبه تقريظاً على المؤلف الذي ألفه العلامة الشيخ محمد عبد اللطيف الطحلاوي ، الذي ضاهى به عنوان الشرف للعلامة السيوطي ، قوله : حمداً لمولى يضيق نطاق المنطق عن شكره ، ويعجز لسان اللسن عن الافصاح بذكره ، يدني لب الموحد إلى فهم مقامات التوحيد ، ويعرفه سبل التهجد والتحميد ، ويسعده بنهاية الوصول ، إلى مقاصد فهم الأصول . وصلاة وسلاماً على المحمود بأكمل ثنـاء ، الممدوح بأجمل ضياء وسناء ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحبابه ، ما ألف كتـاب ، وكللت تيجان الربا بلآلىء السحاب ، أما بعد فقد سرحت طرفي في رياض هذا التأليف الرائق ، وفرحت بصري بالمشاهدة لمحاسن هذا التصنيف الفائق ، واقتطفت بيدي ثمرات أوراقه ، واستضأت بأنوار إشراقه ، وحليت سمعي بدرر فوائده ، وفكري بغرر عوائده ، وعرضت على فهمي لآلىء جواهره ، فلاحت لعيني بدور زواهره ، فإذا هو عقد نظم من درر العلوم ، وتحلت به غواني الفهوم ، رشيق الألفاظ والمعـاني ، رقيق التراكيب والمباني ،

لم ينسج ناسج على منواله ، ولم يأت بليغ بمثاله ، قد أفحم فصحاء الرجال ، وألقت له البلغاء العصي والحبال ، وأعجز الفصحاء كبيراً وصغيرا ، فلا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ، يفوق بحسنه كل مؤلف ، ويروق برونقه على كل مصنف ، جمع فيه من العلوم أشرفها وأشرقها ، ومن المعارف أرقها وأروقها ، فهو مجموع جامع مانع ، وروض يافع يانع ، فلا شك أنه صنعة قادر ، وصبغة لبيب ماهر ، وكيف لا وهو العلامة الإمام الفهامة الهمام ، المحقق الفاضل المدقق الكامل ، جامع شمل المعارف حائز أنواع اللطائف ، وحيد الكمالات اللدنية ، وفريد المحاسن الخلقية والخلقية ، مولانا الشيخ محمد عبد اللطيف الطحلاوي ، قابل الله صنيعه بحسن القبول ، وبلغه من خير الدارين كل مأمول ، وأدام الكريم النفع بوجوده وأقام لديه جزيل إحسانه وجوده ، ما كرت الليالي ومرت الأيام ، وقطر غيث الغمام ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على من لا نبي بعـــده ، ومن نثره أيضاً هذه المراسلة .

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك يا من أجريت المقادير على وفق الإرادة ، وجعلت المطالب سبباً للإفادة والاستفادة ، ونشكرك على ما أوليتنا من سوابغ الإحسان ، ومنحتنا من سوابق الفضل والامتنان ، ونصلي ونسلم على نبيك سيد ولد عدنان ، إلى آخره .

وأيضاً :

إن أحلى ما تحلت به تيجان الرسائل ، وأعلى ما تجلت بـه مظاهر المقاصد والوسائل ، وأبهى ما رقمه البنان ، من بديع المعاني والبيان ، وأشهر ما فاهت به الأقلام ، وفاحت به نوافح مسك الختام ، إهداء تسليم تفوح فوائح المسك من طيب نشره ، وتلوح لوائح الإقبال من وجوه بشره ،

وتبتسم ثغور الأماني من شمائل شموله ، وتتنسم نسمات التهاني من إقباله وقبوله . واسداء تحيات يعبق شذاها ، ويشرق نورها وضياهـا ، تفوق الشموس نورا ، وتروق الخواطر منها سرورا ، نقدم ذلك ونهديه ونظهره ونبديه ، لحضرة ذوي المهابة والفخار والعلو والاقتدار ، الجامعين بين المتاجر والمفاخر ، الحائزين لجمال الأول والآخر ، القاطنين بخير البلاد ، القائمين بمصالح العباد ، مصابيح الدنيا وبهجتها ، وكواكب البلاد وتحفتها ، حماة حرم يجبى إليه الثمرات ، وزينة محل تقضى به الحاجات ، عين أعيان المكاسب والتجارة ، وزين أبناء المطالب والإشارة ، نعني بذلك فلانـــا وفلانا ، أسبغ الله عليهم سوابغ الإنعام ، وأسبل عليهم حلل الجود والإكرام ، وأصلح لهم الأحوال ، وبلغهم الأماني والآمال ، وبسط لهم الأرزاق ، وحباهم بلطفه الخلاق . أما بعد بسط كف الرجاء ، ومد سواعد القصد والالتجاء ، بدعوات مقرونة بالانابة ، ليس لها حاجب عن أبواب الإجابة ، فمما يعرض عليكم وينهى بعد السلام إليكم ، انه قد وصل إلينا رقيمكم المكنون المحتوي على الدر المصون ، فشممنا منه نفحات مكية حرمية ، ونسيمات سحرية بهية ، فتعطرنا بطيب مسكها الأذفر ، وتطيبنا بعبير عنبرها الأزهر . وذكرتم انه بذلتم المجهود في طلب المقصود ، إلى آخره .

وله غير ذلك كثير ، وحاله وفضله شهير ، ولم يزل يملي ويفيد ويقرر ويعيد ، حتى قطفت يد الأجل نواره ، وأطفأت رياح المنية أنواره . وذلك يوم الاثنين الرابع والعشرين من شهر ذي القعدة الحرام سنه ست عشرة ومائتين والف ، ورثاه الشيخ اسماعيل الزرقاني بقوله :

تداولت الأيام بالعسر واليسر ... وتلك شؤون الحق في مطلق الدهر
فكيف أرى قلبي على فقد ألفه ... حزيناً ودمع العين من فيضه يجري
فقال لنا في سيد الخلق أسوة ... فقد دمعت عيناه حزناً كما تدري
وهذا الذي أمسى حليف ضريحه ... إلى فضله تصبو الأنام مدى العمر

إمام له فضل الرواية والحجـا ... فمن نقله يملي ومن عقله يقري
قوى فهمه صارت بنور معيدها ... ترى من مبادي الحال عاقبة الأمر
عتبت على الأيام في نثر عقدها ... وقد غاب من أثنائه معدن الدر
فقالت ومالي ذاك حبر موفق ... أحب لقـــاء الله أسرع للأجر
تلقته أملاك النعيم تحفه ... وتنقله من ورد نهر إلى قصر
إلى أن يرى وجه العزيز مكانه ... ويبقى حميداً في الترقي مع البشر
بمقعد صدق صار عند مليكه ... فيامصطفاه فزت مرتفع القدر

الشيخ مصطفى العقباوي المالكي الأزهري
وهو منسوب لمنية عقبة

الأجل العلامة والفاضل الفهامة ، نخبة الأنام وحسنة الليالي والأيام ، حضر إلى الأزهر صغيراً ولازم السيد حسن البقلي ثم الشيخ محمد العقاد المالكي ثم الشيخ محمدا عبادة العدوي ملازمة كلية ، حتى مهر في العلوم المعقولات والمنقولات ، وحضر دروس أشياخ العصر كالشيخ الدردير والشيخ محمد البيلي والشيخ الأمير وغيرهم . وتصدر لإلقاء الدروس وانتفع به الطلبة ، واشتهر فضله ، وكان إنساناً حسن الاخلاق مقبلاً على الإفادة والاستفادة ، لا يتداخل إلا فيا يعنيه ، ويأتيه من بلدته ما يكفيه ، قانعاً متورعاً متواضعا . ومن مناقبه أنه كان يحب إفادة العوام ، حتى انه كان إذا ركب مع المكاري يعلمه عقائد التوحيد وفرائض الصلاة ، إلى أن توفي يوم الخميس تاسع عشر جمادى الآخرة ، سنة إحدى وعشرين ومائتين والف ، ولم يخلف بعده مثله رحمه الله تعالى .

الشيخ مصطفى بن محمد بن يوسف بن عبد الرحمن
الصفوي القلعاوي الشافعي

الأستاذ العلامة والملاذ الفهامة ، المهذب الفقيه والمحبب النبيه . ولد في شهر ربيع الأول سنة ثمان وخمسين ومائة والف ، وتفقه على الشيخ الملوي

والسحيمي والحراوي والحفني ، ولازم الشيخ أحمد العرومي وانتفع عليه ، وأذن له في الفتيا عن لسانه ، وجمع من تقريراته واقتطف من تحقيقاته ، وألف وصنف ، وكتب حاشية على ابن قاسم الغزي على أبي شجاع في الفقه ، وحاشية على شرح المطول للسعد التفتازاني على التلخيص ، وشرح شرح السمرقندي على الرسالة العضدية في علم الوضع ، وله منظومة في آداب البحث وشرحها ، ومنظومة لمتن التهذيب في المنطق وشرحها ، وديوان شعر سماه : اتحاف الناظرين في مدح سيد المرسلين ، وعدة من الرسائل في معضلات المسائل ، وغير ذلك . ولم يزل على حالته الرضية وصنعته السنية ، إلى أن تمرض أياما ، ثم توفي ليلة السبت السابع والعشرين من شهر رمضان سنة ثلاثين ومائتين والف ، وصلي عليه في الأزهر ودفن في زاوية الشيخ سراج الدين البلقيني (١) .

الشيخ مصطفى بن حسين بن علي بن محمد بن حسين بن محمد ابن عثمان الحلبي الحنفي الوفائي

أبو الصفا صفي الدين العالم العارف الصوفي الفاضل الدين الزاهد العابد ، التقي البركة المسند الأديب ، جمال المشايخ زينة المرشدين .

مولده في حلب سنة أربعين ومائة والف في سادس محرم ، وقرأ على

---

(١) قال الجبرتي في آخر ترجمته : رحمه الله تعالى فانه كان من أحسن من رأينا سمتاً وعلماً وصلاحاً وتواضعاً وانكسارا ، والجاءاً عن خلطة الكثير من الناس ، مقبلاً على شأنه : راضياً مرضياً طاهراً نقيا ، لطيف المزاج جداً ، محبوباً للناس ، ووصفه الأستاذ الزركلي في الأعلام بأنه مؤرخ شاعر ، وكان مسكنه بقلعة الجبل وإليها نسبته ، يأتي منها كل يوم إلى الأزهر للإقراء والإفادة ، ثم نزل إلى داخل القاهرة وتوفي بها ، وعدّ من مصنفاته « صفوة الزمان فيمن تولى على مصر من أمير وسلطان » و « معاهد الصفا في المدفونين بمصر من آل المصطفى » .

والده شيخ تكية الشيخ أبي بكر خارج حلب ، وعلى الشيخ أبي التوفيق حسين شرف الدين وانتفع به وتأدب بآدابه وأخذ عنه ، وسمع شعره وديوانه الذي جمعه من لفظه ، وأخذ عنه آداب الطريق وسمع عنه الكثير من الفرائد والفنون ، وأجازه وخلفه مكانه ، وكان من المشايخ الأجلاء والعلماء المشهورين الفضلاء ، وقرأ على غير والده ، وأخذ على جماعة منهم أبو المحاسن يوسف ابن الحسين بن يوسف الدمشقي الحسيني النقيب والمفـتي بحلب ، وأسمعه المسلسل بالأولية حديث الرحمة في التكية المذكورة في تربة الأستاذ الشيخ أبي بكر رضي الله تعالى عنه ، وهو أول حديث سمعه منه بشرطه ، وقرأ عليه أوائل ثبته وأجاز له بالإجازة العامة وكتب له بخطه ، وسمع عليه كتابه الذي ألفه بمناقب الشيخ ، وترجمته ، المسمى مورد أهل الصفا في ترجمة الشيخ أبي بكر ابن أبي الوفا ، وسمع الأولية من أبي عبد الكريم بن أحمد الشراباتي ، وأبي محمد عبد الوهاب بن أحمد المصري الأزهري البشّاري نزيل حلب ، وأبي عبد الله علاء الدين بن محمد بن محمد الطيب المغربي الفاسي المالكي لما قدم حلب ، وأبي الفتوح نور الدين علي بن مصطفى بن علي الدبـاغ الميقاتي الحلبي ، وهو أول حديث سمعه منهم وأجازوه به وبجميع مـا تجوز لهم روايته غير مرة . وأخذ الطريقة الشاذلية عن عبد الوهاب ، والطريقة الوفائية عن والده ، وبقية الطرائق عن شيوخه بأسانيدهم ، وجلّ انتفاعه على والده وبه تخرج . ولما مات والده سنة ست وخمسين ومائة والف جلس مكانه في التكية شيخاً ، وقام مقامه ولازمه المريدون وأبناء الطريق ، وأقبل عليه الناس ، واستقام في التكية المذكورة شيخاً مبجلا محترما ، وكان كثير الديانة وافر الحرمة ، يلازم قراءة الأوراد السَّحَرية والعشائية ، وينفق ما يدخل عليه ، وكان يميل في ملبسه ومأكله إلى الترفه ، وحج ودخل دمشق ، ولما دخل خليل أفندي المرادي حلب سنة خمس ومائتين والف ، اجتمع به

وأخذ عنه واستجازه ، وسمع من لفظه حديث الرحمة المسلسل بالأولية ، وهو أول حديث سمعه منه في المجلس الذي اجتمع به كما رأيت ذلك بخطه ، وتوفي رحمه الله بعد ذلك بمدة قليلة (١) .

الشيخ مصطفى المعروف لدى اهالي الشام بالدرويش مصطفى

العالم العامل ، والكامل الفضائل ، قد انفرد في عصره ، واجمع على تقدمه جميع أهل مصره ، قد استوى على أوج المراقب العالية ، واحتوى على أعلا الشمائل السامية ، وكانت شيوخ دمشق الشام ، تعترف له بالعلم والعمل ورفعة المقام ، والزهد والورع والقناعة وعدم الطمع ، ولم يزل يعلو مقامه ويزكو احترامه ، إلى أن تم أجله وانقطع من الدنيا أمله ، وذلك سنة الف ومائتين وعشرين ، ودفن بسفح قاسيون بين الأفاضل والصالحين ، وقبره معروف يزوره ويتبرك به العلماء والأكابر ، وان كثيراً من أهل الشام ، يقصده للزيارة وطلب المرام (٢) ! !

السيد مصطفى بن خليل الدمشقي الحنفي الشهير بقزيها ، أمين فتوى الشام

الإمام الذي فضائله أشهر من أن تذكر ، وفرائده أجل من أن تحصى أو تحصر ، اشتغل بطلب العلم واتقان القرآن العزيز ، من حين أن دخل في سن التمييز ، وتفقه على العلماء والساده الأعيان الفضلاء ، كالشيخ سعيد

---

(١) بعد هذه الترجمة التي عزاها الأستاذ الطباخ إلى (حلية البشر) قال : كانت وفاته (سنة ١٢١٣ هـ) كما رأيته مثبتاً في طرف كتاب « مورد أهل الصفا » ودفن في التكية المذكورة ، ولم يعقب ذكوراً بل إناثاً : حتى انه اشتهر بالشيخ مصطفى أبي البنات اهـ .

(٢) وكيف يطلب المرام ممن لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ؟

الحلبي ، والسيد محمد عابدين ، وأخذ الحديث عن المرحوم الشيخ عبد الرحمن الكزبري وغيرهم ، وأتقن الفنون غاية الإتقان ، كالنحو والصرف والمعاني والبيان ، وتبحر في المعقول والمنقول ، والفروع والأصول ، وولي امانة فتوى دمشق الشام ، في أيام مفتيها حسين أفندي المرادي المولى الهمام ، وكانت وفاته في شهر ذي القعدة الحرام ، سنة سبع وخمسين ومائتين والف ، ودفن في باب الصغير رحمه الله تعالى .

السيد مصطفى بن السيد محمد المغربي الجزائري المالكي

الفاضل الإمام والكامل الهمام ، كعبة الأفاضل ومعدن الفضائل ، من رفع الله به قدر المواعظ والزواجر ، وأترع به حياض النواهي والأوامر ، وعمر بمتين كالاته القلوب وغمرها ، وجمع الخواطر بحسين جمالاته وجبرها ، وخشعت لمعالي عباراته الاسماع والأبصار ، واطمأنت لعرفانه القلوب عن الأغيار ، وعم ارشاده الآفاق ، وانتشر ذكره في الأقطار وفاق . وفي سنة ست ومائتين والف اختط قريته المعروفة بالقيطنة بوادي الحمام ، ونشر بها الطريقة القادرية بعد أن طوي بساط ذكرها ، وأحياها بعد أن اندرست معالم قدرها ، فأخذها الناس عنه ، وتلقوها بكمال القبول منه . ولم يزل على زهده وعبادته ، وتقواه وطاعته إلى أن جاءه الأجل المحتوم ، ونزل به القضاء المحتوم ، فتوفي في برقات عند ماء يعرف هناك بعين غزالة ، سنة اثنتي عشرة ومائتين والف ، وقبره هناك ظاهر مشهور ، عليه الجلالة والوقار ومناقبه معروفة مشهورة ، وكثيرة مذكورة .

الشيخ مصطفى بن محمد الحلبي الأصل الدمشقي الصوفي الشافعي الدسوقي طريقة

ولد بدمشق وأخذ عن علمائها الكرام ، وساداتها الجهابذة الأعلام ، واشتغل بالطريقة الصوفية ناهجاً منهج السادة الدسوقية ، وكان له من

الكرامات وخوارق العادات ، واقعات كثيرة ومشاهدات شهيرة ، منها أنه رؤي قبل موته بيوم يمشي على الماء ولم يبتل ، ومنها إخباره بمجيء الدولة المصرية إلى الشام قبل أن يكون لأحد خبر في ذلك ، توفي في قرية البويضة قرية من قرى دمشق الشام ، غرة ربيع الثاني سنة خمسين ومائتين والف ، ودفن بها وقبره هناك معروف .

الشيخ مصطفى بن سليمان البرقاوي بن محمد مزهر النابلسي البرقاوي مولداً الدمشقي إقامة

قدم دمشق سنة تسعين ومائة والف وبها استقام ، وأخذ عن علمائها السادة الأعلام ، منهم الشهاب أحمد العطار ، والشيخ محمد الكزبري [١] والشيخ مصطفى السيوطي ، وتولى قضاء الحنابلة مدة ثلاثين سنة . مات رحمه الله نهار الجمعة السادس عشر من ذي القعدة الحرام سنة خمسين ومائتين والف ، ودفن في مقبرة باب الصغير .

الشيخ مصطفى المرحومي الشافعي المصري الأزهري

الإمام العلامـة الرحلة الفهامة ، المعمر المتقدم . ولد بمحلة المرحوم بالمنوفية وقرأ القرآن وحفظه وجوده ، وحضر إلى مصر وحفظ المتون وتفقه على الأشياخ المتقدمين ، كالدفري والمدابغي والشيخ علي قايتباي والملوي والحفني وغيرهم ، ومهر في المعقول والمنقول ، وأملى الدروس بالأزهر وجامع أزبك وانتفع به الناس ، وكان يتردد إلى بيوت بعض الأعيان ويحبونه ويكرمونه ويستفيدون من فوائده ونوادره ، وكان له حافظة واستحضار للمناسبات والأشعار واللطائف ، لا يمل حديثه ومفاكهته ، توفي رحمه الله تعالى سنة سبع ومائتين والف .

---

(١) في روض البشر ما يأتي : ثم بعد وفاتها لزم ولديها العلامتين : الشيخ عبد الرحمن الكزبري والشيخ حامد العطار .. وكان ذا هيبة ووقار ، وولي القضاء الحنبلي بدمشق (سنة ١٢٣٠) وتصدر للقضاء والإمضاء في المحاكم الشرعية اهـ .

الشيخ مصطفى بن صادق أفندي اللازجي الحنفي

الوحيد المكرم والنبيه المفخم ، ولد سنة أربع وسبعين ومائة والف ، ونشأ في حجر والده ، وحفظ القرآن وبعض المتون في صغره ، وحفظ البرجلي والشاهدي ، ومهر في اللغة التركية ، وتفقه على أبيه وقرأ عليه علم الصرف ، وحضر على بعض الأشياخ ، ولازم الشيخ محمد الفرماوي وأخذ عنه النحو وقرأ عليه مختصر السعد وغيره برواق الجبرت بالأزهر ، ثم تصدر للإفادة والمطالعة لطلبة الاتراك المجاورين برواق الاروام ، وليس له تاجاً [1] وفراجة ، وعمل له مجلس وعظ على كرمي بالجامع المؤيدي وذلك قبل نبات لحيته ، وكان وسيماً جسيماً بهي الطلعة أبيض اللون رابي البدن ، فاجتمع لسماع وعظه ومشاهدة ذاته كثير من الناس من أبناء العرب والاتراك والأمراء والاجناد ، فيقرر لهم بالعربي والتركي بفصاحة وطلاقة لسان ، وممن كان يحضره علي آغا مستحفظان ، وهام فيه وأحبه وصار يتردد إليه كثيرا ، ويذهب هو أيضاً إلى داره كثيراً كما قيل في المعنى :

بروحي واعظاً كالبـــدر حسنا بديع ملاحة ساجي اللواحظ
ولا عجب به إن همت وجدا فكم قد هام ذو وجد بواعظ

ووقع له بعد ذلك محن عظيمة ، وهموم شديدة جسيمة ، ثم أخذ همه في التلاشي حتى غار ماء حياته ، وانغلق عن الفتح باب قبره عند مماته ، وهو مقتبل الشبيبة سنة سبع ومائتين والف رحمه الله .

السيد مصطفى الدمنهوري الشافعي المصري الأزهرى

العمدة الفاضل والنحرير الكامل ، الفقيه العلامة ، والهمام الفهامة ، تفقه على أشياخ العصر وتمهر في المعقولات ، ولازم الشيخ عبد الله الشرقاوي ملازمة كلية واشتهر بنسبته إليه ، ولما ولي مشيخة الأزهر صار المترجم عنده هو صاحب الحل والعقد في القضايا والمهمات والمراسلات عنـــد

---

(١) لعله : ولبس (بالباء) أو ، وليس له تاج الخ .

الأكابر والأعيان ، وكان عاقلا ذكيا ، وفيه ملكة واستحضار جيد للفروع الفقهية ، وكان يكتب على الفتاوى على لسان شيخه المذكور ويتحرى الصواب ، وعبارته سلسة جيدة ، وكان له شغف بكتب التاريخ وسير المتقدمين ، واقتنى كتباً في ذلك مثل كتاب السلوك والخطط للمقريزي واجزاء من تاريخ العيني والسخاوي وغير ذلك ، ولم يزل حتى ركب يوماً بغلته وذهب لبعض أشغاله ، فلما كان بخطة الموسكي قابله خيال فرنساوي بركض قليلا على فرسه ، فجفلت بغلة السيد مصطفى المذكورة وألقته من على ظهرهـــا إلى الأرض ، وصادف حافر فرس الفرنساوي اذنه فرضّ صماخه ، فلم ينطق ولم يتحرك فرفعوه في تابوت إلى منزله ، ومات من ليلته رحمه الله تعالى ، سنة ثلاث عشرة ومائتين والف من الهجرة النبوية .

الشيخ مصطفى بن محيي الدين بن مصطفى نجا الشامي الشاذلي

شاب نشأ على كمال الطاعة ، وعالم قد اعتزل عن الابتداع والاضاعة ، فلا ريب أنه البحر الزاخر والحبر الباهي الباهر ، شمس فضائله لم يصبها كسوف ، وقمر معارفه لم تلمسه يد خسوف ، إن نثر فما ازاهر الرياض غب المزن الهاطل ، أو نظم فما جواهر العقود تحلت بها الأجياد العواطل .

ولد ليلة السابع والعشرين من رمضان المبارك سنه تسع وستين ومائتين والف ، وبعد سن التمييز أخذ في تعلم القرآن العزيز ، ثم طلب العلم في بيروت البهية ، على جماعة من العلماء ذوي مقامات سنية ، فاجتهد في الطلب وجد في نوال الأرب ، إلى أن فاق أمثاله ونال آماله ، ثم توجه إلى مصر بقصد المجاورة في أزهرها الشريف فلم يتيسر له ذلك ، بل عاد إلى وطنه بيروت وانكب على الطلب والتحصيل مع الجد والاجتهاد [١] والتفرغ للعبادة

---

(١) من أشهر من أخذ العلم عنهم من معقول ومنقول الأساتذة الأجلاء : عبد الباسط الفاخوري ، ويوسف الأسير ، وابراهيم الأحدب ، وعمر الأنسي وغيرهم .
ولما أعلن الدستور العثماني انتخب المترجم مفتياً لمدينة بيروت (سنة ١٣٢٧ هـ) وبقي فيها الى سنة وفاته (١٣٥٠ هـ) . من مؤلفاته « نصيحة الإيمان ـــ

حسب المراد ، ولم يزل على هذا الحال سالكاً مسلك الفضل والكمال ، إلى أن توفي والده وذهب عنه مساعده ، فاحتاج إلى تعاطي الأسباب ، فتعاطى التجارة بالعطارة ، وأخذ الطريقة الشاذلية عن المرشد الكامل والهمام الفاضل ، الشيخ علي نور الدين بن يشرط المغربي التونسي ، أدام الله وجوده وأغدق علينا وعليه إحسانه وجوده ، فاشتغل بالطريق فوق العادة وبذل في الطاعة جده واجتهاده ، ولازم الاخوان في مسائه وصباحه ، وسلك مسالك نجحه وفلاحه ، مع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وخدمة المريدين بالحظ الأوفر . وفي سنة أربع وثلاثمائة والف أجازه اجازة عامة ، وأذن له بتلقين الذكر وهو لهذا العهد يقيم الحضرة في داره ، وقد أخذ عنه كثيرون فأوضح لهم الطريقة وعلمهم كيفية السلوك إلى الحقيقة ، ودعاهم الى التمسك بالسنة والكتاب وعرفهم الفرق بين الخطأ والصواب . ومن نظمه يرد على من زعم أن التمسك بالحقيقة يغني عن اتباع الشريعة قوله :

عجباً لمن يعصي أوامر ربه ... ويقول لستُ بمذنب من عجبه
ويرى خلاف الشرع تحقيقاً ولا ... ينقاد جهــلاً بالطريق لحزبه
ويقول اني مطلق من قيده ... فدع المقيّد هائماً في حجبه
ويظن مع أهل الضلال بأنه ... عرف الهدى ودرى نهاية دربه
وبأنه ممن يحب الله قد ... فازوا وقد سلكوا مسالك قربه
هيهات هيهات المحب حقيقة ... والله لا يعصي أوامر حبه
والمهتدون العارفون بربهم ... لا يجهلون وليس فيهم ما به
فاترك مصاحبة الذي هو مثله ... تلقى الأمان من الزمان وحربه

ـــ في التربيــة والتعليم » و « أرجوزة في التربية والتعليم » و « كشف الأسرار » تصوف ، وهذه الثلاثــة مطبوعة ، و « تفسير جزء عمّ » و « إرشـــاد المريد » في التجويد ، وثلاثة « موالد » وله نظم جمـع في ديوان ، وهذه مخطوطة كما في الأعلام للزركلي ، وعن « ذكرى مصطفى نجـا مفتي بيروت الأكبر » .

واصحب إذا رمت الهدى من يقتدي بالمصطفى هادي الورى وبصحبه
فالأجرب المغرور فلتزم النهى عنه التجنب خيفة من خطبه
واخو الفطانة ليس يسلك مسلكا حتى يميز سهله من صعبه

وله أبيات لطيفة وقصائد طريفة ، وموشحات حسنة وتوسلات مستحسنة ، وقدود تقال على الأذكار ، ألطف من نسمات الأسحار ، وله شرح على الصلاة الجليلة المزوجة المنسوبة إلى القطب الكبير ، سيدي العارف بالله عبد السلام بن بشيش سماه كشف الأسرار ، لتنوير الأفكار ، وله منظومة سماها الاستغاثة السنية برجال أهل سلسلة الطريق الشاذليـــة العلية ، وأولها قوله :

بك يستجير العبد من هفواته يا واحداً في ذاته وصفاته

حفظنا الله وإياه من الآثام ، ورزقنا وإياه حسن الختام (١).

الشيخ معروف التكريتي العراقي الخالدي النقشبندي

صاحب السكر والمحو والجذب والصحو ، والأحوال الغريبـة والصفات العجيبة ، كان فقيهاً عابداً ومرشداً زاهدا ، بارعاً في العلوم دقيق النظر في المنطوق منها والمفهوم ، وقد أخذ عن حضرة مولانا خالد ، وتخلف عنه خلافة عامة، فاشتغل بالطريق والارشاد ، وسلك منهج الصواب والسداد . وكان حسن الاخلاق عالي المذاق ، لطيف العبارة جميل الإشارة ، ولم يزل يترقى على معراج الكمال إلى أن طلبته المنية لدار الجمال ، وذلك سنة الف ومائتين وخمسين تقريبا .

---

(١) كتب المؤلف هذه الترجمة في حياة المترجم ، وكانت وفاته (سنة ١٣٥٠ هـ) كما تقدم .

الشيخ منصور بن عمار بن كثير السلمي
الخراساني الصوفي الدمشقي

كان مسرفاً على نفسه ثم تاب ، وكان سبب توبته أنه وجد في الطريق رقعة مكتوبة بسم الله الرحمن الرحيم ، فلم يجد لها موضعاً يضعها فيه فأكلها فرأى في المنام قائلاً يقول له : قد فتح الله عليك باب الحكمة لاحترامك للرقعة ، فقام من نومه نادماً على أفعاله تائباً من وقوعه في أوحاله ، مقبلاً على مولاه معرضاً عما سواه ، ففتح الله عليه أبواب القبول وسهل له أسباب الوصول ، ومنحه من العلوم الإلهية والتجليات العرفانية ، ما أثبت له الفضيلة وحقق له الشمائل الجميلة ، وفضل الله واسع لا راد له ولا مانع ، قال بعضهم : رأيت في المنام منصور بن عمار بعد موته وكان في أول أمره قد أسرف على نفسه ، فقلت له ما فعل الله بك ؟ قال أوقفني بين يديه وقال لي أنت الذي كنت تزهد الناس في الدنيا وترغبهم في الآخرة ، فقلت قد كان ذلك وأنت يا رب أعلم ، ولكن وعزتك وجلالك ، ما جلست مجلساً إلا وبدأت بالثناء وثنيت بالصلاة والسلام على نبيك ورسولك ، وثلثت بالنصيحة لعبادك ، فقال الله تعالى صدق ، ضعوا له كرسياً في سمائي يمجدني كما كان يمجدني في أرضي انتهى . وفضله معروف وكماله موصوف غني عن البيان ، مات رحمه الله في دمشق ودفن بها سنة الف ومائتين و . . .

الشيخ منصور بن مصطفى بن منصور بن صالح
ابن زين الدين السرميني الحلبي الحنفي

العالم المتقن الفاضل المحدث الأصولي الزاهد العابد التقي النقي ، مولده سنة ست وثلاثين ومائة والف بسرمين من أعمال حلب ونشأ بحلب ، ودخلها صغيراً

وقرأ القرآن العظيم وبعض المقدمات من الفقه والعربية وغيرها على أبي محمد عبد الوهاب بن أحمد المصري نزيل حلب وأبي عبد الله محمد بن محمد التافلاني المغربي ، وأخذ الطريقة القادرية عن أبي بكر تقي الدين بن أحمد القادري الحلبي ، وارتحل إلى حماه ، وقرأ بها على البدر حسن بن كديمة وأبي محمد عبد الله الحوّاط ، ثم ارتحل إلى مصر واشتغل بالتحصيل والأخذ وقرأ على علمائها في غالب الفنون ، منهم أبو المكارم محمد نجم الدين بن سالم بن أحمد الحفناوي وجل انتفاعه به وعليه ، واخوه الجمال يوسف وأبو العباس أحمد بن عبد الفتاح الملوي وأبو محمد الحسن المدابغي والشهاب أحمد الجوهري وعفيف الدين عبد الله بن محمد الشبراوي ونور الدين علي العمروسي وأبو عبد الله محمد بن محمد البليدي المالكي وأبو الصفا خليل المالكي وابو محمد عبد الكريم الزيات وأبو داوود سليمان الزيات وأبو السخا عطية الله الأجهوري والسراج عمر الشنواني وأبو الحسن علي الصعيدي وأبو الروح عيسى البراوي والشمس محمد الفارسكوري وأبو عبد الله العشماوي وغيرهم . وحج ولقي هناك عام حجه أبا الارشاد مصطفى بن كمال الدين بن علي البكري الصديقي الدمشقي ، وأخذ عنه الطرائق وغيرها وانتفع بدعواته ونفحاته وارتفع بأنظاره ولمحاته ، وأخذ بالمدينة المنورة على أبي البقاء محمد حياه بن ابراهيم السِّنْدِي ، واستقام بمصر عدة سنين وتفرق وتبيل ودرس بها ، وأقرأ بعض العلوم واشتهر أمره وراج حاله حتى شهد بفضله مشايخه ، وبعدها دخل حلب ، ومنها قدم إلى دمشق فرغب أهلها به وصار له حظ عظيم منهم ، ودرس في الجامع الأموي في دمشق ، واختلى على عادة مشايخ الطرق ، ولزمه جماعة وأخذوا عنه ، وأقبل عليه الناس واشتهر واستقام بدمشق بعياله نحو عشرين سنة ، وفي أثناء المدة كان يأتي إلى حلب لزيارة أحبابه وأقاربه . رأيت بخط خليل أفندي المرادي صاحب التاريخ قال : وكان والدي اشترى المكان المبني تجاه باب جيرون بالجامع الأموي وجعله وقفاً على المترجم ، ومن بعده على من يصير خليفة بعده من

المشايخ البكرية الخلوتية ، وكان القاضي بالحكم سليمان بن أحمد الخطيب المحاسني الحنفي . وألف وهو بدمشق رسالة في البسملة سماها كشف الستور المسدلة عن أوجه أسرار البسملة ، وجعلها باسم والدي وكتب له عليها ، وشرح الأبيات الثلاثة التي مطلعها :

عليك بأرباب الصدور فمن غدا مضافاً لأرباب الصدور تصدرا

وسماه كشف اللثام والستور عن مخدرات أرباب الصدور ، وفي سنة إحدى ومائتين وألف . اشترى دار بني الطيبي بحلب الكائنة بمحلة الفرافرة ، وجعلها زاوية للأذكار والتوحيد بعد أن وقفها ، وكان يقيم الذكر بها في الأسبوع مرة ، ويقري ويفيد ويدرس ويختلي في كل عام أربعين يوما ، ومن جملة من أخذ عنه واستجاره خليل أفندي المرادي سنة الف ومائتين وخمس ، وانتفع به وبعلومه ، وكان حسن المحاضرة قوي الحافظة نبوي الأخلاق لطيف المذاكرة ، توفي سنة الف ومائتين ونحو العشرة (١) .

الشيخ موسى السرسي الشافعي الأزهري

العمدة العلامة والنحرير الفهامة ، الأصولي الفقيه والمنطقي النحوي النبيه ، أصله من سرس الليانة ، بالمنوفية ، وحضر إلى الأزهر ولازم الاستفادة وحضور الأشياخ من الطبقة الثانية ، كالشيخ عطية الأجهوري والشيخ عيسى البراوي والشيخ محمد الفرماوي ، ومهر وأنجب في المعقولات والمنقولات ، وأقرأ الدروس وأفاد الطلبة ، ولازم الشيخ حسن الكفراوي مدة ورافقه في الافتاء والقضايا ، ثم لازم الشيخ أحمد العروسي وصار من خاصة ملازميه وتخلق بأخلاقه ، وألزم أولاده بحضور دروسه المعقولية وغيرها دون غيره ، لحسن إلقائه وجودة تفهيمه وتقريره ، واشتهر ذكره وراش جناحه وراج أمره ، بانتسابه للشيخ المذكور ، واشترى أملاكاً واقتنى عقاراً بمصر وببلده سرس

---

(١) الصواب أنه توفي سنة ١٢٠٧ كما ذكره العلامة ابن عابدين في ثبته (محمد راغب) .

ومنوف ومزارع وطواحين ومعاصر ، وأقبلت عليه الدنيا إقبالاً كاملا . وكان حلو المفاكهة حسن المعاشرة ، عذب الكلام مهذب النفس جميل الأخلاق . ودوداً قليل الادعاء ، محباً لإخوانه ، مستحضراً للفروع الفقهية . وكان يكتب على غالب الفتاوى عن لسان الشيخ العروسي ويعتمده في النقول والاجوبة عن المسائل الغامضة والفروع المشكلة . ولم يزل مشتغلاً بشأنه حتى تمرض وتوفي يوم السبت أواخر جمادى الثانيـــة سنة تسع عشرة ومائتين والف .

الشيخ موسى البشبيشي الشافعي الأزهري

إمام فقيه وهمام كامل نبيه ، قد استوى في عصره على أوج السيادة ، وانفرد في مصره بالانقطاع للإفادة ، وكان فاضلاً علامة كاملا فهامة ، نحوياً منطقياً فرضيا ، تقياً نقياً رضيا ، نشأ في الجامع الأصغر[١] من صغره ، ولازم الأشياخ ومجالسهم إلى كبره ، حتى شهد له كل إنسان أنه عين العلماء الأعيان ، وأجازه كل من العلامة الصعيدي والمصيلحي والدردير والشوبري والصبان ، وغيرهم من السادات ذوي المعارف والاتقان ، فمهر وأنجب بين العلماء ، وصار معدوداً من القادة الفضلاء ، ودرس في الفقه والمعقول ، وأفاد في أنواع الفروع والأصول ، وكان كثير الملازمة للعلامة العروسي الهمام ، وقد أخذ عنه جل المراد والمرام . وكان مهذباً في نفسه متواضعا ، مقتصداً في ملبَسه ومأكله ، عفيفاً قانعا ، لطيف المعاشرة والكلام حسن السيرة بين الأنام ، لا تمل مجالسته ولا تُسأم مفاكهته ، ولم يزل منقطعاً للعلم والإفادة مقبلاً على شأنه فوق العادة ، إلى أن جذبته يد الأجل إلى الأماني والأمل ، وذلك سنة الف ومائتين وسنتين .

---

(١) كذا في الأصل .

الشيخ موسى البندنيجي الخالدي النقشبندي

العالم العامل والمرشد الكامل ، نخبة الفضلاء وزبدة النبلاء ، نشأ من صغره على الطاعة والكمال وتقوى الله ذي الاكرام والجلال ، إلى أن صار بين الناس آية ، وخفق له بين العلماء أعظم راية ، وكان ملازماً للتقوى والعبادة والورع والزهادة ، وكان من خلفاء سيدنا ومولانا خالد قدس الله سره ، فدار في البلاد وأرشد العباد ، إلى أن أقبل على ربه على أحسن حال ، مرتدياً برداء التقوى والجمال ، وذلك بعد الألف والمائتين والأربعين .

الشيخ موسى الجبوري البغدادي النقشبندي الخالدي

الفقيه الصوفي الكامل والنبيه العالم العامل ، والولي المرشد العارف بالله ، والمقبل عليه والمعرض عما سواه ، ذو الأنفاس والشمائل القدسية والبركات والنفحات الأنسية ، فإنه كان ممن شهد بكماله الخاص والعام ، وكان في الارشاد وتدريس العلوم والوعظ إماماً وأي إمام ، إذا جلس للتذكير تسابق الناس إليه وجلسوا حوله وبين يديه ، فما تجد غير مطرق باك ومتواجد متباك ، وصارخ ملء فيه ، ومضطرب كأن الموت يوافيه ، وليس العيان كالخبر ولا من غاب كمن حضر ، كان قد أخذ أولاً عن عبيد الله الحيدري خليفة مولانا خالد ، ثم بعد أن ذاق كؤوس العرفان ، واستوى على سرير الكشف والوجدان ، خلفه مولانا خالد خلافة مطلقة ، وأذن له بالارشاد في الجانب الغربي من مدينة بغداد ، فأخذ عنه العلماء الأفاضل والسادة القادة الأماثل ، وكان مشهوراً بكل كمال ، معروفاً بفضائل الأحوال ، ولم يزل يترقى في معاريج الفضائل ، ويتقلب على فراش المعارف ناهلاً أعذب المناهل ، إلى أن توفي ذلك الحبر المكين سنة ألف ومائتين وست وأربعين .

الشيخ موسى بن المرحوم عمر بن عبد الفتاح ابن محمد بن يحيى بن محمد بن عبد الجليل السباعي الحمصي

عالم شاعر ، وناظم ناثر ، قد فاق في عصره أقرانه ، مع زهد وتقوى وصيانة وديانة ، فلذا كان ممن يعتمد عليه ، ويشار في حل المشكلات والمعضلات إليه ، على أنه من بيت قد تأسس على العلم والتقوى ، وحسن العمل في السر والنجوى ، فهو الحبر الذي فاق بصفاته الأوائل ، والبحر المتموج بجواهر الفضائل ، الجامع شمل الكمال بعد شتاته ، والواضع في جسد المجد روح حياته ، فلا ريب أنها تضحك ببكاء أقلامه الطروس ، ويرى في صورة خطوطه حظوظ النفوس .

ولد في مدينة حمص سنة ألف ومائة واحدى وتسعين ، ونشأ بها إلى أن توفي والده . ذهب إلى مصر في نية طلب العلم في الجامع الأزهر والمقام الأنور ، فقرأ على علمائها وطلب على فضلائها ، ثم رجع إلى الشام وكمل طلبه على علمائها الأعلام ، وفي سنة ألف ومائتين وخمس وخمسين سافر إلى بلده حمص ، ومرض بداء البطن ، وتوفي في تلك السنة ، ودفن في مقابر بني السباعي بالقرب من حضرة سيدي خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه . ومن بديع نظامه وفصيح كلامه ، معارضاً بانت سعاد يمدح بها رسول الله ﷺ :

صدت سعاد وما للحال تحويل ... وليس لي في سواها قط مأمول
وكيف لا وفؤادي صار مرتعها ... ولم يرعني بها قال ولا قيل
لم أخش في حبها عذلاً لذي عذل ... ولا لواش وفيها القلب مكبول
فكم لحاني لاح في الهوى سفهاً ... فقلت اقصر فلي في ذاك تنويل
الله أكبر كم في الحب من بطل ... لقد علاه اكتئاب وهو مذبول

بمن غدت فتنة بين الورى وسمت ... والفرع منها بجنح الليل مسدول
اضحت فريدة حسن جل مبدعها ... إلى الملا مــا بهذا القول تبديل
ترمي بلا قوس نبلاً من لواحظها ... تصطاد أسدالشرى والسيف مسلول
مليحة ما بدت يوماً لعاشقهــا ... إلا اعترى جسمه سقم وتنحيل
عذراء يقصر مدحي عن لطافتها ... هيهات هيهات تحصيهــا الأقاويل
مكحولة كحلت بالسحر ثم لها ... على العذارى بهذا الكحل تفضيل
حكت معاطفها السمر الرشاق وقد ... حازت جمالاً ومنها الطرف مكحول
رعبوبة من سناها النور مبتهج ... وما لها في الورى شكل وتمثيل
ما في المشارق تلفى مثل بهجتها ... تزري الغصون ومنها النور مدلول
تبسمت فشكى لي البرق قلت له ... يا أيها البرق اني عنك مشغول
يفوح من خالها المسك الشميم ومن ... بسامهــا عنبر بالراح معلول
تميل تختال من عجب على مرج ... من ضوء مبسمها ضاءت قناديل
والصدغ واو به الأسماء قد رقمت ... على الغواني لها في ذاك تطويل
وان وجنتهــا شبه العقيق وقد ... سما على رأسهــا تاج واكليل
لا في العقيق ولا في المشرقين لها ... مثل كما ثبتت فيهــا الأقاويل
تركية تركت جسمي بها شبحا ... والقلب ذاب وكم بيني لهــا ميل
مكية الخال والتوشيم ذات سنا ... وعطرهــا أبدا بالمسك مجبول
يا ربة الثغر والنهدين رق إلى ... صب براه الجوى والدمع مهطول
مليكة الحسن رفقاً وارحمي دنفا ... له بكى في بحور الشعر تفعيل
وهبتك باسعاد الروح فانتصفي ... من مغرم ضره في الحب تسويل
أنهي لحصرك ما لاقيت من سقم ... عسى برقته تنفى الأهاويل
تيهي بذا عجباً فالناس قد خضعت ... إلى حماك وفيك دمعهم لولو
ما دعد ما زينب ما هند ما جمل ... الحسن حسنك فيه القلب متبول
أنت المنى ثم سؤلي فانعمي كرما ... إلى الكئيب الذي في الحب مهزول

لبست حلة حسن ياسعاد وقد ... لبست ثوب الضنى والجسم منحول
إن لم تجودي لصب مسّه قلق ... فلي بمدح رسول الله تأميل
الفاتح الخاتم المفضال شافعنـــا ... خير النبيين من بالشرع مرسول
قد جاءنا بالهدى والفتح تم به ... عن الخلائق قد زالت أباطيل
طه الحبيب الذي تنارَ الوجودُ به ... وجاءه من لدى مولاه تنزيل
نبي صدق بدين الحق قام وفي ... كفيه سيف لقمع الشرك مسلول
حتى غدا الكفر مخذولاً لسطوته ... ومس أعداءه ذل وتنكيل
يا صفوة الحق حقق مـا أؤمله ... فباب جودك في الدارين مسؤول
وقل لصب غدا في الحب ذا سقم ... ادخل نعيماً به الاحسان مبذول
موسى السباعي له الآمال فيك إذا ... دنا الرحيل وعمته الأهاويل
صلى عليك الذي أعطاك منزلة ... علياء خادمها في الخلق جبريل
والآل والصحب من في الحرب كان لهم ... فتح ونصر وتأييد وتفضيل

وله قصائد كثيرة ومدائح شهيرة ، توفي كما تقدم في حمص سنة ألف ومائتين وخمس وخمسين ودفن في مدفن بني السباعي بالقرب من سيدنا خالد ابن الوليد رضي الله عنه .

ناشد راشد باشا والي ولاية سورية الجليلة

الوالي المعظم والكبير المكرم ، ذو الشان الرفيع والمقام البديع ، والصولة السامية والدولة النامية . تعين والياً على الشام وعلى جميع البلاد السورية ذات الاهتمام ، وذلك بعد موت المرحوم أحمد حمدي باشا ، غير أن سلفه كان ممدوحاً بتمام العفة ، والركون وعدم الميل إلى الخفة ، ولذلك كان الجميع يثني عليه بكل ثناء رفيع . وأما دولة الوزير المترجم فكان عند العموم دون من تقدم ، ولذلك في آخر مدته كثر الكلام في حق حضرته ، فكتب أهل بيروت إلى الدولة العلية يسترحمون بطلب وال عليهم وانفصالهم عن ولاية الاحكام الدمشقية ، وتفاقم أمـر الطلب إلى أن كادوا يبلغون

الأرب ، فتغيظ الوالي المترجم ، إلى أن وقع بداء ذات الرئة ودام بهذا المرض خمسة وعشرين يوما ، فتسامع الخبر بين الناس أن الذات الشاهانية لم تسمح بقسم الولاية فتروح الوالي المذكور وكاد أن يبرأ من مرضه ، فلما كان اليوم الخامس والعشرون من مرضه دخل عليه بعض خدمته وأخبره بقرار قسم الولاية ، وتوجه وال مخصوص إلى بيروت وما يتبعها فعاوده المرض بشدة قوية ، ولم يمض عليه ساعات حتى زارته المنية . وذلك يوم السبت المبارك التاسع عشر من شهر رجب الحرام سنة خمس وثلاثمائة وألف ، ودفن في تربة العارف بالله سيدي الشيخ محيي الدين العربي الكائنة في سفح قاسيون في جامع السليمية بجانب قبر العارف بالله السيد عبد القادر الجزائري، قدس الله سره ، وعمره يزيد عن سبعين سنة ، رحمة الله عليه وعلينا .

الشيخ ناصر بن عيسى بن ناصر الدين الأدلبي الشافعي

العالم العامل الفقيه ، والكامل الفاضل النبيه . ولد في ادلب الصغرى سنة اثنتين وأربعين ومائة وألف ، وقرأ بها على أبي الثناء محمود بن حماد ومصطفى بن سمية وأبي عبد الرحمن بن علي الجوهري المفتي ، وحضر دروس أبي مدين شعيب بن اسمعيل الكيالي وأخيه الزين عمر الكيالي ، ودخل حلب واستوطنها ، وقرأ بها على أبي محمد عبد القادر بن عبد الكريم الديري ومصطفى بن عبد القادر الملقي وغيرهم ، ودرس بجامع بانقوسا وجامع الحدادين وجامع الشاطبية ، ولزمه جماعة وأتقنوا عليه ، ولازم القراءة والتدريس مع التقوى إلى أن انفرد في مصره وفاق فضله لدى أهل عصره ، وفي سنة ألف ومائتين وخمس اجتمع به في حلب خليل أفندي المرادي مفتي دمشق وشهد بفضله واتقانه في العلوم والفنون ولم أقف على تاريخ وفاته[1] .

---

(١) في اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء أن وفاة المترجم كانت في حدود (١٢١٥ هـ) .

السيد نعمان افندي أبو البركات خير الدين بن محمود افندي الألوسي مفتي السادة الحنفية ببغداد دار السلام[١]

عمدة الأفاضل الأكارم ، ونخبة الأماثل ذوي المكارم ، من تحلى بملابس العلم والأدب ، وتولى عن كل ما اعتقاده يوجب اللوم والعطب ، فهو الله

---

(١) كنا لخصنا صفحات من كتاب : « أعلام العراق » لصديقنا الأستاذ الجليل محمد بهجة الأثري — تعليقاً على ترجمة الهمام السيد محمود الألوسي صاحب التفسير الكبير « روح المعاني » وغيره من المؤلفـات النافعة ، (المتوفى سنة ١٢٤٢ هـ) ويجد المطالع ترجمته في هذا الجزء الثالث من (حلية البشر) .

ونوجز القول الآن في ترجمة ابنه السيد نعمان خير الدين — علاوة على ما ذكره المؤلف هنا — ويراها القارئ مفصلة في « أعلام العراق » :

ولد المترجم في بغداد (سنة ١٢٥٢ هـ) (وتاريخه : حق لنعمان ثابت) . وقرأ على فضلاء دار السلام ، ومن أجلّهم والده الإمام أبو الثناء ، وتلميذه العالم السلفي السيد أمين الواعظ ، وتولى المناصب والقضاء في الحلة وغيرها ، ثم ترك المناصب ، واشتغل بالعلم والتأليف والتدريس ، والوعظ والإرشـاد . وفي (سنة ١٢٩٥ هـ) سافر إلى الحجاز لأداء فريضة الحج ، ومرّ بطريقه على مصر . وفي (سنة ١٣٠٠ هـ) سافر الى الأستانه ، فمر على سورية وبلاد الأناضول ، واجتمع بعلماء هاتيك الديار ، وأنعم عليه السلطان عبد الحميد الثاني بمراتب عالية ، وأصدر أمره باعادة مدرسة مرجان اليه ، وبعد أن قضى فيهـا سنتين عاد الى بغداد ، وتصدّر للتدريس بعنوان رئيس المدرسين . وكان فيه رغبة لجمع الكتب النادرة ، فوفق لجمع مكتبة حافلة ، ثم وقفها على مدرسته . وحفظ أوقاته بالتدريس والتأليف ، فكان يذهب الى المدرسة صباحاً ، ويعود الى داره مساء . وقد هنأنه الشعراء بالعود الحميد ، وأرخت توجيه المدرسة اليه ، ومنها قصيدة السيد شهاب الموصلي ومن أبياتها :

وظيفـة قبله كانـت لوالده   بموجب الشرط شرط الواقف الباني
وفي صكوك العلى والعلم أرخه   سجل تدريس مرجـان لنعمان
سنة ١٣٠٢ هـ

الفاضل المفرد ، والشهم الكامل الأوحد الأمجد ، من دل كلامه على علو مقامه ، ونظامه ونثره على سموه واحترامه .

ولد يوم الجمعة ثاني عشر شهر محرم الحرام سنة اثنتين وخمسين بعد المائتين والألف ، وقد أرخ ولادته الشاعر المجيد ، والناظم الوحيد ، المنلا عبد الحميد :

— يقول الضعيف محمد بهجة البيطار : زرت مدرسة مرجان في رحلتي الى بغداد صحبة وفد من العلماء ورأيت تلك المكتبة الحافلة ، والناظر عليها المقيم في تلك المدرسة أحد فضلاء الألوسيين . وكانت وفاة المترجم في شهر المحرّم (سنة ١٣١٧ هـ) ودفن في مدرسته بجانب قبر مرجان ، عليهما الرحمة والرضوان .

أما صفاته وشمائله ، فقد كان عالماً ضليعا ، وأديباً واسعا ، نزيه القلم ، عف النفس ، واسع الحلم ، منصفاً في الحكم ، شديد التحري للحق ، جواداً معطاء ، ورعاً زاهدا ، حفياً بالأهل وذوي القربى والأصحاب ، منشطاً لأهل العلم ، لطيف المحاضرة ، بشوش الوجه ، حَسنَ اللقاء . وأما مؤلفاته فهي (١) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ، أحمد بن تيمية وأحمد بن حجر الهيتمي ، طبع بمصر (سنة ١٢٩٨ هـ) (٢) الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ، ردّ به على الرسالة المنسوبة لعبد المسيح ابن اسحاق الكندي ، طبع لاهور من ممالك الهند (باكستان) في مجلدين (٣) غالية المواعظ ، في الوعظ ، طبع في مصر مرتين (٤) الأجوبة العقلية لأشرفية الشريعة المحمدية ، طبعت في بمبي (سنة ١٣١٤) (٥) صادق الفجرين في جواب البحرين ، في الإمام علي ومعاوية ، لم يطبع (٦) شقائق النعمان ، في ردّ شقاشق ابن سليمان ، لم يطبع (٧) الأجوبة النعمانية ، عن الأسئلة الهندية ، في مسألة الاستواء ، وخاتميّة النبوة المحمدية (٨) الإصابة في منع النساء من الكتابة (٩) الحباء في الإيصاء ، طبع في الاستانة (١٠) سلس الغانيات ، في ذوات الطرفين من الكلمات ، في اللغة ، طبع ببيروت (١١) مختصر ترجمة الإمام أحمد بن حنبل لابن الجوزي (١٢) الطارف والتالد في اكمال حاشية الوالد ، على حاشية القطر ، لابن هشام ، طبعت في القدس (سنة ١٣٢٠ هـ) (١٣) حور عيون الحور : مجموعة من نظمه ونثره .

هذه مقتطفات من ترجمته في (أعلام العراق) أضفناها الى ترجمته ههنا ، ولا يتسع المقام لأكثر من هذا .

بدا الكوكب الدري والقمر الذي ... محاسنه للشمس أضحت تسامت

فلا عجب ان فاح كالمسك عرفه ... فما هو من بيت النبوة ثابت

له ثبت الحق الصريح من العلا ... وتاريخه : حق لنعمان ثابت

قرأ بعد تمييزه القرآن وأتقنـه ، ثم حفظ المتون المستحسنة ، وحضر دروس العلماء الأعلام ، ولازم الاقبال على الاستفادة ملازمة النجم للظلام ، إلى أن ارتقى مقامه واستوى على عرش القبول كلامه ، وسرت في الناس فضائله واشتهرت مناقبه وشمائله ، وأجلسته معارفه على وجوه الأماني ، وقصده الطالبون من قاص وداني ، ومن أحسن ما جمعه وألفه ، ووضعه في قالب التحرير وصنفه ، كتابه المسمى بجلاء العينين في محاكمة الأحمدين ، فإنه كتاب جلا العين من الغين ، وأزال عن محيا الحق الشك والرين ، فهو القول الفصل العاري من الهذيان والهذل ، ولعمري ان من دقق النظر فيه وجال في مناهج ظواهره وخوافيه ، عرف أنه حكم وعدل ، واعترف بأنه عن طريق الصواب ما عدل ، ونصر قول السنة والكتاب ، وماز القشر من اللباب ، نفع الله العموم بعلومه ورفع راية منثوره ومنظومه ، وقد صنف جملة صالحة من التصانيف وحرر زبراً نافعة من التآليف ، منها اكمال حاشية القطر لوالده ، والشقائق ، ورسالة في الفقه ، وله نثر ونظم يزري باللؤلؤ والنجم ، وكتب في المواعظ دروساً مفيدة ومجالس عديدة حميدة ، وله مجانسة الجليس ، بالوعظ والتدريس :

بوعظ قـد تلين له قلوب ... وزجر قد تلين به الصخور

تفرد في الفحول بقوارع وعظه ، وأذاب القلوب بزواجر لفظه :

إذا ما رقى للوعظ ذروة منبر ... لخطبته فالكل مصغ ومنصت

فصيح عن الشرع الإلهي ناطق ... وعن كل مذموم من القول صامت

وحينما ألف كتابه غالية المواعظ ، ومصباح المتعظ وقبس الواعظ ،

ذكر في أوله حضرة ذي الشوكة والسلطان ، أمير المؤمنين المعظم عبد الحميد خان ، وقد مدحه بهذه الأبيات البديعة ، الدالة على ملكته الرفيعة :

بمولانا أمير المؤمنينا ... لقد سرت قلوب العالمينا
وفي ظل الإله هم أقاموا ... وظل الله يؤوي القائلينا
انام الكل في ظل ظليل ... فكان لجمعهم كهفاً أمينا
وأصناف الرعية قد ترامت ... بأنواع المعارف عارفينا
مليك ليس يشبهه مليك ... فلا تطلب له ملكاً قرينا
﴿ ملاذ الخلق في الدنيا جميعا ... وسيدنا إمام المسلمينا
عياذ الناس سلطان البرايا ... وخاقان الخلائق أجمعينا
خليفة ربنا قد صار حقا ... فكان لتخته السامي مزينا ﴾(١)
وقد أحيا مآثر لن تضاهى ... ومهد ملكه للساكنينا
وقد عمت أياديه البرايا ... وأدب في الفلاة المارقينا
أدام الله دولته علينا ... وأيدنا به دنيا ودينا
وأبقى ذاته العلياء فينا ... وأعطانا به فتحاً مبينا
وملكه أقاصي الأرض طرا ... شمائلها البعيدة واليمينا
وأبقى عبده المولى حميدا ... حميد العيش دهر الداهرينا
وأيد جنده الباري بنصر ... وفتح كائن حيناً فحينا

ولم يزل على درج الكمال يترقى ، وهو في كل يوم بالنسبة لما قبله أتقن وأتقى ، إلى أن أشاعت المنية أخباره ، وأذاعت أنه سكن في الجنان داره ، وذلك في شهر صفر عام ألف وثلاثمائة وسبعة عشر ، وذلك في مدينة بغداد ، دار السعادة والاسعاد ، ودفن في مقبرة أبيه ، رحمة الله علينا وعليه .

---

(١) في هذه الأبيات الثلاثة من الغلو والمبالغة في مدح السلطان ما لا يخفى ، وليته استغنى عنها .

السيد هاشم بن السيد محمد بن السيد فائز بن السيد أحمد عز الدين بن السيد ابراهيم الرفاعي قدس سره

الشيخ الكامل والإمام الفاضل ، قد ترجمه صاحب تنوير الأبصار في طبقات السادة الرفاعية الأخيار ، فقال : ولد السيد هاشم صاحب الترجمة بكويت البصرة وشب في حجر والده ، وخلف والده بعد مماته في مشيخة الطريق العلية الرفاعية ، وكان على جانب عظيم من الزهد والصلاح والتقوى ، وله كرامات وخوارق كثيرة ، ووالده كان من أكابر العارفين المعتقدين في الديار العراقية ، ومرقـــده في كويت البصرة مزار الخواص والعوام ، والمترجم سار سيرته وسلك طريقته ، وهو من بيت المجد والبركة ، توفي رحمه الله عام اثنين وسبعين ومائتين وألف ، وقبره في الكويت معروف يزار انتهى ملخصاً .

هاشم بن عبد الرحمن بن سعدي بن عبد الرحمن بن يحيى ابن عبد الرحمن بن تاج الدين عبد الوهاب الحنفي الكناني البعلي الشهير بالناجي

ولد بدمشق الشام ونشأ بها وكان من علمائهـــا وفضلائها ، وزهادها وعبادها وأعيانها وذوي شانها ، أخذ عن المشايخ العظام والسادة الجهابذة الفخام (١) وكانت له اليد العلية والشهرة السنية في فقه السادة الحنفيه ، وقد تخرج على يديه الكثير من ذوي الفضل الشهير ، وولي أمانة الفتوى النعمانية بدمشق المحمية .

---

(١) منهم علامتا الشام : الشيخ عبد الرحمن الكزبري ، والشيخ سعيد الحلبي .

مات ثالث عشر رمضان المبارك سنة أربع وستين ومائتين وألف في مرض الهواء الأصفر . وكان له في قلوب الناس اعتقاد عظيم وجاه جسيم ، وتولى أمانة فتوى الشام أيام مفتيهـا حسين أفندي المرادي ، وكان مشهوراً بالعبادة والصلاح ، وشيخ الطريقة الخلوتية في الديار الدمشقية ، وكان ملازماً على إقامة الأذكار ، إلى أن دعاه الله لدار كرامتـه في دار الكرامة والقرار .

هبة الله بن محمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن تاج الدين بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن موسى ابن عبده البعلي ، مفتي بعلبك الدمشقي الشهير بالتاجي

المولى الهمام فخر الأنام ، وصدر العلماء الأعلام ، الفقيه الشهير ، والمحدث الكبير ، فقيه مذهب النعمان ونبيه ذوي المعارف والشان .

ولد في دمشق في تاسع عشر ذي القعدة سنة إحدى وخمسين ومائة وألف ، ونشأ بها واشتغل في طلب العلوم على جماعة منهم سعد الدين العيني ولد سنة ١٠٣٠ وتوفي سنة ١١٧٤ والسيد مصطفى الأيوبي ولد بدمشق سنة ١١٣٥ وتوفي بمكة سنة ١٢٠٥ وعطية الأجهوري البصير المتوفى سنة ١١٩١ والملوي المتوفى سنة ١١٨١ وطه بن مهنا الجبريني الحلبي المتوفى سنة ١١٧٤ وأسعد بن عبد الرحمن المجلد سنة ١١٧٤ ومحمد حياة السندي المتوفى سنة ١١٦٠ وعبد الكريم بن أحمد الشرباتي علامة حلب المتوفى سنة ١١٧٦ وعمر الطحلاوي مفتي المالكية بمصـر المتوفى سنه ١١٨١ وصالح بن ابراهيم بن سليمان الجينيني المتوفى سنة ١١٧٠ والشهاب المنيني المتوفى سنة ١١٧٢ وأحمد ابن عبد المنعم الدمنهوري المتوفى سنة ١١٩٢ وأبو الفتح محمد بن محمد العجلوني الجعفري المتوفى سنة ١١٩٣ والشيخ علي السليمي الصالحي المتوفى سنة ١٢٠٠ والسيد علي البدري شيخ القراء بمصر المتوفى سنة ١١٩٠ وابراهيم الحلبي

محشي الدر المختار المتوفى سنة ١١٩٠ وعلي الصعيدي المتوفى سنة ١١٨٩ وموسى المحاسني خطيب جامع بني أمية المتوفى سنة ١١٧٣ وأحمد الجوهري المتوفى سنة ١١٨١ والجد الشمس محمد بن عبد الحي الداوودي المتوفى سنة ١١٦٨ والسيد الشريف محمد أبو السعود ابن العلامة اسكندر مفتي الحنفية في الديار المصرية المتوفى سنة ١١٧٢ وغيرهم ممن يطول ذكرهم ، وقد أخذ عنه الجم الغفير والعدد الكثير .

ومات في عشرين من ذي القعدة الحرام سنة أربع وعشرين ومائتين وألف ، وله مؤلفات كثيرة منها حاشيته على الأشباه والنظائر لابن نجيم [١] .

ومن نظمه مهنئاً جناب الفاضل المحترم خليل افندي المرادي بافتاء دمشق الشام ، ومؤرخاً ذلك ، فقال :

سقيا لدهر كلّ هتّان بـــه ... جاء البشير موافيــاً بمرادي
هذي الأمانيّ التي بلّغتهـا ... رغماً على الأعداء والحساد
وافت عروساً في نحور عقدها ... نظم القلائد من ذرى الأجداد
وتبسمت عن ثغر روض مسرة ... فلذا الصوادح غردت بسداد
وأتت وراثة صدر فضل قد سما ... حيث السماء وقبلة القصاد
تسعى على هام السماك أبية ... منقـــادة للسيد الجواد
الشهم مولانا الهمام ومن له ... في كل علم يقتفيه أياد
من قد رقى رتب المعالي سيدا ... فكسا الفخار برود مجد وداد
وغذى لبان الفضل من زمن به ... غصن النبوة مثمر بجيـــاد

---

(١) في روض البشر للشطي - بعد أن لخص هذه الترجمة - ما يأتي : قد اطلعت لصاحب الترجمة على تحقيقات ومنظومات ، تدل على علمه الغزير ، وأدبه الكثير ، وقد أعقب ولده سعيد أفندي مفتي بعلبك بعد والده المترجم ، وهذا أعقب ولده راغب افندي مفتيها بعد والده المذكور أيضاً ، المتوفى بعد سنة ١٣٠٠ رحمهم الله تعالى .

در البلاغة من جواهر لفظه   يزري بعقد فصاحة لإياد
منه استعار السحب فضل أنامل   فسقى بها جودا مدى الآباد
فهو الكريم بن الكريم بن الكريـ   ـم هو الخليل هو السري مرادي
نجل السراة ومن هم كهف الانا   م وملجأ المحتاج والوراد
أعلام علم للورى وهدى وار   شاد وحلم سادة أمجاد
مولاي يافرد الوجود فضائلا   وشمائلا يا أوحد الآحاد
رحماك إني عن علاك مقصر   فانعم بعفو منك لا بإبعاد
إذ لايزيد الشمس كثرة مدحها   والدر لايغلو بنظم شاد
فاليكها بنت اغتراب خانها   فكر تردى من صدا ابعاد
جاءت تهني للوحيد بمنصب الـ   ـفتوى التي شرفت ببيت مراد
فلها الهنا ولها المنى ولها السنا   بالعالم الصنديد خير عماد
لمّا غدا الافتاء يبغى كفؤه   أرخ له مفتي الشآم مرادي ١٢٩٢
قسما بلطفٍ مالكٍ لفؤادي   وبما لوالده جميل أياد
إني لبست من السرور ملابساً   أزهو بها في الجمع والأعياد
لازلت ترفل في حبور مسرة   تهنى بك الفتيا مدى الآباد

الشيخ هداية الله الاربيلي الشافعي النقشبندي الخالدي

العالم الفاضل العامل ، والمرشد الهمام الكامل ، ذو الهمم العلية والعلوم الربانية ، والشمائل العلية والفضائل السنية ، والسيادة المذكورة والعبادة المشهورة . نشأ من أول زمنه في طاعة الله ولم يعول من صغره على غير طاعة مولاه ، ثم سلك الطريقة العلية النقشبندية على يد الإمام والقطب الهمام ، سيدي مولانا خالد شيخ الحضرة قدس الله سره ، ثم انه بعد

الكمال خلفه ذلك السيد المفضال ، خلافة عامة ، ولم يزل مجتهداً في العلم والطريق إلى أن اختار الآخرة على الأولى .

وكان الشيخ المترجم حين سلوكه من طلبة العلم ، فقال له حضرة مولانا خالد بعد أن خلفه سيأتي عليك زمان تحتاج فيه إلى تدريس العلوم النقلية والعقلية ، وان لم تدرس فانهم يخرجونك من وطنك ، فأمره بقراءة الورقة الأولى من كل كتاب معد للتدريس ، فقرأ ذلك على حضرة مولانا المذكور ، ثم أجازه بجميع العلوم النقلية والعقلية وتدريس كتبها الدقيقة ، وبعد وفاة حضرة مولانا خالد بمدة طويلة وزمان بعيد ، ظهر سر هذه القضية وهو أن محمد باشا الكردي متصرف راوندز ، استولى بطغيانه على اربيل ونواحيها ، وكانت له محبة عظيمة بالعلم والعلماء ، ولما تمكن في أربيل مدة طويلة ، قال ان كل من جلس في مسجد أو زاوية من أهل العلم ولم يدرس فليخرج من هذه البلدة لأني أريد العلم ولا حاجة لي بالطريقة ، فشرع الشيخ هداية الله المشار اليه بتدريس العلوم منقولها ومعقولها على وجه التحقيق ، بحيث انكب عليه أهل العلم للاستفادة وأتوه أفواجاً أفواجاً ، لأنهم رأوا عنده من التحقيق والتدقيق مالم يشاهدوه عند العلماء الراسخين في العلوم والتدريس [١] فتعجب الناس من ذلك لأنه لم

(١) هذه الحكاية التي أوردها الأستاذ المؤلف في هذه الترجمة ، كلها نصح وتذكير من حضرة مولانا خالد شيخ الحضرة ، ومن محمد باشا الكردي المتصرف ، ومن الشيخ هداية الله الاربيلي المترجم ، وخلاصتها الترغيب في تحصيل العلوم النقلية والعقلية ، وفي تدريس كتبها لطلابها ، وقد أجمع الثلاثة على استحسان ذلك والعمل به ، فأي غرابة في ذلك ؟ وأما كون الطلاب وجدوا عند هذا المترجم من التحقيق والتدقيق ما لم يجدوه عند غيره ، فالمعروف عند أهل الاستعداد والاجتهاد أن المستعد إذا طلب منه أمر وتعين عليه تنفيذه ، بذل من الهمة والوقت والاجتهاد أضعاف ما عند المتعلمين حتى يحفظ بينهم مقامه واحترامه ، والله تعالى يقول : « واتقوا الله ويعلمكم الله » ومن التقوى المحافظة على الوقت والمواظبة على العمل .

يدرس مدة عمره ولم يقرأ من العلوم إلا شيئاً يسيراً جداً ، وإنما كان اشتغاله بالارشاد ، فسمع الباشا المذكور وأتى إلى خدمته وطلب الدعاء منه والعفو عنه ، وبقي الشيخ المشار اليه يرشد ويدرس إلى أن توفي في بغداد ودفن بجانب الشيخ يحيى المزوري سنة الف ومائتين وزيادة على الخمسين رحمه الله .

الشيخ هداية الله بن هبة الله بن محمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن تاج الدين البعلي المعروف بمفتي بعلبك الدمشقي الحنفي

ولد بدمشق وطلب بها وصار من علمائها ، واشتهر بالعلم والفضل والصلاح ، والعبادة والتقوى والفلاح ، توفي سنة ثلاث وعشرين ومائتين والف[1] .

الشيخ وهبة المشهور بابي العظام

كان من أهل الأحوال ، وله كرامات شهيرة تدل على أنه من كمل الرجال ، وهو مقصود للزيارة من كل مكان ، ومعدود من أهل الكرامة والولاية والشان ، وللناس به اعتقاد عظيم ، يقصدونه لدى كل مهم وخطب جسيم . نقل أن السبب في تكنيته بأبي العظام ، أنه انقطع في الأودية والجبال نحو سبعة أعوام ، وهو حامل للعظام على الدوام ، فلذا كني

---

(١) يستغرب موت المترجم هداية الله سنة ١٢٢٣ وموت والده هبة الله سنة ١٢٢٤ أي بعده بسنة كما ذكر قبل ورقتين فهل هنا سهو ؟ (الشطي)

أية غرابة في هذه الوفيات ؟ فالأستاذ الجد مؤلف هذه « الحلية » توفي بعد ابنه الشيخ أحمد بسنة ، إذ كانت وفاة ابنه سنة ١٣٣٤ هـ وكانت وفاة شقيقي فريد سنة ١٣٢٧ هـ وتوفي والدنا الشيخ بهاء الدين بعده بسنة ، كما يرى المطالع ذلك في ترجمته بحرف الباء (محمد بهجة)

بها بين الأنام ، ثم بعدها رجع إلى حاله ، ولبس أثواب بهائه وكماله ، وانتفع الناس بأطواره ، وسلموا له بديع أوطاره ، ولو أردنا أن نحصي ما له من الكرامات الكبار ، لخرجنا عن منهج المقصود من الايجاز والاختصار ، توفي سنة اثنتين واربعين بعد المائتين والألف ، ودفن في قرية القسطل ذات الجمال واللطف التابعة لقضاء النبك ، وقبره ظاهر مشهور وعليه قبة مجللة بالبهاء والنور ، رحمة الله تعالى عليه ورضوانه ، وجوده وبره واحسانه .

الشيخ ياسين النابلسي الحنفي

فاضل إمام ، وعالم عامل همام . ولد سنة ألف ومائتين ، ونشأ على الجد في الطلب إلى أن بلغ المنى والأرب ، ولازم النسك والعبادة وصار من ذوي القدر والسيادة ، وذلك بعد أن قدم دمشق واستوطنها ، وقرأ على فضلائها وعلمائها وأجلائها ، وكان له اليد العليا في العلوم من منطوق ومفهوم . مات بدمشق سنة ستين ومائتين وألف ، ودفن بقاسيون قرب مغارة الجوعية رحمه الله تعالى .

الشيخ يحيى افندي ابو النصر بن الشيخ عبد الغني بن الشيخ احمد بن محمد بن ناصر بن محمد السلاوي ، نسبة إلى مدينة سلا في المغرب كذا قرر في ترجمة جده الشيخ احمد السلاوي

ولد في الديار المصرية ، وبلغ مبلغاً من العلوم الأدبية ، وأتقن صناعة الشعر وأحسنه ، وكان يذكر عند مذاكرته في أنواع الأدب من كل شيء أحسنه . وفي سنة ثلاثمائة وألف شرف إلى الشام ، وكنت اجتمع به في

أكثر الأوقات والأيام ، فصيح اللسان ذو معرفة واتقان ، وكان مشتغلاً بنظم قصائد تسعة وعشرين ، من كل حرف من حروف الهجاء قصيدة ، على طرز قصائد صفي الدين أبي المحاسن عبد العزيز بن سرايا بن أبي القاسم الحلي التي سماها درر النحور في امتداح الملك المنصور ، فكان يتلو علينا من أبياتها ، ويفكهنا بسكر نباتها ، وقد تخلص بكل قصيدة إلى مديح الحضرة المعظمة السلطانية الحميدية ، وقد سماها بالعصر الجديد ، جمع بها جواهر الآثار ، ودقائق المعاني الأبكار ، وبعد مدة سافر إلى الاستانة العلية ، وقدمها للسدة السنية الملوكانية ، فأحسن إليه برتبة محترمة ، وخدمة في دائرة المعارف العمومية الجليلة ، ولم يزل مكباً على الاشتغال بالأدب ، وآثاره مقبولة تألفها الطباع ، وتلتذ بها الأسماع ، ومن نظمه البديع وشعره الرفيع ، قوله :

أعِد الحديث عن الأماني الخفد ... واغنم مسالمة الليالي العوّد
وأدر كؤوس الراح فيها للهنا ... أيدي الصبا منها صحيفة عسجد
طوراً تطوف بها الشموس وتارة ... تسعى بها الأقمار حول الوفد
من كل وضاح الجبين اغرّ ذي ... شمم وعز بالشباب معربد
يلقاك ملتحف الوقار كلاهما ... بادي المشيخة في حداثة أمرد
يغدو بأصناف المسرة لاهيا ... يومناً ويوماً بالمقيم المقعِد
لاتبصر العينان منه لذي نهى ... إلا خلال ممجد ومسوّد
إن قال كان الرأي منه مسددا ... أو صال كان الخصم غير مسدد

ومنها :

وخضيبة الكفين مزر قدّها ... هيفا بأعطاف الغصون الميّد
نشوانة بالحسن تعبث بالنهى ... عبث الحوادث بالوليد المبتدي
تلقاك في ديباجتين منوطة ... من فوق ضاف بالعبير مقرمد
أقسى مساساً من فؤاد معذبي ... وأرق من قلب حزين المكمد

مابين طلعـــة بدر تم مشرق زاهي الجبين وليل شعر أجعد
فتاكة فتانة مأسورهـــا لايفتدي وقتيلهـــا لايستدي
إن أقبلت فتنت وان ولت سبت مهج الأراقم دون نيل المقصد
تدني وتبعـــد بالذي تومي به لأخي العفاف وللبغي الأنكد
فتظنهـــا من ثم غير عصية وتخالهـــا من ههنا كالمعضد (١)
وتروضهـــا كخليستين عروبة غض المسامس وحيزبون علكد
لاينقضي من حبها وطر ولا يدنو لها بالغي عزم مجرد

وهي قصيدة طويلة تزيد على المائه وثلاثين بيتاً وتخلص بهـــا لمديح السيد احمد الرفاعي قدس الله تعالى سره . وله قصـــائد كثيرة واشعار شهيرة . ولقد اجتمعت به في الآستانة عام الف وثلاثمائة وسبعة ، فوجدته قد تغير عن حاله ، وتبدّل الجلال عن جمـاله ، وغلب عليه الجفا بعد ماكان عليه من الوداد والوفا ، واللطف والصفا ، فسبحـان من لا تغيره الأزمان ، ولا يحكم عليه وقت ولا أوان (٢) .

الشيخ يحيى الجامي المدني

ترجمه صاحب اللئالي الثمينة في أعيان شعراء المدينة ، فقال : الأديب الذي كَنَهْوَرُ ذهنه (٣) بالمحاسن هامي ، وألفاظه تسكر الأسمـاع كابنة العنب ولا ينكر السكر من الجامي (٤) فكل بيت من أبياته راووق مدام

---

(١) لعل أصلها المِعضَد ـ وهو حديدة كالمنجل لقطع الشجر ، وسكين كبير للحام، يقطع به العظام .

(٢) من آثاره : ديوان شعر سماه : « حلية العصر الجديد ، في شمائل الملك الحميد » فرغ من نظمه سنة ١٣٠١ هـ معجم المؤلفين (ج ١٣/٢٠٧) .

(٣) قوله كنهور كسفرجل من السحاب قطع كالجبال أو المتراكم منه اهـ . (المؤلف)

(٤) الجام : إناء من فضة ، قال في اللسان : عربي فصيح .

وكل لفظ منها زهر كام ، كلل برشح غمام ، ومع ذلك فهو في الفضل سامي المقام ، وفي المجد بالغ همام ، حـــاوي شمائل كالنسيم رقة ، وكالمسك تشتهي الروح شمه ونشقه ، وجامع أدب شذي النفحة بهي اللمحة ، فمن نظمه البهج وشعره الأرج هذه القصيدة ، وأرسلها من الروم مبثاً بها ماحواه صدره من سر الغرام المكتوم :

على وادي النقا ، قفْ لي صباحا — وحي الريم والغرر الصباحـا
وعانق لي بسح الدمــع بانا — بسوح من العقيق لديه ساحا
ومرغ لي الخدود على تراب — تشم به عبير المسك فاحــا
وغض الصوت في نجواك واخفض — جناح الذل منك عسى نجاحا
وأم الجـــانب الغربي منـــه — سقى الله رباه والبطاحـــا
وسل عن جيرة في سفح سلع — وقبل القول قبل لي المراحا
بهـــم خز يشي حبرا برقني — بروق ظباه دع عنك الرماحا
لروحي من صداه غذا وراح — غدا يجلو الصدا عنها وراحـا
ترى الأوتار ناطقة فصاحـــا — إذا غنى بنغمتها فصاحـــا
به معنى فهمناه فهمنـــا — فلاح سنا فشاهدنا فلاحـــا
فشاهد ســـاعة وارجع سريعا — وحاذر يستميلك أن تصاحا
فان حشاي مما في فؤادي — يئن أنين من ذاق السلاحـــا
وذلك ان بازاً لي تصـــدى — فأظهر لي الصداقة والمزاحـــا
فلما أن رآني مطمئنـــا — أظن مزاجه الماء القراحـــا
غزا بالبابلي[١] على غزالي — فطارَ بـِهِ وكان له جـَناحا
ولو بارزت لم يبرز لحربي — ولكن خفت ارتكب الجُناحا
فقلت تعجبا سبحان ربي — فقنعني ومن قنع استراحـــا
ولي نفس أبت ذلا لمن لا — يراعيها ولو ماتت جراحـــا

---

(١) البابلي : الساحر ، ومنها : عيون بابلية ، أي ساحرة .

ولا حكم على ملك بعنف ... خصوصا من يرى قتلي مباحا
فحسبي أن محبوبي بقلبي ... واني في الهوى أهوى اللاحا
وسلم لي على قمري الملالي ... وندماني غبوقا واصطباحا
وجمع الصحب بلغهم سلامي ... لعل الله يجمعنا صحاحا
وكرر لي السلام على عقيق ... كذوب مكرّر يسقي الأقاحا
وتعرف يا عقيق الروح مني ... لمن في لحن قولي القصد لاحا

ولـه :

باتت تسامرني حمامة روضة ... فوق الغضا بين الغدير وزرعه
تبكي على إلف لها بترنم ... من أجل تسكين الفؤاد وروعه
فشربت من ذاك الغدير تلذذا ... وطربت من ذاك الهدير ورجعه
وأجبتها بي مثل ما بك كلنا ... نبكي على ذكر الحبيب وربعه
لكن ما مثلي ومثلك واحد ... لا والذي سمع الدعاء بسمعه
إن الذي أهواه بدر كامل ... كل الأشعة فرعت من فرعه
قالت صدقت يحق أن تبكي الدما ... ونهيم في ريم النقا مع سلعه

وله رحمه الله :

لقد كمنت محبتكم بقلبي ... كمون النار في قلب الزناد
ولكني افتضحت بدمع عيني ... وحالي كل حين في ازدياد

انتهى توفي المترجم المرقوم في القرن الثالث عشر[١] رحمه الله تعالى .

---

(١) ترجمه الأستاذ الزركلي في الأعلام عن تاريخ مخطوط فقال : يحيى بن عبد الرحمن ابن أحمد المدني الشهير بالجامي ، أديب مكثر من النظم ، من أهل المدينة المنورة ، زار دمشق في طريقه الى القسطنطينية (سنة ١٢٠٥ هـ) فاجتمع به كمال الدين الغزي ، ونقل نحو ٣٠ صفحة من نظمه ، وكانت له معه مطارحات شعرية ولم يذكر وفاته . وأرخه الزركلي في الأعلام : (١١٤٨ – نحو ١٢١٥) .

الشيخ يحيى بن محمد بن منصور الحلبي الشافعي

الفقيه العالم المقرىء المسند البركة الدين التقي العابد الزاهد ، كان من السادة الأخيار ، والقادة الأتقياء الأبرار . مولده سنة عشرين ومائة وألف ، وقرأ القرآن العظيم وحفظه وتلاه لحفص ، وأخذ القراءات عن الشمس البصيري شيخ القراء بحلب ، وأبي محمد عبد الرحمن بن إبراهيم المصري ، ولازم القراءة والأخذ والتلقي والسماع ، وتلقى الكثير على الكثير ، منهم أبو عبد الفتاح محمد بن الحسين الزمار ونور الدين علي بن مصطفى بن علي الدباغ الميقاتي وأبو محمد صالح بن رجب المواهبي وبايعه وأخذ عنه الطريقة القـادرية ، ولازم بعده ولده أبا عبد الله محمد وقاسم بن محمد البكرجي وأبو الثناء محمود بن شعبان البزستاني وقاسم بن محمد النجار وأبو المحاسن يوسف ابن الحسين الدمشقي وأبو عبد الله جابر بن عودة الحوراني وعبد الوهاب بن أحمد الأزهري وعلاء الدين محمد بن محمد الطيب المالكي لما قدم حلب ، وأبو جعفر منصور بن علي الصواف وأبو السعـادات طه بن مهنا الجبريني وأبو عبد الله محمد بن كمال الدين الكبيسي وعبد الكريم بن أحمد الشراباتي وغيرهم . ويروي عالياً عن الشهاب أحمد بن محمد علوان بن عبد الله الشراباتي وأبي داود سليمان بن خالد بن عبد القادر النحوي وجمال الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد عقيله بن سعيد المكي وبدر الدين حسن بن علي الطباخ وأبي عبد الرزاق محمد بن هاشم الديري وأبي محمد حسن بن شعبان السرميني وآخرين ، وسمع الأولية من أكثرهم ولازم دروسهم وأكثر من السماع من صغره وكان لا يفتر عن حضور مجالسهم ، وأجازوه بالإجازة العامة . وكان كثير التلاوة للقرآن العظيم يشتغل به غالب أوقاته ، وكان من الصلحاء الأخيار ، والمعمرين الأبرار ، كثير الديانة مقبلاً على الآخرى معتنياً بمـا يقربه من مولاه ، رافضاً زخارف الدنيا راضياً بما قسم له ، يحب الناس ويحبونه . توفي رحمه الله تعالى سنة ألف ومائتين ونيف في حلب ودفن بها .

الشيخ يحيى بن . . . . المزوري العمادي الشافعي البغدادي

بحر العلوم ، وحبر ذوي المنطوق والمفهوم ، جامع المنقول والمعقول ، وحاوي الفروع والأصول ، أستاذ علماء العراق على الإطلاق ، وملاذ فحول فضلاء الآفاق في حل المشكلات بلا شقاق ، النحرير الهمام حجة الإسلام ، الناسك العابد والتقي الزاهد ، المتوجه بكله إلى الله والمعتمد عليه لا على سواه .

نقل صاحب المجد التالد أن المترجم المذكور كان من أكابر هذه الأمة المحمدية ، وقد بلغ درجة الترجيح في الفقه ، مع كونه بحر جميع العلوم النقلية والعقلية والرياضية ، كما شهد له بذلك حضرة شيخ الحضرة مولانا خـالد النقشبندي ، وكانت ولادته في حدود سنة ألف ومائة وخمس وأربعين ، وقرأ على مشايخ كثيرين وأساتذة معتمدين ، منهم الحبر العلامة والبحر الفهامة ، السيد عاصم الحيدري ، ومنهم العلامة المحقق والفهـامة المدقق ، السيد صالح الحيدري . وكان حافظاً لأوقـاته مراقباً لحركاته وسكناته ، مواظباً على الطاعة متباعداً عن الإضاعة ، وآدابه في التقوى والحلم ، ومكارم الأخلاق التي أدبه بهـا الفضل والعلم ، كثيرة شهيرة . وفي عام ستة وعشرين ومائتين وألف ، لما شرف حضرة مولانا خالد شيخ الحضرة من الهند إلى السليمانية صمم الجماعة البرزنجية الذين هم أكابر بلدة السليمانية وأصحـابهم وأتباعهم ، وكانوا نحو مائتي رجل على قتل الشيخ خالد المذكور ، واتفق رأيهم أن يقفوا بالسـلاح يوم الجمعة خارج باب المسجد ، فإذا خرج قتلوه وقطعوه إرباً إرباً ، فلما جاء يوم الجمعة قام حضرة الشيخ قدس سره ومشى إلى المسجد ، وكان معه بعض مريديه وجماعة من الحيدريين ، فلما تمت صلاة الجمعة وقف الأعداء على الباب ينتظرون خروج الشيخ وهم بالسلاح الكامل ، وكان من عادة الشيخ أنه لا يخرج من المسجد

إلا بعد خروج الناس ، فلما تكامل خروج الناس ولم يبق في المسجد أحد ، خرج حضرة الشيخ والتفت إلى صفوف الأعداء بعين الجلالة ، فمنهم من هرب ومنهم من سقط مغمى عليه ، ومنهم من صاح وانجذب ، ومشى حضرة الشيخ إلى أن وصل إلى الزاوية بجماعته بدون أن يتعرض لهم أحد ، وهذه القضية وقعت على رؤوس الأشهاد ، فلم يبق أحد من أهل السليمانية إلا وعلمها ، فحقد عليه العلماء وأرادوا أن يهينوه في تجهيله في العلم ، فامتحنوه بمشكلات أنواع العلوم النقلية والعقلية فلم يقدروا عليه ، بل صاروا كأحقر الطلبة بين يديه ، فلما رأوا أنفسهم انهم بالنسبة إليه جهال ، وليس لهم قدرة عليه بحال ، كتبوا كتاباً وأرسلوه إلى حضرة المترجم ، ومضمون الكتاب من كافة علماء السليمانية إلى علامة الدنيا على الإطلاق والدين ، حجة الإسلام والمسلمين ، مولانا وشيخنا الشيخ يحيى المزوري العمادي متع الله تعالى المسلمين بطول حياته :

أما بعد فقد ظهر عندنا خالد وادعى الولاية الكبرى والإرشاد ، بعد عوده من الهند إلى هذه البلاد ، وهو رجل قد ترك العلوم بعد تحصيلها على وجه الكمال ، واختار سبيل الضلال ، ونحن قد عجزنا عن إلزامه ، وقهره وإفحامه ، فيجب عليك أن تتوجه إلى طرفنا لإفحامه ، ودفع ضلاله ومرامه ، وإلا فقد عم الضلال بين العباد ، وانتشر الفساد في البلاد ، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

فلما وصل الكتاب إلى الشيخ يحيى وقرأه ، قام وركب بغلته مع جملة من طلبته الفحول ، وتوجه إلى السليمانية وقد استحضر في فكره عدة سؤالات من أشكل المشكلات ، في المعقول والمنقول ، الفروع والأصول ، فلما قرب الشيخ من السليمانية خرج العلماء كافة وأكابر البلدة لاستقباله ، وتقبيل يديه ورجليه وأذياله ، فلما دخل البلدة دعاه كل إلى منزله من

السادة والأعيان ، فأبى وقال لا بد أن ألاقي هذا الرجل الآن ، فتوجه إلى زاوية الشيخ قدس الله سره ، فلما دخل عليه وسلم وحياه ، استقبله الشيخ وصافحه وأحسن لقياه ، فجلس الشيخ يحيى بجانب مولانا خالد وتهيأ للسؤال ، فابتدره الشيخ في الحال ، وقال له إن في العلوم مشكلات كثيرة ، منها كذا وجوابه كذا ومنها كذا وجوابه كذا ، وعدّد له جميع الأسئلة التي أعدها للسؤال عنها ، وأجاب عن كل منها بأحسن جواب بحيث لم يبق للاشكال باب[1] ، فانكب المترجم على قدمي حضرة الشيخ وعرف إجلاله ، وطلب منه العفو والسماح والتوجه له بما يصلح آماله ، وأعطاه الطريقة النقشبندية ، وعين له حجرة يسلك فيها فصار من أخص رجال السادة الخالدية ، فلما سمع المنكرون ولوا الأدبار وخابوا ، وبعضهم تاب وأكثر من الندم والاستغفار ، وكان حضرة مولانا خالد يحب الشيخ يحيى محبة عظيمة ، ويعامله مع كونه مريداً له معاملة الأقران ذوي العظمة والشان ، والشيخ يحيى لا يعد نفسه في مجلس الشيخ إلا من الخدام .

وقد حدث العالم الأديب الصالح الشيخ إسماعيل البرزنجي ، فقال كنت في خدمة الشيخ يحيى المزوري في حجرة واحدة ، وكان الشيخ نائماً وقت القيلولة ، فقام حضرة مولانا خالد من محله إلى حجرة الشيخ يحيى فاستقبلته وقلت له إن الشيخ يحيى نائم فقال لا تنبهه ، ثم دخل حضرة مولانا الحجرة وقبل فم الشيخ يحيى وهو نائم ، وقال بعد التقبيل متعنا الله تعالى بحياتك ، وخرج من الحجرة إلى محله ، ومما وقع له أيضاً مما يدل على رفعة مقامه ووصوله في الطريق إلى مرامه ، أن عبد الوهاب السوسي الذي خلفه

---

(١) ألا ليت هذه الأسئلة والأجوبة قد ذكرت ولو بالكلم الوجيز ، ليعيها ويستفيد منها طلاب العلم الشريف ، وكم ضاع على الناس من فوائد وفرائد بعدم التدوين ، ومنها ما دار بين هذين الشيخين الجليلين ، والأمر لله .

حضرة مولانا خالد في الاستانة العلية ، ثم طرده عن الطريقة لعجبه بنفسه بمخالطة أكابر الرجال ، وجمع الحطام والأموال ، دخل يوماً على الشيخ يحيى وقبل يديه ، والتمس منه أن يطلب العفو عنه من حضرة مولانا خالد قدس سره ، فقام الشيخ يحيى ودخل على حضرة مولانا خالد والتمس منه العفو عن عبد الوهاب ، فقال حضرة الشيخ ان الأمر لو كان بيدي لعفوت عنه ، ولكن جميع روحانيات السلسلة العلية النقشبندية قد طردوه عن باب طريقتهم ، اللهم إلا أن يحلق عبد الوهاب لحيته ويسود وجهه ويركب الحمار منكوساً ويشهر نفسه في الأزقة والأسواق كسراً لنفسه ، فإنهم قدس الله تعالى أسرارهم يعفون عنه حينئذ[١] فقال الشيخ يحيى قدس الله سره : يا شيخي إن عبد الوهاب لا تطاوعه نفسه على مثل هذا الفعل ، ولكن رخصني فإني أعمل هذا الفعل عوضاً عنه لعله يعفى عنه وأنا أفدي نفسي في حاجه المسلم ، فبكى حضرة مولانا خالد قدس سره وتعانق مع الشيخ يحيى وبقيا يبكيان ثم قام حضرة الشيخ قدس سره لصلاة النافلة وذهب الشيخ يحيى قدس سره إلى محله ، وقال لعبد الوهاب فلا تلومن إلا نفسك ، وقام عبد الوهاب خائباً والعياذ بالله تعالى من سوء المنقلب .

ومن جملة أدب المترجم مع السنة أنه كان يعاون زوجته في غسل الثياب والطبخ وحوائج البيت ، وكان يغسل أولاده إذا ماتوا بنفسه ، ويقول لزوجته لا تضجري من موتهم ، واشكري الله تعالى . ولما قتل اليزيديون

---

(١) من المعلوم أن مما تتحقق به التوبة النصوح : الإقلاع عن الذنب في الحال ، والندم على ما فات ، والاستعداد لما هو آت ، قال تعالى : « إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً ، فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفوراً رحيما » الفرقان ، الآية (٧٠) وهذا الإذلال الوارد في السؤال ، ليس شرطاً شرعيا ، ولم يذكر له مستندا .

ولده العلامة المحقق عبد الرحمن في الجبال وأتى خبر قتله إليه وهو يدرس العلم ، قال حسبنا الله تعالى ونعم الوكيل ، ولم يترك الدرس ، ولما مات الحبر العلامة السيد اسعد صدر الدين الحيدري كان المترجم نازلاً في بيتهم ضيفا ، فقال أنا أغسل السيد المرقوم فقام وغسله على ملأ من الناس ، وكان السيد عبيد الله الحيدري يصب له الماء ، وصلى عليه مع خلائق لا يعلم عددهم إلا الله تعالى ، وكان ذلك في أوائل سنة ألف ومائتين وثلاث وأربعين . ثم لما توفي الشيخ المترجم قدس الله سره في بغداد تعاطى غُسله العالم الصالح الورع والتقي الملا حسين بن ملا جاجي والسيد محمد أمين ابن السيد عبد الله الحيدري وأخوه السيد صالح الحيدري وعدد كثير من العلماء الأعلام ، يصبون الماء على جسده الشريف مناوبة ، وصلى عليه العلامة الفهامة النحرير الشيخ عبد الرحمن الروزبهاني طاب ثراه ، ولم يبق أحد بحسب الظاهر من أهل بغداد إلا ومشى خلف جنازته ، وكأن القيامة في يوم موته قد قامت ، ودفن في جوار الغوث الأعظم والقطب الأفخم سيدي عبد القادر الجيلاني قدس سره ، وكان عمره يوم وفاته نحواً من مائة سنة ، ومات في حدود سنة ألف ومائتين وخمس وأربعين .

الشيخ يحيى افندي مفتي انطاكية بن المرحوم ...

عالم زمانه وإمام أهل وقته وأوانه ، عمدة الأماثل ونخبة الأفاضل ، ولد سنة ألف ومائتين وثلاثين تقريبا ، ثم منذ نشأ وشب أقبل على العبادة والطلب ، فبرع وفاق واشتهر في الآفاق وتفنن في العلوم وبرع في فنّي المنطوق والمفهوم ، وأقبل الناس عليه للاستفادة منه والنظر إليه ، وأخذ عن مشايخ ذوي رتب سامية أسانيدهم في الأخذ عالية ، ولما رأوا منه المعرفه التامة أجازوه بالإجازة العامة ، ثم ولي منصب الافتاء بانطاكية ، وله بإقليمها شهرة عالية ، وله معرفة بالسياسة قوية ، ومهارة بالألسنة الثلاث

العربية والتركية والفارسية ، ونظره في الأمور دقيق ، مقصود في الاستشارة لكل بعيد أو قريب أو عدو أو صديق .

وفي سنة ثلاثمائة واثنتين بعد الألف جاء إلى حلب جميل باشا والياً عليها ، وكان له شدة عظيمة على أهل الرآسة في حلب وما يتبعها من بقية الولاية ، فاضطر المترجم أن يخرج من محله وأن يخرج من الولاية فرحل إلى دمشق ، واتصل برؤوسها وولاتها وأكابرها وذواتها ، وله محاضرة عجيبة ، ومحافظة غريبة ، فكثيراً ما كان يستشهد تارة في العربية وتارة في التركية وتارة في الفارسية ، بأبيات لطيفة رقيقة ذات معان أنيقة ، وله حكايات ونوادر تشهد له أنه في الأدب له المقام النادر ، ومعرفته في الشطرنج حظها وافر ، فكان كثيراً ما يلعب به مع الحكام والأكابر ، وكانت لي معه الصحبة الوافرة ، والمحبة المتكاثرة ، والمباحثة والمذاكرة والمسامرة والمحاضرة ، وقد أخبرني بأنه ولد في الشام حين كان أبوه بهـا مستقيما ، ثم عاد به أبوه إلى وطنه المذكور ، ثم انه لا زال في الشام يعلو مقامه وينمو احترامه ، إلى أن وقع بينه وبين المشير حسين فوزي باشا بعض منافرة ، وكان قد عُزل جميل باشا من حلب فرجع إلى وطنه ، وذلك عام ألف وثلاثمائة وخمسة ، أطال الله بقاءه وحرسه بمنه وأبقاه (١) .

الشيخ يحيى بن علي بن محمد الشوكاني

العالم الذي فاق أهل زمانه وترقى في فضله على أهل أوانه ، ولحق من سلف وسبق من خلف ، ولد في رجب سنة ألف ومائة وتسعين ، قرأ على جملة من المشايخ المتصدرين والأفاضل الجهابذة المتصدين ، كالعلامة محمد

---

(١) قال الأستاذ الطباخ — بعد أن نقل هذه الترجمة عن (الحلية) — أقول : كانت وفاته — كما كتب لنا من انطاكية — أول ليلة من رمضان سنة ١٣١٤ عن اثنين وسبعين عاما ، فتكون ولادته على التحقيق سنة ١٢٤٢ رحمه الله تعالى .

ابن أحمد السودي ، والعلامة سعيد الرشيدي ، وكان مواظباً على الطاعة حافظاً أوقاته عن الإضاعة ، قليل الكلام ، كثير القيام في الظلام ، دائم الفكر حسن الصبر ، يحب الاستفادة ولا يبخل بالإفادة ، له مشاركة في العلوم وأعلا نثر وأحلا منظوم ، سيرته حسنة وأوصافه مستحسنة ، زاهد في الدنيا راغب في الأخرى ، كثير الأذكار في الليل والنهار ، محافظ على أوقاته متباعد عن غفلاته ، وقد أجاز واستجاز وكان في الحقيقة على أحسن مجاز . وبالجملة فهو حسنة من حسنات الزمن ، وفرد من أفراد قطر اليمن ، قد انتفع به الكثير وأخذ عنه الجم الغفير ، وانقاد له الأفاضل وذوو السيرة العاليـــة والشمائل ، توفي رحمه الله تعالى سنة ألف ومائتين وستين تقريبا .

الشيخ الإمام يحيى بن المطهر بن يحيى

العالم الفاضل الزاهد الورع العابد العامل ، عمدة الأقران ونخبة العصر والأوان . نشأ في مدينة صنعاء ولازم العلامة الشوكاني ، واستفاد من علومه ، وقرأ جميع مؤلفاته عليه ، وأكب على علم الحديث فبلغ فيه النهاية ، وترك التقليد واشتغل بالاجتهاد . وله شرح على سنن أبي داوود أربع مجلدات ، وله رسائل متعددة في فنون مختلفة ، توفي رحمه الله تعالى سنة ألف ومائتين وثمان وستين .

الشيخ يحيى بن عبد الرحمن بن محمد بن زين الدين بن عبد الكريم الدمشقي الشافعي الشهير بالكزبري

الشيخ الأمجد والإمام الأوحد ، علامة الزمان وفهامة الأوان . ولد بدمشق الشام ونشأ بها وأخذ عن علمائها ، ومن أجلهم والده المرقوم ، والعلامة الشهاب المنيني الكبير ، والإمام العلامة الثاني علي أفندي الداغستاني ، وأجازه خال والده العلامة علي بن أحمد بن علي الكزبري وغيرهم ، وكان

صالحاً عابداً فالحاً زاهداً متواضعاً فقيهاً محدثاً نبيهاً . توفي ثاني شهر محرم الحرام سنة إحدى ومائتين وألف ، ودفن في مرج الدحداح .

الشيخ يحيى المردست الحنفي الدمشقي

الإمام الفاضل والهمام الكامل ، علامة الزمان وفهامة العصر والأوان ، كان من العلماء العاملين والصلحاء الواصلين ، إمام المحققين وهمام المدققين ، وكان منقطعاً في المدرسة الباذرائية مقبلاً على الآخرة مدبراً عن الدنيا . توفي في دمشق سنة أربع وستين ومائتين وألف سابع عشر شهر شوال . ودفن في مقبرة الذهبية ، في مرج الدحداح .

الشيخ يحيى المسالخي الحلبي

الإمام الأديب الماهر ، والهمام الفاضل الباهر ، الكامل الفقيه واللوذعي النبيه ، أخذ عن الشيخ محمد الكزبري وعن غيره من المشايخ العظـام . توفي قريباً من عشرين ومائتين وألف ودفن في باب الصغير رحمه الله تعالى .

الشيخ يوسف أبو خرج الدمشقي المجذوب

الولي المشهور ، والقطب المعروف بطول الباع وبكل منقبة مذكور ، قد اشتهر فضله في هذه الديار اشتهار الشمس في رابعة النهار . وكان معتقداً لا منتقدا ، ومع جذبه كانت أحواله لا تنكر عليه بل تجد أموره مائلة إلى ظاهر الشرع مستندة إليه ، وكان جليلاً مهـاباً معظماً فخما ، عليه مخايل الولاية . توفي رحمه الله تعالى سنة ست وعشرين ومائتين وألف ، ودفن بباب الصغير وقبره ظاهر يزار .

الشيخ يوسف أبو الفتوح جمال الدين بن أحمد بن مصطفى بن احمد بن إبراهيم بن شمس العمري القادري الدمشقي الشافعي

الإمام ، المحدث الهمام ، العلامة المحقق والسيد السند المدقق ، ذو المعارف والكمال ، واللطائف والجمال ، عمدة المحققين ونخبة المدققين . ولد بدمشق

ليلة الثلاثاء ثاني ذي الحجة الحرام سنة ثمان وخمسين ومائة وألف ، وأخذ عن العلامة الشيخ عبد الرحمن العيدروس ، وأحمد بن خليل التميمي الخليلي ، ومحمد بن المرحوم ميرزا محمد ، وتاج الدين اليـاس زاده المدرس بالحرم الشريف ، والشيخ علي بن محمد بن سليم السليمي الصالحي ، وأبي الفتح محمد بن محمد العجلوني ، والسيد مصطفى بن ولي الدين محمد الأيوبي الأنصاري الحنفي الشهير بالرحمتي ، وعلي الكاملي ، وأحمد الداراني ، وحسن بن علي المدابغي ، وعيسى أفندي بن صبغة الله افندي الحيدري ، والسيد محمد البخاري ، وأحمد البعلي ، وأسعد المجلد ، ومحمد التافلاتي ، وعليم الله الهندي اللاهوري ، وإبراهيم الحافظ ، وعبد الرحمن بن الملا حسن الكردي ، وصالح الجينيني ، والشهاب أحمد المنيني ، وخليل الكاملي ، ومحمد العربيلي ، وابن بدير المقدسي ، وأبو الجود محمود الكردي الكوراني ، والسيد محمد السمان المدني ، وعيسى البراوي ، والشهاب الراشدي ، وعطية الأجهوري ، والحفني ، والملوي ، وأحمد الجوهري ، والدمنهوري ، ومحمد الفارسكوري ، وأحمد الطبنشي وغيرهم ، وعن الشيخ محمد الكزبري ، والشيخ علي الداغستاني[1] . مات رحمه الله تاسع شوال سنة خمس عشرة ومائتين وألف ودفن في مقبرة سيدي الشيخ أرسلان .

الشيخ يوسف بن عبد الله بن منصور السنبلاويني الشهير برزه

الشافعي الإمام العلامة النبيه الفاضل ، الأستاذ الفهامة ، العالم العامل . تفقه على بلديه الشيخ أحمد رزه ، وحضر دروس الشيخ الحفني والشيخ البراوي

---

(١) في « تعطير المشام في مآثر دمشق الشام » لأستاذنا القاسمي رحمه الله ما نصه : ولما توفي شيخه الداغستاني المذكور ، وكان مدرس قبة النسر ، طلب الدرس في المكان المذكور السيد محمد العطار أحد أكابر دمشق ، فوجه إليه ، ثم أناب في التدريس عنه صاحب الترجمة ، فدرس بالوكالة عنه الى وفاة السيد محمد المذكور ، وذلك سنة ١٢٠٩ هـ .

والشيخ عطية والشيخ الصعيدي وغيرهم من الأشياخ ، وأنجب ودرس وأفاد ، ولازم الاقراء ، وكان انساناً وجيهاً محتشماً ساكن الجأش وقوراً ، بهي الشكل، قانعاً بحاله لا يتداخل كغيره في أمور الدنيا ، يجمل الملابس ، لا يزيد على ركوب الحمار في بعض الأحيان لبعض الأمور الضرورية ، ولم يزل حتى تعلل وتوفي سنة سبع ومائتين وألف .

الشيخ يوسف المصيلحي الشافعي الأزهري

الشاب الصالح والمهاب الفالح ، الفاضل الفقيه والكامل النبيه ، حفظ القرآن والمتون ، وحضر دروس أشياخ العصر كالشيخ الصعيدي والبراوي والشيخ عطية الأجهوري والشيخ أحمد العروسي ، وحضر الكثير على الشيخ محمد المصيلحي وأنجب ، وأملى دروساً بجامع الكردي بسويقة اللالا . وكان مهذب النفس لطيف الذات حلو الناطقة مقبول الطلعة خفيف الروح ، ولم يزل ملازماً على حاله حتى اتهم أيضاً في حادثة الفرنسيس ، وقتل مع من قتل شهيداً بالقلعة سنة أربع عشرة ومائتين وألف ، ولم يعلم له قبر رحمه الله .

الوزير المعظم يوسف باشا والي الشام

أصله من الأكراد الدكرليه ، وينسب إلى الأكراد الملية ، وفي ابتداء أمره ، هرب من أهله وعمره إذ ذاك خمس عشرة سنة ، فوصل إلى حماة وتعاطى بيع الحشيش والسرجين والروث ، ثم خدم عند رجل يسمى ملا حسين مدة سنين ، إلى أن ألبسه قلبقاً ، ثم خدم بعده ملا اسمعيل بلكباش وتعلم الفروسية ، فلعب يوماً في القمار وخسر فيه وخاف على نفسه ، فخرج هارباً إلى عمر آغا باسيلي من اشرافات إبراهيم باشا المعروف بالأردن ،

فتوجه معه إلى غزة ، وكان مع المترجم جواد أشقر من جياد الخيل ، فقلد علي آغا متسلم غزة عمر آغا المذكور ، وجعله دالي باش [١] ففي بعض الايام طلب المتسلم من المترجم الجواد المذكور ، فقال له إن قلدتني دالي باش قدمته لك ، فأجابه إلى ذلك وعزل عمر آغا وقلد المترجم المنصب عوضاً عنه ، وامتنع من اعطائه ذلك الجواد ، وأقام في خدمته مدة ، فوصل مرسوم من أحمد باشا الجزار خطاباً للمترجم بالقبض على المتسلم ، واحضاره إلى طرفه ، وان فعل ذلك ينعم عليه بخمسين كيساً ومائة بيرق ، ففعل ذلك وأوقع القبض على علي آغا المتسلم ، وتوجه به إلى عكا بلدة الجزار ، فقال المتسلم للمترجم في أثناء الطريق تعلم أن الجزار رجل سفاك للدماء فـــلا توصلني إليه ، وان كان وعدك بمال أطلقني وأنا اعطيك أضعافه ولا تشاركه في دمي ، فلم يجبه إلى ذلك ، وأوصله إلى الجزار فحبسه ثم قتله ورماه في البحر ، وأقام المترجم بباب الجزار ثم أرسل إليه يأمره بالذهاب إلى حيث يريد فانه لا خير فيه لخيانته لمخدومه ، فذهب إلى حماة وأقام عند اسماعيل آغا وهو متولٍّ من طرف عبد الله باشا المعروف بابن العظم ، فأقام في خدمته كلارجي [٢] زمناً نحواً من ثلاث سنين ، وكان بين عبد الله باشا وأحمد باشا الجزار عداوة فتوجه عبد الله باشا إلى الدورة ، فأرسل الجزار عساكره ليقطع عليه الطريق ، فسلك طريقاً أخرى ، فلما وصل إلى جينين وجه الجزار عساكره عليه ، فلما تقارب العسكران وتسامعت أهل النواحي امتنعوا من دفع الأموال ، فما وسع عبد الله باشا إلا الرحيل ، وتوجه إلى ناحية نابلس وحاصر بلدة تسمى صوفين ، وأخـذ مدافع من يافـــا وأقام محاصراً لها ستة أيام ، ثم طلبوا الأمان فأمنهم ورحل

---

(١) رئيس ، آمر ، مقدّم .

(٢) محافظ مخزن المؤونة . (تركية)

عنهم إلى طرف الجبل مسيرة نصف ساعة ، وفرق عساكره لقبض أموال الميري من البلاد ، وأقام هو في قلة من العسكر ، فوصل إليه خيّال وقت العصر يخبره بوصول عساكر الجزار ، وأنه لم يكن بينه وبينهم إلا نصف ساعة ، وهم خمسة آلاف مقاتل ، فارتبك في أمره وأرسل إلى النواحي فحضر إليه من حضر ، وهم نحو الثلاثمائة خيال ، وبدائرته نحو الثمانين ، فأمر بالركوب ، فلما تقاربا هاله كثرة عساكر العدو وأيقنوا بالهلاك ، فتقدم المترجم إلى العسكر وأشار عليهم بالثبات ، وقال لهم لم يكن غير ذلك فإننا إن فررنا هلكنا عن آخرنا ، وتقدم المترجم مع آغاته ملا إسماعيل ، وتبعهم العسكر وولجوا وسط خيل العدو وصدقوا الحملة جملة واحدة ، فحصلت في العدو الهزيمة وركبوا أقفيتهم ، وتبعهم المترجم حتى حال الليل بينهم ، فرجعوا برؤوس القتلى والقلائع ، فلما أصبح النهار عرضوها على الوزير وهي نحو الألف رأس وألف قليعة ، فخلع عليهم وشكرهم ، وارتحلوا إلى دمشق ، وذهب المترجم مع آغاته إلى مدينة حماة ، واستمر هناك إلى أن حضر الوزير الأعظم يوسف باشا المعروف بالمعدنلي إلى دمشق ، بسبب الفرنساوية ، ففارق المترجم مخدومه في نحو السبعين خيالاً ، وجعل يدور بأراضي حماة بطالاً ، ويقال له قيس ، فيراسل الجزار لينضم إليه ، وكان الجزار عند حضور الوزير انفصل حكمه عن دمشق ووجه ولايتها إلى عبد الله باشا العظم ، فلما بلغ المترجم ذلك توجه إلى لقاء عبد الله باشا بالمعرة ، فأكرمه عبد الله باشا وقلده دالي باشا[1] كبيراً على جميع الخيالة حتى على آغاته ملا اسماعيل آغا ، وأقام بدمشق مدة إلى أن حاصر عبد الله باشا مدينة طرابلس ، فوصل إليه الخبر بأن عساكر الجزار استولوا على دمشق وبلادها ، فركب عبد الله باشا وذهب إلى دمشق ودخلها بالسيف ، ونصب عرضيه خارجها ، فوصل خبر ذلك

---

(١) رئيس ، مقدّم .

إلى الجزار ، فكاتب عساكر عبد الله باشا بتسليمهم ، لأن معظمهم غرباء ، فاتفقوا على خيانته والقبض عليه وتسليمه إلى الجزار ، وعلم ذلك وتثبته فركب في بعض مماليكه وخاصته إلى المترجم ، وهو إذ ذاك دالي باشا ، وأعلمه الخبر وأنه يريد النجاة بنفسه ، فركب بمن معه وأخرجه من بين العسكر قهراً عنهم ، وأوصله إلى شول[1] بغداد ثم ذهب على الهجن إلى بغداد ، ورجع المترجم إلى حماة فقبل وصوله إليها ورد عليه مرسوم الجزار يستدعيه ، فذهب إليه فجعله مقـــدم ألف ، وقلده باش الجردة فسافر إلى الحجاز بالملاقاة ، وكان أمير الحاج الشامي إذ ذاك سليمان باشا عوضاً عن مخدومه أحمد باشا الجزار ، فلما حصلوا في نصف الطريق وصلهم خبر موت الجزار ، فرجع يوسف باشا المترجم إلى الشام ، واستولى اسماعيل باشا على عكا ، وتوجـــه منصب ولاية الشام إلى إبراهيم باشا المعروف بقطر اغاسي ، أي اغات البغال ، وفي فرمان ولايته الأمر بقطع رأس اسماعيل باشا وضبط مال الجزار ، فذهب المترجم بخيله وأتباعه إلى إبراهيم باشا وخدم عنده ، وركب إلى عكا وحصروها ، وحطوا في أرض الكرداني مسيرة ساعة من عكا ، وكانت الحرب بينهم سجالا ، وعساكر اسمعيل باشا نحو العشرة آلاف ، والمترجم يباشر الوقائع وكل وقعة يظهر فيها على الخصم ، ففي يوم من الأيام لم يشعروا إلا وعسكر اسماعيل باشـا نافذ إليهم من طريق أخرى ، فركب المترجم وأخذ صحبته ثلاثة مدافع وتلاقى معهم ، وقاتلهم وهزمهم إلى أن حصرهم بقرية تسمى دعوق ، ثم أخرجهم بالأمان إلى وطاقه وأكرمهم ، وعمل لهم ضيافة ثلاثة أيام ، ثم أرسلهم إلى عكا بغير أمر الوزير ، ثم توجه إبراهيم باشـا إلى الدورة وصحبته المترجم ، وتركوا سليمان باشا مكانهم ، وخرج إسماعيل باشا من عكا وأغلقت أبوابها ، فاتفقت عساكره وقبضوا عليه وسلموه إلى إبراهيم باشا ، فعند ذلك برز

---

(١) إشارة البعيد .

أمر إبراهيم باشا بتسليم عكا إلى سليمان باشا ، وذهب بالمرسوم المترجم فأدخله إليها ورجع إلى مخدومه ، وذهب معه إلى الدورة ، ثم عاد معه إلى الشام ، وورد الأمر بعزل إبراهيم باشا عن الشام وولاية عبد الله باشا المعروف بالعظم ، على يد باشت بغداد ، فخرج المترجم لملاقاته من على حلب ، فقلده دالي باشا على جميع العسكر ، فلما وصل إلى الشام ولاه على حوران واربد والقنيطرة ليقبض أموالها ، فأقـــام نحو السنة ، ثم توجه صحبة الباشـــا مع الحج ، وتلاقوا مع الوهـابية في الجديدة فحاربهم المترجم وهزمهم ، وحجوا واعتمروا ورجعوا ، ومكثوا إلى السنة الثانية ، فخرج عبد الله باشا بالحج وأبقى المترجم نائباً عنه بالشام ، فلما وصل إلى المدينة المنورة منعه الوهابيون ، ورجع من غير حج ، ووصل خبر ذلك إلى الدولة فورد الأمر بعزل عبد الله باشا عن ولاية الشام وولاية المترجم على الشام وضواحيها ، فارتاعت النواحي والعربان ، وأقام السنة ولم يخرج بنفسه إلى الحج ، بل أرسل ملا حسن عوضاً عنه ، فمنع أيضاً عن الحج فلما كانت القابلة انفتح عليه أمر الدورة ، وعصى عليه بعض البلاد ، فخرج اليها وحاصر بلدة تسمى كردانية ووقع له فيها مشقة كبيرة إلى أن ملكها بالسيف ، وقتل أهلهـــا ، ثم توجه إلى جبل نابلس وقهرهم وجبى منهم أموالاً عظيمة ، ثم رجع إلى الشام واستقام أمره وحسنت سيرته ، وسلك طريق العدل في الأحكام ، وأقام الشريعة والسنة وأبطل البدع والمنكرات واستتاب الخواطىء وزوجهن ، وطفق يفرق الصدقات على الفقراء وأهل العلم والغرباء وابن السبيل ، وأمربترك الاسراف في المآكل والملابس ، وشاع خبر عدله في النواحي ، ولكن ثقل ذلك على أهل البلاد بترك مألوفهم ، ثم انه ركب إلى بلاد النصيرية [1] وقاتلهم وانتصر عليهم وسبي نســـاءهم

(١) فرقة من الغلاة ، يراجع ما كتب عنها في كتاب الملل والنحل ، للامام الشهرستاني القسم الأول (الطبعة الثانية ص ١٦٨) .

وأولادهم ، وكان خيّرهم بين الدخول في الإسلام والخروج من بلادهم ، فامتنعوا وحاربوا وانخذلوا ، وبيعت نساؤهم وأولادهم ، فلما شاهدوا ذلك أظهروا الإسلام تقية ، فعفا عنهم وعمل بظاهر الحديث وتركهم في البلاد ، ورحل عنهم إلى طرابلس وحاصرها بسبب عصيان أميرها بربر باشا على الوزير ، وأقام محاصراً لها عشرة أشهر حتى ملكها واستولى على قلعتها ، ونهبت منها أموال للتجار وغيرهم ، ثم ارتحل إلى دمشق وأقام بها مدة ، فطرقه خبر الوهابية أنهم حضروا إلى المزيريب ، فبادر مسرعاً وخرج إلى لقائهم ، فلما وصل إلى المزيريب وجدهم قد ارتحلوا من غير قتال ، فأقام هناك أياماً ، فوصل اليه الخبر بأن سليمان باشا وصل إلى الشام وملكها ، فعاد مسرعاً إلى الشام ، وتلاقى مع عسكر سليمان باشا وتحارب العسكران إلى المساء ، وبات كل منهم في محله ، ففي نصف الليل في غفلتهم والمترجم نائم وعساكره أيضاً هامدة ، فلم يشعروا إلا وعساكر سليمان باشا كبستهم ، فحضر اليه كتخداه وأيقظه من منامه ، وقال له ان لم تسرع وإلا قبضوا عليك ، فقام في الحين وخرج هارباً وصحبته ثلاثة أشخاص من مماليكه فقط ، ونهبت أمواله وزالت عنه سيادته في ساعة واحدة ، ولم يزل حتى وصل إلى حماة ، فلم يتمكن من الدخول اليها ومنعه أهلها عنها ، وطردوه فذهب إلى سيجر ، وارتحل منها إلى بلدة يعمل بها البارود ، ومنها إلى بلدة تسمى ريمة ، ونزل عند سعيد آغا فأقام عنده ثلاثة أيام ، ثم توجه إلى نواحي انكاهية بصحبته جماعة من عند سعيد آغا المذكور ، ثم إلى السويدة ، ولم يبق معه سوى فرس واحد ، ثم انه أرسل إلى محمد علي باشا صاحب مصر واستأذنه في حضوره إلى مصر ، فكاتبه بالحضور اليه والترحيب به ، فوصل إلى مصر في التاريخ المذكور ، فلاقاه صاحب مصر وأكرمه ، وقدم اليه خيولاً وقماشاً ومالا ، وأنزله بدار واسعة بالأزبكية ، ورتب له خروجاً زائدة من لحم وخبز وسمن وارز وحطب ،

وجميع اللوازم المحتاج اليها ، وأنعم عليه بجوائز وغير ذلك ، وأقام بمصر هذه المدة ، وأرسل في شأنه إلى الدولة ، وقبلت شفاعة محمد علي باشا فيه ووصله العفو والرضا ، ماعدا ولاية الشام ، وحصلت فيه علة ذات الصدر ، فكان يظهر به شبه السَّلَعة (١) مع الفواق بصوت يسمعه من يكون بعيداً عنه ، ويذهب اليه جماعة الحكماء من الافرنج وغيرهم ، ويطالع في كتب الطب مع بعض الطلبة من المجاورين ، فلم ينجع فيه علاج ، وانتقل إلى قصر الآثار بقصد تبديل الهواء ، ولم يزل مقيما هناك حتى اشتد به المرض ، ومات في ليلة السبت العشرين من شهر ذي القعدة سنة الف ومائتين وإحدى وثلاثين ، وحملت جنازته من الآثار إلى القرافة من ناحية الخلاء ، ودفن بالحوش الذي أنشأه الباشا وأعده لموتاه . وكانت مدة إقامته بمصر نحو الست سنوات ، فسبحان الحي الذي لا يموت .

الشيخ يوسف بن بدر الدين المغربي بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن عبد الله بن عبد الملك بن عبد الغني المراكشي السبتي المالكي المصري مولداً الدمشقي إقامة

إمام لا يباري وهمام في ميدان العلوم لا يجاري ، قد اتصف بالعلم والعمل ، ونال من مرغوبه فوق ما يتعلق به الأمل ، ورقا فضله وفاق ، واشتهر فضله في الآفاق ، وكان ورعاً زاهداً تقياً عابدا ، له شعر رقيق ونثر أنيق ، ومحاضرة لطيفة ، ومذاكرة ظريفة ، وسيرة حسنة ، وصفات مستحسنة ، قرأ على السادة الأفاضل إلى أن جمع الفضائل ، ومما اتفق له وكتب في صحيفته أن بعض الأروام القاطنين في دمشق الشام استولى على الدار التابعة لدار الحديث الأشرفية الواقعة في العصرونية ثم ضم إليها

(١) السَّلَعة : خراج في البدن أو زيادة فيه كالغدة بين الجلد واللحم ، والمسلوع من بجسده سلعة .

الزاوية الغربية من المدرسة المرقومة التي كانت محل تدريس الإمام النووى قدس سره ومحل روايته للأحاديث ، فصارت محلا لوضع براميل الخمر ، فتعرض المترجم المرقوم وطلب إعادة المحل لحاله ، ورفع الأمر إلى الوالي ، فلم تلتفت الحكومة إلى دعواه ، فتوجه المترجم إلى الاستانه وتعاطى أسباباً كثيرة لانقاذ هذا المحل من أيدي الرومي ، إلى أن استحصل فرماناً [١] سلطانياً في ذلك ، فعاد الى الشام وقدمه إلى الوالي فطرحه في زوايا الاهمال ، وبقي الأمر على ذلك ، ولم يقع المترجم على ثمرة ، الى أن جاء الأمير السيد عبد القادر المغربي أمير الجزائر من فرانسا الى الاستانة ، اجتمع به المترجم وشكى الأمر إليه ، ومشى مع الأمير الى بروسة محل إقامة الأمير في ذلك الوقت ، ثم انه استأذن من الأمير في العود الى الاستانة ، بقصد الرحلة إلى المدينة الشريفة والإقامة بها ، وبقي حضرة الأمير في بروسة بعد ذلك مدة طويلة ، نحو خمس سنوات ، ثم انه لما توالت هناك الزلازل ، وخربت كثيراً من المحلات ، وخرجت الناس من العمران وسكنت في الصحراء ، رحل الأمير الى دمشق الشام وأقام بها ، ورأى الأمر كما أخبره المترجم ، فأخذته الحمية الدينية والغيرة الإسلامية ، لانقاذ هذا المحل ، فأحضر الرومي ودفع له مالاً جزيلاً واشتراه منه ، وجعله وقفاً على المترجم وعقبه ، وأمر بترميم المسجد والمدرسة على نفقته ، ثم أرسل خبراً الى المترجم المرقوم الى المدينة المنورة ، وبعد حضوره من المدينة قرأ حضرة الأمير صحيح الإمام أبي عبد الله البخاري في المدرسة المرقومة ، وكان ختامه في اليوم الرابع والعشرين من شوال سنة أربع وسبعين ومائتين وألف ، وعند الختم قدم المترجم هذه القصيدة للأمير السيد عبد القادر :

بك المسرات قد نالت أمانيها ... يانعمة ما لها شيء يدانيهـــا
إن كان عيد الهنا تهنى بموسمه ... فالعيد كونك يا أقصى أمانيها

---

(١) أمراً سلطانيا .

يا نجل فاطمة الزهراء من فضلت ... طراً نساء الدنا من ذا يضاهيها
اني أهنيك بالعيد المبارك بل ... بكون مثلك في الدنيا أهنيها
نعم أهني دمشق الشام إذ ظفرت ... بمثلك الآن تغدو في ضواحيها
لما بدا وجهك الأبهى بساحتها ... ترادف الخير فيها مع نواحيها
لا سيما سيدي ما كان مدخراً ... من فك دار حديث من خنا فيها
بك استنارت وأحيا الله مربعها ... لما تلوت البخاري وسط ناديها
تلاوة ما سمعنا من تلاه بها ... من عهد يحيى النواوي في مغانيها
فاشكر إلهك إذ ولاك منه يدا ... ليست لغيرك جل الله معطيها
وابشر بخير فإن الله ذو كرم ... يخفي مقادير أشياء ويبديها
في علمه غيب أسرار إذا بلغت ... آجالها فلذا المخلوق يبديها
فالله يحبوكم عزاً كعزته ... أصحاب بدر الأولى ثم المضاهيها
لا زلت يانجل محي الدين مرتقياً ... أوج الكمالات باديها وخافيها
ودام اشراقكم فيها ولكم ... بالبيت ارخت (١)
واجعل دعاء بظهر الغيب جائزتي ... ولا تُعِد لي الدنا إذ لست أبغيها

وللمترجم المرقوم هذه القصيدة الآتية ، وقد أنشدها في ذلك اليوم عند ختم الصحيح بين يدي الأمير ، فأحببت ذكرها لاشتمالها على فضل الممدوح حضرة الأمير ، ودلالتها على فضل المترجم المذكور ، وهي :

باب القبول لهذا الختم قد فتحا ... فلاح من يمنه برق السعود ضحى
وهبّ من روضة الرضوان عارفة ... أضحى بها القلب مسروراً ومنشرحا
أما ترى السعد قد لاحت بشائره ... وطائر اليمن في أدواحه صدحا
وهذه أوجه الإقبال مسفرة ... والوقت بالبشر والإقبال قد سمحا
فسل إلاهك ماترجوه من أمل ... واضرع إليه فوجه القرب قد وضحا
وابسط يديك إلى مولاك مبتهلا ... فسعي من أم باب الله قد نجحا
ان البخاري معلوم الإجابة في ... ما أمه المرء في أقرانه ونحا

(١) ليتنا نقف على تمام البيت وتاريخه .

فما توسل محزون به ورجا ... إلا وأبدل من أحزانه فرحا
ولا تلاه لكشف الضر ذو حرج ... إلا تباعد عنه الضر وانفسحا
ولا تنفس من أنفاسه أرج ... إلا أتى فرج باللطف مفتتحا
فالهج به ورواة فيه قد وصلوا ... به حديث رسول الله متضحا
هم الأئمة تجلى كل داجية ... بنورهم وهم الأقطاب والصلحا
وهم أولو القرب في دنيا وآخرة ... والسادة القادة الهادون والنصحا
أهل الحديث حماة الدين تابعهم ... في متجر الحق والتحقيق قد ربحا
فازوا بدعوة خير الخلق ما وجدوا ... إلا ونور الهدى من وجههم لمحا
رووا حديث رسول الله عن كتب ... غضاً طرياً عليه الصدق متضحا
وقد نفوا كل شك عن شريعته ... فأرغموا أنف من للشك قد جمحا
جزاهم الله خيراً عن نبيهم ... ودينه وحباهم أجر من نصحا
وقد تسامى ابن اسماعيل في شرف ... بهم فنال العلا والفخر والمدحا
أدى إلينا صحيحاً من حديثهم ... بجامع فاق ترتيباً ومصطلحا
آتاه مولاه أجر المحسنين فقد ... أهدى المحدث عقداً ما له طمحا
قد اعتنى كل ذي دين وذي رشد ... به فحاز به التقديم والمنحا
ورددوا سرده في كل آونة ... يرجون من يمنه تقريب ما نزحا
وحاز قصب سباق في دراسته ... وفهمه عارف بالفضل قد رجحا
في مسجد الأشرف السلطان ما ومما ... دار الحديث بدرس أبهر الفصحا
ضبطاً وبحثاً مع الاتقان مقتضيا ... آثار من حلّها من سادة صلحا
مثل الإمام النواوي والمضاهي له ... ممن على منهج الإرشاد قد سبحا
فالله ينفعنا فضلا بجاههم ... ويكشف الكرب عن ذا الجمع والترحا
مولى به ملة الإسلام باسمة ... والدين عال وحال الناس قد صلحا
فكفه لذوي الحاجات بحر ندى ... وسيفه لضلال الكافرين محا

وصيته ألبس الإسلام عزته ⁂ وعلمه لمعاني الدين قد شرحا
نور النبوة يبدو في أسرته ⁂ وسرها من حلى أخلاقه وضحا
قد أكسب الدين رفعا والعلوم حلا ⁂ فالكفر أصبح والعصيان منطرحا
وعمّر العمر بالطاعات مجتهدا ⁂ في أشهر الخير للخيرات مقترحا
أدم إلهي لعز الدين عبدك من ⁂ للقادر انضاف وامنحه العلا منحا
هو الإمام ابن محي الدين من ظهرت ⁂ منه الكمالات في الدنيا كشمس ضحى
من قام لله في أمر الجهاد ومن ⁂ غدا به صدر دين الله منشرحا
في عصرنا ماسمعنا من سواه حُبى[1] ⁂ مثل الذي نال أو طرف كَبَهُو لها
أضحى له وزرا في كل نائبة ⁂ تعرو وحصناً حصيناً كلما سنحا
وجاء للدرس والإملا جهابذة ⁂ للبحث ان عدّ أو للفهم ان جنحا
قد لازموه ونالوا من معارفه ⁂ مايخرس اللسن أو مايبهر الفصحا
فليهنأ الحاضرون نيل مقصدهم ⁂ من الفوائد ان الباب قد فتحا
وليسأل القوم ماشاءوا لأنفسهم ⁂ من فضله الجم ان الله قد منحا .
والعلم أفضل ما ازدان اللبيب به ⁂ وخير ما اغتبق النحرير واصطبحا
وأسعد الناس من كانت بضاعته ⁂ علم الحديث الذي قد صح واتضحا
وأسند العلم أخذاً عن أئمته ⁂ فنال من علية الاسناد ما اقترحا
وللبخاري رجال يستغاث بهم ⁂ في المحل ان حل أو في الخطب ان قدحا
بجاههم اسأل الرحمن مغفرة ⁂ ورحمة تذهب الأحزان والترحا
ونكبة لعدوّ الدين عاجلة ⁂ تدير بالهلك والتدمير كل رحا
بك انتصرنا وانت الله ناصرنا ⁂ فالنصر منك لمن يدعوك مابرحا
انزل بهم ياشديد البطش قارعة ⁂ تكسوهم الذل والتبديد والبرحا
وامدد بنصرك والتأييد عبدك من ⁂ أضفته للمجيد القدر ممتدحا

(١) حباه يحبوه كذا : أعطاه إياه بلا جزاء والحبوة جمعه حُبى : مايحتبى به .

وانظم به شمل هذا الدين واكس به ... جمـاعة المسلمين الأمن والفرحا
واجعل بطـاعته يارب عصمتهم ... وألّف الكل واهد كل من نزحا
وزده حلمـاً وتوفيقاً وعـافية ... واجعله أفضل من أمسى ومن صبحا
وارفع عماد الهدى والدين واحم به ... شرع النبي وخذ من زاغ أوجمحا
واحفظ بطانته أركان دولته ... ممن أعان على خير ومن نصحا
ولا تدع لذوي العدوان قائمـة ... وطهر الأرض ممن عاث أو مرحا
بخاتم الرُسُل المختـار سيدنا ... محمد من به باب الهدى انفتحا
ما خاب من جعل المختار واسطة(١) ... ووصلة للذي يرجوه واقترحا
فإنه باب فضل الله ما برحت ... سحائب الجود منه تمطر المنحا
ما نال ذو مطلب دنيـا وآخرة ... إلا استعار من المختار ما منحـا
صلى عليه إله العرش ما طلعت ... شمس وما سارعيس بالحجيج ضحى
والآل والصحب ما انجاب الظلام وما ... ورق على غصن أيك ناح أو صدحا
أو قال يوسف بدر الدين مبتهلا ... باب القبول لهذا الختم قد فتحا

وللمترجم قصائد شهيرة ومقاطيع كثيرة ، وتأليفات بديعة ، وكتابات رفيعة ، وأسانيد عالية ، وأساتذة ذوو رتبة سامية . وقد أجازني بجميع ما تجوز له روايته عن مشايخه العظـام ، وقادته الكرام ، وقد انتفعت بفوائده ، وارتضعت من ثدي عوائده ، وأجازني أيضاً بسند عـال ، ينتهي فيه إلى القاضي شمهورش عن النبي ﷺ ، وكان كثير الالتفات إلي حسن الثناء علي ، يذاكرني بمشكلات المسائل ، ويعرض لي لأولى جواب أجلا الوسائل ، وكان يطلب مني كثيراً قراءة حصة من القرآن ، على طريقة التجويد والاتقان ، وكان يحفظ القرآن الكريم المصون ، وكثيراً من القواعد والمتون بأنواع الفنون ، ويستشهد بها لإظهار الصواب ،

(١) « وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » سورة الحشر الآية (٧) .

ولا يسأل عن شيء إلا وبأحسن الأجوبة أجاب . وله شرح على مولد العلامة الدردير ، لقد حمله من المعارف ما يحتاج إليه كل نحرير ، وحضر في الجامع الأزهر والمحل الأنور ، على أفاضل سادة وجهابذة قادة ، كالشيخ إبراهيم الباجوري ، والشيخ محمد الأمير ، وأمثالهما من كل همام خبير ، وساح في كثير من الأقطار وأخذ عن علمائها الأخيار ، حتى شهد له العموم بأنه قطب دائرة المنطوق والمفهوم . وكان له مع والدي محبة عظيمة ، ومودة جسيمة ، ومذاكرات تشهد لهما بالفضل والسيادة ، ونصائح تدل على سلوكهما مناهج السعادة . وكان كثير التلاوة ، ملازماً للصلاة على النبي ﷺ متمسكاً بالشريعة الغراء لا ينفك عن العمل بها إن فعل أو تكلم ، متخلقاً بالأخلاق النبوية متحلياً بالشمائل الأحمدية ، ان جلس في مجلس كان نقطة مدار كلامه ، وواسطة عقد نظامه ، مع ماعنده من الجسارة في إظهار اللائم ، والديانة التي دعته أن لا تأخذه في الله لومة لائم . وكان لا يهاب في الحق كبيرا ، ولا يخشى حاكماً ولا وزيرا ، فلذلك كان يهابه كل من رآه ، ويتأمل منه الخير كل من رجاه . وقد كان منهلاً لكل وارد ، وملجأ لكل راج وقاصد ، ولم يزل على حاله متزايداً في تقواه وكماله ، مستقيماً على أطواره متحلياً بأجمل أوطاره ، إلى أن دعاه المنون لمقامه الأجل المصون ، فلبى الدعوة العليا واختار الآخرة على الدنيا ، سنة تسع وسبعين ومائتين وألف ودفن في تربة باب الصغير .

الشيخ يوسف بن الشيخ عمر البشتاوي النابلسي محتداً الدمشقي وطنا النقشبندي طريقة

فاضل نجيب وعالم أريب ، وغصن في رياض المعالي رطيب ، وبدر في سماء الأدب لا يغيب . لم يزل صدراً للافادة ، يرعى في ربيع فضله ذوو الاستفادة . وله نظم ونثر تنقله الركبان ، وتقف دونه سوابق الحسن

والاستحسان ، قد ألقى الدهر له مقاليد الاسعاد ، وجعل من جملة مريديه الحاج محمد نجيب باشا والي بغداد ، واطلع محيـا بدره في أفق الجلالة والتعظيم ، وخفض له جنـاح ذوي الفضل والتكريم . ومن جملة نظمه مستغيثاً بسيدنا يحيى الحصور[1] ﷺ :

باكر مصل بني أمية في الدُّجا ... واعطف على كنز السماح معرجا
وارقب مهب الجود من أعتابه ... والزم لذياك المقـام أخا الحجا
يمم وقف متضرعـاً بجنـابه ... وابسط أكف الفقر في باب الرجا
وادعوه يا يحيى الحصور وقل له ... عطفاً على جان إليك قد التجا[2]
يا سيداً وصف الإله كمالـه ... في محكم التنزيل أضحى مدرجا
ذو الجاه يرجى في الخطوب ولم يزل ... عند الشدائد مسعفاً ومفرجـا[3]
إني رجوتك حاجة فاشفع بهـا ... عند الكريم ومن رجاك فقد نجا
عجل بها يا ابن الكرام أجب أجب ... فالأمر ألجـأ للجاج وأحوجـا
سل خالقي فيما رجوت اجابة ... واسأله لي من كل ضيق مخرجا
صلى عليك الله ربي دائمـاً ... ما البدر أشرق فاستنار به الدجا

ومن نظمه :

زر والديك وقف على قبريهما ... فكأنني بك قـد حملت اليهما
لو كنت حيث هما وكانا بالبقا ... زاراك حبـواً لا على قدميهما
ما كان ذنبهما إليك فطالمـا ... منحـاك نفس الود من نفسيهما
كانا إذا ما أبصـرا بك علة ... جزعـا لما تشكو وشق عليهما
كانا إذا سمعـا أنينك أسبلا ... دمعيهما أسفـاً على خديهما
وتمنيا لو صادفـا لك راحة ... بجميع ما تحويه ملك يديهما

---

(١) « إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لـكم » (الأنفال ، الآية ٩) .

(٢) قال تعالى : « وإذا سألك عبادي عني فاني قريب ، أجيب دعوة الداع إذا دعان ، فليستجيبوا لي ، وليؤمنوا بي ، لعلهم يَرشُدون » (البقرة ، الآية ١٨٦) .

(٣) وقال سبحانه : « أمَّن يجيب المضطر اذا دعاه، ويكشف السوء » (النمل ، الآية ٦٢).

فنسيت حقهما عشية أسكنـا دار البلا وسكنت في داريهما
فلتلحقنهما غـدا أو بعـده حتما كما لحقـا همـا أبويهما
ولتندمن على فعـالك مثل ما ندما همـا حقاً على فعليهما
بشراك لو قدمت فعلا صـالحا وقضيت بعض الحق من حقيهما
وقرأت من آي الكتاب بقدر ما تسطيعـه وبعثت ذاك إليهما
فاحفظ حفظت وصيتي واعمل بها فعسى تنـال الفوز من بريهما

وله نثر بديع وانشاء قدره رفيـع ، توفي رحمه الله تعالى في ثامن ذي الحجة الحرام سنة ثلاث وستين ومائتين وألف من هجرة سيد الأنام ، عليه أفضل الصلاة والسلام ، مدى الليالي والأيام .

الشيخ يوسف بن محمد البطاح الأهدل الشافعي

العلامة الماجد ، والتقي النقي الراكع الساجد ، نخبة العلماء وزبدة الفضلاء ، ولد سنة الف ومائة و . . . ثم بعد حفظ القرآن وتجويده مع الاتقان أخذ العلوم العقلية ، والمعارف النقلية ، عن السيد العلامة والسند الفهامة ، سليمان ابن يحيى الأهدل ، ولازمه كثيراً وكان لعمري بالملازمة جديرا ، وأخذ عن أهل اليمن والحرمين الشريفين ، وكانت له اليد الطولى في كل علم بلا ريب ولا مين . وتفرغ بمكة والمدينة تفرغاً عظيماً لنشر العلوم ، وبرع وفاق على ذوي المنطوق والمفهوم ، وألف ودرس ووقع به النفع العام ، ومن مؤلفاته : إفهام الأفهام شرح بلوغ المرام في مجلدين ، وكان رحب الصدر لين الجانب ، له في الدرس صبر عظيم وتقدير يزدري بالدر النظيم ، وقد قال فيه صاحب النفس اليماني :

العالم الفاضل النحرير أفضل من بث العلوم فأروى كل ظمآن

مات شهيداً في الوباء العام الواقع سنة الف ومائتين وست وأربعين الذي مات فيه خلائق لا يحصون عدداً من الحجاج ، حيث انتهى الأمر الى العجز

عن دفن الأموات ، وخلت في تلك السنة بيوت كثيرة في جدة ومكة من أهاليها بحيث لم يبق فيها أحد ، وتركت أموال عظيمة لا يدري من يستحقها من الورثة ، وكان ابتداء هذا الوباء من أرض الحبشة فكان يموت كل يوم أكثر من ألف ، وخلا كثير من القرى بحيث لم يبق فيها إلا المواشي والأموال ، ولا يزال ينتقل هذا الوباء في النواحي والأقطار ، والقرى والأمصار ، حتى عم البلاد الشامية والمصرية ، والتركية والعربية ، وكان تاريخ هذا العام « لنهلكن الظالمين » ، ومن الذي لم يظلم نفسه ، نسأل الله العفو والعافية والسلامة الوافرة السامية ، ودفن ذلك المترجم في مكة في مقبرة المعلى رحمه الله تعالى آمين .

الشيخ يوسف بن محمد بن علاء الدين المزجاجي الزبيدي الحنفي رحمه الله تعالى

قد انكب على العلم واجتهد ، حتى تميز بين العلماء وانفرد ، ولقد ترجمه العلامة الشوكاني بقوله : شيخنا المسند الحافظ ، ولد تقريباً عام الف ومائة وأربعة عشر ونشأ بزبيد ، وأخذ عن علمائها ، ومنهم والده ، وبرع في العلوم دراية ورواية إلى أن صار حامل لواء الإسناد في آخر أيامه ، ووفد الى صنعاء في شهر ذي الحجة سنة الف ومائتين وسبع ، وسمع منه العدد الكثير والجم الغفير . وقد رووا عنه أسانيد الحافظ الشيخ ابراهيم الكردي ، وهو يرويها عن أبيه عن جده علاء الدين ، عن الشيخ ابراهيم . مات رحمه الله تعالى سنة الف ومائتين وثلاث عشرة ، وكان رحمه الله تعالى له حب لآل بيت النبي ﷺ ويقول عند ذكر حبه لهم .

وهل يستوي ود المقلد والذي   له حجـــة في حبه ودلائل

يوسف بن اسماعيل بن يوسف بن اسماعيل بن محمد ناصر الدين النبهاني نسبة لبني نبهان قوم من عرب البادية توطنوا منذ ازمان قرية اجزم (بصيغة الأمر) الواقعة في الجانب الشمالي من أرض فلسطين من البلاد المقدسة ، وهي الآن تابعة لقضاء حيفا من أعمال عكا التابعة لولاية بيروت[١]

أقول ان هذا الإمام ، والشهم الأديب الهمام ، قد طلعت فضائل محاسنه طلوع النجوم الزواهر ، وسعدت مطالع شمائله بآدابه المعجبة البواهر ، فهو الألمعي المشهود له بقوة الادراك ، واللوذعي المستوي مقامه على ذروة الأفلاك ، وله ذكاء أحد من السيف إذا تجرد من قرابه ، وفكر إذا أراد البحر أن يحكيه وقع في اضطرابه ، ونثر يزري بالعقد الثمين والدر المنثور ، وشعر يدل على كال الادراك وتمام الشعور ، فهو فارس ميدان اليراع والصفاح ، وصاحب الرماح الخطية والأقلام الفصاح ، فلعمري لقد أصبح في الفضل وحيدا ، ولم تجد عنه النباهة محيصاً ولا محيدا ، وناهيك بمحاسن قلدها ، ومناقب أثبتها وخلدها ، إذا تليت في المجامع ، اهتزت لهـا الأعطاف وتشنفت المسامع . ومن جملة آثاره ، الدالة على علوه وفخاره ، تآليفه الشريفة ، التي من جملتها أفضل الصلوات ، على سيد السادات ، ووسائل الوصول ، الى شمائل الرسول ، والشرف المؤبد ، لآل محمد ، ﷺ وقد اطلعت على هذا الكتاب ، فوجدته قد ارتدى بالكمال وتمنطق بالصواب ، وقد اشتمل آخره على شذرة من ترجمة هذا الهمام ، قد ترجم بها نفسه فنقلتها بحروفها تتميماً للمرام .

---

(١) لم تعد تابعة لولاية بيروت ، بل احتلتها الصهيونية اليهودية العالمية منذ خمسة عشر عاما ، بمعاونة بعض الدول الأجنبية ، وأهلها مشرّدون ، « وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون » .

وهي : ولدت في قرية اجزم المذكورة آنفاً سنة خمس وستين تقريبا ، وقرأت القرآن على سيدي ووالدي الشيخ الصالح الحافظ المتقن لكتاب الله الشيخ اسماعيل النبهاني ، وهو الآن في عشر الثمانين كامل الحواس قوي البنية جيد الصحة ، مستغرق أكثر أوقاته في طاعة الله تعالى ، كان ورده في كل يوم وليلة ثلث القرآن ، ثم صار يختم في كل أسبوع ثلاث ختمات ، والحمد لله على ذلك ، « قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون »[1] ثم أرسلني حفظه الله وجزاه عني أحسن الجزاء إلى مصر لطلب العلم ، فدخلت الجامع الأزهر يوم السبت غرة محرم الحرام افتتاح سنة ثلاث وثمانين بعد المائتين والألف ، وأقمت فيه إلى رجب سنة تسع وثمانين ، وفي هذه المدة أخذت ما قدره الله لي من العلوم الشرعية ووسائلها ، عن أساتذة الشيوخ المحققين ، وجهابذة العلماء الراسخين ، من لو انفرد كل واحد منهم في اقليم ، لكان قائد أهله إلى جنة النعيم ، وكفاهم عن كل ما عداه في جميع العلوم ، وما يحتاجون إليه من منطوق ومفهوم ، أحدهم ، بل أوحدهم ، الأستاذ العلامة المحقق ، والملاذ الفهامة المدقق ، شيخ المشايخ وأستاذ الأساتذة سيدي الشيخ إبراهيم السقا الشافعي المتوفى سنة ألف ومائتين وثمان وتسعين عن نحو التسعين سنة ، وقد قضى هذا العمر المبارك الطويل في قراءة الدروس ، حتى صار أكثر علماء العصر تلاميذه إما بالذات أو بالواسطة ، لازمت دروسه رحمه الله ثلاث سنوات ، وقرأت عليه شرحي التحرير والمنهج لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري بحاشيتيهما للشرقاوي والبجيرمي ، وقد أجازني رحمه الله بإجازة فائقة وهي هذه بحروفها .

بسم الله الرحمن الرحيم لك الحمد على مرسل آلائك ومرفوعها ، ولك الشكر على مسلسل نعمائك وموضوعها ، بحسن الإنشاء وصحيح الخبر ،

---

(١) الآية (٥٨) من سورة يونس .

يا من تجيز من استجازك وافر الهبات ، وتجير من استجارك واعر العقبات ، فيغدو موقوفاً على مطالعة الأثر ، مابين مؤتلف الفضل ومتفقه ، ومختلف العدل ومفترقه ، جيد الفكر سليم الفطر ، يجتنى بمنتج قياسه شريف الفوائد ، ويجتبى بمبهج اقتباسه شريف الفرائد . ويحلى نفيس النفوس بعقود العقائد الغرر ، فان صادفه مديد الإمداد ، وصادقه مزيد الإنجاد ، وصفا مشربه الهني ولا كدر ، ووجد درر الجواهر ويا نعم الوجادة ، بادر عند ذلك بالاستفادة والإفادة ، ولا أشر ولا بطر ، فبذل المعروف وبدل المنكر ، إذ ليس عنده إلا صحاح الجوهر ، معتنى وما اقتنى غيرها عندما عثر ، لايزور ولا يدلس ، ويطهر ولا يدنس ، ولا يعاني الشرر ، فيامن منّ على هذا المنقطع الغريب ، ومنحه منحة المتصل القريب ، امنحني السلامة في داره ونجني من سقر ، ومنك موصول صلات صلواتك ومقطوعها ، وسلسل سلسبيل تسليماتك ومجموعها ، على سندنا وسيدنا محمد سيد نوع البشر ، وعلى آله وأصحابه ، وحملة شريعته وأحبابه ، ومن اقتفى أثرهم وعلى جهاد نفسه صبر .

أما بعد فلما كان الاسناد مزية عالية ، وخصوصية لهذه الأمة غالية ، دون الأمم الخالية ، اعتنى بطلبه الأئمة النبلاء أصحاب النظر ، اذ الدعيّ غير المنسوب ، والقعي غير المحسوب ، وسليم البصيرة غير أعشى الفكر ، ولما كان منهم الإمام الفاضل ، والهمام الكامل ، والجهبذ الأبر ، اللوذعي الأريب ، والألمعي الأديب ، ولدنا الشيخ يوسف بن الشيخ اسماعيل النبهاني الشافعي أيده الله بالمعارف ونصر ، طلب مني إجازة ليتصل بسند سادتي سنده ، ولا ينفصل عن مددهم مدده ، وينتظم في سلك قد فاق غيره وبهر ، فأجبته وإن لم أكن لذلك أهلا ، رجاء أن يفشو العلم وأنال من الله فضلا ، وأنجو في القيامة مما للكاتمين من الضرر ، فقلت : أجزت

ولدى المذكور بما تجوز لي روايته ، أو تصح عني درايته ، من كل حديث وأثر ، ومن فروع وأصول ، ومنقول ومعقول ، وفنون اللطائف والعبر ، كما أخذته عن الأفاضل السـادة ، الأكابر القادة ، مسددي العزائم في استخراج الدرر ، منهم أستاذنا العلامة ولي الله المقرب ، وملاذنا الفهامة الكبير تميلب ، بوأه الله أسنى مقر ، عن شيخه الشهاب احمد الملوي ذي التآليف المفيدة ، وعن شيخه احمد الجوهري الخالدي صاحب التصانيف الفريدة ، عن شيخهما عبد الله بن سالم صاحب الثبت الذي اشتهر ، ومنهم شيخنا محمد بن محمود الجزائري عن شيخه علي بن عبد القادر بن الأمين ، عن شيخه أحمد الجوهري المذكور الموصوف بالعرفان والتمكين ، عن شيخه عبد الله بن سالم الذي ذكره غبر ، ومنهم الشيخ محمد صالح البخاري ، عن شيخه رفيع الدين القندهاري ، عن الشريف الادريسي عن عبد الله بن سالم راوي أحاديث الأبر ، ومنهم سيـدي محمد الأمير ، عن والده الشيخ الكبير ، عن أشياخه الذين حوى ذكرهم ثبته الشهير ، ومنهم غير هؤلاء ، رحم الله الجميع ولي وللمجـاز ولهم أكرم وغفر ، وهؤلاء وغيرهم يروون عن جم غفير ، وجمع كثير ، كالشيخ الحفني والشيخ علي الصعيدي وغيرهما فسانيدهم مسانيدي فما أكرمها من نسبة وأبر ، وقد سمع مني المجاز كتباً عديدة ، معتبرة مفيدة ، كالتحـرير والمنهج ، وفقه الله لمحاسن مابه أمر ، آمين ، بجاه طه الأمين ، في ١٨ رجب سنة الف ومائتين وتسع وثمانين هجرية .

الفقير اليه سبحانه ابراهيم السقا الشافعي بالأزهر عفي عنه . ومن أشياخي المذكورين سيدي الشيخ المعمر العلامة السيد محمد الدمنهوري الشافعي المتوفى سنة الف ومائتين وست وثمانين عن نحو التسعين سنة ، وسـيدي العلامة الشيخ ابراهيم الزرو الخليلي الشافعي المتوفى سنة الف ومائتين وسبع وثمانين

عن نحو السبعين ، وسيدي العلامة الشيخ أحمد الأجهوري الضرير الشافعي المتوفى سنة الف ومائتين وثلاث وتسعين عن نحو الستين ، وسيدي العلامة الشيخ حسن العدوي المالكي المتوفى سنة الف ومائتين وثمان وتسعين عن نحو الثمانين ، وسيدي العلامة الشيخ السيد عبد الهادي نجا الابياري المتوفى سنة الف وثلاثمائة وخمس وقد أناف على السبعين ، رحمهم الله أجمعين ، وجمعني بهم في مستقر رحمته بجاه سيد المرسلين . ومنهم وحيد مصر وفريد هذا العصر سيدي العلامة الشيخ شمس الدين محمد الانبابي الشافعي شيخ الجامع الأزهر الآن ، لازمت دروسه سنتين في شرحي الغاية لابن قاسم والخطيب وفي غيرهما ، وسيدي العلامة الشيخ عبد الرحمن الشربيني الشافعي ، وسيدي العلامة الشيخ عبد القادر الرافعي الحنفي الطرابلسي شيخ رواق الشوام ، وسيدي العلامة الشيخ يوسف البرقاوي الحنبلي شيخ رواق الحنابلة حفظهم الله ، وأطال أعمارهم وأدام النفع بعلومهم . ولي شيوخ غيرهم ، منهم من هو موجود الآن ، ومنهم من قد دخل في خبر كان ، وكلهم علماء أعلام ، جزاهم الله عني خيراً وجمعني بهم في دار الكرامة والسلام .

الشيخ يوسف بن عبد القادر بن محمد المشهور بالأسير

شيخ فاضل ، وعالم كامل ، ذو أسلوب حسن ، وبلاغة ولسن ، وقريحة جيدة ، وفكرة لما تبديه مجودة ، قد سار ذكره مسير المثل ، واشتهر أمره اشتهار الأثل ، وانتفع به عدد وافر ، وأذعن لفضله أعيان الأكابر ، ولد في مدينة صيدا في حـــدود سنة الف ومائتين واثنتين وثلاثين ، وتعلم القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين على الشيخ ابراهيم عارفة ، وجوّده على الشيخ علي الديربي ، ثم شرع في طلب العلم ، فقرأ على الشيخ محمد الشرنبالي نحو خمس سنين ، ثم توجه إلى دمشق الشام ، فحضر على أعيان علمائهـا الأعلام ،

وأقام في المدرسة المرادية ستة أشهر ، وذلك سنة سبع وأربعين بعد المائتين والف ، ثم بلغه وفاة والده فعاد إلى وطنه وبلده ، وأقام بها نحو ثلاث سنين يتعاطى التجارة في مكان أبيه ، ويربي إخوته مع عدم تركه لطلب العلم ، ثم توجه إلى الأزهر الشريف فأقام به سبع سنين ، وقرأ فيه على جملة من العلماء الأعلام ، منهم الشيخ محمد الشبيني والشيخ محمد الطنتداني والشيخ محمد الدمنهوري والشيخ ابراهيم الباجوري والشيخ أحمد الدمياطي وغيرهم ، ثم عاد إلى بلده صيدا وقرأ بها الفقه للعموم ، ثم توجه إلى طرابلس الشام وأقام بها نحو ثلاث سنين ، فحضر عليه بها جماعة من أفاضلها ، ثم تقلد القضاء في لبنان نحو سبع سنين ، ثم صار معاوناً لقاضي بيروت ، ولم يزل يتعاطى التدريس للعموم وللخصوص ، وقد ألف جملة من الكتب ، منها رائض الفرائض ، ومنها شرح أطواق الذهب ، وغيرهما ، ومن نظمه :

لطيبة الغراء ذات النور	سِرْ بي أَمَرْ
فان بي لتربها الكافور	شوقاً أَمَرْ
ابقى إذا ما لاح للبرق ابتسام	من نحوها أو فاح لي عرف انتسام
أو مَرَّ بي ذكر لتلك الدور	كالمحتضر
قد جدّبي وجدي وأغراني الغرام	إلى مقام المصطفى خير الأنام
من جاء كالمصباح في الديجور	يهدي البشر
وقام يسعى في صلاح المهتدين	ثم انتحى للماردين المعتدين
مثل انتحاء الباز للعصفور	حتى قهر
وجاء للخلق بقرآن مجيد	في الدين والدنيا بلا شك مفيد
ألفاظه كاللؤلؤ المنثور	فُصحٌ غُرَرْ
حلو المعاني لذة للسامعين	يا حبذا هادٍ إلى الحق المبين
به انمحت آثار كل زور	لما ظهر

كم من براهين على صدق الرسول فيه وكم داع لأرباب العقول
إلى الهـدى والعمل المبرور وكم عِبَرْ
محمـد رسول رب العالمين بر رؤوف راحم بالمؤمنين
وقد غزا بجيشه المنصـور من قد كفر
وعنه قد أخبرنا موسى الكليم بأنه رسول مولانا الكريم
وخط في كتابه المسفور هذا الخبر
كذاك روح الله عيسى عنه قال بأنه ليس لشرعـه زوال
وذاك في انجيـله المسطور قد انسطر
يا ربنا احشرنا جميعاً آمنين ومن نحب من خيار المسلمين
تحت لواء عزه المنشـور يوم الحذر
عليه من ربي الصلاة والسلام وآله وصحبه الغر الكرام
ما انتظم الورد مع المنثور غب المطر
وغرد القمري مع الشحرور فوق الشجر

ومن موشحاته التي عارض بها الأندلسيين قوله :

يا بريقاً من ربا نجـد بدا حي عني حي ذاك الوطن
لست أنسى حسن أنس أبدا كان كالعرس بذاك المسكن

دور

شهد الله شجـاني ذكره لأريج جـاء من أرجائه
فعليّ اليوم حقـاً شكره والثنـا مني على اثنـائه
لا تلم صبـاً فبدى سُكره ان تلا الأنباء عن أبنائه
هم بدور الدور أرباب الندى وأولو الحسن وأهل اللسن
سكنوا الوادي دهراً ففدا كسما الدنيا كذا في حضن

دور

بينهم لي فرقد قد أشرقـا ورعى مني الحشـا لاذمي
يتهادى بين غزلان النقـا كتهادي البدر بين الأنجم
مفرد العصر جمالا مطلقـا فلذا أسري إليـه ينتمي
منجد لكنه ما أنجـدا متها في وصله من شجن
مخلف وعد وصالي سرمدا وإذا أوعدني لم يخن

دور

ياله ظبيـا بعقلي لعبـا طلق الوجه وقيـد الناظر
فاق إن قيس ببلقيس سبا[1] مع سنا الملك بحسن باهر
نونه أبدى سبيلا عجبـا صيده الصيد بجفن فـاتر
ومن الشـام له خال شدا بلبلا في مصر حسن الحسن
ومن الحور له القلب فـدا طرفه الهندي اليماني اليزني

دور

كنز در ثغره قد حرسـا بارق رطب أنيق منتظم
عجبا كيف به قد غرسـا في عقيق وبيـاقوت ختم
يا حريقي لو أسا مني الأسى[2] برحيق فيه بالريق ومـم
كنت أروي القلب من حر الصدى وأرى طرفي لذيذ الوسن
وأصوغ الشعر شفعا مفردا في حلى الشهم الزكي الفطن

دور

---

(١) بلقيس بنت الهدهاد بن شرحبيل من حِمْيَر ، ملكة سبأ ، يمانية من أهل مأرب ورد ذكرها في القرآن الكريم ، وتراجم ترجمتهـا ومصادرها في الأعلام ، للأستاذ الزركلي .

(٢) أسا يأسو الجرح : داواه ، والأسى : الحزن من أسِيَ يأسَى بمعنى : حزن .

هو ذو الفضل سليم سلما   من عدو وظلوم وحسود
طلب العلم فأمسى حلما   فيه وازداد ارتقاء في السعود
وهو من قوم فخام كرما   زانهم مجد وافضال وجود
فهو في تلك المزيّات اقتدى   بأبيه ذي العلا عبد الغني
من لأهل الفقر أضحى سنداً   ودواماً عنده الفضل عني

دور

باسم شهر الصوم في القوم اشتهر   وهو ذو فضل على باقي السنه
وهو في الأعيان ذاك المعتبر   مدحته في الصدور الألسنه
ذو أيادٍ بهرت جود المطر   وهو في تلك الوجوه الحسنه
كعبة للجود ركن للجدا   محمل المدح لكل الألسن
فهو في عصر سعيد وجدا   ثم لا زال بطول الزمن

دور

ملتقى الأبحر تلقى داره   وبها المجد ينادي با لفصيح
أبشروا بالسعد يا أقماره   واهنأوا بالمنزل العالي الفسيح
وقلا بشر بها آثاره   وبها رونقه زاه صريح
فهي صرح بالمعالي مردا   والمعالي وعلى التقوى بني
مُدّ باليمن وفيه شيدا   قصرها دام بذاك المأمن

دور

وبنوا بانيه أبناء العلا   كنجوم في سماء بل بدور
قصروا الجهد على نيل العلا   فاستطالوا وسواهم في قصور
واستووا في أوجها حيث علا   وعلى الأوجه منهم كل نور

عندهم سوق المعالي والهدى نافق والكل بالعلم غني
فهم الغرّ الكرام السعدا والثنا منهم عليهم ينثني

دور

لسليم الطبع أهدي جلا ذاك من حلفي ويانعم الرفيق
هو ممدوحي لدى كل الملا وهو حقا كامل حر رقيق
فهو لازال كريماً مفضلا لذوي الحب ومسرور الصديق
فأهنيه وأهدي منشدا بهداء شاديا في العلن
فهنيئاً تم تاريخ بدا جليت شمس إلى البدر السني

وله نظم كثير ، ونثر بديع شهير ، وقد نعاه الناعي ليلة السبت خامس ربيع الثاني سنة سبع وثلاثمائة والف ، فندبه كماله وفضله ، وبكاه العلم وأهله ، وحزن له البعيد والقريب ، وأسف لفقده النسيب والغريب ، وانفتح للتعازي والمراثي باب المقال ، وانفسح للنوادب في تعداد محاسنه المجال ، وعظم الكرب والهم ، واشتد الخطب والغم ، وقد ألبس الحزن بلدته لباس البوس ، ووجه نحوها وجهه العبوس ، وفي صباح ذلك اليوم حشر الناس لحضور مناحته ، وشهود تشييع جنازته ، وبعد تجهيزه والصلاة عليه وتوجيه أعالي الدعوات اليه ، سار الناس بنعشه والنوح يحدوه ، وصياح اللوعة لايعدوه ، إلى أن دفنوه ، في مقبرة البشورة ، ولا غرو فانهم فقدوا من بلدهم فاضلا عالماً عاملا كاملا ، كان خير جليس مفيد ، وملجأ للمتعلم والمستفيد ، وما أحسن ماقيل من بديع الأقاويل :

الا إنما الدنيا نظارة أيكة إذااخضرمنهاجانبجفجانب
هي الدار ماالآمال إلا فجائع عليها ولا اللذات إلا مصائب
فلا تكتحل عيناك فيها بعبرة على ذاهب منها فانك ذاهب

مستدركات

بيان وإيضاح

يقول الضعيف محمد بهجة البيطار : كان استعار مني الشيخان الجليلان محمد راغب الطباخ – مؤلف تاريخ حلب – ومحمد جميل الشطي مؤلف روض البشر – استعارا مني تاريخ الأستاذ الجد « حلية البشر » ونقلا منه مافاتهما في تاريخيهما معزوّاً إلى المؤلف ، رحمهم الله تعالى وأثابهم على عملهم خير الثواب .

وأرى الآن أن أنقل ملاحظة للأستاذ الشطي كان كتبها بخطه ، وهي محفوظة عندي ، وأجيب عنها بما هو واضح للقراء . قال رحمه الله تعالى : يستغرب من أستاذنا المؤلف أنه لم يترجم شقيقه العلامة الفقيه الشيخ محمد البيطار ، مع أنه ترجم ولده الشيـخ محمود البيطار ، فلا عجب إذا لم يترجم صديقيه العالمين الشيخ محمد الشطي والشيخ أحمد الشطي ، رحمه الله رحمة واسعة ، آمين اه . (ج . ش)

والجواب عن هذا الاستغراب ، ما نشرته في مقدمة الكتاب ، وهو أن مؤلفه رحمه الله ورضي عنه ، قـد كتبه في أدوار متفرقة من أيام شبابه وكهولته وشيخوخته ، ثم ترك الكتابة والتصحيح فيـه قبل وفاته بأكثر من عشر سنوات ، لما أضرّ بيده اليمنى من الأسى والشلل القليل ، إلى أن توفاه الله تعالى سنة ١٣٣٥ هـ . غير أنك تجد في « حلية البشر » من الفوائد ما لا تجده في غيره ، وقد اعتذرت عن المؤلف في كل ما يظهر فيه مجال للنظر أو موضع للنقد ، بنحو ما تقدم من ضرورات ألجأته إلى ترك الكتابة . على أني استدركت بعض ما فات المؤلف أو سها عنه ،

ومنه الترجمة لشقيقه الأكبر الشيخ محمد ، فقد أوردتها في آخر من اسمه محمد من حرف الميم ، واني مورد هنا ما كتبه صديقنا الأعز الشيخ محمد جميل الشطي في تاريخه لصديقي المؤلف الشيخين محمد وأحمد الشطي ، رحم الله الجميع رحمة واسعة .

قال في « تراجم أعيان دمشق في نصف القرن الرابع عشر الهجري » مانصه :

الشيخ محمد الشطي

ترجمه ولده سيدي العم مراد افندي فقال ما خلاصته : هو محمد بن حسن بن عمر بن معروف الشطي الحنبلي الدمشقي . العالم الفاضل الفقيه الفرضي الحيسوبي الهمام ، كان من أعيان العلماء سخياً ودوداً حسن العشرة . ولد بدمشق في ١٠ جمادى الثانية سنة ١٢٤٨ ، ونشأ في حجر والده العلامة ، وقرأ القرآن وجوده وحفظه على الشيخ مصطفى التلي ، ولازم دروس والده توحيداً وفقهاً وفرائض وحساباً ونحواً وصرفاً وغير ذلك ، وبه تخرج وانتفع ، واستجاز له والده المنوه به من أئمة دمشق وقتئذ الشيخ سعيد الحلبي والشيخ عبد الرحمن الكزبري والشيخ حامد العطار والشيخ عبد الرحمن الطيبي ونزيل دمشق الشيخ محمد التميمي ، فأجازوه ، وروى عنهم حديث الأولية ، ولازم بعد وفاة والده (سنة ١٢٧٤ هـ) الشيخ عبد الله الحلبي فحضر عليه طرفاً من الحديث والفقه والنحو . ولما ورد إلى دمشق الشيخ محمد أكرم الأفغاني ، لازمه مدة في علم الفلك وغيره ، وكتب له إجازة عامة .

وقد عُني المترجم بالتأليف والجمع ، فألف وجمع كتباً ورسائل جمة . منها فى الفرائض رسالة الفتح المبين (طبعت بدمشق سنة ٣١٣ ثم أعيد طبعها سنة ٣٥٣) وكتاب صحائف الرائض ، وقد جعل في كل صحيفة منه بحثاً خاصا . ومنها في الهندسة بسط الراحة لتناول المساحة ، اختصره من كتاب والده ، وذيله بخريطة فيها رسم الأشكال الهندسية ، مع بيان

مساحتها بالأرقام ، (مطبوعة) ، وكان أرسلها إلى الأستانة ، فأصدرت نظارة المعارف أمرها بطبعها ومكافأته عليها ، وذلك سنة ٢٩٢ ، ومنها في الفقه : توفيق المواد النظامية لأحكام الشريعة المحمدية ، نحو مائتي مادة ، (طبعت في مصر سنة ٣٢٥) وتسهيل الأحكام فيما يحتاج إليه الحكام ، نحو ألف مادة ، والقواعد الحنبلية في التصرفات العقارية (مطبوعة) ومنها شرح على الدور الأعلى للشيخ الأكبر ، وشجرة في النحو على طريقة الإظهار واختصر منسك والده ومعراجه (مطبوع) وجمع دفتراً كبيراً في تقسيم مياه دمشق وبيان أسهمها المترية ، وله غير ذلك .

وكان يميل إلى إحياء المذاهب المندرسة ونشرها ، وله اطلاع واسع على أقوال المجتهدين ، حتى ان العلامة محمود أفندي الحمزاوي مفتي دمشق كان طلب منه جمع مسائل الإمام داود الظاهري ، فجمع رسالة في ذلك قدمها إليه في أيام يسيرة ، (طبعت بدمشق سنة ١٣٣٠) . ثم ذكر وظائفه وأعماله مرتبة على السنين ، وكانت وفاته سنة ١٣٠٧ ، ودفن في مقبرة الذهبية بمشهد عظيم انتهى .

قال : وقد ترجمه الأستاذ القاسمي في تاريخه المخطوط ، والسيد تقي الدين في تاريخه المطبوع ، رحمه الله وجزاه عنا خيراً ، (قال) : وأعقب صاحب الترجمة أولاده الأربعة والدي العالم الفرضي عمر افندي المتوفى سنة ٣٣٧ ، والتقي معروف افندي المتوفى سنة ٣١٧ والمتفنن مراد افندي المتوفى سنة ٣١٤ والقاضي المتقاعد الشيخ حسن افندي الباقي الآن سلمه الله اه . توفي الشيخ حسن في ٢٨ جمادى الأولى سنة ١٣٨٢ هـ ٢٦ ت الأول ١٩٦٢ رحمه الله تعالى .

الشيخ أحمد الشطي

هو أحمد بن حسن بن عمر الشطي الدمشقي ، مفتي الحنابلة بدمشق ، وأحد علمائها الأعلام ، المحدث الفقيه الفرضي الحيسوبي . أستاذي وعم والدي . ولد في ٢٤ صفر سنة ١٢٥١ ، ونشأ في حجر والده العلامة على أكمل تربية وأحسن أدب . وقد قرأ القرآن وجوّده وحفظه على الشيخ مصطفى التلي ، ثم لازم دروس والده من حديث وفقه وفرائض وحساب وهندسة ونحو وغير ذلك ، وبه انتفع وتخرج ، واستجاز له والده المنوّه به من علماء دمشق وقتئذ : الكزبري والعطار والحلبي والطيبي والتميمي نزيل دمشق ، فأجازوه ، وروى عنهم حديث الرحمة بأولية حقيقية ، واستجاز كلا من الشيخ أحمد البغال والشيخ قاسم الحلاق فأجازاه ، ولازم بعد وفاة والده الشيخ عبد الله الحلبي وحضر دروسه . ولما توفي والده سنة ٢٧٤ قدم للتدريس في مكانه ، فدرس في محراب الحنابلة من الجامع الأموي في محفل عظيم ، واستمر يدرس به في رمضان إلى وفاته — وأما دروسه الخاصة في داره فكانت شائقة جداً ، بحيث يجتمع عنده كثير من الطلاب ، فيقرئهم في الحديث والتوحيد والفقه والفرائض والحساب والنحو . وكان حلو التقرير ، حسن التعبير ، طلق اللسان ثابت الجنان ، ولم يؤلف شيئاً ، وإنما كانت له حواش مفيدة على بعض كتب الفقه والفرائض ، وقد انتفع به خلق كثير من دمشق ونابلس ونجد وحوران ودوما وغيرها ، وفيهم علماء معروفون . وفي سنة ٢٧٣ وجهت عليه من الدولة العثمانية رتبة تدريس ادرنة . وفي صفر سنة ٢٨٨ وجهت عليه فتوى الحنابلة بدمشق ، بإذن من مفتي دمشق العام ، فأفتى في حوادث شتى ، وفي سنة ٢٩٥ ولي نيابة محكمة العمارة بدمشق . ولما توفي الشيخ محمد البرقاوي قاضي الحنابلة ، ولي القضاء في مكانه واستقال من النيابة ، ولم تطل مدته فيه حيث ألغي القضاء من أصله يومئذ ، وكان ترك له أخوه سيدي الجد فرضية البلدية بدمشق ، فاستقر بها وبالفتوى إلى وفاته .

وتولى هو والجدّ الموما إليه نظارة وتدريس المدرسة البادرائية ، وكانا مرجع أهل دمشق في المناسخات والمساحات وتقسيم المياه والدور . وبالجملة فقد كان المترجم حسنة من حسنات الدهر . وكانت وفاته فجأة عقب نزوله من بستان قرب الربوة ، وذلك يوم الاثنين ١٢ صفر عام ١٣١٦ ﻫ ودفن في مقبرة الذهبية بمشهد حافل رحمه الله تعالى .

وقد ترجمه الأستاذ القاسمي والشريف تقي الدين في تاريخيهما وأثنيا عليه كثيرا ، وأعقب المترجم أولاده الأربعة ، العالم الصوفي الشيخ مصطفى افندي المتوفى سنة ١٣٤٨ والنبيل طاهر افندي المتوفى سنة ١٣٥٦ ، والذكي سعيد افندي المتوفى سنة١٣١٥رحمهم الله ، والوالي المتقاعد عبد اللطيف الباقي الآن حفظه الله . وقد توفي ٢ رجب سنة ١٣٦٧ ﻫ رحمه الله تعالى

الشيخ محمد جميل الشطي

يقول الضعيف محمد بهجة البيطار :

بعد أن أوردنا تراجم الأعلام الثلاثة : الشيخ محمد بن حسن البيطار ، والشيخين الأخوين محمد وأحمد الشطي ، استجابة لاستدراك صديقنا الشيخ محمد جميل الشطي رحمه الله ، رأينا أن نختم هذه التراجم بترجمته لنفسه مكتوبة بقلمه في كتابه (روض البشر) وبها نختم تراجم الأستاذ الجد البيطار لمؤلفه (حلية البشر) والحمد لله أولاً وآخراً .

قال : جرى بعض المؤلفين والمؤرخين ، على أن يترجموا أنفسهم في آخر كتبهم صوناً لسيرتهم من التشويه والعبث . وهي فكرة حسنة إذا لم يكن في الترجمة ما ينكره المعاصرون من أرباب العقل والفضل (انظر صحيفة ٩٠) على انا لا نكلف أحداً بشهادة أو مجاملة . وانما نريد ذكر وقائع وحوادث ظهرت للعيان ، وشهد بها الزمان والمكان ، فها نحن نذكر من ذلك ما استحضره الفكر ، وصلح للذكر ، فنقول :

كان مولدي بدمشق في ١٨ صفر سنة ١٣٠٠ ومن الاتفاق الغريب انها آخر سنة في هذا القرن الذي عنيت بتاريخه ، ونشأت في حجر والدي عمر افندي رحمه الله ، وقرأت مبادىء العلوم على عمي مراد افندي ، ثم على الشيخ أبي الفتح الخطيب ، وأخذت الفقه والفرائض عن والدي ، ثم عن عمه الشيخ أحمد الشطي ، وتلقيت طرفاً من الحديث عن العلامة الشيخ بكري العطار ، ثم عن العلامة الشيخ بدر الدين المغربي ، وحضرت دروس الأستاذ صاحب التآليف الشيخ جمال الدين القاسمي ، وغيره من علماء دمشق ، واستجزت بعض الشيوخ فأجازوني بما تجوز لهم روايته لفظاً وخطاً جزاهم الله عني خيراً — وقد طالعت بنفسي بعض كتب التفسير والحديث والفقه والفرائض وانتفعت بها ولله الحمد .

وقد ولعت بالأدب والتاريخ وانا دون الخمسة عشر فنظمت ونثرت ، وكان باكورة أعمالي رسالة في تراجم بني فرفور ، سميتها الضياء الموفور جمعتها سنة ١٣١٧ وهي مخطوطة توجد الآن في دار الكتب الظاهرية — وفي سنة ١٣٢٢ طبعت القطعة الأولى من منظوماتي — وفي سنة ١٣٢٣ شرعت بجمع تاريخ القرن الثالث عشر — وفي سنة ١٣٢٩ طبعت القطعة الثانيـــة من منظوماتي — ورسالتي الأولى في علم الفرائض — وفي سنه ١٣٣١ ترجمت وطبعت قانون الصلح وغيره من القوانين التركية المعمول بها اليوم — وفي سنة ١٣٣٩ طبعت معجماً كنت جمعته في تراجم علمائنا باسم (مختصر طبقات الحنابلة) — وفي سنة ١٣٤٠ وضعت وطبعت رسالة في الوهابيين وخصومهم باسم (الوسيط بين الإفراط والتفريط) — وفي سنة ١٣٥٠ كتبت ونشرت رداً على الطائفة القاديانية باسم (السيف الرباني) — وفي سنة ١٣٦٠ كتبت وطبعت رداً على أحد فقهاء المالكية باسم (البرهان على صحة رسم مصحف الحافظ عثمان) — وفي سنة ١٣٦٣ طبعت رسالتي الثانية في الفرائض باسم (الدروس الفرضية) — وفي السنة المذكورة هذبت كتاب السراجية باسم (تنقيح السراجية في فرائض الحنفية) وهو لم يزل مخطوطاً محفوظاً عندي ، مع ديوان شعري الأخير ، وتاريخ سنة ١٣٤٠ — وفي سنة ١٣٦٣ أيضاً أخرجت من تاريخي العام المقدم ذكره هذا التاريخ المقصور على رجال دمشق .

وقد طبعت من مؤلفات آل الشطي وغيرهم شيئاً كثيراً ، فمن ذلك مختصر عقيدة السفاريني لجدي الأعلى (مجلد) وتوفيق المواد النظامية لأحكام الشريعة المحمدية ، وأقوال الإمام داود الظاهري لجدي الأدنى ، وأقوال شيخ الإسلام ابن تيمية لابن القيم ، والرسائل الفاتحية للهبراوي ، وغير ذلك .

وأما ما كتبته في المجلات والصحف فشيء كثير قديم وحديث ، ومن ذلك الرد على شيخ الأزهر المراغي ، في قوله ان وجه المرأة ليس بعورة ، والرد على المحدث الدهلوي في كتابين له ، وكل ذلك منشور في مجلة التمدن الإسلامي .

وأما وظائفي فقد لازمت المحاكم الشرعية بدمشق منذ سنة ١٣١٣ مقيداً في محكمة البزورية فكاتباً في محكمة العمارة ، ثم في محكمة الباب الى سنة ١٣٢٧ — وفيها عينت في المحاكم العدلية كاتباً في دائرة الإجراء ، ثم في محكمة الحقوق ، ثم في محكمة الصلح ، ثم معاوناً لمأمور الإجراء بدمشق ، ثم معاوناً للحاكم المنفرد في دوما ، ثم عضواً في محكمة حماة سنة ١٣٣٧ — ثم عينت نائباً حنبلياً ، ثم رئيس كتاب في محكمة دمشق الشرعية إلى سنة ١٣٤٨ ، وفيها انتخبت مفتياً حنبلياً في مدينتنا دمشق ، وهي الوظيفة التي أقوم بها الآن مع الإمامة الحنبلية في الجامع الأموي منذ سنة ١٣٣٤ والخطبة في المدرسة البادرأية منذ سنة ١٣٥٢ .

وأما البحث عن أخلاقي وأحوالي فهذا ما أتركه لأبناء وطني الأعزاء اعتماداً على انصافهم ومحبتهم .

وأما شعري الكثير فسأقتصر منه على بيتين كتبتهما إلى نجم الدين افندي الأتامي في حمص ، أشكره على تراجم أرسلها الي سنة ١٣٢٤ ، وهما قولي:

مولاي لولا كنت أول فاضل لم تدر أهل الفضل بالتبيين
فاذا ضللنا في أكابر ديننا فبك الهدى إذ أنت نجم الدين

وأختم هذه الترجمة ببيتين ، رقمتهما على كتاب أهديته الى أحد أساتذتي الأجلاء سنة ١٣٢٦ ، وهما قولي :

أتى يهدي لك العبد الذليل كتابا أيها المولى الجليل
إذا هو لم يكن أثراً جميلا أليس يقال مهديه جميل ؟

كانت وفاة هذا الصديق في ١٦ المحرم سنة ١٣٧٩ هـ رحمه الله تعالى .

بسم الله الرحمن الرحيم

الموجز

[لما اشتمل عليه الجزء الثالث ـ من حلية البشر ، في تاريخ القرن]
(الثالث عشر ــ من فوائد وفرائد)

قدمنا في مدخل الجزء الأول ، وفي آخــــر الجزء الثاني خلاصة ماتضمناه من مطالب مهمة ، يهم المؤرخ والعالم والأديب الوقوف عليها ، وهذه مقتطفات من الجزء الثالث نوردها ههنا ، وهي لاتقل فائدة وعائدة عن اخواتها في الجزءين السابقين :

السيد محمد بن أحمد بن اسماعيل بن الشهاب أحمد المنيني مفتي الحنفية بدمشق : لقد حاز هذا المترجم على ماكان لجدّه الشهاب من الخطبة في جامع بني أمية ، وإقراء صحيح البخاري بعد صلاة الجمعة تحت قبة النسر ، وهذا الدرس وهذه الخطبة كان أولها في هذا البيت لجد المترجم الشهــاب ، وهو طرابلسي الأصل ، منيني المولد ، دمشقي المنشأ ، عدوي النسب ، (من

ذرية عدي بن مسافر) . ونقل المؤرخ المرادي أن الشهاب درس في المدرسة السميساطية (وصفنا هذه المدرسة في ذيل هذه الترجمة ص ١١٨٥) وفي الصفحة التالية تعريف بالمدرسة العادلية الكبرى ، (وهي مقر المجمع العلمي العربي من عام ١٩١٩ ، وما زال مجتمعاً لرئيسه وأعضائه ، ومصدراً لمجلته) وتعريف بالعادلية الصغرى أيضاً ، ومنشئها الملك العادل . وقد انتقل التدريس بالعادلية الكبرى من الشهاب أحمد إلى أولاده وأحفاده ، إلى أن آل إلى المترجم ، وكانت وفاته (سنة ١٣١٦ هـ) وكان أمناء الفتوى في عهده كل من المشايخ الأجلاء محمد البيطار ، وأبي الخير عابدين ، وأبي الخير الأسطواني ، وعبد المحسن الأسطواني ، وقد توفي الأخير في أوائل هذا العام (عام ١٣٨٣) وله من العمر ما يقرب من مائة وعشر سنين رحمهم الله (ص ١١٨٨) ومن بدائع الشعر ، ما وُصف به عوّاد وعوده في صفحتي (١١٩٢ و ١١٩٣) . وقد أورد للشاعر الأديب محمد أمين الزللي المدني الخطيب ، قصائد ومقطوعات ، كلها غرام وهيام ، ببنت الحان والألحان ، ونقل عن حديقة الأفراح من شعره مالا يقوله عاقل ، كقوله :

ودع المساجد عنك والزم عادة الا   دبا ، وخل ثقالة الفقهـــاء
واصرف زمانك كله في شربها   صرفا وحاذر مزجها بالماء !!

قلت ولكن هذه الصبوة ، قد ختمها بالتوبة ، كما ترى في ختام هذه الأبيات ، من الاستعداد لما هو آت ، عفا الله عنه .

في (الحلية) ترجمة العلامة محمد بن عبد الله الخاني (ص ١٢١٠) ، قلت : له ترجمة وافية في كتاب « الحـــدائق الوردية » لحفيده الشيخ عبـد المجيد (ص ٢٦١ إلى ص ٢٧٢) وقد ولد المترجم سنة ١٢١٣ هـ في خان شيخون ، محل مشهور في طريق حلب ، على مرحلة من حماة ، منه العارف الشيخ قاسم الخاني ، صاحب كتاب : سير السلوك إلى ملك الملوك ، وغيره . ونسبة آل الخاني الكرام ، إلى ذلك البلد الطيب ، وهم سلفاً وخلفاً قد جمعوا بين العلم والعمل ، ودارهم بدمشق إلى جانب جامع النقشبندي . وقد اشتهرت هذه الأسرة بالتقى والصلاح والعفة والاستقامة ، وفي ختام ترجمة المترجم مرثية لحفيده الشيخ عبد المجيد ، جمعت بين التفجع والتوجع ، والطريقة والحقيقة ، وهي أكثر من خمسين بيتاً ، وأولها :

متى يسعف الصبر الجميل ويسعد   وحزن على حزن يقيم ويقعـد

وفي ص ١٢١٥ ترجمة والد الشيخ عبد المجيد، وهو محمد بن محمد بن عبد الله الخاني ، وفي طليعتها شذرات جامعة لأسماء أكثر من ثلاثين كتاباً غالبهـــا في التصوف ، ومنها ماهو في الحديث وعلوم العربية ، نقلاً عن كتاب الحـدائق الوردية ، كما أورد منها أسماء الكتب التي قرأهـا المترجم على أبيه من نحو وفقه وتفسير وكلام وتصوف وحساب وفلك وغيرها، كما حضر دروس الأمير السيد عبد القادر الجزائري الحسني في الحقائق، ولازمه ملازمة تامة، ومنذ (سنـة ١٢٩٥) عقدالمترجم في جامع السُّوَيقة(أي النقشبندي)وفي داره دروساً في الحديث علاوة على دروسه الأخرى . وقد أقامه الأمير عبد القادر وصياً على أنجاله القاصرين، فأحسن خدمتهم، وحفظ أموالهم احتساباً ، وكان كوالده يكتسب من الزراعة (إلى ص ١٢١٨). ومن نوادر التراجم ترجمـة الحكيم محمد مؤمن الجزائري الأصل ، الشيرازي ، الشيعي ، الصوفي ، الأديب الشاعر . فقد أورد له في معجم المؤلفين أسماء مؤلفات تدل على سعة علم وأدب ، فله : مجانس الأخبار ومجـالس الأخيار ، في سبع مجلدات ، ومقامات العارفين في شرح منازل السائرين ، وديوان شعر ،

وخزانة الخيال ، بأمثال اللآل ، في ثلاث مجلدات ، وطيف الخيال في مفاخرة العلم والمال وشرحه اه وقد أورد له في هذه الحلية قصائد شاكية باكية في رثاء أمير المؤمنين أبي تراب ، وولده الحسين عليهما السلام ، ففي بكاء الأول قصيدة أولها :

دع الأوطان يندبها الغريب وخلّ الدمع يسكبه الكئيب

وفي رثاء الثاني مخمّسة مطلعها :

جاء شهر البكاء فلتبك عيني بحنيني على مصاب الحسين
وإمام الأنام من غير مين وابن بنت الرسول قرة عيني
آه واحسرتا لرزء الحسين

ونقل الأستاذ الجد في (الحلية) عن (العقود اللآلي ، في الأسانيد العوالي) للعلامة السيد محمد عابدين ، ترجمة الشيخ محمد ابن الشيخ عبد الرحمن الكزبري مدرس الحديث تحت قبة النسر في جامع بني أمية بدمشق ، وفي هذه الترجمة وصف جامع لعلم المترجم وعمله ، وأبيات ينوّه بها ابن عابدين بدرس سميه وأستاذه الكزبري ، بالجامع الأموي ، في الأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان ، فيقول :

من به قبة ذاك الجامع لم تزل في كل عام تسعد

حين يروي في الحديث الجامع   لحديث المصطفى أو يسند
ياله من خير درس جامع   ولأهل العلم فيه مشهد
فكأن الوجه منه حينما   ينثر الدرّ على الملتمس
قمر عن جانبيه العلما   كنجوم أشرقت في الغلس

وعقب هذه الترجمة ، جاءت ترجمة تلميذه السيد محمد أمين عابدين ، وفي أولها نعته بالمفسر المحدث الفقيه ، النحوي اللغوي البياني العروضي ، وفي هذه الطليعة ذكر مؤلفاته العديدة ، وقال في آخرها : وله من الرسائل ، في تحرير المسائل ، نيف وثلاثون رسالة معلومة في ثبته ، فمن أرادها فليراجعها . وله قصيدتان في مديح النبي (ﷺ) ، وأول الأولى :

لبيك ياقمرية الأغصان   فلقد صدعت القلب بالألحان

والثانية تقرب من ستين بيتاً ، وأولها :

أشكو إلى الله ماألقاه من نصب   مستشفعاً بشفيع الخلق كلهم

وقد علقنا على معنى ماجاء في شعر العلماء ونثرهم ، وما جرت به أقلامهم من التوسل والاستشفاع بسيد الشفعاء صلوات الله عليه ، وأتينا بالأمثلة والشواهد ، من الوقائع والحوادث التي وقعت في الصدر الأول للإسلام (ص ١٢٣٥) ، ثم

أورد له المؤلف ألغازاً شعرية ومقطوعات وختم ذلك كله بترجمته، وذكر مشايخه الكبار، وسمى كثيراً من الكتب التي قرأها عليهم في مختلف العلوم والفنون، إلى آخر (ص ١٢٣٩). ونقلنا عن أعلام الأستاذ الزركلي أسماء ما ألّف في سيرة محمد علي باشا الارناؤطي خديوي مصر القاهرة من الكتب، ونقل شذرات (في الحلية) من سيرته، تدل على أنه مصلح كبير، وقدوة صالحة للولاة والحكام (إلى ص ١٢٤٢) وفي سيرة محمد سليم باشا الصدر الأعظم والي دمشق الشام عظات وعبر. وذكرنا نبذة (من ج ٣ من خطط الشام) للأستاذ كرد علي رحمه الله، تزيد المستبصر بصيرة، وتوضح أن عاقبة الظلم وخيمة. (إلى ص ١٢٤٦). وفي ترجمة محمد بن محمد المغربي الأزهري سؤال عما ذكر صاحب المختار في اللغة في مادة عكك بأن النبي (ﷺ) قال طوبى لمن رأى عكًا، فكتب المترجم رسالة مطولة أزال بها الشكوك والأوهام، ونقل عن ابن الجوزي قول القائل: إذا رأيت الحديث يباين المعقول، أو يخالف المنقول، أو يناقض الأصول، فاعلم أنه موضوع، ومعنى مناقضة الأصول أن يكون خارجاً عن دواوين الإسلام

من المسانيد والكتب المشهورة . ثم ذكر أقسام الواضعين ، والحامل لهم على الوضع ، وحكمهم في الدين ، وبعض من عرفوا بوضع الحديث ، وما يعرف به الوضع للحديث ، مما هو مذكور في كتب مصطلح الحديث ، وقد وفى الكلام في هذا المقام ، (من ص ١٢٤٨ ـ ١٢٥٢) ثم أورد في الحلية رسالة هذا المترجم في الوضع والوضاعين ، وجاء في آخرها : (تذييل) لايغتر بأحاديث الخطب ، ولا كتب التواريخ ، ولا القصص ، ولا الرقائق ، ولا كتب اللغة ، حتى تراجع أصولها وتحقق فصولها ، وكانت الخاتمة بايراد أبيات تضمنت حقائق في علم الحديث ، وبيان الصحيح وغير الصحيح ، وهي جديرة بالحفظ والرعاية (إلى ص ١٢٥٧) . وعلقنا على ترجمة الشيخ محمد بن أحمد عرفة الدسوقي الشهير بأن تآليفه كلها جمعت وطبعت كما في معجم الأعلام (ج ٢٤١/٦) ومعجم المطبوعات (ص ٨٧٥) وقد رثاه الشيخ حسن العطار بقصيدة منها :

عزاء بني الدنيا بفقد أئمة   لكأس مرير الموت،كلٌ تجرّعا

ومن آخرها :

فقدناه لكن نفعه الدهرَ دائم   ومامات من أبقى علوماً لمن وعى

(إلى ص ١٢٦٤) . ويجد المطالع في ترجمة الشيخ محمد الحفني الأزهري عظة وعبرة ، فقد كان والده من الأقباط ، فأسلم هو قبل بلوغه على يد الشيخ الحفني ، فحلت عليه أنظاره ، وحضنه الشيخ ورباه ، وأنزله بمنزله مع خـــاصته وأولاده ، فلازم دروس الشيخ وأخيه وغيرهما من السادة الأعلام ، وتصدر للتدريس (سنة ١١٩٠ هـ) ... وأقبلت عليه الدنيا ، وتداخل في الأكابر ، ونال منهم حظاً وافراً بحسن معاشرته ، وعذوبة ألفاظه ، وتنميق كلماته ، ومعاملة كل إنسان بما يليق به . ولما دخل الفرنسيون مصر خافهم الناس ، وهرب كثير من العلماء والأعيان ، فكان للمترجم عندهم قدر عظيم ، فلا تهان جماعته ولا ترد شفاعته ، وصار يلقب عند الاهالي والاجانب بكاتم السر ، وجعلوه رئيس الديوان ، إذا حكم قابله الجميع بالرضى والإذعان ، وكان يؤمن مَن أراد ، ويردّه إلى الوطن والبلاد ، فحسن صنعه ، وعم نفعه . ولما انتقل الحكم إلى العثمانيين ، بقي على حاله وقدره المكين . (إلى أن قال في أواخر ترجمته) : وحـاصل أمر المرحوم المترجم أنه كان من فحول العلماء ، يدرس الكتب الصعاب في المعقول والمنقول ، بالتحقيق والتدقيق ،

وانتفع عليه الكثير من الطلبة ، إلى أن صاروا مدرسين مميزين على أقرانهم من أهل العصر ، ولو أنه استمر على طريقة أهل العلم السابقين وبعض اللاحقين ، ولم يشتغل بالانهاك على الدنيا ، وكثرة المداخلة مع الأكابر وذوي الحكومة ، لكان نادرة عصره ، ولكن ذلك أداه إلى قطع الاشتغال ، حتى إنه إذا ابتدأ كتاباً كان في الغالب لايتمه ، ثبت الله قلوبنا على التقوى ، وحفظنا من كل تقصير ، وعصمنا والمسلمين ، من كل مايضر ويشين اه ملخصاً (إلى ص ١٢٦٦) ، في ترجمة الشيخ محمد بن أحمد الشهير بالأمير الكبير ، أن هذه الشهرة إنما جاءته من جده الأدنى أحمد ، وسببه أن أحمد وأباه عبد القادر كان لهما إمرة بالصعيد ، وأخبر المترجم عن نفسه أن أصلهم من المغرب (ص ١٢٦٧) وتصدر لإلقاء الدروس في حياة أشياخه ، وشاع ذكره في الآفاق وخصوصاً بلاد المغرب ، وتأتيه الصلات من سلطان المغرب وتلك النواحي في كل عام ، وتوجه في بعض المقتضيات إلى دار السلطنة ، وألقى هناك دروساً حضره فيها علماؤهم ، واستجازوه فأجازهم . وأكثر مؤلفاته التي ذكرت في ترجمته مطبوع ، كما في معجم

المطبوعات وغيره (ص ١٢٦٨) وفي تاريخ الجبرتي — بعد هذه الترجمة — مايأتي : وخلّف ولده العلاّمة النحرير ، الشيخ محمد الأمير ، وهو الآن أحد الصدور كوالده ، يقرأ الدروس ويفيد الطلبة ، ويحضر الدواوين والمجالس العالية ، بارك الله فيه (اهـ من ج ١٢/١٦١) على هامش تاريخ الكامل لابن الأثير الجزري ، و (ص ١٢٧٠ من الحلية) . وبعده ترجم الشيخ محمد الشنواني ، وانه بعد وفاة الشرقاوي اختاروه للمشيخة فامتنع وهرب إلى مصر العتيقة ، فأحضروه قهراً عنه وولوه المشيخة ، وتقلد المشيخة بعده : الشيخ محمد بن الشيخ أحمد العروسي من غير معـارض ولا منازع . وفي ترجمة الشيخ محمد المعروف بالدواخلي — انه — من بعد أن برع في المعقول والمنقول ، وأقرأ الدروس من سائر الفنون ، - تداخل في قضايا الدعاوي بين الناس ، واشتهر ذكره ، وعلا قدره ، وكان له لدنياه والمال والجاه ميل كثير ... وتقلد النقابة بعد موت الشيخ محمد بن وفاء وركب الخيول ولبس التاج الكبير ، ومشى أمـــامه الخدم والمقدمون ، وازدحم بيته بأرباب الدعاوي والتشكيات ، وعمر داره وأنشأ تجاهـا جامعاً عظيماً ، وداخله الغرور ، فأول

ما ابتدأه الدهر من نكباته أن مات ولده أحمد ، وقد ناهز البلوغ ، ولم يكن له من الذكور غيره ، ودفنه في جامعه الذي بناه تجاه بيته ، وبنى عليه بناء ومقصورة مثل المقامات التي تقصد للزيارة . (أقول : وفي هذا ذهول ، عما برع المترجم فيه من معقول ومنقول ، وعما ورد من الوعيد الشديد في البناء على القبور ، ولا قوة إلا بالله) ثم عاد إلى غروره وأموره ، وأفرط كل الإفراط ، فضاق صدر الوالي منه ، وأعرض بالكلية عنه ، وأمر بنفيه إلى دسوق ، ثم إلى المحلة الكبرى ، فلم يزل بها منحرف المزاج ، وهو يراجع السيد المحروقي في أن يشفع له عند الباشا في الإذن بالحج أو بالعود إلى مصر ، فلم يؤذن له ، ولم يزل في المحلة إلى أن توفي سنة ١٢٣٣ ، وهذه خاتمة الغرور ولله عاقبة الأمور . وفي ترجمة الشيخ محمد القبرستاني (ص ١٢٨٣) نبذة تاريخية مفيدة ، وهي أن هذه النسبة إلى قبر الست (نسبة على غير قياس ، وهي قرية من جهة الشرق إلى القبلة ، على ثلاثة أميال من دمشق) أي السيدة زينب أم كلثوم بنت الإمام علي بن أبي طالب ، وأمها فاطمة الزهراء بنت الرسول (ﷺ) . وزينب هذه هي زوج عمر بن الخطاب (رض)

وقد ولدت له زيداً الملقب بذي الهلالين ، ودفنت بهذه القرية وسميت باسمها ، وما ذكره في محاسن الشام من أن قبرها في في باب الصغير غير معروف عند أهل دمشق ، وأصل اسم هذه القرية (راوية) قبل دفن هذه السيدة بها . وكان محمد القبرستاني : حسن الأخلاق ، طيب الأعراق ، وكان يعتمد عليه في الاستفتاء أهل القـــرى كالمَرجين وغوطة دمشق ، ويأخذون منه الفتوى لإقناع خصمهم ، فيقنع بها بعد تحققها ولا يردّها ، وكان لايفتي في مسألة إلاّ بعد الوقوف على النص . وفي ترجمة الشيخ محمد الطنطاوي الشهير ، مايدعو إلى علو الهمة ، وصدق العزيمة فقد طلب العلم في بلده طنطا ، ثم سافر مع أخيه الأكبر إلى بلاد الروم وبلاد الترك ، ودخل حلب في سبيل الطلب ، وشدّ الرحل إلى دمشق (سنة ١٢٥٥) وقرأ على كبار شيوخها كالحلبي والطيبي والكزبري والخاني ، وعاد إلى مصر (سنة ١٢٦٠) فدخل الأزهر ، وانقطع للتحصيل فيه ، على مثل الباجوري والسقا وعليش المغربي ، وكالشيخ محمد الخضري ، وكانت أكثر قراءته عليه في العلوم الغريبة كالميقات والفلك والجبر والمقابلة ، إلى أن صار إماماً في العلوم العقلية

والنقلية، ثم رجع إلى الشام ، واستوطن دمشق في محلة الميدان ، (سنة ١٢٦٥) ولم يزل يقــرىء الطلبة ، قال الأستاذ الجد المؤلف : توفي والدي فحضرت عنده في دروسه كلها ، ولم أزل أقرأ عليه (إلى سنة ١٢٧٨) ، ثم ان الأمير السيد عبد القادر الجزائري استأجر له داراً قريباً من داره ، وعين له معاشاً ، وأرسل اليه جميع أولاده للقراءة عنده ، فكان يقرؤهم ويقرىء غيرهم في حجرته في مدرسة البادرائية ، وكان مع ذلك يشتغل بحساب جداول مما يتعلق بالجيوب وغيرها ، مما له تعلق بعلم الفلك والميقـات ، والربع المقنطر والمجيّب والاسطرلاب قال المؤلف : وقد قرأت عليه جملة رسائل مما يتعلق بذلك ، وقال كاتب هذه السطور : ينظر التعليق السابق على هـذه الأرباع والآلات الفلكية (ج ٢ ص ٣٦٠ من الحلية) وفي منتخبات التواريخ لدمشق أن صاحب الترجمة تفرد في علم الهيئة السماوية والفلك بعد ابن الشاطر (الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٧) الذي أخذ عنه علماء الغرب ودونت مؤلفاته ، وللمترجم آثار كثيرة منها في حساب البسيط والربع ورسمه رسائل كثيرة لم نقف عليها ، وله كشف القناع ، وله تقريرات مهمة على جميع الكتب

التي كان يقرؤها ، تشهد بعلو باعه وفضله (مات سنة ١٣٠٦ اهـ)
(إلى ص ١٢٨٨) . ولمحمد بن ابراهيم أبي عبد الرحمن شمس الدين
الأريحاوي الشهير بالعاري ــ الذي أفتى بأريحا بعد والده وخطب
وأم بجامعها قدر ستين سنة ــ له تخميس بديع على قصيدة
الشيخ عبد الرحيم البرعي ، منه :

وجهز فاتني للحرب جيشا   وعقلي زاده التعنيف طيشا
ذكرت مغانيا جمعت قريشا   وذكرني الصبا النجدى عيشا
بذات البان ما أحلى وأغنى

من (ص ١٢٨٩ ـ ١٢٩٧) ولنا تعليقات عليها قليلة . وفي
ترجمة الشيخ محمد حافظ الأورفلي الخالدي النقشبندي ، فسرنا
بعض المصلحات الصوفية نقلا عن الرسالة القشيرية ، فعند
القوم : صاحب التمكين : وصل ثم اتصل ، وعندهم أن
علم اليقين ، ماكان بشرط البرهان ، وعين اليقين ، ماكان بحكم
البيان ، وحق اليقين ماكان بنصب العيان (ص ١٣٠٠) .
وفي (ص ١٣١٢) بينت ماورد في سورتي النجم والتكوير من
حديث المعراج . (ومن ص ١٣١٦ ــ ١٣٢٠) تراجم أئمة
من علماء اليمن يعملون بهدى الكتاب والسنة . وفي ذيل

(ص ١٣١٩) بيان الطريقة المثلى بين الجمود والتقليد، والتهور المسمى بالتجديد ! ومن (ص ١٣٢١ ــ ١٣٢٤) تراجع ترجمة الشيخ محمد الشهير بابن الجوهري ، فهي فريدة في بابها ، وهي ملخصة من تاريخ الجبرتي (ج ٧ ص١٩١ ــ ٢٠٢) . وفي (ص ١٣٢٩) ومـا بعدها ترجمة السيد محمد نسيب حمزة نقيب الأشراف ، بقلم ولده العلامة محمود أفندي حمزة مفتي دمشق الأسبق ، وهي جديرة بالمطالعة . وترجمة الشيخ محمدكمال الدين الغزي مفتي الشافعية بدمشق،مذيلة بتاريخ قدوم بني الغزي الأكارم، إلى دمشق من غزة بني هاشم (ص١٣٣٢ ــ ١٣٣٣) . الشيخ محمد المعروف بابن سنـان ، كتب عنه في الحلية أسطراً ، وظفر المؤرخ الشطي بالتذكرة الكمالية التي وصفها في ترجمة مؤلفها الشيخ كمال الدين الغزي ، فكانت كنزاً ثميناً ، عثر فيه على تراجم ، لم يكن مثلها في غيره ، ومنها ترجمة ابن سنان ، وقد نقلت ترجمته في ذيل (ص ١٣٣٤) عن روض البشر باختصار قليل ، وقد أثرهـا هو عن (التذكرة الكمالية) . وذكر في ترجمة الشيخ محمد نجيب القلعي ، انه أخـذ عن جملة من العلماء الأعلام من دمشقيين وحجازيين ومصريين وعراقيين ، قال وأعلا أسانيده في أخذ الأحكام الفقهية عن السيد مصطفى

الأيوبيّ المولود سنة ١١٣٥ ـ المتوفى سنة ١٢٠٥ وهكذا استمر في هذا السند حتى ارتقى به إلى النبي (ﷺ) مقروناً بتاريخ ولادة كل شيخ ووفاته ، ويقتصر على سنة الوفاة إن جهل تاريخ الولادة ، إلى أن قال عن النبي ﷺ المولود عام الفيل، والمتوفىّ سنة ١١ بعد الهجرة.

ثم قال في الحلية : هذا ، وان والدي يروي عنه ما تجوز له روايته عن مشايخه ، ، ويروي عنه بالسند الحديث المسلسل بالأولية ، كما يرويه هو عن الشيخ محمد عقيلة ، قال : وهو أول حديث سمعته منه ، وهكذا رفعه إلى النبي (ﷺ) ولكن مع عدم ذكر تاريخ الولادات والوَفيات (إلى ص ١٣٤٤) ، ونقلنا عن تاريخ تعطير المشام لعلامة الشام شيخنا القاسمي شذرة مهمة من حياة الشيخ محمد الدسوقي الدمشقي (ص ١٣٥٣) . وفي ذيل ترجمة شيخنا الجليل محمد المبارك، طائفة من سيرته في العلم والتعليم، واللغة والأدب والتأليف (ص ١٣٥٤). ونشر من رسائله (في الحلية) محاورة الليل والنهار ، وقد امتدت مع باقي ترجمته (إلى ص ١٣٦٨) ومرّ في أثنائها ذكر الفرزدق همّام بن غالب بن صعصعة التميمي ابو فراس ، فأوردنا نبذة من أخباره وآثاره ، ملخصة من كتب المعاجم والتراجم ، وإن

في ترجمة السيد الشيخ محمد المبارك المغربي الجزائري عجائب وغرائب، ولا يغني وصفها عن مراجعتها، (ص ١٣٧١ ـــ ١٣٧٥) ولنا تعليق وجيز عليها . وما أكثر ما قرأ وأقرأ السيد محمد أبو العرفان بن علي الصبان ، من العلوم والفنون العربيه والدينية والعقلية ، وله في كل ما تعلمه وعلّمه تآليف شاهدة بطول باعه . وفي آخر ترجمته المنقولة عن الجبرتي قصائد له غر ، كأنها الياقوت والدرّ ، ومن وقف على هذه الترجمة ، ينشد قول من قال :

هكذا هكذا وإلاّ فلا لا   طرق الجدّ غير طرق المحال

(من ص ١٣٨٤ ـ ١٣٩٣) . ومن أطرف التراجم وألطفها ، وأفضلها وأكملها ، ترجمة سليل العلم والفضل ، ومعدن الذكاء والنبل ، محمد خليل أبي المودة المرادي مفتي دمشق الشام ، ومؤلف «سلك الدرر ، في أعيان القرن الثاني عشر» فقد كان رحمه الله مغرماً بصيد الشوارد ، وقيد الأوابد ، واستعلام الأخبار ، وجمع الآثار ، وتراجم العصريين ، على طريق المؤرخين ، كما جاء في طليعة ترجمته ، التي سطرها بيده ، في كتابه الذي سماه (عَرف البَشام[1] ، فيمن ولي فتوى دمشق الشام) وبدأها بقوله : لا مرية

(١) البشام : جمع بشامة : شجر طيب الرائحة .

فتذكر ، ولا محمدة فتشكر ، وافتن أي افتنان ، ببديع معاني هذا البيان ، الذي وصف فيه أسلافه النحارير فقال : خضعت لهم من الأقيال شم الأنوف والمعاطس ، وتناولوا من المعالي والمفاخر ما لا تلامسه كف ملامس ، وجرى على هذا الأسلوب ، الذي تتجه إليه الأنظار والقلوب . وأورد من شعره ، ما لا يقل بلاغة عن نثره ، فمن ذلك قوله مفتخراً وهو في بلاد الروم :

أما نحن أبناء السراة الأكاسر لنا في الندى والحلم جم المآثر

نجود بما نحوي ونعفو عن السوى ونصفح عن زلات باغ وقاصر

وهي تزيد على أربعين بيتا ، وكلها مفاخر ومآثر . وشطر رحمه الله أبيات ابن عبد ربه التي أولها :

ودعتني بزفرة واعتناق ثم قالت متى يكون التلاقي :

فقال :

ودعتني بزفرة واعتناق وأثارت لواعج الأشواق

وتهادت عند الفراق عشيا ثم قالت متى يكون التلاقي؟

وكاتب المترجم السيد المرتضى الزبيدي محرّضاً إياه على جمع تراجم المصريين والحجازيين ، ومن له الوقوف على ترجمته وحاله من أهل الأمصار ، من أبناء القرن الثاني عشر . وذيلنا ترجمته

بما أورده في (روض البشر) من توليه نظارة الجامع الأموي وفتوى الحنفية بدمشق سنة ١١٩٢ ، وجاء تاريخ فتواه (أفتي الخليل) ، وصار بدمشق صدر الصدور ، وألّف مؤلفات أدبية تاريخية . ترى في ذيل (ص ١٤٠٤) . وفي آخر ترجمة أبي عبدالله بن الطالب بن سودة المري الفاسي التاودي المالكي أنه لما توفي محمد سلطان المغرب ، ووقع الاختلاف والاضطراب بين أولاده ، اجتمع الخاصة والعامة على رأي المترجم ، فاختار المولى سليمان وبايعه على الأمـــر ، بشرط السير على الخلافة الشرعية ، والسنن المحمدية ، وبايعه الكافة بعدُ ، على ذلك ، وعلى نصرة الدين وترك البدع والمظالم ، والمكوس والمحارم ، وكان كذلك (ص ١٤٠٨) :

هكذا هكذا وإلاّ فلا لا طرق الجِدّ غير طرق المحال!

ومن غرائب التراجم ونوادر الناس ترجمة الشيخ محمد بن عبد الحافظ افندي أبو ذاكر الخلوتي ، فقد ذكر أنه لم يتزوج قط ، وكف بصره (سنة ١١٨١) . وانقطع في بيته إحدى وعشرين سنة بمفرده ، وليس عنده قريب ولا غريب ولا جارية ولا عبد ... وبابه مفتوح دائماً ، وعنده الأغنام والدجاج

والأوز والبط والجميع مطلوقون في الحـــوش ، وهو يباشر إطعامهم وسقيهم الماء بنفسه[1] ، ويطبخ طعامه بنفسه ، وكذلك يغسل ثيابه ... وعنده عـــدة كثيرة من السنانير ، ويعرفها بالواحدة بأسمائها وأنسابها وألوانهـــا ، ويقول : هذه تحفة بنت بستانة ، وهذه كمونة بنت ياسمين ، وهذه فلانة أخت فلانة ، إلى غير ذلك اهـ (ص ١٤١٢) . وللشيخ محمد شمس الدين المصري مصنفات وقصائد تاريخية ، وقد ذيلنا ماله صلة بالتاريخ بموجز من تراجم أبي الطيب المتنبي ، وأبي عبادة البحتري ، وأبي تمام الطائي ، وابن سناء الملك السعدي ، وفي ختام ترجمة هذا المترجم محمد شمس الدين قصيدة طويلة ، ضمنهـا ماوقع للأمير مصطفى بك مولى محمد بك في سنـة أربع وتسعين في طريق الحجاز حين ولي أميراً على الحج ، وهي بديعة سلسة النظم حاوية وقائعه التي جرت له مع العربان ، وأولها :

إمارة حج البيت في سالف الدهر   هي المنصب الأعلا وحقك في مصر

وأورد منهـا نحو خمسة وستين بيتاً ، وختمها بقوله : وهي طويلة . والترجمة منقولة عن تاريخ الجبرتي ، وهي في الحليـة إلى (ص ١٤٢٠) .

---

(١) كذا في الأصل .

وفي (ص ١٤٢١) تحت عنوان : (استدراك) ترجمنا شقيق المؤلف الأكبر الشيخ محمد بن حسن البيطار إذ فات مؤلفنا أن يترجمه رحمهما الله تعالى ، ونقلنا شذرات من ترجمته من منتخبات التواريخ للسيد التقي الحصني ، وفيها وصف لأسرتنا البيطارية بالكلم الوجيز ، ومنها قوله : خرج من رجال هذا البيت جماعة من أجلة العلماء والشعراء ، وتقدم ذكرهم في كتابنا في العصر الأخير ، وهم الشيخ محمد أمين الفتوى الخ .ومن روض البشر للأستاذ الشطي ، وقد ذكر هذا المترجم في وفيات (سنة ١٣١٢ ﻫ) وقال : إن المترجم من كبار علماء دمشق وفقائها ، وهو أمين الفتوى بها أكثر من ثلاثين سنة ، ثم نقل ترجمته عن التقي الحصني ، وزاد عليها زيادات جعلها بين هلالين . ثم نقلت جملة من كلامه ، تدل على جلالة قدره وعلو مقامه ، وقلت في آخرها : وقد أجاز الشيخ محمداً أخوه في الطلب والتحصيل على والده الشيخ حسن البيطار ، عن الشيخين عبد الرحمن الكزبري وحامد العطار ،بشرطه المعتبر . ويطالع القارئ بعد هذه الترجمة ما كتبه المؤلف عن صديقه الصفي الوفي ، الشاعر الناثر ، والقائد الباسل ، الأمير محيي الدين باشا نجل الأمير المجاهد الكبير ، السيد عبد القادر الحسني الجزائري الشهير ، ففي هذه

الترجمة من فنون الشعر والمساجلات والآداب ،ما يدهش القارىء،
ويرى فيه من مودة الصديقين العجب العجاب ، وقد استغرقت
حياة هذا الأمير ، ستاً وعشرين صفحة (ص ١٤٢٣ــ١٤٤٩)
وهي قليل من كثير ، وقد ذيلتها بجملة : هكذا هكذا يكون
الإخاء ، رحم الله المؤلف وصديقه الباشا فقد كانا زينة المجالس ،
وقرة عين المجالس ، وقد أسعدني الحظ مرة بالتشرف بزيارة الباشا
مع سيدي الجد ، فرأيت من سروره بصديقه الحميم ، وعنايته به
ورعايته له ، ما يفوق حدّ الوصف ، وكانت وفاة المترجم ـ بعد
السنة التي توفي فيها المؤلف ــ في شهر ربيع الأول سنة ١٣٣٦ هـ
تغمدهما المولى برحمته . وورد بعده ما ذكره المؤلف في ترجمة
السيد الشيخ شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي المفسّر الشهير ،
وانه اشتغل بالتدريس والتأليف وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، ودرّس
ووعظ وافتى للحنفية في بغداد المحمية ، واكثر من إملاء الرسائل ،
والفتاوى والمسائل . ونقل المؤلف عن نجل المترجم السيد أحمد
في ترجمته لأبيه المسماة بأرج الند والعود ، أنه رحمه الله كان عالماً
باختلاف المذاهب ، مطلعاً على الملل والنحل والغرائب ، سلفي
الاعتقاد ، (قال) : ومن مؤلفاته مـا هو أعظمها قدراً وأجلها

فخراً ، تفسيره المسمّى «بروح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني» وسمّى بعض مؤلفاته . وطالعنا بقصيدتين من مدحه ورثائه للشاعر الكبير السيد عبد القادر العمري ، وبلغ عمره ثلاثاً وخمسين سنة . وقد ذيلت هذه الترجمة بأكثر من ثلاث صفحات ذكرت في أولها أن هذه الأسرة المباركة تنتسب إلى (ألوس) بالقصر على الأصح ، وهي قرية على الفرات قرب عانات ، والألوسيون سادة أشراف ، وهم — على ثبوت نسبهم — من أبعد الناس عن التفاخر بالأنساب . هذا وقد لخصت ترجمته من كتاب (أعلام العراق) لصديقنا العلامة الشيخ محمد بهجة الأثري ، فقد وصف الشهاب أبا الثناء هذا بأنه طود العلم ، وعضد الدين ، وفحل البلاغة ، وأمير البيان ، وعين الاعيان ، وانسان عين الزمان ، وانه استجاز شيوخه فأجازوه في علوم اللغة والدين والآداب والفقه والحديث وغيرها من المعقول والمنقول ، وكان يدر على سائليه ما نالته يده من الذهب ، وما بلغ إليه علمه من الفضل والأدب ، وتخرج فريق من أهل الفضل به ، فذاع صيته في الآفاق ، وفي سنة ١٢٦٧ توجه إلى الأستانة ، وكان قد أتم تفسيره فاصطحبه معه ، والتقى بشيخ الإسلام عارف حكمة صاحب خزانة الكتب الشهيرة في

المدينة المنورة وأجاز كل صاحبه، وبعد لأي ما صدرت إرادة السلطان عبد المجيد بأعطائه مبلغ خمسة وعشرين ألف قرش استنبولي ، وله مثلها أو ما يزيد عليها في كل عام من بيت المال، وأنعم عليه صاحبه شيخ الاسلام بخمسين الف قرش استنبولي من خالص ماله . وما زال بيته في بغداد مثابة للناس إلى أن توفي (سنة ١٢٧٠ ه) . وقد بلغ ما سمي من مؤلفاته اثنين وعشرين مؤلفا ، وله علاوة على ما ذكر حواش وتعليقات ورسائل وفتاوي كثيرة.قلت: ومن أراد الاطلاع على تراجم نبغاء هذه الأسرة الألوسية الجليلة ، وعلى مآثر رجالها ومفاخرهم ، ومصنفات كل منهم ، وجد ذلك كله في كتاب (أعلام العراق) لصديقنا السمي الأثري ، وقد ألفه إحياء لذكرى أستاذه أبي المعالي السيد محمود شكري الألوسي الشهير (المتوفى سنة ١٢٤٢) وهو حفيد المفسر الكبير ، رحمة الله عليهم أجمعين (إلى ص ١٤٥٥) . وتراجع سيرة السلطان محمود بن السلطان عبد الحميد خان ، وهو الذي شرع في تنظيم العسكر الجديد ، وجعل مصطفى باشا البيرقدار صدراً أعظم ، فأخذ هذا يبين لأهل الحل والعقد شدة الاضطرار لتعليم العساكر صناعة الحرب ، وإنفاذ أوامر السلطان ، ورتب ترتيبات جديدة أوجبت عليه

الملام من كثيرين ، ودعوه بالكافر ، وهددوه بالقتل ، وأحاطوا بمنزله وطرحوا فيه النار ، ووقعت أمور يطول الكلام بذكرها واستقرت السلطة للسلطان محمود بعد قتل أخيه السلطان مصطفى الذي كان يحرض الجيش الإنكشاري على قتال الجند النظامي وكانت عساكر الروس آنذاك تتقدم ، فحاربها ، ولم يقبل توسط فرانسا بالصلح لتأثره من الشروط التي عقدها نابليون مع روسيا ، ومضمونها اقتسام أوربا بينهما مع بلاد الدولة العثمانية ، واستمر الحرب إلى أن وقع خلاف بين فرنسا وروسيا (سنة ١٢٢٨ هـ) فعقد الروس صلحاً موافقاً للدولة . (وفي عام ١٢٣٧) أعلن اليونان في المورة العصيان ، وانظر (ص ١٤٥٩) أسباب ذل المسلمين وعز غيرهم ، وما حصل لمسلمي المورة من القتل والسلب والنهب إلا من فرّ منهم وهاجر إلى بلاد الإسلام ، وكان أخذ المورة من يد المسلمين هو أكبر أسباب خروج الروملّي بأجمعه من الدولة العلية ، ثم عادت الحرب الهائلة بين العساكر النظامية والانكشارية ، فقتل منهم ألوف كثيرة حتى ارتاحت الدولة والناس من مظالمهم ، (ص ١٤٦١) . وقد عنونا من بعد لمطالب مهمة في هذه الترجمة للسلطان محمود

ففي (ص ١٤٦٢) ذكر القتال مع روسية، وفي (ص ١٤٦٤) ذكر استيلاء الفرنسيس على الجزائر، وفي (ص ١٤٦٥) ذكر القتال بين محمد علي باشا والسلطان محمود. ولنا تعليقات في عدة صفحات، منها تفسير مفردات تركية، ومعاهدة بخارست، وبمناسبة استقلال الجزائر وسائر الشمال الإفريقي العربي، واحتلال الصهيونية لبعض المدن الفلسطينية، ولعل الله يحدث بعد ذلك أمراً.

ومن فتوحات السلطان محمود المعنوية اعتناؤه بأهل الحرمين كمال الاعتناء، فقد صدر الأمر منه بتجديد كتابة أسماء المستحقين، وإعادة جميع حقوقهم لهم كاملة غير منقوصة، فحصل تجديد ذلك في المدة التي كان فيها محمد علي باشا بمكة. ومن خيراته أنه جدد لأهل الحرمين خيرات ومرتبات زيادة على الذي كان مرتبا لهم من أسلافه، وذلك أنه في (سنة ١٢٥١ هـ) رتب مرتبات للعلماء والخطباء بالحرمين الشريفين، وللقائمين بخدمة المسجدين مثل المؤذنين والفراشين والكناسين والبوابين، وجعل للجميع مرتبات جزيلة من النقود، بعضها شهريات وبعضها سنويات، واشترى لذلك عقارات كثيرة،

وأوقفها ليصرف من غلاتها جميع المرتبات المذكورة ، فصارت حسنة جارية . ثم إن ولده السلطان عبد المجيد ضم إلى ذلك مثله في مدة سلطنته ، وكانت مدة سلطنة السلطان محمود اثنتين وثلاثين سنة ، وعمره خمس وخمسون سنة ، وكانت وفاته سنة ١٢٥٥ (ص ١٤٦٧) . ومن الغرائب في ترجمة السيد محمود حمزة مفتي دمشق الشام أنه كان عجيباً في كتابة الخطوط الدقيقة ، كتب سورة الفاتحة على ثلثي حبة الرز والخط واضح ، وأغرب من ذلك كتابته على ورقة بمساحة فص الخاتم أسماء شهداء بدر ، (ص ١٤٦٨) وفي منتخبات التواريخ : تولى المترجم السيد محمود حمزة إفتاء دمشق ، وظل به إلى آخر حياته ، وأهداه نابليون الثالث امبراطور فرنسا ـ على أثر حادثة الستين المشهورة ـ جفتاً بطقم ذهب إقراراً بجميله لما أتاه من الخير والمساعدة لمسيحيي دمشق ، ولكونه ميالاً إلى الرياضة والصيد لتجديد قواه ، فكانت هذه الهدية أقبل لديه ، واشتهر في الرمي ولا يخطىء به اهـ . وفي سنة سبع وسبعين (سنة ١٢٧٧) عين في هيئة المجلس الذي أسسه المرحوم فؤاد باشا حين وقعت الشام في ورطة الفتنة التي وقعت من رعاع دمشق

وقراها ومن الفرقة الدرزية ، وحرقوا محلّة النصارى ، ووقع ماوقع من السفك والنهب ، وكان في ذلك الوقت السيد الأمير عبد القادر الجزائري قد بذل في حماية النصارى جهده ، وأوسع لهم عطـــاءه ورفده ، فحينما حضر فؤاد باشا إلى الشام غب الواقعة ، خفض رؤوسها ، وأذلّ نفوسها ، وشتّت شملها وأثقل حملها ، بيد أن حضرة الأمير كان حينئذ عين الشام وهامهـا ، وسيدها وهمامها ، لاتعتمد الوزارة والقناصل إلا عليه ، ولا تجنح في مهاتهـا إلا إليه ، فحينما أزمعت الوزارة على نفي الأعيان ، وإيقـاعهم في حضيض الذل والهوان ، ضم المترجم إليه ، فاستثني من التكاليف والنوائب ، واضطره الأمر إلى أن قال في أهل بلده ووطنه مـالا يقال ، ونص ماقاله وهو فيه معذور ، ولا يبعد أن يقال انه عليه مقهور :

أشرقت بالعدل أنوار الشآم   مذ فؤاد الملك والاها نظام

وهي قصيدة طويلة تبلغ نحو أربعين بيتاً ، ومنهـا يخاطب أهل الشام بقوله :

يا أهيل الشام ماذا غركم   إذ غدرتم ملة حازوا زمام
ياوحوشا صادفت في غابها   آمنـا واستقبلته بالسـام

ومنها في حكم الإسلام وعدله بين الأنام :

حرّم الأعراض مع أموالهم والدما عهداً إلى يوم القيام

إذ لهم من كل حق مالنا وعليهم ما على أهل السلام

وفي نهاية القصيدة وصف ناظمها بأنه نهج منهج الغلو ، وهجا بها أهل الشام من قديم وحديث ، وطيب وخبيث ، والفاعل بالذم أحرى ، « ولا تزر وازرة وزر أخرى » ومن العجيب ورود هذا البيت في أئمة آل البيت :

فتككم بالآل محفوظ لكم وهو منقول لكم من ألف عام

وأجيب عنه بأن من طالع صحيح البخاري وكتب التاريخ المعتمدة ، وجد أن قصة الحسين ليست لأهل الشام مستندة ، على أن يزيد لم يكن من أهل الشام ، وليس له بها من قرابة ولا نسب ، والملام إنما يكون على ذوي المضرة والباس ، لا على جميع الناس !

ومن تآليفه تفسير القرآن الكريم بالحروف المهملة سماه « درر الأسرار » وكتاب في اللغة سماه « دليل الكمل إلى الكلام المهمل » وسمّى له المؤلف أكثر من عشرين مؤلفاً ، وهذه المؤلفات أكثرها مطبوع ، كما في الأعلام ، وفي معجم

المطبوعات ، وختمت هـذه الترجمة بأن للمترجم ديوان شعر بديع ، وأورد منه قصيدة في مدح الأمير الجزائري ، وذكر طائفة من أعلام شيوخه ، وبعد وفاته رحمه الله تعالى ، وجّه الافتـاء من المشيخة الإسلامية على محمد افندي المنيني ، وقد فسرنا في الترجمة كلمات تركية ، ومن مرثية الشيخ محمد صالح المنيّر للمترجم قوله فيه (ص ١٤٧٧) :

فهو محمود طاب حياً وميتاً وغدا الاسم فيه طبق المسمّى

ومن التراجم مايبعث اليقظة في النفـوس ، ويثير الهمم والعزائم فترقى إلى أرفع ماقدر لها من علاء ، ومصداق هذا في سيرة محمود بك بن خليل بك بن أحمد بك بن عبد الله باشا العظم الدمشقي ، فقد قرأ بعض الفنون على بعض الأفاضل ، ثم انفرد في دار وحده ، وكان غنياً غني مفرطا من جهة أمّه ، إلا أنه سلط على ماله يد الإتلاف ، إلى أن قلّ مـاله ، وبدا له ممن كان يتردد عليه إهماله ، فاختار العزلة في أكثر أوقاته ، ولما قدم الشام الشيخ محمد الفاسي الشهير ، أخذ منه المترجم الطريقة الشاذلية ، وبدت له نفحات رحمانية ، وكان حسن المعاشرة ، جميل المذاكرة ، كثير الابتسام ، عذب الكلام ، وكان له قلم

عال سيال ، فمن مؤلفاته كتاب « رسائل الأَشواق ، في وسائل العشاق » وهو كتاب يشتمل على القصائد الأَنيقة ، وأنواع الموشحات والمقاطيع العاليات ، وكثير من فنون الشعر مما لايوجد بغيره من كتب النظم والنثر ، ويشتمل شعره على حكم ومواعظ ونوادر وآداب ، وله عدة دواوين شعرية ، وقد أورد في الحلية من شعره قصائد منوعة ، ذات معان مختلفة ، قلت وله ديوان شعر منها مطبوع ، ومن شعره القوي في الفخر والحماسة :

سل الخطار والبتار عني ... وسل جود السحائب عن سخائي

ظمئت فما شربت الماء صرفا ... ولا أدليت دلوي في الدلاء

إلى أن قال :

ولي نفس الملوك بجسم عبد ... تنزه أن يذل له ثرائي

وكانت وفاته في حياة والده ، ومدته من العمر أربعون سنة ، والمترجم هو والد المؤرخ الشهير رفيق بك وعثمان بك العظم (ص ١٤٨١) . أمّا السلطان مراد الخامس ففي تاريخ الدولة العثمانية لمحمد فريد بك : انه كان متعلماً مهذباً ميالاً للإصلاح ، محباً للمساواة بين جميع أصناف رعيته ، مقتصداً في مصرفه غير

غير ميال للسرف والترف ، وقد رسم خطة الإصلاح الذي كان يريد إجراءه ، ولكنه من بعـد أن خلع السلطـان عبد العزيز باتهامه بالاختلال ، خلع السلطان مراد أيضاً بعد جلوسه على عرش المملكة بثلاثة أشهر وثلاثة أيام ، بدعــوى وقوع خلل في شعوره ، فاقتضى المقام خلعه ، وكان خلعه يوم مبايعة السلطان عبد الحميد سنة ١٢٩٣ ﻫ .

وهذه الدار لاتبقي على أحد ولا يدوم على حال لها شان

وقد فسرنا بالعربية مفردات تركية كثيرة ، ويراها المطالع في تراجم ملوك آل عثمان ، وقد كانت في عهد المؤلف مفهومة الدلالة على معانيها . وما أجلّ ترجمة العلامة الجليل ، اللغوي ، الكبير ، والمحدث الشهير ، السيد مرتضى الزبيدي شارح القاموس فهو أعجوبة الزمان ، بما أوتيه من سعة علم وعرفان ، ولما كان بمكة (وقد حج مراراً) واجتمع بالسيد عبد الرحمن العيدروس وكان من جملة شيوخه (قال) وهو الذي شوقني إلى دخول مصر بما وصفه لي من علمائها وأمرائها وأدبائها ، وما فيها من المشاهد الكرام ، فاشتاقت نفسي لرؤيتهـا ، وحضرت مع الركب ،

ثم ورد مصر (سنة ١٢٦٧) وسكن بخان الصاغة، وحضر دروس أشياخ الوقت كالملوي والجوهري والحفني والبليدي والصعيدي والمدابغي وغيرهم، وشهدوا بعلمه وفضله وجودة حفظه، وصنف عدة رحلات في انتقالاته القبلية والبحرية، لو جمعت لكانت مجلداً ضخماً. وشرع في شرح القاموس حتى أتمه في عدة سنين في نحو أربعة عشر مجلداً، وسماه تاج العروس وأطلع أجلاء العلماء عليه، وكتبوا عليه تقاريظهم نظماً ونثراً، (ونقل في الحلية عن صاحب عجائب الآثار بعضها). ولما أنشأ محمد بك أبو الذهب جامعه بالقرب من الأزهر، واشترى جملة من الكتب ووضعها في خزانة الكتب التي عملها فيه، أنهوا إليه شرح القاموس هذا، فطلبه وعوضه عنه مائة ألف درهم فضة، ووضعه فيها ولم يزل المترجم يحرص على جمع الفنون، التي أغفلها المتأخرون كعلم الأنساب والأسانيد وتخاريج الأحاديث، واتصال طرائق المحدثين المتأخرين بالمتقدمين، وألف في ذلك كتباً ورسائل ومنظومات وأراجيز جمة، وكان يعرف اللغة التركية والفارسية، بل وبعض لسان الكرج، فانجذبت القلوب اليه، وتناقلوا خبره وحديثه، ثم شرع في إملاء الحديث على طريق السلف، في

ذكر الأسانيد والرواة والمخرجين من حفظه على طرق مختلفة.

ثم إن بعض علماء الأزهر ذهبوا إليه وطلبوا منه إجازة، فقال لهم: لابد من قراءة أوائل الكتب، فشرعوا في صحيح البخاري فازداد شأنه وعظم قدره، واجتمع عليه أهل تلك النواحي وغيرها من العامة والأكابر والأعيان، والتمسوا منه تبيين المعاني فانتقل من الرواية إلى الدراية، وصار درساً عظيماً، فعند ذلك انقطع عن حضوره أكثر الأزهرية، وقد استغنى هو عنهم أيضاً، وصار يملي على الجماعة — بعد قراءة شيء من الصحيح — حديثاً من المسلسلات أو فضائل الأعمال، ويسرد رجال سنده ورواته من حفظه، ويتبعه بأبيات من الشعر كذلك، فيتعجبون من ذلك، لكونهم لم يسمعوها فيما سبق في المدرسين المصريين، وأقبلت الناس من كل ناحية لسماعه ومشاهدة ذاته، لكونها على خلاف هيئة المصريين وزيهم. ودعاه كثير من الأعيان إلى بيوتهم، وعملوا من أجله ولائم فاخرة، فيذهب إليهم مع خواص الطلبة والمقرىء والمستملي وكاتب الأسماء، فيقرأ لهم شيئاً من الأجزاء الحديثية، كثلاثيات البخاري أو الدارمي أو بعض المسلسلات، بحضور الجماعة وصاحب

المنزل وأصحابه وأحبابه وأولاده ، وبناته ونسائه من خلف الستائر ، وبين أيديهم مجامر البخور بالعنبر والعود مدة القراءة ، ثم يختمون ذلك بالصلاة على النبي ﷺ على النسق المعتاد ، ويكتب الكاتب أسماء الحاضرين والسامعين حتى النساء والصبيان والبنات واليوم والتاريخ ، ويكتب الشيخ تحت ذلك ، صحيح ذلك ، وهذه كانت طريقة المحدثين في الزمن السابق كما رأيناه في الكتب القديمة . وانجذب إليه بعض الأمراء الكبار فسعوا إلى منزله ، وترددوا لحضور مجالس دروسه ، وواصلوه بالهدايا الجزيلة والغلال ، واشترى الجواري وعمل الأطعمة للضيوف ، وأكرم الواردين والوافدين من الآفاق البعيدة . ولما حضر محمد باشا عزت الكبير ، رفع شأنه عنده وأصعده إليه ، وخلع عليه فروة سمور ، ورتب له تعييناً من مخصصاته لكفايته من لحم وسمن وأرز ، وحطب وخبز ، ورتب له علوفة جزيلة بدفتر الحرمين والسائرة وغلالاً من الأنبار ، وأنهى إلى الدولة شأنه ، فأتاه مرسوم بمرتب جزيل ، وذلك في (سنة ١١٩١) فعظم شأنه وانتشر صيته ، وطلب إلى الدولة في (سنة ٩٤) فأجاب ثم امتنع ، وترادفت عليه المراسلات من أكابر الدولة ، وواصلوه

بالهدايا والتحف والأمتعة الثمينة في صناديق، وطار ذكره في الآفاق، وكاتبه ملوك النواحي من الترك والحجاز والهند واليمن والشام والعراق، وملوك المغرب والسودان، وفزان والجزائر، والبلاد البعيدة، وكثرت عليه الوفود من كل ناحية، وترادفت عليه منهم الهدايا والصلات والأشياء الغريبة، وأرسلوا إليه من أغنام فزان، وهي عجيبة الخلقة عظيمة الجثة، يشبه رأسها رأس العجل، وأرسلها إلى أولاد السلطان عبد الحميد، فوقع لهم موقعا، ولذلك أرسلوا إليه من طيور الببغاء والجواري والعبيد والطواشية، فكان يرسل من طرائف الناحية إلى الناحية المستغرب ذلك عندها، ويأتيه في مقابلتها أضعافها، وأتاه من طرائف الهند وصنعاء اليمن وبلاد سرت وغيرها أشياء نفيسة، وماء الكاري والمربيات والعود والعنبر، والعطرشاه بالأرطال، وصار له عند أهل المغرب شهرة عظيمة ومنزلة كبيرة واعتقاد زائد... فتراهم في أيام طلوع الحج ونزوله مزدحمين على بابه من الصباح إلى الغروب، وكل من دخل منهم قدم بين يدي نجواه شيئاً ما (ص ١٥٠٠) وإذا ظفر منه بقطعة ورقة ولو بقدر أنملة، فكأنما ظفر بحسن الخاتمة! وحفظها معه كالتميمة،

ويرى أنه قد قبل حجه، وإلا فقد باء بالخيبة والندامة، وتوجه عليه اللوم من أهل بلاده، ودامت حسرته إلى يوم ميعاده!! وقس على ذلك مالم يقل. وشرع في شرح كتاب إحياء العلوم للغزالي وبيض منه أجزاء، وأرسل منها إلى الروم والشام والغرب، ليشتهر مثل شـــرح القاموس، ويرغب في طلبه واستنساخه. وماتت زوجته في سنة ٩٦ فحزن عليها حزناً كبيراً، ودفنها عند المشهد المعروف بمشهد السيدة رقية، وعمل على قبرها مقاماً ومقصورة وستوراً وفرشاً وقناديل [١] ولازم قبرها أياماً كثيرة وتجتمع عنده الناس والقراء والمنشدون ويعمل لهم الأطعمـــة المنوعة، واشترى مكاناً بجوار المقبرة وأسكن به أمها، ويبيت به أحياناً، وقصده الشعراء بالمراثي فيقبل منهم ذلك ويجيزهم على ذلك. قال الجبرتي: ورثاها هو بقصائد وجدتها بخطه بعد وفاته في أوراقه المدشتة، على طريقة شعر مجنون ليلى، منها قوله:

أعاذل مَن يرزأ كرزئي لايزل ‏ ‏ ‏ ‏ كئيباً ويزهد بعده في العواقب

(١) إذا كان القبر روضـــة من رياض الجنة فهل ينقصه الفرش والنور والستور؟ وإن كان غير ذلك فهل تغني هذه عن الميت شيئاً؟

فتاة الندى والجود والحلم والحيا ولا يكشف الأخلاق غير التجارب

وقوله :

فإما تروني لاتزال مدامعي لدى ذكرها تجري إلى آخر العمر

وقوله أيضاً :

مضت فمضت عني بها كل لذة تقرُّ بها عيناي فانقطعا معا

وقوله :

تأخرت عنها في المسير وليتني تقدمت لاألوي على حزن نادب

وقوله أيضاً :

سأبكي عليها ما حييت وإن أمت ستبكي عظامي والأضالع في القبر

وقوله :

ماخلفت من بعدها في اهلها غير البكا والحـزن والأيتام

يالهف نفس، حُسن أخلاق لها جبلت عليه ووصلة الأرحام

ثم تزوج بعدها بأخرى ، وهي التي مات عنها، وأحرزت ماجمعه من مال وغيره .

ولما بلغ مالا مزيد عليه من الشهرة وبعد الصيت وعظم القدر والجاه عند الخاص والعام، وكثرت عليه الوفود من سائر الأقطار ، وأقبلت عليه الدنيا بحذافيرها من كل ناحية ، ـــ

لزم داره واحتجب عن أصحابه الذين كان يلم بهم قبل ذلك
إلاّ في النادر لغرض من الأغراض ، وترك الدروس والإقراء
واعتكف بداخل الحريم ، وأغلق الباب ، وردّ الهدايا التي تأتيه
من أكابر المسلمين ، وأرسل إليه مرة أيوب بك الدفتردار مع
نجله خمسين إردَبّاً (مكيال ضخم) من البر ، وأحمالاً من الأرز
والسمن والعسل والزيت وخمسمائة ريال نقود ، وبقج كساوي
أقمشة هندية ، وجوخاً وغير ذلك ، فردّها ، وكان ذلك
في رمضان ، وكذلك مصطفى بك الاسكندراني وغيرهما ،
وحضرا إليه ، فاحتجب عنهما ولم يخرج إليهما ، ورجعا من
غير أن يواجهاه ، واتفق أن مولاي محمداً سلطان المغرب رحمه
الله وصله بصلات قبل اجتماعه الأخير وتزهده ، وكان يقبلها
ويقابلها بالحمد والثناء والدعاء ، فأرسل له (سنة ١٢٠١) صلة
لها قدر ، فردّها ، وتورع عن قبولها وضاعت ، ولم ترجع
إلى السلطان ، وعلم السلطان من جوابه ، فأرسل إليه مكتوباً
قرأته ، وكان عندي ثم ضاع في الأوراق ، ومضمونه العتاب
والتوبيخ في ردّ الصلة ، ويقول له : إنك رددت الصلة التي
أرسلناها إليك من بيت مال المسلمين ، وليتك حيث تورعت

عنها ، كنت فرقتها على الفقراء والمحتاجين ، فيكون لنا ولك أجر ذلك ، إلا أنك رددتها وضاعت ، ويلومه أيضاً على شرحه كتاب الإحياء ، ويقول له : كان ينبغي أن تشغل وقتك بشيء نافع غير ذلك ، ويذكر وجـــه لومه له في ذلك ، وما قاله العلماء ، وكلاماً مفحماً مختصراً مفيداً رحمه الله تعالى [١] .

وقد عدّ له أكثر من أربعين مصنفاً عدا شرحي القاموس والإحياء ، أشرنا إلى بعض المطبوع منها (ص ١٥٠٥ و ١٥٠٦) وله بعد هذا نثر وشعر يشهدان بمزيد فضله فيهما ، « ونظمه كثير ، ونثره بحر غزير ، وفضله شهير ، وذكره مستطير » ، وترجمته في الحلية من (ص ١٤٩٢ ـــ ١٥١٦) ونقل المؤلف معظمها عن المؤرخ الجبرتي معزواً إليه مانقله عنه . ومما يذكرنا بالسلف الصالح ترجمة المقرية المسندة الصالحة ، العالمة العاملة مريم بنت محمد طه الحلبية ، فقد أجازهـا جملة من المحدثين ، واجتمع بها العلامة محمد خليل المرادي حينما كان في حلب ،

(١) اعترف الإمام الغزالي بأن بضاعته في الحديث كانت مزجاة ، ولكنه أقبل عليه ، ووضع كتابي الصحيحين بين يديه ، وجعلهما أمـــام ناظريه ، ولنا كلمة فيه مطبوعة في القاهره بعنوان : حجة الإسلام أبو حامد الغزالي .

(عام ١٢٠٥) وأثنى عليها، وشهد بعلمها وفضلها (ص ١٢١٦).

وفي ترجمة الشيخ مصطفى الزين الحمصي صاحب معارضات الشيخ محمد بن هلال الهلالي الحموي - (وترجمته في مقدمة ديوانه المطبوع في حماة سنة ١٣٣٠) - قصائد وموشحات في المآكل والمشارب، يعارض بها قصائد وموشحات للهلالي في الغزل والمديح، (ص ١٥٢١ - ١٥٣٦) وهي مشهورة. وفي (ص ١٥٣٩) كلمة جميلة بقلم صديقنا الشيخ محمد جميل (رحمه الله) في أسلافه آل الشطي الكرام.

وفي ترجمة الشيخ مصطفى بن سعد بن عبده الحنبلي المعروف بالسيوطي مفتي الحنابلة بدمشق الشام، شرح كتاب الغاية بخمس مجلدات، بين فيها اختلاف الروايات والأقوال والمباحث تبييناً واضحاً، وقد ولي إفتاء الحنابلة ونظارة الجامع الأموي بدمشق. قال في الحلية: ومن جملة من أخذ عنه المترجم المرقوم الشيخ أحمد البعلي، ولد ثامن رمضان سنة ١١٠٨ وتوفي سنة ١١٨٩، عن أبي المواهب الحنبلي مفتي الحنابلة بدمشق الشام، ولد في رجب سنة ١٠٤٤ وعاش ٨٢ سنة وتوفي سنة ١١٢٦، وهكذا رفع في الحلية هذا السند المعنعن كل عن

شيخه بذكر تاريخ ولادته ووفاته ومدة حياته ، حتى بلغ به النبي ﷺ ، ومنهم من لم يذكر تاريخ ولادته ، وقد ذيلنا (ص ١٥٤١) من هذه الترجمة بكلمات عن الإقناع والمنتهى وغاية المنتهى ، ومؤلفيها وطبعها ومصححيها ، وفوائد أخرى تراجع في هذا التذييل .

وفي ترجمة الشيخ مصطفى الخياط المصري ، شهادة الشيخ حسن الجبرتي له أنه فريد عصره في الحسابيات ، وله مؤلفات وتحريرات في هذه الفنون ، منها جداول حل عقود مقومات القمر ، بطريق الدر اليتيم لابن المجدي ، وتراجع ترجمته فهي آيات بيّنات ، في علوم الحساب والفلك والميقات (ص ١٥٤٤) .

وممن امتاز ديناً وعلماً وأدباً وخلقاً الشيخ مصطفى القلعاوي فقد ذكر له في الحلية مصنفات في الفقه والبلاغة ، واللغة وآداب البحث والمنطق وديوان شعر ، وعدة رسائل ، في معضلات المسائل . وأضفت في الحاشية من قول الجبرتي في المترجم : كان من أحسن من رأينا سمتاً وعلماً وصلاحاً وتواضعاً وانكساراً ، راضياً مرضياً ، طاهراً نقياً ، ووصفه الأستاذ الزركلي في الأعلام بأنه مؤرخ شاعر ، وكان مسكنه بقلعة الجبل

وإليها نسبته، يأتي منها كل يوم إلى الأزهر للإقراء والإفادة، ثم نزل إلى داخل القاهرة وتوفي بها. وعدّ من مصنفاته « صفوة الزمان، فيمن تولى على مصر من أمير وسلطان » و « مشاهد الصفا في المدفونين بمصر من آل المصطفى » (ص ١٥٥٣). وعلقنا في ترجمة أحد الصالحين على القول بأن كثيراً من أهل الشام، يقصده للزيارة وطلب المرام، قلت: كيف يُطلب المرام ممن لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرا، ولا موتاً ولا حياة ولا نشورا؟ وعلقنا على ترجمة الشيخ مصطفى نجا (ص ١٥٥٩) بما يأتي: من أشهر من أخذ العلم عنهم من معقول ومنقول الأساتذة الأجلاء: عبد الباسط الفاخوري ويوسف الأسير وابراهيم الأحدب وعمر الأنسي وغيرهم. ولما أعلن الدستور العثماني انتخب المترجم مفتياً لمدينة بيروت (سنة ١٣٢٧) وبقي فيها إلى سنة وفاته (سنة ١٣٥٠ ه). من مؤلفاته « نصيحة الإيمان » في التربية والتعليم، و « أرجوزة في التربية والتعليم » و « كشف الأسرار » تصوف، وهذه الثلاثة مطبوعة. و « تفسير جزء عم » و « إرشاد المريد » في التجويد. وثلاثة موالد، وله نظم جمع في ديوان، وهذه

مخطوطة كما في الأعلام للزركلي ، وعن « ذكرى مصطفى نجا مفتي بيروت الأكبر » . وقد ذيلنا (صفحتي ١٥٧١ ـــ ١٥٧٢) بمقتطفات من كتاب « أعلام العراق » لصديقنا الأستاذ الجليل السمي محمد بهجة الأثري ـــ تعليقاً على ترجمة العلامة السيد نعمان خير الدين نجل المفسر الكبير السيد محمود الآلوسي ، علاوة على ماذكره المؤلف هنا ، ويراها القارىء مفصلة في أعلام العراق ، كما كنا لخصنا صفحات منه أضفناها إلى ترجمة السيد والده (المتوفى سنة ١٢٤٢) ويجدها المطالع في هذا الجزء الثالث من الحلية أيضاً . وذكر المؤلف في ترجمة هبة الدين الشهير بالتاجي مفتي بعلبك كثيراً من مشايخه مع تاريخ وفياتهم ، وهذه فوائد تاريخية . وقد أعقب المترجم ولده سعيد افندي مفتي بعلبك بعد والده ، وهذا أعقب ولده راغب افندي مفتيها بعد والده المذكور أيضاً ، المتوفى سنة ١٣٠٠ رحمهم المولى . ولنا تعليق على ترجمة الشيخ هداية الله الاربيلي في طلب العلم وتحصيله ، (ص ١٢٧٩) . وفي روض البشر ملحوظة في تاريخ الوفاة ، ولنا جواب عليها (ص ١٥٨٠) ومن عجائب التاريخ ماوقع في السليمانية للشيخ خالد النقشبندي بعد عوده إليها من

الهند فقد تآمر على قتله الجماعة البرزنجية الذين هم أكابر بلدة السليمانية وأصحابهم وأتباعهم، فلما تمت صلاة الجمعة في المسجد وقف الأعداء على الباب ينتظرون خروج الشيخ وهم بالسلاح الكامل، فلما تكامل خروج الناس ولم يبق في المسجد أحد، خرج الشيخ والتفت إلى صفوف الأعداء بعين الجلالة، فمنهم من هرب، ومنهم من سقط مغمى عليه، ومنهم من صاح وانجذب، ومشى الشيخ بجماعته، ولم يتعرض له أحد، وهذه القضية وقعت على رؤوس الأشهاد، وقد وقعت هذه القصة في ترجمة الشيخ يحيى المزوري العمادي البغدادي الملقب (كما في المجد التالد) ببحر العلوم النقلية والعقلية والرياضية، وفي هذه الترجمة أن العلماء حقدوا على الشيخ خالد المذكور وأرادوا إهانته وتجهيله في العلم، ولما عجزوا عنه كتبوا كتاباً إلى المترجم ومضمونه: من كافة علماء السليمانية إلى علاّمة الدنيا الخ فلما وصل ودخل على شيخ الحضرة وحياه، استقبله وصافحه وأحسن لقياه، فجلس الشيخ يحيى بجانب مولانا خالد، وتهيأ للسؤال، فابتدره الشيخ في الحال، وقال له: إن في العلوم مشكلات كثيرة، منها كذا وجوابه كذا، ومنها كذا وجوابه

كذا، وعدّد له جميع الأسئلة التي أعدها للسؤال عنها، وأجاب عن كل منها بأحسن جواب ... فلما سمع المنكرون ولوا الأدبار !

وقد علقت على هذه الطرفة بقولي : ألا ليت هذه الأسئلة والأجوبة قد ذكرت ولو بالكلم الوجيز ، ليعيها ويستفيد منها طلاب العلم الشريف ، وكم ضاع على الناس من فوائد وفرائد بعدم التدوين ، ومنها مادار بين هذين الشيخين الجليلين ، والأمر لله .

ومن الغريب في سيرة مولانا خالد أن أحد خلفائه في الأستانة قد طرده عن الطريقة لعجبه بنفسه ، بمخالطة أكابر الرجال ، وجمع الحطام والأموال ، فالتمس الشيخ يحيى العفو عنه ، فقال الشيخ خالد : إن الأمر لو كان بيدي لعفوت عنه ، ولكن جميع روحانيات السلسلة العلية النقشبندية قد طردوه عن باب طريقتهم ، اللهم إلا أن يحلق (عبد الوهاب السوسي) لحيته ، ويسود وجهه ، ويركب الحمار منكوساً ، ويشهر نفسه في في الأزقة والأسواق كسراً لنفسه ! فعلقت على هذه الحكاية بقولي : من المعلوم أن مما تتحقق به التوبة النصوح : الإقلاع عن الذنب في الحال ، والندم على مافات ، والاستعداد لما هو آت ،

قال تعالى : « إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً ، فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفوراً رحيما » الفرقان الآية (٧٠) وهذا الإذلال الوارد في السؤال ، ليس شرطاً شرعياً ، ولم يذكر له مستنداً (ص ١٥٩١) ، وبعد هذا ترجمة الشيخ يحيى مفتي انطاكية ، وله باقليمها شهرة عالية ، وله معرفة بالسياسة قوية ، ومهارة بالألسنة الثلاث العربية والتركية والفارسية ، ونظره في الأمور دقيق ، مقصود في الاستشارة لكل بعيد أو قريب أو عدو أو صديق . (قال المؤلف) : وكانت لي معه الصحبة الوافرة ، والمباحثة والمذاكرة والمسامرة والمحاضرة . قال الأستاذ الطباخ ــ بعد أن نقل هذه الترجمة عن (الحلية) أقول : كانت وفاته ــ كما كُتب لنا من انطاكية ــ أول ليلة من رمضان سنة ١٣١٤ عن اثنين وسبعين عاماً ، فتكون ولادته على التحقيق سنة ١٢٤٢ رحمه الله تعالى . (قلت : وهذا تصحيح لما قيل بأنه ولد سنة ١٢٣٠ تقريبا) . ونقلنا في ترجمة الشيخ يوسف أبي الفتوح العمري الدمشقي من تعطير المشام في مآثر دمشق الشام لأستاذنا القاسمي رحمه الله مانصه : ولما توفي شيخه الداغستاني المذكور ــ وكان مدرس قبة النسر ، طلب الدرس في المكان

المذكور السيد محمد العطار ، أحد أكابر دمشق ، فوجه إليه ، ثم أناب في التدريس عنه صاحب الترجمة ، فدرس بالوكالة عنه إلى وفــاة السيد محمد المذكور ، وذلك سنة ١٢٠٩ هـ (ص ١٥٩٥) .

وفي سيرة الوزير يوسف باشا والي الشام (ص ١٥٩٦ ــ ١٦٠٢) وفي زمنه ، قواد عسكريون كثيرون ، في مدن الشام وفي فلسطين ، وبينهم من التباغض والتعادي وسفك الدماء ما :

يصم السميع ويعمي البصير   ويسأل من مثله العــافية

ثم من بعد أن استولى على البلاد التي قاتل أهلها « رجع إلى الشام واستقام أمره وحسنت سيرته ، وسلك طريق العدل في الأحكام ، وأقام الشريعة والسنة ، وأبطل البدع والمنكرات ، واستتــاب الخواطىء وزوّجهن ، وطفق يفرق الصدقات على الفقراء وأهـل العلم والغرباء وابن السبيل ، وأمــر بترك الإسراف في المآكل والملابس ، وشاع خبر عدله في النواحي » قلت : في هذا كله عظة بالغة للحكام ، فمن أراد منهم أن يجعل له لسان صدق في الآخرين ، فهذا سبيله وهذا دليله . وفي ترجمة

الشيخ يوسف بن بدر الدين ، والد شيخنا محدث الديار الشامية الشيخ بدر الدين صدع بالحق وإزالة لمنكر كبير ، فمما اتفق له وكتب في صحيفته أن بعض الأروام ، القاطنين في دمشق الشام ، استولى على الدار التابعة لدار الحديث الأشرفية الواقعة في العصرونية ، ثم ضم إليها الزاوية الغربية من المدرسة المرقومة التي كانت محل تدريس الإمام النووي ومحل روايته للأحاديث ، فصارت محلا لوضع براميل الخمر !! فرفع المترجم الأمر إلى الوالي ، فلم تلتفت الحكومة إلى دعواه ، فتوجه إلى الأستانة وتعـاطى أسباباً كثيرة لإنقاذ هذا المحل من أيدي الرومي ، إلى أن استحصل أمراً سلطانياً في ذلك ، فعاد إلى الشام وقدمه إلى الوالي فطرحه في زوايا الإهمال ، وبقي الأمر على ذلك ، ولم يقع المترجم على ثمرة ، إلى أن جاء الأمير السيد عبد القادر أمير الجزائر ، من الأستانة وبروسة محل إقامته ، إلى دمشق ، فأخذته الحمية الاسلامية ، فأحضر الرومي ودفع له مالاً جزيلاً واشتراه منه ، وجعله وقفاً على المترجم وعقبه ، وأمر بترميم المسجد والمدرسة على نفقته ، وقرأ حضرة الأمير صحيح الامام أبي عبد الله البخاري في المدرسة المذكورة ،

(وكان ختامه في ٢٤ من شوال سنة ١٢٧٤) وعند الختم قدم المترجم إلى الأمير قصيدة هذا مطلعها :

بك المسرات قد نالت أمانيها   يانعمة مالها شيء يدانيها

ومنها :

نعم أهني دمشق الشام إذ ظفرت   بمثلك الآن تغدو في ضواحيها

. . .

لاسيما سيدي ماكان مدخراً   من فك دار حديث من خنا فيها

بك استنارت وأحيا الله مربعها   لما تلوت البخاري وسط ناديها

وعند ختم الصحيح أنشد المترجم بين يدي الأمير قصيدة كبرى أربت على ستين بيتاً ، أولها :

باب القبول لهذا الختم قد فتحا   فلاح من يمنه برق السعود ضحى

ومنها :

في مسجد الأشرف السلطان ماوسما   دار الحديث بدرس أبهر الفصحا

ضبطا وبحثا مع الإتقان مقتفيا   آثار من حلها من سادة صلحا

مثل الإمام النواوي والمضاهي له   ممن على منهج الإرشاد قد سبحا

وختامها :

أو قال يوسف بدر الدين مبتهلاً   باب القبول لهذا الختم قد فتحا

قال المؤلف : وللمترجم قصائد شهيرة ، وتأليفات بديعة ،

وأسانيد عالية ، وقد انتفعت بفوائده ، وأجازني أيضاً بسند عالٍ
وحضر في الجامع الأزهر على جهابذة كالباجوري والأمير ،
وساح في كثير من الأقطار وأخذ عن علمائها ، وكان له مع
والدي مودة ومذاكرات علميــة ، إن جلس في مجلس كان
واسطة عقد نظـامه ... لايهاب في الحق كبيراً ، ولا يخشى
حاكماً ولا وزيراً ، (إلى ص ١٦٠٨) قلت ما أحوجنا إلى
مثله ، بشجاعته مع كمال فضله . وأما الشيخ يوسف البشتاوي
النابلسي الدمشقي ، فله أبيات في بر الوالدين جديرة بالحفظ
والرعاية ، وأولها :

زر والديك وقف على قبريهما فكأنني بك قد حملت إليهما
لو كنت حيث هما وكانا بالبقا زاراك حبواً لا على قدميهما

ومنها :

بشراك لو قدمت فعلا صالحاً وقضيت بعض الحق من حقيهما

. . .

فاحفظ حُفظت وصيتي واعمل بها فعسى تنال الفوز من بريهما

وأما الشيخ يوسف البطاح الأهدل ، فمن مؤلفاته شرح بلوغ
المرام في مجلدين . ونقل المؤلف عن صاحب النفَس اليماني
أنه مات شهيداً في الوباء العام (سنة ١٢٤٦ هـ) ومات فيه

خلائق لايحصون عدداً في أرض الحجاز ، وكان ابتداء هذا الوباء من أرض الحبشة وعم البلاد الشامية والمصرية والتركية والعربية ، وكان تاريخ ذلك العام « لنهلكن الظالمين » . ودفن المترجم في مكة في مقبرة المعلّى ، وفي أول (ص ١٦١٢) يقول عن عكا : التابعة لولاية بيروت . قلنا : لم تعد تابعة لولاية بيروت ، بل احتلتها الصهيونية اليهودية العالمية منذ خمسة عشر عاماً ، بمعاونة بعض الدول الأجنبية ، وأهلها مشرّدون « وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » وفي هذه الصفحة وما بعدها (إلى ص ١٦١٦) ترجمة الأستاذ الشيخ النبهاني بقلمه ، ذاكراً شيوخه الأزهريين ومدة حياة كل منهم ، وتاريخ وفاته ، ونصّ إجازة الشيخ المعمّر ابراهيم السقا له . وفي حياة الشيخ يوسف الأسير الشهير ، مايشهد له بأنه نابغة الأدب ، لاسيما لشرحه لأطواق الذهب ، وموشحاته التي عارض بها شعراء الأندلس ، وفي موشحه الذي أثبته المؤلف في الحلية تنويه ببلقيس الحميرية ملكة سبأ التي ذكرت في القرآن الكريم . وقد ولد المترجم في مدينة صيدا ، وطلب العلم بها ، ثم توجه إلى دمشق الشام ، وحضر على أعيانها الأعلام ، ثم أقام في الأزهر

سبع سنين ، وقرأ فيه على مشاهير علمائه ، ثم قصد إلى طرابلس الشام ، فحضر عليه جماعة من أفاضلها ، ثم تقلد القضاء في لبنان ، ولم ينقطع عن التدريس ، وقد ألف جملة من الكتب كرائض الفرائض وغيره ، وكانت وفاته في بيروت (سنة ١٣٠٧) رحمه الله تعالى . (إلى ص ١٦٢١) . (وفي ص ١٦٢٢) وما بعدها (إلى ص ١٦٢٨) كتبت تحت عنوان « مستدركات » ما خلاصته أن صديقنا الأستاذ الشطي قد استغرب من مؤلف الحلية الأستاذ الجد أنه لم يترجم شقيقه الأكبر الشيخ محمد أمين فتوى دمشق ، وقد ترجم لولده الشيخ محمود ، كما أنه لم يترجم صديقيه الشيخين الجليلين محمد وأحمد الشطي ، وقد أجبته بأن هذا كان سهواً منه ، ولم يستدرك ، إذ ترك الكتابة في تاريخه قبل وفاته (سنة ١٣٣٥ ﻫ) بأكثر من عشر سنوات ، لما أضر بيده اليمنى من الأسى والشلل القليل ، على أني استدركت وترجمت للشقيقين محمد وأحمد نقلا عن أعيان دمشق ، وعن منتخبات التواريخ للتقي الحصني ، ولشقيق المؤلف الأكبر الشيخ محمد ، عن هذين التاريخين ، وعما خطه هو بقلمه . وبعد

أن أوردنا تراجم الاعلام الثلاثة ختمناها بترجمة المؤرخ الشيخ جميل الشطي لنفسه مكتوبة بقلمه في كتابه (روض البشر) وبها نختم تراجم الأستاذ الجد البيطار لمؤلفه (حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر) رحمة الله عليهم أجمعين ، والحمد لله أولاً وآخراً . وتم هذا في مطلع شهر ربيع الأول سنة ١٣٨٤ هـ وتموز سنة ١٩٦٤ م .

وكتبه حفيد المؤلف :

محمد بهجة البيطار



فهرس الجزء الثالث

من حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر

(مستدركات)

الخطأ والصواب

الصفحة	سطر	الخطأ	الصواب
١١٩٧	١٤	واستياقي	واشتياقي
١٣١٥	٧	الأضل	الأصل
١٣٣٤	٥	من ذوي من الكمال	من ذوي الكمال
١٤٦١	٦	منادون	منادين
١٦٥٠	٩	وفقائها	وفقهائها

انتهى طبع هذا الجزء في شهر تموز سنة ١٩٦٤

مطبعة الترقي بدمشق